

تأليف الإمامين

جلال الدين المحلي (٨٦٤هـ) و جلال الدين السيوطي (٩١١هـ)

حققه الأستاذ الدكتور

فخر الدين قباوة

على أصل خطي نفيس من عهد المفسرين

ومعه

الجمالين على الجلالين

تأليف العلامة

الملا علي القاري

المتوفى سنة ١٠١٤هـ

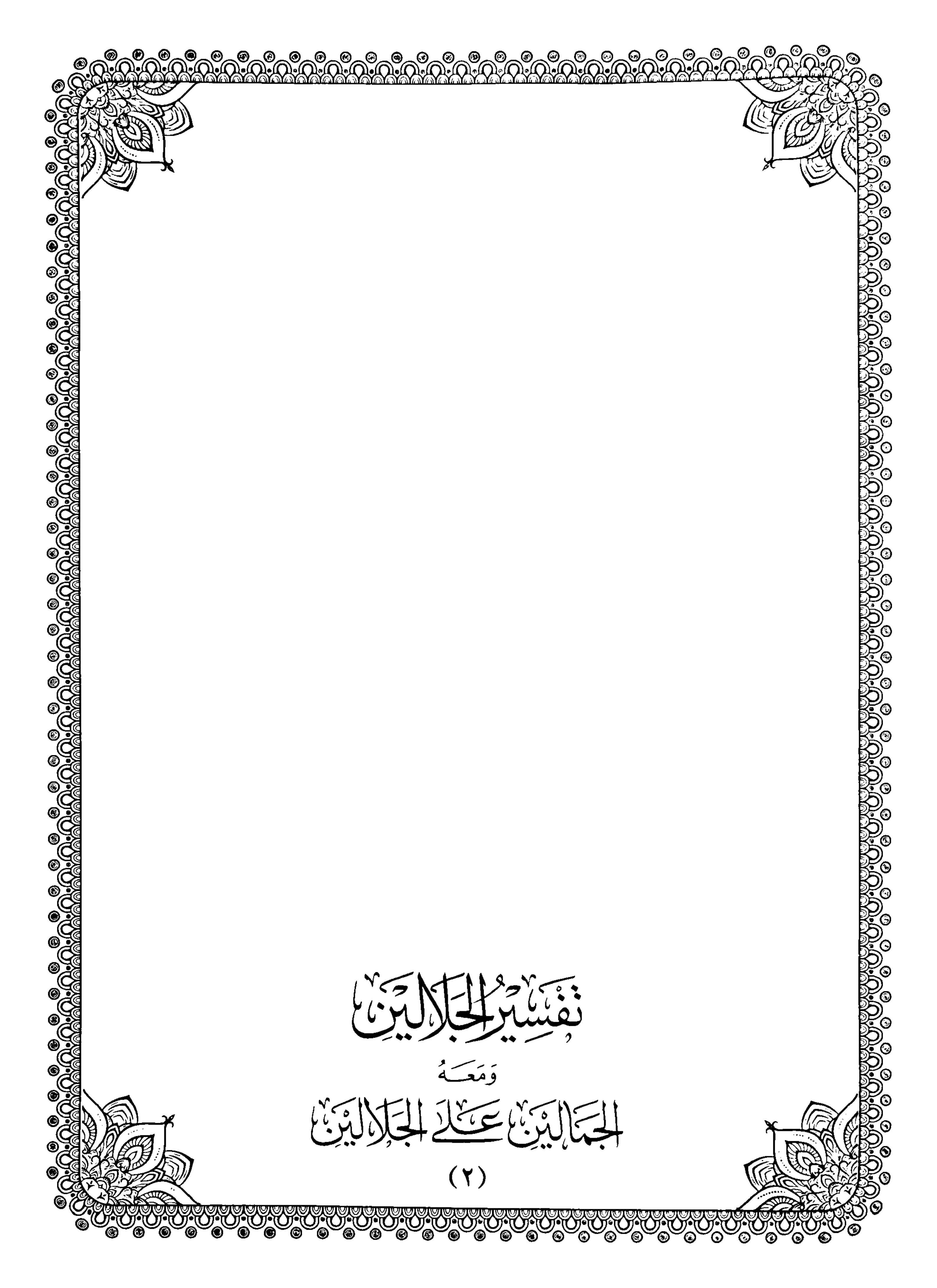
حققه

توفيق محمود تكلة

على أربع نسخ خطية

المجلد الثاني



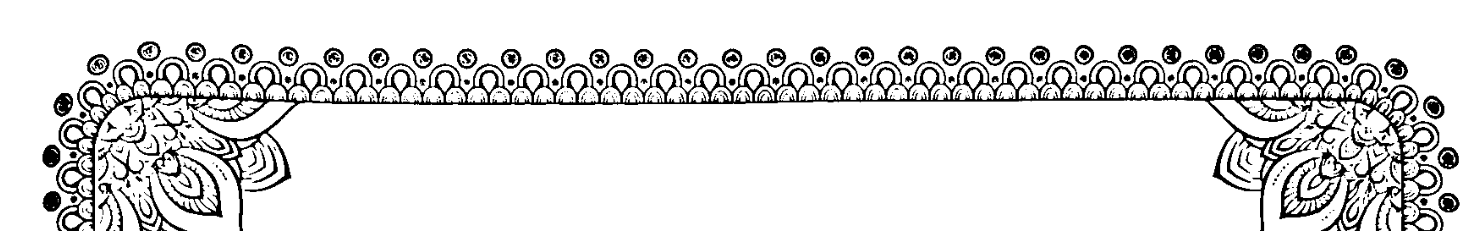


تفسير الجلالين

ومعه

الجمالين على الجلالين

(٢)



الطَّبعَةُ الثَّانِيَة

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م





9 789933 935078



DAR-ALLOBAB

Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

اسطنبول ـ تركيا
00902125255551
00905454729850

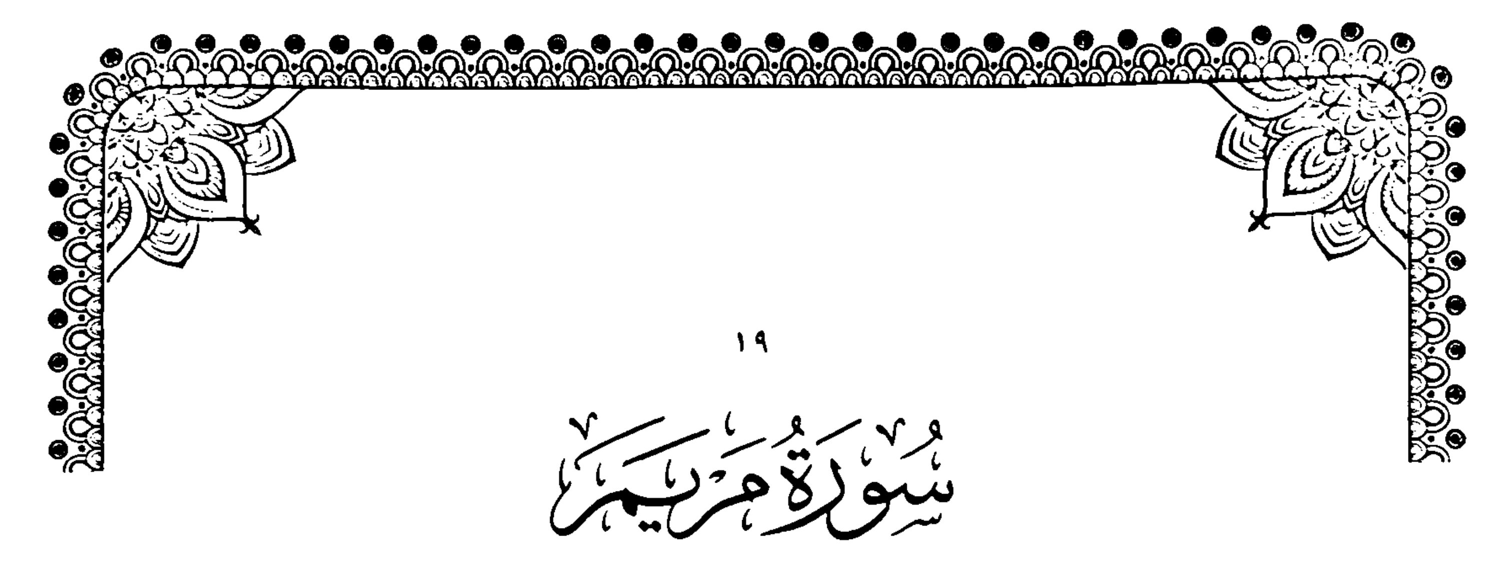
دمشق ـ سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

بيروت ـ لبنان
009615813966
0096170112990



İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)


بسم الله الرحمن الرحيم



مكية أو إلّا سجدتَها فمدنية، أو إلاّ «فخلف من بعدهم خلف» الآيتين فمدنيتان، وهي ثمانٍ أو تسعٌ وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿كهيعص﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

٢ ـ هذا ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ﴾: مفعولُ «رحمة» ﴿زَكَرِيَّا﴾: بيانٌ له، ٣ ـ ﴿إذ﴾: مُتعلّق بـ«رحمة»

سورة مريم

قولُه: (اللهُ أعلَمُ) قيلَ: معناهُ: كافٍ لخلقِهِ، هادٍ لعبادِهِ، يدُهُ فوقَ أيديهِم، عالمٌ ببريَّتِهِ، صادقٌ في وعدِهِ، ولكونِهِ مَوصوفاً بهذه الصِّفاتِ العظيمةِ قالَ السُّدِّيُّ: إنَّه الاسمُ الأعظمُ[١]. وفي دعاءِ عليٍّ كرَّمَ اللهُ وجهَه: «يا كهيعص»[٢].

قولُه: (هَذَا) مبتدأٌ مُقدَّرٌ.

قولُه: (بَيَانٌ) أو بدلٌ.

قولُه: (مُتَعَلِّقٌ) أي: ظرفٌ لها.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٣٨) (١٦٦٦٢) عن شعبة، قال: سألت السدي، عن قوله: ﴿الم﴾ و﴿حم﴾ و﴿طسم﴾ فقال: قال ابن عباس: هو اسم الله الأعظم.

وروى البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٦٩) عن السدي قال: فواتح السور من أسماء الله عز وجل.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٤١).

﴿نادَى رَبَّهُ نِداءً﴾ مُشتملاً على دعاء ﴿خَفِيًّا﴾: سِرًّا جوفَ الليل لأنه أسرعُ للإجابة، ٤ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، إنِّي وَهَنَ﴾: ضعُفَ ﴿العَظْمُ﴾ جميعُه ﴿مِنِّي، واشتَعَلَ الرّأسُ﴾ منّي ﴿شَيبًا﴾: تمييزٌ محوَّل من الفاعل، أي: انتشر الشيب في شعري كما ينتشر شُعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوَك، ﴿ولَم أكُنْ بِدُعائكَ﴾ أي: بدعائي إيّاك ـ ﴿رَبِّ ـ شَقِيًّا﴾ أي: خائبًا فيما مضى. فلا تُخيّبْني فيما يأتي.

٥ ـ ﴿وإنِّي خِفتُ المَوالِيَ﴾ أي: الذين يلونني في النسب كبني العمّ، ﴿مِن وَرائِي﴾ أي: بعدِ موتي، على الدِّين أن يُضيِّعوه كما شاهدتُه في بني إسرائيلَ من تبديل الدِّين، ﴿وكانَتِ امرأتِي عاقِرًا﴾: لا تلدُ. ﴿فهَبْ لِي مِن لَدُنْكَ﴾: من عِندِك ﴿وَلِيًّا﴾: ابنًا، ٦ ـ ﴿يَرِثُنِي﴾ ـ بالجزم:..........

قولُه: (سِرًّا) كما هو المأمورُ به بقولِهِ تعَالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]، وهو أبعدُ عن الرِّياءِ، وأقربُ إلى الصَّفاءِ.

قولُه: (جَوْفَ اللَّيلِ) غيرُ مَفهومٍ من الكلامِ، فيَحتاجُ إلى نقلٍ.

قولُه: (لأَنَّهُ) علَّةٌ لهما، أو للأخيرِ.

قولُه: (ضَعُفَ) بضمِّ العينِ.

قولُه: (جَمِيعُهُ) الأظهَرُ: جنسُه، وخُصَّ لأنَّه عَمودُ البدنِ وأشدُّ ما فيه.

قولُه: (مِنِّي) ففيه إجمالٌ وتَفصيلٌ، أو: رأسي، وهو الأظهرُ، والمرادُ: شعرُهُ، وأُسنِدَ إلى منبَتِه مجازاً لإفادَةِ الشُّمولِ.

قولُه: (شَعرِهِ) أي: الرَّأسِ.

قولُه: (بِدُعَائِي) فهو مصدرٌ مُضافٌ إلى المفعولِ.

قولُه: (بَعْدَ مَوتِي) وقولُ صاحِبِ «المدارِكِ»[1]: وبالقصرِ وفتحِ الياءِ كـ﴿هُدايَ﴾ مكِّيٌّ. القصرُ غيرُ ثابتٍ[2].

قولُه: (لا تَلِدُ) وهي أختُ مريمَ بنت عِمرانَ[3].

قولُه: (بالجَزمِ) بَصريٌّ وكسائيٌّ[4].

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٣٢٦، ٣٢٧).

(٢) كذا قال، وقد ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤٠٧) رواية عن ابن كثير، ولم يذكرها الداني، وأوردها أيضا ابن خالويه في «المختصر في شواذ القرءات» (ص: ٨٦). فلعل قول المؤلف: «غير ثابت» يعني: في المتواتر.

(٣) وانظر: «فتوح الغيب» (٤/ ٨٥).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٣٨).

جوابُ الأمر، وبالرفع: صفةُ «وليًّا» ـ ﴿ويَرِثُ﴾، بالوجهين، ﴿مِن آلِ يَعقُوبَ﴾ جَدِّي العلمَ والنبوّةَ، ﴿واجعَلْهُ ـ رَبِّ ـ رَضِيًّا﴾ أي: مَرْضيًّا عِندك.

قال تعالى في إجابة طلبه الابنَ الحاصلَ به رحمتُه: ٧ ـ ﴿يا زَكَرِيّاءُ، إنّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ﴾ يَرِثُ كما سألتَ، ﴿اسمُهُ يَحيَى، لَم نَجعَلْ لَهُ مِن قَبلُ سَمِيًّا﴾ أي: مُسمًّى يحيى. ٨ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، أَنَّى﴾: كيفَ ﴿يَكُونُ لِي غُلامٌ، وكانَتِ امرأتِي عاقِرًا، وقَد بَلَغتُ مِنَ الكِبَرِ عُتِيًّا﴾؟ من عَتا: يَبِسَ، أي: نهايةَ السنّ مِائةً وعشرين سنة، وقد بلغَتِ امرأتُه ثمانيَ وتسعين سنة. وأصل عُتِيّ «عُتُوْوٌ» كُسرَتِ التاء تخفيفًا، وقُلبَتِ الواوُ الأُولى ياء لمُناسبة الكسرة، والثانيةُ ياء لتُدغم فيها الياء. ٩ ـ ﴿قالَ﴾: الأمرُ ﴿كَذلِكَ﴾ من خلق غلام منكما. ﴿قالَ رَبُّكَ: هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ أي: بأن أردَّ عليك قُوّة الجِماع وأفتقَ رَحِم امرأتك للعُلوق. ﴿وقَد خَلَقتُكَ مِن قَبلُ، ولَم تَكُ شَيئًا﴾.........................

قولُه: (الأمرِ) أي: الدُّعاءِ.

قولُه: (العِلْمَ والنُّبُوَّةَ) لفٌّ ونشرٌ مرتَّبٌ على ما صرَّحَ به في «المداركِ»، قالَ: ومعنَى الوراثةِ: أنَّه يصلُحُ لأَن يوحَى إليه، ولم يُرِد أنَّ نفسَ النُّبوَّةِ تورَثُ[1].

قولُه: (مَرْضِيًّا) أو راضِياً عنك وبحُكمِكَ.

قولُه: (كَيفَ) وليسَ هذا باستِبعادٍ، بل هو استِكشافُ أنَّه بأيِّ طريقٍ يكونُ: أيوهَبُ لهُ وهو وامرأتُه بتلكَ الحالِ، أم يُحوَّلانِ شابَّينِ؟

قولُه: (عُتُوٌّ) وأصلُه: عُتُوْوٌ؛ كجُلُوس.

قولُه: (تَخفِيفاً) لاستِثقالِ تَوالي الضَّمَّتينِ والواوَينِ، وقرأَ حفصٌ وحمزَةُ والكسائيُّ بكسرِ الفاءِ، وكذا ﴿صِلِيًّا﴾ و﴿جِثِيًّا﴾ و(بِكِيًّا) إلَّا حفصاً في الأخيرِ[2].

قالَ تعالى: (﴿قَالَ رَبُّكَ﴾) يدلُّ على أنَّ المبشِّرَ هو الملَكُ، ويؤيِّدُه: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ [آل عمران: ٣٩].

قولُه: (أَفْتَقَ) أي: أشقَّ.

قولُه: (للعَلُوقِ) كصَبُورٍ؛ أي: المنيِّ[3].

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٢٢٧).

(٢) أي: قرأ: ﴿بُكيا﴾ بضم الباء، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٣٩).

(٣) انظر: «تاج العروس» (٢٦/ ١٩٩).

قبلَ خلقك. ولإظهار الله هذه القُدرةَ العظيمة ألهمه السؤال، ليُجاب بما يدلّ عليها.

ولمّا تاقت نفسه إلى سُرعة المُبشَّر به ١٠ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، اجعَلْ لِيَ آيةً﴾ أي: علامةً على حمل امرأتي. ﴿قالَ: آيتُكَ﴾ عليه ﴿ألاّ تُكَلِّمَ النّاسَ﴾ أي: تمتنعَ من كلامهم بخِلاف ذكر الله ـ تعالى ـ ﴿ثَلاثَ لَيالٍ﴾ أي: بأيامها كما في آل عمران «ثَلاثَةَ أيّامٍ» ﴿سَوِيًّا﴾: حالٌ من فاعل «تُكلّم» أي: بِلا عِلّة. ١١ ـ ﴿فخَرَجَ علَى قَومِهِ مِنَ المِحرابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه ليُصلّوا فيه بأمره على العادة، ﴿فأوحَى﴾: أشار ﴿إلَيهِم: أن سَبِّحُوا﴾: صلُّوا ﴿بُكْرَةً وعَشِيًّا﴾: أوائلَ النهار وأواخرَه على العادة. فعَلم بمنعه من كلامهم حَملَها بيحيى.

وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له: ١٢ ـ ﴿يا يَحيَى، خُذِ الكِتابَ﴾ أي: التوراةَ ﴿بِقُوّةٍ﴾: بجِدّ. ﴿وآتَيناهُ الحُكمَ﴾: النبوّة ﴿صَبِيًّا﴾:..

قولُه: (قَبْلَ خَلْقِكَ) لأنَّ المعدومَ ليسَ بشيءٍ، وحمزةُ والكِسائيُّ: (خَلَقْنَاكَ)[1].

قولُه: (تَاقَتْ) واشتاقَتْ.

قولُه: (حَالٌ) أي: حالَ كونِكَ سويَّ الأعضاءِ واللِّسانِ.

قولُه: (أي: المَسجِدِ) أي: مَوضِعِ صلاتِهِ.

قولُه: (أَشَارَ) بإصبعِهِ.

قولُه: (صَلُّوا) و﴿أنْ﴾ مفسِّرةٌ.

قولُه: (وَأَوَاخِرَهُ) صلاةَ الفَجرِ والعَصرِ[2].

قولُه: (بِسَنَتَينِ) وفي نسخةٍ: «بِسِنينَ» وهو غيرُ صَحيحٍ لجَهالتِهِ، اللَّهمَّ إلَّا أن يُقالَ: المرادُ به أقلُّ ما يُطلَقُ عليه لفظُ السِّنين، وهو ثلاثُ سنينَ؛ لما سيأتي في كلامِهِ[3]، ويؤيِّدُ الأوَّلَ ما قالَ صاحبُ «المدارِكِ»: وقُلنا: بعد ولادتِهِ وأوانَ الخطَابِ[4].

قولُه: (بجِدٍّ) واستظهَارٍ بالتَّوفيقِ، حالٌ.

قولُه: (النُّبُوَّةَ) أو: فَهْمَ التَّوراة، والفقهَ في الدِّينِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٣٩).

(٢) رواه عبد الرزاق وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٤) عن قتادة.

(٣) وهو قوله: ابن ثلاث سنين.

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٣٢٨).

ابن ثلاث سنين، ١٣ ـ ﴿وحَنانًا﴾: رحمة للناس ﴿مِن لَدُنَّا﴾: من عِندِنا ﴿وزَكاةً﴾: صدقة عليهم، ﴿وكانَ تَقِيًّا﴾ ـ رُوي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمّ بها ـ ١٤ ـ ﴿وبَرًّا بوالِدَيهِ﴾ أي: مُحسنًا إليهما، ﴿ولَم يَكُنْ جَبّارًا﴾: مُتكبرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربّه. ١٥ ـ ﴿وسَلامٌ﴾ منّا ﴿علَيهِ يَومَ وُلِدَ، ويَومَ يَمُوتُ، ويَومَ يُبعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى فيها ما لم يره قبلها، فهو آمِنٌ فيها.

١٦ ـ ﴿واذكُرْ في الكِتابِ﴾: القُرآنِ ﴿مَرْيَمَ﴾ أي: خَبرَها، ﴿إذِ﴾: حينَ ....

قولُه: (ابنَ ثَلاثٍ) حالٌ، قيل: دعاهُ الصِّبيانُ إلى اللَّعبِ وهو صبيٌّ، فقال: ما للَّعبِ خُلِقْنا[١].

قولُه: (للنَّاسِ) أي: لأبوَيهِ وغيرِهما، عطفاً على ﴿الحُكْمَ﴾.

قولُه: (صَدَقَةً عَلَيْهِم) قالَ الكلبيُّ: صَدقةً تصدَّقَ اللهُ بها على أبوَيهِ[٢].

والأظهرُ ما قالَ صاحبُ «المداركِ»: طَهارةً وصَلاحاً، فلم يعمَل بذَنبٍ[٣].

قولُه: (مُحسِناً) لا يعصِيهما، مبَالغَةُ بارٍّ.

قولُه: (مِنَّا) أو أمانٌ مِن اللهِ له.

قولُه: (الأيَّامِ المَخُوفَةِ) يومَ وُلِدَ من أن ينَالَه الشَّيطانُ، ويومَ يموتُ من فتَّاني القَبرِ، ويومَ البَعثِ[٤] من الفزَعِ الأكبرِ. قالَ ابنُ عُيينةَ: إنَّها أوحَشُ المواطنِ[٥].

قولُه: (أَيْ: خَبَرَهَا) أي: اقرَأْ عليهِم قصَّتَها ليقفُوا عليها، ويَعلَموا ما جَرى عليها.

قولُه: (حِيْنَ) يعني: ﴿إذِ﴾ بدلٌ من ﴿مَرْيَمَ﴾ بدلَ اشتِمالٍ، إذِ الأحيانُ مشتَمِلةٌ على ما فيها، وفيهِ: أنَّ المقصِدَ[٦] بذكرِ مريمَ ذِكرُ وَقتِها هذا لوُقوعِ هذه القصَّةِ العَجِيبةِ فيه، ولا يُتوهَّمُ أنَّه ظرفُ ﴿اذْكُرْ﴾، فإنَّه يُخِلُّ بالمعنى.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٢٣)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٣٩٦)، وأحمد في «الزهد» (٤٦٤)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٥٥) عن معمر قوله.
ورواه الحاكم في «تاريخه» كما في «الدر المنثور» (٥/ ٤٨٥) من حديث ابن عباس مرفوعاً.

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٧/ ٣٤٤)، والواحدي في «التفسير البسيط» (١٤/ ٢٠٩).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٣٢٩).

(٤) في (ص): «يبعث».

(٥) رواه الخطابي في «شأن الدعاء» (١/ ٤٢) (٢١)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٥٩٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ١٧٤) (١٣٠٩٠) بأتم مما هنا.

(٦) في (ص): «المقصود».

﴿انتبذت من أهلها مكانا شرقيا﴾ أي: اعتزلتْ في مكانٍ نحو الشرق من الدار، ١٧ ـ ﴿فاتخذت من دونهم حجابا﴾: أرسلتْ سِترًا تَستتر به لِتَفلِيَ رأسها أو ثيابها أو تغتسلَ من حيضها، ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ جِبريلَ، ﴿فتمثل لها﴾ بعد لُبسها ثيابَها ﴿بشرا سويا﴾: تامَّ الخَلق. ١٨ ـ ﴿قالت: إني أعوذ بالرحمن منك، إن كنت تقيا﴾ فتنتهي عنّي بتعوّذي. ١٩ ـ ﴿قال: إنما أنا رسول ربك، ليهب لك غلاما زكيا﴾ بالنبوّة.

٢٠ ـ ﴿قالت: أنى يكون لي غلام، ولم يمسسني بشر﴾ بتزوّج، ﴿ولم أك بغيا﴾: زانية؟ ٢١ ـ ﴿قال﴾: الأمرُ ﴿كذلك﴾ من خلق غُلام منكِ من غير أب. ﴿قال ربك: هو علي هين﴾ أي: بأن ينفخ بأمري جِبريلُ فيكِ فتحملي به. ولكونِ ما ذُكر في معنى العِلّة عُطف عليه: ....

قولُه: (اعْتَزَلَتْ) أي: تخلَّت للعِبادةِ.

قولُه: (مِنَ الدَّارِ) أي: دارِها، أو من بيتِ المقدِسِ.

قولُه: (جِبرِيلَ) والإضافةُ للتَّشريفِ، وسُمِّي رُوحاً؛ لأنَّ الدِّينَ يحيا به وبوَحيِهِ.

قولُه: (تَامَّ الخَلْقِ) وإنَّما مُثِّل لها في صُورةِ الإنسانِ لتستأنِسَ بكلامِهِ ولا تنفِرَ منه، ولو بدا لها في الصُّورةِ الملَكيَّةِ لنفَرَت ولم تقدِرْ على استِماعِ كلامِهِ.

قالَ تعالى: (﴿لِيَهَبَ﴾) أي: اللهُ، قرأَ به نافعٌ وأبو عَمرٍو بخلافٍ عن قالونَ، والباقونَ بالهمزِ[1]؛ أي: بإذنِ اللهِ، أو: لأكونَ سبباً في هِبَةِ الغُلامِ بالنَّفخِ في القَميصِ.

قولُه: (بالنُّبُوَّةِ) أو: طاهِراً من الذُّنوبِ، أو: نامياً على الخيرِ والبركَةِ.

قولُه: (زانيةً) تَبغِي الرِّجالَ؛ أي: تطلُبُ الشَّهوةَ من أيِّ رجلٍ كانَ، ولا يكونُ الولدُ عادةً إلَّا مِن أحدِ هذَين[2]، وهو فعولٌ أو فَعيلٌ بمعنَى: مَفعولٍ، ولذا لم تلحَقْه التَّاءُ.

قولُه: (مِن خَلْقِ) أو: الأمرُ كما قُلتِ، لم يمسَّكِ رجلٌ نِكاحاً أو سِفاحاً.

قولُه: (﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾) أي: إعطاءُ الولدِ بلا أبٍ عليَّ سَهلٌ.

قولُه: (ولِكَونِ ما ذُكِرَ) يعني: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾، أو هو معطوفٌ على تعليلٍ مُضمَرٍ؛ أي: لنُبيِّنَ به قدرتَنا، أو معلَّلُه محذوفٌ؛ وهو: فعَلنا ذلك.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٨).

(٢) أي: الزواج أو الزنا.

﴿ولِنَجعَلَهُ آيَةً لِلنّاسِ﴾ على قُدرتنا ﴿ورَحْمةً مِنّا﴾ لمَن آمن به. ﴿وكانَ﴾ خلقه ﴿أمرًا مَقضِيًّا﴾ به في عِلمي.

فنفخ جِبريلُ في جيب دِرعها، فأحسّت بالحمل في بطنها مُصوّرًا، ٢٢ ـ ﴿فحَمَلَتْهُ، فانتبَذَتْ﴾: تَنَحَّت ﴿بِهِ مَكانًا قَصِيًّا﴾: بعيدًا من أهلها، ٢٣ ـ ﴿فأجاءَها﴾: جاءَ بها ﴿المَخاضُ﴾: وجعُ الوِلادة ﴿إلَى جِذعِ النَّخْلةِ﴾ لتعتمد عليه، فولدتْ والحملُ والتصوير والولادة في ساعة. ﴿قالَتْ: يا﴾ للتنبيه ﴿لَيتَنِي مُتُّ قَبلَ هذا﴾ الأمرِ، ﴿وكُنتُ نِسْيًا مَنسِيًّا﴾: شيئًا متروكًا لا يُعرف ولا يُذكر.

٢٤ ـ ﴿فناداها مَن تَحتَها﴾ أي: جِبريلُ،.......................................

قولُه: (فِي عِلمِي) أو في اللَّوحِ.

قولُه: (فَنَفَخَ) أي: فلمَّا اطمأنَّتْ إلى قولِه دَنا منها فنفَخَ.

قالَ تعَالى: (﴿فَحَمَلَتْهُ﴾) أي: الموهوبَ، وكانَ سِنُّها ثلاثَ عشرَة سنةً، أو عشراً، أو عشرينَ.

قولُه: (تَنَحَّتْ) واعتزلَتْ، وهو في بَطنِها، فالجارُّ والمجرورُ في موضعِ الحالِ؛ أي: ملتَبِسةً به.

قولُه: (بَعِيداً) وراءَ الجبلِ، وذلك لأنَّها لمَّا أحسَّت بالحَملِ هربَتْ مِن قَومِها مخافَةَ اللَّائمةِ.

قولُه: (عَليهِ) أي: الجِذعِ، وهو الأصْلُ.

قولُه: (في سَاعَةٍ) قيلَ: حملَتْه في ساعَةٍ، وصُوِّرَ في ساعةٍ، ووضعَتْهُ في ساعةٍ.

وقيل: كانت مُدَّةُ الحملِ ستَّةَ أشهرٍ، وقيل: سبعةً، وقيل: ثمانيةً، ولم يَعِشْ مولودٌ وُضِعَ لثمانيةٍ إلَّا عيسَى[١].

قولُه: (الأَمْرِ) أو اليَومِ؛ جزَعاً ممَّا أصابَها.

قولُه: (ولا يُذْكَرُ) وفتحَ النُّونَ حفصٌ وحمزةُ[٢]، ومَعناهُما واحدٌ؛ وهو الشَّيءُ الذي حقُّه أن يُطرَحَ ويُنسَى لحقَارتِهِ[٣].

قولُه: (أي: جِبرِيلُ) فـ﴿مَن﴾ موصُولةٌ.

---

(١) روى أبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (٧٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٠/ ٩٢) عن ابن عباس قال: وضعت مريم لثمانية أشهر ولذلك لا يولد مولود لثمانية أشهر إلا مات لئلا تسب مريم بعيسى عليهما السلام.

وفي «البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٢٥٠): وهذه أقوال مضطربة متناقضة كان ينبغي أن يضرب عنها صفحاً إلا أن المفسرين ذكروها في كتبهم وسودوا بها الورق.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٤١).

(٣) انظر: «تاج العروس» (٤٠/ ٨٠).

وكان أسفل منها: ﴿أَنْ لا تَحزَنِي ـ قَد جَعَلَ رَبُّكِ تَحتَكِ سَرِيًّا﴾: نهرَ ماءٍ كان انقطع ـ ٢٥ ـ ﴿وهُزِّي إِلَيكِ بِجِذعِ النَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة والباء: زائدة، ﴿تَسَّاقَطْ﴾ أصله بتاءين قُلبت الثانية سِينًا وأُدغمت في السين وفي قراءةٍ تركُها، ﴿عَلَيكِ رُطَبًا﴾:...

قولُه: (مِنهَا) أي: من مَكانِها، أو عيسى؛ لأنَّه خاطَبَها من تحتِ ذَيلِها، و: ﴿مِنْ تَحْتِهَا﴾ مدنيٌّ وكوفيٌّ سِوى شُعبةَ[١]، على أنَّ في ﴿نادى﴾ ضميرُ أحدِهمَا.

قالَ تعالى: (﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾) مفسِّرةٌ أو مصدريَّةٌ؛ أي: لا تهتمِّي بالوحدةِ وعدمِ الطَّعامِ والشَّرابِ ومقالةِ النَّاسِ.

قولُه: (نَهرَ مَاءٍ) أو نهراً صغيراً، وهو قولُ الجُمهورِ[٢]، وسُئلَ النَّبيُّ ﷺ عن السَّرِيِّ فقالَ: «هو الجَدوَلُ»[٣].

قولُه: (كَانَ انْقَطَعَ) قالَ ابنُ عبَّاسٍ: ضربَ عيسى أو جبرِيلُ بعَقبِهِ الأرضَ، فظهرَت عينُ ماءٍ عَذبٍ، فجرَى النَّهرُ اليابِسُ، واخضرَّتِ النَّخلةُ، وكانت نخلةً يابِسةً لا رأسَ لها ولا خُضرةَ، وكانَ الوقتُ شِتاءً، والنَّخلةُ أقلُّ شجرٍ صبراً على البردِ، وأثمرَت ونضجَتْ ثمرتُها[٤].

قولُه: (والبَاءُ زَائِدَةٌ) قالَ البَيضاويُّ: أو: افعَلي الهزَّ به، أو: هُزِّي الثَّمرةَ بهذِهِ، والهزُّ: التَّحريكُ بجَذبٍ ودفعٍ[٥].

وفي «القاموسِ»: هزَّهُ وهزَّ به؛ أي: حرَّكَه[٦]. فيدلُّ على أنَّه مُتعدٍّ بنفسِهِ وبالحرفِ.

وفي «المدارِكِ»: قال أبو عليٍّ: الباءُ زائدةٌ[٧]. ففيه إشارَةٌ إلى أنَّ هذا قولُهُ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزَةَ[٨].

قولُه: (بِتَركِهَا) أي: إحدَى التَّاءَينِ، وحفصٌ: ﴿تُسَاقِطْ﴾[٩] من ساقطَتْ بمعنى: أسقطَتْ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٤١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ١٧٥ ـ ١٧٧).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٦٨٥)، وابن عدي في «الكامل» (٨/ ١٤١) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٤): فيه معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف
ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٥٨)، وابن الجعد في «مسنده» (٢١١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤١٣) وصححه، عن البراء بن عازب موقوفاً. وكذا علقه البخاري في «الصحيح» قبل الحديث (٣٤٣٦) تعليقاً مجزوماً به من قول البراء أيضاً.

(٤) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٧/ ٢٢٦)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٠).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٩).

(٦) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٥٢٩).

(٧) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٣٣٢).

(٨) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٤٢).

(٩) انظر المصدرين السابقين.

تمييزٌ ﴿جَنِيًّا﴾: صفته. ٢٦ ـ ﴿فكُلِي﴾ من الرُّطب، ﴿واشرَبِي﴾ من السريّ، ﴿وقَرِّي عَينًا﴾ بالولد: تمييزٌ مُحوّل من الفاعل، أي: لِتقَرَّ عينُك به أي: تسكنْ، فلا تطمحْ إلى غيره. ﴿فإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ـ ﴿تَرِينَّ﴾، حُذفت منه لامُ الفعل وعينُه وأُلقيتْ حركتها على الراء وكُسرتْ ياء الضمير لِالتقاء الساكنين، ﴿مِنَ البَشَرِ أحَدًا﴾ فيسألْكِ عن ولدِكِ، ﴿فقُولِي: إنِّي نَذَرتُ لِلرَّحمنِ صَومًا﴾ أي: إمساكًا عن الكلام في شأنه وغيره مع الأناسيّ، بدليل: ﴿فلَن أُكَلِّمَ اليَومَ إنسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك.

قولُه: (تَمْيِيزٌ) أو مفعُولٌ به على حسَبِ القِراءةِ.

قولُه: (مِن الرُّطَبِ) الَّذي هو طُعْمةٌ للنُّفَساءِ[1].

قولُه: (بالوَلَدِ) أو: طِيبي نفساً وارفُضِي عنكِ ما أحزنَكِ.

قولُه: (لامُ الفِعْلِ) أي: بالجَزمِ.

قولُه: (وَعَيْنُهُ) للتَّخفيفِ.

قولُه: (وأُلقِيَتْ) بعدَما أُلقيَتْ[2]، والواوُ للجَمعِ.

قولُه: (السَّاكنَينِ) الياءِ والنُّونِ الأولى.

قولُه: (أي: إمْسَاكاً) يعني: صمتاً، وقُرئَ به[3]، فالصَّومُ بمعناهُ اللُّغويِّ، أو: صِياماً، وكانوا لا يتكلَّمونَ في صيامِهِم[4].

قولُه: (مَعَ الأَنَاسِيِّ) وإنَّما أكلِّمُ الملائكَةَ وأناجي ربِّي.

قولُه: (أي: بَعْدَ ذلِكَ) أي: بعدَ أن أخبرتُكُم بنَذْري.

---

(١) روى أبو نعيم في «الطب النبوي» (٤٥٧) عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «أطعموا نساءكم الرطب فإنه لو علم الله خيراً منه لأطعمه مريم...» الحديث.
قال السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (١/ ١٤٣): إسناده على شرط مسلم.

(٢) «ألقيت» الأولى بمعنى: نقلت، والثانية بمعنى: حذفت؛ أي: نقلت حركتها إلى ما قبلها بعدما حذفت.

(٣) أي: (نذرت للرحمن صوماً وصمتاً) ونسبت لأبي بن كعب وابن عامر وابن الزبير وأنس بن مالك. انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٠٠).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٣) عن الضحاك قال في قوله تعالى: ﴿نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ قال: كان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام، إلا مِن ذكر الله.

٢٧ ـ ﴿فأَتَتْ بِهِ قَومَها تَحمِلُهُ﴾: حالٌ، فرأوه. ﴿قالُوا: يا مَريَمُ، لَقَد جِئتِ شَيئًا فَرِيًّا﴾: عظيمًا، حيثُ أتيتِ بولد من غير أب. ٢٨ ـ ﴿يا أُختَ هارُونَ﴾ ـ هو رجل صالح ـ أي: يا شَبيهتَه في العِفّة، ﴿ما كانَ أبوكِ امرَأَ سَوءٍ﴾ أي: زانيًا، ﴿وما كانَت أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ أي: زانية. فمِن أين لكِ هذا الولدُ؟ ٢٩ ـ ﴿فأشارَتْ﴾ لهم ﴿إلَيهِ﴾: أن كلّموه. ﴿قالُوا: كَيفَ نُكَلِّمُ مَن كانَ﴾ أي: وُجد ﴿في المَهدِ صَبِيًّا﴾؟

٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿قالَ: إنِّي عَبدُ اللهِ، آتانِيَ الكِتابَ﴾ أي: الإنجيلَ، ﴿وجَعَلَني نَبِيًّا، وجَعَلَني مُبارَكًا أينَما كُنتُ﴾ أي: نفّاعًا للناس ـ إخبارٌ بما كُتب له ـ ﴿وأوصاني بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ﴾: أمرني بهما ﴿ما دُمتُ حَيًّا، وبَرًّا بِوالِدَتي﴾: منصوبٌ بـ «جعلني» مُقدّرًا، ﴿ولَم يَجعَلْني جَبّارًا﴾: مُتعاظمًا ﴿شَقِيًّا﴾: عاصيًا لربّه، ....

قالَ تعالى: (﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾) أي: معَ ولَدِها.

قولُه: (حَالٌ) أي: حامِلةً إيّاهُ.

قولُه: (عَظِيْماً) أي: بديعاً مُنكَراً.

قولُه: (صَالِحٌ) شبَّهُوها به تهكُّماً، أو لِمَا رَأَوا قبلُ من صلاحِهَا، أو طالح شَتَمُوها به، أو يعنونَ: هارونَ النَّبيَّ، وكانت مِن أعقابِ مَن كانَ معهُ في طبقَةِ الأُخُوَّةِ.

وقيل: كانت مِن نسلِهِ، وكانَ بينهما ألفُ سَنةٍ.

قولُه: (زَانِيَةٌ) تنبيهٌ على أنَّ الفَواحِشَ من أولادِ الصَّالحينَ أفحَشُ، وإشارَةٌ إلى أنَّ الولدَ سِرُّ أبوَيهِ.

قولُه: (أي: وُجِدَ) يعني: ﴿كَانَ﴾ تامَّةٌ، فـ﴿صَبِيًّا﴾ حالٌ من المستكِنِّ.

وقيل: ﴿كَانَ﴾ زائدةٌ، والظَّرفُ صِلةُ ﴿مَنْ﴾ و﴿صَبِيًّا﴾ على حالِه.

قولُه: (إِخْبَارٌ) يعني: التَّعبيرُ بلفظِ الماضِي في ﴿آتَانِيَ﴾ و﴿جَعَلَنِي﴾ باعتِبارِ ما سبقَ في قضائِهِ، أو بجعلِ المحقَّقِ وقوعُهُ كالواقعِ، وقيل: أكملَ اللهُ عقلَهُ واستنبأَهُ طِفلاً.

قولُه: (أَمَرَنِي) أي: بالصَّلاةِ وزكاةِ المالِ إن ملَكتُه، أو تَطهيرِ النَّفسِ عن[1] الرَّذائلِ، قالَ ابنُ عطاءٍ: أمرَني بمواصلتِهِ وطهارَةِ السِّرِّ عمَّا دونَه[2].

قولُه: (مُقَدَّراً) الظَّاهرُ أنَّه عطفٌ على ﴿مُبَارَكًا﴾.

قولُه: (مُتَعَاظِماً) متكبِّراً.

---

(١) في (ص): «من».

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (١/ ٤٢٦).

٣٣ ـ ﴿والسَّلامُ﴾ من الله ﴿عَلَيَّ يومَ وُلِدتُ، ويَومَ أَمُوتُ، ويَومَ أُبعَثُ حَيًّا﴾. يقال فيه ما تقدّم في السيّد يحيى.

٣٤ ـ قال تعالى: ﴿ذلِكَ عِيسَى بنُ مَريَمَ، قَولُ الحَقِّ﴾ ـ بالرفع: خبرُ مبتدأ مُقدّر أي: قولُ ابنِ مريم، وبالنصب بتقدير: قلتُ ـ والمعنى: القولَ ـ الحق ﴿الَّذي فِيهِ يَمتَرُونَ﴾ من المِرية، أي: يشكّون. وهم النصارى، قالوا: إنّ عيسى ابنُ الله. كذبوا. ٣٥ ـ ﴿ما كانَ للهِ أن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ. سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له عن ذلك! ﴿إذا قَضَى أمرًا﴾ أي: أراد أن يُحدثه ﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فَيَكُونُ﴾، بالرفع بتقدير: هو، وبالنصب بتقدير: أنْ. ومن ذلك خلقُ عيسى من غير أب.

٣٦ ـ ﴿وأنَّ اللهَ رَبِّي ورَبُّكُم، فاعبُدُوهُ﴾ ـ بفتح «أنّ» بتقدير: اذكرْ، وبكسرها بتقدير: قلْ، بدليل «ما قُلتُ لَهُم إلاّ ما أَمَرتَنِي بِهِ أنِ اعبُدُوا اللهَ رَبِّي ورَبَّكُم» ـ ﴿هذا﴾ المذكور ﴿صِراطٌ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٌ﴾: مُؤدٍّ إلى الجنّة.

قولُه: (فِيْهِ مَا تَقَدَّمَ) والأظهرُ أنَّ التَّعريفَ للجنسِ، والتَّعريض باللَّعنِ على أعدائِهِ، فإنَّه لمَّا جعلَ جنسَ السَّلامِ على نفسِهِ عرَّضَ بأنَّ ضدَّه عليهم، كقولِه تعَالى: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه: ٤٧]، فإنَّه يعرِّضُ بأنَّ العَذابَ على من كذَّبَ وتولَّى.

قولُه تعَالى: (﴿ذَلِكَ﴾) أي: الَّذي تقدَّمَ نعتُهُ هو عيسى ابنُ مريمَ، لا ما يصِفُه النَّصارى واليهودُ.

قولُه: (وبالنَّصْبِ) شاميٌّ وعاصمٌ[1] على أنَّه مصدَرٌ مؤكِّدٌ.

قولُه: (القولَ الحَقَّ) أي: من بابِ إضافَةِ الموصوفِ إلى الصِّفةِ.

قولُه: (يَشُكُّونَ) في أمرِهِ، أو يتنازَعونَ، فقالت اليهودُ: ساحِرٌ، وقالت النَّصارى: ابنُ اللهِ.

قولُه: (كَذَبُوا) أي: النَّصارَى.

قولُه: (عن ذَلِكَ) أي: عمَّا بهتوا.

قولُه: (وبِالنَّصْبِ) شاميٌّ[2]، على الجوابِ.

قولُه: (بِفَتْحِ ﴿أَنَّ﴾) الحِرْميَّانِ والبَصريُّ[3].

قولُه: (بِتَقْدِيرِ: اذكُرْ) أو اللَّامِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٠٩).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق: (ص: ٤١٠).

٣٧ ـ ﴿فاختَلَفَ الأحزابُ مِن بَينِهِم﴾ أي: النصارى في عيسى: أهو ابنُ الله، أو إلـٰـهٌ معه، أو ثالثُ ثلاثة؟ ﴿فوَيلٌ﴾: فشِدّةُ عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما ذُكر أو غيره ﴿مِن مَشهَدِ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حُضورِ يوم القيامة وأهواله. ٣٨ ـ ﴿أسمِعْ بِهِم! وأبصِرْ﴾ بهم! صِيغتا تعجّب بمعنى: ما أسمَعَهم! وما أبصَرَهم ﴿يَومَ يأتُونَنا﴾ في الآخرة! ﴿لكِنِ الظّالِمُونَ﴾ ـ من إقامة الظاهر مَقام المُضمَر ـ ﴿اليَومَ﴾ أي: في الدنيا ﴿في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ أي: بيّنٍ، به صَمُّوا عن سماع الحقّ وعَمُوا عن إبصاره، أي: اعجَبْ منهم ـ يا مُخاطب ـ في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صُمًّا عُميًا.

٣٩ ـ ﴿وأنذِرْهُم﴾: خوِّفْ ـ يا مُحمّد ـ كُفّارَ مكّة ﴿يَومَ الحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة، يتحسّر فيه المُسيء على ترك الإحسان في الدنيا، ....

قولُه: (أي: النَّصَارَى) أو: هم واليهودُ. أو فِرَقُ النَّصارى: نَسْطوريَّةٌ[1] قالُوا: إنَّه ابنُ اللهِ، ويعقُوبيَّةٌ[2] قالُوا: هو اللهُ هبطَ إلى الأرضِ ثمَّ صعَدَ إلى السَّماءِ، وملكانيَّةٌ[3] قالوا: هو عبدُ اللهِ ونبيُّهُ[4].

قولُه: (أي: حُضُورِ) فالمشهَدُ مصدرٌ ميميٌّ بمعنى الشُّهودِ؛ أي: الحضُورِ.

قولُه: (وأهوَالِهِ) أو: يومٍ عظيمٍ هولُه وحسابُه وجزاؤُه.

قولُه: (مِن إقَامَةِ الظَّاهِرِ) ويمكنُ أن يكونَ الضَّميرُ في ﴿أَسمِعْ بِهِمْ﴾ للخَلقِ.

قولُه: (أي: اعجَبْ) قدَّرَه لإيضاحِ معنَى التَّعجُّبِ وليعطِفَ عليه قولَه: ﴿وَأَنْذِرْهُم﴾.

قولُه: (كُفَّارَ مكَّةَ) الظَّاهرُ الأعمُّ.

قولُه: (عَلَى تَركِ الإحسَانِ) وعلى إساءتِهِ، والمحسِنُ على قلَّةِ إحسانِهِ، وفي الحديثِ: «ليسَ يتحَسَّرُ أهلُ الجنَّةِ يومَ القِيامةِ إلَّا على ساعَةٍ مرَّت بهم ولم يَذْكُروا اللهَ فيها»[5].

---

(١) وهم أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون، وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه. انظر: «الملل والنحل» (٢/ ٢٩).

(٢) وهم أصحاب يعقوب. انظر المصدر السابق: (٢/ ٣٠).

(٣) وهم أصحاب ملكا الذي ظهر بأرض الروم واستولى عليها. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (١/ ٤٨)، و«الملل والنحل» (٢/ ٢٧).

(٤) وروى أقوال الفرق: النسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٢٧)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦٢٣٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، إلا أنه نسب القول الثالث للمسلمين.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٩٣) (١٨٢)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (ص: ٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٠٩) من حديث معاذ رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٤): رواه الطبراني، ورجاله ثقات، وفي شيخ الطبراني: محمد بن إبراهيم الصوري خلاف.

﴿إذ قُضِيَ الأمرُ﴾ لهم فيه بالعذاب، ﴿وهُم﴾ في الدنيا ﴿في غَفْلةٍ﴾ عنه، ﴿وهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ به.
٤٠ ـ ﴿إنّا نَحنُ﴾: تأكيدٌ ﴿نَرِثُ الأرضَ ومَن علَيها﴾ من العُقلاء وغيرهم بإهلاكهم، ﴿وإلَينا يُرجَعُونَ﴾ فيه للجزاء.

٤١ ـ ﴿واذكُرْ﴾ لهم ﴿في الكِتابِ إبراهِيمَ﴾ أي: خَبرَه ـ ﴿إنَّهُ كانَ صِدِّيقًا﴾: مُبالِغًا في الصدق ﴿نَبيًّا﴾ ـ ويبدل مِن «خبرَه»: ٤٢ ـ ﴿إذ قالَ لِأبِيهِ﴾ آزرَ: ﴿يا أبَتِ﴾ ـ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يُجمع بينهما. وكان يعبد الأصنام ـ ﴿لِمَ تَعبُدُ ما لا يَسمَعُ ولا يُبصِرُ، ولا يُغنِي عَنكَ﴾: لا يكفيك ﴿شَيئًا﴾ من نفع أو ضُرّ؟ ٤٣ ـ ﴿يا أبَتِ، إنِّي قَد جاءَنِي مِنَ العِلمِ ما لَم يأتِكَ. فاتَّبِعْنِي، أهدِكَ صِراطًا﴾: طريقًا ﴿سَوِيًّا﴾: مستقيمًا. ٤٤ ـ ﴿يا أبَتِ، لا تَعبُدِ الشَّيطانَ﴾ بطاعتك إيّاه في عبادة الأصنام. ﴿إنَّ الشَّيطانَ كانَ لِلرَّحمنِ عَصِيًّا﴾: كثير العِصيان. ٤٥ ـ ﴿يا أبَتِ، إنِّيَ أخافُ أن يَمَسَّكَ عَذابٌ مِنَ الرَّحمنِ﴾، إن لم تتب، ﴿فتكُونَ لِلشَّيطانِ وَلِيًّا﴾: ناصرًا وقرينًا في النار.

٤٦ ـ ﴿قالَ: أراغِبٌ أنتَ عَن آلِهَتِي، يا إبراهِيمُ﴾ فتعيبَها؟......................................

قولُه: (بالعَذَابِ) و﴿إذْ﴾ بدلٌ من الـ﴿يوم﴾، أو ظرفٌ لـ﴿الحسرة﴾.

قولُه: (تَأكِيدٌ) أو مبتَدأٌ.

قولُه: (وغَيرِهِم) ففيهِ تغليبٌ؛ أي: لا يَبقى لأحَدٍ غيرِنا عليها وعليهم مِلْكٌ ولا مُلْكٌ، أو: نتوفَّى الأرضَ ومَن عليها بالإفناءِ والإهلاكِ توفِّي الوارِثِ لإرثِهِ.

قولُه: (مِن «خَبَرَه») أو منهُ، وما بينَهُما اعتراضٌ، أو: معمُولٌ لـ(اذْكُرْ) مُقدَّراً.

قولُه: (ولا يُجمَعُ بَينَهُما) ولا يُقالُ: يا أبَتي، ويقالُ: يا أبَتَا، وقرأَ ابنُ عامرٍ: (يَا أَبَتَ) بفتح التَّاءِ[1]، وإنَّما يُذكَرُ للاستِعطافِ، ولذلك كُرِّرَ.

قولُه تعَالى: (﴿مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ﴾) فيَعرِفَ حالَكَ، ويسمَعَ ذكرَكَ، ويرَى خضوعَك، ومفعولُهُما منسيٌّ غيرُ مَنويٍّ، أو مُقدَّرٌ؛ أي: شيئاً.

قولُه: (كَثِيرَ العِصْيَانِ) والمطاوِعُ للعاصِي عاصٍ.

قولُه: (فِي النَّارِ) أو اللَّعنِ تَليهِ ويَليكَ.

قولُه: (فتَعِيبَها) بالنَّصبِ على جوابِ الاستفهامِ.

---

(١) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٤٤).

﴿لَئِنْ لَم تَنتَهِ﴾ عن التعرّض لها ﴿لأَرجُمَنَّكَ﴾ بالحِجارة أو بالكلام القبيح. فاحذرْني، ﴿واهجُرْني مَلِيًّا﴾: دهرًا طويلاً. ٤٧ ـ ﴿قالَ: سَلامٌ علَيكَ﴾ منّي، أي: لا أُصيبك بمكروه. ﴿سأستَغفِرُ لَكَ رَبِّيَ - إنَّهُ كانَ بِي حَفِيًّا﴾، مِن: حَفِيَ، أي: بارًّا فيُجيب دُعائي. وقد وفى بوعده بقوله المذكور في الشعراء: «واغفِرْ لِأَبِيَ». وهذا قبل أن يتبيّنَ له أنه عدوّ لله كما ذُكر في «براءة» ـ ٤٨ ـ ﴿وأعتَزِلُكُم وما تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ، وأدعُو﴾: أعبدُ ﴿رَبِّي. عَسَى ألاّ أكُونَ بِدُعاءِ رَبِّي﴾: بِعبادته ﴿شَقِيًّا﴾ كما شقيتم بِعبادة الأصنام.

٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿فلَمّا اعتزَلَهُم وما يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المُقدّسة ﴿وَهَبْنا لَهُ﴾ ابنَينِ يأنسُ بهما ﴿إسحاقَ ويَعقُوبَ، وكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلْنا نَبِيًّا، ووَهَبْنا لَهُم﴾: للثلاثة ﴿مِن رَحْمتِنا﴾ المالَ والولد، ﴿وجَعَلْنا لَهُم لِسانَ صِدقٍ عَلِيًّا﴾: رفيعًا،..............................

قولُه: (عَنِ التَّعرُّضِ) بمقالِكَ فيها، أو: عن الرَّغبةِ عنها.

قولُه: (فَاحذَرْنِي) أي: ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ عَطفٌ على ما دلَّ عليهِ ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾.

قولُه: (دَهْراً) أي: زماناً، من الملاوَةِ ـ مثلَّثةُ الميمِ ـ بمعنى: الحينِ[1]، ظرفٌ.

قولُه: (لا أُصِيبُكَ بمَكرُوهٍ) ولا أقولُ لك بعدُ ما يؤذِيكَ، وهو سلامُ توديعٍ ومتارَكةٍ، ومقابَلةٍ للسَّيِّئةِ بالحسَنةِ.

قولُه: (دُعَائِي) فلعلَّهُ يوفِّقُك للتَّوبةِ والإيمانِ، فإنَّ حقيقةَ الاستغفارِ للكافرينَ: استدعاءُ التَّوفيقِ لِمَا يوجِبُ مغفرتَهُ.

قولُه تعالى: (﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ﴾) بالمهاجَرةِ بديني.

قولُه: (كَمَا شَقِيتُم) وفي تصديرِ الكلامِ بـ﴿عسى﴾ للتَّواضُعِ والتَّنبيهِ على أنَّ الإجابةَ والإثابَةَ غيرُ واجبٍ، وأنَّ مِلاكَ الأمرِ خاتمتُهُ، وهو غيبٌ.

قولُه: (ابنَيْنِ) بدلَ مَن فارقَهُم من الكفَرةِ، قيل: إنَّه لمَّا قصدَ الشَّامَ أتى أوَّلاً حرَّانَ، وتزوَّجَ بسارةَ، وولَدَت له إسحاقَ، ووُلِدَ منه يعقوبُ، ولعلَّ تخصيصَهُما بالذِّكرِ لأنَّهما شجَرةُ الأنبياءِ، أو لأنَّه أرادَ أن يذكُرَ إسماعيلَ مُنفرداً لفضلِهِ بكونِه جدَّ نبيِّنا عليهم السَّلامُ.

قولُه: (مِنهُما) أو منهُم، ويؤيِّدُه ما بعدَهُ.

قولُه: (المَالَ والوَلَدَ) والنُّبوَّةَ.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٥/ ٢٩١).

هو الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿واذكُرْ في الكِتابِ مُوسَى. إنَّهُ كانَ مُخلِصًا﴾ ـ بكسر اللام وفتحها من: أخلص في عبادته، وأخلصَه اللهُ من الدنَس ـ ﴿وكانَ رَسُولاً نَبِيًّا، وناديْناهُ﴾ بقول: «يا مُوسَى إنِّيَ أنا اللهُ»، ﴿مِن جانِبِ الطُّورِ﴾ اسمُ جبلٍ ﴿الأيمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين مُوسَى حين أقبل من مَدْيَنَ، ﴿وقَرَّبْناهُ نَجِيًّا﴾: مناجيًا بأن أسمعه الله ـ تعالى ـ كلامه، ٥٣ ـ ﴿ووَهَبْنا لَهُ مِن رَحْمتِنا﴾: نعمتِنا ﴿أخاهُ هارُونَ﴾: بدلٌ أو عطفُ بيان، ﴿نَبِيًّا﴾: حال. هي المقصودة بالهِبة إجابةً لسُؤاله أن يُرسِل أخاه معه. وكان أسنَّ منه.

قولُه: (وهُوَ) أي: اللِّسانُ الصِّدقُ. قالَ ابنُ عطاءٍ: ألسنةُ الصِّدقِ هي المعبِّرةُ عن الحقِّ والصَّوابِ، المذكِّرةُ لنَعمائهِ على الدَّوام[1].

قولُه: (وفَتْحِهَا) الكوفيُّ[2].

قولُه: (مَنْ أَخْلَصَ) لفٌّ ونشرٌ.

قولُه: (فِي عِبَادَتِهِ) من الشِّركِ والرِّياءِ، أو: أسلمَ وجهَه للهِ وأخلَصَ نفسَه عمَّا سواهُ.

قولُه: (مِنَ الدَّنَسِ) وغيرِه.

قولُه: (يَمِينَ مُوسَى) أو: جانبِه الميمُون، من اليُمنِ، بأن يُمثَّلَ له الكلامُ من تلك الجهَةِ.

قولُه: (أَقْبَلَ) يريدُ مِصرَ.

قولُه: (مُنَاجِياً) أو: ناجياً من الأعداءِ، أو: مُناجياً مع ربِّ السَّماءِ، فهو حالٌ من المفعولِ. وقيل: حالٌ من الفاعلِ. والتَّقريبُ قربُ تشريفٍ ومكانَةٍ؛ لعدمِ إمكانِ المكانِ.

قولُه: (نِعْمَتِنَا) أي: إنعامِنا، و﴿مِنْ﴾ تعليليَّةٌ أو تبعيضيَّةٌ.

قولُه: (بَدَلٌ) و(﴿أَخَاهُ﴾) مفعولٌ أو بدَلٌ[3]؛ أي: معاضدَةَ أخيهِ ومؤازرتَهُ إجابةً لدعوتِهِ: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [طه: ٢٩].

---

(١) وانظر: «حقائق التفسير» (١/ ٤٢٨).

(٢) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٤٤).

(٣) أي: ﴿أخاه﴾ مفعول لـ(وهبنا) إن كانت ﴿مِن﴾ تعليلية، أو بدلُ بعضٍ من كلٍّ، أو كلٍّ من كلٍّ، أو اشتمال، وهذا إذا كانت تبعيضية بمعنى: بعضَ، وهي مفعول (وهبنا) ولا يخفى ما فيه؛ لأن كون (مِن) اسماً لكونها بمعنى (بعض) خلاف الظاهر، وإبدال الاسم من الحرف لا نظير له، ولذا قال في «البحر»: الظاهر أن ﴿أخاه﴾ مفعول (وهبنا) ولا يرادف (مِن) بعضاً حتى يُبدل منها. انظر: «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٦/ ١٦٤).

٥٤ ـ ٥٥ ـ ﴿واذكُرْ في الكِتابِ إسماعِيلَ. إنَّهُ كانَ صادِقَ الوَعدِ﴾: لم يَعِد شيئًا إلاّ وفى به، وانتظر مَن وعده ثلاثة أيام أو حولاً حتّى رجَع إليه في مكانه، ﴿وكانَ رَسُولاً﴾ إلى جُرهُمَ ﴿نَبِيًّا، وكانَ يأمُرُ أهلَهُ﴾ أي: قومه ﴿بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ، وكانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾. أصله «مَرْضُوْوٌ»، قُلبَتِ الواوان ياءين والضمّةُ كسرة.

٥٦ ـ ٥٧ ـ ﴿واذكُرْ في الكِتابِ إدرِيسَ﴾ هو جدُّ أبي نُوحٍ. ﴿إنَّهُ كانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا، ورَفَعْناهُ مَكانًا عَلِيًّا﴾، هو حيّ في السماء الرابعة أو السادسة أو السابعة أو في الجنّة، أُدخلَها بعد أن أُذيق الموتَ وأُحيِيَ، ولم يخرج منها.

٥٨ ـ ﴿أُولئِكَ﴾: مبتدأٌ ﴿الَّذِينَ أنعَمَ اللهُ عليهِم﴾: صِفةٌ له ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾: بيانٌ لهم ـ وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة لـ «النبيّين» ـ فقوله ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ أي: إدريسُ، ....

قولُه: (لم يَعِدْ شَيئاً) ذكرَهُ بذلك؛ لأنَّه المشهورُ بهِ، والموصوفُ بأشياء في هذا البابِ لم تُعهَد من غيرِهِ.

قولُه: (جُرهُمَ) قبيلَةٌ من اليَمنِ، وهم أصهارُ إسماعيلَ.

قولُه: (قَومَهُ) أي: عشيرتَهُ، وقيل: أهلَ ملَّتِهِ.

قولُه: (ياءَينِ) الأُولَى بعد الثَّانِيةِ.

قولُه: (كَسْرَةً) محافظَةً للياءِ.

قولُه: (هُو جَدٌّ) وسِبطُ شيثَ، وهو أوَّلُ من خطَّ بالقَلمِ[١].

قولُه: (الرَّابِعَةِ) كما في «الصَّحيحِ»[٢]، كذا في «المُبهاتِ»[٣]، أو المرادُ: شرَفُ النُّبوَّةِ والزُّلفى عندَ اللهِ.

قولُه: (مُبْتَدَأٌ) إشارَةٌ إلى ما ذُكِرَ من زكريًّا إلى إدريسَ.

قولُه: (صِفَةٌ لَهُ) أي: للمبتدأِ، وقيلَ: خبرٌ و﴿إِذَا تُتْلَى﴾ استئنافٌ؛ يعني: بأنواعِ النِّعَمِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ.

قولُه: (لَهُ) أي: للمَوصولِ.

قولُه: (صِفَةٌ) يعني: مَعنًى.

قولُه: (أَي: إِدْرِيسُ) بدلٌ ممَّا قبلَهُ بإعادَةِ الجارِّ[٤].

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) جاء ذلك في حديث الإسراء والمعراج الذي رواه البخاري (٣٨٨٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس بن مالك، عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما.

(٣) وانظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٧١).

(٤) أي: ﴿من ذرية آدم﴾ بدلٌ مِن ﴿من النبيين﴾ بإعادةِ الجارِّ الذي هو ﴿مِن﴾.

﴿وممَّن حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة أي: إبراهيمُ ابنُ ابنِه سام، ﴿ومِن ذُرِّيَّةِ إبراهِيمَ﴾ أي: إسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ، ﴿و﴾ مِن ذُرِّيّة ﴿إسرائيلَ﴾ ـ وهو يعقوب ـ أي: موسى وهارونُ وزكرياءُ ويحيى وعيسى، ﴿وممَّن هَدَينا واجتَبَينا﴾ أي: من جُملتهم، وخبر «أولئك»: ﴿إذا تُتلَى علَيهِم آياتُ الرَّحمنِ خَرُّوا سُجَّدًا وبُكِيًّا﴾: جمع ساجدٍ وباكٍ. أي: فكونوا مِثلهم. وأصل بُكِيّ «بُكُوْيٌ» قُلبت الواو ياء والضمة كسرة.

٥٩ ـ ﴿فخَلَفَ مِن بَعدِهِم خَلْفٌ، أضاعُوا الصَّلاةَ﴾ بتركها كاليهود والنصارى، ﴿واتَّبَعُوا الشَّهَواتِ﴾ من المعاصي، ﴿فسَوفَ يَلقَونَ غَيًّا﴾ ـ هو وادٍ في جهنّم ـ ....

قولُه: (فِي السَّفِينَةِ) أي: من ذرِّيةٍ من حَملنا خُصوصاً، وهم مَن عدا إدريسَ.

قولُه: (ابنُ ابنِهِ) بوسائطَ.

قولُه: (أي: إسمَاعِيلُ) يعنِي: الباقِينَ مِن الأنبياءِ بوَسطٍ أو غيرِه.

قولُه: (مِن ذُرِّيَّةِ) يعني: ﴿إِسْرَائِيْلَ﴾ عطفٌ على: ﴿إِبْرَاهِيْمَ﴾.

قولُه: (وبَاكٍ) كرُكَّعٍ وقُعودٍ، جمعُ: راكعٍ وقاعِدٍ.

قولُه تعَالى: (﴿فَخَلَفَ﴾) أي: فعَقَبَهُم وجاءَ بعدَهُم عَقِبُ سوءٍ، يقالُ: «خلَفُ صدقٍ» بالفتحِ، و«خَلْفُ سُوءٍ» بالسُّكونِ[١]، وهو جمعُ خالفٍ، كصَحْبٍ جمعُ صاحِبٍ.

قولُه: (مِن المَعَاصِي) وعن عليٍّ: ﴿اتَّبَعُوا الشَّهواتِ﴾ من بَنى الشَّديدَ، ورَكِبَ المنظورَ، ولبسَ المشهورَ[٢].

قولُه: (هُو وَادٍ) هو المشهورُ عن السَّلفِ[٣]، وإن ذكرَهُ القاضي بـ«قيلَ»[٤].

قولُه: (فِي جَهنَّمَ) تستعيذُ منه أوديَتُها[٥].

---

(١) منهم من قال: بأنه بالتحريك والتسكين سواء، ومنهم من قال: بأنه بالسكون للأشرار خاصة وبالتحريك ضده. انظر: «تاج العروس» (٢٣/ ٢٤٥).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «السنن» (١٣٩٥).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٠٦) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

ورواه لبيهقي في «البعث والنشور» (٤٦٩) عن البراء رضي الله عنه.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢١٨) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٤).

(٥) انظر: «تفسير الثعلبي» (١٧/ ٤٠٩).

أي: يقعون فيه، ٦٠ ـ ﴿إلَّا﴾: لكن ﴿مَن تابَ وآمَنَ، وعَمِلَ صالِحًا. فأُولئِكَ يُدخَلُونَ الجَنَّةَ، ولا يُظلَمُونَ﴾: يُنقَصون ﴿شَيئًا﴾ من ثوابهم، ٦١ ـ ﴿جَنّاتِ عَدْنٍ﴾: إقامةٍ، بدلٌ من «الجنّة» ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحمنُ عِبادَهُ بِالغَيبِ﴾: حالٌ، أي: غائبين عنها ـ ﴿إنَّهُ كانَ وَعدُهُ﴾ أي: موعوده، ﴿مَأتِيًّا﴾ بمعنى: آتيًا، وأصله «مَأتُوي»، أو موعودُه هنا الجنّةُ يأتيه أهله ـ ٦٢ ـ ﴿لا يَسمَعُونَ فِيها لَغوًا﴾ من الكلام، ﴿إلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلامًا﴾ من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض، ﴿ولَهُم رِزقُهُم فِيها بُكْرَةً وعَشِيًّا﴾ أي: على قدرهما في الدنيا. وليس في الجنّة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدًا..........

قولُه: (لَكِن) قالَ الزَّجّاجُ: مُنقطِعٌ، وظاهرُه الاتِّصالُ، كذا في «الإعرَابِ»[١].

قولُه: (﴿يَدْخُلُونَ﴾) ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو وشعبةُ على بناءِ المفعولِ[٢].

قولُه: (مِن ثَوَابِهِم) أي: جَزاءِ أعمالِهِم.

قولُه: (بَدَلٌ) بدلُ البَعضِ لاشتِمالِها عليها، كذا قالَ القاضِي[٣]، وقالَ الفاضِلُ: لأنَّ اسمَ الجِنسِ في حُكمِ الجَمعِ، وقيل: منصوبٌ بتقديرِ: أعني.

قولُه: (أي: غَائِبِينَ) أو: غائبَةً عنهُم.

قولُه تعالى: (﴿إِنَّهُ﴾) أي: الرَّحمنَ، أو الشَّأنَ.

قولُه: (بِمَعنَى: آتِياً) يعني: على خلافِ القياسِ، وقالَ الرَّضيُّ: الأولَى أنّه بمَعنى المفعولِ، من أَتَيتُ الأمرَ: فعلتُه، ويؤيِّدُه قولُه تعالى: ﴿كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٨][٤].

قولُه: (أَهْلُهُ) أي: أهلُها الموعودُ لهم لا محالَةَ.

قولُه: (مِنَ الكَلامِ) وهو الفضُولُ[٥].

قولُه: (مِنَ المَلائِكَةِ) أو قولاً يسلمونَ فيه من العَيبِ، أو الاستِثناءُ متَّصلٌ على معنى: أنَّ التَّسليمَ إن كانَ لغواً فلا يسمَعونَ لغواً سِواهُ، فيكونُ من بابِ تأكيدِ المدحِ بما يُشبِهُ الذَّمَّ مُبالغةً.

قولُه: (عَلَى قَدْرِهِمَا) على عادَةِ المتنعِّمينَ والمتوسِّطينَ بينَ الزَّهادَةِ والرَّغابَةِ، أو: نوعٌ من الطَّعامِ يؤكَلُ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٣٣٦)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ١٥)، و«البحر المحيط» لأبي حيان (٧/ ٢٧٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٧، ٢٣٨).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٤).

(٤) انظر: «شرح الرضي على الكافية» (٣/ ٤١٥).

(٥) في (ص): «المفضول».

٦٣ ـ ﴿تِلكَ الجَنّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾: نُعطِي ونُنزِل ﴿مِن عِبادِنا مَن كانَ تَقِيًّا﴾ بطاعته.

ونزل لمّا تأخّر الوحي أيامًا، وقال النبيّ لجبريل: «ما يَمنَعُكَ أن تَزُورَنا أكثَرَ مِمّا تَزُورُنا»؟:

٦٤ ـ ﴿وما نَتَنَزَّلُ إلاّ بِأمرِ رَبِّكَ، لَهُ ما بَينَ أيدِينا﴾ أي: أمامَنا من أُمور الآخرة ﴿وما خَلفَنا﴾ من أُمور الدنيا، ﴿وما بَينَ ذلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة، أي: له علم ذلك جميعِه، ﴿وما كانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى: ناسيًا، أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك. ٦٥ ـ هو ﴿رَبُّ﴾: مالكُ ﴿السَّماواتِ والأرضِ، وما بَينَهُما. فاعبُدْهُ واصطَبِرْ لِعِبادتِهِ﴾ أي: اصبر عليها. ﴿هَل تَعلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي: مُسمًّى بذلك؟ لا.

٦٦ ـ ﴿ويَقُولُ الإنسانُ﴾ المُنكِر للبعث، هو أُبيُّ بن خلف..............................

فيهما، أو المرادُ: دوامُ الرِّزقِ[1].

قولُه: (نُعْطِي) عطاءً لا يُعقَبُ بنَسخٍ ولا استِرجاعٍ، ولا يبطُلُ بردٍّ وإسقاطٍ، أو نجعَلها ميراثَ أعمالِهِم؛ يعني: ثمرَتَها وعاقِبتَها.

قولُه: (أيَّاماً) قيل: خمسَةَ عشَرَ يوماً، وقيل: أربعينَ، حتَّى قالَ المشركونَ: ودَّعَه ربُّه وقَلاهُ[2].

قولُه تعالى: (﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ﴾) حكايَةُ قولِ جبريلَ، وقيل: بتقديرِ: قُل يا جبريلُ[3].

قولُه: (أي: مَا يَكُونُ... إلخ)، أو: ما نحنُ فيه من الأماكِنِ أو الأحايينِ؛ لا ننتَقِلُ من مكانٍ إلى مكانٍ، ولا نَنزِلُ في زمانٍ دونَ زمانٍ، إلَّا بأمرِهِ ومشيئتِهِ.

قولُه: (تَارِكاً لَكَ) أي: ما كانَ عَدمُ نزولِ الوَحيِ إلَّا لحكمَةٍ رآها فيهِ.

قولُه: (هُوَ) يعني: ﴿رَبُّ﴾ خبرُ محذوفٍ، وقيل: بدلٌ من ﴿رَبُّكَ﴾.

قولُه: (أي: اصْبِرْ) أي: بالِغْ في الصَّبرِ.

قولُه: (مُسَمًّى) أحداً يُسمِّي: «الله»، فإنَّ المشرِكينَ وإن سمَّوا الصَّنمَ إلهاً لم يُسمُّوهُ اللهَ قطُّ. أو: شبيهاً ومثلاً.

---

(١) روى أبو نعيم في «صفة الجنة» (٢٢١) عن قتادة في قوله: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ قال: لهم رزقهم فيها كل ساعة.

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٥/ ٢٦٦).

(٣) روى البخاري (٣٢١٨)، والترمذي (٣١٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٥٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا؟»، قال: فنزلت: ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾ [مريم: ٦٤] الآية.

أو الوليدُ بن المُغيرة النازلُ فيه الآيةُ: ﴿أإذا﴾ ـ بتحقيق الهمزة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأُخرى ـ ﴿ما مُتُّ لَسَوفَ أُخرَجُ حَيًّا﴾ من القبر كما يقول محمد؟ فالاستفهام بمعنى النفي أي: لا أحيا بعد الموت. وما: زائدة للتأكيد، وكذا اللام. ورُدّ عليه بقوله تعالى: ٦٧ ـ ﴿أَوَلا يَذَّكَّرُ الإنسانُ﴾ ـ أصله «يَتَذَكَّرُ» أُبدلت التاء ذالاً وأُدغمت في الذال. وفي قراءةٍ تركُها وسكونُ الذال وضمُّ الكاف ـ ﴿أنّا خَلَقْناهُ مِن قَبلُ، ولَم يَكُ شَيئًا﴾، فيستدلَّ بالابتداء على الإعادة؟

٦٨ ـ ﴿فوَرَبِّكَ لَنَحشُرَنَّهُم﴾ أي: المُنكرينَ للبعث ﴿والشَّياطِينَ﴾ أي: نجمعُ كُلًّا منهم وشيطانَه في سِلسلة، ﴿ثُمَّ لَنُحضِرَنَّهُم حَولَ جَهَنَّمَ﴾.........................

قولُه: (أَو الوَلِيدُ) وقيلَ: أميَّةُ بنُ خلَفٍ[1].

قولُه: (النَّازِلُ فِيهِ الآيَةُ) لكنَّ العبرَةَ بعُمومِ اللَّفظِ لا بخصوصِ السَّببِ، فالمرادُ به الجِنسُ بأسرِهِ، فإنَّ القولَ مَقولٌ فيما بينَهم وإن لم يقُلْ كلُّهم، كقولِكَ: بنو فلانٍ قتَلوا فلاناً، والقاتلُ واحدٌ منهم. أو: بعضُهم المعهودُ؛ وهم الكفرةُ، أو: أُبيُّ بنُ خلَفٍ ونحوُه ممَّن أنكرَ البعثَ وتفوَّهَ بمثلِ هذه المقالةِ.

قولُه: (بتَحقِيقِ... إلخ)، تقدَّمَ التَّحقيقُ في روايةٍ لابنِ ذكوانَ بالإخبارِ[2].

قولُه: (مِنَ القَبرِ) أو من حالِ الموتِ.

قولُه: (والاستِفهَامُ) أي: المذكورُ، أو المقدَّرُ.

قولُه: (وَكَذَا اللَّامُ) لأنَّ لامَ الابتِداءِ الدَّاخلةَ على المضارِعِ تُعطي معنَى الحالِ، نحو: ﴿لَيَحْزُنُنِي﴾ [يوسف: ١٣] وتؤكِّدُ مضمونَ الجملةِ، فلمَّا جامعَتْ حرفَ الاستقبالِ خلُصَت للتَّوكيدِ واضمحَلَّ معنى الحالِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافِعٍ وشاميٍّ وعاصِمٍ[3].

قولُه: (بِتَرْكِهَا)؛ أي: التَّاءِ، من الذِّكرِ الَّذي يُرادُ به التَّفكُّرُ.

قولُه: (أَي: المُنكِرِينَ) ﴿والشَّياطينَ﴾ عطفٌ أو مفعولٌ معه، وهذا وإن كانَ مخصُوصاً بمُنكِري البَعثِ ساغَ نِسبتُه إلى الجنسِ بأسرِهِ، فإنَّهم إذا حُشِروا وفيهِمُ الكفرَةُ مقرُونينَ بالشَّياطينِ فقد حُشِروا جميعاً معهم.

---

(١) ذكر الثلاثة السيوطي في «الإتقان» (٤/ ١٠٣). وانظر: «زاد المسير» (٣/ ١٤١).

(٢) أي: ﴿إذا ما مت﴾ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٩)، وانظر ما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وإن تعجب فعجب قولهم إئذا كنا....﴾ [الرعد: ٥].

انظر: «تحبير التيسير في القراءات العشر» (ص: ٤٢١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢).

من خارجها ﴿جُثِيًّا﴾ على الرُّكَب جمعُ جاثٍ ـ وأصله «جُثُوْوٌ» أو «جُثُويٌ»، من: جَثا يَجثُو ويَجثِي، لغتانِ ـ ٦٩ ـ ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ﴾: فِرقةٍ منهم ﴿أَيُّهُم أَشَدُّ عَلَى الرَّحمنِ عُتِيًّا﴾: جراءةً، ٧٠ ـ ﴿ثُمَّ لَنَحنُ أَعلَمُ بِالَّذِينَ هُم أَولَى بِهَا﴾: أحقُّ بجهنَّم، الأشدِّ وغيرِهِ منهم، ﴿صُلِيًّا﴾: دخولاً واحتراقًا، فنبدأ بهم ـ وأصله «صُلُوْيٌ» من: صَلي، بكسر اللام وفتحها ـ ٧١ ـ ﴿وإن﴾ أي: ما ﴿مِنكُم﴾ أحدٌ ﴿إلاَّ وارِدُها﴾ أي: داخلُ جهنَّمَ ـ..

قولُه: (مِن خَارِجِهَا) ليرى السُّعداءُ ما نجَّاهُم اللهُ منه فيَزدادوا غِبطةً وسُروراً، وينالَ الأشقِياءُ ما ادَّخَروا لمعادِهِم عُدَّةً ويزدادوا غَيظاً من رجُوعِ السُّعداءِ عنهُم إلى دارِ الثَّوابِ وشماتتِهِم عليهِم.

قولُه: (عَلَى الرُّكَبِ) وهو حالٌ؛ أي: باركينَ لما يدهَمُهم من هَولِ المطلَعِ.

قولُه: (فِرقَةٍ) شاعَتْ وتبعَتْ دُنيا.

قولُه: (جَرَاءَةً) أي: مَن كانَ أعتى وأعصَى منهم، فنطرَحُهم فيها، وفي ذِكرِ الأشدِّ تنبيهٌ على أنَّه تعالى يعفو كثيراً من أهلِ العِصيانِ، ولو خُصَّ ذلك بالكفَرةِ فالمرادُ: أنَّه يُميِّزُ طوائفَهُم أعتاهُم فأعتاهُم، يطرحُهُم في النَّارِ على التَّرتيبِ.

و﴿أَيُّهُمْ﴾ مبنيٌّ على الضمِّ عندَ سيبَويه، منصوبُ المحلِّ بـ﴿نَنْزِعَنَّ﴾ ولذلك قُرئ منصوباً[١].

قولُه: (أَحَدٌ) التِفاتٌ إلى الإنسانِ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرئَ: (وَإِنْ مِنْهُم)[٢].

وقيل: من الكفَّارِ.

قولُه: (أي: دَاخِلٌ) وهو قولُ عليٍّ[٣] وابن عبَّاسٍ[٤]، وعليهِ جمهورُ أهلِ السُّنَّةِ، كذا في «المدارِكِ»[٥] و«المعالم»[٦]؛ أي: واصِلُها، أو: حاضرٌ دونَها، يمرُّ بها المؤمِنونَ وهي خامِدةٌ وتنهارُ بغيرِهِم، أو: مارٌّ عليها؛ أي: على جِسْرِها.

وقيل: من ورودِها الحُمَّى في الدُّنيا للمُؤمنِ، وفي الحديثِ: «مَنْ صبرَ على حرِّ مكَّةَ ساعةً تباعَدَ من نارِ جهنَّمَ مائتَي سَنةٍ»[٧].

(١) أي: (أيَّهم) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٨٨) ونسبت لمعاذ بن مسلم، وطلحة بن مصرف.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٨٩) ونسبت لابن عباس وعكرمة.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٠).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٣٤٧).

(٦) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٤٣).

(٧) رواه الفاكهي في «أخبار مكة» (١٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ودون قوله: «مائتي سنة».

﴿كانَ علَى رَبِّكَ حَتمًا مَقضِيًّا﴾: حتَمَه وقضَى به لا يتركه ـ ٧٢ ـ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾، مُشدّدًا ومُخففًا، ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّرك والكُفر منها، ﴿ونَذَرُ الظَّالِمِينَ﴾ بالشِّرك والكُفر ﴿فِيها جُثِيًّا﴾ على الرُّكَب.

٧٣ ـ ﴿وإذا تُتلَى علَيهِم﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿آياتُنا﴾ من القُرآن ﴿بَيِّناتٍ﴾: واضحاتٍ حالٌ ﴿قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا: أيُّ الفَرِيقَينِ﴾ ....

قولُه: (وقَضَى بِهِ) على نفسِهِ، بأن وعَدَ به وعداً لا يمكِنُ خُلفُه، وقيل: أقسَمَ عليه، وقيل: القسَمُ فيه مضمَرٌ؛ أي: واللهِ ما منكُم، ويؤيِّدُه ما في حديثِ: «لا يدخُلُ النَّارَ إلَّا تحِلَّةَ القسَمِ»[1].

قولُه: (ومُخَفَّفاً) كِسائيٌّ[2].

قولُه: (عَلَى الرُّكَبِ) كما كانوا، وهو دليلٌ على أنَّ المرادَ بالوُرودِ الجُثُوُّ حَوالَيها، كذا قالَهُ القاضي[3]، وهو غيرُ ظاهرٍ؛ لأنَّ المرادَ بتَركِ الظَّالمينَ هنا: في النَّارِ، لا في حَوالَيها، بل هو دليلٌ على أنَّ المرادَ بالوُرودِ الدُّخولُ، ولذا قالَ بعضُ الصَّحابةِ لآخَرَ: أيقنتَ بالورودِ؟ قالَ: نعم، فقالَ: أيقنْتَ بالصَّدَرِ؟ قال: لا، قال: ففيمَ الضَّحكُ، وفيمَ التَّثاقلُ[4]؟

قولُه: (واضِحَاتٍ) حالٌ مؤكِّدةٌ؛ إذ آياتُ اللهِ لا تكونُ إلَّا واضِحاتٍ؛ أي: واضِحاتِ الإعجازِ، أو مبيِّناتِ المعانِي بنَفسِها، أو ببَيانِ الرَّسولِ، والمتشابهُ يتبيَّنُ بالمحكَمِ.

قولُه تعَالى: (﴿لِلَّذِيْنَ آمَنُوا﴾) أي: لأجلِهِم، أو معهُم.

= ورواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٢٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وآخره: «باعد الله جهنم منه سبعين خريفاً» وقال: هذا حديث باطل لا أصل له.

(١) رواه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢)، والترمذي (١٠٦٠)، والنسائي (١٨٧٥)، وابن ماجه (١٦٠٣)، ومالك في «الموطأ» (ص: ٢٣٥) (٣٨)، وأحمد في «مسنده» (١٠٢١٠) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه عند أحمد: «من قدم ثلاثة من صلبه لم يدخل النار إلا تحلة القسم».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١١)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٤٦).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٣٠، ٢٣٣) عن عمرو، قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: الورود: الدخول، وقال نافع: لا فقرأ ابن عباس: (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون) أورود هو أم لا؟ وقال (يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود) أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها، فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك، قال: فضحك نافع.

وعن مجاهد، قال: كنت عند ابن عباس، فأتاه رجل يقال له أبو راشد، وهو نافع بن الأزرق، فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا) قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا؟.

نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾: منزلاً ومسكنًا، بالفتح مِن: قامَ، وبالضم مِن: أقامَ، ﴿وأحسَنُ نَدِيًّا﴾ بمعنى النادي؟ وهو مُجتمع القوم يتحدّثون فيه. يعنون: نحن، فنكون خيرًا منكم. ٧٤ ـ قال تعالى: ﴿وكَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلَكْنا قَبلَهُم مِن قَرنٍ﴾ أي: أمّة من الأُمم الماضية، ﴿هُم أحسَنُ أثاثًا﴾: مالاً ومتاعًا ﴿ورِئْيًا﴾ مَنظرًا! من الرؤية. فكما أهلكناهم لكُفرهم نُهلِكُ هؤلاء.

٧٥ ـ ﴿قُلْ: مَن كانَ في الضَّلالةِ﴾: شرطٌ جوابه: ﴿فلْيَمدُدْ﴾ بمعنى الخبر، أي: يَمُدّ ﴿لَهُ الرَّحمنُ مَدًّا﴾ في الدنيا يستدرجُه ـ ﴿حَتَّى إذا رأَوا ما يُوعَدُونَ، إمّا العَذابَ﴾........................

قولُه: (وَأَنتُم) أو هُم.

قولُه: (مَنْزِلاً) أي: مَكاناً، أو: مَوضِعَ قيامٍ.

قولُه: (وبالضَّمِّ) مكّيٌّ[1]؛ أي: مَوضِعَ الإقامَةِ.

قولُه: (بِمَعنَى النَّادِي) النَّديُّ: مَكانُ القومِ، ويُرادُ به القومُ أيضاً، وهو الظَّاهرُ في[2] الآيةِ، لمقابلتِهِ فيما يأتي ﴿شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ [مريم: ٧٥] ويمكِنُ تقديرُ: أهل.

قولُه: (مِنَ الرُّؤيَةِ) أي: فِعْلٌ منها بمعنى: مفعولٍ، وقولُ البَيضاويِّ: وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ ـ أي: بروايةِ قالونَ وابنِ ذكوانَ[3] ـ على قلبِ الهمزَةِ وإدغامِها[4]، وأمّا قولُه: وأبو بكرٍ: (ورِيْئاً) على القلبِ[5]؛ فلعلَّه روايةٌ شاذَّةٌ.

قولُه: (أي: يمدُّ) أي: يمدُّهُ ويُمهِلُه بطولِ العمرِ والتَّمتُّعِ به، وإنَّما أخرجَهُ على لفظِ الأمرِ إيذاناً بأنَّ إمهالَهُ ممَّا ينبَغِي أن يفعلَهُ استِدراجاً وقطعاً لمعاذيرِهِ، كقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وكقولِهِ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: ٣٧].

وقولُه تعَالى: (﴿حَتَّى﴾) غايَةٌ للمدِّ.

وقولُه: (﴿إِمَّا العَذَابَ﴾... إلخ) تفصيلٌ للمَوعودِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١١)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٤٦).

(٢) في (ص): «من».

(٣) يعني: برواية قالون عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر. انظر: «التيسير» (ص: ١٤٩).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧).

(٥) انظر المصدر السابق، وهذه القراءة ذكرها أبو علي الفارسي في «الحجة» (٥/ ٢٠٩) فقال: وذكر غير أحمد بن موسى (وهو ابن مجاهد صاحب كتاب «السبعة») أن الأعشى روى عن أبي بكر عن عاصم: (وريئاً) مثل: وريعاً. وانظر: «البحر المحيط» (٧/ ٢٩١).

كالقتل والأسر ﴿وإمّا السّاعةَ﴾ المُشتملةَ على جهنّم فيدخلونها، ﴿فسَيَعلَمُونَ: مَن هُوَ شَرٌّ مَكانًا وأضعَفُ جُندًا﴾: أعوانًا هم أم المؤمنون؟ وجُندهم الشياطينُ وجُند المؤمنين عليهم الملائكةُ ـ ٧٦ ـ ﴿ويَزِيدُ اللهُ الَّذِينَ اهتَدَوا﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما يُنزّل عليهم من الآيات. ﴿والباقِياتُ الصّالِحاتُ﴾ هي الطاعة تبقى لصاحبها، ﴿خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوابًا، وخَيرٌ مَرَدًّا﴾ أي: ما يُرَدّ إليه ويُرجَع بخلاف أعمال الكُفّار. والخيريّة هنا في مُقابلة قولهم: «أيُّ الفَرِيقَينِ خَيرٌ مَقامًا»؟

٧٧ ـ ﴿أفرَأَيتَ الَّذِي كَفَرَ بِآياتِنا﴾ القائلَ ـ هو العاصِ بنُ وائل ـ ﴿وقالَ﴾ لخبّابِ بنِ الأرتّ القائلِ له: «تُبعَثُ بَعدَ المَوتِ» والمُطالبِ له بمال: ﴿لَأُوتَيَنَّ﴾ على تقدير البعث ﴿مالاً ووَلَدًا﴾ فأقضِيَنّكَ؟ قال تعالى: ٧٨ ـ ﴿أطَّلَعَ الغَيبَ﴾ أي: أعلِمَه وأن يُؤتى ما قاله ـ واستُغنِي بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل فحُذفتْ ـ ﴿أمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمنِ عَهدًا﴾..........................

قولُه: (تَبقَى) عائِدتُها ومنفَعتُها أبدَ الآبادِ، ويدخلُ فيها ما قيل من الصَّلواتِ الخمسِ، وقولِ: «سُبحانَ اللهِ»... إلخ[١].

قولُه: (والخَيْرِيَّةُ هُنَا) يعني: للمُشاكَلةِ، وإلَّا فالمرادُ بها مجرَّدُ الزِّيادةِ، أو على طريقةِ قولِهم: الصَّيفُ أحرُّ من الشِّتاءِ؛ أي: أبلَغُ في حرِّهِ منه في بردِهِ، وكذلك: العسَلُ أحلَى من الخلِّ.

قولُه: (ابنَ وَائلٍ) السَّهميَّ، كما أخرجَهُ البخاريُّ[٢].

قولُه: (لِخَبَّاب) وكانَ لـه عليه مالٌ، فتقاضَاهُ، فقـال: لا، حتَّى تكفُرَ بمحمَّدٍ، قـال: لا واللهِ لا أكفُرُ بمحمَّدٍ حيًّا ولا ميِّتاً، ولا حينَ تُبعَثُ، فقـال: فإذا بُعِثتَ جئني فيكونُ لـي ثمَّ مـالٌ وولَدٌ فأُعطيكَ، ولمَّا كان الرُّؤيةُ أقوَى سندِ الأخبارِ استعملَ: أرأيتَ، بمعنى الإخبارِ، والفاءُ للتَّعقيبِ، والمعنَى: أخبِر بقصَّةِ هذا الكافرِ عقِبَ حديثِ أولئكَ.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿وُلْداً﴾ بضمِّ الواو وسكونِ اللَّامِ[٣].

قولُه: (وأنْ) عَطفٌ على الضَّميرِ المنصوبِ.

قولُه: (فحُذِفَتْ) فيه: أنَّ حقَّ همزةِ الوصلِ أن تُحذَفَ في الوصلِ، ولا دخلَ للاستغناءِ، اللَّهمَّ إلَّا أن يقالَ: فحُذِفَت في الكتابَةِ، أو ما أُبدِلَت كما في ﴿الآنَ﴾ لِدلالَةِ همزةِ الاستِفهامِ هنا بلا لَبسٍ، بخلافِهِ هناك.

---

(١) انظر: الآية (٤٦) من سورة الكهف.

(٢) رواه البخاري (٤٧٣٢)، ومسلم (٢٧٩٥) من حديث خباب رضي الله عنه.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٤٧).

بأن يُؤتى ما قاله؟ ٧٩ ـ ﴿كَلَّا﴾ أي: لا يُؤتى ذلك، ﴿سَنَكتُبُ﴾: نأمر بكتب ﴿ما يَقُولُ، ونَمُدُّ لَهُ مِنَ العَذابِ مَدًّا﴾: نزيده بذلك عذابًا فوق عذاب كُفره، ٨٠ ـ ﴿ونَرِثُهُ ما يَقُولُ﴾ من المال والولد، ﴿ويأتِينا﴾ يوم القيامة ﴿فَرداً﴾ لا مال له ولا ولد.

٨١ ـ ﴿واتَّخَذُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ الأوثانَ ﴿آلِهَةً﴾ يعبدونهم، ﴿لِيَكُونُوا لَهُم عِزًّا﴾: شُفعاءَ عِند الله بألاّ يُعذَّبوا. ٨٢ ـ ﴿كَلَّا﴾ أي: لا مانعَ من عذابهم، ....

قولُه: (بأَنْ يُؤْتَى) وقيل: العَهدُ: كلمةُ الشَّهادةِ والعملُ الصَّالحُ، فإنَّ وعدَ اللهِ بالثَّوابِ عليهما كالعهدِ عليه، وفي الحديثِ عن ابنِ مسعودٍ قال: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «أيعجزُ أحدُكُم أن يتَّخِذَ كُلَّ صباحٍ ومَساءٍ عِندَ اللهِ عهداً؟» قالُوا: كيف ذلك؟ قال: «يقولُ: اللَّهمَّ فاطِرَ السَّماواتِ والأَرضِ، عالمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، إنِّي أعهَدُ إليك بأنِّي أشهَدُ أن لا إلهَ إلَّا أنتَ وحدَكَ لا شَريكَ لكَ، وأنَّ محمَّداً عبدُكَ ورسُولُك، وإنَّكَ إنْ تَكِلْنِي إلى نفسِي تُقرِّبْنِي من الشَّرِّ، وتُباعِدْني منَ الخَيرِ، وإنِّي لا أثِقُ إلَّا برَحمَتِكَ، فاجعَلْ لي عندَكَ عَهْداً تُوفِّينِيهِ يومَ القِيامةِ، إنَّكَ لا تُخلِفُ الميعَادَ»[1] كذا في تفسيرِ الفاضلِ.

قولُه: (نَأْمُرُ) الظَّاهرُ: سنُظهِرُ له أنَّا كتَبْنا قولَهُ، أو: سننتَقِمُ منه انتِقامَ من كتبَ جريمَةَ العدوِّ، فإنَّ نفسَ الكِتبَةِ لا تتأخَّرُ عن القولِ، لقولِه تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

قولُه: (مِنَ المَالِ والوَلَدِ) بموتِهِ.

قولُه: (وَلا وَلَدَ) كذا في نُسخةٍ، وهو الصَّوابُ؛ أي: لا يصحَبُه مالٌ ولا ولدٌ كانَ له في الدُّنيا، فضلاً أن يُؤتى ثَمَّ زائداً.

قولُه: (الأَوْثَانَ) مفعولٌ أوَّلُ.

قولُه: (شُفَعَاءَ) أي: ليتَعزَّزوا بهم، حيثُ يكونُون لهم شُفعاءَ.

قولُه: (بأَنْ لا يُعَذَّبُوا) أي: الكفَّارُ.

قولُه: (أي: لَا مَانِعَ) يعني: رَدعٌ وإنكارٌ لتعزُّزِهم بها.

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٣٣٩): غريب مرفوعاً، ولم أجده إلا موقوفاً.

قلت: رواه أحمد في «مسنده» (٣٩١٦) من حديث ابن مسعود مرفوعاً، إلا أنه لم يذكر أوله، بل اقتصر فيه على الدعاء. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح، إلا أن عون بن عبد الله لم يسمع من ابن مسعود.

وأما الموقوف فرواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٥٢٦)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٨٦) (٨٩١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٦) وصححه، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٧١) موقوفاً على ابن مسعود.

﴿سَيَكفُرُونَ﴾ أي: الآلهةُ ﴿بِعِبادتِهِم﴾ أي: ينفونها كما في آية أُخرى: «ما كانُوا إيّانا يَعبُدُونَ»، ﴿ويَكُونُونَ علَيهِم ضِدًّا﴾: أعوانًا أو أعداء. ٨٣ـ ٨٤ـ ﴿أَلَم تَرَ أنّا أرسَلْنا الشَّياطِينَ﴾: سَلّطْناهم ﴿علَى الكافِرِينَ، تَؤُزُّهُم﴾: تُهيّجهم إلى المعاصي ﴿أزًّا؟ فلا تَعجَلْ علَيهِم﴾ بطلب العذاب. ﴿إنَّما نَعُدُّ لَهُم﴾ الأيّام والليالي أو الأنفاس ﴿عَدًّا﴾، إلى وقت عذابهم.

٨٥ـ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُ المُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إلَى الرَّحمن وَفدًا﴾: جمع وافد، بمعنى: راكب، ٨٦ـ ﴿ونَسُوقُ المُجرِمِينَ﴾ بكُفرهم ﴿إلَى جَهَنَّمَ وِردًا﴾: جمع وارد، بمعنى: ماش عطشان، ٨٧ـ ﴿لا يَملِكُونَ﴾ أي: النـاسُ ﴿الشَّفاعةَ، إلاّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحمنِ عَهدًا﴾ أي: شهادةَ أنْ لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ، ولا حولَ ولا قُوّةَ إلاّ باللهِ.

٨٨ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: اليهودُ والنصارى ومَن زعم أنّ الملائكة بنات الله: ﴿اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا﴾. قال تعالى لهم: ٨٩ـ ﴿لَقَد جِئتُم شَيئًا إدًّا﴾ أي: مُنكَرًا عظيمًا،..........................

قولُه: (أَعْوَاناً) أي: معونةً في عذابِهم بأن توقَدَ بها نيرانُهُم، أو المرادُ بالضِّدِّ: ضدُّ العزِّ؛ أي: يكونونَ عليهِم ذُلًّا.

قولُه: (تُهيِّجُهُم) وتهزُّهُم وتُغريهِم عليها بالتَّسويلاتِ وتحبيبِ الشَّهواتِ.

قولُه: (الأيَّامَ) أو: أيَّامَ آجالِهِم.

قولُه: (بإِيْمَانِهِم)[1] والحشرُ: الجَمعُ.

وقولُه تعَالى: (﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾) إلى ربِّهِم الذي عمَّهُم برحمتِهِ، ولاختيارِ هذا الاسمِ في هذه السُّورةِ شأنٌ مع ابتِدائِها بذِكرِ الرَّحمَةِ.

قولُه: (جَمْعُ وَافِدٍ) أي: وافِدينَ، كما تفِدُ الوُفَّادُ على السُّلطانِ، منتَظِرينَ لكرامتِهِ وإنعامِهِ.

قولُه: (بكُفْرِهِم) كما تُساقُ البهائمُ.

قولُه: (عَطْشَانَ) فإنَّ مَن يَرِدُ الماءَ لا يرِدُه إلَّا لعطَشٍ، أو كالدَّوابِّ التي تَرِدُ الماءَ.

قولُه: (أي: النَّاسُ) الضَّميرُ فيه للعبادِ المدلولِ عليه بذكرِ القِسمَينِ، وهو النَّاصبُ لليومِ.

قولُه: (أي: شَهَادَة) أي: إلَّا مَن أذِنَ له الرَّحمنُ.

قولُه: (أي: مُنكَراً) والالتِفاتُ للمُبالغَةِ في الذَّمِّ والتَّسجيلِ عليهم بالجُرأةِ على اللهِ.

---

(١) في (د): «بالإيمان».

٩٠ ـ ﴿تَكادُ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿السَّماواتُ يَنفَطِرْنَ﴾ ـ بالنون. وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء ـ بالانشقاق ﴿مِنهُ، وتَنشَقُّ الأرضُ، وتَخِرُّ الجِبالُ هَدًّا﴾ أي: تنطبق عليهم من أجل ٩١ ـ ﴿أن دَعَوا لِلرَّحمنِ وَلَدًا﴾.

٩٢ ـ قال تعالى: ﴿وما يَنبَغِي للرَّحمنِ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به ذلك. ٩٣ ـ ﴿إن﴾ أي: ما ﴿كُلُّ مَن في السَّماواتِ والأرضِ إلاّ آتِي الرَّحمنِ عَبدًا﴾: ذليلاً خاضعًا يوم القيامة، منهم عُزَيرٌ وعِيسَى. ٩٤ ـ ﴿لَقَد أحصاهُم وعَدَّهُم عَدًّا﴾، فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم، ٩٥ ـ ﴿وكُلُّهُم آتِيهِ يَومَ القِيامةِ فَردًا﴾: بلا مال ولا نصير يمنعه. ٩٦ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجعَلُ لَهُمُ الرَّحمنُ وُدًّا﴾ فيما بينهم، يتوادّون ويتحابّون، ويُحبّهم الله تعالى.

قولُه: (والياءِ) التَّذكيرُ: نافعٌ والكِسائيُّ[1].

قولُه: (بالنُّونِ) بَصريٌّ وشاميٌّ وشعبةُ وحمزةُ[2].

وقولُه تعَالى: (﴿هَدًّا﴾) أي: تُهدُّ هداً، أو: مهدودةً؛ لأنَّها تُهَدُّ؛ أي: تُكسَرُ.

قولُه: (أي: تَنطَبِقُ) وتسقُطُ.

قولُه: (مِن أَجْلِ) إشارَةٌ إلى أنَّ محلَّ ﴿أَنْ دَعَوْا﴾ جرٌّ بإضمارِ لامِ العِلَّةِ.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: اتِّخاذُ الوَلدِ.

قولُه: (ولا وَاحِد) وعدَّ[3] أشخاصَهُم وأنفاسَهُم وأموالَهُم، فإنَّ كلَّ شيءٍ عندَهُ بمقدارٍ.

قولُه: (فِيمَا بَينَهُم) أي: سيُحدِثُ لهم في القُلُوبِ مودَّةً من غيرِ تعرُّضٍ منهم لأسبابِها.

قولُه: (ويُحِبُّهُم) لعلَّهُ بمعنى: أو، أخرجَ الشَّيخان عن النَّبيِّ ﷺ: «إذا أحَبَّ اللهُ عَبْداً يقُولُ لجبرِيلَ: أحبَبْتُ فُلاناً فأَحِبَّهُ، فيُحِبُّه جبرِيلُ، ثمَّ يُنادِي في أَهلِ السَّماءِ: إنَّ اللهَ تعالى قد أَحَبَّ فُلاناً فأَحِبُّوهُ، فيُحِبُّه أهلُ السَّماءِ، ثمَّ تُوضَعُ المحبَّةُ في الأَرضِ»[4].

والسِّين[5]؛ لأنَّ السُّورةَ مكِّيةٌ، وكانوا مَبغوضينَ حينئذٍ بين الكفَرةِ، فوعدَهُ ذلك إذا قَوِيَ الإسلامُ.

---

(١) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٤٨).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) هذا تفسير قوله تعالى: ﴿وعدهم عدا﴾.

(٤) رواه البخاري (٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) أي في قوله تعالى: ﴿سيجعل﴾.

٩٧ ـ ﴿فإنما يسّرناه﴾ أي: القرآن ﴿بِلِسانِكَ﴾ العربيّ، ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ المُتَّقِينَ﴾ النار بالإيمان، ﴿وتُنذِر﴾: تخوِّف ﴿بِهِ قومًا لُدًّا﴾: جمعُ ألدّ، أي: جدِلٍ بالباطل، وهم كُفّار مكّة. ٩٨ ـ ﴿وكم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلكْنا قبلَهم مِن قرنٍ﴾ أي: أمّةٍ من الأمم الماضية، بتكذيبهم الرسل! ﴿هل تُحِسُّ﴾: تجد ﴿مِنهم مِن أحدٍ، أو تسمعُ لهم رِكزًا﴾: صوتًا خفيًّا؟ لا. فكما أهلكنا أولئك نُهلك هؤلاء.

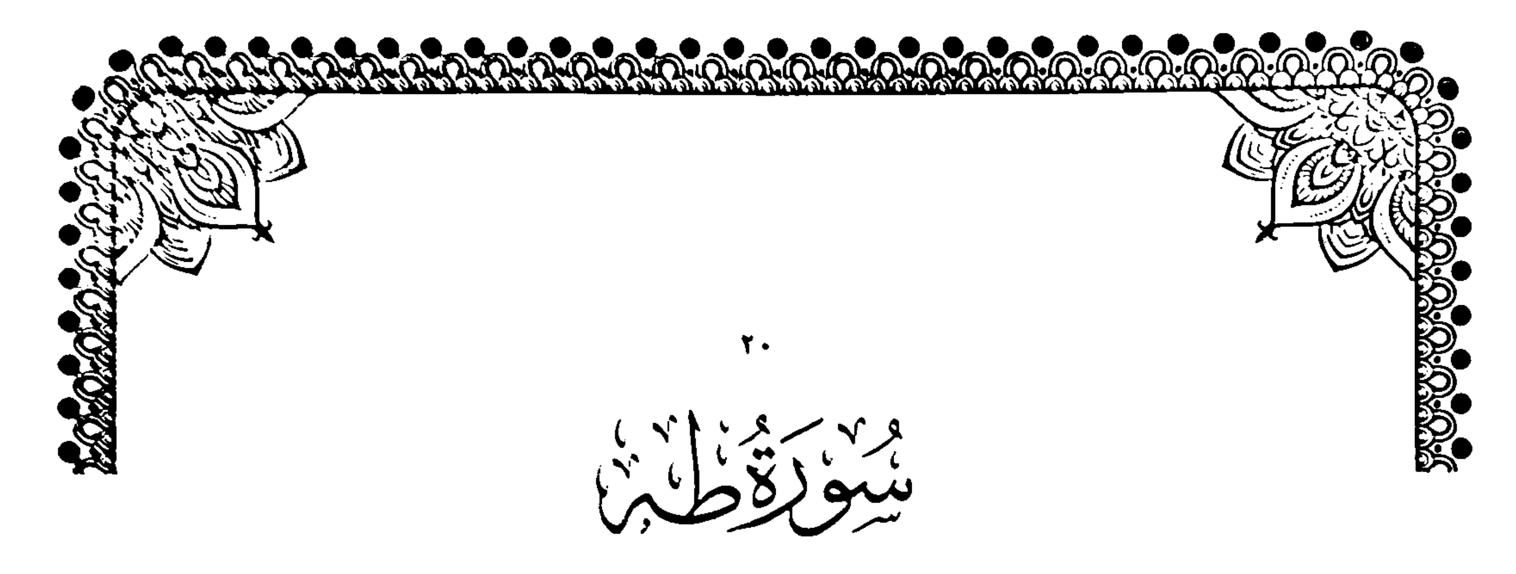
قوله: (بالإيمان) أي: الصّادرين إلى التّقوى.

قوله: (جدل) أي: شديد الخصومة.

قوله: (بتكذيبهم) تخويفٌ للكفرة، وتشجيعٌ للرّسول على إنذارهم.

قوله: (تجد) أي: هل تشعرُ منهم وترى؟ والله سبحانه وتعالى أعلمُ.

* * *



٢٠ سورة طه

مكية، مِائَةٌ وخمس وثلاثون، أو وأربعون، أو وثنتان آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿طه﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

٢ ـ ﴿ما أنزَلْنا علَيكَ القُرآنَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لِتَشقَى﴾: لتتعب بما فعلتَ بعد نُزوله من طُول قِيامك بصلاة الليل، أي: خفِّفْ عن نفسك. ٣ ـ ﴿إلّا﴾: لكن أنزلناه ﴿تَذكِرةً﴾ به ....

سورة طه

قولُه: (اللهُ أَعْلَمُ) وقيل: يا طاهِرُ، يا هادي.

وقيل: طوبَى لمَن اهتَدى بكَ.

وقيل: الطّاءُ تسعةٌ، والهاءُ خمسةٌ، فذلك أربعَةَ عشرَ، وهو أكمَلُ أحوالِ القَمرِ في القدْرِ من ليالي البَدرِ؛ يعني: يا هَا القَمرَ ليلةَ البَدرِ.

قولُه: (لِتتْعَبَ) ولعلَّهُ عدَلَ إليه للإشعارِ بأنّه أُنزِلَ عليه ليسعَدَ، على حكمِ الضِّدِّ، أو ردٌّ على مَن قالَ له: إنَّكَ شقيٌّ[1] لأنَّكَ تركْتَ دينَ آبائِكَ، فقالَ تعالى: هذا القرآنُ هو السُّلَّمُ إلى نيلِ كلِّ فوزٍ، والسَّببُ في دَرْكِ كلِّ سعادةٍ، وما فيه الكفَرةُ هو الشَّقاوةُ بعينِها.

قولُه: (بِهِ) تَذكيراً: لانتِصابِها على الاستِثناءِ المنقطِعِ[2].

---

(١) في (ص): «الشقي».

(٢) أي: قوله: ﴿إلا تذكرة﴾ معناه: لكن تذكيراً، وانتصابها على الاستثناء المُنقطع.

﴿لِمَن يَخشَى﴾: يخافُ اللهَ، ٤ ـ ﴿تَنزِيلاً﴾: بدلٌ من اللفظ بفعله الناصبِ له ﴿مِمَّن خَلَقَ الأرضَ والسَّماواتِ العُلَى﴾: جمعُ عُليا، ككُبرَى وكُبَر.

٥ ـ هو ﴿الرَّحمنُ علَى العَرشِ﴾ وهو في اللغة سرير المُلك ﴿استَوَى﴾ استواءً يليق به، ٦ ـ ﴿لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ وما بَينَهُما﴾ من المخلوقات ﴿وما تَحتَ الثَّرَى﴾ هو التراب النديّ ـ والمراد الأرَضُونَ السبعُ لأنها تحته ـ ٧ ـ ﴿وإن تَجهَرْ بِالقَولِ﴾ في ذِكرٍ أو دُعاء فالله غنيّ عن الجهر به ﴿فإنَّهُ يَعلَمُ السِّرَّ وأخفَى﴾ منه، أي: ما حدّثتَ به النفس وما خطر ولم تُحدِّث به ـ فلا تُجهِد نفسك بالجَهر ـ ٨ ـ ﴿اللهُ لا إلــهَ إلاّ هُوَ، لَهُ الأسماءُ الحُسنَى﴾ التسعةُ والتسعونَ الواردُ بها الحديثُ. والحسنى: مُؤنّثُ الأحسن.

٩ ـ ١٠ ـ ﴿وهَل﴾: قد ﴿أتاكَ حَدِيثُ مُوسَى إذ رأَى نارًا، فقالَ لِأهلِهِ﴾ لامرأته:..................

قولُه: (يَخَافُ) أي: لمن عِلِمَ اللهُ منه أنَّه يَخشَى بالتَّخويفِ منه، فإنَّه المنتفِعُ به.

قولُه: (بَدَلٌ... إلخ) الظَّاهرُ أنَّه تلفيقٌ بين قولَين:

أحدُهما: أنَّ ﴿تَنزِيلًا﴾ بدلٌ من لفظِ ﴿تَذْكِرَةً﴾.

وثانيهما: أنَّه منصوبٌ بإضمارِ فعلِهِ، وهو: نزَّلناهُ.

ويمكِنُ أن يوجَدَ قولُه بأنَّه بدَلٌ من لفظِ التَّذكرةِ المنصوبِ بفعلِ التَّنزيلِ الَّذي هو: «أنزَلنا» المقدَّرُ الَّذي هو في معنى «نزَّلنا» (النَّاصبِ له)؛ أي: للَفظِ التَّذكرةِ، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (عُلْيَا) تأنيثُ الأَعلى.

قولُه: (هُوَ) فرفعُ ﴿الرَّحْمَنُ﴾ على المدحِ.

قولُه: (لأَنَّهَا) أي: السَّبعَ ـ يعني: بقيَّتَها ـ تحتَ الثَّرى، والظَّاهرُ ما قالَه البَيضاويُّ أنَّ الثَّرى: الطَّبقةُ التُّرابيَّةُ من الأرضِ، وهي آخرُ طبَقاتِها[1]. فحقُّ العبارَةِ أن يُقالَ: المرادُ بـ﴿ما في الأرضِ﴾ الجنسُ؛ أي: الأرضونَ، وبـ﴿ما تحتَ الثَّرى﴾: ما تحتَ السَّبعِ.

قولُه: (فاللهُ) يعني: أنَّه جزاءٌ مقدَّرٌ.

وقولُه: (﴿فَإِنَّهُ﴾) تعليلٌ للجَزاءِ، ولكنَّ الظَّاهرَ أن يُقدَّرَ: فاعلَمْ أنَّه غنيٌّ عن جهرِكَ.

قولُه: (قَدْ) يعني: الاستِفهامُ للتَّقريرِ.

قولُه: (أي: امرَأَتِهِ) فالجَمعُ للتَّعظيمِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٣).

﴿امكُثُوا﴾ هنا. وذلك في مَسيرِه من مَدْيَنَ طالبًا مِصرَ. ﴿إنِّيَ آنستُ﴾: أبصرت ﴿نارًا، لَعَلِّيَ آتِيكُم مِنها بِقَبَسٍ﴾: شُعلة في رأس فتيلةٍ أو عودٍ، ﴿أو أجِدُ علَى النَّارِ هُدًى﴾ أي: هاديًا يدلّني على الطريق؟ وكان أخطأها لظُلمة الليل. وقال «لعلّ» لعدم الجزم بوفاء الوعد.

١١ ـ ١٢ ـ ﴿فلَمّا أتاها﴾، وهي شجرةُ عَوسَج، ﴿نُودِيَ: يا مُوسَى، إنِّيَ﴾ ـ بكسر الهمزة بتأويل «نودي» بـ«قيل»، وبفتحها بتقدير الباء ـ ﴿أنا﴾: تأكيدٌ لياء المُتكلّم ﴿رَبُّكَ ـ فاخلَعْ نَعلَيكَ. إنَّكَ بِالوادِ المُقَدَّسِ﴾: ....

قولُه: (مِن مَديَنَ) بإذنِ شُعيبٍ في الخروجِ إلى أُمِّه، فلمَّا وافى وادي طُوى وفيه الطُّورُ وُلِدَ له ابنٌ في ليلَةٍ شاتيةٍ مُظلمةٍ، وكانت ليلةَ الجمُعةِ، وتفرَّقَت ماشيتُه[1].

قولُه: (أَبْصَرْتُ) إبصاراً لا شُبهةَ فيه، وقيل: الإيناسُ: إبصارُ ما يُؤنَسُ به.

قولُه: (بشُعْلةٍ) أو جمرةٍ.

قولُه: (أي: هَادِياً) ﴿عَلَى﴾ بمعنى: «عند»، أو «في».

قولُه: (عَوسَجٍ) جمعُ: عوسَجةٍ، وهي شوكٌ، كذا في «القاموسِ»[2].

يعني: فلمَّا أتى النَّارَ وجدَها ناراً بيضاءَ تتَّقِدُ في شجَرةٍ خضراءَ، لا النَّارُ تضرُّ الخُضرةَ، ولا العَكسُ، فتفسيرُ النَّارِ بالشَّجرةِ مُساهَلةٌ.

قولُه: (وبفَتحِهَا) مكِّيٌّ وبَصريٌّ[3].

قولُه: (تَأكِيدٌ) قيل: إنَّه لمَّا نودي قالَ: من المتكلِّمُ؟ قال: إنِّي أنا اللهُ، فوسوسَ إليه إبليسُ: لعلَّكَ تسمعُ كلامَ إبليسَ، فقالَ: عرَفتُ أنَّه كلامُ اللهِ بأنِّي أسمَعُه من جميعِ الجهاتِ وبجَميعِ الأعضاءِ[4]؛ يعني: بطريقِ خَرْقِ العادَةِ؛ إذ لا يقدِرُ عليه غيرُ اللهِ، لا أنَّه تعالى يكونُ في جميعِ الجهاتِ.

قالَ تعالى: (﴿فَاخْلَعْ﴾) أمرَهُ بذلك لأنَّ الحضرةَ حضرةُ تواضُعٍ وأدَبٍ، ولذلكَ طافَ السَّلَفُ حافينَ[5].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٦) بنحوه عن وهب بن منبه.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٩٨).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٥١).

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٥٤) ولم ينسبه إلى قائل.

(٥) روى ابن ماجه (٢٩٣٩) عن عبد الله بن عباس، قال: كانت الأنبياء تدخل الحرم، مشاة حفاة، ويطوفون بالبيت، ويقضون المناسك، حفاة مشاة. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٩٣): هذا إسناد فيه مقال.

المُطهّر أو المُبارك ﴿طُوًى﴾: بدل أو عطف بيان. بالتنوين وتركه، مصروفٌ باعتبار المكان، وغيرُ مصروف للتأنيث باعتبار البُقعة مع العَلميّة ـ ١٣ ـ ﴿وأنا اخترْتُكَ﴾ من قومك. ﴿فاستَمِعْ لِما يُوحَى﴾ إليك منّي، ١٤ ـ ﴿إنَّنيَ أنا اللهُ، لا إلـٰـهَ إلاّ أنا. فاعبُدْني، وأقِمِ الصَّلاةَ لِذِكرِيَ﴾ فيها. ١٥ ـ ﴿إنَّ السّاعةَ آتِيةٌ، أكادُ أُخفِيها﴾ عن الناس، ويَظهر لهم قربُها بعلاماتها،........................

وقيل: لنجاسةِ نعلَيهِ؛ فإنَّهما كانَتا من جلدِ حمارٍ غيرِ مدبُوغٍ، كما وردَ به حديثٌ[١].

وقيلَ: معناه: فرِّغ قلبَكَ من الأهلِ والمالِ.

وقالَ ابنُ عطاءٍ: أعرِض بقلبِكَ عن الكونَينِ، فلا تنظُرْ إليهما بعدَ هذا الخطابِ[٢].

قولُه: (المُطَهَّرِ) قالَ القاضي: ﴿الْمُقَدَّسِ﴾ يحتملُ المعنيَينِ. يعني: من أن يُداسَ بنَعلٍ طاهرٍ أو نجسٍ[٣].

قولُه: (عَطْفُ بَيَانٍ) للوادِي، قيلَ: أي: اطوِ عنك بِساطَ[٤] المخالفَةِ، فمَن وَطِئ هذا الوادي طَوى عن قلبِهِ ما لا يكونُ مُقدَّساً.

قولُه: (وتَركِهِ) الحِرْميَّانِ والبصريُّ[٥].

قولُه: (مِن قَومِكَ) للنُّبوَّةِ.

قولُه: (مِنِّي) أو: للوَحيِ، وما بعدَهُ بدلٌ منه دالٌّ على أنَّه مقصُورٌ على تقريرِ التَّوحيدِ الَّذي هو مُنتهى العلمِ، والأمرِ بالعبادَةِ الَّتي هي كمالُ العمل، وخصَّ الصَّلاةَ بالذِّكرِ وأفرَدَها بالأمرِ للعلَّةِ الَّتي أناطَ بها إقامَتَها، وهو تذكُّرُ المعبودِ، وشَغْلُ القَلبِ واللِّسانِ بذكرِه، أو هو المعنيُّ بقولِه: (فيها) فالإضافَةُ إلى المفعولِ؛ أي: لذِكْرِك إيَّايَ.

قولُه: (عَنِ النَّاسِ) أي: أُريدَ إخفاءَ وقتِها، أو أقرُبُ أن أُخفيَها فلا أقولُ: إنَّها آتيةٌ، ولولا ما في الإخبارِ بإتيانِها من اللُّطفِ وقطعِ الأعذارِ لَمَا أخبرْتُ بإتيانِها، أو: أكادُ أُخفيَها عن نَفسِي كما قُرِئَ به[٦]؛ أي: لو كانَ مُمكناً.

---

(١) رواه الترمذي (١٧٣٤)، والبزار في «مسنده» (٢٠٣١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٩٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٣١) بنحوه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
قال الترمذي: حديث غريب. وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري. قال الذهبي: بل ليس على شرط البخاري.

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (١/ ٤٣٦).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٤).

(٤) في (ص): «السماع».

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٥١).

(٦) (أكاد أخفيها من نفسي فكيف أظهركم عليها). نسبت لأبي رضي الله عنه. انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٩٠)، وهي كأمثالها مما يخالف سواد المصحف محمولة على التفسير.

﴿لِتُجزَى﴾ فيها ﴿كُلُّ نَفسٍ بِما تَسعَى﴾ به من خير وشرّ. ١٦ ـ ﴿فلا يَصُدَّنَّكَ﴾: يصرِفَنَّكَ ﴿عَنها﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَن لا يُؤمِنُ بِها، واتَّبَعَ هَواهُ﴾ في إنكارها، ﴿فتَرْدَى﴾: فتَهلِكَ، إن صددتَ عنها.

١٧ ـ ﴿وما تِلكَ﴾ كائنةً ﴿بِيَمِينِكَ؟ يا مُوسَى﴾. الاستفهام للتقرير، ليرتِّب عليه المُعجزةَ فيها.

١٨ ـ ﴿قالَ: هِيَ عَصايَ، أتَوَكَّأُ﴾: أعتمد ﴿علَيها﴾ عِند الوُثوب والمشي، ﴿وأهُشُّ﴾: أخبِطُ ورق الشجر ﴿بِها﴾ ليسقطَ ﴿علَى غَنَمِي﴾ فتأكلَه، ﴿ولِيَ فِيها مآرِبُ﴾: جمع مأربة، مُثلَّث الراء، أي: حوائجُ ﴿أُخرَى﴾ كحملِ الزاد والسقاء وطردِ الهوامّ. زاد في الجواب بيان حاجاته بها.

١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿قالَ: ألقِها، يا مُوسَى. فألقاها، فإذا هِيَ حَيَّةٌ﴾: ثُعبان عظيم، ﴿تَسعَى﴾: تمشي على بطنها سريعًا كسُرعة الثُّعبان الصغير المُسمَّى بالجانِّ المُعبَّرِ به فيها في آية أُخرى.

٢١ ـ ﴿قالَ: خُذْها ولا تَخَفْ﴾ منها ـ ﴿سَنُعِيدُها سِيرَتَها﴾: منصوبٌ بنزع الخافض، أي: إلى حالتها ﴿الأُولَى﴾. فأدخلَ يده في فمها فعادت عصًا، وتبيّنَ أنّ موضعَ الإدخال موضعُ مَسكها بين شُعبتَيها. وأُرِيَ ذلك السيّدُ مُوسَى لئلاّ يجزع إذا انقلبتْ حيّةً لدى فِرعَونَ ـ..................

قولُه: (﴿يَصُدَّنَّكَ﴾) نهيٌ للكافرِ أن يصُدَّ مُوسى عنها، والمرادُ: نهيُهُ أن ينصَدَّ عنها، كقولِهِ: لا أرَيَنَّكَ هاهنا.

قولُه: (عَنِ الإِيمَانِ) أي: عن تَصديقِها، وقيل: عن الصَّلاةِ.

قولُه: (فِي إِنكَارِهَا) والهَوى: ميلُ النَّفسِ[1] إلى اللَّذَّاتِ المحسوسَةِ المُخْدَجِةِ[2].

قولُه: (كَائِنَةً) حالٌ من مَعنى الإشارَةِ؛ أي: من الاسمِ الَّذي يتضمَّنُه معنى كلمَةِ الإشارَةِ؛ أي: ما الَّذي[3] يُشارُ إليها كائنةً.

قولُه: (والمَشْيِ) وإذا أعيَيتُ، أو وقفْتُ[4] على رأسِ القَطيعِ.

قولُه: (وطَرْدِ الهَوَامِّ) والاستِظلالِ بها معَ الكِساءِ، ووَصلِ الحبلِ بها عندَ طولِ البئرِ، ومقاتَلَةِ السِّباعِ لغنَمِه، وخصائصَ أُخرى خارقَةٍ للعادَةِ.

قولُه: (آيَةٍ أُخرَى) ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ [النمل: ١٠].

---

(١) في الأصول: «والميلُ هَوى النَّفسِ»، ولعل الصواب ما أثبته.

(٢) الخداج: النقص. «تاج العروس» (٥/ ٥٠٧). فهي ناقصة وتخدج الحياء.

(٣) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «التي».

(٤) بعدها في (ص): «ما وقفت».

٢٢ ـ ﴿واضمُمْ يَدَكَ﴾ اليُمنى بمعنى الكفّ ﴿إِلَى جَناحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضُد إلى الإبط، وأخرِجْها ﴿تَخرُجْ﴾ خِلافَ ما كانت عليه من الأُدمة ﴿بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ﴾ أي: بَرَصٍ، تُضيء كشُعاع الشمس تُعشي البصر، ﴿آيَةً أُخرَى﴾ ـ وهي و«بيضاءَ» حالان من ضمير «تَخرجْ» ـ ٢٣ ـ ﴿لِنُرِيَكَ﴾ بها إذا فعلتَ ذلك لإظهارها ﴿مِن آياتِنا﴾ الآيةَ ﴿الكُبرَى﴾ أي: العُظمى على رِسالتك. وإذا أراد عَودَها إلى حالتها الأُولى ضمّها إلى جناحه كما تقدّم، وأخرجها. ٢٤ ـ ﴿اذهبْ﴾ رسولاً ﴿إِلَى فِرعَونَ﴾ ومَن معه. ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾: جاوزَ الحدّ في كُفره إلى ادّعاء الإلـٰهيّة.

٢٥ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، اشرَحْ لِي صَدرِي﴾: وَسِّعْه لتحمّلِ الرسالة، ٢٦ ـ ﴿ويَسِّرْ﴾: سَهِّلْ ﴿لِيَ أمرِي﴾ لأُبلّغها، ٢٧ ـ ﴿واحلُلْ عُقدَةً مِن لِساني﴾، حدَثتْ من احتراقه بجَمرة وضعها وهو صغير بفيه، ٢٨ ـ ﴿يَفقَهُوا﴾: يفهموا ﴿قَولِي﴾، عِند تبليغ الرسالة، ٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿واجعَلْ لِي وَزِيرًا﴾: مُعِينًا عليها ﴿مِن أهلِي، هارُونَ﴾: مفعولٌ ثان ﴿أخِي﴾: عطفُ بيان. ٣١ ـ ﴿اشدُدْ بِهِ أَزرِي﴾: ظهري، ٣٢ ـ ﴿وأشرِكْهُ في أمرِي﴾ أي: الرسالة ـ والفِعلان بصيغتَي الأمرِ والمضارعِ المجزومِ،............

قولُه: (أي: بَرَصٍ) كنَّى به عن البرَصِ كما كنَّى بالسَّوءَةِ عن العَورةِ، ولم يصرِّحْ به لأنَّ الطِّباعَ تنفرُ عنه.

قولُه: (حَالانِ) على مَن يُجوِّزُ تعديدَ الحالِ لذي حالٍ واحدٍ، أو الثَّاني مفعولٌ بإضمارِ: خُذْ، أو دونَكَ، و﴿لنريك﴾[1] متعلِّقٌ بهذا المضمَرِ، أو التَّقديرُ: فعَلنا ذلك لنُرِيَكَ.

قولُه: (الآيَةَ) مفعولُ: ﴿نُرِيَكَ﴾، و﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ حالٌ منها، وقيل: ﴿الْكُبْرَى﴾ صفةُ ﴿آيَاتِنَا﴾.

قولُه: (رَسُولاً) بهاتَينِ الآيتَينِ.

قولُه: (ومَنْ مَعَهُ) وادعُهُم إلى التَّوحيدِ.

قولُه: (لِأُبَلِّغَهَا) وفائدَةُ ﴿لِي﴾ إبهامُ المشروحِ والميسَّرِ، ثمَّ رفعُه بذِكرِ الصَّدرِ والأمرِ تأكيداً ومبالَغةً في البيَانِ.

قولُه: (عَلَيهَا) أي: الرِّسالَةِ وتَبليغِها.

قولُه: (مَفعُولٌ ثَانٍ) الصَّوابُ أنّه مفعولٌ أوَّلُ، وقُدِّمَ الثَّاني للعِنايةِ.

قولُه: (عَطفُ بيَانٍ) الظَّاهِرُ أنّه بدلٌ.

قولُه: (والمُضَارِعِ) بفتحِ الهمزةِ في الأوَّلِ، وضمِّهِ في الثَّاني.

---

(١) بعدها في (ص): «بعض».

وهو جواب للطلب ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ﴾ تسبيحًا ﴿كَثِيرًا، ونَذكُرَكَ﴾ ذِكرًا ﴿كَثِيرًا. إِنَّكَ كُنتَ بِنا بَصِيرًا﴾: عالمًا، فأنعمتَ بالرسالة.

٣٦ ـ ﴿قالَ: قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ ـ يا مُوسَى﴾ ـ مَنًّا عليك، ٣٧ ـ ٣٨ ـ ﴿ولَقَدْ مَنَنّا عليكَ مَرَّةً أُخرَى، إذ﴾: للتعليل ﴿أوحَينا إِلَى أُمِّكَ﴾ منامًا أو إلهامًا لمّا ولدتك وخافت أن يقتلك فِرعون، في جُملة من يُولد، ﴿ما يُوحَى﴾ في أمرك، ويُبدلُ منه: ٣٩ ـ ﴿أنِ اقذِفِيهِ﴾: ألقِيه ﴿في التّابُوتِ، فاقذِفِيهِ﴾ بالتابوت ﴿في اليَمِّ﴾: بحر النيل، ﴿فلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسّاحِلِ﴾ أي: شاطئه ـ والأمرُ بمعنى الخبر ـ ﴿يأخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وعَدُوٌّ لَهُ﴾، وهو فِرعون. ﴿وألقَيتُ﴾ بعد أن أخذَكَ ﴿علَيكَ مَحبّةً مِنِّي﴾، لتُحَبَّ في الناس، فأحبّك فِرعونُ وكُلّ من رآك، ﴿ولِتُصنَعَ علَى عَينِي﴾: تُربَّى على رِعايتي وحِفظي لك.

٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿إذ﴾: للتعليل ﴿تَمشِي أُختُكَ﴾...

قولُه: (عَالِماً) بأحوالِنا.

قولُه: (مِنًّا)[1] و﴿سُؤْلَكَ﴾ بمعنى: مسؤولِكَ.

قولُه: (للتَّعليلِ) أي: لأنَّا أوحَينا، والصَّحيحُ أنَّه ظرفٌ لـ﴿مَنَنّا﴾؛ أي: أنعَمْنا عليكَ في وقتٍ آخرَ متَّسِعٍ لجميعِ أوقاتِ المِنَنِ.

قولُه: (أَوْ إلهَاماً) أو: على لسانِ نبيٍّ في وَقتِها، أو ملَكٍ لا على وجهِ النُّبوَّةِ كما أوحيَ إلى مريمَ.

قولُه: (فِي أَمرِكَ) أي: ما لم يُعلَمْ إلَّا بالوَحيِ.

قولُه: (مِنهُ) أي: ممَّا يُوحى، فـ﴿أَنِ﴾ مصدريَّةٌ، أو على تقديرِ: هو، أو مفسِّرةٌ.

قولُه: (أَلْقِيْهِ) وضَعيهِ.

قولُه: (بمَعنَى الخَبَرِ) لمَّا كانَ إلقاءُ البَحرِ إيَّاهُ إلى السَّاحلِ أمراً واجبَ الحصولِ لتعلُّقِ الإرادَةِ به، جُعِلَ البَحرُ كأنَّه ذو تمييزٍ مُطيعٌ، فأمرَهُ بذلك، وأُخرجَ الجوابُ مخرَجَ الأمرِ، والأَولى أن تُجعَلَ الضَّمائرُ كلُّها لموسى مراعاةً للنَّظمِ، حتَّى لا يلزمَ التَّفكيكُ من غيرِ داعٍ إليه، فالمقذوفُ في البحرِ والمُلقى إلى السَّاحلِ وإن كانَ التَّابوتَ بالذَّاتِ فمُوسى بالعَرَضِ لأنَّه فيه، فنِسبةُ القذفِ إلى مُوسى تكونُ على المجازِ.

قولُه: (وهُو فِرعَونُ) وتكريرُ ﴿عَدُوٌّ﴾ للمُبالغَةِ.

قولُه: (لتُحَبَّ) ما أحسنَ هذا التَّقديرَ، فيُعطَفُ عليه ﴿لِتُصْنَعَ﴾.

قولُه: (للتَّعلِيلِ) الصَّحيحُ أنَّه ظرفٌ لـ﴿أَلْقَيْتُ﴾، أو ﴿لِتُصْنَعَ﴾ أو لـ«اذْكُرْ» مُقدَّراً.

---

(١) في (ص): «مننا».

مريم لتتعرَّف خبرَك، وقد أحضروا مَراضِعَ، وأنتَ لا تقبل ثديَ واحدةٍ منها، ﴿فتقولُ: هَل أدُلُّكُم علَى مَن يَكفُلُهُ﴾؟ فأُجِيبتْ، فجاءت بأُمّه، فقَبِلَ ثديها، ﴿فرَجَعْناكَ إلَى أُمِّكَ كَي تَقَرَّ عَينُها﴾ بلقائك، ﴿ولا تَحزَنَ﴾ حينئذٍ.

﴿وقَتَلتَ نَفْسًا﴾هو القِبطيّ بمِصر، فاغتممتَ لقتله من جِهة فِرعون، ﴿فنَجَّيناكَ مِنَ الغَمِّ، وفَتَنَّاك فُتُونًا﴾: اختبَرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلّصناك منه، ﴿فلَبِثتَ سِنِينَ﴾ عشْرًا ﴿في أهلِ مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مِصر عِند شُعيبِ النبيّ وتزوُّجك بابنته، ....

قولُه: (مَريَمُ)[١]، وقيل: كُلثومُ[٢].

قولُه: (بِأُمِّهِ فَقَبِلَ) الظَّاهرُ: بأمِّكَ فقَبِلْتَ.

قولُه: (حِينَئِذٍ) هي بفراقِكَ، ويؤيِّدُه: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ [القصص: ٧]، أو: أنتَ على فراقِها وفقدِ إشفاقِها.

قولُه: (مِن جِهَةِ فِرعَونَ) واقتصاصِهِ، أو من خوفِ اللهِ وعقابِهِ.

وقولُه تعالى: (﴿فَنَجَّيْنَاكَ﴾) بالمغفِرةِ والأَمنِ منه بالهجرةِ إلى مَدينَ.

قولُه: (اخْتَبَرْنَاكَ) وابتلَيناكَ ابتلاءً، فـ(فُتونٌ) مصدرٌ من المتعدِّي كالشُّكورِ، أو: أنواعاً من الابتلاءِ، على أنَّه جمعُ فَتْنٍ، كظُنونٍ جمعُ: ظنٍّ.

قولُه: (وخَلَّصْنَاكَ) أي: مرَّةً بعدَ أُخرى، وهو إجمالٌ لِمَا نالَهُ في سفرِهِ من الهجرَةِ عن الوَطنِ، ومفارقَةِ الإلفِ، والمشي راجلاً على حذَرٍ، وفقدِ الزَّادِ، وإجارَةِ نفسِهِ، وضلالِه الطَّريقَ، وتفرُّقِ غنمِهِ، أو لِمَا ذُكِرَ ولِمَا سَبَقَ ذِكرُه من وضعِ أُمِّه في التَّابوتِ، وقذفِه في اليمِّ[٣]، إلى غيرِ ذلكَ.

قولُه: (إِلَيهَا) أي: مَدينَ، وهي على ثَمانٍ[٤] مراحِلَ مِن مِصرَ[٥].

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٧/ ٥٣١)، والبغوي في «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٦١).

(٢) رواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٤٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣٨٣٢) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه. وأعله العقيلي بيونس بن شعيب

وروى الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٤٥١) (١١٠٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٣٦٩) عن ابن أبي رواد مرسلاً وفيه: (كَلثَم). وهذا ضعيف أيضاً. «مجمع الزوائد» (٩/ ٢١٨).

(٣) في (ص): «البحر».

(٤) في (ص): «ثماني».

(٥) انظر: «الكشف والبيان» للثعلبي (١٧/ ٥٣٣)، و«التفسير البسيط» للواحدي (١٤/ ٤٠٣)، و«معجم البلدان» (٥/ ٧٧).

﴿ثُمَّ جِئتَ عَلَى قَدَرٍ﴾ في عِلمي بالرسالة، وهو أربعون سنة من عُمرك ـ ﴿يا مُوسَى ـ واصطَنَعتُكَ﴾: اختَرتك ﴿لِنَفسِيَ﴾ بالرسالة.

٤٢ ـ ﴿اذهَبْ أنتَ وأخُوكَ﴾ إلى الناس ﴿بِآياتِي﴾ التسع، ﴿ولاتَنِيا﴾: تَفتُرا ﴿في ذِكرِيَ﴾ بتسبيح وغيره. ٤٣ ـ ﴿اذهَبا إلَى فِرعَونَ ـ إنَّهُ طَغَى﴾ بادعائه الربوبية ـ ٤٤ ـ ﴿فقُولا لَهُ قَولاً لَيِّنًا﴾ في رجوعه عن ذلك، ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ، ﴿أو يَخشَى﴾ اللهَ فيرجِعَ. والترجي بالنسبة إليهما لعلمه ـ تعالى ـ بأنه لا يرجع. ٤٥ ـ ﴿قالا: رَبَّنا، إنَّنا نَخافُ أن يَفرُطَ علَينا﴾ أي: يَعجل بالعُقوبة، ....

قولُه تعَالى: (﴿عَلَى قَدَرٍ﴾) أي: مِقدارٍ من السِّنِّ يُوحى فيه غالباً إلى الأنبياءِ.

قولُه: (بالرِّسَالَةِ) أو لمحبَّتي.

قولُه: (لا تَفترا) ولا تُقصِّرا.

قولُه: (بتَسبِيحٍ) أو في تبليغِ ذِكري والدُّعاءِ إليَّ.

قولُه: (بِادِّعَائِهِ) أمرَ به أوَّلاً موسى وحدَه، وهاهنا إيَّاهُ وأخاهُ، فلا تكرارَ.

قولُه: (فِي رُجُوعِهِ) أي: فرعَونَ.

قولُه: (ذَلِكَ) الطُّغيانِ، وقيل: عِداهُ شباباً لا يهرَمُ بعدهُ، وملكاً لا يزولُ إلَّا بالموتِ.

قولُه: (اللهَ) التَّذكيرُ للمتحقِّقِ، والخشيَةُ للمتوهَّمِ، ولذلك قُدِّمَ الأوَّلُ؛ أي: إن لم يتحقَّق صدقُكُما ولم يتذكَّرْ فلا أقلَّ من أن يتوهَّمَه فيَخشَى.

قولُه: (إِلَيهِمَا) أي: باشِرا أمرَ الدَّعوةِ على رجائِكُما أنَّه يُثمرُ، فإنَّ الرَّاجيَ مجتهِدٌ، والآيِسَ متكلِّفٌ.

قولُه: (لِعِلْمِهِ تَعَالَى) والفائدَةُ في إرسالِهِما والمبالغَةِ في الاجتِهادِ مع علمِهِ بأنَّه لا يؤمنُ: إلزامُ الحُجَّةِ وقطعُ المعذرةِ، وإظهارُ ما حدَثَ فيما بينَ ذلك من الآياتِ، كذا قالَهُ القاضِي[1].

وقالَ سَعدِي جلبي: بَيانُ الفائدَةِ على هذا الوَجهِ يُناسبُ مذهَبَ أهلِ الاعتِزالِ، وأمَّا الأشاعِرةُ فيقولونَ: العُقولُ قاصِرةٌ عن معرفَةِ سرِّ القَدرِ.

أقولُ: هذا إيرادٌ [غيرُ] مناسِبٍ؛ إذ ليسَ كلامُ القاضِي في القَضاءِ والقدَرِ؛ لأنَّ قولَه: «إلزامُ الحُجَّةِ وقطعُ المعذرةِ» بَيانُ الحكمَةِ، كما قالَ تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

قولُه: (بالعُقُوبَةِ) ولا يصبرَ إلى تمامِ الدَّعوَةِ وإظهارِ المعجزَةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٨).

﴿أو أن يَطغَى﴾ علينا أي: يتكبّر.

٤٦ ـ ﴿قالَ: لا تَخافا ـ إنَّني مَعَكُما﴾ بعوني، ﴿أسمَعُ﴾ ما يقول ﴿وأرَى﴾ ما يفعل ـ ٤٧ ـ ﴿فأتِيَاهُ فقُولا: إنّا رَسُولا رَبِّكَ ـ فأرسِلْ مَعَنا بَنِي إسرائيلَ﴾ إلى الشام، ﴿ولا تُعَذِّبْهُم﴾ أي: خلِّ عنهم من استعمالك إيّاهم في أشغالك الشاقّة كالحفر والبناء وحمل الثقيل ـ ﴿قد جِئناكَ بآيَةٍ﴾: بِحُجّة ﴿مِن رَبِّكَ﴾ على صِدقنا بالرسالة. ﴿والسَّلامُ على مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى﴾ أي: السلامة له من العذاب. ٤٨ ـ ﴿إنّا قَد أُوحِيَ إلَينا أنَّ العَذابَ علَى مَن كَذَّبَ﴾ ما جئنا به، ﴿وتَوَلَّى﴾ أعرض عنه.

فأتَياه وقالا جميع ما ذُكر. ٤٩ ـ ﴿قالَ: فمَن رَبُّكُما؟ يا مُوسَى﴾. اقتصرَ عليه لأنه الأصل ولإدلاله عليه بالتربية. ٥٠ ـ ﴿قالَ: رَبُّنا الَّذِي أعطَى كُلَّ شَيءٍ﴾ من الخلق ﴿خَلْقَهُ﴾ الذي هو عليه، فتميّز به عن غيره، ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ الحيوانَ منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغيرِ ذلك.

٥١ ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون: ﴿فما بالُ﴾: حالُ ﴿القُرُونِ﴾: الأُمم ﴿الأُولَى﴾ كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثانَ؟...

قولُه: (أي: يَتكَبَّرَ) أي: يَزدادَ طُغياناً فيقولَ فيكَ ما لا يَنبَغي لجراءَتِه وقساوتِه، أو: فيقتُلَنا.

قولُه: (إلى الشَّامِ) أي: أطلِقْهُم.

قولُه: (خَلِّ عَنهُم) الأظهَرُ الأخصَرُ: لا تعذِّبْهُم بالتَّكاليفِ الصَّعبةِ وقتلِ الوِلدانِ.

قولُه: (بحُجَّةٍ) يعني: إنَّما وحَّدَ الآيَةَ وكانَ معه آيَتانِ بل آياتٌ؛ لأنَّ المرادَ إثباتُ الدَّعوى ببُرهانِها، لا الإشارَةُ إلى وحدَةِ الحُجَّةِ وتعدُّدِها.

قولُه: (مِنَ العَذَابِ) أي: في الدَّارَينِ، أو: سلامُ اللهِ، أو: سلامُنَا، أو: سلامُ الملائكةِ وخزَنةِ الجنَّةِ.

قولُه: (لأنَّه الأَصْلُ) وهارونُ تابعُهُ، أو للفَواصِلِ.

قولُه: (مِن الخَلْقِ) من الأنوَاعِ والأشخَاصِ.

قولُه: (الَّذِي هُوَ عَلَيهِ) فالضَّميرُ راجِعٌ إلى ﴿شَيْءٍ﴾، أو: أعطَى خليقتَهُ كلَّ شيءٍ يحتاجونَ إليه، فقُدِّمَ المفعولُ الثَّاني لأنَّ المقصدَ[1] بيانُهُ.

قولُه: (وغَيْرِ ذَلِكَ) أي: عرَّفَه كيف يرتفِقُ بما أُعطيَ، وكيف يتوَصَّلُ به إلى بقائِهِ وكمالِهِ اختياراً أو طبعاً.

قولُه: (الأُمَمِ) أي: بعدَ الموتِ من السَّعادةِ والشَّقاوةِ.

---

(١) في (ص): «المقصود».

٥٢ ـ ﴿قالَ﴾ موسى: ﴿عِلمُها﴾ أي: عِلم حالهم محفوظ ﴿عِندَ رَبِّي في كِتابٍ﴾، هو اللوح المحفوظ، يُجازيهم عليها يوم القِيامة. ﴿لا يَضِلُّ﴾: يغيبُ ﴿رَبِّي﴾ عن شيء، ﴿ولا يَنسَى﴾ رَبّي شيئًا.

٥٣ ـ هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جُملة الخلق ﴿الأرضَ مِهادًا﴾: فِراشًا، ﴿وسَلَكَ﴾: سهّل ﴿لَكُم فِيها سُبُلاً﴾: طُرقًا، ﴿وأنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾: مطرًا. قال تعالى، تتميمًا لِما وصفه به مُوسَى وخِطابًا لأهل مكّة: ﴿فأخرَجْنا بِهِ أزواجًا﴾: أصنافًا ﴿مِن نَباتٍ شَتَّى﴾: صفةُ «أزواجًا» أي: مُختلفةَ الألوانِ والطعوم وغيرِهما ـ وشتّى: جمع شَتِيت كمَرِيض ومرضَى، من: شَتَّ الأمرُ: تفرّقَ ـ ٥٤ ـ ﴿كُلُوا﴾ منها، ﴿وارعَوا أنعامَكُم﴾ فيها: جمع نَعَمٍ. هي الإبِل والبقر والغنم. يقال: رَعَتِ الأنعامُ ورَعَيتُها......

قولُه: (مَحْفُوظٌ) أي: أنَّه غيبٌ لا يعلمُهُ إلَّا اللهُ، وإنَّما أنا عبدٌ مثلُكَ لا أعلمُ منه إلَّا ما أخبرَني، مُثبَتٌ في اللَّوحِ.

قولُه: (لا يَغِيْبُ) أو: لا يُخطئُ.

قولُه: (هُوَ) أي: ما بعدَهُ خبرٌ لمحذوفٍ[1]، وقيلَ: صفةٌ لـ﴿رَبِّي﴾، وقيل: منصوبٌ على المدحِ.

قولُه: (فِرَاشاً) الكوفيُّ: ﴿مهداً﴾[2]؛ أي: كالمهدِ تتمهَّدُونَها، وهو مصدرٌ سُمِّي به، والمهادُ: اسمُ ما يُمهَدُ كالفِراشِ، أو جَمعُ مهدٍ.

قولُه: (سَهَّلَ) أو جعلَ، أو أدخَلَ، وهو الأظهَرُ.

قولُه: (طَرِيْقاً) بينَ الجِبالِ والأوديةِ والبَراري تسلُكونَها مِن أرضٍ إلى أرضٍ لتَبلُغوا منافعَهَا.

قولُه: (قَالَ) أي: قالَ تعالى هذا القولَ، وقيل: إنَّه من بقيَّةِ كلامِ مُوسى، وعدَلَ بـ﴿أَخرَجْنَا﴾ مِن لفظِ الغيبَةِ إلى صيغَةِ التَّكلُّمِ على الحكايَةِ لكلامِ اللهِ تعالى.

قولُه: (أَصْنَافاً) أُطلقَ عليها لازدواجِهَا واقترانِ بعضِها ببعضٍ.

قولُه: (صِفَةٌ) يعني: ﴿شَتَّى﴾ وكذلك ﴿مِنْ نَبَاتٍ﴾ على الأظهَرِ.

قولُه: (جَمْعُ نَعَمٍ) وقد تُكسَرُ عينُه.

قولُه: (وهِيَ الإبِلُ... إلخ) وهو الصَّوابُ المفهومُ مِن ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ في الأنعامِ[١٤٣]، فقولُ «القاموسِ»: الإبلُ والشَّاءُ، أو خاصٌّ بالإبلِ[3]. سهوٌ.

قولُه: (وَرَعَيْتُهَا) يعني: أنَّه لازِمٌ ومُتعدٍّ، وهو المرادُ هنا.

---

(١) في (ص): «خبر لمبتدأ محذوف».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١٨).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١٦٣).

والأمر للإباحة وتذكيرِ النعمة. والجملة: حال من ضمير «أخرجنا»، أي: مبيحين لكم الأكلَ ورعي الأنعام. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكورِ منّا ﴿لَآيَاتٍ﴾: لَعِبَرًا ﴿لِأُولِي النُّهَىٰ﴾: لأصحاب العُقول، جمع نُهيَةٍ كغُرفة وغُرَف، سُمّي به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح. ٥٥ ـ ﴿مِنْهَا﴾ أي: الأرضِ ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ بخلق أبيكم آدمَ منها، ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت، ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾: مرّة ﴿أُخْرَىٰ﴾ كما أخرجناكم عِند ابتداء خلقكم.

٥٦ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ أي: أبصرْنا فِرعونَ ﴿آيَاتِنَا كُلَّهَا﴾ التسعَ، ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سِحر، ﴿وَأَبَىٰ﴾ أن يُوحّد الله تعالى. ٥٧ ـ ٥٨ ـ ﴿قَالَ: أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مِصرَ، ويكونَ لك المُلك فيها، ﴿بِسِحْرِكَ؟ يَا مُوسَىٰ. فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ يُعارضُه. ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك، ﴿لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ، مَكَانًا﴾: منصوبٌ بنزع الخافض «في» ﴿سُوًى﴾ بكسر أوله وضمّه، أي: وَسَطًا تستوي إليه مسافة الجائي من الطرفينِ...

قولُه: (أي: مُبِيْحِينَ) أو: قائلينَ، وهو الظَّاهرُ، والمعنَى: مُعدِّيها لانتفاعِكُم بالأكلِ والعلَفِ آذِنينَ فيه.

قولُه: (هُنَا)[١] الظَّاهرُ تأخيرُهُ عن الآياتِ.

قولُه: (يَنهَى) كما أنّه يعقِلُ.

قولُه: (بِخَلْقِ أَبِيْكُم) ومادَّةِ أبدانِكُم.

قولُه: (كَمَا أَخْرَجْنَاكُم) يعني: الإخراجيَّةَ الأُولَى، وهي الخَلْقُ.

قولُه: (أَبْصَرْنَا) الصَّحيحُ: بصَّرْنا، بالتَّشديدِ.

قولُه: (التِّسْعَ) حقُّه التَّقديمُ، و﴿كُلَّهَا﴾ تأكيدٌ لشُمولِ الأفرادِ.

قولُه: (بِهَا) أو: كذَّبَ مُوسى من فَرْطِ عنادِهِ.

قولُه: (يُعَارِضُهُ) و﴿مِثْلِهِ﴾؛ أي: مثلِ سحرِكَ.

قولُه: (لِذَلِكَ) الإتيانِ، والمَوعِدُ: الوعدُ، فإنَّ الإخلافَ لا يُلائمُ الزَّمانَ والمكانَ.

قولُه: (فِي) بدَلٌ من الخافِضِ، وهو أظهَرُ الإعراباتِ، واقتَصرَ عليه أبو البَقاءِ[٢].

قولُه: (وَضَمِّهِ) شاميٌّ وعاصِمٌ وحمزةُ[٣].

(١) الذي في المتن: «منا» ولعله الصواب كما يشير إليه قول الشارح: «الظَّاهرُ تأخيرُهُ...».

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٨٩٣) وقال أيضاً: ويجوز أن يكون ﴿مكاناً﴾ مفعولاً ثانياً لـ(اجعل).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٥٣).

٥٩ ـ ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوعِدُكُم يَومُ الزِّينَةِ﴾: يومُ عِيد لهم يتزيّنون فيه ويجتمعون، ﴿وأن يُحشَرَ النَّاسُ﴾: يُجمعَ أهل مِصر ﴿ضُحًى﴾، وقتَه للنظر فيما يقع.

٦٠ ـ ﴿فتَوَلَّى فِرعَونُ﴾: أدبرَ، ﴿فجَمَعَ كَيدَهُ﴾ أي: ذوِي كيده من السَّحَرَة، ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ بهم الموعدَ.

٦١ ـ ﴿قالَ لَهُم مُوسَى﴾، وهم اثنان وسبعون مع كُلّ واحد حبلٌ وعصًا: ﴿وَيلَكُم﴾ أي: ألزَمَكُمُ اللهُ الويلَ. ﴿لا تَفتَرُوا علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بإشراك أحد معه، ﴿فيُسحِتَكُم﴾ ـ بضمّ الياء وكسر الحاء وبفتحهما ـ أي: يُهلِكَكم ﴿بِعذابٍ﴾ من عِنده، ﴿وقَد خابَ﴾: خسر ﴿مَنِ افتَرَى﴾: كذبَ على الله.

قولُه: (يَومُ عِيْدٍ) قالَ ابنُ عبَّاسٍ[1]: هو يَومُ عاشوراءَ.

قولُه: (وَقْتَهُ) على حذفِ المضافِ؛ الضَّحوةُ: ارتفاعُ النَّهارِ، والضُّحى فُوَيقَه[2].

قولُه: (أي: ذَوِي) الأظهَرُ: ما يُكاد به من السَّحرةِ وآلاتِهم، كما قالَ القاضِي[3]، لكن اختارَهُ المصنِّفُ لصحَّةِ المرجِعِ في ﴿لَهُمْ﴾.

قولُه: (اثْنَانِ وسَبْعُونَ)[4] وقيلَ: سبعونَ ألفاً[5].

قولُه: (وعَصًا) بالألفِ؛ لأنَّ ألفَهُ واويَّةٌ.

قولُه: (بإِشْرَاكٍ) الظَّاهرُ: بأن تدَّعوا آياتِه سِحراً.

قولُه: (بضَمِّ اليَاءِ) كوفيٌّ إلَّا شُعبةَ[6].

قولُه: (أَيْضاً) في بعضِ النُّسخِ[7]، وهو مستدرَكٌ.

قولُه: (يُهلِكَكُم) ويستأصلَكُم.

---

(١) هو طرف من حديث طويل رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٦): رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير أصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب، وهما ثقتان.

(٢) انظر: «تاج العروس» (٣٨/ ٤٥٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٣١).

(٤) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ٦٣) من قول الكلبي.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٤) عن القاسم بن أبي بزة.

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٥٤).

(٧) وليست في النسخ المعتمدة في المتن، ولعل موقعها عقب قول الجلال: «وبفتحهما».

٦٢ ـ ﴿فتنازَعُوا أمرَهُم بَينَهُم﴾ في مُوسَى وأخيه، ﴿وأسَرُّوا النَّجوَى﴾ أي: الكلامَ بينهم فيهما، ٦٣ ـ ﴿قالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إنَّ هذَينِ﴾ ـ لِأبي عَمرٍو، ولغيرِه: «هذانِ»، وهو مُوافق للغة مَن يأتي في المُثنّى بالألف في أحواله الثلاث ـ ﴿لَساحِرانِ، يُرِيدانِ أن يُخرِجاكُم مِن أرضِكُم بِسِحرِهِما، ويَذهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثلَى﴾: مُؤنّث أمثل بمعنى أشرف أي: بأشرافكم بميلهم إليهما لغلبتهما. ٦٤ ـ ﴿فاجمَعُوا كَيدَكُم﴾ من السِّحر ـ بهمزة وصل وفتح الميم مِن: جَمَعَ أي: لَمَّ، وبهمزة قطع وكسر الميم مِن: أجمَعَ: أحكَمَ ـ ﴿ثُمَّ ائتُوا صَفًّا﴾: ....

قولُه: (فِيهِمَا) أي: في مُوسى وهارونَ، وما بعدَهُ تفسيرٌ لـ﴿أَسَرُّوا﴾ كأنَّهم تَشاوَروا في تزويرِ هذا الكَلامِ حذَراً أن يَغلِبا فيتبعَهُما النَّاسُ، فالضَّميرُ في ﴿فَتَنَازَعُوا﴾ و﴿أَسَرُّوا﴾ لِفرعونَ وقومِهِ، قالَ النَّيسابوريُّ: وعليهِ الأكثرونَ[1].

قولُه: (ولِغَيرِهِ) لكنَّ ابنَ كثيرٍ شدَّدَ نونَ (هذانِّ)، وهو وحفصٌ خفَّفا نونَ ﴿إِنْ﴾[2] على أنَّها هي المخفَّفةُ واللَّامُ فارقةٌ، أو النَّافيةُ واللَّامُ بمَعنى: إلَّا.

قولُه: (وهُوَ) أي: ﴿هَذَانِ﴾.

قولُه: (مَن يَأْتِي) وهم بَلحارثُ بنُ كعبٍ[3]، بفتحِ الباءِ، أصلُه: بنو الحارثِ، فحُذِفَتِ النُّونُ وأوصِلَتِ الباءُ بالحارثِ تَخفيفاً.

قولُه: (فِي أَحْوَالِهِ) وأعرَبوا المثنَّى تقديراً.

قولُه: (مُؤَنَّثُ أَمْثَلِ) أي: بمذهبِكُم الَّذي هو أفضَلُ المذاهِبِ؛ يعني: بإظهارِ مذهبِهِما وإعلاءِ دينِهِما؛ لقولِهِ: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦].

وقيل: الطَّرِيقةُ اسمٌ لوجوهِ القَومِ وأشرافِهِم مِن حيثُ إنَّهم قُدوةٌ لغيرِهِم، وهو المعنيُّ بقولِهِ: (بأشرافكُم).

وقولُه: (بِمَيْلِهِم) متعلِّقٌ بـ﴿يَذْهَبَا﴾.

قولُه: (مِنَ السِّحْرِ) بيانٌ.

قولُه: (بِهَمْزَةِ وَصْلٍ) بَصريٌّ[4].

---

(١) انظر: «غرائب القرآن» (٤/ ٥٥٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١٩).

(٣) انظر: «معجم قبائل العرب» (٢/ ١٠٢).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤١٩).

حالٌ أي: مصطفِّين، ﴿وقَد أفلَحَ﴾: فاز ﴿اليَومَ مَنِ استَعلَى﴾: غلب.

٦٥ ـ ﴿قالُوا: يا مُوسَى﴾، اخترْ ﴿إمّا أن تُلقِيَ﴾ عصاك أي: أوّلاً، ﴿وإمّا أن نَكُونَ أوّلَ مَن ألقَى﴾ عصاه. ٦٦ ـ ﴿قالَ: بَل ألقُوا﴾. فألقَوا، ﴿فإذا حِبالُهُم وعِصِيُّهُم﴾ ـ أصله «عُصُوْوٌ» قُلبَتِ الواوان ياءين، وكُسرَتِ العينُ والصاد ـ ﴿يُخَيَّلُ إلَيهِ مِن سِحرِهِم أنَّها﴾ حيّاتٌ ﴿تَسعَى﴾ على بُطونها، ٦٧ ـ ﴿فأوجَسَ﴾: أحسّ ﴿في نَفسِهِ خِيفةً مُوسَى﴾ أي: خاف، من جِهة أنّ سِحرهم يكون من جِنس مُعجزته، أن يلتبس أمره على الناس فلا يؤمنوا به.

٦٨ ـ ﴿قُلنا﴾ له: ﴿لا تَخَفْ. إنَّكَ أنتَ الأعلَى﴾ عليهم بالغلبة. ٦٩ ـ ﴿وألقِ ما في يَمِينِكَ﴾ ـ وهي عصاه ـ ﴿تَلَقَّفْ﴾: تبتلعْ..

قولُه: (أي: مُصْطَفِّينَ) لأنّه أهيَبُ في صدورِ الرَّائينَ.

قولُه: (فَازَ) بالمطلوبِ، وهو اعتِراضٌ بيانيٌّ، ويُسمَّى: تَذييلاً، لا نحويٌّ؛ فإنَّه يكونُ في أثناءِ الكَلامِ.

قولُه: (اخْتَرْ) إشارةٌ إلى أنَّ ما بعدَه مَنصوبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ؛ أي: اختَرْ إلقاءَكَ أوّلاً أو إلقاءَنا.

قولُه: (يَاءَيْنِ) الأولى بعدَ الثَّانيةِ (العَيْنُ) الأولَى تقديمُ الصَّادِ؛ لتقدُّمِ كسرِها لمناسبةِ الياءِ، ثمَّ كُسِرَت العينُ تَبعاً أو استثقالًا من الضَّمَّةِ إلى الكسرةِ.

قولُه تعَالى: (﴿يُخَيَّلُ﴾) أي: السَّعيُ، وبالتَّأنيثِ ابنُ ذكوانَ[1]؛ أي: الحِبالُ والعصيُّ، و(﴿أَنَّهَا تَسْعَى﴾) بدلُ اشتمالٍ، وذلك بأنَّهم لَطخوها بالزِّئبَقِ، فلمَّا ضربَتْ عليها الشَّمسُ اضطربَت، فخُيِّلَ إليه أنَّها تتحرَّكُ[2].

قولُه: (أَحَسَّ) وأضمَرَ، كذا في «القاموسِ»[3]، واقتصَرَ البَيضاويُّ على الثَّاني[4].

قولُه: (مِن جِهَةِ) أو من مفاجأتِهِ على ما هو مُقتَضى الجِبلَّةِ البشريَّةِ.

قولُه: (فلَا يُؤْمِنُونَ) الظَّاهرُ: فلا يُؤمِنوا[5].

قولُه: (تَبتَلِعْ) بقُدرةِ اللهِ، أصلُه: تتلقَّف، فحُذِفَت إحدى التَّاءينِ، وتاءُ المضارَعةِ تحتملُ التَّأنيثَ، والخِطابَ على إسنادِ الفِعلِ إلى المسبِّبِ.

---

(١) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٥٧).

(٢) كذا ذكر، وفيه نظر؛ فإنه لا يتصور أن تنطلي مثل هذه الحيلة على موسى عليه السلام وهو النبي الفطن الذي لا يتصور خداعه بطلي الزئبق.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٥٧٩).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٣٢).

(٥) وهكذا هي في المتن.

﴿ما صَنَعُوا. إنَّ ما صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ﴾ أي: جِنسِه، ﴿ولا يُفلِحُ السّاحِرُ حَيثُ أَتى﴾ بسِحره. فألقى مُوسَى عصاه فتلقّفتْ كُلّ ما صنعوه، ٧٠ ـ ﴿فأُلقِيَ السَّحَرةُ سُجَّدًا﴾: خرّوا ساجدين لِلهِ ـ تعالى ـ ﴿قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ هارُونَ ومُوسَى﴾.

٧١ ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون: ﴿آآمَنتُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا ـ ﴿لَهُ، قَبلَ أن آذَنَ﴾ أنا ﴿لكُم؟ إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ﴾: مُعلّمُكم ﴿الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ. فلأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُم وأرجُلَكُم مِن خِلافٍ﴾: حالٌ، بمعنى: مُختلِفةً، أي: الأيديَ اليُمنى والأرجُلَ اليُسرى، ﴿ولأُصَلِّبَنَّكُم في جُذُوعِ النَّخلِ﴾.......

وابنُ ذكوانَ بالرَّفعِ على الحالِ أو الاستئنافِ، والبزِّيُّ بتشديدِ التَّاء وَصلاً، وحفصٌ بالتَّخفيفِ[١]، من لَقِفَتُه بمعنى: تلقَّفْتُه.

قولُه: (أي: جِنْسِه)؛ أي: الجنسِ المطلَق، وكذا قالَ: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ وحمزةُ والكِسائيُّ: (كَيْدُ سِحْرٍ) وُصِفَ بالمصدَرِ مبالغَةً[٢].

قولُه: (بسِحْرِه) أو حيثُ كانَ وأينَ أقبَلَ.

قولُه: (فتَلقَّفَتْ) فتحقَّقَ عندَ السَّحرةِ أنَّه ليسَ بسِحرٍ، وإنَّما هو مُعجزةٌ، فألقاهُم ذلك على وجوهِهِم.

قولُه: (للهِ تَعَالَى) توبةً عمَّا صَنعوا، وإغباناً لِفرعونَ، وتعظيماً لِمَا رَأَوا، وإرضاءً للهِ تعالى، رُوِيَ أنَّهم رَأَوا في سجودِهِم الجنَّةَ ومنازلَهُم[٣].

قولُه تعالى: (﴿هَارُونَ﴾) قُدِّمَ لكِبَرِ سِنِّه، أو للفاصِلةِ[٤].

قولُه: (بِتَحْقِيق) تقدَّمَ تحقيقُهُ في الأعرافِ[٥].

قولُه: (﴿لَهُ﴾) أي: لموسَى، واللَّامُ لتضمينِ الفعلِ معنى الاتِّباعِ أو التَّسليمِ، أو التَّقديرُ: آمنتُم باللهِ لأجلِ مُوسَى.

قولُه: (أَنَا) تحقيقاً للتَّكلُّمِ.

قولُه: (مُعَلِّمُكُم) أي: أستاذُكم، وأنتم تواطَأْتُم على ما فعلْتُم، أو: عظيمُكُم في فنِّكُم وأعلَمُكُم به.

---

(١) وقرأ الباقون بالجزم وتشديد القاف. انظر: «السبعة» (ص: ٤٢٠)، و«التيسير» (ص: ١١٢ و١٥٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢١).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٣٤) عن القاسم بن أبي بزّة.

ورواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٥) عن سعيد بن جبير.

(٤) أي: لتناسب الآي.

(٥) في الآية: (١٢٣).

أي: عليها، ﴿ولتعلَمُنَّ: أيُّنا﴾ ـ يعني نفسَه وربَّ مُوسَى ـ ﴿أشَدُّ عَذابًا وأبقَى﴾: أدوَمُ، على مخالفته؟

٧٢ ـ ﴿قالُوا: لَن نُؤثِرَكَ﴾: نختارَك ﴿علَى ما جاءَنا مِنَ البيِّناتِ﴾ الدالّة على صِدق مُوسَى، ﴿والَّذِي فَطَرَنا﴾: خلقَنا. قسمٌ أو عطفٌ على «ما». ﴿فاقضِ ما أنتَ قاضٍ﴾ أي: اصنعْ ما قلتَه. ﴿إنَّما تَقضِي هذِهِ الحَياةَ الدُّنيا﴾ ـ النصبُ على الاتّساع أي: فيها ـ ونُجزَى عليه في الآخرة. ٧٣ ـ ﴿إنّا آمَنّا بِرَبِّنا، لِيَغفِرَ لَنا خَطايانا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وما أكرَهتَنا علَيهِ مِنَ السِّحرِ﴾ تعلّمًا وعملاً لمُعارضة موسى. ﴿واللهُ خَيرٌ﴾ منك ثوابًا إذا أُطيع ﴿وأبقَى﴾ منك عذابًا إذا عُصي.

٧٤ ـ قال تعالى: ﴿إنَّهُ مَن يأتِ رَبَّهُ مُجرِمًا﴾: كافرًا كفِرعَونَ ﴿فإنَّ لَهُ جَهَنَّمَ، لا يَمُوتُ فِيها﴾ فيستريحَ، ﴿ولا يَحْيا﴾ حياةً تنفعه، ٧٥ ـ ﴿ومَن يأتِهِ مُؤمِنًا، قَد عَمِلَ الصّالِحاتِ﴾: الفرائضَ والنوافل، ﴿فأُولئِكَ لَهُمُ الدَّرَجاتُ العُلَى﴾: جمع عُليا مُؤنّث أعلى،......................................

قولُه: (أي: علَيْهَا) وهو أوَّلُ مَن صَلَبَ[1].

قولُـه: (الدَّالَّـةِ) أي: المعجِـزاتِ الواضِحـاتِ، والضَّميـرُ في ﴿جَاءَ﴾ لموسَـى؛ أي: ما جاءَنـا به، وقيلَ: لـ﴿مَا﴾.

قولُه: (أي: اصْنَعْ) فمعنى قاضيه: صانعُهُ، وقيل: حاكمُهُ.

قولُه: (أي: فِيْهَا) أي: تصنَعُ ما تَهواهُ، أو تحكُمُ بما تَراهُ.

قولُه: (عَلَيهِ) أي: صنعِكَ، أو حُكمِك.

قولُه: (وغَيرِهِ) من المعاصِي.

قولُه: (وعِلماً) الصَّوابُ: عملاً[2]، والظَّاهرُ أنَّ الواوَ بمعنى: «أو»، رُويَ أنَّهم قالوا لِفرعونَ: أرِنا مُوسَى نائِماً، فوجَدوهُ تحرُسُه العَصا، فقالوا: ما هذا بِسحرٍ، فإنَّ السَّاحِرَ إذا نامَ بطَلَ سِحرُه، فأبى إلَّا أن يُعارضوهُ[3].

قولُه تعالى: (﴿إنَّهُ﴾) وضميرُ ﴿إنَّهُ﴾ للشَّأنِ.

قولُه: (كَافِراً) بأن يموتَ على كُفرِه.

قولُه: (جَمْعُ عُلْيَا) أي: المنازِلُ الرَّفيعةُ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٤٩٥٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) وهكذا هي في المتن: «وعملا».

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٨/ ٣٢) من قول عبد العزيز بن أبان.

٧٦ ـ ﴿جَنَّاتُ عَدنٍ﴾ أي: إقامةٍ، بيانٌ له، ﴿تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها. وذلِكَ جَزاءُ مَن تَزَكَّى﴾: تطهَّر من الذنوب.

٧٧ ـ ﴿ولَقَد أَوحَينا إلَى مُوسَى: أنْ أَسْرِ بِعِبادِي﴾ ـ بهمزة قطع من: أسرَى، وبهمزة وصل وكسر النون من: سَرَى. لُغتانِ ـ أي: سِر بهم ليلاً من أرض مِصر، ﴿فاضرِبْ﴾: اجعل ﴿لَهُم﴾ بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا في البَحرِ يَبَسًا﴾ أي: يابسًا ـ فامتثَلَ ما أُمر به وأيبسَ اللهُ الأرض فمرّوا فيها ـ ﴿لا تَخافُ دَرَكًا﴾ أي: أن يُدركَك فِرعون ﴿ولا تَخشَى﴾ غرَقًا. ٧٨ ـ ﴿فأتبَعَهُم فِرعَونُ بِجُنُودِهِ﴾، وهو معهم، ﴿فغَشِيَهُم مِنَ اليَمِّ﴾ أي: البحر ﴿ما غَشِيَهُم﴾ فأغرقهم! ....

قولُه: (بيَانٌ لَهُ) أو بدَلٌ منه.

قولُه: (تَطَهَّرَ) والآياتُ الثَّلاثُ يحتملُ أن تكونَ من كلامِ السَّحَرةِ، وأن تكونَ ابتِداءَ كلامٍ من اللهِ تعالى.

قولُه: (وبِهَمزَةِ وَصْلٍ) مكسورَةٍ في الابتداءِ (وكَسْرِ النُّونَ) في الوَصلِ الحِرْميَّانِ[١].

قولُه: (اجْعَلْ) من قَولِهم: ضَربَ له من مالِهِ سَهماً.

قولُه: (أي: يَابِساً) مصدرٌ وُصِفَ به مبالَغةً.

قولُه: (أي: أَنْ يُدْرِكَكَ) والجملَةُ حالٌ من المأمورِ؛ أي: آمِناً من إدراكِهِ.

وقرأ حمزَةُ: (لا تخَفْ)[٢] على أنَّه جوابُ الأمرِ وقولَه تعالى: ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ استِئنافٌ؛ أي: وأنتَ لا تَخشَى، أو عَطفٌ عليهِ والألِفُ للإطلاقِ، أو حالٌ بالواوِ.

قولُه: (وهُوَ مَعَهُم) وذلك أنَّ مُوسى خرجَ بهم أوَّلَ اللَّيلِ، فأخبِرَ فرعَونُ بذلك، فقَصَّ أثرَهُم، والمعنى: فأتبَعَهم فرعَونُ نفسَهُ ومعه جُنودُه، فالباءُ للمُصاحَبةِ، فحُذِفَ المفعولُ الثَّاني.

وقيل: ﴿فَأَتْبَعَهُم﴾ بمعنى: ﴿فاتَّبَعَهم﴾ كما قُرِئ[٣].

والباءُ للتَّعديةِ، وهو الَّذي اختارَهُ الشَّيخُ، أو الباءُ زائدةٌ، والمعنى: فأتبعَهُم جنودَهُ وساقَهم خلفَهُم.

قولُه: (فَأَغْرَقَهُم) الضَّميرُ لـ(جنودِهِ)، أو له ولهُم، وفيه مبالَغةٌ من حيثُ الإبهامُ، ووجازَةٌ من حيثُ اللَّفظُ؛ أي: غشيَهُم ما سمعْتَ صفتَهُ، ولا يعلَمُ كُنهَهُ إلَّا اللهُ تعالى.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٣٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢١).

(٣) هي رواية عن أبي عمرو، كما في «السبعة» (ص: ٤٢٢)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٢٤٠).

٧٩ ـ ﴿وأضَلَّ فِرعَونُ قَومَهُ﴾ بدُعائهم إلى عِبادته، ﴿وما هَدَى﴾، بل أوقعهم في الهلاك خِلافَ قوله «وما أهدِيكُم إلاَّ سَبِيلَ الرَّشادِ».

٨٠ ـ ﴿يا بَنِي إسرائيلَ، قَد أنجَيناكُم مِن عَدُوِّكُم﴾ فِرعَونَ بإغراقه، ﴿ووَعَدْناكُم جانِبَ الطُّورِ الأيمَنَ﴾، فنُؤتي مُوسَى التوراةَ للعمل بها، ﴿ونَزَّلْنا علَيكُمُ المَنَّ والسَّلوَى﴾هما التُّرَنْجِبِينُ والطيرُ السُّمانَى، بتخفيف الميم والقصر. والمُنادى مَن وُجِد من اليهود زمنَ النبيِّ ﷺ، وخُوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمنَ النبيِّ مُوسَى ـ عليه السلام ـ توطئةً لقوله تعالى لهم:

٨١ ـ ﴿كُلُوا مِن طَيِّباتِ ما رزَقْناكُم﴾ أي: المُنعَمِ به عليكم، ﴿ولا تَطغَوا فِيهِ﴾ بأن تكفروا النِّعمة به، ﴿فيَحِلَّ علَيكُم غَضَبِي﴾، بكسر الحاء أي: يَجِبَ، وبضمّها أي: يَنزِلَ. ﴿ومَن يَحلِلْ علَيهِ غَضَبِي﴾ ـ بكسرِ اللام وضمِّها ـ ﴿فقَد هَوَى﴾: سقط في النار،٨٢ ـ ﴿وإنِّي لَغَفّارٌ لِمَن تابَ﴾ من الشِّرك ﴿وآمَنَ﴾: وحَّد اللهَ، ﴿وعَمِلَ صالِحًا﴾ يَصدُق بالفرض والنفل، ﴿ثُمَّ اهتَدَى﴾ باستمراره على ما ذُكر إلى موته.

قولُه: (فِرْعَونَ) أو فرعَونَ وقومِه، فإنَّ العَدوَّ يُطلَقُ على المفردِ والجمعِ.

قولُه تعالى: (﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ﴾) أبو عمرٍو: (ووَعَدْنَاكُم) وحمزةُ والكِسائيُّ: (أنجيتُكم) و(ووَاعَدْتُكم) و(رزَقتُكُم) على التَّاءِ[1].

قولُه: (مَن وُجِدَ) أو: هُم، بعدَ إنجائِهم من البَحرِ وخُروجِهم من[2] التِّيهِ على إضمارِ: قُلنا.

قولُه: (بِأَنْ تَكْفُرُوا) بالإخلالِ بشُكرِه، والتَّعدِّي عمَّا حَدَّ اللهُ لكم فيه، كالسَّرَفِ والبطَرِ والمنعِ عن المُستحِقِّ.

قولُه: (بِهِ) أي: بالطُّغيانِ.

قولُه: (يَجِبَ) لكم، ويلزمَكُم عذابِي.

قولُه: (وبِضَمِّهَا) كسائيٌّ، وكذا فيما بعدَهُ[3].

قولُه: (سَقَطَ) أو وقعَ في الهاويةِ، أو: فقد تَرَدَّى وهلَكَ.

قولُه: (وَحَّدَ اللهَ) والأظهَرُ: بما يجِبُ الإيمانُ به.

قولُه: (والنَّفْلِ) قلتُ: النَّفلُ زيادةٌ.

قولُه: (باستِمرَارِهِ) واستقامتِهِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٢).

(٢) في النسخ عدا (ص): «عن».

(٣) أي: (فيحُل) و(يحلُل)، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٠).

٨٣ ـ ٨٤ ـ ﴿وما أعجَلَكَ عَن قَومِكَ﴾ لمجيء مِيعاد أخذ التوراة؟ ﴿يا مُوسَى. قالَ: هُم أُولاءِ﴾ أي: بالقرب منّي يأتون ﴿علَى أَثَرِي، وعَجِلتُ إلَيكَ ـ رَبِّ ـ لِتَرضَى﴾ عنّي أي: زيادةً على رضاك. وقَبلَ الجوابِ أتى بالاعتذار بحسَبِ ظنّه، وتخلّفَ المظنون لِما ٨٥ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿فإنّا قَد فَتَنّا قَومَكَ مِن بَعدِكَ﴾ أي: بعدِ فراقك لهم، ﴿وأضَلَّهُمُ السّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العِجلَ.

٨٦ ـ ﴿فرَجَعَ مُوسَى إلَى قَومِهِ غَضبانَ﴾ من جِهتهم ﴿أسِفًا﴾: شديد الحُزن..................

قولُه: (وقَبلَ الجَوَابِ) حاصِلُ ما ذكرَهُ المفسِّرونَ: أنَّه مَضَى مع السَّبعينَ الَّذينَ اختارَهُم من قومِه إلى الطُّورِ، ثمَّ تقدَّمَ شوقاً إلى كلامِ ربِّه، وطلباً لزيادةِ مرضاتِهِ، والمُفْتَنُونَ هم الَّذين خلَّفَهُم معَ هارونَ. قالَ في «الكشَّافِ»: وليسَ لقولِ من جوَّزَ أن يُرادَ جميعُ قومِهِ وأن يكونَ [قد] فارقَهُم قبلَ الميعادِ وَجهٌ صحيحٌ[1].

قالَ[2] القاضي: ﴿ومَا أَعْجَلَكَ﴾ سؤالٌ عن سببِ العجَلةِ يتضمَّنُ إنكارَها من حيثُ إنَّها نقيصَةٌ في نفسِها انضمَّ إليها إغفالُ القومِ وإيهامُ التَّعظُّمِ عليهم، فلذلكَ أجابَ مُوسى عن الأمرَينِ، وقدَّمَ جوابَ الإنكارِ لأنَّه أهمُّ[3].

قولُه: (فِرَاقِكَ) أي: بعد خُروجِكَ من بينِهِم.

قولُه: (فعَبَدُوا) وكانوا ستَّ مِئةِ ألفٍ ما نجا مِنهُم من عبادَةِ العِجلِ إلَّا اثنا عشرَ ألفاً، والسَّامريُّ منسُوبٌ إلى قبيلةٍ من بني إسرائيلَ يُقالُ لها: السَّامرةُ[4]، وأنَّه ابنُ خالِ مُوسى[5]، وقيلَ: كانَ من أهلِ كَرمانَ[6]، وقيلَ: من قريةٍ اسمُها سامِرةُ، وقيل: كانَ مُنافقاً، واسمُه: مُوسى بنُ ظَفَرٍ[7].

قولُه تعالى: (﴿فَرَجَعَ﴾) بعدَما استوفى الأربَعينَ وأخذَ التَّوراةَ.

قولُه: (مِن جِهَتِهِم) أي: عليهم.

قولُه: (شَدِيدَ الحُزْنِ) بما فَعَلوا.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٨٠). وزاد: يأباه قَولُه: ﴿هم أولاء على أثري﴾. وقوله: «يأباه» جملة مبينة لقوله: «ليس... » كما قال الجاربردي في «الحاشية على الكشاف» (ح٢/ و١٣٠ب)

(٢) قبلها في (ص) و(د): «قولُه: وتخلف المظنون».

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٣٥).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣) عن قتادة.

(٥) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٥٧).

(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٥/ ٥٨٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما

(٧) رواه الطبري في «تفسيره» (٩٢١) عن ابن عباس رضي الله عنه

﴿قالَ: يا قَومِ، أَلَم يَعِدْكُم رَبُّكُم وَعدًا حَسَنًا﴾ أي: صِدقًا أنه يُعطيكم التوراة؟ ﴿أفطالَ علَيكُمُ العَهدُ﴾: مُدّةُ مُفارقتي إياكم؟ ﴿أم أرَدتُم أن يَحِلَّ﴾: يجبَ ﴿علَيكُم غَضَبٌ مِن رَبِّكُم﴾ بعِبادتكم العجلَ، ﴿فأخلَفتُم مَوعِدِي﴾ وتركتم المجيء بعدي. ٨٧ ـ ﴿قالُوا: ما أخلَفْنا مَوعِدَكَ بِمِلكِنا﴾، مُثلّث الميم أي: بقُدرتنا أو أمرنا، ﴿ولكِنّا حَمَلْنا﴾ ـ بفتح الحاء مُخفّفًا وبضمّها وكسر الميم مُشدّدًا ـ ﴿أوزارًا﴾: أثقالاً ﴿مِن زِينةِ القَومِ﴾ أي: حُليّ قوم فِرعون، استعارَها منهم بنو إسرائيل بعِلّة عُرس فبقيتْ عندهم، ﴿فقَذَفْناها﴾: طرحناها في النار بأمر السامريّ. ﴿فكَذلِكَ﴾: كما ألقَينا ﴿ألقَى السّامِرِيُّ﴾ ما معه من حُليّهم ومن التراب الذي أخذه من أثرِ حافرِ فرسِ جِبريلَ، على الوجه الآتي:

٨٨ ـ ﴿فأخرَجَ لَهُم عِجلاً﴾ صاغه من الحُليّ، ﴿جَسَدًا﴾ لحمًا ودمًا ﴿لَهُ خُوارٌ﴾ أي: صوت يُسمع، أي: انقلبَ كذلك بسبب التراب الذي أثرُه الحياةُ فيما يُوضع فيه، ووضعَه بعد صوغه في فمه،

قولُه: (العِجْلَ) الذي هو مثَلٌ في الغَباوَةِ.

قولُه: (وتَرَكْتُم) هذا مبنيٌّ على أصلٍ فاسِدٍ قد تقدَّمَ، فالصَّوابُ أنَّ المعنى: فأخلَفتُم وعدَكُم إيَّايَ بالثَّباتِ على الإيمانِ باللهِ والقيامِ على ما أمرتُكُم به.

قولُه: (مُثلَّث) فنافعٌ وعاصمٌ بالفتحِ، وحمزةُ والكِسائيُّ بالضَّمِّ[1].

قولُه: (أَوْ أَمْرِنَا) أي: بأن ملَكْنا أمرَنا؛ إذ لو خُلِّينا وأمرَنا ولم يسوِّلْ لنا السَّامريُّ لَمَا أخلفْناهُ.

قولُه: (مُخَفَّفاً) حقُّ العبارَةِ: بفتحِ الحاءِ والميمِ مخفَّفاً، وهو قراءَةُ بَصريٍّ وشعبةَ وحمزةَ والكِسائيِّ[2].

قولُه: (أَثقَالاً) وأحمالاً، ولعلَّهم سمَّوها أوزاراً لأنَّها آثامٌ، فإنَّ الغنائمَ لم تكُنْ تحلُّ بعدُ.

قولُه: (بِأَمرِ السَّامِرِيِّ) رُويَ أنَّهم لمَّا حَسَبوا ـ بفتحِ السِّين ـ أنَّ العِدَّةَ قد كملَتْ، قالَ لهم السَّامريُّ: إنَّما أخلَفَ مُوسى ميعادَكُم لِمَا معَكُم من حُليِّ القومِ، وهو حَرامٌ عليكُم، فالرَّأيُ أن نحفِرَ حفيرَةً، ونسجرَ فيها ناراً، ونقذِفَ كلَّ ما مَعَنا فيها، ففَعَلوا[3].

قولُه: (مِنَ الحُلِيِّ) المذابِ.

قولُه: (أي: صَوْتٌ) والخُوارُ: صَوتُ العِجلِ[4].

---

(١) والباقون بكسر الميم. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٣).

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٥) نحوه عن قتادة.

(٤) انظر: «تاج العروس» (١١/ ٢٣١).

﴿فقالُوا﴾ أي: السامريّ وأتباعه: ﴿هذا إلَـهُكُم وإلَـهُ مُوسَى، فنَسِيَ﴾ مُوسَى ربّه هنا، وذهب يطلبه. ٨٩ ـ قال تعالى: ﴿أفلا يَرَونَ أنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف ـ أي: أنّه ﴿لا يَرجِعُ﴾ العِجلُ ﴿إلَيهِم قَولاً﴾ أي: لا يردّ لهم جوابًا، ﴿ولا يَملِكُ لَهُم ضَرًّا﴾ أي: دَفْعَه ﴿ولا نفعًا﴾ أي: جَلْبَه؟ أي: فكيف يُتّخذ إلَـهًا؟

٩٠ ـ ﴿ولَقَد قالَ لَهُم هارُونُ مِن قَبلُ﴾ أي: من قبلِ أن يرجع مُوسَى: ﴿يا قَومِ، إنَّما فُتِنتُم بِهِ، وإنَّ رَبَّكُمُ الرَّحمنُ. فاتَّبِعُونِي﴾ في عِبادته، ﴿وأطِيعُوا أمرِي﴾ فيها. ٩١ ـ ﴿قالُوا: لَن نَبرَحَ﴾: نزالَ ﴿علَيهِ عاكِفِينَ﴾: على عِبادته مُقيمين ﴿حَتَّى يَرجِعَ إلَينا مُوسَى﴾.

٩٢ ـ ﴿قالَ﴾ موسى بعد رُجوعه: ﴿يا هارُونُ، ما مَنَعَكَ، إذ رأيتَهُم ضَلُّوا﴾ بعِبادته، ٩٣ ـ ﴿ألاّ تَتَّبِعَنِيَ﴾؟ لا: زائدة. ﴿أفعَصَيتَ أمرِي﴾ بإقامتك بين مَن يعبد غير اللهِ؟ ٩٤ ـ ﴿قالَ﴾ هارون: ﴿يا ابنَ أُمَّ﴾، بكسر الميم وفتحها. أراد: أُمّي. وذِكرُها أعطفُ لقلبه. ﴿لا تأخُذْ بِلِحْيَتِي﴾، وكان أخذها بشِماله، ﴿ولا بِرأسِيَ﴾..

قولُه: (وأَتبَاعُهُ) يعني: من افتُتِنَ به أوَّلَ ما رآهُ.

قولُه: (رَبَّهُ) الأظهَرُ في التَّقديرِ: نسيَهُ مُوسى.

قولُه تعالى: (﴿أَفَلَا يَرَونَ﴾) أفلا يَعلمونَ.

قولُه: (أي: أَنَّهُ) أي: الشَّأنَ.

قولُه: (أي: رَفْعَهُ) وفي نُسخةٍ: «دفعَهُ»(١) وهو الأَولى لعُمومِ المعنى.

قولُه: (فِيهَا) أو: في الثَّباتِ على الدِّينِ.

قولُه: (لا زَائِدَةٌ) كما في قولِه: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] يعني: في الغَضبِ للهِ والمقاتَلةِ مع مَن كفَرَ به، أو: أن تأتي عَقِبي وتلحَقَني.

قولُه: (بِإقَامَتِكَ) أو بالصَّلابةِ في الدِّينِ والمُحاماةِ عليه.

قولُه: (بِكَسْرِ المِيْمِ) شاميٌّ وشعبةُ وحمزةُ والكِسائيُّ(٢).

قولُه: (أَعْطَفُ) وأرَقُّ، والجمهورُ على أنّهما كانا من أبٍ وأمٍّ.

---

(١) وهكذا هي في نسخ المتن المعتمدة.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٣).

وكان أخذ شعره بيمينه غضبًا. ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ ـ لو اتبعتُك، ولا بُدّ أن يتبعني جمع ممّن لم يعبد العِجل ـ ﴿أَن تَقُولَ: فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وتغضبَ عليَّ. ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ﴾: تنتظر ﴿قَوْلِي﴾ فيما رأيتُه في ذلك.

٩٥ ـ ٩٦ ـ ﴿قَالَ: فَمَا خَطْبُكَ﴾: شأنك الداعي إلى ما صنعتَ؟ ﴿يَا سَامِرِيُّ. قَالَ: بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ ـ بالياء والتاء ـ أي: علمتُ ما لم يعلموه، ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ﴾ تُرابِ ﴿أَثَرِ﴾ حافرِ فرسِ ﴿الرَّسُولِ﴾ جِبريلَ، ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾: ألقيتها في صورة العِجل المصوغ. ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ﴾: زيّنت ﴿لِي نَفْسِي﴾، وأُلقِيَ فيها أن آخذَ قبضة من تُراب ما ذُكر، وأُلقيَها على ما لا روح له، فيصيرَ له روح..

قولُه: (غَضَباً) قبضَ عليهما يجرُّهُ إليه من شدَّةِ غيظِه وفَرطِ غضبِه لله، وكانَ عليه السَّلامُ حديداً خشِناً متصلِّباً في كلِّ شيءٍ، فلم يتمالَكْ حين رآهُم يعبُدونَ العِجلَ.

قولُه: (لَو اتَّبَعْتُكَ) أو: لو قاتَلتُ، أو فارَقتُ بعضَهم ببَعضٍ.

قولُه: (تَنتَظِرْ) الظَّاهرُ: تُراعِ.

وقولُه: (﴿قَوْلِي﴾) أي: حينَ قلتُ: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ []؛ فإنَّ الإصلاحَ كانَ في حفظِ سَوادِ الجماعَةِ والمداراةِ بهم إلى أن ترجِعَ إليهم فتدَّاركَ الأمرَ برأيكَ.

قولُه: (شَأْنُكَ) ثمَّ أقبلَ على السَّامريِّ وقالَ له مُنكراً.

قولُه: (والتَّاءِ) للخطابِ، حمزةُ والكِسائيُّ(١).

قولُه: (أي: علِمْتُ) قالَ الزَّجَّاجُ(٢): بصُرَ: علِمَ، وأبصَرَ: نظَرَ.

قولُه: (أي: جِبْرِيلَ) حين جاءكَ على فرَسِ الحياةِ، قيل: لم يُسَمِّه لأنَّه لم يعرِف أنَّه جبريلُ، أو أرادَ أن يُنبِّهَ على الوقتِ؛ وهو حينَ أُرسِلَ إليه ليذهَبَ به إلى الطُّورِ، قيل: إنَّما عرفَهُ لأنَّ أمَّه ألقَتهُ حين ولدَتْه خوفاً من فرعونَ، وكانَ جبريلُ يغذوهُ حتَّى استقلَّ(٣).

قولُه: (فِي صُورَةِ العِجْلِ) أي: في الحليِّ المُذابِ، أو في جَوفِ العِجلِ حتَّى حيَ.

قولُه: (زَيَّنَتْ) أي: زيَّنَته وحسَّنتهُ إليَّ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٤).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٣٧٤).

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٢/ ٦٤) نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ورأيتُ قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلَـهًا، فحدّثـتْني نفسي أن يكون ذلك العِجل إلَـهَهُم.

٩٧ ـ ﴿قالَ﴾ له مُوسَى: ﴿فاذهَبْ﴾ مِن بيننا. ﴿فإنَّ لَكَ في الحَياةِ﴾ أي: مُدّةِ حياتك ﴿أن تَقُولَ﴾ لمَن رأيته: ﴿لا مِساسَ﴾أي: لا تَقرَبْني ـ فكان يهيم في البرّيّة، وإذا مسّ أحدًا أو مسّه أحدٌ حُمّا جميعًا ـ ﴿وإنَّ لَكَ مَوعِدًا﴾ لعذابك ﴿لَن تُخلِفَهُ﴾، بكسر اللام أي: لن تَغيبَ عنه، وبفتحها أي: بل تُبعَثُ إليه. ﴿وانظرْ إلَى إلَـهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ ـ أصله «ظَلِلْتَ» بلامين أُولاهما مكسورة حُذفت تخفيفًا ـ أي: دُمتَ ﴿عليَهِ عاكِفًا﴾ أي: مُقيمًا تعبده. ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ بالنار، ﴿ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ في اليَمِّ نَسفًا﴾: نُذرِيَنّه في هواء البحر. وفعلَ مُوسَى بعد ذبحه ما ذَكره. ٩٨ ـ ﴿إنَّما إلَـهُكُم اللهُ الَّذِي لا إلَـهَ إلاّ هُوَ، وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمًا﴾: تمييز مُحوّل من الفاعل، أي: وسع علمُه كُلّ شيء.

قولُه: (لَهُم) الصَّوابُ: له[١].

قولُه: (أي: مُدَّةَ حَيَاتِكَ) عُقوبةً على ما فعلْتَ.

قولُه: (أي: لا تَقْرَبْنِي) وفي «الصِّحاحِ»: أي: لا أَمَسُّ ولا أُمَسُّ[٢].

قولُه: (فِي البَرِّيَّةِ) طَريداً وحيداً كالوَحشِ النَّافرِ.

قولُه: (لِعَذَابِكَ)[٣] في الآخرَةِ.

قولُه: (بكَسْرِ اللَّامِ) مكِّيٌّ وبَصريٌّ[٤].

قولُه: (لَنْ تَغِيبَ عَنْهُ) هذا حاصِلُ المعنى، والتَّقديرُ: لن تُخلِفَ الواعِدَ إيَّاهُ؛ أي: الموعدَ، وستَأتيهِ لا محالَةَ، فحذفَ المفعولُ الأوَّلُ لأنَّ المقصودَ هو الموعِدُ، ويجوزُ أن يكونَ مِن أخلفْتُ الموعِدَ: إذا وجدتَهُ خُلفاً.

قولُه: (وبِفَتحِهَا) أي: لن يُخلِفَكَ اللهُ، ويُنجِزُه لك في الآخرَةِ بعدما عاقبكَ في الدُّنيا.

قولُه: (أي: مُقِيماً تَعبُدُه) الأظهَرُ: على عبادتِهِ مُقيماً.

قولُه: (لنُذْرِيَنَّه) رَماداً، فلا يصادَفُ منه شيءٌ، والمقصودُ من ذلك: زيادَةُ عقوبتِهِ وإظهارُ غَباوةِ المفتتِنينَ به لـمَن له أدنى عقلٍ.

قولُه تعالى: (﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ﴾) المستحِقُّ لعبادتِكُم.

---

(١) لم أجد في المتن «لهم» صوابها: «له».

(٢) انظر: «الصحاح» (٣/ ٩٧٨).

(٣) في (د): «بعذابك».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٢).

٩٩ ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك ـ يا مُحمّد ـ هذه القِصّةَ ﴿نَقُصُّ علَيكَ مِن أنباءِ﴾: أخبارِ ﴿ما قَد سَبَقَ﴾ من الأُمم، ﴿وقَد آتيناكَ﴾: أعطيناك ﴿مِن لَدُنّا﴾: من عِندنا ﴿ذِكرًا﴾: قرآنًا، ١٠٠ ـ ﴿مَن أعرَضَ عَنهُ﴾ فلم يُؤمن به ﴿فإنَّهُ يَحمِلُ يَومَ القِيامةِ وِزْرًا﴾: حِملاً ثقيلاً من الإثم، ١٠١ ـ ﴿خالِدِينَ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوِزر، ﴿وساءَ لَهُم يَومَ القِيامةِ حِملاً﴾! تمييزٌ مُفسِّر للضمير في «ساء» ـ والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره: وِزرُهم. واللام: للبيان ـ ويُبدَل من «يومَ القيامة»: ١٠٢ ـ ﴿يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ﴾: القرنِ النفخةَ الثانية، ﴿ونَحشُرُ المُجرِمِينَ﴾: الكافرين ﴿يَومَئِذٍ زُرقًا﴾ عيونُهم، مع سواد وجوههم، ١٠٣ ـ ﴿يَتخافَتُونَ بَينَهُم﴾: يتسارُّون: ﴿إن﴾: ما ﴿لَبِثتُم﴾ في الدنيا ﴿إلاّ عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها. ١٠٤ ـ ﴿نَحنُ أعلَمُ بِما يَقُولُونَ﴾ في ذلك،.........

قولُه: (قُرْآناً) مُشتمِلاً على هذه الأخبارِ، وقيل: ذِكراً جميلاً وصيتاً عَظيماً بين النَّاسِ.

قولُه: (فَلَمْ يُؤمِنْ به) أي: بالقُرآنِ، أو: باللهِ.

قولُه: (مِنَ الإِثْمِ) أو عقُوبَةً ثقيلَةً على كُفرِه.

قولُه: (عَذَابِ الوِزْرِ) أو حملِه، والجمعُ فيه والتَّوحيدُ في ﴿أعرض﴾ للحملِ على المعنَى واللَّفظِ.

قولُه: (فِي ﴿سَاءَ﴾) بمعنى: بئسَ.

قولُه: (لِلْبَيَانِ) فيكونُ متعلِّقاً بمَحذوفٍ كأنَّه سُئِلَ: لِـمَن؟

قولُه تعالى: (﴿فِي الصُّورِ﴾) وأبو عَمرٍو بالنُّونِ[١]، على إسنادِ النَّفخِ إلى الآمرِ به تَعظيماً له، أو للنَّافخِ.

قولُه: (عُيُونُهُم) وُصِفُوا بذلك لأنَّ الزَّرَقَ أسوأُ[٢] ألوانِ العينِ، وأبغَضُها إلى العربِ؛ لأنَّ الرُّومَ كانوا أعدى أعدائِهم، وهم زُرْقُ العيون غالباً.

أو: زُرْقُ البدَنِ، أو الوجهِ، وهو اسودادُهُ.

قولُه: (يَتَسَارُّونَ) أي: يخفِضونَ أصواتَهم لِمَا يملأُ صدورَهُم من الرُّعبِ والهَولِ.

قولُه: (فِي الدُّنيَا) وقيل: في القَبرِ، وقيلَ: بين النَّفختَينِ.

قولُه: (بِأَيَّامِهَا) الأَولى تركُهُ.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: الوقتِ أو المقدارِ، وهو مدَّةُ لبثِهم. قالَ البغويُّ: أي: يتشاوَرونَ فيه[٣].

---

(١) أي: ﴿ننفخ﴾ انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٣).

(٢) في (ص): «أشر».

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٧٤).

أي: ليس كما قالوا، ﴿إذ يَقُولُ أَمثَلُهُم﴾: أعدلُهم ﴿طَرِيقةً﴾ فيه: ﴿إن لَبِثتُم إلاّ يَومًا﴾. يستقلّون لَبثهم في الدنيا جِدًّا لِما يُعاينونه في الآخرة من أهوالها.

١٠٥ ـ ﴿ويَسألُونَكَ عَنِ الجِبالِ﴾: كيف تكون يوم القيامة؟ ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿يَنسِفُها رَبِّي نَسفًا﴾ بأن يُفتّتها كالرمل السائل، ثمّ يُطيّرها بالرياح، ١٠٦ ـ ﴿فيَذَرُها قاعًا﴾: مُنبسطًا ﴿صَفصَفًا﴾: مُستويًا، ١٠٧ ـ ﴿لا تَرَى فِيها عِوَجًا﴾: انخفاضًا ﴿ولا أَمْتًا﴾: ارتفاعًا. ١٠٨ ـ ﴿يَومَئِذٍ﴾ أي: يومَ إذ نُسفَتِ الجبالُ، ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ أي: الناسُ بعد القِيام من القُبور، ﴿الدّاعِيَ﴾ إلى المحشر بصوته ـ وهو إسرافيل، يقول: هلمّوا إلى عرض الرحمن ـ ﴿لا عِوَجَ لَهُ﴾ أي: لِاتّباعهم، أي: لا يقدرون ألاّ يتّبعوا، ﴿وخَشَعَتِ﴾: سَكنَتِ ....

قولُه: (أَيْ: لَيْسَ كَمَا قَالُوا) ليسَ في الكلامِ ما يدلُّ عليه.

قولُه تعالى: (﴿طَرِيقَةً﴾) رأياً.

قولُه: (لِمَا يُعَايِنُوهُ) الصَّوابُ: لِمَا يعاينونَهُ[1]، أو: لزَوالِها، أو: لاستطالتِهم مدَّةَ الآخرةِ، وقيل: نَسوا مِقدارَ لبثِهم لشدَّةِ ما دهمهُم، وفيه ترجيحٌ لقَولِ مَن يكونُ أشدَّ تقالًّا منهُم.

قولُه تعالى: (﴿فَيَذَرُهَا﴾) أي: مقرَّها، أو: الأَرضَ؛ لدلالَةِ الجبالِ عليها.

قولُه: (مُنبَسِطاً) قيلَ: خالياً.

قولُه: (مُسْتَوِياً) كأنَّ أجزاءَها على صفٍّ واحدٍ.

قولُه: (إِذْ نُسِفَت) على إضافَةِ اليومِ إلى وقتِ النَّسفِ.

قولُه تعالى: (﴿الدَّاعِيَ﴾) أي: داعيَ اللهِ.

قولُه: (يَقُولُ) وذلك أنّه يضعُ الصُّورَ في فيهِ، ويقولُ: أيَّتُها العِظامُ الباليَةُ، والجلودُ المتمزِّقةُ، واللُّحومُ المتفرِّقةُ، هلُمُّوا[2].

قولُه: (أَيْ: لاتِّبَاعِهِم) وقالَ البغويُّ[3]: أي: لدُعائِهِ، وهو مقلوبٌ؛ أي: لا عِوجَ لهم عن دُعائِهِ، لا يزيغونَ عنه يميناً وشِمالاً، ولا يقدِرونَ، بل يتَّبعونَهُ سِراعاً. وتكلَّفَ القاضي بقولِه: لا يَعوَجُّ له مدعوٌّ، ولا يعدِلُ عنه[4].

قولُه: (سَكَنَتْ) وذلَّتْ وخضعَتْ، أو خُفِضَتْ لمهابتِهِ.

---

(١) وهكذا وقعت على الصواب في نسخ المتن.

(٢) روى الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٨٢) نحوه عن قتادة عن كعب الأحبار.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٧٥).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٣٩).

﴿الأصواتُ لِلرَّحمنِ، فلا تَسمَعُ إلاّ هَمسًا﴾: صوتَ وطءِ الأقدام في نقلها إلى المحشر، كصوت أخفاف الإبل في مشيها.

١٠٩ ـ ﴿يَومَئِذٍ لا تَنفَعُ الشَّفاعةُ﴾ أحدًا ﴿إلاّ مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمنُ﴾ أن يُشفع له، ﴿ورَضِيَ لَهُ قَولاً﴾، بأن يقول: لا إلَـهَ إلاّ اللهُ، ١١٠ ـ ﴿يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم﴾ من أمور الآخرة، ﴿وما خَلفَهُم﴾ من أُمور الدنيا، ﴿ولا يُحِيطُونَ بِهِ عِلمًا﴾: لا يعلمون ذلك، ١١١ ـ ﴿وعَنَتِ الوُجُوهُ﴾: خضعتْ ﴿لِلحَيِّ القَيُّومِ﴾ أي: الله، ﴿وقَد خابَ﴾: خسر ﴿مَن حَمَلَ ظُلمًا﴾ أي: شِركًا، ١١٢ ـ ﴿ومَن يَعمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ﴾: الطاعات، ﴿وهُوَ مُؤمِنٌ، فلا يَخافُ ظُلمًا﴾ بزيادة في سيِّئاته، ﴿ولا هَضمًا﴾ بنقص من حسناته.

١١٣ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ معطوفٌ على «كَذلِكَ نَقُصّ»،.................................

قولُه: (كَصَوتِ) أي: صوتاً خفيًّا كصَوتِ، وهو تلفيقٌ؛ لأنَّه قَولٌ ثانٍ.

قولُه: (أَحَداً) فالاستِثناءُ من أعمِّ المفاعِيلِ.

وقولُه: (أَن يَشفَعَ) بتَقديرِ: في؛ يعني: فإنَّ الشَّفاعَةَ تنفعُه.

قولُه: (بأَن يَقُولَ) هو قولُ ابنِ عبَّاسٍ[1]، وهو يدلُّ على أنَّه لا يشفعُ لغيرِ المؤمنِ.

قولُه: (مِن أمُورِ الآخِرَةِ) أي: ما تقدَّمَهم من الأحوالِ.

قولُه: (مِن أمُورِ الدُّنيا) أي: ما بعدَهم ممَّا يستقبلونَهُ.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: ما ذُكرَ من الموصُولينِ، فإنَّهم لم يعلَمُوا جميعَ ذلك، ولا تفصيلَ ما عَلِمُوا منه، ولا يُحيطُ علمُهُم بمَعلوماتِهِ أو بذاتِهِ.

قولُه: (خضَعَتْ) خُضوعَ العُناة، جمعُ: العَاني؛ أي: الأسيرِ في يدِ الملكِ القَهَّارِ.

قولُه: (الطَّاعَاتِ) أي: بَعضِها.

وقولُه تعالى: (﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾) إذِ الإيمانُ شرطٌ في صحَّةِ الطَّاعاتِ وقَبولِ الخيراتِ[2].

قولُه: (بزِيَادَةٍ) والمكِّيُّ بالنَّهيِ[3].

---

(١) ذكره الواحدي في «الوسيط» (٣/ ٢٢٢)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٧٥).

وروى الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٢) عن ابن عباس، في قول الله عز وجل: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ [الأنبياء: ٢٨] يقول: الذين ارتضاهم بشهادة أن لا إله إلا الله.

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٧١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٤).

أي: مثلَ إنزال ما ذُكر ﴿أنزَلْناهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا، وصَرَّفْنا﴾: كرّرنا ﴿فِيهِ مِنَ الوَعِيدِ، لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ الشِّركَ، ﴿أو يُحدِثُ لَهُم﴾ القُرآنُ ﴿ذِكرًا﴾ بهلاكِ مَن تقدّمهم من الأُمم فيعتبرون.

١١٤ ـ ﴿فتَعالَى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ﴾ عمّا يقول المُشركون! ﴿ولا تعجَلْ بِالقُرآنِ﴾ أي: بقراءته ﴿مِن قَبلِ أن يُقضَى إلَيكَ وَحيُهُ﴾ أي: يَفرغَ جبريل من إبلاغه، ﴿وقُل: رَبِّ، زِدْنِي عِلمًا﴾ أي: بالقُرآن. فكُلّما نزل عليه شيء منه زاد به علمه. ١١٥ ـ ﴿ولَقَد عَهِدْنا إلَى آدَمَ﴾: وصّيناه ألاّ يأكل من الشجرة ﴿مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ أكله منها، ﴿فنَسِيَ﴾: ترك عهدنا، ﴿ولَم نَجِدْ لَهُ عَزمًا﴾ حزمًا وصبرًا عمّا نهيناه عنه.

١١٦ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قُلْنا لِلمَلائكةِ: اسجُدُوا لِآدَمَ. فَسَجَدُوا إلاّ إبلِيسَ﴾ ـ وهو أبو الجِنّ، كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم ـ ﴿أبَى﴾ عن السجود لآدمَ، «قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ»، ١١٧ ـ ﴿فقُلْنا: يا آدَمُ، إنَّ هذا عَدُوٌّ لَكَ ولِزَوجِكَ﴾: حوّاءَ بالمدّ. ﴿فلا يُخرِجَنَّكُما مِنَ الجَنّةِ، فتَشقَى﴾: تتعبَ بالحرث والزرع والحصد والطحن والخبز وغير ذلك. واقتُصر على شقاه لأنّ الرجل يسعى على زوجته. ١١٨ ـ ١١٩ ـ ﴿إنَّ لَكَ ألاّ تَجُوعَ فِيها ولا تَعرَى، وأنَّكَ﴾ ـ بفتحِ الهمزة وكسرِها، عطفٌ على اسمِ «إنّ»

قولُه: (مَا ذُكِرَ) من الآياتِ المتضمِّنةِ للوَعيدِ.

قولُه: (أي: القُرآنَ) كلَّه على هذهِ الوتيرةِ.

قولُه تعَالى: (﴿مِنَ الوَعِيدِ﴾) أي: آياتِهِ.

قولُه: (بهلَاكِ) أو عِظةً، واعتِباراً به.

قولُه: (حَزْماً) وقيل: عزماً على الذَّنبِ؛ لأنَّه أخطأ ولم يتعمَّد.

قولُه: (عَنِ السُّجُودِ) أي: امتَنعَ عنه، والظَّاهرُ: أبى السُّجودَ، على حذفِ المفعولِ، والأظهرُ أنَّ مَعناهُ: أظهَرَ الإباءَ عن المطاوَعَةِ.

قولُه: (لِأنَّ الرَّجُلَ) يؤيِّدُه ما بعدَهُ، أو للفاصِلةِ، أو لاستِلزامِ شقائِهِ شَقاءَها، لا يقالُ: الصِّيغةُ مُشترَكةٌ بين المخاطَبِ والغائبَةِ[1] فيعمُّهُما؛ لأنَّه لا عُمومَ للمُشترَكِ عندنا.

قولُه: (وكَسْرِهَا) نافعٌ وشعبةُ[2].

---

(١) في (ص): «بين المخاطبة الغائبة».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٤).

وجملتِها ـ ﴿لا تَظمَأُ فِيها﴾: تعطشُ ﴿ولا تَضحَى﴾: لا يحصُلُ لك حرٌّ شمس الضُّحى لانتفاء الشمس في الجنّة.

١٢٠ ـ ﴿فوَسوَسَ إلَيهِ الشَّيطانُ، قالَ: يا آدَمُ، هَل أدُلُّكَ علَى شَجَرةِ الخُلدِ﴾ أي: التي يَخلد من يأكل منها، ﴿ومُلْكٍ لا يَبلَى﴾: لا يفنى. وهو لازمُ الخلود؟ ١٢١ ـ ﴿فأكَلا﴾ أي: آدمُ وحواءُ ﴿مِنها، فبَدَتْ لَهُما سَوءاتُهُما﴾ أي: ظهر لكُلّ منهما قُبُلُه وقُبُلُ الآخَرِ ودُبُره ـ وسُمِّيَ كُلٌّ منهما سَوءةً لأنّ انكشافه يسوء صاحبه ـ ﴿وطَفِقا يَخصِفانِ﴾: أخذا يُلزِقان ﴿علَيهِما مِن وَرَقِ الجَنّةِ﴾ ليستترا به، ﴿وعَصَى آدمُ رَبَّهُ فغَوَى﴾ بالأكل من الشجرة.

١٢٢ ـ ﴿ثُمَّ اجتَباهُ رَبُّهُ﴾: قرّبه، ﴿فتابَ علَيهِ﴾: قَبِلَ توبتَه، ﴿وهَدَى﴾ أي: هداه إلى المُداومة....

قولُه: (وجُمْلَتِهَا) فيوقَفُ على ﴿ولَا تَعْرَى﴾[1].

قولُه تعالى: (﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيطَانُ﴾) أي: أنهى وأوصَلَ إليه وسوستَهُ، على التَّضمِينِ.

قولُه: (الَّتِي يُخَلَّدُ) فأُضيفَ إلى السَّببِ بزعمِهِ.

قولُه: (لا يَفْنَى) أو: لا يَزولُ ولا يضعُفُ.

قولُه: (وهُوَ لازِمُ) غيرُ لازمٍ عند الملازمِ على التَّأمُّلِ، بل هو تذييلٌ وتكميلٌ.

قولُه: (بِهِ) وهو وَرقُ التِّينِ[2].

قولُه: (بالأَكْلِ) متعلّقٌ بقولِه: ﴿وَعَصَى﴾ وكان حقُّه التَّقدُّمَ.

و(غَوَى) معناهُ: ضَلَّ عن المطلوبِ وخابَ حيثُ طلبَ الخُلدَ بأكلِ الشَّجرةِ، أو: عن المأمورِ به المنهيِّ عنه، أو: عن الرُّشدِ حيثُ اغترَّ بقولِ العدوِّ، وفي النِّداءِ عليه بالعِصيانِ مع صِغَرِ زلَّتِه تعظيمٌ للزَّلَّةِ وزجرٌ بليغٌ لأولادِهِ عنها.

قولُه: (قَرَّبَهُ) أي: اصطَفاهُ، وقرَّبَهُ بالحملِ على التَّوبةِ والتَّوفيقِ له.

قولُه: (المُدَاوَمَةِ) الأظهرُ: الثَّباتِ، ومن دُعاءِ السَّيدِ الشَّاذليِّ: اللَّهمَّ اجعَلْ سيِّئاتي سيِّئاتِ مَن أحبَبْتَ، ولا تجعَلْ حسناتِي حسناتِ مَن أبغضتَ.

---

(١) انظر: «منار الهدى في بيان الوقف والابتدا» (٢/ ٢٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤٤٠٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨٣٠٢)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٢١٤٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٤٥) وصححهن عن ابن عباس رضي الله عنهما.

على التوبة. ١٢٣ ـ ﴿قالَ: اهبِطا﴾ ـ أي آدمُ وحوّاء ـ بما اشتملتما عليه من ذُرّيّتكما، ﴿مِنها﴾: من الجنّة ﴿جَميعًا، بَعضُكُم﴾: بعضُ الذرّيّة ﴿لِبعضٍ عَدُوٌّ﴾ مِن ظُلم بعضهم بعضًا. ﴿فإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة ـ ﴿يأتِيَنَّكُم مِنّي هُدًى فمَنِ اتَّبَعَ هُدايَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿فلا يَضِلُّ﴾ في الدنيا، ﴿ولا يَشقَى﴾ في الآخرة، ١٢٤ ـ ﴿ومَن أعرَضَ عَن ذِكرِي﴾ أي: القُرآنِ، فلم يُؤمن به، ﴿فإنَّ لَهُ مَعِيشةً ضَنْكًا﴾، بالتنوين مصدرٌ بمعنى: ضَيّقة ـ وفُسّرت في حديث بعذاب الكافر في قبره ـ ﴿ونَحشُرُهُ﴾ أي: المُعرِضَ عن القُرآن ﴿يَومَ القِيامةِ أعمَى﴾ أي: أعمى البصر.

قيل: قال إبليسُ: يا ربِّ، لِمَ لَمْ تقبَلْ توبَتي وقبلْتَ توبةَ آدمَ؟ فقالَ له: توبتُكَ أن تسجُدَ إلى قبرِ آدمَ، فقالَ: أبيتُ أنْ أسجدَ له حيًّا فكيفَ أسجدُ له ميتاً[١].

قولُه: (أيْ آدَمُ) «أي» نداثيَّةٌ، أو تفسيريةٌ، والأوَّلُ أظهرُ؛ لقولِه: (بِمَا اشتَمَلتُمَا).

قولُه: (مِن ذُرِّيَّتِكُما) فيُطابِقُ قولَه تعالى: ﴿اهْبِطُوا﴾ [البقرة: ٣٦]، ويوافِقُ قولَهُ: ﴿بَعْضُكُم﴾.

قولُه: (أي: القُرآنَ) يعني: الهُدى الذَّاكرَ لي، والدَّاعيَ إلى عبادَتي.

قولُه: (بالتَّنْوِينِ) ـ وقُرِئَ: (ضَنكَى) كسَكْرَى[٢] ـ (مصدَرٌ) وُصِفَ به، ولذلك يَستوي فيه المذكَّرُ والمؤنَّثُ.

قولُه: (بحَدِيثٍ)[٣] مَرفوعٍ صحَّحَهُ الحاكمُ ورواهُ غيرُه[٤]، وجمهورُ السَّلفِ على هذا، فتعبيرُ البيضاويِّ بـ«قيلَ»[٥] ضعيفٌ، بل غيرُ صحيحٍ.

وقيلَ: لأنَّ مجامِعَ همِّهِ ومطامِحَ نظرِهِ يكونُ إلى أعراضِ الدُّنيا مُتهالِكاً على ازديادِها، خائفاً على انتِقاصِها، بخلافِ المؤمنِ الطَّالبِ للآخِرةِ.

قولُه: (البَصَرِ) أو القَلبِ، ويُؤيِّدُ الأوَّلَ ما بعدَهُ.

---

(١) روى ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٤٤) نحوه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وروى ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (١/ ١٢٥)، وابن الجوزي في «المنتظم» (١/ ٢٤١) نحوه عن أنس رضي الله عنه.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٩٣) ونسبت للحسن.

(٣) كذا في النسخ، والذي في المتن: «في حديث» وهو الصواب.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤٣٩) وصححه، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٥٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٤١).

١٢٥ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، لِمَ حَشَرتَنِيَ أعمَى، وقَد كُنتُ بَصِيرًا﴾ في الدنيا وعِند البعث؟ ﴿قالَ﴾: ١٢٦ ـ الأمرُ ﴿كَذلِكَ، أتَتْكَ آياتُنا فنَسِيتَها﴾: تركتها ولم تُؤمن بها، ﴿وكَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ نِسيانك آياتِنا ﴿اليَومَ تُنسَى﴾: تُتركُ في النار.

١٢٧ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: ومِثلَ جزائنا مَن أعرض عن القُرآن ﴿نَجزِي مَن أسرَفَ﴾: أشرك، ﴿ولَم يُؤمِنْ بِآياتِ رَبِّهِ. ولَعَذابُ الآخِرةِ أشَدُّ﴾ من عذابِ الدنيا وعذابِ القبر ﴿وأبقَى﴾: أدوَمُ.

١٢٨ ـ ﴿أفلَم يَهدِ﴾: يَتبيّنْ ﴿لَهُم﴾: لكُفّار مكّة ﴿كَم﴾: خبريّةٌ مفعول ﴿أهلَكْنا﴾ أي: كثيرًا، إهلاكُنا ﴿قَبلَهُم مِنَ القُرُونِ﴾ أي: الأُمم الماضية بتكذيب الرسل، ﴿يَمشُونَ﴾: حالٌ من ضمير «لهم» ﴿في مَساكِنِهِم﴾ في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا؟! وما ذُكر، من أخذ «إهلاك» مِن فعله الخالي عن حرف مصدريّ لرعاية المعنى، لا مانع منه.

﴿إنَّ في ذلِكَ لآياتٍ﴾: لَعِبَرًا ﴿لِأُولِي النُّهَى﴾: لِذوي العُقول. ١٢٩ ـ ﴿ولَولا كَلِمةٌ، سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ﴾

قولُه: (الأَمرُ) أو: مثلُ ذلك فعلْتَ، ثمَّ فسَّرَه فقالَ: ﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا﴾ واضحةً نيِّرةً.

قولُه: (تَرَكْتَهَا) غيرَ مَنظورٍ إليها، وعمِيْتَ عنها.

قولُه: (مِثْلَ نِسْيَانِكَ) أو تَركِكَ.

قولُه: (فِي النَّارِ) أو: في العَذابِ والعَمَى تَرْكَ المنسيِّ.

قولُه: (أَشْرَكَ) أو: بالانهماكِ في الشَّهواتِ، والإعراضِ عن الآياتِ، وتَركِ الطَّاعاتِ.

قولُه: (يَتَبَيَّنْ) مِن هدَى بمعنى: اهتَدى، ولذا عُدِّي باللَّامِ، أو معناهُ: يُبيِّنْ، فهو مُسنَدٌ إلى اللهِ أو الرَّسولِ؛ أي: بكثرَةِ إهلاكِنا، أو ما دلَّ عليه ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾؛ أي: كثرةُ إهلاكِنا.

قولُه: (وغَيرِهَا) ويشاهِدونَ آثارَ هلاكِهم[1].

قولُه: (فَيَعْتَبِرُوا) جَوابُ الاستِفهامِ[2].

قولُه: (إِهلاكِ) والتَّقديرُ: أفلَم يتبيَّن إهلاكُنا كثيراً قبلَهُم.

قولُه: (مِنهُ) وفي نُسخةٍ: «فيه».

قولُه: (لِذَوِي العُقُولِ) النَّاهيةِ عن التَّغافُلِ والتَّعامي.

---

(١) في (ص): «إهلاكهم».

(٢) في (ص): «للاستفهام».

بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة، ﴿لَكانَ﴾ الإهلاك ﴿لِزامًا﴾: لازمًا لهم في الدنيا، ﴿وأجَلٌ مُسَمًّى﴾: مضروبٌ لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كان»، وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد.

١٣٠ ـ ﴿فاصبِرْ علَى ما يَقُولُونَ﴾ ـ منسوخ بآية القتال ـ ﴿وسَبِّحْ﴾: صلِّ ﴿بِحَمدِ رَبِّكَ﴾: حالٌ، أي: ملتبسًا به، ﴿قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ﴾ صلاةَ الصُّبح ﴿وقَبلَ غُرُوبِها﴾ صلاةَ العصر، ١٣١ ـ ﴿ومِن آناءِ اللَّيلِ﴾: ساعاته ﴿فسَبِّحْ﴾ صلِّ المغربَ والعِشاءَ، ﴿وأطرافَ النَّهارِ﴾: عطفٌ على محلّ «من آناء» المنصوب، أي: صلِّ الظُّهرَ لأنّ وقتها يدخل بزوال الشمس، فهو طرَفُ النصف الأوّل وطرَفُ النصف الثاني، ﴿لَعَلَّكَ تَرضَى﴾ بما تُعطَى من الثواب، ١٣٢ ـ ﴿ ولا تَمُدَّنَّ عَينَيكَ إلَى ما مَتَّعْنا بِهِ أزواجًا﴾: أصنافًا ﴿مِنهُم زَهْرةَ الحَياةِ الدُّنيا﴾: زِينَتَها وبهجتها، ﴿لِنَفتِنَهُم فِيهِ﴾ بأن يطغَوا ـ..................

قولُه: (بِتَأخِيرِ)[1] أي: العِدَةُ بتأخيرِ العَذابِ عن آيةِ الدَّعوةِ، أو: الكلمةُ المكتوبَةُ في اللَّوحِ بإيمانِ بعضِهم، أو أولادِ بعضِهم.

قولُه: (لَهُم) أي: لهؤلاءِ الكفَرةِ، و﴿لِزَامًا﴾ مصدرٌ وُصِفَ به؛ لأنَّ الخبرَ صفةُ المسنَدِ إليه.

قولُه: (فِي ﴿كَانَ﴾) أي: لكانَ الأخذُ العاجِلُ وأجلٌ مُسمًّى لازِمَينِ لهُم، أو عطفٌ على ﴿كَلِمَةٌ﴾؛ أي: ولولا العِدَةُ بتأخيرِ العذابِ وأجلٌ مُسمًّى لأعمارِهم ـ وهو يومُ القيامةِ أو [يوم] بدرٍ ـ لكانَ العَذابُ لِزاماً، والفَصلُ للفاصِلةِ، أو للدِّلالةِ على استقلالِ كلٍّ منهُما بنَفيِ لُزومِ العذابِ.

قولُه: (مَنسُوخٌ) إن كان مُؤذِناً بعدمِ المقاتَلةِ.

قولُه: (حَالٌ) أي: وأنت حامدٌ لربِّكَ على هدايتِهِ وتوفيقِهِ.

قولُه: (صَلاةَ العَصْرِ) وحدَها، أو مع الظُّهرِ؛ لأنَّهما آخرُ النَّهارِ.

قولُه: (أي: صَلِّ الظُّهرَ) أو التَّطوُّعَ في أجزاءِ النَّهارِ.

قولُه: (النِّصْفِ الثَّانِي) وجمعُهُ باعتِبارِ النِّصفينِ، أو لأنَّ النَّهارَ جِنسٌ.

قولُه: (بِمَا تُعطَى) ما به ترضَى نفسُك، وقرأ الكِسائيُّ وشُعبةُ بالضَّمِّ[2]؛ أي: يُرضيكَ.

قولُه: (﴿عَيْنَيكَ﴾) أي: نظرَ عينَيكَ استِحساناً؛ لأنَّ مَن عَلِمَ أنَّ المولى ذخيرتُهُ لم تلتفِت لِسواهُ بصيرتُهُ.

قولُه: (زِينَتَهَا) مفعولُ ما دلَّ عليه ﴿مَتَّعْنَا﴾؛ أي: جَعَلنا لهم، أو آتيناهُم.

قولُه: (بِأَن يَطغَوا) أي: نوقعَهُم في الفِتنَةِ، أو: لنَبلوَهُم ونختبرَهُم، أو: لنعذِّبَهُم في الآخرةِ بسببِهِ.

---

(١) في (ص): «بتأخيرها».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٤).

﴿ورِزقُ رَبِّكَ﴾ في الجنّة ﴿خَيرٌ﴾ ممّا أُوتوه في الدنيا ﴿وأبقَى﴾: أدوَمُ ـ ١٣٣ ـ ﴿وَاؤْمُرْ أهلَكَ بِالصَّلاةِ، واصطَبِرْ﴾: اصبر ﴿علَيها. لا نَسألُكَ﴾: نُكلّفك ﴿رِزقًا﴾ لنفسك ولا لغيرك. ﴿نَحنُ نَرزُقُكَ، والعاقِبةُ﴾: الجنّة ﴿لِلتَّقوَى﴾: لِأهلها.

﴿وقالُوا﴾ أي: المشركون: ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿يأتِينا﴾ مُحمّد ﴿بِآيَةٍ مِن رَبِّهِ﴾ ممّا يقترحونه. ﴿أوَلَم تأتِهِم﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿بَيِّنَةُ﴾: بيانُ ﴿ما في الصُّحُفِ الأُولَى﴾ المُشتمِلُ عليه القُرآنُ من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل؟

١٣٤ ـ ﴿ولَو أنّا أهلَكْناهُم بِعَذابٍ مِن قَبلِهِ﴾: قبلِ مُحمّد الرسول ﴿لَقالُوا﴾ يومَ القِيامة:.........

قولُه: (فِي الجَنَّةِ) أي: ما رزقَكَ من الهُدى والنُّبوَّةِ، وقيل: هو القَناعَةُ بما يملكُهُ والزُّهدُ عمَّا لا يملكُهُ، قالَ سهلٌ: أفضلُ رِزقِ العبدِ سكونُهُ إلى رازقِه[١].

قولُه: (وَأَدوَمُ) فإنَّه لا ينقطِعُ.

قولُه تعالى: (﴿أَهْلَكَ﴾) أمرَهُ بأن يأمُرَ أهلَ بيتِه أو التَّابعينَ له من أُمَّتِه بالصَّلاةِ، ولا يهتَمُّوا بأمرِ المعيشَةِ.

قولُه تعالى: (﴿وَاصْطَبِرْ﴾) أي: دَاوِمْ.

قولُه: (لا لِغَيرِكَ) الأظهرُ: لا لأهلِكَ، نحن نرزقُكَ وإيَّاهُم، ففرِّغْ بالَكَ لأمرِ الآخِرةِ.

قولُه: (الجَنَّةُ) أي: العاقِبةُ المحمودَةُ، رُوِيَ: أنَّه ﷺ إذا أصابَ أهله ضُرٌّ أمرَهُم بالصَّلاةِ، وتلا هذهِ الآيَةَ، رواهُ الطَّبرانيُّ والبيهقيُّ وغيرُهما[٢].

قولُه: (ممَّا يَقْتَرِحُونَه) إنكارًا لما جاءَ به من الآياتِ، أو للاعتدادِ به تعنُّتاً وعِناداً، فألزمَهُم بإتيانِهِ بالقرآنِ الَّذي هو أُمُّ المعجزاتِ وأعظَمُها وأتقَنُها.

قولُه: (بالتَّاءِ) التَّأنيث نافعٌ وبصريٌّ وحفصٌ[٣].

قولُه: (أي: قَبْلِ مُحَمَّدٍ الرَّسُوْلِ) الظَّاهرُ: أو الرَّسولِ، أو صحَّفَ «مجيءِ الرَّسولِ».

قولُه: (فِي القِيَامَةِ) أو بالقَتلِ والسَّبيِ في الدُّنيا.

---

(١) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٢١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٩١١) من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٧): رجاله ثقات.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٥).

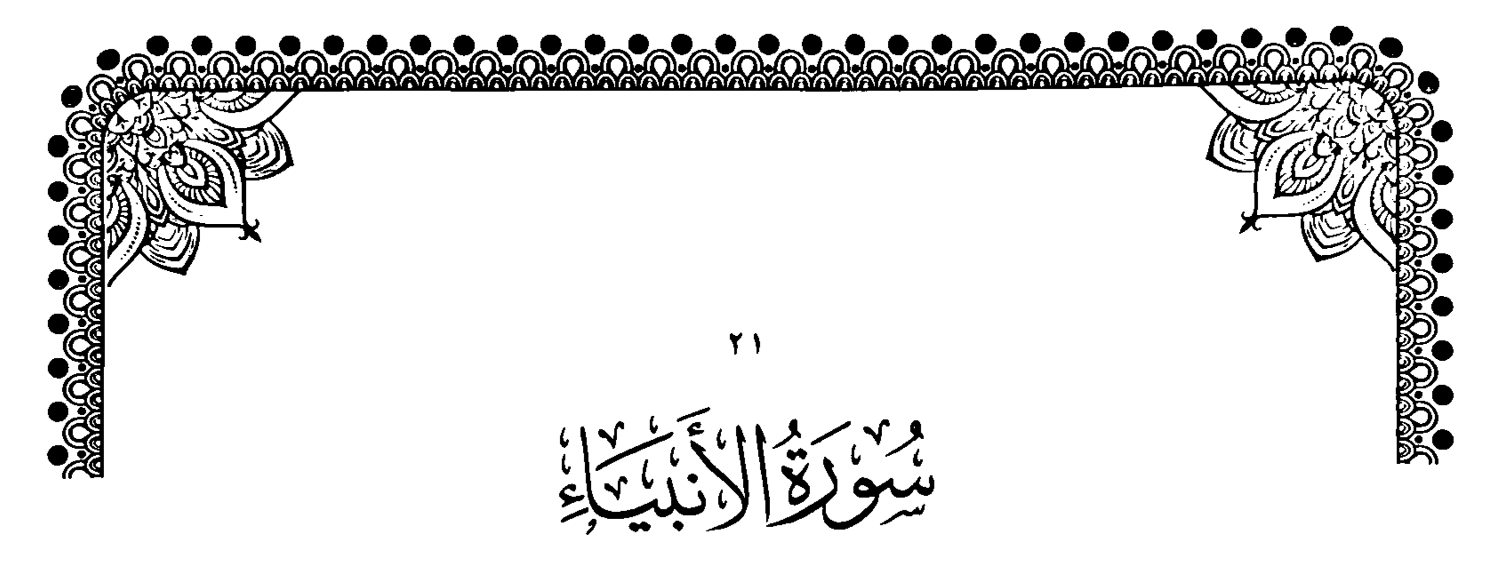
﴿رَبَّنا، لَولا﴾: هلاّ ﴿أرسَلْتَ إلَينا رَسُولاً، فنتَّبِعَ آياتِكَ﴾ المُرسلَ بها ﴿مِن قَبلِ أن نَذِلَّ﴾ في القِيامة، ﴿ونَخزَى﴾ في جهنّم. ١٣٥ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿كُلٌّ﴾ منّا ومنكم ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾: مُنتظرٌ ما يؤول إليه الأمر. ﴿فتَرَبَّصُوا. فسَتَعلَمُونَ﴾ في القِيامة: ﴿مَن أصحابُ الصِّراطِ﴾: الطريق ﴿السَّوِيِّ﴾: المُستقيم، ﴿ومَنِ اهتَدَى﴾ من الضلالة؟ أنحن أم أنتم؟

قولُه: (فِي جَهَنَّمَ) أو بدُخولِها.

قولُه: (مِنَّا) أي: كلُّ واحدٍ.

قولُه: (الأَمْرُ) أمرُنا وأمرُكُم، واللهُ أعلمُ.

* * *



٢١

سورة الأنبياء

مكية، وهي مِائةٌ وإحدى أو اثنتا عشرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿اقترَبَ﴾: قرُبَ ﴿لِلنّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة مُنكري البعث ﴿حِسابُهُم﴾: يومُ القيامة، ﴿وهُم في غَفْلَةٍ﴾ عنه، ﴿مُعرِضُونَ﴾ عن التأهّب له بالإيمان، ٢ ـ ﴿ما يأتِيهِم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهِم، مُحدَثٍ﴾: شيئًا فشيئًا، أي: لفظِ قرآنٍ ﴿إلاّ استَمَعُوهُ، وهُم يَلعَبُونَ﴾:

سورة الأنبياء

قولُه: (قَرُبَ) بالإضافَةِ إلى ما مَضى، أو: عندَ اللهِ، أو: لأنَّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ، وإنَّما البَعيدُ ما انقرَضَ ومَضى.

قولُه: (أَهْلِ مَكَّةَ) الأَولى التَّعميمُ، وإنَّما خصَّ النَّاسَ بالكُفَّارِ لتقييدِهِم بما بعدَهُ.

قولُه: (عَنْهُ) أي: الحسابِ.

قولُه: (عَنِ التَّأَهُّبِ) أو التَّفكُّرِ فيه.

قولُه تعالى: (﴿مِنْ ذِكْرٍ﴾) ينبِّهُهم عن سِنةِ الغفْلةِ والجهَالةِ، و﴿مِنْ﴾ زائدةٌ، والثَّانيةُ صِلةٌ لـ﴿يَأْتِيهِمْ﴾، أو صِفةٌ لـ﴿ذِكْرٍ﴾.

قولُه: (شَيْئًا) أي: تنزيلُهُ؛ ليُكرَّرَ على سماعِهِم التَّنبيهَ كي يتَّعِظوا.

وقولُه: (لَفظ قُرآنٍ) إشارةٌ إلى أنَّ كلامَ اللهِ تعالى القدسيَّ قديمٌ، وأمَّا تلفُّظُه بألسنَتِنا وحفظُه بقُلوبِنا وكتابتُهُ بأيدينا فمُحدَثةٌ مخلوقَةٌ، وقالَ كثيرٌ من أهلِ التَّفسيرِ: المرادُ بالمُحدَثِ إنَّما هو التَّذكيرُ والمواعظُ الواردَةُ على لسانِ الرَّسولِ ﷺ الخارجةُ عن القرآنِ[1].

---

(١) وانظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٢٨٢).

يستهزئون، ٣ ـ ﴿لاهِيَةً﴾: غافلةً ﴿قُلُوبُهُم﴾عن معناه، ﴿وأسَرُّوا النَّجوَى﴾ أي: الكلامَ، ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: بدلٌ من واو «أسرّوا النجوى»: ﴿هَل هذا﴾ أي: مُحمّد ﴿إلاّ بَشَرٌ مِثلُكُم﴾؟ يأتي به سِحرٌ. ﴿أفتأتُونَ السِّحرَ﴾: تتّبعونه، ﴿وأنتُم تُبصِرُونَ﴾: تعلمون أنه سِحر؟ ٤ ـ ﴿قُـلْ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعلَمُ القَولَ﴾ كائنًا ﴿في السَّماءِ والأرضِ، وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لِما أسرّوه ﴿العَلِيمُ﴾ به.

٥ ـ ﴿بَل﴾: للانتقال من غرض إلى آخَر في المواضع الثلاثة ﴿قالُوا﴾ فيما أتى به من القرآن: هو ﴿أضغاثُ أحلامٍ﴾: أخلاطٌ، رآها في النوم،...

قولُه: (يَسْتَهزِئُونَ) لتَناهِي غفلتِهِم.

قولُه: (أي: الكَلامَ) أي: بالغوا في إخفائِها، وإنَّما أسرُّوا به تشاوُراً في استِنباطِ ما يَهدمُ أمرَهُ ويُظهرُ فسادَهُ للنَّاسِ عامَّةً.

قولُه: (بدَلٌ) للإيماءِ بأنَّهم ظالمونَ فيما أسرُّوا به، أو منصوبٌ أو مرفوعٌ على الذَّمِّ.

قولُه: (﴿هَلْ هَذَا﴾) إلى هنا[1] في موضعِ النَّصبِ بدلاً من ﴿النَّجْوَى﴾ أي: هذا الكلامُ، أو مفعولاً لقولٍ[2] مقدَّرٍ، وهو الأظهَرُ.

قولُه: (فَمَا يَأتِي بِهِ سِحْرٌ) كأنَّهُم استدلُّوا بكونِه بشراً على كذبِهِ في ادِّعاءِ الرِّسالةِ؛ لاعتقادِهِم أنَّ الرَّسولَ لا يكونُ إلَّا مَلَكاً، واستلزَموا منه أنَّ ما جاءَ به من الخوارقِ كالقرآنِ سحرٌ، فأنكروا حضورَهُ.

قولُه: (لَهُمْ) وحفصٌ وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿قَالَ﴾[3] بالإخبارِ عن الرَّسولِ.

قولُه: (كَائِناً) جهراً كانَ أو سرًّا فضلاً عمَّا أسرُّوا به.

قولُه: (لِمَا أَسَرُّوْهُ) فضلاً عمَّا أعلنوهُ.

قولُه: (للانْتِقَالِ) ففيهِ قلبٌ تقديرُهُ: قالوا: بل.

قولُه: (مِنْ غَرَضٍ) هو قولُهُم: سحرٌ، إلى أنَّه تخاليطُ الأحلامِ، إلى أنَّه كلامٌ افتراهُ، إلى أنَّه قولُ شاعرٍ.

قولُه: (أخَلاطٌ) حقُّه التَّقدُّمُ على ﴿أَحْلَامٍ﴾ ليَكونَ تفسيرًا لـ﴿أَضْغَاثُ﴾.

---

(١) أي: إلى قوله: ﴿وأنتم تبصرون﴾ كما في «الكشاف» و«أنوار التنزيل».

(٢) في النسخ عدا (ص): «لفعل»، والمثبت منها وهو الموافق لما عند الزمخشري والبيضاوي والكلام منه، ولفظ الزمخشري: ويجوز أن يتعلّق بـ«قالُوا» مُضمَراً.

(٣) والبقية قرأ: (قل ربي). انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٥).

﴿بَلِ افتَراهُ﴾: اختلقه، ﴿بَل هُوَ شاعِرٌ﴾ فما أتى به شِعر. ﴿فلْيأتِنا بِآيةٍ كَما أُرسِلَ الأوَّلُونَ﴾ كالناقة والعصا واليد.

٦ ـ قال تعالى: ﴿ما آمَنَتْ قَبلَهُم مِن قَرْيةٍ﴾ أي: أهلُها، ﴿أهلَكْناها﴾ بتكذيبها ما أتاها من الآيات ـ ﴿أفهُم يُؤمِنُونَ﴾؟ لا ـ ٧ ـ ﴿وما أرسَلْنا قَبلَكَ إلاّ رِجالاً، يُوحَى﴾، وفي قراءة بالنون وكسر الحاء، ﴿إلَيهِم﴾ لا ملائكةً ـ ﴿فاسألُوا أهلَ الذِّكرِ﴾: العُلماءَ بالتوارة والإنجيل، ﴿إن كُنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقربُ من تصديق المؤمنين بمُحمّد ـ ٨ ـ ﴿وما جَعَلْناهُم﴾ أي: الرسلَ ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى أجسادًا، ﴿لا يأكُلُونَ الطَّعامَ﴾ بل يأكلونه، ﴿وما كانُوا خالِدِينَ﴾ في الدنيا، ٩ ـ ﴿ثُمَّ صَدَقْناهُمُ الوَعدَ﴾ بإنجائهم، ﴿فأنجَيناهُم ومَن نَشاءُ﴾ أي: المُصدِّقين لهم، ﴿وأهلَكْنا المُسرِفِينَ﴾: المُكذِّبين لهم.

قولُه: (واليَدِ) وإبراءِ الأكمَهِ، وإحياءِ الموتى.

قولُه: (أي: أَهْلُهَا) و﴿مِنْ﴾ زائدةٌ.

قولُه: (مِن الآيَاتِ) المعترِضة.

قولُه: (لا) يعني: أَفَهُم يُؤمنونَ لو جئتَهُم بها وهم أشدُّ استِكباراً؟!

قولُه: (وَفي قِرَاءَةٍ) لحفصٍ[1].

قولُه: (لا مَلائِكَةً) جوابٌ لقولِهم: ﴿هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾.

قولُه: (العُلَمَاءَ) الظَّاهرُ أنَّ المرادَ بهم[2] مؤمِنوهُم؛ إذ قالوا: ما أنزلَ اللهُ على بشرٍ مِن شيءٍ.

قولُه: (مِن تَصْدِيقِ المُؤمِنِينَ) إضافةٌ إلى المفعولِ.

قولُه: (بمَعْنَى أَجْسَاداً) يعني: وُحِّدَ لإرادةِ الجنسِ، أو لأنَّه مصدرٌ في الأصلِ، أو على حذفِ المضافِ؛ أي: ذوي جسَدٍ، أو تأويلِ الضَّميرِ بكلِّ واحدٍ.

قولُه: (بَلْ يَأكُلُونَهُ) جوابٌ لقولِهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ [الفرقان: ٧].

قولُه: (بِإِنْجَائِهِم) أي: في الوَعدِ به.

قولُه: (أي: المُصَدِّقِيْنَ) ومَن في إبقائِهِ حكمَةٌ، كمَن سيؤمنُ هو أو أحدٌ من ذرِّيَّتِهِ، ولذلك حُميَتِ العربُ عن عذابِ الاستئصالِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٦).

(٢) «بهم» من (ص).

١٠ ـ ﴿لَقَد أنزَلنا إلَيكُم﴾ ـ يا مَعشر قُريش ـ ﴿كِتابًا، فِيهِ ذِكرُكُم﴾ لأنه بِلُغتكم. ﴿أفلا تعقِلُونَ﴾ فتؤمنونَ به؟ ١١ ـ ١٢ ـ ﴿وكَم قَصَمْنا﴾: أهلكْنا ﴿مِن قَرْيةٍ﴾ أي: أهلَها، ﴿كانَت ظالِمةً﴾: كافرة، ﴿وأنشأنا بَعدَها قَومًا آخَرينَ! فلَمّا أحَسُّوا بأسَنا﴾ أي: شعر أهل القرية بالإهلاك ﴿إذا هُم مِنها يَركُضُونَ﴾: يهربون مسرعين، فقالت لهم الملائكة استهزاءً: ١٣ ـ ﴿لا تَركُضُوا، وارجِعُوا إلَى ما أُترِفتُم﴾: نَعِمتم ﴿فِيهِ ومَساكِنِكُم، لَعَلَّكُم تُسألُونَ﴾ شيئًا من دنياكم على العادة. ١٤ ـ ﴿قالُوا: يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. ﴿إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ بالكُفر. ١٥ ـ ﴿فما زالَتْ تِلكَ﴾ الكلماتُ ﴿دَعْواهُم﴾ يدعون بها وَيردّدونها ﴿حَتَّى جَعَلْناهُم حَصِيدًا﴾ أي: كالزرع المحصود بالمَناجل بأن قُتلوا بالسيوف ﴿خامِدِينَ﴾: ميّتين كخُمود النار إذا طَفِئتْ.

١٦ ـ ﴿وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَينَهُما لاعِبِينَ﴾: عابِثِين بل دالّينَ على قُدرتنا ونافعين عِبادَنا. ١٧ ـ ﴿لَو أرَدْنا أن نَتَّخِذَ لَهوًا﴾ أي: ما يُلهَى به...................................

قولُه: (لأنَّهُ بِلُغَتِكُم) فـ﴿ذِكرُكُم﴾: صيتُكُم، والصِّيتُ: الشَّرفُ والذِّكرُ الجميلُ؛ كقولِهِ تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أو: موعظتُكُم، أو: ما تطلبونَ به حُسنَ الذِّكرِ من مكارمِ الأخلاقِ.

قولُه: (كَافِرَةً) صفةٌ لأَهْلِهَا وُصِفت بها لمَّا أقيمَت مقامَهُ.

قولُه تعالى: (﴿بَعْدَهَا﴾) أي: بعدَ إهلاكِ أهلِها.

قولُه: (أي: شَعَرَ) أي: أدرَكوا شِدَّةَ عَذابِنا إدراكَ المشاهَدِ المحسوسِ.

قولُه: (مُسْرِعِينَ) راكضينَ دوابَّهُم؛ أي: حامِليها على الرَّكضِ، أو مشبَّهينَ بهم أو بها من فرطِ إسراعِهِم.

قولُه: (نُعِّمْتُم) وأُعطيتُم من التَّنعُّمِ والتَّلذُّذِ على إرادةِ القَولِ؛ أي: قيلَ لهم استِهزاءً: لا تَركضُوا، إمَّا بلسانِ الحالِ، أو القالِ والقائل مَلَك أو مَن ثَمَّ من المؤمنينَ.

قولُه: (مِن دُنْيَاكُم) أي: يسألونَكُم خدمُكم والفُقراءُ، أو تُسألونَ للمُشاوَرةِ في المهامِّ والنَّوازلِ.

قولُه: (هَلاكَنَا) لمَّا رأوا العذابَ ولم يرَوا وجهَ النَّجاةِ.

قولُه: (المَحْصُودِ) والفعيلُ بمَعنى: المفعولِ، يَستَوي فيه الجمعُ والإفرادُ.

قولُه: (بِأَنْ قُتِلُوا) الصَّوابُ: أنَّ وجهَ الشَّبهِ هو الطَّرحُ والكسرُ؛ لقولِه تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ ولا يُعرَفُ إهلاكُ قريةٍ بالسَّيفِ، قولُه تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت: ٤٠].

قولُه: (مَا يُلْهَى) إشارَةٌ إلى أنَّ المصدرَ بمعنى المفعولِ.

من زوجة أو ولد ﴿لاتَّخَذْناهُ مِن لَدُنَّا﴾: من عِندنا من الحُور العِين [والوِلدان] والملائكة، ﴿إن كُنّا فاعِلِينَ﴾ ذلك. لكنّا لم نفعله، فلم نُرِده. ١٨ ـ ﴿بَل نَقذِفُ﴾: نرمي ﴿بِالحَقِّ﴾: الإيمانِ ﴿على الباطِلِ﴾: الكُفرِ، ﴿فيَدمَغُهُ﴾: يُذهبه، ﴿فإذا هُوَ زاهِقٌ﴾: ذاهب. و«دَمَغَه» في الأصل: أصابَ دِماغه بالضرب، وهو مَقتَلٌ. ﴿ولَكُمُ﴾ ـ يا كُفّار مكّة ـ ﴿الوَيلُ﴾: العذاب الشديد ﴿مِمّا تَصِفُونَ﴾ اللهَ به من الزوجة والولد. ١٩ ـ ﴿ولَهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا، ﴿ومَن عِندَهُ﴾ أي: الملائكةُ مبتدأٌ خبرُه: ﴿لا يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِهِ، ولا يَستَحسِرُونَ﴾: لا يَعيَون، ٢٠ ـ ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيلَ والنَّهارَ، لا يَفتُرُونَ﴾ عنه. فهو منهم كالنفَس منّا لا يَشغلنا عنه شاغل.

٢١ ـ ﴿أمِ﴾ بمعنى «بل» للانتقال وهمزةِ الإنكار ﴿اتَّخَذُوا آلِهَةً﴾ كائنة..........................

قولُه: (مِنْ زَوْجَةٍ) قيلَ: اللَّهوُ بلغةِ اليمنِ: الولدُ، وقيلَ: الزَّوجةُ[1]، والمرادُ: الرَّدُّ على النَّصارى.

قولُه: (ذَلِكَ) ويدلُّ على جوابِهِ الجوابُ المتقدِّمُ بمعنى: ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِن لَدُنَّا﴾.

وقيلَ: ﴿إِنْ﴾ نافيةٌ، والجملةُ كالنَّتيجةِ للشَّرطيَّةِ؛ كقولِهِ تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣].

قولُه: (فلم نُرِدْهُ) إذ يلزمُ من عدمِ الفعلِ عدمُ الإرادَةِ.

قولُه: (الإِيمَانِ) أو: نغلِّبُ الحقَّ الَّذي من جملتِهِ الجدُّ على الباطِلِ الَّذي من عدادِهِ اللَّهو فيمحقُهُ.

قولُه: (يَا كُفَّارَ مَكَّةَ) أو: أيُّها الكفَّارُ.

قولُه: (مِنَ الزَّوجَةِ) أو ممَّا لا يجوزُ عليهِ.

قولُه: (مُلْكاً) وخَلْقاً.

قولُه: (أي: المَلَائِكَةُ) المنزَلونَ منه ـ لكرامتِهم عليه ـ منزلةَ المقرَّبينَ عندَ الملوكِ.

والصَّحيحُ: أنَّ المرادَ جنسُ الملكِ، ولا وجهَ لتَخصِيصِ القاضِي بنَوعٍ منهم[2].

قولُه: (لا يَعيَونَ) منها.

قولُه: (عَنهُ) أي: التَّسبيحِ.

قولُه: (كَائِنَةً) صفةُ الآلهةِ، وفائدتُها التَّحقيرُ دونَ التَّخصيصِ.

---

(١) عن قتادة: أن اللهو في بعض لغة أهل اليمن: المرأة، رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٠). وانظر: «تاج العروس» (٣٩/ ٥٠٢).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٤٨).

﴿مِنَ الأرضِ﴾ كحجَر وذهب وفِضّة؟ أ﴿هُم﴾ أي: الآلهةُ ﴿يُنشِرُونَ﴾ أي: يُحيُون الموتى؟ لا. ولا يكون إلـهًا إلاّ من يُحيي الموتى. ٢٢ ـ ﴿لَو كانَ فِيهِما﴾ أي: السماواتِ والأرض ﴿آلِهةٌ إلاّ اللهُ﴾ أي: غيرُه ﴿لَفَسَدَتا﴾: خرجتا عن نظامهما المُشاهَد، لوجود التمانُع بينهم على وَفق العادة عِند تعدّد الحاكم، من التمانع في الشيء وعدم الاتفاق عليه. ....

قولُه: (أَ﴿هُم﴾) زيادَةُ الهمزةِ لزيادَةِ التَّأكيدِ، وإلَّا فالإنكارُ مفهومٌ ممَّا سبقَ، بل هذا هو محطُّ الإنكارِ، ويمكنُ أن يكونَ الأوَّلُ إنكارَ الاتِّخاذِ، والثَّاني إنكارَ النَّشرِ.

قولُه: (أي: يُحْيُونَ) وهم وإن لم يُصرِّحوا بذلك لَزِمَ بادِّعائِهم لها الإلهيَّةَ.

قولُه: (أي: غَيْرُهُ) وصفَ بـ﴿إِلَّا﴾ لمَّا تعذَّرَ الاستثناءُ؛ لعدمِ شُمولِ ما قَبلها لما بَعدَها، ودلالتِه على ملازمةِ الفَسادِ لكونِ الآلهةِ فيهما دونَهُ، والمرادُ: ملازمتُهُ لكَونِها مطلقاً، أو معه حملاً لها على «غيرِ»[1] كما استثنى بـ«غير» حملاً عليها، والمعنَى: لو كانَ يُدبِّرُ أمرَ السَّماواتِ والأرضِ آلهةٌ شتَّى غيرُ الواحدِ الَّذي هو فاطرُهُما لخربَتا.

وقولُه: (خَرَجَتَا) رُوعيَ فيه معنى أصلِ الفِسقِ.

قولُه: (عَلَى وَفْقِ العَادَةِ) يعني: الحجَّةُ إقناعيَّةٌ، وهي الَّتي يُظنُّ في أوَّلِ الأمرِ أنَّها حُجَّةٌ، ويزولُ ذلك بالتَّأمُّلِ، والملازمَةُ عاديَّةٌ، فإنَّ العادَةَ جاريةٌ بوجودِ التَّمانُعِ والتَّغالُبِ عند تعدُّدِ الحاكِمِ على ما أُشيرَ إليه بقولِه تعالى: ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [المؤمنون: ٩١] كذا قالَهُ التَّفتازانيُّ[2] والمحقِّقونَ كالغزاليِّ[3] وابنِ الهمامِ[4] والقاضي[5]، ....

---

(١) قوله: «لعدم شمول ما قبلها لما بعدها»؛ أي: لكونه نكرةً في مقام الإيجاب «ودلالتِه»؛ أي: الاستثناءِ، وهو بالجرِّ عطف على (شمولِ) «على ملازمة الفساد» متعلق بـ(دلالتِه)؛ «لكون الآلهة» متعلق بـ(ملازمة) «فيهما»؛ أي: في السماوات والأرض «دونه»؛ أي: دون اللهِ؛ أي: وصف بـ ﴿إلا﴾ عند تعذُّرِ الاستثناء؛ لعدم الشمولِ المذكورِ، وهو ظاهرٌ، ولعدم دلالة الاستثناء على ملازمة الفساد لوجود آلهةٍ فيهما غيرِ اللهِ؛ إذ الاستثناءُ إنما يدلُّ على ضدِّ ذلك؛ إذ المعنى عليه: لو كان فيهما اللهُ لفسَدَتا، وهو فاسدٌ وإليه أشار بقوله: «والمراد»؛ أي: من الآيةِ شيئان: أحدهما: «ملازمته»؛ أي: الفسادِ «لكونها»؛ أي: الآلهةِ؛ أي: لوجودِها «مطلقاً»؛ أي: عن التقييدِ بكونِها معَ اللهِ، «أو معه»، وثانيهما: انتفاؤه؛ لوجودِه تعالى وحدَه «حملاً لها» تعليلٌ لقوله: «وصف بـ﴿إلا﴾». انظر: «حاشية زكريا الأنصاري على البيضاوي» (٤/ ٧٠).

(٢) انظر: «شرح العقائد النسفية» (ص: ٤٩).

(٣) انظر: «قواعد العقائد» (ص: ١٧٣).

(٤) انظر: «المسايرة في علم الكلام» (ص: ٢٢).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٤٨).

﴿فسُبحانَ﴾: تنزيهَ ﴿اللهِ، رَبِّ﴾: خالقِ ﴿العَرشِ﴾: الكرسيّ ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾ أي: الكُفّارُ اللهَ به من الشريكِ له وغيرِه! ٢٣ ـ ﴿لا يُسألُ عَمّا يَفعَلُ، وهُم يُسألُونَ﴾ عن أفعالهم.

٢٤ ـ ﴿أمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ ـ تعالى ـ أي: سِواه ﴿آلِهةً﴾؟ فيه استفهامُ توبيخٍ. ﴿قُلْ: هاتُوا بُرهانَكُم﴾ على ذلك. ولا سبيل إليه. ﴿هذا ذِكرُ مَن مَعِي﴾ أي: أُمّتي، وهو القُرآنُ، ﴿وذِكرُ مَن قَبلِي﴾ من الأُمم، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله، ليس في واحد منها أنّ مع الله إلـٰهًا ممّا قالوا. تعالى عن ذلك. ﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ الحَقَّ﴾ أي: توحيد الله، ﴿فهُم مُعرِضُونَ﴾ عن النظر المُوصِّل إليه. ٢٥ ـ ﴿وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ إلاّ يُوحَى﴾ ـ وفي قراءة بالنون وكسر الحاء ـ ﴿إلَيهِ أنَّهُ لا إلـٰهَ إلاّ أنا. فاعبُدُونِ﴾ أي: وحِّدونِ.

٢٦ ـ ﴿وقالُوا: اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة. ﴿سُبحانَهُ! بَل﴾هم ﴿عِبادٌ مُكرَمُونَ﴾ عِنده ـ والعُبوديةُ تُنافي الولادة ـ ٢٧ ـ ﴿لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ﴾: ....

ما قَنعوا بالإقناعيَّةِ، وجَعَلوها حقيقةً قطعيَّةً حتَّى قيلَ بكُفرِ التَّفتازانيِّ[١]، والمسألةُ مُستَوفاةٌ في الكُتبِ الكلاميَّةِ.

قولُـه: (الكُرْسِـيِّ) الصَّحيـحُ أنّـه غيـرُ الكرسـيِّ، بـل هـو المحيـطُ بجميـعِ الأجسـامِ الَّـذي هـو محـلُّ التَّدابيـرِ ومنشـأُ المقاديـرِ.

قولُه: (وغَيرِهِ) من الصَّاحِبةِ والوَلدِ.

قولُه: (استِفهَامُ تَوبِيخٍ) وكَرَّرَهُ استِعظاماً لكُفرِهم، واستِقباحاً لأمرِهم، وإظهاراً لجهلِهِم.

قولُه: (عَلَى ذَلِكَ) إمَّا من العَقلِ أو النَّقلِ، فإنَّه لا يصحُّ القولُ بما لا دليلَ عليهِ، كيف وقد تطابقَتِ الحُجَجُ على بُطلانِهِ عقلاً ونقلاً.

قولُه: (مِمَّا قَالُوا) لا مفهومَ له، والأحسَنُ تركُهُ.

قولُه: (أي: تَوحِيدَ اللهِ) أو: لا يُميِّزونَ بينَ الحقِّ والباطِلِ.

قولُه: (عنِ النَّظَرِ) أو عن التَّوحيدِ واتِّباعِ الرَّسولِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ[٢].

قولُه: (عِنْدَهُ) أي: مُقرَّبونَ، وفيه تنبيهٌ على مزلقِ القَومِ.

---

(١) انظر: «حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع» (١/ ٤٥٣) وبين فيه الاعتراض على التفتازاني والدفاع عنه، فانظره.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٦).

لا يأتون بقولهم إلاّ بعد قوله، ﴿وهُم بِأمرِهِ يَعمَلُونَ﴾ أي: بعده، ٢٨ ـ ﴿يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم وما خَلفَهُم﴾ أي: ما عملوا وما هم عاملون، ﴿ولا يَشفَعُونَ إلاّ لِمَنِ ارتَضَى﴾ تعالى أن يُشفع له، ﴿وهُم مِن خَشيَتِهِ﴾ ـ تعالى ـ ﴿مُشفِقُونَ﴾ أي: خائفون، ٢٩ ـ ﴿ومَن يَقُلْ مِنهُم: إنِّيَ إلـٰهٌ مِن دُونِهِ﴾ أي: الله أي: غيرُه ـ وهو إبليس دعا إلى عِبادة نفسه وأمر بطاعتها ـ ﴿فذلِكَ نَجزِيهِ جَهَنَّمَ. كَذلِكَ﴾: كما نجزيه ﴿نَجزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي: المشركين.

٣٠ ـ ﴿أوَلَم﴾ ـ بواو وتركِها ـ ﴿يَرَ﴾: يعلم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أنَّ السَّماواتِ والأرضَ كانَتا رَتْقًا﴾ أي: سدًّا بمعنى مسدودة، ﴿فَفَتَقْناهُما﴾ أي: جعلنا السماء سبعًا والأرض سبعًا، أو فتقُ السماء: أن كانت لا تُمطر فأمطرت، وفتقُ الأرض: أن كانت لا تُنبت فأنبتت، ﴿وجَعَلْنا مِنَ الماءِ﴾ النازلِ من السماء والنابعِ من الأرض ﴿كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾: نباتٍ وغيره، ....

قولُه: (لا يَأْتُونَ) الظَّاهرُ: لا يَقولونَ شيئاً حتَّى يقولَهُ كما هو عادةُ العبيدِ المؤدَّبينَ.

قولُه: (أَي: بَعْدَهُ) أي: لا يعلمُونَ ما لم يأمرْهُم به.

قولُه: (خشيتِه تَعَالى) أي: عظمتِه ومهابتِه، وأصلُ الخشيَةِ: خَوفٌ مع تعظيمٍ، ولذلك خُصَّ بها العُلماءَ.

قولُه: (أي: خَائِفُونَ) أو من خوفِ عذابِه حذِرونَ.

قولُه تعالى: (﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾) مِن الملائكةِ أو الخلقِ.

قولُه: (وأَمَرَ) عَطفُ تفسيرٍ؛ إذ لم يعرفْ أنَّه عبدٌ، لكنَّ الشَّرطيَّةَ لا تقتَضِي الوجودَ.

قولُه: (أي: المُشْرِكِينَ) ومدَّعي الرُّبوبيَّةِ.

قولُه: (وتَرْكِهَا) مكِّيٌّ[1].

قولُه: (سدًّا) وإنَّما قالَ: ﴿رَتْقًا﴾ على التَّوحيدِ؛ لأنَّه مصدرٌ وُضِعَ موضِعَ الاسمِ، والتَّقديرُ: ذاتَ رتقٍ، أو: مرتوقَتين، وهو الضَّمُّ والالتحامُ والسَّدُّ؛ أي: كانَتا شيئاً واحداً ففتَقْناهُما بالتَّنويعِ والتَّمييزِ، وقيل: كانَتا بحيثُ لا فُرجةَ بينهُما ففُرِجَ، وتفسيرُ الشَّيخِ يحتملُهُما.

وقولُه: (أو فَتَقَ السَّمَاءَ) فيكونُ المرادُ بالسَّماواتِ سماءَ الدُّنيا، وجمعُها باعتِبارِ الآفاقِ، أو السَّماواتِ بأسرِها على أنَّ لها مدخلاً في الأمطارِ، والكفرَةُ وإن لم يَعلموا ذلك فهم متمكِّنونَ[2] من العلمِ به نظراً أو استِفساراً من العُلماءِ أو مطالعةً للكُتبِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٧).

(٢) في (ص): «ممكَّنون».

أي: فالماء سبب لحياته؟ ﴿أفلا يُؤمِنُونَ﴾ بتوحيدي؟

٣١ ـ ﴿وجَعَلْنا في الأرضِ رَواسِيَ﴾: جبالاً ثوابتَ، لِـ ﴿أن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرّكَ ﴿بِهِم، وجَعَلْنا فِيها﴾ أي: الرواسي ﴿فِجاجًا﴾: مَسالكَ، ﴿سُبُلاً﴾: بدلٌ أي: طُرقًا نافذة واسعة، ﴿لَعَلَّهُم يَهتَدُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار، ٣٢ ـ ﴿وجَعَلْنا السَّماءَ سَقفًا﴾ للأرض كالسقف للبيت ﴿مَحفُوظًا﴾ عن الوقوع. ﴿وهُم عَن آياتِها﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيها، فيعلمون أنّ خالقها لا شريك له.

٣٣ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ﴾ ـ تنوينه عوضٌ من المضاف إليه، أي: كلٌّ من الشمس والقمرِ وتابعِه. وهو النجوم ـ ﴿في فَلَكٍ﴾ أي: مُستدير كالطاحونة في السماء ﴿يَسبَحُونَ﴾:

قولُه: (سَبَبٌ لحَيَاتِهِ) فـ﴿جَعَلْنَا﴾ بمعنى: أحيَيْنا، وقالَ القاضِي: أي: خَلقْنا من الماءِ كلَّ حيوانٍ كقولِهِ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور: ٤٥]، وذلك لأنَّه من أعظَمِ موادِّهِ، أو لفرطِ[1] احتياجِهِ إليه وانتفاعِهِ [به] بعينِهِ[2].

قولُه: (بِتَوحِيْدِي) مع ظهورِ الآياتِ.

قولُه: (لـ﴿أَنْ﴾ لا) كذا قيل، فحُذِفَ (لا) لأمنِ اللَّبسِ، والأولَى تقديرُ: كراهَةَ.

قولُه: (أي: الرَّوَاسِي) أو الأرضِ.

قولُه: (مَسَالِكَ) واسِعةً.

قولُه: (أي: طُرُقاً) وإنَّما قدَّمَ ﴿فِجَاجاً﴾، وهو وصفٌ لـ﴿سُبُلاً﴾ ليُبدِلَ منها ﴿سُبُلاً﴾ فيدلَّ ضِمناً على أنَّه خلقَها ووسَّعَها للسَّابلةِ معَ ما يكونُ فيه من التَّوكيدِ؛ إذِ البَدلُ في حكمِ تكريرِ العاملِ.

قولُه: (إلى مَصَالِحِهِمْ) ومقاصِدِهم في الأسفارِ.

قولُه: (وَهُو النُّجُومُ) أو التَّقديرُ: كلُّ واحدٍ منهُما، وإنَّما جُمِعَ باعتبارِ المطالِعِ.

قولُه: (فِي السَّمَاءِ) أي: جهةِ العلوِّ متعلِّقٌ بـ(مُسْتَدِيرٌ).

---

(١) قوله: «أو لفرط» كذا في بعض نسخ البيضاوي، وفي أخرى: «ولفرط» بالواو، وهو ما رجحه الشهاب في «الحاشية على البيضاوي» (٦/ ٢٥٢) حيث قال: قوله: «ولفرط احتياجه إليه» يشير به وبعدم عطفه بـ(أو) ليظهر التخصيص؛ لأن التراب كذلك، ولذا ورد: ﴿خلقه من تراب﴾ [آل عمران: ٥٩]، وذكرُه في مقام آخر يقتضيه، فلا وجه لما قيل: إنّ الأولى أن يقول: (أو) مع أنه وقع «أو» في بعض النسخ أيضاً.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٥٠)، وما بين معكوفتين منه.

يسيرون بسرعة كالسابح في الماء. وللتشبيه به أتى بضمير جمعِ مَن يعقل.

ونزل لمّا قال الكُفّار: «إنّ مُحمّدًا سيَموتُ»: ٣٤ ـ ﴿وما جَعَلْنا لِبَشَرٍ مِن قَبلِكَ الخُلدَ﴾ أي: البقاء في الدنيا. ﴿أفإن مُتَّ فهُمُ الخالِدُونَ﴾ فيها؟ لا. فالجملة الأخيرة محلُّ الاستفهام الإنكاري.

٣٥ ـ ﴿كُلُّ نَفسٍ ذائقةُ المَوتِ﴾ في الدنيا، ﴿ونَبلُوكُم﴾: نختبركم ﴿بِالشَّرِّ والخَيرِ﴾ كفَقر وغِنى وسقَم وصِحّة ﴿فِتْنَةً﴾: مفعول له، أي: لننظر: أتصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وإلَينا تُرجَعُونَ﴾ فنُجازيكم.

٣٦ ـ ﴿وإذا رآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إن﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إلاّ هُزُوًا﴾أي: مهزوءًا به، يقولون: ﴿أهذا الَّذِي يَذكُرُ آلِهتَكُم﴾ أي: يَعيبها؟ ﴿وهُم بِذِكرِ الرَّحمنِ﴾ لهم ﴿هُم﴾: تأكيد ﴿كافِرُونَ﴾ به، إذ قالوا: ما نعرفه.

ونزل في استعجالهم العذابَ: ٣٧ ـ ﴿خُلِقَ الإنسانُ مِن عَجَلٍ﴾ أي: أنه لكثرة عَجَلَتِهِ..........

قولُه: (وللتَّشبِيهِ بِهِ) أي: بالسَّابِحِ، والسِّباحةُ فعْلُ العُقلاءِ.

قولُه: (إنَّ مُحَمَّداً) أو حيثُ قالوا: نتربَّصُ به رَيبَ المنونِ؛ أي: حوادِثَ الدَّهرِ، ومنهُ الموتُ، وسُمِّيَ بالمَنونِ لأنَّهُ قاطعٌ.

قولُه: (فِيهَا) وفي معناهُ قولُ الشَّاعرِ:

فَقُـلْ لِلشَّـامِتِينَ بِنَـا أَفِيقُـوا   سَيَلْقَى الشَّـامِتُونَ كَمَـا لَقِينَـا[1]

قولُه تعالى: (﴿ذَائِقَةُ المَوتِ﴾) أي: مرارَةِ مُفارقتِها جسَدَها.

قولُه: (فِي الدُّنْيَا) إلّا مَن شاءَ اللهُ مِن حمَلَةِ العرشِ وخزنَةِ الجِنانِ وزبانيَةِ النِّيرانِ.

قولُه: (نَخْتَبِرُكُم) أي: نعاملُكُم معامَلَةَ المختبِرِ بالبلاءِ والنِّعمةِ، والبلاءُ بمعنى النِّعمةِ والنِّقمةِ ضدٌّ.

قولُه: (مَفْعُولٌ لَهُ) والأظهرُ أنَّه مصدرٌ مؤكِّدٌ لفعلِهِ من غيرِ لفظِهِ.

قولُه: (فَنُجَازِيكُم) على الصَّبرِ والشُّكرِ، وفيه: أنَّ المقصودَ من هذه الحياةِ الابتلاءُ والتَّعريضُ للثَّوابِ والعِقابِ.

قولُه: (يعِيبُهَا) ويذكرُهَا بسُوءٍ.

قولُه: (لَهُم) أي: بالتَّوحيدِ، أو بالقُرآنِ.

قولُه: (لِكَثْرَةِ عَجَلِهِ) وقلَّةِ ثباتِهِ، ومن عجلتِهِ: مبادَرتُهُ إلى الكفرِ واستِعجالُ الوعيدِ.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة» (٣٣٠٥) من قول خال الفرزدق.

في أحواله كأنه خُلق منه. ﴿سأُرِيكُم آياتِي﴾: مواعيدي بالعذاب. ﴿فلا تَستَعجِلُونِ﴾ فيه. فأراهم القتلَ ببدر. ٣٨ ـ ﴿ويَقُولُونَ: مَتَى هذا الوَعدُ﴾ بالقِيامة، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه؟

٣٩ ـ قال تعالى: ﴿لَو يَعلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ﴾: يدفعون ﴿عَن وُجُوهِهِمِ النّارَ ولا عَن ظُهُورِهِم، ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون منها في القِيامة ـ وجواب لو: ما قالوا ذلك ـ ٤٠ ـ ﴿بَل تأتِيهِم﴾ القِيامةُ ﴿بَغتَةً، فتَبهَتُهُم﴾: تُحيّرهم، ﴿فلا يَستَطِيعُونَ رَدَّها، ولا هُم يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلون لتوبة أو مَعذِرة. ٤١ ـ ﴿ولَقَدِ استُهزِئَ بِرُسُلٍ مِن قَبلِكَ﴾ ـ فيه تسلية للنبيّ ﷺ ـ ﴿فحاقَ﴾: نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنهُم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾، وهو العذاب. فكذا يَحيق بمن استهزأ بك.

٤٢ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿مَن يَكلَؤُكُم﴾: يحفظُكم ﴿بِاللَّيلِ والنَّهارِ مِنَ الرَّحمنِ﴾: من عذابه، إن نزل بكم؟ أي: لا أحد يفعل ذلك. والمُخاطَبون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له، ﴿بَل هُم عَن ذِكرِ رَبِّهِم﴾ أي: القُرآنِ ﴿مُعرِضُونَ﴾: لا يتفكّرون فيه.

قولُه: (مَوَاعِيْدِي) أي: نقماتي في الدُّنيا كوقعةِ بدرٍ، وفي الآخرةِ عذابُ النَّارِ.

قولُه: (فِيْهِ) أو: بالإتيانِ بها.

قولُه: (بالقِيَامَةِ) الظَّاهرُ: وقت وعدِ العَذابِ، أو يوم القيامةِ.

قولُه: (فِيْهِ) يعنُونَ: النَّبيَّ ﷺ وأصحابَهُ.

قولُه: (يدفَعُونَ) و﴿حِيْنَ﴾ مفعولُ ﴿يَعْلَمُ﴾؛ أي: [لو يعلمون] الوقتَ الَّذي يستعجلونَ منه بقولِهم: ﴿متى هذا الوَعدُ﴾، وهو حينَ تُحيطُ بهم النَّارُ مِن كلِّ جانبٍ بحيثُ لا يقدِرونَ على دفعِها ولا يجدونَ ناصراً قائماً يمنعُها= لَمَا استَعجَلوا.

قولُه: (القِيَامَةُ) أو العِدَةُ، أو النَّارُ، أو السَّاعةُ، أو الآياتُ.

قولُه: (تُحَيِّرُهُم) أو تغلبُهُم.

قولُه: (مِن عَذَابِهِ) وفي لفظِ ﴿الرَّحْمَنِ﴾ تنبيهٌ على ألَّا كالئَ غيرُ رحمتِهِ العامَّةِ، وأنَّ اندفاعَهُ بمهلتِهِ.

قولُه: (والمُخَاطَبُونَ) وهُم المستهزِئونَ.

قولُه: (لا يَتَفَكَّرُونَ) أو: لا يُخطِرونَهُ ببالِهم فضلاً أن يَخافُوا بأسَهُ، حتَّى إذا كُلِئوا منه عرَفُوا الكالِئَ وصلحوا للسُّؤالِ عن الكَلئِ[1].

---

(١) كذا في النسخ، وفي «الكشاف» و«أنوار التنزيل» و«مدارك التنزيل» و«البحر المحيط»: «وصلحوا للسؤال عنه».

٤٣ ـ ﴿أم﴾ فيها معنى الهمزة للإنكار، أي: أ ﴿لَهُم آلِهَةٌ تَمنَعُهُم﴾ ممّا يسوءُهم ﴿مِن دُونِنا﴾ أي: أَلَهم من يمنعهم منه غيرُنا؟ لا. ﴿لا يَستَطِيعُونَ﴾ أي: الآلهةُ ﴿نصرَ أنفُسِهِم﴾ فلا ينصرونهم، ﴿ولا هُم﴾ أي: الكُفّارُ ﴿مِنّا﴾: من عذابنا ﴿يُصحَبُونَ﴾: يُجارُون. يقال: صَحِبَك اللهُ، أي حفظك وأجارك. ٤٤ ـ ﴿بَل مَتَّعْنا هؤُلاءِ وآباءَهُم﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّى طالَ علَيهِمِ العُمُرُ﴾ فاغترّوا بذلك. ﴿أفلا يَرَونَ أنّا نأتِي الأرضَ﴾: نقصِدُ أرضَهم، ﴿نَنقُصُها مِن أطرافِها﴾ بالفتح على النبيّ؟ ﴿أفهُمُ الغالِبُونَ﴾؟ لا، بل النبيُّ وأصحابه.

٤٥ ـ ﴿قُل﴾ لهم: ﴿إنَّما أُنذِرُكُم بِالوَحيِ﴾ من الله لا من قِبَل نفسي. ﴿ولا يَسمَعُ الصُّمُّ الدُّعاءَ إذا﴾ ـ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ـ ﴿ما يُنذَرُونَ﴾ أي: هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصُّمّ، ٤٦ ـ ﴿ولَئِنْ مَسَّتْهُم نَفْحةٌ﴾: وقعة خفيفة، ﴿مِن عَذابِ رَبِّكَ، لَيَقُولُنَّ: يا﴾ للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. ﴿إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ بالإشراك وتكذيب مُحمّد. ٤٧ ـ ﴿ونَضَعُ المَوازِينَ القِسطَ﴾: ذواتِ العدل ﴿لِيَومِ القِيامةِ﴾..

قولُه: (فِيْهَا) يعني: معَ وجودِ ﴿بل﴾.

قولُه: (أي: ﴿أَلَهُم﴾) كذا في نُسخةٍ، والظَّاهرُ: بل ألهُم، وقيل: الميمُ زائدةٌ عند الكوفيِّين.

قولُه: (غَيْرُنَا) أو: من عَذابٍ يكونُ من عندِنا.

قولُه: (أي: الكُفَّارُ) الظَّاهرُ أنَّ الضَّميرينَ للآلهةِ، والمعنَى: أنَّ من لا يقدِرُ على نَصرِ نفسِهِ ولا يصحبُهُ نصرٌ من اللهِ فكيفَ ينصُرُ غيرَهُ؟

قولُه: (أَرْضَهُم) أي: الكفرَةِ؛ يعني: هذه سُنَّتُنَا.

قولُه: (بالفَتْحِ) وبتَسليطِ المؤمنينَ عليها.

قولُه: (مِنَ اللهِ) أي: بما أوحيَ إليَّ.

قولُه: (وتَسْهِيلِ) الحرميَّانِ والبَصريُّ[1]، وقرأَ ابنُ عامرٍ: (ولا تُسمِعُ) على خطابِ النَّبيِّ ونصبِ (الصُّمَّ)[2].

قولُه: (وَقْعَةٌ خَفِيْفَةٌ) أي: أدنى شَيءٍ.

قولُه: (للتَّنبِيْهِ) الظَّاهرُ أنَّ ﴿يَا﴾ للنِّداءِ مجازاً؛ أي: هذا أوانَكِ فاحضُري.

قولُه: (ذَوَاتِ) القِسْطِ، أو: العادلَةِ، أو: للعَدلِ، أو مصدَرٌ وُصِفَ به للمُبالغَةِ، والجمعُ باعتِبارِ الموزوناتِ،

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٣٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٧).

أي: فيه، ﴿فلا تُظلَمُ نَفسٌ شَيئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة، ﴿وإن كانَ﴾ العملُ ﴿مِثقالَ﴾: زِنَةَ ﴿حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ أتَينا بِها﴾: بموزونها، ﴿وكَفَى بِنا حاسِبِينَ﴾: مُحصِين في كل شيء!

٤٨ ـ ٤٩ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى وهارُونَ الفُرقانَ﴾أي: التوراة الفارقة بين الحقّ والباطل والحلالِ والحرام، ﴿وضِياءً﴾ بها ﴿وذِكرًا﴾ أي: عِظة بها ﴿لِلمُتَّقِينَ، الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ﴾ عن الناس أي: في الخلاء عنهم، ﴿وهُم مِنَ السّاعةِ﴾ أي: أهوالها ﴿مُشفِقُونَ﴾ أي: خائفون. ٥٠ ـ ﴿وهذا﴾ أي: القُرآن ﴿ذِكرٌ مُبارَكٌ أنزَلْناهُ. أفَأنتُم لَهُ مُنكِرُونَ﴾؟ الاستفهام فيه للتوبيخ.

٥١ ـ ﴿ولَقَد آتَينا إبراهِيمَ رُشدَهُ مِن قَبلُ﴾ أي: هُداه قبل بُلوغه،..........................

يوزَنُ بها صحائِفُ الأعمالِ على الأصحِّ، قيل: صاحبُ الموازينِ يومَ القيامَةِ جبريلُ.

قولُه: (فِيْهِ) كقولِكَ: جئتُ لخمسٍ خلَونَ من الشَّهرِ، أو: لجزائِهِ، أو: لأهلِهِ.

قولُه: (مِن نَقْصٍ) يعني: من حقِّها، فهو مفعولٌ ثانٍ، أو من الظُّلمِ فمَصدرٌ.

قولُه: (العَمَلُ) أو الظُّلمُ.

قولُه: (زِنَةَ) أي: مقدارَ، ورفعُ ﴿مِثقَالُ﴾[1] على ﴿كَانَ﴾ التَّامَّةِ.

قولُه: (أي: بِمَوْزُونِهَا) وهو الصَّحيفَةُ؛ يعني: على حذفِ المضافِ؛ إذ العَمَلُ عرَضٌ لا يبقَى زمانينِ، وقيلَ: تُجسَّد الأعمالُ، فيكونُ المعنى: أحضَرْناها.

قولُه: (مُحْصِينَ) ومُحيطينَ؛ إذ لا مزيدَ على عِلمِنا وعَدلِنا.

قولُه: (﴿وَضِيَاءً﴾) يُستَضاءُ به في ظُلمةِ الحيرةِ والجهالَةِ.

قولُه: (أي: عِظَةً) أو ذكرَ ما يُحتاجُ إليه في الدِّينِ.

قولُه: (عَنِ النَّاسِ) حالٌ عن الفاعلِ، وجوَّزَ عن المفعولِ.

قولُه تعالى: (﴿مُبَارَكٌ﴾) أي: كثيرٌ خيرُهُ في الدَّارينِ.

قولُه: (الاستِفهَامُ) الأخصَرُ: استِفهامُ توبيخٍ.

قولُه: (أي: هُدَاهُ) أي: الاهتِداءَ لوجوهِ الصَّلاحِ.

قولُه: (قَبْلَ بُلُوغِهِ) حيثُ قالَ: ﴿إنِّي وجَّهتُ﴾ [الأنعام: ٧٩]، وقيلَ: قبلَ موسَى وهارونَ، أو محمَّدٍ عليهم

---

(١) أي: قرئ بالرفع وهي قراءة نافع كما في «السبعة» (ص: ٤٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٥). أما في المتن فهو بالنصب على قراءة باقي السبعة؛ لأن المصنف اعتبر ﴿كان﴾ هي الناقصة حيث ذكر اسمها.

﴿وكُنّا بِهِ عالِمِينَ﴾ بأنه أهل لذلك، ٥٢ ـ ﴿إذ قالَ لِأبِيهِ وقَومِهِ: ما هذِهِ التَّماثِيلُ﴾: الأصنام ﴿الَّتِي أنتُم لَها عاكِفُونَ﴾ أي: على عبادتها مُقيمون؟ ٥٣ ـ ﴿قالُوا: وَجَدْنا آباءَنا لَها عابِدِينَ﴾، فاقتدينا بهم. ٥٤ ـ ﴿قالَ﴾ لهم: ﴿لَقَد كُنتُم أنتُم وآباؤُكُم﴾ بعِبادتها ﴿في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ.

٥٥ ـ ﴿قالُوا: أجِئتَنا بِالحَقِّ﴾ في قولك هذا، ﴿أم أنتَ مِنَ اللاّعِبِينَ﴾ فيه؟ ٥٦ ـ ﴿قالَ: بَل رَبُّكُم﴾ المُستحقّ للعبادة ﴿رَبُّ﴾: مالكُ ﴿السَّماواتِ والأرضِ، الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾: خلقهنّ على غير مِثال سبق، ﴿وأنا عَلَى ذلِكُم﴾ الذي قلته ﴿مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ به، ٥٧ ـ ٥٨ ـ ﴿وتاللهِ لَأكِيدَنَّ أصنامَكُم، بَعدَ أنْ تُوَلُّوا مُدبِرِينَ! فجَعَلَهُم﴾ بعد ذَهابهم إلى مُجتمعهم في يوم عِيد لهم ﴿جُذاذًا﴾، بضمّ الجيم وكسرها: فُتاتًا بفأس، ﴿إلاّ كَبِيرًا لَهُم﴾ علّق الفأس في عُنقه، ﴿لَعَلَّهُم إلَيهِ﴾ أي: الكبيرِ ﴿يَرجِعُونَ﴾ فيرَون ما فُعِلَ بغيره.

السَّلامُ، وسُئلَ الجُنَيدُ: متى أُوتيَ رُشدَهُ؟ فقال: حينَ لا متى[1]. قلتُ: لو قيلَ: «قبلَ متى» لأتى بالمَأتيِّ.

قولُه: (لِذَلِكَ) أي: لما آتيناهُ.

قولُه: (عَلَى عِبَادَتِهَا) فاللّامُ بمَعنى: على.

قولُه: (مُقِيمُونَ) أي: مُداوِمونَ ومواظِبونَ ومُقبِلونَ.

قولُه: (فَاقْتَدَيْنَا) الأظهرُ: فقلَّدْناهُم.

قولُه: (فِيْهِ) استِبعاداً لتَضليلِ آبائِهم.

قولُه: (خَلَقَهُنَّ) وقيل: هنَّ لـ﴿التَّماثيلُ﴾.

قولُه: (قُلْتُهُ) من التَّوحيدِ.

قولُه: (بِهِ) المتحقِّقينَ له، والمُبرهنينَ عليه؟

وقولُه: (﴿لَأَكِيْدَنَّ﴾) لأجتهِدنَّ في كسرِها، ولعلَّه قال ذلك سرًّا.

قولُه: (وكَسْرِهَا) كسائيٌّ[2].

قولُه: (فُتَاتاً) وقطاعاً، فُعالٌ بمعنى مَفعولٍ.

قولُه: (﴿إِلَيْهِ﴾) إلى الكَبيرِ، وقيل: إلى إبراهيمَ، أو إلى اللهِ.

قولُه: (فَيَرَوْنَ) ويسألونَهُ عن كاسِرِها؛ إذ مِن شأنِ المعبودِ أن يُرجِعَ إليه في حلِّ العُقدِ.

---

(١) انظر: «حقائق التأويل» للسلمي (٢/ ٨)، و«روح المعاني» (٩/ ١٠٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٨).

٥٩ ـ ﴿قالُوا﴾ بعد رُجوعهم ورُؤيتهم ما فُعِل: ﴿مَن فَعَلَ هذا بِآلِهتِنا؟ إِنَّهُ لَمِنَ الظّالِمِينَ﴾ فيه.

٦٠ ـ ٦١ ـ ﴿قالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنا فَتًى يَذكُرُهُم﴾ أي يَعيبهم، ﴿يُقالُ لَهُ إبراهِيمُ. قالُوا: فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعيُنِ النّاسِ﴾ أي: ظاهِرًا، ﴿لَعَلَّهُم يَشهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

٦٢ ـ ٦٣ ـ ﴿قالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿أأنتَ﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأُخرى وتركه ـ ﴿فَعَلتَ هذا بِآلِهتِنا؟ يا إبراهِيمُ. قالَ﴾ ساكتًا عن فعله: ﴿بَل فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هذا. فاسأَلُوهُم﴾ عن فاعله، ﴿إن كانُوا يَنطِقُونَ﴾. فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله تعريض لهم بأنّ الصنم المعلومَ عجزُه عن الفعل لا يكون إلـٰهًا.

٦٤ ـ ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِم﴾ بالتفكّر، ....

قولُه: (فِيْهِ) بجُرأتِهِ.

قولُه: (يَعِيبُهُم) فلعلَّهُ فعَلَهُ.

قولُه: (أي: ظَاهِراً) فالجارُّ والمجرورُ في موضعِ الحالِ.

قولُه: (عَلَيهِ) بفعلِهِ، أو قولِهِ، أو يحضرونَ عُقوبتَنا له.

قولُه: (بتَحْقِيقِ) حُقِّقَ مِراراً.

قولُه: (عَن فِعْلِهِ) أي: فعلِ نفسِهِ.

وقولُه تعالى: (﴿بَلْ فَعَلَهُ﴾) أسندَ الفعلَ إلى الكَبيرِ تجوُّزًا؛ لأنَّ غيظَهُ لِمَا رأى من زيادَةِ تعظيمِهِم له سببٌ لمباشَرتِهِ الكَسرَ، وقيل: إلى ضميرِ ﴿فَتًى﴾ أو ﴿إِبْرَاهِيم﴾، وقولُهُ: ﴿كَبِيْرُهُم هَذَا﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، ولذلك وُقِفَ على[1]: ﴿فَعَلَهُ﴾.

قولُه: (فِيهِ تَقدِيمُ جَوَابِ الشَّرْطِ) أي: جوازُهُ، وفيه: أنَّ حذفَ جوابِ الشَّرطِ واجبٌ إن تقدَّمَ عليه كما في «المغني»[2]، ويُمكنُ أن يُحمَلَ كلامُ الشَّيخِ عليه بتكلُّفٍ.

قولُه: (تَعْرِيضٌ) فيه إشارَةٌ إلى أنَّ ما رُويَ أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ: «لم يَكذِبْ إلَّا ثَلاثَ كذباتٍ»[3] تسميَةٌ للمَعاريضِ كذباً لَمَّا شابهَت صورَتُها صورتَهُ.

قولُه: (بالتَّفَكُّرِ) إلى قلوبِهِم وعقولِهِم، أو بعضِهِم إلى بعضٍ.

---

(١) في (ص) زيادة: «قوله».

(٢) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٨٤٩).

(٣) رواه البخاري (٥٠٨٤)، ومسلم (٢٣٧١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿فقالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُم أَنتُمُ الظَّالِمُونَ﴾، أي: بعِبادتكم من لا ينطق. ٦٥ ـ ﴿ثُمَّ نُكِسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُؤُوسِهِم﴾ أي: رُدّوا إلى كُفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَد عَلِمتَ: ما هؤُلاءِ يَنطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسُؤالهم؟

٦٦ ـ ﴿قالَ: أفتَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿ما لا يَنفَعُكُم شَيئًا﴾ من رِزق وغيره، ﴿ولا يَضُرُّكُم﴾ شيئًا، إن لم تعبدوه؟ ٦٧ ـ ﴿أُفٍّ﴾ ـ بكسر الفاء وفتحها ـ بمعنى مصدر أي: نَتنًا وقُبحًا ﴿لَكُم، ولِما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه. ﴿أفلا تَعقِلُونَ﴾ أنّ هذه الأصنام لا تستحقّ العِبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقّها الله تعالى ٦٨ ـ ﴿قالُوا: حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيمَ، ﴿وانصُرُوا آلِهتَكُم﴾ أي: بتحريقه، ﴿إن كُنتُم فاعِلِينَ﴾ نُصرتَها.

قولُه: (لِأَنفُسِهِم) الظَّاهرُ: قالَ بعضُهُم لبعضٍ.

قولُه: (بعِبَادَتِكُم) لا مَن نسبتُموهُ إلى الظُّلمِ بقولِكُم: ﴿إنَّه لمِن الظَّالمينَ﴾.

قولُه: (مِنَ اللهِ) أي: انقَلبوا إلى المجادَلَةِ بعد ما استَقامُوا بالمراجَعةِ.

قولُه: (رُدُّوا) شبَّهَ عودَهُم إلى الباطِلِ بصَيرُورةِ أسفلِ الشَّيءِ مُستعلياً على أعلاهُ.

قولُه: (وقَالُوا) أو: قائِلينَ.

قولُه: (وغَيرِهِ) كجَوابِ سؤالٍ: إذا عبَدتُموهُ.

قولُه: (بكَسْرِ الفَاءِ) مع التَّنوينِ نافعٌ وحفصٌ، وبدونِهِ بصريٌّ وكوفيٌّ غيرُ حفصٍ[١].

قولُه: (وفَتحِهَا) مكِّيٌّ وشاميٌّ[٢].

قولُه: (تبًّا) أو: (نتناً)[٣]، واللَّامُ لبيانِ المتأفَّفِ له.

قولُه: (أي: غَيره) تضجُّرٌ منه عليهِ السَّلامُ على إصرارِهم بالباطِلِ البيِّنِ.

قولُه: (أنَّ هذِهِ) الأخصَرُ: قبحَ صنيعِكُم.

قولُه: (أي: إبرَاهِيمَ) أخَذوا في المضارَّةِ لمَّا عجِزُوا عن المحاجَّةِ.

قولُه: (أي: بتَحْرِيقِهِ) الأظهرُ: بالانتِقامِ لها.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٢٩).

(٣) وهو لفظ المتن.

فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في مَنجَنيقٍ ورمَوه في النار. ٦٩ ـ قال الله تعالى: ﴿قُلْنا: يا نارُ، كُوني بَرْدًا وسَلامًا على إبراهِيمَ﴾،.................

قولُه: (أَضْرَمُوا) أوقَدُوا.

قولُه: (فِي جُمْعةٍ)[١] وقيل: مدَّةَ شهرٍ، وكانَ الرَّجلُ يمرضُ فيقولُ: لئِن عافاني اللهُ لأجمعنَّ حطباً لإبراهيمَ[٢]، وكانت المرأةُ تغزِلُ وتشتري الحطبَ فتُلقيهِ احتِساباً[٣].

قولُه: (كِتَافاً) كذا في نسخةٍ[٤]، نصبٌ بنزعِ الخافِضِ، وهو حبلٌ يُشَدُّ به.

قولُه: (مَنْجَنِيقٍ) وتُكسرُ ميمُه، آلةٌ يُرمى بها الحجارَةُ، مُعرَّبةٌ، وقد تذكَّرُ، فارسيَّتُها: من جه نيك[٥]؛ أي: ما أجودني.

قولُه: (وَرَمَوهُ) فصاحت السَّماءُ والأرضُ ومَن فيهما من الملائكةِ والخَلقِ إلَّا الثَّقلينِ صيحةً واحِدةً: أي ربَّنا، خليلُكَ يُلقى في النَّارِ وليسَ في أرضِكَ أحدٌ يعبدُكَ غيرَهُ، فأْذَنْ لنا في نُصرتِهِ، فقالَ تعالى: إنِ استَغاثَ بكُم فانصُروهُ، فقالَ له جبريلُ: هل لكَ حاجَةٌ؟ قالَ: أمَّا إليكَ فلا، فقالَ: فسَل ربَّكَ، قالَ: حَسبي مِن سُؤالي علمُه بحالي[٦]، فجعَلَ اللهُ ببركةِ قولِهِ الحظيرَةَ روضةً، فاطَّلعَ عليه نمرودُ من القَصرِ فقالَ: إنِّي مقرِّبٌ إلى ربِّكَ، فذبحَ أربعةَ آلافِ بقرةٍ، وكفَّ عن إبراهيمَ[٧]، وكانَ إذ ذاكَ ابن ستَّ عشرةَ سنةً.

قولُه تعالى: (﴿بَرْداً وَسَلَاماً﴾) أي: ذاتَ بردٍ وسَلامٍ، أو مصدَرانِ للمُبالغةِ؛ أي: ابرُدي برداً غيرَ ضارٍّ، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: لو لم يقلْ: ﴿وسَلَاماً﴾ لَماتَ إبراهيمُ مِن بَردِها[٨].

---

(١) كذا ذكر، ولعل الصواب هو الذي في المتن: «في جميعه»؛ أي: جميع الحطب، ولم أجد من ذكر الجمعة في مدة جمع الحطب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٦٥) عن السدي.

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٤).

(٤) ليست في المتن، ولعلها بعد قوله: «وأوثقوا إبراهيم».

(٥) انظر: «لسان العرب» (١٠/ ٣٣٨).

(٦) ذكره ابن عراق في «تنزيه الشريعة» (١/ ٢٥٠) بلفظ: «علمه بحالي يغني عن سؤالي» ونقل عن ابن تيمية قوله: موضوع. وجاء في «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٨٣): ليس له إسناد معروف، وهو باطل، بل الذي ثبت أنه قال: (حسبي الله ونعم الوكيل). رواه البخاري (٤٥٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: (حسبي الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

(٧) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).

(٨) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٦٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٢٣٦).

فلم تُحرق منه غيرَ وِثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها. وبقوله «سلامًا» سلِمَ من الموت ببردها.

٧٠ ـ ﴿وأرادُوا بِهِ كَيدًا﴾ ـ وهو التحريق ـ ﴿فجَعَلْناهُمُ الأخسَرِينَ﴾ في مُرادهم، ٧١ ـ ﴿ونَجَّيناهُ ولُوطًا﴾ ابنَ أخيه هارانَ من العِراق ﴿إلَى الأرضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها لِلعالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار ـ وهي الشام. نزل إبراهيمُ بفِلَسطينَ ولوطٌ بالمؤتفكة، وبينهما يوم ـ ٧٢ ـ ﴿ووَهَبْنا لَهُ﴾: لإبراهيم ـ وكان سأل ولدًا كما ذُكر في «الصافات» ـ ﴿إسحاقَ، ويَعقُوبَ نافِلَةً﴾ أي: زيادةً على المسؤول، أو هو ولدُ الولد،..

ومِن المعروفِ في الآثارِ أنَّه لم يبقَ يومئذٍ نارٌ في الأرضِ إلَّا طفِئت[١]، فلم يُنتفَعْ في ذلك اليومِ بنارٍ في العالمِ، ولو لم يقلْ: ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ بقيَتْ ذاتَ بردٍ أبداً.

قولُه: (وَذَهَبَتْ حَرَارَتُهَا) في البَيضاويِّ: وانقِلابُ النَّارِ هواءً طيِّباً ليسَ ببدعٍ، غيرَ أنَّه هكذا على خلافِ المعتادِ، فهو إذن من مُعجزاتِهِ، وقيل: كانت النَّارُ بحالِها، لكنَّهُ تعالى دفعَ عنه أذيَّتَها كما ترى في السَّمندَرِ[٢]، ويُشعِرُ به قولُه: ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[٣].

والشيخُ مالَ إلى هذا القيلِ، وعليه اقتصَرَ صاحبُ «المداركِ»[٤].

قولُه: (فِي مُرَادِهِم) حيثُ عادَ كيدُهُم بُرهاناً قاطعاً على أنَّهم على الباطِلِ وإبراهيمَ على الحقِّ، ومُوجِباً لمزيدِ درجتِهِ واستحقاقِهِم عذابَ النَّارِ.

قولُه: (هَارَانَ) عطفُ بيانٍ لـ«أخيه».

قولُه: (بِكَثْرَةِ الأَنْهَارِ) وبمهبطِ أكثرِ الأنبياءِ الكبارِ.

قولُه: (بِفِلسطِيْنَ) بكسرِ أوَّلِهِ وقد يُفتَحُ فاؤُهُ: ناحيةٌ بالشَّامِ.

قولُه: (يَوْمٌ) أو ليلةٌ.

قولُه: (عَلَى المَسْؤُولِ) وهو إسحاقُ (أو هُوَ وَلَدُ الوَلَدِ) الأظهرُ أن يقولَ: أو ولدُ ولدٍ، وعلى القولَينِ يختصُّ بيعقوبَ، ولا بأسَ للقرينةِ.

---

(١) وهذا مذكور في الأثر السابق لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) في (ص): «السمندل». جاء في «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٦/ ٢٦٣): السمندل: وفي نسخة: السمندر، بالراء، وفي أخرى: السمند، وهي لغات فيه لتلاعبهم فيه؛ لأنه معرب، وهو طائر أو دويبة كالفأر لا تحرقها النار، ويجعل من ريشها أو وبرها مناديل، ولا تحرقها النار.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٥٦).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٤١٢).

﴿وكُلًّا﴾ أي: هو وولداه ﴿جَعَلْنا صالِحِينَ﴾ أي: أنبياءَ، ٧٣ ـ ﴿ وجَعَلْناهُم أئمَّةً﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: يُقتدَى بهم في الخير، ﴿يَهدُونَ﴾ الناس ﴿بِأمرِنا﴾ إلى دِيننا، ﴿وأوحَينا إلَيهِم فِعلَ الخَيراتِ، وإقامَ الصَّلاةِ وإيتاءَ الزَّكاةِ﴾ أي: أن تُفعل وتُقام وتُؤتى منهم ومن أتباعهم. وحذفُ هاء «إقامة» تخفيف. ﴿وكانُوا لَنا عابِدِينَ﴾.

٧٤ ـ ٧٥ ـ ﴿ولُوطًا آتَيناهُ حُكمًا﴾: فصلاً بين الخُصوم ﴿وعِلمًا، ونَجَّيناهُ مِنَ القَرْيةِ الَّتِي كانَتْ تَعمَلُ﴾ أي: أهلُها الأعمالَ ﴿الخَبائثَ﴾ من اللِّواط والرمي بالبُندق واللعب بالطيور وغير ذلك ـ ﴿إنَّهُم كانُوا قَومَ سَوءٍ﴾: مصدرُ: ساءَه، نقيضِ: سرَّه ﴿فاسِقِينَ ـ وأدخَلْناهُ في رَحْمَتِنا﴾ بأن أنجيناه من قومه. ﴿إنَّهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾.

٧٦ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿نُوحًا﴾ ـ وما بعده بدلٌ منه ـ ﴿إذ نادَى﴾: دعا على قومه، بقوله: «رَبِّ لا تَذَرْ» إلى آخره، ﴿مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ إبراهيمَ ولُوطٍ، ﴿فاستَجَبْنا لَهُ، فنَجَّيناهُ وأهلَهُ﴾ الذين في سفينته ﴿مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾ أي: الغرقِ وتكذيب قومه له، ....

وقيلَ: ﴿نَافِلَةً﴾: عطيَّةً، فهو حالٌ منهما، وقيل: مصدرٌ من غيرِ فعلِهِ.

قولُه: (أي: هُوَ وَوَلَدَاهُ) وقالَ البيضاويُّ: يعني: الأربَعةَ[1]. فأدخَلَ لوطاً.

قولُه: (بتَحْقِيقِ) تقدَّمَ في التَّوبةِ[2].

قولُه: (أن تُفعَلَ) فالمصادرُ[3] بمعنى المفعولِ، وفيه تخصِيصٌ بعدَ تعميمٍ.

قولُه: (تَخْفِيفٌ) والتَّحقيقُ: أنَّ حذفَ تاءِ «الإقامةِ» المعوَّضةِ من إحدى الألفَينِ ـ وهي الزَّائدةُ عند الجمهُورِ ـ لقيامِ المضافِ إليه مَقامَها.

قولُه: (وغَيرِ ذَلِكَ) من الضُّراطِ، وحذفِ المارَّةِ بالحَصا.

قولُه تعالى: (﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾) أي: في أهلِ رحمَتِنا، أو: في جنَّتِنا.

قولُه: (أي: قَبْلِ إبْرَاهِيمَ) الأخصرُ: قَبْلِ المذكورينَ.

قولُه: (وتَكْذِيبِ قَوْمِهِ) والكَربُ: الغمُّ الشَّديدُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٥٦).

(٢) انظر: الآية (١٢) من سورة التوبة.

(٣) في (ص): «فالمصدر».

٧٧ ـ ﴿ونَصَرْناهُ﴾: منعناه ﴿مِنَ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ الدالّة على رسالته، ألاّ يَصِلوا إليه بسُوء. ﴿إنَّهُم كانُوا قَومَ سَوءٍ، فأغرَقْناهُم أجمَعِينَ﴾.

٧٨ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿داوُدَ وسُلَيمانَ﴾ أي: قِصّتَهما، ويُبدل منهما: ﴿إذ يَحكُمانِ في الحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرمٌ، ﴿إذ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَومِ﴾ أي: رعته ليلاً بلا راع بأن انفلتتْ، ﴿وكُنّا لِحُكمِهِم شاهِدِينَ﴾ ـ فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين. قال داود: لصاحبِ الحرث رقابُ الغنم. وقال سُليمان: يَنتفع بدَرّها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان بإصلاح صاحبها، فيردَّها إليه ـ ٧٩ ـ ﴿ففَهَّمْناها﴾ أي: الحُكومةَ ﴿سُلَيمانَ﴾ ـ وحكمُهما باجتهادٍ ورجَعَ داود إلى سليمان، وقيل: بوحيٍ والثاني ناسخ للأول ـ ﴿وكُلًّا﴾ منهما ﴿آتينا﴾هُ ﴿حُكمًا﴾: نُبوّة ﴿وعِلمًا﴾ بأمور الدِّين، ﴿وسَخَّرْنا مَعَ داوُدَ الجِبالَ، يُسَبِّحْنَ، والطَّيرَ﴾ كذلك، سُخّرا للتسبيح معه، لِأمره به إذا وَجدَ فترة لينشط له، ﴿وكُنّا فاعِلِينَ﴾ تسخيرَ تسبيحهما معه، وإن كان عجَبًا عندكم، أي: مجاوبةً للسيد داود، ٨٠ ـ ﴿وعَلَّمْناهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ﴾ وهي الدِّرع لأنها تُلبس ـ وهو أوّل مَن صنعها وكان قبلها صفائحُ ـ ﴿لَكُم﴾ في جملة الناس،..............

قولُه: (بِسُوءٍ) أي: بشَيءٍ ممَّا يسوؤُهُ من الأذَى.

قولُه: (أو كَرْمٌ) تدلَّتْ عناقيدُهُ.

قولُه: (لاثْنَينِ) وقُرئ: (لِحُكْمِهِمَا)[1]، أو: لحُكمِ الحاكِمَينِ والمتحاكِمَينِ، فالإضافَةُ إلى الفاعلِ والمفعولِ.

قولُه: (لِصَاحِبِ) خبرٌ مقدَّمٌ.

قولُه: (سُلَيمَانُ) وهو ابنُ إحدى عشرةَ سنةً.

قولُه: (يَنتَفِعُ) صاحِبُ الحرثِ.

قولُه: (صَاحِبِهَا) أي: الغَنمِ.

قولُه: (فَيَرُدَّهَا إلَيهِ) أي: صاحبُ الحَرثِ الغَنمَ إلى صاحِبِ الغنمِ.

قولُه: (لِأَمْرِهِ بِهِ) أي: لأمرِ اللهِ بالتَّسبيحِ بخَلقِ اللهِ فيهما.

قولُه: (تَسْخِيرَ) أو: لأمثالِهِ، فليسَ ببِدْعٍ منَّا وإن كانَ عجيباً عندَكُم.

قولُه: (قَبْلَهَا) أو قبلهُ، فحلَّقَها وسرَدَها؛ أي: نَظَمَها.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣١٩) ونسبت لابن مسعود وابن أبي عبلة.

﴿لِنُحصِنكُم﴾ بالنون لِلهِ، وبالتحتانيّة لداودَ، وبالفوقانيّة للبُوس، ﴿مِن بأسِكُم﴾: حربكم مع أعدائكم. ﴿فهَل أنتُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿شاكِرُونَ﴾ نِعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

٨١ ـ ﴿و﴾ سخّرنا ﴿لِسُلَيمانَ الرِّيحَ عاصِفةً﴾ ـ وفي آية أُخرى: «رُخاءً» ـ أي: شديدةَ الهبوب وخفيفتَه بحسَب إرادته، ﴿تَجرِي بِأمرِهِ إلَى الأرضِ الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ وهي الشام، ﴿وكُنّا بِكُلِّ شَيءٍ عالِمِينَ﴾. من ذلك علمُه ـ تعالى ـ بأنّ ما يُعطيه سليمانَ يدعوه إلى الخضوع لربّه. ففعلَه ـ تعالى ـ على مُقتضى علمه، ٨٢ ـ ﴿و﴾ سخّرنا ﴿مِنَ الشَّياطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ﴾:..........

قولُه: (بالنُّونِ) شعبةُ(١).

قولُه: (لِدَاوُدَ) أو لـ﴿لبوسٍ﴾، أو للهِ تعالى.

قولُه: (وبالفَوْقَانِيَّةِ) شاميٌّ وحفصٌ(٢).

قولُه: (لِـ﴿لَبُوسٍ﴾) على تأويلِ الدِّرعِ، والظَّاهرُ: للصَّنعةِ.

قولُه: (يَا أَهْلَ مَكَّةَ) الأعمُّ أتمُّ.

قولُه: (بتَصدِيقِ الرَّسُولِ) يناسِبُ الخطابَ بأهلِ مكَّةَ.

قولُه: (أي: اشْكُرُونِي) الأَولى: اشكُروا لي(٣)؛ يَعني: أنَّه أمرٌ أخرجَهُ في صورَةِ الاستِفهامِ للمُبالغَةِ.

قولُه: (بذَلِكَ) أي: بذلكَ التَّصديقِ، أو: بما ذكرَ من النِّعَمِ، والكافُ لمطلقِ الخطابِ.

قولُه: (أي: شَدِيدَةَ الهُبُوبِ) نَشرٌ.

قولُه: (بحَسْبِ إرَادَتِهِ) أي: سُليمانَ؛ يعني: كانت رُخاءً تارةً وعاصفةً أُخرى، أو عاصفةً من حيثُ إنَّها تَبعد(٤) بكرسيِّهِ في مدَّةٍ يسيرةٍ، كما قالَ: ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ [سبأ: ١٢]، وكانت رُخاءً في نفسِها طيِّبةً لا تكسرُ سنبلةً ولا تغبِّرُ.

وقيل: أوَّلُها عاصفةٌ إذ محطُّ سليمانَ مائةُ فرسخٍ.

قولُه: (وهِيَ الشَّامُ) رواحاً بعدَ ما سارَ منها بُكرةً.

قولُه: (سَخَّرْنا) إشارَةٌ إلى أنَّ ﴿مَن﴾ عطفٌ على ﴿الرِّيحَ﴾، وقيل: مبتدأٌ خبرُهُ ما قبْلَه(٥).

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٦٩).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) في (م): «إلي».

(٤) في (ص): «تغدوا».

(٥) أي: ﴿من يغوصون﴾ مبتدأ مؤخر، و﴿من الشياطين﴾ خبر مقدم.

يدخلون في البحر فيُخرجون منه الجواهر لسُليمان، ﴿ويَعمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذلِكَ﴾ أي: سِوى الغَوصِ من البناء وغيره، ﴿وكُنّا لَهُم حافِظِينَ﴾ من أن يُفسدوا ما عملوا لأنهم كانوا إذا فرَغوا من عمل قبل الليل أفسدوه، إن لم يشتغلوا بغيره.

٨٣ ـ ٨٤ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿أيُّوبَ﴾، ويُبدل منه: ﴿إذ نادَى رَبَّهُ﴾ لمّا ابتُلي بفقدِ جميع ماله وولده وتمزيقِ جسده وهجرِ جميع الناس له إلاّ زوجتَه، سنين ثلاثًا أو سبعًا أو ثمانيَ عشرةَ، وضُيِّق عيشُه: ﴿أنّي﴾ ـ بفتح الهمزة بتقدير الباء ـ ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ أي: الشِّدّة، ﴿وأنتَ أرحَمُ الرّاحِمِينَ. فاستَجَبْنا لَهُ﴾ دعاءه، ﴿فكَشَفْنا ما بِهِ مِن ضُرٍّ، وآتَيناهُ أهلَهُ﴾: أولاده الذكور والإناث بأن أُحيُوا له، وكُلّ من الصِّنفين ثلاث أو سبع، ﴿ومِثلَهُم مَعَهُم﴾ من زوجته، وزِيدَ في شبابها. «وكانَ لهُ أندَرٌ للقَمحِ وأندَرٌ للشَّعيرِ، فبعَثَ اللهُ سحابتَينِ، أفرَغَتْ إحداهُما على أندَرِ القَمحِ الذَّهَبَ، وأفرَغَتِ الأُخرَى على أندَرِ الشَّعيرِ الوَرِقَ، حتَّى فاضَ»، ﴿رَحْمةً﴾: مفعول له ﴿مِن عِندِنا﴾: صفةٌ، ﴿وذِكرَى لِلعابِدِينَ﴾ ليصبروا فيُثابوا.

قولُه: (منَ البِنَاءِ) أي: بناءِ المدُنِ والقُصورِ.

قولُه: (وغَيرِهِ) من اختِراعِ الصَّنائعِ الغَريبةِ.

قولُه: (أنْ يُفسِدُوا) أو يَميلوا عن أمرِهِ.

قولُه: (كَانُوا) على ما هو مُقتَضى جبلَّتِهِم.

قولُه: (سِنِينَ) رُوِيَ: أنَّ امرأتَهُ قالت له يوماً: لو دعَوتَ اللهَ، فقالَ: كم كانت مدَّةُ الرَّخاءِ؟ فقالت: ثمانينَ سنةً، فقال: أستحيِي مِن اللهِ أن أدعوهُ وما بلغَتْ مدَّةُ بلائي مدَّةَ رخائي[١].

قال القاضي: وصفَ ربَّهُ بغايةِ الرَّحمةِ بعدَ ما ذكَّرَ نفسَه بما يوجِبُها، واكتفَى بذلك عن عرضِ المطلوبِ لطفاً في السُّؤالِ[٢].

قولُه: (نِدَاءَهُ) المتضمِّنَ دعاءَهُ.

قولُه: (مِنْ زَوجَتِهِ) أي: مثلَ الأولادِ منها، وقيل: وُلِدَ له منهم نوافِلُ، وقيل: وُلِدَ لهُ ضعفُ ما كانَ.

قولُه: (أَندَرٌ) أي: بَيْدَر، وهو الكُدْسُ.

قولُه: (حَتَّى فَاضَ) يقالُ: فاضَ الماءُ؛ أي: كثرَ[٣] حتَّى سالَ كالوادِي.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً. وانظر: «الكشاف» (٣/ ١٣١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٥٨).

(٣) في (م) و(ن): «أكثر».

٨٥ ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿إسماعِيلَ وإدرِيسَ وذا الكِفلِ، كُلٌّ مِنَ الصّابِرِينَ﴾ على طاعة الله وعن معاصيه، ٨٦ ـ ﴿وأدخَلْناهُم في رَحْمتِنا﴾ من النُّبوّة. ﴿إنَّهم مِنَ الصّالِحِينَ﴾ لها. وسُمّي ذا الكِفل لأنه تكفّل بصيام جميع نهاره وقِيام جميع ليله، وأن يقضي بين الناس ولا يغضب، فوفى بذلك. وقيل: لم يكن نبيًّا.

٨٧ ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿ذا النُّونِ﴾: صاحبَ الحُوت ـ وهو يُونُس بن مَتّى ـ ويُبدل منه: ﴿إذ ذَهَبَ مُغاضِبًا﴾ لقومه، أي: غضبانَ عليهم ممّا قاسى منهم، ولم يُؤذَن له في ذلك، ﴿فظَنَّ أن لَن نَقدِرَ علَيهِ﴾ أي: نقضيَ عليه ما قضيناه من حبسه في بطن الحُوت، أو نضيّق عليه بذلك، ﴿فنادَى في الظُّلُماتِ﴾: ظُلمةِ الليل وظُلمة البحر وظُلمة بطن الحُوت: ﴿أن﴾ أي: بأن ﴿لا إلٰـهَ إلاّ أنتَ، سُبحانَكَ! إنِّي كُنتُ مِنَ الظّالِمِينَ﴾ في ذَهابي من بين قومي بلا إذن. ٨٨ ـ ﴿فاستَجَبْنا لَهُ، ونَجَّيناهُ مِنَ الغَمِّ﴾ بتلك الظلمات.

قولُه تعالى: (﴿وذَا الكِفلِ﴾) يعني: إلياسَ، وقيلَ: يُوشَعُ، وقيلَ: زكريَّا، وقيلَ: نبيٌّ مستقلٌّ؛ [سمِّي به][1] لأنَّهُ كانَ ذا حظٍّ من اللهِ، أو تكفَّلَ أُمَّتَه، أو له ضِعفُ عملِ أنبياءِ زمانِهِ وثوابِهِم.

قولُه: (وعَنْ مَعَاصِيْهِ) وفي أنواعِ بلائِهِ.

قولُه: (مِنَ النُّبُوَّةِ) أو نعمَةِ الآخِرةِ.

قولُه: (لَهَا) أي: للنُّبوَّةِ، أو للرَّحمةِ، أو الصَّلاحُ: القيامُ بحقوقِ اللهِ وحقوقِ العبادِ.

قولُه: (وسُمِّيَ) كانَ حقُّهُ التَّقدُّمَ.

قولُه: (لِمَا قَاسَى) لطولِ دَعوتِهم وتَمادي إصرارِهِم مُهاجراً عنهُم.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: الذَّهابِ، وقيلَ: وعدَهُم بالعذابِ بعدَ ثلاثٍ فخرجَ من بينِهِم فلم يأتِهِم بميعادِهِ[2] لتوبتِهِم، ولم يعرِف الحالَ فحسبَ أنَّهُ كذبَهُم وغضبَ مِن ذلك، والمغالَبةُ للمُبالغَةِ.

قولُه: (أي: نَقْضِي) أو: لن تعملَ فيه قدرتُنا، وقالَ جُنَيدٌ: أن لا نُريَهُ قدْرَ نفسِهِ في سخطِهِ على عبادِنا[3].

قولُه: (بَطْنِ الحُوْتِ) قيلَ: ابتلعَهُ حوتٌ آخَرُ.

قولُه تعالى: (﴿سُبْحَانَكَ﴾) أن يُعجِزَكَ شيءٌ.

قولُه: (بِتِلْكَ الظُّلُمَاتِ) يعني: الغمُّ غمُّ الالتقامِ، وقيلَ: غمُّ الخطيئةِ. بأنْ قذفَهُ[4] الحوتُ إلى السَّاحلِ بعدَ

---

(١) من «الكشاف» و«أنوار التنزيل» و«مدارك التنزيل»، وقوله: «أو نبي مستقل» لم أجد من ذكره.

(٢) في (ص): «بميعادهم».

(٣) انظر: «حقائق التأويل» للسلمي (٢/ ١٤).

(٤) أي: نجيناه بأن قذفه.

﴿وكَذٰلِكَ﴾ كما أنجيناه ﴿نُنْجِي المُؤمِنِينَ﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين.

٨٩ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿زَكَرِيّاءَ﴾ ويُبدل منه: ﴿إذ نادَى رَبَّهُ﴾ بقوله: ﴿رَبِّ، لا تَذَرْنِي فَرداً﴾ أي: بلا ولد يرثني. ﴿وأنتَ خَيرُ الوارِثِينَ﴾ الباقي بعد فناء خلقك. ٩٠ ـ ﴿فاستَجَبْنا لَهُ﴾ نِداءه، ﴿ووَهَبْنا لَهُ يَحيَى﴾ ولدًا، ﴿وأصلَحْنا لَهُ زَوجَهُ﴾ فأتت بالولد بعد عُقمها. ﴿إنَّهُم﴾ أي: مَن ذُكر من الأنبياء ﴿كانُوا يُسارِعُونَ﴾: يُبادرون ﴿في الخَيراتِ﴾: الطاعات، ﴿ويَدعُونَنا رَغَبًا﴾ في رحمتنا ﴿ورَهَبًا﴾ من عذابنا، ﴿وكانُوا لَنا خاشِعِينَ﴾: متواضعين في عِبادتهم.

٩١ ـ ﴿و﴾ اذكرْ مَريمَ ﴿الَّتِي أحصَنَتْ فَرْجَها﴾: حَفظتْه من أن يُنال، ﴿فنَفَخْنا فِيها مِن رُوحِنا﴾ أي: جِبريلَ، حيث نفخ في جيب دِرعها فحملت بعيسَى،.........................

أربعِ ساعاتٍ في بطنِهِ، وقيلَ: ثلاثةِ أيامٍ، وقيلَ: أربعين.

قولُه: (دَاعِينَ) مخلِصينَ، عن النَّبيِّ ﷺ: «ما مِن مَكرُوبٍ يَدعُو بِهَذا الدُّعاءِ إلَّا استُجِيبَ لهُ» رواهُ التِّرمذيُّ والحاكمُ وصحَّحَهُ[1].

وقرأ شاميٌّ وشعبةُ بتشديدِ الجيمِ على حذفِ النُّون الثَّانيةِ[2].

قولُه: (البَاقِي) فإن لم ترزُقْنِي مَن يرثُنِي فلا أُبالي بهِ.

قولُه: (نِدَاءَهُ) الأظهَرُ: دعاءَهُ.

قولُه: (يُبَادِرُونَ) أي: إلى أبوابِ الخيرِ.

قولُه: (فِيْ رَحمَتِنَا) من الثَّوابِ والإجابَةِ والطَّاعةِ؛ أي: للرَّغبةِ، أو: ذَوي رغبةٍ، أو: راغِبينَ.

قولُه: (مِن عَذَابِنَا) أو عدمِ قَبولِ الإجابَةِ، أو من المعصيَةِ.

قولُه: (مُتَوَاضِعِينَ) أو: مُخبِتينَ، أو: مخلِصينَ.

قولُه: (فِي عِبَادَتِهِم) أو: مع عِبادِنا لنا لا لهمُ ولا لأنفسِهِم.

والمعنى: أنَّهُم نالوا من اللهِ ما نالوا بهذِه الخِصالِ.

قولُه: (﴿فِيهَا﴾) أي: في عيسَى فيها؛ أي: أحيَيناهُ في جَوفِها، وقيل: ففَعلنَا النَّفخَ فيها.

قولُه: (أي: جِبْرِيلَ) أي: من جهةِ روحنا جبريلَ، أو من الرُّوحِ الَّذي هو بأمرِنا وحدَهُ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٤٤)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٦٩).

﴿وجَعَلْناها وابنَها آيَةً لِلعالَمِينَ﴾: الإنسِ والجنّ والملائكة، حيثُ ولدتْه من غير فحل ـ ٩٢ ـ ﴿إنَّ هذِهِ﴾ أي: مِلّةَ الإسلام ﴿أُمّتُكُم﴾: دِينكم، أيها المُخاطَبون، أي: يجب أن تكونوا عليها، ﴿أُمّةً واحِدةً﴾: حالٌ لازمة، ﴿وأنا رَبُّكُم. فاعبُدُونِ﴾: وحّدُونِ ـ ٩٣ ـ ﴿وتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعضُ المخاطَبين ﴿أمرَهُم بَينَهُم﴾ أي: تفرّقوا أمر دِينهم مُتخالفين فيه، وهم طوائف اليهود والنصارى. قال تعالى: ﴿كُلٌّ إلَينا راجِعُونَ﴾، أي: فنُجازيه بعمله. ٩٤ ـ ﴿فمَن يَعمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ، وهُوَ مُؤمِنٌ، فلا كُفْرانَ﴾ أي: جحودَ ﴿لِسَعيِهِ، وإنّا لَهُ كاتِبُونَ﴾ بأن نأمر الحَفَظة بكتبه فنُجازيه عليه.

قولُه تعالى: (﴿وَابْنَهَا﴾) أي: قصّتَهما، أو: حالَهُما؛ ولذلك وحّدَ ﴿آيَةً﴾، فإنَّ مَن تأمَّلَ حالَهُما تحقّقَ كمالَ قُدرةِ الصَّانعِ.

قولُه: (أي: مِلَّةَ الإِسْلامِ) أو: ملةَ التَّوحيدِ الَّتي هي ملَّةُ جَميعِ الأنبياءِ.

قولُه: (دِينُكُم) أي: ملّتُكُم.

قولُه: (أيُّهَا المُخَاطَبُونَ) وهم جميعُ الأُمَمِ.

قولُه: (أي: يجِبُ) أي: الَّتي يجِبُ عليكُم.

قولُه: (حَالٌ لازِمَةٌ) أي: مُتوحِّدَةً غيرَ متفرِّقةٍ ومختلفةٍ للأنبياءِ، والعامِلُ: ما دلَّ عليه اسمُ الإشارَةِ، وقيلَ: العاملُ فيها ﴿إِنَّ﴾ إذ الحالُ يكفي في العَملِ فيها رائِحةُ الفِعلِ.

قولُه: (بَعْضُ المُخَاطَبِينَ) يعني: صرَفَهُ إلى الغيبَةِ التِفاتاً ليوبِّخَ على الَّذينَ تفرَّقوا في الدِّينِ وجَعلوا أمرَهُ قِطعاً بقبيحِ فعلِهِم إلى غيرِهِم من المؤمنينَ.

قولُه: (أَمْرَ دِينِهِم) الظَّاهرُ: في أمرِ.

قولُه: (طَوَائِفُ اليَهُودِ) ونحوِهِم.

قولُه: (فَنُجَازِيهِ) قالَ البيضاويُّ: فنُجازيهِم[1]. فالإفرادُ باعتبارِ لفظِ الـ﴿كلٍّ﴾؛ إذِ المعنى: كلٌّ من الفِرَقِ المُتحزِّبةِ، أو أعمُّ، والجمعُ باعتِبارِ المعنى.

قولُه: (أي: جُحُودَ) استُعيرَ الكُفرانُ لمنعِ الثَّوابِ، كما استُعِيرَ الشُّكرُ لإعطائِه، ونُفِي نفيَ الجنسِ للمُبالغَةِ.

قولُه: (بكَتْبِهِ) أي: بكَتْبِ سعيِهِ.

قولُه: (فنُجَازِيه) الأَولى: فلا نُضيعُ بوجهٍ ما.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٦٠).

٩٥ ـ ﴿وحَرامٌ علَى قَرْيةٍ، أهلَكْناها﴾ أُريدَ أهلُها، ﴿أنَّهم لا﴾: زائدةٌ ﴿يَرجِعُونَ﴾ أي: مُمتنع رُجوعُهم إلى الدنيا. ٩٦ ـ ﴿حَتَّى﴾: غايةٌ لامتناع رُجوعهم ﴿إذا فُتِحَتْ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿يأجُوجُ ومأجُوجُ﴾، بالهمز وتركه: اسمان أعجميّان لقبيلتين، ويقدَّر قبله مضاف أي: سدُّهما ـ وذلك قربَ القيامة ـ ﴿وهُم مِن كُلِّ حَدَبٍ﴾: مُرتفِعٍ من الأرض ﴿يَنسِلُونَ﴾: يُسرعون، ٩٧ ـ ﴿واقترَبَ الوَعدُ الحَقُّ﴾ أي: يومُ القيامة، ﴿فإذا هِيَ﴾ أي: القِصّة ﴿شاخِصةٌ أبصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشِدّته، يقولون: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. ﴿قَد كُنّا﴾ في الدنيا ﴿في غَفْلةٍ مِن هذا﴾ اليوم، ﴿بَل كُنّا ظالِمِينَ﴾ أنفُسَنا بتكذيبنا الرسلَ.

٩٨ ـ ﴿إنَّكُم﴾ ـ يا أهلَ مكّة ـ ﴿وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه من الأوثان ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾: وَقودُها، ﴿أنتُم لَها وارِدُونَ﴾: داخلون فيها..

قولُه: (أي: مُمْتَنِعٌ) وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ وشعبةُ بكسرِ الحاءِ وسكونِ الرَّاءِ[1].

وقيل: عزمٌ عدمُ رجوعِهم، فـ﴿لَا﴾ غيرُ زائِدةٍ.

قولُه: (والتَّشدِيدِ) شاميٌّ[2].

قولُه: (بالهَمْزِ) عاصمٌ[3].

قولُه: (قُرْبَ القِيَامَةِ) وظُهورِ أماراتِها.

قولُه: (مُرتَفَعٍ منَ الأَرضِ) والضَّميرُ إلى النَّاسِ كلِّهم، وقيلَ: إلى يأجوجَ ومأجوجَ.

قولُه: (أي: القِصَّةُ) أو ضميرٌ مُبهَمٌ مفسِّرُهُ الـ﴿أبصارُ﴾؛ أي: مرتفعَةُ الأجفانِ لا تَكادُ تَطرفُ مِن هولِ ما هُم عليه.

قولُه: (يَقُولُونَ) أو: قائلينَ.

قولُه: (اليَومِ) لم نعلَم أنَّه حقٌّ.

قولُه: (يَا أَهلَ مَكَّةَ) الصَّحيحُ أنَّه عامٌّ للكفَّارِ.

قولُه: (مِنَ الأَوثَانِ) قيل: وإبليسَ وأعوانِهِ؛ لأنَّهم بطاعتِهم لهم في حُكمِ عبدَتِهم.

قولُه: (وَقُودُها) وقُرئ: (حَطَبُ جَهَنَّمَ)[4].

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣١).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٩٥) ونسبت لعلي بن أبي طالب وعائشة وابن الزبير رضي الله عنهم.

٩٩ـ١٠٠ـ ﴿لَو كانَ هؤُلاءِ﴾ الأوثانُ ﴿آلِهةً﴾ كما زعمتم ﴿ما وَرَدُوها﴾: دخلوها، ﴿وكُلٌّ﴾ من العابدين والمعبودين ﴿فِيها خالِدُونَ، لَهُم﴾: للعابدين ﴿فِيها زَفِيرٌ، وهُم فِيها لا يَسمَعُونَ﴾ شيئًا لشِدّة غليانها.

ونزل لمّا قال ابن الزِّبَعرَى: «عُبِدَ عُزيرٌ والمسيحُ والملائكةُ، فهم في النار» على مُقتضى ما تقدّم: ١٠١ ـ ١٠٢ ـ ١٠٣ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِنّا﴾ المنزلةُ ﴿الحُسنَى﴾، ومنهم من ذُكر، ﴿أُولَئِكَ عَنها مُبعَدُونَ، لا يَسمَعُونَ حَسِيسَها﴾: صوتها، ﴿وهُم فِيما اشتَهَتْ أنفُسُهُم﴾ من النعيم ﴿خالِدُونَ، لا يَحزُنُهُمُ الفَزَعُ الأكبَرُ﴾ ـ وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار ـ ﴿وتَتَلَقّاهُمُ﴾: تستقبلهم ﴿المَلائكةُ﴾ عِند خُروجهم من القُبور، يقولون لهم: ﴿هذا يَومُكُمُ الَّذِي كُنتُم تُوعَدُونَ﴾ في الدنيا.

١٠٤ ـ ﴿يَومَ﴾: منصوب بـ«اذكرْ» مُقدّرًا قبله ﴿نَطوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾: اسمُ ملَكٍ ﴿لِلكِتابِ﴾: صحيفةِ ابن آدم عِند موته ـ واللام: زائدة. أو السِّجِلُّ: الصحيفة، والكتابُ بمعنى المكتوب، واللام بمعنى: على..........................

قولُه: (دَخَلُوهَا) لأنَّ المُؤاخَذَ المعذَّبَ لا يكونُ إلهاً.

قولُه تعالى: (﴿زَفِيرٌ﴾) أنينٌ وتنفُّسٌ شديدٌ، وهو مِن إضافَةِ فعلِ البَعضِ إلى الكلِّ للتَّغليبِ إن أُريدَ بـ﴿ما يَعبُدونَ﴾ الأصنامُ فقَط.

قولُه: (شَيْئاً) أو ما يسرُّهم.

قولُه: (الزِّبَعْرَى) قبلَ أن يؤمِنَ، وهو بكسرِ الزَّاي وفتحِ الباء والرَّاء.

قولُه: (عَلَى مُقْتَضَى مَا تَقَدَّمَ) فإنَّ اليهودَ عَبَدوا عُزَيراً، والنَّصارى المسيحَ، وبنو مُلَيحٍ الملائكَةَ.

قولُه: (المَنْزِلَةُ) أو الخصلةُ، وهي السَّعادةُ، أو التَّوفيقُ للطَّاعةِ، أو البُشرى بالجنَّةِ.

وقولُه تعالى: (﴿أُولَئِكَ عَنْهَا﴾) أو: عن عَذابِها؛ لئلَّا يَرِدَ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١].

قولُه: (صَوْتَهَا) الحسيسُ: صَوتٌ يُحَسُّ به.

قولُه: (وهُوَ أن يُؤمَرَ) أو النَّفخةُ الأخيرةُ، أو حين يُطبَقُ على النَّارِ، أو يُذبَحُ الموتُ.

قولُه: (عِنْدَ خُرُوْجِهِم) أو مهنِّئينَ على أبوابِ الجنَّةِ.

قولُه: (فِي الدُّنيَا) أي: هذا يومُ ثوابِكُم.

قولُه: (صَحِيفَةِ ابنِ آدَمَ) إذا رُفِعَتْ إليه، وهو قولُ الأكثَرينَ من السَّلفِ، والطَّيُّ: ضدُّ النَّشرِ.

قولُه: (بِمَعنَى: المَكتُوبِ) أو الكتابَةِ؛ يعني: ليكتُبَ فيه، أو لِمَا يكتبُ فيه.

وفي قراءة: «لِلكُتُبِ» جمعًا ـ ﴿كَمَا بَدَأْنا أَوَّلَ خَلقٍ﴾ عن عدمٍ ﴿نُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه ـ فالكاف: مُتعلّقة بـ «نُعيد» وضميره عائد إلى «أوّل» وما: مصدريّة ـ ﴿وَعدًا عَلَينا﴾: منصوب بـ «وعَدْنا» مُقدّرًا قبله، وهو مؤكِّد لمضمون ما قبله. ﴿إِنّا كُنّا فاعِلِينَ﴾ ما وعدْنا.

١٠٥ ـ ﴿ولَقَد كَتَبْنا في الزَّبُورِ﴾ بمعنى الكتاب، أي: كُتبِ الله المُنزّلة، ﴿مِن بَعدِ الذِّكرِ﴾ بمعنى أُمّ الكِتاب الذي عِند الله، ﴿أَنَّ الأرضَ﴾: أرض الجنّة ﴿يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُونَ﴾..................

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ[1].

قولُه: (بَعْدَ إِعدَامِهِ) أي: إعدامِ جسدِهِ؛ يعني: معظمَهُ؛ إذ لا يَبلى عَجْبُ الذَّنبِ، والأنبياءُ مخصُوصونَ لأنَّ اللهَ حرَّمَ على الأرضِ أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياءِ.

قولُه: (بِـ﴿نُعِيدُ﴾) المذكورِ، أو المقدَّرِ المفسَّرِ بالمذكورِ، و﴿مَا﴾ موصولَةٌ؛ أي: نعيدُ مثلَ الَّذي بَدأناهُ نُعيدُهُ.

وقيل: الكافُ نعتٌ لمصدرٍ محذوفٍ؛ أي: نُعيدُهُ عَوداً مثلَ بدئِهِ، و﴿أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ ظرفٌ لـ﴿بَدَأْنَا﴾؛ أي: أوَّلَ ما خُلِقَ، أو حالٌ من ضميرِ الموصولِ السَّاقطِ من اللَّفظِ الثَّابتِ في المعنى، فأوَّلُ الخلقِ: إيجادُهُ؛ أي: فكما أوجدَهُ أوَّلاً يُعيدُهُ ثانياً؛ تشبيهاً للإعادَةِ بالإبداءِ في تناولِ القدرةِ لهما على السَّواءِ، والتّنكيرُ[2] في ﴿خلقٍ﴾ مثلُه في قولكَ: هو أوَّلُ رجلٍ جاءَنِي؛ تريدُ: أوَّلُ الرِّجالِ، ولكنَّكَ وحَّدتَهُ ونكَّرتَهُ إرادةَ تفصيلهم رجلاً رجلاً، فكذلكَ معنى [﴿أول خلقٍ﴾]: أوَّلَ الخلقِ، بمعنى: أوَّلَ الخلائقِ؛ لأنَّ الخلْقَ مصدرٌ لا يُجمَعُ.

قولُه: (إِلَى ﴿أَوَّلَ﴾) فيكونُ بنزعِ الخافضِ.

قولُه: (و﴿ما﴾ مَصْدَرِيَّةٌ) أو كافَّةٌ.

قولُه: (مَا قَبْلَهُ) وهو ﴿نُعِيدُهُ﴾.

وقولُه: (﴿عَلَينَا﴾) أي: إنجازُهُ؛ أي: وَعْداً كائناً لا محالةَ.

قولُه: (بِمَعْنَى الكِتَابِ) أي: الجنسِ، أو كتابِ داودَ، وضمَّ حمزةُ الزَّايَ[3].

قولُه: (أُمّ الكِتَابِ) أي: اللَّوحِ المحفوظِ، أو التَّوراةِ.

قولُه: (أي: الجَنَّةِ) أو الشَّامَ، أو أرضَ الكفَّارِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣١)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٠).

(٢) تحرفت في النسخ إلى: «والتفكر»، والتصويب مستفاد من «الكشاف» (٣/ ١٣٧ ـ ١٣٨)، وكذا ما سيأتي بين معكوفتين منه.

(٣) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٧١).

عامٌّ في كُلّ صالح. ١٠٦ ـ ﴿إنَّ في هذا﴾ القرآنِ ﴿لَبَلاغًا﴾: كفايةً في دُخول الجنّة، ﴿لِقَومٍ عابِدِينَ﴾: عاملين به، ١٠٧ ـ ﴿وما أرسَلْناكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إلاّ رَحْمةً﴾ أي: للرحمة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجنّ بك.

١٠٨ ـ ﴿قُلْ: إنَّما يُوحَى إلَيَّ أنَّما إلـٰـهُكُم إلـٰـهٌ واحِدٌ﴾، أي: ما يُوحى إليَّ في أمر الإلـٰـه إلاّ وحدانيّته. ﴿فهَل أنتُم مُسلِمُونَ﴾: مُنقادون لِما يُوحَى إليَّ من وحدانيّة الإلـٰـهِ؟ والاستفهام بمعنى الأمر. ١٠٩ ـ ﴿فإن تَوَلَّوا﴾ عن ذلك ﴿فقُلْ: آذَنْتُكُم﴾: أعلمتكم بالحرب ﴿علَى سَواءٍ﴾: حالٌ من الفاعل والمفعول، أي: مُستَوينَ في عِلمه لا أستبدّ به دُونكم لتتأهّبوا، ﴿وإن﴾: ما ﴿أدرِي: أقَرِيبٌ أم بَعِيدٌ ما تُوعَدُونَ﴾ من العذاب أو القيامة المُشتملة عليه؟..........................

قولُه: (كُلِّ صَالِحٍ) أي: مؤمنٍ، أو: المستضعَفونَ مشارِقَ الأرضِ ومَغارِبَها، أو: أُمّةُ محمّدٍ ﷺ.

قولُه: (القُرْآنِ) أو: فيما ذُكِرَ في هذه السُّورةِ من الأخبارِ والمواعِظِ والمواعيدِ.

قولُه: (كِفَايَةً) أو: سببَ بلوغٍ إلى المطلوبِ، وأصلُهُ ما تُبلَغُ به البُغيةُ.

قولُه: (عَامِلِينَ) همُّهُم العبادَةُ دونَ العادةِ.

قولُه: (للرَّحْمَةِ) أو: ذا رحمَةٍ، فعلةٌ[1]، أو حالٌ.

قولُه: (بِكَ) كذا في نُسخةٍ؛ لأنَّ ما بُعِثتَ به سببٌ لإسعادِهِم، وموجِبٌ لإصلاحِ معاشِهِم ومعادِهِم.

وقيلَ: كونُهُ رحمةً للكفّارِ: أمنُهُم مِن الخسفِ والمسخِ وعذابِ الاستِئصالِ.

قولُه: (فِي أَمْرِ الإِلَهِ) فالقصرُ إضافيٌّ.

قولُه: (عَنْ ذَلِكَ) أي: التَّوحيدِ.

قولُه: (بِالحَرْبِ) أي: بحَربي لكُم، أو: أعلمتُكُم ما أُمِرتُ به.

قولُه: (مُسْتَوِينَ) أنا وأنتُم.

قولُه: (فِي عِلْمِهِ) أي: في العلمِ بما أعلمتُكُم به.

قولُه: (لا أَستَبِدُّ بِهِ) ولا أُخصِّصُ بعضَكُم، وفيه بُطلانُ مذهبِ الباطنيَّةِ والرَّافضَةِ.

قولُه: (مِنَ العَذَابِ) في الدُّنيا، أو مِن غلبَةِ المسلمينَ.

قولُه: (عَلَيهِ) أي: على العَذابِ.

---

(١) «فعلة» كذا في النسخ، والصواب: «مفعول له»، يعني: إن كان المعنى: «للرحمة» فهو مفعول له، وإن كان: «ذا رحمة» فهو حال. انظر: «التبيان» للعكبري (٢/ ٩٢٩).

وإنما يعلمه الله ـ ١١٠ ـ ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعلَمُ الجَهرَ مِنَ القَولِ﴾ والفعلَ منكم ومن غيرِكم، ﴿ويَعلَمُ ما تَكتُمُونَ﴾ أنتم وغيركم من السرّ ـ ١١١ ـ ﴿وإن﴾: ما ﴿أدرِي لَعَلَّهُ﴾ أي: ما أعلمتُكم به، ولم يُعلَم وقتُه، ﴿فِتنَةٌ﴾: اختبارٌ ﴿لَكُم﴾ ليَرى كيف صُنعكم؟ ﴿ومَتاعٌ﴾: تمتّعٌ به ﴿إلَى حِينٍ﴾ أي: انقضاءِ آجالكم. وهذا مُقابِل للأوّل المُترجَّى بـ«لعلّ»، وليس الثاني محلًّا للترجّي.

١١٢ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ وفي قراءة: «قالَ» ـ: ﴿رَبِّ، احكُمْ﴾ بيني وبين مُكذّبِيَّ ﴿بِالحَقِّ﴾: بالعذاب لهم أو النصر عليهم. فعُذّبوا ببدر وأُحُد والأحزاب وحُنَين والخندق، ونُصر عليهم. ﴿ورَبُّنا الرَّحمنُ المُستَعانُ علَى ما تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: «اتَّخَذَ وَلَدًا»، وعليَّ في قولكم: ساحرٌ، وعلى القرآن في قولكم: شِعرٌ.

قولُه: (وإنَّمَا يَعْلَمُهُ اللهُ) أي: قربَهُ وبُعدَهُ، لكنَّه كائنٌ لا محالَةَ.

قولُه: (اختِبَارٌ) أي: امتِحانٌ، أو: ما أدري لعلَّ تأخيرَ جزائِكُم استِدراجٌ لكم وزيادَةٌ في افتتانِكُم.

قولُه: (وهَذَا) أي: متاعٌ إلى حينٍ.

قولُه: (المُتَرَجَّى) مجهولٌ.

قولُه: (وَفِي قرَاءَةٍ) لحفصٍ[1].

قولُه: (قَالَ) على حكايَةِ رسولِ اللهِ.

قولُه: (بالعَذَابِ) أي: بالعَدلِ المقتَضِي لاستعجالِ العذابِ والتَّشديدِ عليهِم.

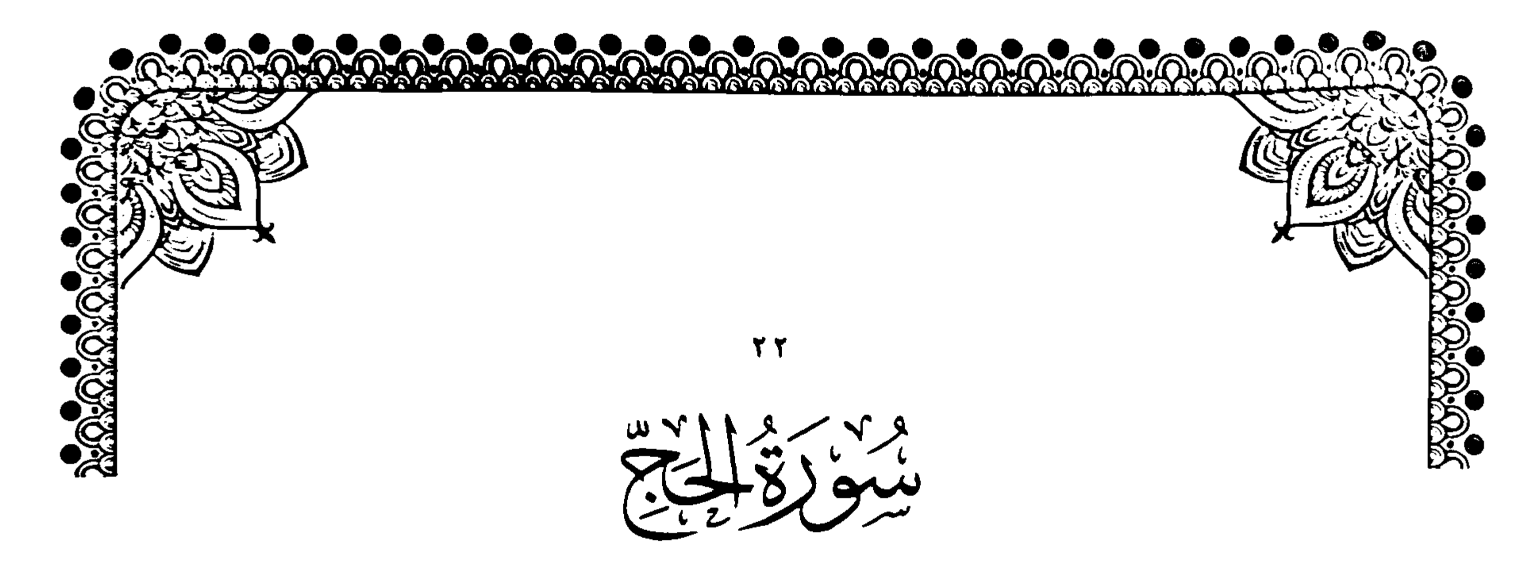
قولُه: (ونُصِرَ) أي: النَّبيُّ ﷺ.

قولُه تعالى: (﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ﴾) أي: كثيرُ الرَّحمةِ على خلقِهِ (﴿المُسْتَعَانُ﴾) المطلوبُ منه المعونَةُ.

قولُه: (مِن كَذِبِكُم) أو: مِن الحالِ بأنَّ الشَّوكةَ تكونُ لهم، وأنَّ رايةَ الإسلامِ تتحرَّكُ أيَّاماً ثمَّ تسكنُ، وأنَّ الموعودَ به لو كانَ حقًّا لنزلَ بهِم، فأجابَ اللهُ دعوةَ رسولِهِ، فخيَّبَ أمانيَّهم ونصرَ رسولَهُ عليهِم آخرَ الأمرِ، واللهُ أعلمُ.

* * *

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣١)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧١).



٢٢

سورة الحج

مكية إلاّ «ومِن الناس مَن يعبد الله» الآيتين، أو إلاّ «هذان خصمان» الستَّ آيات فمدنيات، وهي أربعٌ أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾: أي أهلَ مكّة وغيرَهم، ﴿**اتَّقُوا رَبَّكُم**﴾ أي: عِقابَه بأن تُطيعوه. ﴿**إنَّ زَلزَلَةَ السّاعةِ**﴾ أي: الحركةَ الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها، الذي هو قُرب الساعة، ﴿**شَيءٌ عَظِيمٌ**﴾ في إزعاج الناس، الذي هو نوع من العِقاب، ٢ ـ ﴿**يَومَ تَرَونَها تَذهَلُ**﴾ بسببها ﴿**كُلُّ مُرضِعةٍ**﴾ بالفعل ﴿**عَمّا أرضَعَتْ**﴾ أي: تنساه، ﴿**وتَضَعُ كُلُّ ذاتِ حَملٍ**﴾......................

سورة الحج

قولُهُ: (أَيْ) ندائيَّةٌ أو تفسيريَّةٌ.

وقولُهُ: (أَهْلَ مَكَّةَ) أصلاً وأوَّلاً.

وقولُهُ: (وَغَيْرَهُم) تبَعاً وآخِراً.

قوله: (عِقَابَهُ) أو مخالفتَهُ.

قوله: (قُرْبُ السَّاعَةِ) وإضافتُها إلى السَّاعةِ لأنَّها من أشراطِها.

قوله: (بالفِعْلِ) يعني: لا بالقوَّةِ، فلا تكونُ الآيةُ من بابِ التَّمثيلِ والتَّخييلِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ المرادَ بالمُرضِعَةِ وصفُها بالفعلِ لا بالقوَّةِ؛ ولهذا أدخلَ فيه التَّاءَ مع أنَّ هذا الوصفَ مخصوصٌ بالنِّساءِ.

قوله: (تَنْسَاهُ) الذُّهولُ: الذَّهابُ عن الأمرِ بدَهشةٍ.

أي: حُبلَى ﴿حَملَها، وتَرَى النّاسَ سُكارَى﴾ من شِدّة الخوف، ﴿وما هُم بِسُكارَى﴾ من الشراب، ﴿ولكِنَّ عَذابَ اللهِ شَدِيدٌ﴾، فهم يخافونه.

ونزل في النضر بن الحارث وجماعة: ٣ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ في اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ﴾، قالوا: «الملائكة بناتُ الله، والقُرآنُ أساطيرُ الأوّلِين»، وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابًا، ﴿ويَتَّبِعُ﴾ في جِداله ﴿كُلَّ شَيطانٍ مَرِيدٍ﴾ أي: مُتمرّد، ٤ ـ ﴿كُتِبَ علَيهِ﴾: قُضي على الشيطان ﴿أنَّهُ مَن تَوَلّاهُ﴾ أي: اتّبعَه ﴿فأنَّهُ يُضِلُّهُ، ويَهدِيهِ﴾: يدعوه ﴿إلَى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ أي: النارِ.

٥ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي: أهلَ مكّة، ﴿إن كُنتُم في رَيبٍ﴾: شكّ ﴿مِنَ البَعثِ فإنّا خَلَقْناكُم﴾.....

قولُهُ: (أي: حُبْلَى) يعني: تُسقِطُ جنينَها.

قوله: (مِن شِدَّةِ الخَوْفِ) كأنَّهُم سُكارى.

قولُهُ: (مِنَ الشَّرَابِ) على الحقيقةِ.

قوله: (فَهُم يَخَافُونَهُ) لِمَا يلحقُهُم هولُهُ بحيثُ طيَّرَ عقولَهُم وأذهبَ تمييزَهُم، وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ: (سَكرى) كعَطْشى[1]؛ إجراءً للسُّكرِ مُجرى العِلَلِ؛ لأنَّ فَعلى خاصٌّ بالعِلَلِ كمَرضَى وجَرحَى وقَتلى.

قوله: (فِي جِدَالِهِ) أو عامَّةِ أحوالِهِ.

قوله: (أي: مُتَمَرِّدٍ) أي: مُتجرِّدٍ للفسادِ، وأصلُهُ: العُرْيُ، ومنه المَرَدُ[2].

قوله: (أي: اتَّبَعَهُ) والضَّميرُ الأوَّلُ للشَّأنِ، أو الشَّيطانِ.

قولُهُ: (يَدْعُوهُ) أي: بالحَملِ على ما يُؤدِّي إليهِ، قالَ القاضي: قُرِئَ ـ يعني: ﴿فأَنَّهُ﴾ ـ بالفتحِ على تقديرِ: فشأنُه أنّه يُضلُّهُ[3]. فأوهَمَ أنّه شاذٌّ، والكسرُ متواترٌ، والحالُ أنَّ الأمرَ بالعَكسِ[4].

قوله: (أي: أَهْلَ مَكَّةَ) وكذلك غيرُهُم.

قوله: (شَكٌّ ﴿مِنَ البَعْثِ﴾) أي: من إمكانِهِ وكونِهِ مقدوراً (﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾؛ أي: أصلَكم) أي: فانظُروا في بدءِ خلْقِكُم فإنَّهُ يُزيلُ ريبكُم ﴿فإنّا خلقْناكُم مِن ترابٍ﴾ بخلقِ آدمَ منه، أو الأغذيةِ التي يتكوَّنُ منها المنيُّ، فجوابُ الشَّرطِ مقدَّرٌ، وقولُهُ: ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ بيانُ بدءِ الخلقِ، فتأمَّل.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٢).

(٢) رملة مرداء: لا نبت فيها. وغصن أمرد: لا ورق عليه. وفرس أمرد: لا شعر على ثنته. وغلام أمرد بين المرد. انظر: «الصحاح» (مادة: مرد).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٦٤).

(٤) أي: (فإنه) قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٩٦) ونسبت للنخعي عن أبي عمرو والأعمش.

أي: أصلكم آدمَ ﴿مِن تُرابٍ، ثُمَّ﴾ خلقنا ذُرّيّته ﴿مِن نُطْفةٍ﴾ منيٍّ، ﴿ثُمَّ مِن عَلَقةٍ﴾ وهي الدم الجامد، ﴿ثُمَّ مِن مُضْغةٍ﴾ وهي لحمةٌ قدرُ ما يُمضغ، ﴿مُخَلَّقةٍ﴾: مُصوّرة تامّة الخَلق، ﴿وغَيرِ مُخَلَّقةٍ﴾ أي: غير تامّة الخلق، ﴿لِنُبيِّنَ لكُم﴾ كمال قُدرتنا، لتستدلّوا بها في ابتداء الخلق على إعادته، ﴿ونُقِرُّ﴾ ـ مُستأنفٌ ـ ﴿في الأرحامِ ما نَشاءُ إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: وقتِ خُروجه، ﴿ثُمَّ نُخرِجُكُم﴾ من بطون أُمّهاتكم ﴿طِفلاً﴾ بمعنى: أطفالاً، ﴿ثُمَّ﴾ نُعمّرُكم ﴿لِتَبلُغُوا أشُدَّكُم﴾ أي: الكمال والقُوّة ـ وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ـ ﴿ومِنكُم مَن يُتَوَفَّى﴾: يموتُ قبل بلوغ الأشُدّ، ﴿ومِنكُم مَن يُرَدُّ إلَى أرذَلِ العُمُرِ﴾: أخسّه من الهرم والخرف، ﴿لِكَيلا يَعلَمَ مِن بَعدِ عِلمٍ شَيئًا﴾ ـ قال عِكرمة: مَن قرأ القرآن لم يصِر بهذه الحالة ـ ﴿وتَرَى الأرضَ هامِدةً﴾: يابسة، ....

قولُهُ: (مَنيٍّ) المرادُ به: الجِنسُ.

قوله: (وهِيَ الدَّمُ) أي: قطعةٌ من الدَّمِ جامِدةٌ.

قوله: (وهِيَ لَحْمَةٌ) أي: قطعَةٌ من اللَّحمِ، وهي في الأصلِ: (قَدْرُ ما يُمضَغُ).

قوله: (تَامَّةُ الخَلْقِ) الظَّاهرُ، أن التَّامَّةُ ضدُّها السَّاقطةُ، أو المعنى: مُسوَّاةٌ لا نقصَ فيها ولا عيبَ، وغيرُ مُسوَّاةٍ.

قوله: (كَمَالَ قُدْرَتِنَا) وحكمَتِنا بهذا التَّدريجِ، وأنَّ ما قَبِلَ التَّغيُّرَ والفسادَ والتَّكوُّنَ مرةً قَبلَها أُخرى، وأنَّ مَن قدرَ على تغييرِهِ وتصويرِهِ أوَّلًا قدرَ على ذلك ثانياً، وحُذِفَ المفعولُ إيماءً إلى أنَّ أفعالَهُ هذه يُتبَيَّنُ بها مِن قدرتِهِ وحكمتِهِ ما لا يحيطُ به الذِّكرُ.

قوله: (وَقْتَ خُرُوجِهِ) ووضعِهِ، وأدناهُ بعد ستَّةِ أشهرٍ، وأقصاهُ أربعُ سنينَ عندَ الشَّافعيِّ[1]، وسنتانِ عندَنا[2].

قولُهُ: (بِمَعْنَى: أَطْفَالاً) حالٌ أُجريَتْ على تأويلِ كلِّ واحدٍ، أو الدِّلالةِ على الجنسِ، أو لأنَّهُ في الأصلِ مصدرٌ.

قوله: (أي: الكَمَالَ والقُوَّةَ) الظَّاهرُ: كمالَكُم في القوَّةِ والعَقلِ.

قوله: (قَبْلَ بُلُوغِ الأَشُدِّ) أو عندَه.

قولُهُ تعالى: (﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾) أي: ليَعودَ كهيئتِهِ الأولى في أوانِ الطُّفوليَّةِ من سخافَةِ العقلِ وقلَّةِ الفهمِ، فينسى ما علمَهُ وينكرُ ما عرفَهُ.

وفي الآيةِ استدلالٌ ثانٍ على إمكانِ البَعثِ بما يعتَري الإنسانَ في أسنانِهِ من الأمورِ المختلفَةِ والأحوالِ المتضادَّةِ الَّتي لا يُمكِنُ لأحدٍ إنكارُها، فمَن قدرَ على ذلك قدرَ على نظائرِها.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (١١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: «الهداية» (٢/ ٢٨٢).

﴿فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزَّتْ﴾: تحرّكت، ﴿وربَتْ﴾: ارتفعت وزادت، ﴿وأنبتَتْ مِن﴾: زائدةٌ ﴿كُلِّ زَوجٍ﴾: صنفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾: حسن.

٦ ـ ٧ ـ ﴿ذلِكَ﴾ المذكور من بدء الخلق للإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿بِأنَّ﴾: بسببِ أنّ ﴿اللهَ هُوَ الحَقُّ﴾: الثابت الدائم، ﴿وأنّهُ يُحيِي المَوتَى، وأنّهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وأنَّ السّاعةَ آتِيةٌ لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيها، وأنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن في القُبُورِ﴾.

ونزل في أبي جهل: ٨ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يُجادِلُ في اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ ولا هُدًى﴾ معه ﴿ولا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾: له نورٌ معه، ٩ ـ ﴿ثانِيَ عِطفِهِ﴾: حالٌ أي: لاوِيَ عُنقِه تكبّرًا عن الإيمان ـ والعِطفُ: الجانب عن يمين أو شِمال ـ ﴿لِيَضِلَّ﴾، بفتح الياء وضمِّها، ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: دِينه. ﴿لَهُ في الدُّنيا خِزْيٌ﴾:

قولُهُ: (تحرَّكَتْ) بالنَّباتِ.

قوله: (ارْتَفَعَتْ) هذا يلائِمُ قراءَةَ أبي جعفرٍ بالهمزَةِ[1].

قوله: (زَادَتْ) وانتفخَتْ.

قوله: (﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٌ) الظَّاهرُ أنَّها تبعيضيَّةٌ؛ لأنَّ كلَّ مرَّةٍ ما تُنبتُ كلَّ زوجٍ.

قوله: (حَسَنٍ) وهذه دلالَةٌ ثالثةٌ كرَّرَها اللهُ تعالى في كتابِهِ لظهورِها وكونِها مشاهَدةً.

قولُهُ: (الثَّابِتُ) في نفسِهِ، الَّذي بِهِ تتحقَّقُ الأشياءُ.

قولُهُ تعالى: (﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾) أي: والأمرُ والشَّأنُ أنَّ السَّاعةَ.

قوله: (مَعَهُ) كرَّرَهُ[2] للتَّأكيدِ، ولِمَا تَعَلَّقَ به[3] من الدِّلالةِ بقولِه: ﴿وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ على أنَّهُ لا سندَ لهُ من استدلالٍ أو وحيٍ، أو المرادُ بالهُدَى: السُّنَّةُ، والمرادُ بالعلمِ: النَّظريُّ، ليصحَّ عطفُ الهُدى والكتابِ عليهِ، والحاصلُ: أنَّه يُجادِلُ بالتَّقليدِ.

قوله: (حَالٌ) أي: متكبِّرًا، وثنيُ العِطْفِ كنايَةٌ عن التَّكبرِ، أو: مُعرِضاً عن الحقِّ.

قوله: (بفَتْحِ اليَاءِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[4]، واللَّامُ للصَّيرورةِ والعاقِبةِ.

---

(١) أي: (وربأت). انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٣٠٥).

(٢) أي: كرر قوله: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ كما يدل عليه كلام البيضاوي.

(٣) في النسخ: «ولا تعلق»، والمثبت مستفاد من كلام البيضاوي، ولفظه: «ولما نيط به... ».

(٤) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٧٢).

عذاب فقُتل يوم بدر، ﴿وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أي: الإحراقِ بالنار، ويقال له: ١٠ ـ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ﴾ أي: قدّمتَه ـ عُبِّرَ عنه بهما دُون غيرهما لأنّ أكثر الأفعال تُزاول بهما ـ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٍ﴾ أي: بذي ظُلم ﴿لِّلۡعَبِيدِ﴾، فيُعذّبَهم بغير ذنب.

١١ ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍ﴾ أي: شكٍّ في عِبادته ـ شُبّهَ بالحالِّ على حرف جبل

قوله: (فَقُتِلَ) كلٌّ من النَّضرِ وأبي جهلٍ[١].

قوله: (أي: الإِحْرَاقِ) أو: المُحْرق[٢].

قوله: (ويُقَالُ لَهُ) يومَ القيامةِ، وقيل: التفات.

قولُهُ: (أي: قَدَّمْتَهُ) أي: ذلك الخزيُ والعَذابُ بسببِ ما اقترفْتَهُ مِن الكفرِ والمعاصي، فالتَّاءُ للخطابِ، أو للتأنيثِ، فيَكونُ إشارةً إلى أنَّ ﴿مَا﴾ موصولَةٌ.

قوله: (دُوْنَ غَيرِهِمَا) مع أنَّ بعضَ الأفعالِ يكونُ بغيرِهِما.

قوله: (تُزَاوَلُ) تُعالَجُ.

قوله: (أي: بِذِيْ ظُلْمٍ) ففعَّالٌ للنِّسبةِ كتمَّارٍ وخيَّاطٍ، وقيلَ: إنَّه للمُبالغَةِ؛ لكثرةِ العبيدِ، فيكونُ لمقابَلَةِ الوَصْفِ الموضوعِ للكثيرِ بالجمعِ الكثيرِ.

قولُهُ: (فَيُعَذِّبَهُم بِغَيْرِ ذَنْبٍ) فيه: أنَّه ثبتَ في الحديثِ الصَّحيحِ: «لو أنَّ اللهَ عذَّبَ أهلَ سماواتِهِ وأهلَ أرضِهِ[٣]؛ عذَّبَهُم وهُوَ غيرُ ظالمٍ لهُم»[٤] فالأَولى أن يُقالَ: وإنَّما هو مُجازٍ لهم على أعمالِهِم لا ينقصُ منها شيئًا ولا يزيدُ، بل جزاءً وفاقاً بمُقتضى العدلِ، ولهُ أنَّ يخصَّ مَن شاءَ بما شاءَ بموجِبِ الفضلِ.

ويمكِنُ الجمعُ بينَهُما: بأنَّ الظُّلمَ في الآيةِ بمعنى وضعِ الشَّيءِ في غيرِ موضعِهِ، وفي الحديثِ بالتَّصرُّفِ في ملكِ الغيرِ، مع أن الشَّرطيَّةِ لا تقتَضِي الوقوعَ.

قوله: (شَكٍّ) أي: على طرفٍ من الدِّينِ لا ثباتَ له فيهِ.

قوله: (بالحَالِّ) النَّازلِ.

قوله: (عَلَى حَرْفِ جَبَلٍ) أو: على طَرَفِ جيشٍ، فإن أحسَّ بظَفَرٍ قرَّ وإلا فرَّ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٥٦٦)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ١٥).

(٢) فيكون من إضافة الموصوف إلى الصفة والمراد: العذابَ الحريقَ؛ أي: المحرق جدا. انظر: «روح المعاني» (٩/ ١١٨).

(٣) في (د): «السموات... الأرض».

(٤) رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد في «مسنده» (٢١٥٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٩)، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

في عدم ثباته ـ ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾: صِحّة وسلامة في نفسه وماله ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾: مِحنة وسَقم في نفسه وماله ﴿انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجَعَ إلى الكُفر، ﴿خَسِرَ الدُّنيا﴾ بفوات ما أمّله منها ﴿والآخِرَةَ﴾ بالكُفر ـ ﴿ذَلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبِينُ﴾: البيِّن ـ ١٢ ـ ﴿يَدعُو﴾: يعبد، ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ من الصنم ﴿ما لا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبده، ﴿وما لا يَنفَعُهُ﴾ إن عَبَدَه ـ ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلالُ البَعِيدُ﴾ عن الحقّ ـ ١٣ ـ ﴿يَدعُو لَمَن﴾، اللام: زائدة، ﴿ضَرُّهُ﴾ بعِبادته........................

قوله: (بِفَوَاتِ) وبذهابِ عصمتِه.

قولُهُ: (بالكُفرِ) أي: يحبطُ عملُهُ بالارتدادِ.

قوله: (البَيِّنُ) إذ لا خسرانَ مثلُه، قيل: الخُسرانُ في الدُّنيا: تركُ الطَّاعاتِ ولُزومُ المخَالفاتِ، وفي الآخرةِ: كثرةُ الخصُومِ والتَّبِعاتِ.

قوله: (إنْ عَبَدَهُ) وقالَ ابنُ عطاءٍ: مَن ركَنَ إلى غيرِهِ تعالى فقد ركنَ إلى ما لا يضرُّهُ ولا ينفعُه[1].

قال القاضي: أي: جَماداً لا يضرُّ بنفسِهِ ولا ينفعُ[2]. يعني: أصلًا لا مبَاشرةً ولا تسبُّباً، بخلافِ جانبِ الضُّرِّ، فإنَّه قد يكونُ سبباً لهُ.

قال البغويُّ: هذه الآيةُ من مُشكِلاتِ القُرآنِ[3]؛ يعني: أنَّها تَنفي النَّفعَ والضُّرَّ، والَّتي بعدها تُثبِتُهُما، وحاصِلُ التَّأويلِ: أنَّ النَّفيَ حقيقيٌّ والإثباتَ سببيٌّ وتخييليٌّ.

قولُهُ: (اللَّامُ زَائِدَةٌ) ضعَّفَهُ ابنُ الحاجِبِ في «الأمالي»[4]، وقالَ صاحبُ «المغني»: هذا مردودٌ؛ لأنَّ زيادةَ هذهِ اللَّامِ في غايةِ الشُّذوذِ، فلا يليقُ تخريجُ التَّنزيلِ عليه، والصَّحيحُ: أنَّها لامُ الابتداءِ، و﴿مَنْ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ ﴿بِئْسَ المَوْلَى﴾ بتقديرِ: هو[5]. انتهى.

والأظهرُ: أنَّ ﴿يَدْعُو﴾ الثانيَ[6] تكريرٌ للأوَّلِ، أو مفعولُهُ محذوفٌ، ولذا قيلَ بالوَقفِ عليه[7].

قوله: (بِعِبَادَتِهِ) أي: بسببِ كونِهِ مَعبوداً؛ لأنَّهُ يوجِبُ القَتلَ في الدُّنيا، والعِقابَ في العُقبى.

---

(١) وانظر: «حقائق التأويل» للسلمي (٢/ ١٩).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٦٦).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٣٢٦).

(٤) انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ١٢٠).

(٥) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٣٠٨).

(٦) «الثاني» من (ص).

(٧) انظر: «المكتفى في الوقف والابتدا» (ص: ١٣٦).

﴿أقرَبُ مِن نَفعِهِ﴾، إن نفع بتخيّله، ﴿لَبِئسَ المَولَى﴾ هو أي: الناصرُ! ﴿ولَبِئسَ العَشِيرُ﴾: الصاحبُ هو!

وعُقِّبَ ذِكرُ الشاكّ بالخسران بذِكر المؤمنين في الثواب في: ١٤ ـ ﴿إنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ من الفُروض والنوافل ﴿جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ. إنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يُرِيدُ﴾، من إكرام من يُطيعه وإهانة من يَعصِيه.

١٥ ـ ﴿مَن كانَ يَظُنُّ أن لَن يَنصُرَهُ اللهُ﴾، أي: مُحمّدًا نبيَّه، ﴿في الدُّنيا والآخِرةِ فلْيَمدُدْ بِسَبَبٍ﴾: بحبلٍ ﴿إلَى السَّماءِ﴾ أي: سقف بيته، يشدّه فيه وفي عُنقه، ﴿ثُمَّ لْيَقطَعْ﴾ أي: لِيختنقْ به بأن يقطعَ نَفسه من الأرض كما في «الصّحاح»، ﴿فلْيَنظُرْ: هَل يُذهِبَنَّ كَيدُهُ﴾ في عدم نُصرة النبيّ ﴿ما يَغِيظُـ﴾ـهُ منها؟ المعنى: فليختنق غيظًا منها فلا بُدّ منها.

قوله: (بِتَخَيُّلِهِ) أي: من نفعِهِ الَّذي يُتوقَّعُ بعبادتِهِ، وهو الشَّفاعةُ والتَّوسُّلُ بها إلى اللهِ تعالى.

قوله: (والنَّوَافِلِ) هي زياداتٌ للدَّرَجاتِ.

قوله: (مَنْ يَعْصِيْهِ) لا دافِعَ له ولا مانعَ.

قولُهُ: (كَمَا فِي «الصِّحاحِ»[1]) قالَ في «القاموس»: قطَعَ فلانٌ الحَبلَ: اختنَقَ، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْطَعْ﴾[2].

وقالَ القاضي: من قطعَ إذا اختنَقَ، فإنَّ المختنِقَ يُقطَعُ نَفَسُهُ بحبسِ مجاريهِ[3].

يعني: ذُكِرَ اللَّازمُ وهو القَطعُ وأُريدَ الملزُومُ الَّذي هو الاختِناقُ، فيكونُ كنايةً.

وقرأ ورشٌ وبصريٌّ وشاميٌّ بكسرِ اللَّامِ[4].

قوله: (فِي عَدَمِ) أو: يُذهِبنَّ فعلُهُ ذلك.

قوله: (ما يغِيْظُهُ) أو: غيظَهُ.

قوله: (مِنْهَا) أي: نُصرةِ النَّبيِّ.

قوله: (فليَخْتَنِقْ) أو: فليمُت؛ كقولِهِ تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٩].

---

(١) انظر: «الصحاح» (٣/ ١٢٦٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٥٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٦٧).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٤، ٤٣٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٣).

١٦ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إنزالنا الآياتِ السابقةَ ﴿أنزَلْناهُ﴾ أي: القُرآنَ الباقيَ، ﴿آياتٍ بيِّناتٍ﴾: ظاهراتٍ حالٌ، ﴿وأنَّ اللهَ يَهدِي مَن يُريدُ﴾ هُداه، معطوف على هاء «أنزلناه».

١٧ ـ ﴿إنَّ الَّذينَ آمَنُوا والَّذِينَ هادُوا﴾، هم اليهود، ﴿والصّابِئِينَ﴾: طائفة منهم، ﴿والنَّصارَى والمَجُوسَ والَّذِينَ أشرَكُوا، إنَّ اللهَ يَفصِلُ بَينَهُم يَومَ القِيامةِ﴾ بإدخال المُؤمنين الجنَّةَ، وإدخال غيرهم النارَ. ﴿إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ﴾ من عملهم ﴿شَهِيدٌ﴾: عالمٌ به عِلمَ مُشاهدة.

١٨ ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أنَّ اللهَ يَسجُدُ لَهُ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ، والشَّمسُ والقَمَرُ والنُّجُومُ والجِبالُ والشَّجَرُ والدَّوابُّ﴾، أي: تخضع له بما يُراد منها، ﴿وكَثِيرٌ مِنَ النّاسِ﴾ وهم المُؤمنون؟

قوله: (ظَاهِرَاتٍ) واضِحاتٍ.

قولُهُ: (مَعْطُوفٌ) أو التَّقديرُ: ولأنَّ اللهَ يهدِي به أنزلَهُ كذلك مبيَّناً.

قوله: (طَائِفَةٌ مِنْهُم) تقدَّمَ الخِلافُ[1].

قولـه: (بِإدْخَالِ) وإنَّمـا أُدخِلـت ﴿إنَّ﴾ علـى كلِّ واحـدٍ مـن طرفَـي الجُملَةِ من الاسـمِ والخبـرِ لمزيدِ التَّأكيـدِ، قالَ:

إنَّ الخليفـــةَ إنَّ اللهَ فضَّلَـــهُ[2]

قوله: (تَخْضَعُ) أي: يتَسخَّرُ لقُدرتِهِ ولا يتأبَّى عن تدبيرِهِ، أو يدلُّ بذلِّه على عظمَةِ[3] مُدبِّرِه.

قولُهُ: (وَهُم المُؤمِنُونَ) قالَ القاضي: عَطفٌ على ما قبلَهُ إن جوَّزَ إعمالَ اللَّفظِ الواحدِ في كلِّ واحدٍ من مفهومَيهِ ـ يعني: الحقيقيَّ والمجازيَّ[4] على سبيلِ الجمعِ بينَ معنى المشترَكِ ـ وإسنادُهُ باعتِبارِ أحدِهِما إلى أمرٍ وباعتبارِ الآخرِ إلى آخرَ، فإنَّ تخصيصَ الكثيرِ بالذِّكرِ يدلُّ على خصُوصِ المعنى المسنَدِ إليهم، وهو وضعُ الجبهةِ[5]. انتهى.

---

(١) انظر: المائدة: (٦٩)، وآخر سورة الإسراء.

(٢) البيت في «ديوان جرير» بشرح محمد بن حبيب (١/ ١٤٩) وهو:

يكفـي الخليفـة أن الله فضـله ... عزم وثيـق وعقـد غيـر تغريـر

وجاء في (٢/ ٦٧٢):

يكفـى الخليفـة أن الله سـربله ... سربال ملـك به ترجـى الخواتيم

(٣) في (ص): «عظم».

(٤) في (ص): «يعني الحقيقة والمجاز».

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٦٧ ـ ٦٨).

بزيادة على الخضوع في سُجود الصلاة، ﴿وكَثِيرٌ حَقَّ علَيهِ العَذابُ﴾. وهم الكافرون لأنهم أبَوُا السجود المُتوقّف على الإيمان. ﴿ومَن يُهِنِ اللهُ﴾: يُشْقِه ﴿فما لَهُ مِن مُكرِمٍ﴾: مُسعِدٍ. ﴿إنَّ اللهَ يَفعَلُ ما يَشاءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

١٩ ـ ﴿هذانِ خَصمانِ﴾ أي: المُؤمنون خصم، والكُفّار الخمسة خصم ـ وهو يُطلق على الواحد والجماعة ـ ﴿اختَصَمُوا في رَبِّهِم﴾ أي: في دِينه، ﴿فالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُم ثِيابٌ مِن نارٍ﴾ يلبسونها، يعني أحيطت بهم النار، ﴿يُصَبُّ مِن فَوقِ رُؤُوسِهِمِ الحَمِيمُ﴾: الماء البالغُ نِهايةَ الحرارة، ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿يُصهَرُ﴾: يُذاب ﴿بِهِ ما في بُطُونِهِم﴾ من شُحوم وغيرها، ﴿و﴾ تُشوَى به ﴿الجُلُودُ، ولَهُم مَقامِعُ مِن حَدِيدٍ﴾........

وهو غيرُ جائزٍ عندَنا، فالصَّحيحُ أنَّهُ مبتدأٌ خبرُهُ محذُوفٌ دلَّ عليه خبرُ قسيمِهِ الآتي، نحو: حقَّ له الثَّوابُ، أو فاعلُ فعلٍ مُضمَرٍ، أي: ويسجدُ له كثيرٌ سجودَ طاعةٍ، وهو مختارُ صاحبِ «المداركِ»[1].

وقيلَ: للأشياء سجودٌ لا نعرفُها كما أنَّ لها تسبيحاتٍ لا نفقهُها.

قولُهُ: (السُّجُودَ) أي: المقبولَ.

قوله: (يُشْقِهِ) مِن الإشقاءِ.

قوله: (مُسعِدٍ) من الإسعادِ، أو بالشَّقاوةِ والسَّعادةِ[2]، قيل: مَن قدَّرَ اللهُ عليه الإهانةَ في السَّبقِ لا يقدِرُ على كرامتِهِ أحدٌ.

قوله: (خَصْمٌ) أي: فوجانِ مُختصِمانِ، وتكون الإشارَةُ إلى الفوجَينِ، [ولذلك][3] قالَ: ﴿اخْتَصَمُوا﴾ حملاً على المعنى.

قوله: (أي: فِي دِيْنِهِ) أو: في ذاتِهِ وصفاتِهِ.

قولِهِ: (يَلبَسُونَهَا) وقال بعضُهُم: يلبَسونَ مقطَّعاتٍ من نارٍ، ويؤيِّدُه: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ﴾ [إبراهيم: ٥٠]، ومعنَى ﴿قُطِّعَتْ﴾: قُدِّرَت على مقاديرِ جُثَّتِهِم.

قولُهُ: (أُحِيْطَتْ) إحاطَةَ الثِّيابِ باللَّابسِ، فالأَولى تركُه.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٤٣٣).

(٢) أي: ﴿ومن يهن الله﴾ بالشَّقاوةِ ﴿فما له من مكرم﴾ يُكرِمُهُ بالسَّعادةِ.

(٣) من «أنوار التنزيل» (٤/ ٦٨)؛ أي: لما كان كل خصم فريقا يجمع طائفة قال: ﴿اختصموا﴾ بصيغة الجمع كقوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا﴾ [الحجرات: ١٩] فالجمع لمراعاة المعنى، وقال الزمخشري: ﴿هذان﴾ للَّفظ و﴿اختصموا﴾ للمعنى؛ كقوله: ﴿ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا﴾ [محمد: ١٦]، ولو قيل: اختصما صح. انظر: «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٦/ ٢٨٨).

لضرب رُؤوسهم، ٢٢ ـ ﴿كُلَّما أرادُوا أن يَخرُجُوا مِنها﴾ أي: النارِ ﴿مِن غَمٍّ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيها﴾: رُدّوا إليها بالمقامع، ﴿و﴾ قيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذابَ الحَرِيقِ﴾ أي: البالغِ نِهايةَ الإحراق.

قوله: (لِضَرْبِ) وفي نسخةٍ: «تُضرَبُ» فيقدَّرُ: بها، و﴿مَقَامِعُ﴾: سياطٌ، كذا قالَهُ القاضي[1].

وقالَ اللَّيثُ: المِقْمَعَةُ شبْهُ الجُرْزِ من الحديدِ[2]، قمعتُ رأسَهُ: إذا ضربتَهُ ضَرباً عنيفاً، وفي الخبرِ: «لو وُضِعَ مَقمَعٌ من حديدٍ في الأرضِ، ثمَّ اجتمَعَ عليه الثَّقلانِ ما أَقلُّوهُ منَ الأَرضِ»[3] كذا في «المعالم»[4].

قولُهُ: (رُؤُوْسِهِم) في «القاموسِ»: المِقْمَعَةُ كمِكْنَسَةٍ: العَمودُ مِن حديدٍ، وخشبةٌ يُضرَبُ بها الإنسانُ على رأسِهِ[5].

قوله: (رُدُّوا) أي: فخرَجوا؛ لأنَّ الإعادةَ لا تكونُ إلَّا بعد الخروجِ، كذا ذكرَهُ البيضاويُّ[6]، وفيه: أنَّ هذا المعنى يخالِفُ قولَهُ تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] وأنَّه لو تحقَّقَ لهم الخروجُ كلَّما أرادوا لأرَادوا دائماً؛ لحصولِ تخفيفٍ ما، وقد قالَ تعالى: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، فالمعتمَدُ ما عبَّر عنهُ[7] بقولِهِ: وقيلَ: يضربهُم[8] لهيبُ النَّارِ فيرفعُهُم إلى أعلاها، فيُضرَبونَ بالمقامِعِ فيَسقُطونَ فيها[9].

ولا يَبعدُ أن يُقالَ: التَّقديرُ: أُعيدوا في قَعرِها؛ أي: رُدُّوا إلى أسفلَ منها ممَّا العذابُ أشدُّ فيها. والحاصِلُ: أنَّهم كلَّما أرادوا العُلوَّ ليُخفَّفَ عنهم العذابُ رُدُّوا إلى السُّفلِ[10] ممَّا فيه أشدُّ العِقابِ، فيوافِقُ قولَه تعالى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٣٠].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٦٨).

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١/ ١٩٢)، و«تاج العروس» (٢٢/ ٧٥). والجُرْزُ: هو عَمُود من حَدِيد. انظر: «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٢٢).

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (١١٢٣٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٧٧٣) وصححه، والبيهقي في «البعث والنشور» (٥٣٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٨٨): رواه أحمد وأبو يعلى وفيه ضعفاء وثِّقوا.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٣٣١).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٥٥).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٦٨).

(٧) أي: البيضاوي.

(٨) في النسخ: «يضرهم» والتصويب من البيضاوي.

(٩) رواه نعيم في زوائده على «الزهد» لابن المبارك (٣٣٩) من طريق رجل عن الحسن. وبنحوه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٨) من قول أبي ظبيان.

(١٠) في (م): «أسفل».

وقال في المُؤمنين: ٢٣ ـ ﴿إِنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ جَنَّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، يُحَلَّونَ فِيها مِن أساوِرَ مِن ذَهَبٍ ولُؤلُؤٍ﴾ ـ بالجرِّ، أي: منهما بأن يُرصَّع اللؤلؤ بالذهب، وبالنصبِ عطفًا على محلّ «من أساور» ـ ﴿ولِباسُهُم فِيها حَرِيرٌ﴾ هو المُحرَّم لُبسه على الرجال في الدنيا، ٢٤ ـ ﴿ وهُدُوا﴾ في الدنيا ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ القَولِ﴾ ـ وهو: لا إلـٰهَ إلاّ اللهُ ـ ﴿وهُدُوا إِلَى صِراطِ الحَمِيدِ﴾ أي: طريقِ الله المحمود ودينِه.

٢٥ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، ويَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: طاعتِه ﴿و﴾ عن ﴿المَسجِدِ الحَرامِ الَّذِي جَعَلْناهُ﴾ مَنسَكًا ومُتعبَّدًا ﴿لِلنّاسِ، سَواءٌ العاكِفُ﴾: المُقيمُ ﴿فِيهِ والبادِي﴾: الطارئُ، ﴿ومَن يُرِدْ فِيهِ بِإلحادٍ﴾ ـ الباء: زائدة ـ ﴿بِظُلمٍ﴾..

قولُهُ: (بالنَّصْبِ) نافعٌ وعاصمٌ، وإبدالِ الهمزةِ كسائيٌّ[1] وشعبةُ، وكذا حمزَةُ مع الثَّانيةِ وقفاً[2].

قوله: (عَلَى مَحَلِّ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾) ـ جمعُ: أسورةٍ، جمعِ سِوارٍ ـ؛ لأنَّه صِفةُ مفعولٍ محذوفٍ؛ أي: حُلِيًّا أو شيئاً.

قوله: (المَحْمُودِ) صِفةُ (طَرِيق) أو (اللهِ)؛ أي: المحمودِ عاقبتُهُ، أو: المستحَقِّ لذاتِهِ الحمدَ.

قوله: (﴿وَ﴾عَنْ) عطفٌ على اسمِ اللهِ، أو سبيلِهِ، وأوَّلَه الحنفيَّةُ بمكَّةَ[3] بقرينةِ ﴿العَاكِفُ فِيهِ والبَادِ﴾ [الحج: ٢٥]؛ أي: المقيمُ والطَّارئُ، والإقامةُ لا تكونُ في المسجِدِ، بل في المنازِلِ.

قولُهُ: (مَنْسَكاً) في «المدارك»: إن أُريدَ بـ﴿الْمَسْجِدِ﴾ مكَّةُ ففيهِ دليلٌ على أن لا تُباعُ دورُ مكَّةَ، وإن أُريدَ به البيتُ فالمعنى أنَّه قِبلةٌ لجميعِ النَّاسِ، و﴿سواءً﴾ بالنَّصبِ حفصٌ مفعولٌ ثانٍ لـ﴿جَعَلْنَاهُ﴾؛ أي: جعلناهُ مُستوياً، وغيرُه بالرَّفعِ[4] على أنَّه خبرٌ، والمبتدأُ مؤخَّرٌ؛ أي: العاكِفُ فيه والبادِ سواءٌ، والجملةُ مفعولٌ ثانٍ، و﴿لِلنَّاسِ﴾ حالٌ[5].

قوله: (البَاءُ زَائِدَةٌ) في «المدارِكِ»: ﴿بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾ حالانِ مُترادِفانِ، ومفعول ﴿يرد﴾ متروكٌ ليتناوَلَ كلَّ متناوَلٍ، كأنَّهُ قالَ: ومَن يُرِد فيه مُراداً مَّا عادِلاً عن القَصدِ ظالماً[6].

---

(١) كذا قال، والصواب: السوسي، قال في «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» (ص: ٢١٤): وأبدل الهمزة الأولى واواً ساكنة مدية وصلاً ووقفاً شعبةُ والسوسي.

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٥٦)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٥٠).

(٣) انظر: «أحكام القرآن» للجصاص (٥/ ٦٢).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٥).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٤٣٥).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٤٣٥).

أي: بسببه بأن ارتكب مَنهيًّا، ولو بشتمِ الخادمِ، ﴿نُذِقْهُ مِن عَذابٍ أليمٍ﴾: مُؤلمٍ أي: بعضَه. ومن هذا يُؤخذ خبر «إنّ» أي: نذيقُهم من عذاب أليم.

٢٦ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ بَوّأْنا﴾: بيّنّا ﴿لإبراهِيمَ مَكانَ البَيتِ﴾ لِيَبنيَه، وكان قد رُفع من زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أن لا تُشرِكْ بِي شَيئًا، وطَهِّرْ بَيتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطّائفِينَ والقائمِينَ﴾: المُقيمين به، ﴿والرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾: جمع راكع وساجد: المُصلّين، ٢٧ ـ ﴿ وأذِّنْ﴾: نادِ ﴿في النّاسِ بِالحَجِّ﴾ ـ فنادى على جبل أبي قُبيس: «يا أيُّها النّاسُ، إنّ رَبَّكُم بَنَى بَيتًا، وأوجَبَ علَيكُمُ الحَجَّ إلَيهِ. فأجِيبُوا رَبَّكُم». والتفتَ بوجهه يمينًا وشِمالاً وشرقًا وغربًا، فأجابه كُلّ مَن كُتب له أن يحجّ، من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبَّيكَ اللّهُمَّ لبَّيكَ ـ وجواب الأمر: ﴿يأتُوكَ رِجالاً﴾: مُشاةً، جمع راجِلٍ كقائم وقِيام، ﴿و﴾ رُكبانًا ﴿علَى كُلِّ ضامِرٍ﴾ أي: بعيرٍ مهزول ـ وهو يُطلق على الذكر والأنثى ـ ﴿يأتِينَ﴾ أي: الضوامرُ حملاً على المعنى، ﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾: طريق بعيد، ٢٨ ـ ﴿لِيَشهَدُوا﴾ أي: ليحضُروا ﴿مَنافِعَ لَهُم﴾ في الدنيا بالتجارة أو في الآخرة أو فيهما ـ أقوالٌ ـ ﴿ويَذكُرُوا اسمَ اللهِ في أيّامٍ معلُوماتٍ﴾ أي: عَشرِ ذي الحِجّة

قوله: (أي: بَعْضِهِ) في الآخِرةِ.

قولُهُ: (أَمَرْنَاهُ) أي: كلَّفْناه[1].

قوله: (الأَوْثَانِ) والأقذارِ.

قوله: (المُقِيْمِينَ) أي: بحرَمِهِ، أو: المعتكِفينَ في مسجدِه، ويؤيِّدُه: ﴿والْعَاكِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥]، أو: القائِمينَ في الصَّلاةِ، وعبَّرَ عن الصَّلاةِ بأركانِها للدَّلالةِ على أنَّ كلَّ واحدٍ منهما مستقِلٌّ باقتِضاءِ ذلك، كيف وقد اجتمعَت.

قوله: (نَادِ) أي: بدَعوَةِ الحجِّ والأمرِ به، (فَأَجَابَهُ) قيلَ: بعددِ[2] حجِّهِ، و(مِنْ أَصْلابِ) متعلِّقٌ بـ(أجَابَ)، والظَّاهرُ: مَن في أصلابٍ؛ يعني: حقيقَةً أو حُكماً.

قولُهُ: (حَمْلاً) جمعيتهُ.

قوله: (عَلَى المَعْنَى) أي: مَعنى ﴿كُلِّ﴾.

قوله: (أَقْوَالٌ) أي: للسَّلفِ، أصحُّها وأفيَدُها الثَّالثُ.

قوله: (أي: عَشْرِ ذِي الحِجَّةِ) عندَ تهيئتِه[3] الضَّحايا والهدايا وذبحِها.

---

(١) في النسخ عدا (د): «أي كلفنا به».

(٢) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «بعد».

(٣) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «تهيئة».

أو يومِ عرفةَ أو يومِ النحر إلى آخر أيام التشريق ـ أقوالٌ ـ ﴿على ما رَزَقَهُم، مِن بَهِيمةِ الأنعامِ﴾: الإبل والبقر والغنم التي تُنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا. ﴿فكُلُوا مِنها﴾ إذ كانت مُستحبّة، ﴿وأطعِمُوا البائسَ الفَقِيرَ﴾ أي: الشديد الفقر، ٢٩ ـ ﴿ثُمَّ لْيَقضُوا تَفَثَهُم﴾ أي: يُزيلوا أوساخهم وشَعَثَهم كطول الظُّفر، ﴿ولْيُوفُوا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿نُذُورَهُم﴾ من الهدايا والضحايا، ﴿ولْيَطَّوَّفُوا﴾ طوافَ الإفاضة ﴿بِالبَيتِ العَتِيقِ﴾ أي: القديم، لأنه أوّل بيت وُضع للناس.

٣٠ ـ ﴿ذلِكَ﴾ خبر مبتدأ مُقدّر، أي: الأمرُ أو الشأن ذلك المذكور، ﴿ومَن يُعَظِّمْ حُرُماتِ اللهِ﴾، هي ما لا يَحِلّ انتهاكه، ﴿فهُوَ﴾..

قوله: (إلى آخِرِ) غايَةٌ للقَولينِ.

قولُهُ: (أَقْوَالٌ) الأوَّلُ قولُ ابنِ عبَّاسٍ[١] وأكثَرِ المفسِّرينَ.

قوله: (إِذَا كَانَتْ مُسْتَحَبَّةً) يعني: تطوُّعاً دون الواجِبِ، إلَّا دمَ التَّمتُّعِ والقِرانِ عندَنا[٢]، والأمرُ للإباحَةِ، وقيلَ: للنَّدبِ.

قوله: (أي: الشَّدِيْدَ الفَقْرِ) تفسيرٌ لهما، أو للبائسِ، وهو الَّذي أصابَهُ بُؤسٌ؛ أي: شدَّةٌ، والفقيرُ: المحتاجُ الَّذي أضعفَهُ الإعسارُ، والأمرُ عندَنا[٣] للنَّدبِ، قالَ القاضي: والأمرُ فيه للوُجوبِ. وقد قيلَ به في الأوَّلِ[٤].

قولُهُ: (أَوْسَاخَهُم) الأَولى: وسخَهُم.

قوله: (والتَّشدِيدِ) شعبةُ[٥].

قوله: (أي: القَدِيمِ) أو: المُعتَقِ من تسلُّطِ الجبابِرةِ، أو من الغرَقِ، أو من الملَّاكِ، ويحتملُ أن يكونَ بمعنى: المعتِقِ؛ بكسرِ التاء؛ لأنَّه سببٌ لعتقِ مَن يقصدُهُ[٦] من النَّارِ.

قوله: (خَبَرُ مُبْتَدَأٍ) وهو وأمثالُهُ من نحوِ هذا وهذهِ وتلك يُطلقُ للفَصلِ بينَ الكلامَينِ، وقيلَ: التَّقديرُ: ليَفعلوا ذلك، ويمكنُ ضدُّ ذلك.

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠١٤٥)، وذكره البخاري (٢/ ٢٠) تعليقاً بصيغة الجزم.

(٢) انظر: «الهداية» (١/ ١٨١).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٧٠).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٦).

(٦) في (ص): «قصده».

أي: تعظيمها ﴿خَيرٌ لَهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة. ﴿وأُحِلَّتْ لَكُمُ الأنعامُ﴾ أكلاً بعدَ الذبح، ﴿إلاّ ما يُتلَى علَيكُم﴾ تحريمُه في «حُرّمَتْ علَيكُمُ المَيْتَةُ» الآيَةَ. فالاستثناء منقطع. ويجوز أن يكون متّصلاً، والتحريم لما عرض من الموت ونحوه. ﴿فاجتَنِبُوا الرِّجسَ مِنَ الأوثانِ﴾ من: للبيانِ، أي: الذي هو الأوثان، ﴿واجتَنِبُوا قَولَ الزُّورِ﴾ أي: الشِّركَ بالله في تلبيتهم، أو شهادةَ الزور، ٣١ ـ ﴿حُنَفاءَ لِلهِ﴾: مُسلمين عادلين عن كُلِّ دِين سِوى دِينه، ﴿غَيرَ مُشرِكِينَ بِهِ﴾: تأكيدٌ لما قبله، وهما حالان من الواو. ﴿ومَن يُشرِكْ بِاللهِ فكَأَنَّما خَرَّ﴾: سقطَ ﴿مِنَ السَّماءِ، فتَخطَفُهُ الطَّيرُ﴾ أي: تأخذُه بسُرعة، ﴿أو تَهوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ أي: تُسقطه ﴿في مَكانٍ سَحِيقٍ﴾: بعيد. فهو لا يُرجَى خلاصُه.

٣٢ ـ ﴿ذلِكَ﴾ يُقدَّر قبله «الأمرُ»: مبتدأ، ﴿ومَن يُعَظِّمْ شَعائرَ اللهِ فإنَّها﴾ أي: فإنّ تعظيمها ـ وهي البُدن التي تُهدى للحرم ـ بأن تُستَحسنَ وتُستَسمنَ..

قوله: (فِي الآخِرَةِ) و﴿خيرٌ﴾ لمجرَّدِ زيادَةِ الخيرِ، وتمييزُه: ثواباً.

قوله: (تَحْرِيمُهُ) أوَّلَه بهذا لأنَّ نفسَ المتلوِّ لا يُستَثنى.

قوله: (مُنْقَطِعٌ) للتَّقييدِ بالأكلِ بعد الذَّبحِ.

قولُهُ: (ويَجُوزُ) ظاهرُه أنَّه قولُه، مع أنَّه اقتصرَ عليه البَيضاويُّ[1].

قوله: (ونَحْوِهِ) كما أُهلَّ به لغيرِ اللهِ.

قوله: (هُوَ الأَوثَانُ) كما تُجتنبُ الأنجاسُ.

قوله: (أي: الشِّرْكَ باللهِ) ويمكنُ القَولُ باتِّخاذِ الصَّاحبةِ والولدِ وغيرِه.

قوله: (تَأكِيدٌ لِمَا قَبْلَهُ) وقيلَ: ﴿حنفاءَ﴾: مُخلصينَ، والتَّأسيسُ أولى.

قوله: (سَقَطَ) لأنَّه سقطَ من أوجِ الإيمانِ إلى حضيضِ الكُفرِ.

قوله: (أي: تَأْخُذُهُ) فإنَّ الأهواءَ المُرديَةَ[2] توزِّعُ أفكارَهُ.

قوله: (أي: بَعِيدٍ) فإنَّ الشَّيطانَ قد رَمى به في الضَّلالةِ، و﴿أَوْ﴾ للتَّخييرِ أو التَّنويعِ.

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ) حالٌ.

[قوله]: (تُستَحْسَنَ) روى البزَّارُ في «مسندِهِ»: (أنَّه عليهِ السَّلامُ أهدى مائةَ بدَنَةٍ فيها جَمَلٌ في أنفِهِ بُرَةٌ من

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٧٠).

(٢) في (ص): «الردية».

﴿مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ منهم.

وسُمِّيتْ شعائر لإشعارها بما تُعرف به أنها هَدي كطعن حديدة بسنامها. ٣٣ ـ ﴿لَكُم فِيها مَنافِعُ﴾ كركوبها والحمل عليها ما لا يضرّها، ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾: وقتِ نحرها، ﴿ثُمَّ مَحِلُّها﴾ أي: مكان حِلِّ نحرها ﴿إِلَى البَيْتِ العَتِيقِ﴾ أي: عِنده. والمراد الحَرَم جميعه.

٣٤ ـ ﴿ولِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ أي: جماعة مُؤمنة سلفتْ قبلكم، ﴿جَعَلْنا مَنسَكًا﴾ ـ بفتح السين: مصدر، وبكسرها: اسم مكان ـ أي: ذَبحًا قُربانًا أو مكانَه، ﴿لِيَذكُرُوا اسمَ اللهِ علَى ما رَزَقَهُم مِن بَهِيمةِ الأنعامِ﴾ عِند ذبحها. ﴿فإلـٰهُكُم إلـٰهٌ واحِدٌ. فلَهُ أَسلِمُوا﴾: انقادوا، ﴿وبَشِّرِ المُخبِتِينَ﴾: المُطيعين المُتواضعين، ٣٥ ـ ﴿الَّذِينَ إذا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ﴾: خافت ﴿قُلُوبُهُم، والصَّابِرِينَ علَى ما أَصابَهُم﴾ من البلايا،.......

ذَهبٍ»[١]، وأنَّ عُمرَ أهدى نجيبةً طُلِبَتْ منه بثلاثِ مائةِ دينارٍ[٢].

قولُهُ: (مِنهُم) أي: مِن أفعالِ ذَوي تَقوى القُلوبِ، فحُذِفَت هذه المضافاتُ والعائِدُ إلى ﴿مَن﴾.

قوله: (مَا لا يَضُرُّهَا) ظاهِرُ كلامِهِ: أنَّ الرُّكوبَ جائزٌ للضَّرورةِ وغيرِها، والحملُ إذا لم يضرَّهَا، ونقلَ ابنُ الهُمامِ أنَّ من العُلماءِ مَن قالَ: له أن يركبَها مطلقاً من غيرِ حاجَةٍ، وقالَ أصحابُنا والشَّافعيُّ: لا يركبُها إلَّا عند الحاجَةِ[٣].

قوله: (جَمِيْعُهُ) الَّذي هو في حُكمِ البيتِ؛ إذِ الحَرَمُ حريمُ البيتِ.

قولُهُ: (وبكَسْرِهَا) حمزةُ والكِسائيُّ[٤].

قوله: (قُرْبَاناً) يتقرَّبونَ به إلى اللهِ تعالى، وهو مُغنٍ عمَّا قبلَهُ.

قوله: (عِنْدَ ذَبْحِهَا) دونَ غيرِ اسمِ اللهِ، ويجعَلوا نسيكتَهُم لوجهِهِ.

قوله: (انقَادُوا) وأخلَصوا الذِّكرَ أو التَّقرُّبَ.

قوله: (المُطِيعِينَ) أي: المخلِصينَ.

قوله: (خَافَتْ) أي: هيبَةً.

قوله: (البَلَايَا) والكلَفِ.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٦١٧) عن علي رضي الله عنه. وقال: وقد روي عن ابن عباس، وعن سلمة بن الأكوع.

(٢) رواه أبو داود (١٧٥٦)، وأحمد في «مسنده» (٦٣٢٥)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٩١١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٢٤٤).

(٣) انظر: «فتح القدير» (٣/ ١٦٥). وانظر: «الهداية» (١/ ١٨٢)، و«الحاوي الكبير» (٤/ ٣٧٦).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٦).

﴿والمُقِيمِي الصَّلاةِ﴾ في أوقاتها، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ﴾: يتصدّقون.

٣٦ ـ ﴿والبُدْنَ﴾: جمع بَدَنة ـ وهي الإبل ـ ﴿جَعَلْناها لَكُم مِن شَعائرِ اللهِ﴾: أعلامِ دِينه، ﴿لَكُم فِيها خَيرٌ﴾: نفع في الدنيا كما تقدّم، وآخَرُ في العُقبى. ﴿فاذكُرُوا اسمَ اللهِ علَيها﴾ عِند نحرها ﴿صَوافَّ﴾: قائمةً على ثلاث معقولةَ اليد اليُسرى، ﴿فإذا وَجَبَتْ جُنُوبُها﴾: سقطت إلى الأرض بعد النحر ـ وهو وقت الأكل منها ـ ﴿فكُلُوا مِنها﴾ إن شئتم، ﴿وأطعِمُوا القانِعَ﴾ الذي يقنع بما يُعطَى ولا يَسأل ولا يتعرّض، ﴿والمُعتَرَّ﴾: السائل أو المتعرِّض..............................

قوله: (يَتَصَدَّقُونَ) أو في وجوهِ الخيرِ، وهو أعمُّ وأتمُّ.

قوله: (وهِيَ الإبِلُ) والبَقرُ أيضاً عندَنا[1].

قوله: (نَفْعٌ) يعني: خيراً مِن الخيور[2].

قوله: (قَائِمَةً) الأظهَرُ: قائِماتٍ صففنَ أيديَهُنَّ وأرجُلَهنَّ.

قولُهُ: (إلى الأَرْضِ) الظَّاهرُ: عليها.

قوله: (وَهُو) أي: السُّقوطُ، وفيه ما فيهِ، والظَّاهرُ أنَّ السُّقوطَ كنايَةٌ عن الموتِ.

قوله: (ولا يَسْأَلُ) من قَنِعَ بالكَسرِ قَناعَةً، أو: السَّائلَ، مِن قنَعَ بالفتحِ قُنوعاً: إذا خضعَ في السُّؤالِ[3]، والمضارِعُ بالفتحِ فيهِما، وما أحسَنَ ما قيلَ[4]:

العَبْدُ حُرٌّ إنْ قَنِعْ ... والحُرُّ عَبْدٌ إنْ قَنَع
فَاقْنَعْ ولا تَقْنَعْ[5] فَمَا ... شَيءٌ يشينُ سِوَى[6] الطَّمَع

وفي روايةٍ: أمرٌ.

قولُهُ: (ولا يَتَعَرَّضُ) أي: بِلِسانِ الحالِ.

قوله: (السَّائِلَ) بلسانِ القالِ.

---

(١) انظر: «الهداية» (١/ ١٥٠).

(٢) يعني: ليس الخير هنا اسم تفضيل.

(٣) انظر: «الصحاح» (٣/ ١٢٧٢).

(٤) البيتان للشافعي. انظر: «ديوانه» (ص: ٨٦).

(٥) في (د): «ولا تطمع»، وهو الموافق لما في الديوان، والمثبت من باقي النسخ وهو الأدخل في حسن الاستدلال.

(٦) في (د): «شيء أضر من».

﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك التسخير ﴿سَخَّرْناها لَكُم﴾ بأن تُنحر وتُركب ـ وإلاّ لم تُطق ـ ﴿لَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ إنعامي عليكم.

٣٧ ـ ﴿لَن يَنالَ اللهَ لُحُومُها ولا دِماؤُها﴾ أي: لا يُرفعان إليه، ﴿ولكِن يَنالُهُ التَّقوَى مِنكُم﴾ أي: يُرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان. ﴿كَذلِكَ سَخَّرَها لَكُم، لِتُكَبِّرُوا اللهَ علَى ما هَداكُم﴾: أرشدكم لمعالم دِينه ومناسك حجّه. ﴿وبَشِّرِ المُحسِنِينَ﴾ أي: المُوحّدين.

٣٨ ـ ﴿إنَّ اللهَ يَدفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ غوائلَ المُشركين. ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوّانٍ﴾ في أمانته ﴿كَفُورٍ﴾ لنعمته، وهم المشركون. المعنى أنه يُعاقبهم. ٣٩ ـ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتِلُونَ﴾ أي: للمُؤمنين أن يُقاتِلوا ـ...

قوله: (أي: مِثْلَ ذَلِكَ التَّسخِيْرِ) من نحرِها قياماً، وفي «المدارك»: كما أمَرناكُم بنحرِها سخَّرناها لكُم[1].

قوله: (لَم تُطَقْ) الظَّاهرُ أنَّه مجهولٌ؛ لقولِهِ: ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]؛ أي: مُطيقينَ.

قولُهُ: (إِنْعَامِي) الأَولى: إنعامُنا.

وقولُهُ تعالى: (﴿كَذَلِكَ﴾) كرَّرَهُ تذكيراً للنِّعمةِ وتعليلاً له بقولِهِ: ﴿لِتُكَبِّرُوا اللهَ﴾ أي: لتَعرِفوا عظمَتَهُ باقتدارِهِ على ما لا يقدِرُ عليه غيرُهُ فتوحِّدوهُ بالكِبرياءِ.

وقيل: هو التَّكبيرُ عندَ الذَّبحِ.

قوله: (لمَعَالمِ) أو: طريقِ تسخيرِها وكيفيَّةِ التَّقرُّبِ بها.

قوله: (أي: المُوَحِّدِينَ) أو: المخلِصينَ فيما يأتونَهُ ويذَرونَهُ.

قوله: (﴿يدفَعُ﴾) حفصٌ ونافعٌ وشاميٌّ وكوفيٌّ: ﴿يُدَافِعُ﴾[2] للمُبالغَةِ.

قوله: (غَوَائِلَ) جمعُ غائلةٍ: أَذًى.

قوله: (المُشرِكُونَ) أي: الكافِرونَ الَّذينَ يخونونَ اللهَ والرَّسولَ وأماناتِهم ويكفرونَ نِعَمَ اللهِ ويحقِّرونَها.

قولُهُ: (أي: المُؤمِنِينَ) نافعٌ وبصريٌّ وعاصمٌ بضمِّ الهمزةِ، ونافعٌ وشاميٌّ وحفصٌ بفتحِ التَّاءِ[3]؛ أي: يقاتلُهُم المشركونَ.

قوله: (أنْ يُقَاتِلُوا) مفعولٌ حُذِف لدلالةِ ﴿يُقَاتَلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٤٤٢). ووقع في النسخ: «بتسخيرها» بدل: «بنحرها» والتصويب من المصدر.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٨).

(٣) انظر المصادر السابقة

وهذه أول آية نزلتْ في الجِهاد ـ ﴿بِأَنَّهُم﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظُلِمُوا﴾ بظُلم الكافرين إيّاهم، ﴿وإِنَّ اللهَ عَلَى نَصرِهِم لَقَدِيرٌ﴾.

٤٠ ـ هم ﴿الَّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيارِهِم بِغَيرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، ما أخرجوا ﴿إلاّ أن يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبُّنا اللهُ﴾ وحدَه. وهذا القول حقّ، فالإخراج به إخراج بغير حقّ. ﴿ولَولا دَفعُ اللهِ النّاسَ بَعضَهُم﴾: بدلُ بعضٍ من «الناس» ﴿بِبَعضٍ لَهُدِّمَتْ﴾ ـ بالتشديد للتكثير، وبالتخفيف ـ ﴿صَوامِعُ﴾ للرهبان﴿وبِيَعٌ﴾: كنائسُ للنصارى ﴿وصَلَواتٌ﴾: كنائسُ لليهود بالعِبرانيّة ﴿ومَساجِدُ﴾ للمُسلمين، ﴿يُذكَرُ فِيها﴾ أي: المواضعِ المذكورة ﴿اسمُ اللهِ كَثِيرًا﴾ وتنقطعُ العبادات بخرابها. ﴿ولَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ أي: ينصرُ دِينَه ـ ﴿إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿عَزِيزٌ﴾: ....

قوله: (أَوَّلُ آيَةٍ) بعدَ ما نهى عنه في نيفٍ وسبعينَ آيةً.

قوله: (بِظُلْمِ الكَافِرِينَ إِيَّاهُم) وهم الصَّحابةُ، كانَ المشركونَ يُؤذونَهُم، وكانوا يأتونَهُ من بين مَضروبٍ ومشجوجٍ يتظلَّمونَ إليه، فيقولُ لهم: «اصبِروا فإنِّي لم أُؤمَرْ بالقتالِ»، حتَّى هاجَرَ فأنزلَتْ[١].

قوله: (مَا أُخرِجُوا) فالاستِثناءُ مُفرَّغٌ، وقيل: منقطِعٌ؛ أي: لكن أُخرِجوا بقولِهم هذا، والأحسَنُ أنَّه متَّصلٌ للمبالغةِ من بابِ تأكيدِ المدحِ بما يُشبِهُ الذَّمَّ، والمعنى: بغيرِ موجِبٍ استَحقُّوا به إلَّا بهذا القَولِ، وهو موجِبٌ للتَّمكينِ لا للإخراجِ.

قوله: (بَدَلُ بَعْضٍ) ونافِعٌ: (دفاع)[٢]؛ يعني: بتَسليطِ المؤمنينَ منهم على الكافِرينَ.

قولُهُ: (وبالتَّخْفِيفِ) الحِرميَّانِ[٣].

قوله: (للرُّهْبَانِ) خواصِّ النَّصارى.

قوله: (كَنَائِسُ لليَهُودِ) سُمِّيَت بها لأنَّها تُصلِّي فيها، وقيلَ: أصلُها: صلوثا ـبالمثلَّثةِ ـ فعُرِّبَت.

قوله: (للمُسلِمِينَ) وقُدِّم غيرُها عليها لتقدُّمِها وُجوداً.

قوله: (أي: المَواضِعِ) أو المساجِدِ.

قوله: (دِيْنَهُ) وأولياءَهُ[٤].

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحادث الكشاف» (٢/ ٣٨٨): غريب جدًّا. وعزاه الواحدي في «الوسيط» للمفسرين.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٩).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٩).

(٤) في (ص): «أو أولياؤه».

منيع في سُلطانه وقُدرته ـ ٤١ ـ ﴿الَّذِينَ إن مَكَّنّاهُم في الأرضِ﴾ بنصرهم على عدوّهم ﴿أقامُوا الصَّلاةَ وآتَوُا الزَّكاةَ، وأَمَرُوا بِالمَعرُوفِ ونَهَوا عَنِ المُنكَرِ﴾: جوابُ الشرط، وهو وجوابه صلة الموصول. ويُقدَّر قبله «هم»: مبتدأ. ﴿و للهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ أي: إليه مَرجِعها في الآخرة.

٤٢ ـ ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿وإن يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى آخِره ـ فيه تسلية للنبيّ ﷺ ـ ﴿فقَد كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾، تأنيثُ «قوم» باعتبار المعنى، ﴿وعادٌ﴾: قومُ هود ﴿وثَمُودُ﴾: قوم صالح ﴿وقَومُ إبراهِيمَ وقَومُ لُوطٍ وأصحابُ مَدْيَنَ﴾ قومُ شُعيب، ﴿وكُذِّبَ مُوسَى﴾ كذّبه القِبط لا قومه بنو إسرائيل ـ أي: كذّب هؤلاء رُسلَهم، فلك أُسوة بهم ـ ﴿فأملَيتُ لِلكافِرِينَ﴾: أمهلتُهم بتأخير العِقاب لهم، ﴿ثُمَّ أخَذتُهُم﴾ بالعذاب. ﴿فكَيفَ كانَ نَكِيرِ﴾ أي: إنكاري عليهم تكذيبَهم بإهلاكهم؟ والاستفهام للتقرير، أي: هو واقع موقعَه.

٤٥ ـ ﴿فكَأَيِّن﴾ أي: كم ﴿مِن قَرْيَةٍ أهلَكْتُها﴾ ـ وفي قراءة: «أهلَكْناها» ـ ﴿وهْيَ ظالِمَةٌ﴾ أي: أهلُها بكفرهم، ﴿فهْيَ خاوِيَةٌ﴾: ساقطة ﴿علَى عُرُوشِها﴾:..................

قوله: (مَنِيعٌ) الأنسَبُ: قويٌّ قادرٌ على نصرِ أوليائِهِ، عزيزٌ غالِبٌ على انتِقامِ أعدائِهِ.

قوله: (بِنَصْرِهِم) وصفٌ للَّذينَ أُخرِجوا، وهو ثناءٌ قبلَ بلاءٍ، وفيه دليلٌ على صحَّةِ أمرِ الخُلفاءِ الرَّاشدينَ.

قوله: (إِلَيْهِ) أي: حكمِهِ.

قولُهُ: (باعتِبَارِ المَعْنَى) أي: الجماعَةِ.

قوله: (لا قَوْمُهُ) ولذا غيَّرَ النَّظمَ.

قوله: (بِهِم) فاصبِر كمَا صبَروا، وفيه تسليَةٌ لهُ ﷺ.

قوله: (بِتَأْخِيْرِ) حتَّى انصرمَتْ آجالُهُم المقدَّرةُ.

قوله: (إِنْكَارِي) إشارَةٌ إلى أنَّ النَّكيرِ مصدَرٌ فيه مبالَغةٌ.

قوله: (بإِهْلاكِهِم) أو بتغييرِ النِّعمةِ محنةً، والحياةِ هلاكاً، والعَمارةِ خَراباً.

قوله: (أي: كَمْ) أي: كثيراً.

قوله: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ البصريِّ[1] بلفظِ التَّعظيمِ؛ أي: أهلَكنَاها بإهلاكِ أهلِها.

قولُهُ: (سَاقِطَةٌ) حيطانُها.

---

(١) فقراءته: (أهلكتُها) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٩).

سُقوفها، ﴿وَ﴾ كم من ﴿بِئرٍ مُعَطَّلَةٍ﴾: متروكة بموت أهلها ﴿وقَصرٍ مَشِيدٍ﴾: رفيع، خال بموت أهله!
٤٦ ـ ﴿أفلَم يَسِيرُوا﴾ أي: كُفَّارُ مكّة ﴿في الأرضِ، فتكُونَ لَهم قُلُوبٌ يَعقِلُونَ بِها﴾ ما نزلَ بالمكذِّبين قبلهم، ﴿أو آذانٌ يَسمَعُونَ بِها﴾ أخبارَهم بالإهلاك وخراب الديار، فيعتبروا؟ ﴿فإنَّها﴾ أي: القِصَّةَ ﴿لا تَعمَى الأبصارُ، ولكِن تَعمَى القُلُوبُ الَّتِي في الصُّدُورِ﴾ تأكيد.

٤٧ ـ ﴿ويَستَعجِلُونَك بِالعَذابِ، ولَن يُخلِفَ اللهُ وَعدَهُ﴾ بإنزال العذاب ـ فأنزلَه يوم بدر ـ ﴿وإنَّ يَومًا عِندَ رَبِّكَ﴾ من أيّام الآخرة بالعذاب، ﴿كألفِ سَنةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ في الدنيا،........

قوله: (سُقُوفِهَا) بأن تعطَّلَت بُنيانُها فخرَّتْ سقوفُها، ثُمَّ تهدَّمَت حيطانُها، فسقَطَت فوقَ السُّقوفِ، أو: خاليةٌ مع بقاءِ عَرشِها، على حذفِ المضافِ، و﴿عَلَى﴾ للمُصاحبةِ، والجملةُ معطوفَةٌ على ﴿أهلكناها﴾ لا على ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ فإنَّها حالٌ، والإهلاكُ ليسَ حالَ خوائِها.

قوله: (﴿وَ﴾ كَم مِنْ) يعني: عطفٌ على ﴿قَرْيَةٍ﴾.

قوله: (مَتْرُوكَةٍ) عطَّلناها لا يُستَقى منها.

قوله: (رَفِيْعٍ) أي: مَرفوعٍ، وقيل: مجصَّصٍ؛ أي: خلَّيناهُ عن ساكِنيهِ.

قوله: (كُفَّارُ مَكَّةَ) وغيرُهُم.

قولُهُ: (فَيَعْتَبِرُوا) وهُم وإن كانوا قد سافَروا لم يُسافِروا لذلك، فالمُعتبَرُ سيرُ الباطِنِ، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ﴾ [الحج: ٤٦]؛ أي: عن الاعتِبارِ.

قوله: (تَأكِيدٌ) نحوَ: رأيتُ بعَيني، أو لبَيانِ أنَّ محلَّ العلمِ القلبُ، قال ابنُ عبَّاسٍ:

إِنْ أَذْهَبَ اللهُ مِنْ عَيْنَيَّ نُورَهُمَا ... فَفِي فُؤَادِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ[1]

أي: بدلَهُما.

قولُهُ: (واليَاءِ) الغيبةُ مكِّيٌّ وحمزةُ وكسائيٌّ[2].

قوله: (فِي الدُّنيَا) بَيانٌ لتَطاولِ عذابِه وطولِ أيَّامِه حقيقةً، أو من حيثُ إنَّ أيَّامَ الشَّدائدِ مُستطالةٌ، و(أنْجَزَهُ) حملُ العَذابِ المستعجَلِ المتوعَّدِ به على غلبَةِ المسلِمينَ يومَ بدرٍ مُستبعدٌ، فالمعنى: لن يخلفَ اللهُ لامتِناعِ الخُلفَ في خبرِهِ، فيُصيبُهُم ما أوعدَهُم به ولو بعدَ حينٍ؛ لكنه صبورٌ لا يُعجِّلُ بالعُقوبَةِ.

---

(١) رواه الدينوري في «المجالسة» (١٨٥٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وذكره الجاحظ في «الحيوان» (٣/ ٥٨)، وابن قتيبة في «الشعر والشعراء» (٢/ ٨٤٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٠).

٤٨ ـ ﴿وكَأَيِّن مِن قَريةٍ أمليتُ لَها، وهْيَ ظالِمةٌ، ثُمَّ أخذتُها﴾ المرادُ أهلُها ﴿وإلَيَّ المَصِيرُ﴾: المَرجِعُ.

٤٩ ـ ﴿قُلْ: يا أيُّها النّاسُ﴾ أي: أهلَ مكّة، ﴿إنَّما أنا لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار، وأنا بشير للمؤمنين. ٥٠ ـ ﴿فالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم مَغفِرةٌ﴾ من الذنوب، ﴿ورِزقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنّة، ٥١ ـ ﴿والَّذِينَ سَعَوا في آياتِنا﴾: القُرآنِ بإبطالها ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ مَن اتّبع النبيَّ، أي: ينسبونهم إلى العجز ويُثبّطونهم عن الإيمان، أو مقدِّرين عجْزَنا عنهم ـ وفي قراءة: «مُعاجِزِينَ»: مُسابِقينَ لنا، يظنّون أن يفوتونا بإنكارهم البعثَ والعِقاب ـ ﴿أُولئِكَ أصحابُ الجَحِيمِ﴾: النار.

٥٢ ـ ﴿ وما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ﴾ ـ هو نبيٌّ أُمر بالتبليغ ـ ﴿ولا نَبِيٍّ﴾ أي: لم يُؤمر بالتبليغ ﴿إلاّ إذا تَمَنَّى﴾: قرأ ﴿ألقَى الشَّيطانُ في أُمنِيَّتِهِ﴾:.............................

قوله: (المُرَادُ) بـ﴿قَرْيَةٍ﴾ والضَّمائرِ.

قولُهُ: (المَرْجِعُ) أي: مرجِعُ الكُلِّ إلى حُكمِي لا غَيري.

قوله: (أي: أَهْلَ مَكَّةَ) الحُكمُ عامٌّ.

قوله: (بيِّنُ الإِنْذَارِ) فهو من أبانَ اللّازِمِ، وفي نُسخةٍ: «مُظهِرٌ إنذَارِي وأنا بشِيرٌ للمُؤْمِنِينَ».

قوله: (مِنَ الذُّنُوبِ) لِمَا بدَرَ منها ومنهُم.

قوله: (بِإِبْطَالِهَا) ورَدِّها.

قوله: (وفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ مكِّيٍّ وبَصريٍّ[1].

قوله: (النَّارِ) الموقدَةِ، وقيل: اسمُ دركةٍ.

قولُهُ: (لَم يُؤمَر) فـ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بمعنى: بعَثْنا، وقيلَ: الرَّسولُ واضِعُ شرعٍ، والنَّبيُّ حافِظُ شرعِ غيرِه، وهذا أظهرُ ولو ما اشتهَر، فتدبَّرْ، وفي الآيةِ دليلٌ بيِّنٌ على ثُبوتِ التَّغايُرِ بينهُما، خِلافاً لبعضٍ، وفي حديثٍ رواهُ الإمامُ أحمدُ وغيرُه: أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ سُئِلَ عن الأنبياءِ فقالَ: «مِئةُ ألفٍ وأَرْبَعَةٌ وعِشْرُونَ أَلْفاً» قيل: فكَم الرُّسلُ منهم؟ فقال: «ثلاثُمائةٍ وثلاثةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيراً»[2].

قولُهُ: (قَرَأَ) أي: كلُّ واحدٍ منهما، أو: إذا زوَّر في نفسِهِ ما يهواهُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٠)

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٢٢٨٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢١٧) (٧٨٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣١) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٩): ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف.

قراءتِه ما ليس من القُرآن، ممّا يرضاه المُرسَلُ إليهم ـ وقد قرأ النبيّ ﷺ في سورة «النجم» بمجلس من قريش، بعدَ: «أفرَأيتُمُ اللاّتَ والعُزّى، ومَناةَ الثّالِثةَ الأُخرَى»، بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه به:

قيل: حدَّثَ في نفسِهِ بزَوالَ المسكَنةِ[1].

قوله: (قِرَاءَتِه) أو: في تشهِّيهِ ما يوجِبُ اشتغالَهُ بالدُّنيا كما قالَ عليه السَّلامُ: «وإنَّهُ ليُغانُ على قَلْبي فأستَغْفِرُ اللهَ في اليَومِ سبعينَ مرَّةً» رواهُ مسلمٌ[2]، أرادَ: ما يَغشاهُ مِن السَّهوِ الَّذي لا يَخلو منه البشرُ؛ لأنَّ قلبَهُ أبداً كانَ مشغولاً باللهِ تعالى، فإن عَرَضَ له [في] وقتٍ ما عارِضٌ بشريٌّ ليَشغله عن أمورِ الملَّةِ ومصالحِ الأُمَّةِ عدَّ ذلك ذنباً، فيَفزعُ إلى الاستِغفارِ، ولذلك قيل: حسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المقرَّبينَ.

قولُهُ: (المُرْسَلُ إِلَيهِم) يعني: الكفَّار.

قوله: (وقَدْ قَرَأَ النَّبِيُّ) ردَّ هذه القصَّةَ غيرُ واحدٍ؛ منهم القاضي[3]، لكنَّ شيخَ الإسلامِ ابنَ حجرٍ في «شرحِ البُخاريِّ» أطالَ في ثبوتِها، ثمَّ قالَ: وأحسَنُ ما قيلَ في التَّأويلِ: إنَّ الشَّيطانَ ألقَى ذلك في سكتَةٍ من سكتاتِهِ ولم يفطَنْ لهَا ﷺ، وسمِعَها غيرُهُ فأشاعَها[4].

قلتُ: والظَّاهرُ: الكافرونَ هُمُ السَّامعونَ.

قولُهُ: (عَلَى لِسَانِهِ) قالَ البَغَويُّ: الأكثَرونَ على أنَّها جرَت على لسانِهِ سهواً، ونُبِّه عليه[5].

قالَ شيخُنا المرحومُ الشَّيخُ عطيَّةُ نقلاً عن شيخِهِ الإمامِ أبي الحسَنِ البَكريِّ: أنَّه لا يقدَحُ ذلك في العصمةِ لكونِهِ من غيرِ قصدٍ كحَرَكةِ المرتعِشِ، انتهى.

قالَ صاحِبُ «المدارِكِ»[6]: إجراءُ الشَّيطانِ ذلك على لسانِهِ ﷺ جَبراً بحيث لم يقدِر على الامتِناعِ عنه ممتنعٌ؛ لأنَّ الشَّيطانَ لا يقدرُ على ذلك في حقِّ غيرِه؛ لقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٧٥) وزاد: فنزلت. وعقب ذلك الشهاب في «حاشيته على البيضاوي» (٦/ ٣٠٥) بقوله: ضعفه لأنه لا يلائم قوله: ﴿فتنة للذين في قلوبهم مرض﴾.

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٢) من حديث الأغر المزني، وكانت له صحبة، وفيه: «مائة مرة» بدل: «سبعين مرة».

زروى البخاري (٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة».

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٧٥). وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٩١).

(٤) انظر: «فتح الباري» (٨/ ٤٣٩، ٤٤٠).

(٥) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٣٤٨).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٤٤٨).

«تِلكَ الغَرانِيقُ العُلا، وإنَّ شَفاعتَهُنَّ لَتُرتَجَى»، ففرحوا بذلك، ثمّ أخبره جِبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه، من ذلك، فحزن فسُلِّي بهذه الآية ليطمئنّ ـ ﴿فَيَنسَخُ اللهُ﴾: يُبطل ﴿ما يُلقِي الشَّيطانُ، ثُمَّ يُحكِمُ اللهُ آياتِهِ﴾: يُثبتها. ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذُكر ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه، يفعل ما يشاء.

٥٣ ـ ﴿لِيَجعَلَ ما يُلقِي الشَّيطانُ فِتنَةً﴾: مِحنة ﴿لِلَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: شَكٌّ ونفاق ﴿والقاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ أي: المُشركين، عن قبول الحقّ ـ ﴿وإنَّ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَفِي شِقاقٍ بَعِيدٍ﴾: خِلافٍ طويل مع النبيّ والمُؤمنين، حيثُ جرى على لسانه ذِكرُ آلهتهم بما يُرضيهم، ثمّ أُبطل ذلك ـ ٥٤ ـ ﴿ولِيَعلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾: التوحيدَ والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿الحَقُّ مِن رَبِّكَ، فَيُؤمِنُوا بِهِ فَتُخبِتَ﴾: تطمئنّ ﴿لَهُ قُلُوبُهُم. وإنَّ اللهَ لَهادِي الَّذِينَ آمَنُوا إلَى صِراطٍ﴾: طريقٍ ﴿مُستَقِيمٍ﴾ أي: دِين الإسلام.

٥٥ ـ ﴿ولا يَزالُ الَّذِينَ كَفَرُوا في مِريَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِنهُ﴾ أي: القُرآنِ بما ألقاه الشيطان على لسان النبيّ ثمّ أُبطِل، ﴿حَتَّى تَأتِيَهُمُ السّاعةُ بَغتَةً﴾ أي: ساعةُ موتهم أو القيامةُ فجأةً،..................

[الحجر: ٤٢] ففي حقِّهِ أولى، والقَولُ بأنَّه جرى ذلك على لسانِهِ سهواً وغَفلةً مردودٌ أيضاً؛ لأنَّه لا يجوزُ مثلُ هذه الغَفلةِ عليه في حالِ تبليغِ الوَحيِ، ولو جازَ لبطَلَ الاعتِمادُ على قولِه.

ثمَّ اختارَ ما اختارَهُ ابنُ حجرٍ قالَ: وكانَ الشَّيطانُ يتكلَّمُ في زمنِ النَّبيِّ ﷺ.

قولُهُ: (الغَرَانِيْقُ) جمعُ الغُرْنوقِ أو الغُرْنَيْقِ، وهو الشَّابُّ النَّاعمُ(١).

قوله: (يُثْبِتُهَا) أي: الآياتِ القُرآنيَّةَ، أو الآياتِ الدَّاعِيةَ إلى استِغراقِ أمرِ الآخِرةِ.

قوله: (فِي تَمْكِيْنِهِ) تقدَّمَ ما يدلُّ على إبطالِهِ؛ إذ على تَقديرِ جوازِ السَّهوِ لا يُقالُ فيه: التَّمكينُ منه.

قوله: (يَفعَلُ) مذيِّلٌ لِمَا قبلَهُ، ومُعلِّلٌ لِمَا بعدَهُ.

قوله: (عَن قَبُولِ) متعلِّقٌ بـ﴿القَاسِيَةِ﴾ فكانَ حقُّهُ التَّقديمَ.

قوله: (الكَافِرِينَ) الظَّاهرُ: والمنافِقينَ.

قوله: (طَوِيلٌ) أو بعيدٌ عن الحقِّ.

قولُهُ تعالى: (﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾) بالقرآنِ، أو: باللهِ.

قولُهُ: (بِمَا أَلْقَى) وقالَ القاضي: من القُرآنِ أو الرَّسولِ ـ فـ﴿من﴾ ابتدائيَّةٌ ـ أو ممَّا ألقى الشَّيطانُ ـ فـ﴿من﴾ تعليليَّةٌ ـ يقولونَ: ما بالُهُ ذكرَها بخيرٍ ثمَّ ارتدَّ عنه(٢).

---

(١) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٥٣٧).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٧٦). وما بين معترضتين من كلام المصنف.

﴿أو يأتِيَهُم عَذابُ يَومٍ عَقِيمٍ﴾، هو يوم بدر لا خير فيه للكُفّار كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل له.

٥٦ ـ ﴿المُلكُ يَومَئِذٍ﴾ أي: يومَ القِيامة ﴿لِلهِ﴾ وحدَه ـ وما تضمّنه من الاستقرار ناصبٌ للظرف ـ ﴿يَحكُمُ بَينَهُم﴾ بالمجازاة بين المُؤمنين والكافرين بما بَيّن بعده. ﴿فالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ في جَنّاتِ النَّعِيمِ﴾ فضلاً من الله، ٥٧ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا فأُولئِكَ لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾: شديدٌ بسبب كُفرهم، ٥٨ ـ ﴿والَّذِينَ هاجَرُوا في سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: طاعتِه من مكّة إلى المدينة، ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أو ماتُوا، لَيَرزُقَنَّهُمُ اللهُ رِزقًا حَسَنًا﴾ هو رِزق الجنّة ـ ﴿وإنَّ اللهَ لَهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ﴾: أفضل المُعطين ـ ٥٩ ـ ﴿لَيُدخِلَنَّهُم مُدخَلاً﴾، بضمّ الميم وفتحها، أي: إدخالاً أو مَوضعًا، ﴿يَرضَونَهُ﴾ وهو الجنّة. ﴿وإنَّ اللهَ لَعَلِيمٌ﴾ بنِيّاتهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عن عِقابهم.

٦٠ ـ الأمر ﴿ذلِكَ﴾ الذي قصصناه عليك، ﴿ومَن عاقَبَ﴾: جازى ....

قوله: (يَومَ القِيامَةِ) على أنَّ المرادَ بـ﴿السَّاعَةُ﴾ غيرُهُ.

قوله: (أي: يَوْمَ القِيَامَةِ) أو: يومَ تزولُ مريتُهُم.

قوله: (فَضْلاً مِنَ اللهِ) لتَوفيقِ الإيمانِ والعَملِ الصَّالحِ.

قوله: (كُفْرِهِم) وتكذيبِهِم عدلاً منهُ تعالى.

قولُهُ تعالى: (﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾) أي: في الجِهادِ.

قوله: (أَفْضَلُ المُعْطِينَ) فإنَّهُ يرزقُ بغيرِ حِسابٍ، وكلُّ مَن يُعطي إنَّما يُعطي من عَطائِهِ لعطائِهِ.

قولُهُ: (وفَتْحِهَا) نافعٌ[1].

قوله: (أي: إِدْخَالاً) أو دُخولاً.

قوله: (أو مَوْضِعاً) للإدخالِ أو الدُّخولِ.

قوله: (وهُو الجَنَّةُ) أي: أعالي درَجاتِها، وفيها ما يُحبُّونَهُ.

قوله: (بنِيَّاتِهِم) الأَولى: بأحوالِ مبدئِهِم ومعادِهِم.

قوله: (جَازَى) وإنَّما سمِّي الابتِداءُ بالعِقابِ الَّذي هو الجزاءُ [للازدواج]، أو[2] لأنَّهُ سببُهُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨١).

(٢) «أو» من (د)، وما بين معكوفتين من «أنوار التنزيل».

من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ ما عُوقِبَ بِهِ﴾ ظُلمًا من المشركين، أي: قاتلهم كما قاتلوه في شهر المحرّم، ﴿ثُمَّ بُغِيَ عليهِ﴾ منهم أي: ظُلم بإخراجه من منزله، ﴿لَيَنصُرَنَّهُ اللهُ. إنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ﴾ عن المؤمنين ﴿غَفُورٌ﴾ لهم عن قِتالهم في الشهر الحرام. ٦١ ـ ﴿ذلِكَ﴾ النصر ﴿بِأنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيلَ في النَّهارِ، ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ﴾ أي: يُدخل كلًّا منهما في الآخَر بأن يزيد به، وذلك من أثر قُدرته التي بها النصرُ، ﴿وأنَّ اللهَ سَميعٌ﴾ دُعاءَ المؤمنين ﴿بَصِيرٌ﴾ بهم حيثُ جعل فيهم الإيمان، فأجاب دعاءهم. ٦٢ ـ ﴿ذلِكَ﴾ النصر أيضًا ﴿بِأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ﴾: الثابت، ﴿وأنَّ ما يَدْعُونَ﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ ـ وهو الأصنام ـ ﴿هُوَ الباطِلُ﴾: الزائل، ﴿وأنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ﴾ أي: العالي على كُلّ شيء بقُدرته، ﴿الكَبِيرُ﴾ الذي يصغُر كُلّ شيء سواه.

٦٣ ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أنَّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً﴾: مطرًا، ﴿فتُصبِحُ الأرضُ مُخضَرّةً﴾ بالنبات؟

قوله: (مِنَ المُؤمِنِينَ) بَيانٌ لـ﴿مَنْ﴾.

قوله: (مِنَ المُشرِكِينَ) أي: مِن جهتِهِم.

قوله: (﴿عليه﴾) على مَن عاقَبَ؛ يعني: بَغى عليهِ بالمُعاوَدةِ إلى العُقوبةِ.

قولُهُ: (مِنْهُم) أي: من جهتِهِم.

قوله: (بأَنْ يَزِيدَ بِهِ) أي: في كلِّ واحِدٍ ما ينقُصُ منه.

قوله: (أَيْضاً) والأقرَبُ ما قالَهُ القاضي: ﴿ذلكَ﴾ الوَصفُ بكمالِ القُدرةِ والعِلمِ[1]. قالَ سعدِي جلبي: في العلمِ المدلولِ أيضًا بقولِهِ: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ﴾.

أقولُ: الظَّاهرُ المدلولُ بقولِهِ: ﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾؛ لأنَّ معناهُما: عالمٌ[2] بالمسموعَاتِ والمُبصَراتِ.

قوله: (الثَّابِتُ) في نفسِهِ، أو: الثَّابتُ الإلهيَّةِ.

قوله: (والتَّاءِ) الخطابُ حرميٌّ وشاميٌّ وشعبةُ[3].

قولُهُ: (وهُوَ الأَصْنَامُ) أي: إلهاً أو آلهةً.

قوله: (الزَّائِلُ) المعدومُ في حدِّ ذاتِهِ أو باطِلُ الألوهيَّةِ.

قوله: (بالنَّبَاتِ) و«تصبحُ» بمعنى: تصيرُ، وإنَّما رُفِعَ لأنَّ الاستِفهامَ بمعنى الخَبرِ؛ أي: قد رأيتَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٧٧).

(٢) في (ص): «عليم».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٢).

وهذا من أثر قُدرته. ﴿إنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ بعِباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَبِيرٌ﴾ بما في قُلوبهم عِند تأخير المطر، ٦٤ ـ ﴿لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ على جِهة المُلك، ﴿وإنَّ اللهَ لَهُوَ الغَنِيُّ﴾ عن عِباده ﴿الحَمِيدُ﴾ لِأوليائه.

٦٥ ـ ﴿ألَم تَرَ أنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما في الأرضِ﴾ من البهائم، ﴿والفُلكَ﴾: السُّفن ﴿تَجرِي في البَحرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأمرِهِ﴾: بإذنه، ﴿ويُمسِكُ السَّماءَ﴾ من ﴿أن﴾ أو لئلاّ ﴿تَقَعَ عَلَى الأرضِ إلاّ بِإذنِهِ﴾ فتَهلِكوا؟ ﴿إنَّ اللهَ بِالنّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في التسخير والإمساك. ٦٦ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي أحياكُم﴾ بالإنشاء، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُم﴾ عند انتهاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحيِيكُم﴾ عِند البعث. ﴿إنَّ الإنسانَ﴾ أي: المُشركَ ﴿لَكَفُورٌ﴾ لنِعم الله بتركه توحيدَه.

٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنا مَنسَكًا﴾، بفتح السين وكسرها: شريعةً، ﴿هُم ناسِكُوهُ﴾: عاملون به.

قولُهُ: (تَأخِيرِ المَطَرِ) وتقديمِهِ.

قوله: (عَلَى جِهَةِ المُلْكِ) ـ بالضَّمِّ والكسرِ ـ والخلقِ.

قوله: (عنِ الخَلْقِ) في ذاتِهِ.

قوله: (لأَوْلِيَائِهِ) أو: المُستوجِبُ للحمدِ بصِفاتِه وأفعالِه.

قولُهُ: (السُّفُنَ) عطفٌ على ﴿ما﴾ أو على اسمِ ﴿أنَّ﴾.

قوله: (للرُّكُوبِ) حالٌ منها، أو خبرٌ.

قوله: (أو لِئلَّا) أو كراهَةَ أنْ.

قوله: (فَتَهْلِكُوا) محلُّهُ قبلَ ﴿إلَّا بِإذْنِهِ﴾؛ أي: إلَّا بمشيئتِهِ، وذلك يومَ القيامَةِ.

قولُهُ: (بالإِنشَاءِ) بعدَ أن كنتُمْ أمواتاً جَماداً عناصرَ ونُطَفاً.

قوله: (لِنِعَمِ اللهِ) مع ظُهورِها.

قوله: (﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾) أهلِ دينٍ.

قوله: (وكَسْرِهَا) حمزَةُ والكِسائيُّ[1].

قولُهُ: (شَرِيعَةً) تُعُبِّدوا بها، أو: متعبَّداً، وقيلَ: عيداً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٧٦).

﴿فلا يُنازِعُنَّكَ﴾ يُراد به: لا تُنازعْهم ﴿في الأمرِ﴾: أمر الذبيحة، إذ قالوا: «ما قتلَ اللهُ أحقُّ أن تأكلوه، ممّا قتلتُم»، ﴿وادعُ إلَى رَبِّكَ﴾: إلى دِينه ـ ﴿إنَّكَ لَعَلَى هُدًى﴾: دِينٍ ﴿مُستَقِيمٍ ـ وإن جادَلُوكَ﴾ في أمر الدِّين ﴿فقُلِ: اللهُ أعلَمُ بِما تَعمَلُونَ﴾ من التكذيب، فيُجازيكم عليه. وهذا قبلَ الأمر بالقتال.

٦٩ ـ ﴿اللهُ يَحكُمُ بَينَكُمُ﴾ ـ أيها المؤمنون والكافرون ـ ﴿يَومَ القِيامةِ فِيما كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ بأن يقول كُلّ من الفريقين خِلافَ قول الآخر. ٧٠ ـ ﴿ألَم تَعلَمْ﴾ ـ الاستفهام فيه للتقرير ـ ﴿أنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في السَّماءِ والأرضِ؟ إنَّ ذلِكَ﴾ أي: ما ذُكر ﴿في كِتابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ، ﴿إنَّ ذلِكَ﴾ أي: عِلمَ ما ذُكر ﴿علَى اللهِ يَسِيرٌ﴾: سهلٌ.

٧١ ـ ﴿ويَعبُدُونَ﴾ أي: المُشركون، ﴿مِن دُونِ اللهِ ما لَم يُنَزِل بِهِ﴾، هو الأصنام، ﴿سُلطانًا﴾: حُجّة، ﴿وما لَيسَ لَهُم بِهِ عِلمٌ﴾ أنها آلهةٌ، ﴿وما لِلظّالِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِن نَصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله،...

قوله: (﴿فَلَا يُنَازِعُنَّكَ﴾) سائِرُ أربابِ المِلَلِ.

قوله: (لا تُنَازِعْهُم) إشارَةٌ إلى ما قيلَ: المرادُ نهيُ الرَّسولِ عن منازعتِهِم، كقولِكَ: لا يُضاربنَّكَ زيدٌ، وهذا إنَّما يجوزُ في أفعالِ المغالبَةِ للتَّلازمِ.

قولُهُ: (أَمْرِ الذَّبِيحَةِ) إشارَةٌ إلى ما قيلَ: نزلَت في كفَّارِ خُزاعَةَ[1]، والظَّاهرُ تفسيرُهُ بأمرِ الدِّينِ فإنَّهُ مُندرجٌ فيه، وليلائمَ كلامَهُ.

قوله: (إِلَى دِينِهِ) الأظهَرُ: إلى توحيدِهِ وعبادتِهِ.

قولُهُ: (فيُجَازِيْكُم) وهو وَعيدٌ فيه رِفقٌ.

قوله: (أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ) أي: يفصِلُ بالثَّوابِ والعِقابِ.

قوله: (بِأَنْ يَقُولَ) أي: في أمرِ الدِّينِ.

قوله: (مَا ذُكِرَ) أي: ما في السَّماءِ والأَرضِ.

قوله: (هُو اللَّوْحُ) كتبَهُ فيه قبلَ حدوثِهِ.

قولُهُ: (عِلْمَ مَا ذُكِرَ) وإثباتَهُ في اللَّوحِ، أو الحكمَ بينكُم.

قوله: (حُجَّةً) تدلُّ على جوازِ عبادتِهِ، ولا مَفهومَ له[2].

قولُهُ تعالى: (﴿لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾) أي: حصَلَ لهم من ضَرورةِ العقلِ أو استدلالِهِ.

---

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٥/ ٤٩٠) من قول مقاتل والكلبي.

(٢) «له»: ليس في (م) و(د)

٧٢ ـ ﴿وإذا تُتلَى علَيهِم آياتُنا﴾ من القرآن ﴿بَيِّناتٍ﴾: ظاهراتٍ حالٌ ﴿تَعرِفُ في وُجوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا المُنكَرَ﴾ أي: الإنكار لها، أي: أثرَه من الكراهة والعُبوس، ﴿يَكادُونَ يَسطُونَ بِالَّذِينَ يَتلُونَ علَيهِم آياتِنا﴾ من القرآن، أي: يقعون فيهم بالبطش. ﴿قُلْ: أفأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ من ذلِكُمُ﴾ أي: بأكرهَ إليكم من القُرآنِ المتلوِّ عليكم؟ هو ﴿النّارُ، وعَدَها اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأنّ مصيرهم إليها، ﴿وبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي!

٧٣ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ﴾ أي: أهلَ مكّة، ﴿ضُرِبَ مَثَلٌ. فاستَمِعُوا لَهُ﴾. هو ﴿إنَّ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ـ وهم الأصنام ـ ﴿لَن يَخلُقُوا ذُبابًا﴾ ـ اسمُ جنس، واحدُه ذبابة يقع على المُذكّر والمُؤنّث ـ ﴿ولَوِ اجتَمَعُوا لَهُ﴾: لخلقِه، ﴿وإن يَسلُبْهُمُ الذُّبابُ شَيئًا﴾ ممّا عليهم من الطِّيبِ والزعفرانِ الملطَّخونَ به ﴿لا يَستَنقِذُوهُ﴾: لا يستردّوه ﴿مِنهُ﴾ لعجزهم. فكيف يُعبدون شركاءَ؟ تعالى. هذا أمر مستغرب، عُبّر عنه بـ «ضُرِبَ مَثَلٌ». ﴿ضَعُفَ الطّالِبُ﴾: العابد ﴿والمَطلُوبُ﴾: المعبود!

٧٤ ـ ﴿ما قَدَرُوا اللهَ﴾: عظّموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾: عظَمتِه، أن أشركوا به ما لم يمتنع من الذُّباب ولا ينتصف منه. ﴿إنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: غالب.

قولُهُ: (الإِنْكَارَ) فـ﴿المُنْكَرَ﴾ مصدَرٌ ميميٌّ.

قوله: (لَهَا) للآياتِ؛ يعني: لفَرطِ نكيرِهم للحقِّ وغيظِهم لأباطيلَ أَخذُوها تقليداً، وهذا مُنتَهى الجهالَةِ، ولذلك قيلَ: الظَّاهرُ عنوانُ الباطِنِ.

قولُهُ: (هُوَ ﴿النَّارُ﴾) كأنَّهُ جوابُ سائلٍ قالَ: ما هو؟

قولُهُ: (أي: يَا أَهْلَ مَكَّةَ) لا خصُوصيَّةَ.

قولُهُ تعالى: (﴿ضُرِبَ مَثَلٌ﴾) أي: جُعِلَ، أو: بُيِّنَ لكم حالٌ مستغرَبةٌ، أو قصَّةٌ معجِبَةٌ.

وقولُهُ: (﴿لَهُ﴾) أي: للمثلِ، استِماعَ تدبُّرٍ وتفكُّرٍ.

قوله: (اسْمُ جِنْسٍ) من الذَّبِّ وهو الدَّفعُ، سُمِّي به لأنَّهُ كلما ذُبَّ آبَ.

قوله: (لِخَلْقِهِ) أي: لا يقدِرونَ على خلقِهِ مجتَمِعينَ لهُ متعاونِينَ عليه، فكيفَ إذا كانوا منفَرِدينَ.

قولُهُ: (والزَّعْفَرَانِ) والعَسلِ.

قوله: (المَعْبُودُ) أي: عابِدُ الصَّنمِ ومعبودُهُ؛ أو الصَّنمُ والذُّبابُ، أو عكسُهُ، ولو حقَّقْتَ وجدتَ الصَّنمَ أضعَفَ بدرَجاتٍ.

قولُهُ تعالى: (﴿لَقَوِيٌّ﴾) على خَلقِ الممكِناتِ بأسرِها.

قوله: (غَالِبٌ) لا يغلبُهُ شيءٌ، وآلهتُهُم الَّتي يدعونَها عجزةٌ عن خلقِ أقلِّها، مغلوبةٌ من مقاومَةِ أذلِّها.

٧٥ ـ ﴿اللهُ يَصطَفِي مِنَ المَلائكةِ رُسُلاً ومِنَ النّاسِ﴾ رُسلاً. نزل لمّا قال المشركون: «أأُنزِلَ علَيهِ الذِّكرُ مِن بَينِنا»؟ ﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لمقالتهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتّخذه رسولاً كجِبريلَ وميكائيلَ، وإبراهيمَ ومُحمّدٍ وغيرهم ـ صلّى الله عليهم وسلّم ـ ٧٦ ـ ﴿يَعلَمُ ما بَينَ أيدِيهِم وما خَلفَهُم﴾ أي: ما قدّموا وما خلّفوا، أو ما عملوا وما هم عاملون بعدُ، ﴿وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾.

٧٧ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اركَعُوا واسجُدُوا﴾ أي: صلّوا، ﴿واعبُدُوا رَبَّكُم﴾: وحّدوه، ﴿وافعَلُوا الخَيرَ﴾ كصِلة الرحِم ومكارم الأخلاق، ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون بالبقاء في الجنّة، ....

قوله: (بَعْدُ) أو: عالمٌ بواقِعِها ومترقَّبها.

قوله: (صَلُّوا) عبَّر عنها بهِما؛ لأنَّهما أعظمُ أركانِها، أو التَّقديرُ: في صلاتِكُم.

قولُهُ: (وَحِّدُوهُ) الظَّاهرُ أنَّه تعميمٌ بعدَ تخصيصٍ.

قوله: (تَفُوزُونَ) أي: افعَلوا هذه كلَّها وأنتم راجونَ الفَلاحَ، قالَ القاضي: والآيةُ آيةُ سجدةٍ عندَنا[١] ـ يعني: خلافاً لأبي حنيفَةَ[٢] ومالكٍ[٣] ـ وقالَ: لظاهرُ ما فيها من الأمرِ بالسُّجودِ[٤].

قالَ سعدي: فيه: أنَّ المأمورَ[٥] على التَّفسيرينِ السَّابقينِ إنَّما هو السَّجدةُ الصَّلاتيَّةُ لا سجدةُ التِّلاوةِ، ولا حُجَّةَ في المحتمَلِ.

ثمَّ قالَ القاضي[٦]: ولقولِهِ ﷺ: «فُضِّلَتْ سُورةُ الحجِّ بسجدَتينِ، مَن لم يسجدْهُما فلا يقرأْهُما»[٧] قال سعدي جلبي: رواه التِّرمذيُّ وضعَّفَهُ.

أقولُ: وعلى تقديرِ صحَّتِه المرادُ بسجدَتينِ أولهما التِّلاويَّةِ[٨]، والأُخرى الصَّلاتيَّةِ.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (٢/ ٢٠٢).

(٢) انظر: «الهداية» (١/ ٧٨).

(٣) انظر: «المعونة على مذهب عالم المدينة» (ص: ٢٨٣).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٨٠).

(٥) في (ص): «الأمر».

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٨٠).

(٧) رواه أبو داود (١٤٠٢)، والترمذي (٥٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٥٧٨) من حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث ليس إسناده بذاك القوي.

(٨) في (م) و(ن): «التلاوتية».

٧٨ ـ ﴿وجاهِدُوا في اللهِ﴾ لِإقامة دِينه ﴿حَقَّ جِهادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه. ونُصب «حقَّ» على المصدر. ﴿هُوَ اجتَباكُم﴾: اختاركم لدِينه، ﴿وما جَعَلَ علَيكُم في الدِّينِ مِن حَرَجٍ﴾ أي: ضيقٍ بأن سهّله عِند الضرورات كالقصر والتيمّم وأكل الميتة والفِطر للمرض والسفر، ﴿مِلّةَ أَبِيكُم﴾ ـ منصوبٌ بنزع الخافض الكاف ـ ﴿إبراهِيمَ﴾: عطفُ بيان. ﴿هُوَ﴾ أي: اللهُ ﴿سَمّاكُمُ المُسلِمِينَ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ هذا الكتاب ﴿وفي هذا﴾ أي: القُرآنِ، ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا علَيكُم﴾ يوم القيامة أنه بلّغكم، ﴿وتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَداءَ عَلَى النّاسِ﴾ أنّ رسلهم بلّغتهم. ﴿فأقِيمُوا الصَّلاةَ﴾: داوموا عليها ﴿وآتُوا الزَّكاةَ، واعتَصِمُوا بِاللهِ﴾: ثِقوا به........................

قولُهُ: (بِإِقَامَةِ دِينِهِ) و﴿فِي﴾ تعليليَّةٌ؛ بمعنى: لله ومن أجلِهِ أعداءَ دِينِهِ: الظَّاهرةَ كأهلِ الزَّيغِ، والباطِنةَ: كالهَوى والنَّفسِ، وعنهُ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ أنَّه[1] رجعَ من غزوةِ تبوكَ فقالَ: «رجعْنَا مِن الجهَادِ الأصغرِ إلى الجهَادِ الأكبَرِ» أخرجَهُ البَيهقيُّ وضعَّفَه[2].

قولُهُ: (بنَزْعِ الخَافِضِ) أو على الإغراءِ، أو الاختِصاصِ.

قوله: (عَطْفُ بَيَانٍ) وإنَّما جعلَهُ أباهُم لأنَّه أبو النَّبيِّ ﷺ، وهو كالأبِ لأُمَّتِه من حيثُ إنَّه سببٌ لحياتِهِم الأبديَّةِ.

قوله: (أي: اللهُ) وقُرِئَ به[3]، وقيلَ: إبراهيمُ.

قوله: (هَذَا الكِتَابِ) أي: نزولِه في الكُتبِ المتقدِّمةِ.

قولُهُ: (بَلَّغَكُم) واللَّامُ للعاقبةِ، متعلِّقٌ[4] بـ﴿سَمَّاكُمُ﴾.

قوله: (دَاوِمُوا) يعني: اثبُتوا على الجمعِ بين العباداتِ البدنيَّةِ[5] والماليَّةِ.

قوله: (ثِقُوا بِهِ) أي: لا بالصَّلاةِ والزَّكاةِ وغيرِهما، قالَ النوريُّ: الاعتِصامُ باللهِ للخَواصِّ، وهو خلوُّ القلبِ عمَّا يشغلُهُ عن اللهِ[6].

---

(١) في (ص): زيادة «لما».

(٢) رواه البيهقي في «الزهد الكبير» (٣٧٣) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: هذا إسناد ضعيف.
وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٢/ ٣٩٦).

(٣) أي: (الله سماكم المسلمين) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ٩٩) ونسبت لأُبي.

(٤) أي: قوله: ﴿ليكون الرسول﴾.

(٥) في (ص): «الدينية».

(٦) انظر: «حقائق التأويل» (٢/ ٢٩).

﴿هُوَ مَولاكُم﴾: ناصركم ومُتولّي أموركم. ﴿فنِعمَ المَولَى﴾ هو! ﴿ونِعمَ النَّصِيرُ﴾ أي: الناصرُ هو لكم!

والاعتصامُ بحَبلِ اللهِ للخاصِّ والعامِّ، قالَ تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وهو التَّمسُّكُ بالأوامِرِ والسُّننِ.

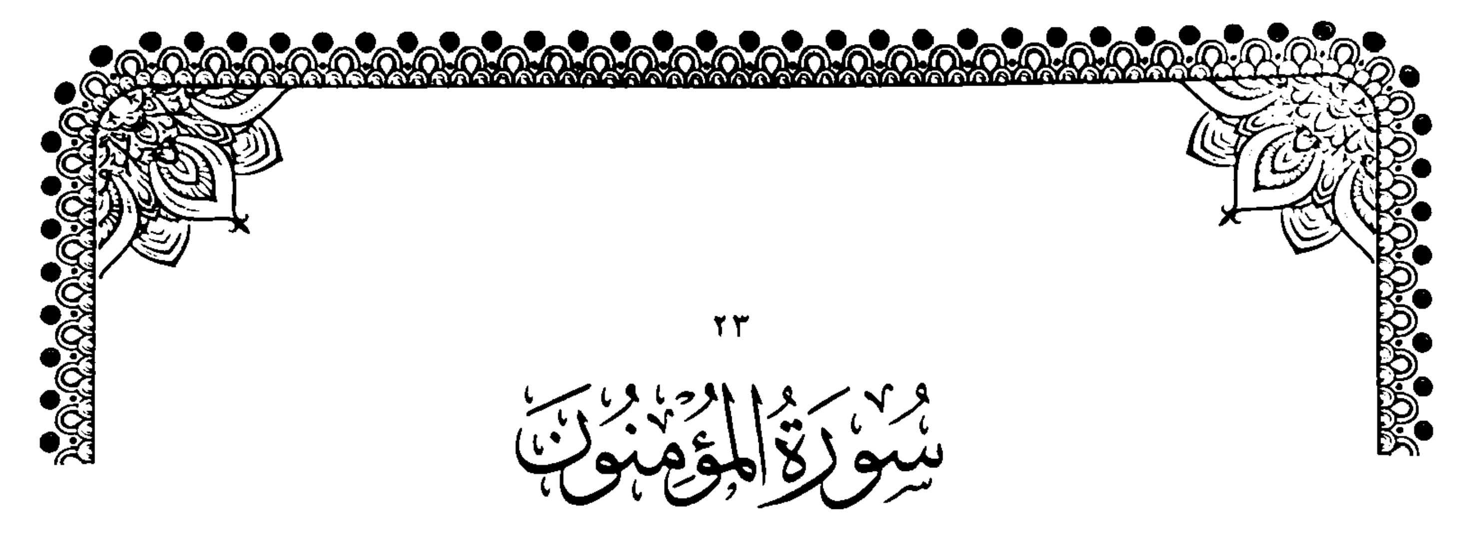
قوله: (هُوَ) إذ لا مثلَ له في الولايَةِ والنُّصرةِ، بل لا مَولى ولا نصيرَ سِواهُ في الحقيقةِ، قالَ الإمامُ جعفرٌ: نِعمَ المُعينُ لمن استعانَ به، ونعمَ النَّصيرُ لِمَن استنصرَ به[1].

واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر المصدر السابق.



٢٣

سُورَةُ المؤمنون

مكية، وهي مِائَةٌ وثمانيَ أو تسعَ عشْرةَ آيَةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿قَد﴾: للتحقيق ﴿أفلَحَ﴾: فازَ ﴿المُؤمِنُونَ الَّذِينَ هُم في صَلاتِهِم خاشِعُونَ﴾: متواضعون، ٣ ـ ٤ ـ ﴿والَّذِينَ هُم عَنِ اللَّغوِ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعرِضُونَ، والَّذِينَ هُم لِلزَّكاةِ فاعِلُونَ﴾:.........

سُورَةُ المؤمنون

قولُه: (فَازَ) بالأمَاني.

قوله: (مُتَوَاضِعُونَ) أي: مُتَذَلِّلونَ له خائفونَ منه، وفي حَديثٍ: أنَّه عَليهِ السَّلامُ رأى رجلاً يَعبَثُ بِلحيَتِهِ فقالَ: «لو خَشَعَ قَلبُ هذا لخشَعتْ جَوارِحُه»[1].

قوله: (وغَيرِهِ) وفي الحديثِ: «مِن حُسنِ إسلامِ المَرءِ تَركُهُ ما لا يَعنِيهِ»[2]، وقولُه تعالى: ﴿معرضونَ﴾ يعني: لما بهم من الجِدِّ ما شغَلَهُم[3] عنه.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١٣٠٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وضعف إسناده العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ١٧٨). قال المناوي في «الفتح السماوي» (٢/ ٨٥٤): فيه: سليمان بن عمرو أبو داود النخعي أحد من اتهم بوضع الحديث.

(٢) رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٥٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه.

ورواه الترمذي (٢٣١٨)، ومالك في «الموطأ» (ص: ٩٠٣) (٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٣٢) عن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب مرسلاً، وقال الترمذي: هذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة. وقال البيهقي: إسناد هذا أصح.

(٣) في (م): «أشغلهم».

مُؤدّون، ٥ ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ﴾ عن الحرام، ٦ ـ ﴿إلاَّ علَى أزواجِهِم﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أو ما مَلَكَت أَيمانُهُم﴾ أي: السَّراريّ ـ ﴿فإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهنّ. ٧ ـ ﴿فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذلِكَ﴾ من الزوجات والسراريّ كالاستمناء بيده ﴿فأُولئِكَ هُمُ العادُونَ﴾: المُتجاوزون إلى ما لا يحلّ لهم ـ ٨ ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِأماناتِهِم﴾، جمعًا ومفردًا، ﴿وعَهدِهِم﴾ فيما بينهم أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿راعُونَ﴾: حافظون، ٩ ـ ﴿والَّذِينَ هُم علَى صَلَواتِهِم﴾، جمعًا ومفردًا، ﴿يُحافِظُونَ﴾: يُقيمونها في أوقاتها. ١٠ ـ ﴿أُولئِكَ هُمُ الوارِثُونَ﴾ لا غيرُهم ١١ ـ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِردَوسَ﴾ هو جنّةُ أعلى الجِنان، ﴿هُم فِيها خالِدُونَ﴾. في ذلك إشارة إلى المَعاد، ويُناسبه ذِكر المبدأِ بعده.

قوله: (مُؤَدُّونَ) وتحقيقهُ ما قالَ القاضي: والزَّكاةُ تقعُ على المعنى والعَينِ، والمرادُ الأوَّلُ؛ لأنَّ الفاعِلَ فاعلُ الحدَثِ لا المحلِّ الذي هو موقعُهُ، أو الثَّاني على تقديرِ مُضافٍ[1]؛ يعني: لأداءِ الزَّكاةِ فاعِلونَ.

قوله: (مِن زَوْجَاتِهِم) فـ﴿على﴾ بمعنى: «مِن»؛ لأنَّ الحفظَ لا يتعدَّى بـ«على» بخِلافِ المحافظَةِ، قال تعالى: ﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ []، أو المعنى: لا يبذلونَها فـ﴿على﴾ على حقيقَتِها.

قوله: (أي: السَّرَارِي) الأظهَرُ: سُرِّيَّاتُهم، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ قوله: ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ يعمُّ الرِّجالَ أيضاً، لكنَّه مختصٌّ بالإناثِ بالإجماعِ.

قوله: (مِنَ الزَّوْجَاتِ) أي: المستَثنى.

قوله: (كالاستِمْنَاءِ) جوَّزَ عندنَا إذا خافَ الوقوعَ في الزِّنا[2].

قوله: (ومُفْرَداً) مكِّيٌّ[3].

قوله: (حَافِظُونَ) قائمونَ بحفظِها وإصلاحِها.

قوله: (ومُفْرَداً) حمزةُ والكسائيُّ[4].

قوله: (يُقِيمُونَهَا) أي: يُؤدُّونها ويُواظبونَ عليها.

قوله: (لا غَيْرُ) أو الجامِعونَ لهذهِ الصِّفاتِ هم الأحِقَّاءُ بأن يُسمَّوا وُرَّاثاً دونَ غيرِهم.

قوله: (هُوَ جَنَّةٌ) أو هو الجنَّةُ، ولذا أنَّثَ ضميرَ ﴿فيها﴾.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٨٢).

(٢) انظر: «رد المحتار» (٤/ ٢٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٢).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٣).

١٢ ـ ﴿وَ﴾ اللهِ ﴿لَقَد خَلَقْنا الإِنسانَ﴾ آدمَ.....................................

قولُه: (﴿وَ﴾اللهِ ﴿لَقَدَ﴾) الواو عاطِفةٌ من القُرآنِ، و(اللهِ) مجرورٌ بحذفِ حَرفِ القَسَمِ؛ لأنَّه يقالُ في القَسَمِ: اللهِ لأفعلَنَّ، بحذفِ الجارِّ مع بقاءِ الجرِّ على ما في «المغني»[1]، ولا يُتوهَّمْ أنَّ الواوَ القُرآنيةَ هي للقسَمِ؛ لأنَّه يلزمُ منه حذفُ المجرورِ وبقاءُ الجارِّ، وهو لا يجوزُ اتِّفاقاً، فكانَ الأَولى أن يقولَ: وواللهِ، إذ واو العَطفِ تدخلُ على واوِ القَسمِ، كقولِه:

ووالله لـولا تَمْـرُهُ مـا حَبَبْتُـهُ[2]

ومـن الغَريـبِ أنَّ الطِّيبـيَّ مـع جلالتِهِ قـال في حديثِ سـعْدٍ: «ولقـدْ رأيتُنِي معَ رسـولِ اللهِ ﷺ مـا أملِكُ درهمـاً..»[3]: إنَّ الواوَ قسَـميةٌ، واللامَ جوابُ القسَـمِ[4].

وقالَ البيضاويُّ في قولِه تعالى: ﴿ولقد علمتم﴾ [البقرة: ٦٥] اللامُ موطِّئةٌ للقسَمِ[5]، وقال الشَّيخُ زكريَّا: وقال غيرُه: للابتِداءِ[6]، قال العِصامُ[7]: لعلَّ قولَ البَيضاويِّ سهوٌ منَ النَّاسخِ، والصَّوابُ: واللَّامُ بتقديرِ القسَمِ؛ أي: واللهِ لقد علِمْتُم؛ إذِ اللَّامُ الموطِّئةُ ما تدخلُ شرطاً نازعَهُ القسَمُ في جزائِهِ ليُجعلَ جواباً[8]، انتهى.

وقالَ صاحبُ «المغنِي» في قولِهِ تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله﴾ [الأحزاب: ١٥]: يقدَّر لذلكَ وما أشبهَهُ القسَمُ، ثمَّ قالَ: وممَّا يحتملُ جوابَ القسَم: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [مريم: ٧١] وذلك بأن تُقدَّرَ الواو عاطفةً على ﴿ثم لنحن أعلم﴾ [مريم: ٧٠] فإنَّه وما قبلَه أجوبَةٌ لقولِه تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم﴾ [مريم: ٦٨] وهذا

(١) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٨٣٩).

(٢) صدر بيت ورد مون نسبة في «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٣٣٨)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٣٣١) ونسبه في «لسان العرب» (١/ ٢٨٩) لغَيلانَ بن شُجاع النَّهشلي، وصدره عنده: فأقسم لولا... وعجزه في المصادر:

وَلَا كانَ أَدْنَـى مِـن عُبَيدٍ ومُشْـرِقِ

(٣) رواه هكذا أحمد في «مسنده» (٢١٠٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٦٧٤)، والشاشي في «مسنده» (١٠١٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٤٥)، من حديث خباب رضي الله عنه.

أمـا حديـث سـعد: فـرواه الحميـدي في «مسـنده» (١/ ١٩٣) بلفـظ: «أنـا أوَّلُ مَن رمى بسـهمٍ في سـبيلِ اللهِ، ولقـد رأيتُنِي مع رسولِ اللهِ ﷺ سابعَ سبعةٍ وما لنا طعامٌ إلَّا الحُبْلَة وورقَ السَّمُرَ حتى لقد قرِحَتْ أشداقُنا.. » الحديث.

(٤) انظر: «شرح المشكاة» للطيبي (٤/ ١٣٧١).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (١/ ٨٥).

(٦) انظر: «حاشية الأنصاري على البيضاوي» (١/ ٣٣٥)، وممن قال بابتدائيتها أبو حيان في «البحر المحيط» (١/ ٣٩٦).

(٧) هو: إبراهيم بن محمد بن عرب شاه الأسفراييني عصاد الدين، له حاشية على البيضاوي، ت: ٩٤٥هـ.

(٨) انظر: «حاشية عصام الدين على البيضاوي» (و٨٧أ).

﴿مِن سُلالةٍ﴾، هي من: سَلَلتُ الشيء من الشيء، أي: استخرجتُه منه ـ وهو خُلاصتُه ـ ﴿مِن طِينٍ﴾: مُتعلِّقٌ بـ «سلالة»، ١٣ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسانَ نسلَ آدمَ ﴿نُطْفَةً﴾: مَنيًّا ﴿في قَرارٍ مَكِينٍ﴾ هو الرَّحِم، ١٤ ـ ﴿ثُمَّ خَلَقْنا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾: دمًا جامدًا، ﴿فخَلَقْنا العَلَقَةَ مُضْغةً﴾: لحمةً قدرَ ما يُمضغ، ﴿فخَلَقْنا المُضْغَةَ عِظامًا، فكَسَونا العِظامَ لَحمًا﴾، وفي قراءة: «عَظْمًا» و«العَظْمَ» في الموضعين، و«خلقْنا» في المواضع الثلاثة بمعنى: صيّرْنا، ﴿ثُمَّ أنشأْناهُ خَلقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ـ ﴿فتَبارَكَ اللهُ أحسَنُ الخالِقِينَ﴾ أي: المُقدِّرين! ومميِّز «أحسَنُ» محذوف للعِلم به، ....

مرادُ ابنِ عطيَّةَ من قولِه: هو قسَمٌ، والواوُ تقتضيه[1]؛ أي: هو جوابُ قسَمٍ، والواوُ هي المحصِّلةُ لذلك؛ لأنَّها عطفت، وتوهَّمَ أبو حيَّانَ عليه ما لا يُتَوهَّمُ على صغارِ الطَّلَبةِ، وهو أنَّ الواوَ حرفُ قسَمٍ، فرَدَّ عليه بأنَّه: يلزمُ منه حذفُ المجرورِ وبقاءُ الجارِّ، وحذفُ القسَم مع كونِ الجوابِ منفيًّا بـ(إن)[2].

قولُه: (بـ﴿سُلالَة﴾)؛ أي: من صَفوةٍ سُلَّت من الطِّينِ.

قولُه: (أي: الإِنسَان... إلخ) الأخصَرُ؛ أي: نسلُهُ، فحُذفَ المضافَ.

قولُه: (مَنِيًّا) بأنْ خلقناهُ منها.

قولُه: (هُوَ الرَّحِمُ) وهو مستقرٌّ حَصِينٌ.

قولُه: (دَماً جَامِداً) أي: أَحَلنا النُّطفةَ البَيضاءَ علقَةً حمراءَ.

قولُه: (لَحْمَةً) أي: فصيَّرناها قطعَةَ لحمٍ.

وقولُهُ تعالى: (﴿فخلقنا المضغة عظاماً﴾) بأنْ صلَّبناها.

وقوله: (﴿فكسونا﴾) يعني: ممَّا بقيَ من المضغَةِ، أو ممَّا أنبَتْنا عليها.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لشَّاميٍّ وشُعبةَ[3].

قولُه: (بِمَعنَى: صَيَّرْنَا) كما أشَرنا.

قولُه: (بِنَفْخِ الرُّوحِ) و﴿خلقاً آخر﴾ هو صورةُ البدنِ، أو الرُّوحُ، أو القُوى بنفخِهِ فيه، أو المجموعُ، و﴿ثُمَّ﴾ لما بينَ الخَلقَينِ منَ التفاوتِ رتبةً أو زَماناً.

قولُه: (للعِلْمِ بِهِ) الأظهَرُ: لدلالَةِ ﴿الخالقينَ﴾ عليه.

---

(١) انظر: «تفسير ابن عطية» (٤/ ٢٧).

(٢) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (٧/ ٢٨٨). وانظر: «مغني اللبيب» (ص: ٥٢٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٤).

أي: خلقًا ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ، ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ القِيامَةِ تُبعَثُونَ﴾ للحِساب والجزاء.

١٧ ـ ﴿ولَقَد خَلَقْنا فَوقَكُم سَبعَ طَرائقَ﴾ أي: سماواتٍ: جمع طريقةٍ لأنها طُرُق الملائكة، ﴿وما كُنّا عَنِ الخَلقِ﴾ تحتها ﴿غافِلِينَ﴾ أن تسقط عليهم فتُهلكهم ـ بل نُمسكها كآيةِ: «ويُمسِكُ السَّماءَ أن تَقَعَ علَى الأرضِ» ـ ١٨ ـ ﴿وأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ﴾ من كِفايتهم، ﴿فأَسكَنّاهُ في الأرضِ، وإنّا علَى ذَهابٍ بِهِ لَقادِرُونَ﴾ فيموتون مع دوابهم عطشًا، ١٩ ـ ﴿فأنشأنا لَكُم بِهِ جَنّاتٍ مِن نَخِيلٍ وأعنابٍ﴾، هما أكثر فواكه العرب، ﴿لَكُم فِيها فَواكِهُ كَثِيرةٌ، ومِنها تأكُلُونَ﴾ صيفًا وشتاء، ٢٠ ـ ﴿و﴾ أنشأنا ﴿شَجَرةً، تَخرُجُ مِن طُورِ سِيناءَ﴾ جبلٍ، بكسر السين وفتحها ومنعُ الصرفِ للعلميّةِ والتأنيثِ للبقعة، ﴿تُنبِتُ﴾ ـ

قولُه: (تَحْتَهَا) أو عن[١] ذلك المخلُوقِ الذي هو السَّماواتُ، أو عن جميعِ المخلوقاتِ، وهو الظّاهرُ.

قولُه: (مِن كِفَايَتِهِم) أي: بمقدارِ ما علِمْنا مِن صلاحِهِم، أو بتقديرٍ: يكثُرُ نفعُه ويقِلُّ ضُرُّه.

قولُه تعالى: (﴿فأسكناه﴾) أي: جعَلْناهُ ثابتاً مُستقرًّا.

وقولُه تعالى: (﴿لقادِرونَ﴾) أي: كما كنَّا قادِرينَ على إنزالِهِ.

قولُه: (فَيَمُوتُونَ) والذَّهابُ به: إزالتُه بالإفسادِ، أو التَّصعيدِ[٢]، أو التَّعميقِ بحيثُ يتعذَّرُ استنباطُهُ، قلتُ: أو بالإعدامِ.

قولُه: (هُمَا أَكثَرُ) يعني: ولذا اقتصَرَ عليهما، وأيضاً هما أفيدُ أشجارِ الفواكِهِ، وأعمُّها نفعاً، وأكثرُها بقاءً.

قولُه: (صَيفاً وشِتاءً) أي: لكم في ثمرتِهِما أنواعٌ من الفواكِهِ؛ الرُّطبُ والعنبُ والتَّمرُ والزبيبُ والعصيرُ والدِّبسُ، وغيرُ ذلك.

قولُه: (وأَنْشَأْنَا) يعني: عطفٌ على ﴿جنَّاتٍ﴾.

قولُه: (جَبَلٌ) جبل موسى بينَ مصرَ وأَيْلَةَ[٣]، وقيلَ: بفلسطينَ، وقد يقالُ له: طورُ سينين.

قولُهُ: (بكَسْرِ السِّيْنِ) الحِرْميَّانِ والبَصريُّ[٤].

---

(١) في النسخ: «أو غير»، والتصويب من «تفسير البيضاوي» و«حاشية الشهاب» (٦/ ٣٢٣).

(٢) في النسخ عدا (ص): «التبعيد»، والمثبت منها وهو الموافق لما في «أنوار التنزيل».

(٣) وهي مدينة على ساحل بحر القلزم (الأحمر) مما يلي الشام، قيل: هي آخر الحجاز وأول الشام. «مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع» (١/ ١٣٨).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٤).

من الرباعيّ والثلاثيّ ـ ﴿بِالدُّهْنِ﴾ الباء: زائدةٌ على الأوّل، ومُعدّيةٌ على الثاني، وهي شجرة الزيتون، ﴿وصِبغٍ لِلآكِلِينَ﴾: عطفٌ على «الدهن» أي: إدامٍ يَصبغ اللُّقمة بغمسها فيه، وهو الزّيت.

٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿وإنَّ لَكُم في الأنعامِ﴾: الإبلِ والبقرِ والغنمِ ﴿لَعِبْرَةً﴾: عِظةً بها، ﴿نَسقِيكُم﴾ ـ بفتح النون وضمّها ـ ﴿مِمّا في بُطُونها﴾ أي: اللبنَ، ﴿ولَكُم فِيها مَنافِعُ كَثِيرةٌ﴾ من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك، ﴿ومِنها تأكُلُونَ، وعلَيها﴾ أي: الإبلِ ﴿وعلَى الفُلْكِ﴾ أي: السُّفنِ ﴿تُحمَلُونَ﴾.

٢٣ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا إلَى قَومِهِ، فقالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ﴾: أطيعوه ووحّدوه. ﴿مالَكُم مِن إلـٰهٍ غَيرُهُ﴾، وهو اسم «ما» وما قبله: الخبر، ومِن: زائدةٌ.........................

قولُه: (مِنَ الرُّبَاعِيِّ) مكيٌّ وبَصريٌّ[1].

قولُه: (عَطْفٌ على الدُّهْنِ) جارٍ على إعرابِهِ، عطفَ أحدِ وصفَي الشَّيءِ على الآخَرِ؛ أي: تنبتُ بالشيءِ الجامعِ بين كونِهِ دهناً يُدَّهَنُ به ويُسرَجُ منه وكونِهِ إداماً يُصبغُ فيه الخبزُ.

قولُه: (تَعتَبِرُون) يعني: في خلْقِها وتسخيرِها ما تعبُرونَ عنها إلى خالِقِها، وتستدلُّونَ على صنعِهِ وقدرَتِه، فقولُه: (عِظَةً) فيه مسامَحةٌ.

قولُه: (بِفَتْحِ النُّونِ) نافعٌ وشاميٌّ وشعبةُ[2].

قولُه: (وغَيرِهَا) كالجُلودِ.

وقولُه تعالى: (﴿ومنها تأكلونَ﴾) أي: تنتفِعونَ بأعيانِها.

قولُه: (أي: الإِبِلِ) أي: وعلى الأنعامِ، فإنَّ منها ما يُحمَل عليه كالإبلِ والبقرِ، وقيل: المرادُ: الإبلُ؛ لأنّها هي المحمولُ عليها عندَهُم، وهي المناسِبةُ للفُلْكِ فإنَّها سفائنُ البرِّ، فيكونُ الضَّميرُ فيه كالضميرِ في: ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فإنَّ فيه أيضاً يرجعُ الضَّميرُ إلى شيءٍ مخصوصٍ من المذكورِ قبلُ، وهو المطلقاتُ الرجعيَّةُ.

قولُه: (وهُوَ) أي: ﴿إلهٍ﴾ خبرٌ[3]، وقرأَ الكِسائيُّ بجرِّ (غيرِ) صفةً لـ﴿إله﴾ لفظاً، والباقونَ بالرَّفعِ[4] صفةً له معنًى؛ لأنَّ ﴿مِنْ﴾ زائدةٌ.

---

(١) انظر المصدرين السابقين.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٥).

(٣) قوله: «خبر» كذا في النسخ، ولعل في الكلام سقطاً أو تحريفاً؛ لأن ﴿إلهٍ﴾ اسم ﴿ما﴾ كما أعربه الجلال، ولا يحتمل الخبرية.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٨٦).

﴿أفلا تَتَّقُونَ﴾: تخافون عُقوبته بعِبادتكم غيرَه؟ ٢٤ ـ ﴿فقالَ المَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَومِهِ﴾ لأتباعهم: ﴿ما هذا إلاّ بَشَرٌ مِثلُكُم، يُرِيدُ أن يَتَفَضَّلَ﴾: يتشرّف ﴿علَيكُم﴾ بأن يكون متبوعًا وأنتم أتباعه، ﴿ولَو شاءَ اللهُ﴾ ألاّ يُعبَدَ غيرُه ﴿لَأنزَلَ مَلائكةً﴾ بذلك لا بشرًا. ﴿ما سَمِعْنا بِهذا﴾ الذي دعانا إليه نوح من التوحيد ﴿في آبائنا الأوَّلِينَ﴾ أي: الأُممِ الماضية. ٢٥ ـ ﴿إن هُوَ﴾: ما نوحٌ ﴿إلاّ رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾: حالةُ جُنون. ﴿فتَرَبَّصُوا بِهِ﴾: انتظروه ﴿حَتَّى حِينٍ﴾: إلى زمن موته.

٢٦ ـ ﴿قالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ، انصُرْنِي﴾ عليهم ﴿بِما كَذَّبُونِ﴾ أي: بسبب تكذيبهم إيّاي بأن تُهلكَهم. قال تعالى مُجيبًا دُعاءه: ٢٧ ـ ﴿فأَوحَينا إلَيهِ: أنِ اصنَعِ الفُلْكَ﴾ السفينة ﴿بِأعيُنِنا﴾: بمرأى منّا وحِفظنا ﴿ووَحيِنا﴾: أمرِنا، ﴿فإذا جاءَ أمرُنا﴾ بإهلاكهم، ﴿وفارَ التَّنُّورُ﴾ للخبّازِ بالماء ـ وكان ذلك علامة لنوح ـ ﴿فاسلُكْ فِيها﴾ أي: أدخِلْ في السفينة ﴿مِن كُلٍّ زَوجَينِ﴾ أي: ذكرٍ وأُنثى أي: من كُلّ أنواعهما ﴿اثنَينِ﴾: ذَكرٌ وأنثى ـ وهو مفعول، ومِن: متعلّقة بـ «اسلُكْ». وفي القِصّة أن الله ـ تعالى ـ حشر لنوح السِّباعَ والطَّير وغيرهما، فجعل يضرب بيديه في كُلّ نوع، فتقع يده اليُمنى على الذَّكر، واليُسرى على الأُنثى، فيحملهما في السفينة...

قولُه: (يَتَشَرَّفُ) ويطلُبُ الفضلَ.

قولُه: (أَنْ لا يُعْبَدَ.. إلخ) أو: ولو شاءَ اللهُ أن يرسلَ رسولاً لأنزلَ ملائكةً رسلاً.

قولُه: (أي: الأُمَمِ) وذلك إمَّا من فرطِ عِنادِهم، أو لأنَّهم كانوا في فترَةٍ متَطاولَةٍ.

قولُه: (جُنُونٍ) ولأجلِهِ يقولُ ذلك.

قولُه: (انْتَظِرُوْهُ) أي: فاحتَمِلوه وانتَظِروا.

قولُه: (إلَى زَمَانِ مَوْتِهِ) أو لعلَّه يُفيقُ من جُنونِه.

قولُه: (نُوْحٌ) بعد ما أَيِسَ من إيمانِهِم.

قولُه: (بِسَبَبِ) أو بدَلَ[1].

قولُه: (وحِفْظِنَا) نحفظُه أن تخطئَ فيه، أو يُفسِدَ عليك مُفسِدٌ.

قولُه: (أَمْرِنَا) وتَعليمِنا كيفَ تُصنعُ.

قولُه: (بإهْلاكِهِم) أي: بنُزولِ العَذابِ، أو أَمْرِنا بالرُّكوبِ.

قولُه: (أي: أَدْخِلْ) يقالُ: سلكَ فيه، وسلكَ غيرَه، قال تعالى: ﴿ما سلككم في سقر﴾ [المدثر: ٤٢].

---

(١) أي: بدل تكذيبهم إياي، كما في «أنوار التنزيل».

وفي قراءةٍ: «كُلٍّ» بالتنوين، فزوجين: مفعول، واثنين: تأكيد له ـ ﴿وأهلَكَ﴾ أي: زوجتَه وأولاده، ﴿إلاّ مَن سَبَقَ عليه القولُ مِنهُم﴾ بالإهلاك ـ وهو زوجته وولده كنعان، بخلاف سامٍ وحامٍ ويافثَ فحملهم وزوجاتِهم ثلاثةً. وفي سورة هود: «ومَن آمَنَ. وما آمَنَ مَعَهُ إلاّ قَلِيلٌ». قيل: كانوا سِتَّةَ رِجال ونساءَهم. وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون، نِصفهم رِجال ونِصفهم نِساء ـ ﴿ولا تُخاطِبْني في الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا: بترك إهلاكهم. ﴿إنَّهُم مُغرَقُونَ﴾.

٢٨ ـ ﴿فإذا استَوَيتَ﴾: اعتدَلتَ ﴿أنتَ ومَن مَعَكَ على الفُلكِ فقُلِ: الحَمدُ لِلهِ الَّذِي نَجّانا مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين وإهلاكهم. ٢٩ ـ ﴿وقُلْ﴾ عِند نزولك من الفُلك: ﴿رَبِّ، أنزِلْنِي مُنزَلاً﴾، بضمّ الميم وفتح الزاي: مصدرٌ أو اسم مكان، وبفتح الميم وكسر الزاي: مكانُ النزول ﴿مُبارَكًا﴾ ذلك الإنزالُ أو المكانُ، ﴿وأنتَ خَيرُ المُنزِلِينَ﴾ ما ذُكر.

٣٠ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكُفّار ﴿لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرة الله ـ تعالى ـ ﴿وإنْ﴾: ....

قولُه: (وَفي قِرَاءَةٍ) لحفْصٍ[1].

قولُه: (بالإِهْلاكِ) أي: القولُ من اللهِ بإهلاكِه لكُفْره، وإنَّما جيءَ بـ﴿على﴾ لأنَّ السابقَ ضارٌّ كما جيءَ باللامِ حيثُ كانَ نافعاً في قولِه: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾ [الأنبياء: ١٠١].

قولُه: (﴿ومن آمن﴾) عطفٌ على ﴿أهلَكَ﴾ فحذفه هنا اكتفاءً، أو المرادُ بالأهلِ: مَن آمنَ، أعمُّ من أهلِ البيتِ، والاستثناءُ منفصلٌ.

قوله: (بتَرْكِ إِهْلَاكِهِم) أي: بالدُّعاءِ لهم بالإنجاءِ.

قوله: (وإهلَاكهم) عطفٌ عَلى ﴿نجانا﴾.

قوله: (أَو اسْمُ مَكَانٍ) أي: الإنزَالَ[2].

قوله: (وبِفَتْحِ المِيْمِ) شعبةُ[3].

قوله: (أَو المَكَانُ) يتسبَّبُ لمزيدِ الخيرِ في الدَّارينِ، في السفينةِ، وفي الأرضِ بعد النُّزولِ.

قولُه: (مَا ذُكِرَ) أي: ذلك الإنزالُ أو المكانُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٦).

(٢) الأولى: موضعَ إنزال، كما في «الكشاف» و«تفسير الرازي» و«أنوار التنزيل، و«البحر» و«روح المعاني».

(٣) انظر: «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» (ص: ٢١٨).

مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها ضمير الشأن ﴿كُنّا لَمُبتَلِينَ﴾: مُختبِرين قومَ نُوح بإرساله إليهم ووعظه.

٣١ ـ ﴿ثُمَّ أنشَأْنا مِن بَعدِهِم قَرنًا﴾: قومًا ﴿آخَرِينَ﴾ هم عادٌ، ٣٢ ـ ﴿فأرسَلْنا فِيهِم رَسُولاً مِنهُم﴾ هُودًا: ﴿أنِ﴾ أي: بأنِ ﴿اعبُدُوا اللهَ. مالَكُم مِن إلَـٰهٍ غَيرُهُ. أفلا تَتَّقُونَ﴾ عِقابه فتؤمنون؟

٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿وقالَ المَلأُ مِن قَومِهِ، الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِلِقاءِ الآخِرةِ﴾ أي: بالمصير إليها، ﴿وأتْرَفناهُم﴾: نعّمْناهم ﴿في الحَياةِ الدُّنيا: ما هذا إلاّ بَشَرٌ مِثلُكُم، يأكُلُ مِمّا تأكُلُونَ مِنهُ، ويَشرَبُ مِمّا تَشرَبُونَ، وَ﴾ اللهِ ﴿لَئِنْ أطَعتُم بَشَرًا مِثلَكُم﴾ ـ فيه قسَمٌ وشرط، والجواب لِأوّلهما وهو مُغنٍ عن جواب الثاني ـ ﴿إنَّكُم إذًا﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿لَخاسِرُونَ﴾ أي: مَغبونون. ٣٥ ـ ﴿أيَعِدُكُم أنَّكُم إذا مُتُّم، وكُنتُم تُرابًا وعِظامًا، أنَّكُم مُخرَجُونَ﴾؟ هو خبر «أنكم» الأُولى، و«أنكم» الثانية تأكيد لها لمّا طال الفصل.

٣٦ ـ ﴿هَيهاتَ هَيهاتَ﴾: اسمُ فعلٍ ماضٍ بمعنى مصدر، أي: بَعُدَ بَعُدَ ﴿لِما تُوعَدُونَ﴾ من الإخراج من القُبور! واللام: زائدة للبيان.

قولُه: (مُخَفَّفَةٌ) واللامُ فارِقَةٌ.

قولُه: (مُخْتَبِرِينَ) أو: لمصيبينَ[1] قومَ نوحٍ ببلاءٍ عظيمٍ، أو: ممتحِنينَ عِبادَنا بهذِهِ الآياتِ.

قولُه: (عَادٌ) أو ثمودُ.

قولُه: (هُوْداً) أو صالحاً.

قولُه: (أي: بِأَنْ) والأظهرُ: أنّها مُفسِّرةٌ لـ(أرْسَلْنا)؛ أي: قُلنا لهم على لسانِ الرَّسولِ.

قولُه: (نَعَّمْنَاهُم) بكثرَةِ الأموالِ والأولادِ.

وقوله: (﴿مثلَكم﴾) أي: في الصِّفةِ والحالِ، وما بعدَه تقريرٌ للمماثَلَةِ.

قولُه: (إنْ أَطَعْتُمُوهُ) فيما يأمرُكُم.

قولُه: (أي: مَغْبُونُونَ) حيثُ أذللتُم أنفسَكُم.

قوله: (مَاضٍ بِمَعْنَى مَصْدَرٍ) هذا تلفيقٌ، فإنَّ الجمهورَ على أنّه اسمُ فعلٍ بمَعنى الماضي؛ أي: بَعُدَ التَّصديقُ أو الصِّحَّةُ أو الوقوعُ، أو بعُدَ ما توعَدونَ، واللامُ زائدةٌ أو للبيان كما في ﴿هَيتَ لكَ﴾ [يوسف: ٢٣] كأنّهم لمَّا صَوَّتوا بكَلِمةِ الاستبعادِ قيل: فما هذا الاستبعادُ؟ قالوا: لِمَا توعدونَ.

وقيل: ﴿هيهاتَ﴾ بمعنى البُعدِ على أنّه مصدرٌ، وهو مبتدأٌ خبرُه: ﴿لما توعدون﴾، قال أبو البَقاءِ: وهو ضعيفٌ[2]. فقولُه: (واللامُ زَائِدَةٌ لِلبَيَانِ) تلفيقٌ آخرُ كما عرفتَ.

---

(١) في (م): «مصيبين».

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ٩٥٤).

٣٧ ـ ٣٨ ـ ﴿إن هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إلاّ حَياتُنا الدُّنيا، نَمُوتُ ونَحيا﴾ بحياة أبنائنا، ﴿وما نَحنُ بِمَبعُوثِينَ. إنْ هُوَ﴾ أي: ما الرسول ﴿إلاّ رَجُلٌ، افترَى علَى اللهِ كَذِبًا، وما نَحنُ لَهُ بِمُؤمِنِينَ﴾: مُصدّقين في البعث بعد الموت.

٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، انصُرْنِي بِما كَذَّبُونِ. قالَ: عَمّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان ـ وما: زائدة ـ ﴿لَيُصبِحُنَّ﴾: لَيَصِيرُنّ ﴿نادِمِينَ﴾ على كُفرهم وتكذيبهم. ٤١ ـ ﴿فأخَذَتْهُمُ الصَّيحةُ﴾: صيحةُ العذاب والإهلاك كائنةً ﴿بِالحَقِّ﴾ فماتوا، ﴿فجَعَلْناهُم غُثاءً﴾، وهو نبتٌ يَبِس، أي: صيّرناهم مِثله في اليُبس. ﴿فبُعدًا﴾ من الرحمة ﴿لِلقَومِ الظّالِمِينَ﴾: المُكذبين!

قولُه: (بِحَيَاةِ أَبْنَائِنَا) والأظهرُ: يموتُ بعضُنا، ويولدُ بعضٌ.

قولُه: (فِي البَعْثِ) أو: ادِّعاءِ النبوَّةِ، فالمرادُ: بكذبِ[1] ما يعدُهم منَ البعثِ، أو ما يدَّعيه منَ الرِّسالَةِ.

قولُه: (زَائِدَةٌ) لتَوكيدِ معنى القلَّةِ، أو نكِرةٌ موصوفةٌ؛ أي: عن زمانٍ قليلٍ.

قولُه: (يَصِيرُنَّ) جوابُ قسمٍ محذوفٍ، و﴿عن﴾ يتعلَّقُ بـ﴿يُصْبِحُنَّ﴾.

قولُه: (عَلَى كُفْرِهِم) إذا عايَنوا العَذابَ.

قوله: (صَيْحَةُ العَذَابِ) صاحَ عليهم جبريلُ صيحةً هائلةً تَصدَّعت منها قلوبُهُم فماتوا، واستُدلَّ به على أنَّ القرنَ قومُ صالحٍ لا هودٍ؛ فإنَّهم أُهلِكوا بريحٍ صرْصرٍ عاتيةٍ لا بالصَّيحةِ، ويُجابُ بما وقعَ من التَّفاسيرِ؛ أنَّهم أيضاً صاحَ بهم جبريلُ صيحةً واحدةً مع الرِّيحِ أهلَكَهم اللهُ بهما. ذكرَه القُرطُبيُّ[2].

قولُه: (كَائِنَةً) إشارَةٌ إلى الحاليَّةِ؛ أي: بالوَجهِ الثابتِ الذي لا دافِعَ له، أو بالعَدلِ من اللهِ كقولِك: فلانٌ يقضي بالحقِّ، أو بالوَعدِ الصِّدقِ.

قولُه: (وَهُو نَبْتٌ) أو شَبَّهَهُم في دمارِهم بغُثاءِ السَّيلِ؛ وهو مَحمولُهُ، فإنَّ حَميلَ السَّيلِ هالكٌ ذاهِبٌ لا يُظفَرُ به أبداً.

قولُه: (مِنَ الرَّحْمَةِ) أو: عن كُلِّ خيرٍ، يحتمِلُ الإخبارَ والدُّعاءَ، و﴿بُعداً﴾ مصدرُ بَعُدَ بالكسرِ أو الضَّمِّ: إذا هلَكَ، وهو مِن المصادرِ التي تُنصَبُ بأفعالٍ لا يُستعمَلُ إظهارُها، واللامُ لبيانِ من دُعيَ عليه بالبُعدِ، ووُضِعَ الظَّاهرُ موضعَ ضميرِ (هم) للتَّعليلِ؛ أي: بُعدًا لهم لظُلْمِهم.

---

(١) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «تكذيب».

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٢/ ١٢٤).

٤٢ ـ ٤٣ ـ ﴿ثُمَّ أنشأنا مِن بَعدِهِم قُرُونًا﴾ أي: أُممًا ﴿آخَرِينَ، ما تَسبِقُ مِن أُمَّةٍ أجَلَها﴾ بأن تموت قبله، ﴿وما يَستأخِرُونَ﴾ عنه ـ ذُكِّر الضمير بعد تأنيثه رِعاية للمعنى ـ ٤٤ ـ ﴿ثُمَّ أرسَلْنا رُسُلَنا تَتْرَى﴾، بالتنوين وعدمِه أي: مُتتابعين، بين كُلّ اثنين زمان طويل، ﴿كُلَّما جاءَ أُمَّةً﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية بينها وبين الواو ـ ﴿رَسُولُها كَذَّبُوهُ، فأتبَعْنا بَعضَهُم بَعضًا﴾ في الهلاك، ﴿وجَعَلْناهُم أحادِيثَ. فبُعدًا لِقَومٍ لا يُؤمِنُونَ﴾!

٤٥ ـ ﴿ثُمَّ أرسَلْنا مُوسَى وأخاهُ هارُونَ بِآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: حُجّةٍ بيِّنة ـ وهي اليد والعصا وغيرُهما من الآيات ـ ٤٦ ـ ﴿إلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ، فاستكبَرُوا﴾ عن الإيمان بها وبالله ـ ﴿وكانُوا قَومًا عالِينَ﴾: قاهِرين بني إسرائيل بالظلم ـ.........................

قولُه: (أَقوَاماً)[1] يعني: قومَ صالحٍ ولوطٍ وشعيبٍ وغيرِهم.

قولُه: (بِأَنْ تَمُوتَ قَبْلَهُ) والمرادُ بالأجَلِ: الوقتُ الذي عُيِّنَ لهَلاكِها.

قولُه: (ذَكَّرَ الضَّمِيرَ) وجمَعَهُ.

قولُه: (بَعْدَ تَأْنِيثِهِ) وإفرادِهِ رعايَةً للَّفظِ.

قولُه: (رِعَايَةً للمَعْنَى) وللفاصِلةِ.

قولُه: (بالتَّنوِينِ) مَكيٌّ وبَصريٌّ[2] على أنَّه مَصدرٌ بمعنى: المتَواتِرةِ، وقعَ حالاً.

قولُه: (أي: مُتَتَابِعِينَ) أي: متواترينَ واحداً بعدَ واحِدٍ، من الوِترِ وهو الفَردُ، والتاءُ بدلٌ من الواوِ، والألفُ للتَّأنيثِ لأنَّ الرُّسلَ جماعَةٌ.

قولُه: (بِتَحْقِيقِ الهَمْزَتَيْنِ) شاميٌّ وكوفيٌّ[3].

قولُه تعالى: (﴿أحاديث﴾) أي: أخباراً يُسمَرُ بها ويُتعجَّبُ منها، جمعُ: أُحدوثةٍ.

قولُه: (حُجَّةٍ بيِّنَةٍ) أي: واضِحَةٍ ملزِمةٍ للخَصمِ، أو مُوَضِّحةٌ لنُبوَّتِه.

فقولُه: (وهِيَ) أي: الآياتُ، ويجوزُ أن يُرادَ بالسُّلطانِ العَصا، وإفرادُها لأنَّها أوَّلُ المعجزاتِ وأُمُّها تعلَّقَت بها معجِزاتٌ شَتَّى؛ كانقِلابِها حيَّةً، وتلقُّفِها ما أَفكَتْهُ السَّحرةُ، وانقلابِ البحرِ، وانفجارِ العيونِ من الحجرِ بضربِهما بها، وحِراستها وصَيرورتِها شَمعةً، وشجرةً خضراءَ مثمرةً، ورشاءً ودلوًا.

قولُه: (مِنَ الآيَاتِ) أي: المعجِزاتِ.

---

(١) في المتن: «أمماً».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٩١).

٤٧ ـ ﴿فقالُوا: أنُؤمِنُ لِبَشَرَينِ مِثلِنا، وقَومُهُما لَنا عابِدُونَ﴾: مُطيعونَ خاضعون؟ ٤٨ ـ ٤٩ ـ ﴿فكَذَّبُوهُما فكانُوا مِنَ المُهلَكِينَ. ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة، ﴿لَعَلَّهُم﴾ أي: قومَه بني إسرائيل ﴿يَهتَدُونَ﴾ به من الضلالة. وأُوتيها بعد هلاك فِرعونَ وقومِه جُملةً واحدة.

٥٠ ـ ﴿وجَعَلْنا ابنَ مَريَمَ﴾ عِيسى ﴿وأُمَّهُ آيَةً﴾ ـ لم يقل «آيتين» لأنّ الآية فيهما واحدة: وِلادتُه من غير فحل ـ ﴿وآوَيناهُما إلَى رُبْوةٍ﴾: مكان مرتفع وهو [في] بيت المَقدس أو دِمشق أو فِلسطين، أقوال، ﴿ذاتِ قَرارٍ﴾ أي: مُستويةٍ يستقرّ عليها ساكنوها، ﴿ومَعِينٍ﴾ أي: ماء جار ظاهر تراه العُيون.

قولُه: (خَاضِعُونَ): خادِمونَ مُنقادونَ كالعِبادِ، وثُنّي البشرُ لأنَّه يُطلَقُ للواحدِ كقوله: ﴿بشرًا سويًا﴾ [مريم: ١٧] كما يُطلَقُ للجمعِ كقولِه: ﴿فإما تَرَينَّ من البشر أحداً﴾ [مريم: ٢٦] ولم يُثَنَّ المثلُ؛ لأنَّه في حكمِ المصدَرِ في تَناولِه الاثنينِ والجَمعِ.

قولُه: (أي: قَوْمَهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ) قالَ القَاضي: ولا يجوزُ عَودُ الضَّميرِ إلى فرعَونَ وقومِهِ؛ لأنَّ التَّوراةَ نزلت بعدَ إغراقِهم[1]. وغَفَلَ عن هذا المعنى في سورةِ هودٍ ففسَّر قولَه تعالى: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعون﴾ [هود: ٩٦] بالتَّوراة[2]، ونبَّهْنا هناكَ أيضاً.

قولُه: (جُمْلَةً واحِدَةً) لا كالقُرآنِ منجَّماً.

قولُه: (واحِدَةٌ) مُضافةٌ إليهما.

قولُه: (وِلادَتُهُ) أي: وِلادتُها إيَّاه، أو: جَعَلْنا ابنَ مريمَ آيةً بأن تكلَّمَ في المهْدِ وظهرَت منه معجِزاتٌ، وأمَّه آيةً بأن ولدَت مِن غيرِ مَسيسٍ، فحُذِفَت الأُولى لدِلالةِ الثَّانيةِ عليهما.

قولُه: (مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ) وشاميٌّ وعاصِمٌ بفتحِ الرَّاءِ[3].

قولُه: (بَيْتُ المَقْدِسِ) فإنَّه مُرتفعٌ.

قولُه: (أَقْوَالٌ) وقيلَ: مصرُ، أو الرَّملةُ من فلسطينَ.

قولُه: (مُسْتَوِيَةٍ) أي: منبَسِطةٍ، وقيلَ: ذاتِ ثِمارٍ وزُروعٍ، فإنَّ ساكِنيها يستقرُّونَ فيها لأَجلِها.

قولُه: (جَارٍ ظَاهِرٍ) فعيلٌ من مَعَنَ الماءُ: إذا جرى، أو مفعولٌ من عانه: إذا أدرَكهُ بعينِه.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٨٩).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ١٤٧).

(٣) من ﴿ربوة﴾ والبقية بضمها. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٨).

٥١ ـ ﴿يا أَيُّها الرُّسُلُ، كُلُوا مِنَ الطَّيِّباتِ﴾: الحلالات، ﴿واعمَلُوا صالِحًا﴾ مِن فرض ونفل ـ ﴿إنِّي بِما تَعمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فأُجازيكم عليه ـ ٥٢ ـ ﴿و﴾ اعلموا ﴿أنَّ هذِهِ﴾ أي: مِلَّةَ الإسلام ﴿أُمَّتُكُم﴾: دِينُكم، أيها المُخاطبون، أي: يجب أن تكونوا عليها ﴿أُمَّةً واحِدَةً﴾: حالٌ لازمة ـ وفي قراءة بتخفيف النون، وفي أُخرى بكسر همزة «إنَّ» مُشدّدة استئنافًا ـ ﴿وأنا رَبُّكُم. فاتَّقُونِ﴾: فاحذرونِ.

٥٣ ـ ﴿فتَقَطَّعُوا﴾، أي: الأتباعُ ﴿أمرَهُم﴾:..............................

قولُه: (الحَلَالاتِ) أو: ما يُستلَذُّ من المباحاتِ، وقيلَ: الحلالُ الصَّافي القِوامُ، فالحلالُ: ما لا يُعصى اللهُ فيه، والصَّافي: ما لا يُنسى اللهُ فيه، والقِوامُ: ما يُمسكُ النفسَ ويحفظُ العقلَ.

والنِّداءُ والخطابُ لجميعِ الأنبياءِ لا على أنَّهم خوطِبوا بذلك دفعةً واحدةً؛ لأنَّهم أرسِلوا في أزمنةٍ مختلفةٍ، بل على معنى أنَّ كُلًّا منهم خوطِبَ به في زمانِهِ.

وقيل: النِّداءُ لعيسى ولفظُ الجمعِ للتعظيمِ.

وفي «المداركِ»: الخطابُ لمحمَّدٍ ﷺ لفضلِهِ وقيامِهِ مقامَ الكلِّ[١].

قولُه: (مِن فَرْضٍ ونَفْلٍ) فإنَّ العملَ الصالحَ هو المقصودُ منكُم، والنَّافعُ عندَ ربِّكم.

قولُه: (اعْلَمُوا) إشارَةٌ إلى أنَّ ﴿أنَّ﴾ ومدخولَها مفعولٌ لفعلٍ مقدَّرٍ.

قولُه: (أَيُّهَا المُخَاطَبُوْنَ) إيماءٌ إلى الالتِفاتِ من الرُّسلِ إلى المكلَّفينَ زمنَ النُّزولِ وما بعدَه، والأظهرُ: أنَّ المرادَ بالمخاطَبينَ: المكلَّفينَ أعمُّ من الرُّسُلِ وأممِهِم؛ للسِّباقِ واللِّحاقِ.

ومعنى الآيةِ كما قال القَاضي: مِلَّتُكم ملةً واحدةً؛ أي: مُتَّحِدةً في العَقائدِ وأصولِ الشَّرائعِ، أو: جماعتُكُم جماعَةً واحدةً متَّفقةً على الإيمانِ والتوحيدِ في العبادةِ[٢].

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للشاميِّ[٣].

قولُه: (وَفِي أُخرَى) للكوفيِّ[٤].

وقولُه: (﴿فاتَّقون﴾) في شقِّ العصا، ومخالفَةِ الكلِمَةِ.

قولُه: (أي: الأَتْبَاعُ) أي: أتباعُ الرُّسلِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٤٧١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٨٩).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٨).

(٤) انظر المصادر السابقة.

دِينَهم ﴿بَيْنَهُم زُبُرًا﴾: حالٌ من فاعل «تقطّعوا»، أي: أحزابًا مُتخالفين كاليهود والنصارى وغيرهما، ﴿كُلُّ حِزبٍ بِما لَدَيهِم﴾ أي: عِندَهم من الدِّين، ﴿فَرِحُونَ﴾: مسرورون.

٥٤ ـ ﴿فَذَرْهُم﴾: اتركْ كُفّار مكّة ﴿في غَمْرتِهِم﴾: ضلالتهم ﴿حَتَّى حِينٍ﴾، أي: حينِ موتهم.
٥٥ ـ ﴿أَيَحسِبُونَ أَنَّ ما نُمِدُّهُم بِهِ﴾: نُعطيهم ﴿مِن مالٍ وبَنِينَ﴾ في الدنيا ٥٦ ـ ﴿نُسارِعُ﴾: نُعجّل ﴿لَهُم في الخَيراتِ﴾؟ لا، ﴿بَل لا يَشعُرُونَ﴾ أنّ ذلك استدراجٌ لهم.

٥٧ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِن خَشْيةِ رَبِّهِم﴾: خوفهم منه ﴿مُشفِقُونَ﴾: خائفون من عذابه، ٥٨ ـ ﴿والَّذِينَ هُم بِآياتِ رَبِّهِم﴾: القُرآنِ ﴿يُؤمِنُونَ﴾: يُصدّقون، ٥٩ ـ ﴿والَّذِينَ هُم بِرَبِّهِم لا يُشرِكُونَ﴾ معه غيرَه، .....

قولُه: (دِيْنَهُم) أي: أمرَ دينِهم، وجعلوهُ أدياناً مختلفةً، أو: فتفرَّقوا وتحزَّبوا أمرَهُم، منصوبٌ بنَزعِ الخافِضِ.

قولُه: (أي: أَحزَابًا) فـ﴿زبرًا﴾ بمعنى: قِطَعاً، جمعُ: زبورٍ، الذي بمَعنى الفِرقةِ لا الكِتابِ[1].

قولُه: (مَسْرُورُونَ) معجَبونَ معتقِدونَ أنّهم على الحقِّ.

قولُه: (ضَلالَتِهِم) وجَهالتِهم.

قولُه: (مَوتِهِم) أو قتلِهِم.

قولُه: (نُعطِيْهِم) ونجعلُهُ مَدداً لهم.

قولُه: (في الدُّنيَا) بيانٌ لـ﴿مَا﴾، وليسَ خبراً، فإنَّ الحُسبانَ المتعلِّقَ به غيرُ مُعابٍ عليه، وإنَّما المعابُ عليه اعتقادُهم أنَّ ذلك خيرٌ لهم، فخبرُهُ ما بعدَه، والرَّاجِعُ محذوفٌ، والمعنى: أيحسَبونَ أنَّ الذي نُمِدُّهُم به نُسارِعُ به لهم فيما فيه خَيرُهُم وإكرامُهُم؟

قولُه: (استِدْرَاجٌ) لا مسارَعةٌ في الخيرِ؛ لأنَّهم كالبَهائمِ لا شعُورَ لهم.

قولُه: (خَوْفِهِم مِنْهُ) إشارَةٌ إلى أنَّ الإضافَةَ إلى المفعولِ، أو: خوفِهِم الحاصلِ مِن عِندِه.

قولُه: (خَائِفُونَ) أو: من خوفِ عذابِهِ حَذِرونَ، أو: حذِرونَ من معاصِيهِ من أجلِ خشيَةِ ربِّهم.

قولُه: (بالقُرْآنِ) أو بالآياتِ المنصوبَةِ والمنزَّلَة.

قولُه: (يُصَدِّقُونَ) بمدلولِها.

قولُه: (مَعَهُ غَيرَهُ) شِركاً جَليًّا، ولا خَفيًّا.

---

(١) انظر: «تاج العروس» (١١/ ٤٠٠).

٦٠ ـ ٦١ ـ ﴿والَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾: يُعطُون ﴿ما آتوا﴾: أعطَوا من الصدقة والأعمال الصالحة ﴿وقُلُوبُهُم وَجِلةٌ﴾: خائفةٌ ألاّ تُقبل منهم، ﴿أَنَّهُم﴾ ـ يُقدّر قبله لام الجرّ ـ ﴿إِلَى رَبِّهِم راجِعُونَ، أُولئِكَ يُسارِعُونَ في الخَيراتِ، وهُم لَها سابِقُونَ﴾ في عِلم الله.

٦٢ ـ ﴿ولا نُكَلِّفُ نَفْسًا إلاّ وُسعَها﴾ أي: طاقتَها ـ فمَن لم يستطع أن يُصلّي قائمًا فليصلّ جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل ـ ﴿ولَدَينا﴾: عِندنا ﴿كِتابٌ، يَنطِقُ بِالحَقِّ﴾: بما عملتْه ـ وهو اللوح المحفوظ تُسطّر فيه الأعمال ـ ﴿وهُم﴾ أي: النُّفوس العاملة ﴿لا يُظلَمُونَ﴾ شيئًا منها، فلا يُنقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يُزاد في السيّئات.

٦٣ ـ ﴿بَل قُلُوبُهُم﴾ أي: الكُفّارِ ﴿في غَمْرةٍ﴾: جهالةٍ ﴿مِن هذا﴾ القُرآن، ﴿ولَهُم أعمالٌ مِن دُونِ ذلِكَ﴾ المذكور للمُؤمنين، ﴿هُم لَها عامِلُونَ﴾، فيُعذَّبون عليها. ٦٤ ـ ﴿حَتَّى﴾: ابتدائيّةٌ ﴿إذا أخَذْنا مُتَرَفِيهِم﴾: أغنياءهم ورُؤساءهم ﴿بِالعَذابِ﴾..

قولُه: (والأعمَالِ الصَّالِحَةِ) فيه: أنَّ العملَ الصَّالحَ لا يُعطى، نَعم قُرِئَ: (يأتون ما أتوا[1]) أي: يَفعلونَ ما فعلوه من الأعمالِ الصَّالحةِ.

هذا والمرادُ: الَّذينَ يُعطُونَ في مُستقبَلِ الزَّمانِ نوعَ ما أَعطَوهُ في الماضي، فإنَّه لا يمكنُ أن يُعطَى ما أُعطيَ مرةً ثانيةً، ففيه إشارَةٌ إلى دوامِ خوفِهِم، أو المقصودُ: الَّذينَ أَعطَوا ما أَعْطَوا، لكن ذُكِر بصيغةِ المضارِعِ استِحضاراً لتلك الصِّفةِ الجميلةِ.

قولُه: (يُقَدَّرُ) عليهِ الجمهورُ، وخبرُ ﴿إِنَّ﴾ ﴿أُولئِك﴾.

قولُه: (فِي عِلْمِ اللهِ) أو: لأَجلِ الخيراتِ سابِقونَ إلى الجنَّةِ، أو لأجلِها سَبَقوا النَّاسَ.

قولُه: (بِمَا عَمِلَتْهُ) أي: لا يوجَدُ فيه ما يُخالِفُ الواقِعَ، فـ(الحقُّ) بمعنى: الصِّدقِ.

قولُه: (اللَّوْحُ) أو صَحيفةُ الأعمالِ.

قولُه: (جَهَالَةٍ) أو: غفلَةٍ غامِرةٍ لها.

قولُه: (القُرآنِ) أو: ممَّا وُصِفَ به المؤمنونَ، أو: من كتابِ الحفَظَةِ.

قولُه: (المَذْكُورِ) أي: أعمالٌ خبيثَةٌ، و﴿دونَ﴾ بمعنى: غَير، و﴿هُم لَها عامِلونَ﴾ لا بُدَّ مُعتادونَ فِعلَها.

قولُه: (أَغْنِياءَهُم) أي: مُتنعِّمِيهِم.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٠٠)، ونسبت لعائشة رضي الله عنها وغيرها.

أي: السيف يوم بدر ﴿إذا هُم يَجْأَرُونَ﴾: يضِجّون، ٦٥ ـ ويقال لهم: ﴿لا تَجْأَرُوا اليَومَ. إنَّكُم مِنّا لا تُنصَرُونَ﴾: لا تُمنَعون. ٦٦ ـ ﴿قَد كانَت آياتِي﴾ من القُرآن ﴿تُتلَى علَيكُم، فكُنتُم علَى أعقابِكُم تَنكِصُونَ﴾: ترجِعون القَهقَرى، ٦٧ ـ ﴿مُستكبِرِينَ﴾ عن الإيمان، ﴿بِهِ﴾ أي: بالبيت أو الحَرَم، بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم، ﴿سامِرًا﴾: حالٌ أي: جماعةً، تتحدثون في الليل حول البيت ﴿تَهجُرُونَ﴾، من الثلاثيّ: تتركون القرآن، ومن الرباعيّ أي: تقولون غيرَ الحقّ في النبيّ والقُرآن.

٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ قال تعالى: ﴿أفلَم يَدَّبَّرُوا﴾ ـ أصله «يَتَدَبّروا» فأُدغمت التاء في الدال ـ ﴿القَولَ﴾ أي: القُرآنَ الدالّ على صِدق النبيّ؟ ﴿أم جاءَهُم ما لَم يأتِ آباءَهُمُ الأوَّلِينَ؟ أم لَم يَعرِفُوا رَسُولَهُم، فهُم لَهُ مُنكِرُونَ؟ أم يَقُولُونَ: بِهِ جِنَّةٌ﴾؟ الاستفهام فيه للتقرير بالحقّ من صِدق النبيّ ومجيء الرسل للأُمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصِّدق والأمانة، وأنْ لا جنون به..................

قولُه: (يَضِجُّونَ) أي: يصيحونَ، كما في نُسخةٍ، والجُؤارُ: الصُّراخُ باستغاثةٍ[١]، وهو جوابُ الشَّرطِ، والجملَةُ مُبتدأةٌ بعدَ ﴿حتَّى﴾.

قولُه: (تَرْجِعُونَ) الصَّوابُ: تُعرِضونَ مُدبرينَ عن سماعِها وتصديقِها والعَملِ بها، إذ النُّكوصُ: الرجوعُ قَهقرى، لكن ليسَ المرادُ من الآيةِ المعنى اللُّغويَّ.

قوله: (عَنِ الإِيمَانِ) أو: مُتكبِّرينَ على المسلِمينَ، حالٌ من فاعلِ ﴿تَنْكِصُون﴾.

قولُه: (أي: بالبَيْتِ) وشهرَةُ استكبارِهم وافتخارِهم بأنَّهم قوَّامُه أغنَتْ عن سَبقِ ذكرِهم، وقال شَيخُنا العلَّامةُ الشَّيخُ عَطيَّةُ: الضميرُ لـ﴿ما نُمِدُّهم به مِن مالٍ وبنينَ﴾.

قولُه: (أي: جَمَاعَةً) هو في الأصلِ مصدرٌ بمعنى المُسامَرةِ: الحكايَةِ بالليلِ، وجاءَ على الفاعلِ كعائِد، فيجوزُ إطلاقُهُ على الجَمْع.

قولُه: (مِنَ الثُّلاثِيِّ) غيرُ نافِعٍ[٢].

قولُه: (تَتْرُكُونَ القُرآنَ) أو تهزؤون في شَأنِه.

قولُه: (فأُدْغِمَتِ التَّاءُ) بعدَ إبدالِها دالاً.

قولُه: (الدَّالَّ) بإعجازِ لفظِهِ، ووضُوحِ مدلولِهِ.

قولُه: (وَمَجِيْءِ الإسلامِ) وفي نسخةٍ: «ومَجيءِ الرُّسلِ»[٣].

---

(١) انظر: «الجراثيم» لابن قتيبة (١/ ٢٣٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٩).

(٣) وهكذا جاءت في نسخ المتن المعتمدة.

﴿بَل﴾: للانتقال ﴿جاءَهُم بِالحَقِّ﴾ أي: القُرآنِ المُشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام، ﴿وأكثَرُهُم لِلحَقِّ كارِهُونَ ـ ولَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ﴾ أي: القُرآنُ ﴿أهْواءَهُم﴾، بأن جاء بما يهوَونه من الشريك والولد لله ـ تعالى الله عن ذلك ـ ﴿لَفَسَدَتِ السَّماواتُ والأرضُ ومَن فِيهِنَّ﴾ أي: خرجتْ عن نِظامها المُشاهَد لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدّد الحاكم ـ ﴿بَل أتَيناهُم بِذِكرِهِم﴾ أي: بالقُرآن الذي فيه ذِكرُهم وشرفهم، ﴿فهُم عَن ذِكرِهِم مُعرِضُونَ﴾.

٧٢ ـ ﴿أم تَسألُهُم خَرْجًا﴾: أجرًا على ما جئتَهم به من الإيمان؟ ﴿فخَراجُ رَبِّكَ﴾: أجرُه وثوابه ورزقه ﴿خَيرٌ﴾ ـ وفي قراءة: «خَرْجًا» في الموضعين، وفي قراءة أُخرى «خَراجًا» فيهما ـ ﴿وهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ﴾: أفضل مَن أعطى وآجَرَ، ٧٣ ـ ﴿وإنَّكَ لَتَدعُوهُم إلَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ﴾ أي: دِين الإسلام، ٧٤ ـ ﴿وإنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾: بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّراطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَناكِبُونَ﴾: عادلون.

٧٥ ـ ﴿ولَو رَحِمْناهُم، وكَشَفْنا ما بِهِم مِن ضُرٍّ﴾ أي: جُوع أصابهم بمكّة سبعَ سنين،...........

قولُه: (للانْتِقَالِ) لا للإبطالِ.

قولُه: (بِمَا يَهْوَوْنَهُ) بفتحِ الواوِ الأولى؛ أي: يُحبُّونه ويَرضونَه.

قولُه: (مِن الشَّرِيْكِ والوَلَدِ) الصَّحيحُ ما قال البَيضاويُّ: بأن كان في الواقعِ آلهةٌ شَتَّى[1].

قولُه: (لِوُجُوْدِ التَّمَانُعِ) سبقَ تقريرُهُ في قولِهِ تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

قولُه: (ذِكْرُهُم) أي: وَعْظُهُم، أو: صيتُهُم فقوله: (وشَرفُهُم) عطفُ[2] تفسيرٍ.

قولُه: (مِنَ الإِيْمَانِ) الظَّاهرُ: من القُرآنِ، أو الرِّسالةِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ[3].

قولُه: (أُخرَى) حَمزةُ والكِسائيُّ[4].

قولُه: (أي: الطَّرِيْقِ) السَّويِّ.

قولُه: (جُوْعٍ) قَحطٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٩٢).

(٢) «عطف»: ليست في (م) و(د).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٨٩).

(٤) انظر المصدرين السابقين.

﴿لَلَجُّوا﴾: تمادَوا ﴿في طُغيانِهِم﴾: ضلالتهم ﴿يَعمَهُونَ﴾: يتردّدون. ٧٦ ـ ﴿ولَقَد أخَذْناهُم بِالعَذابِ﴾: الجُوع، ﴿فَما استَكانُوا﴾: تواضعوا ﴿لِرَبِّهِم، وما يَتَضَرَّعُونَ﴾: يرغبون إلى الله بالدعاء. ٧٧ ـ ﴿حَتَّى﴾: ابتدائيّةٌ ﴿إذا فَتَحْنا علَيهِم بابًا ذا﴾: صاحبَ ﴿عَذابٍ شَدِيدٍ﴾، هو يوم بدر بالقتل، ﴿إذا هُم فِيهِ مُبلِسُونَ﴾: آيِسون من كُلّ خير.

٧٨ ـ ٧٩ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي أنشَأَ﴾: خلَق ﴿لَكُمُ السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع، ﴿والأبصارَ والأفئِدَةَ﴾: القُلوب ـ ﴿قَلِيلاً ما﴾: تأكيد للقِلّة ﴿تَشكُرُونَ ـ وهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُم﴾: خلقَكم ﴿في الأرضِ، وإلَيهِ تُحشَرُونَ﴾: تُبعثون، ٨٠ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي يُحيِي﴾ بنفخ الروح في المُضغة ﴿ويُمِيتُ، ولَهُ اختِلافُ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بالسوادِ والبياض والزيادةِ والنُّقصان. ﴿أفلا تَعقِلُونَ﴾ صُنعه ـ تعالى ـ فتعتبرون؟

٨١ ـ ٨٢ ـ ﴿بَل قالُوا مِثلَما قالَ الأوَّلُونَ، قالُوا﴾ أي: الأوّلون: ﴿أإذا مُتْنا، وكُنّا تُرابًا وعِظامًا، أإنّا لَمَبعُوثُونَ﴾؟ لا. وفي الهمزتين التحقيقُ في الموضعين،.........

قولُه: (تَمَادَوا) بتخفيفِ الدَّالِ؛ أي: ثَبتوا.

قولُه: (يَتَرَدَّدُونَ) تَحيُّراً.

قولُه: (الجُوْعِ) هذا المنقولُ عن السَّلفِ[1]، وقال البَيضاويُّ: يعني: القَتلَ يومَ بدرٍ[2].

قولُه: (يَرْغَبُونَ) أو: ليس من عادتِهم التَّضرُّع.

قولُه: (هُوَ يَوْمُ بَدرٍ) عليهِ السَّلفُ، وقال القاضِي: يعني: الجوعَ، فإنَّه أشدُّ من الأَسرِ والقَتْل[3].

قولُه: (تَأكِيدٌ لِلقِلَّةِ) لا نافيةٌ؛ لأنَّ لها صدرَ الكلامِ؛ أي: تشكُرونَها شُكراً قليلاً.

قولُه: (تُبْعَثُوْنَ) الأولى: تُجمَعونَ.

قولُه: (بالسَّوَادِ والبَيَاضِ) الأظهَرُ: بالظُّلمةِ والنُّورِ.

قولُه: (أي: الأَوَّلُونَ) الظَّاهرُ: الآخِرونَ.

قولُه: (التَّحقِيْقُ) تقدَّمَ مِراراً[4]، وما كانَ الاحتياجُ إلى ذِكرِهِ ولا مَرَّةً؛ لعدَمِ توَقُّفِ التَّفسِيرِ عليهِ، ومع هذا ما استوفى وُجوهَ القِراءَةِ.

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٦٠)، و«الدر المنثور» (٦/ ١١١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٩٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٩٣).

(٤) انظر: (الرعد: ٥) عند قوله: وفي الهمزتين... إلخ.

وتسهيلُ الثانية، وإدخالُ ألف بينهما على الوجهين. ٨٣ ـ ﴿لَقَد وُعِدْنا نَحنُ وآباؤُنا هذا﴾ أي: البعثَ بعد الموت ﴿مِن قَبلُ. إن﴾: ما ﴿هذا إلاّ أساطِيرُ﴾: أكاذيبُ ﴿الأوَّلِينَ﴾ كالأضاحيك والأعاجيب، جمع أُسطورة بالضمّ.

٨٤ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لِمَنِ الأرضُ ومَن فِيها﴾ من الخلق، ﴿إن كُنتُم تعلَمُونَ﴾ خالقها ومالكها؟ ٨٥ ـ ﴿سَيَقُولُونَ: للهِ. قُلْ﴾ لهم: ﴿أفلا تَذَّكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء في الذال: تتّعظون، فتعلمون أنّ القادر على الخلق ابتداءً قادرٌ على الإحياء بعد الموت؟ ٨٦ ـ ﴿قُلْ: مَن رَبُّ السَّماواتِ السَّبعِ، ورَبُّ العَرشِ العَظِيمِ﴾: الكرسيّ؟ ٨٧ ـ ﴿سَيَقُولُونَ: اللهُ. قُلْ: أفلا تَتَّقُونَ﴾: تحذرون عِبادةَ غيره؟

٨٨ ـ ٨٩ ـ ﴿قُلْ: مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: مُلكُ ﴿كُلِّ شَيءٍ﴾ ـ والتاء للمُبالغة ـ ﴿وهُوَ يُجِيرُ ولا يُجارُ علَيهِ﴾: يَحمي ولا يُحمَى عليه، ﴿إن كُنتُم تعلَمُونَ؟ سَيَقُولُونَ: اللهُ﴾. وفي قراءة: «لِلهِ» بلام الجرّ في الموضعين، نظرًا إلى أنّ المعنى: مَن له ما ذُكر؟ ﴿قُلْ: فأنَّى تُسحَرُونَ﴾:........................

قولُه: (بِإِدْغَامِ التَّاءِ) بعدَ قلبِ الذال، وحفصٌ وحمزةُ والكِسائيُّ بالتَّخفيفِ[1].

قولُه: (الكُرْسِيِّ) الصَّحيحُ: أنَّ العرشَ أعظمُ من الكُرسيِّ، كما وَرد في «الصَّحيحِ»: أنَّه بجنبِهِ كحَلْقةٍ في فَلاةٍ[2].

قولُه: (عِبَادَةَ غَيرِهِ) أو: عَذابَهُ تَعالى.

قولُه: (لِلمُبَالَغَةِ) أي: مُلكُهُ غايةُ ما يُمكنُ، وقيلَ: خَزائِنُه.

قولُه: (يَحْمِي) ويُغيثُ ويَحرسُ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ البَصريِّ[3].

قولُه: (فِي المَوضِعَينِ) الآخرينِ.

قولُه: (مَنْ لَهُ مَا ذُكِرَ) لأنَّ قولَك: من رَبُّ هذا؟ في معنى: لمن هذا؟ وأمَّا قِراءةُ البَصريِّ فعلى ما يَقتَضيهِ لَفظُ السُّؤالِ، فلذا جَعلهُ أصلاً، وعدَلَ عن قِراءةِ الجمهورِ التي كانت أولى بالأصالَةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٧٩).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٣٥) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، واللفظ لأبي الشيخ.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٠).

تُخدَعون وتُصرَفُون عن الحقّ عِبادةِ الله وحده؟ أي: كيف يُخيّل لكم أنه باطل؟

٩٠ ـ ﴿بَل أتيناهُم بِالحَقِّ﴾: بالصِّدق، ﴿وإنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾ في نفيه، وهو: ٩١ ـ ﴿ما اتَّخَذَ اللهُ مِن وَلَدٍ، وما كانَ مَعَهُ مِن إلـٰـهٍ. إذًا﴾ أي: لو كان معه إلـٰـهٌ ﴿لَذَهَبَ كُلُّ إلـٰـهٍ بِما خَلَقَ﴾: انفرد به، ومنعَ الآخَرَ من الاستيلاء عليه، ﴿ولَعَلا بَعضُهُم علَى بَعضٍ﴾ مُغالبةً كفعل مُلوك الدنيا. ﴿سُبحانَ اللهِ﴾: تنزيهًا له ﴿عَمّا يَصِفُونَـ﴾ ـهُ به ممّا ذُكر! ٩٢ ـ ﴿عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾: ما غاب وما شُوهد ـ بالجرِّ: صفةٌ، والرفعِ: خبرُ «هو» مُقدّرًا ـ ﴿فتَعالَى﴾: تعظَّم ﴿عَمّا يُشرِكُونَـ﴾ ـهُ معه.

٩٣ ـ ﴿قُل: رَبِّ، إمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» الزائدة ـ ﴿تُرِيَنِّي ما يُوعَدُونَـ﴾ ـهُ من العذاب ـ هو صادقٌ بالقتل ببدر ـ...

قولُه: (عِبَادَةِ اللهِ) بدَلٌ عن (الحقِّ).

قولُه: (بَاطِلٌ) مع ظُهورِ الحقِّ.

قولُه: (بالصِّدْقِ) أي: لا بأَساطيرِ الأوَّلينَ، والقَاضي راعى السِّباقَ واللِّحاقَ، وقال: من التَّوحيدِ والوَعدِ بالنُّشورِ[١].

قولُهُ تعالى: (﴿من ولد﴾) لتقدُّسِهِ عن مُماثَلةِ أحدٍ.

قوله: (مَعَهُ إِلَهٌ) يُساهِمُه في الأُلوهِيةِ.

قولُه: (انْفَرَدَ به) أي: بما خَلقَه.

قولُه: (مُغَالَبَةً) بالتَّحارُبِ، واللازِمُ باطلٌ بالإجماعِ والاستِقراءِ وقيامِ البُرهانِ على استنادِ جميعِ المُمكِناتِ إلى واجبٍ واحدٍ.

قولُه: (مِمَّا ذُكِرَ) من الولدِ، أو الشَّريكِ.

قولُه: (مَا غَابَ) وما نُسِب إلى القُطبِ الرَّبانيِّ الشَّيخِ عَبدِ الكَبيرِ اليَمانيِّ أنّه قالَ: هو تعالى ليسَ عالمَ الغيبِ؛ ويعني: أنَّ الغيبَ إنّما هو بالنِّسبةِ إلى غيرِه تعالى غيرُ مُناسبِ ذِكرُه؛ لأنّه مُوهمٌ.

قولُه: (بِالجَرِّ) مَكيٌّ وبَصريٌّ وشاميٌّ وحَفصٌ[٢].

قولُه: (صِفَةٌ) للهِ.

قولُه: (مِنَ العَذَابِ) في الدُّنيا والآخِرةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٩٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩١).

٩٤ ـ ﴿رَبِّ، فلا تَجعَلْني في القَومِ الظّالِمِينَ﴾ فأهلِكَ بهلاكهم. ٩٥ ـ ﴿وإنّا علَى أن نُرِيَكَ ما نَعِدُهُم لَقادِرُونَ﴾.

٩٦ ـ ﴿ادفَعْ بِالَّتِي هِيَ أحسَنُ﴾ أي: الخَلّةِ من الصفح والإعراض عنهم ﴿السَّيِّئَةَ﴾ أذاهم إيّاك. وهذا قبل الأمر بالقتال ـ ﴿نَحنُ أعلَمُ بِما يَصِفُونَ﴾ أي: يكذبون ويقولون، فنُجازيهم عليه ـ ٩٧ ـ ﴿وقُلْ: رَبِّ، أعُوذُ﴾: أعتصم ﴿بِكَ مِن هَمَزاتِ الشَّياطِينِ﴾: نزَغاتهم ممّا يُوَسْوِسون به، ٩٨ ـ ﴿وأعُوذُ بِكَ ـ رَبِّ ـ أن يَحضُرُونِ﴾ في أُموري لأنهم إنما يحضرون بسوء.

٩٩ ـ ﴿حَتَّى﴾: ابتدائيّةٌ ﴿إذا جاءَ أحَدَهُمُ المَوتُ﴾، ورأى مقعدَه من النار ومقعدَه من الجنّة لو آمنَ، ﴿قالَ: رَبِّ، ارجِعُونِ﴾ ـ الجمعُ للتعظيم ـ ١٠٠ ـ ﴿لَعَلِّيَ أعمَلُ صالِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ، يكونُ ﴿فِيما تَرَكْتُ﴾: ضيّعتُ من عُمري، أي: في مُقابلته. قال تعالى: ﴿كَلّا﴾ أي:............

قولُه: (فأَهْلِكَ) قالَهُ هَضماً للنَّفسِ وإظهاراً لكمالِ العُبوديةِ، واستِغناءِ الأُلوهيَّةِ.

قولُه تعالى: (﴿لقَادِرون﴾) لكنَّا نؤخِرُه عِلماً بأنَّ بَعضَهم ـ أو بعضَ أعقابِهم ـ يؤمِنونَ، وقيلَ: قد رآهُ وهو قَتلُ يومِ بدرٍ، أو فَتحِ مَكةَ.

قولُه: (والإِعرَاضِ عَنْهُم) الأَظهرُ: عنها، والإحسانُ في مُقابلتِها، لكن بحيثُ لا يُؤدِّي إلى وَهنٍ في الدِّينِ، وقيلَ: هي كلمةُ التوحيدِ، والسَّيئةُ الشِّركُ، وقيل: هي الأَمرُ بالمعروفِ، والسَّيئةُ المُنكرُ. وهذه المعاني كلُّها غيرُ قابلةٍ للنَّسخِ.

قولُه: (يُكَذِّبُوْنَ) بالتَّشديدِ أو[1] التَّخفيفِ.

قولُه: (ويَقُولُونَ) فينا وفيكَ، وفي القُرآنِ.

قولُه: (لَو آمَنَ) مُتعلِّقٌ بالأَخيرِ.

قولُه: (للتَّعْظِيمِ) لتعظيم[2] المُخاطَبِ، وقيلَ: لتكريرِ قولِه: أرجِعْني، كما قيلَ في: قِفَا نَبْكِ[3]، وقيلَ: الخِطابُ للمَلائكةِ على الالتِفاتِ.

قولُه: (في مُقَابَلَتِهِ) أي: في مُقابلةِ ما تركتُهُ من الإيمانِ؛ أي: لعلِّي آتي بالإيمانِ وأعملُ فيه.

---

(١) في (م): «و».

(٢) «للتعظيم» ليس في (م)، و«لتعظيم» ليس في باقي النسخ.

(٣) هذا مطلع معلقة امرئ القيس. انظر: «شرح المعلقات التسع» (ص: ١٢٠).

لا رُجوعَ، ﴿إنَّها﴾ أي «رَبِّ ارجِعُونِ» ﴿كَلِمةٌ هُوَ قائلُها﴾، ولا فائدة له فيها، ﴿ومِن وَرائهِم﴾: أمامِهم ﴿بَرزَخٌ﴾: حاجز يصدّهم عن الرجوع ﴿إلَى يَومِ يُبعَثُونَ﴾، ولا رُجوع بعده.

١٠١ ـ ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّورِ﴾: القرنِ النفخةَ الأُولى أو الثانيةَ ﴿فلا أنسابَ بَينَهُم يَومَئذٍ﴾ يَتفاخرون بها، ﴿ولا يَتَساءَلُونَ﴾ عنها خِلافَ حالهم في الدنيا لِما يَشغلهم من عِظَم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يُفيقون وفي آية: «وأقبَلَ بَعضُهُم علَى بَعضٍ يَتَساءَلُونَ».

١٠٢ ـ ﴿فمَن ثَقُلَتْ مَوازِينُهُ﴾ بالحسنات ﴿فأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون، ١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ﴿ومَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ بالسيّئات ﴿فأُولئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم﴾، فهم ﴿في جَهَنَّمَ خالِدُونَ، تَلفَحُ وُجُوهَهُمُ النّارُ﴾: تُحرقها، ﴿وهُم فِيها كالِحُونَ﴾: شُمّرتْ شِفاههم العُليا والسُّفلى عن أسنانهم، ويقال لهم: ١٠٥ ـ ١٠٦ ـ ﴿ ألَم تَكُنْ آياتِي﴾ من القُرآن ﴿تُتلَى علَيكُم﴾ تُخوَّفُون بها، ﴿فكُنتُم بِها تُكَذِّبُونَ؟ قالُوا: رَبَّنا، غَلَبَتْ علَينا شِقوَتُنا﴾ ـ وفي قراءةٍ: «شَقاوتُنا» بفتحِ أوله وألفٍ، وهما مصدران بمعنًى ـ ﴿وكُنّا قَومًا ضالِّينَ﴾ عن الهِداية..........................

قولُه: (لا رُجُوْعَ) رَدعٌ عن طَلَبِ الرَّجعةِ واستِبعادٌ لها.

قولُه: (أَمَامهم) الضَّميرُ للجَماعةِ.

قولُه: (أو الثَّانِيَةَ) وهو الظَّاهرُ.

قولُه: (يَتَفَاخَرُونَ) أو: يَنفعُهم لزوالِ التَّراحُمِ من فرطِ الحَيرةِ يومَ يَفرُّ المرءُ.

قولُه: (عَنْهَا) أي: عن الأَنسابِ، أو: لا يَسأَلُ بعضُهم بَعضاً لاشتِغالِهِ بنفسِهِ يومَ تأتي كُلُّ نفسٍ.

قولُه: (بالحَسَنَاتِ) فمَن كانت له عَقائدُ وأعمالٌ صالحةٌ يكونُ لها وزنٌ عندَ اللهِ وقَدْرٌ.

قولُه: (الفَائِزُونَ) بالنَّجاةِ والدَّرجاتِ، وهو شاملٌ للفاسِقِ والصَّالحِ لَفًّا ونَشراً، والمرادُ بهِ: المؤمِنُ الكاملُ، وإنَّما لم يُذكَرِ المؤمنُ العاصِي ستراً من اللهِ لحالِهِ، وليَكونَ بينَ الرَّجاءِ والخوفِ، وكذا في غالبِ آياتِ الوَعدِ والوَعيدِ.

قولُه: (بالسَّيِّئَاتِ) أي: من لم يَكنْ له ما يكونُ له وزنٌ وهُم الكفَّار.

قولُه: (فَهُم) أي: الكفَّارُ، وأمَّا مَن استوَتْ حسناتُهُ وسيئاتُهُ فتقدَّمَ أنَّهم من أَهلِ الأعرافِ ومآلُهم الجنَّةُ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحَمزةَ والكِسائيِّ[1].

قولُه: (بِمَعنًى) ضِدُّ: السَّعادةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩١).

١٠٧ ـ ﴿رَبَّنا، أخرِجْنا مِنها. فإن عُدْنا﴾ إلى المُخالفة ﴿فإنّا ظالِمُونَ﴾.

١٠٨ ـ ﴿قالَ﴾ لهم بلسان مالِكٍ بعد قَدْر الدنيا مرّتين: ﴿اخسَؤُوا فِيها﴾: ابعُدوا في النار أذلآءَ، ﴿ولا تُكَلِّمُونِ﴾ في رفع العذاب عنكم. فينقطعُ رجاؤهم. ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ﴿إنَّهُ كانَ فَرِيقٌ مِن عِبادِي﴾ ـ هم المهاجرون ـ ﴿يَقُولُونَ: رَبَّنا، آمَنّا. فاغفِرْ لَنا وارحَمْنا. وأنتَ خَيرُ الرّاحِمِينَ. فاتَّخَذْتُمُوهُم سُخرِيًّا﴾، بضمّ السين وكسرها: مصدرٌ بمعنى الهُزء، منهم: بلال وصُهيب وعمّار وسلمان، ﴿حَتَّى أنسَوكُم ذِكرِي﴾، فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم ـ فهم سبب الإنساء فنُسب إليهم ـ ﴿وكُنتُم مِنهُم تَضحَكُونَ. إنِّي جَزَيتُهُمُ اليَومَ﴾ النعيمَ المُقيم ﴿بِما صَبَرُوا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم إيّاهم. ﴿إنَّهُم﴾ ـ بكسرِ الهمزة ـ ﴿هُمُ الفائزُونَ﴾ بمطلوبهم استئنافٌ، وبفتحِها: مفعولٌ ثان لـ «جزيتهم».

١١٢ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى لهم بلسان مالكٍ، وفي قراءةٍ «قُلْ»: ﴿كَم لَبِثتُم في الأرضِ﴾:............

قولُه: (ابْعُدُوا) أو: اسكُتوا سُكوتَ هوانٍ، فإنَّ النّارَ ليسَت مَقامَ سؤالٍ.

قولُه: (فِي رَفْعِ[1] العَذَابِ) أو: [لا تكلمونِ] رَأساً[2].

قولُه: (هُمُ المُهَاجِرُونَ) أو المؤمنونَ.

قولُه: (بِضَمِّ السِّينِ) نَافعٌ وحَمزةُ والكِسائيُّ[3].

قولُه: (وسَلْمَانُ) هو ليسَ من المُهاجِرين.

قولُه: (بالنَّعِيمِ المُقِيْمِ) ﴿من الكُفَّارِ يضحَكُون * على الأرائكِ ينظُرون﴾ [المطففين: ٣٤، ٣٥].

قولُه: (بِكَسْرِ الهَمْزَةِ) حَمزةُ والكِسائيُّ[4].

قولُه: (استِئْنَافٌ) فالمفعولُ محذوفٌ.

قولُه: (بِلِسَانِ مَالِكٍ) أو بذاتِهِ، أو المَلَكُ المأمورُ بسُؤالِهِم.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للمَكيِّ وحَمزةَ والكِسائيِّ[5]، على الأَمرِ للمَلَكِ، أو لبعضِ رُؤساءِ أهلِ النَّارِ.

---

(١) في (م): «دفع».

(٢) من «أنوار التنزيل».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩١).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٢).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٣).

في الدنيا وفي قُبوركم ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾؟ تمييز. ١١٣ ـ ﴿قالوا: لَبِثْنا يومًا أو بَعضَ يوم﴾. شكّوا في ذلك واستقصَروه لعِظَم ما هم فيه من العذاب. ﴿فاسألِ العادِّينَ﴾ أي: الملائكةَ المُحصِينَ أعمالَ الخلق.

١١٤ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى بلسان مالك، وفي قراءة «قُل»: ﴿إنْ﴾ أي: ما ﴿لَبِثْتُم إلاّ قَلِيلاً. لَو أنّكُم كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ مِقدار لَبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لَبثكم في النار. ١١٥ ـ ﴿أفحَسِبتُم أنّما خَلَقْناكُم عَبَثًا﴾ لا لحِكمة، ﴿وأنّكُم إلَينا لا تَرجِعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول؟ لا بل لِنتعبَّدَكم بالأمر والنهي وتَرجِعوا إلينا، ونُجازيَ على ذلك: «وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعبُدُونِ».

١١٦ ـ ﴿فتَعالَى اللهُ﴾ عن العبث وغيره ممّا لا يليق به، ﴿المَلِكُ الحَقُّ، لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ رَبُّ العَرشِ الكَرِيمِ﴾: الكرسيّ هو السرير الحَسَن،..

قولُه: (وَفِي قُبُورِكُم) أو: أحياءً فيها وأمواتاً في القُبورِ.

قولُه: (تَمييزٌ) لـ﴿كَم﴾.

قولُه: (شَكُّوا) والأظهرُ: أن ﴿أو﴾ بمَعنى: بَل، وسَيأتي أنّهم يُقسِمونَ ما لَبثوا غيرَ ساعةٍ[1].

قولُه: (اسْتَقْصَرُوهُ... إلخ) أي: لُبثُهم فيها بالنِّسبةِ إلى خُلودِهم في النَّارِ، أو لأنّها كانت أيّامَ سُرورِهم وهي قِصارٌ، أو لأنّها مُنقَضيةٌ والمُنقضي في حُكمِ المعدومِ.

قولُه: (أَعْمَالَ الخَلْقِ) وأعمارَهُم.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ[2].

قولُه: (مِقْدَارَ لُبْثِكُم) حاصِلُه: تَصديقٌ لهم في مَقالِهم، ولذا قيلَ: الدُّنيا ساعَة فاجعَلْها طاعة.

قولُه: (لا لِحِكْمَةٍ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿عَبثاً﴾ مفعولٌ له.

قولُه: (للفَاعِلِ) حمزةُ والكِسائيُّ[3].

قولُه: (لنَتعَبَّدَكُم) أي: لنَطلُبَ العِبادةَ منكُم.

قولُه: (الكُرْسِيّ) تَقدَّم[4].

---

(١) وذلك في سورة الروم في الآية: (٥٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٤).

(٣) انظر المصدرين السابقين.

(٤) في الآية (٨٦) من هذه السورة.

١١٧ ـ ﴿ومَن يَدعُ مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ، لا بُرهانَ لَهُ بِهِ﴾: صفةٌ كاشفة لا مفهوم لها، ﴿فإنَّما حِسابُهُ﴾: جزاؤه ﴿عِندَ رَبِّهِ. إنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرُونَ﴾: لا يَسعدون.

١١٨ ـ ﴿وقُلْ: رَبِّ، اغفِرْ وارحَمْ﴾ المؤمنين ـ في الرحمة زِيادة على المغفرة ـ ﴿وأنتَ خَيرُ الرّاحِمِينَ﴾: أفضلُ رحمةَ راحمٍ.

قولُه: (لا يَسْعَدُونَ) بدأ السُّورةَ بتقريرِ فَلاحِ المؤمنينَ، وخَتمَ بنَفي الفَلاحِ عن الكافرينَ.

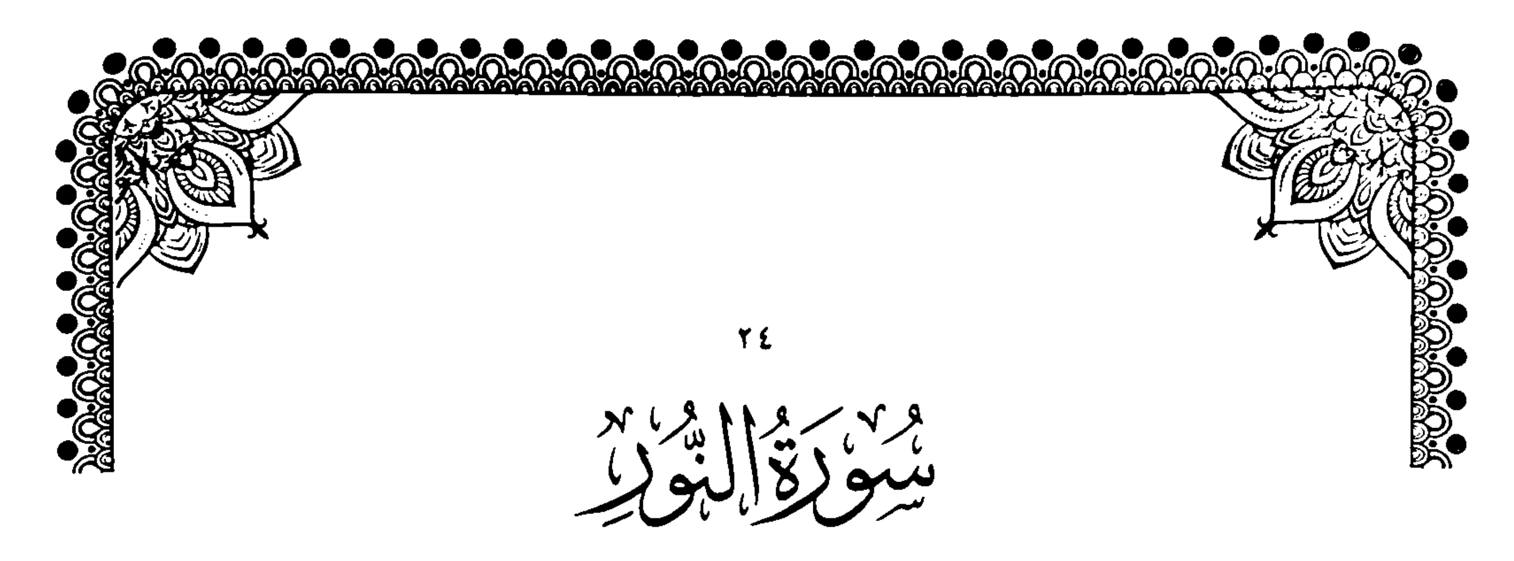
قولُه: (المُؤمِنِيْنَ) وهو رئيسُهُم[1].

قولُه: (أَفْضَلَ رَحْمَةِ) مفعولٌ مُطلقٌ، أو مُميِّزٌ لـ﴿الرَّاحمينَ﴾، ولا يَبعدُ أن يَتعلقَ بـ﴿ارحَم﴾ على نزعِ الخافِضِ، أو على المفعوليَّةِ، واللهُ تعالى أعلَمُ.

* * *

---

(١) في (م): «المؤمنين وهم رؤساؤهم».



٢٤

سورة النور

مدنيّة، وهي ثنتان أو أربعٌ وستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ هذه ﴿سُورةٌ، أنزَلْناها وفَرَضْناها﴾ ـ مُخفَّفًا، ومُشدّدًا لكثرة المفروض فيها ـ ﴿وأنزَلْنا فِيها آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: واضحاتِ الدلالة، ﴿لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء الثانية في الذال، أي: تتّعظون.

٢ ـ ﴿الزّانِيةُ والزّانِي﴾ أي: غيرُ المحصَنَينِ ....

سورة النور

قولُه: (هذِهِ) أو: فيما أوحَينا إليكَ.

قولُه: (ومُشَدَّدًا) مَكيٌّ وبَصريٌّ[١].

قولُه: (المَفْرُوضِ) أي: الفَرائِضِ، أو: المفروضِ عليهم؛ يعني: وفَرَضنا ما فيها من الأحكامِ.

قولُه: (بإدْغَامِ) تَقدَّمَ[٢] أنَّ حَفصاً وحمزةَ والكِسائيَّ بالتَّخفيفِ[٣]، وعبارةُ البَيضاويِّ[٤]: قُرِئَ. ضعيفةٌ.

قولُه: (غَيْرُ المُحصَنَين) الإحصانُ: بالحريَّةِ والبلوغِ والعقلِ والإصابةِ في نِكاحٍ صحيحٍ[٥]، واعتَبرتِ الحنَفيَّةُ الإسلامَ أيضاً[٦].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٤).

(٢) في الآية: (٨٥) من سورة المؤمنون.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٧٩).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٩٨).

(٥) «صحيح» من (م) وهو الموافق لما في «أنوار التنزيل».

(٦) انظر: «الهداية» (٢/ ٣٥٦).

لرجمِهما بالسُّنّة، «وأل» فيما ذُكر: موصولة، وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره، وهو: ﴿فاجلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنهُما مِائَةَ جَلْدةٍ﴾ أي: ضربةٍ ـ يقال: جَلَدَه: ضَرَبَ جِلدَه. ويُزاد على ذلك بالسُّنّةِ تغريبُ عام، والرقيقُ على النِّصف ممّا ذُكر ـ ﴿ولا تأخُذْكُم بِهِما رأفةٌ في دِينِ اللهِ﴾ أي: حُكمِه بأن تتركوا شيئًا من حدّهما، ﴿إن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ﴾ أي: يوم البعث ـ في هذا تحريض على ما قبلَ الشرط، وهو جوابه أو دالّ على جوابه ـ ﴿ولْيَشهَدْ عَذابَهُما﴾ أي: الجَلدَ ﴿طائفةٌ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾. قيل: ثلاثةٌ، وقيل: أربعةٌ عددُ شهودِ الزنى.

٣ ـ ﴿الزّانِي لا يَنكِحُ﴾: يتزوّجُ ﴿إلاّ زانِيةً أو مُشرِكةً، والزّانِيةُ لا يَنكِحُها إلاّ زانٍ أو مُشرِكٌ﴾ أي: المناسبُ لكُلّ منهما ما ذُكر..

قولُه: (لِرَجْمِهِمَا بِالسُّنَّةِ) وبالآيةِ المنسوخِ لَفظُها، وهي: (الشَّيخُ والشَّيخةُ إذا زَنَيا فارجُموهُما البتَّةَ)[1].

قولُه: (مَوْصُولَةٌ) بمعنى: الَّذي والتي.

قولُه: (وَهُو) أي: الخَبرُ بتأويلِ: مَقولٌ في حَقِّهِما.

قولُه: (أي: ضَرْبَةٍ) مُتفَرِّقةٍ على الأعضاءِ دونَ الرَّأسِ والوجهِ.

قولُه: (ضَرَبَ جِلْدَهُ) وفيه إشعارٌ إلى عدمِ إيصالِ الألمِ إلى اللَّحمِ.

قولُه: (تَغْرِيْبُ عَامٍ) للحُرِّ؛ أي: إخراجُ سَنَةٍ عندَ الشَّافِعيِّ[2]، وعندَنا: التَّغريبُ مَنسوخٌ[3].

قولُه: (والرَّقِيْقُ) مُبتدأٌ، وحُكمُه عُلِمَ مِن قوله تعالى: ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات﴾ [النساء: ٢٥].

قولُه: (مِمَّا ذُكِرَ) من مئةِ جَلدَةٍ.

قولُه تعالى: (﴿رأفة﴾) حَرَّكهُ المَكيُّ[4].

قولُه: (أَوْ دَالٌّ) هو الصَّحيحُ.

قولُه: (أي: الجَلْدَ) زيادةً في التَّنكيلِ.

قولُه: (أي: المُنَاسِبُ) لأنَّ مُناسَبةَ المُشاكَلةِ علَّةُ الأُلفَةِ والنِّظامِ.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٧١١٨)، وابن ماجه (٢٥٥٣)، ومالك في «الموطأ» (ص: ٨٢٤) (١٠) عن عمر رضي الله عنه. وجاء الإشارة إلى الآية دون ذكر لفظها فيما رواه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (١٦٩١) عن عمر رضي الله عنه أيضاً.

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (١٣/ ١٩٣).

(٣) انظر: «الهداية» (٢/ ٣٤٣).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٥).

﴿وحُرِّمَ ذلِكَ﴾ أي: نِكاحُ الزَّواني ﴿علَى المُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار. نزل ذلك لمّا همَّ فُقراء المُهاجرين أن يتزوّجوا بَغايا المشركين، وهنّ مُوسِرات، ليُنفِقْنَ عليهم. فقيل: التحريم خاصّ بهم، وقيل: عامّ ونُسخ بقوله: «وأنكِحُوا الأيامَى مِنكُم».

قولُه: (الأَخيَارِ) لأنَّه تشبُّهٌ بالفُجَّارِ، وتعرُّضٌ للتُّهمَةِ والطَّعنِ في النَّسبِ، وغيرِ ذلك من المفاسِدِ، ولذلكَ عبَّرَ عن التَّنزيهِ بالتَّحريمِ مُبالغةً.

قولُه: (فَقِيلَ: التَّحْرِيمُ) على ظاهرِهِ، والنَّفيُ بمعنى النَّهيِ، وقد قُرِئَ به[1].

قولُه: (خَاصٌّ بِهِم) بالسَّببِ الذي وَردَ فيهم.

قولُه: (وقِيلَ: عَامٌّ) قائلُه: سَعيدُ بنُ المُسيَّبِ، كَذا في «مُوطَّأِ الإمامِ مُحمَّد»[2].

قولُه: (﴿وأَنكِحُوا الأَيَامَى﴾) فإنَّه يتناوَلُ المُسافِحاتِ، ويُؤيدُه أنَّه ﷺ سُئِلَ عن ذلك ـ أي: مَن[3] زَنى بامرأةٍ ثُمَّ نَكَحها ـ فقالَ: «أَوَّلُهُ سِفاحٌ، وآخِرُه نِكاحٌ، والحرامُ لا يُحرِّمُ الحلالَ» رواهُ الدَّارقطنيُّ، وابنُ حبَّانَ في «الضُّعفاء»[4].

---

(١) أي: (الزاني لا ينكحْ). انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٠٢) عن عمرو بن عبيد.

(٢) روى مالك في «الموطأ» برواية محمد بن الحسن (١٠٠٤) عن سعيد بن المسيب، في قول الله عز وجل: ﴿الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك﴾ [النور: ٣]، قال: وسمعته يقول: إنها نسخت هذه الآية بالتي بعدها، ثم قرأ: ﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم﴾ [النور: ٣٢].

قال محمد: وبهذا نأخذ، وهو قول أبي حنيفة والعامة من فقهائنا: لا بأس بتزوُّج المرأة، وإن كانت قد فجرت، وإنْ يتزوَّجْها من لم يفجُرْ.

(٣) في (م): «عمن».

(٤) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٢/ ٤١٩): غريب بهذا اللفظ.

وجاء عن عائشة، قالت: سئل رسول الله ﷺ عن رجل زنى بامرأة فأراد أن يتزوجها أو ابنتها، قال: «لا يحرم الحرام الحلال إنما يحرم ما كان بنكاح».

رواه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٩٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٨٠٣)، والدارقطني في «السنن» (٣٦٨٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٩٦٦)، وأعلَّه ابن حبان بعثمان بن عبد الرحمن؛ كان ممن يروي عن الثقات الأشياء الموضوعات لا يجوز الاحتجاج به.

وروى أبو يوسف في «الآثار» (٦٠٤)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٢٧٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٥١) (١٣٨٧٨) عن ابن عباس رضي الله عنه في الرجل يفجر بالمرأة ثم يتزوجها بعد قال: «كان أوله سفاح، وآخره نكاح، وأوله حرام، وآخره حلال» واللفظ للبيهقي.

٤ ـ ﴿والَّذِينَ يَرمُونَ المُحصَناتِ﴾: العفيفات بالزنى، ﴿ثُمَّ لَم يأتُوا بِأربَعةِ شُهَداءَ﴾ على زناهنّ برؤيتهم، ﴿فاجلِدُوهُم﴾ أي: كُلَّ واحد منهم ﴿ثَمانِينَ جَلْدةً، ولا تَقبلُوا لَهُم شَهادةً﴾ في شيء ﴿أبَدًا، وأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾ لِإتيانهم كبيرةً، ٥ ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ تابُوا مِن بَعدِ ذلِكَ، وأصلَحُوا﴾ عملَهم. ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لهم قذفَهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم بإلهامهم التوبةَ. فبها ينتهي فِسقهم، وتُقبل شهادتهم. وقيل: لا تُقبل، رُجوعًا بالاستثناء إلى الجُملة الأخيرة.

٦ ـ ﴿والَّذِينَ يَرمُونَ أزواجَهُم﴾ بالزنى، ﴿ولَم يَكُن لَهُم شُهَداءُ﴾ عليه ﴿إلاّ أنفُسُهُم﴾ ـ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ـ ﴿فشَهادةُ أحَدِهِم﴾: مبتدأٌ ﴿أربَعَ شَهاداتٍ﴾: نصبٌ على المصدر ﴿بِاللهِ، إنَّهُ لَمِنَ الصّادِقِينَ﴾، فيما رمى به زوجته من الزنى، ٧ ـ ﴿والخامِسةُ أنَّ لَعْنَةَ اللهِ علَيهِ، إن كانَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ في ذلك ـ..

قولُه: (العَفِيفَاتُ) والإحصانُ هاهُنا: بالحُرِّيَّةِ والبُلوغِ والعَقلِ والإسلامِ والعِفَّةِ عن الزِّنا، والمُحصَنينَ بطَريقِ الأَولى؛ لأَنَّهم أكثرُ عقلاً وديناً، والتَّخصيصُ لخصوصِ الواقِعةِ، أو لأنَّ قَذفَ النِّساءِ أغلبُ وأشنَعُ.

قولُه: (بالزِّنَا) والقَذفُ بغيرِهِ مِثلَ: «يا فاسِق» يوجِبُ التَّعزيرَ، كقَذفِ غيرِ المُحصَنِ.

قولُه: (فِي شَيْءٍ) قيلَ: في القَذْفِ.

قولُه: (لا تُقبَلُ) وهو قَولُ أبي حَنيفَةَ[1].

قولُه: (الأَخِيْرَةِ) وهي: ﴿أولئك هم الفاسقون﴾.

قولُه: (عَلَيْهِ) أي: الزِّنا.

وقولُه: (﴿أَنفُسُهُم﴾) بَدلٌ من: ﴿شُهداء﴾.

قولُه: (مُبْتَدَأٌ) أو خَبرٌ؛ يعني: فَعليهِم، أو: فالواجِبُ، شَهادةُ أحدِهِم.

قولُه: (نَصْبٌ) وحمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ بالرَّفعِ[2] على أنَّه خَبرٌ لـ﴿شَهادةُ﴾.

قولُهُ تعالى: (﴿والخامسَةُ﴾) أي: الشَّهادةُ الخامِسةُ، ونافعٌ بتَخفيفِ (أَنْ) ورَفعِ (لَعنَتُ)[3].

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: فيما رَمى بِهِ... إلخ.

---

(١) انظر: «الهداية» (٣/ ١٢١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٥).

(٣) انظر المصدرين السابقين.

وخبر المبتدأ: تدفعُ عنه حدَّ القذف ـ ٨ ـ ﴿ويَدْرأُ﴾: يدفع ﴿عَنها العَذابَ﴾ أي: حدَّ الزنى الذي ثَبَتَ بشهاداته ﴿أن تَشهَدَ أربَعَ شَهاداتٍ بِاللهِ، إنَّهُ لَمِنَ الكاذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنى، ٩ ـ ﴿والخامِسةُ أنَّ غَضَبَ اللهِ علَيها، إن كانَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في ذلك. ١٠ ـ ﴿ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورَحْمَتُهُ﴾ بالسَّتر في ذلك، ﴿وأنَّ اللهَ تَوّابٌ﴾ بقَبوله التوبةَ في ذلك وفي غيره ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما حكم به في ذلك وغيره، لبَيّنَ الحقّ في ذلك وعاجل بالعُقوبة من يستحقّها.

١١ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ جاؤُوا بِالإفكِ﴾: أسوَأ الكذب على عائشةَ أُمِّ المؤمنين بقذفها ﴿عُصْبةٌ مِنكُم﴾: جماعة من المؤمنين. قالتْ: حسّانُ بن ثابتٍ، وعبدُ الله بنُ أُبَيٍّ، ومِسطحٌ، وحَمنةُ بنتُ جحشٍ. ﴿لا تَحسِبُوهُ﴾ ـ أيّها المؤمنون غيرَ العُصبة ـ ﴿شَرًّا لَكُم. بَل هُوَ خَيرٌ لَكُم﴾ يأجُركم الله به، ويُظهِرُ براءة عائشة ومَن أتى معها منه. وهو صفوانُ. فإنها قالت: ....

قولُه: (المُبْتَدَأ) الذي هو ﴿الخَامسةُ﴾، وما بعدَها بدلٌ منها، والمشهورُ: أنَّ خَبرَ الشَّهادةِ ما بعدَها، فقوله: (خَبَرُ المُبْتَدَأِ) يعني: المبتدأ المُتقدِّم، وهو ﴿شهادةُ أحدِهم﴾، وهو بَعيدٌ؛ لكنَّه ظاهرُ كلامِه[1].

قولُه: (فِي ذَٰلِكَ) أي: فيما رَماها، ورَفعُ ﴿الخَامِسةُ﴾ بالابتداءِ، وما بَعدها الخَبرُ، أو بالعَطْفِ على: ﴿أَنْ تَشهدَ﴾، ونَصَبها حَفصٌ عطفًا على ﴿أَربعَ﴾، وما بعدَها بَدلٌ منها، وقَرأَ نافِعٌ بتخفيفِ النُّونِ وكَسرِ الضَّادِ ورَفعِ الهاءِ[2].

قولُه: (فِي ذَٰلِكَ وَغَيرِهِ لبَيَّنَ) أي: لفَضَحَكُم.

قولُه: (عَلَى عَائِشَةَ) أي: المرَادُ: ما ائتُفِكَ به عليها.

قولُه: (قَالَتْ) أي: عائِشةُ.

قولُه: (عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ) حقُّهُ التَّأخيرُ، أو التَّقديمُ.

قولُه: (وِمِسْطَحٌ) بكَسرٍ وسُكونٍ وفَتحٍ، ابنُ أُثاثةَ؛ بضمِّ الهَمزةِ.

قولُه: (أَيُّهَا المُؤمِنُونَ) وقالَ القاضِي: الخِطابُ للرَّسولِ وأبي بَكرٍ وعائِشةَ وصَفوانَ، والهاءُ للإفكِ[3].

---

(١) كأن في كلام الشارح هنا تناقض وتشويش، فهو قد جزم أن المراد من قوله: (المبتدأ) هو ﴿الخامسة﴾، ثم عاد فجزم أن قوله: (خَبَرُ المُبْتَدَأِ) يعني به: المبتدأ المُتقدِّم، وهو ﴿شهادةُ أحدِهم﴾، والذي أراه أن الجلال لم يتكلم بكلام بعيد ولا متناقض، وإنما جاء كلامه على قراءة: ﴿أربعَ﴾ بالنصب، فقال في إعراب ﴿فشهادة﴾: «مبتدأ» ثم لما وصل إلى بيان الخبر قال: «وخبر المبتدأ...» فأعاده معرفة إشارة إلى ما تقدم منكراً من قوله: «مبتدأ»، ثم ذكر تقدير الخبر، وهذا على قراءة النصب في ﴿أربعَ﴾ كما ذكرنا.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٥، ٤٩٦).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٠).

«كنتُ معَ النبيِّ ﷺ في غزوةٍ بعدَ ما أُنزِلَ الحِجابُ، ففَرَغَ منها ورجَعَ ودَنا من المَدِينةِ، وآذَنَ بالرَّحِيلِ ليلةً فمَشَيتُ وقضَيتُ شأني، وأقبلتُ إلى الرَّحلِ فإذا عِقدي انقطعَ ـ هو بكسر المهملة: القِلادة ـ فرجَعتُ ألتمِسُه، وحَملوا هَودَجي ـ هو ما يُركب فيه ـ على بعيري يَحسِبونني فيه، وكانتِ النساءُ خِفافًا إنّما يأكلْنَ العُلقةَ ـ هو بضمّ المُهملة وسكون اللام ـ من الطعام أي: القليلَ، ووجدتُ عِقدي وجئتُ بعدَ ما ساروا، فجلستُ في المنزلِ الذي كنتُ فيه، وظننتُ أنّ القوم سيَفقِدونني، فيرجِعون إليَّ.

فغَلَبتْني عيناي فنِمتُ، وكان صفوانُ قد عرّسَ من وراء الجيش، فادّلجَ ـ هما بتشديد الراء والدال، أي: نزلَ من آخِرِ الليل للاستراحة، فسار منه ـ فأصبحَ في منزِله، فرأى سَوادَ إنسانٍ نائمٍ، أي: شخصَه، فعرَفني حينَ رآني ـ وكان يَراني قبلَ الحِجابِ ـ فاستيقظتُ باسترجاعِه، حينَ عرَفني، أي: قولِه: إنّا للهِ وإنّا إليه راجِعُونَ.

فخمّرتُ وجهي بجِلبابي، أي: غطّيتُه بالمُلاءة. واللهِ ما كلّمني بكلمة، ولا سمعتُ منه كلمةً غيرَ استرجاعِه، حين أناخَ راحلته ووطِئَ على يدها فركبتُها، فانطلقَ يقودُ بي الراحلة، حتّى أتَينا الجيشَ بعد ما نزلوا، مُوغِرِينَ في نحرِ الظهيرة، أي: مِن: أوغرَ، واقعِينَ في مكانٍ وغْر، في شِدّة الحرّ، فهَلَكَ من هَلَكَ فيَّ. وكان الذي تَوَلَّى كِبْرَه منهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ». انتهى قولها، رواه الشيخانِ.

قال تعالى: ﴿لِكُلِّ امرِئٍ مِنهُم﴾ أي: عليه ﴿ما اكتَسَبَ مِنَ الإِثمِ﴾ في ذلك، ﴿والَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنهُم﴾ أي: تحمّل مُعظمه، فبدأ بالخوض فيه وأشاعه ـ وهو عبدالله بن أُبَيٍّ ـ ﴿لَهُ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾، هو النار في الآخرة. ....

قولُه: (شَأْنِي) كِنايةٌ عنِ الحاجَةِ.

قولُه: (عَلَى بَعِيْرِي) مُتعلِّقٌ بـ(حَمَلوا).

قولُه: (وَغرٍ) صَعبٍ.

قولُه: (أيْ: عَلَيهِ) أو: لِكلٍّ جزاءُ ما اكتَسبَ بقَدْرِ ما خاضَ فيه مُختصًّا به.

قولُه: (وأَشَاعَهُ) عَداوةً لرسولِ اللهِ ﷺ.

قولُه: (هُوَ النَّارُ) أو في الدُّنيا بأن جُلِدوا، وصارَ ابنُ أُبيٍّ مَطروداً مَشهوراً بالنِّفاقِ، وحسَّانُ أعمى وأشَلَّ اليدينِ[1]، ومِسْطَحٌ مَكفوفَ البَصرِ[2].

---

(١) لم أقف على أنه شلت يداه، وأما أنه عمي فجاء فيما رواه البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٠). ولم أقف على ذلك مسنداً.

١٢ ـ ﴿لَولا﴾: هلاّ، ﴿إذ﴾: حينَ ﴿سَمِعتُمُوهُ، ظَنَّ المُؤمِنُونَ والمؤمِناتُ بِأنفُسِهِم﴾ أي: ظنّ بعضهم ببعض ﴿خَيرًا، وقالُوا: هذا إفكٌ مُبِينٌ﴾: كذبٌ بيِّن. فيه التفات عن الخِطاب، أي: ظننتم ـ أيها العُصبةُ ـ وقلتم.

١٣ ـ ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿جاؤُوا﴾ أي: العُصبةُ ﴿علَيهِ بِأربَعةِ شُهَداءَ﴾ شاهَدُوه. ﴿فإذ لَم يأتُوا بِالشُّهَداءِ فأُولَئِكَ عِندَ اللهِ﴾ أي: في حُكمه ﴿هُمُ الكاذِبُونَ﴾ فيه. ١٤ ـ ﴿ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورَحمتُهُ في الدُّنيا والآخِرةِ لَمَسَّكُم فِيما أفَضتُم فِيهِ﴾ ـ أيُّها العُصبةُ ـ أي: خُضتُم ﴿عَذابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة، ١٥ ـ ﴿إذ تَلَقَّونَهُ بِألسِنتِكُم﴾ أي: يَرويه بعضكم عن بعض ـ وحُذف من الفعل إحدى التاءين. وإذ منصوب بـ «مسّكم» أو بـ «أفضتم» ـ ﴿وتَقُولُونَ بِأفْواهِكُم ما لَيسَ لَكُم بِهِ عِلمٌ، وتَحسِبُونَهُ هَيِّنًا﴾: لا إثمَ فيه، ﴿وهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ﴾ في الإثم.

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿ولَولا﴾: هلاّ، ﴿إذ﴾: حينَ ﴿سَمِعتُمُوهُ، قُلتُم: ما يَكُونُ﴾: ما ينبغي ﴿لَنا أن نَتَكَلَّمَ بِهذا ـ سُبحانَكَ﴾!..

قولُه: (أي: ظَنَّ) أي: ظَنُّوا بالَّذينَ منهم من المؤمِنينَ والمُؤمناتِ، كقولِه تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ [النساء: ٢٩].

قولُه: (كَذِبٌ بَيِّنٌ) كما يقولُ المُستَيقِنُ المُطَّلعُ على الحالِ.

قولُه: (فِيْهِ التِفَاتٌ) مُبالغةٌ في التَّوبيخِ.

قولُه: (أي: في حُكْمِهِ) لا في عِلمِه؛ يعني: في غيرِ هذه القضيَّةِ[1]، وأمَّا فيها فحُكماً وعلماً.

قولُه: (فِي الآخِرَةِ) فيه: أنَّ من جُملةِ العُصبَةِ ابنُ أُبيٍّ، وهو مُعذَّبٌ في العُقبى، قال القَاضِي: ﴿لولا﴾ هذه لامتِناعِ الشَّيءِ لوجودِ غيره، والمعنى: لولا فَضلُ اللهِ عليكُم في الدُّنيا بأنواعِ النِّعَم التي من جُملتِها الإمهالُ للتَّوبةِ، ورحمتُهُ في الآخِرةِ بالعفوِ والمَغفرةِ المقرَّرانِ لكم، لمسَّكُم عاجلاً عذابٌ عظيمٌ يُستَحْقَرُ دُونَه اللَّومُ والجَلدُ[2].

قولُه: (مَنْصُوبٌ) على الظَّرفيَّةِ.

قولُه: (لا إِثْمَ فِيْهِ) ولا تَبِعةَ له.

قولُه: (مَا يَنبَغِي) وما يصحُّ، ويجوزُ أن تكونَ الإشارَةُ إلى القَولِ المخصُوصِ، وأن تكونَ إلى نَوعِه، فإنَّ قَذفَ آحادِ النَّاسِ يَحرُم شرعاً فضلاً عن تعرُّضِ الصِّدِّيقةِ بنتِ الصِّدِّيق حَرَمِ رسولِ اللهِ ﷺ.

(١) في (م): «القصة».

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠١).

هو للتعجّب هنا ـ ﴿هذا بُهتانٌ﴾: كذبٌ ﴿عَظِيمٌ. يَعِظُكُمُ اللهُ﴾: ينهاكم ﴿أن تَعُودُوا لِمِثلِهِ أبَدًا، إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ تتّعظون بذلك، ١٨ ـ ﴿ويُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ في الأمر والنهي، ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بما يأمر به وينهى عنه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيه.

١٩ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أن تَشِيعَ الفاحِشَةُ﴾ باللسان ﴿في الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بنسبتها إليهم ـ وهم العُصبة ـ ﴿لَهم عَذابٌ أَلِيمٌ في الدُّنيا﴾ بالحدّ للقذف ﴿والآخِرةِ﴾ بالنار لحقّ الله. ﴿واللهُ يَعلَمُ﴾ انتفاءها عنهم، ﴿وأنتُم﴾ ـ أيها العُصبة ـ ﴿لا تَعلَمُونَ﴾ وجودَها فيهم، ٢٠ ـ ﴿ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم﴾ ـ أيها العُصبة ـ ﴿ورَحمتُهُ وأنَّ اللهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بكم، لعاجلكم بالعُقوبة.

٢١ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيطانِ﴾ أي: طُرقَ تزيينه..........

قولُه: (هُوَ) وفي نُسخةٍ: «هذا» للتَّعجُّبِ ممَّن يقولُ ذلك.

قولُه: (يَنْهَاكُم) أي: عن أن، أو: ينصَحُكُم كراهَةَ أن تَعودوا، أو في أن تَعودوا.

وقولُهُ تعالى: (﴿أبداً﴾) أي: ما دُمتُم أحياءً مُكلَّفينَ.

قولُه: (تَتَّعِظُوا) وفي نسخةٍ: «تَتَّعِظون»[1].

قولُه: (فِيْهِ) فيما يَأمُر... إلخ.

قولُه: (باللِّسَانِ) والظَّاهرُ: الإطلاقُ، لكِن قيَّدَهُ لتَفسيرِ عذابِ الدُّنيا بالحَدِّ.

قولُه: (إلَيهِم) أي: الَّذينَ آمنوا، (وهُم) أي: الَّذينَ يُحبُّونَ.

وقولُه تعالى: (﴿لهم﴾) للثَّاني.

قولُه: (لِحَقِّ اللهِ) فيرتَفِعُ بالتَّوبةِ في الدُّنيا قبلَ الحدِّ أو بعدَه.

قولُه: (عَنْهُم) عن الَّذينَ آمنوا، أو: واللهُ يعلمُ ما في الضَّمائرِ وأنتُم لا تعلمُونَ، فعوقِبوا في الدُّنيا على ما دَلَّ عليه الظَّاهرُ، والله سبحانَه وتعالى يعاقِبُ بما في القُلوبِ من حُبِّ الإشاعةِ وسائرِ السَّرائرِ.

قولُه: (أيُّهَا العُصْبَةُ) تَكريرٌ للمنَّةِ؛ للدَّلالةِ على عظيمِ الجريمةِ.

قولُـه: (لَعَاجَلَكُـم) إشـارَةٌ إلـى حَـذفِ الجَوابِ، قـال القاضِي: وهو مُستغنًى عنـهُ بذكْرِه مَـرةً[2]. وهوَ: ﴿لَمَسَّكُم﴾.

قولُه: (طُرُقَ تَزْيِيْنِهِ) ومنها: إشاعَةُ الفاحِشَةِ.

---

(١) وهكذا هي في المتن.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٢).

﴿ومَن يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيطانِ فإنَّهُ﴾ أي: المتَّبعَ ﴿يأمُرُ بِالفَحشاءِ﴾ أي: القبيح ﴿والمُنكَرِ﴾ شرعًا، باتباعهما، ﴿ولَولا فَضلُ اللهِ علَيكُم ورَحْمتُهُ ما زَكا مِنكُم﴾ ـ أيها العُصبةُ ـ بما قلتم من الإفك ﴿مِن أحَدٍ أبَدًا﴾ أي: ما صلَحَ وطَهُرَ من هذا الذنب بالتوبة منه، ﴿ولكِنَّ اللهَ يُزَكِّي﴾: يُطهِّرُ ﴿مَن يَشاءُ﴾ من الذنب بقَبول توبته منه، ﴿واللهُ سَمِيعٌ﴾ لِما قلتم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما قصدتم.

٢٢ ـ ﴿ولا يأْتَلِ﴾: يَحلفْ ﴿أُولُو الفَضلِ﴾ أي: أصحاب الغِنى ﴿مِنكُم والسَّعةِ، أن﴾ لا ﴿يُؤتُوا أُولِي القُربَى والمَساكِينَ والمُهاجِرِينَ في سَبِيلِ اللهِ﴾ ـ نزلتْ في أبي بكر، حلفَ ألاّ يُنفقَ على مِسطح، وهو ابن خالته مِسكينٌ مُهاجر بدريّ لمّا خاض في الإفك بعد أن كان يُنفق عليه،.........

قولُه: (أي: المُتَّبَعَ) بفتحِ الموحَّدةِ.

قولُه: (أي: القَبِيْحِ) أي: ما أفرطَ قُبحُه.

قولُه: (بِاتِّبَاعِهَا) الظَّاهرُ: باتِّباعِهما[1]، أشارَ إلى مُضافٍ مُقدَّرٍ.

قولُه: (مَا صَلَح وطَهُرَ) الأولى الاكتِفاءُ بالأخيرِ، وهو التَّخفيفُ.

قولُه: (مِن هَذا الذَّنْبِ) أي: من دَنسِهِ وغَيرِه.

قولُه: (يُطَهِّرُ) بالتَّشديدِ.

قولُه: (بِقَبُوْلِ تَوْبَتِهِ) فالمعنى: ولولا فَضلُ اللهِ عليكُم ورَحمتُه بقَبولِ التَّوبةِ، وقدَّرَ القاضي: بتَوفيقِ التَّوبةِ المَاحيةِ للذُّنوبِ، وشَرْعِ الحُدودِ المُكفِّرةِ لها.

قالَ: ﴿يزَكِّي مَن يشاءُ﴾ بحمْلِهِ على التَّوبةِ وقَبولِها[2].

قولُه: (يَحْلِفْ) أو يُقَصِّرْ، والأولُ أظهَرُ لسَببِ النُّزُولِ[3].

قولُه: (أَصْحَابُ الغِنَى) الصَّحيحُ: أولُو الفَضلِ في الدِّينِ، والسَّعةِ في المَالِ، وفيهِ دَليلٌ على فَضلِ أبي بَكرٍ وشَرفِه.

قولُه: (لا ﴿يُؤْتُوا﴾) أي: على أن لا يُؤتوا، أو: في أنْ يُؤتوا.

---

(١) وهكذا هي في المتن.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٢).

(٣) وهو يمين أبي بكر أن لا ينفق على مسطح كما كان ينفق عليه قبل حادثة الإفك، كما رواه البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) من حديث عائشة رضي الله عنه.

وناسٍ من الصحابة أقسموا ألاّ يتصدّقوا على من تكلّم بشيء من الإفك ـ ﴿وليَعفُوا وليَصفَحُوا﴾ عنهم في ذلك. ﴿ألا تُحِبُّونَ أن يَغفِرَ اللهُ لَكُم؟ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين. قال أبو بكر: «بلَى أنا أُحبُّ أن يغفر الله لي»، ورَجَعَ إلى مِسطح ما كان يُنفقه عليه.

٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يَرمُونَ﴾ بالزنى ﴿المُحصَناتِ﴾: العفائفَ ﴿الغافِلاتِ﴾ عن الفواحش بألاّ يقع في قلوبهن فِعلُها ﴿المُؤمِناتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لُعِنُوا في الدُّنيا والآخِرةِ، ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ يَومَ﴾ ـ ناصبُه الاستقرارُ الذي تعلق به «لهم» ـ ﴿تَشهَدُ﴾، بالفَوقانيّة والتحتانيّة، ﴿علَيهِم ألسِنتُهُم وأيدِيهِم وأرجُلُهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من قول وفعل ـ وهو يوم القيامة ـ ٢٥ ـ ﴿يَومَئذٍ يُوَفِّيهِم اللهُ دِينَهُم الحَقَّ﴾: يُجازيهم جزاءه الواجب عليهم، ﴿ويَعلَمُونَ أنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ﴾ حيثُ حقّق لهم جزاءه الذي كانوا يشكّون فيه. ومنهم عبد الله بن أُبَيّ. والمحصناتُ هنا أزواج النبيّ ﷺ، لم يُذكر في قذفهنّ توبةٌ،

قولُه: (عَلَى مَن تَكَلَّمَ) فالصِّفاتُ أُقيمَت لموصوفاتٍ مُقامَها[1]، ويكونُ أَبلَغَ في تَعليلِ المَقصودِ حيثُ يَلزمُ بالطَّريقِ الأولى لموصوفٍ جامعٍ لها.

قولُه: (للمُؤمِنِينَ) مع كَمالِ قُدرَتِه، فتخلَّقُوا بأخلاقِهِ.

قولُه: (قَالَ: أَبو بَكْرٍ) قيل: بعدَما قَرأَهَا ﷺ[2].

قولُه: (وَرَجَعَ) أعادَ.

قولُه: (فِعلُهَا) أي: الفواحِشَ، هذا بيانُ الكَمالِ الواقِعِ فيمَن نزلَ بسَببِها، وإلَّا فيَكفي الغفلَةُ ممَّا قُذفنَ به.

قولُه: (الاستِقرَارُ) أو: «اذكُر» مُقدَّراً.

قولُه: (والتَّحْتَانِيَّة) حَمزةُ والكِسائيُّ[3] للتقدُّمِ والفَصلِ.

قولُه: (الوَاجِبَ) أي: الثَّابتَ، والظَّاهرُ: جزاءَهُم المُستَحقَّ.

قولُه: (لَمْ يذكرْ) ولذا قال ابنُ عبَّاس: «لا توبَةَ له»[4]، قال القاضِي: ولو فَتَّشْتَ وعيداتِ القُرآنِ لم تَجدْ

---

(١) عبارة البيضاوي: «الموصوفات أقيمت مقامها».

(٢) روى البخاري (٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠) في حديث عائشة رضي الله عنه: فأنزل الله: ﴿ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة... ﴾ الآية، قال أبو بكر: بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٦).

(٤) روى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ١٥٣) (٢٣٤) عن ابن عباس، أنه قرأ سورة النور ففسرها، فلما أتى على هذه الآية ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ [النور: ٢٣]، قال: «هذه في عائشة وأزواج النبي ﷺ، ولم يجعل لمن فعل ذلك توبة، وجعل لمن رمى امرأة من

ومَن ذُكر في قذفهنّ أولَ السورة التوبةُ غيرُهنّ.

٢٦ ـ ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ من النساء ومن الكلمات ﴿لِلْخَبِيثِينَ﴾ من الناس، ﴿وَالْخَبِيثُونَ﴾ من الناس ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ ممّا ذُكر، ﴿وَالطَّيِّبَاتُ﴾ ممّا ذُكر ﴿لِلطَّيِّبِينَ﴾ من الناس، ﴿وَالطَّيِّبُونَ﴾ منهم ﴿لِلطَّيِّبَاتِ﴾ ممّا ذُكر، أي: اللائقُ بالخبيث مِثلُه وبالطيّب مِثلُه. ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيّبون والطيّبات من النساء والرجال ومنهم عائشة وصفوان ﴿مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم، ﴿لَهُم﴾: ....

أَغلظَ ممَّا نزَلَ في إفكِ عائشةَ[١].

لكِن مَزَجها الحَكيمُ الحَقيقيُّ بحيثُ تصير أرجى قصةٍ[٢]، وبَيانُه: أنَّه أثبتَ الفَضلَ والرَّحمةَ مُكرراً، وذكرَ التَّوابَ الذي معناهُ مُوافِقُ التَّوبةِ وقابِلُها، والرَّاجِعُ بالُّلطفِ والكَرمِ، ووُضِعَ المؤمنونَ موضِعَ ضَميرِ الخِطابِ، وجَعلَهُم أنفُسَهُم، وقال: ﴿هم الكاذبون﴾ لا الكافرونَ أو الفاسِقونَ أو الظَّالمونَ، وأثبَتَ التَّزكيةَ لهم، وعاتَبَ الصِّدِّيقَ على منعِ الإحسانِ بمن أساءَ مثلَ هذهِ الإساءةِ مع تسميتِهِ مُهاجِراً، وما ذلكَ إلَّا لكونِه تعالى أرحمَ الرَّاحمينَ، والرَّسولُ نبيُّ الرَّحمةِ، والمؤمنونَ أُمَّةٌ مَرحومَةٌ.

وقيل: هو حُكمُ كُلِّ قاذِفٍ ما لم يَتُب، وهو الظَّاهرُ ممَّا تقدَّمَ من الآياتِ، ولئلَّا يَلزمَ تَفسيقُ بعضِ الصَّحابةِ، ولعُمومِ الآياتِ والأحاديثِ الوارِدةِ في التَّوبةِ، مع أنَّ العِبرةَ بعُمومِ اللَّفظِ لا بخصوصِ السَّببِ، ولا يَلزمُ من عدمِ ذِكرِ التَّوبةِ عَدمُ قَبولِها، نعم فيه إشارةٌ إلى التَّغليظِ والتَّهديدِ والوَعيدِ الشَّديدِ، والمفهومُ من البَغويِّ أنَّ الأكثَرينَ على هذا[٣]، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (مِنَ النِّسَاءِ والكَلِمَاتِ) والأفعالِ والأخلاقِ والأحوالِ والأرزاقِ والأمكنَةِ.

قولُه: (مِن النَّاسِ) بَيانُ ممَّا.

قولُه: (أي: اللَّائِقُ) فيَكونُ كالدَّليلِ على قولِه: ﴿أولئك﴾ يعني: أهلَ بيتِ النَّبيِّ، أو الرَّسولَ وعائشةَ وصَفوانَ.

وقولُه: (الطَّيِّبُونَ) الظَّاهرُ: أنَّ المُشارَ إليهم خاصٌّ، وهُم الَّذين ذَكرناهُم، لا جِنسُ الطَّيبينَ والطَّيباتِ.

قولُه: (أي: الخَبِيثُونَ) المرادُ: بَعضُهم القاذِفونَ في هذهِ القَضيَّةِ[٤].

المؤمنات من غير أزواج النبي ﷺ التوبة».

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٣).

(٢) في الأصول: «تصدرُ في قصّة»، وما أثبته وجدته بأصل أستأنس به في ضبط المتن.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٣٩٦).

(٤) في (م): «القصة».

للطيّبين والطيّبات من النساء ﴿مَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنّة. وقد افتخرت عائشة بأشياءَ، منها أنها «خُلقتْ طيّبةً، ووُعِدَتْ مغفرةً ورِزقًا كريمًا».

٢٧ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَدخُلُوا بُيُوتًا غَيرَ بُيُوتِكُم، حَتَّى تَستَأنِسُوا﴾ أي: تستأذنوا ﴿وتُسَلِّمُوا عَلَى أهلِها﴾ فيقولَ الواحد: «السَّلامُ علَيكُم. أأدخُلُ»؟ كما ورد في حديث ـ ﴿ذلِكُم خَيرٌ لَكُم﴾ من الدخول بغير استئذان، ﴿لَعَلَّكُم تَذَّكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء الثانية في الذال: خيريّته فتعملون به ـ ٢٨ ـ ﴿فإن لَم تَجِدُوا فِيها أحَدًا﴾ يأذنُ لكم ﴿فلا تَدخُلُوها حَتَّى يُؤذَنَ لَكُم، وإن قِيلَ لَكُمُ﴾ بعد الاستئذان: ﴿ارجِعُوا. فارجِعُوا. هُوَ﴾..

قولُه: (لِلطَّيِّبِيْنَ) لا بُدَّ من التَّخصيصِ، إذ لا يَصحُّ العمومُ، ولذا كانت تفتَخرُ عائِشةُ على سائرِ النِّساءِ بالأشياءِ الآتِيَةِ، وظاهرُ افتِخارِها: أنَّ مُرادَها برزقٍ كريمٍ غير الجنَّةِ، بل لا يصِحُّ هذا الافتِخارُ منها إلَّا على القولِ بأنَّ هذه الآيَةَ وآيَةَ ﴿والذين يرمون المحصنات﴾ [٤] خاصَّةٌ بها، وإنَّما ذُكِرَ بلفظِ الجَمْعِ تعظيماً لها كما قيلَ، فتدبَّر.

قولُه: (الوَاحِدُ) إذ ما فوقَهُ يقولُ: أندخُلُ، والواو في الآيَةِ لمجرَّدِ الجَمعِ، والحديثُ[1] دلَّ على أنَّ السَّلامَ مُقدَّمٌ فلا يُلتفتُ إلى قولِ من قالَ: الاستئذانُ مُقدَّمٌ، أو من قالَ: في الآيَةِ تَقديمٌ وتَأخيرٌ.

قولُه: (مِنَ الدُّخُولِ) تبعَ فيه القاضِي[2]، وهو مُشعرٌ بجَوازِهِ، والحالُ أنَّهُ لا يَجوزُ، فيُحمَلُ ﴿خَير﴾ على مُجردِ الزِّيادةِ، أو يُقالُ: خَيرٌ من تحيةِ أهلِ الجاهليَّةِ بقولِهِم: حُيِّيتُم صباحاً، وحُيِّيتُم مساءً، ودُخولِهم بغيرِ إذنٍ.

قولُه: (بِإدْغَامِ التَّاءِ) غيرَ حَفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ[3].

قولُه: (فتَعْلَمُونَ) الصَّوابُ: فتَعمَلونَ[4]، بتقديمِ الميمِ على اللَّامِ.

وقولُه: (بِهِ) أي: بما هو خَيرٌ.

قولُه: (يَأذَنُ) والظَّاهِرُ: أنَّه كذلك إذا وَجدَ أحداً لم يأذَنْ بدليلِ ﴿حتَّى يُؤذَنَ لكم﴾، قال القاضي:

---

(١) روى أبو داود (٥١٧٦)، والترمذي (٢٧١٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٧٠٢)، وأحمد في «مسنده» (١٥٤٢٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١٠٨١) عن كلدة بن حنبل رضي الله عنه أنه قال: «أن صفوان بن أمية بعثه بلبن ولبأ وضغابيس إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ بأعلى الوادي، قال: فدخلت عليه ولم أسلم ولم أستأذن، فقال النبي ﷺ: «ارجع فقل: السلام عليكم أأدخل؟» وذلك بعد ما أسلم صفوان». قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٧٩).

(٤) وهكذا جاء في المتن.

أي: الرجوع ﴿أَزكَى﴾ أي: خيرٌ ﴿لَكُم﴾ من القُعود على الباب، ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ﴾ من الدخول بإذنٍ وغيرِ إذن ﴿عَلِيمٌ﴾ فيُجازيكم عليه. ٢٩ ـ ﴿لَيسَ علَيكُم جُناحٌ أن تَدخُلُوا بُيُوتًا غَيرَ مَسكُونةٍ، فِيها مَتاعٌ﴾ أي: منفعة ﴿لَكُم﴾، باستِكنانٍ وغيره كبيوت الرُّبط والخانات المُسبَّلة. ﴿واللهُ يَعلَمُ ما تُبدُونَ﴾: تُظهِرون ﴿وما تَكتُمُونَ﴾: تُخفون في دُخول غير بُيوتكم من قصد صلاح أو غيره. وسيأتي أنه إذا دخلوا بُيوتَهم يُسلّمون على أنفُسهم.

٣٠ ـ ﴿قُلْ لِلمُؤمِنِينَ، يَغُضُّوا مِن أبصارِهِم﴾ عمّا لا يحِلُّ لهم نظره ـ ومِن: زائدةٌ ـ ﴿ويَحفَظُوا فُرُوجَهُم﴾ عمّا لا يحلّ لهم فِعلُه بها..

أي: حتَّى يأتي من يأذنُ لكم، فإنَّ المانعَ من الدُّمور(١) ليس الاطِّلاعَ على العَوراتِ فقط، بل وعلى ما يُخفيهِ النَّاسُ عادةً، مع أنَّ التَّصرفَ في مُلكِ الغَيرِ بغيرِ إذنِه محظورٌ، واستُثنيَ ما إذا عَرَضَ فيه حَرقٌ أو غَرقٌ، أو كان فيه مُنكرٌ ـ يعني: مُتيقَّنٌ ـ ونحوُها(٢). يعني: الرِّضا.

قولُه: (مِنَ القُعُودِ) أو: أطهَر؛ إذ لا يَخلو الإلحاحُ والوقوفُ على البابِ من الكراهَةِ وتركِ المروءَةِ، أو المعنى: أنفعُ لدينِكُم ودُنياكُم، فالزَّكاةُ من النَّماءِ.

قولُه: (أي: مَنْفَعَةٌ) وفي نُسخةٍ: «مُتعةٌ»، وهي بالضَّمِّ والكسرِ، اسمٌ للتَّمتُّعِ كالمتاعِ فهيَ الأنسبُ.

قولُه: (باسْتِكنَانٍ) الظَّاهرُ: بسُكنى، أو: بسُكونٍ، واستكنانٍ من الحرِّ والبردِ وإيواءِ الأمتعةِ والجُلوسِ للمُعاملةِ، قال القاضي: وهذا استثناءٌ من الحُكمِ السَّابقِ لشُمولهِ البُيوتَ المسكونَةَ وغيرَها(٣).

وفيه: أنَّ المرادَ بغيرِ المسكونِ هنا: التي يَسكُنها الخاصُّ(٤)، بل يَسكنُها العامُّ، فهي غيرُ داخِلةٍ فيما تَقدَّم.

قولُه: (و﴿مِنْ﴾ زَائِدَةٌ) ولامُ الأمرِ مَحذوفَةٌ.

قولُه: (بِهَا) أي: بالفُروجِ، من نحوِ الزِّنا والتَّكشُّفِ.

---

(١) في النسخ وبعض نسخ البيضاوي: «الدخول»، والمثبت من نسخ من البيضاوي، وهكذا وردت الكلمة في «الكشاف» عند تفسير هذه الآية، وهكذا نقلها عنه متابعوه. انظر: «أنوار التنزيل» (٩/ ٣٤٣) طبعة دار اللباب، و«الكشاف» وشرحها بقوله: وهُو الدُّخولُ بغَير إِذنٍ، واشتِقاقُه من الدَّمارِ وهو الهلاكُ؛ كأنَّ صَاحبَه دَامرٌ لِعظَمِ ما ارتكبَ. وانظر كذلك «تفسير الرازي» (٢٣/ ٣٥٦)، و«تفسير النسفي» (٢/ ٤٩٨)، و«تفسير النيسابوري» (٥/ ١٧٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٤).

(٤) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «التي لا يسكنها الخاص» ليستقيم ما بعده من الإضراب.

﴿ذلِكَ أزكَى﴾ أي: خيرٌ ﴿لَهُم. إنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما يَصنَعُونَ﴾ بالأبصار والفُروج فيُجازيهم عليه. ٣١ - ﴿وقُل لِلمُؤمِناتِ، يَغضُضنَ مِن أبصارِهِنَّ﴾ عمّا لا يحِلّ لهنّ نظره، ﴿ويَحفَظنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ عمّا لا يحِلّ لهنَّ فعله بها، ﴿ولا يُبدِينَ﴾: يُظهِرنَ ﴿زِينتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنها﴾. وهو الوجه والكفّانِ. فيجوز نظره لأجنبيّ إن لم يَخف فِتنةً في أحد وجهين، والثاني يَحرمُ لأنه مَظِنّة الفِتنة،..................

قولُه: (أي: خَيْرٌ) يُحمَلُ على مُجرَّدِ الزِّيادةِ، وكذلك عِبارةُ البَيضاويِّ: أنفَعُ لهم وأطهَرُ[1].

قولُه: (والفُرُوجِ) وغيرِهِما[2].

قولُه: (نَظَرُهُ) أي: نَظرُهنَّ إليه من الرِّجالِ والنِّساءِ، وتَقديمه لأنَّ النَّظرَ بَريدُ الزِّنا، وفي الحديثِ: «النَّظرُ سَهمٌ مَسمُومٌ مِن سِهَامِ إبليسَ»[3].

قولُه تعالى: (﴿ولا يبدين زينتهن﴾) وقال صاحبُ «المَدارِك»: الزِّينةُ: ما تَزيَّنت به المَرأةُ من حُليٍّ أو كُحلٍ أو خِضابٍ، والمرادُ: مَواضعُ الزِّينةِ؛ لأنَّ إظهارَ عَينِها مُباحٌ، أو إظهارُها وهي في مَواضعِها لإظهارِ مواضِعِها لا لإظهارِ أعيانِها، ومَواضعُها: الرَّأسُ والأُذُنُ والعُنُقُ والصَّدرُ والعَضُدانِ والذِّراعُ والسَّاقُ فهي للإكليلِ - يعني: التَّاجَ، أو العِصابةَ المُزيَّنةَ بالجوهرِ - والقُرطِ والقِلادَةِ والوِشاحِ والدُّمْلُجِ[4] والسِّوارِ والخلْخَال[5].

قولُه: (وهُوَ الوَجْهُ والكَفَّانِ) في «المَدارِك» أي: إلا ما جَرتِ العادَةُ، والجبلَّةُ على ظُهورِهِ، وهو الوجهُ والكَفَّانِ والقَدمانِ، ففي سترها حَرجٌ بيِّنٌ، فإنَّ المرأةَ لا تَجدُ بُدًّا من مُعالجةِ الأشياءِ بيدِها، ومِن الحاجَةِ إلى كشفِ وجهِها، خُصوصاً في الشَّهادةِ والمُحاكمةِ والنِّكاحِ، وتَضطرُّ إلى المشيِ في الطُّرقاتِ، وظُهورِ قَدَمِها، وخاصةً الفَقيرات[6].

قوله: (يَحرُمُ) يعني: إلا لضَرورةٍ؛ كالمُعالجةِ وتحمُّلِ الشَّهادةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٤).

(٢) في (م): «وغيرها».

(٣) رواه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٢٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٧٥) وصححه، والقضاعي في «مسنده» (٢٩٢)، من حديث حذيفة رضي الله عنه.

ورواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٦٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

وضعف الحديثين المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٣) بأن فيهما عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي وهو واه.

(٤) سوار يُحيط بالعضد. «المعجم الوسيط» (١/ ٢٩٧).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٠٠).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٠٠).

ورُجّح حسمًا للباب.

﴿وليَضرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ علَى جُيُوبِهِنَّ﴾ أي: يَستُرْنَ الرؤوس والأعناق والصدور بالمَقانع، ﴿ولا يُبدِينَ زِينتَهُنَّ﴾ الخفيّةَ ـ وهي ما عدا الوجهَ والكفّينِ ـ ﴿إلاّ لِبُعُولتِهِنَّ﴾: جمع بعل أي: زوج، ﴿أو آبائِهِنَّ أو آباءِ بُعُولتِهِنَّ، أو أبنائِهِنَّ أو أبناءِ بُعُولتِهِنَّ، أو إخوانِهِنَّ أو بَنِي إخوانِهِنَّ أو بَنِي أخَواتِهِنَّ، أو نِسائِهِنَّ أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ﴾، ....

قولُه: (وَرُجِّحَ) أي: الثّاني، ولذا قال القاضِي: والأظهَرُ: أنَّ هذا في الصَّلاةِ لا في النَّظرِ[1].

وقَولُهُ: (حَسْماً) أي: قَطعاً لفَتحِ بابِ التُّهمةِ والفَسادِ والرِّيبةِ والشُّبهةِ.

قولُه تعالى: (﴿وليضربن﴾) أي: ليَضَعْنَ، من ضَربَ اليدَ على الحائطِ إذا وضعَها، وقيل: ضمِّنَ معنى الوَضعِ.

قولُه: (يَسْتُرْنَ) حاصِلُ مَعنى الضَّرب.

قولُه: (الرُّؤُوسَ) المفهومُ من الخمُرِ، فلو قال: يسدلْنَ، أو: يُرسِلنَ، مَوضِعَ (يسترُنَ) لاستغنى عن ذِكرِ الرُّؤوسِ، وقال القاضِي: ستراً لأعناقِهنَّ[2].

وفي «المَدارِك»[3]: كانت جُيوبُهنَّ واسعةً تَبدو منها صُدورهُنَّ ومَا حَولها، وكُنَّ يُسدِلنَ الخُمُرَ من وَرائِهنَّ فتبقى مَكشُوفةً، فأُمِرنَ بأن يُسدِلنَها من قُدَّامِهنَّ حتى يُغطِّينَها.

قولُه: (الخَفِيَّة) فعَلى هذا لا تَكرارَ، وقالَ القاضِي: كرَّرهُ لبيانِ من يَحِلُّ له الإبداءُ، ومن لا يحِلُّ له[4].

قولُه: (وهِيَ مَا عَدَا الوَجْهَ) أي: ما عدا زينَتَه، والأظهرُ: أنَّ المضافَ مُقدَّرٌ؛ أي: مَواضِعَ زينَتِهنَّ.

قولُه: (جَمْعُ: بَعْلٍ) أي: لا لأحَدٍ.

وقولُه تعالى: (﴿أو آبائهن﴾) يدخلُ الأجدادُ ﴿أو أبنائهن﴾ يَدخلُ النَّوافلُ.

قولُه: (﴿أو بَني أخواتِهن﴾) يدخُلُ فيهم النَّوافلُ، وسائرُ المحارمِ كالأعمامِ والأخوالِ دِلالةً.

قولُه: (﴿نسائهنَّ﴾) أي: نِساءِ المؤمناتِ، والإضافَةُ لأدنى مُلابَسةٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٤).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٥).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٠٠).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٥).

فيجوز لهم نظره إلاّ ما بين السُّرّة والرُّكبة فيحرم نظره لغير الأزواج ـ وخرج بـ «نِسائهِنّ» الكافراتُ فلا يجوز للمسلمات التكشّف لهنَّ، وشمَل «ما مَلكَتْ أيمانُهُنَّ» العبيدَ ـ ﴿أَوِ التَّابِعِينَ﴾ في فُضول الطعام ﴿غَيْرِ﴾، بالجرّ: صفةً، والنصبِ: استثناءً، ﴿أُولِي الإِرْبَةِ﴾: أصحابِ الحاجة إلى النساء ﴿مِنَ الرِّجالِ﴾ بأن لم ينتشر ذَكرُ كُلٍّ، ﴿أَوِ الطِّفْلِ﴾ بمعنى: الأطفال ﴿الَّذِينَ لَم يَظْهَرُوا﴾: يطّلعوا ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّساءِ﴾ للجماع، فيجوز أن يُبدِينَ لهم ما عدا ما بين السرّة والركبة، ﴿ولا يَضرِبْنَ بِأرجُلِهِنَّ لِيُعلَمَ ما يُخفِينَ مِن زِينتِهِنَّ﴾ من خَلخال يَتَقعقعُ..........

قولُه: (الكَافِرَاتُ) قَالَ القاضِي: لأنَّهُنَّ لا يتحرَّجْنَ عن وَصفِهِنَّ للرِّجالِ، أو المرادُ: النِّساءُ كُلُّهنَّ، وللعُلماءِ في ذلك خِلافٌ[١].

وفي «المَدارِكِ» أي: الحرائرُ؛ لأنَّ مُطلقَ هذا اللفظِ يَتناولُ الحرائرَ[٢].

قلت: ولمُقابلةِ ما بَعدهُ.

قولُه: (العَبِيْدَ) وعِندنا: لا يحِلُّ لعبدِها أن يَنظرَ إلى هذه المَواضِعِ منها، خَصيًّا كان أو فَحْلاً[٣].

قولُه: (والنَّصْبَ) شَاميٌّ وشُعبةُ[٤].

قولُه: (استِثْنَاءً) أو حالٌ، أو ﴿مِنَ الرِّجالِ﴾ حال.

قولُه: (بأَنْ لم يَنتَشِرْ) في «المَدارِكِ» قيل: هُم الَّذين يتبعونكُم ليُصيبُوا من فَضلِ طعامِكُم، ولا حاجَةَ لهم إلى النِّساءِ[٥]. وهو الوَجْه.

قولُه: (بِمَعَنَى: الأَطْفَالِ) يعني: ﴿الطِّفلِ﴾ جنسٌ وُضِعَ مَوضِعَ الجَمعِ اكتفاءً بدَلالةِ الوَّصفِ.

قولُه: (يَتَقَعْقَعُ) يَتصوَّتُ، فيُعلمَ أنَّها ذاتُ خَلخالٍ، فإنَّ ذلك يورِثُ مَيلاً في الرِّجالِ، وهو أبلغُ مِن النَّهي عن إظهارِ الزِّينةِ، وأدلُّ على المنعِ من رَفعِ الصَّوتِ، كذا قالَه القَاضي[٦]، وفي «المَدارِكِ»: إذ[٧] سماعُ صَوتِ الزِّينةِ كإظهارِها[٨].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٥).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٠١).

(٣) انظر: «الهداية» (٤/ ٣٧٢).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٦).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٠١).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٥).

(٧) في (م): «أن».

(٨) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٠١).

﴿وتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا ـ أَيُّها المُؤمِنُونَ﴾ ممّا وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره ـ ﴿لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تنجُون من ذلك بقَبول التوبة منه. وفي الآية تغليب الذكور على الإناث.

٣٢ ـ ﴿وأنكِحُوا الأيامَى مِنكُم﴾: جمع أَيِّم ـ وهي مَن ليس لها زوج بكرًا كانت أو ثيّبًا، ومَن ليس له زوج. وهذا في الأحرار والحرائر ـ ﴿والصّالِحِينَ﴾ أي: المؤمنين ﴿مِن عِبادِكُم وإمائكُم﴾ ـ وعِباد من جُموع عبْد. ﴿إن يَكُونُوا﴾ أي: الأحرارُ ﴿فُقَراءَ يُغنِهِم اللهُ﴾ بالتزوّج ﴿مِن فَضلِهِ. واللهُ واسِعٌ﴾ لخلقه ﴿عَلِيمٌ﴾ بهم ـ ٣٣ ـ ﴿ولْيَستَعفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكاحًا﴾ أي: ما يَنكحون به من مَهر ونفقة عن الزنى ﴿حَتَّى يُغنِيَهُمُ اللهُ﴾: يُوسِعَ عليهم ﴿مِن فَضلِهِ﴾، فيَنكِحون.

﴿والَّذِينَ يَبتَغُونَ الكِتابَ﴾ بمعنى: المُكاتبة ﴿مِمّا مَلَكَتْ أيمانُكُم﴾ ....

قولُه: (ومِنْ غَيرِهِ) أي: من غَيرِ النَّظرِ، إذ لا يَكادُ يَخلو أحدٌ منكم مِن تَفريطٍ، سيَّما في الكَفِّ عن الشَّهواتِ.

قولُه: (مِن ذَلِكَ) أي: ممَّا وَقعَ.

قولُه: (لقَبُولِ التَّوبَةِ) فيه: أنَّ التَّوبةَ إذا تَحقَّقت لا يُشَكُّ في قَبولِها؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ [الشورى: ٢٥]، فلا يكونُ تحتَ الرَّجاءِ، وقد تقدَّمَ هذا المَبحثُ[١]، فالأَولى أن يُقالَ: لعلَّكم تفوزونَ بسعادةِ الدَّارينِ، اللَّهمَ إلَّا أن يُقالَ: (لعلَّ) بمعنى: لكي، أو الرَّجاءُ بقَبولِ التَّوبةِ هو الرَّجاءُ بتحقُّقِها، فالشَّكُّ في ثُبوتِها لا في قبولِها، وظاهرُ الآيةِ يَدلُّ على أنَّ العِصيانَ لا ينافي الإيمانَ.

قولُه: (جَمْعُ: أَيِّمٍ) فيعِلٍ، والأيامى مَقلوبُ: أيايِمَ[٢].

قولُه: (وهَذَا) أي: الحُكْمُ؛ بقَرينَةِ ما بَعدَه.

قولُه: (أي: المُؤمِنِينَ) أو الخَيِّرينَ؛ لأنَّ إحصانَ دينِهِم أهمُّ، والأمرُ للنَّدبِ.

قولُه: (بالتَّزَوُّجِ) كما يُفْقِرُ بالزِّنا.

قولُه: (لخَلْقِهِ) بالعَطاءِ، لا تَنفَدُ نعمتُهُ، إذ لا تَنتَهي قُدرَتُه.

قولُه: (بِهِم) يبسُطُ الرِّزقَ ويَقدِرُ على ما تَقتضيهِ حِكمتُهُ.

قولُه: (مَا يَنْكِحُونَ) أو: أسبابَ النِّكاحِ.

قولُه: (عَنِ الزِّنَا) مُتعلِّقٌ بـ﴿يَستعْفِف﴾؛ أي: ليَجتهِد في العِفَّةِ وقَمعِ الشَّهوةِ.

قولُه: (بمَعْنَى المُكَاتَبَةِ) كالعِتابِ بمعنى المُعاتَبةِ.

---

(١) في (م): «البحث».

(٢) انظر: «تاج العروس» (٣١/ ٢٥٥).

من العبيد والإماء ﴿فكاتِبُوهُم، إن عَلِمتُم فِيهِم خَيرًا﴾ أي: أمانة وقُدرة على الكسب لأداء مال الكِتابة ـ وصيغتُها مثلاً: كاتبتُك على ألفينِ في شهرين، كُلَّ شهر ألف. فإذا أدّيتَها فأنت حُرّ. فيقول: قبلتُ ذلك ـ ﴿وآتُوهُم﴾ أمرٌ للسادة ﴿مِن مالِ اللهِ الَّذِي آتاكُم﴾ ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم. وفي معنى الإيتاء حطُّ شيء ممّا التزموه.

﴿ولا تُكرِهُوا فَتَياتِكُم﴾ أي: إماءكم ﴿علَى البِغاءِ﴾ أي: الزنى، ﴿إن أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾: تعفّفًا عنه ـ وهذه الإرادة محلّ الإكراه فلا مفهوم للشرط ـ ....

قولُه: (أي: أَمَانَةً) والأمرُ فيه للنَّدبِ عندَ أكثرِ العُلماءِ.

قولُه: (فِي شَهْرَينِ) إشارةٌ إلى أقلِّ النُّجومِ في مذهَبِ الشَّافِعيِّ[1]، وجازَ عندَنا ولو حالاً؛ للإطلاقِ[2].

قولُه: (أَمْرٌ للسَّادَةِ) قال القَاضِي: وهو للوجوبِ عندَ الأكثَرِ، ويَكفِي أقلُّ ما يُتَموَّل ـ يعني: ما يُسمَّى مالاً بأن يَكونَ عِوضاً أو ثَمناً ـ وعن عَليٍّ: «يَحُطُّ الرُّبعَ»[3]، وعن ابنِ عبَّاسٍ: «الثُّلُثَ»[4].

وفي «المَدارِك»: أَمرٌ لعامَّةِ المسلمينَ على وجهِ الوجوبِ بإعانَةِ المكاتَبينَ، وإعطاءِ سَهْمِهم من الزَّكاةِ، وما وردَ مِن الحَطِّ فمَحمولٌ على النَّدبِ[5].

قولُه: (أي: إِمَاءَكُم) تكتبُ بلا مركَزٍ.

قولُه: (مَحَلُّ الإِكْرَاهِ) يعني: أنَّه شَرطٌ للإكراهِ، فإنَّه لا يُوجَدُ دُونَه، فيكونُ تَقريراً.

قولُه: (فلا مَفهُومَ) بل تَعريضٌ وتَشنيعٌ لمَواليهِنَّ؛ أي: إذا رَغِبنَ بالتَّحَصُّنِ فأنتُم أحقُّ بذلك، أو لأنَّها نَزلَت على سَببٍ[6]، فوقَعَ النَّهيُ على تلكَ الصِّفةِ، وهذا هو المُلائِمُ لما بَعده.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (١٨/ ١٤٩).

(٢) انظر: «الهداية» (٣/ ٢٥٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢٠٣٨)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٧١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٥٠٩) عن علي موقوفاً. ورواه النسائي في «السنن الكبرى» (٥٠١٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٥٠٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٠٠١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٠١) وصححه، من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً.
ورفعه منكر كما ذكر ابن كثير عند هذه الآية، قال: والأشبه أنه موقوف على علي.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٦). وذكر التحديد بالثلث أيضاً عن ابن عباس: السمعاني في «تفسيره» (٣/ ٥٢٨)، والبغوي في «تفسيره» (٣/ ٤١٣)، ولم أجده مسندا، لكن روى الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢١٦٧٥) عنه قوله: « ضعوا عنهم من مكاتبتهم»، دون تحديد.

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٠٣).

(٦) رواه مسلم (٣٠٢٩) عن جابر رضي الله عنه: أن جارية لعبد الله بن أبي ابن سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، =

﴿لِتَبتَغُوا﴾ بالإكراه ﴿عَرَضَ الحَياةِ الدُّنيا﴾. نزلتْ في عبدالله بن أُبيٍّ، كان يُكرِهُ جواريَ له على الكسب بالزنى. ﴿ومَن يُكرِههُّنَّ فإنَّ اللهَ مِن بَعدِ إكراهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهنّ ﴿رَحِيمٌ﴾ بهنّ.

٣٤ ـ ﴿ولَقَد أنزَلْنا إلَيكُم آياتٍ مُبيَّناتٍ﴾ ـ بفتح الياء وكسرها ـ في هذه السورة بُيِّن فيها ما ذُكر أو بيَّنته، ﴿ومَثَلاً﴾: خبرًا عجيبًا وهو خبر عائشة ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلِكُم﴾ أي: من جِنس أمثالهم أي: أخبارهم العجيبة كخبر يُوسفَ ومريمَ ﴿ومَوعِظَةً لِلمُتَّقِينَ﴾، في قوله تعالى «ولا تأخُذكُم بِهِما رأفةٌ في دِينِ اللهِ»، «لَولا إذْ سَمِعتُمُوهُ ظَنَّ المُؤمِنونَ» إلى آخره، «ولَولا إذْ سَمِعتُمُوهُ قُلتُم» إلى آخره، «يَعِظُكُمُ اللهُ أن تَعُودُوا» إلى آخره. وتخصيصها بالمتّقين لأنهم المنتفعون بها.

٣٥ ـ ﴿اللهُ نُورُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: مُنوِّرُهما بالشمس والقمر. ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ أي: صِفتُهُ في قلب المؤمن ﴿كَمِشكاةٍ فِيها مِصباحٌ، المِصباحُ في زُجاجةٍ﴾..........................

قولُه: (لَهُنَّ) وقُرِئَ به[1]، ولعلَّ الإكراهَ كانَ دُونَ ما اعتبرَتْهُ الشَّريعةُ ـ وهو الَّذي يُخافُ منه التَّلفُ ـ فكانَت آثِمةً، أو: لهمْ إذا تابوا، أو: إن شاءَ.

قولُه: (وكَسْرِهَا) شاميٌّ وحَفصٌ وحَمزةُ والكِسائيُّ[2].

قولُه: (مَا ذُكِرَ) من الأحكامِ والحُدودِ.

قولُه: (أي: مُنَوِّرُهُمَا) وقُرِئَ به[3].

قولُهُ: (بالشَّمْسِ والقَمَرِ) أو بالملائكةِ والأنبياءِ، وقيلَ: هادي مَن فيهما فَهُم بنورِه يهتَدونَ، أو مُدَبِّرُهُما أو موجِدُهُما، وقال الجُنَيدُ: مُنوِّرُ قُلوبِ من فيهما من الملائكةِ والأنبياءِ والمؤمنينَ[4].

قولُه: (أي: صِفَتُه) العَجيبَةُ الشَّأنِ، وقالَ سُفيانُ: مَثَلُ نورِ القُرآن، وقالَ سَهلٌ: مَثلُ نورِ مُحمَّدٍ ﷺ[5].

قولُه: (فِي قَلْبِ المُؤمِنِ) وقُرِئَ به[6]،..........................

= فكان يكرههما على الزنا، فشكتا ذلك إلى النبي ﷺ، فأنزل الله: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ إلى قوله: ﴿غفور رحيم﴾.

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «المحتسب» (٢/ ١٠٨) ونسبت لابن عباس وسعيد بن جبير.

(٢) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٤٩٨).

(٣) جاء في قراءة شاذة: (الله نوَّر) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٤٢) ونسبت لزيد بن علي.

(٤) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٤٦).

(٥) انظر: «حقائق التأويل» للسلمي (٢/ ٤٥).

(٦) أي: (مثل نوره في قلب المؤمن) وهي قراءة شاذة، انظر: «تفسير السمعاني» (٣/ ٥٢٩)، و«معالم التنزيل» (٣/ ٤١٥) ونسبت لابن مسعود رضي الله عنه.

هي القِنديل - والمِصباح: السِّراج أي: الفتيلةُ الموقودة، والمِشكاة: الطاقة غير النافذة أي: الأُنبوبة في القِنديل - ﴿الزُّجاجةُ كَأَنَّها﴾ والنورُ فيها ﴿كَوكَبٌ دِرِّيءٌ﴾ أي: مُضِيءٌ - بكسر الدال وضمِّها: من الدَّرْء بمعنى الدّفع لدفعه الظلامَ، وبضمّها وتشديد الياء: منسوب إلى الدُّرّ: اللؤلؤ - ﴿تَوَقَّدَ﴾ المِصباحُ بالماضي، وفي قراءة بمضارع «أوقَدَ» مبنيًّا للمفعول بالتحتانيّة، وفي أُخرى بالفَوقانيّة، أي: الزجاجةُ، ﴿مِن﴾..

وقالَ ابنُ عبَّاسٍ: مَثَلُ نورِ اللهِ الَّذي هَدى به المُؤمِنَ[١].

قولُه: (هِيَ القِنْدِيلُ) من الزُّجاجِ.

قولُه: (السِّرَاجُ) الضَّخمُ الثَّاقِبُ، وقيلَ: الفَتيلةُ المُشتَعِلةُ.

قولُه: (أي: الأُنبُوْبَةُ) الظَّاهرُ: أو؛ لأنَّه قيلَ[٢].

قولُه: (فِي القِنْدِيْلِ) أي: وَسطَه.

قولُه: (بكَسْرِ الدَّالِ) بَصريٌّ وكِسائيٌّ[٣].

قولُه: (وضَمِّهَا) شُعبةُ وحمزَةُ[٤].

قولُه: (مِنَ الدَّرْءِ) مُتعلِّقٌ بالقِراءتَينِ فيهِما بالهَمزِ.

قولُه: (لدَفْعِهِ) كأنَّه يَدفعُ الظَّلامَ بضَوئِهِ.

قولُه: (الدُّرِّ) لفَرطِ ضيائِهِ وصَفائِهِ، شَبَّهَهُ في زُهرَتِه بأحدِ الكَواكِبِ الدَّرارِي كالمُشتَرِي والزُّهرةِ.

قولُه: (بالمَاضِي) مَكِّيٌّ وبَصريٌّ[٥].

قولُه: (بالتَّحْتَانِيَّةِ) نافِعٌ وشاميٌّ وحَفصٌ[٦].

قولُه: (أي: الزُّجَاجَةُ) أي: مِصباحُها.

---

(١) لم أقف عليه هكذا، وروى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٧٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٩٤) (١٤٥٥٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٣٦) عنه أنه قال: مثل هداه في قلب المؤمن..

(٢) أي: قيل: المشكاةُ: الأنبوبةُ في وسطِ القِنديلِ، والمصباحُ: الفَتيلَةُ المُشتَعِلَةُ. انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٩٩).

(٤) انظر المصدرين السابقين.

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٠).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٠).

زيتِ ﴿شَجَرةٍ مُبارَكَةٍ زَيتُونةٍ، لا شَرقِيّةٍ ولا غَربِيّةٍ﴾ بل بينَهما، فلا يتمكّن منها حرّ ولا برد مُضِرَّين، ﴿يَكادُ زَيتُها يُضِيءُ، ولَو لَم تَمسَسْهُ نارٌ﴾ لِصَفائه. ﴿نُورٌ﴾ به ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بالنار، ونورُ الله أي: هُداه للمؤمن نُورٌ على نُور الإيمان، ....

قولُه: (زَيْت) أي: ابتِداءُ ثُقوبِ المصباحِ من زَيتِ شَجرةِ الزَّيتونِ المُتكاثرِ نَفعُه، أو لأنَّها تنبُتُ في الأرضِ المباركَةِ، وقيل: باركَ فيها سَبعونَ نَبيًّا، منهم: إبراهيمُ، وفي الحديثِ: «كُلُوا الزَّيتَ وادَّهِنُوا به، فإنَّهُ مِن شَجَرةٍ مُباركةٍ»[1] بأن رُوِّيت فَتيلتُهُ بزَيتِها.

قولُه: (مُضِرَّانِ) يعني: لا في مَضحًى تُشرِقُ الشَّمسُ عليها دائماً فتُحرِقُها، أو في مَقناةٍ تَغيبُ عنها دائماً فتترُكَها نِيئًا.

قوله: (بالنَّارِ) أي: نورٌ مُتضاعِفٌ، فإنَّ نورَ المِصباحِ زادَ في إنارَتِه صَفاءُ الزَّيتِ، وزهرَةُ القِنديلِ، وضَبطُ المِشكاةِ لأشِعَّتِه.

قولُه: (أي: هُدَاهُ) الَّذي دلَّت عليه الآياتُ المُبيِّناتُ، أو: ما نوَّرَ اللهُ به قَلبَ المؤمنِ من المعارفِ والعُلومِ.

قولُه: (للمُؤمِنِ) وقُرِئَ: (مَثَلَ نُورِ الْمُؤمنِ)[2]، وفيه احتِمالانِ: كما في حَديثِ: «المؤمِنُ مِرآةُ المؤمِنِ»[3].

---

(١) رواه الترمذي (١٨٥٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٦٦٩)، وأحمد في «مسنده» (١٦٠٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٠٤) وصححه، من حديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. قلت: فيه عطاء الشامي ذكر الحافظ ابن حجر في «التهذيب» عن البخاري عن سفيان: أنه لم يُقم حديثه. وقال ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٠٠٤): عطاء الشامي ليس بمعروف.

وللحديث شاهد أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٦٨)، ومن طريقه الترمذي عقب الحديث (١٨٥١) عن معمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن النبي ﷺ، مرسلاً. قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق عن معمر، وكان عبد الرزاق يضطرب في رواية هذا الحديث، فربما ذكر فيه عن عمر، عن النبي ﷺ، وربما رواه على الشك، فقال: أحسبه عن عمر، عن النبي ﷺ، وربما قال: عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن النبي ﷺ، مرسلاً.

وقد صوب ابن معين أنه معضل، فقال في «تاريخه» (٥٩٥) برواية الدوري: حدث معمر عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا الزيت وادهنوا به»، ثم قال: ليس هو بشيء، إنما هو عن زيد مرسلاً، يعني بالمرسلِ المنقطعَ، ويُراد به في هذه الرواية الإعضال.

وشاهد آخر لا يفرح به رواه ابن ماجه (٣٣٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقبُري. قال عنه الحافظ ابن حجر في «التقريب»: متروك.

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٤٢) ونسبت لأبي رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو داود (٤٩١٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٩)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (٩٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٦٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال ابن حجر في «بلوغ المرام» (١٥٣٥): رواه أبو داود بإسناد حسن.

﴿يَهدِي اللهُ لِنُورِهِ﴾ أي: دِينِ الإسلام ﴿مَن يَشاءُ، ويَضرِبُ﴾: يُبيّنُ ﴿اللهُ الأمثالَ لِلنّاسِ﴾ تقريبًا لأفهامهم ليعتبروا فيؤمنوا. ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾، منه ضربُ الأمثال.

٣٦ ـ ﴿في بُيُوتٍ﴾: مُتعلّق بـ «يُسبّحُ» الآتي، ﴿أَذِنَ اللهُ أن تُرفَعَ﴾: تُعظّم ﴿ويُذكَرَ فِيها اسمُهُ﴾ بتوحيده، ﴿يُسبِّحُ﴾ ـ بفتحِ المُوحَّدة وكسرِها ـ أي: يُصلّى ﴿لَهُ فِيها بِالغُدُوِّ﴾: مصدرٌ بمعنى: الغُدُوات أي: البُكَر ﴿والآصالِ﴾: العشايا من بعد الزوال ٣٧ ـ ﴿رِجالٌ﴾: فاعلُ «يسبِّح» بكسر الباء، وعلى فتحها نائبُ الفاعل «له» ورجالٌ: فاعلُ فعلٍ مُقدّر جوابِ سؤال مُقدّر، كأنه قيل: مَن يُسبِّحُه؟ ﴿لا تُلهِيهِم تِجارةٌ﴾ أي: شِراء ﴿ولا بَيعٌ عَن ذِكرِ اللهِ وإقامِ الصَّلاةِ﴾..........

قولُه: (أي: دِيْنِ الإسلامِ) أو: لهذا النُّورِ الثَّاقِبِ.

قولُه: (﴿مَن يَشاءُ﴾) فإنَّ الأسبابَ دُونَ مَشيئَتِه لاغيةٌ، إذ بها تَمامُها.

قولُه: (تَقرِيباً) وإِدْناءً للمَعقولِ من المحسوسِ تَوضيحاً وبَياناً.

قولُه: (بِـ﴿يُسَبِّحُ﴾ الآتِي) يعني: لا المقدَّرِ، وفيها تكريرٌ مُؤكِّد، والمرادُ بها: المساجِدُ؛ لأنَّ الصِّفةَ تُلائمُها.

قولُه: (تُعَظَّمَ) أو: تُبنى، وقيل: تُرفَعُ فيها الحوائجُ إلى الله تعالى.

قولُه: (بتَوحِيدِهِ) بل عامٌّ فيما يتضمَّنُ ذِكرُه مَعنى المذاكَرةِ في أفعالِهِ والمباحثَةِ في أحكامِهِ.

قولُه: (بفَتحِ المُوَحَّدَةِ) شاميٌّ وشُعبةُ[1].

قولُه: (أي: يُصَلَّى) أو: يُنَزَّه.

قولُه: (بمَعنَى الغَدَوَاتِ) ولذلك حَسُنَ اقتِرانُهُ بالآصالِ، وهو جَمعُ أصيلٍ، أو وُحِّدَ لأنَّ صلاتَهُ واحِدةٌ وهي الفجرُ، والآصالُ صلاةُ الظُّهرِ والعَصرِ والعِشاءَينِ.

قولُه: (لَهُ) أو: فيها، أو: بالغُدوِّ.

قولُه: (مُقَدَّرٍ) هو: «يَسَبِّحُ» بالكسرِ يدلُّ عليه ﴿يُسبَّحُ﴾ بالفتحِ[2].

قولُه: (أي: شِرَاءٌ) إطلاقاً لاسمِ الجِنْسِ على النَّوعِ، أو: ﴿تجارَةٌ﴾ في السَّفرِ ﴿ولا بَيْعٌ﴾ في الحَضَرِ.

وقولُهُ تعالى: (﴿عن ذكر الله﴾) أي: باللِّسانِ والقَلبِ، والمعنى: لا تجارةَ لهم حتى تُلهيهم؛ كأولياءِ العُزلَةِ، أو يبيعونَ ويَشتَرونَ ويَذكرونَ اللهَ مع ذلك؛ كأولياءِ العِشْرةِ، قال قُطبُ العارِفينَ خَواجَة بهاءُ الدِّينِ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠١).

(٢) قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكر: (يسبَّح) بفتح الباء. «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٦).

ـ حذفُ هاء «إقامة» تخفيفٌ ـ ﴿وإيتاءِ الزَّكاةِ، يَخافُونَ يَومًا تَتَقَلَّبُ﴾: تضطرب ﴿فِيهِ القُلُوبُ والأبصارُ﴾ من الخوف ـ القلوبُ بين النجاة والهلاك، والأبصارُ بين ناحيتَي اليمين والشِّمال ـ وهو يوم القيامة، ٣٨ ـ ﴿لِيَجزيَهُمُ اللهُ أحسَنَ ما عَمِلُوا﴾ أي: ثوابَه ـ وأحسنُ بمعنى: حَسَن ـ ﴿ويَزِيدَهُم مِن فَضلِهِ. واللهُ يَرزُقُ مَن يَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ﴾. يقال: فُلان يُنفق بغير حساب، أي: يُوسع كأنه لا يَحسُب ما يُنفقه.

٣٩ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا أعمالُهُم كَسَرابٍ بِقِيعةٍ﴾: جمع قاع أي: في فلاة ـ وهو شُعاع يُرى فيها نصفَ النهار في شِدّة الحرّ، يُشبِهُ الماء الجاري ـ ﴿يَحسِبُهُ﴾: يظنّه ﴿الظَّمآنُ﴾ أي: العطشان ﴿ماءً ـ حَتَّى إذا جاءَهُ لَم يَجِدْهُ شَيئًا﴾ ممّا حسِبه، كذلك الكافر يحسب أنّ عمله كصدقة ينفعه. حتّى إذا مات وقدِم على ربّه لم يجد عمله، أي: لم ينفعه، ﴿ووَجَدَ اللهَ عِندَهُ﴾ أي: عِند عمله، ....

رئيسُ النَّقشبَنديين: رأيتُ أيَّامَ حَجِّي غَريبَين: أحدُهُما شابٌّ باعَ واشترَى في سوقِ مِنى أُلوفًا، وما غَفَلَ عن اللهِ ساعةً، والثَّاني: شيخٌ كبيرٌ مُتَشَبِّثٌ بالملتزَمِ غافِلٌ عن المولى يَطلبُ الدُّنيا.

قولُه: (تَضطَرِبُ) وتتغَيَّر.

قولُه: (مِنَ الخَوفِ) والهَولِ.

قولُه: (والشِّمَالِ) على هيئةِ الخائِفِ، أو: من أيِّ ناحيةٍ يُؤتى كتابُهُم، ويؤخَذُ بهم.

قولُه: (بمَعْنَى حُسْنَ) أو: أحسنَ جزاءِ ما عَمِلوا الموعودِ لهم مِن الجنَّةِ، واللَّامُ مُتعلِّقٌ بـ﴿يُسَبِّحُ﴾ أو ﴿يخافُونَ﴾، وهوَ الأقرَبُ، أو لامُ العاقِبَةِ.

قولُه: (لا يَحْسُبُ) بضمِّ السينِ، مضارِعُ حَسَبَ بالفتحِ بمعنى: عَدَّ.

قولُه: (وهُوَ) أي: السَّرابُ.

قولُه: (فِيهَا) أي: الفَلاةُ، وهي الصَّحراءُ.

قولُه: (يَظنُّهُ) بفتحِ السِّينِ شاميٌّ وعاصمٌ وحمزَةُ، والباقونَ بالكَسرِ[1].

قولُه: (أي: العَطْشَانُ) وتخصيصُهُ لتَشبيهِ الكافرِ به في شدَّةِ الخَيبةِ عندَ مَسيسِ الحاجَةِ.

وقولُهُ تعالى: (﴿حتَّى إذا جاءه﴾) أي: ما توهَّمهُ ماءً، أو: مَوضِعَه.

قولُه: (يَنْفَعُهُ) بالتَّذكيرِ، خَبرُ (أنَّ)، و(كصِدْقةٍ) مُعترِضَةٍ.

قولُه: (أي: عِنْدَ عَمَلِهِ) أو: وجَدَ عِقابَهُ، أو زَبانيَتَهُ، أو: وجدَهُ مُحاسِباً إيَّاه، أو: وجدَ جَزاءَ اللهِ عندَهُ؛ أي: عِندَ الكافرِ، وحَّدَ بعدَ تقدُّمِ الجمعِ حَملاً على كُلِّ واحدٍ من الكُفَّارِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٩١).

﴿فوَفّاهُ حِسابَهُ﴾ أي: جازاه عليه في الدنيا. ﴿واللهُ سَرِيعُ الحِسابِ﴾ أي: المُجازاة ـ ٤٠ ـ ﴿أو﴾ الذين كفروا أعمالهم السيّئة ﴿كَظُلُماتٍ في بَحرٍ لُجِّيٍّ﴾: عميق، ﴿يَغشاهُ مَوجٌ مِن فَوقِهِ﴾ أي: الموج ﴿مَوجٌ، مِن فَوقِهِ﴾ أي: الموجِ الثاني ﴿سَحابٌ﴾ أي: غيم. هذه ﴿ظُلُماتٌ بَعضُها فوقَ بَعضٍ﴾: ظُلمةُ البحر، وظُلمةُ الموج الأوّل، وظُلمةُ الثاني، وظُلمةُ السحاب، ﴿إذا أخرَجَ﴾ الناظر ﴿يَدَهُ﴾ في هذه الظلمات ﴿لَم يَكَدْ يَراها﴾ أي: لم يقرُب من رؤيتها. ﴿ومَن لَم يَجعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فما لَهُ مِن نُورٍ﴾ أي: مَن لم يَهدِه اللهُ لم يَهتدِ.

٤١ ـ ﴿أَلَم تَرَ أنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾، ومن التسبيح صلاةٌ، ﴿والطَّيرُ﴾:.....

قولُه: (فِي الدُّنْيَا) أو في العُقبى، وهو الظَّاهرُ.

قولُه: (الَّذِينَ كَفَرُوا) عَطفٌ على: ﴿كَسَرابٍ﴾، و﴿أو﴾ للتَّخييرِ، أو للتَّنويعِ، أو للتَّقسيمِ باعتبارِ وَقتَي الدُّنيا والآخِرةِ.

قولُه: (هذِهِ) يَعني: ﴿ظُلُماتٌ﴾ مرفوعٌ بالخبريّةِ لمبتَدأٍ مُقدَّرٍ هو هي، وقرأ ابنُ كثيرٍ: (ظُلُماتٍ) بالجرِّ مُنوَّنةً بروايةِ قُنْبُلٍ على إبدالِها من الأولى، وبإضافةِ السَّحابِ إليها في روايةِ البَزِّي[1].

قولُه: (النَّاظِرُ) قالَ القاضي: الضَّمائرُ للواقِعِ في البَحرِ وإن لم يجرِ ذِكرُه؛ لدلالَةِ المعنى عليه[2].

قولُه: (لَم يَقرُبْ) فَضلاً أن يَراها وهي أقرَبُ ما يُرى إليه.

قولُه: (لَمْ يَهتَدِ) والأظهَرُ: مَن لم يُقدِّرْ له الهدايَةَ، ولم يُوفِّقْهُ لأسبابِها، فما له من نورٍ، خلافَ الموفَّقِ الَّذي له نورٌ على نورٍ، وفي الحديثِ: «إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ في ظُلْمَةٍ ثُمَّ رَشَّ عَلَيهِم مِن نُورِه، فمَنْ أصابَهُ مِن ذَلكَ النُّورِ اهتدَى، ومَن أخطَأَهُ فَقد ضَلَّ»[3].

قولُه تعالى: (﴿ألم تر﴾) أي: ألم تَعلمْ عِلماً يقومُ مَقامَ العيانِ في الإتيانِ.

قولُه: (ومِنَ التَّسبِيحِ صَلَاةٌ) أي: بعضُ التَّسبيحِ ـ وهو تسبيحُ البَعضِ، كبَعْضِ الملائكَةِ والمؤمنينَ ـ صَلاةٌ، والباقي من التَّسبيحِ من باقي المسبِّحينَ تنزيهٌ أو انقيادٌ، وهو جمعٌ بين الحقيقةِ والمجازِ، ولا يجوزُ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٠٩).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٤٢)، وأحمد في «مسنده» (٦٦٤٤)، والطيالسي في «مسنده» (٢٤٠٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٢)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٢١٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٣٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٤): رواه أحمد بإسنادين والبزار والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات.

جمع طائر بين السماء والأرض ﴿صافّاتٍ﴾: حالٌ، باسطاتٍ أجنحتَهن، ﴿كُلٌّ قَد عَلِمَ﴾ اللهُ ﴿صَلاتَهُ وتَسبِيحَهُ. واللهُ عَلِيمٌ بِما يَفعَلُونَ﴾. فيه تغليب العاقل، ٤٢ ـ ﴿ولِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: خزائنِ المطر والرزق والنبات ﴿وإلَى اللهِ المَصِيرُ﴾: المَرجِعُ.

٤٣ ـ ﴿أَلَم تَرَ أَنَّ اللهَ يُزجِي سَحابًا﴾: يسوقُه برِفق، ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَينَهُ﴾: يضمّ بعضَه إلى بعض، فيجعل القِطع المُتفرّقة قِطعة واحدة، ﴿ثُمَّ يَجعَلُهُ رُكامًا﴾: بعضَه فوق بعض ـ ﴿فتَرَى الوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخرُجُ مِن خِلالِهِ﴾: مَخارجِه ـ ﴿ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿جِبالٍ فِيها﴾: في السماء، بدلٌ بإعادة الجارّ، ﴿مِن بَرَدٍ﴾..........................

عندَنا إلا إذا حُمِلَ على عُمومِ المجازِ، وهو الانقيادُ الشَّاملُ للتَّسبيحِ الجَناني الَّذي هو التَّنزيهُ، واللِّسانيِّ وهو قولُكَ: سُبحانَ اللهِ، والأركانيُّ وهو الصَّلاةُ.

قولُه: (جَمْعُ طَائِرٍ) وقد يَقعُ على الواحِدِ، عَطفٌ على: ﴿مَن﴾.

قولُه: (بَيْنَ) ظَرفٌ لما بَعدَه.

قولُهُ تعالى: (﴿كُلٌّ﴾) أي: كُلُّ واحِدٍ ممَّا ذُكِر، أو من الطَّيرِ.

قولُه: (اللهُ) أي: قد عَلِمَ اللهُ دُعاءَهُ وتنزيهَهُ اختياراً بلسانِ القالِ، أو طَبعاً بلسانِ الحالِ، وفي «المَدارِكِ»: الضَّميرُ في ﴿عَلِمَ﴾ لـ﴿كُلٌّ﴾ أو للهِ، وكذا في ﴿صلاته وتسبيحه﴾، والصَّلاةُ: الدُّعاءُ، ولا يبعُدُ أن يُلهِمَ اللهُ الطَّيرَ دُعاءَهُ وتسبيحَهُ[1] كما ألهَمَها عُلوماً دَقيقةً في أسبابِ تعيُّشِها لا يكادُ يَهتَدي إليها العُقلاءُ[2].

قولُه: (المَرْجِعُ) أي: مَرجِعُ الجميعِ.

قولُه: (يَضُمُّ) فيصِحُّ ﴿بَينَه﴾، إذ المَعنى: بينَ أجزائِهِ.

قولُه: (بَعْضَهُ) أي: مُتَراكِماً.

قولُه: (مَخَارِجِهِ) وفُتوقِهِ.

قولُه تعالى: (﴿مِن السَّماء﴾) لابتداءِ الغايَةِ؛ لأنَّ ابتداءَ الإنزالِ من السَّماءِ، والمشْهورُ عن السَّلفِ أنَّ المرادَ بالسَّماءِ: المُظلَّةُ، وفيها جبالٌ من بَرَدٍ كما في الأرضِ جبالٌ من حَجَرٍ.

قولُه: (زَائِدَةٌ) أو تبعيضيَّةٌ؛ لأنَّ ما ينزلُهُ اللهُ بَعضُ تلك الجبالِ الَّتي في السَّماءِ، فيكونُ مفعولاً.

---

(١) بعدها في النسخ: «وطيرها» والظاهر أنها مقحمة، وليست في المصدر.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥١٠).

أي: بعضَه، ﴿فيُصِيبُ بِهِ مَن يَشاءُ، ويَصرِفُهُ عَمَّن يَشاءُ، يَكادُ﴾: يقرُب ﴿سَنا بَرقِهِ﴾: لَمَعانُه ﴿يَذهَبُ بِالأبصارِ﴾ الناظرةِ له أي: يَخطَفُها.

٤٤ ـ ﴿يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيلَ والنَّهارَ﴾ أي: يأتي بكُلّ منهما بدلَ الآخَر ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ التقليبِ ﴿لَعِبرَةً﴾: دلالة ﴿لِأُولِي الأبصارِ﴾: لِأصحاب البصائر على قُدرة الله تعالى ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿واللهُ خَلَقَ كُلَّ دابَّةٍ﴾ أي: حيوانٍ ﴿مِن ماءٍ﴾ أي: نُطفة، ﴿فمِنهُم مَن يَمشِي علَى بَطنِهِ﴾ كالحيّات والهوامّ، ﴿ومِنهُم مَن يَمشِي علَى رِجلَينِ﴾ كالإنسان والطير، ﴿ومِنهُم مَن يَمشِي علَى أربَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام. ﴿يَخلُقُ اللهُ ما يَشاءُ. إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. لَقَد أنزَلْنا آياتٍ مُبَيِّناتٍ﴾.....................

قولُه: (أي: بَعْضَه) فهو مفعولُ: ﴿يُنَزِّلُ﴾، أو للبيانِ، والمفعولُ مُقدَّرٌ؛ أي: بَرَداً، وقيل: الأُولَيانِ للابتداءِ، والأخيرةُ[1] للتَّبعيضِ، ويؤيِّدُه ما في بعضِ النُّسَخِ بعدَ «في السَّماءِ»: «بَدلٌ بإعادَةِ الجارِّ»[2] لكن يُنافيهِ قولُه: (زَائِدَةٌ) مع أنَّها زيادةُ ضَررٍ في المعنى أيضاً؛ لأنَّها إذا كانت زائدةً يصيرُ التَّقديرُ: ويُنَزِّلُ من السَّماءِ جبالاً في السَّماءِ بعضَ بَردٍ على حِلِّهِ، ولا طائلَ تحتَهُ، فالصَّوابُ حذفُ (زَائِدَةٌ) وإثباتُ تلكَ النُّسخةِ.

قوله: (لَمَعَانُهُ) الضَّميرُ للبَرَدِ، وكذا فيما قَبلَهُ.

قولُه: (بَدَلَ الآخَرِ) أي: بالمعاقَبةِ بينَهُما، أو بنقصِ أحدِهما وزيادَةِ الآخَرِ، أو بتَغييرِ أحوالِهما بالحرِّ والبَردِ والظُّلمةِ والنُّورِ، أو بما يَعمُّ ذلك.

قولُه: (التَّقْلِيْبِ) أو فيما تقدَّمَ ذكرُهُ.

قولُه: (أي: حَيَوَانٍ) يَدِبُّ على الأرضِ، وحمزَةُ والكِسائيُّ: (خَالِقُ كُلِّ دَابةٍ) على الإضافَةِ[3].

قولُه: (أي: نُطْفَةٍ) أي: ماءٍ مخصُوصٍ هو النُّطفةُ، فيكونُ غَالِبيًّا، إذ بعضُ الحَيَواناتِ لا يَتولَّدُ من النُّطفَةِ، أو: من ماءٍ هو جُزءُ مادَّتِهِ.

قولُه: (كالحَيَّاتِ) وإنَّما سَمَّى الزَّحفَ مَشياً بالرِّجلِ على الاستعارَةِ للمُشاكَلةِ، وتذكيرُ الضَّميرِ لتَغليبِ العُقلاءِ.

قولُه: (والأَنْعَامِ) قُرِئَ: (ومِنهُم مِن يَمشِي على أكثَر)[4]، أو هذا معلومٌ ممَّا بَعدَه.

---

(١) في النسخ: «أو الأخيرة»، والصواب المثبت. انظر: «الكشاف» (٣/ ٢٤٦).

(٢) وهكذا هي في النسخ المعتمدة في المتن.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٢).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: «تفسير السمعاني» (٣/ ٥٤٠)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٩٢) ونسبت لأبي بن كعب رضي الله عنه.

أي: بيّناتٍ هي القُرآن، ﴿واللهُ يَهدِي مَن يَشاءُ إِلَى صِراطٍ﴾: طريقٍ ﴿مُستَقِيم﴾ أي: دِينِ الإسلام.

٤٧ ـ ﴿ويَقُولُونَ﴾ أي: المنافقون: ﴿آمَنَّا﴾: صدّقْنا ﴿بِاللهِ﴾: بتوحيده ﴿وبِالرَّسُولِ﴾ مُحمّد، ﴿وأطَعْنا﴾ هما فيما حكما به، ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾: يُعرِضُ ﴿فَرِيقٌ مِنهُم مِن بَعدِ ذلِكَ﴾ عنه، ﴿وما أُولئِكَ﴾ المُعرضون ﴿بِالمُؤمِنِينَ﴾ المعهودين المُوافقِ قُلوبُهم لِألسنتهم، ٤٨ ـ ﴿وإذا دُعُوا إِلَى اللهِ ورَسُولِهِ﴾ المُبلّغ عنه ﴿لِيَحكُمَ بَينَهُم إذا فَرِيقٌ مِنهُم مُعرِضُونَ﴾ عن المجيء إليه، ٤٩ ـ ﴿وإن يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يأتُوا إِلَيهِ مُذعِنِينَ﴾: مُسرعِين طائعين.

٥٠ ـ ﴿أفي قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: كُفر؟ ﴿أمِ ارتابُوا﴾ أي: شكّوا في نُبوّته؟ ﴿أم يَخافُونَ أن يَحِيفَ اللهُ عَلَيهِم ورَسُولُهُ﴾ في الحُكم أي: يُظلَموا فيه؟ لا ....

قولُه: (أي: بَيِّنَاتٍ) تقدَّمَ الوَجهانِ.

قولُه: (أي: المُنَافِقُونَ) نزلَتْ في بِشْرٍ المُنافقِ، خاصَمَ يَهوديًّا فدَعاهُ إلى كَعبِ بن الأشرَفِ، وهو يَدعوهُ إلى النَّبيِّ ﷺ[١].

قولُه: (عَنْهُ) أي: من بَعدِ قولِهم هذا عن قَبولِ حُكمِه.

قولُه: (المُعْرِضُونَ) إشارَةٌ إلى القائلينَ بأسرِهِم، أو إلى الفَريقِ منهم.

قولُه: (المَعْهُودِينَ) يعني: التَّعريفُ فيه للدَّلالَةِ على أنَّهُم ليسوا بالمؤمِنينَ الَّذين عَرَفْتَهُم، وهم المخلِصونَ في الإيمانِ الثَّابِتونَ عليه.

قولُهُ تعالى: (﴿إلى اللهِ﴾) أي: حُكمِه.

وقَولُه: (﴿لِيَحْكُمَ﴾) أي: النَّبيُّ، فإنَّه الحاكِمُ ظاهراً والمَدعوُّ إليه، وذِكرُ اللهِ لتَعظيمِه[٢]، والدَّلالَةِ على أنَّ حُكمَهُ في الحقيقةِ حُكْمُ اللهِ تعالى.

قولُه: (عَنِ المَجِيءِ إِلَيهِ) إذا كانَ الحقُّ عليهم لعِلْمِهِم بأنَّكَ لا تحكُمُ لهم.

قولُه: (كُفْرٌ) أو مَيلٌ إلى الظُّلمِ.

قولُه: (أي: فَيُظْلَمُوا) مَجهولٌ، وجعلُهُ بَدلاً من ﴿أَن يَحِيفَ﴾ بحسَبِ حاصلِ المعنى.

قولُه: (لا) راجعٌ إلى الأخيرِ لا إلى الكُلِّ؛ يعني: أنَّ الله قسَمَ الأمرَ في امتِناعِهِم عن حُكومَتِهِ إذا كانَ الحقُّ عليهِم بثلاثةِ أقسامٍ، ثمَّ أبطَلَ الأخيرَ بقولِه: ﴿بَل أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا يَخافونَ أن يحيفَ عليهم

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٩/ ٣٠٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٢٧).

(٢) أي: لتعظيم النبي ﷺ.

﴿بَل أُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض عنه. ٥١ ـ ﴿إنَّما كانَ قَولَ المُؤمِنِينَ، إذا دُعُوا إلَى اللهِ ورَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم﴾، أي: القولَ اللائق بهم ﴿أن يَقُولُوا: سَمِعْنا وأطَعْنا﴾ بالإجابة. ﴿وأُولئِكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الناجُون. ٥٢ ـ ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ، ويَخشَ اللهَ﴾: يخافُهُ ﴿ويَتَّقْهِ﴾ ـ بسكون الهاء وكسرها ـ بأن يُطيعه، ﴿فأُولئِكَ هُمُ الفائزُونَ﴾ بالجنّة.

٥٣ ـ ﴿وأقسَمُوا بِاللهِ جَهدَ أيمانِهِم﴾: غايتَها، ﴿لَئِنْ أمَرتَهُم﴾ بالجِهاد ﴿لَيَخرُجُنَّ. قُلْ﴾ لهم: ﴿لا تُقسِمُوا. طاعةٌ مَعرُوفةٌ﴾ للنبيّ خيرٌ من قسَمكم الذي لا تَصدُقون فيه. ﴿إنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومُخالفتكم بالفعل. ٥٤ ـ ﴿قُلْ: أطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ. فإن تَوَلَّوا﴾ عن طاعته ـ بحذف إحدى التاءين خطابٌ لهم ـ ﴿فإنَّما علَيهِ ما حُمِّلَ﴾ من التبليغ ﴿وعلَيكُم ما حُمِّلتُم﴾ من طاعته، ﴿وإن تُطِيعُوهُ تَهتَدُوا، وما علَى الرَّسُولِ إلاّ البَلاغُ المُبِينُ﴾ أي: التبليغُ البيِّن.

٥٥ ـ ﴿وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، لَيَستَخلِفَنَّهُم في الأرضِ﴾ بدلاً عن الكُفّار ﴿كَما استَخلَفَ﴾ ـ بالبناء للفاعل..........................

لمعرفَتِهم بحالِهِ، وإنَّما هم ظالِمونَ يُريدونَ أن يَظلِموا مَن له الحقُّ عليهم، وذلك شَيءٌ لا يستطيعونَهُ في مجلِسِ رَسولِ الله ﷺ، فمن ثَمَّ يأبَونَ المحاكَمةَ إليه.

قولُه: (بِسُكُونِ الهَاءِ) بَصريٌّ وشُعبَةُ وخَلَّادٌ بخُلفٍ عنه، وبالقصرِ قالونُ، وهشامٌ بخُلْفٍ عنه، والباقي بالإشباعِ إلا حَفصاً، فإنَّهُ يُسكِّنُ القافَ ويقصرُ الهاءَ تَشبيهاً لـ(تَقِهْ) بكَتِف وخُفِّف[1].

قولُه: (بِأَنْ يُطِيْعَهُ) هذا تَكرارٌ، فالأولى: يَخافُهُ على ما صَدرَ عنهُ من الذُّنوبِ، ويَتَّقِه فيما بَقيَ من عُمُرِه، أو: يَخافُ عِقابهُ، ويَتَّقي مُخالَفتَه.

قولُه: (بالجَنَّةِ) هذه الآيَةُ جامِعةٌ للفَوزِ.

قولُه: (بالجِهَادِ) أو بالخُروجِ عن ديارِهِم وأموالِهِم.

قولُه: (خَيْرٌ) فيه ما تقدَّمَ، أو: المَطلوبُ منكُم طاعَةٌ معروفَةٌ لا اليَمينُ والطَّاعةُ النِّفاقيَّةُ المُنكَرة.

قولُه: (بالعَمَلِ) الظَّاهرُ: بالفعلِ[2]؛ للمُقابَلةِ، ولشُمولِ العَمَلِ إيَّاهما.

قولُه: (خِطَابٌ لَهُم) أي: بَعدما كانَ الخِطابُ له ﷺ.

قولُه: (البَيِّنُ) أو: الموضِّحُ لِمَا كُلِّفتُم، وقد أدَّى.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٦٢)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٤٢٤).

(٢) وهكذا هي في نسخ المتن المعتمدة.

والمفعول ـ ﴿الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من بَني إسرائيل بدلاً عن الجبابرة، ﴿ولَيُمَكِّنَنَّ لَهُم دِينَهُمُ الَّذِي ارتَضَى لَهُم﴾ ـ وهو الإسلام ـ بأن يُظهره على جميع الأديان، ويُوسّع لهم في البلاد فيملكوها، ﴿ولَيُبْدِلَنَّهُم﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِن بَعدِ خَوفِهِم﴾ من الكُفّار ﴿أَمنًا﴾. وقد أنجزَ الله وعده لهم بما ذكره، وأثنى عليهم بقوله: ﴿يَعبُدُونَني لا يُشرِكُونَ بِي شَيئًا﴾، هو مستأنف في حُكم التعليل. ﴿ومَن كَفَرَ بَعدَ ذلِكَ﴾ الإنعام منهم به ﴿فأُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ﴾. وأوّل من كفرَ به قَتَلَةُ عُثمانَ رضي الله عنه، فصاروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانًا.

٥٦ ـ ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ، لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ أي: رجاءَ الرحمة.

٥٧ ـ ﴿لا تَحسِبَنَّ﴾ ـ بالفَوقانيّة والتحتانيّة، والفاعلُ الرسول ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مُعجِزِينَ﴾ لنا ﴿في الأرضِ﴾ بأن يفوتونا، ﴿ومأواهُمُ﴾: مرجعهم ﴿النّارُ، ولَبِئسَ المَصِيرُ﴾: المرجعُ هي!

٥٨ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لِيَستَأذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيمانُكُم﴾ من العبيد والإماء،..............

قولُه: (ولِلمَفعُولِ) شُعبَةُ[١].

قولُه: (مِن بَنِي إِسرَائِيلَ) استَخلَفَهُم في مصرَ والشَّامِ.

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) مَكيٌّ وشُعبَةُ[٢].

قولُه: (هُوَ) أي: ﴿يَعبُدُونَني ولا يُشرِكُونَ﴾ حالٌ؛ أي: يَعبدونَني غيرَ مُشرِكينَ.

قولُه: (التَّعلِيلِ) أي: المقتَضِي للاستِخلافِ والأمنِ.

قولُه: (وأَوَّلُ مَنْ كَفَرَ) أي: هذهِ النِّعمةَ.

قولُه: (أي: رَجَاءَ الرَّحْمَةِ) منصوبٌ على العلَّةِ، فالمعنى: لكي تُرحَموا.

قولُه: (والتَّحتَانِيَّةِ) شاميٌّ وحمزَةُ[٣].

قولُه: (والفَاعِلُ) على القِراءتَينِ.

قولُه: (بِأَنْ يَفُوتُونَا) أو: مُعجزِينَ اللهَ عن إدراكِهِم وإهلاكِهِم.

قولُه: (والإِمَاءِ) ففيه تَغليبٌ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٠٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٤).

﴿والَّذِينَ لَم يَبلُغُوا الحُلُمَ مِنكُم﴾ من الأحرار وعرَفوا أمر النساء، ﴿ثَلاثَ مَرّاتٍ﴾: في ثلاثة أوقات، ﴿مِن قَبلِ صَلاةِ الفَجرِ، وحِينَ تَضَعُونَ ثِيابَكُم مِنَ الظَّهِيرةِ﴾ أي: وقتَ الظهر، ﴿ومِن بَعدِ صَلاةِ العِشاءِ. ثلاثُ عَوراتٍ لَكُم﴾ ـ بالرفع: خبرُ مبتدإٍ مُقدّرٍ، بعده مُضافٌ، وقام المُضاف إليه مَقامه، أي: هي أوقاتٌ، وبالنصب بتقدير «أوقاتَ» منصوبًا بدلاً من محلّ ما قبله، قام المُضاف إليه مَقامه ـ وهي لإلقاء الثياب تبدو فيها العورات.

﴿لَيسَ علَيكُم ولا علَيهِم﴾ أي: المماليكِ والصِّبيانِ ﴿جُناحٌ﴾ في الدخول عليكم بغير استئذان، ﴿بَعدَهُنَّ﴾ أي: بعد الأوقات الثلاثة. هم ﴿طَوّافُونَ علَيكُم﴾ للخِدمة، ﴿بَعضُكُم﴾ طائف ﴿علَى بَعضٍ﴾. والجملة: مُؤكّدةٌ لِما قبلها...

قولُه: (مِنَ الأَحرَارِ) أي: الصِّبيانِ الَّذين لم يَبلغُوا من الأحرارِ، فعبرَّ عن البُلوغِ بالاحتلامِ؛ لأنَّهُ أقوى دلائلهِ من السِّنِّ والشَّعرِ، وأمرُهُم أمرُ تأديبٍ كحديثِ: «مُرُوا صبيَانَكُم بالصَّلاةِ»[1].

قولُه: (أَوْقَاتٍ) في اليَومِ واللَّيلَةِ.

قولُه: (وَقْتَ الظُّهرِ) الأظهَرُ: وَقتَ الاستواءِ للقَيلولَةِ.

قولُه: (أي: هِيَ أَوْقَاتُ) أي: هي ثَلاثُ أوقاتِ عَوراتٍ[2]، سمَّى كُلَّ واحِدةٍ من هذهِ الأحوالِ عَورةً لأنَّ الإنسانَ يختلُّ تستُّرُه فيها، والعورَةُ: الخَلَلُ.

وقيل: هي ثلاثُ ساعاتِ انكِشافِ عَوراتٍ، بحذفِ مُضافَينِ.

قولُه: (وبالنَّصبِ) شُعبَةُ وحمزَةُ والكِسائيُّ[3].

قولُه: (بِتَقْدِيرِ أَوْقَاتَ) أي: أوقاتَ ثلاثِ عَوراتٍ، أو: ثَلاثَ أوقاتِ عَوراتٍ، والأوَّلُ هو مُرادُ المصنِّفِ.

قولُه: (مِن مَحَلِّ مَا قَبْلَهُ) أي: من الظُّروفِ، والأظهَرُ على ما عليهِ الأكثَرُ: أنَّهُ بدلُ ﴿ثَلاثَ﴾ الأولى، وقيل: بإضمارِ أعني.

قولُه: (طَائِفٌ) حُذفَ لدَلالةِ ﴿طَوافُونَ﴾ عليه.

قولُه: (مُؤَكِّدَةٌ) فإنَّها استئنافٌ ببيانِ العُذرِ المرَخِّصِ في تَركِ الاستئذانِ، وهو المخالطَةُ وكَثرةُ المداخَلةِ؛ لأنَّه لو جزمَ الأمرَ بالاستئذانِ في كُلِّ وَقتٍ لأدَّى إلى الحَرجِ، وهو مَدفوعٌ بالنَّصِّ.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد في «مسنده» (٦٦٨٩)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٨٢)، والدارقطني في «السنن» (٨٨٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وصححه ابن الملقن في «البدر المنير» (٣/ ٢٣٨).

(٢) كذا قدرها، والظاهر من كلام المتن أن التقدير: هي أوقات ثلاث عورات.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٥٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٥).

﴿كَذلِكَ﴾: كما بَيّن ما ذَكرَ ﴿يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ أي: الأحكامَ، ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بأُمور خلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ بما دبّره لهم. وآيةُ الاستئذان قيلَ: منسوخة، وقيل: لا ولكن تهاون الناس في ترك الاستئذان.

٥٩ ـ ٦٠ ـ ﴿وإذا بَلَغَ الأطفالُ مِنكُمُ﴾ ـ أيها الأحرار ـ ﴿الحُلُمَ فلْيَستأذِنُوا﴾ في جميع الأوقات، ﴿كَما استأذَنَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ أي: الأحرارُ الكبار ـ ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُم آياتِهِ، واللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ـ والقَواعِدُ مِنَ النِّساءِ﴾: قَعدْنَ عن الحَيض والولد لكِبَرهنّ ﴿اللاّتِي لا يَرجُونَ نِكاحًا﴾ لذلك ﴿فلَيسَ علَيهِنَّ جُناحٌ أن يَضَعْنَ ثِيابَهُنَّ﴾ من الجِلباب والرداء والقِناع فوق الخِمارِ، ﴿غَيرَ مُتبَرِّجاتٍ﴾: مُظهرات ﴿بِزِينَةٍ﴾ خفيّة كقِلادة وسِوار وخلخال، ﴿وأن يَستَعفِفْنَ﴾ بألاّ يضعنها ﴿خَيرٌ لَهُنَّ. واللهُ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بما في قُلوبكم.

٦١ ـ ﴿لَيسَ علَى الأعمَى حَرَجٌ ولا علَى الأعرَجِ حَرَجٌ ولا علَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مُؤاكلة مُقابليهم، ﴿ولا﴾ حرجَ ﴿علَى أنفُسِكُم أن تأكُلُوا مِن بُيُوتِكُم﴾ أي: بُيوت أولادِكم، ﴿أو بُيُوتِ آبائكُم أو بُيُوتِ أُمَّهاتِكُم، أو بُيُوتِ إخوانِكُم أو بُيُوتِ أخَواتِكُم، أو بُيُوتِ أعمامِكُم أو بُيُوتِ عَمّاتِكُم، أو بُيُوتِ أخوالِكُم أو بُيُوتِ خالاتِكُم، أو ما مَلَكتُم مَفاتِحَهُ﴾..........................

قولُه: (قِيلَ: مَنسُوخَةٌ) قالَ القاضِي: ليسَ فيه ما يُنافي آيةَ الاستِئذانِ فينسَخَها؛ لأنَّه في الصِّبيانِ ومماليكِ المدخولِ عليه، وتلك في الأحرارِ البالِغينَ[1]. وعليه صاحِبُ «المَدارِكِ» أيضاً[2].

قولُه: (أي: الأَحْرَارُ) يعني: الَّذين بَلَغوا من قبلِهِم، وكرَّرَ ما بعدَهُ تَأكيداً ومُبالغَةً في الأمرِ بالاستِئذانِ.

قولُه: (والوَلَدِ) أي: الحَملِ.

قولُه: (لِذَلِكَ) أي: لا يطمَعْنَ فيه لكبَرِهِنَّ، صِفةٌ كاشِفةٌ.

قولُه: (مِنَ الجِلبَابِ) يعني: الثِّيابَ الظَّاهرةَ.

قولُه: (خَفِيَّةٍ) أي: ممَّا أُمِرنَ بإخفائِهِ في قولِهِ: ﴿ولا يبدين زينتهن﴾ [النور: ٣١].

قولُه: (كَقِلادَةٍ) وفي «المدارِكِ»: كالشَّعرِ والنَّحرِ والسَّاقِ ونحوِ ذلك[3]؛ أي: لا يَقصِدنَ بوَضعِها التَّبرُّجَ، ولكن التَّخفُّفَ وعدمَ التَّكلُّفِ.

قولُه: (أَوْلادِكُمْ) أو: أزواجِكم.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١١٤).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥١٧).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥١٩).

أي: خَزنتُموه لغيركم، ﴿أو صَدِيقِكُم﴾ وهو مَن صَدَقكم في مودّته ـ المعنى: يجوز الأكل من بُيوت من ذُكر، وإن لم يَحضروا، أي: إذا عُلم رضاهم به ـ ﴿لَيسَ عليكُم جُناحٌ أن تأكُلوا جَمِيعًا﴾ أي: مُجتمعِين، ﴿أو أشتاتًا﴾ أي: مُتفرّقين جمعُ شتّ. نزل فيمن تحرّج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد مَن يُؤاكله يتركُ الأكل.

﴿فإذا دَخَلتُم بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل فيها ﴿فسَلِّمُوا علَى أنفُسِكُم﴾ أي: قولوا: «السَّلامُ علينا وعلى عبادِ اللهِ الصَّالِحِينَ» ـ فإن الملائكة تردّ عليكم ـ وإن كان بها أهل فسلّموا عليهم ﴿تَحِيَّةً﴾: مصدرُ: حيّا،

قولُه: (خَزَنْتُمُوهُ) أي: حَفِظتُموهُ، وهو ما يكونُ تحتَ أيديكُم وتصرُّفِكُم من ضَيعَةٍ وماشيةٍ، وكالةً أو حِفظاً، وقيل: بُيوتُ المماليكِ.

قولُه: (فِي مَوَدَّتِهِ) وهو يقعُ على الواحدِ والجمعِ، ويمكِنُ أن يُقالَ: عَدمُ الجمعِ لقلَّةِ الصَّديقِ وعزَّتِهِ.

قولُه: (مَا ذُكِرَ) الظَّاهرُ: من ذُكِرَ[1].

قولُه: (أَنْ يَأكُلَ وَحْدَهُ) فما وَرَدَ في ذمِّ من يأكُلُ وحدَهُ[2] يُحمَلُ على مَن فَعلَ ذلك كِبْراً وبُخلاً، أو نزلَتْ في قَومٍ تحَرَّجوا عن الاجتماعِ على الطَّعامِ لاختِلافِ النَّاسِ في الأكلِ، وزيادَةِ بعضِهِم على بَعضٍ[3].

قولُه: (لا أَهْلَ بِهَا) أو: بُيوتاً فارِغةً، أو: مَسجِداً.

قولُه: (وإِنْ كَانَ بِهَا أَهْلٌ) أو: إذا دَخلتُم بُيوتاً من هذهِ البُيوتِ فابدَؤوا بالسَّلامِ على أهلِها الَّذينَ هم منكُم ديناً وقَرابَةً، أو كأنفُسِكُم.

قولُه: (مَصْدَرُ حَيَّا) على طَريقِ: قَعدْتُ جُلوساً.

---

(١) وهكذا هو في نسخ المتن المعتمدة.

(٢) روى أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦)، وأحمد في «مسنده» (١٦٠٧٨) أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إنا نأكل وما نشبع، قال: «فلعلكم تأكلون مفترقين، اجتمعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله عليه يبارك لكم فيه».

وروى الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٣٠/ ١٨٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٥٨)، من طريق جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً: «الكنود الَّذي يأكُلُ وحدَه، ويمنَعُ رِفدَه، ويضرِبُ عبدَه» فإن كان هذا الحديث مراد المؤلف فإنه لا يصح، فقد قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢١٢) ترجمة جعفر بن الزبير: «وروى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مئة حديث» وذكر منها هذا الحديث.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢٣) عن ابن عباس قوله: ﴿أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا﴾ قال: كان الغني يدخل على الفقير من ذوي قرابته وصديقه فيدعوه إلى طعامه ليأكل معه فيقول: والله إني لأجنح أن آكل معك ـ والجنح الحرج ـ وأنا غني وأنت فقير، فأمروا أن يأكلوا جميعًا أو أشتاتًا.

وروى أبو داود (٣٧٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٤٨٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٤٦٠٠) عنه بنحوه.

﴿مِن عِندِ اللهِ مُباركةً طَيِّبَةً﴾ يُثاب عليها. ﴿كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآياتِ﴾ أي: يُفصّل لكم معالمَ دِينكم، ﴿لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾: لكي تفهموا ذلك.

٦٢ - ﴿إِنَّما المُؤمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، وإذا كانُوا مَعَهُ﴾ أي: الرسولِ ﴿علَى أمرٍ جامِعٍ﴾ كخطبة الجُمعة ﴿لَم يَذهَبُوا﴾ لِعُروض عُذر لهم ﴿حَتَّى يَستأذِنُوهُ. إنَّ الَّذِينَ يَستأذِنُونَكَ أُولئِكَ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِاللهِ ورَسُولِهِ. فإذا استأذَنُوكَ لِبَعضِ شأنِهِم﴾: أمرهِم ﴿فائذَنْ لِمَن شِئتَ مِنهُم﴾ بالانصراف، ﴿واستَغفِرْ لَهُمُ اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٦٣ - ﴿لا تَجعَلُوا دُعاءَ الرَّسُولِ بَينَكُم كَدُعاءِ بَعضِكُم بَعضًا﴾ بأن تقولوا: يا مُحمّد. بل قولوا: «يا نبيَّ الله، يا رسول الله»، في لِينٍ وتواضعٍ وخفض صوت. ﴿قَد يَعلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُم لِواذًا﴾ أي: يخرجون من المسجد في الخُطبة من غير استئذان خُفيةً مستترين بشيء. وقد: للتحقيق. ﴿فلْيَحذَرِ الَّذِينَ يُخالِفُونَ عَن أمرِهِ﴾ أي: اللهِ أو رسوله ....

وقوله: (﴿من عند الله﴾) أي: ثابِتةً بأمرِه، مَشروعَةً من لَدُنْهُ.

وقوله: (﴿مباركة﴾) لأنَّها يُرجى بها زيادةُ الخَيرِ والثَّوابِ ﴿طَيبَةً﴾: تَطيبُ بها نفسُ المستَمعِ، أو يحصُلُ بها طِيبُ الرِّزقِ، وحُسنُ الخُلُقِ.

قولُه: (أي: يُفَصِّلُ) كرَّرهُ ثالثاً لمزيدِ التَّأكيدِ، وتَفْخيمِ الأحكامِ المختَتَمةِ به.

قوله تعالى: (﴿إنَّما المؤمنون﴾) أي: الكامِلونَ في الإيمانِ.

قولُه: (كَخُطْبَةِ الجُمُعَةِ) والأعيادِ وكالحُروبِ والمشاورَةِ في الأُمورِ، ووصفُ الأمرِ بالجمعِ للمُبالغَةِ، فإنَّه يُجمَع له النَّاسُ.

قوله تعالى: (﴿حتى يستأذنوه﴾) أي: فيأذَنَ لهم.

قوله تعالى: (﴿واستغفر لهم الله﴾) بعدَ الإذنِ، فإنَّ الاستئذانَ ولو لعُذرٍ قُصورٌ؛ لأنَّه تقديمٌ لأمرِ الدُّنيا على الدِّينِ، ويُمكِنُ أن يكونَ جَبراً لما فاتَهم من حَضرتهِ وخِدمَتِه.

قولُه: (أي: يَخرُجُونَ) قَليلاً قَليلاً من الجَماعَةِ.

قولُه: (مُسْتَتِرِينَ) يعني ﴿لِواذاً﴾ بمعنى: مُلاوَذَةً، بأن يَستتِرَ بعضُهم ببعضٍ حتَّى يخرُجَ، أو يَلوذَ بمن يُؤذَنُ فينطَلِقَ معه كأنَّهُ تابِعَهُ، وانتصابُهُ على الحالِ.

قولُه: (أي: اللهِ) فإنَّ الأمرَ له في الحقيقَةِ.

قولُه: (أو رَسُولِهِ) فإنَّهُ المقصودُ بالذِّكرِ.

﴿أن تُصِيبَهُم فِتنةٌ﴾: بلاء، ﴿أو يُصِيبَهُم عَذابٌ أليمٌ﴾ في الآخرة.

٦٤ ـ ﴿ألا إنَّ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وعَبيدًا وخلقًا. ﴿قَد يَعلَمُ ما أنتُم﴾ ـ أيها المُكلّفون ـ ﴿علَيهِ﴾ من الإيمان والنفاق، ﴿و﴾ يعلم ﴿يَومَ يُرجَعُونَ إلَيهِ﴾ ـ فيه التفات عن الخِطاب ـ أي: متى يكون، ﴿فيُنَبِّئُهُم﴾ فيه ﴿بِما عَمِلُوا﴾ من الخير والشرّ. ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ﴾ من أعمالهم وغيرها ﴿عَلِيمٌ﴾.

قولُه: (بَلاءٌ) ومحنةٌ في الدُّنيا.

قولُه: (من الإيمَانِ) الأظهَرُ: (الإخلاص) لمقابَلةِ النِّفاقِ، أو: من المخالفَةِ والموافقَةِ، وإنَّما أكَّدَ علمَهُ بـ﴿قَد﴾ لتَوكيدِ الوعيدِ، وفي «المغني»: (قد) لتَقليلِ مُتَعلَّقِهِ[1]. أي: أنَّ ما أنتُم عليه هو أقلُّ معلوماتِهِ، وقيل: (قد) للتَّحقيقِ. وعليه الشَّيخُ كما سَبقَ.

قولُه: (عَنِ الخِطَابِ) والخِطابُ والغيبَةُ يجوزُ أن يَكونا جميعاً للمُنافِقينَ على طريقَةِ الالتِفاتِ، ويجوزُ أن يكونَ ﴿ما أنتُم عَليهِ﴾ عامًّا، و﴿يُرجَعونَ﴾ للمُنافِقينَ.

قولُهُ: (أي: مَتى يَكُونُ) تَقديرٌ لمفعولِ ﴿يَعلَمُ﴾ المقدَّر، والأظهرُ: نَصبُه بـ﴿اذْكُر﴾ مُقدَّراً، ولذلك جَعلوا ﴿مَا أَنتُم عليهِ﴾ وَقفاً تامًّا.

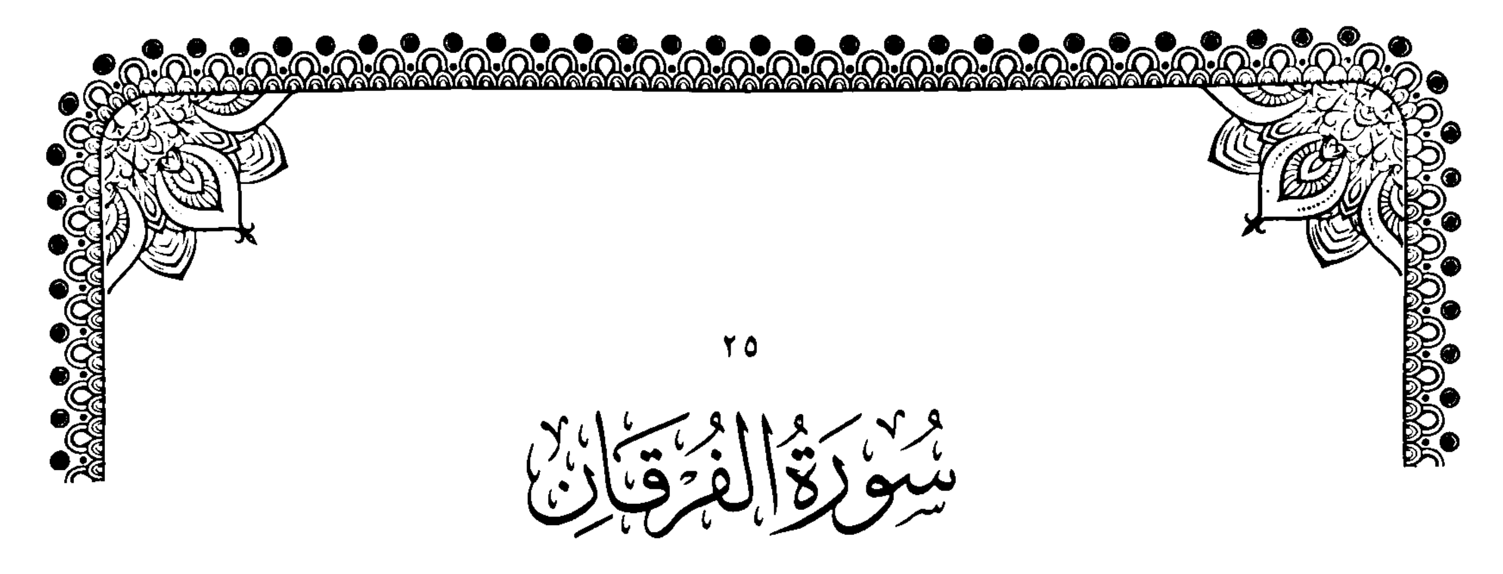
قولُه: (فِيْهِ) أي: في ذلك اليَومِ بالتَّوبيخِ والمجازاةِ عليهِ.

قولُه: (وغَيرِهَا) لا تَخفى عليه خافيَةٌ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٢٣٠، ٢٣١).



٢٥

سورة الفرقان

مكية إلاّ «والذين لا يدعون مع الله إلـٰهًا آخر» إلى «رحيمًا» فمدني، وهي سبع وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿تَبارَكَ﴾: تعالى ﴿الَّذِي نَزَّلَ الفُرقانَ﴾: القرآنَ، لأنه فرقَ بين الحقّ والباطل، ﴿عَلَى عَبدِهِ﴾: مُحمّد، ﴿لِيَكُونَ لِلعالَمِينَ﴾ أي: الإنس والجنّ ﴿نَذِيرًا﴾: مُخوِّفًا من عذاب الله، ٢ ـ ﴿الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، ولَم يَتَّخِذْ وَلَدًا ولَم يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلكِ، وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ﴾ من شأنه أن يُخلَق، ﴿فقَدَّرَهُ تَقدِيرًا﴾: سوّاه تسويةً، ٣ ـ ﴿واتَّخَذُوا﴾ أي: الكُفّارُ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ أي: غيرَه ﴿آلِهَةً﴾ هي الأصنام، ﴿لا يَخلُقُونَ شَيئًا وهُم يُخلَقُونَ، ولا يَملِكُونَ لِأنفُسِهِم ضَرًّا﴾ أي: دَفْعَه ﴿ولا نَفعًا﴾ أي: جَرَّه، ﴿ولا يَملِكُونَ مَوتًا ولا حَياةً﴾ أي: إماتةً لأحد وإحياء لأحد، ﴿ولا نُشُورًا﴾ أي: بعثًا للأموات.

سورة الفرقان

قوله: (تَبارَكَ) أي: تزايَدَ عن كُلِّ شيءٍ وتعالى عنهُ في صفاتِهِ وأفعالِهِ، فإنَّ البَركَةَ تتضمَّنُ مَعنى الزِّيادةِ.

قولُه: (والبَاطِلِ) أو: المُحقِّ والمُبطلِ، أو: الحلالِ والحرامِ.

قولُه: (مُحَمَّدٍ) والإضافةُ للعهدِ.

قولُه تعالى: (﴿لِيَكونَ﴾) للعَبدِ[1]، أو الفُرقانِ، أو مُنزِلِه.

قولُه: (دُونَ المَلائِكَةِ)[2] لا مانِعَ، بل قيلَ بعُمومِ رسالتِهِ حتى إليهم، والإنذارُ في حَقِّهم قولُه تعالى: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم﴾ [الأنبياء: ٢٩].

---

(١) في (م): «العبد».

(٢) ليست في المتن المعتمد، والظاهر أنها بعد قوله: «أي: الإنس والجن».

٤ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: إنْ هذا﴾ أي: ما القرآنُ ﴿إلاّ إفكٌ﴾: كذِبٌ ﴿افتَراهُ﴾ مُحمّد، ﴿وأعانَهُ علَيهِ قَومٌ آخَرُونَ﴾. وهم مِن أهل الكتاب ـ قال تعالى: ﴿فقَد جاؤُوا ظُلمًا وزُورًا﴾: كُفرًا وكذبًا، أي: بهما ـ ٥ ـ ﴿وقالُوا﴾ أيضًا: هو ﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾: أكاذيبُهم، جمع أُسطورة بالضم، ﴿اكتَتَبَها﴾: انتَسخها من ذلك القوم بغيره. ﴿فهِيَ تُملَى﴾: تُقرأ ﴿علَيهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكرَةً وأصِيلاً﴾: غُدوة وعشيًّا. قال تعالى ردًّا عليهم: ٦ ـ ﴿قُلْ: أنزَلَهُ الَّذِي يَعلَمُ السِّرَّ﴾: الغيب ﴿في السَّماواتِ والأرضِ. إنَّهُ كانَ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

٧ ـ ﴿وقالُوا: ما لِهذا الرَّسُولِ، يأكُلُ الطَّعامَ ويَمشِي في الأسواقِ؟ لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ إلَيهِ مَلَكٌ، فيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾: يُصدّقه، ٨ ـ ﴿أو يُلقَى إلَيهِ كَنزٌ﴾ من السماء يُنفقُه، ولا يحتاجُ إلى المشي في الأسواق لطلب المعاش، ﴿أو تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ﴾: بُستان، ﴿يأكُلُ مِنها﴾ أي: من ثِمارها فيكتفي بها. وفي قراءة: «نأكُلُ» بالنون، أي: نحن، فيكون له مزيّةٌ علينا بها. ﴿وقالَ الظّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين: ﴿إن﴾: ما ﴿تَتَّبِعُونَ إلاّ رَجُلاً مَسحُورًا﴾: مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

قولُه: (كَذِبٌ) مَصروفٌ عن وَجهِه.

قولُه: (مُحَمَّدٌ) اختَلقَه واختَرعَه.

قولُه: (وَهُم مِن أَهْلِ الكِتَابِ) يعني: اليَهودَ، قالوا: إنّهم يُلقونَ إليه أخبارَ الأُممِ، وهو يعبِّرُ عنه بعبارتِهِ.

قولُه: (كُفراً) فإنَّ الشِّركَ لظُلمٌ عَظيمٌ، أو: ﴿ظُلماً﴾ بجعلِ الكلامِ المعجِزِ إفكاً مُختَلَقاً مُتلَقَّفاً من اليهودِ، ﴿وزوراً﴾ بنسبَةِ ما هو بَريءٌ منه إليه.

قولُه: (أي: بِهِمَا) إشارةٌ إلى أنّهما منصوبانِ بنَزعِ الخافضِ، وقيلَ: (جاءَ) يطلقُ بمعنى: فَعَلَ، فيُعدَّى تعديَتَهُ.

قولُه: (أَكَاذِيبُهُم) أو: ما سطَرهُ المتقدِّمونَ، أو: كتبُهم، جمعُ: أسطُرٍ، جَمعُ: سَطرٍ.

قولُه: (الغَيْبَ) الّذي يشتمِلُ على بعضِهِ القُرآنُ المعجِز.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ[1].

قولُه: (فَيَكُونَ) بالنَّصبِ.

قولُه: (أي: الكَافِرُونَ) وُضِعَ موضِعَ ضَميرِهِم تسجيلاً عليهم بالظُّلمِ فيما قالوهُ.

قولُهُ: (مَغْلُوباً) بالسِّحرِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٧).

٩ ـ قال تعالى: ﴿انظُرْ: كَيفَ ضَرَبُوا لَكَ الأمثالَ﴾ بالمسحور والمُحتاج إلى ما يُنفقه وإلى ملَك يقوم معه بالأمر، ﴿فضَلُّوا﴾ بذلك عن الهُدى، ﴿فلا يَستَطِيعُونَ سَبِيلاً﴾: طريقًا إليه؟ ١٠ ـ ﴿تَبارَكَ﴾: تكاثر خيرُ ﴿الَّذِي إن شاءَ جَعَلَ لَكَ خَيرًا مِن ذلِكَ﴾ الذي قالوه من الكنز والبُستان ﴿جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ﴾ أي: في الدنيا، لأنه شاء أن يُعطيه إيّاها في الآخرة، ﴿ويَجعَلْ﴾ ـ بالجزم ـ ﴿لَكَ قُصُورًا﴾ أيضًا، وفي قراءة بالرفع استئنافًا.

١١ ـ ﴿بَل كَذَّبُوا بِالسّاعةِ﴾: القيامة، ﴿وأعتَدْنا لِمَن كَذَّبَ بِالسّاعةِ سَعِيرًا﴾: نارًا مُستعرة أي: مُشتدّة، ١٢ ـ ﴿إذا رأَتْهُم مِن مَكانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَها تَغَيُّظًا﴾: غليانًا كالغضبان، إذا غلَى صدره من الغضب، ﴿وزَفِيرًا﴾: صوتًا شديدًا، وسماعُ التغيّظ: رؤيته وعِلمه، ١٣ ـ ﴿وإذا أُلقُوا مِنها مَكانًا ضَيِّقًا﴾ ـ بالتشديد

قولُه: (طَرِيْقاً إِلَيْهِ) أي: إلى الهُدى، أو إلى القَدْحِ في نبوَّتِكَ.

قولُه: (تَكَاثَرَ) من البَرَكَةِ، وهي كثرَةُ الخيرِ، تفنَّنَ الشَّيخُ في المعنَيَينِ.

قولُه: (أي: فِي الدُّنْيَا) و﴿جَناتٍ﴾ بَدلٌ من: ﴿خيراً﴾.

قولُه: (لِأَنَّهُ شَاءَ) يعني: ولكن أخَّرهُ إلى الآخِرةِ لأنَّهُ خَيرٌ وأبقى.

قولُه: (بالجَزْمِ) عَطفٌ على مَحلِّ الجَزاءِ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لمَكيٍّ وشاميٍّ وشُعبةَ[1].

قولُه: (اسْتِئنَافًا) بوَعدِ ما يَكونُ له في الآخِرةِ، أو لأنَّ الشَّرطَ إذا كانَ ماضياً جازَ في جزائِهِ الجَزمُ والرَّفعُ[2].

قولُه: (غَلَيَاناً) أي: صوتَ تَغَيُّظٍ، فإنَّ التَّغيُّظَ نفسَهُ لا يُسمَعُ، وشُبِّه صَوتُ غَليانِها بصَوتِ المُغتاظِ وزَفيرِهِ، وهو صوتٌ يُسمَعُ من جَوفِهِ.

هذا وإنَّ الحياةَ لمَّا لم تَكنْ مشروطَةً عندَنا بالبِنْيَةِ، بل يجوزُ تعلُّقُ الرُّوحِ بالأجزاءِ المتفرقةِ شَرقاً وغَرباً، إذ ليسَ التَّعلُّقُ بالحلولِ حتى يمنعَه الحُلولُ في جُزءٍ من الحُلولِ في جُزءٍ آخرَ= أمكنَ أن يَخلُقَ اللهُ فيها حياةً فتَرى وتتغَيَّظُ وتزفِرُ.

وقيلَ: إنَّ ذلك لزبانيَتِها، فنُسِبَ إليها على حَذفِ المضافِ.

قولُهُ: (رُؤيَتُهُ وعِلمُهُ) السَّماعُ على حَقيقتِهِ بالإجماعِ، مع أنَّ قولَهُ: (سَمَاعُ التَّغيُّظِ رُؤيَتُهُ) لا مَعنى له إلا إذا جعلَ (وعلمُه) عَطفَ تَفسيرٍ مع تكلُّفٍ عَسيرٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٨).

(٢) انظر: «الكتاب الفريد» (٢/ ٣٧)، و«الدر المصون» (٣/ ١١٨).

والتخفيف، بأن يُضيَّق عليهم، ومنها: حال من «مكانًا» لأنه في الأصل صفة له ـ ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مُصفّدين قد قُرنت، أي: جُمعت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ـ والتشديد للتكثير ـ ﴿دَعَوا هُنالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا، فيقال لهم: ١٤ ـ ﴿لا تَدعُوا اليَومَ ثُبُورًا واحِدًا، وادعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾ لِعذابكم.

١٥ ـ ﴿قُلْ: أَذلِكَ﴾ المذكورُ من الوعيد وصِفة النار ﴿خَيرٌ أم جَنَّةُ الخُلدِ الَّتِي وُعِدَ﴾ ها ﴿المُتَّقُونَ، كانَتْ لَهُم﴾ في عِلمه ـ تعالى ـ ﴿جَزاءً﴾: ثوابًا ﴿ومَصِيرًا﴾: مرجعًا، ١٦ ـ ﴿لَهُم فِيها ما يَشاؤُونَ خالِدِينَ﴾؟ حالٌ لازمة. ﴿كانَ﴾ وعدهم ما ذُكر ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعدًا مَسؤُولاً﴾:..................

قولُه: (والتَّخفِيفِ) أي: معَ الإسكانِ، مكّيٌّ[1].

قولُه: (بأَنْ يُضَيَّقَ) لزيادةِ العَذابِ.

قولُه: (في الأَغلَالِ) بالسَّلاسِلِ.

قولُه: (هَلاكاً) أي: يتمنَّونَ الهَلاكَ ويُنادونَهُ، فيقولونَ: يا ثبوراهُ، تعاليْ فهذا أوانُكَ.

قولُه: (كَعَذَابِكُم) لأنَّ أنواعَهُ كثيرةٌ، أو لأنَّهُ يتجدَّدُ، أو لأنَّهُ لا ينقَطِعُ.

قولُه: (﴿الوَعِيْدِ﴾) الظَّاهرُ: العَذابِ الموعودِ، والتَّفضيلُ والتَّرديدُ للتَّقريعِ مع التَّهكُّمِ.

قولُه: (وُعِدَهَا) إشارَةٌ إلى أنَّ الرَّاجِعَ إلى الموصولِ مَحذوفٌ.

قولُه: (فِي عِلْمِهِ تَعَالَى) أو اللَّوحِ.

قولُه: (ثَوَاباً) عَظيماً.

قولُه: (مَرْجِعاً) جَسيماً.

قولُه: (حَالٌ لازِمَةٌ) لكَونِ ضَميرِ ﴿فِيهَا﴾ راجِعاً إلى جنَّةِ الخُلْدِ، قال القاضي: ولعلَّهُ يَقصُر همَّ كُلِّ طائِفةٍ[2] على ما يليقُ برتبَتِهِ؛ إذ الظَّاهرُ أنَّ النَّاقِصَ لا يُدرِكُ رُتبَةَ الكامِلِ بالتَّشهي، وفيهِ تَنبيهٌ على أنَّ كُلَّ المُراداتِ لا تحصُلُ إلا في الجنَّةِ[3].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٨).

(٢) قال الشهاب في «الحاشية على البيضاوي» (٦/ ٤١١): قوله: «يقصر همّ»؛ أي: ما يهم به ويريده، وفي نسخة: «همم» جمع همة. وقال الأنصاري: «ولعله»؛ أي: الله، أو الشأن (يقصر): بالبناء للفاعل، أو للمفعول «هم» بالنصب، أو الرفع؛ أي: قَصْد. انظر: «حاشية زكريا الأنصاري على البيضاوي» (٤/ ٢٣٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٢٠).

يَسأله مَن وُعد به: «رَبَّنا، وآتِنا ما وَعَدْتَنا علَى رُسُلِكَ»، أو تسأله لهم الملائكة: «رَبَّنا، وأدخِلْهُم جَنّاتِ عَدنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُم».

١٧ ـ ﴿ويَومَ نَحشُرُهُم﴾ ـ بالنون والتحتانيّة ـ ﴿وما يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه من الملائكة وعِيسى وعُزير والجِنّ، ﴿فيَقُولُ﴾ تعالى ـ بالتحتانيّة والنون ـ للمعبودين إثباتًا للحُجّة على العابدين: ﴿ءأنتُم﴾، بتحقيقِ الهمزتين وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها وإدخالِ ألف بين المُسهَّلة والأُخرى وتركِه، ﴿أضلَلتُم عِبادِي هؤُلاءِ﴾: أوقعتموهم في الضلال بأمركم إيّاهم بعِبادتكم، ﴿أم هُم ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾: طريقَ الحقّ بأنفُسهم؟ ١٨ ـ ﴿قالُوا: سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك عمّا لا يليق بك! ﴿ما كانَ يَنبَغِي﴾: يستقيم ﴿لَنا أن نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ﴾ أي: غيرَك ﴿مِن أولِياءَ﴾: مفعولٌ أوّل، ومن: زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني، فكيف نأمر بعِبادتنا؟ ﴿ولكِن مَتَّعتَهُم وآباءَهُم﴾ مِن قبلهم بإطالة العُمر وسَعة الرزق، ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكرَ﴾: تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن، ﴿وكانُوا قَومًا بُورًا﴾: هَلكَى.

١٩ ـ قال تعالى: ﴿فقَد كَذَّبُوكُم﴾ أي: كذّب المعبودون العابدين ﴿بِما تَقُولُونَ﴾..............

قولُه: (يَسْأَلُهُ) وما في ﴿على﴾ من مَعنى الوجوبِ لامتِناعِ الخُلْفِ في وعدِهِ.

قولُه: (والتَّحتَانِيَّةِ) مَكيٌّ وحَفصٌ[1].

قولُه: (أي: غَيْره) يعُمُّ كلَّ مَعبودٍ سِواهُ، واستِعمالُ ﴿مَا﴾ إمَّا لأنَّ وضعَهُ أعمُّ، أو لتَغْليبِ الأصنامِ تَحقيراً، أو اعتِباراً لغَلَبةِ عُبَّادِها.

قولُه: (والنُّونِ) شاميٌّ[2].

قولُه: (بتَحْقِيقِ) تحقَّق في: ﴿أأَنْذرتَهُم﴾ [البقرة: ٦].

قولُه: (مِنْ قَبلِهِم) موصولَةٌ أو جارَّةٌ.

قولُه: (تَركُوا المَوعِظَةَ) وغَفَلوا عن ذكرِكَ، وما قاموا بشُكرِكَ.

قولُه: (هَلْكَى) أي: كانوا في قضائِكَ هالكينَ، مَصدرٌ وصفَ به فيستَوي فيه الواحِدُ والجَمعُ، أو: جَمعُ بائِر، كعُوذٍ وعائِذٍ.

قولُه: (العَابِدِينَ) التِفاتٌ إلى العَبَدةِ بالاحتِجاجِ والإلزامِ على حَذفِ القَولِ، والمعنى: فقد كَذَّبَكُم المعبودونَ في قولِكُم: إنَّها آلهةٌ، أو: هؤلاءِ أضَلُّونا، والباءُ بمعنى: في.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٠٩).

ـ بالفَوقانية ـ أنهم آلهة، ﴿فما يَستَطِيعُونَ﴾ ـ بالتحتانيّة والفَوقانيّة ـ أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرفًا﴾: دفعًا للعذاب عنكم ﴿ولا نَصرًا﴾: منعًا لكم منه. ﴿ومَن يَظلِمْ﴾: يُشركْ ﴿مِنكُم نُذِقْهُ عَذابًا كَبِيرًا﴾: شديدًا في الآخرة.

٢٠ ـ ﴿وما أرسَلْنا قَبلَكَ مِنَ المُرسَلِينَ إلاّ إنَّهُم لَيأكُلُونَ الطَّعامَ، ويَمشُونَ في الأسواقِ﴾ ـ فأنت مِثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مِثلُ ما قيل لك ـ ﴿وجَعَلْنا بَعضَكُم لِبَعضٍ فِتْنةً﴾: بليّة ابتُلي الغني بالفقير، والصحيح بالمريض، والشريف بالوضيع، يقول الثاني في كُلٍّ:......................

قولُه: (بالفَوقَانِيَّةِ) اتَّفقَ عليها السَّبعةُ بل العَشرةُ[١]، وقُرِئَ في الشَّواذِ بالتَّحتانيَّةِ[٢]؛ أي: كَذبوكُم بقولِهِم: سُبحانَكَ.

قولُه: (والفَوقَانِيَّة) حَفصٌ[٣].

قولُه: (أي: لَا هُم) أي: المعبودونَ.

قولُه: (وَلا أَنْتُم) أيُّها العابِدونَ.

قولُه: (يُشرِكْ) قالَ القاضِي: والشَّرطُ وإن عَمَّ كُلَّ من كَفرَ وفسَقَ، لكنَّهُ في اقتِضاءِ الجَزاءِ مُقيَّدٌ بعدَمِ المزاحِمِ وِفاقاً، وهو التَّوبةُ والإحباطُ بالطَّاعةِ إجماعاً، وبالعَفوِ عندنا[٤].

قولُـه: (﴿إلا إنَّهـم﴾) أي: إلا رُسـلًا إنَّهـم، فحُـذِفَ الموصُـوفُ لدَلالَةِ ﴿المرسَـلينَ﴾ عليـهِ، وأُقيمَت الصِّفـةُ مُقامَـهُ كقولِـهِ: ﴿ومَا مِنَّا إلا لـهُ مَقامٌ مَعلـومٌ﴾ [الصافات: ١٦٤] أي: أحَـدٌ، وهو جَـوابٌ لقَولِهِم: ﴿مَالِ هَذا الرَّسُـولِ﴾ إلخ.

قولُه: (بالفَقِيْرِ) والظَّاهرُ العكسُ؛ لقولِه: ﴿أتصْبِرون﴾.

قولُه: (والشَّرِيفُ بالوَضِيْعِ) والمرسَلينَ بالمرسَلِ إليهم، وفيه دَليلٌ على القضاءِ والقدرِ.

قولُه: (فِي كُلٍّ) أي: مما ذَكرهُ الشَّيخُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٣).

(٢) نص ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤٦٣) على سماعها من قنبل عن أبي بزة عن ابن كثير، وذكر فيها ابن الجزري خلافًا عن قنبل. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٣)، و«النشر» (٢/ ٣٣٤)، وغلطها أبو عمرو الداني في «جامع البيان في القراءات السبع» (٤/ ١٤١٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٠).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٢١).

مالي لا أكون كالأوّل في كلٍّ ـ ﴿أَتصبِرُونَ﴾ على ما تسمعون ممّن ابتُليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اصبروا ـ ﴿وكانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر وبمن يجزع.

٢١ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ لا يَرجُونَ لِقاءَنا﴾ لا يخافون البعث: ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ علَينا المَلائكةُ﴾ فكانوا رُسُلاً إلينا، ﴿أو نَرَى رَبَّنا﴾ فيُخبِرَنا بأنّ مُحمّدًا رسولُه. قال تعالى: ﴿لَقَدِ استكبَرُوا﴾: تكبّروا ﴿في﴾ شأن ﴿أنفُسِهِم، وعَتَوا﴾: طغَوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلبهم رُؤية الله ـ تعالى ـ في الدنيا. و«عُتُوًّا» بالواو على أصله بخِلاف «عُتِيّ» بالإبدال في «مريم».

٢٢ ـ ﴿يَومَ يَرَونَ المَلائكةَ﴾ في جُملة الخلائق ـ هو يوم القيامة ونصبُه بـ«اذكرْ» مُقدّرًا ـ ﴿لا بُشرَى يَومَئذٍ لِلمُجرِمِينَ﴾ أي: الكافرين بخِلاف المؤمنين فلهم البُشرى بالجنّة، ﴿ويَقُولُونَ: حِجرًا مَحجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلتْ بهم شِدّة، أي: عَوذًا مُعاذًا، يستعيذون من الملائكة.

٢٣ ـ قال تعالى: ﴿وقَدِمْنا﴾: عمَدنا ﴿إلَى ما عَمِلُوا مِن عَمَلٍ﴾ من الخير كصدقة وصِلة رحم وقِرى ضيف وإغاثة ملهوف في الدنيا، ﴿فجَعَلْناهُ هَباءً مَنثُورًا﴾ ـ هو ما يُرى في الكُوَى التي عليها الشمس كالغُبار المُفرّق ـ أي: مِثلَه في عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويُجازَون عليه في الدنيا............

قولُه: (فِي كُلٍّ) أي: من الأحوالِ.

قولُه: (لا يَخَافُونَ) أي: لا يَخافونَ لقاءَ وعيدِنا، أو: لا يأمَلونَ لِقاءَ وَعدِنا، والمرادُ باللِّقاءِ: الوصولُ إلى جَزائهِ.

قولُه: (طَغَوْا) تَجاوَزوا الحَدَّ في الظُّلمِ.

وقَولُه تعالى: (﴿كبيراً﴾) بالغاً أقصى مَراتبِه.

قولُه: (يَومُ القِيَامةِ) أو: وَقتُ الموتِ.

قولُه: (مِنَ المَلائِكَةِ) وهو[1] عَطفٌ على مَدلولِ: ﴿لا بُشرى﴾، فإنَّهُ بمَعنى: يُمنَعونَ البُشرى، أو: يُعدَمونَها.

وقيلَ: تقولها المَلائِكةُ؛ يعني: حَراماً مُحرَّماً عليكُم الجنَّةُ أو البُشرى.

قولُه: (لِعَدَمِ شَرْطِهِ) أي: فيما يُشترَطُ في صحَّتِهِ الإيمانُ كالحجِّ والصَّومِ والصَّلاة.

قولُه: (ويُجَازَونَ) حَقُّ العبارَةِ: ولمُجازاتِهِم؛ أي: فيما لم يُشتَرط، أو المعنى: لعدَمِ شَرطِهِ، وهو الإيمانُ والإخلاصُ، ومع هذا يُجازَونَ عليه في الدُّنيا بإطالَةِ العُمْرِ وكَثرةِ الأمَوالِ والأولادِ وسَعةِ الجاهِ، فإنَّ اللهَ لا يُضيع أجرَ من أحسَنَ عَملاً ولو صورةً؛ فإنَّه أكرَمُ الأكرَمينَ.

---

(١) «وهو»؛ أي: قوله تعالى: ﴿ويقولون﴾.

٢٤ ـ ﴿أصحابُ الجَنّةِ يَومَئِذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿خَيرٌ مُستَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا ﴿وأحسَنُ مَقِيلاً﴾ منهم، أي: موضعَ قائلة فيها. وهي الاستراحة نِصفَ النهار في الحرّ. وأُخذ من ذلك انقضاءُ الحِساب في نِصف نهار كما ورد في حديث.

٢٥ ـ ﴿ويَومَ تَشَقَّقُ السَّماءُ﴾ أي: كُلّ سماء ﴿بِالغَمامِ﴾ أي: معه ـ وهو غيم أبيض ـ ﴿ونُزِّلَ المَلائكةُ﴾ من كُلّ سماء ﴿تَنزيلاً﴾ هو يوم القيامة ـ ونصبُه بـ «اذكرْ» مُقدّرًا. وفي قراءة بتشديد شين «تَشَّقَّقُ» بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أُخرى: «نُنْزِلُ» بنونينِ الثانيةُ ساكنة وضمِّ اللام ونصبِ «الملائكةَ» ـ...

قولُه: (فِي الدُّنْيَا) إشارَةٌ إلى أنَّ التَّفضيلَ إضافيٌّ، وقيل: لمجرَّدِ الزِّيادةِ، وقيل: للتَّهَكُّم.

قولُه: (أي: مَوضِعَ قَائِلَةٍ) والمُستَقرُّ: مكانٌ يُستقَرُّ فيه في أكثَرِ الأوقاتِ للتَّحادُثِ والتَّجالُسِ، والمقيلُ: مَكانٌ يُؤْوى إليه للاستِرواحِ بالأزواجِ.

قولُه: (قَائِلَةٍ) أي: قَيلولَةٍ.

قولُه: (وَهِيَ الاسْتِرَاحَةُ) بنَومٍ أو غيرِهِ.

قولُه: (نِصْفَ النَّهَارِ) لأنَّهُ أصلُ مَعنى القائِلةِ.

قولُه: (فِي الحَرِّ) هذا قَيدٌ عُرفيٌّ غالِبيٌّ لا لُغَويٌّ.

قولُه: (فِي حَدِيثٍ) رُويَ أنَّه: يُفرَغُ منَ الحِسَابِ في نِصفِ ذلكَ اليومِ، فيَقيلُ أَهلُ الجنَّةِ فِي الجنَّةِ، وأَهلُ النَّارِ في النَّار. رواهُ الحاكِمُ وصحَّحهُ[1].

قولُه: (مَعَهُ) أو: بسَببِ طُلوعِ الغَمامِ منها.

قولُه: (مِن كُلِّ سَمَاءٍ) أي: في ذلك الغَمامِ، قيلَ: بصحائِفِ أعمالِ العِبادِ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للحِرْميِّينِ والبَصْريِّ[2].

قولُه: (وَفِي أُخرَى) للمَكِّيِّ[3].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥١٦) وصححه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء وهؤلاء، ثم قرأ ﴿إن مرجعهم لإلى الجحيم﴾ [الصافات: ٦٨].

(٢) يريد بالبصري هنا يعقوب فقط، وقرأ بها أيضاً ابن عامر الشامي. انظر: «السبعة» (ص: ٤٦٤)، و«التيسير» (ص: ١٦٣ ـ ١٦٤)، و«النشر» (٢/ ٣٣٤).

(٣) انظر المصادر السابقة.

٢٦ ـ ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحمنِ﴾ لا يَشْرَكه فيه أحد، ﴿وكانَ﴾ اليومُ ﴿يَومًا على الكافِرِينَ عَسِيرًا﴾: شديدًا بخلاف المؤمنين.

٢٧ ـ ﴿ويَومَ يَعَضُّ الظَّالِمُ﴾ المُشرك عُقبةُ بن أبي مُعِيط، كان نطق بالشهادتين ثمّ رجع إرضاءً لأُبيِّ ابن خلف، ﴿علَى يَدَيهِ﴾ ندمًا وتحسّرًا في يوم القيامة، ﴿يَقُولُ: يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَنِيَ اتَّخَذتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ مُحمّدٍ ﴿سَبِيلاً﴾: طريقًا إلى الهُدى. ٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿يا وَيلَتا﴾ ـ ألِفُه عِوض عن ياء الإضافة ـ أي: ويلتِي ومعناه: هَلَكتِي، ﴿لَيتَنِي لَم أَتَّخِذْ فُلانًا﴾ أي: أُبيًّا ﴿خَلِيلاً. لَقَد أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكرِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿بعدَ إذ جاءَنِي﴾ بأن ردَّني عن الإيمان به. قال تعالى: ﴿وكانَ الشَّيطانُ لِلإنسانِ﴾ الكافر ﴿خَذُولاً﴾ بأن يتركه ويتبرّأ منه عِند البلاء.

٣٠ ـ ﴿وقالَ الرَّسُولُ﴾ مُحمّدٌ: ﴿يا رَبِّ، إنَّ قَومِيَ﴾ قُريشًا ﴿اتَّخَذُوا هذا القُرآنَ مَهجُورًا﴾: متروكًا. قال تعالى: ٣١ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما جعلنا لك عدوًّا من مُشركي قومك ﴿جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قبلَك ﴿عَدُوًّا مِنَ المُجرِمِينَ﴾: المُشركين ـ فاصبر كما صبروا ـ ﴿وكَفَى بِرَبِّكَ هادِيًا﴾ لك ﴿ونَصِيرًا﴾: ناصرًا لك على أعدائك!

قولُه: (لا يَشْرَكُهُ) أي: صورَةً، و﴿الْحَقُّ﴾: الثَّابِتُ؛ نَعتٌ أو خَبرٌ، و﴿للرَّحمَنِ﴾: خَبرٌ أو صِلَةٌ.

قولُه: (عُقْبَةُ) الأُولى: كعُقبَةَ، والمرادُ: جِنسُ الظَّالِم.

قولُه: (أي: وَيْلَتِي) وقُرِئَ به[١].

قولُه: (أي: أُبَيًّا) خُصَّ كعُقبةَ لأنَّهما سَببُ النُّزولِ[٢]، والمُرادُ: مَن أضلَّه، و(فُلانٌ) كِنايةٌ عن الأعلامِ.

قولُه: (أي: القُرْآنِ) أو: عن ذِكرِ اللهِ، أو موعظَةِ الرَّسولِ، أو كلمَةِ الشَّهادَةِ، وهي المناسِبةُ للوُرودِ.

قولُه: (بِهِ) أي: بالقُرآنِ، أو باللهِ، أو بالرَّسولِ؛ أي: بعد إذ تَمكَّنتُ منه، أو ضَميرُ (جاءَ) لـ(فُلانٍ)، وهو ظاهرُ كلامِ الشَّيخِ.

قولُه: (الكَافِرِ) أو الجِنسِ، والمرادُ بالشَّيطانِ: الخَليلُ المُضِلُّ، أو إبليسُ، أو جِنسُ شَيطانِ الإنسِ والجِنِّ.

قولُه: (مُحَمَّدٌ) يومَئِذٍ، أو في الدُّنيا؛ شِكايةً وبَثًّا إلى اللهِ.

قولُه: (كَمَا صَبَرُوا) وفيه دَليلٌ على أنَّهُ خالِقُ الشَّرِّ أيضاً، والعَدوُّ يحتَمِلُ الوَّاحدَ والجمعَ.

قولُه: (لَكَ) إلى طريقِ قهرِهِم.

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٠٦) ونسبت للحسن وابن قطيب.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٦٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٠٩٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٣٢ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لَولا﴾: هلاّ ﴿نُزِّلَ علَيهِ القُرآنُ جُملَةً واحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل والزَّبور. قال تعالى: نزّلناه ﴿كَذلِكَ﴾ مُتفرّقًا ﴿لِنُثبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ﴾: نُقوّيَ قلبك، ﴿ورَتَّلْناهُ تَرتِيلاً﴾ أي: أتينا به شيئًا بعد شيء بتمهّل وتُؤَدة لتيسير فهمه وحفظه، ٣٣ ـ ﴿ولا يأتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إلاّ جِئناكَ بِالحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وأحسَنَ تَفسِيرًا﴾: بيانًا. ٣٤ ـ هم ﴿الَّذِينَ يُحشَرُونَ علَى وُجُوهِهِم﴾ أي: يُساقون ﴿إلَى جَهَنَّمَ. أُولئِكَ شَرٌّ مَكانًا﴾ ـ هو جهنّم ـ ﴿وأضَلُّ سَبِيلاً﴾: أخطأُ طريقًا من غيرهم، وهو كُفرهم.

٣٥ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة، ....

قولُه: (والزَّبُورِ) قالَ القاضي: أي: أنزِلَ عليهِ كخُبِّرَ بمَعنى: أُخبِرَ؛ لئلَّا يُناقَضَ قوله: ﴿جُملَةً وَاحِدَةً﴾[1]. يعني: أنَّ التَّضعيفَ هُنا للتَّعديةِ لا للتَّكثيرِ.

قولُه: (أي: مُتَفَرِّقاً) في عشرينَ أو ثَلاثٍ وعشرينَ سَنةً (أي: أَتَيْنَا بِهِ)إلخ، فيكونُ تَأكيداً، وقَدَّرناهُ آيَةً بعد آيَةٍ، وقِصَّةً بعدَ قِصَّةٍ، أو: أمرنا بتَرتيلِ قراءَتِهِ، أو: بيَّنَّاهُ تَبييناً.

قولُه: (فِي إِبْطَالِ أَمْرِكَ) وقَولُه ﴿بِمثَلٍ﴾؛ أي: بشَيءٍ باطِلٍ من شَأنِهِ أن يكونَ مَثَلاً في البُطلانِ.

قولُه: (الدَّافِعِ) وفي البَيضاويِّ: الدَّامِغِ له في جَوابِه[2]؛ أي: وبما هو أحسَنُ، على تَقديرِ قَولِهِم حَسناً.

قولُه: (هُمْ) أي: مَرفوعٌ ذَمًّا، وقيلَ: منصوبٌ، والأظهَرُ أنَّهُ مُبتَدأٌ خبرُه: ﴿أُولئِكَ﴾.

قولُه: (يُسَاقُونَ) مقلوبينَ، أو مسحوبينَ.

قولُه: (مِنْ غَيرِهِم) أي: من الكُفَّارِ، كما أنَّ المؤمنينَ به ﷺ خَيرٌ مَكاناً وأهدى سَبيلاً من غيرِهِم، كذا خَطرَ ببالي، واللهُ أعلَمُ.

قولُه: (وهُوَ) أي: الطَّريقُ.

قولُه: (التَّورَاةَ) تقدَّمَ في (طه): أنَّ إيتاءَ التَّوراةِ كان بعد هَلاكِ فرعونَ[3]، فلعَلَّ التَّقديرَ: قَدَّرنا إيتاءَهُ، أو الواوُ لمُطلَقِ الجَمعِ والفاءُ للعَطفِ على الجُملةِ الثَّانيَةِ؛ أي: آتَينا موسَى التَّوراةَ كما آتَيناكَ القُرآنَ، أو: ﴿جَعَلْنَا﴾ عَطف على مَجموعِ جُملَةِ القَسَم.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٢٣).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٢٤).

(٣) انظر الآية: (٨٦) من (طه) وليس في الكلام التصريح بذلك، لكن التصريح في الآية: (٤٩) من سورة المؤمنون في نقله كلام البيضاوي.

﴿وجَعَلْنا مَعَهُ أخاهُ هارُونَ وَزِيرًا﴾: مُعينًا، ٣٦ ـ ﴿فقُلْنا: اذهَبا إِلَى القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ أي: القِبطِ فِرعونَ وقومِه. فذهبا إليهم بالرسالة فكذّبوهما، ﴿فدَمَّرْناهُم تدمِيرًا﴾: أهلكناهم إهلاكًا.

٣٧ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿قَومَ نُوحٍ، لَمّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ بتكذيبهم نوحًا لطول لَبثه فيهم فكأنه رُسل، أو لأنّ تكذيبه تكذيبٌ لباقي الرسل لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، ﴿أغرَقْناهُم﴾: جواب «لمّا»، ﴿وجَعَلْناهُم لِلنّاسِ﴾ بعدهم ﴿آيَةً﴾: عِبرة، ﴿وأعتَدْنا﴾ في الآخرة ﴿لِلظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿عَذابًا أَلِيمًا﴾: مُؤلمًا سِوى ما يحُلّ بهم، في الدنيا.

٣٨ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿عادًا﴾ قومَ هودٍ، ﴿وثَمُودًا﴾ قومَ صالح، ﴿وأصحابَ الرَّسِّ﴾ اسمُ بئر ـ ونبيّهم قيل: شُعيب، وقيل: غيره ـ كانوا قُعودًا حولها فانهارت بهم وبمنازلهم، ﴿وقُرُونًا﴾: أقوامًا ﴿بَينَ ذلِكَ كَثِيرًا﴾ أي: بين عاد وأصحاب الرسِّ.

قولُه: (مُعِيْناً) يؤازِرُهُ: يُعاونُهُ، ولا يُنافي ذلك مُشاركَتَه في النُّبوَّة؛ لأنَّ المتَشاركَينِ في الأمرِ مُتآزِرانِ عليه.

قولُه: (أَهْلَكنَاهُمْ) والتَّعقيبُ باعتِبارِ الحُكمِ بالتَّدبيرِ لا الوُقوعِ.

قولُه: (أَوْ لأَنَّ تَكْذِيبَهُ) أو: نوحاً ومَن قَبلَهُ، أو: بعثَةَ الرُّسلِ مُطلَقاً كالبراهِمةِ.

قولُه: (عِبْرَةً) أي: إغراقَهُم، أو قصَّتَهُم.

قولُه: (الكَافِرِيْنَ) يَحتَمِلُ التَّعميمَ والتَّخصيصَ، فوُضِعَ الظَّاهرُ تَظليماً لهم.

قولُه: (يَحُلُّ) بضمِّ الحاءِ؛ أي: يَنزِلُ، هذا ناظِرٌ إلى التَّعميمِ.

قولُه: (اذْكُر) يحتَمِلُ التَّذكيرَ والتَّقديرَ.

قولُه: (قَوْمَ صَالِحٍ) قالَ القاضي: وقُرِئَ: ﴿وثَمُودَ﴾ على تأويلِ القبيلَةِ[1]، تعبيرُهُ بـ(قُرِئَ) سَهوٌ؛ إذ هي قراءَةُ حمزَةَ وحَفصٍ ويَعقوبَ[2].

قولُه: (بِئْرٍ) غيرِ مَطويَّةٍ؛ أي: مَبنيَّةٍ.

قولُه: (بِهِمْ) أي: فخُسِفَ بهم.

قولُه: (أَقْوَاماً) يعني: أهلَ أعصارٍ، قيل: القَرنُ أربعونَ سَنةً، وقيل: سَبعونَ، وقيل: مِئةٌ وعِشرونَ.

وقَولُه تَعالى: (﴿كثيراً﴾) أي: لا يَعلَمُه إلا اللهُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٢٤)، وفيه: وقرأ حمزة وحفص: «وثمود» على تأويل القبيلة. فلعل استدراك المصنف الآتي على ما وقع في نسخته من البيضاوي.

(٢) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٤٠)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢٨٩).

٣٩ ـ ﴿وكُلًّا ضَرَبْنا لَهُ الأمثالَ﴾ في إقامة الحُجّة عليهم، فلم نُهلكهم إلاّ بعد الإنذار، ﴿وكُلًّا تَبَّرْنا تَتبِيرًا﴾: أهلكْنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم. ٤٠ ـ ﴿ولَقَد أتَوا﴾ أي: مرَّ كُفّار مكّة ﴿علَى القَرْيةِ الَّتِي أُمطِرَتْ مَطَرَ السَّوءِ﴾: مصدرُ ساءَ، أي: بالحجارةِ، وهي عُظمَى قُرى قوم لوط، فأهلك الله أهلها لِفعلهم الفاحشةَ. ﴿أفلَم يَكُونُوا يَرَونَها﴾ في سفرهم إلى الشام فيعتبرون؟ والاستفهام للتقرير. ﴿بَل كانُوا لا يَرجُونَ﴾: يخافونَ ﴿نُشُورًا﴾: بعثًا فلا يُؤمنون.

٤١ ـ ﴿وإذا رأَوكَ إنْ﴾: ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إلاّ هُزُوًا﴾: مهزوءًا به، يقولون: ﴿أهذا الَّذِي بَعَثَ اللهُ رَسُولاً﴾ في دعواه؟ محتقرين له عن الرسالة، ٤٢ ـ ﴿إنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة، واسمها محذوف، أي: إنّه ﴿كادَ لَيُضِلُّنا﴾: ليَصرفنا ﴿عَن آلِهتِنا، لَولا أن صَبَرْنا علَيها﴾ لصرفَنا عنها. قال تعالى: ﴿وسَوفَ يَعلَمُونَ، حِينَ يَرَونَ العَذابَ﴾ عِيانًا في الآخرة: ﴿مَن أضَلُّ سَبِيلاً﴾: أخطأُ طريقًا؟ أهم أم المؤمنون؟

٤٣ ـ ﴿أرَأَيتَ﴾: أخبِرْني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إلـٰـهَهُ هَواهُ﴾ أي: مَهوِيّه؟ قُدّم المفعول الثاني لأنه أهمّ، وجملة من اتخذ: مفعول أول لـ «رأيت»، والثاني: ﴿أفأنتَ تَكُونُ علَيهِ وَكِيلاً﴾:..................

قولُه: (إلّا بَعدَ الإنْذارِ) أي: بَيّنا له القصَصَ العَجيبَةَ إنذاراً وإعذاراً.

قولُه: (عُظمَى) يعني: «سَدُومَ» بالدّالِ المهملةِ، وقيلَ: بالمعجمَةِ[١].

قولُه: (سَفَرِهم) أي: مِرارِ[٢] مُرورِهم.

قولُه: (للتَّقْرِيْرِ) أي: لتَقْريرِ الرُّؤيَةِ بلا اعتِبارِ الاعتِبارِ[٣].

قولُه: (يَخافُونَ) أو يَأمَلونَ، أو يتوَقَّعونَ.

قولُه: (مُحتَقِرِينَ) يَعني: الإشارَةُ للاستِحقارِ، وتسميتُه رَسولاً تهكُّمٌ واستِهزاءٌ.

قولُه: (لَصَرَفَنَا) إشارَةٌ إلى أنَّ جَوابَ ﴿لَولا﴾ محذوفٌ واجِبُ الحَذفِ، وما تقدَّمَ دليلُ الجَوابِ كما هو مَذهبُ البصريِّينَ، وجوَّزَ الكوفيُّونَ تَقديمَ الجوابِ[٤].

قولُه: (أي: مَهْوِيَّهُ) بأن أطاعَهُ وبَنى عليه دينَه.

قولُه: (لأنَّهُ أَهَمُّ) الظَّاهرُ: للعِنايَةِ به، فإنَّ الإلهَ يستَحقُّ التَّعظيمَ.

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (٣/ ٢٠٠).

(٢) في (م): «مكان»، والمثبت موافق لما في «أنوار التنزيل».

(٣) في (م): «لتقرير الرؤية بالاعتبار».

(٤) انظر: «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك» لابن هشام (١/ ٢١٧).

حافظًا تحفظه عن اتباع هواه؟ لا. ٤٤ ـ ﴿أم تَحسِبُ أنَّ أكثَرَهُم يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تفهّم ﴿أو يَعقِلُونَ﴾ ما تقول لهم؟ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُم إلاّ كالأنعامِ، بَل هُم أضَلُّ سَبِيلاً﴾: أخطأُ طريقًا منها لأنها تنقاد لمن يتعهّدها، وهم لا يُطيعون مولاهم المُنعِمَ عليهم.

٤٥ ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تنظرْ ﴿إلَى﴾ فِعلِ ﴿رَبِّكَ، كَيفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس، ﴿ولَو شاءَ لَجَعَلَهُ ساكِنًا﴾: مُقيمًا لا يزول بطلوع الشمس، ﴿ثُمَّ جَعَلْنا الشَّمسَ عَلَيهِ﴾ أي: الظلِّ ﴿دَلِيلاً﴾ ـ فلولا الشمس ما عُرف الظلّ ـ ٤٦ ـ ﴿ثُمَّ قَبَضْناهُ﴾ أي: الظلَّ الممدود ﴿إلَينا قَبضًا يَسِيرًا﴾: خفيًّا بطُلوعِ الشمس؟

قولُه: (تَحْفَظُهُ) أي: والحالُ أنَّ حالَهُ هذا.

قولُه: (لا) يعني: الاستِفهامُ الأوَّلُ للتَّقريرِ والتَّعجُّبِ، والثَّاني للإنكارِ.

قولُه: (سَمَاعَ تَفَهُّمٍ) وتخصيصُ الأكثرِ لأنَّه كان منهُم مَن آمَنَ ومنهُم من كابَرَ استِكباراً أو خَوفاً على الرِّئاسَةِ.

قولُه: (لِمَن يَعُودُهَا) وإلى مَن يتعَهَّدُها، وتميِّز مَن يُحسِنُ إليها ممَّن يُسيءُ إليها، وتَطلُبُ ما ينفَعُها، وتتجَنَّبُ ما يضُرُّها، أو لأنَّها إن لم تكتسِب خَيراً لم تكتسِبْ شرًّا، أو لأنَّ جَهالتَها لا تضُرُّ بأحدٍ، ولأنَّها غيرُ مُتَمكِّنةٍ من الكَمالِ.

قلتُ: ولأنَّها غيرُ مكلَّفاتٍ، ولا مُعذَّباتٍ ولا مُنعَّماتٍ، فهنَّ معذُوراتٌ، ولكونِ المُشبَّهِ به أقوى استُدرِكَ.

قولُه: (فِعْلِ) أي: صنعِه بمعنى: مَصنوعِه، أو: ألم يَنتَهِ علمُكَ.

قولُه: (مِن وَقْتِ الإِسفَارِ) وهو أطيَبُ الأحوالِ، فإنَّ الظُّلمَةَ الخالِصةَ تُنفِّرُ الطَّبْعَ وتَسدُّ النَّظَرَ، وشُعاعُ الشَّمسِ يُسخِّنُ الجَوَّ ويُبهِرُ البصَرَ، ولذلك وصَفَ به الجَنَّةَ فقالَ: ﴿وظِلٍّ مَمْدُود﴾ [الواقعة: ٣٠].

قولُه: (مُقِيماً) أي: ثابِتاً، من السُّكنى، أو: غَيرَ مُتقلِّصٍ، من السُّكونِ بأن تُجعَلَ الشَّمسُ مُقيمةً على وَضعٍ واحِدٍ.

قولُه: (فَلَوْلا الشَّمْسُ) الضِّدُّ يُظهِرُ حُسنَهُ الضدُّ، فإنَّهُ لا تَظهَرُ حَقيقَةُ الظِّلِ للحسِّ حتى تَطلُعَ، فيقَعَ ضَوءُها على بَعضِ الأجرامِ.

قولُه: (أي: الظِّلَّ المَمْدُودَ) أي: أنزَلناهُ بإيقاعِ الشُّعاعِ موقعَهُ.

قولُه: (خَفِيًّا) الظَّاهرُ: قَليلاً حَسْبَما ترتَفِعُ الشَّمسُ ليَنتظِمَ بذلك مصالحُ الكَونِ، ويتحَصَّلَ به ما لا يُحصى من مَنافعِ الخَلقِ.

٤٧ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِباسًا﴾: ساترًا كاللباس، ﴿والنَّومَ سُباتًا﴾: راحة للأبدان بقطع الأعمال، ﴿وجَعَلَ النَّهارَ نُشُورًا﴾: منشورًا فيه لابتغاء الرزق وغيره.

٤٨ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي أرسَلَ الرِّياحَ﴾، وفي قراءةٍ: «الرِّيحَ»، ﴿نُشُرًا بَينَ يَدَي رَحْمتِهِ﴾: مُتفرقةً قُدّامَ المطر ـ وفي قراءةٍ بسكون الشين تخفيفًا، وفي أُخرى بسكونها وفتح النون: مصدرًا، وفي أُخرى بسكونها وضمّ المُوحّدة بدلَ النون، أي: مُبشّراتٍ. ومُفرد الأُولى: نَشُورٌ كرَسول، والأخيرةِ: بَشيرٌ ـ ﴿وأنزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُورًا﴾: مُطهّرًا، ٤٩ ـ ﴿لِنُحيِيَ بِهِ بَلْدةً مَيْتًا﴾ ـ بالتخفيف يستوي فيه المُذكّر والمُؤنّث ـ ﴿ونُسقِيَهُ﴾ أي: الماءَ ﴿مِمّا خَلَقْنا أنعامًا﴾: إبلاً وبقرًا وغنمًا ﴿وأناسِيَّ كَثِيرًا﴾: جمع إنسان، وأصله «أناسِينَ»، فأُبدلت النون ياء وأُدغمت فيها الياء، أو جمع إنسيّ.

قولُه: (كاللِّبَاسِ) تشبيهٌ بَليغٌ.

قولُه: (الأَعمَالِ) أو المَشاغلِ.

قولُه: (مَنْشُوراً) أي: ذا نُشورٍ؛ أي: انتِشارٍ ينتَشرُ فيه النَّاسُ، أو بَعثٍ من النَّوم بَعْثَ الأمواتِ، ويكونُ إشارةً إلى أنَّ النَّومَ واليَقظةَ أنموذَجٌ للموتِ والنُّشورِ.

قولُه: (وفي قِرَاءَةٍ) لمكيٍّ[1]، وبَقيَّةُ القِراءاتِ عُرِفَت في الأعرافِ[2].

قولُه: (مُطَهِّراً) لقولهِ تعالى: ﴿لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: ١١] وهو: اسمٌ لما يُتطهَّرُ به، وقيلَ: بَليغاً في الطَّهارَةِ[3].

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) بلا خِلافٍ[4].

قولُه: (يَسْتَوِي)... إلخ، لم يَظهَرْ له وَجهٌ إلا ما قالَهُ القاضي من أنَّه غيرُ جارٍ على الفِعلِ كسائرِ أبنِيَةِ المُبالَغةِ، فأُجريَ مجرَى الجامدِ[5]. انتهى.

والمُرادُ بالجري على الفِعلِ ـ أي: المُضارعِ ـ: مُوافقَتُه في الحركاتِ والسَّكناتِ، و(مَيْت) ليس كذلك كأبنيَةِ المبالَغَةِ كفعولٍ ومِفعالٍ، بخلافِ الفاعِلِ فإنَّه جارٍ على الفِعلِ، فإنَّه كيفعَلُ في الحَركاتِ والسَّكناتِ، فقولُ القاضي: (كسائرِ)؛ أي: كعَدمِ جَريانِ سائرِ؛ فتأمَّل فإنَّه دَقيقٌ، وبالتَّأمُّلِ حَقيقٌ، وإنمَّا ذكرتُهُ تَوجيهاً لكَلامِ الشَّيخِ، وتَوضيحاً لكَلامِ القاضي، وشَفَقةً للطَّالبينَ.

---

(١) أي: (الريح) بالتوحيد، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٣).

(٢) انظر الآية: (٥٧) من سورة الأعراف.

(٣) في (م): «يتطهر به وقيل للباقي في الطهارة» وفي هامش (م): في نسخة: «للبقاء في الطهارة».

(٤) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٤٣٠).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٢٧).

٥٠ ـ ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: الماءَ ﴿بَيْنَهُم لِيَذَّكَّرُوا﴾ ـ أصله «يَتَذَكَّرُوا» أُدغمت التاء في الذال. وفي قراءةٍ: «لِيَذْكُرُوا» بسكون الذال وضمّ الكاف ـ أي: نعمةَ الله به، ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا﴾: جُحودًا للنّعمة، حيثُ قالوا: مُطِرنا بنَوء كذا. ٥١ ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يُخوِّف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القُرى كُلّها نذيرًا ليعظُم أجرك..

قولُه: (وذَكَّرَهُ) الصَّوابُ ذكرُه بـ«أو» (باعْتِبَارِ المَكَانِ)[1] أو البَلدِ، والمعنى: لنُنْبِتَ بسبَبِ الماءِ مَكاناً يابِساً، ففيهِ استعارَتانِ.

قولُه: (المَاءَ) أي: في المنابعِ والأنهارِ، أو المَطرِ بينهم[2] في البُلدانِ المختَلِفةِ، والأوقاتِ المُتغايرَةِ، والصِّفاتِ المتفاوتةِ من وابِلٍ وطَلٍّ وغيرِهما، وعن ابنِ عبَّاسٍ[3]: ما عامٌ أمطَرُ من عامٍ، ولكنَّ اللهَ قَسَمَ ذلك بينَ عبادِهِ على ما شاءَ، وتَلا الآيةَ.

قولُه: (يَتَذَكَّرُوا) أي: يَتَّعظُوا ويَعتَبروا[4] بالصَّرفِ عنهم وإليهم، أو: ليَتذَكروا ويَعرِفوا كمالَ القُدرَةِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزَةَ والكِسائيِّ[5].

قولُه: (نِعْمَةَ اللهِ) ويَقومُوا بشُكرِها.

قولُه: (جُحُوداً) أو: [إلا] كُفرانَ النِّعمَةِ، وقلَّةَ المُبالاةِ بها.

قولُه: (بِنَوءِ كَذَا) النَّوءُ: نَجمٌ مالَ للغُروبِ، ومَن لا يَرى الأمطارَ إلَّا من الأنواءِ كانَ كافِراً[6]، بخلافِ من يَرى أنَّها من خَلقِ اللهِ، والأنواءَ أماراتٌ بجَعلِهِ تعالى.

(١) «وذكره باعتبار المكان» ليست في النسخ، والظاهر أن موقعها عقب: «المذكر والمؤنث».

(٢) في (م): «بينهمر».

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «المطر والرعد والبرق» (٢٤)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٨٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٢٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٦٤٨٣)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٤) في (م): «أو يعتبروا».

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١١).

(٦) روى مسلم (٧١) عن زيد بن خالد الجهني، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب».

٥٢ ـ ﴿فلا تُطِعِ الكافِرِينَ﴾ في هواهم، ﴿وجاهِدْهُم بِهِ﴾ أي: بالقُرآنِ ﴿جِهادًا كَبِيرًا﴾.

٥٣ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي مَرَجَ البَحرَينِ﴾: أرسلَهما مُتجاورين، ﴿هذا عَذبٌ فُراتٌ﴾: شديد العُذوبة، ﴿وهذا مِلحٌ أُجاجٌ﴾: شديد المُلوحة، ﴿وجَعَلَ بَينَهُما بَرزَخًا﴾: حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وحِجرًا مَحجُورًا﴾ أي: سِترًا ممنوعًا به اختلاطهما، ٥٤ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الماءِ بَشَرًا﴾: من المنيِّ إنسانًا، ﴿فجَعَلَهُ نَسَبًا﴾: ذا نسب ﴿وصِهرًا﴾: ذا صِهر، بأن يتزوّج ذكرًا كان أو أُنثى طلبًا للتناسل. ﴿وكانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾: قادرًا على ما يشاء. ٥٥ ـ ﴿ويَعبُدُونَ﴾ أي: الكُفّارُ ﴿مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُهُم﴾ بعِبادته، ﴿ولا يَضُرُّهُم﴾ بتركها ـ وهو الأصنام ـ ﴿وكانَ الكافِرُ على رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾: مُعينًا للشيطان بطاعته.

٥٦ ـ ﴿وما أرسَلْناكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إلاّ مُبَشِّرًا﴾ بالجنّة ﴿ونَذِيرًا﴾: مُخوِّفًا من النار............

قولُه: (بالقُرْآنِ) لأنَّ مُجاهَدةَ السُّفهاءِ بالحجَجِ أكبرُ من مُجاهَدةِ الأعداءِ بالسَّيفِ.

قولُه: (أَرْسَلَهُمَا) وخلّاهُما مُتلاصِقَينِ بحيثُ لا يتمازَجانِ، كدجلَةَ تدخُلُ البحرَ فتشُقُّه، فتَجري في خلالهِ فراسِخَ لا يتغيَّرُ طَعمُها.

قولُه: (شَدِيدُ العُذُوبَةِ) قامِعٌ للعطَشِ من فَرطِ عُذوبَتِهِ.

قولُه: (حَاجِزاً) من قُدرَته.

قولُه: (إِنْسَاناً) أرادَ به: النَّوعَ.

قولُه: (بِأَنْ يَتَزَوَّجَ) شَخصٌ.

قولُه: (ذَكَراً) يُنسَبُ إليه.

قولُه: (أَو أُنْثَى) يُصاهِرُ بها[1].

قولُه: (طَلَباً للتَّنَاسُلِ) أي: إرادةً لحصولِه، علّةٌ لـ(جَعَله)، ويُمكِنُ كونُهُ علّةً لـ(يتزوَّجَ)؛ لكن لا يلزَمُ من طلبِ التَّناسُلِ حصولُهُ المقتَضي للنِّسبةِ والصُّهوريَّةِ.

قولُه: (وهِيَ الأصنَامُ) أو كُلُّ ما عُبِدَ من دُونِ اللهِ؛ إذ ما مِن مَخلوقٍ يستقِلُّ بالنَّفعِ والضُّرِّ.

قولُه: (مُعِيناً) فالظَّهيرُ بمعنى: المظاهِرِ، و«فعيلٌ» بمعنى «مُفاعِل» كَثيرٌ؛ أي: يُظاهِرُ الشَّيطانَ بالعَداوَةِ والشِّركِ، والمرادُ بالكافرِ: الجِنسُ، وقيل: أبو جهلٍ.

قولُه: (بالجَنَّةِ) للمُؤمنينَ.

قولُه: (مِنَ النَّارِ) الظَّاهرُ: بالنَّارِ للكافِرينَ.

---

(١) في (م): «أنثى يصاهرها».

٥٧ ـ ﴿قُلْ: ما أسألُكُم عليهِ﴾: على تبليغ ما أُرسلت به ﴿مِن أجرٍ. إلاّ﴾: لكن ﴿مَن شاءَ أن يَتَّخِذَ إلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا بإنفاق ماله في مرضاته ـ تعالى ـ فلا أمنعه من ذلك. ٥٨ ـ ﴿وتَوَكَّلْ علَى الحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وسَبِّحْ﴾ مُلتبسًا ﴿بِحَمدِهِ﴾ أي قل: سُبحان الله والحمد لله. ﴿وكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبادِهِ خَبِيرًا﴾: عالمًا! تعلّق به «بذنوب».

٥٩ ـ هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما في سِتَّةِ أيّامٍ﴾ من أيام الدنيا، أي: في قدرها لأنه لم يكن ثَمّ شمس ولا قمر ـ ولو شاء لخلقهنّ في لَمحة، والعُدول عنه لتعليم خلقه التثّبتَ ـ ﴿ثُمَّ استَوَى علَى العَرشِ﴾ ـ هو في اللغة سرير الملك ـ ﴿الرَّحمنُ﴾: بدلٌ من ضمير «استوى» أي: استواءً يليق به. ﴿فاسألْ﴾ ـ أيها الإنسان ـ ﴿بِهِ﴾: بالرحمن ﴿خَبِيرًا﴾ يُخبرُك بصفاته. ٦٠ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ﴾: لكُفّار مكّة: ﴿اسجُدُوا لِلرَّحمنِ. قالُوا: وما الرَّحمنُ؟ أنَسجُدُ لِما تأمُرُنا﴾ ـ بالفوقانيّة والتحتانيّة والآمرُ مُحمّد ـ ....

قولُه: (مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) قالَ القاضي: على تَبليغِ الرِّسالَةِ الَّذي يدلُّ عليه ﴿إلا مُبشِّراً ونذيراً﴾[1] [٥٦]. قُلتُ: دلالَةُ الإرسالِ عليه أظهَرُ.

قولُه: (فلا أَمْنَعُهُ) أو: فلْيَفعَل.

قولُه تعالى: (﴿وَتَوَكَّل﴾) أي: في استِكفاءِ شُرورِهِم، والإغناءِ عن أجورِهِم.

وقولُه: (﴿على الحي الذي لا يموت﴾) لأنَّ غيرَهُ في معرِضِ الفَناءِ.

قولُه: (مُلتَبِساً) حالٌ من فاعلِ: ﴿سَبِّحْ﴾؛ أي: نزِّهْهُ عن صفاتِ النُّقصانِ مُثْنياً عليه بأوصافِ الكَمالِ.

قولُه: (بِهِ) أي: بـ﴿خَبيراً﴾، أو لعلَّه قُدِّمَ للفاصِلةِ.

قولُه: (هُو) مُبتَدأ مُقدَّرٌ خبرُهُ الموصولُ، أو الموصولُ مُبتَدأٌ خبرُه: ﴿الرَّحمَن﴾.

قوله: (﴿الرحمن﴾) بدلٌ أو خبرُ مَحذوفٍ، ولذا يوقَفُ على ما قبلَهُ.

قولُه: (بالرَّحمَنِ) صِلةُ: ﴿خَبيراً﴾.

قولُه: (بِصِفَاتِهِ) ومصنوعاتِهِ، وأمَّا ذاتُهُ فلا يُسأَلُ عنها، ولا يخبَرُ بها؛ لقولِه تعالى: ﴿لا يحيطون به علماً﴾ [طه: ١١٠].

قولُه: (والتَّحتَانِيَّةِ) حمزَةُ والكسائيُّ[2] على أنَّه قولُ بعضِهم لبعضٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٢٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١١).

ولا نعرفه؟ لا، ﴿وزادَهُم﴾ هذا القول لهم ﴿نُفُورًا﴾ عن الإيمان.

٦١ ـ قال تعالى: ﴿تَبارَكَ﴾: تعظَّم ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّماءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحَمَلَ والثَّور والجَوزاء والسَّرطان، والأسد والسُّنبلة والمِيزان والعقرب، والقَوس والجَدْيُ والدَّلو والحُوت ـ وهي منازل الكواكبِ السبعةِ السيّارةِ: المِرّيخِ وله الحمل والعقرب، والزُّهَرةِ ولها الثور والميزان، وعُطاردٍ وله الجوزاء والسنبلة، والقمرِ وله السرطان، والشمسِ ولها الأسد، والمُشتري وله القوس والحوت، وزُحَلَ وله الجدْي والدلو ـ ﴿وَجَعَلَ فِيها﴾ أيضًا ﴿سِراجًا﴾ هو الشمس ﴿وقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ـ وفي قراءة: «سُرُجًا» بالجمع أي: نيّراتٍ، وخُصّ القمر منها بالذكر لنوع فضيلة ـ ٦٢ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيلَ والنَّهارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلُف كُلّ منهما الآخَرَ، ﴿لِمَن أرادَ أن يَذَّكَّرَ﴾، بالتشديد والتخفيف كما تقدّم: ما فاته.............

قولُه: (ولا نَعرِفُهُ) عَطفٌ على: ﴿نَسجُدُ﴾؛ لأنَّهُم كانوا ما يُطلِقونَهُ على اللهِ، أو ظَنُّوا أنَّهُ أرادَ به غيرَه، وقيلَ: لأنَّهُ كانَ معرَّباً لم يسمَعوهُ.

قولُه: (لا) أي: لا نَسجُدُ؛ يعني: الهمزةُ للإنكارِ.

قولُه: (هَذَا القَوْلُ) أي: الأمرُ بالسُّجودِ للرَّحمنِ.

قولُه: (هِيَ مَنازِلُ) يعني: سُمِّيت بالبُروجِ ـ وهي القُصورُ العاليَةُ ـ لأنَّها للكواكِبِ السَّيَّارةِ كالمنازِلِ لسُكَّانِها.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزَةَ والكِسائيِّ[1].

قولُه: (وخُصَّ القَمَرُ) أو هي الشَّمسُ والكواكِبُ الكِبارُ.

قولُه: (لنَوعِ فَضِيلَةٍ) ولعلَّها انشِقاقُهُ إظهاراً لفضيلتِهِ ﷺ.

قولُه: (يَخْلُفُ) بأن يَقومَ مقامَهُ فيما ينبَغِي أن يعمَلَ فيه، أو بأن يَعتقِبَا، كقولِهِ تعالى: ﴿واختلاف الليل والنهار﴾ [البقرة: ١٦٤]، والتَّقديرُ: ذَوَي خلفَةٍ.

قولُه: (والتَّخفِيفِ) حمزَةُ[2].

قولُه: (كَمَا تَقَدَّمَ) يَعني: في ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ من الإعلالِ[3] والمعنى.

قولُه: (مَا فَاتَهُ) مفعولُ: ﴿يَذَّكَّرَ﴾ ناظِرًا إلى التَّفسيرِ الأوَّلِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٣).

(٣) في (م) و(د): «الإعمال».

في أحدهما من خير فيفعلَه في الآخَر، ﴿أو أرادَ شُكُورًا﴾ أي: شُكرًا لنعمة ربّه عليه فيهما.

٦٣ ـ ﴿وعِبادُ الرَّحمنِ﴾ ـ مُبتدأ وما بعده صِفاتٌ له إلى «أُولئِكَ يُجزَونَ الغُرفةَ» غيرَ المُعترِض فيه ـ ﴿الَّذِينَ يَمشُونَ علَى الأرضِ هَونًا﴾ أي: بسكينة وتواضع، ﴿وإذا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قالُوا سَلامًا﴾ أي: قولاً يَسلمون فيه من الإثم، ٦٤ ـ ﴿والَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِم سُجَّدًا﴾: جمع ساجد ﴿وقِيامًا﴾ بمعنى: قائمين أي: يُصلّون بالليل، ٦٥ ـ ﴿والَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنا، اصرِفْ عَنّا عَذابَ جَهَنَّمَ. إنَّ عَذابَها كانَ غَرامًا﴾ أي: لازمًا، ٦٦ ـ ﴿إنَّها ساءَتْ﴾: بئستْ ﴿مُستَقَرًّا ومُقامًا﴾ هي، أي: موضعَ استقرار وإقامة! ٦٧ ـ ﴿والَّذِينَ إذا أنفَقُوا﴾ على عِيالهم ﴿لَم يُسرِفُوا ولَم يَقتِرُوا﴾ ـ..............

قولُه: (عَلَيهَا) الظَّاهرُ: عليه[1]، والتَّأنيثُ بتأويلِ النَّفسِ.

قولُه: (إلَى ﴿أُولَئِكَ﴾) وهو الخَبرُ، أو ﴿الَّذِينَ﴾ وهو الأظهرُ، وإضافتُهم إلى الرَّحمنِ مع أنَّ الكُلَّ عَبيدُه للتَّخصِيصِ والتَّفضيلِ.

قولُه: (أي: بسَكِينَةٍ) يعني: هيِّنينَ، أو: مَشياً هَيِّناً، مصدَرٌ وُصِفَ به.

قولُه: (مِنَ الإِثمِ) والإيذاءِ.

قولُه: (قَائِمِينَ) جمعُ: قائمٍ، أو مصدَرٌ أجريَ مُجراهُ.

قولُه: (أَي: يُصَلُّونَ) وتأخيرُ القيامِ للفاصِلَة، ويُمكِنُ أن يكونَ معناهُ: يصلُّونَ ويقومونَ.

قولُه: (باللَّيلِ) لأنَّ العبادَةَ فيه أشقُّ، وأبعَدُ من الرِّياءِ.

قولُه: (لازِماً) أي: لأكثَرِ الدَّاخِلينَ، أو للكفَّارِ.

قولُه: (بِئسَتْ) وفيها ضميرٌ مُبهمٌ يُفسِّرهُ المميِّزُ؛ لأنَّ فعلَ الذَّمِّ لا يرجعُ ضميرُه إلى المذكورِ، وتفسيرُ المؤنَّثِ بالمذكَّرِ لاتِّحادِ المميِّزِ والمخصوصِ بالذَّمِّ.

قولُه: (هِيَ) هو المخصوصُ؛ أي: جهنَّمُ، وبهذا الضَّميرِ ترتَبطُ الجُملَةُ باسمِ إن، وهي وما بعدَها يحتمِلانِ الحكايَةَ والابتداءَ من الله.

قولُه: (مَوضِعَ استِقرَارٍ) للفُجَّارِ.

قولُه: (وإقَامَةٍ) للكفَّارِ.

قولُه: (عَلَى عِيَالِهِم) الإطلاقُ أولى.

---

(١) وكذا هو في نسخ المتن.

بفتح أوله وضمّه ـ أي: لم يُضيّقوا، ﴿وكانَ﴾ إنفاقهم ﴿بَينَ ذٰلِكَ﴾ الإسرافِ والإقتارِ ﴿قَوامًا﴾: وسطًا، ٦٨ ـ ﴿والَّذِينَ لا يَدعُونَ مَعَ اللهِ إلٰـهًا آخَرَ، ولا يَقتُلُونَ النَّفسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ﴾ قتلَها ﴿إلاّ بِالحَقِّ، ولا يَزنُونَ﴾. ﴿ومَن يَفعَلْ ذٰلِكَ﴾ أي: ما ذُكر من الثلاثة ﴿يَلقَ أثامًا﴾ أي: عُقوبة، ٦٩ ـ ﴿يُضاعَفْ﴾ ـ وفي قراءة: «يُضعَّفْ» بالتشديد ـ ﴿لَهُ العَذابُ يَومَ القِيامةِ ويَخلُدْ فِيهِ﴾، بجزم الفعلين بدلاً وبرفعهما استئنافًا،

قولُه: (بفَتْحِ أوَّلِه) مع كسرِ ثالثِه: مكّيٌّ وبصريٌّ، ومع ضمِّ ثالثِه: كوفيٌّ[1].

قولُه: (وضَمِّهِ) مع كسرِ ثالثِهِ: مدنيٌّ وشاميٌّ[2].

قولُه: (أي: لم يُضَيِّقُوا) يعني: لم يتجاوَزوا حدَّ الكَريمِ، ولم يُضيِّقوا تضييقَ الشَّحيحِ.

قولُه: (قَتْلَهَا) أي: حَرَّمها بمعنى: حرَّمَ قَتْلها.

قولُه: (أي: وَاحِداً)[3] وفي «المدارِك»: المذكورَ[4]. يعني: جميعَهُ؛ لئلَّا يُشكِلَ بقولِه: ﴿ويَخلُد﴾، وأشارَ القاضي إلى ذلك بقولِهِ: ومُضاعفَةُ العذابِ لانضمامِ المعصيَةِ إلى الكُفرِ[5].

قولُه: (أي: عُقُوبَةً) في «القامُوسِ»: أثامٌ ـ كسَحابٍ ـ وادٍ في جهنَّمَ، والعُقوبة[6]. وبهذا تنحَلُّ عبارَةُ البيضاويِّ: جزاءَ إثمٍ، أو: إثماً، بإضمارِ جزاء[7]. وهو في غايَةٍ من اللَّطافةِ يصلُحُ أن يكونَ لغزاً.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لمكيٍّ وشاميٍّ[8].

قولُه: (بجَزمِ الفِعلَينِ) غيرُ شاميٍّ وشُعبَةُ[9].

قولُه: (بَدَلاً) من ﴿يَلْقَ﴾ لأنَّهُ في معناهُ، وقولُ البيضاويِّ: وأبو عَمرو: (ويُخْلَدْ) على البناءِ للمَفعولِ[10].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٣).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) قوله: «قوله أي واحدا» ليس في نسخ المتن المعتمدة، ولعله بعد قوله: ﴿ذلك﴾.

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٤٩).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٣١).

(٦) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٧٤).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٣١) وفيه: وقرئ: «ويخلد» على بناء المفعول مخففاً.

والقراءة ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤٦٧) عن أبي عمرو رواية في غير المشهور عنه، وقال: وهو غلط. وهي في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٧) عن المفضل عن عاصم.

(٨) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٤).

(٩) هما ﴿يُضَاعَفْ.... وَيَخْلُدْ﴾، انظر: المصدر السابقة.

(١٠) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٣١) وفيه: وقرئ: «ويخلد» على بناء المفعول مخففاً.

والقراءة ذكرها ابن مجاهد في «السبعة» (ص: ٤٦٧) عن أبي عمرو رواية في غير المشهور عنه، وقال: وهو غلط. وهي في =

﴿مُهانًا﴾: حالٌ. ٧٠ ـ ﴿إلاّ مَن تابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلاً صالِحًا﴾ منهم ﴿فأُولئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئاتِهِم﴾ المذكورةَ ﴿حَسَناتٍ﴾ في الآخرة ـ ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك ـ ٧١ ـ ﴿ومَن تابَ﴾ من ذُنوبه غيرَ مَن ذُكر ﴿وعَمِلَ صالِحًا فإنَّهُ يَتُوبُ إلَى اللهِ مَتابًا﴾ أي: يرجِعُ إليه رجوعًا فيُجازيه خيرًا.

٧٢ ـ ﴿والَّذِينَ لا يَشهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل، ﴿وإذا مَرُّوا بِاللَّغوِ﴾ من الكلام القبيح وغيره ﴿مَرُّوا كِرامًا﴾: مُعرِضين عنه، ٧٣ ـ ﴿والَّذِينَ إذا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظوا ﴿بِآياتِ رَبِّهِم﴾ أي: القُرآن ﴿لَم يَخِرُّوا﴾: يسقطوا ﴿عَلَيها صُمًّا وعُميانًا﴾، بل خرّوا سامعين ناظرين منتفعين،..........

غيرُ صَحيحٍ، ولعلَّهُ شاذٌّ عنه، وأمّا ﴿فِيهِ﴾ فبالإشباعِ ابنُ كثيرٍ، ووافقهُ حفصٌ[1] هنا للتَّأكيدِ في الوعيدِ.

قولُه: (فِي الآخِرَةِ) بأن يُثبتَ له بدلَ كُلِّ عقابٍ ثواباً، أو بأن يمحوَ سَوابِقَ معاصيهِم بالتَّوبةِ ويُثبتَ مكانَها لواحِقَ طاعاتِهم.

قولُه: (بذَلِكَ) أي: بكونِهِ غفوراً رحيماً، فلذلك يَعفو عن السَّيِّئاتِ ويُثيبُ على الحسناتِ.

قولُه: (غَيرَ مَن ذُكِرَ) الأظهرُ: أنّه تَعميمٌ بعد تخصيصٍ.

قولُه: (رُجُوعاً) مرضيًّا عندَ اللهِ ماحياً للعقابِ مُحصِّلاً للثَّوابِ، أو: إلى ثوابِهِ مَرجعاً حَسناً، وهذا أنسَبُ بكلامِ الشَّيخِ.

قولُه: (أي: الكَذِبَ والبَاطِلَ) أي: لا يُقيمونَ الشَّهادةَ الباطِلَةَ، أو: لا يحضرونَ مَحاضِرَ الكَذِبِ، فإنَّ مُشاهدةَ الباطلِ شركَةٌ فيه؛ لأنَّها دليلُ الرِّضا.

قولُه: (القَبِيحِ) ما يَجبُ أن يُلغى ويُطَّرَح.

قولُه: (وغَيرِهِ) أي: الفِعلِ القَبيحِ.

قولُه: (مُعرِضِيْنَ) مُكرِمينَ أنفُسَهم عن الوُقوفِ عليهِ ـ فـ﴿كِرامًا﴾ جَمعُ: كَريمٍ؛ بمعنى: مُكرِمٍ، ونصبُهُ على الحالِ ـ ومِن ذَلِكَ: الإغضاءُ عن الفَواحِشِ، والصَّفحُ عن الذُّنوبِ، والكِنايةُ عمَّا يُستَهجنُ التَّصريحُ به.

قولُه: (يَسْقُطُوا) ويُقيمُوا غيرَ واعينَ لها، ولا مُتَبصِّرينَ بما فيها؛ كمَن لا يسمَعُ ولا يُبصِر.

قولُه: (خَرُّوا) وأكبُّوا عليها.

قولُه: (سَامِعِينَ) بآذانٍ واعيةٍ.

قولُه: (نَاظِرِينَ) بأعيُنٍ راعيةٍ، فالمُرادُ بالنَّفي: نفيُ الوَصفِ دُونَ الفعلِ.

= «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٠٧) عن المفضل عن عاصم.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٧).

٧٤ ـ ﴿والَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنا، هَبْ لَنا مِن أزواجِنا وذُرِّيّاتِنا﴾ ـ بالجمع والإفراد ـ ﴿قُرَّةَ أعيُنٍ﴾ لنا بأن نراهم مُطيعين لك، ﴿واجعَلْنا لِلمُتَّقِينَ إمامًا﴾ في الخير.

٧٥ ـ ﴿أُولئِكَ يُجزَوْنَ الغُرْفَةَ﴾: الدرجةَ في الجنّة ﴿بِما صَبَرُوا﴾ على طاعة الله، ﴿ويُلَقَّوْنَ﴾ ـ بالتشديد، والتخفيف مع فتح الياء ـ ﴿فِيها﴾: في الغُرفة ﴿تَحِيَّةً وسَلامًا﴾ من الملائكة، ٧٦ ـ ﴿خالِدِينَ فِيها، حَسُنَتْ مُستَقَرًّا ومُقامًا﴾: موضعَ إقامة لهم! «وأُولئك» وما بعده: خبر «عبادُ الرحمن» المبتدأِ.

٧٧ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لِأهل مكّة: ﴿ما﴾: نافيةٌ ﴿يَعبَأُ﴾: يَكترثُ ﴿بِكُم رَبِّي، لَولا دُعاؤُكُم﴾ إيّاه في الشدائد فيكشفُها. ﴿فقَد﴾أي: فكيف يعبأ بكم، وقد ﴿كَذَّبتُم﴾ الرسول والقُرآن؟ ﴿فسَوفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِزامًا﴾: مُلازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحُلّ بكم في الدنيا. فقُتل منهم يوم بدر سبعون. وجواب «لولا» دلَّ عليه ما قبلها.

قولُه: (مُنتَفِعِينَ) حاصِلُ المعنى.

قولُه: (بالجَمعِ) حمزَةُ والكِسائيُّ وحَفصٌ[1].

قولُه: (فِي الخَيْرِ) ووَحَّد ﴿إماماً﴾ للجِنسِ، أو لأنَّه مَصدرٌ في أصلِهِ، أو باعتبارِ كُلِّ واحِدٍ.

قولُه: (الدَّرَجَةَ) أو: أعلى مواضِعِ الجنَّةِ، وهي اسمُ جنسٍ أُريدَ به الجَمعُ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وهم في الغرفات آمنون﴾ [سبأ: ٣٧] وقيل: هي من أسماءِ الجنَّةِ.

قولُه: (عَلَى طَاعَةِ اللهِ) وعن معاصيهِ، وفي بلائهِ، ويُمكِنُ أن يُقالَ: على حُكمِه، فيعُمُّ.

قولُه: (والتَّخفِيفِ) حمزةُ والكِسائيُّ وشعبةُ[2].

قولُه: (مِنَ المَلائِكَةِ) أو من بَعضِهم، أو منَ اللهِ تَعالى.

قولُهُ: (يَكتَرِثُ) أو: لا يَعتدُّ بكُم لولا عبادَتُكُم، فإنَّ شَرفَ الإنسانِ وكرامتَهُ بالمعرفةِ والطَّاعةِ، وإلا فهوَ وسائرُ الحيواناتِ سواءٌ، أو: ﴿ما﴾ استِفهاميَّةٌ؛ أي: ما يصنعُ بكُم.

وقيل: معناهُ: ما يصنَعُ بعذابِكُم لولا دُعاؤكُم معهُ آلهةً، فالخِطابُ للكفَّارِ.

قولُه: (العَذَابُ) أي: جَزاءُ التَّكذيبِ.

قولُه: (مُلازِماً) أو: لازِماً يحيقُ بكُم لا محالَةَ، أو: أثَرُه لازِماً بكم حتى يَكُبَّكُم[3] في النَّارِ.

قولُه: (يَومَ بَدرٍ) وقيل المرادُ: قَتْلُ يَومِ بَدرٍ، وأنَّه لُوزِمَ بين القَتْلى لِزاماً[4]، واللهُ أعلم.

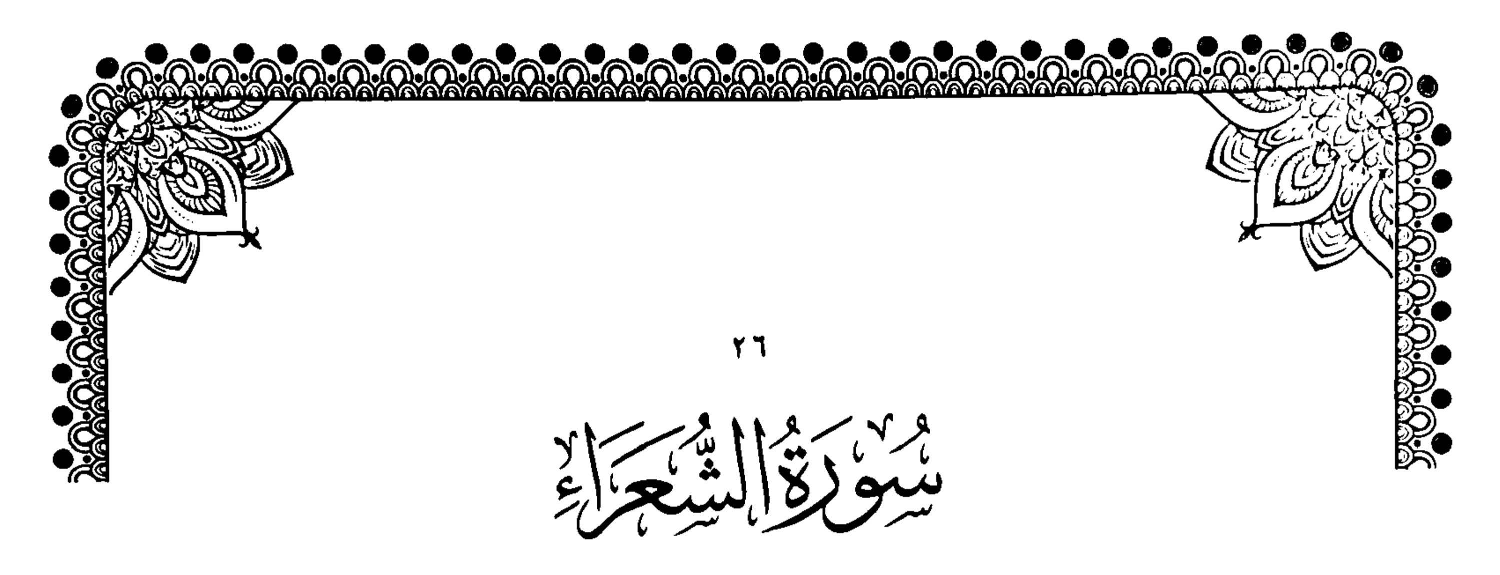
---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٥)، عن نافع وابن كثير وابن عامر وحفص.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٦٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٥).

(٣) في (م): «لازمًا لكم حتى يلقيكم».

(٤) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٣٢).



٢٦

سورة الشعراء

مكيّة إلاّ «والشعراء» إلى آخرها فمدني، وهي مِائَتان وسبع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿طسم﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

٢ ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ـ والإضافة بمعنى: مِن ـ ﴿المُبينِ﴾: المُظهِرِ الحقَّ من الباطل. ٣ ـ ﴿لَعَلَّكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿باخِعٌ نَفسَكَ﴾: قاتلُها غمًّا من أجل ....

سورة الشعراء

قولُه: (اللهُ أَعلَمُ بِمُرَادِهِ) عن ابنِ عبَّاسٍ: عجزَتِ العلماءُ عن تفسيرِها[١].

وقيل: أقسمَ اللهُ بطَوْلِهِ وسنائِهِ ومُلكِهِ[٢].

قيل: الطَّاءُ: طَرَبُ الطَّائرينَ في مَيدانِ اللُّطفِ، والسِّينُ: سُرورُ السَّائرينَ في مَيدانِ السَّترِ، والميمُ: مقامُ المحبِّينَ في ميدانِ الملكِ.

قولُه: (هَذهِ الآيَاتُ) إشارَةٌ إلى السُّورةِ.

قولُه: (المُظْهِرِ) أو: الظَّاهِرِ إعجازُه وصحَّتُه.

قولُه: (مِنْ أَجْلِ) أو: خيفَةَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٠/ ١٤)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٤٦١) وغيرهما عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) نسب لمحمد بن كعب القرظي. انظر: «تفسير البغوي» (٣/ ٤٦٢).

﴿أَلاّ يَكُونُوا﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿مُؤمِنِينَ﴾. ولعلّ هنا: للإشفاق، أي: أشفِقْ عليها بتخفيف هذا الغمّ ـ ٤ ـ ﴿إن نَشأْ نُنَزِّلْ عليهم مِنَ السَّماءِ آيةً، فظَلَّتْ﴾ بمعنى المضارع، أي: تَظلَل، أي: تدومُ ﴿أعناقُهُم لَها خاضِعِينَ﴾ فيُؤمنون. ولمّا وُصفَتِ الأعناقُ بالخُضوع الذي هو لأربابها جُمعَتِ الصفةُ منه جمعَ العُقلاء ـ ٥ ـ ٦ ـ ﴿وما يأتِيهِم مِن ذِكرٍ﴾: قُرآنٍ ﴿مِنَ الرَّحمنِ مُحدَثٍ﴾: صفةٌ كاشفة ﴿إلاّ كانُوا عَنهُ مُعرِضِينَ. فقَد كَذَّبُوا﴾ به، ﴿فسَيأتِيهِم أنباءُ﴾: عواقبُ ﴿ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾.

٧ ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: ينظروا ﴿إلَى الأرضِ، كَم أنبَتْنا فِيها﴾ أي: كثيرًا ﴿مِن كُلِّ زَوجٍ كَرِيمٍ﴾: نوعٍ حسَنٍ؟! ٨ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً﴾: دلالة على كمال قُدرته ـ تعالى ـ ﴿وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ﴾ في...

قولُه: (للإِشْفَاقِ) أي: إشفاقِ المخاطَبِ، فإنَّ اللهَ تعالى مُنزَّهٌ عن الخوفِ[1]، وتأويلُهُ بالأمرِ: أنّه لم يكُنْ فيه إشفاقٌ حتى يصحَّ الخبرُ[2].

قولُه: (عَلَيهَا) أن تَقتُلَها.

قولُه: (بمَعنَى المُضَارِعِ) لأنَّ الماضِي في سياقِ الشَّرطِ مُضارعٌ معنًى، فصحَّ عطفُهُ على: ﴿نُنَزِّلْ﴾.

قولُه: (أي: تَظَلُّ) أي: تَدومُ، كما في نُسخَةٍ[3] هي أصحُّ.

قولُه: (الَّذِي هُو) أي: صِفةٌ.

قولُه: (قُرآنٍ) أي: طائِفةٍ من القُرآنِ، أو: موعِظةٍ، وقيلَ: ذاكِر.

قولُه: (صِفَةٌ كَاشِفَةٌ) أي: مُحدَثٍ إتيانُهُ، وقيل: مجدَّدٍ إنزاله؛ لتكريرِ التَّذكيرَ، وتكثيرِ التَّقريرِ.

قولُه: (بِهِ) أي: بالذِّكرِ بعدَ إعراضِهِم واستهزائِهِم.

قولُه: (عَوَاقِبُ) أو: أخبارُ عظمتِهِ ورفعتِهِ.

قولُه: (حَسَنٍ) كثيرِ النَّفعِ.

قولُه: (قُدرَتِهِ) وحكمتِهِ ورحمَتِه.

---

(١) يعني: (لعل) في مثل هذا الموضع لإشفاق المتكلم، ولما استحال في حقه سبحانه جعلوه متوجها إلى المخاطب. انظر: «روح المعاني» (١٠/ ٥٩).

(٢) يعني: لما كان الإشفاق غير واقع من المخاطب أيضاً قالوا: المراد الأمر به لدلالة الإنكار المستفاد من سوق الكلام عليه. المصدر السابق.

(٣) وهي كذلك في النسخ المعتمدة في المتن.

عِلم الله تعالى ـ و«كان» قال سيبويه: زائدةٌ ـ ٩ ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾: ذو العِزّة ينتقم من الكافرين ﴿الرَّحِيمُ﴾ يرحم المؤمنين.

١٠ ـ ﴿و﴾ اذكر ـ يا مُحمّد ـ لقومك ﴿إذ نادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ ليلة رأى النار والشجرة ﴿أنِ﴾ أي: بأنِ ﴿ائتِ القَومَ الظَّالِمِينَ﴾ رسولاً ١١ ـ ﴿قَومَ فِرعَونَ﴾ معه ظلموا أنفُسهم بالكُفر بالله وبني إسرائيل باستعبادهم، ﴿ألا﴾ ـ الهمزة: للاستفهام الإنكاريّ ـ ﴿يَتَّقُونَ﴾ اللهَ بطاعته فيوحّدونه؟ ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿قالَ﴾ مُوسَى: ﴿رَبِّ، إنِّيَ أخافُ أن يُكَذِّبُونِ، ويَضِيقُ صَدرِي﴾ من تكذيبهم لي ﴿ولا يَنطَلِقُ لِساني﴾ بأداء الرسالة للعُقدة التي فيه ـ ﴿فأرسِلْ إلَى﴾ أخي ﴿هارُونَ﴾ معي ـ ١٤ ـ ﴿ولَهُم عَلَيَّ ذَنبٌ﴾ بقتل القِبطيّ منهم، ....

قولُه: (عِلْمِ اللهِ) وقضائِه، فلذلكَ لا ينفَعُهُم أمثالُ هذه الآياتِ.

قولُه: (زائِدَةٌ) أشارَ إلى ضَعفِه وإن نُسِبَ إلى جَليلٍ، فإنَّ القولَ بالزِّيادةِ المجرَّدةِ في كلامِ اللهِ تعالى نقصانٌ؛ لأنَّه موهِمٌ للنَّقصِ.

قولُه: (ذُو العِزَّةِ) أي: الغالِبُ القادِرُ.

قولُه: (يَرحَمُ) أو: حيثُ أمهلَ الكافِرينَ.

قولُه: (بأَنْ) أو: أي، فمصدَريَّةٌ، أو تفسيريَّةٌ.

قولُه: (رَسُولاً) حالٌ.

قولُه: (مَعَهُ) ولعلَّ الاقتصارَ في العبارَةِ على القومِ للعِلمِ بأنَّه كانَ أولى بذلك، فإنَّه رأسُ الضُّلَّالِ، ومنشأُ الإضلالِ، ورئيسُ الظَّالِمينَ على نفسِهِ وغيرِه.

قولُه: (الإِنْكارِيّ) على وجهِ التَّوبيخِ.

قولُه: (اللهَ) حقُّهُ التَّقديمُ، فإنَّه مفعولُ ﴿يَتقُونَ﴾.

قولُه: (أَخِي) أي: الوَحيَ[1]، أو جِبريلَ.

قولُه: (مَعِي) حال؛ أي: مُصاحِباً لي.

قولُه: (بِقَتْلِي) أي: علَيَّ تَبِعتُهُ[2]، فحُذفَ المضافُ، أو سُمِّي باسمِه[3]، وإنَّما سمَّاهُ ذَنباً على زعمِهِم.

---

(١) مفعول به؛ بتقدير: فأرسل الوحيَ.

(٢) أي: ولهم علي تبعة ذنب، فحذف المضاف الذي هو «تبعة».

(٣) أي: أو سُمِّي تَبِعةُ الذَّنبِ ذنباً كما سمّي جزاءُ السَّيِّئةِ سيِّئةً.

﴿فأخافُ أن يَقتُلُونِ﴾ به.

١٥ ـ ﴿قالَ﴾ تعالى: ﴿كَلاّ﴾ أي: لا يقتلونك. ﴿فاذهَبا﴾ أي: أنت وأخوك، ففيه تغليب الحاضر على الغائب، ﴿بِآياتِنا ـ إنّا مَعَكُم مُستَمِعُونَ﴾ ما تقولون وما يقال لكم. أُجرِيا مُجرى الجماعة ـ ١٦ ـ ﴿فائتِيا فِرعَونَ، فقُولا: إنّا﴾ كُلًّا منّا ﴿رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ﴾ إليك، ١٧ ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿أرسِلْ مَعَنا﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إسرائيلَ﴾. فأتَياه فقالا له ما ذُكر.

١٨ ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون لمُوسَى: ﴿ألَم نُرَبِّكَ فِينا﴾ أي: في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيرًا...............

قولُه: (بِهِ) أي: بسَبَبِهِ، أو: بَدَله، وما كانَ هذا تعلُّلاً منهُ، بل طَلَباً للمَعونَةِ على امتثالِهِ، وتمهيدَ عذرٍ في طَلَبِها.

قولُه: (لا يَقتُلُونَكَ) الظَّاهرُ: أنَّه رَدعٌ عن الخَوفِ مُطلَقاً.

قولُه: (الحَاضِرِ) فإنَّه أقوى، وسيَّما هو الأصلُ هنا.

وقولُهُ تعالى: (﴿مُستمعون﴾) بمعنى: سامِعونَ، ولعلَّه للمُبالغَةِ.

قولُه: (مُجْرَى الجَمَاعَةِ) ويُؤيِّدُه قولُه تعالى: ﴿إنني معكما﴾ [طه: ٤٦]، أو: معكَ ومع أخيكَ بالعَونِ والنُّصرةِ، ومع مَن أرسِلتُما إليه بالعِلمِ والقُدرَةِ.

قولُه: (أي: كُلًّا) إشارَةٌ إلى وجهِ إفرادِ الرَّسولِ، أو لاتِّحادِهما في الأخوَّةِ، أو في الرِّسالَةِ، أو في الشَّريعةِ، أو لأنَّ فَعولاً يستَوي فيه الواحِدُ والتَّثنيةُ والجمعُ كالعَدوِّ، أو لأنَّه مَصدرٌ في الأصلِ وُصِفَ به.

قولُه: (أي: بِأَنْ) فـ﴿إنْ﴾ مصدَريَّةٌ، أو: أي أرسِل[1]؛ لتضمُّنِ الرَّسولِ مَعنى الإرسالِ المتضمِّنِ مَعنى القَولِ، والمعنى: خَلِّهم يذهَبُوا معنا.

قولُه: (فأَتَيَاهُ) في «المدارِكِ»: فأتَيا بابَهُ فلم يُؤذَن لهما سَنةً، حتَّى قالَ البوَّابُ: إنَّ هاهُنا إنساناً يزعُمُ أنَّه رسولُ ربِّ العالمينَ، فقالَ: ائذَنْ له لعلَّنا نضحَكُ منه[2].

وقيل: كان على بابِهِ أُسدٌ للحراسَةِ في اللَّيلِ، فبمُجرَّدِ رُؤيَةِ موسى وعَصاهُ شَردنَ[3]، فَدخَلا عليه.

قولُه: (صَغِيراً) في «القامُوسِ»: الوليدُ: المولودُ والصبيُّ[4].

---

(١) فهي تفسيرية.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٥٧).

(٣) في (م): «شرد منه».

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٢٧).

قريبًا من الوِلادة بعد فِطامه، ﴿ولَبِثتَ فِينا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ﴾: ثلاثين سنة، يلبَس من ملابس فِرعون، ويركب من مراكبه وكان يُسمّى ابنَه، ١٩ ـ ﴿وفَعَلتَ فعلَتَكَ الَّتِي فَعَلتَ﴾ ـ هي قتلُه القِبطيَّ ـ ﴿وأنتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾: الجاحدين لنِعمتي عليك بالتربيةِ وعدمِ الاستعباد؟ ٢٠ ـ ﴿قالَ﴾ مُوسَى: ﴿فَعَلتُها إذًا﴾ أي: حينئذ ﴿وأنا مِنَ الضّالِّينَ﴾ عمّا آتاني اللهُ بعدها من العلم والرسالة، ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿ففَرَرتُ مِنكُم لَمّا خِفتُكُم، فوَهَبَ لِي رَبِّي حُكمًا﴾: عِلمًا، ﴿وجَعَلَنِي مِنَ المُرسَلِينَ. وتِلكَ نِعمَةٌ، تَمُنُّها عَلَيَّ﴾ ـ أصله: تمنُّ بها عليَّ ـ ﴿أن عَبَّدتَ بَنِي إسرائيلَ﴾: بيانٌ لـ«تلك»، أي: اتّخذتَهم عبيدًا، ولم تستعبدني؟ لا نعمةَ لك بذلك لظُلمك باستعبادهم. وقدّر بعضهم أوّلَ الكلام همزة استفهام للإنكار.

٢٣ ـ ﴿قالَ فِرعَونُ﴾ لمُوسَى: ﴿وما رَبُّ العالَمِينَ﴾ الذي قلتَ: إنك رسوله، أي: أيُّ شيء هو؟ ولمّا لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته ـ تعالى ـ وإنما يعرفونه بصِفاته أجابه مُوسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ببعضها، ....

وفي البيضاويِّ: طِفلاً؛ سُمِّي به لقُربهِ من الوِلادةِ[١].

فقَولُه: (بَعْدَ فِطَامِهِ) لا يُناسِبُه المعنى اللُّغَويُّ، ولا الحالُ الواقِعيُّ، فإنَّ فرعَونَ ربَّاهُ قبلَ الفِطامِ وبعدَه، كما هو منصوصٌ عليهما.

قولُـه: (ثَلاثِينَ سَـنةٍ) قيل: لبِثَ فيهم ثلاثينَ سَـنةٍ، ثمَّ خرجَ إلى مَدْينَ عشْـرَ سـنينَ، ثمَّ عـادَ إليهم يدعوهُم إلـى اللهِ ثلاثينَ، ثمَّ بقيَ بعدَ الغَرقِ خمسـين.

قولُه: (وعَدَمِ) أي: بعدَمِ الاستِعبادِ؛ يعني: حيثُ عمدْتَ إلى قتلِ بعضِ خواصِّي، أو: حيثُ خالَفْتَني.

قولُه: (مِنَ العِلمِ) يعني: من الجاهِلينَ، وقد قُرِئَ به[٢].

قولُه: (عِلْماً) أو: ولايَةَ حُكمٍ، أو: حكمةً.

قولُه: (تَمُنُّ بِهَا) ففيه حذفٌ وإيصالٌ.

قولُه: (بَيَانٌ) لُغويٌّ، أو اصطِلاحيٌّ.

وقَولُه: (لِـ﴿تِلْكَ﴾) أي: لتلكَ النِّعمةِ، أو للَفظِ ﴿تِلْكَ﴾، فالأوَّلُ على أنَّه خبرُ محذوفٍ، أو بَدلُ ﴿نِعمَةٌ﴾، والثَّاني على أنَّ ﴿تلكَ﴾ إشارةٌ إلى خَصْلةٍ شَنْعاءَ مُبهَمةٍ، و﴿أَنْ عَبَّدْتَ﴾ عَطفُ بيانِها.

قولُه: (أَيْ: أَيُّ شَيءٍ) و(مَا) للسُّؤالِ عن الحقيقةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٣٥).

(٢) أي: (وأنا من الجاهلين). انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٠٧) عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم.

٢٤ ـ ﴿قالَ: رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾ أي: خالقُ ذلك، ﴿إن كُنتُم مُوقِنِينَ﴾ بأنه ـ تعالى ـ خالقُه فآمنوا به وحده.

٢٥ ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون ﴿لِمَن حَولَهُ﴾ من أشراف قومه: ﴿ألا تَستَمِعُونَ﴾ جوابه الذي لم يُطابِق السؤالَ؟ ٢٦ ـ ﴿قالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبُّكُم ورَبُّ آبائكُمُ الأوَّلِينَ﴾. وهذا، وإن كان داخلاً فيما قبله، يغيظ فرعون. ولذلك ٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿قالَ: إنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرسِلَ إلَيكُم لَمَجنُونٌ. قالَ﴾ مُوسى: ﴿رَبُّ المَشرِقِ والمَغرِبِ وما بَينَهُما، إن كُنتُم تَعقِلُونَ﴾ أنه كذلك فآمنوا به وحده.

٢٩ ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون لمُوسى: ﴿لَئِنِ اتَّخَذتَ إلـٰهًا غَيرِي لَأجعَلَنَّكَ مِنَ المَسجُونِينَ﴾. كان سِجنه شديدًا، يَحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده، لا يُبصِر ولا يَسمع فيه أحدًا. ٣٠ ـ ﴿قالَ﴾ له مُوسى ﴿: أوَلَو﴾ أي: أتفعل ذلك ولو ﴿جِئتُكَ بِشَيءٍ مُبِينٍ﴾ أي: برهان بيِّن على رسالتي؟ ٣١ ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون له: ﴿فائتِ بِهِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ فيه.

٣٢ ـ ﴿فألقَى عَصاهُ، فإذا هِيَ ثُعبانٌ مُبِينٌ﴾: حيّة عظيمة، ٣٣ ـ ﴿ونَزَعَ يَدَهُ﴾: أخرجها من جيبه، ﴿فإذا هِيَ بَيضاءُ﴾ ذات شُعاع ﴿لِلنّاظِرِينَ﴾ خِلافَ ما كانت عليه من الأُدمة.

قولُه: (فآمِنُوا) إشارةٌ إلى أنَّ جوابَ الشَّرطِ مقدَّرٌ مُؤخَّرٌ، وقيل: هو شَرطٌ مُستَغنٍ عن الجزاءِ اجتِزاءً بما مَضى.

قولُه: (وهَذَا...إلخ) أو: عُدولٌ إلى ما يكونُ أقربَ إلى النَّاظرِ، وأوضَحَ عندَ المتأمِّلِ.

قولُه: (ولذَلِكَ) الغَيظِ سمَّاهُ مجنوناً؛ أي: أسألُهُ عن شَيءٍ ويُجيبُني عن آخرَ، ويُكرِّرُهُ، وأمَّا تسميتُه رسولاً فعلى السُّخريةِ، وهذا طريقُ الجاهِلِ إذا قعدَ عن الحُجَّةِ قامَ بالسَّفاهَةِ.

قولُه: (كَانَ سَجْنُهُ) بالفتحِ، مصدَرٌ.

قولُه: (أَحَداً) ولا يخرجُ حيًّا، ولهذا هدَّدَهُ به دونَ القَتلِ.

قولُه: (﴿وَلَوْ﴾) الواو للحالِ، وليَها الهمزةُ للتَّوبيخِ بعدَ حذفِ الفعلِ، و﴿لو﴾ وَصْليَّة.

قولُه: (فِيْهِ) أي: في أنَّ لكَ بيِّنةً، أو: في دَعْواكَ.

قولُه: (حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ) فاتِحةٌ فمَها، رافِعةٌ رَأسَها، قائلةٌ: مُرني يا موسى بما شِئتَ.

قولُه: (مِنْ جَيْبِهِ) أو: من تحتِ إبْطِهِ.

قولُه: (الأُدْمَةِ) لَونٌ مُشْرَبٌ سَوادًا وبَياضاً[1].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٧٤).

٣٤ ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون ﴿لِلمَلَأِ حَولَهُ: إنَّ هذا لَساحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في عِلم السِّحر، ٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿يُرِيدُ أن يُخرِجَكُم مِن أرضِكُم بِسِحرِهِ. فماذا تأمُرُونَ؟ قالُوا: أرجِئْهُ وأخاهُ﴾: أخِّرْ أمرهما، ﴿وابعَثْ في المَدائِنِ حاشِرِينَ﴾: جامعين، ٣٧ ـ ﴿يأتُوكَ بِكُلِّ سَحّارٍ عَلِيمٍ﴾ يفضُل مُوسى في عِلم السِّحر.

٣٨ ـ ﴿فجُمِعَ السَّحَرةُ لِمِيقاتِ يَومٍ مَعلُومٍ﴾ ـ وهو وقت الضُّحى من يوم الزينة ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿وقِيلَ لِلنّاسِ: هَل أنتُم مُجتَمِعُونَ، لَعَلَّنا نَتَّبِعُ السَّحَرةَ، إن كانُوا هُمُ الغالِبِينَ﴾؟ الاستفهام للحثّ على الاجتماع والترجّي على تقدير غلبتهم ليستمرّوا على دِينهم فلا يتبعوا مُوسى.

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿فلَمّا جاءَ السَّحَرَةُ قالُوا لِفِرعَونَ: أإنَّ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿لَنا لَأجرًا، إن كُنّا نَحنُ الغالِبِينَ؟ قالَ: نَعَم، وإنَّكُم إذًا﴾ أي: حينئذٍ ﴿لَمِنَ المُقَرَّبِينَ﴾.

٤٣ ـ ﴿قالَ لَهُم مُوسَى﴾، بعد ما قالوا له: «إمّا أن تُلقِيَ، وإمّا أن نَكُونَ نَحنُ المُلقِينَ»: ﴿ألقُوا ما أنتُم مُلقُونَ﴾. فالأمر منه للإذن بتقديم إلقائهم توسّلاً به إلى إظهار الحق..........

قولُه: (أَخِّرْ أَمْرَهُمَا) وقيل: احبِسهُما.

قولُه: (جَامِعِينَ) أي: شُرَطاً يجمَعونَ السَّحرَةَ.

قولُه: (وهُوَ وَقتُ الضُّحَى) والتَّقديرُ: لِمَا وقِّتَ فيه من ساعاتِ يومٍ مُعيَّنٍ.

قولُه: (للحَثِّ) أي: استِبَطاءً لهم في الاجتماعِ حَثًّا على مُبادَرتِهم إليه، وحاصلُه: أنَّه استفهامٌ بمعنى الأمرِ.

قولُه: (فَلا يَتَّبِعُوا مُوسَى) يعني: هذا مقصودُهُم الأصليُّ، لا أن يَتْبَعوا السَّحرةَ.

قولُه: (بِتَحقِيْقِ) مرَّ تحقيقُهُ مِراراً[1].

قولُه: (أي: حِينَئِذٍ) قالَ البيضاويُّ: وقُرِئَ: (نَعِمْ) بالكسرِ[2]؛ أي: بكسرِ العينِ، وهو سهوٌ؛ لأنَّه قراءةُ الكِسائيِّ[3].

قولُه: (تَوَسُّلاً) يعني: ولم يُرِد به أمرَهُم بالسِّحرِ.

---

(١) انظر: (الرعد: ٥) عند قوله: وفي الهمزتين... إلخ.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٣٨).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ٢٨٢).

وفي «إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر» (ص: ٢٨٣): لغة صحيحة لكنانة وهذيل، خلافاً لم طعن فيها، وافقه الشنبوذي.

٤٤ ـ ٤٥ ـ ﴿فألقَوا حِبالَهُم وعِصِيَّهُم، وقالُوا: بِعِزَّةِ فِرعَونَ إنّا لَنحنُ الغالِبُونَ. فألقَى مُوسَى عَصاهُ، فإذا هِيَ تَلَقَّفُ﴾، بحذف إحدى التاءين من الأصل: تبتلعُ ﴿ما يأفِكُونَ﴾: يقلبونه بتمويههم فيُخيّلون أنّ حبالهم وعصيّهم حيّاتٌ تسعى، ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿فأُلقِيَ السَّحَرةُ ساجِدِينَ، قالُوا: آمَنّا بِرَبِّ العالَمِينَ، رَبِّ مُوسَى وهارُونَ﴾ لِعِلمهم بأنّ ما شاهدوه من العصا لا يتأتّى بالسِّحر.

٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿قالَ﴾ فِرعون: ﴿آمَنتُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا ـ ﴿لَهُ﴾: لِمُوسى ﴿قَبلَ أن آذَنَ﴾ أنا ﴿لَكُم؟ إنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحرَ﴾، فعلّمكم شيئًا منه وغلبكم بآخر. ﴿فلَسَوفَ تَعلَمُونَ﴾ ما ينالكم منّي، ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أيدِيَكُم وأرجُلَكُم مِن خِلافٍ﴾ أي: يدَ كُلّ واحد اليُمنى ورِجلَه اليُسرى، ﴿ولَأُصَلِّبَنَّكُم أجمَعِينَ. قالُوا: لا ضَيرَ﴾: لا ضررَ علينا في ذلك. ﴿إنّا إلَى رَبِّنا﴾ بعد موتنا، بأيّ وجه كان، ﴿مُنقَلِبُونَ﴾: راجعون في الآخرة. ٥١ ـ ﴿إنّا نَطمَعُ﴾: نرجو ﴿أن يَغفِرَ لَنا رَبُّنا خَطايانا، أنْ﴾ أي: بأن ﴿كُنّا أوَّلَ المُؤمِنِينَ﴾ في زماننا.

٥٢ ـ ﴿وأوحَينا إلَى مُوسَى﴾ بعد سنين أقامها بينهم، يدعوهم بآيات الله إلى الحقّ، فلم يزيدوا إلاّ عُتُوًّا: ﴿أنْ أسرِ بِعِبادِيَ﴾ بني إسرائيل ـ...

قولُه: (مِنَ الأَصلِ) والبَزِّيُّ بالتَّشديدِ وَصْلاً، وحَفصٌ بالتَّخفيفِ[1].

قولُه: (يَقلِبُونَهُ) أي: عن وجهِهِ، وهي الجَماديَّةُ.

قولُه: (بتَمْوِيهِهِمْ) وتَزويرِهِم.

قولُه: (بتَحْقِيق) عُرِفَ في الأعرافِ.

قولُه: (أَنَا) مرَّ أيضاً.

قولُه: (بآخَرَ) أو: فواعدكُم ذلك وتواطأْتُم عليه.

قولُه: (بأَيِّ وَجْهٍ) أي: سَببٍ من أسبابِ الموتِ، وقتلُك أنفعُها وأرجَاها.

قولُه: (أي: بِأَنْ) والأظهرُ: لأَنْ.

قولُه: (في زَمَانِنَا) أي: من أهلِ المشهَدِ، أو: من أتباعِ فرعَونَ.

قولُه: (يَدْعُوهُم) ويُظهِرُ لهم الآياتِ.

قولُه: (عُتُوًّا) وفساداً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧١)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٧).

وفي قراءة بكسر النون ووصل همزة «اسرِ» من سَرَى: لغة في أسرَى ـ أي: سِرْ بهم ليلاً إلى البحر. ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾: يتّبعكم فِرعون وجُنوده، فيَلِجُون وراءكم البحر، فأُنجيكم وأُغرِقُهم. ٥٣ ـ ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ﴾ حين أُخبر بسيرهم ﴿فِي الْمَدَائِنِ﴾ ـ قيل: كان له ألفُ مدينةٍ واثنا عشَرَ ألفَ قريةٍ ـ ﴿حَاشِرِينَ﴾: جامعين الجيش، قائلاً: ٥٤ ـ ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾: طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ ـ قيل: كانوا ستّمِائَةِ ألفٍ وسبعين ألفًا، ومُقدّمةُ جيشه سبعُمِائَةِ ألفٍ، فقلّلهم بالنظر إلى كثرة جيشه ـ ٥٥ ـ ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾: فاعلون ما يغيظنا، ٥٦ ـ ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ﴾: مُتيقّظون. وفي قراءة: «حاذِرُونَ»: مُستعدّون.

٥٧ ـ قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم﴾ أي: فِرعونَ وجنوده من مصرَ ليلحقوا مُوسى وقومَه ﴿مِّن جَنَّاتٍ﴾: بساتينَ كانت على جانبَي النيل، ﴿وَعُيُونٍ﴾: أنهار جارية في الدُّور من النيل، ٥٨ ـ ﴿وَكُنُوزٍ﴾: أموال ظاهرة من الذهب والفِضّة، وسُمّيت كنوزًا لأنه لم يُعطَ حقُّ الله ـ تعالى ـ منها ﴿وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾: مجلس حسنٍ للأُمراء والوُزراء يحفّه أتباعهم ـ ....

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) للحِرْميَّين[1].

قولُه: (بِسَيْرِهِمْ) أي: في اللّيلِ.

قولُه: (الجَيْشَ) ليتبَعوهُم.

قولُه: (قَائِلاً) أو: قالَ لهم بعدما اجتَمَعوا.

قولُه: (طَائِفَةٌ) و﴿قليلونَ﴾ باعتبارِ أنّهم أسباطٌ، كُلُّ سبطٍ منهم قليلٌ.

قولُه: (فَاعِلُونَ) و﴿لَنَا﴾ مُتعلّقٌ بمضمونِ ﴿غَائِظونَ﴾ لا بلَفظِهِ، فإنَّ ما بعدَ اللّامِ لا يعمَلُ فيما قَبلَه.

قولُه: (مُتَيَقِّظُونَ) أي: لجَمْعٌ كبيرٌ من عادَتِنا الحذرُ للمُبالَغةِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لابنِ ذَكوانَ والكُوفيِّ[2].

قولُه: (مُسْتَعِدُّونَ) ومع هذا نَطلُبُ زيادَةَ الاستعدادِ، فالأوّلُ للثّباتِ، والثّاني للتّجدُّدِ.

قولُه: (وجُنُودَهُ) بأن خلقْنَا داعيةَ الخُروجِ بهذا السَّببِ المذكورِ قبلُ، فحمَلتْهم عليه.

قولُه: (ظَاهِرَةٍ) أو باطِنةٍ مَدفونةٍ زيادَةً على الأموالِ الظّاهرَةِ.

قولُه: (للأُمَرَاءِ) ولا مانعَ لحملِهِ على الكُلِّ، والحُسنُ إضافيٌّ، ولو بالإضافَةِ إلى النّارِ، كما قيل في قولِهِ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧١).

(٢) انظر المصدر السابق.

٥٩ ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: إخراجُنا كما وصفنا ـ ﴿وأورَثناها بَني إسرائيلَ﴾ بعد إغراق فِرعون وقومه ـ ٦٠ ـ ﴿فأتبَعُوهُم﴾: لحِقوهم ﴿مُشرِقِينَ﴾: وقتَ شُروق الشمس.

٦١ ـ ﴿فلَمّا تَراءَى الجَمعانِ﴾: رأى كُلّ منهما الآخَرَ ﴿قالَ أصحابُ مُوسَى: إنّا لَمُدرَكُونَ﴾: يُدرِكنا جمعُ فِرعون، ولا طاقة لنا به. ٦٢ ـ ﴿قالَ﴾ مُوسى: ﴿كَلّاَ﴾ أي: لن يُدركونا. ﴿إنَّ مَعِي رَبِّي﴾ بنصره، ﴿سَيَهدِينِ﴾ طريقَ النجاة.

٦٣ ـ قال تعالى: ﴿فأوحَينا إلَى مُوسَى: أنِ اضرِبْ بِعَصاكَ البَحرَ﴾. فضربه، ﴿فانفَلَقَ﴾: انشقّ اثني عشرَ فِرقًا، ﴿فكانَ كُلُّ فِرْقٍ كالطَّودِ العَظِيمِ﴾: الجبل الضخم، بينها مسالك سلكوها، لم يبتلّ منها سرجُ الراكب ولا لِبْدُه، ....

ﷺ: «الدُّنيَا سِجنُ المؤمِنِ، وجَنَّةُ الكَافِرِ»[١].

قولُه: (إِخرَاجُنَا) فهو مصدَرٌ، أو: الأمرُ [كذلك]؛ أي: أمرُ الإخراجِ، فهو خبرٌ لمحذوفٍ.

قولُه: (وَقْتَ) حالٌ؛ أي: داخِلينَ في وَقتٍ.

قولُه: (أي: رَأَى) يعني: تَقارَبا.

قولُه: (لَن يُدْرِكُونَا) فإنَّ الله وعدَكُم الخَلاصَ.

قولُه: (بنَصْرِهِ) وعلمِهِ وهدايَتِهِ، والمعيَّةُ من المتَشابهِ عندَ السَّلفِ.

قولُه: (طَرِيْقَ النَّجَاةِ) أي: أو[٢] منهُم، والسينُ للتَّحقيقِ والتَّأكيدِ.

قولُه: (فَضَرَبَهُ) وهو النِّيلُ، أو القُلْزُم[٣] الَّذي يتوَّصَلُ أهلُ مصرَ منه إلى الطُّورِ، وإلى مكَّةَ المشرَّفةَ، والثَّاني: هو الأظهَرُ للمَعنى البَحريِّ، وللصَّلابةِ والسَّعةِ، وزيادَةِ عَذابِ الملوحَةِ.

قولُه: (الضَّخِمِ) بكسرِ الخاءِ، والأظهرُ: المتينِ المرتَفِعِ

(بينَها مسالِكُ) قالهُ القاضي[٤]، فوقعَ مباحِثُ هنالكَ، ويرتفِعُ الإشكالُ بإرجاعِ الضَّمائرِ إلى الفِرقِ بدونِ اعتِبارِ العَدَدِ، هذا خَطرَ لي أثناءَ الكِتابَةِ.

قولُه: (لَبِدُهُ) بفتح اللَّامِ وكسرِ الباءِ: جلُّهُ.

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٦)، والترمذي (٢٣٢٤)، وابن ماجه (٤١١٣)، وأحمد في «مسنده» (٨٢٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كذا في النسخ، والصواب إسقاطها، ففي البيضاوي: ﴿سيهدين﴾ طريق النجاة منهم.

(٣) هو البحر الأحمر. وانظر: «معجم البلدان» (١/ ٣٤٤).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٤٠).

٦٤ ـ ﴿وأزلَفْنا﴾: قرَّبنا ﴿ثَمَّ﴾: هناكَ ﴿الآخَرِينَ﴾: فِرعونَ وقومه حتّى سلكوا مسالكهم، ٦٥ ـ ﴿وأنجَينا مُوسَى ومَن مَعَهُ أجمَعِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على الهيئة المذكورة، ٦٦ ـ ﴿ثُمَّ أغرَقْنا الآخَرِينَ﴾: فِرعونَ وقومه بإطباق البحر عليهم، لمّا تمّ دُخولُهم البحرَ وخُروجُ بني إسرائيل منه.

٦٧ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ أي: إغراقِ فِرعونَ وقومه ﴿لآيَةً﴾: عِبرةً لِمَن بعدَهم، ﴿وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ﴾ بالله تعالى ـ لم يُؤمن منهم غيرُ آسيةَ امرأةِ فِرعون وحِزقيلَ مؤمنِ آلِ فِرعون ومريمَ بنتِ ناموسَى التي دلّت على عِظام يوسف عليه السلام ـ ٦٨ ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين فأنجاهم من الغرَق.

٦٩ ـ ﴿واتلُ علَيهِم﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿نَبَأَ﴾: خبرَ ﴿إبراهِيمَ﴾، ويبدل منه: ٧٠ ـ ٧١ ـ ﴿إذ قالَ لِأبِيهِ وقَومِهِ: ما تَعبُدُونَ؟ قالُوا: نَعبُدُ أصنامًا﴾، صرّحوا بالفِعل ليعطفوا عليه: ﴿فنَظَلُّ لَها عاكِفِينَ﴾ أي: نُقيم نهارًا على عِبادتها. زادوه في الجواب افتخارًا به..

قولُه: (هُنَاكَ) يعني: ﴿ثَمَّ﴾ ظَرفٌ يُشارُ به إلى البَعيدِ.

قولُه: (فِرعَوْنَ وقَوْمَهُ) أي: من بَني إسرائيلَ، أو منَ البحرِ، أو بعضِهم من بعضٍ.

قولُه: (بِإخرَاجِهِمْ) وتخليصِهم من الغرَقِ، أو: من شَرِّ فرعَونَ.

قولُه: (لَمَّا) ظَرفٌ لـ(إطبَاقِ)، أو لـ﴿أغرَقنَا﴾.

قولُه: (أي: إغرَاقِ) أو: إنجاءِ موسَى ومن معَهُ، أو: ما ذُكرَ.

قولُه: (لَعِبْرَةً) أي: عِبرةً.

قولُه: (لَم يُؤمِنْ مِنهُم) فالضَّميرُ للقِبْطِ، أو الضَّميرُ لهم ولبَني إسرائيلَ، إذ لم يؤمِنْ بها أحَدٌ ممَّن بَقيَ من مِصرَ من القِبْطِ، وبنو إسرائيلَ بعدَما نَجَوا سألوا بقرةً يَعبدُونَها، واتَّخذوا العِجلَ، وقالوا: لن نؤمِنَ لك حتى نَرى اللهَ جهرة.

وقيلَ: وما أكثرُ النَّاسَ.

قولُه: (دَلَّتْ) يعني: مُوسى.

قولُه: (أي: كُفَّارِ مَكَّةَ) يعني: أوَّلاً.

قولُه: (نَهاراً) قيل: كانوا يعبدونَها بالنَّهارِ دونَ الليلِ، والأظهرُ: أنَّه بمَعنى لُزوم.

قولُه: (زَادُوْهُ) حيثُ لم يقتَصِروا على أصناماً، وشَرَحوا حالَهُم معها.

قولُه: (افْتِخَاراً) وتَبَجُّحاً، وهو إظهارُ الفَرحِ.

قولُه: (به) أي: بفعْلِهِم.

٧٢ـ٧٣ـ ﴿قالَ: هَل يَسمَعُونكُم إذ﴾: حينَ ﴿تَدعُونَ أو يَنفعُونكُم﴾ إن عبدتموهم ﴿أو يَضُرُّونَـ﴾ ـكُم إن لم تعبدوهم؟ ٧٤ ـ ﴿قالُوا: بَل وَجَدْنا آباءَنا كَذلِكَ يَفعَلُونَ﴾ أي: مِثلَ فِعلنا.

٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧ ـ ﴿قالَ: أفرَأيتُم ما كُنتُم تَعبُدُونَ أنتُم وآباؤُكُم الأقدَمُونَ؟ فإنَّهُم عَدُوٌّ لِيَ﴾ لا أعبدُهم، ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿رَبَّ العالَمِينَ﴾ فإني أعبده، ٧٨ ـ ﴿الَّذي خَلَقَني فهُوَ يَهدِينِ﴾ إلى الدِّين، ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ﴿والَّذي هُوَ يُطعِمُني ويَسقِينِ، وإذا مَرِضتُ فهُوَ يَشفِينِ، والَّذِي يُمِيتُني ثُمَّ يُحيِينِ، والَّذِي أطمَعُ﴾: أرجو ﴿أن يَغفِرَ لِي خَطِيئَتي يَومَ الدِّينِ﴾: الجزاءِ.

٨٣ ـ ﴿رَبِّ، هَبْ لِي حُكمًا﴾: عِلمًا، ﴿وألحِقْني بِالصّالِحِينَ﴾ أي: النبيّين، ٨٤ ـ ﴿واجعَلْ لِي لِسانَ صِدقٍ﴾: ثناءً حسنًا ﴿في الآخِرِينَ﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة، ٨٥ ـ ﴿واجعَلْني مِن وَرَثةِ جَنّةِ النَّعِيمِ﴾ أي: ممّن يُعطاها، ٨٦ ـ ﴿واغفِرْ لِأبِيَ ـ إنَّهُ كانَ مِنَ الضّالِّينَ﴾، بأن تتوب عليه فتغفر له. وهذا قبل أن يتبيّن له أنه عدوّ لله كما ذُكر في سورة «براءة» ـ..........

قولُه: (حِيْنَ) أي: هل يسمَعونَ دُعاءَكُم؟

قولُه: (كُمْ) إشارةٌ إلى أنَّ مفعولَ: ﴿يَضُرُّونَ﴾ وكذا مَفعولُ: ﴿تَدعُونَ﴾ ـ وهو: هم ـ مَتروكٌ للفاصِلةِ.

قولُه: (مِثلَ فِعلِنَا) أي: فِعلاً مثلَ ذلكَ الفِعلِ، فنصبُهُ على أنّه صفةُ مَصدرٍ مَحذوفٍ، يعني: التَجؤوا إلى التَّقليدِ.

قولُه: (لَكِنْ) يَعني: الاستِثْناءُ مُنقَطِعٌ.

قولُه: (إِلَى الدِّيْنِ) لأنَّهُ يَهدي كُلَّ مَخلوقٍ لِمَا خُلِقَ له من أمورِ المَعاشِ والمَعادِ.

وقَولُه تعالى: (﴿وإذا مرضت﴾) فيه رِعايَةُ حُسنِ أَدبٍ، حيثُ لم يقُل: أمرَضَني.

قولُه: (﴿أَطمَعُ﴾) قيل: أخرَجَ سؤالَهُ على حُكمِ الأدبِ، حيثُ لم يحكُم على ربِّه بالمغفِرةِ، ولكنَّه قالَ: أطمَعُ طمَعَ العَبيدِ في مَواليهِم وإن لم يستَحِقُّوا شيئاً.

قولُه: (يَومَ الجَزَاءِ) وحسناتُ الأبرارِ سيِّئاتُ المقرَّبينَ، أو هَضْماً لنفسِهِ، وتعليماً لغيرِهِ.

قولُه: (عِلْماً) كَمالًا في العِلمِ والعَمَلِ.

قولُه: (أي: النَّبِيِّينَ) يعني: الكامِلينَ في الصَّلاحِ.

قولُه: (ثَنَاءً) مَجازٌ بذكرِ آلَةِ الثَّناءِ وإرادتِهِ، وأضيفَ الموصوفُ إلى الصِّفَةِ.

قولُه: (يُعطَاهَا) يعني: من غيرِ كَدٍّ وتعبٍ ومحنَةٍ بكَ، بل بالفضلِ والرَّحمةِ.

٨٧ ـ ﴿ولا تُخْزِنِي﴾: تَفضحْني ﴿يَومَ يُبعَثُونَ﴾ أي: الناسُ.

٨٨ ـ قال تعالى فيه: ﴿يَومَ لا يَنفَعُ مالٌ ولا بَنُونَ﴾ أحدًا، ٨٩ ـ ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿مَن أتَى اللهَ بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشِّرك والنِّفاق ـ وهو قلب المؤمن ـ فإنه ينفعه ذلك، ٩٠ ـ ﴿وأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ﴾: قُرِّبتْ ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ فيرونها، ٩١ ـ ﴿وبُرِّزَتِ الجَحِيمُ﴾: أُظهِرتْ ﴿لِلغاوِينَ﴾: الكافرين، ٩٢ ـ ٩٣ ـ ﴿وقِيلَ لَهُم: أينَ ما كُنتُم تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه من الأصنام؟ ﴿هَل يَنصُرُونكُم﴾ بدفع العذاب عنكم، ﴿أو يَنتَصِرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا. ٩٤ ـ ٩٥ ـ ﴿فكُبْكِبُوا﴾: أُلقُوا ﴿فِيها هُم والغاوُونَ، وجُنُودُ إبلِيسَ﴾: أتباعُه ومن أطاعه من الجِنّ والإنس ﴿أجمَعُونَ﴾.

قولُه: (تَفضَحْنِي) بنقصِ رُتبَتي عن الصَّالِحينَ، أو بمُعاتَبَتي على سيِّئاتي.

قولُه: (أي: النَّاسُ) الأولى: العبادُ، وإن لم يُسبَق ذِكرُهم؛ لأنَّهم معلومونَ.

قولُه: (فِيهِ) أي: في شأنِ ذلك اليومِ، والظَّاهرُ: أنَّه من تتمَّةِ كلامِ الليلِ بَدلاً من: ﴿يَومَ يُبعَثُونَ﴾.

قولُه: (لكِن) يعني: الاستِثناءُ مُنقَطِعٌ، والمعنى: ولكنْ سَلامةُ مَن أتى اللهَ بقلبٍ سَليمٍ تنفَعُه، أو الاستثناءُ مُتَّصلٌ؛ أي: لا ينفَعانِ أحداً إلا مُخلِصاً سليمَ القَلبِ عن الكُفْرِ والمعاصِي وسائرِ آفاتِهِ؛ لأنَّه أنفَقَ مالَهُ في الخيرِ، وأرشَدَ بنيهِ إلى الحقِّ.

قولُه: (فيَرَونَهَا) من الموقفِ، فيفرَحونَ بأنَّهم المحشُورونَ إليها.

قولُه: (الكَافِرِينَ) فيَرونَها مكشُوفَةً، ويتحَسَّرونَ على أنَّهم المسوقونَ إليها، واللَّامُ للاختصاصِ، أو للمُشاكَلةِ، أو للتَّهكُّمِ، والظَّاهرُ: أنَّ كُلًّا يرونَ مكانَهُ فقط، ويُمكِنُ أن يَرى كلٌّ كلًّا ليَزيدَ السُّرورُ للأبرارِ، وليتضاعفَ الحُزنُ على الفُجَّارِ، كما وردَ في القَبرِ[1]، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (منَ الأَصْنَامِ) التي كنتُم تزعُمونَ أنَّها شُفعاءُ.

قولُه: (أُلْقُوا) يعني: الآلهَةَ وعبدتُهُم.

قولُه: (أَتبَاعُهُ) أو شياطينُهُ، وهو مُقدَّمهُم، فلا يتخلَّفُ عنهُم، ولذا لم يُذكَر كما لم يُذكَر فرعونُ في كثيرٍ من المواضعِ اكتفاءً بذِكرِ قومِهِ.

---

(١) روى ابن ماجه (٤٢٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١١٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٤٠٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «...ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسروراً، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسروراً...»، ثم قال في الكافر: «...ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك من النار، وما أعدَّ الله لك فيها، فيزداد حسرة وثبوراً، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك من الجنة، وما أعد الله لك فيه لو أطعته فيزداد حسرة وثبوراً...» الحديث.

٩٦ ـ ﴿قالُوا﴾ أي: الغاوون، ﴿وهُم فِيها يَختَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم: ٩٧ ـ ﴿تاللهِ، إنْ﴾: مُخففةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه ﴿كُنّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ، ٩٨ ـ ﴿إذْ﴾: حيثُ ﴿نُسَوِّيكُم بِرَبِّ العالَمِينَ﴾ في العِبادة، ٩٩ ـ ﴿وما أضَلَّنا﴾ عن الهُدى ﴿إلاّ المُجرِمُونَ﴾ أي: الشياطينُ أو أوّلونا الذين اقتدَينا بهم! ١٠٠ ـ ﴿فما لَنا مِن شافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيّين والمؤمنين، ١٠١ ـ ﴿ولا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ أي: يُهمّه أمرنا. ١٠٢ ـ ﴿فلَو أنَّ لَنا كَرَّةً﴾: رجعةً إلى الدنيا، ﴿فنكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾. «لو» هنا: للتمني، ونكون: جوابه.

١٠٣ ـ ١٠٤ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ من قِصّة إبراهيم وقومه ﴿لَآيةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

١٠٥ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَومُ نُوحٍ المُرسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له لاشتراكهم في المجيء بالتوحيد، أو لأنه لطول لَبثه فيهم كأنه رُسُلٌ ـ وتأنيثُ «قوم» باعتبار معناه وتذكيرُه باعتبار لفظه ـ..........

قولُه: (أَي: الغَاوُونَ) يعني: العبدَة.

قولُه: (مَعَ معبُودِيْهِم) بأن أَنْطقَ اللهُ الأصنامَ.

قولُه: (حَيْثُ) ظرفيَّةٌ، أو تعليليَّةٌ.

قولُه: (أي: الشَّيَاطِينُ) أو الرُّؤساءُ.

قولُه: (مِنَ المَلائِكَةِ) بيانٌ لـ﴿شَافِعِين﴾.

قولُه: (يُهِمُّهُ) أي: قَرِيبٍ، أو مُهتَمٍّ، أو خَاصَّةٍ؛ إذ الأخلاءُ يومئذٍ بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلَّا المتَّقينَ، وجمَعَ الشَّافعَ ووحَّدَ الصَّديقَ لإطلاقِ الصَّديقِ على الجمعِ كالعدوِّ؛ لأنَّه في الأصلِ مصدَرٌ، والعُدولُ لكَثْرةِ الشُّفعاءِ في العادَةِ وقلَّةِ الصَّديقِ[1].

قولُه: (وقَوْمِهِ) وهو مَرجِعُ ضَميرِ: ﴿أَكثَرُهم﴾.

قولُه: (مَعنَاهُ) وهو الجماعَةُ، أو الأمَّةُ.

قولُه: (وتَذكِيرُهُ) يعني: أنَّ القومَ يذكَّرُ ويؤنَّثُ بالاعتبارَين.

---

(١) قوله: «والعدول» كذا في النسخ، ولعل الصواب: «أو العدول» يعني: هو وجه آخر في تعليل جمع الشافع وتوحيد الصديق، هكذا ذكرهما الزمخشري والبيضاوي وجهين في التعليل، وعبارة الزمخشري: فإن قلتَ: لم جُمِع الشافِعُ ووُحِّد الصَّديقُ؟ قلتُ: لكَثرة الشفعَاءِ في العادة وقلَّةِ الصَّديق، ألا تَرَى أنَّ الرَّجل إذا امتُحِنَ بإرْهَاقِ ظَالم نهَضَت جماعةٌ وافرةٌ من أهل بَلَدِه لشَفاعتِه رَحْمةً له وحِسْبةً وإن لم تَسبِقْ له بأكْثرِهم مَعْرفةٌ، وأمَّا الصَّديقُ وهو الصَّادِقُ في وِدادك الَّذي يُهمُّهُ ما أَهمَّكَ فأعَزُّ مِن بَيْضِ الأنوق. ويجوز أن يُريدَ بالصَّديق: الجَمع.

١٠٦ ـ ﴿إذ قالَ لَهم أخوهُم﴾ نَسَبًا ﴿نُوحٌ: ألا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ ١٠٧ ـ ﴿إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ﴾ على تبليغ ما أُرسلتُ به. ١٠٨ ـ ﴿فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ﴾ فيما آمركم به من توحيد الله وطاعته ـ ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ﴿وما أسألُكُم عليه﴾: على تبليغه ﴿مِن أجرٍ. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ﴾ أي: ثوابي ﴿إلاّ على رَبِّ العالَمِينَ ـ فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ﴾ كرّره تأكيدًا.

١١١ ـ ﴿قالُوا: أنُؤمِنُ﴾: نُصدّق ﴿لَكَ﴾: لقولك، ﴿واتَّبَعَكَ﴾ ـ وفي قراءة: «وأتباعُكَ»: جمع تابع مبتدأ ـ ﴿الأرذَلُونَ﴾: السَّفَلة كالحاكة والأساكفة؟ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ﴿قالَ: وما عِلمِي﴾: أيُّ عِلمٍ لي ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ؟ إنْ﴾: ما ﴿حِسابُهُم إلاّ على رَبِّي﴾ فيُجازيهم ـ ﴿لَو تَشعُرُونَ﴾: تعلمون ذلك ما عيَّرتموهم ـ ١١٤ ـ ١١٥ ـ ﴿وما أنا بِطارِدِ المُؤمِنِينَ. إنْ﴾: ما ﴿أنا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار.

١١٦ ـ ﴿قالُوا: لَئِنْ لَم تَنتَهِ ـ يا نُوحُ﴾ عمّا تقول لنا ـ ﴿لتكُونَنَّ مِنَ المَرجُومِينَ﴾ بالحِجارة أو بالشتم. ١١٧ ـ ١١٨ ـ ﴿قالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ، إنَّ قَومِي كَذَّبُونِ. فافتَحْ بَينِي وبَينَهُم فَتحًا﴾ أي: احكُم،

قولُه: (نَسَباً) لأنَّه كان منهم، قيل: وُلِدَ نُوحٌ في زمنِ آدمَ.

قولُه: (اللهَ) فتتركُوا عبادَةَ غيرِه؛ أي: مُخالَفتَه، أو عقابَهُ.

قولُه: (على تَبْلِيغِ) أي: مشهُورٌ بالأمانَةِ فيكُم.

قولُه: (تَأْكِيداً) وتنبيهاً على دلالةِ كُلٍّ واحدٍ من أمانتِهِ وقطعِ طمَعِهِ على وجوبِ طاعتِهِ، فكيف إذا اجتَمَعا؟

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) ليَعقوبَ[1]، وهو من العشَرةِ، فخرجَ الشَّيخُ عن طريقَتِه.

قولُه: (السَّفَلَةُ) أي: الأقلُّونَ جاهاً ومالاً.

قولُه: (أي: لا عِلْمَ لِي) بأنَّهُم عمِلوهُ إخلاصاً أو طَمَعاً في طُعمَةٍ، وما عليَّ إلا اعتبارُ الظَّاهرِ.

قولُه: (فيُجَازِيهِم) ببواطِنِهم.

قولُه: (مَا عَبَدتُّمُوهُم) تصحيفٌ، والصَّوابُ: ما عيَّرتُموهُم[2] بالخُمولِ والفقرِ.

قولُه: (الإِنْذَارِ) أي: للمُكلَّفينَ عُموماً سواءٌ كانوا أعزَّاءَ أو أذلاءَ، فكيف يليقُ بي طَردُ الفقراءِ لاستتباعِ الأغنياءِ كما استَدْعيتُم[3]؟!

---

(١) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٣٢٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٣٥).

(٢) وهكذا هو في النسخ المعتمدة في المتن.

(٣) أي: استدعيتم طردهم وطلبتموه ووقفتم إيمانكم عليه.

﴿ونَجِّني ومَن مَعِي مِنَ المُؤمِنِينَ﴾.

١١٩ ـ قال تعالى: ﴿فأنجَيناهُ ومَن مَعَهُ في الفُلكِ المَشحُونِ﴾: المملوء من الناس والحيوان والطير، ١٢٠ ـ ﴿ثُمَّ أغرَقْنا بَعدُ﴾: بعدَ إنجائهم ﴿الباقِينَ﴾ من قومه. ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

١٢٣ ـ ١٢٤ ـ ١٢٥ ـ ١٢٦ ـ ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ﴿كَذَّبَتْ عادٌ المُرسَلِينَ إذ قالَ لَهُم أخُوهُم هُودٌ: ألا تَتَّقُونَ. إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ. وما أسألُكُم علَيهِ مِن أجرٍ. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاَّ علَى رَبِّ العالَمِينَ. أتبنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾: مكانٍ مُرتفع ﴿آيَةً﴾: بناءً عَلَمًا للمارّة، ﴿تَعبَثُونَ﴾ بمن يمرّ بكم وتسخرون منهم ـ والجملة: حال من ضمير «تبنون» ـ ١٢٩ ـ ﴿وتَتَّخِذُونَ مَصانِعَ﴾ للماء تحت الأرض، ﴿لَعَلَّكُم﴾: كأنّكم ﴿تَخلُدُونَ﴾ فيها لا تموتون،........................

وقَولُه: (﴿ونَجِّني﴾) أي: من قصدِهِم، أو من شُؤمِ عملِهِم.

قولُهُ تعالى: (﴿كذبت عاد﴾) أنَّثَ باعتبارِ القبيلةِ، وهو في الأصلِ اسمُ أبيهِم، وفي تصديرِ القصَصِ بها دَلالةٌ على أنَّ البعثَةَ مُنحَصِرةٌ في الدُّعاءِ إلى المعرفَةِ والطَّاعةِ فيما يُقرِّبُ إلى الثَّوابِ ويبعِّدُ عن العِقابِ، وأنَّ الأنبياءَ متَّفِقونَ على ذلك وإن اختَلَفوا في بعضِ التَّفاريعِ، وأنَّهم مبرَّؤُونَ عن المطامعِ الدُّنيويَّةِ والأغراضِ الدَّنيَّةِ، والعلماءُ ورثةُ الأنبياءِ[1]، فيَنبَغي أن يكونوا كذلك في جميعِ ما هنالِك.

قولُه: (بِنَاءً) مفعولٌ مُطلَقٌ.

وقولُـه: (عَلَمًا) علَّـةٌ، أو: (بناءً)؛ بمعنى: بُنياناً، والواو بمعنى: أو، وهـو الظَّاهرُ المفهومُ من كَلامِ القاضِي، فإنَّـه قـال: عَلمـاً للمـارَّةِ ﴿تعبثـونَ﴾ ببنائِهـا؛ إذ كانـوا يهتَـدونَ بالنُّجومِ في أسـفارِهم فـلا يحتاجـونَ إليها[2]. وفيه نظرٌ ظاهرٌ.

ثمَّ قال: أو بُنياناً يجتَمِعونَ إليها للعبثِ بمن يمرُّ عليهم، أو قُصوراً يفتَخِرونَ بها[3].

قولُه: (للمَاءِ) أي: مآخذَ الماءِ، وقيل: قُصوراً مُشيَّدةً وحُصُوناً.

قولُه: (لا تَمُوتُونَ) فتُحكِمون بُنيانَها.

---

(١) روى أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه، وفيه: «إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر».

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٤٥).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٤٥).

١٣٠ ـ ﴿وإذا بَطَشتُم﴾ بضربٍ أو قتلٍ ﴿بَطَشتُم جَبّارِينَ﴾ من غيرِ رأفة؟ ١٣١ ـ ﴿فاتَّقُوا اللهَ﴾ في ذلك، ﴿وأطِيعُونِ﴾ فيما أمرتكم به، ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ ١٣٤ ـ ﴿واتَّقُوا الَّذِي أمَدَّكُم﴾: أنعم عليكم ﴿بِما تَعلَمُونَ، أمَدَّكُم بِأنعامٍ وبَنِينَ وجَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ﴾: أنهار. ١٣٥ ـ ﴿إنِّيَ أخافُ علَيكُم عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة، إن عصيتموني.

١٣٦ ـ ﴿قالُوا: سَواءٌ علَينا﴾: مُستوٍ عندنا ﴿أوَعَظتَ أم لَم تَكُن مِنَ الواعِظِينَ﴾ أصلاً أي: لا نَرْعَوِي لِوَعظك. ١٣٧ ـ ﴿إنْ﴾ ما ﴿هذا﴾ الذي خوّفتنا به ﴿إلاّ خَلْقُ الأوَّلِينَ﴾ أي: اختلاقهم وكذبهم ـ وفي قراءة بضمّ الخاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه من أنْ لا نُبعثُ إلاّ خُلق الأوّلين أي: طبيعتهم وعادتهم ـ ١٣٨ ـ ١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ﴿وما نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ. فكَذَّبُوهُ﴾ بالعذاب، ﴿فأهلَكْناهُم﴾ في الدنيا بالريح. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

قولُه: (بضَرْبٍ أَوْ قَتْلٍ) وقيل: بسَوطٍ أو سَيفٍ، والبَطشُ: الأخذُ بعُنفٍ، ولذا قالَ في «المدارِك»: أخَذتُم أخْذًا بعُقوبَة، والجبَّارُ: الَّذي يضرِبُ ويقتُلُ على الغضبِ[1].

قولُه: (مِنْ غَيرِ رَأفَةٍ) ورقَّةٍ ورَحمَةٍ، ولا قَصْدِ تأديبٍ ونظَرٍ في العاقِبةِ.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) بتَركِ ما ذُكِرَ من ذلك وأمثالِه.

قولُه: (أَنهَارٍ) تفصيلٌ لبعضِ النِّعمِ المجملَةِ.

قولُه: (إِنْ عَصَيتُمُونِي) فإنَّه كما قَدرَ على الإنعامِ قدرَ على الانتِقامِ.

قولُه: (لا نَرْعَوِي) أي: لا نرجِعُ عمَّا نحنُ عليه.

قولُه: (وكَذِبُهُمْ) أو: ما خَلْقُنا هذا إلا خَلْقُهُم نَحيا ونَموتُ مثلَهُم، ولا بَعثٌ ولا حسابٌ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ وعاصمٍ وحمزَةَ[2].

قولُه: (وعَادَتُهم) ونحنُ بهم مُقتَدونَ، أو: ما هذا الَّذي جئتَ به إلا عادةُ الأوَّلينَ كانوا يزوِّرونَ مثلَه، أو: ما هذا الذي نحنُ عليه من الحياةِ والموتِ إلا عادةٌ قديمةٌ لم يزلْ عليها النَّاسُ، والأولى تطبيقُ القِراءتَين.

قولُه: (بالعَذابِ) أي: بمجيئِه.

قولُه: (بالرِّيحِ) الصَّرصَرِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٧٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧٢).

١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣ ـ ١٤٤ ـ ١٤٥ ـ ١٤٦ ـ ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ المُرسَلِينَ إذ قالَ لَهُم أخُوهُم صالِحٌ: ألا تَتَّقُونَ. إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ ـ وما أسألُكُم علَيهِ مِن أجرٍ. إن﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاّ علَى رَبِّ العالَمِينَ. أتُترَكُونَ فِيما ههُنا﴾ من الخيرات ﴿آمِنِينَ في جَنّاتٍ وعُيُونٍ وزُرُوعٍ ونَخلٍ طَلعُها هَضِيمٌ﴾: لطيف ليّن، ١٤٩ ـ ﴿وتَنحِتُونَ مِنَ الجِبالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ﴾: بَطِرين؟ وفي قراءة: «فارِهِينَ»: حاذِقين ـ ١٥٠ ـ ﴿فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ﴾ فيما آمرُكم به، ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ﴿ولا تُطِيعُوا أمرَ المُسرِفِينَ الَّذِينَ يُفسِدُونَ في الأرضِ﴾ بالمعاصي، ﴿ولا يُصلِحُونَ﴾ بطاعة الله.

١٥٣ ـ ﴿قالُوا: إنَّما أنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ﴾ الذين سُحِّروا كثيرًا حتّى غُلب على عقلهم. ١٥٤ ـ ﴿ما أنتَ﴾ أيضًا ﴿إلاّ بَشَرٌ مِثلُنا. فائتِ بِآيةٍ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في رِسالتك. ١٥٥ ـ ١٥٦ ـ ﴿قالَ: هذِهِ ناقَةٌ، لَها شِربٌ﴾: نصيب من الماء، ﴿ولَكُم شِربُ يَومٍ مَعلُومٍ. ولا تَمَسُّوها بِسُوءٍ، فيأخُذَكُم عَذابُ يَومٍ عَظِيمٍ﴾ بعِظَم العذاب. ١٥٧ ـ ﴿فعَقَرُوها﴾ أي: عقرها بعضهم برضاهم، ﴿فأصبَحُوا نادِمِينَ﴾ على عقرها، ١٥٨ ـ ١٥٩ ـ ﴿فأخَذَهُمُ العَذابُ﴾ الموعود به فهلكوا. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

قولُه: (مِنَ الخَيرِ) إنكارٌ لأن يُترَكوا كذلك.

قولُه: (لطِيفٌ) للُطفِ الثَّمرِ، فالطَّلعُ مجازٌ عن الثَّمرِ.

قولُه: (لَيِّنٌ) نضيجٌ، كأنَّه قال: ونَخلٌ قد أَرطَبَ ثَمَرُه، وإفرادُ النَّخلِ لفَضْلِه على سائرِ أشجارِ الجنَّاتِ، أو المرادُ بها: غيرُها من الأشجارِ.

قولُه: (وفي قِرَاءَةٍ) شاميٌّ وكوفيٌّ[1].

قولُه: (حَاذِقِيْنَ) المعنيانِ[2] لكُلٍّ منهما لا فرقَ بينهُما، إلا أنَّ الأوَّلَ أبلَغُ.

قولُه: (بطَاعَةِ اللهِ) فالعطفُ للدَّلالَةِ على خُلوصِ فسادِهِم.

قولُه تعالى: (﴿ولا تمسُّوها بسوء﴾) كمزاحَمَةٍ في شُربِها، وكضَربٍ وعَقرٍ.

قولُه: (لعِظَمِ العَذَابِ) أي: عظَّمَ اليومَ لعِظَمِ ما يحلُّ فيه، و[هو] أبلغُ من تعظيمِ العذابِ.

قولُه: (برِضَاهُم) ولذلك أُسندَ العَقْرُ إلى كُلِّهم، وأخِذوا جميعاً.

قولُه: (عَلَى عَقْرِهَا) خَوفاً من حُلولِ العَذابِ لا تَوبةً، أو: عندَ مُعايَنةِ العَذابِ، ولذلك لم ينفَعْهُم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧٢).

(٢) أي: بطرين وحاذقين.

١٦٠ ـ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ ١٦٣ ـ ١٦٤ ـ ١٦٥ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَومُ لُوطٍ المُرسَلِينَ إذ قالَ لَهُم أخُوهُم لُوطٌ: ألا تَتَّقُونَ. إنِّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ. وما أسألُكُم علَيهِ مِن أجرٍ. إن﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاّ علَى رَبِّ العالَمِينَ. أتأتُونَ الذُّكْرانَ مِنَ العالَمِينَ﴾ أي: الناسِ، ١٦٦ ـ ﴿وتَذَرُونَ ما خَلَقَ لَكُم رَبُّكُم مِن أزواجِكُم﴾ أي: أقبالَهنّ؟ ﴿بَل أنتُم قَومٌ عادُونَ﴾: مُتجاوزون الحلال إلى الحرام.

١٦٧ ـ ﴿قالُوا: لَئِنْ لَم تنتَهِ ـ يا لُوطُ﴾ ـ عن إنكارك علينا ﴿لتَكُونَنَّ مِنَ المُخرَجِينَ﴾ من بلدتنا. ١٦٨ ـ ﴿قالَ﴾ لوط: ﴿إنِّي لِعَمَلِكُم مِنَ القالِينَ﴾: المُبغِضِين. ١٦٩ ـ ﴿رَبِّ، نَجِّنِي وأهلِي مِمّا يَعمَلُونَ﴾ أي: من عذابه.

١٧٠ ـ ١٧١ ـ ﴿فنَجَّيناهُ وأهلَهُ أجمَعِينَ إلاّ عَجُوزًا﴾ امرأته ﴿في الغابِرِينَ﴾:..................

قولُه: (أي: النَّاسِ) أي: أتأتونَ الذُّكرانَ من أولادِ آدمَ مع كثرَتِهم وغلبَةِ الإناثِ فيهم كأنَّهُنَّ قد أعوَزنكم، أو: أتأتونَ من بَينِ مَن عَداكُم من العالمينَ الذُّكرانَ لا يُشاركُكم فيه غيرُكم، فالمرادُ بـ﴿العَالَمِينَ﴾: كُلُّ من يَطأُ، وهذا أظهرُ مَعنًى، والأوَّلُ أنسَبُ لكلامِ المصنِّف.

قولُه: (أي: أقْبَالهنَّ) فـ﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ، والمرادُ بـ﴿مَا خَلَقَ﴾: العُضوُ المباحُ منهنَّ، فيكونُ تعريضاً بأنَّهُم كانوا يفعلونَ مثلَ ذلك بنسائِهم أيضاً، كذا قيل، ويرِدُ عليه شيئانِ: عَرضُ لوطٍ بناتَهُ عليهم، وجوابُهم: ﴿لقدْ عَلِمتَ مَا لنَا في بَنَاتِكَ مِن حَقٍ وإنَّك لَتَعلَمُ مَا نُريدُ﴾ [هود: ٧٩]، فالأصحُّ أنَّ ﴿مِن﴾ لبَيانِ ﴿مَا﴾ وأُريدَ به جنسُ الإناثِ.

قولُه: (الحَلالَ) أو: مُتَجاوِزونَ عن حدِّ الشَّهوةِ حيثُ زادوا على سائرِ النَّاسِ بل الحيَواناتِ، أو: مفرِطونَ في المعاصي، وهذا من جملَةِ ذلك.

قولُه: (إنْكَارِكَ) أي: نهيِنا، أو تقبيحِ أمرِنا، أو: عمَّا تدَّعيهِ.

قولُه: (مِن بلدَتِنَا)[1] ولعلَّهُم كانوا يُخرِجونَ من أخرَجوهُ على عُنفٍ وسوءِ حالٍ.

قولُه: (المُبغِضِينَ) غايةَ البُغضِ، فإنَّ القِلَى هو البُغضُ الشَّديدُ كأنَّه بُغْضٌ يَقلي الفُؤادَ والكَبِدَ؛ أي: يشويهِما.

قولُه: (عَذَابِهِ) أي: عذابِ عملِهِم وشُؤمِهِ.

قولُهُ تعالى: (﴿وأهلَه﴾) أي: أهلَ بيتِهِ، والمتَّبِعينَ له على دينِه بإخراجِهِم من بينِهِم وقت قُربِ حُلولِ العذابِ بهِم.

---

(١) في (د): «بلدنا».

الباقين أهلكناها، ١٧٢ ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنا الآخَرِينَ﴾: أهلكناهم، ١٧٣ ـ ﴿وأمطَرْنا علَيهِم مَطَرًا﴾: حِجارة من جُملة الإهلاك، ﴿فساءَ مَطَرُ المُنذَرِينَ﴾ مطرُهم! ١٧٤ ـ ١٧٥ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً، وما كانَ أكثَرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

١٧٦ ـ ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ ١٧٩ ـ ١٨٠ ـ ١٨١ ـ ﴿كَذَّبَ أصحابُ الأَيْكَةِ﴾ ـ وفي قراءة بحذفِ الهمزة وإلقاءِ حركتها على اللام وفتحِ الهاء ـ ....

قولُه: (البَاقِيْنَ) أي: مُقدَّرةً في الباقينَ في العذابِ إذ أصابَها حَجرٌ في الطَّريقِ فأهلَكَها؛ لأنَّها كانت مائلةً إلى القومِ راضيةً بفعلِهم.

وقيل: كانت فيمَن بقيَ في القريةِ، فإنَّها لم تخرُجْ مع لوطٍ.

قولُه: (مِنْ جُمْلَةِ الإِهلَاكِ) إذ من جُملَتِه جعلُ عالِيْها سافِلَها، وقيل: أمطَرَ اللهُ على شُذَّاذِ القومِ حجارةً فأهلَكَهُم.

قولُه: (مَطَرُهُم) يعني: المخصُوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) للحِرْمِيَّين والشَّاميِّ[١].

قولُه: (وفَتْحِ الهَاءِ) تبعَ الشَّيخُ في هذا الإعلالِ البَيضاويَّ[٢]، وهو يشكِلُ بفتحِ التَّاءِ إلا على لُغةِ مَن يقولُ: مَرَرْتُ بِلَحْمَرَ، في: بني الأحمَر، بفَتحِ الآخِرِ[٣]، إلا أنَّ عبارَةَ البيضاويِّ مُشعرَةٌ بأنَّ هذهِ القراءةَ مع كسرِ التَّاءِ، ولذا قال: وقُرِئَت كذلك مفتوحَةً على أنَّها (ليكة)، وهي اسمُ بلدَتِهم.

فقلَبَ البَيضاويُّ الشَّاذةَ مُتَواترةً، والمتواتِرةَ شاذَّةً[٤]، وحملَ الشَّيخُ القِراءَةَ على محمَلٍ ضعيفٍ[٥].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥١٩).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٤٨).

(٣) انظر: «اللباب في علوم الكتاب» (١٥/ ٧٢).

(٤) وهذا على ما وقع في نسخ المصنف، لكن وقع في غيرها: «وقرئت لذلك مفتوحة»، وعليه تكون اللام للتعليل، والمعنى: أنه لأجل إلقاءِ حَرَكَة الهمزة على اللامِ قرئت اللام مفتوحة، فلا إشكال.

أما على كون العبارة: «وقرئت كذلك مفتوحة» كما ذكرها المصنف فقد قال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ٢٦): هذا يقتضي أنّ ما قبله بالكسر، وليس كذلك فإنّ فيها ثلاثَ قراءات: قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر: ﴿ليكةَ﴾ بفتح التاء، وقراءة غيرهم على الأصل: ﴿الأيكة﴾ وقرئ شاذاً: (ليكة) بكسر التاء.

(٥) قال القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٣٤): وأما ما حكاه أبو عبيد من أن (ليكة) هي اسم القرية التي كانوا فيها، وأن (الأيكة) اسم البلد فشيء لا يثبت، ولا يعرف من قاله، فيثبت علمه، ولو عرف من قاله لكان فيه نظر؛ لأن أهل العلم جميعاً من أهل التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه.

هي غَيضة شجرة قربَ مَدْيَنَ ﴿المُرسَلِينَ إذ قالَ لَهُم شُعَيبٌ﴾، لم يقل «أخوهم» لأنه لم يكن منهم: ﴿ألا تَتَّقُونَ. إنِّي لكُم رَسُولٌ أمِينٌ. فاتَّقُوا اللهَ وأطِيعُونِ. وما أسألُكُم علَيهِ مِن أجرٍ. إنْ﴾: ما ﴿أجرِيَ إلاّ علَى رَبِّ العالَمِينَ. أَوفُوا الكَيلَ﴾: أتِمُّوه، ﴿ولا تَكُونُوا مِنَ المُخسِرِينَ﴾: الناقصين، ١٨٢ ـ ﴿وزِنُوا بِالقِسطاسِ المُستَقِيمِ﴾: المِيزان السويّ، ١٨٣ ـ ﴿ولا تَبخَسُوا النّاسَ أشياءَهُم﴾: لا تَنقُصوهُم من حقّهم شيئًا، ﴿ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره ـ من «عَثِيَ» بكسر المُثلّثة: أفسدَ. ومفسدين: حال مُؤكِّدة لمعنى عاملها «تعثوا» ـ ١٨٤ ـ ﴿واتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُم والجِبِلَّةَ﴾: الخليقة ﴿الأوَّلِينَ﴾.

١٨٥ ـ ١٨٦ ـ ١٨٧ ـ ﴿قالُوا: إنَّما أنتَ مِنَ المُسَحَّرِينَ، وما أنتَ إلاّ بَشَرٌ مِثلُنا، وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الكاذِبِينَ. فأسقِطْ علَينا كِسْفًا﴾، بسكون السين وفتحها: قطعةً ﴿مِنَ السَّماءِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في رِسالتك. ١٨٨ ـ ﴿قالَ: رَبِّيَ أعلَمُ بِما تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به.

قولُه: (غَيْضَةٌ) تسكنُها طائفةٌ، فبُعثَ إليهم شُعَيبٌ كما بُعثَ إلى مديَن، وكان أجنبيًّا منهم.

قولُه: (النَّاقِصِينَ) حُقوقَ النَّاسِ، وهو أعَمُّ.

قولُه: (المِيزَانِ) وفي قراءَةِ حفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ بالكسرِ[١].

قولُه: (وغَيرِهِ) كالغارَةِ وقطعِ الطَّرِيقِ.

قولُه: (الخَلِيقَةَ) أي: الخَلْقَ، كما في «المدارِك»[٢]، وهو حاصِلُ المعنى، إذ معنى الجِبلَّةِ: الخلقَةُ والطَّبيعَةُ على ما في «القَامُوسِ»[٣]، ولذا قالَ القاضي: أي: ذَوي الجبلَّةِ؛ يعني: مَن تقدَّمَهُم من الخَلائقِ[٤].

قولُه: (وفَتحِهَا) حَفصٌ[٥].

قولُه: (فِي رِسَالَتِكَ) أي: دَعواها.

قولُه: (فيُجَازِيْكُم) أو: بعَمَلِكُم وبعذابِهِ، فيُنزِلُ عليكُم ما أوجَبهُ عليكُم به في وقتِهِ المقدَّر.

---

(١) أي: ﴿بالقِسطاس﴾ انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٤٠٢).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٨٠) وعبارته: اتقوا الذى خلقكم وخلق الجبلة.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٧٤).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٤٩).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٨٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٢٠).

١٨٩ ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُم عَذابُ يَومِ الظُّلَّةِ﴾. هي سحابة أظلّتهم بعد حرّ شديد أصابهم، فأمطرت عليهم نارًا، فاحترقوا. ﴿إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ﴾. ١٩٠ ـ ١٩١ ـ ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ ﴿إِنَّ في ذلِكَ لآيَةً، وما كانَ أكثرُهُم مُؤمِنِينَ، وإنَّ رَبَّكَ لَهُوَ العَزِيزُ الرَّحِيمُ، وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَتنزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ﴾: جبريل ١٩٤ ـ ١٩٥ ـ ﴿علَى قَلبِكَ، لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرِينَ بِلِسانٍ عَرَبيٍّ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ ـ وفي قراءة بتشديدِ «نَزَّلَ» ونصبِ «الرُّوحَ» والفاعلُ الله ـ ١٩٦ ـ ﴿وإِنَّهُ﴾ أي: ذِكرَ القُرآنِ المُنزَلِ على مُحمّد ﴿لَفِي زُبُرِ﴾: كُتبِ ﴿الأوَّلِينَ﴾ كالتوراة والإنجيل. ١٩٧ ـ ﴿أَوَلَم يَكُن لَهُم﴾: لِكُفّار مكّة ﴿آيَةً﴾ على ذلك ﴿أن يَعلَمَهُ عُلَماءُ بَنِي إسرائيلَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ممَّن آمنوا؟ فإنهم يُخبِرون بذلك. «ويكن» بالتحتانيّة ونصب «آيةً»، وبالفَوقانيّة ورفع «آيةٌ».

قولُه: (هِيَ سَحَابَةٌ) على نحوِ ما اقتَرَحوا.

قولُه: (أَصَابَهُم) سبعَةُ أيَّامٍ حتَّى غَلَت أنهارُهُم فاجتَمَعوا تحتَها، وهذا آخِر القصَصِ السَّبعِ المذكورَةِ على الاختصارِ، تسليةً للنَّبيِّ المختارِ، والمؤمِنينَ الأبرارِ، وتهديداً للكُفَّارِ.

واطِّرادُ نُزولِ العذابِ على تكذيبِ الأُمَمِ بعد إنذارِ الرُّسلِ به، يَدفَعُ أن يُقالَ: إنَّه كانَ بسببِ اتِّصالاتٍ فلكيَّةٍ كما يزعُمُه الأحكاميُّونَ[1]، أو كانَ ابتِلاءً لهُم كما يُبتَلى المؤمِنونَ، لا مؤاخَذةً على تكذيبِهِم.

قولُه: (أَي: القُرْآنَ) تقريرٌ لحقيَّة تلكَ القصصِ، وتنبيهٌ على إعجازِ القُرآنِ، ونبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ.

قولُه: (جِبْرِيلُ) أمينُ اللهِ على وَحيِهِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لشَّاميٍّ وكوفيٍّ إلا حَفصاً[2].

قولُه: (أَي: القُرآنَ) أي: ذكرَهُ، أو مَعناهُ.

قولُه: (عَلَى ذَلِكَ) أي: صحَّةِ القُرآنِ؛ يعني: مَع قَطعِ النَّظرِ عن دلالَةِ إعجازِهِ، أو صحَّةِ نُبوَّةِ محمَّدٍ ﷺ.

قولُه: (فَإِنَّهُم يُخبِرُونَ) ويعرِفونَهُ كما يَعرِفونَ أبناءَهُم.

قولُه: (ونَصْبِ ﴿آية﴾) لغَيرِ الشَّاميِّ[3].

قولُه: (ورَفْعِ ﴿آية﴾) على أنَّها الاسمُ، والخبرُ: ﴿لَهُم﴾، و﴿أَنْ يَعلَمَهُ﴾ بدلٌ من الآيةِ، أو التَّقديرُ: هي أن يعلمَهُ.

---

(١) وهم أصحاب علم أحكام النجوم؛ أي: المنجمون، انظر: «مفتاح دار السعادة» (٣/ ١١٧٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٢١).

١٩٨ ـ ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الأَعْجَمِينَ﴾: جمع أعجم، ١٩٩ ـ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم﴾ أي: كُفّارِ مكّة، ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أنفةً من اتّباعه. ٢٠٠ ـ ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مِثلَ إدخالنا التكذيبَ به بقراءة الأعجم ﴿سَلَكْنَاهُ﴾: أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: كُفّارِ مكّة، بقراءة النبيّ. ٢٠١ ـ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المُلجِئَ لهم ـ قيل: هو الموت ـ ٢٠٢ ـ ٢٠٣ ـ ﴿فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ، فَيَقُولُوا: هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ﴾: مُمهَلون لنؤمن؟ فيقال لهم: لا.

قالوا: متى هذا العذاب؟ قال تعالى:...

قولُه: (جَمْع: أَعجَم) فيه أنَّ أفعلَ فَعْلاءَ لا يُجمَعُ جَمعَ السَّلامَةِ، فالوَجهُ أنَّه جمعُ أعجَميٍّ على التَّخفيفِ في الجمعِ حيثُ حذفَ ياءَ النِّسبةِ، وقُرِئَ بالتَّشديدِ[1].

والمعنى: أنَّه لو نزَّلناهُ على بعضِ الأعجَمينَ بلُغةِ العربِ زيادةً في الإعجازِ، أو بلُغةِ العَجَمِ.. الخ[2].

قولُه: (أَنَفةً) أي: استِنكافاً.

قولُه: (مِنِ اتّبَاعِهِ) لفَرطِ عنادِهِم واستنكارِهِم واستكبارِهِم، أو لعدَمِ فهمِهِم، وهذا مَدحٌ عظيمٌ لطائفَةِ العجمِ حيثُ انقادُوا واجتَهدوا في طلَبِ الفَهمِ والمرادِ إلى أن وَصلوا مرتَبةَ الاجتهادِ، ولهذا قالَ ﷺ: «لو كانَ العِلمُ في الثُّريَّا لنَالَهُ رجَالٌ مِن فَارِس»[3].

قولُه: (بِقِرَاءَةِ الأَعْجَمِ) فيه: أن الشَّرطيَّةَ غيرُ مُقتَضيةٍ للوُقوعِ، والتَّكذيبُ غيرُ واقِعٍ في الخارجِ والذِّهنِ، فكيف يكونُ مُشارًا إليه؟ ولذا قالَ صاحبُ «المداركِ» يعني: مثلَ هذا السَّلكِ أدخَلْنا التَّكذيبَ أو الكُفرَ، وهو مَدلولُ قولِهِ: ﴿ما كانوا به مؤمنين﴾ [الشعراء: ١٩٩][4].

قولُه: (لِنُؤمِنَ) قالوهُ تحسُّراً وتَأسُّفاً، فلا يحتاجُ إلى جوابٍ، ولذا قالَ صاحبُ «المَدارِك»: ﴿فَيَقُولُوا﴾ و﴿فَيأْتِيهِم﴾ مَعطوفانِ على: ﴿يَروا﴾؛ أي: يسألونَ النَّظرَةَ والإمهالَ طرفَةَ عَينٍ فلا يُجابونَ إليها[5].

وقولُه: (قَالُوا مَتَى) موهِمٌ أنَّ الضَّميرَ في (قَالُوا) راجعٌ إلى ضميرِ ﴿فَيَقُولُوا﴾، وليسَ كذلك، بل هذا

(١) أي: (بعض الأعجميِّين) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر شواذ القرآن» (ص: ١٠٩) ونسبت للحسن.

(٢) «إلخ» من (م)، والمراد تمام الآية، ففي البيضاوي عقب قوله: «أو بلغة العجم»: ﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾ لفَرطِ عِنادِهم واستِكبارِهم، أو لعَدمِ فَهمِهم واستِنكافِهم مِن اتِّباع العَجَم.

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٧٩٥٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦) من حديث أبي هريرة بلفظ: «الإيمان» بدل: «العلم».

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٨٣) بتصرف عنه.

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٨٤).

٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ ـ ﴿أفبِعَذابِنا يَستعجِلُونَ؟ أفرَأَيتَ﴾: أخبِرني، ﴿إن مَتَّعْناهُم سِنِينَ، ثُمَّ جاءَهُم ما كانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب، ٢٠٧ ـ ﴿ما﴾ استفهامية، بمعنى: أيَّ شيء، ﴿أغنَى عَنهُم ما كانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ في دفعِ العذاب أو تخفيفِه؟ أي: لم يُغْنِ. ٢٠٨ ـ ﴿وما أهلَكْنا مِن قَرْيةٍ إلاّ لَها مُنذِرُونَ﴾: رُسلٌ تُنذر أهلها، ٢٠٩ ـ ﴿ذِكرَى﴾: عظةً لهم، ﴿وما كُنّا ظالِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

ونزل، ردًّا لقول المشركين، ٢١٠ ـ ٢١١ ـ ﴿وما تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾: بالقُرآن ﴿الشَّياطِينُ، وما يَنبَغِي﴾: يصلح ﴿لَهُم﴾ أن يَنزِلوا به، ﴿وما يَستَطِيعُونَ﴾ ذلك. ٢١٢ ـ ﴿إنَّهُم عَنِ السَّمعِ﴾ لِكلامِ الملائكة ﴿لَمَعزُولُونَ﴾: محجوبون بالشُّهب.

٢١٣ ـ ﴿فلا تَدعُ مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ، فتكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ﴾، إن فعلت ذلك الذي دعَوك إليه، ٢١٤ ـ ﴿وأنذِرْ عَشِيرتَكَ الأقرَبِينَ﴾ ـ وهم بنو هاشم وبنو المُطّلب..................

ابتداءُ كلامٍ، وسببُ نُزولٍ لِمَا بعدَه؛ أي: قالَ بعضُ الكفَّارِ ممَّن لم يرَ العذابَ استهزاءً: متى هذا العذابُ؟ كقولِهِ تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾ [يونس: ٤٨].

قولُه: (أي: لَمْ يُغْنِ) عن ميمونِ بنِ مهرانَ أنَّه لقيَ الحَسنَ في الطَّوافِ ـ وكانَ يَتمنَّى لقاءَهُ ـ فقالَ له: عِظْني، فلم يزدْهُ على تلاوةِ هذهِ الآيةِ، فقال ميمونُ: لقد وَعظْتَ فَأبلَغْت.

قولُه: (عِظَةً) علَّةٌ، أو مَصدرٌ؛ لأنَّها في مَعنى الإنذارِ.

قولُه: (أي: بَعْدَ إِنْذَارِهِم) أي: خُصوصاً بعدَه، ولذا قيل: أي: وما كُنَّا ظالمينَ لو عَذَّبنا قبلَ الإنذارِ، والشَّيخُ تَبعَ القاضي في قولِهِ: فنُهلِكَ غيرَ الظَّالمينَ وقبلَ الإنذارِ[1].

قولُه: (لِقَولِ المُشرِكِينَ) أنَّه من قَبيلِ ما يُلقي الشَّيطانُ على الكَهنةِ.

قولُه: (يَصْلُحُ) ويَصِحُّ.

قولُه: (أنْ يَنزِلُوا) بفتحِ الياءِ.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: النُّزولُ به.

قولُه: (لكَلامِ المَلائكَةِ) يعني: كَلامَهم الَّذي هو الوَحيُ النَّازِلُ للأنبياءِ.

قولُه: (إنْ فَعَلْتَ) الظَّاهرُ: إن دعوتَهُ معهُ.

[قوله]: (وبَنُو المُطَّلِبِ) والظَّاهرُ: أنَّ الإنذارَ غيرُ مخصوصٍ بهما، كما يدلُّ عليه الحديثُ الآتي، فالمرادُ: وغيرُهُما الأقرَبُ فالأقرَبُ؛ لأنَّ الاهتمامَ بشأنِهم أهمُّ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٥١).

وقد أنذرَهُم جِهارًا. رواه البخاريّ ومسلم ـ ٢١٥ ـ ﴿واخفِضْ جَناحَكَ﴾: ألِنْ جانبك، ﴿لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤمِنِينَ﴾: الموحّدين، ٢١٦ ـ ﴿فإن عَصَوكَ﴾ أي: عشيرتُك ﴿فقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعمَلُونَ﴾ من عِبادة غير الله. ٢١٧ ـ ﴿وتَوَكَّلْ﴾ ـ بالواو والفاء ـ ﴿عَلَى العَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾: فوّضْ إليه جميع أمرك، ٢١٨ ـ ﴿الَّذِي يَراكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة، ٢١٩ ـ ﴿وتَقَلُّبَكَ﴾ في أركان الصلاة قائمًا وقاعدًا وراكعًا وساجدًا ﴿في السّاجِدِينَ﴾ أي: المُصلّين. ٢٢٠ ـ ﴿إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ﴾.

قولُه: (رَواهُ البُخارِيُّ ومُسلِمٌ) أنّه لمَّا نزلَت صَعِدَ الصَّفا، وناداهُم فَخذاً فَخذاً ـ أي: قَبيلةً قَبيلةً ـ حتى اجتَمَعوا إليه، فقالَ: «لَو أخبَرتُكُم أَنَّ بسَفحِ هذا الجبَلِ خَيلاً أَكُنتُم مُصدِّقيَّ؟» قالوا: نعمْ، قال: «فإِنِّي نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدي عَذابٍ شَدِيد»[١].

قولُه: (أَلِنْ جَانِبَكَ) كنايَةٌ عن الرِّفقِ والتَّواضعِ وحُسنِ الخُلُق.

قولُه: (المُوَحِّدِينَ) زادَ في «المدارِك»: من عَشيرتِكَ وغيرِهِم[٢].

و﴿مِن﴾ للبَيانِ؛ لأنَّ مَن اتَّبعَ أعمُّ ممن اتَّبع لدينٍ أو غيرِهِ.

قولُه: (أي: عَشِيْرَتُكَ) وغيرُهُم.

قولُه: (مِنْ عِبادَةِ غَيْرِ اللهِ) وغيرِها.

قولُه: (والفَاءِ) نافِعٌ وشاميٌّ[٣].

قولُه: (إِلَى الصَّلاةِ) أو التَّهجُّدِ.

قولُه: (أَي: المُصَلِّينِ) أو: تَرَدُّدكَ في تصَفُّحِ أحوالِ المتهجدينَ[٤]، وقيلَ: حينَ تقومُ وحدَكَ إلى الصَّلاةِ، وتصرُّفكَ بأركانِ الصَّلاةِ فيما بينَ المصلِّينَ؛ يعني: نَراكَ إذا صَلَّيتَ مُنفَرداً، وإذا صَلَّيتَ في جماعَةٍ، وهذا قولُ عكرِمةَ[٥]، وعَطاءِ الخُراسانيِّ[٦]، والحَسنِ البصريِّ[٧].

أو تصرُّفَكَ وذهابَكَ ومجيئَكَ في أصحابِكَ المؤمِنينَ.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٥٨٦).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٢٢).

(٤) في (م) و(ن): «المجتهدين».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤١٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٣٢) بنحوه.

(٦) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٢٤) و(١٦٠٣٣) بنحوه.

(٧) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٢٢) و(١٦٠٣٥).

٢٢١ ـ ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ ـ أي: كُفارَ مكةَ ـ ﴿عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ﴾؟ بحذف إحدى التاءين من الأصل. ٢٢٢ ـ ﴿تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ﴾: كذّاب، ﴿أَثِيمٍ﴾: فاجرٍ مِثل مُسيلِمةَ وغيره من الكهنة. ٢٢٣ ـ ﴿يُلْقُونَ﴾ أي: الشياطينُ ﴿السَّمْعَ﴾ أي: ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة، ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ يضمّون إلى المسموع كذبًا كثيرًا. وكان هذا قبل أن حُجِبَتِ الشياطين عن السماء.

٢٢٤ ـ ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ في شِعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم..................

قولُه: (أي: كُفَّارَكُم) تفسيريَّةٌ، أو ندائيَّةٌ.

قولُه: (بِحَذْفِ) كما في ما بعدَه، وقرأَ قُنبُلٌ بالتَّشديدِ[1].

قولُه: (مِنَ الكَهَنَةِ) والمنجِّمينَ.

قولُه: (مَا سَمِعُوْهُ) على أنَّ المصدرَ بمعنى المفعولِ.

قولُه: (كَذِباً) ولا كذلكَ محمَّدٌ ﷺ، فإنَّه أخبرَ عن مُغيَّباتٍ كثيرةٍ، وقد طابقَ كلُّها، وقَد فُسِّرَ الأكثرُ بالكُلِّ، والأظهرُ: أنَّ الأكثريَّةَ باعتبارِ أقوالِهم الخاصَّةِ على مَعنى: أنَّ هؤلاءِ قلَّ مَن يصدُقُ منهم فيما يحكي.

قولُه: (كَثِيْراً) عن قتادةَ وغيره: يستَرِقُ الشَّياطينُ السَّمْعَ من السَّماءِ، فيختطِفونَ كلِمةً منَ الملائكةِ، ثمَّ يُلقونَها إلى أوليائِهم من الإنسِ مع مائةِ كِذْبَةٍ[2].

قولُه: (وكَانَ هَذَا...إلخ) في الحديثِ رواهُ البخاريُّ ومسلِمٌ: «رُبَّما أدرَكهُ الشِّهابُ قبلَ أن يُلقِيهَا، ورُبَّما أَلقَاها قَبلَ أَنْ يُدرِكَهُ»[3]، وهذا يدلُّ على أنَّ هذا الاستِراقَ حينَئذٍ أيضاً واقِعٌ، نعم لا يتمكَّنونَ من اختِطافِ خبرٍ مُفيدٍ وكلامٍ تامٍّ من غيرِ انضِمامِ كَذِباتٍ، وعلى هذا لا مُنافاةَ بينَ هذه الآيةِ والتي قَبلَها، وهي ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾.

قولُه: (فِي شِعرِهِم) وأتباعُ محمَّدٍ ليسوا كذلك، أو ﴿الغَاوُونَ﴾؛ أي: الضَّالُّونَ؛ يعني: شُعراءَ الكفَّارِ الَّذينَ يهجونَ النبيَّ ﷺ، ويقولونَ: نحنُ نقولُ مثلَ ما يقولُ محمَّدٌ، يجتمِعُ إليهم غُواةٌ يستمِعونَ ويَروونَ عنهم،

---

(١) هي رواية البزي، ولم أجد لقنبل ذكر هنا، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٨٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٤٣)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٤٤١).

(٢) رواه عن قتادة عبد الرزاق في «تفسيره» (٢١٤٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤١٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٤٣).
وروى البخاري (٥٧٦٢)، ومسلم (٢٢٢٨) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سأل رسول الله ﷺ ناس عن الكهان، فقال: «ليس بشيء» فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثونا أحياناً بشيء فيكون حقًّا، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الكلمة من الحقِّ، يخطفها من الجني، فيقرها في أذن وليه، فيخلطون معها مائة كذبة».

(٣) رواه البخاري (٤٨٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنهما، ولم أقف عليه عند مسلم.

فهم مذمومون. ٢٢٥ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أَنَّهم في كُلِّ وادٍ﴾ من أودية الكلام وفُنونه ﴿يَهِيمُونَ﴾: يمضون، فيُجاوزون الحدّ مدحًا وهجْوًا، ٢٢٦ ـ ﴿وأَنَّهم يَقُولُونَ﴾: فَعَلْنا ﴿ما لا يَفعَلُونَ﴾ أي: يكذبون؟ ـ ٢٢٧ ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ من الشعراء ﴿وذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا﴾ أي: لم يَشغلهمُ الشعر عن الذكر، ﴿وانتَصَرُوا﴾ بهجوهم الكُفّارَ ﴿مِن بَعدِ ما ظُلِمُوا﴾ بهجْو الكُفّار لهم في جُملة المؤمنين، فليسوا مذمومين. قال الله تعالى: «لا يُحِبُّ اللهُ الجَهرَ بِالسُّوءِ مِنَ القَولِ إلاّ مَن ظُلِمَ»، «فمَنِ اعتَدَى علَيكُم فاعتَدُوا علَيهِ بِمِثلِما اعتَدَى علَيكُم».

﴿وسَيَعلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أيَّ مُنقَلَبٍ﴾: مَرجِعٍ ﴿يَنقَلِبُونَ﴾: يَرجِعون بعد الموت!

كذا قالَهُ ابنُ عبَّاسٍ[1] ومُجاهِدٌ[2] وكثيرٌ من السَّلفِ.

قولُه: (يَمْضُونَ) أي: يذهبونَ، كالمجنونِ، والمعنى: يخوضونَ في كُلِّ لَغوٍ، فيمدَحونَ ويَهجونَ بباطِلٍ.

قولُه: (الحَدَّ) أي: ولو كانَ مدحُهُم وهجوُهُم في الحقِّ، فبالمجاوَزةِ عن الحدِّ يصيرُ باطِلاً.

قولُه: (مِنَ الشُّعرَاءِ) كعبدِ اللهِ بنِ رواحَةَ، وحسَّانِ بنِ ثابتٍ، وكعبِ بنِ مالِكٍ، وكعبِ بن زُهيرٍ.

قولُه: (عنِ الذِّكرِ) إذْ يكونُ أكثرُ أشعارِهم في الثَّناءِ على اللهِ، ونَعتِ النَّبيِّ ﷺ، والتَّرغيبِ على الطَّاعةِ، والتَّرهيبِ عن المعصيَةِ.

قولُه: (وغَيرِهِم) يعني: سياقُ الآيةِ وإن كانَ في الكفَّارِ وشُعرائِهم، لكن عامٌّ لكُلِّ ظالمٍ، ولذا تلاها أبو بكرٍ لعُمَرَ رضي اللهُ عنهُما حين عهَدَ إليه[3]، واللهُ أعلمُ.

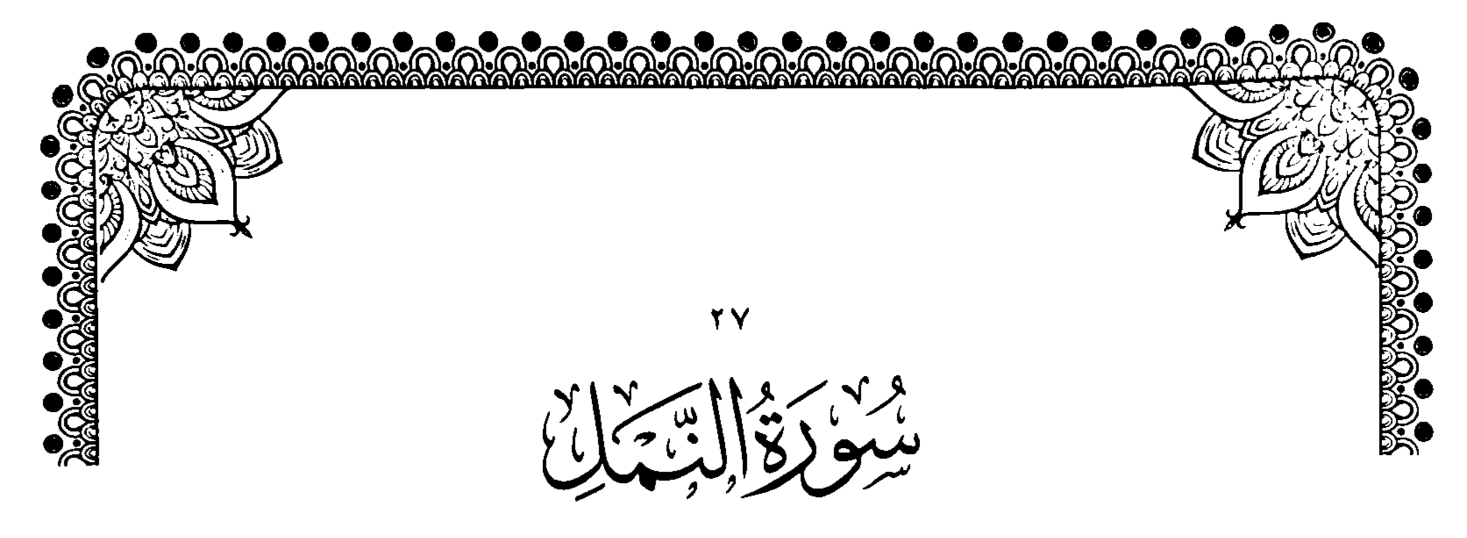
***

---

(١) انظر: «تفسير السمرقندي» (٢/ ٥٧١)، و«البسيط» (١٧/ ١٤٧).

(٢) وروى ابن أبي حاتم عنه قوله: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾ [الشعراء: ٢٢٤] قال: الشيطان.

(٣) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٠٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦/ ٥٣٤) عن عائشة رضي الله عنها، قالت: كتب أبي وصية سطرين: بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر، ويتقي الفاجر، ويصدق الكاذب، أني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه، وإن بدَّل وجار فلا أعلم الغيب، ولكل امرئ ما اكتسب، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾.



٢٧

سورة النمل

مكية، وهي ثلاثٌ أو أربع أو خمس وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿طس﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ القُرآنِ﴾: آياتٌ منه، ﴿وكِتابٍ مُبِينٍ﴾: مُظهِرٍ للحقّ من الباطل ـعطفٌ بزيادة صفة ـ ٢ ـ هو ﴿هُدًى﴾ أي: هادٍ من الضلالة ﴿وبُشْرَى لِلمُؤمِنِينَ﴾: المُصدّقين به بالجنّة، ٣ ـ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾: يأتون بها على وجهها، ﴿ويُؤتُونَ﴾: يُعطُون ﴿الزَّكاةَ، وهُم بِالآخِرةِ هُم يُوقِنُونَ﴾: يعلمونها بالاستدلال...

سورة النمل

قولُه: (أي: هذِهِ الآيَاتُ) الإشارةُ إلى آي السُّورةِ.

قولُه: (عَطْفٌ بزيادَةِ صِفَةٍ) على الاسمِ، وقيل: الكتابُ: اللَّوحُ.

قولُه: (هُوَ) يعني: أنَّ ﴿هُدًى﴾ خبرٌ لمحذوفٍ، وقيل: خبرٌ آخرُ، وقيل: حالٌ من الآياتِ.

قولُه: (أيْ: هَادٍ) على أنَّ المصدرَ بمعنى الفاعلِ، أو بتقدير مضافٍ؛ أي: ذو هدايةٍ، أو للمبالغةِ كـ: رجُلٌ عدلٌ، والمرادُ: أصلُ الهدايةِ، أو زيادتُها.

قولُه: (يُعْطُونَ) على وجهِ التَّمليكِ، لا على طريقِ الإباحَةِ.

قولُه: (بالاستِدْلَالِ) بالآياتِ القرآنيَّةِ، والأحاديثِ النَّبويَّة، أو بالتَّقليدِ للعلماءِ الرَّبَّانيَّةِ، فإنَّ إيمانَ المقلِّدِ صحيحٌ على الصَّحيحِ[1].

---

(١) انظر: «أصول الدين» لجمال الدين الغزنوي (ص: ٢٥٨)، وتوسع في المسألة مع ترجيح صحة الإيمان ابن تيمية في «درء =

وأُعيد «هم» لمّا فُصل بينه وبين الخبر.

٤ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ زَيَّنَّا لَهُم أعمالَهُم﴾ القبيحةَ بتركيب الشهوة، حتّى رأوها حسنة ـ ﴿فهُم يَعمَهُونَ﴾: يتحيّرون فيها لِقُبحها عِندنا ـ ٥ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ لَهُم سُوءُ العَذابِ﴾: أشدُّه في الدنيا القتلُ والأسر، ﴿وهُم في الآخِرةِ هُمُ الأخسَرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبّدة عليهم، ٦ ـ ﴿وإنَّكَ﴾ ـ خِطابٌ للنبيّ ـ ﴿لَتُلَقَّى القُرآنَ﴾: يُلقَى عليك بشِدّة، ﴿مِن لَدُنْ﴾: من عِند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

٧ ـ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى لِأهلِهِ﴾ زوجته عِند مسيره من مَدْيَنَ إلى مِصرَ: ﴿إنِّيَ آنستُ﴾: أبصرت من بعيدٍ ﴿نارًا، سآتِيكُم مِنها بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق ـ وكان قد ضلّها ـ ﴿أو آتِيكُم بِشِهابٍ قَبَسٍ﴾،

قولُه: (لَمَّا فُصِلَ) بل لتأكيدِ الاختصاصِ، والواو للعطفِ أو للحالِ.

قولُه: (بتَرِكِيبِ الشَّهوَةِ) فيه: أنَّ تركيبَ الشَّهوةِ عامٌّ، فالوجهُ أن يقالَ: بجَعلِها مشتهاةً للطَّبعِ محبوبةً للنَّفسِ.

قولُه: (يَتَحَيَّرُونَ فِيهَا) أي: في الآخرةِ، والأظهرُ: في الدُّنيا، لاتِّباعِهِمُ الظَّنَّ، أو يَعمَونَ عنها لا يُدرِكونَ قباحَتَها، أو ما يتبعُها مِن ضرٍّ أو نَفعٍ، والعَمَهُ: صفةُ القلبِ.

قولُه: (لمَصِيْرِهِم) وفَوتِهِم منزلَةَ الأبرارِ، أو لخسارَتِهِم في الدَّارَينِ؛ كقوله تعالى: ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١].

قولُه: (يُلْقَى) أي: لتُؤتاهُ وتُلقَّنَهُ، لَقِي متعَدٍّ إلى واحدٍ، والتَّضعيفُ للتَّعديةِ إلى آخرَ.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) وفي غيرِ ذلك، أيُّ حَكيمٍ وأيُّ عليمٍ! ولهذا المعنى نكَّرهُما، فكم من لطائفِ حُكَمِهِ وعِلْمِهِ[1] في القرآنِ.

قولُه: (اذْكُرْ) أي: قصَّتَهُ.

قولُه: (مَصِيرِهِ) أي: مَرجِعِهِ، وفي نسخة: «مَسيرِهِ» من السَّيرِ.

قولُه: (مِنْ بَعِيدٍ) أمرٌ واقعيٌّ لا معنًى لغويٌّ.

قولُه: (عَن حَالِ الطَّرِيقِ) مِن أهلِ النَّارِ.

قولُه: (ضَلَّهَا) أي: الطَّريقَ؛ لأنه يذكَّرُ ويؤنَّثُ، والأَولى: ضلَّهُ، وجَمعُ الضَّميرِ من بابِ التَّعظيمِ؛ إذ لم يكن معهُ غيرُ امرأتِهِ.

= تعارض العقل والنقل» (٧/ ٤٤١) فانظره.

(١) في (ص): «حكمية وعلمية».

بالإضافةِ للبيان وتركِها، أي: شُعلةِ نار في رأس فتيلةٍ أو عُودٍ، ﴿لَعَلَّكُم تَصطَلُونَ﴾: تستدفئون من البرد. والطاء بدل من تاء الافتعال، من: صَلي بالنار، بكسر اللام وفتحها.

٨ ـ ﴿فلَمّا جاءَها نُودِيَ أنْ﴾ أي: بأنْ ﴿بُورِكَ﴾ أي: باركَ اللهُ ﴿مَن في النّارِ﴾ أي: مُوسَى ﴿ومَن حَولَها﴾ أي: الملائكةُ، أو العكس ـ وباركَ: يتعدّى بنفسه وبالحرف. ويُقدَّر بعدَ «في»: «مكانِ» ـ ﴿وسُبحانَ اللهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ من جُملة ما نُودي، ومعناه: تنزيهُ اللهِ من السوء! ٩ ـ ١٠ ـ ﴿يا مُوسَى، إنَّهُ﴾ أي: الشأنَ ﴿أنا اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ. وألقِ عَصاكَ﴾، فألقاها ﴿فلَمّا رآها تَهتَزُّ﴾: تتحرّك، ﴿كأنَّها جانٌّ﴾: حيّةٌ خفيفة،..

قولُه: (بالإِضَافَةِ) لغيرِ الكوفيِّ[1].

قولُه: (للبَيَانِ) من إضافَةِ الخاصِّ إلى العامِّ؛ لأنه يكونُ قَبَساً وغير قَبَسٍ.

قولُه: (وتَرْكِهَا) على أنَّ القَبَسَ بدلٌ منهُ، أو وصفٌ له؛ لأنَّهُ بمعنى: المقبوسِ.

قولُه: (في رَأْسٍ) أي: مقبوسَةٍ مأخوذَةٍ.

قولُه: (صَلِيَ بالنَّارِ) سخَّنَها[2].

قولُه: (بأنْ) على أنَّها مصدَريَّةٌ، أو: تفسيريَّةٌ فإنَّ النِّداءَ فيه معنَى القَولِ[3].

قولُه: (أي: المَلائِكَةُ) الحاضِرونَ.

قولُه: (بالحَرْفِ) وهو: (في) و(اللَّامُ) و(على).

قولُه: (مَكَانِ) أي: مَن في مكانِ النَّارِ، وهو البُقعَةُ المباركةُ، أو التَّقديرُ: مَن في طَلَبِ النَّارِ.

قوله: (من جملة) ويجوزُ أن يكونَ طَلَباً أو خَبراً؛ أي: نزِّهَ، أو تَنَزَّهَ.

قولُه: (تَنْزِيه اللهِ) لئلَّا يُتوهَّمَ من سماعِ كلامِهِ تَشبيهاً، أو تَعجيبٌ مِن عظمَةِ ذلكَ الأمرِ.

قولُه: (فَأَلقَاهَا) و﴿أَلْقِ﴾ عطفٌ على: ﴿بُورِكَ﴾.

قولُه: (تَتَحَرَّكُ) باضطِرابٍ.

قولُه: (خَفِيفَةٌ) سريعةٌ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٢٢).

(٢) قوله: «سخنها» كذا النسخ، ولم أجد من ذكر هذا المعنى، وأقرب شيء إليه ما ذكره أبو حيان في «البحر» (٣/ ٤٩٢): صلي بالنار: تسخن بها. وفي «الدر المصون» (٣/ ٥٩٥): صلي بالنار: تسخن بقربها.

(٣) والتقدير على التفسيرية: «أي بورك» كما قال البيضاوي، و: «قيل له بورك» كما قال الزمخشري.

﴿وَلَّى مُدبِرًا ولَم يُعقِّبْ﴾: يَرجِعْ.

قال تعالى: ﴿يا مُوسَى، لا تَخَفْ﴾ منها ـ ﴿إنِّي لا يَخافُ لَدَيَّ﴾: عِندي ﴿المُرسَلُونَ﴾ من حيّة أو غيرها. ١١ ـ ﴿إلاّ﴾: لكن ﴿مَن ظَلَمَ﴾ نفسَه، ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسنًا﴾: أتاه ﴿بَعدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب، ﴿فإنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: أقبلُ التوبةَ وأغفر له ـ ١٢ ـ ﴿وأدخِلْ يَدَكَ في جَيبِكَ﴾: طوقِ قميصك، ﴿تَخرُجْ﴾ خِلافَ لونها من الأُدمة ﴿بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ﴾: برَصٍ لها شُعاع يُغشّي البصر، آيةً ﴿في تِسعِ آياتٍ﴾، مُرسَلاً بها ﴿إلَى فِرعَونَ وقَومِهِ. إنَّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ﴾.

١٣ ـ ﴿فلَمّا جاءَتْهُم آياتُنا مُبصِرةً﴾ أي: مُضيئة واضحة ﴿قالُوا: هذا سِحرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنٌ ظاهر. ١٤ ـ ﴿وجَحَدُوا بِها﴾ أي: لم يُقِرُّوا،..

قولُه: (يَرجِعْ) وإنَّما خافَ لظَنِّهِ أنه أمرٌ أُريدَ به.

قولُه: (مِنْهَا) أو: مِن غَيري ثِقةً بي.

قولُه: (أَتَاهُ) تفسيرٌ لـ﴿بدَّلَ﴾، و(تَابَ) تفسيرٌ لـ«أَتَاهُ».

قولُه: (وأَغْفِرُ لَهُ) أي: ذنوبَهُ، وأرحمُهُ بالتَّفضُّلِ عليه بتبديلِ سيِّئاتِهِ حَسَناتٍ.

قولُه: (طَوْقِ قَمِيْصِكَ) لأنَّه كانَ مِدْرَعةَ[1] صوفٍ لا كُمَّ له، وقيل: الجيبُ: القميصُ؛ لأنَّه يُجابُ؛ أي: يُقطَعُ، فالفعلُ بمعنى: المفعولِ، والمضافُ مُقدَّرٌ.

قولُه: (بَرَصٍ) أي: آفَةٍ كبرَصٍ.

قولُه تعالى: ﴿فِي تِسْعِ﴾ أي: في جُملَتِها، وهي منظومةٌ في قوله:

عَصاً سَنَةٌ بَحرٌ جرادٌ وقُمَّلٌ ... دَمٌ ويَدٌ بعدَ الضَّفادعِ طُوفانُ[2]

قولُه: (مُرسَلاً بِهَا) قدَّره ليتعلَّقَ به: ﴿إِلَى فِرْعَونَ﴾. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّهُمْ﴾ تعليلٌ للإرسالِ.

قولُه: (مُضِيئَةً) أو: مُبصِرةً كلَّ مَن نظرَ إليها وتأمَّلَ فيها، متعدِّي بَصُرَ[3].

قولُه: (ظَاهِرٌ) سِحْرِيَّتُه.

قولُه: (أيْ: لَمْ يُقِرُّوا) لأنَّ الجحدَ معناه: الإنكارُ، وهو ضِدُّ الإقرارِ، وإنَّما فسَّرهُ بالضِّدِّ لتعديَتِهِ بالباءِ، يقالُ: جحدَهُ حقَّهُ وبحقِّهِ؛ أنكرهُ.

---

(١) هو ثوب ولا يكون إلا من صوف. «القاموس المحيط» (ص: ٧١٤).

(٢) قائله: الفيروزآبادي، انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٠٧).

(٣) في (ص): «يتعدى بصره».

﴿و﴾ قد ﴿استيقَنَتْها أنفُسُهم﴾ أي: تيقّنوا أنها من عِند الله، ﴿ظُلْمًا وعُلُوًّا﴾: تكبّرًا عن الإيمان بما جاء به مُوسَى. راجعٌ إلى الجحد. ﴿فانظُرْ﴾ -يا مُحمّد- ﴿كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُفسِدِينَ﴾: التي علمتَها من إهلاكهم؟

١٥ - ١٦ - ﴿ولَقَد آتَينا داوُدَ وسُلَيمانَ﴾ ابنَه ﴿عِلمًا﴾ بالقضاء بين الناس ومنطقِ الطير وغير ذلك، ﴿وقالا﴾ شكرًا لله: ﴿الحَمدُ لِلهِ الَّذِي فَضَّلَنا﴾ بالنبوّة وتسخير الجنّ والإنس والشياطينِ ﴿علَى كَثِيرٍ مِن عِبادِهِ المُؤمِنِينَ. ووَرِثَ سُلَيمانُ داوُدَ﴾ النبوّةَ والعِلم، ﴿وقالَ: يا أيُّها النّاسُ، عُلِّمْنا مَنطِقَ الطَّيرِ﴾ أي: فهمَ أصواته، ....

وقيل: ﴿جحدُوا﴾ بمعنى: كَذَّبوا؛ لأَنّهم أنكَروا التَّصديقَ بعد اليقينِ.

قولُه: (قَدْ) قدَّرَهُ لأنَّ الواو للحالِ.

قولُه: (تَكَبُّراً) وتَرَفُّعاً تفسيرٌ لـ﴿عُلُوًّا﴾. وقولُه تعالى: ﴿ظُلْمًا﴾ أي: لأنفُسِهم.

قولُه: (رَاجِعٌ إلى الجَحْدِ) أي: انتصابُهُما على العلَّةِ من: ﴿جَحَدُوا﴾ لا من الاستيقانِ.

قولُه: (يَا مُحَمَّدُ) يعني: فأهلَكناهُم فانظُر.

قولُه: (مِنْ إهْلَاكِهِم) بيانٌ للعاقبَةِ، وهو الإغراقُ في الدُّنيا، والإحراقُ في العُقبى.

قولُه: (وغَيْرِ ذَلِكَ) من العلومِ الشَّرعيَّةِ والمعارفِ اللَّدنيَّةِ، وتنكيرُ: ﴿عِلْمًا﴾ للتَّعظيمِ.

قولُه: (شُكْراً) أي: قاما بالشُّكرِ قَلباً وفِعلاً وقالاً.

قولُه: (والعِلْمَ) زيادةً على عِلمِهِ؛ أي: قَرَنَ بين علمِ الرَّبِّ وعلمِ الأبِ، وعلمي الوهبِ والكسب.

وقيلَ: الملْكَ بأنْ قامَ مقامَهُ في ذلكَ دونَ سائرِ بَنِيهِ، وكانُوا تسعةَ عشرَ.

والمعنى: بَقِيَ سليمانُ بعدَ والدِهِ نبيًّا كاملاً عالماً عاملاً، أو مَلِكاً عادلاً، فلا يخالِفُ: «نحنُ معاشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ»[1].

قولُه تعالى: (﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾) قالَ الأوزاعيُّ: هم أهلُ العلمِ[2].

قولُه: (أي: فَهْمَ أَصْوَاتِهِ) وهو مُعجِزةٌ، ومن ذلك ما حُكيَ: أنه مرَّ ببلبلٍ يُصوِّتُ ويترقَّصُ فقال: يقول: إذا أَكلتُ نصفَ تمرةٍ فعلى الدُّنيا العَفاءُ، وهو بالفتحِ والمد: التُّرابُ[3]، ....

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٢٧٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

ورواه البخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧) عنه، دون قوله: «نحن معاشر الأنبياء».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦١٨٦).

(٣) انظر: «تاج العروس» (٣٩/ ٧١). والأثر رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٣٩) عن فرقد السبخي.

﴿وأُوتِينا مِن كُلِّ شَيءٍ﴾، يُؤتاه الأنبياءُ والمُلوك. ﴿إنَّ هذا﴾ المُؤتَى ﴿لَهُوَ الفَضلُ المُبِينُ﴾: البيِّن الظاهر. ١٧ ـ ﴿وحُشِرَ﴾: جُمع ﴿لِسُلَيمانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ والإنسِ والطَّيرِ﴾ في مسير له، ﴿فهُم يُوزَعُونَ﴾: يُجمعون ثمّ يُساقون.

١٨ ـ ﴿حَتَّى إذا أتَوا علَى وادِ النَّملِ﴾ ـ هو بالطائف أو بالشام، نملُه صِغار أو كِبار ـ ﴿قالَتْ نَمْلةٌ﴾ مِلكة النمل، وقد رأت جُند سليمان: ﴿يا أيُّها النَّملُ، ادخُلُوا مَساكِنَكُم، لا يَحطِمَنَّكُم﴾: يكسِرنّكم....

وصاحَت فاختةٌ[1] فقال: إنَّها تقولُ: ليتَ الخَلقَ لم يُخلَقوا[2].

وضميرُ الجمعِ في: ﴿عُلِّمْنَا﴾ على عادةِ الملوكِ لمراعاةِ قواعدِ السِّياسةِ لا للتَكبُّرِ.

قولُه: (الظَّاهِرُ) الَّذي لا يخفى على أحَدٍ.

قولُه: (ثُمَّ يُسَاقُونَ) أي: يُحبسُ أوَّلُهُم على آخرِهِم ليتلاحَقوا.

قولُه: (هُوَ) أي: وادي النَّملِ؛ لكثرتِهِ فيه.

قولُه: (مَلِكةُ النَّمْلِ) عرجاءُ اسمُها: عَيْجَلوفُ، أو طاخِيةُ[3]، ولما دخلَ قتادةُ الكوفةَ قال للنَّاسِ: سَلوني عمَّا شئتُم، وكان في القومِ أبو حنيفَةَ ـ وهو حَدَثٌ ـ فقال: سلُوهُ عن نملةِ سليمانَ أذكرٌ أم أُنثَى؟ فأُفحِمَ، فقال أبو حنيفَةَ: هي أُنثى؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ لا للتَّاءِ فيها؛ لأنَّها للوحدةِ كما في حمامَةٍ[4].

قولُه: (يَكسِرَنَّكُم) نهيٌ لهم عن الحَطمِ، والمرادُ: نَهيُها عن التَّوقُّفِ بحيثُ يحطِمونَها؛ كقوله: لا أرينَّكَ هاهنا.

---

(١) هو طائر، ضرب من الحمام. «تاج العروس» (٥/ ٢٣).

(٢) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٠/ ١٨٦) (٢٠٧٧) عن الكلبي عن رجل.

قال العجلوني في «كشف الخفاء» (٢/ ١٦٥): أخرجه الثعلبي في تفسيره بإسناد واه جدًا.

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٧٨).

(٤) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٣٥٦ ـ ٣٥٧)، وقال ابن عجيبة في «البحر المديد» (٤/ ١٨٥): هو غير صحيح لما تقدم عن الرضي، وقول الرضي ـ كما ساقه قبل صفحتين ـ: تكون التاء للفرق بين المذكر والمؤنث، وتكون لآحاد الجنس، كنحلة ونحل، وثمرة وثمر، وبطة وبط، ونملة ونمل، فيجوز أن تكون النملة مذكراً، والتاء للوحدة، وأنث الفعل باعتبار تأنيث اللفظ. وتعقب القصة أيضا ابن المنير في «الانتصاف» (٣/ ٣٥٦)، والآلوسي في «روح المعاني» (١٩/ ٣٩٠)، لكن ذكر الطيبي في «فتوح الغيب» (١١/ ٤٨٧) بحثاً عن العلماء ما بين معارض للقصة وموافق لما في فيها، وختم ذلك بقوله: «فظهر أن القول ما قالت حذام، والمذهب ما سلكه الإمام» ـ يعني أبا حنيفة ـ مورداً عقبه بعض ما قاله الأئمة كالشافعي ومالك في مناقب الإمام أبي حنيفة رحمه الله وغزارة علمه.

﴿سُلَيمانُ وجُنُودُهُ، وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بهلاككم. ونُزِّل النمل منزلة العُقلاء في الخِطاب بخطابهم.

١٩ ـ ﴿فتبَسَّمَ﴾ سُليمان ابتداء ﴿ضاحِكًا﴾ انتهاء ﴿مِن قَولِها﴾، وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح، فحبس جُنده حين أشرف على واديهم، حتّى دخلوا بُيوتَهم، وكان جنده رُكبانًا ومُشاة في هذا المسير، ﴿وقالَ: رَبِّ، أَوزِعْنِيَ﴾: ألهِمني ﴿أن أشكُرَ نِعْمتَكَ الَّتِي أنعَمتَ﴾ بها ﴿علَيَّ وعلَى والِدَيَّ، وأن أعمَلَ صالِحًا تَرضاهُ، وأدخِلْنِي بِرَحْمتِكَ في عِبادِكَ الصّالِحِينَ﴾: الأنبياء والأولياء.

٢٠ ـ ﴿وتَفَقَّدَ الطَّيرَ﴾ ليرى الهُدهدَ الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدلُّ عليه بنقره فيها، فتستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يرَه ﴿فقالَ: مالِيَ لا أرَى الهُدهُدَ﴾ أي: أعَرَضَ لي ما منعني من رؤيته؟ ﴿أم كانَ مِنَ الغائبِينَ﴾ فلم أره لغَيبته؟........................

قولُه: (بهَلَاكِكُم) إذ لو شَعَروا لم يفعَلوا، وكأنَّها شعرَت عِصمَةَ الأنبياءِ من الظُّلمِ والإيذاءِ مباشرةً وتسبُّباً.

قولُه تعالى: ﴿مِنْ قَولِهَا﴾ أي: تعجُّباً من حذرِها وتحذيرِها واهتدائِها إلى مصالحها وبيانِ عُذرِها، أو: سروراً بما خصَّهُ الله به من إدراكِ هَمسِها وفهْمِ غرضِها، ولذلكَ سألَ توفيقَ شُكرِهِ.

قولُه: (ومُشَاةً) ويمكنُ أن يكون المرادُ: ﴿لا يحطِمَنَّكُم﴾ على تقديرِ النُّزولِ.

قولُه: (أَلْهِمْنِي) ووَفِّقني، وقولُه: ﴿وَالِدَيَّ﴾ هما داود وأوريا[1]، أدرجهُما تكثيراً للنِّعمةِ، أو تعميماً لها، فإنَّ النِّعمَةَ عليهما نعمةٌ له، والنِّعمةُ عليه يرجعُ نفعُها إليهما سيَّما الدِّينيَّة. وقولُه: ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا﴾ تماماً للشُّكرِ واستدامَةً للنِّعمةِ.

قولُه: (الأَنبِيَاءِ) أي: في عدادِهِم الجنَّةَ[2].

قولُه: (لِيَرَى) أي: تعرَّفَ الطَّيرَ.

قولُه: (فَلَمْ يَرَهُ) أي: لم يجدهُ؛ لأنَّ الفقدَ عدمُ الوجدان.

قولُه: (مَا مَنَعَنِي) من ساترٍ وغيره.

قولُه: (فَلَمْ أَرَهُ) فـ﴿أَمْ﴾ معادِلةٌ للهمزةِ المقدَّرةِ، وقيل: ﴿أَمْ﴾ منقطِعةٌ، ومعناها: الإضرابُ، وقيل: ميم زائدة عند الكوفيِّينَ، كأنَّه يسألُ عن صحَّةِ ما لاحَ له.

---

(١) ذكره السيوطي في «مفحمات الأقران» (ص: ٧٨). قال القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ١٧٦): وقال محمد بن إسحاق: يزعم أهل الكتاب أن أم سليمان هي امرأة أوريا التي امتحن الله بها داود، أو أنه بعد موت زوجها تزوجها داود فولدت له سليمان عليه السلام.

قلت: وبهذا يتبين أن أوريا اسم للرجل الذي امتحن نبي الله بزوجته، وهي قصة من الإسرائيليات لا يثبت شيء منها.

(٢) في (ص): «الوجدان».

فلمّا تحقَّقها. قال: ٢١ ـ ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذابًا﴾ أي: تعذيبًا ﴿شَدِيدًا﴾ بنتف ريشه وذنبه، ورميه في الشمس فلا يمتنع على الهوامّ، ﴿أو لَأذبَحَنَّهُ﴾ بقطع حُلقومه، ﴿أو لَيأتِيَنِّي﴾ ـ بنون شديدة مكسورةٍ أو مفتوحةٍ يليها نون مكسورة ـ ﴿بِسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: برهان بيّن ظاهر على عُذره.

٢٢ ـ ٢٣ ـ ﴿فمَكُثَ﴾ ـ بضمّ الكاف وفتحها ـ ﴿غيرَ بَعِيدٍ﴾ أي: يسيرًا من الزمان، وحضر لسُليمانَ مُتواضعًا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه، فعفا عنه وسأله عمّا لقي في غَيبته، ﴿فقالَ: أَحَطتُ بِما لَم تُحِطْ بِهِ﴾ أي: اطّلعت على ما لم تطّلع عليه، ﴿وجِئتُكَ مِن سَبَإٍ﴾ ـ.........

قولُه: (فَلَمَّا تَحَقَّقَهَا) أي: الغيبةَ.

قولُه: (فِي الشَّمْسِ) أو حيثُ تأكلهُ النَّملُ، أو جَعْلِه مع ضدِّهِ في قفصٍ.

قولُه: (بقَطْعِ حُلْقُومِهِ) ليعتبرَ به أبناءُ جنسهِ.

قولُه: (بِنُونٍ مشَدَّدَةٍ) غيرُ المكيِّ[1].

قولُه: (ظَاهِرٍ) أو يُظهرُ عذرَهُ، والحَلِفُ في الحقيقة على أحدِ الأوَّلينِ بتقديرِ عدمِ الثَّالثِ، فكلمةُ ﴿أَو﴾ بين الأوَّلينِ للتَّخييرِ، وفي الثَّالثِ للتَّرديدِ بينه وبينهما.

قولُه: (وفَتْحِهَا) عاصمٌ[2].

قولُه: (زَمَاناً يَسِيْراً) أي: غيرَ مديدٍ، أو: ﴿غيرَ بعيدٍ﴾ من زمانِ التَّهديدِ، يريد به الدِّلالةَ على سرعةِ رجوعِهِ خوفاً منه.

قولُه: (أي: اطَّلعْتُ) قال البيضاويُّ: وقُرئ بإدغامِ الطاءِ في التاءِ بإطباقٍ وبغيرِ إطباقٍ[3]. المتواترُ: هو الإدغامُ مع بقاءِ صفةِ الإطباقِ[4]، ونحوه: ﴿بَسَطْتَ﴾ [المائدة: ٢٣]، ووقعَ الخُلفُ بـ﴿نَخْلُقْكُمْ﴾ [٢٠] في المرسلاتِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٧٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٢٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٢٥).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٥٨).

(٤) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ٦٦٥). وفيه: «وأجمعوا على إدغام الطاء في التاء مع تبقية إطباق الطاء؛ لئلا يختل بذلك صوتها في نحو قوله: ﴿أحطت﴾ و﴿فرّطتم﴾ [يوسف: ٨٠] و﴿بسطتَ﴾ وما أشبهه». ومثله قول الصفاقسي في «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٤٤٥): «لا خلاف بينهم أن الطاء مدغمة في التاء مع إطباق الطاء لئلا تشتبه بالطاء المدغمة».

بالصرف وتركه: قبيلةٌ باليمن سُمّيت باسم جدٍّ لهم باعتباره صُرِفَ ـ ﴿بِنَبَإٍ﴾: بخبر ﴿يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدتُّ امرأَةً تَملِكُهُم﴾ أي: هي ملِكة لهم اسمها بِلقيس، ﴿وأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيءٍ﴾ يحتاج إليه الملوك من الآلة والعُدّة، ﴿ولَها عَرشٌ﴾: سرير ﴿عَظِيمٌ﴾، طوله ثمانون ذِراعًا وعرضه أربعون ذِراعًا وارتفاعه ثلاثون ذِراعًا، مضروب من الذهب والفضّة، مُكلّل بالدّرّ والياقوت الأحمر والزَّبَرجَد الأخضر والزّمرّد، وقوائمه من الياقوت الأحمر والزَّبَرجَد الأخضر والزّمرّد، عليه سبعة أبواب، على كُلِّ بيت باب مغلق.

٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿وجَدتُّها وقَومَها يَسجُدُونَ لِلشَّمسِ مِن دُونِ اللهِ، وزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم، فصَدَّهُم عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريقِ الحقّ، ﴿فهُم لا يَهتَدُونَ ألاّ يَسجُدُوا لِلهِ﴾ أي: أن يسجدوا له ـ فزيدتْ «لا» وأُدغم فيها نون «أن» كما في قوله تعالى:..

قولُه: (وتَرْكِهِ) لمكِّيٍّ وبصريٍّ، إلا أن قُنبُلاً سكَّن الهمزة[1].

قولُه: (قَبِيلَةٌ) أو بلدةٌ.

قولُه: (باعْتِبَارِهِ صُرِفَ) كذا في نسخةٍ؛ أي: باعتبارِ أصلِ اسمِ الجدِّ، ويمكنُ أن يكون الصَّرفُ باعتبارِ الحيِّ أو المكانِ.

قولُه: (بِلْقِيسُ) بالكسر، بنتُ شَراحيلَ ـ بفتح الشين ـ ، وأحدُ أبوَيها من الجِنِّ[2]، والضَّميرُ لـ﴿سبأ﴾ إن أُريدَ به الحيُّ أو القبيلةُ، أو لأهلها إن أُريدَ الموضعُ أو البلدةُ.

قولُه: (سَرِيرٌ) وعظَمُهُ بالنِّسبةِ إليها أو إلى عروشِ أمثالِها، لا إلى سليمانَ.

قولُه: (مَضْرُوبٌ) أي: مصوغٌ.

قولُه: (عَلَيْهِ) أي: مبنيٌّ عليه.

قولُه: (سَبْعَةُ أَبوَابٍ) والصَّوابُ: بيوتٍ.

قولُه: (طَرِيقِ الحَقِّ) الأولى: سبيلِ الحقِّ.

قولُه: (أيْ: أنْ يَسْجُدُوا) أو: فصَدَّهُم لئلَّا يسجُدوا، وهو الظَّاهرُ، وقرأَ الكسائيُّ: (أَلَا يا اسْجُدُوا)[3] فـ(ألا) بالتَّخفيفِ للتَّنبيهِ، والمنادى محذوف وهو: عبادي، أو قوم، استئنافاً من الله تعالى، أو من سليمانَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٠).

(٢) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢١٥٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٥١، ٤٥٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٢٤٩) عن قتادة. ورواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١٠٥٧) من قول عثمان بن حاضر.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٢٦).

«لئلاّ يَعلَمَ أهلُ الكِتابِ». والجملة: في موضع مفعول «يهتدون» بإسقاط «إلى» ـ ﴿الَّذِي يُخرِجُ الخَبْءَ﴾: مصدرٌ بمعنى المخبوء من المطر والنبات، ﴿في السَّماواتِ والأرضِ، ويَعلَمُ ما يُخفُونَ﴾ في قُلوبهم ﴿وما يُعلِنُونَ﴾ بألسنتهم. ٢٦ ـ ﴿اللهُ لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ، رَبُّ العَرشِ العَظِيمِ﴾. استئنافُ جملةِ ثناءٍ مُشتملٍ على عرش الرحمن في مُقابلة عرش بِلقيس، وبينهما بون عظيم.

٢٧ ـ ﴿ قالَ﴾ سُليمان للهُدهد: ﴿سَنَنظُرُ: أصَدَقتَ﴾ فيما أخبرتَنا به، ﴿أم كُنتَ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ أي: من هذا النوع؟ فهو أبلغ من: أم كذبتَ فيه. ثمّ دلّهم على الماء فاستُخرج، وارتوَوا وتوضّؤوا وصلَّوا، ثمّ كتب سُليمان كِتابًا صُورته: «مِن عَبد اللهِ سُلَيمانَ بنِ داوُدَ إلى بِلقِيسَ مَلِكةِ سَبأ. بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ. السَّلامُ علَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَى. أمّا بَعدُ فلا تَعلُوا علَيَّ، وائْتُونِي مُسلِمِينَ»،...........

قولُه: (بأَلسِنَتِهِم) وحفصٌ والكسائيُّ بالخطابِ فيهما[1].

قولُه: (استِئنَافُ جُملَةِ ثَنَاءٍ) بالإضافتينِ.

قولُه: (عَرشِ الرَّحمَنِ) الذي هو أولُ الأجرامِ وأعظمُها، والمحيطُ بجملتِها.

قولُه: (بَوْنٌ) فَرقٌ.

قولُه: (فيمَا أخبَرْتَنَا) أي: ستعرَّفُ، من النَّظرِ بمعنى: التَّأمُّلِ.

قولُه: (أَكَذَبْتَ) الصَّوابُ: أم كَذَبْتَ[2]، أو كَذَبْتَ[3]، فالتَّغييرُ للمبالغةِ أو للفاصلةِ.

قولُه: (وائتُونِي مُسْلِمِيْنَ) كذا نقلهُ الزَّمخشريُّ عن بعضِهم[4]، فكأنَّ سائلاً يقولُ بعدَ ما قالت: ﴿أُلْقِيَ إليَّ﴾: ما فيه؟ فقالت: إن مضمونَهُ وما فيه: ﴿إنه من سليمانَ﴾ وإن فيه ﴿بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ﴾.

وتركُ الواو في ﴿أنْ لا تَعْلُوا عليَّ﴾ ليدلَّ على أنه المقصودُ من الكتابِ؛ لأن ما بعدَ البسملَةِ يكونُ هو المقصودَ، فلو أتى بالواو لكان عطفاً على البسملة، فلا تكونُ البسملةُ للشُّروعِ في المقصودِ.

ونقلَ الشَّيخُ المحدِّثُ عمادُ الدِّينِ ابنُ كثيرٍ: أن عبارةَ الكتابِ: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الآيةَ[5]. فعلى هذا لمَّا قالت: ﴿أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ []، فحينئذٍ كأنَّ سائلاً قال: بيِّن لي مضمونَهُ ومكتوبَهُ، فأجابَتْ وقرأَتْ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨١)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٢٨).

(٢) وهكذا هي في النسخ المعتمدة في المتن.

(٣) كذا في النسخ ولعل الصواب: «أو: أو كذبت».

(٤) انظر: «الكشاف» (٣/ ٣٦٣).

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ١٨٨).

ثمّ طبعه بالمِسك وختمه بخاتَمه، ثمّ قال للهُدهد: ٢٨ ـ ﴿اذهَبْ بِكِتابِي هذا، فألقِهْ إلَيهِم﴾: إلى بِلقيس وقومها، ﴿ثُمَّ تَوَلَّ﴾: انصرِفْ ﴿عَنهُم﴾ وقفْ قريبًا منهم، ﴿فانظُرْ: ماذا يَرجِعُونَ﴾: يردّون من الجواب؟

فأخذه وأتاها، وحولَها جُندُها، فألقاه في حَجرها، فلما رأته أُرعِدَت وخَضعت خوفًا، ثمّ وقفت على ما فيه، ثمّ ٢٩ ـ ﴿قالَتْ﴾ لأشراف قومها: ﴿يا أيُّها المَلَأُ، إنِّيَ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وقلبِ الثانية واوًا ـ ﴿أُلقِيَ إلَيَّ كِتابٌ كَرِيمٌ﴾: مختوم. ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿إنَّهُ مِن سُلَيمانَ، وإنَّهُ﴾ أي: مضمونَه ﴿بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ. ألَّا تَعلُوا علَيَّ، وائتُونِي مُسلِمِينَ. قالَتْ: يا أيُّها المَلَأُ، أفتُونِي﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وقلبِ الثانية واوًا ـ أي: أشيروا عليَّ ....

وقيل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ بيانٌ لعُنوانِ الكتابِ، وكذا قولُه: من عبدِ اللهِ سليمانَ إلى مَلِكةِ سبإٍ، وليسَ من أصلِ الكتابِ، كذا قالَهُ الإمامُ، فسؤالُ تقديمِ سليمانَ اسمَهُ على اسم الله ساقِطٌ[1]، كذا أفادَهُ السَّيِّدُ الصَّفويُّ[2].

قولُه: (يَرُدُّونَ) أو: ماذا يرجِعُ بَعضُهم إلى بعضٍ من القولِ.

قولُه: (لأَشْرَافِ قَومِهَا) بعد ما أُلقيَ إليها.

قولُه: (وتَسهِيلِ الثَّانيةِ... إلخ)[3] الوجهانِ الأخيرانِ للحِرْميَّينِ والبصريِّ[4].

قولُه: (مَختُومٌ) أي: كريمٌ لأنه كان مختوماً، وفي الحديثِ: «إكرامُ الكِتَابِ خَتْمُهُ»[5] أو لكرمِ مَضمونِهِ، أو مرسلِهِ، وكانت عالمةً بعِظَمِ شأنِ سليمانَ.

قولُه: (وقَلْبِ الثَّانِيَةِ) لمكيٍّ ومدنيٍّ وبصريٍّ[6].

قولُه: (أَشِيرُوا عَلَيَّ) يعني: أجيبوني في أمري الفَتيِّ الحادثِ، واذكُروا ما تستصوبون فيه، ومنه: الفتوى، وهو جوابٌ في الحادثةِ؛ لأنه مشتقٌّ من الفَتَى، كذا في «المعرِّبِ»[7].

---

(١) انظر: «تفسير الرازي» (١/ ١٥٣).

(٢) انظر: «جامع البيان» للإيجي (٣/ ٢١٤).

(٣) هذا وجه ثالث لم يرد في نسخ المتن المعتمدة، وهو تسهيل الثانية كالياء، وهو وثاني وجهي المتن للحرميين والبصري كما سيأتي.

(٤) انظر: «غيث النفع» (ص: ٤٤٦).

(٥) رواه الطبراني في «الأوسط» (٣٨٧٢)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٠/ ٢٣٩) (٢٠٨٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٣٩)، والواحدي في «التفسير الوسيط» (٦٨٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنها.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٩٩): فيه محمد بن مروان السدي الصغير وهو متروك.

(٦) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ٥٤١).

(٧) انظر: «المغرب» (ص: ٣٥١).

﴿في أمري. ما كُنتُ قاطِعةً أمرًا﴾: قاضيته ﴿حَتَّى تَشهَدُونِ﴾: تَحضُرونِ.

٣٣ ـ ﴿قالُوا: نَحنُ أُولُو قُوّةٍ، وأُولُو بأسٍ شَدِيدٍ﴾: أصحابُ شِدّة في الحرب، ﴿والأمرُ إلَيكِ. فانظُري: ماذا تأمُرِينَـ﴾ ـنا؟ نُطِعْك. ٣٤ ـ ﴿قالَتْ: إنَّ المُلُوكَ إذا دَخَلُوا قَرْيةً أفسَدُوها﴾ بالتخريب، ﴿وجَعَلُوا أعِزّةَ أهلِها أذِلّةً ـ وكَذلِكَ يَفعَلُونَ﴾ أي: مُرسِلو الكتاب ـ ٣٥ ـ ﴿وإنِّي مُرسِلةٌ إلَيهِم بِهَدِيّةٍ، فناظِرةٌ: بِمَ يَرجِعُ المُرسَلُونَ﴾ من قَبول الهديّة أو ردّها؟ إن كان ملِكًا قبلها، أو نبيًّا لم يقبلها.

فأرسلت خَدَمًا ذكورًا وإناثًا ألفًا بالسويّة، وخمسَمِائةِ لَبِنةٍ من الذهب وتاجًا مُكلّلاً بالجواهر ومِسكًا وعنبرًا وغير ذلك، مع رسول بكتاب. فأسرع الهُدهد إلى سُليمان، يُخبره الخبر،.................

قولُه: (قَاضِيَتَهُ) وفاصلتهُ.

قولُه: (أَصْحَابُ شِدَّةٍ) أي: بلاءٍ[1] ونجدةٍ، وأصحابُ قُوَّةٍ بالأجسادِ والعَدَدِ والعُدَدِ. وقولُه: ﴿والأمرُ إلَيْكِ﴾ أي: موكولٌ.

قولُه: (بالتَّخْرِيبِ) والنَّهبِ والإهانةِ والأسرِ؛ يعني: إذا دخَلوها عنوةً وقَهراً، ذكرت لهم عاقبةَ الحَربِ فإنَّها سجالٌ.

قولُه: (أي: مُرسِلُو الكِتَابِ) الظاهرِ: أي: ﴿الْمُلُوكَ﴾ تأكيدٌ لِمَا وصَفَتْ من حالِهم، وتقريرٌ بأن ذلك من عاداتِهم الثَّابتةِ المستمرَّةِ، أو تصديقاً لها من الله؛ يعني: اعتراضيَّة حكاها الله لنبيِّنا ﷺ بين كلاميها المحكيَّينِ له.

قولُه: (قَبِلَهَا) فنحاربُهُ.

قولُه: (لَمْ يَقبَلْهَا) فنتَّبِعُهُ، كذا نقلَ عن ابن عباسٍ وغيرِه[2].

قولُه: (بِالسَّوِيَّةِ) أي: في العَدَدِ بالتَّنصيفِ، قيل: أرسَلَتْ غلماناً على زيِّ الجواري، وبالعكسِ، وحُقًّا[3] فيه دُرَّةٌ عذراءُ وجَزَعَةٌ[4] معوجَّةُ الثقبِ للامتحانِ[5].

قولُه: (فَأَسْرَعَ الهُدْهُدُ) أو سبقَهُم جبريلُ بالحالِ.

---

(١) في (ص): «صلابة».

(٢) رواه الطبري في «تفسير» (١٩/ ٤٥٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٣٣٩) بنحوه.

(٣) هو وعاء من خشب. «القاموس المحيط» (ص: ٨٧٥).

(٤) الجَزع، ويكسر: الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض. «القاموس المحيط» (ص: ٧٠٩).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٣٣٤) عن السدي بأتم مما هنا.

فأمر أن تُضرب لَبِناتُ الذهب والفِضّة، وأن تُبسط من موضعه إلى تسعة فراسخَ مَيدانًا، وأن يبنوا حوله حائطًا مُشرفًا من الذهب والفِضّة، وأن يُؤتى بأحسن دوابّ البرّ والبحر مع أولاد الجِنّ عن يمين المَيدان وشِماله.

٣٦ ـ ﴿فلَمّا جاءَ﴾ الرسول بالهديّة، ومعه أتباعُه، ﴿سُلَيمانَ قالَ: أتُمِدُّونَني بِمالٍ؟ فَما آتانيَ اللهُ﴾ من النبوّة والمُلك ﴿خَيرٌ مِمّا آتاكُم﴾ من الدنيا. ﴿بَل أنتُم بِهَدِيَتِكُم تَفرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

قولُه: (مَيْدَانًا) بالفتحِ ويكسرُ[١].

قولُه: (بالهَدِيَّةِ) أَمر الأَرَضَةَ فأخذَتْ شعرةً ونفذَتْ في الدُّرَّةِ، وأمَرَ دودةً بيضاءَ فأخذتِ الخيطَ ونفذَتْ في الخَرَزَةِ، ودعا بالماءِ فكانتِ الجاريةُ تأخذُ الماءَ بيدِها فتجعلهُ في الأخرى ثمَّ تضربُ به وجهَها، والغلامُ كما يأخذهُ يضربُ به وجههُ[٢].

قولُه: (ومَعَهُ أَتْبَاعُهُ) أي: الخطابُ في ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ للرَّسولِ ومن معَه، وقيل: للرسولِ والمرسِلِ على تغليبِ المخاطَبِ.

وقرأَ حمزةُ بالإدغام[٣]، وقولُ القاضي: وقُرئَ بنونٍ واحدةٍ وبنونين وحذفِ الياء[٤]. خلطٌ بين الشَّاذِّ وهو الأوَّلُ[٥]، والمتواترِ وهو الثَّاني قراءةُ الجمهورِ، بل الكلُّ؛ إذ منهم مَن يُدغِمُ وهو حمزةُ، ومنهم مَن يحذفُ الياءَ وهو الشَّاميُّ وعاصمٌ والكسائيُّ، ومنهم مَن يثبتُ الياءَ وهم الباقونَ على خلافٍ في وصلِهم ووقفِهم يُعرف تفصيلهُ والقراءات في ﴿فما آتاني الله﴾ من كتبِ القراءاتِ[٦].

قولُه: (مِنَ النُّبوَّةِ) المقتضيةِ لملكِ القناعةِ.

قولُه: (والمُلْكِ) والمالِ الذي لا مزيدَ عليه.

قولُه: (مِنَ الدُّنيَا) فلا حاجةَ لي إلى هَدِيَّتِكُم، ولا وقعَ لها عندي.

قولُه: (لِفَخْرِكُم) أي: بهديَّتِكُم التي يرسلُ بها بعضُكُم إلى بعضٍ؛ لأنَّكُم لا تعلمونَ إلَّا ظاهراً من الحياةِ الدُّنيا فتفرَحونَ بما يُهدى إليكُم حُبًّا لزيادةِ أموالكُم، أو بما تُهدونهُ افتخاراً على أمثالكُم.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٢١).

(٢) جاء نحوه فيما تقدم عند ابن أبي حاتم عن السدي.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٢).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٠).

(٥) قرأ المسيبي عن نافع (أتمدون) بنون واحدة خفيفة، انظر: «شواذ القرآن» (ص: ١١١)، وذكرها أيضاً ابن مجاهد في «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٢).

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٢).

٣٧ ـ ﴿ارجِعْ إلَيهِم﴾ بما أتيتَ به من الهديّة. ﴿فلَنأتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لا قِبَلَ﴾: لا طاقة ﴿لَهُم بِها، ولَنُخرِجَنَّهُم مِنها﴾ من بلدهم سبأ ـ سُمّيت باسم أبي قبيلتهم ـ ﴿أذِلَّةً وهُم صاغِرُونَ﴾، إن لم يأتوني مُسلمين.

فلمّا رَجَعَ إليها الرسول بالهديّة جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرُها داخلَ سبعة قصور، وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حرسًا، وتجهّزت للمسير إلى سُليمان، لتنظر ما يأمرها به. فارتحلت في اثني عشرَ ألفَ قَيلٍ، مع كل قَيلٍ ألوفٌ كثيرة، إلى أن قرُبت منه على فرسخ شعر بها.

٣٨ ـ ﴿قالَ: يا أيُّها المَلأُ، أيُّكُم﴾ ـ في الهمزتين ما تقدّم ـ ﴿يأتِيني بِعَرشِها قَبلَ أن يأتُونِي مُسلِمِينَ﴾ أي: منقادِين طائعين؟ فلي أخذُه قبلَ ذلك لا بعده. ٣٩ ـ ﴿قالَ عِفرِيتٌ مِنَ الجِنِّ﴾ هو القويّ الشديد: ﴿أنا آتِيكَ بِهِ قَبلَ أن تَقُومَ مِن مَقامِكَ﴾ الذي تجلس فيه للقضاء، وهو من الغداة إلى نصف النهار، ﴿وإنِّي علَيهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حمله ﴿أمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر وغيرها.

قال سُليمان: أريد أسرع من ذلك. ٤٠ ـ ﴿قالَ الَّذِي عِندَهُ عِلمٌ مِنَ الكِتابِ﴾ المُنزَل،.........

قولُه: (بِمَا أَتَيْتَ) أيُّها الرَّسولُ إلى بلقيسَ وقومِها.

قولُه: (لا طَاقَةَ) بمقاومتِها.

قولُه: (سُمِّيَتْ) مستدركٌ، تقدَّمَ في محلِّهِ[1].

قولُه: (إنْ لَمْ يَأْتُونِي) بالغيبةِ.

قولُه: (دَاخِلَ سَبعَةِ أَبْوَابٍ دَاخِلَ قَصْرِهَا) الصَّوابُ: داخلَ قصرها وعليه سبعةُ أبوابٍ.

قولُه: (حَرَساً) جمعُ: حارسٍ؛ كخدمٍ جمعُ: خادمٍ، أو كركَّعٍ جمعُ: راكعٍ.

قولُه: (قَيْلٍ) القَيلُ: ملِكٌ من مُلوكِ حِميرَ، أو هو دونَ الملكِ الأعلى، وأصلهُ: قَيِّلٌ كفَيْعِلٍ، سُمِّي به لأنه يقولُ ما يشاء فيَنْفذُ[2].

قولُه: (شَعَرَ) أي: علمَ سليمانُ بمَأتاها.

قولُه: (أيْ: مُنقَادِيْنَ) أو مؤمنينَ، فإنَّها إذا أتتْ مُسلِمةً لم يحلَّ أخذهُ إلَّا برضاها.

قولُه: (هُوَ) أي: العِفْريتُ، و﴿مِنَ﴾ بيانٌ له.

قولُه: (المُنْزَلِ) جنسٌ، أو إفرادٌ، أو اللَّوحُ.

---

(١) انظر الآية رقم: (٢٢).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٥١).

وهو آصِفُ بنُ بَرْخَيا، كان صِدِّيقًا يعلم اسم الله الأعظمَ الذي إذا دُعي به أجاب: ﴿أنا آتيكَ بِهِ قَبلَ أن يَرتَدَّ إلَيكَ طَرْفُكَ﴾، إذا نظرت به إلى شيء ما. قال له: انظر إلى السماء. فنظر إليها ثمّ ردَّ بطرفه، فوجده موضوعًا بين يديه. ففي نظره إلى السماء دعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله به، فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى ارتفع عند كرسيّ سليمان.

﴿فلَمّا رآهُ مُستَقِرًّا﴾ أي: ساكنًا ﴿عِندَهُ قالَ: هذا﴾ أي: الإتيان لي به ﴿مِن فَضلِ رَبِّي، لِيَبلُوَني﴾: ليختبرني: ﴿أأشكُرُ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها،..........

قولُه: (آصِفُ) وزيرُهُ، أو كاتبُهُ، أو الخَضِرُ، أو جبريلُ، أو مَلَكٌ أيَّدَهُ اللهُ تعالى به، و﴿آتِيْكَ﴾ في الموضعينِ صالحٌ للفعليَّةِ والاسميَّةِ.

قولُه: (إذا نَظَرْتَ) والمعنى: أنَّك ترسلُ نظركَ نحو شيءٍ، فقَبْلَ أن تَرُدَّهُ أُحضِرُ عرشَها بين يديكَ، وهذا غايةٌ في الإسراعِ ومَثَلٌ فيه؛ أي: في الإسراعِ، وإن كانَ حقيقةً فيما هنا؛ كقولِهِ ﷺ: «اللَّهمَّ لا تكلني إلى نَفسِي طرفَةَ عينٍ»[١].

قولُه: (حَتَّى نَبَعَ) ويمكنُ أنه جَرى بين السَّماءِ والأرضِ حتَّى نزلَ، مع احتمالِ رؤيتِهِ وعدمِها قبلَ النُّزولِ.

قولُه: (سَاكِناً) أي: ثابتاً غيرَ متحرِّكٍ، وهو الصَّوابُ ـ خلافاً للقاضي حيث قال: أي: حاصلاً بين يديه[٢] ـ لأن الظَّرفَ إذا وقع خبراً، أو حالاً، أو صفةً، أو صلةً؛ وجبَ حذفُ متعلَّقِهِ إن كان كوناً عامًّا أو خاصًّا دلَّ عليه دليلٌ، وإلَّا وجبَ ذكرهُ كما هنا.

قولُه: (لِيَخْتَبِرَنِي) هل أراهُ فضلاً من اللهِ أو أجدُ نفسي في الوسطِ[٣]؟ أو: هل أقومُ بحقِّ مولى النِّعمةِ أو أقصِّرُ في أداءِ مواجبه؟

قولُه: (بتَحْقِيْقِ) تقدَّمَ مراراً ذكرهُ وتحقيقهُ[٤] مع أنه لا دخلَ للتَّفسيرِ في مثلهِ سيَّما هذا المختصَرُ.

---

(١) هو طرف من حديث رواه أبو داود في «سننه» (٥٠٩٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤١٢)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٤٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٧٠) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦١).

(٣) في النسخ: «أو اجد نفسه في الوسط» والمثبت من «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦١)، وفيه: «﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ﴾ بأن أراه فضلًا من الله تعالى بلا حول مني ولا قوة وأقوم بحقه ﴿أَمْ أَكْفُرُ﴾ بأن أجد نفسي في البين».

قال الشهاب في «الحاشية على تفسير البيضاوي» (٧/ ٤٧): قوله: «بأن أجد نفسي في البين»؛ أي: بأن أثبت لنفسي وجوداً وتصرّفاً في ذلك.

(٤) انظر: سورة الرعد آية: (٥) عند قوله: وفي الهمزتين... إلخ.

وإدخالِ ألف بين المسهّلة والأخرى، وتركِه ـ ﴿أم أكفُرُ﴾ النِّعمة؟ ﴿ومَن شَكَرَ فإنَّما يَشكُرُ لِنَفسِهِ﴾ أي: لأجلها لأنّ ثواب شُكره له، ﴿ومَن كَفَرَ﴾ النِّعمة ﴿فإنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شُكرِه ﴿كَرِيمٌ﴾ بالإفضال على من يكفرها.

٤١ ـ ﴿قالَ: نَكِّرُوا لَها عَرشَها﴾ أي: غيّروه إلى حالٍ تُنكره إذا رأته، ﴿نَنظُرْ: أتَهتَدِي﴾ إلى معرفته ﴿أم تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يُغيّر عليهم؟ قصد بذلك اختبار عقلها لِما قيل له: إن فيه شيئًا. فغيّروه بزيادة أو نقص أو غير ذلك.

٤٢ ـ ٤٣ ـ ﴿فلَمّا جاءَتْ قِيلَ﴾ لها: ﴿أهكَذا عَرشُكِ﴾ أي: أمِثلُ هذا عرشُكِ؟ ﴿قالَتْ: كأنَّهُ هُوَ﴾ أي: فعرفتْه، وشَبّهت عليهم كما شبّهوا عليها، إذ لم يُقل: أهذا عرشك؟ ولو قيل «هذا» قالت: نعم. قال سُليمان لمّا رأى لها معرفة وعِلمًا: ﴿وأُوتِينا العِلمَ مِن قَبلِها، وكُنّا مُسلِمِينَ. وصَدَّها﴾ عن عِبادة الله ﴿ما كانَتْ تَعبُدُ، مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه. ﴿إنَّها كانَت مِن قَومٍ كافِرِينَ﴾.

٤٤ ـ ﴿قِيلَ لَها﴾ أيضًا: ﴿ادخُلِي الصَّرحَ﴾. هو سطح من زُجاجٍ أبيضَ شفّافٍ، تحته ماء جارٍ، فيه سمك اصطنعه سُليمان، لِما قيل له: إنّ ساقَيها ورجلَيها كقَدَمَي حِمار..........

قولُه: (النِّعْمَةَ) ومحلُّهُما النَّصبُ على البدلِ من الياء.

قولُه: (علَى مَنْ يَكْفُرُهَا) الظَّاهرُ: من لم يَكْفُرْها؛ أي: بالإنعامِ عليه ثانياً.

قولُه: (حَالٍ) أي: هيئةٍ وشكلٍ؛ أي: تغييراً في الجملةِ لا مطلقاً.

قولُه: (إلى مَعرِفَتِهِ) أو الجوابِ الصَّوابِ.

قولُه: (قالَتْ: نَعَمْ) أو: هو هو، والأظهرُ أنَّها لم تقُل: هو هو، مع ظَنِّها الغالبِ؛ لاحتمالِ أن يكونَ مثلَهُ، وذلك من كمالِ عَقلِها.

قولُه: (قالَ سُلَيْمَانُ) أي: وحدهُ، أو مع قومِهِ، عطفاً لكلامِهِم على جوابِها للتَّحدُّثِ بما أنعمَ اللهُ عليهم من التَّقدُّمِ في ذلك شكراً.

وقيل: إنه من تتمَّةِ كلامِها، وضمير: ﴿قَبْلِهَا﴾ راجعٌ إلى هذه المعجزةِ، وهو إحضارُ العرشِ بالوصفِ المذكورِ فيما تقدَّمَ من مسيرَةِ شهرَينِ في طَرفَةِ عَينٍ.

قولُه: (هُو سَطْحٌ) أي: صحنٌ، والصَّرحُ: قيل: القصرُ، وقيل: عَرْصةُ الدَّارِ[1].

قولُه: (سَمَكٌ) وغيرُهُ من حيواناتِ الماءِ.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (٢/ ٥١١).

﴿فلمّا رأتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ من الماء، ﴿وكَشَفَتْ عَن ساقَيها﴾ لتخوضه. وكان سُليمان على سريره في صدر الصرح، فرأى ساقيها وقدميها حِسانًا. ﴿قالَ﴾ لها: ﴿إنَّهُ صَرحٌ مُمَرَّدٌ﴾: مُملّس ﴿مِن قَوارِيرَ﴾ أي: زجاج. ودعاها إلى الإسلام. ﴿قالَتْ: رَبِّ، إنِّي ظَلَمتُ نَفسِي﴾ بعِبادة غيرك، ﴿وأسلَمتُ﴾ كائنة ﴿مَعَ سُلَيمانَ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

وأراد تزوّجها فكره شعر ساقيها، فعملت له الشياطين النُّورةَ فأزالته بها، فتزوجها وأحبّها وأقرّها على مُلكها، وكان يزورها في كلّ شهر مرّة، ويُقيم عِندها ثلاثة أيام. وانقضى مُلكها بانقضاء مُلك سُليمان. رُوي أنه ملكَ وهو ابن ثلاثَ عشْرةَ سنةً، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. فسُبحان مَن لا انقضاء لدوام مُلكه.

٤٥ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا إلَى ثَمُودَ أخاهُم﴾ من القبيلة ﴿صالِحًا أنِ﴾ أي: بأن ﴿اعبُدُوا اللهَ﴾: وحّدوه، ﴿فإذا هُم فَرِيقانِ يَختَصِمُونَ﴾ في الدِّين: فريقٌ مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون.

٤٦ ـ ﴿قالَ﴾ للمُكذّبين: ﴿يا قَومِ، لِمَ تَستَعجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبلَ الحَسَنَةِ﴾ أي: بالعذاب قبل الرحمة، ...

قولُه: (مِنَ المَاءِ) أي: ماءً عظيماً راكداً، فعزمَت على الدُّخولِ امتثالاً للأمرِ فشمَّرَتْ وكشَفَتْ.

قولُه: (مُمَلَّسٌ) أي: ما تظُنينَهُ ماءً.

قولُه: (فتَزَوَّجها) وقيل: زَوَّجها من ذي تُبَّعٍ ملكِ همدانَ.

قولُه: (بِأَنْ) قال القاضي: وقُرِئَ بضم النون على إتباعها الباء[١]. والحالُ أنه قراءةُ الحِرْميَّينِ والشَّاميِّ والكسائيِّ[٢].

قولُهُ: (مِنْ حِيْنِ إِرْسَالِهِ) يفهمُ من (إذا) الفجائيَّةِ، والواو[٣] لمجموعِ الفريقَينِ، والاختصامُ جاء مفسَّراً في سورةِ الأعرافِ[٤].

قولُه: (بالعَذَابِ..) أي: بطلبهِ قبلَ طلبِ الرَّحمةِ؛ يعني: كان اللَّائِقُ طلبَ الرَّحمةِ وتقديمَهُ للتَّخليصِ من العذابِ.

أو: بالعقوبةِ قبل التَّوبةِ، فتؤخِّرونَها إلى نزولِ العقابِ، فإنَّهم كانوا يقولونَ: إن صدقَ إيعادهُ تُبْنا حينئذٍ

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٢).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٧٨).

(٣) أي في: ﴿يختصمون﴾.

(٤) انظر: سورة الأعراف: (٣٩).

حيثُ قلتم: إن كان ما أتيتَنا به حقًّا فائتِنا بالعذاب؟ ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿تَستَغفِرُونَ اللهَ﴾ من الشِّرك، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾ فلا تُعذَّبون.

٤٧ ـ ﴿قالُوا: اطَّيَّرنا﴾ ـ أصله: «تَطَيَّرنا»، أُدغمت التاء في الطاء، واجتُلبت همزة وصل ـ أي: تشاءمنا ﴿بِكَ وبِمَن مَعَكَ﴾ أي: المؤمنين، حيثُ قُحِطوا المطرَ وجاعوا. ﴿قالَ: طائرُكُم﴾: شُؤمكم ﴿عِندَ اللهِ﴾ أتاكم به. ﴿بَل أنتُم قَومٌ تُفتَنُونَ﴾: تختبَرون بالخير والشرّ.

٤٨ ـ ﴿وكانَ في المَدِينةِ﴾ مدينةِ ثمودَ ﴿تِسْعةُ رَهطٍ﴾ أي: رجالٍ، ﴿يُفسِدُونَ في الأرضِ﴾ بالمعاصي، منها قرضهم الدنانيرَ والدراهم، ﴿ولا يُصلِحُونَ﴾ بالطاعة. ٤٩ ـ ﴿قالُوا﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿تَقاسَمُوا﴾ أي: احلِفوا ﴿بِاللهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ﴾ ـ بالنونِ، والتاءِ وضمّ التاء الثانية ـ ﴿وأهلَهُ﴾ أي: مَن آمن به، أي: نقتلُهم ليلاً، ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ ـ بالنونِ، والتاءِ وضمّ اللام الثانية ـ ﴿لِوَلِيِّهِ﴾ أي: وليّ دمه: ﴿ما شَهِدْنا﴾: حضرنا ﴿مُهلَكَ أهلِهِ﴾، بضمِّ الميم وفتحِها،..........................

فائتِنا بالعذابِ، حيثُ قالوا: ﴿يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٧٧].

قولُه: (مِنَ الشِّركِ) قبل نزولِ العذابِ.

قولُه: (تَشَاءَمْنَا) من التَّفعُّلِ أو التَّفاعُلِ.

قولُه: (شُؤْمُكُم) الظَّاهرُ: ما يصيبكُم من الخيرِ والشَّرِّ ﴿عندَ اللهِ﴾ بأمرِهِ وقضائِهِ وقدرِهِ، وهو مكتوبٌ عليكُم، وسُمِّي طائراً لسُرعةِ نزولِهُ بالإنسانِ، فإنه لا شيءَ أسرعُ من قضاءٍ محتومٍ.

قولُه: (أيْ: رِجَالٍ) وهو أحسنُ من عبارةِ البيضاويِّ: أي: أنفسٍ[1]. فإنَّ النَّفسَ مؤنَّثٌ سماعيٌّ، وإنَّما وقعَ تمييزًا لـ﴿تِسْعَةُ﴾ باعتبارِ المعنى، وإلَّا فالقياسُ أن يقالَ: تسعةٌ من الرِّجالِ.

قولُهُ: (أيْ: احْلِفُوا) أمرٌ مقولٌ، وقيل: أو خبرٌ وقعَ بدلاً من: ﴿قَالُوا﴾، أو حالاً بإضمارِ (قد) عندَ البصريِّينَ، وبدونهِ عندَ الكوفيِّينَ، ولو قالَ الشَّيخُ: أقسَمُوا، لاحتَملَ القولَينِ، فلعلَّهُ اختارَ أنه الأمرُ، والأمرُ كذلك.

قولُه: (والتَّاءِ) صوابهُ: وبالتاء، حمزةُ والكسائيُّ فيه وفيما بعدهُ[2].

قولُه: (بِضَمِّ المِيمِ) أي: مع فتحِ اللَّامِ لغيرِ عاصمٍ (وفَتْحِهَا) أي: فتح الميم مع فتح اللام، لشعبةَ، ومع كسر اللام لحفصٍ[3].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٢).

(٢) أي: وفي (ثم لتقولن)، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٣).

(٣) انظر المصدر السابق.

أي: إهلاكَهم أو هلاكَهم. فلا ندري: مَن قتلهم؟ ﴿وإنّا لَصادِقُونَ﴾.

٥٠ ـ ٥١ ـ ﴿ومَكَرُوا﴾ في ذلك ﴿مَكرًا، ومَكَرْنا مَكرًا﴾ أي: جازيناهم بتعجيل عُقوبتهم، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ. فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ مَكرِهِم؟ إنّا دَمَّرْناهُم﴾: أهلكناهم ﴿وقَومَهُم أجمَعِينَ﴾ بصيحة جِبريل أو برمي الملائكة بحِجارة يرونها ولا يرونهم ـ ٥٢ ـ ﴿فتِلكَ بُيُوتُهُم خاوِيةً﴾: خالية، ونصبه على الحال والعاملُ فيها معنى الإشارة، ﴿بِما ظَلَمُوا﴾: بظُلمهم أي: كُفرهم..............

قولُه: (أيْ: إهْلاكَهُم وهَلاكَهُم) لفٌّ ونشرٌ؛ يعني: أنَّهُما مصدرانِ، ويحتملانِ الزَّمانَ والمكانَ أيضاً، إلا قراءةَ شعبةَ فإنه مصدرٌ لا غيرُ، والمعنى: ما شهدناهُ فضلاً أنا باشَرْنا إهلاكَهُم، وقولُه: ﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ أي: ونحلفُ إنَّا لصَادِقونَ؛ يعني: وهم كاذِبونَ، أو: والحالُ إنَّا لصادقونَ، فإنَّ الحضورَ غيرُ المباشرةِ عُرفاً، أو: لأنَّا ما شهدنا مهلكَهُم فقط، بل مَهلِكَهُ ومَهلِكَهُم.

قولُه: (فِي ذَٰلِكَ) بهذه المواضعَةِ.

قولُه: (أَهلَكْنَاهُم) قرأَ الكوفيُّونَ بالفتحِ على أنَّه خبرُ محذوفٍ، أو بدلٌ من اسمِ كانَ، والباقي بالكسرِ استئنافاً(١).

قولُه: (أو بِرَمْيِ المَلَائِكَةِ) الظَّاهرُ: أو لرَمي، وظاهرُ كلامِهِ أنَّ الخلافَ في عذابِهم وقَومِهم، وليسَ الأمرُ كذلكَ، ففي «المعالمِ»: قالَ ابنُ عبَّاسٍ: أرسلَ اللهُ الملائكةَ تلك اللَّيلةَ إلى دارِ صالِحٍ يحرُسونهُ، فأتى التِّسعةُ دارَ صالِحٍ شاهِرينَ سيوفَهُم، فرمَتهُمُ الملائكةُ بحجارَةٍ(٢)، وقال مقاتلٌ: نزَلوا في سَفحِ جَبلٍ ينتظرُ بعضُهُم بعضاً ليأتوا دارَ صالحٍ، فجثَمَ عليهم الجبلُ فأَهلكَهُم(٣).

والحاصلُ: أنَّ المفسِّرينَ اختَلفُوا في كيفيَّةِ هلاكِ التِّسعةِ، واتَّفقُوا على أنَّ هلاكَ قومِهم بالصَّيحةِ مع أنَّه لا مانِعَ من الجمعِ بين العذابَينِ للتِّسعةِ، بل الباعثُ موجودٌ وهو زيادةُ طُغيانِهم، وهذا هو الظَّاهِرُ، واللهُ أعلمُ بالسَّرائرِ.

قولُه: (خَالِيَةً) أو: ساقِطةً منهَدمةً.

قولُه: (بِظُلْمِهِم) والباءُ: سببيَّةٌ، و﴿مَا﴾ مصدريَّةٌ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٤).

(٢) لم أقف عليه مسنداً عن ابن عباس رضي الله عنهما، وجاء بنحوه من قول ابن إسحاق، رواه ابن أبي الدنيا في «العقوبات» (١٣٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٧٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٤٦٨).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥٠٩).

﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً﴾: لَعِبرةً ﴿لِقَومٍ يَعلَمُونَ﴾ قُدرتنا فيتّعظون ـ ٥٣ ـ ﴿وأنجَينا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصالح، وهم أربعة آلاف، ﴿وكانُوا يَتَّقُونَ﴾ الشِّرك.

٥٤ ـ ﴿ولُوطًا﴾: منصوب بـ«اذكرْ» مُقدّرًا قبله، ويُبدل منه: ﴿إذ قالَ لِقَومِهِ: أتأتُونَ الفاحِشَةَ﴾ أي: اللِّواطَ، ﴿وأنتُم تُبصِرُونَ﴾ أي: يُبصر بعضكم بعضًا انهماكًا في المعصية؟ ٥٥ ـ ﴿أإنَّكُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين ـ ﴿لَتأتُونَ الرِّجالَ شَهْوةً مِن دُونِ النِّساءِ؟ بَل أنتُم قَومٌ تَجهَلُونَ﴾ عاقبةَ فِعلكم.

٥٦ ـ ﴿فَما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلاّ أن قالُوا: أخرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾: أهلَه ﴿مِن قَرْيتِكُم. إنَّهُم أُناسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أدبار الرجال. ٥٧ ـ ﴿فأنجَيناهُ وأهلَهُ إلاّ امرأتَهُ، قَدَّرْناها﴾: جعلناها بتقديرنا ﴿مِنَ الغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب، ٥٨ ـ ﴿وأمطَرْنا علَيهِم مَطَرًا﴾، هو حجارة السِّجّيل أهلكتْهم، ﴿فساءَ﴾: بئس ﴿مَطَرُ المُنذَرِينَ﴾ بالعذاب مطرُهم!

٥٩ ـ ﴿قُلِ﴾ يا مُحمّد: ﴿الحَمدُ لِلّهِ﴾ على هلاك كُفّار الأُمم الخالية، ﴿وسَلامٌ علَى عِبادِهِ الَّذِينَ اصطَفَا﴾ هُم..

قولُه: (بصَالِحٍ) فهو بطريقِ الأولى، وقالَ القاضِي: صالحاً ومَن معه[1].

قولُه: (الشِّرْكَ) والمعاصيَ.

قولُه: (ويُبْدَلُ) بدلَ اشتمالٍ.

قولُه: (يُبصِرُ) أو: يعلمُونَ فُحشَها، من بَصَرِ القلبِ، واقترافُ القبائحِ من العالِمِ بقُبحِها أقبَحُ.

قولُه: (عَاقِبَةَ فِعْلِكُم) والتّاءُ في ﴿تَجْهَلُونَ﴾ لكونِ الموصُوفِ به وهو ﴿قَومٌ﴾ في معنَى المخاطبِ.

قولُه: (مِنْ أَدْبارِ الرِّجالِ) أي: يتنزَّهونَ عن أفعالِنا، أو: عن الأقذارِ، ويَعُدُّونَ فِعلَنا قذراً.

قولُه: (جَعَلْنَاهَا) وقالَ القاضِي: قدَّرنا كونَها[2]، فقدَّرَ المضافَ لأنه متعلَّقُ التَّقديرِ لا نفسُ الذَّاتِ، وقرأَ شعبةُ بتخفيفِ الدَّالِ[3].

قولُه: (يَا مُحَمَّدُ) وقيلَ: الخطابُ للوطٍ بتقديرِ: قُلنا له.

قولُه: (﴿اصطفَا﴾هُم) بالرِّسالةِ وبالعِصمةِ من الفواحشِ والنَّجاةِ من الهلاكِ.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٣).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٤).

﴿آللهُ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركِه ـ ﴿خيرٌ﴾ لمن يعبده ﴿أم ما يُشرِكُونَ﴾، بالياء والتاء، أي: أهلُ مكّة به الآلهةَ، خيرٌ لعابديها؟

٦٠ ـ ﴿أم مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وأنزَلَ لَكُم مِنَ السَّماءِ ماءً فأنبَتْنا﴾ ـ فيه التفاتٌ من الغَيبة إلى التكلّم ـ ﴿بِهِ حَدائقَ﴾: جمع حديقة، وهو البستان المُحوّط، ﴿ذاتَ بَهْجةٍ﴾: حُسنٍ، ﴿ما كانَ لَكُم أن تُنبِتُوا شَجَرَها﴾ لعدم قُدرتكم عليه؟ ﴿أإلـهٌ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين، ....

قولُه: (بتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ) لا تصحُّ هذه الوجوهُ عن أحدٍ من القُرَّاءِ في هذا المحلِّ، والصَّوابُ: بإبدالِ الثَّانيةِ ألفًا ممدوداً للسَّاكِنَينِ، وبتسهيلِها مَقصوراً، وهذانِ الوجهانِ للكُلِّ، والأوَّلُ أولى[1].

قولُه: (لِمَنْ يَعبُدُهُ) إلزامٌ لهم بإرخاءِ العنانِ، أو تهكُّمٌ بهم، أو تَسفيهٌ لرأيِهم؛ إذ من المعلومِ أن لا خيرَ فيما أشرَكوهُ رأساً حتَّى يوازنَ بينهُ وبينَ من هو مبدَأُ كلِّ خيرٍ.

قولُه: (باليَاءِ) التَّحتيَّةِ بصريٌّ وعاصمٌ[2].

قولُه: (أَيْ) تفسيريَّةٌ على الأولى، ونِدائيَّةٌ على الثَّانيةِ.

قولُه: (بِهِ) أي: باللهِ.

قولُه: (الآلِهَةَ) تفسيرٌ لـ﴿ما﴾ فتنصب، والظَّاهرُ تقديمُها على الجارِّ والمجرورِ.

قولُه: (جَمْعُ حَدِيقَةٍ) من الإحداقِ، وهو الإحاطَةُ.

قولُه: (حُسْنٍ) وإفراد ﴿ذَاتَ﴾ بتأويلِ الجماعةِ، كما تقولُ: النِّساءُ ذَهبَتْ.

قولُه: (بتَحْقِيقِ الهَمزَتَينِ) ابنُ ذكوانَ وكوفيٌّ[3].

قولُه: (وتَسهِيْلِ الثَّانيَةِ) الحِرميَّانِ والبَصريُّ.

قولُه: (وإِدْخَالِ أَلِفٍ) قالونُ وبصريٌّ وهشامٌ بخُلفٍ عنهُ، ولقد سَها البيضاويُّ حيثُ قال: وقُرِئَ بتوسيطِ مَدَّةٍ بينَ الهمزتَينِ وإخراجِ الثَّانيةِ بينَ بين[4]. لِمَا ذكَرنا فتأمَّل، فإنه موضِعُ زَلل، واللهُ هو العاصمُ، والمعصومُ هو الرَّسولُ.

---

(١) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ٥٢٤).

(٢) انظر: «تحبير التيسير في القراءات العشر» (ص: ٤٩٣).

(٣) انظر هذا وما سيأتي: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٣٢)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص:١٧٣).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٤).

في مواضعه السبعة ـ ﴿مَعَ اللهِ﴾ أعانه على ذلك؟ أي: ليس معه إلـهٌ. ﴿بَل هُم قَومٌ يَعدِلُونَ﴾: يُشركون بالله غيرَه.

٦١ ـ ﴿أم مَن جَعَلَ الأرضَ قَرارًا﴾ أي: لا تميد بأهلها، ﴿وجَعَلَ خِلالَها﴾ فيما بينها ﴿أنهارًا، وجَعَلَ لَها رَواسِيَ﴾: جِبالاً أثبتَ بها الأرض، ﴿وجَعَلَ بَينَ البَحرَينِ حاجِزًا﴾: بين العذب والمِلح، لا يختلط أحدهما بالآخر؟ ﴿أإلـهٌ مَعَ اللهِ؟ بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ﴾ توحيدَه.

٦٢ ـ ﴿أم مَن يُجِيبُ المُضطَرَّ﴾: المكروب الذي مسّه الضُّرُّ ﴿إذا دَعاهُ، ويَكشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره، ﴿ويَجعَلُكُم خُلَفاءَ الأرضِ﴾ ـ الإضافةُ بمعنى «في» ـ أي: يَخلُفُ كُلُّ قرن القرنَ الذي قبله؟ ﴿أإلـهٌ مَعَ اللهِ؟ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾: تتّعظون. بالفَوقانيّة والتحتانيّة،..........

قولُه: (مَواضِعِهِ السَّبعَةِ) الصَّوابُ: الخمسةِ؛ لأنَّ ضميرَ «مواضعِهِ» راجعٌ إلى قولِه: ﴿أإلَهٌ﴾، وإن أرادَ انضمامَ ﴿أئِذَا كُنَّا تُراباً أئِنَّا﴾ [الرعد: ٥] مع ما بعدَهُ، فحكمُهُ غيرُ ما ذكرنا، وقد تقدَّمَ في الرَّعدِ[1].

قولُه: (أَعَانَهُ) أو: شاركَهُ.

قولُه: (يُشرِكُونَ) حاصلُ المعنى والتَّفسيرِ: يُسَوُّونَ به غيرَهُ، أو: يَعدِلونَ عن الحقِّ الذي هو التَّوحيدُ.

قولُه: (لا تَمِيْدُ) لا تتحرَّكُ، ومنه: المائدةُ.

قولُه: (أَثْبَتَ) وكوَّنَ فيها المعادِنَ، وأنبعَ من حَضِيضهَا المنابعَ، وغيرَ ذلكَ مِن المنافِعِ.

قولُه: (والمِلْحِ) بَرزَخاً ومانِعاً حسيًّا أو معنويًّا.

قولُه: (المَكْرُوبَ) قالَ القاضي: اللَّامُ للجِنسِ لا للاستِغراقِ، فلا يلزَمُ منه إجابةُ كُلِّ مُضطَرٍّ[2].

وأقولُ: الظَّاهرُ أنه يُجيبُ كلَّ مضطَرٍّ إذا دعاهُ بصدقِ التجاءٍ ونسيانِ ما سِواهُ.

قولُه: (وعَن غَيْرِهِ) ولذا قالَ القاضِي: ويدفَعُ عن الإنسانِ ما يسوءهُ[3]. لكنَّ الأولى: «يَرْفَعُ» بدلَ: «يَدْفَعُ».

قولُه: (تَتَّعِظُونَ) أو: تَذكُرونَ آلاءَهُ تَذَكُّراً قليلاً.

قولُه: (والتَّحتانيَّةِ) بصريٌّ وشاميٌّ[4].

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَاباً أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٥).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٥٧).

وفيه إدغام التاء في الذال، وما: زائدة لتقليل القليل.

٦٣ ـ ﴿أم مَن يَهدِيكُم﴾: يُرشدُكم إلى مقاصدكم ﴿في ظُلُماتِ البَرِّ والبَحرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهارًا، ﴿ومَن يُرسِلُ الرِّياحَ نُشُرًا بَينَ يَدَي رَحمتِهِ﴾ أي: قُدّامَ المطر؟ ﴿أإلـٰهٌ مَعَ اللهِ؟ تَعالَى اللهُ عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به غيرَه!

٦٤ ـ ﴿أم مَن يَبدأُ الخَلقَ﴾ في الأرحام من نُطفة، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها؟ ﴿ومَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ﴾ بالمطر ﴿والأرضِ﴾ بالنبات؟ ﴿أإلـٰهٌ مَعَ اللهِ﴾؟ أي: لا يفعل شيئًا ممّا ذُكر إلاّ الله، ولا إلـٰهَ معه. ﴿قُلْ﴾ يا مُحمّد: ﴿هاتُوا بُرهانَكُم﴾: حُجّتكم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ أن معي إلـٰهًا، فعل شيئًا ممّا ذُكر.

وسألوه عن وقت قيام الساعة، فنزل: ٦٥ ـ ﴿قُلْ: لا يَعلَمُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الغَيبَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إلاّ﴾: لكن ﴿اللهُ﴾ يعلمه،.............................

قولُه: (وفِيْهِ) أي: في ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ على القراءتَين.

قولُه: (إدْغَامُ التَّاءِ) خلافاً لحفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (لِتَقْلِيلِ القَلِيلِ) والمرادُ بالقِلَّةِ: العدمُ، أو الحقارَةُ المزيحةُ للفائدَةِ، إذ فائدةُ التَّذكُّرِ هي توحيدُ اللهِ تعالى بالعبادةِ، ولا ترتيبَ على تذكُّرِهم تلك الفائدةِ.

قولُه: (نَهاراً) والظُّلماتُ مشتبِهاتُ الطُّرُقِ.

قولُه: (وإنْ لَمْ تَعتَرِفُوا بالإِعَادَةِ) فهم محجوجونَ.

قولُه: (البَرَاهِيْنِ) أي: الأدلَّةِ الظَّاهرةِ.

قولُه: (أنَّ مَعِيَ) الصَّوابُ: معه.

قولُه: (لكِنَّ) قالَ القاضِي: الاستثناءُ مُنقَطِعٌ، ورفعُ المستثنى على اللُّغةِ التَّميميَّةِ على البدلِ؛ يعني: ﴿مَنْ﴾ للدَّلالةِ على أنه تعالى إن كان ممَّن في السَّمواتِ والأرضِ، ففيهما من يعلَمُ الغيبَ مبالغةً في نفيِهِ عنهُم[2].

فقولُه: «ففيهِمَا مَنْ يَعلَمُ الغيبَ»؛ أي: هو اللهُ، لكن معلومٌ أنه تعالى ليسَ فيهما، فلا يكونُ فيهما من يعلَمُ الغيبَ، فيكونُ الاستثناءُ منقَطِعاً، وحاصِلُ الكلامِ: جعلُهُ سبحانهُ وتعالى مِن جِنسٍ من فيهما ادِّعاءً؛ لتحصيلِ هذه الدَّلالةِ مبالغةً، كما في قولِ الشَّاعرِ:

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٢٢).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٥).

﴿وما يَشعُرُونَ﴾ أي: الكُفّارُ كغيرهم: ﴿أيّانَ﴾: وقتَ ﴿يُبعَثُونَ﴾.

٦٦ ـ ﴿بَلِ﴾ بمعنى: هل ﴿أدرَكَ﴾ ـ وزنُ «أكرَمَ». وفي قراءة أُخرى: «ادّارَكَ» بتشديد الدال، وأصله «تَدارَكَ» أُبدلت التاء دالاً وأُدغمت في الدال واجتُلبت همزة الوصل ـ أي: بلغَ ولحق، أو تتابع وتلاحق ﴿عِلمُهُم في الآخِرةِ﴾ أي: بها، حتّى سألوا عن وقت مجيئها؟ ليس الأمر كذلك،..........

وبَلــدَةٍ ليــسَ بهَــا أنِيــسُ إلَّا اليَعافِيــرُ وإلَّا العِيْــسُ[١]

فالاستثناءُ منقطعٌ تحقيقاً، متَّصلٌ تأويلاً.

قولُه: (أيْ: الكُفَّارُ) والظَّاهرُ أن الضَّميرَ لـ﴿مَنْ﴾ وقيل: للكفرةِ.

قولُه: (وَقْتَ) هو مُركَّبٌ من: (أي) و(آن) بمعنى: وقت؛ أي: مَتى.

قولُه: (﴿بَلْ﴾ بِمَعنَى: هَلْ) هذا غيرُ معروفٍ.

قولُه: (فِي قِرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ وبصريٍّ[٢].

قولُه: (بَلَغَ ولَحِقَ) أي: انتهى وتكامَلَ.

قولُه: (أَو تَتَابَعَ) «أو» للتَّنويعِ على اللَّفِّ والنَّشرِ؛ أي: تتابَعَ حتَّى استحكَمَ وانقطَعَ، وقولُ القاضي: وأبو بكرٍ (اِدَّرَك) على افتعلَ[٣]، روايةٌ شاذَّةٌ عنه[٤].

وقوله: حفصٌ، صوابهُ: عاصمٌ[٥].

قولُه: (لَيْسَ الأَمْرُ كَذَلِكَ) يعني: أنَّ (هل) للاستفهامِ الإنكاريِّ على ما قدَّمهُ، والصَّوابُ أنَّ ﴿بَل﴾ للانتقالِ، والهمزةُ مقدَّرةٌ، ويؤيِّدهُ أنه قُرِئَ:(أَأَدْرَكَ) بهمزتَينِ، و(آآدارَكَ) بألِفٍ بينهما[٦]، بل ادَّعى ابنُ مالِكٍ في «شرحِ كافيَتِهِ»: أنَّها لا تقعُ في التَّنزيلِ إلا للانتقالِ من غَرضٍ إلى آخرَ[٧].

---

(١) هكذا سياق البيت في كثير من المصنفات، وقائله: عامر بن الحارث، انظر: «ديوانه» (ص: ٥٢) وسياقه فيه:

الذئــب أو ذو لبــد هموس بسابســا ليــس بــه أنيــس

إلا اليعافيــر وإلا العيــس وبقـــر ملمـــع كنـــوس

(٢) قول المصنف هذا يوهم أن ﴿ادَّارك﴾ هي قراءة مكي وبصري، والصواب أن (أدرك) هي قراءتهما، وأما ﴿ادَّارك﴾ فهي قراءة الباقين، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٥)، «حجة القراءات» (ص: ٥٣٥).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٦).

(٤) هي من رواية الأعشى عنه، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٣٣٤).

(٥) انظر المصادر السابقة.

(٦) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٦٢، ٣٦٣).

(٧) انظر: «شرح الكافية الشافية» (٣/ ١٢٣٣).

﴿بَل هُم في شَكٍّ مِنها، بَل هُم مِنها عَمُونَ﴾: مِن عَمَى القلبِ، وهو أبلغ ممّا قبله. والأصل «عَمِيُونَ» استُثقلت الضمّة على الياء، فنُقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

٦٧ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضًا في إنكار البعث: ﴿أإذا كُنّا تُرابًا وآباؤُنا أإنّا لَمُخرَجُونَ﴾ من القبور؟ ٦٨ ـ ﴿لَقَد وُعِدْنا هذا نَحنُ وآباؤُنا مِن قَبلُ. إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ أساطِيرُ الأوَّلِينَ﴾: جمع أُسطورة بالضمّ، أي: ما سُطر من الكذب. ٦٩ ـ ﴿قُلْ: سِيرُوا في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُجرِمِينَ﴾ بإنكارهم، وهي هلاكهم بالعذاب؟ ٧٠ ـ ﴿ولا تَحزَنْ علَيهِم، ولا تَكُنْ في ضَيقٍ مِمّا يَمكُرُونَ﴾ ـ تسلية للنبيّ ـ أي: لا تهتمَّ بمكرهم عليك، فأنا ناصرُك عليهم.

٧١ ـ ﴿ويَقُولُونَ: مَتَى هذا الوَعدُ﴾ بالعذاب، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه؟ ٧٢ ـ ﴿قُلْ: عَسَى أن يَكُونَ رَدِفَ﴾: قَرُبَ ﴿لَكُم بَعضُ الَّذِي تَستَعجِلُونَ﴾..........................

قولُه: (أَبْلَغُ) لأنَّ الشَّكَّ: استواءُ العلمِ والجهلِ، بخلافِ العَمى.

قولُه: (فنُقِلَتْ) وحُذفَتِ الياءُ للالتِقاءِ هنا، وهذه الأحوالُ وإنِ اختصَّت بالمشرِكينَ ممَّن في السَّماواتِ والأرضِ نُسبَت إلى جميعِهِم كما يُنسَبُ[1] فعلُ البعضِ إلى الكلِّ.

قولُه: (مِنَ القُبُورِ) أو: من حالِ الفَناءِ، وقرأ نافعٌ والشَّاميُّ: (إنَّنا) بنونينِ، والباقونَ على أصولِهِم[2].

قولُه: (أَيْ: مَا سُطرَ مِنَ الكَذِبِ) كالأَسمارِ.

قولُه: (بِإِنْكَارِهِم) أي: البَعثَ.

قولُه: (وهِيَ) أي: العاقِبَةُ.

قولُه تعالى: (﴿وَلَا تَحزَنْ عَلَيهِمْ﴾) أي: على تكذيبِهِم وإعراضِهِم، أو (على) تعليليَّةٌ.

قولُه: (لا تَهْتَمَّ) وابنُ كَثيرٍ بكسرِ الضَّادِ[3]، وهما لغتانِ؛ بمعنَى: حَرَجِ صَدرٍ.

قولُه: (بالعَذَابِ) أو: العَذابُ الموعودِ.

قولُه: (قَرُبَ) بضمِّ الرَّاءِ لازمٌ، وبكَسرِها متعدٍّ، والظَّاهرُ أن مُرادَهُ الأوَّلُ، وأنَّ اللَّامَ غيرُ زائدةٍ، والفعلُ مضمَّنٌ معنى فِعْلٍ يُعدَّى باللَّامِ، مثلَ: دنا وقرُبَ.

وقيلَ: تَبِعَكُم ولَحِقَكُم، واللَّامُ مزيدةٌ للتَّأكيدِ.

---

(١) في (م): «يسند».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٥).

(٣) انظر المصدر السابق.

فحصل لهم القتل ببدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

٧٣ ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضلٍ علَى النّاسِ﴾، ومنه تأخير العذاب عن الكُفّار، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَشكُرُونَ﴾ ـ فالكُفّار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعَه ـ ٧٤ ـ ﴿وإنَّ رَبَّكَ لَيَعلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُم﴾: تُخفيه ﴿وما يُعلِنُونَ﴾ بألسنتهم، ٧٥ ـ ﴿وما مِن غائبَةٍ في السَّماءِ والأرضِ﴾ ـ الهاء: للمُبالغة ـ أي: شيءٍ في غاية الخفاء على الناس، ﴿إلاّ في كِتابٍ مُبِينٍ﴾: بَيِّنٍ، هو اللوحُ المحفوظُ ومكنونُ عِلمه ـ تعالى ـ ومنه تعذيب الكُفّار.

٧٦ ـ ﴿إنَّ هذا القُرآنَ يَقُصُّ علَى بَنِي إسرائيلَ﴾ الموجودين في زمان نبيّنا ﴿أكثَرَ الَّذِي هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ أي: ببيانِ ما ذُكر..

قولُه: (فحَصَلَ) عَسَى ولعلَّ وسَوفَ في مواعيدِ الملوكِ كالجَزْمِ، وإنَّما يُطلِقونَها إظهاراً لوقارِهِم، وإشعاراً بأنَّ التَّلويحَ منهم كالتَّصريحِ من غَيرِهِم، وعليه جَرَى وعدُ اللهِ ووعيدُهُ.

قولُه: (ومِنْهُ) أي: من فَضلِهِ وإنعامِهِ.

قولُه: (عَنِ الكُفَّارِ) والفُجَّارِ.

قولُه: (بتَأْخِيرِ) الظَّاهرُ: تأخيرُ[1]، وأمَّا الفُجَّارُ فلا يشكرونَ؛ لطولِ الأمَلِ وتسويفِ الأجلِ، والاعتمادِ على كَرَمِ الأزلِ، وقِلَّةِ العِلمِ المقتَضِي للعملِ، قال سَهلٌ: مَنْعُهُ فَضْلٌ وعطاءٌ، ولكن لا يَعرِفُ مواضِعَ فَضلِهِ في المنْعِ إلَّا خواصُّ الأولياءِ[2].

وقالَ بعضُهُم[3]: إنَّ من العِصمَةِ أن لا تقدر.

ومِن حكَمِ ابنِ العطاءِ: ربَّما أعطاكَ فمنعَكَ، ورُبَّما منعَكَ فأعطاكَ[4].

قولُه: (للمُبَالَغَةِ) كما في الرَّاويةِ.

قولُه: (ومَكْنُونُ) الظَّاهرُ، أو الواوُ بمعنى: أو؛ يعني: العِلْمَ الأزَلِيَّ.

قولُه: (أيْ: بِبَيَانِ) متعلِّقٌ بـ﴿يَقُصُّ﴾ والباءُ بيانيَّةٌ، والمعنى: يُبَيِّنُ بالتَّصريحِ والتَّنصِيصِ.

---

(١) وهو هكذا في النسخ المعتمدة في المتن.

(٢) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١١٧).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٩٣٢) عن المعتمر.

(٤) انظر: «الحكم العطائية/ مع شرح ابن عباد» (ص: ٢٦٠).

على وجهين، الرافعِ للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا، ٧٧ ـ ﴿وإنَّهُ لَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿ورَحْمَةٌ لِلمُؤمِنِينَ﴾ من العذاب. ٧٨ ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ يَقضِي بَينَهُم﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكمِهِ﴾ أي: عدله، ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب ﴿العَلِيمُ﴾ بما يحكم به. فلا يُمكن أحدًا مُخالفتُه كما خالف الكُفّار في الدنيا أنبياءه.

٧٩ ـ ﴿فتَوَكَّلْ علَى اللهِ﴾: ثِقْ به. ﴿إنَّكَ علَى الحَقِّ المُبِينِ﴾ أي: الدِّين البيِّن. فالعاقبة لك بالنصر على الكُفّار. ثمّ ضربَ أمثالاً لهم بالموتى والصُّمّ والعُمي، فقال: ٨٠ ـ ٨١ ـ ﴿إنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتَى، ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية بينها وبين الياء ـ ﴿وَلَّوا مُدبِرِينَ، وما أنتَ بِهادِي العُمي عَن ضَلالتِهِم. إنْ﴾: ما ﴿تُسمِعُ﴾ سماعَ إفهام وقَبول ﴿إلاّ مَن يُؤمِنُ بِآياتِنا﴾:......

قولُه: (على وجهِهِ)[١] كالتَّشْبيهِ والتَّنزيهِ، وعُزَيرٍ والمسيحِ، وأحوالِ الجنَّةِ والنَّارِ.

قولُه: (الرَّافِعِ) صفةٌ للبيانِ.

قولُه: (مِنَ الضَّلالَةِ) وخُصَّ المؤمنونَ لأنَّهم المنتفِعونَ.

قولُه: (كغَيْرِهِم) أي: بني إسرائيلَ.

قولُه: (أيْ: عَدْلِهِ) إشارةٌ إلى جوابِ ما يقالُ: كيفَ ورَدَ ﴿يقضِي﴾ ولا يقالُ: زيدٌ يضرِبُ بضربِهِ؟ يعني: أنَّ الحُكمَ بمعنى المحكومِ وهو الحقُّ والعدلُ، والباءُ للملابسةِ.

وقيل: بحكمتِهِ، ويدلُّ عليه أنَّهُ قُرِئَ: (بحِكَمِهِ)[٢].

قولُه: (الغَالِبُ) فلا رادَّ لقضائِهِ.

قولُه: (فلا يُمْكِنُ) تفريعٌ على الغالبِ، ويمكنُ تعلُّقهُ بهما.

قولُه: (أَحداً) الظَّاهرُ: لأحَدٍ.

قولُه: (ثِقْ بِهِ) ولا تبالِ بغيرِهِ.

قولُه: (والعُمْي) لعدَمِ انتفاعِهم بما يُتْلى عليهم.

قولُه: (بتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ) للشَّاميِّ والكوفيِّ، وقرأ ابنُ كثيرٍ: (ولَا يَسْمَعُ الصُّمُّ)، وحمزةُ: (تَهْدِي العُمْيَ)[٣].

---

(١) في المتن: «على وجهين» وهذا الذي ذكره الشارح أولى.

(٢) هي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١١٢) ونسبت لجناح بن حبيش.

(٣) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ٥٢٩)، و(٤/ ١٤٤١).

القُرآنِ، ﴿فهُم مُسلِمُونَ﴾: مُخلصون بتوحيد الله.

٨٢ ـ ﴿وإذا وَقَعَ القَولُ علَيهِم﴾: حقَّ العذابُ أن يَنزل بهم في جُملة الكُفّار ﴿أخرَجْنا لَهُم دابّةً مِنَ الأرضِ، تُكَلِّمُهُم﴾ أي: تُكلّم الموجودين حين خُروجها بالعربيّة، تقول لهم من جُملة كلامها عنّا: ﴿إنَّ النّاسَ﴾ أي: كُفّارَ مكّة ـ وعلى قراءة فتح همزة «أنّ» تُقدّر الباء بعد «تكلّمهم» ـ ﴿كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ أي: لا يُؤمنون بالقُرآن المُشتمل على البعث والحِساب والعِقاب. وبخُروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ....

قولُه: (القُرآنِ) أي: مَن هو في عِلمِ اللهِ كذلك.

قولُه: (مُخلِصُونَ) مَن أسلمَ وجهَهُ للهِ.

قولُه: (حَقَّ العَذَابُ) أي: إذا دنَا وقوعُ مُقتَضى القَولِ، وهو ما وُعِدوا به مِن البَعثِ والعَذابِ.

قولُه: (بِهِم) أي: بكفَّارِ بني إسرائيلَ، أو بكفَّارِ مكَّةَ.

قولُه: (أيْ: تُكَلِّمُ) من الكَلامِ، وقيل: من الكَلْمِ؛ إذ قُرِئَ: (تَكْلِمُهُمْ)[١]، ورُوِيَ مرفوعاً: «أنَّهَا تخرجُ ومعهَا عصا موسى وخاتمُ سليمانَ، فتنكتُ بالعصا في مَسجَدِ المؤمنِ ـ وهو بفتحِ الجيمِ: جبهتُهُ ـ نكتَةً بيضاءَ فيبيَضُّ وجهُهُ، وبالخاتمِ في أنفِ الكافرِ نكتةً سوداءَ، فيسودُّ وجهُهُ»[٢]، وتفصيلُ أحوالِها مذكورةٌ في «المعالمِ»[٣] وغيرِهِ.

قولُه: (عنَّا) أي: ناقِلةً، وهذا مُصحِّحٌ لقولِها: ﴿بِآيَاتِنَا﴾؛ يعني: تقولُ لهم: قال الله سبحانَهُ: ﴿إِنَّ النَّاسَ...﴾ الآيةَ.

قولُه: (وَعَلَى قِرَاءَةٍ) أي: للكوفيِّ[٤].

قولُه: (تُقَدَّرُ البَاءُ) وقُرِئَ به[٥]، وقيل: بتقديرِ اللَّامِ، وقيل: لا تقديرَ، وهو علَّةٌ لـ﴿أَخْرَجْنَا﴾.

قولُه: (يَنقَطِعُ) ينبَغِي أن يُحملَ على ما قالَ ابنُ عمرَ: وذلك حينَ لا يُؤمَرُ بمعروفٍ، ولا يُنهى عن منكرٍ[٦].

---

(١) هي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١١٢) ونسبت لابن عباس ومجاهد وغيرهما.

(٢) روى نحوه الإمام أحمد في «المسند» (٧٩٣٧)، والترمذي (٣١٨٧) وحسنه، وابن ماجه (٤٠٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده علي بن زيد بن جُدْعان ضعيف، وأوس بن خالد مجهول، ولفظ الحديث: تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر، ويقول هذا: يا كافر، ويقول هذا: يا مؤمن».

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥١٣).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٧).

(٥) أي: (بأن الناس) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١١٢) ونسبت لابن مسعود.

(٦) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢١٧٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٥٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٩٦)، وابن =

ولا يبقى مُنيب ولا تائب، ولا يُؤمن كافر كما أوحى الله إلى نُوح: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾.

٨٣ـ ﴿وَ﴾ اذكرْ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾: جماعة ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾ ـ وهم رُؤساؤهم المتبوعون ـ ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يُجمعون بردّ آخرهم إلى أوّلهم ثمّ يُساقون. ٨٤ـ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا﴾ مكانَ الحِساب ﴿قَالَ﴾ تعالى لهم: ﴿أَكَذَّبْتُم﴾ أنبيائي ﴿بِآيَاتِي، وَلَمْ تُحِيطُوا﴾ من جِهة تكذيبكم ﴿بِهَا عِلْمًا؟ أَمْ مَا﴾ ـ فيه «ما» الاستفهاميّة ـ ﴿ذَا﴾: موصولٌ،..........................

(ولا يَبقَى مُنِيبٌ ولا تَائِبٌ) كذا في نسخةٍ، والفرقُ بينهما: أنَّ التَّوبةَ رجوعٌ عن المعصيةِ، والإنابةَ عنِ الغفلةِ.

قولُه: (ولا يُؤمِنُ كَافِرٌ) لا دلالةَ على ذلك، بل لفظةُ: (كان) تأباهُ، والمرويُّ عن السَّلفِ في معنى الآيةِ: أنَّ أهلَ مكَّةَ لم يُؤمِنوا بالقرآنِ والبَعثِ[1]، أو: لا يوقِنونَ قبلَ خُروجِها، نعم حاصِلُ ما وردَ في الأحاديثِ: أنَّه يُعرَفُ الكافرُ من المؤمنِ[2].

قولُه: (جَمَاعَةً) يعني: يومَ القيامةِ.

قولُه: (وهُم رُؤَسَاؤُهُم) لا وجهَ للتَّخصِيصِ، ففي «المعالمِ»: ليسَ ﴿مِنْ﴾ هاهنا للتَّبعيضِ؛ لأنَّ جميعَ المكذِّبينَ يُحشَرونَ[3].

فالصَّوابُ: أنَّ ﴿مَنْ﴾ الثَّانيةَ بيانيَّةٌ؛ أي: فوجاً مُكَذِّبينَ، والأولى تبعيضيَّةٌ؛ لأنَّ ﴿كُلِّ أُمَّةٍ﴾ شاملٌ للمصدِّقينَ والمكذِّبينَ.

قولُه: (بِرَدِّ آخِرِهِم) وهو عبارَةٌ عن كَثرةِ عَدَدِهم وتباعُدِ أطرافِهم.

قولُه: (أَنبِيائِي) هذا التَّقديرُ غيرُ مُحتاجٍ إليه؛ إذ المعنَى: كَذَّبتُم بالآياتِ المتلُوَّةِ والمعجزاتِ المظهَرةِ على يدِ الأنبياءِ، ويلزمُ من تكذيبِ الآياتِ تكذيبُ الأنبياءِ، والباءُ على هذا صلَةُ التَّكذيبِ، وعلى تقديرِه سَبَبيَّةٌ، فيحتاجُ ـ لصحَّةِ المعنى ـ إلى تكلُّفٍ بل تعسُّفٍ.

قولُه: (مِنْ جِهَةِ) الأظهرُ: أنَّ الواوَ للحالِ؛ أي: أكذَّبتُم بها باديَ الرَّأيِ؟

= أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٥٨٥)، والحاكم في «المستدرك» (٨٦٤٢).

(١) ذكره الواحدي في «البسيط» (١٧/ ٣٠٣ ـ ٣٠٤) وفيه: قوله تعالى: ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قال مقاتل: تكلمهم بالعربية فتقول: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ يعني: أهل مكة ﴿كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ قال ابن عباس: بالبعث والثواب والعقاب ﴿لَا يُوقِنُونَ﴾ وقيل: تُخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن.

(٢) أي: بوسم الدابة لهم، كما تقدم في الحديث قريباً.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥١٧).

أي: ما الذي ﴿كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ ممّا أُمرتم به؟ ٨٥ ـ ﴿ووَقَعَ القَولُ﴾: حقَّ العذابُ ﴿علَيهِم بِما ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا، ﴿فهُم لا يَنطِقُونَ﴾ إذ لا حُجّة لهم.

٨٦ ـ ﴿أَلَم يَرَوا أَنّا جَعَلنا﴾: خلقنا ﴿اللَّيلَ لِيَسكُنُوا فِيهِ﴾ كغيرهم، ﴿والنَّهارَ مُبصِرًا﴾ بمعنى: يُبصَرُ فيه ليتصرّفوا فيه؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾: خُصّوا بالذكر لانتفاعهم بها في الإيمان بخِلاف الكافرين.

٨٧ ـ ﴿ويَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ﴾: القرنِ النفخةَ الأُولى من إسرافيل، ﴿ففَزِعَ مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ﴾ أي: خافوا الخوف المُفضيَ إلى الموت كما في آية أُخرى: «فصَعِقَ» ـ والتعبير فيه بالماضي لتحقّق وقوعه ـ ﴿إلاّ مَن شاءَ اللهُ﴾ أي: جِبريلَ ومِيكائيلَ وإسرافيلَ وملَكَ الموت، وعن ابن عبّاس: هم الشُّهداء إذ هم «أحياءٌ عِندَ رَبِّهِم يُرزَقُونَ»، ﴿وكُلٌّ﴾ ـ تنوينه عوض عن المُضاف إليه ـ أي: كلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَتَوهُ﴾، ....

وقيل: للعطفِ؛ أي: جمعتُم بين التّكذيبِ بها وعدَمِ إلقاءِ الأذهانِ لتحقُّقِها؟

قولُه: (مِمَّا أُمِرْتُم بِهِ) وهو للتَّبكِيتِ؛ إذ لم يفعَلوا غيرَ التّكذيبِ، فلا يقدرونَ أن يقولوا: فَعَلنا غيرَ ذلك.

قولُه: (حَقَّ) أي: ثبَتَ ووجَبَ، أو: حَلَّ بهم.

قولُه: (العَذَابُ) أي: الموعودُ، ولذا عبَّرَ عنه بالقولِ، وهو كَبُّهُم في النَّارِ بعدَ ذلك.

قولُه: (أَشْرَكُوا) الظَّاهرُ: كذَّبوا؛ لأنَّ الكلامَ فيه مع كونِهِ أعَمَّ.

قولُه: (إذْ لا حُجَّةَ) أو: باعتذارٍ لشغلِهِم بالعَذابِ.

قولُه: (خَلَقْنَا) لتَعديتِهِ إلى مفعولٍ واحِدٍ.

قولُه: (كغَيْرِهِم) يعني: المكذِّبينَ، والظَّاهرُ: أنَّ هذا ابتداءُ كلامٍ، والضَّميرُ راجعٌ إلى النَّاسِ جميعاً.

قولُه: (أيْ: جِبْرِيْلَ...) إلخ، ثمَّ يقبِضُ الله أرواحَهُم.

قولُه: (إذْ هُم ﴿أَحْيَاءٌ﴾) لا يَصِلُ الفزَعُ إليهِم.

قولُه: (بَعْدَ إِحيَائِهِم) بالنَّفخةِ الثَّانيةِ، وفي الحديثِ: «ما بينَ النَّفخَتَينِ أَربعُونَ سنةً»[1].

---

(١) رواه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وليس فيه التقييد بـ«سنة».

قال البيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص: ١٢٩): وأهل التَّفسيرِ يقولون: هي أربعون سنةً.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٥٥٢): وزعم بعض الشراح أنه وقع عند مسلم: «أربعين سنة» ولا وجود لذلك، نعم أحرج =

بصيغة الفعل واسم الفاعل، ﴿داخِرِينَ﴾: صاغرين. والتعبير في الإتيان بالماضي لتحقّق وقوعه.

٨٨ـ ﴿وتَرَى الجِبالَ﴾: تُبصرها وقت النفخة، ﴿تَحسِبُها﴾: تظنّها ﴿جامِدةً﴾: واقفة مكانها لعِظمها، ﴿وهْيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ﴾: المطرِ إذا ضربتْه الريح، أي: تسيرُ سيرَه حتّى تقع على الأرض، فتستوي بها مبسوسة، ثمّ تصير كالعِهن، ثمّ تصير هباء منثورًا، ﴿صُنْعَ اللهِ﴾ ـ مصدرٌ مُؤكِّد لمضمون الجملة قبله أُضيف إلى فاعله بعد حذف عامله ـ أي: صَنَعَ اللهُ ذلك صُنعًا، ﴿الَّذِي أتقَنَ﴾: أحكمَ ﴿كُلَّ شَيءٍ﴾ صنعَه. ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِما يَفعَلُونَ﴾، بالياء والتاء، أي: أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

قولُه: (بصِيغَةِ الفِعْلِ) حمزةُ وحفصٌ[١].

قولُه: (بالمَاضِي) أي: على قِراءَتِهِ.

قولُه: (واقِفَةً) أي: ثابتةً في مَكانِها.

قولُه: (المَطَرِ) هذا تفسيرٌ غَريبٌ لا يُوافِقُ اللُّغةَ ولا المنقولَ، ولا المعقولَ الَّذي هو التَّشْبِيهُ، ووجهُهُ قالَ القاضِي: أي: تَمرُّ مَرَّ السَّحابِ في السُّرعةِ، وذلك لأنَّ الأجرامَ الكِبارَ إذا تحرَّكَتْ في سَمتٍ واحِدٍ لا تَكادُ تتبَيَّنُ حَرَكتُها[٢].

قولُه: (سَيْرَهُ) في «المعالمِ»: تسيرُ سيرَ السَّحابِ حتَّى تقعَ... إلى آخرِهِ، ثمَّ قالَ: وذلكَ أنَّ كلَّ شيءٍ عظيمٍ وجمعٍ كثيرٍ يَقصرُ عنه البصَرُ لكثرتهِ وبُعدِ أطرافِهِ، فهو في حُسبانِ النَّاظرِ واقِفٌ، وهو سائرٌ، كذلك سَيرُ الجبالِ لا يُرَى يومَ القيامةِ لعَظَمَتِها، كما أنَّ سيرَ السَّحابِ لا يُرى لعظمتِهِ وهو سائرٌ[٣]، انتهى. وهو توضيحٌ لكلامِ القاضِي وتصريحٌ للمقصُودِ[٤].

قولُه: (صَنَعَهُ) فيه صُنْعَه؛ إذ يحتَمِلُ المضيَّ والمصدَرَ، وعلى الأوَّلِ صفةُ: ﴿شَيءٍ﴾، وعلى الثَّاني: مضافٌ مُقدَّرٌ.

قولُه: (بالياءِ) الغيبةُ مكِّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ[٥].

= ابن مردويه من طريق سعيد بن الصلت عن الأعمش في هذا الإسناد: «أربعون سنة» وهو شاذٌّ، ومن وجه ضعيف عن ابن عباس قال: (ما بين النفخة والنفخة أربعون سنة).

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٧).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٩).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥١٩).

(٤) في (ص): «المقصوده».

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٧).

٨٩ ـ ٩٠ ـ ﴿مَن جاءَ بِالحَسَنةِ﴾ أي: «لا إلـهَ إلاّ اللهُ» يوم القيامة ﴿فلَهُ خَيرٌ﴾: ثوابٌ ﴿مِنها﴾ أي بسببها ـ وليس للتفضيل إذ لا فعل خيرٌ منها. وفي آية أُخرى «عَشرُ أمثالِها» ـ ﴿وهُم﴾ أي: الجاؤون بها ﴿مِن فَزَعِ يَومِئذٍ﴾، بالإضافة وكسرِ الميم وفتحِها، و«فَزَعٍ» منوّنًا وفتحِ الميم، ﴿آمِنُونَ، ومَن جاءَ بِالسَّيِّئةِ﴾ أي: الشِّرك ﴿فكُبَّتْ وُجُوهُهُم في النّارِ﴾ بأن وَلِيَتْها ـ وذُكرَتِ الوجوهُ لأنها موضع الشرف من الحواسّ، فغيرها من باب أَولى ـ ويقال لهم تبكيتًا: ﴿هَل﴾ أي: ما ﴿تُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ من الشِّرك والمعاصي؟

٩١ ـ قل لهم: ﴿إنَّما أُمِرتُ أن أعبُدَ رَبَّ هذِهِ البَلدةِ﴾ أي: مكّةَ، ﴿الَّذِي حَرَّمَها﴾ أي: جعلها حَرَمًا آمنًا، لا يُسفك فيها دم إنسان ولا يُظلم فيها أحد، ....

قولُه: (أيْ: لا إلَهَ إلَّا اللهُ) عليه جمهورُ السَّلفِ[1]، وقيل: كلُّ طاعَةٍ؛ إذ ثبتَ له الشَّريفُ بالخسيسِ، والباقي بالفاني، وسبعُ مئةٍ بواحِدٍ، وهو مختارُ القاضي[2].

قولُه: (وَفِي آيَةٍ أُخْرَى) لكنَّ المرادَ بها مُطلَقُ الطَّاعةِ بلا خِلافٍ.

قولُه: (بالإِضَافَةِ) الحرميَّانِ والبصريُّ والشَّاميُّ[3].

قولُه: (وفَتحِهَا) يعني: بفتحِ الميمِ مع الإضافةِ: نافعٌ.

قولُه: (و(فَزَعٍ)... إلخ) كوفيٌّ، والمرادُ بالفزعِ هنا: خَوفُ عذابِ يومِ القيامةِ.

قولُه: (أيْ: الشِّركِ) كذا في «المعالمِ»[4] وعبَّرَ القاضي عنه بـ(قيلَ)[5].

قولُه: (بأنْ وَلِيَتْهَا) أي: قَرِبَتِ النَّارُ الوجوهَ، أو بالعكسِ، والظَّاهِرُ: أُلقوا على وجوهِهِم، فالإسنادُ مجازيٌّ، أو يرادُ بالوجوهِ أنفسُهُم.

قولُه: (أيْ: مَكَّةَ) وتخصِيصُها بهذه الإضَافةِ تشريفٌ لها وتعظيمٌ لشأنِها، ويشيرُ إليه قولُه: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيءٍ﴾.

قولُه: (أي: جَعَلَهَا حَرَماً) وقُرِئَ: (الَّتِي حَرَّمَهَا)[6].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٠٧)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٩/ ٢٩٣٤).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٩).

(٣) انظر هذا وما بعده: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٧).

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥٢٠).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٦٩).

(٦) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١١٢) ونسبت لابن مسعود.

ولا يُصاد صيدها ولا يُختلى خلاها ـ وذلك من النِّعم على قُريش أهلِها في رفع الله عن بلدهم العذابَ والفتنَ الشائعة في جميع بلاد العرب ـ ﴿وَلَهُ﴾ تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ﴾، فهو ربّه وخالقه ومالكه، ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ للهِ بتوحيده، ٩٢ ـ ﴿وأن أتلُوَ القُرآنَ﴾ عليكم تِلاوة الدعوة إلى الإيمان. ﴿فَمَنِ اهتَدَى﴾ له ﴿فإنَّما يَهتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: لأجلها لأنّ ثواب اهتدائه له، ﴿وَمَن ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فقُلْ﴾ له: ﴿إنَّما أنا مِنَ المُنذِرِينَ﴾: المُخوِّفين، فليس عليَّ إلاّ التبليغ. وهذا قبل الأمر بالقتال.

٩٣ ـ ﴿وقُلِ: الحَمدُ لِلهِ. سَيُرِيكُم آياتِهِ فتَعرِفُونَها﴾. فأراهم الله يوم بدر القتلَ والسبيَ، وضرْبَ الملائكةِ وُجوهَهم وأدبارَهم، وعجّلهم الله إلى النار. ﴿وما رَبُّكَ بِغافِلٍ عَمّا يَعمَلُونَ﴾، بالياء والتاء، وإنّما يُمهلهم لوقتهم.

قولُه: (ولا يُختَلَى) أي: لا يُقتطَعُ، والخلا ـ مقصورٌ ـ: النَّباتُ ما دامَ رَطْباً، فإذا يبسَ فهو حَشيشٌ[1].

قولُه: (في بِلَادِ العَرَبِ) أي: خُصوصاً.

قولُه: (للهِ) أي: المنقادينَ له، أو: الثَّابتينَ على ملَّةِ الإسلامِ.

قولُه: (عَلَيكُم) أو: أواظِبَ على تلاوتِهِ لكَشفِ الحقائقِ وزيادةِ المراتِبِ، أو: على اتباعِهِ.

قولُه: (لَهُ) الظَّاهرُ: به؛ أي: بالقُرآنِ.

قولُه: (وهَذَا) يعني: باعتِبارِ مفهومِ الحَصرِ.

قولُه: (القَتْلَ) فالمرادُ بـ﴿آيَاتِهِ﴾: القاهِرَةُ.

قولُه: (والتَّاءِ) الخطابُ لنافعٍ وشاميٍّ وحفصٍ[2]، فلا يحسُنُ تعبيرُ القاضي بـ«قُرِئَ»[3]، واللهُ أعلمُ.

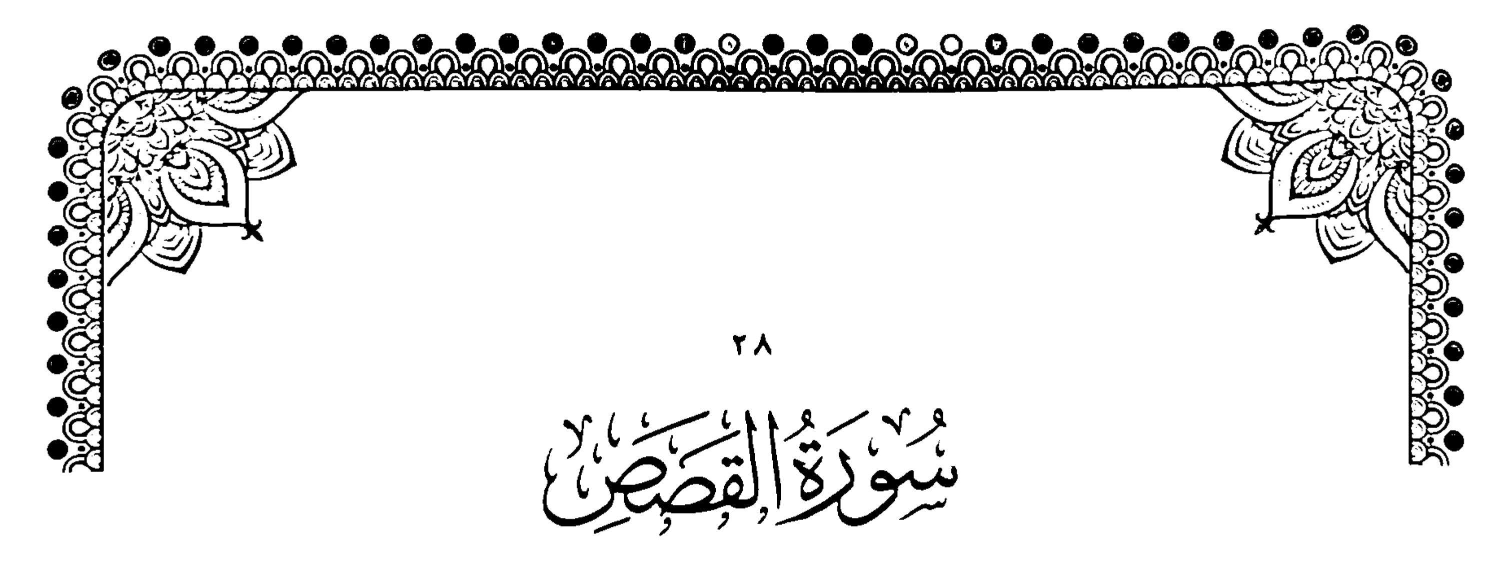
***

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٤/ ٢٤٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٨٨).

(٣) لم أقف على هذا التعبير فيه، انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧٠).



٢٨

سورة القصص

مكية إلاَّ «إنّ الذي فرض» الآيةَ، نزلت بالجُحْفة، وإلاّ «الذين آتيناهم الكتاب» إلى «لا نبتغي الجاهلين»، وهي سبعٌ أو ثمانٍ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿طسم﴾ اللهُ أعلم بمُراده بذلك.

٢ ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿آياتُ الكِتابِ﴾ ـ الإضافة بمعنى: مِن ـ ﴿المُبِينِ﴾: المُظهِرِ الحقَّ من الباطل، ٣ ـ ﴿نَتلُو﴾: نقصّ ﴿عليكَ مِن نَبَإِ﴾: خبرِ ﴿مُوسَى وفِرعَونَ بِالحَقِّ﴾: الصِّدقِ، ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾: لأجلهم لأنهم المُنتفعون به. ٤ ـ ﴿إنَّ فِرعَونَ عَلا﴾: تكبَّرَ ﴿في الأرضِ﴾ أرض مِصرَ، ﴿وجَعَلَ أهلَها شِيَعًا﴾: فِرقًا في خِدمته، ﴿يَستَضعِفُ طائفةً مِنهُم﴾ هم بنو إسرائيل،..........

سورة القصص

قولُه: (نَقُصُّ) أو ننزِلُ، أو نقرأُ بلسانِ جبريلَ.

قولُه: (خَبَرِ) أي: بعضهُ، مفعولُ: ﴿نَتلُو﴾.

قولُه: (بالصِّدْقِ) أو مُحقِّينَ.

قولُه: (فِرَقًا) يُشيِّعونَهُ فيما يريدُ، أو يُشيِّعُ بعضُهم بعضاً في طاعتِهِ، أو أصنافاً في استخدامِهِ، استعملَ صِنفاً في حَرثٍ، وصِنفاً في حَفرٍ، ومن لم يستعملهُ ضَرَبَ عليه الجزيَةَ.

قولُه: (وهُم) أي: الطَّائفةُ، والجملةُ: حالٌ من فاعلِ ﴿جَعَلَ﴾، أو صفةٌ لـ﴿شِيَعًا﴾، أو استئنافٌ. وقولُه تعالى: ﴿يُذَبِّحُ﴾ بدَلٌ على الوجوهِ.

﴿يُذَبِّحُ أبناءَهُم﴾ المولودين، ﴿ويَستَحيِي نِساءَهُم﴾: يستبقيهنّ أحياء، لقول بعض الكهنة له: إنّ مولودًا يُولد في بني إسرائيلَ يكون سببَ ذهاب مُلكك. ﴿إنَّهُ كانَ مِنَ المُفسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

٥ ـ ﴿ونُريدُ أن نَمُنَّ علَى الَّذِينَ استُضعِفُوا في الأرضِ، ونَجعَلَهُم أَئمَّةً﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: يُقتدى بهم في الخير، ﴿ونَجعَلَهُمُ الوارِثِينَ﴾ مُلكَ فِرعَونَ، ٦ ـ ﴿ونُمَكِّنَ لَهُم في الأرضِ﴾: أرض مصرَ والشام، ﴿ونُرِيَ فِرعَونَ وهامانَ وجُنُودَهُما﴾ ـ وفي قراءة: «ويَرَى» بفتح التحتانيّةِ والراءِ ورفع الأسماء الثلاثة ـ ﴿مِنهُم ما كانُوا يَحذَرُونَ﴾: يخافون من المولود الذي يَذهب مُلكهم على يده.

٧ ـ ﴿وأوحَينا﴾ وحيَ إلهامٍ أو مَنامٍ ﴿إلَى أُمِّ مُوسَى﴾ ـ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غيرُ أُخته ـ ﴿أنْ أرضِعِيهِ، فإذا خِفتِ علَيهِ فألقِيهِ في اليَمِّ﴾: البحر أي: النيل، ﴿ولا تَخافِي﴾ غرَقَه، ﴿ولا تَحزَنِي﴾ لِفراقه. ﴿إنّا رادُّوهُ إلَيكِ وجاعِلُوهُ مِنَ المُرسَلِينَ﴾. فأرضعته ثلاثة أشهر لا يَبكي، وخافت عليه فوضعته في تابوت مطليّ بالقار من داخلٍ مُمهّدٍ له فيه، وأغلقته وألقته في بحر النِّيل ليلاً...............

قولُه: (سَبَبَ ذَهَابِ) وذلك مِن غايةِ حُمقهِ، فإنَّه لو صَدَقَ لم يَندفِعْ بالقَتلِ، وإن كَذَبَ فلا وجهَ له.

قولُه: (بِتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ) لشاميٍّ وكوفيٍّ[1].

قولُه: (وإِبْدَالِ الثَّانيَةِ) هذا وجهٌ للحِرميَّينِ والبصريِّ، ووجهٌ آخرُ بتَسهيلِ الثَّانيةِ، ولا يُدخِلُ إلا هشامٌ بخُلفٍ عنه.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ[2].

قولُه: (مِنَ المَولُودِ) بيانٌ لـ﴿مَا﴾.

قولُه: (أَو مَنَامٍ) أو على لسانِ نَبيٍّ أو مَلَكٍ.

قولُه تعالى: (﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾) أي: ما أمكَنَكِ إخفاؤهُ. وقولُه: (﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيهِ﴾) بأن يُحَسَّ.

قولُه: (غَرَقَهُ) ولا ضَيعَةً، ولا شِدَّةً، فعَلينا حفظُهُ.

قولُه تعالى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ﴾ عن قريبٍ، بحيثُ تأمَنينَ عليه.

قولُه: (خَافَتْ عَلَيهِ) حيث ألحَّ فرعونُ في طَلَبِ المواليدِ، واجتهدَ العيونُ[3] في تفحُّصِها.

قولُه: (أَغْلَقَتْهُ) أي: سَدَّتهُ.

---

(١) انظر هذا وما بعده: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٢)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٥٨).

(٣) يقصد الجواسيس.

٨ ـ ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ بالتابوت صبيحةَ الليل ﴿آلُ﴾: أعوانُ ﴿فِرْعَوْنَ﴾، فوضعوه بين يديه، وفُتح وأُخرج موسى منه، وهو يَمَصُّ من إبهامه لبنًا، ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عاقبة الأمر ﴿عَدُوًّا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم. وفي قراءة بضمّ الحاء وسكون الزاي: لغتانِ في المصدر. وهو هنا بمعنى اسم الفاعل، من: حَزَنه كأحزنه. ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾: وزيرَه ﴿وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ ـ من الخطيئة ـ أي: عاصينَ فعُوقبوا على يده.

قولُه: (بالتَّابُوتِ) الباءُ للمُصاحبَةِ.

قولُه: (أَعْوانُ) قيل: امرأةُ فرعونَ، وقيلَ: ابنتُهُ.

قولُه: (في عَاقِبَةِ الأَمْرِ) يعني: هذه اللام[1] تعليلٌ، لكنَّهُ واردٌ على سبيلِ المجازِ في غَيرِ مَورِدِهِ الموضوعِ له[2]، وتُسمَّى لامَ العاقبةِ، كقولِهِ:

لِـــدُوا للمَــــوتِ وابنُوا للخَـــرابِ[3]

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[4].

قولُه: (وهُو) أي: المصدرُ بلُغتَيهِ.

قولُه: (مِنْ: حَزَنَهُ) أي: من حَزَنَهُ الَّذي [هو] متعدٍّ؛ كأحزَنَهُ، ويمكنُ من حَزِنَ اللازمِ، فيُقدَّرُ السَّببُ قبلَهُ، والمفهومُ من «القامُوسِ» أنَّهُما اسمانِ للْهَمِّ[5]، وبالضَّمِّ مصدَرُ المتعدِّي لا غيرُ[6].

قولُه: (وَزِيرَهُ) بالنَّصبِ، أو الرَّفعِ.

قولُه: (فعُوْقِبُوا على يَدَيْهِ) أي: يَدِ مَن ربَّوهُ على أيديهِم، أو: من الخَطَإ؛ أي: خاطِئينَ في كلِّ شيءٍ، فليسَ ببِدْعٍ منهم أن قَتلوا ألوفًا لأجلِه ثمَّ أخذوهُ يُربُّونَهُ ليكبُرَ ويفعلَ بهم ما كانوا يحذَرُونَ.

---

(١) في (م) و(ن): «الأمر».

(٢) فهم لم يطلبوا بأخذه أن يعاديهم، ولكن كان عاقبة الأمر أن صار لهم عدواً وحزناً.

(٣) هو شطر بيت لأبي العتاهية في «ديوانه» (ص: ٢٣) وعجزه:

فكلكـــم يصيـــر إلـــى يباب

وجاء في حديث رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وفيه أن ملكاً ينادي به.

وهو ضعيف كما في «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة» للقاري (ص: ٢٧٦).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٢).

(٥) في (م) و(ص): «للحزن».

(٦) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١٨٩).

٩ ـ ﴿وقالَتِ امرأةُ فِرعَونَ﴾، وقد همّ مع أعوانه بقتله: هو ﴿قُرَّةُ عَينٍ لِي ولَكَ. لا تَقتُلُوهُ، عَسَى أن يَنفَعَنا أو نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾. فأطاعوها، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه. ١٠ ـ ﴿وأصبَحَ فُؤادُ أُمِّ مُوسَى﴾ لمّا علمت بالتقاطه ﴿فارِغًا﴾ ممّا سواه، ﴿إنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف ـ أي: إنّها ﴿كادَتْ لَتُبدِي بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها، ﴿لَولا أن رَبَطْنا علَى قَلبِها﴾ بالصبر أي: سكّنّاه ﴿لِتكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾: المُصدّقين بوعد الله. وجوابُ «لولا» محذوف دلّ عليه ما قبلها.

١١ ـ ﴿وقالَت لِأُختِهِ﴾ مريمَ: ﴿قُصِّيهِ﴾: اتبعي أثره حتّى تعلمي خبره. ﴿فبَصُرَتْ بِهِ﴾: أبصرتْه ﴿عَن جُنُبٍ﴾: ....

قولُه: (مَعَ أَعوَانِهِ) فيكونُ الخِطابُ في ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ له ولهم، وقيلَ: له؛ للتَّعظيمِ.

قولُه: (هُوَ) قُدِّرَ ليكونَ مبتدأً، والجملةُ مقولاً.

قولُه: (فَأَطَاعُوهَا) اسمُها: آسيةُ بنتُ مَزاحِمٍ، وفي الحديثِ: «فأجابَهَا: أمَّا لكِ فنعَمْ، وأمَّا لِي فلا، فكانَ كذلكَ»، رواهُ النَّسائيُّ عن ابنِ عبَّاسٍ[1].

قولُه: (بعَاقِبَةِ أَمْرِهِم) أي: الملتَقِطينَ.

قولُه: (معَهُ) أي: موسى، فالجملةُ حالٌ من الملتَقِطِينَ؛ من كَلامِ اللهِ؛ أي: التقطوا، وقيلَ: كذلكَ[2] والحالُ أنّهم لا يشعُرونَ ما أرادَ اللهُ منهم بالتقاطِهم إيَّاهُ.

وقيلَ: من كلامِ امرأةِ فرعَونَ؛ أي: نتَّخذَهُ ولداً والنَّاسُ لا يشعرونَ أنَّه وَلَدُ غَيرِنا[3].

قولُه: (مِمَّا سِوَاهُ) أي: خالياً من هَمٍّ غَيرِ موسى، أو: صِفراً من العقلِ لِمَا غَشِيَها من الخوفِ والحَيرةِ.

أو: مِن الهمِّ؛ لفرَطِ وثوقِها بوعدِ اللهِ، أو لسماعِها أنَّ فرعونَ عطَفَ عليه وتَبنَّاهُ.

قولُه: (بِأَنَّهُ ابْنُهَا) أي: لَتُظهِرُ به مِن شدَّةِ الحزنِ أو الفرحِ.

قولُه: (بالصَّبْرِ) أو الثَّباتِ.

قولُه: (المُصَدِّقِينَ) أو الواثِقينَ بحفظِهِ لا بتَبَنِّي فرعونَ وعطفِه، وهو علَّةٌ للرَّبطِ.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٦٣)، وزاد: فقال رسول الله ﷺ: «والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها، ولكن الله حرمه ذلك».

(٢) أي: من كلام الله.

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٧٢)، وفي «البحر المحيط» (٨/ ٢٨٨): والظاهر أنه من كلام الله تعالى، وقيل: هو من كلام امرأة فرعون.

من مكان بعيد اختلاسًا، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ أنها أُخته وأنها ترقبه، ١٢ ـ ﴿وحَرَّمْنا علَيهِ المَراضِعَ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ ردّه إلى أُمّه، أي: منعناه من قَبول ثدي مُرضعةٍ غيرِ أُمّه، فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المُحضَرة، ﴿فقالَتْ﴾ أُختُه: ﴿هَل أدُلُّكُم علَى أهلِ بَيتٍ﴾، لمّا رأت حنوّهم عليه، ﴿يَكفُلُونَهُ لكُم﴾ بالإرضاع وغيره، ﴿وهُم لَهُ ناصِحُونَ﴾؟

وفسّرتْ ضمير «له» بالمَلِك جوابًا لهم، فأُجِيبَتْ فجاءت بأُمّه، فقَبِلَ ثديها، وأجابتهم عن قبوله بأنها طيّبة الريح طيّبة اللبن، فأُذِنَ لها بإرضاعه في بيتها، فرجعت به كما قال تعالى: ١٣ ـ ﴿فرَدَدْناهُ إلَى أُمِّهِ كَي تَقَرَّ عَينُها﴾ بلقائه، ﴿ولا تحزَنَ﴾ حينئذٍ، ﴿ولِتَعلَمَ أنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بردِّه إليها.................

قولُه: (مِنْ مَكَانٍ) والأخصَرُ: عن بُعدٍ.

قولُه: (اختِلَاساً) لا دلالةَ في الآيةِ عليه.

قولُه: (أي: قَبْلَ رَدِّهِ) أو قَبلَ تتبُّعِها أثرَهُ.

قولُه: (مَنَعْنَاهُ) أي: تحريماً قَدَريًّا.

قولُه: (مِنَ المَرَاضِعِ) جمعُ: مُرضِعٍ، أو مَرْضَعٍ وهو الرَّضاعُ ـ والجمعُ باعتبارِ المواد[1] ـ أو مَوضِعُه؛ يعني: الثَّديَ.

قولُه: (وغَيرِهِ) من الضَّمِّ والتَّربيَةِ.

قولُه: (جَوَاباً لَهُم) نُقِلَ عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّها لمَّا قالَتِ القولَ أخَذوها وقالوا: عرفْتِ هذا الولدَ فدُلِّينا، فقالَت: لا أعرِفُهُ، وإنَّما أردتُ أنَّهم للمَلِكِ ناصِحونَ لا للولَدِ حتَّى استدلَلتُم عليَّ أنِّي أعرفُهُ، فخلَّوها[2].

قولُه: (فَجَاءَتْ بأُمِّهِ) وموسى على يَدِ فرعونَ يَبكِي وهو يُعلِّلُه، فلمَّا وجَدَ ريحَها استأنَسَ وسَكَنَ.

قولُه: (وأَجَابَتْهُم) حينَ قالُوا: من أنتِ منهُ فقد أبَى كلَّ ثديٍ إلَّا ثَديكِ؟

قولُه: (طَيِّبَةُ اللَّبَنِ) لا أوتَى بصَبيٍّ إلَّا قَبِلَني.

قولُه: (فَرَجَعَتْ بِهِ) من يَومِها مع عطاءٍ جزيلٍ ووعدٍ جميلٍ.

قولُه: (حينئذٍ) أي: بفراقِهِ.

قولُه: (بِرَدِّهِ) أي: عِلْمَ مشاهدَةٍ، وإلَّا فهي كانت مُتيقِّنَةً به قبلَ ذلك.

---

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: باعتبار المرات؛ أي: تكرار مرات الرضاع.

(٢) قطعة من الحديث الذي رواه النسائي عن ابن عباس، وقد تقدم قريباً.

﴿حَقٌّ، ولكِنَّ أكثَرَهُم﴾ أي: الناسِ ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ بهذا الوعد ولا بأنّ هذه أُختُه وهذه أُمّه. فمكث عندها إلى أن فطمتْه، وأُجرِيَ عليها أُجرتُها، لكُلّ يوم دِينار، وأخذتْها لأنها مال حربيّ، فأتت به فِرعون فتربّى عِنده كما قال تعالى حكاية عنه، في سورة الشعراء: «أَلَم نُرَبِّكَ فِينا وَلِيدًا، ولَبِثتَ فِينا مِن عُمُرِكَ سِنِينَ»؟

١٤ ـ ﴿ولَمّا بَلَغَ أشُدَّهُ﴾ ـ وهو ثلاثون سنةً أو وثلاثٌ ـ ﴿واستَوَى﴾: بلغ أربعين سنة، ﴿آتيناهُ حُكمًا﴾: حِكمة ﴿وعِلمًا﴾:......................................

قولُه: (بِهَذَا الوَعْدِ) أو: أنَّ وعدَهُ حَقٌّ فيرتابُونَ فيه.

قولُه: (وَهُو) أي: الأشُدُّ؛ يعني: مَبْلَغَهُ الَّذي لا يزيدُ عليهِ نشؤه ولا ينقصُ، ويُسَمَّى ذلك: سِنَّ الوقُوفِ، وهو من ثلاثينَ إلى أربعينَ، فإنَّ العقلَ يكمُلُ حينئذٍ، ورُوِيَ أنه: «لم يُبعَثْ نَبيٌّ إلَّا على رأسِ الأربعينَ»[1]، قالَهُ القاضي[2].

وفي «المدارِكِ»: بَلَغَ موسى نهايةَ القُوَّةِ وتمامَ العقلِ، وهو جَمعُ شدَّةٍ ـ كنِعمَةٍ وأنعُم ـ عندَ سيبويه[3]، و﴿اسْتَوَى﴾ أي: اعتدلَ وتمَّ استحكامُهُ؛ وهو أربعونَ سنةً[4].

وقالَ القاضي: استوى قدُّهُ أو عقلُهُ[5].

وحاصلُ التَّفسيرينِ: أنَّهُ لمَّا بلغَ السِّنُّ إلى حَدِّ الاعتدال، ووصلَ العقلُ إلى مرتبَةِ الكمال، وأمَّا حاصلُ كلامِ الشَّيخِ وهو أنَّه لمَّا بَلَغَ الثَّلاثينَ وبَلَغَ الأربعينَ؛ فلا طائِلَ تحتَهُ.

قولُه: (حِكمَةً) وفي «المدارِكِ»: نُبُوَّةً[6]، وقالَ القاضي: نبوةً، أو عِلمَ الحكماءِ، وهو أوفقُ لنَظمِ القصَّةِ؛ لأنَّهُ استنبأَهُ بعدَ الهجرةِ في المراجعةِ[7].

قلتُ: فعَلى هذا يلزَمُ أن تكونَ نبوَّتُهُ بعدَ خمسينَ سنةً، فيُخالِفُ ظاهرَ الحديثِ المذكورِ[8]، ويناقِضُ

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٧): غريب. وقال ابن حجر في «الكاف الشاف» (ص: ١٢٦): لم أجده.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧٣).

(٣) وانظر: «المحكم والمحيط» لابن سيده (٧/ ٦٠٧).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٦٣٢).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧٣).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٦٣٢).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧٣).

(٨) أي: «لم يبعث نبي...»، ولا ضير في مخالفته فإنه لم يثبت كما يفيد كلام الزيلعي والحافظ.

فِقهًا في الدِّين قبل أن يُبعث نبيًّا ـ ﴿وكَذلِكَ﴾: كما جزَيناه ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ﴾ لأنفُسهم ـ ١٥ ـ ﴿ودَخَلَ﴾ مُوسَى ﴿المَدِينةَ﴾: مدينةَ فِرعون ـ وهي مَنْفُ ـ بعد أن غاب عنه مُدّة ﴿علَى حِينِ غَفلةٍ مِن أهلِها﴾: وقتَ القَيلولة، ﴿فوَجَدَ فِيها رَجُلَينِ يَقتَتِلانِ: هذا مِن شِيعتِهِ﴾ أي: إسرائيليّ، ﴿وهذا مِن عَدُوِّهِ﴾ أي: قِبطيٌّ يُسخِّر الإسرائيليَّ ليحمل حطبًا إلى مطبخ فِرعون، ﴿فاستغاثَهُ الَّذِي مِن شِيعتِهِ علَى الَّذِي مِن عَدُوِّهِ﴾، فقال له مُوسَى: خلِّ سبيلَه. فقيل: إنه قال لمُوسَى: لقد هممتُ أن أحملَه عليك. ﴿فوَكَزَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجُمع كفِّه، وكان شديد القوة والبطش، ﴿فقَضَى علَيهِ﴾ أي: قتله، ولم يكن قَصَدَ قتله، ودفنه في الرمل.

﴿قالَ: هذا﴾ أي: قتلُه ﴿مِن عَمَلِ الشَّيطانِ﴾ المُهيِّج غضبي. ﴿إنَّهُ عَدُوٌّ﴾ لابن آدمَ ﴿مُضِلٌّ﴾ له ﴿مُبِينٌ﴾: ....

كلامَهُم عندَ قولِهِ تعالى: ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٨] أنَّها ثلاثونَ، وما قالَهُ القاضي في الأوفقيَّةِ إنَّما هو حُجَّةٌ ظاهِريَّةٌ مَبنيَّةٌ على الدِّلالةِ الذِّكريَّة، وإلا فليسَ في الكلامِ فاءُ التَّعقيبيَّةِ ولا ثمَّ التَّراخيَّة، فقولُه: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ﴾ بينَ أحوالِ القصَّةِ جملةٌ اعتراضيَّةٌ، أو ما بعدَها ذكرُ سَبَبِ وصولِهِ إلى هذه المرتبَةِ العليَّة، والأظهرُ أن تُحمَلَ هذهِ الآيةُ على النُّبوَّةِ، وتُجعَلَ الرِّسالةُ بعدَ الهجرةِ، فترتفعُ المخالفةُ.

قولُه: (كَمَا جَزَيْنَاهُ) وأمَّهُ.

قولُه: (لِأَنْفُسِهِم) فإنَّه تعالى غنيٌّ عن إحسانِهم.

قولُه: (مَدِيْنَةَ فِرعَوْنَ) أو مِصرَ، آتياً من قَصرِ فرعونَ.

قولُه: (مَنْفُ)[1] ضبَطوه بفتحِ الميمِ، والمشهورُ ضمُّها، غيرُ منصَرفٍ لاجتماعِ العَلَميَّةِ والتَّأنيثِ والعُجمَةِ كـ(ماه) و(جَور)، كذا قالَهُ سعدي جلبي، وفي نسخةٍ: «مَنُوفُ» وهو بفتحِ الميمِ وضمِّ النُّونِ، قريةٌ بمِصرَ، والميمُ زائدةٌ، فاقتصرَ عليهِ «القاموسُ»[2] ولم يذكر مادَّةَ «م ن ف» أصلاً.

قولُه: (وَقْتَ القَيلُولَةِ) أو ما بينَ العِشاءَينِ.

قولُه: (أي: إسرَائِيْلِيٌّ) قيلَ: إنَّه السَّامِريُّ.

قولُه: (المُهَيِّجُ) لأنَّهُ لم يُؤمَر بقتلِ الكُفَّارِ، أو لأنَّه كانَ مأموناً فيهم، ولا يقدحُ ذلك في عِصمتِهِ لكونِهِ خطأً، وإنَّما عدَّهُ من عَملِ الشَّيطانِ، وسمَّاهُ ظلماً، واستغفرَ عنه= على عادَتِهم في استعظامِ محقَّراتٍ فَرَطَت منهم.

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (٥/ ٢١٣).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٥٨).

بيّنُ الإضلال. ١٦ ـ ﴿قالَ﴾ نادمًا: ﴿رَبِّ، إنِّي ظَلَمتُ نَفسِي﴾ بقتله. ﴿فاغفِرْ لِي. فغَفَرَ لَهُ. إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ أي: المُتّصف بهما أزلاً وأبدًا. ١٧ ـ ﴿قالَ: رَبِّ ـ بِما أنعَمتَ﴾: بحقّ إنعامك ﴿عليَّ﴾ بالمغفرة اعصِمْني ـ ﴿فلَن أكُونَ ظَهِيرًا﴾: عونًا ﴿لِلمُجرِمِينَ﴾: الكافرين بعد هذا، إن عصمتني.

١٨ ـ ﴿فأصبَحَ في المَدِينةِ خائفًا، يَترَقَّبُ﴾: ينتظر ما يناله من جِهة القتيل، ﴿فإذا الَّذِي استَنصَرَهُ بِالأمسِ يَستَصرِخُهُ﴾: يستغيث به على قِبطيّ آخر. ﴿قالَ لَهُ مُوسَى: إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الغَواية لِما فعلتَه أمسِ واليومَ.

١٩ ـ ﴿فلَمّا أنْ﴾: زائدةٌ ﴿أرادَ أنْ يَبطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُما﴾: لمُوسَى والمُستغيثِ به، ﴿قالَ﴾ المستغيثُ، ظانًّا أنه يبطش به لِما قال له «إنك لغويّ مبين»: ﴿يا مُوسَى، أتُرِيدُ أن تَقتُلَنِي كَما قَتَلتَ نَفسًا بِالأمسِ؟ إنْ﴾: ما ﴿تُرِيدُ إلاّ أن تَكُونَ جَبّارًا في الأرضِ، وما تُرِيدُ أن تَكُونَ مِنَ المُصلِحِينَ﴾. فسمع القِبطيُّ ذلك فعلم أنّ القاتل مُوسَى، فانطلق إلى فِرعون فأخبره بذلك، فأمر فِرعون الذبّاحين بقتل موسى، فأخذوا في الطريق إليه.

قولُه: (بيّنُ الإضْلالِ) والعَداوةِ.

قولُه: (بِحَقِّ إنْعَامِكَ) قسَمٌ محذوفُ الجوابِ، والتَّقديرُ: لأتوبَنَّ، وقيل: استعطافٌ، واختارَهُ الشَّيخُ، والفرقُ بينهُما: أنَّ جوابَ الأوّلِ بالخبرِ، وجوابَ الثَّاني بالطَّلبِ[1].

قولُه: (بالمَغْفِرَةِ) وغَيرِها.

قولُه: (عَوْناً) الظَّاهِرُ: مُعيناً.

قولُه: (بَعْدَ هَذِهِ) أي: المرَّةِ.

قولُه: (إنْ عَصَمْتَنِي) أي: إن عَصَمْتَني ﴿فلنْ أكونَ﴾.

قولُه: (يَستَغِيثُ بِهِ) الأولى: يستغيثُهُ؛ بمعنى: يستعينُهُ، وقُرِئَ: (فاستعانه)[2].

قولُه: (لِمَا فَعَلْتَهُ) مِن التَّسبُّبِ.

قولُه: (زَائِدَةٌ) للتَّأكيدِ.

قولُه: (لما قالَهُ) أي: لقولِهِ: ﴿إنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ [١٨].

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ١٧٤).

(٢) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٦٦) ونسبت للأخفش وسيبويه.

٢٠ ـ ﴿وجاءَ رَجُلٌ﴾ هو مؤمن آل فِرعونَ ﴿مِن أقصَى المَدِينةِ﴾: آخِرها، ﴿يَسعَى﴾: يُسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم، ﴿قالَ: يا مُوسَى، إنَّ المَلَأَ﴾ من قوم فرعون ﴿يأتَمِرُونَ بِكَ﴾: يتشاورون فيك ﴿لِيَقتُلُوكَ. فاخرُجْ﴾ من المدينة. ﴿إنِّي لَكَ مِنَ النّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخُروج.

٢١ ـ ﴿فخَرَجَ مِنها خائفًا، يَتَرَقَّبُ﴾ لُحوقَ طالبٍ أو غوثَ اللهِ إيّاه، ﴿قالَ: رَبِّ، نَجِّني مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾ قوم فِرعون.

٢٢ ـ ﴿ولَمّا تَوَجَّهَ﴾: قصَدَ بوجهه ﴿تِلقاءَ مَدْيَنَ﴾: جِهتَها ـ وهي قريةُ شُعيبٍ مَسيرةَ ثمانية أيام من مِصر، سُمّيت بمَدْيَنِ بنِ إبراهيمَ ـ ولم يكن يَعرف طريقها ﴿قالَ: عَسَى رَبِّيَ أن يَهدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قَصْدَ الطريقِ، أي: الطريقَ الوسط إليها. فأرسل الله إليه مَلَكًا بيده عَنَزةٌ، فانطلق به إليها.

٢٣ ـ ﴿ولَمّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ﴾: بئرٌ فيها، أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ علَيهِ أُمَّةً﴾: جماعة ﴿مِنَ النّاسِ يَسقُونَ﴾ مَواشيَهم، ﴿ووَجَدَ مِن دُونِهِم﴾..

قولُه: (هُوَ مُؤمِنُ آلِ فِرْعَونَ) ابنُ عمِّهِ، واسمُهُ: شمعونُ أو حبيبٌ.

قولُه: (يُسْرِعُ) صفةٌ لـ﴿رَجُلٌ﴾.

قولُه: (مِنْ قَومِ فِرعَونَ) أو هو وأشرافه.

قولُه: (فِيْكَ) أي: في الأمرِ بقَتلِكَ، أو لأجلِكَ وبسببِكَ.

قولُه: (فِي الأَمْرِ) ولامُ ﴿لَكَ﴾ للبيانِ[1].

قولُه: (قَوْمِ فِرْعَونَ) أي: شَرِّهم.

قولُه: (الوَسَطَ) أي: العدلَ السَّويَّ.

قولُه: (فِيْهَا) أي: مَدْيَنَ.

قولُه: (إِلَيْهَا) أي: البئرِ، والأَولى: إليه؛ أي: الماءِ.

(١) قوله: «اللامُ للبَيانِ»؛ أي: وليسَ صِلَةً لـ﴿النّاصِحينَ﴾ لأنَّ مَعمولَ الصِّلَةَ لا يتقدَّمُ المَوصولَ عند الجمهور، ومعنى كون اللام في ﴿لك﴾ للبيان: أنها متعلقة بمحذوف هو: «أعني» كما في «سقياً لك»، ولم يجوِّز الجمهور تعلقه بـ﴿الناصحين﴾ لأن «أل» فيه اسم موصول، ومعمول الصلة لا يتقدم الموصولَ كما ذكرنا، ولا يجوز أيضاً تعلقه بمحذوف مقدم يفسره المذكور؛ لأن ما لا يعمل لا يفسر عاملاً، أما عند مَن جوَّز تقدم معمول الصلة إذا كان الموصول «أل» خاصة لكونها على صورة الحرف، أو إذا كان المتقدم ظرفاً للتوسع فيه، أو قال: إن «أل» هنا حرف تعريف لإرادة الثبوت= يجوز أن يكون ﴿لك﴾ متعلقاً بـ﴿الناصحين﴾ أو بمحذوف يفسره ذلك. انظر: «روح المعاني» (٢٠/ ١٤١)

أي: سِواهم ﴿امرأتَينِ تَذُودانِ﴾: تمنعان أغنامهما عن الماء. ﴿قالَ﴾ موسى لهما: ﴿ما خَطبُكُما﴾ أي: ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قالَتا: لا نَسقِي حَتَّى يَصدُرَ الرِّعاءُ﴾: جمع راع، أي: يَرجِعوا من سقيهم، خوفَ الزِّحام فنسقي ـ وفي قراءة: «يُصدِرَ» من الرباعيّ، أي: يَصرفوا مواشيَهم عن الماء ـ ﴿وأبُونا شَيخٌ كَبيرٌ﴾ لا يقدر أن يَسقي. ٢٤ ـ ﴿فسَقَى لَهُما﴾ من بئر أُخرى بقُربهما، رفع حجرًا عنها لا يرفعه إلاّ عشَرة أنفُس، ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾: انصرف ﴿إلَى الظِّلِّ﴾ لسَمُرةٍ من شِدّة حرّ الشمس، وهو جائع، ﴿فقالَ: رَبِّ، إنِّي لِما أنزَلتَ إلَيَّ مِن خَيرٍ﴾: طعام ﴿فَقِيرٌ﴾: محتاج.

فرجَعتا إلى أبيهما في زمنٍ أقلَّ ممّا كانتا ترجِعان فيه، فسألهما عن ذلك، فأخبرتاه بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعِيه لي. قال تعالى:..........................

قولُه: (أي: سِوَاهُم) فـ(دُونَ) بمعنى: غير، أو: في مكانٍ أسْفَلَ من مكانِهِم.

قولُه: (أَغْنَامَهُمَا) لئلّا تختَلطَ بأغنامِهِم.

قولُه: (لا تَسْقِيانِ) أو: تَذُودانِ.

قولُه: (يَرجِعُوا) أي: يَنصَرِفوا، ومنه: طوافُ الصَّدَرِ[1].

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ بصريٍّ وشاميٍّ[2].

قولُه: (مِنَ الرُّبَاعِيِّ) بزيادةِ همزةٍ.

قولُه: (لا يَقْدِرُ) لكِبَرِ سِنِّهِ، فيُرسِلنا اضطراراً.

قولُه: (مِنْ بِئْرٍ أُخرَى) وعن عُمَرَ: لمَّا فرَغَ النَّاسُ جعَلوا صخرةً لا يستطيعُ رفعَها إلَّا عشرةٌ على رأسِ البئرِ، فرفَعَ موسى الحَجرَ وحدَهُ، ثمَّ لم يستقِ إلَّا ذَنوباً واحداً وَدَعا بالبركةِ، ورَوَّى غنمَهُما، نقلَهُ ابنُ أبي شيبةَ[3]، وقالَ عمادُ بنُ كثيرٍ: إسنادُهُ صحيحٌ[4].

قولُه: (بقُرْبِهِمَا) رَحمَةً عليهما مع ما كانَ به من أنواعِ التَّعَبِ.

قولُه: (طَعَامٍ) قليلٍ أو كثيرٍ، وقيلَ: كسرَةٍ، و﴿مِنْ﴾ بيانُ (ما).

قولُه: (مُحْتَاجٌ) أي: طالبٌ، ولذا عُدِّي باللَّامِ.

---

(١) طواف الصدر، ويسمى: طواف الوداع، وطواف آخر عهده بالبيت؛ لأنه يودع البيت ويصدر به، وهو واجب عند الحنفية. انظر: «الهداية» (١/ ١٤٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٢).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٤٢).

(٤) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٢٧).

٢٥ ـ ﴿فجاءَتْهُ إحداهُما، تَمشِي علَى استِحياءٍ﴾ أي: واضعةً كُمَّ دِرعها على وجهها حياء منه، ﴿قالَتْ: إنَّ أبِي يَدعُوكَ، لِيَجزِيَكَ أجرَ ما سَقَيتَ لَنا﴾، فأجابها مُنكِرًا في نفسه أخْذ الأُجرة، وكأنّها قَصدَتِ المُكافأةَ إن كان ممّن يُريدها، فمشت بين يديه، فجعلَتِ الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها، فقال لها: امشي خلفي ودُلّيني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباها، وهو شُعيبٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ وعِندَه عَشاء. قال له: اجلس فتعشَّ. قال: إني أخاف أن يكون عِوضًا ممّا سقيتُ لهما، وإنّا أهل بيت لا نطلب على عملِ خيرٍ عِوضًا. قال: لا، عادتي وعادة آبائي، نقري الضيف ونُطعم الطعام. فأكل وأخبره بحاله. قال تعالى: ﴿فلَمّا جاءَهُ وقَصَّ علَيهِ القَصَصَ﴾: مصدرٌ بمعنى المقصوص، من قتلِه القِبطيَّ وقصدِهم قتلَه وخوفِه من فِرعون، ﴿قالَ: لا تَخَفْ: نَجَوتَ مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾ إذ لا سُلطان لِفرعون على مَديَنَ.

٢٦ ـ ﴿قالَت إحداهُما﴾، وهي المُرسَلة والكُبرى أو الصُّغرى: ﴿يا أبَتِ، استأجِرْهُ﴾: اتخذْه أجيرًا يرعى غنمنا أي: بدَلَنا. ﴿إنَّ خَيرَ مَنِ استأجَرتَ القَوِيُّ الأمِينُ﴾ أي: استأجِرْه لقوّته وأمانته. فسألها عنهما فأخبرته بما تقدّم من رفعه حجرَ البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»، وزيادةِ أنها لمّا جاءته وعلم بها صوّب رأسه فلم يرفعه، فرغب في إنكاحه، ٢٧ ـ فـ﴿قالَ: إنِّيَ أُرِيدُ أن أُنكِحَكَ إحدَى ابنَتَيَّ هاتَينِ﴾،..

قولُه: (أيْ: وَاضِعَةً) يعني: مُستَحيَةً.

قولُه: (فأَجَابَهَا) ليتبرَّكَ برؤيةِ الشَّيخِ، ويستَظهِرَ بمعرفتِه، لا طمعاً في الأجرِ.

قولُه: (وهو شُعَيْبٌ) عندَ الأكثرِ، كذا في «المبهماتِ»[1]، وقيل: ابنُ أخيهِ، وقيل: رجلٌ مؤمنٌ من قريةِ قومِهِ، وشعيبٌ قد ماتَ ودُفِنَ بين زمزمَ والمقامِ[2].

قولُه: (فَأكَلَ) هذا وإنَّ مَن فعلَ معروفاً فَأُهديَ بشيءٍ لم يَحرُمْ أخذُهُ.

قولُه: (لِفِرْعَونَ) وقومِهِ.

قولُه: (أو الصُّغْرَى) يعني: المرادُ بـ﴿إحدَاهِمَا﴾ المرسَلةُ لا غيرَ، وإنَّما الخلافُ في أنَّها الصُّغرى أو الكبرى.

قولُه: (صَوَّبَ) أي: خفضَ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران في مبهمات القرآن» (ص: ٨٢).

(٢) انظر: «فضائل مكة» للحسن البصري (ص: ٢٠)، وفيه: «...وقبر نوح وهود وشعيب وصالح صلى الله على نبينا وعليهم وسلم فيما بين زمزم والمقام».

وهي الكُبرى أو الصُّغرى، ﴿عَلَى أن تأجُرَني﴾: تكونَ أجيرًا لي في رَعي غنمي ﴿ثمانيَ حِجَجٍ﴾ أي: سنينَ. ﴿فإن أتمَمتَ عَشرًا﴾ أي: رَعيَ عشرِ سنين ﴿فمِن عِندِكَ﴾ التمامُ. ﴿وما أُرِيدُ أن أشُقَّ عليكَ﴾ باشتراط العشر. ﴿سَتَجِدُني إن شاءَ اللهُ﴾ ـ للتبرّك ـ ﴿مِنَ الصّالِحِينَ﴾: الوافين بالعهد.

٢٨ ـ ﴿قالَ﴾ مُوسَى: ﴿ذلِكَ﴾ الذي قلتَه ﴿بَيني وبَينَكَ، أيَّما الأجَلَينِ﴾ الثمانَ أو العشرَ ـ وما: زائدة ـ أي: رَعيَه ﴿قَضَيتُ﴾ به، أي: فرَغتُ منه، ﴿فلا عُدوانَ علَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه............

قولُه: (وهيَ الكُبرَى) وبه قالَ القاضي[١]، وصاحبُ «المدارِكِ»[٢].

قولُه: (أو الصُّغرَى) في «المعالمِ»: ذهبَ أكثرُهم إلى أنَّه زوَّجهُ الصُّغرى، وهي التي ذهبَتْ لطلَبِ موسى[٣].

قولُه: (تَكُونَ أَجِيراً) يقالُ: أجَرْتُه، إذا كنتُ له أجيراً، وقيلَ: نُزِّلَ مَنزلةَ اللَّازمِ، وهذا مواعدةٌ منهُ[٤] وإلا لقالَ: أنكحتُكَ، وعيَّنَها، وفي «المدارِكِ»: والتزوُّجُ برَعيِ الغنمِ جائزٌ بالإجماعِ بخلافِ التَّزوُّجِ على الخدمَةِ[٥].

قولُه: (التَّمَامُ) أي: فإتمامُهُ من عندِكَ تفضُّلاً لا من عندِي إلزاماً عليكَ فـ﴿مِنْ عِندِكَ﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، والجملةُ جزاءُ الشَّرطِ.

قولُه: (لِلتبَرُّكِ) لا يلائمُهُ تفسيرُ ما بعدَهُ بـ(الوَافِيْنَ)، نعم لو أُريدَ بالصَّلاحِ العمومُ الشَّامِلُ لحُسنِ المعاملةِ لكانَ للتَّبرُّكِ وجهٌ، وعلى الأوَّلِ المرادُ بالمشيئةِ: الاتِّكالُ على توفيقِهِ فيه ومعونتِه، لا أنَّه إن شاءَ فعلَ وإن شاءَ لم يفعلْ ذلكَ.

قولُه: (الَّذي) قائمٌ لا يُخرَجُ عنه[٦].

قولُه: (﴿ما﴾ زَائِدَةٌ) لتأكيدِ إبهامِ المفعولِ.

قولُه: (أي: فَرَغْتُ) أو: وفَّيتُكَ إيَّاه.

قولُه: (بطَلَبِ الزِّيادَةِ) فكما لا أُطالَبُ بالزِّيادةِ على العَشْرِ لا أطالَبُ بالزِّيادةِ على الثَّمانِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧٥).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٦٣٨).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥٣٠).

(٤) في (ص): «له».

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٦٣٨).

(٦) أي: ذلك الذي عاهدتني فيه قائمٌ بيننا لا نخرجُ عَنه. عبارة البيضاوي.

﴿واللهُ علَى ما نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكِيلٌ﴾: حفيظ أو شهيد. فتمّ العَقد بذلك، وأمر شُعيب ابنته أن تُعطيَ مُوسَى عصًا يدفع بها السِّباع عن غنمه ـ وكانت عِصِيُّ الأنبياء عنده ـ فوقع في يدها عصا آدمَ من آسِ الجنّة، فأخذها مُوسَى بعِلم شُعيب.

٢٩ ـ ﴿فلَمّا قَضَى مُوسَى الأجَلَ﴾ أي: رعيَه ـ وهو ثمانُ أو عشرُ سنين وهو المظنون به ـ ﴿وسارَ بِأهلِهِ﴾: زوجتِه بإذن أبيها نحوَ مِصرَ، ﴿آنَسَ﴾: أبصرَ من بعيد ﴿مِن جانِبِ الطُّورِ﴾: اسمُ جبل ﴿نارًا. قالَ لِأهلِهِ: امكُثُوا﴾ هنا. ﴿إنِّي آنَستُ نارًا، لَعَلِّيَ آتِيكُم مِنها، بِخَبَرٍ﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها، ﴿أو جِذْوةٍ﴾، بتثليث الجيم: قطعةٍ وشُعلة ﴿مِنَ النّارِ، لَعَلَّكُم تَصطَلُونَ﴾ تستدفئون. والطاء بدل من تاء الافتعال، ....

قولُه: (أَنَا وأَنْتَ) من المُشارَطَةِ.

قولُه: (أو شَهِيدٌ) والأظهَرُ: شاهِدٌ وحفيظٌ، عُدِّي ﴿وكيلٌ﴾ بـ﴿عَلَى﴾ لتضمُّنِهِ معنى: الشَّهادةِ.

قولُه: (عِصِيُّ) بكسرَتينِ وتشديدِ الياءِ.

قولُه: (عَصَا آدَمَ) بالألفِ.

قولُه: (آسِ) شَجَرِ.

قولُه: (وهُو المَظنُونُ بِهِ) بل هو المرويُّ فيهِ، ففي الحديثِ: «قَضَى أَطوَلَهُمَا» رواهُ ابنُ أبي حاتمٍ والبزَّارُ[1]، ورواهُ البخاريُّ عنِ ابنِ عبَّاسٍ[2].

قولُه: (أَبْصَرَ) وكانَ في ليلَةٍ مظلمَةٍ شديدةِ البَردِ.

قولُه: (اسْمُ جَبَلٍ) أي: من الجهةِ الَّتي تَلي الطُّورَ.

قولُه: (بتَثلِيثِ الجِيْمِ) فعاصِمٌ بالفَتحِ وحمزةُ بالضَّمِّ[3].

قولُه: (قِطعَةٍ أو شُعلَةٍ) وفي «القاموسِ»[4]: قبسَةٌ من النَّارِ أو جمرةٌ، وقيلَ: عُودٌ غليظٌ.

قولُه: (مِن تَاءِ الافْتِعَالِ) لمناسَبَةِ صفةِ الإطباقِ.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٩٦٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٨٦٤) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٤).

(٣) والباقي بالكسر، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٣).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٦٩).

من: صَلي بالنار، بكسر اللام وفتحها.

٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿فلَمّا أتاها نُودِيَ مِن شاطِئِ﴾: جانبِ ﴿الوادِي الأيمَنِ﴾ لمُوسَى ﴿في البُقْعةِ المُبارَكةِ﴾ لمُوسَى لسماعه كلامَ الله فيها، ﴿مِنَ الشَّجرةِ﴾: بدلٌ من «شاطئ» بإعادة الجارّ، لنباتها فيه، وهي شجرة عُنّاب أو عُلّيق أو عَوسَج، ﴿أنْ﴾ ـ مُفسِّرةٌ لا مُخفّفة ـ ﴿يا مُوسَى، إنِّيَ أنا اللهُ رَبُّ العالَمِينَ، وأنْ ألْقِ عَصاكَ﴾، فألقاها، ﴿فلَمّا رآها تَهتَزُّ﴾: تتحرّك، ﴿كأنّها جانٌّ﴾ ـ وهي الحيّة الصغيرة ـ من سُرعة حركتها، ﴿وَلَّى مُدبِرًا﴾: هاربًا منها، ﴿ولَم يُعَقِّبْ﴾ أي: يرجعْ.

فنُودي: ﴿يا مُوسَى، أقبِلْ ولا تَخَفْ، إنَّكَ مِنَ الآمِنِينَ. اسلُكْ﴾: أدخِلْ ﴿يَدَكَ﴾ اليُمنى، بمعنى الكفّ، ﴿في جَيبِكَ﴾ هو طوقُ القميص، وأخرِجْها ﴿تَخرُجْ﴾ خِلافَ ما كانت عليه من الأُدمة ﴿بَيضاءَ مِن غَيرِ سُوءٍ﴾ أي: برَص ـ فأدخلها وأخرجها تُضيء كشُعاع الشمس تُغشّي البصر ـ ﴿واضمُمْ إلَيكَ جَناحَكَ مِنَ الرَّهَبِ﴾، بفتح الحرفين، ....

قولُه: (صَلِيَ بالنَّارِ) سَخَّنَها[1].

قولُه: (بَدَلٌ) أي: بدلُ الاشتِمالِ.

قولُه: (لِنَبَاتِهَا فِيْهِ) لنَباتِ الشَّجرةِ في الشَّاطِئِ.

قولُه: (عُلَّيْقٍ) بضمِّ العَينِ وتشديدِ اللَّامِ، نَبتٌ يتعلَّقُ بالشَّجَرِ، له فوائدُ ذُكِرَت في «القاموسِ»[2].

قولُه: (أو عَوْسَجٍ) شَوكٍ.

قولُه: (فَأَلْقَاهَا) فالفاءُ فصيحَةٌ في: ﴿فلَمَّا﴾.

قولُه: (تَتَحَرَّكُ) بسُرعَةٍ.

قولُه: (هَارِباً) من الخَوفِ.

قولُه: (أَيْ: بَرَصٍ) يعني: سُوءٍ كبَرَصٍ.

قولُه: (بِفَتحِ الحَرفَينِ) الحِرْميُّ والبصريُّ[3].

(١) قوله: «سخنها» كذا النسخ، ولم أجد من ذكر هذا المعنى، وأقرب شيء إليه ما ذكره أبو حيان في «البحر» (٣/ ٤٩٢): صلي بالنار: تسخن بها. وفي «الدر المصون» (٣/ ٥٩٥): صلي بالنار: تسخن بقربها. وقد تقدم مثل هذا في أول النمل.

(٢) انظر: «القاموس» (ص: ٩١١).

(٣) انظر هذا وما بعده: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٣).

وسكون الثاني مع فتح الأول وضمّه، أي: الخوفِ الحاصل من إضاءة اليد، بأن تُدخلها في جيبك، فتعودَ إلى حالتها الأُولى. وعُبّر عنها بالجناح لأنها للإنسان كالجناح للطائر. ﴿فذانِّكَ﴾، بالتشديد والتخفيف، أي: العصا واليد ـ وهما مُؤنّثان، وإنما ذُكّر المُشار به إليهما المبتدأ لتذكير خبره ـ ﴿بُرهانانِ﴾ مرسَلانِ، ﴿مِن رَبِّكَ إِلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ. إِنَّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ﴾.

٣٣ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، إِنِّي قَتَلتُ مِنهُم نَفسًا﴾ هو القِبطيّ السابق، ﴿فأخافُ أن يَقتُلُونِ﴾ به،

٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿وأخِي هارُونُ هُوَ أفصَحُ مِنِّي لِسانًا﴾: أبيَنُ. ﴿فأرسِلهُ مَعِي رِدءًا﴾: مُعِينًا ـ وفي قراءة بفتح الدال بلا همزة ـ ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالجزم جوابُ الدعاء. وفي قراءة بالرفع وجُملته: صفة «ردءًا». ﴿إِنِّي أخافُ أن يُكَذِّبُونِ. قالَ: سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾: نُقوّيك ﴿بأخِيكَ، ونَجعَلُ لَكُما سُلطانًا﴾: غلبة، ﴿فلا يَصِلُونَ إِلَيكُما﴾ بسُوء..

قولُه: (مَعَ فَتحِ الأوَّلِ) حَفصٌ.

قولُه: (وضَمِّهِ) أي: مع ضَمِّ الأوَّلِ: الباقونَ.

قولُه: (بالتَّشدِيدِ) مكّيٌّ وبصريٌّ.

قولُه: (مُرسَلانِ) أو: مُرسَلاً بِهِما؛ أي: بالمعجزَتَينِ، وقُدِّر لتعلُّقِ: ﴿إلى﴾.

قولُه: (بِهِ) الظَّاهرُ: بها.

قولُه: (أَبيَنُ) يعني: أنَّ المرادَ بالفصاحَةِ: المعنَى اللُّغَويُّ، وقد مَرَّ أنَّ لهُ نوعَ لُكنَةٍ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافِعٍ[1].

قولُه: (بفَتحِ الدَّالِ) يعني: بالنَّقلِ للتَّخفيفِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لعاصِمٍ وحمزةَ.

قولُه: (صِفَةٌ) أي: بإتمامِ الحُجَّةِ ورَفعِ الشُّبهَةِ، وقيلَ: يُصَدِّقُني فرعونُ؛ لأنَّ خبرَ الاثنينِ أوقَعُ، وأمَّا قولُ البيضاويِّ: والجوابُ محذوفٌ[2]، ففيهِ أنَّهُ لا يلزمُ الجوابُ لكُلِّ أمرٍ.

قولُه: (غَلَبَةً) أو حُجَّةً وبرهاناً.

قولُه: (بِسُوءٍ) مِن استيلَاءٍ أو حِجاجٍ.

---

(١) انظر هذا وما بعده: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٤).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٧٧).

اذهبا ﴿بِآياتِنا، أنتُما ومَنِ اتَّبَعَكُما الغالِبُونَ﴾ لهم.

٣٦ ـ ٣٧ ـ ﴿فلَمّا جاءَهُم مُوسَى بِآياتِنا بَيِّناتٍ﴾: واضحاتٍ ﴿قالُوا: ما هذا إلاّ سِحرٌ مُفتَرًى﴾: مُختلقٌ، ﴿وما سَمِعْنا بِهذا﴾ كائنًا ﴿في﴾ أيام ﴿آبائنا الأوَّلِينَ. وقالَ﴾ ـ بواو وبدونها ـ ﴿مُوسَى: رَبِّيَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِمَن جاءَ بِالهُدَى مِن عِندِهِ﴾، الضمير للربّ، ﴿ومَن﴾: عطفٌ على «مَن» ﴿تكُونُ﴾ ـ بالفَوقانيّة والتحتانيّة ـ ﴿لَهُ عاقِبةُ الدّارِ﴾ أي: العاقبةُ المحمودة في الدار الآخرة، أي: وهو أنا في الشِّقَّين، فأنا مُحِقّ فيما جئتُ به. ﴿إنَّهُ لا يُفلِحُ الظّالِمُونَ﴾: الكافرون.

قولُه: (اذْهَبَا) أشارَ إلى أنَّ: ﴿بِآيَاتِنَا﴾ متعلّقٌ بمحذوفٍ، وقيلَ: بـ﴿نجعلُ﴾، ولذا وقعَتِ المعانقةُ[1] بينَهُما في الوَقفِ، وقيل: بيانٌ لـ﴿الغَالِبُونَ﴾.

قولُه: (مُختَلَقٌ) لم يُفعَل قبلَهُ مثلُهُ.

قولُه: (كَائِنًا) إشارةٌ إلى أنَّ قولَه: ﴿في آبَائِنَا الأَوَّلِينَ﴾ وقعَ حالاً من اسمِ الإشارةِ، ويعنونَ به السِّحرَ المفتَرى، أو ادِّعاءَ النُّبوَّةِ.

قولُه: (وبِدُوْنِهَا) مكيٌّ[2].

قولُه: (أيْ: عَالِمٌ) اعلم أنَّ ﴿أعلَمُ﴾ هنا على بابه[3]، بخلافِ ما في آخرِ السُّورةِ[4]؛ لأنَّه ورَدَ بلا باء فيُحتاجُ إلى تأويلِهِ بعالمٍ كما ستعلمُ، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (عَطفٌ على: «مَنْ») دفعَ وهمَ عطفِه على: ﴿ربِّي﴾.

قولُه: (والتَّحتَانِيَّةِ) حمزةُ والكسائيُّ[5].

قولُه: (فِي الدَّارِ) أو: النُّصرَةُ والعاقبَةُ المحمودَةُ في الدُّنيا.

قولُه: (الكَافِرُونَ) فلا يفوزونَ بالهِدايةِ في الدُّنيا وحُسنِ العاقبةِ في العُقبى.

---

(١) وقف المعانقة: هو أن يتعانق الوقفان باجتماعهما في محل واحد، فلا يجوز للقارئ أن يقف على كل منهما، بل إذا وقف على أحدهما امتنع الوقف على الآخر، لئلا يضطرب المعنى أو يبهم المراد. «معجم علوم القرآن» (ص: ٣٣٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٤).

(٣) كونه أفعل تفضيل.

(٤) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥].

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٤).

٣٨ ـ ﴿وقالَ فِرعَونُ: يا أيُّها المَلأُ، ما عَلِمتُ لَكُم مِن إلٰـهٍ غَيرِي. فأَوقِدْ لِي ـ يا هامانُ ـ علَى الطِّينِ﴾: فاطبَخْ لي الآجُرَّ، ﴿فاجعَلْ لِي صَرحًا﴾: قصرًا عاليًا، ﴿لَعَلِّيَ أَطَّلِعُ إلَى إلٰـهِ مُوسَى﴾: أنظرُ إليه، وأقف عليه. ﴿وإنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكاذِبِينَ﴾ في ادعائه إلٰـهًا آخَرَ وأنه رسوله.

٣٩ ـ ﴿واستكبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، وظَنُّوا أَنَّهُم إلَينا لا يَرجِعُونَ﴾ ـ بالبناء للفاعل وللمفعول ـ ٤٠ ـ ﴿فأَخَذْناهُ وجُنُودَهُ، فنبَذْناهُم﴾: طرحْناهم ﴿في اليَمِّ﴾: البحر المالح، فغرقوا. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الظّالِمِينَ﴾ حينَ صاروا إلى الهلاك؟ ٤١ ـ ﴿وجَعَلْناهُم﴾ في الدنيا ﴿أَئمَّةً﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: رُؤساءَ في الشِّرك، ﴿يَدعُونَ إلَى النّارِ﴾ بدُعائهم إلى الشِّرك، ﴿ويَومَ القِيامةِ لا يُنصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنهم، ٤٢ ـ ﴿وأتبَعناهُم في هٰذِهِ الدُّنيا لَعْنَةً﴾: خِزيًا، ﴿ويَومَ القِيامةِ هُم مِنَ المَقبُوحِينَ﴾: المُبعَدِينَ.

٤٣ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة ﴿مِن بَعدِ ما أهلَكْنا القُرُونَ الأُولَى﴾: قومَ نوحٍ وعادٍ وثمودَ وغيرَهم، ﴿بَصائرَ لِلنّاسِ﴾: حالٌ من «الكتاب»..............................

قولُه: (الآجُرَّ) قيلَ: أوَّلُ مَن اتخذَ الآجُرَّ فرعونُ.

قولُه: (وأَقِفُ) الواو عاطفةٌ.

قولُه: (لِلفَاعِلِ) نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ[١].

قولُه: (طَرَحْنَاهُم) أي: ألقيناهُم ككَفٍّ رَمادٍ.

قولُه: (بتَحْقِيقِ) تقدَّمَ أوَّلَ السُّورةِ[٢].

قولُه: (رُؤَسَاءَ) أي: قدوةً للضُّلَّالِ بالحملِ على الإضلالِ.

قولُه: (بِدُعَائِهِم) أي: إلى مُوجِباتِها من المعاصي.

قولُه: (خِزْياً) أو: طَرداً من الرَّحمةِ، أو: لَعنَ اللَّاعِنينَ.

قولُه: (المُبعَدِينَ) المطرودينَ، أو ممَّن قَبَّحَ اللهُ وجوهَهُم، وعن ابنِ عبَّاسٍ: سُودُ الوجوهِ، زُرقُ الأعيُنِ[٣].

قولُه: (وعَادٍ) حقُّ العبارَةِ: «وعاداً» بالنَّصبِ، أو «هودٍ» مكانَهُ بالخفضِ.

قولُه: (وغَيْرَهم) ومنهُم قومُ فرعونَ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٧١).

(٢) انظر الآية رقم: (٥).

(٣) ذكره عنه المجد في «تنوير المقباس» (ص: ٤٥٥)، وهو عن مجاهد في «تفسيره» (ص: ٣٣٧).

جمعُ بَصِيرة ـ وهيَ نورُ القلب ـ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿ورَحْمةً﴾ لمن آمن به، ﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون بما فيه من المواعظ.

٤٤ ـ ﴿وما كُنتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿بِجانِبِ﴾ الجبل أو الوادي أو المكان ﴿الغَربِيِّ﴾ من مُوسَى حين المُناجاة، ﴿إذ قَضَينا﴾: أوحَينا ﴿إلَى مُوسَى الأمرَ﴾ بالرسالة إلى فِرعون وقومه، ﴿وما كُنتَ مِنَ الشّاهِدِينَ﴾ لذلك، فتعرفَه فتُخبرَ به، ٤٥ ـ ﴿ولكِنّا أنشأنا قُرُونًا﴾: أُممًا بعدَ مُوسَى، ﴿فتَطاوَلَ علَيهِم العُمُرُ﴾ أي: طالت أعمارهم، فنسُوا العهود واندرسَتِ العلوم وانقطع الوحي، فجئنا بك رسولاً، وأوحَينا إليك خبر مُوسَى وغيرِه، ﴿وما كُنتَ ثاوِيًا﴾: مُقيمًا ﴿في أهلِ مَديَنَ، تَتلُو علَيهِم آياتِنا﴾: خبرٌ ثان، فتعرفَ قِصّتهم فتُخبِرَ بها، ﴿ولكِنّا كُنّا مُرسِلِينَ﴾ لك وإليك بأخبار المُتقدّمين.

٤٦ ـ ﴿وما كُنتَ بِجانِبِ الطُّورِ﴾: الجبل ﴿إذ﴾: حين ﴿نادَينا﴾ مُوسَى:.........

قولُه: (جَمْعُ: بَصِيرَةٍ) يُتبَصَّرُ بها الحقائقُ، ويُميِّزُ بينَ الحقِّ والباطِلِ.

قولُه: (مِنَ الضَّلالَةِ) أو: إلى الشَّرائعِ الَّتي هي سبل اللهِ.

قولُه: (لِمَنْ آمَنَ) أي: سبَبَ رحمةٍ؛ لأنَّهُم لو عمِلوا بها نالوا رحمَةَ اللهِ.

قولُه: (يَا مُحَمَّدُ) حاضِراً.

قولُه: (الطُّورِ) وفي نسخةٍ: «الجبلِ»[1] وهذا على مذهبِ البصريِّ، أو: الجانِبِ الغربيِّ من مقامِ موسى على مذهبِ الكوفيِّ[2].

قولُه: (لِذَلِكَ) أي: للوَحيِ إليه.

قولُه: (فتُخْبِرَ بِهِ) يعني: فما هو إلَّا من إعلامِ اللهِ ووَحيِهِ، فكيف يرتابُ أحَدٌ في نبوَّتِكَ؟

قولُه: (أُمَماً)أي: خَلَقنا.

قولُه: (فتَعْرِفَ قِصَّتَهُم) أي: أهلِ مديَنَ، وهم شعيبٌ والمؤمنونُ به بالتَّعلُّمِ منهُم.

قولُه: (لَكَ وإِلَيكَ) الظَّاهرُ: مرسِلِينَ إيَّاكَ، ومخبرينَ لك بها، أو: مرسِلِينَ إليك أخبارَهُم بوَحيِنا.

قولُه: (مُوسَى) وعن بعضِ السَّلفِ: معناهُ: إذ نادَينا أُمَّتَكَ في أصلابِ آبائِهِم حين سألَني موسى رؤيتَكَ،

---

(١) وهكذا هي في النسخ المعتمدة في المتن.

(٢) عند البصريين لا يجوز إضافة الموصوف إلى الصفة إلا بشرط خاص سنذكره، وعند الكوفيين يجوز ذلك مطلقاً، حجة البصريين: أن إضافة الموصوف إلى الصفة تقتضي إضافة الشيء إلى نفسه، وهذا غير جائز فذاك أيضاً غير جائز. «تفسير الرازي» (٢٤/ ٦٠٢).

أن «خُذِ الكِتابَ بِقُوّةٍ»، ﴿ولكِنْ﴾ أرسلناك ﴿رَحمةً مِن رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَومًا، ما أتاهُم مِن نَذِيرٍ مِن قَبلِكَ﴾ ـ وهم أهل مكّة ـ ﴿لَعَلَّهم يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون، ٤٧ ـ ﴿ولَولا أن تُصِيبَهُم مُصِيبةٌ﴾: عُقوبة ﴿بِما قَدَّمَت أيدِيهِم﴾ من الكُفر وغيره، ﴿فيَقولُوا: رَبَّنا، لَولا﴾: هلاّ ﴿أرسَلتَ إلَينا رَسُولاً، فنَتَّبِعَ آياتِكَ﴾ المُرسَلَ بها، ﴿ونَكُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾. وجواب «لولا» محذوف وما بعدها مبتدأ. والمعنى: لولا الإصابةُ المُسبَّبُ عنها قولُهم، أو لولا قولُهم المسبَّبُ عنها، ما أرسلناك إليهم رسولاً.

٤٨ ـ ﴿فلَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ﴾ مُحمّدٌ ﴿مِن عِندِنا قالُوا: لَولا﴾: هلاّ ﴿أُوتِيَ مِثلَ ما أُوتِيَ مُوسَى﴾ من الآياتِ كاليد البيضاء والعصا وغيرهما،..

وقلْتُ لهُ: إنَّكَ لن تَصِلَ إلى ذلكَ لكن إن شئتَ أُسمِعْتَ صوتَ أمّتِهِ، نقلَهُ النَّسائيُّ عن أبي هريرةَ[١]، وكذا قالَ مقاتلُ بنُ حيَّانَ[٢] والأعمشُ[٣] ووهبٌ[٤]، وقد نُقِلَ عن ابنِ عبَّاسٍ، كذا في «تفسيرِ المعينِ»[٥].

قولُه: (أَرْسَلْنَاكَ) أو: أعلَمْناكَ، أو: أوحَيْنا إليكَ، ويتعلَّقُ به: ﴿لِتُنْذِرَ﴾.

قولُه: (وَهُم أَهْلُ مَكَّةَ) لوقوعِهِم في فَتْرَةٍ بينكَ وبينَ عيسى، وهي خمسُ مئةٍ وخمسونَ سنةً.

قولُـه: (وجَـوَابُ ﴿لَـوْلَا﴾) أي: الأولـى وهـيَ الامتِناعيَّـةُ، وأمَّـا الثَّانيـةُ فهي تحضيضيَّـةٌ، كما أشـارَ إليه بقولِـه: «هـلَّا»، وجوابُهـا بالفـاءِ تشبيهاً لهـا بالأمـرِ، مفعـولُ: ﴿يَقُولُوا﴾ المعطـوفُ علـى ﴿تُصِيبَهُـمْ﴾ بالفاءِ المعطيَـةِ معنَى: السَّـببيَّةِ.

قولُه: (ولَمَا أَرْسَلْنَاكَ) أي: إنَّما أرسَلناكَ قَطْعاً لعُذرِهم وإلزاماً للحُجَّةِ عليهِم إن عَذَّبناهُم؛ يعني: هم مُستَحقُّونَ للعذابِ، ولكنَّ تأخيرَهُ وإرسالَكَ لقَطعِ الحُجَّةِ.

قولُه: (مُحَمَّدٌ) أي: الرَّسولُ المصَدَّقُ بالمعجِزاتِ، أو بالقرآنِ الباهِرِ البُرهانِ الباقي في كلِّ زمانٍ.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وروى النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣١٨) عن أبي هريرة، ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾، قال: نودي: أن يا أمة محمد، أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٤٦) ولفظه، قال: في قول الله عز وجل: ﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾: إذ نادى أمتك وهم في أصلاب آبائهم أن يؤمنوا بك إذا بعثت.

(٣) لم أقف عليه، وحديث أبي هريرة المتقدم هو من طريق الأعمش.

(٤) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٠/ ٤٦٢).

(٥) أي: المعين الصفوي، صاحب «جامع البيان في تفسير القرآن» (٣/ ٢٥٣) وقد جاء فيه بعض ما ذكر، أما تتمته فلا شك أنها في كتابه الأتم والأكمل «جوامع التبيان» وعنه ينقل المصنف وغيره، وقد خفي أمره على كثيرين، وقد عثرت عليه وهو قيد التحقيق ولله الحمد، أساله التيسير والتوفيق والقبول.

أو الكتابِ جُملةً واحدة. قال تعالى: ﴿أَوَلَم يَكفُرُوا بِما أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبلُ﴾ حيثُ ﴿قالُوا﴾ فيه وفي مُحمّد: ﴿ساحِرانِ﴾ ـ وفي قراءةٍ: «سِحرانِ» أي: التوراة والقُرآن ـ ﴿تَظاهَرا﴾: تعاونا. ﴿وقالُوا: إنّا بِكُلٍّ﴾ من النبيَّينِ والكتابَينِ ﴿كافِرُونَ﴾؟

٤٩ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فائتُوا بِكِتابٍ مِن عِندِ اللهِ، هُوَ أهدَى مِنهُما﴾ أي: من الكتابين، ﴿أتَّبِعْهُ إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في قولكم. ....

قولُه: (أو الكِتَابِ) عطفٌ على: «الآياتِ»، و«مِن» بيانيَّةٌ لـ﴿ما﴾، ولا مانِعَ[1] من الجمعِ.

قولُه: (فِيْهِ وفِي مُحَمَّدٍ) فاعلُ: ﴿يَكْفُرُوا﴾ ضميرُ قريشٍ، فإنَّهم كَفَروا بنبوَّةِ موسى عليه السَّلامُ أيضاً حين جاءَهُم الرَّهطُ الَّذين أرسَلوهُم إلى يهودِ المدينةِ يسألونَهُم عن محمَّدٍ ﷺ بخبرِهِم على ما ذُكِرَ في «الكشَّافِ»[2]، و«المعالمِ»[3]، و«المداركِ»[4]، وقيلَ: فيه وفي هارونَ[5]، وهو ضعيفٌ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) للكوفيِّ[6].

قولُه: (أي: التَّوْرَاةُ والقُرْآنُ) أو موسى ومحمَّدٌ، جُعِلا سحرَينِ مبالغةً، أو بتقديرِ مضافٍ؛ أي: ذوا سِحْرٍ، وثُنِّي دَفعاً للالتباسِ، أو الأصلُ: ذَوا سحرَينِ، والأَولى تطابُقُ القراءتينِ إلَّا أن يُحمَلَ على تَوزيعِ الأشخاصِ أو الأوقاتِ.

قولُه: (تَعَاوَنَا) بإظهارِ الخوارِقِ، أو بتوافُقِ الكتابينِ.

قولُه: (والكِتَابَينِ) الظَّاهرُ: (أو)، وقيل: أو بكُلِّ الأنبياءِ.

قولُه: (مِنَ الكِتَابَينِ) أو ممَّا نزلَ على موسَى وعلى نبيِّنا، وإضمارُهُما لدلالةِ المعنى، وهذا يؤيِّدُ أنَّ المرادَ بالسَّاحِرَينِ: موسَى ومحمَّدٌ عليهما السَّلامُ.

قولُه: (فِي قَولِكُم) إنَّا ساحِرانِ، وهذا من الشُّروطِ الَّتي يُرادُ بها الإلزامُ والتَّبكيتُ، لا الشَّكُّ والتَّردُّدُ.

---

(١) في (د): «منع».

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٢٠). وفيه: وذلك حينَ بَعثُوا الرَّهْطَ إلى رُؤسَاء اليَهُود بالمَدينَةِ يَسْألُونَهُم عن محمَّدٍ عليه السلام، فأخبرُوهم أنَّه صِفتُه ونَعْتُه وأنَّه في كتابهم، فرَجعَ الرَّهْطُ إلى قُرَيْشٍ فأخبَروهُم بقَوْلِ اليَهُود، فقَالُوا عند ذلك: ﴿سَاحِرَانِ تظَاهَرا﴾.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥٣٧).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٦٤٨).

(٥) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٩٥٦) عن سعيد بن جبير.

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٥).

٥٠ ـ ﴿فإن لَم يَستَجِيبُوا لَكَ﴾ دُعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فاعلَمْ أنّما يَتَّبِعُونَ أهْواءَهُم﴾ في كُفرهم. ﴿ومَن أضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيرِ هُدًى مِنَ اللهِ﴾؟ أي: لا أحدَ أضلّ منه. ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين.

٥١ ـ ﴿ولَقَد وَصَّلْنا﴾: بيّنا ﴿لَهُمُ القَولَ﴾:..

قولُه: (﴿فإنْ﴾) كُتِبَ النُّونُ في نُسخَتِنا مخالفاً للَونِ الأصلِ، وهو مُوهِمٌ أنَّ النُّونَ غيرُ مرسُومٍ هنا، وقد اتَّفَقَ الرُّسومُ على وصلِهِ في هودٍ[١]، وفُصِلَ هنا.

قولُه: (دُعَاءَكَ) فحُذِفَ المفعولُ للعِلمِ به؛ لأنَّ فعلَ الاستجابةِ يُعَدَّى بنفسِهِ إلى الدُّعاءِ، وباللَّامِ إلى الدَّاعِي، كذا في البيضاويِّ[٢] و«الكشَّافِ»[٣]، لكن في «القاموسِ»: استجابه واستَجابَ لهُ[٤]، ونصَّ أبو حيَّانَ[٥] أنَّه يتعدَّى إلى الدَّاعي بنفسِهِ أيضاً، فلا يُحتاجُ إلى تَكلُّفِ تقديرٍ.

قولُه: (بالإِتيَانِ) والأظهَرُ: إلى الإتيانِ، ولعلَّ الباءَ بيانيَّةٌ.

قولُه: (في كُفْرِهِم) لأنَّهُم ما رَجِعوا ـ بعدَما ألزَمتَهم الحجَّةَ ـ عن العنادِ، ولو اتَّبعوا حُجَّةً لأتَوا بها.

قولُه: (أيْ: لا أَضَلَّ مِنهُ) يعني: استفهامَ إنكارٍ بمعنى النَّفيِ، وقولُه: ﴿بِغَيْرِ هُدًى﴾ في موضِعِ الحالِ للتَّوكيدِ ـ إذِ الغالبُ مخالفَةُ الهَوى للهُدى، فيُلحَقُ النَّادِرُ بالمعدومِ ـ أو للتَّقييدِ، فإنَّ هَوى النَّفسِ قد يوافِقُ الحقَّ، ويكونُ سَمناً مع العَسَلِ، ونوراً على نُورٍ، وفي الحديثِ: «لا يُؤمِنُ أحدُكُم حتَّى يكونَ هواهُ تبعاً لِمَا جِئتُ بِهِ»[٦].

قولُه: (الكَافِرِينَ) المتَّبِعينَ للهَوى.

قولُه: (بَيَّنَّا) أو: أتبَعنا بعضَهُ بعضاً في الإنزالِ ليتَّصِلَ التَّذكيرُ.

---

(١) في قوله تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ [هود: ١٤]. وانظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ١٥٤).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٨٠).

(٣) انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٢٠).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٠).

(٥) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (٨/ ٣١٣).

(٦) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٥)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٧٩)، والبيهقي في «المدخل» (٢٠٩) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

قال النووي في «الأربعون النووية» (٤٢): حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. واستدرك عليه ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٤).

القُرآنَ، ﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون فيُؤمنون. ٥٢ ـ ﴿الَّذِينَ آتيناهُمُ الكِتابَ مِن قَبلِهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿هُم بِهِ يُؤمِنُونَ﴾ أيضًا ـ نزل في جماعة أسلموا من اليهود كعبد الله بن سلام وأصحابه ومن النصارى قدِموا من الحبشة ومن الشام ـ ٥٣ ـ ﴿وإذا يُتلَى علَيهِمْ﴾ القُرآنُ ﴿قالُوا: آمَنّا بِهِ. إنَّهُ الحَقُّ مِن رَبِّنا. إنّا كُنّا مِن قَبلِهِ مُسلِمِينَ﴾: مُوحّدين.

٥٤ ـ ﴿أُولَئِكَ يُؤتَونَ أجرَهُم مَرّتَينِ﴾ بإيمانهم بالكتابين ﴿بِما صَبَرُوا﴾: بصبرهم على العمل بهما، ﴿ويَدرَؤُونَ﴾: يدفعون ﴿بِالحَسَنةِ السَّيِّئَةَ﴾ منهم، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم يُنفِقُونَ﴾: يتصدّقون، ٥٥ ـ ﴿وإذا سَمِعُوا اللَّغوَ﴾: الشتم والأذى من الكُفّار ﴿أعرَضُوا عَنهُ، وقالُوا: لَنا أعمالُنا ولَكُم أعمالُكُم، سَلامٌ علَيكُم﴾: سلامَ مُتاركة، أي: سلمتم منّا من الشتم وغيره. ﴿لا نَبتَغِي الجاهِلِينَ﴾: لا نصحَبهم.

ونزل في حِرصه ﷺ على إيمان عمّه أبي طالب: ٥٦ ـ ﴿إنَّكَ لا تَهدِي مَن أحبَبتَ﴾ هِدايتَه،.....

قولُه: (أي: القُرآنَ) الأظهرُ: أنَّه للقَولِ المرادِ به القرآنُ.

قولُه: (فيُؤمِنُونَ) ويُطيعونَ.

قولُه: (مِنَ النَّصارَى) أربعونَ.

قولُه: (مِنَ الحَبَشَةِ) اثنانِ وثلاثونَ معَ جعفرٍ.

قولُه: (ومِنَ الشَّامِ) ثمانيةٌ.

قولُه: (على العَمَلِ بِهَا) الظَّاهِرُ: بهما، ويبعدُ رجوعُ الضَّميرِ إلى التَّوراةِ.

قولُه: (مِنْهُم) أي: يَدفَعونَ بالطَّاعَةِ المعصيةَ المتقدِّمةَ منهم الصَّادِرةَ عنهم؛ كقولِهِ ﷺ: «أتبعِ السَّيئةَ الحسنةَ تَمحُهَا» رواهُ التِّرمذيُّ وحسَّنَهُ[1].

أو: لا يُقابِلونَ الأذى بمثلِه، بل يَعفونَ، بل يُجازُونَ بالإحسانِ.

قولُه: (الشَّتْمَ) فاللَّغوُ: الكلامُ القَبيحُ.

قولُه: (سَلامَ مُتَارَكَةٍ) أي: لا تحيَّةً، أو دُعاءً لهم بالسَّلامةِ عمَّا هم فيه.

قولُه: (لا نَصْحَبُهُم) والأبلَغُ: لا نطلُبُ صُحبتَهُم، ولا نُريدُ طَرِيقَهُم.

قولُه: (هِدَايَتَهُ) أو نفسَهُ؛ أي: لا تَقدِرُ أن تُدخِلَهُ في الإسلامِ.

اعلم أنَّ الهدايةَ: خَلقُ الاهتداءِ في العبدِ، وبيانُ طريقِ الصَّوابِ، وكلا المعنَيينِ مُستَقيمٌ في حقِّ اللهِ تعالى، وأمَّا الرَّسولُ فلا يصحُّ اتِّصافُهُ إلَّا بالمعنى الثَّاني، فلا يُناقِضُ هذه الآيةَ قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

﴿ولكِنَّ اللهَ يَهدِي مَن يَشاءُ، وهُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِالمُهتَدِينَ﴾.

٥٧ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: قومه: ﴿إن نَتَّبِعِ الهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِن أرضِنا﴾ أي: نُنتزَعْ منها بسُرعة. قال تعالى: ﴿أوَلَم نُمَكِّنْ لَهُم حَرَمًا آمِنًا﴾ يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقعَينِ من بعض العرب على بعض، ﴿تُجبَى﴾ ـ بالفَوقانيّة والتحتانيّة ـ ﴿إلَيهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيءٍ﴾ من كُلّ أوب ﴿رِزقًا﴾ لهم ﴿مِن لَدُنّا﴾: مِن عِندنا؟ ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنّ ما نقوله حقّ، ٥٨ ـ ﴿وكَم أهلَكْنا مِن قَريَةٍ، بَطِرَتْ مَعِيشَتَها﴾ أي: في عيشها! وأُريد بالقرية أهلُها ـ ﴿فتِلكَ مَساكِنُهُم، لَم تُسكَنْ مِن بَعدِهِم إلاّ قَلِيلاً﴾ للمارّة يومًا أو بعضه ـ ﴿وكُنّا نَحنُ الوارِثِينَ﴾ منهم. ٥٩ ـ ﴿وما كانَ رَبُّكَ مُهلِكَ القُرَى﴾ بظلم أهلها ﴿حَتَّى يَبعَثَ في أُمِّها﴾ أي: أعظمِها ﴿رَسُولاً، يَتلُو عليهِم آياتِنا، وما كُنّا مُهلِكِي القُرَى إلاّ وأهلُها ظالِمُونَ﴾ بتكذيب الرُّسل.

قولُه: (أيْ: عَالِمٌ) كرَّرَهُ في مواضِعَ، وتبعَهُ السُّيوطيُّ[1] أيضاً، ولا أعلمُ وجهَهُ إلَّا في موضِعٍ يقعُ بدونِ الباءِ، كما قرَّرناهُ عندَ قولِهِ تعالى: ﴿أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ﴾ [الأنعام: ١١٧] واللهُ أعلمُ.

قولُه: (أي: قَوْمُهُ) من قُريشٍ، لا أهلُ الكتابِ.

قولُه: (يَأْمَنُونَ) أي: ألم نَجعَل مكانَهُم حَرَماً ذا أَمنٍ مع كُفرِهِم، فكيفَ نُعرِّضُهُم للخَوفِ والتَّخطُّفِ إذا كانوا مُوَحِّدينَ؟ يعني: هم كاذِبونَ في عُذرِهِم.

قولُه: (بالفَوقَانيَّةِ) نافعٌ[2]؛ أي: يُحمَلُ إليه ويُجمَعُ فيه.

قولُه: (أَوْبٍ) مكانٍ يُرجَعُ إليه؛ أي: ثَمَراتٌ كثيرةٌ.

قولُه: (أي: عَيْشَهَا) بنَزعِ الخافِضِ[3]، و﴿بَطِرَتْ﴾ أي: طَغَتْ وأَشِرَتْ.

قولُه: (مِنْهُم) إذ ما بَقِيَ منهم في الدِّيارِ ديَّارٌ.

قولُه: (بظُلْمٍ) أي: ما كانت عادَتُه تعالى إهلاكَ القُرى.

قولُه: (أَهْلِهَا) على إضمارِ المضافِ، أو ذِكرِ المحلِّ وإرادةِ الحالِّ.

قولُه: (أي: أَعْظَمِهَا) فإنَّ الأشرافَ فيها، أو: في أصلِها الَّتي هي ـ أي: القُرى ـ أعمالُها وسوادُها؛ لأنَّ أهلَها تكون أفطنَ وأنبلَ، فإن أنكَروا نزَلَ عليهم العَذابُ.

---

(١) انظر: سورة آل عمران الآية رقم: (٣٦)، وسورة يوسف الآية رقم: (٧٧)، وسورة النحل الآية رقم: (٣٢) ورقم: (١٢٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٥).

(٣) وقد أظهر الخافض في النسخ المعتمدة في المتن.

٦٠ ـ ﴿وما أُوتِيتُم مِن شَيءٍ فمَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا وزِينتُها﴾ أي: تتمتّعون وتتزيّنون به أيام حياتكم ثمّ يفنى، ﴿وما عِندَ اللهِ﴾ ـ وهو ثوابه ـ ﴿خَيرٌ وأبقَى. أفلا تَعقِلُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ أنّ الباقي خير من الفاني؟ ٦١ ـ ﴿أفمَن وَعَدْناهُ وَعدًا حَسَنًا، فهُوَ لاقِيهِ﴾: مُصيبُهُ ـ وهو الجنّة ـ ﴿كَمَن مَتَّعْناهُ مَتاعَ الحَياةِ الدُّنيا﴾ فيزول عن قريب، ﴿ثُمَّ هُوَ يَومَ القِيامةِ مِنَ المُحضَرِينَ﴾ النارَ؟ الأوّل المؤمن والثاني الكافر، أي: لا تساوي بينهما.

٦٢ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يومَ يُنادِيهِمْ﴾ اللهُ، ﴿فيَقُولُ: أينَ شُركائيَ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ﴾ ـهُم شركائي؟ ٦٣ ـ ﴿قالَ الَّذِينَ حَقَّ علَيهِمِ القَولُ﴾ بدخول النار وهم رؤساء الضلالة:..................

قولُه تعالى: (﴿مِنْ شَيءٍ﴾) أي: قليلٍ وكثيرٍ من أسبابِ الدُّنيا.

قولُه: (تمتَّعونَ) بحذفِ التَّاءِ فيه وفيما بعدَهُ.

قولُه: (وهُوَ ثَوَابُهُ) أي: الجنَّةُ ونعيمُها.

قولُه: (واليَاءِ) الغيبةُ بصريٌّ[1].

وقولُه تعالى: (﴿خَيرٌ﴾) أي: خيرٌ في نفسِهِ من ذلكَ؛ لأنَّه لَذَّةٌ خالِصَةٌ وبَهجَةٌ كاملةٌ.

قولُه: (البَاقِي) إشارَةٌ إلى أنَّ (أبقى) لمجرَّدِ الزِّيادةِ مبالغةً، أو: أبقى لأنَّه أبديٌّ.

قولُه: (مُصِيبُهُ) ومُدرِكُهُ؛ لامتِناعِ الخُلفِ في وَعدِهِ للحسابِ أو العذابِ.

قولُه: (وهُوَ الجَنَّةُ) أي: وَعداً بالجنَّةِ، فإنَّ حُسنَ الوعدِ بحُسْنِ[2] الموعودِ.

قولُه: (فيَزُولُ عَن قَرِيبٍ) وهو في نفسِهِ مَشُوبٌ بأنواعِ الغُصَصِ، مُكدَّرٌ بالمتاعِبِ، مُستَعقِبٌ للتَّحسُّرِ على الانقِطاعِ.

قولُه: (أي: لا تَسَاوِيَ) فالهمزَةُ للإنكارِ، رُوِيَ: أنَّ الآيَةَ نزلَتْ في حمزةَ وأبي جَهلٍ[3]، لكنَّ العِبرةَ بعمومِ اللَّفظِ لا بخصوصِ السَّببِ.

قولُه: (أي: اللهُ) نداءَ غَضَبٍ وتَوبيخٍ.

قولُه: (هُمْ شُرَكَائِي) فحُذِفَ المفعولانِ لدلالةِ الكلامِ عليهِما.

قولُه: (رُؤَسَاءُ الضَّلالَةِ) أي: شياطينُهُم وساداتُهُم في الضَّلالِ؛ خوفاً من أن يقولَ السَّفلَةُ: لا ذنبَ لنا، إنَّما الذَّنبُ لساداتِنا.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) في النسخ: «بمعنى»، والتصويب من البيضاوي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦٠٥، ٦٠٦) عن مجاهد.

﴿رَبَّنا، هؤُلاءِ الَّذِينَ أغوَينا﴾ هم: مبتدأ وصفةٌ ﴿أغوَيناهُم﴾: خبرُه، فغَوَوا ﴿كَما غَوَينا﴾ لم نُكرِهْهم على الغيّ. ﴿تَبَرَّأْنا إِلَيكَ﴾ منهم. ﴿ما كانُوا إِيّانا يَعبُدُونَ﴾. ما: نافية، وقُدّم المفعول للفاصلة. ٦٤ ـ ﴿وقِيلَ: ادعُوا شُرَكاءَكُم﴾ أي: الأصنامَ الذين كنتم تزعمون أنهم شُركاء الله، ﴿فَدَعَوهُم فلَم يَستَجِيبُوا لَهُم﴾ دُعاءهم، ﴿ورَأَوُا﴾ هم ﴿العَذابَ﴾: أبصروه. ﴿لَو أَنَّهُم كانُوا يَهتَدُونَ﴾ في الدنيا ما رأوه في الأُخرى.

٦٥ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ يُنادِيهِم فيَقُولُ: ماذا أَجَبتُمُ المُرسَلِينَ﴾.........................

قولُه: (مُبْتَدَأٌ) أي: ﴿هؤلاءِ﴾.

قولُه: (وَصِفَته) ما بعدَهُ، والرَّاجعُ إلى الموصولِ محذوفٌ، أو هو الخبرُ[1] وهو الأَظهرُ؛ أي: هؤلاءِ همُ الَّذينَ أغوَيناهُم، وما بعدَهُ[2] استئنافٌ للدِّلالةِ على أنَّهم غَوَوا باختيارِهِم، وأنَّهُم لم يفعَلوا بهم إلَّا وسوَسَةً وتسويلاً.

قولُه: (فَغَوَوا) أي: غيًّا مثلَ ما غَوَينا، والمعنى: غَوَوا باختيارِهِم كما غَوَينا باختيارِنا، أو المعنَى: ما اختَرنا لهُم إلَّا ما اختَرنا لأنفُسِنا فلا عَتَبَ لهُم علينا.

قولُه: (مِنْهُم) وممَّا اختاروهُ من الكُفرِ هوًى منهُم.

قولُه: (نَافِيَةٌ) أي: ما كانوا يعبُدونَنا، وإنَّما كانوا يعبُدونَ أهواءَهُم، فنحنُ وإيَّاهُم سواءٌ في الغِوايَةِ، شهِدوا على أنفُسِهم بالغِوايَةِ والإغواءِ، ثمَّ تبرَّؤوا من عبادَتِهِم، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ [البقرة: ١٦٦].

قولُه: (أَيْ: الأَصْنَامَ) لتُخَلِّصَكُم من العذابِ.

وقولُهُ تعالى: (﴿فَدَعَوْهُمْ﴾) من فَرْطِ الحَيرَةِ.

قولُه: (دُعَاءَهُم) مرَّ تَحقيقُهُ لعجزِهِم عن الإجابَةِ والنُّصرَةِ.

قولُه: (﴿وَرَأَوُا﴾ هُم) تأكيدٌ للضَّميرِ.

قولُه: (أَبْصَرُوهُ) أو: رأى الكفَّارُ العذابَ لازماً بهم.

قولُه: (فِي الدُّنْيَا) أي: إلى الحَقِّ (مَا رَأَوْهُ) جوابُ ﴿لَو﴾.

وقيل: ﴿لَو﴾ للتَّمنِّي؛ أي: تمنَّوا أنَّهُم، على الحكايَةِ.

قولُه: (﴿و﴾ اذْكُرْ) وقيل: عطفٌ على الأوَّلِ.

---

(١) قوله: «أو هو الخبر»؛ أي: أو ﴿الذين﴾ خبر المبتدأ الذي هو ﴿هؤلاء﴾.

(٢) قوله: «وما بعده»؛ أي: قوله تعالى: ﴿أغويناهم﴾.

إليكم؟ ٦٦ ـ ﴿فعَمِيَتْ علَيهِم الأنباءُ﴾: الأخبار المُنجية في الجواب ﴿يَومَئذٍ﴾ أي: لم يجدوا خبرًا لهم فيه نجاةً، ﴿فهُم لا يَتَساءَلُونَ﴾ عنه فيسكتون. ٦٧ ـ ﴿فأمّا مَن تابَ﴾ من الشِّرك، ﴿وآمَنَ﴾: صدّق بتوحيد الله ﴿وعَمِلَ صالِحًا﴾: أدّى الفرائض، ﴿فعَسَى أن يَكُونَ مِنَ المُفلِحِينَ﴾: الناجين بوعد الله.

٦٨ ـ ﴿ورَبُّكَ يَخلُقُ ما يَشاءُ ويَختارُ﴾ ما يشاء، ﴿ما كانَ لَهُمُ﴾: للمشركين ﴿الخِيَرَةُ﴾: الاختيار في شيء، ﴿سُبحانَ اللهِ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ عن إشراكهم! ....

قولُه: (إِلَيكُم) متعلِّقٌ بـ﴿الْمُرْسَلِيْنَ﴾.

قولُه: (الأَخْبَارُ) أي: خَفِيَتْ.

قولُه: (المُنْجِيَةُ) الظَّاهرُ أنَّ المرادَ بـ﴿الأَنْبَاءُ﴾ ما أجابوا بِهِ الرُّسُلَ، أو ما يعُمُّهُ، وإذا كانت الرُّسُلُ يتقعقعُونَ في الجوابِ عن مثلِ ذلك من الهَولِ، ويُفَوِّضونَ إلى اللهِ تعالى، فما ظنُّكَ بالضَّالِّينَ من أُممِهِم؟

قولُه: (عَنْهُ) أي: لا يسألُ بعضُهم بعضاً عن الجوابِ لفرطِ حَيرَةِ كلٍّ منهُم، أو للعِلمِ بأنَّه مثلُهُ في العجزِ عن الجوابِ.

قولُه: (بتَوحِيْدِ اللهِ) وسائرِ ما يجبُ الإيمانُ به.

قولُه: (بِوَعْدِ اللهِ) ﴿فَعَسَى﴾ تحقيقٌ على عادةِ الكِرامِ، أو ترَجٍّ من التَّائبِ؛ بمعنى: فليتوقَّعْ أن يُفلِحَ؛ أي: ليكُن بين الخَوفِ والرَّجاءِ.

قولُه: (مَا يَشَاءُ) لا موجِبَ عليه، ولا مانِعَ لهُ.

قولُه: (للمُشْرِكِينَ) الصَّحيحُ: أنَّ الضَّميرَ للخَلقِ، وظاهرُه: نَفيُ الاختيارِ عنهم رأساً، والأمرُ كذلك عندَ التَّحقيقِ، وهو الموافِقُ للمذهَبِ الحَقِّ، فإنَّ اختيارَ العَبدِ مخلوقٌ باختيارِ اللهِ مَنوطٌ بدَواعٍ لا اختيارَ لهم فيها، وقيلَ: المرادُ أنَّه ليسَ لأحَدٍ مِن خلقِهِ أن يختارَ عليه، ويؤيِّدُه ما رُوِيَ: أنَّه نزلَ في قولِهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١][1]، وهذا هو المختارُ للشَّيخِ، لكن معَ هذا لا وجهَ لتخصيصِ المشركينَ.

وقولُه تعالى: (﴿سُبْحَانَ اللهِ﴾) تنزيهاً له أن ينازِعَهُ أحدٌ، أو يزاحِمَ اختيارَهُ اختيارٌ.

قولُه: (عن إِشْرَاكِهِم) فـ﴿ما﴾ مصدريَّةٌ، أو: مُشارَكَةِ ما يُشركونَهُ[2] به، فـ﴿ما﴾ موصولَةٌ والمضافُ مقدَّرٌ.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٣٩) وعزاه لأهل التفسير، وذكره أيضاً الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٠/ ٤٨٣) ولم يصرح بالنزول.

(٢) في (ص): «يشركون».

٦٩ ـ ﴿وربُّكَ يَعلَمُ ما تُكِنُّ صُدُورُهُم﴾: تُسِرُّ قُلوبهم من الكُفر وغيره، ﴿وما يُعلِنُونَ﴾ بألسنتهم من ذلك، ٧٠ ـ ﴿وهُوَ اللهُ لا إلـٰـهَ إلاّ هُوَ، لَهُ الحَمدُ في الأُولَى﴾: الدنيا ﴿والآخِرةِ﴾: الجنّة، ﴿ولَهُ الحُكمُ﴾: القضاء النافذ في كل شيء، ﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ بالنُّشور.

٧١ ـ ﴿قُلْ﴾ لأهل مكّة: ﴿أرَأَيتُم﴾ أي: أخبِروني ﴿إن جَعَلَ اللهُ علَيكُمُ اللَّيلَ سَرمَدًا﴾: دائمًا ﴿إلَى يَومِ القِيامةِ، مَن إلـٰـهٌ غَيرُ اللهِ﴾ بزعمكم ﴿يأتِيكُم بِضِياءٍ﴾: نهار، تطلبون فيه المعيشة؟ ﴿أفلا تَسمَعُونَ﴾ ذلك سماعَ تفهّم، فترجعون عن الإشراك؟ ٧٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أرَأَيتُم إن جَعَلَ اللهُ علَيكُمُ النَّهارَ سَرمَدًا إلَى يَومِ القِيامةِ، مَن إلـٰـهٌ غيرُ اللهِ﴾ بزعمكم ﴿يأتِيكُم بِلَيلٍ، تَسكُنُونَ﴾: تستريحون ﴿فِيهِ﴾ من التعب؟ ﴿أفلا تُبصِرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك، فترجعون عنه؟ ٧٣ ـ ﴿ومِن رَحْمتِهِ﴾ ـ تعالى ـ ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ، لِتَسكُنُوا فِيهِ﴾: في الليلِ، ﴿ولِتَبتَغُوا مِن فَضلِهِ﴾ في النهار بالكسب، ﴿ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ النّعمة فيهما.

٧٤ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ يُنادِيهِم، فيَقُولُ: أينَ شُرَكائيَ الَّذِينَ كُنتُم تَزعُمُونَ﴾؟ ذُكِر ثانيًا لِيُبنى عليه:

قولُه: (تُسِرُّ) أي: تُخفِي، والأظهرُ: تَسْتُرُ.

قولُه: (مِنَ الكُفرِ) ومنه عداوةُ النَّبيِّ وحِقدُهُ.

قولُه: (مِنْ ذَلِكَ) أي: الكُفرِ، بالطَّعنِ فيه، أو في القرآنِ، وفي هذا تسليَةٌ له ﷺ وتهديدٌ ووعيدٌ شديدٌ لهم.

قولُه: (الجَنَّةِ) لأنَّه المولِي للنِّعَمِ كلِّها عاجِلاً وآجِلاً، يحمدُهُ المؤمنونَ في الآخرةِ كما حَمِدوهُ في الدُّنيا.

قولُه: (لأَهْلِ مَكَّةَ) الأعَمُّ هو الأتَمُّ.

قولُه: (نَهارٍ) الظَّاهرُ: نورٍ، بل نورِ الشَّمسِ، وإنَّما حملَهُ عليه التَّقابُلُ، وهو غيرُ لازِمٍ.

قولُه: (تَفهُّمٍ) واستِبصارٍ.

قولُه: (مِنَ التَّعَبِ) وصَفَ اللَّيلَ دونَ النَّهارِ؛ لأنَّ النَّهارَ مُستغنٍ عن الوصفِ، ولأنَّ منافِعَ الضَّوءِ أكثرُ ممَّا يقابلُهُ، ولذا قرنَ به ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ لأنَّ استفادةَ العقلِ من السَّمعِ أكثرُ مِن استفادتِهِ منَ البصرِ.

قولُه: (ذُكِرَ ثَانِياً) للتَّقريعِ[1] بعدَ التَّقريعِ؛ إشعاراً بأنَّهُ لا شيءَ أجلبُ لغضَبِ اللهِ من الإشراكِ بهِ، أو الأوَّلُ: لتقريرِ فسادِ رأيِهم، والثَّاني: لبيانِ أنَّه لم يكُنْ عن سَنَدٍ.

قولُه: (لِيُبْنَى عَلَيْهِ) ما أدري مبنَى هذا المبنى، ولا مَعنى هذا المعنَى، ولا يخفَى أنَّ المناسبةَ والرَّابطةَ

---

(١) في بعض الأصول: «للتفريع»، والمثبت موافق لما في البيضاوي، ويؤيده قوله: «إشعاراً...».

٧٥ ـ ﴿ونَزَعْنا﴾: أخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ ـ وهو نبيّهم ـ يشهد عليهم بما قالوه، ﴿فقُلْنا﴾ لهم: ﴿هاتُوا بُرهانَكُم﴾ على ما قلتم من الإشراك، ﴿فعَلِمُوا أنَّ الحَقَّ﴾ في الإلـهية ﴿لِلهِ﴾، لا يُشاركه فيها أحد، ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَفتَرُونَ﴾ في الدنيا من أنّ معه شريكًا. تعالى عن ذلك.

٧٦ ـ ﴿إنَّ قارُونَ كانَ مِن قَومِ مُوسَى﴾ ابنَ عمّه أو ابنَ خالته وآمنَ به، ﴿فبَغَى علَيهِم﴾ بالكِبْر والعلوّ وكثرة المال، ﴿وآتَيناهُ مِنَ الكُنُوزِ ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتَنُوءُ﴾: تَثقُل ﴿بِالعُصْبَةِ﴾: الجماعة ﴿أُولِي﴾: أصحابِ ﴿القُوَّةِ﴾ أي: تُثقِلُهم ـ فالباء: للتعدية. وعِدّتهم قيل: سبعون، وقيل: أربعون، وقيل: عشرةٌ، وقيل غيرُ ذلك ـ اذكرْ..

المعنويَّةَ بينَ الآيتينِ[1] لا تُسَمَّى بناءً، إذ البناءُ يُستَعمَلُ في التَّعلُّقِ اللَّفظيِّ بالعطفِ أو التَّعليلِ ونحوِهما.

قولُه: (بِمَا قَالُوْهُ) الأَولى: بما كانوا عليه.

قولُه: (لَهُم) للأمَمِ.

قولُه: (عَلَى مَا قُلْتُمْ) أي: على صِحَّةِ ما كنتُم تدَّعونَهُ.

قولُه: (غَابَ) غيبةَ الضَّائعِ؛ أي: ذَهبَ باطِلُهم بظُهورِ بُطلانهِ.

قولُه: (وآمَنَ بِهِ) ثمَّ نافَقَ.

قولُه: (والعُلُوِّ) أي: الظُّلمِ أو الجاهِ.

قولُه: (تَثْقُلُ) أي: مفاتِحُ صناديقِهِ، على حذفِ مُضافٍ، جمعُ «مِفتَحٍ» بالكَسرِ: آلة الفتحِ، وقيلَ: خزائنُهُ، جمعُ «مَفتح» بالفتحِ: مكان الفتح[2].

قولُه: (الجَمَاعَةِ) أي: الكثيرةِ.

قولُه: (تُثْقِلُهُم) حتَّى تُميلَهُم.

قولُه: (وقِيْلَ: غَيرُ ذَلِكَ) قيل في الإنجيلِ: إنَّ مفاتِحَ كنوزِ قارونَ وِقرُ ستِّينَ بغلًا، كلُّ مِفتاحٍ منها على قَدْرِ أصبُعٍ، لكلِّ مفتاحٍ منها كَنزٌ[3].

قولُه: (اذْكُرْ) أحسنُ من قولِ القاضي: منصوبٌ بـ﴿تَنُوءَ﴾[4].

---

(١) في (م) و(ص): «الاثنين».

(٢) انظر: «لسان العرب» (٢/ ٥٣٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦١٧)، والدينوري في «المجالسة» (٢٨٢١) عن خيثمة.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٨٥).

﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بكثرة المال فرحَ بطر ـ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بذلك ـ ٧٧ ـ ﴿وَابْتَغِ﴾: اطلبْ ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تُنفقه في طاعة الله. ﴿وَلَا تَنْسَ﴾: تتركْ ﴿نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة، ﴿وَأَحْسِنْ﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾: تطلبِ ﴿الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمل المعاصي. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى أنه يُعاقبهم.

٧٨ ـ ﴿قَالَ: إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾ أي: المالَ ﴿عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أي: في مُقابلته. وكان أعلم بني إسرائيلَ بالتوراة بعد موسَى وهارون. قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ﴾: الأممِ ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ للمال؟ أي: هو عالم بذلك ويُهلكه الله. ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ لعلمه ـ تعالى ـ بها، فيدخلون النار بلا حِساب.

٧٩ ـ ﴿فَخَرَجَ﴾ قارون ﴿عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾: بأتباعه الكثيرين رُكبانًا، ....

قولُه: (فَرَحَ بَطَرٍ) وما أحسَنَ كلامَ البيضاويِّ: الفَرَحُ بالدُّنيا مَذمومٌ مطلقاً؛ لأنَّه نتيجةُ حُبِّها والرِّضا بها، والذُّهولِ عن ذهابِها، فإنَّ العِلمَ بأنَّ ما فيها منَ اللَّذَّةِ مُفارِقُه لا محالةَ يوجبُ الحُزنَ كما قالَ:

أشَــدُّ الغَــمِّ عنــدِي فــي سُرورٍ ... تيقَّــنَ عنــهُ صَاحِبُــهُ انتِقَــالا[1]

قولُه: (للآخِرَةِ) قيلَ: النَّصيبُ: الكَفَنُ.

قولُه: (بالصَّدَقَةِ) أو: إلى عبادِ اللهِ مطلَقاً.

قولُه: (أي: في مُقَابَلَتِهِ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿عَلَى﴾ للتَّعليلِ ظرفٌ لغوٌ متعلِّقٌ بـ(أُوتِيتُ)، وقولُ البيضاويِّ: إنَّهُ في موضِعِ الحالِ[2]، غيرُ ظاهِرٍ.

قولُه: (وَكَانَ أَعْلَمَ) وقيل: المرادُ: عِلمُ الكيمياءِ، وقيلَ: علمُ التِّجارةِ والدَّهقنةِ وسائرِ المكاسِبِ، وقيل: علمٌ بكنوزِ يوسفَ.

قولُه: (للمال) أو: جماعةً وخدماً.

قولُه: (أي: هُو عَالِمٌ) فالاستِفهامُ للتَّقريرِ.

قولُه: (لِعِلْمِهِ) يعني: سؤالَ استعلامٍ، بل سؤالَ توبيخٍ، أو: مُطلقَ السُّؤالِ، فيكونُ في موطنٍ خاصٍّ.

قولُه: (الكَثِيرِينَ) قيل: معه أربعةُ آلافٍ على زيِّهِ.

---

(١) انظر المصدر السابق. والبيت للمتنبي، انظر: «ديوانه» (ص: ١٤٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٨٥).

مُتحلِّينَ بملابس الذهب والحرير على خُيول وبغال مُتحلّية. ﴿قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَياةَ الدُّنيا: يا﴾ ـ للتنبيه ـ ﴿لَيتَ لَنا مِثلَ ما أُوتِيَ قارُونُ﴾ في الدنيا. ﴿إنَّهُ لَذُو حَظٍّ﴾: نصيب ﴿عَظِيمٍ﴾ وافٍ فيها.
٨٠ ـ ﴿وقالَ﴾ لهمُ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾ بما وعد اللهُ في الآخرة: ﴿وَيلَكُم﴾: كلمةُ زجرٍ. ﴿ثَوابُ اللهِ﴾ في الآخرة بالجنّة ﴿خَيرٌ، لِمَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا﴾ ممّا أُوتي قارون في الدنيا، ﴿ولا يُلَقّاها﴾ أي: الجنّةَ المُثابَ بها ﴿إلاّ الصّابِرُونَ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

٨١ ـ ﴿فخَسَفْنا بِهِ﴾: بقارونَ ﴿وبِدارِهِ الأرضَ، فما كانَ لَهُ مِن فِئةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللهِ﴾: من غيره بأن يمنعوا عنه الهلاك، ﴿وما كانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ﴾ منه، ٨٢ ـ ﴿وأصبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوا مَكانَهُ بِالأمسِ﴾ أي: من قريب ﴿يَقُولُونَ: وَيْ كَأَنَّ اللهَ يَبسُطُ﴾ يُوسِّع ﴿الرِّزقَ لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ ويَقدِرُ﴾: يُضيّق على من يشاء. ووَيْ: اسم فعلٍ بمعنى: أعجبُ أي: أنا. والكاف: بمعنى اللام. ﴿لَولا أن مَنَّ اللهُ علَينا لَخَسَفَ بِنا﴾، بالبناء للفاعل والمفعول. ﴿وَيْ كَأَنَّهُ لا يُفلِحُ الكافِرُونَ﴾ لنِعمة الله كقارونَ.

٨٣ ـ ﴿تِلكَ الدّارُ الآخِرةُ﴾ أي: الجنّة ﴿نَجعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا في الأرضِ﴾ بالبغي ﴿ولا فَسادًا﴾ بعمل المعاصي، ﴿والعاقِبةُ﴾ المحمودة ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ عقابَ الله بعمل الطاعات..........

قولُه: (للتَّنبِيهِ) أو التَّقديرُ: يا قوم.

قولُه: (فِيهَا) الأظهرُ: منها.

قولُه: (لَهم) أي: للمتمنِّينَ.

قولُه: (زَجْرٍ) عمَّا لا يُرتَضى.

قولُه: (مِمَّا أُوتِيَ) بل من الدُّنيا وما فيها، بل لأَدنى أهلِ الجنَّةِ، بل لا مقابَلةَ بينهما.

قولُه: (أي: الجَنَّةَ) أو الثَّوابَ بمعنى المثوبَةِ.

قولُه: (وعَنِ المَعْصِيَةِ) وفي الفَقرِ والمصيبةِ.

قولُه: (مِنْهُ) أي: الممتَنِعينَ من الهلاكِ، أو المنتصِرينَ بنفسِهِ.

قولُه: (أيْ: مِنْ قَرِيبٍ) ولا يبعدُ حملهُ على الحقيقةِ.

قولُه: (بِمَعنَى: اللَّامِ) للتَّعليلِ، أو زائدةٌ.

قولُه: (للفَاعِلِ) حفصٌ[1]، فمفعولُهُ محذوفٌ؛ أي: لَخَسَفَ بنا الأرضَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٥).

٨٤ ـ ﴿مَن جاءَ بِالحَسَنةِ فلَهُ خَيرٌ مِنها﴾: ثوابٌ بسببها ـ وهو عشرُ أمثالها ـ ﴿ومَن جاءَ بِالسَّيِّئةِ فلا يُجزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئاتِ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

٨٥ ـ ﴿إنَّ الَّذِي فَرَضَ علَيكَ القُرآنَ﴾: أنزلَه ﴿لَرادُّكَ إلَى مَعادٍ﴾: إلى مكّة. وكان قد اشتاقها. ﴿قُلْ: رَبِّيَ أعلَمُ مَن جاءَ بِالهُدَى ومَن هُوَ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾. نزل جوابًا لقول كُفّار مكّة له: «إنّكَ في ضَلالٍ» أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في الضلال. وأعلم بمعنى: عالمٌ.

٨٦ ـ ﴿وما كُنتَ تَرجُو أن يُلقَى إلَيكَ الكِتابُ﴾: القُرآنُ. ﴿إلاّ﴾ لكنْ أُلقي إليك ﴿رَحمةً مِن رَبِّكَ. فلا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا﴾: مُعينًا ﴿لِلكافِرِينَ﴾ على دِينهم الذي دعَوك إليه، ٨٧ ـ ﴿ولا يَصُدُّنَّكَ﴾ ـ أصله «يَصُدُّونَنَّكَ» حُذفت نونُ الرفع للجازم، والواوُ الفاعلُ لإتيانها مع النون الساكنة ـ ﴿عَن آياتِ اللهِ، بَعدَ إذ أُنزِلَتْ إلَيكَ﴾ أي: لا ترجِع إليهم في ذلك، ﴿وادعُ﴾ الناس ﴿إلَى رَبِّكَ﴾ بتوحيده وعبادته، ﴿ولا تَكُونَنَّ مِنَ المُشرِكِينَ﴾ بإعانتهم ـ ولم يؤثّرِ الجازمُ في الفعل لبنائه ـ ٨٨ ـ ﴿ولا تَدعُ﴾: تعبدْ ﴿مَعَ اللهِ إلَـهًا آخَرَ. لا إلَـهَ إلاّ هُوَ، كُلُّ شَيءٍ هالِكٌ إلاّ وَجهَهُ﴾: إلاّ إيّاه، ﴿لَهُ الحُكمُ﴾: القضاء النافذ، ﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ بالنشور من القبور.

قولُه: (ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا) أو: خيرٌ منها قَدْراً وذاتاً ووَصفاً.

قولُه: (أَنْزَلَهُ) تفسيرٌ غريبٌ، والصَّوابُ: أوجَبَ عليك تلاوتَهُ وتبليغَهُ ومتابعتَهُ.

قولُه: (إِلَى مَكَّةَ) أو القيامةِ، أو المقامِ المحمودِ.

قولُه: (بِمَعْنَى: عَالِمٌ) لِمَا تقدَّمَ من أن أفعَلَ لا ينصبُ الظَّاهرَ، وقيلَ: بنزعِ الخافِضِ.

قولُه: (على دِينِهِم) أي: بمُداراتِهِم والتَّحَمُّلِ عنهم، بل خالِفهُم ونابِذهُم، نقلَ محيي السُّنَّةِ: عن مقاتلٍ: أنَّه نزلَ حينَ دعيَ إلى دينِ آبائِهِ[1].

قولُه: (أيْ: لا تَرجعْ) لا يظهرُ له معنًى، والمعنى الصَّحيحُ: لا يمنعُنَّكَ عن قراءَتِها والعملِ بها.

قولُه: (بِتَوحِيدِهِ) الباءُ لا وجهَ لها.

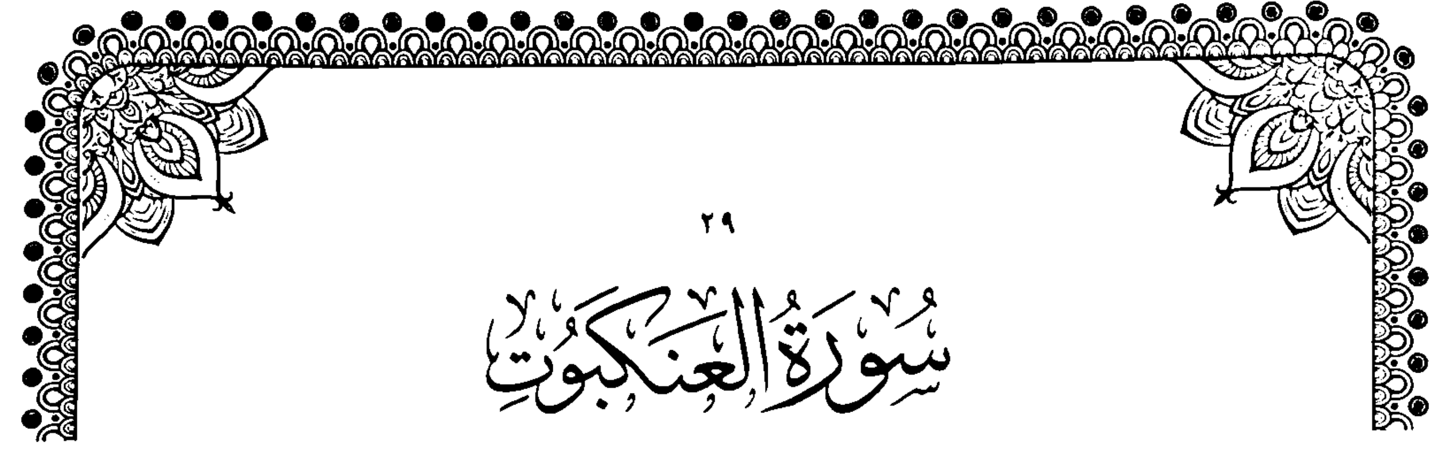
قولُه: (بِإِعَانَتِهِم) وحقيقةُ الخِطابِ لأمَّتِهِ، أو هذا وما بعدَهُ للتَّهييجِ وقَطعِ أطماعِ المشركينَ عن مساعدَتِهِم.

قولُه: (تَعبُدْ) الدُّعاءُ على إطلاقِهِ أبلغُ.

قولُه: (إِلَّا إِيَّاهُ) أي: ذاتَهُ المقدَّسَ عن الفناءِ، فإنَّ ما عداهُ ممكنٌ هالِكٌ في حَدِّ ذاتِهِ معدومٌ، أو معناهُ: إلَّا ما أُريدَ به وجهُهُ؛ أي: كلُّ عملٍ لم يُرَد به وجهُ اللهِ فهو باطلٌ فانٍ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥٤٨)، وذكره أيضاً الواحدي في «التفسير البسيط» (١٧/ ٤٧٨).



مكية، وهي تسع وستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أن يُتْرَكُوا أن يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿آمَنَّا. وهُم لا يُفتَنُونَ﴾: يُختبَرُون بما يتبيّن به حقيقة إيمانهم ـ نزل في جماعة آمنوا، فآذاهم المشركون ـ ٣ ـ ﴿ولَقَد فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ فلَيَعلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ في إيمانهم عِلمَ مُشاهدة، ﴿ولَيَعلَمَنَّ الكاذِبِينَ﴾ فيه. ٤ ـ ﴿أم حَسِبَ الَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾: الشِّركَ والمعاصيَ ﴿أن يَسبِقُونا﴾: يفوتونا فلا ننتقمَ منهم؟ ﴿ساءَ﴾: بئسَ ﴿ما﴾: الذي ﴿يَحكُمُونَـ﴾ ـــهُ حُكمُهم هذا!

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

وقولُه: (﴿أَنْ يُتْرَكُوا﴾) أي: على عافيَةٍ وفراغٍ، ولمَّا كانَ صِلَةً مشتملَةً على مُسْنَدٍ ومُسْنَدٍ إليه سدَّ مسَدَّ مفعولَي ﴿حَسِبَ﴾، وهذا هو الأظهرُ.

قولُه: (بِقَولِهِم) أو: لقولِهم.

قولُه: (يُختبَرُونَ) بل يمتحِنُهم اللهُ بمشاقِّ التَّكاليفِ وأنواعِ المصائبِ؛ ليتميَّزَ الثَّابتُ من المضطرِبِ، ولِيَنالوا بالصَّبرِ عليها عواليَ الدَّرَجاتِ.

قولُه: (فَآذَاهُم) بالمدِّ، ومنهُم عمَّارُ بنُ ياسِرٍ[١].

قولُه: (عِلْمَ مُشَاهَدَةٍ) كما عَلِمَ عِلْمَ غَيبٍ، وقيل: وليُمَيِّزَنَّ، أو: ليُجازِيَنَّ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٢) عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

٥ ـ ﴿مَن كانَ يَرجُو﴾: يخافُ ﴿لِقاءَ اللهِ فإنَّ أجَلَ اللهِ﴾ به ﴿لَآتٍ﴾، فلْيستعدَّ له، ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوال العِباد ﴿العَلِيمُ﴾ بأفعالهم، ٦ ـ ﴿ومَن جاهَدَ﴾ جِهادَ حرب أو نفس ﴿فإنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لأنَّ منفعة جِهاده له لا للهِ. ﴿إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العالَمِينَ﴾: الإنسِ والجِنِّ والملائكة وعن عِبادتهم. ٧ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنهُم سَيِّئاتِهِم﴾ بعمل الصالحات، ﴿ولَنَجزِيَنَّهُم أحسَنَ﴾، بمعنى: حَسَنَ ـ ونصبُه بنزع الخافض: الباء ـ ﴿الَّذِي كانُوا يَعمَلُونَ﴾، وهو الصالحات.

٨ ـ ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بِوالِدَيهِ حُسنًا﴾ أي: إيصاءً ذا حُسن بأن يَبَرَّهما. ﴿وإن جاهَداكَ، لِتُشرِكَ بِي ما لَيسَ لَكَ بِهِ﴾: بإشراكه ﴿عِلمٌ﴾ ـ مُوافقةً للواقع فلا مفهومَ له ـ ﴿فلا تُطِعْهُما﴾ في الإشراك. ﴿إلَيَّ مَرجِعُكُم، فأُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فأُجازيكم به. ٩ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَنُدخِلَنَّهُم في الصَّالِحِينَ﴾: الأنبياءِ والأولياءِ بأن نحشرهم معهم.

١٠ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَقُولُ: آمَنّا بِاللهِ. فإذا أُوذِيَ في اللهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَعَذابِ اللهِ﴾ في الخوف منه، ....

قولُه: (يَخَافُ) أي: الوصولَ إلى العاقبةِ مِن الموتِ والبعثِ والحسابِ والجزاءِ، أو: يأمُلُ لقاءَهُ في الجنَّةِ، أو الوصولَ إلى ثوابِهِ.

قولُه: (بِهِ) أي: الوقتِ المضروبِ للقائِه.

قولُه: (بأَفعَالِهِم) وعقائِدِهم ونيَّاتِهم.

قولُه: (عَن عِبَادَتِهِم) وإنَّما كلَّفَهُم رحمةً عليهم ومُراعاةً لصلاحِهِم.

قولُه: (بعَمَلِ الصَّالِحَاتِ) الكُفرَ بالإيمانِ، والمعاصيَ بما يتبعُها من الطَّاعاتِ.

قولُه: (بِمَعنَى: حَسَنَ) أو: أحسنَ جزاءَ أعمالِهم.

قولُه: (بِإِشْرَاكِهِ) أو بإلهيَّتِهِ.

قولُه: (مُوَافَقَةً) أو كنايَةً عمَّا ليسَ له وجودٌ، عبَّرَ عن نفيِها بنَفيِ العِلمِ.

قولُه: (فِي الإِشرَاكِ) وقد ورَدَ: «لا طاعَةَ لمخلُوقٍ في معصيَةِ الخالِقِ»[1].

قولُه: (بأَنْ نَحشُرَهُم) أو: في مُدخَلِهِم، وهو الجنَّةُ.

قولُه: (أَذَاهُم لَهُ) في الصَّرفِ عن الإيمانِ.

قولُه: (فِي الخَوْفِ) والصَّرفِ عنِ الكفرِ.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٥٧)، ومسلم (١٨٤٠)، وأحمد في «مسنده» (١٠٩٥) من حديث عليٍّ رضي الله عنه، واللفظ لأحمد.

يُضيعهم فيُنافق. ﴿وَلَئِن﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿جَاءَ نَصْرٌ﴾ للمؤمنين ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ فغنموا ﴿لَيَقُولُنَّ﴾، حُذفت منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان، فأشركونا في الغنيمة. قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالمٍ ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾: قلوبِهم من الإيمان والنفاق؟ بلى. ١١ ـ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم، ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين. واللام في الفعلين: لام قسم.

١٢ ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾: طريقنا في ديننا، ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ في اتباعنا، إن كانت. والأمر بمعنى الخبر. قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك ـ ١٣ ـ ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أوزارهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ بقولهم للمؤمنين «اتَّبِعوا سبيلَنا» وإضلالِهم مقلّديهم. ﴿وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾: يكذبون على الله سؤالَ توبيخ. واللام في الفعلين: لام قسم، وحُذف فاعلهما الواو ونون الرفع.

١٤ ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾، وعمُره أربعون سنة أو أكثر، ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، يدعوهم إلى توحيد الله فكذَّبوه، ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾..........

قولُه: (فَغَنِمُوا) الغنيمةُ تستلزمُ[1] النَّصرَ.

قولُه: (في الإيمانِ) الظّاهرِ: في الدِّينِ.

قولُه: (بعَالمٍ) بل هو على بابِه.

قولُه: (منَ الإيمانِ) والأظهرُ: الإخلاصِ.

قولُه: (طَريقَنا) الَّذي نسلكُهُ.

قولُه: (إنْ كانتْ) خطيئةٌ، أو مؤاخذةٌ، أو قيامةٌ، قيل: قائلُ ذلك الوليدُ بنُ المغيرةِ[2].

قولُه: (في ذلكَ) الحمْلِ، و﴿مِنْ﴾ الأولى للتَّبيينِ، والثَّانيةُ مزيدةٌ[3]، والتَّقديرُ: وما هم بحاملين شيئاً من خطاياهم.

قولُه: (أوزارَهم) أي: ما اكتسبتْهُ أنفسُهم.

قولُه: (ونونُ الرَّفعِ) ما أكثرَ اهتمامَ الشَّيخِ بهذا! وهو غيرُ محتاجٍ إليه في علمِ التَّفسيرِ، وإنّما هو من أوائلِ علمِ الصَّرفِ الَّذي هو من جملةِ آلاتِ هذا العلمِ.

(١) في (د): «تلازم».

(٢) انظر: «الهداية إلى بلوغ النهاية» لمكي بن أبي طالب (٩/ ٥٦٠٦)، و«المحرر الوجيز» لابن عطية (٤/ ٣٠٩).

(٣) أي قوله: ﴿مِن شَيْءٍ﴾.

أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم فغرقوا، ﴿وهُم ظالِمُونَ﴾: مُشركون، ١٥ ـ ﴿فأنجَيناهُ﴾ أي: نُوحًا ﴿وأصحابَ السَّفِينةِ﴾ أي: الذين كانوا معه فيها، ﴿وجَعَلْناها آيَةً﴾: عِبرة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: لِمن بعدهم من الناس، إن عصَوا رسولهم. وعاش نُوح بعد الطوفان ستّين سنة أو أكثر حتّى كثُر الناسُ.

١٦ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إبراهِيمَ، إذ قالَ لِقَومِهِ: اعبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ﴾: خافوا عقابه. ﴿ذلِكُم خَيرٌ لَكُم﴾ ممّا أنتم عليه من عِبادة الأصنام، ﴿إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ الخيرَ من غيره. ١٧ ـ ﴿إنَّما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيره ﴿أوثانًا، وتَخلُقُونَ إفكًا﴾: تقولون كذبًا: «إنّ الأوثان شُركاءُ لله». ﴿إنَّ الَّذِينَ تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ لا يَملِكُونَ لَكُم رِزقًا﴾: لا يقدرون أن يرزقوكم. ﴿فابتَغُوا عِندَ اللهِ الرِّزقَ﴾: اطلبوه منه، ﴿واعبُدُوهُ واشكُرُوا لَهُ. إلَيهِ تُرجَعُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿وإن تُكَذِّبُوا﴾ أي: تُكذّبوني ـ يا أهل مكّة ـ ﴿فقَد كَذَّبَ أُمَمٌ مِن قَبلِكُم﴾ مَن قبلي،.......

قولُه: (أي: المَاءُ) أي: طوفانُ الماءِ، وهو لِمَا طافَ بكثْرَةٍ من سَيْلٍ، أو ظلامٍ، أو ريحٍ.

قولُه: (عِبرَةً) أي: السَّفينةَ، أو الحادثةَ.

قولُه: (إنْ عَصَوا) أي: النَّاسُ.

قولُه: (اذكُرْ) أو عطفٌ على: ﴿نوحاً﴾.

قولُه: (مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ) الأظهرُ: من تَركِ عبادتِهِ وتقواهُ.

قولُه: (مِنْ غَيرِهِ) وهو الشَّرُّ، أو: ضدُّ الأفضلِ.

قولُه: (تَقولُونَ كَذِباً) أو: تَكْذِبونَ كذباً، والأظهرُ: تَفْتَرُونَ كَذِباً، من خَلَقَ بمعنى: اخْتَلَقَ، وقيلَ: تعمَلونَها وتنحتونَها للإفْكِ.

قولُه: (أنْ يَرْزُقَكُم) فالرِّزقُ مصدرٌ، ويحتمِلُ: المرزوقَ.

قولُه: (أي: اطلُبُوْهُ) كلَّهُ، فإنَّهُ المالِكُ له، قالَ سهلٌ: اطلبوا الرِّزقَ بالتَّوكُّلِ، فإنَّ طَلَبَ الرِّزقِ مِن الكسبِ سبيلُ العوامِّ[1].

قولُه: (تُكَذِّبُوني) فلا يضرُّني تكذيبُكم.

قولُه: (مَنْ قَبلِي)[2] فلم يضرُّهم تكذيبُهم.

---

(١) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٢٠). وليس مراده ترك الكسب، بل أن يكون مع الكسب التوكل على الله لا على السبب الذي هو الكسب.

(٢) أي: من الرسل.

﴿وما عَلَى الرَّسُولِ إلاّ البَلاغُ المُبِينُ﴾: الإبلاغ البيِّنُ. في هاتين القصتين تسلية للنبيّ. وقال تعالى في قومه: ١٩ ـ ﴿أَوَلَم يَرَوا﴾، بالياء والتاء: ينظروا: ﴿كَيفَ يُبدِئُ اللهُ الخَلقَ﴾ ـ بضمّ أوله، وقُرئ بفتحه من: بَدأ وأبدأ بمعنًى ـ أي: يخلقُهم ابتداءً؟ ﴿ثُمَّ﴾ هو ﴿يُعِيدُهُ﴾ أي: الخلقَ كما بدأه. ﴿إنَّ ذلِكَ﴾ المذكورَ من الخلق الأوّل والثاني ﴿علَى اللهِ يَسِيرٌ﴾. فكيف يُنكرون الثاني؟

٢٠ ـ ﴿قُلْ: سِيرُوا في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ بَدَأَ الخَلقَ﴾ لِمن كان قبلكم وأماتهم؟ ﴿ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشاءَةَ الآخِرةَ﴾، مدًّا،..

قولُه: (الإِبْلَاغُ) أي: التَّبليغُ المبينُ الَّذي يَزولُ معه الشَّكُّ، وما عليه أن يُصدَّقَ أو يُكذَّبَ.

قولُه: (والتَّاءِ) الخطابُ لحمزةَ والكسائيِّ وأبي بكرٍ[1] على تقديرِ: قُلْ، أو: قالَ لهم رَسولُهُم.

قولُه: (هُوَ) لا وجهَ لتقديرِه[2].

قولُه: (وقُرِئَ) شاذًّا (بِفَتْحِهِ) أي: بفتحِ الياءِ أو فتحِ الدَّالِ[3].

قولُه: (بِمَعنًى) واحِدٍ.

قولُه: (ابتِدَاءً) مِن مادَّةٍ وغَيرِها.

قولُه: (هُوَ) مُشعِرٌ بأنَّ ما بعدَهُ عطفٌ على: ﴿يُبْدِئُ﴾، ومنعَهُ القاضي بأنَّ الرُّؤيةَ ولو عِلْميَّةً غيرُ واقعةٍ عليه، بل معطوفٌ على: ﴿أَوَلَمْ يَرَوا﴾[4]، وكانَ يمكنُ حَمْلُ كلامِ المصنِّفِ عليه لولا تقديرُهُ: «هو» أوَّلاً[5].

قولُه: (مَدًّا) يعني: مع فتحِ الشِّينِ للمكِّيِّ والبصريِّ[6].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٨).

(٢) وليس في النسخ المعتمدة في المتن، ولم يظهر لي مكانه، ولعله مقحم من الناسخ في نسخ الشارح.

(٣) أي: (يَبْدَأ). انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١١٦) عن للزهري.

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٩١). وسبقه إلى هذا الزمخشري في «الكشاف»، فتعقبه الطيبي بقول صاحب «المطلع»: وإن جعلتَ الرُّؤيةَ بمعنى العِلْمِ لِتَمكُّنِهم من تَحصيله بالبحث عن دلائله والاستدلالِ بها، فلا حاجةَ إلى هذا التَّكلفِ في التَّفصِّي عن عُهدة العَطفِ.

وبقول صاحب «الانتصاف» أيضًا: ولقائلٍ أن يقول: وإنْ لم تقعِ الرُّؤيةُ عليه إلاّ أنّها إخبار الله وهي كالماتيِّ به، فعُومِلَت معاملةَ الماتيِّ به. انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٥٥)، و«الانتصاف» (٣/ ٤٤٨)، وعبارة «الانتصاف»: ولقائل أن يقول: هي وإن لم تقع إلا أنها بإخبار الله تعالى بوقوعها كالواقعة المرئية، فعوملت معاملة ما رئي وشوهد إلا أنَّ جَعْله خبراً ثانيا أوضح.

(٥) وقد ذكرنا أنه لا وجود لـ(هو) أولًا في نسخنا من المتن، وعليه فيمكن حمل الكلام على ما عدَّه الشارح ممتنعاً.

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٨).

وقصرًا مع سكون الشين. ﴿إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، ومنه البدءُ والإعادة، ٢١ ـ ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشاءُ﴾ تعذيبَه، ﴿ويَرحَمُ مَن يَشاءُ﴾ رحمتَه، ﴿وإلَيهِ تُقلَبُونَ﴾: تُردّون، ٢٢ ـ ﴿وما أنتُم بِمُعجِزِينَ﴾ ربّكم عن إدراككم ﴿في الأرضِ ولا في السَّماءِ﴾ ـ لو كنتم فيها، أي: لا تفوتونه ـ ﴿وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مِن وَلِيٍّ﴾ يمنعكم منه ﴿ولا نَصِيرٍ﴾: ينصركم من عذابه. ٢٣ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ ولِقائِهِ﴾ أي: القُرآنِ والبعث ﴿أُولئِكَ يَئِسُوا مِن رَحْمتِي﴾ أي: جنّتي، ﴿وأُولئِكَ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم.

قال تعالى في قصة إبراهيم: ٢٤ ـ ﴿فما كانَ جَوابَ قَومِهِ إلاّ أن قالُوا: اقتُلُوهُ أو حَرِّقُوهُ. فأنجاهُ اللهُ مِنَ النّارِ﴾ التي قذفوه فيها بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ أي: إنجائه منها ﴿لَآياتٍ﴾ هي عدمُ تأثيرها فيه مع عِظَمِها، وإخمادُها وإنشاءُ روض مكانها في زمنٍ يسير، ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾: يصدّقون بتوحيد الله وقُدرته لأنهم المنتفعون بها.

قولُه: (فِيهَا) أي: السَّماءِ.

قولُه: (أي: لا تَفُوتُونَهُ) إن فرَرتُم من قضائِهِ بالتَّواري في الأرضِ أو التَّحصُّنِ في السَّماءِ.

وقيل: ولا مَن في السَّماءِ؛ كقولِ حسَّانَ:

أَمَــنْ يَهْجُــو رَسُــوْلَ اللهِ مِنْكُم ... ويَمْدَحُــهُ ويَنْصُــرُهُ سَــوَاءُ[1]

ويُقدَّرُ: مَن؛ لأنَّ مَن يمدحُ غيرُ مَن يهجو، فلا بُدَّ من تكرارِ الموصولِ.

قولُه: (مِنْ عَذَابِهِ) أي: بلاءٍ يظهَرُ من الأرضِ، أو ينزلُ من السَّماءِ.

قولُه: (أي: القُرآنِ) أو: بدلائلِ وَحدانيَّتِهِ، أو: بكُتُبِهِ.

قولُه: (والبَعْثِ) تفسيرُ اللِّقاءِ.

قولُه: (أي: جَنَّتِي) لإنكارِهِم البَعْثَ، أو: يَئسوا من رحمَتِي يومَ القيامةِ، فعبَّرَ عنه بالماضِي للتَّحقيقِ والمبالغةِ.

قولُه تعالى: (﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾) أي: قالَ بعضُهم، حتَّى لا يلزمَ اتِّحادُ الآمرِ والمأمورِ، لكنْ لمَّا قيلَ في ما بينهُم أو رَضيَ به الباقونَ أُسندَ إلى كلِّهِم، كذا قيل، وخطرَ ببالي أنَّه مبالغةٌ كأنَّ كلَّ واحدٍ آمرٌ ومأمورٌ مع إمكانِ الوقوعِ، و﴿أو﴾ للتَّنويعِ، أو بمعنَى: بل.

قولُه: (فِي زَمَنٍ) قَيدٌ للأخيرينِ.

---

(١) انظر: «ديوانه» (ص: ٢٠).

٢٥ ـ ﴿وقالَ﴾ إبراهيم: ﴿إنَّ ما اتَّخَذتُم مِن دُونِ اللهِ أوثانًا﴾ تعبدونها ـ وما: مصدريّة ـ ﴿مَوَدّةُ بَيْنِكُم﴾: خبرُ «إنّ»، وعلى قراءة النصب مفعول له وما: كافّة. المعنى: توادَدتم على عِبادتها، ﴿في الحَياةِ الدُّنيا، ثُمَّ يَومَ القِيامةِ يَكفُرُ بَعضُكُم بِبَعضٍ﴾: يتبرّأ القادةُ من الأتباع، ﴿ويَلعَنُ بَعضُكُم بَعضًا﴾: يلعن الأتباعُ القادةَ، ﴿ومأواكُمُ﴾: مصيركم جميعًا ﴿النّارُ، ومالَكُم مِن ناصِرينَ﴾: مانعين منها.

٢٦ ـ ﴿فآمَنَ لَهُ﴾: صدّقَ بإبراهيمَ ﴿لُوطٌ﴾ وهو ابن أخيه هارانَ، ﴿وقالَ﴾ إبراهيم: ﴿إنِّي مُهاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إلَى رَبِّيَ﴾ أي: إلى حيثُ أمرني ربّي. وهجرَ قومه وهاجر من سواد العِراق إلى الشام. ﴿إنَّهُ هُوَ العَزيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في خلقه. ٢٧ ـ ﴿ووَهَبْنا لَهُ﴾ بعد إسماعيلَ ﴿إسحاقَ ويَعقُوبَ﴾ بعد إسحاقَ، ﴿وجَعَلْنا في ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ ـ فكلُّ الأنبياء بعد إبراهيم من ذُرّيّته ـ ﴿والكِتابَ﴾..........

قولُه: (خَبَرُ ﴿إنَّ﴾) أو: خبرُ مبتَدأ محذوفٍ ـ أي: هي مودودَةٌ، أو سببُ مودَّةِ بينِكُم ـ والجملةُ صفةُ ﴿أوثانا﴾ و﴿ما﴾ كافَّةٌ.

قولُه: (قِرَاءَةِ النَّصْبِ) منوَّنةً مع نَصبِ (بينكُم) نافعٌ وشاميٌّ وشعبةُ، وغيرَ منوَّنةٍ معَ خفضِهِ: حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ[1].

قولُه: (مَفعُولٌ لَهُ) أي: لتتوادُّوا بينكم وتتواصَلوا؛ لاجتماعِكُم على عبادَتِها.

قولُه: (المَعْنَى) أي: حاصِلُهُ.

قولُه: (صَدَّقَ) هو أوَّلُ مَن آمنَ به.

قولُه: (ابنُ أَخِيهِ) بالتَّحتانيَّتَينِ، وأمَّا ضبطُهُ في البيضاويِّ بالفوقانيَّتَينِ[2]، فتصحيفٌ؛ لِمَا تقدَّمَ منهُ في الأعرافِ: أنَّ إبراهيمَ كان عمَّ لوطٍ عليهما السلام[3].

قولُه: (بعدَ إِسْحاقَ) فيه: أنَّ يعقوبَ هو ابنُ إسحاقَ، وبَعديَّتُه ضروريَّةٌ.

---

(١) وتفصيل القول: قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي (مودةُ) بالرفع من غير تنوين، مع خفض ﴿بينِكم﴾، وقرأ حفص وحمزة بالنصب من غير تنوين، مع خفض ﴿بينِكم﴾، وقرأ الباقون: (مودةً) بالنصب والتنوين، و(بينكم) بالفتح، انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٧٣)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٦٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» طبعة دار اللباب (١٠/ ٨٨). قال الشهاب في «عنايه القاضي وكفاية الراضي» (٧/ ٩٧): وقوله: «ابن أخته» هو رواية، ومرّ في الأعراف أنه عمّ لوط عليهما الصلاة والسلام، وهي رواية أخرى فلا تنافي بين كلاميه، وفي «جامع الأصول»: أنه ابن أخيه هاران بن تارح، وقد قيل: إنّ التاء الفوقية هنا تصحيف فيوافق ما في الأعراف فتأمّله.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٢٢). وانظر التعليق السابق.

بمعنى الكُتب، أي: التوراةَ والإنجيل والزَّبور والقرآن، ﴿وآتيناهُ أجرَهُ في الدُّنيا﴾، وهو الثناء الحسن في كُلّ أهل الأديان. ﴿وإنَّهُ في الآخِرةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العُلا.

٢٨ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿لُوطًا، إذ قالَ لِقَومِهِ: أإنَّكُم﴾ ـ بتحقيق الهمزتين وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ـ ﴿لَتأتُونَ الفاحِشَةَ﴾ أي: أدبارَ الرجال، ﴿ما سَبَقَكُم بِها مِن أحَدٍ مِنَ العالَمِينَ﴾: الإنسِ والجنّ؟ ٢٩ ـ ﴿أإنَّكُم لَتأتُونَ الرِّجالَ وتَقطَعُونَ السَّبِيلَ﴾: طريق المارّة بفِعلكم الفاحشةَ بمن يمرّ بكم، فترك الناسُ الممرَّ بكم، ﴿وتأتُونَ في نادِيكُمُ﴾ أي: مُتحدَّثِكم ﴿المُنكَرَ﴾: فِعلَ الفاحشة بعضُكم ببعض؟...

قولُه: (بِمَعنَى: الكُتُبِ) أي: إفرادُهُ للجنسِ.

وقولُه: (أي) يعني: المرادُ مِن الجنسِ.

قولُه: (العُلَا) أي: من الأنبياءِ؛ يعني: الكامِلينَ في الصَّلاحِ.

قولُه: (اذكُرْ) أو عَطْفٌ على: ﴿إبراهيمَ﴾، أو على ما عُطِفَ عليه.

قولُه: (بتَحقِيقٍ) حُقِّقَ مِراراً، وممَّا يُخصُّ بهذا الموضعِ: إخبارُ الأوَّلِ للحِرْميَّينِ والشَّاميِّ وحفصٍ، وإخبارُ الثَّاني للكلِّ[١].

قولُه: (أيْ: أَدبَارَ الرِّجَالِ) أي: الفعلةَ البالغةَ في القُبْحِ.

قولُه: (الإِنْسِ والجَنِّ) استئنافٌ مقرِّرٌ لفَحاشَتِها.

قولُه: (بفِعْلِكُم) وبالتَّعرُّضِ بالقتلِ وأخذِ المالِ.

قولُه: (مُتَحَدَّثِكُم) يعني: في مجالِسِكُم المملوءةِ بالنَّاسِ.

قولُه: (أي: فِعْلَ الفَاحِشِ) كالجماعِ، والضُّراطِ، وحلِّ الإزارِ، وحلِّ أزرارِ القباءِ، ولعلَّهُما[٢] محمولانِ على انكشافِ العورةِ والسُّخريةِ، والخذفِ، ورمي البنادقِ، والصَّفيرِ، ولعبِ الحَمامِ، وقيل: تطريفِ الأصابعِ بالحنَّاءِ، وزادَ في «الكشَّافِ»: السواك في المجالسِ[٣].

وقيل: المنكرُ: تركُ حُرمَةِ الأكابرِ.

وقالَ الجُنَيدُ: كلُّ ما يجتَمِعُ عليه النَّاسُ إلَّا الذِّكرَ فهو منكرٌ[٤].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٩٩).

(٢) «ولعلهما»؛ أي: حل الإزار وحل الأزرار.

(٣) انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٥٢).

﴿فما كانَ جَوابَ قومِهِ إلاّ أن قالُوا: ائتِنا بِعذابِ اللهِ، إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في استقباح ذلك وأن العذاب نازلٌ بفاعليه. ٣٠ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، انصُرْنِي﴾ بتحقيق قولي في إنزال العذاب ﴿علَى القَومِ المُفسِدِينَ﴾: العاصين بإتيان الرجال. فاستجاب الله دعاءه.

٣١ ـ ﴿ولَمّا جاءَت رُسُلُنا إبراهِيمَ بِالبُشرَى﴾ بإسحاق ويعقوب بعده ﴿قالُوا: إنّا مُهلِكُو أهلِ هذِهِ القَريَةِ﴾ أي: قريةِ لُوطٍ. ﴿إنَّ أهلَها كانُوا ظالِمِينَ﴾: كافرين. ٣٢ ـ ﴿قالَ﴾ إبراهيم: ﴿إنَّ فِيها لُوطًا. قالُوا﴾ أي الرسلُ: ﴿نَحنُ أعلَمُ بِمَن فِيها. لَنُنْجِيَنَّهُ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿وأهلَهُ إلاّ امرأتَهُ، كانَت مِنَ الغابِرِينَ﴾: الباقين في العذاب.

٣٣ ـ ﴿ولَمّا أن جاءتْ رُسُلُنا لُوطًا سِيْءَ بِهِم﴾: حَزِنَ بسببهم، ﴿وضاقَ بِهِم ذَرعًا﴾: صدرًا لأنهم حِسانُ الوجوه في صورة أضياف، ....

قولُه: (في اسْتِقبَاحِ ذَلِكَ) أو في دَعوى النُّبوَّةِ.

قولُه: (العَاصِينَ) قالَ الطِّيبيُّ: الكافرُ إذا وُصِفَ بالفسقِ أو الإفسادِ كانَ محمُولاً على عدوانِهِ في الكفرِ[1].

قولُه: (بِإتيَانِ) أي: بابتِداعِ الفاحشَةِ وسَنِّها فيمَن بعدَهُم.

قولُه: (بَعدَهُ) هذه البعديَّةُ في محلِّها، إذِ البِشارةُ بإسحاقَ متقدِّمَةٌ ومتوقِّفَةٌ.

قولُه: (أي: قَريَةِ لُوطٍ) يعني: سَدومَ.

قولُه: (كَافِرِينَ) عَاصينَ.

قولُه: (إبرَاهِيمُ) اعتراضاً عليهم بأنَّ فيها مَن لم يَظْلِم.

قولُه: (بالتَّخفِيْفِ) حمزةُ والكسائيُّ[2].

قولُه: (فِي العَذَابِ) أو القريَةِ.

قولُه: (حَزِنَ) أي: جاءَتهُ المساءَةُ والغَمُّ بسببهم مخافةَ أن يقصدَهُم قومُهُ بسوءٍ، و﴿أنْ﴾ صِلَةٌ لتأكيدِ الفعلينِ، واتِّصالِهما المدلولِ بكلمةِ ﴿لَمَّا﴾ كأنَّهما وقَعا معاً.

قولُه: (صَدْراً) هذا لازمُ معناهُ اللُّغويِّ وهو الطَّاقةُ، فالمعنى: ضاقَ بشأنِهم وتدبيرِ أمرِهِم طاقتُهُ.

= غير الذكر ولا يكون منكراً بل مباحا، بل واجباً كصلة الأرحام، والتباحث فيما يهم المسلمين أو يطرأ عليهم من أحداث عظيمة.

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٦٦).

(٢) هذا وما بعده انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٠).

فخاف عليهم قومه، فأعلموه بأنهم رُسل ربِّه، ﴿وقالُوا: لا تَخَفْ ولا تَحزَنْ. إنّا مُنَجُّوكَ﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿وأهلَكَ إلاّ امرأتَكَ، كانَت مِنَ الغابِرِينَ﴾. ونُصِبَ «أهلَكَ» عطفًا على محلّ الكاف. ٣٤ ـ ﴿إنّا مُنزِلُونَ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿علَى أهلِ هذهِ القَرْيةِ رِجْزًا﴾: عذابًا ﴿مِنَ السَّماءِ بِما﴾: بالفعل الذي ﴿كانُوا يَفسُقُونَ﴾ به، أي: بسبب فِسقهم. ٣٥ ـ ﴿ولَقَد تَرَكْنا مِنها آيةً بَيِّنَةً﴾: ظاهرة، هي آثار خرابها، ﴿لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون.

٣٦ ـ ﴿و﴾ أرسلنا ﴿إلَى مَدْيَنَ أخاهُم شُعَيبًا، فقالَ: يا قَومِ، اعبُدُوا اللهَ وارجُوا اليَومَ الآخِرَ﴾: اخشَوه ـ هو يوم القيامة ـ ﴿ولا تَعثَوا في الأرضِ مُفسِدِينَ﴾: حالٌ مُؤكِّدة لعاملها، من «عَثِيَ» بكسر المُثلّثة: أفسدَ، ٣٧ ـ ﴿فكَذَّبُوهُ فأخَذَتْهُمُ الرَّجْفةُ﴾: الزلزلة الشديدة، ﴿فأصبَحُوا في دارِهِم جاثِمِينَ﴾: باركين على الرُّكب ميّتين.

قولُه: (بالتَّشدِيدِ) نافعٌ وبصريٌّ وشاميٌّ وحفصٌ.

قولُه: (عَلَى مَحَلِّ الكَافِ) أي: باعتبارِ الأصلِ، فإنَّ الأصلَ كانَ: منجُّونَ إيَّاكَ، وإلَّا فموضِعُ الكافِ جرٌّ على المختارِ.

قولُه: (والتَّشدِيدِ) شاميٌّ.

قولُه: (بالفِعلِ) والأظهرُ: بسببِ فِسْقِهِم.

قولُه: (خَرَابِهَا) أي: القريةِ، إشارةٌ إلى أنَّ الآيةَ هي آثارُ الدِّيارِ الخَرِبَةِ، وقيلَ: هي حكايَتُها الشَّائعةُ[1].

قولُه: (﴿و﴾ أَرسَلْنَا) يعني: ﴿شعيباً﴾ منصوبٌ بالعطفِ على ﴿نوحاً﴾، أو بتقديرِه[2] لطولِ الفَصْلِ.

قولُه: (اخْشَوا) بفتحِ الشِّينِ؛ بمعنَى: خافوا.

قولُه: (هُوَ يَومُ القِيَامَةِ) لعلَّهُ دفعٌ لِمَا عسَى أن يُتَوَهَّم أنَّه يومُ عاقبةِ أمرِهم، وهو وقتُ العذابِ.

قولُه: (أَفسَدَ) العُثُوُّ: أشدُّ الفسادِ، فالمعنى: لا تزيدُوا في الفسادِ حالَ كونِهم مفسدينَ، أو: لا تفسِدوا حالَ كونِهم قاصدينَ الفسادَ.

قولُه: (الزَّلزَلَةُ) أو الصَّيحَةُ، ولا مَنْعَ من الجمعِ، ويمكنُ التَّوزيعُ.

قولُه: (بَارِكِينَ) و﴿دارِهم﴾: بلدِهِم، أو دورِهِم.

---

(١) في (ص): «السابقة».

(٢) أي: بتقدير: أرسلنا.

٣٨ ـ ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿عَادًا وَثَمُودَا﴾ ـ بصرف «ثمود» وتركِه بمعنى الحيّ والقبيلة، ﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم﴾ إهلاكُهم ﴿مِّن مَّسَاكِنِهِمْ﴾ بالحِجر واليمن ـ ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكُفر والمعاصي، ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾: سبيل الحقّ، ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾: ذوِي بصائرَ، ٣٩ ـ ﴿وَ﴾ أهلكنا ﴿قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، وَلَقَدْ جَاءَهُم﴾ من قبلُ ﴿مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ﴾: بالحُجج الظاهرات، ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ، وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾: فائتين عذابَنا.

٤٠ ـ ﴿فَكُلًّا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ـ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾: ريحًا عاصفة فيها حصباءُ كقوم لُوط،..

قولُه: (أَهلَكْنَا) يعني: ما بعدَهُ منصوبانِ بفعلٍ دلَّ عليه ما قبلَهُ، وهوَ ﴿أخذتهم الرجفة﴾، فالأظهرُ[1] إضمارُ: اذكُرْ.

قولُه: (وتَرْكِهِ) حمزةُ وحفصٌ[2].

قولُه: (إهلاكُهم) أشارَ إلى أنَّ فاعلَ: ﴿تَبَيَّنَ﴾ ضميرٌ، و﴿مِنْ﴾ للابتداءِ؛ أي: من جهةِ مساكنِهم إذا نظرْتُم إليها عند مُرورِكُم بها، والأظهرُ: أنَّ ﴿مِنْ﴾ تبعيضيَّةٌ فاعلٌ؛ أي: بعضُ مساكنِهم باليمنِ، ويؤيِّدُه قراءةُ الأخفشِ: (مساكنُهُمْ) بالرَّفعِ من غيرِ: ﴿مِنْ﴾[3].

قولُه: (ذَوِي بَصَائِرَ) أي: في نَفْسِ الأمْرِ، أو عندَ أنفسِهِم معجَبينَ برَأيِهِم، أو: مستَبصِرينَ بضلالِهِم لكنَّهُم لجُّوا.

قولُه: (أَهلَكْنَا) يعني: ما بعدَهُ معطوفُونَ على: ﴿عاداً﴾، وتقديمُ ﴿قارونَ﴾ لشرَفِ نسبِهِ، قلتُ: أو لعلمِهِ، فويلٌ للجاهلِ، وويلٌ للعالِمِ سبعَ مرَّاتٍ.

قولُه: (حَصْبَاءُ) ما يُحْصَبُ به، أو مَلَكاً رماهُم بها. وقالَ الصَّفويُّ: أي: ريحاً صرصراً تحملُ الحصباءَ فتلقيها عليهِم، وتقلعهُم من الأرضِ، ثمَّ تنكسُهُم على أمِّ رأسِهم فتشدَخُهم كأنَّهُم أعجازُ نخلٍ منقَعِرٍ، وهم قومُ عادٍ.

ثمَّ قالَ: ورُوِيَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ الأوَّلَ: قومُ لوطٍ، والرَّابعَ: قومُ نوحٍ[4]، والأظهرُ: ما ذكَرنا؛ لأنَّه ذكرَ

---

(١) كذا في الأصول، ولعل الأولى: «والأظهر» بالواو، ولعله استظهره لتقديم البيضاوي إياه على الوجه السابق.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٣٧).

(٣) كذا في الأصول، والصواب: الأعمش، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٧٢).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٦، ٣٧) من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما.

﴿ومِنهُم مَن أخَذَتْهُ الصَّيحةُ﴾ كثمود، ﴿ومِنهُم مَن خَسَفْنا بِهِ الأرضَ﴾ كقارون، ﴿ومِنهُم مَن أغرَقْنا﴾ كقوم نُوح وفِرعونَ وقومه ـ ﴿وما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم﴾ فيُعذِّبَهم بغير ذنب، ﴿ولكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

٤١ ـ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ أَولِياءَ﴾ أي: أصنامًا يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ العَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيتًا﴾ لنفسها تأوي إليه، ﴿وإنَّ أوهَنَ﴾: أضعفَ ﴿البُيُوتِ لَبَيتُ العَنكَبُوتِ﴾، لا يدفع عنها حرًّا ولا بردًا. كذلك الأصنام لا تنفع عابديها. ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها.

٤٢ ـ ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ ما﴾ بمعنى: الذي ﴿يَدعُونَ﴾: يعبدون ـ بالياء والتاء ـ ﴿مِن دُونِهِ﴾: غيرَه ﴿مِن شَيءٍ، وهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه. ٤٣ ـ ﴿وتِلكَ الأمثالُ﴾ في القُرآنِ ﴿نَضرِبُها﴾:

قبلَهُ عاداً وثموداً، وقارونَ وفرعونَ، فيكونُ من بابِ اللَّفِّ والنَّشرِ، وقد مرَّ إهلاكُ قومِ لوطٍ بالزَّجرِ من السَّماءِ، ولم يَطُلِ الفصْلُ، قالَ بعضُ المحدِّثينَ[١]: الرِّوايةُ منقطعةٌ عنِ ابنِ عبَّاسٍ[٢]، انتهى.

قلتُ: الجمعُ ممكنٌ كما جُمِعَ بين قومِ نوحٍ وفرعونَ، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (كَثَمُودَ) وقالَ القاضي: كمَدينَ وثمودَ[٣].

قولُه: (فَيُعَذِّبَهُم) أي: ليعاملَهُم معاملةَ الظَّالمِ، إذ ليسَ ذاكَ من عادتِه تعالى.

قولُه: (أَصنَاماً) قيل: المرادُ: سِوى المولى.

قولُه: (يَرْجُونَ نَفعَهَا) وكذلكَ: خوفَ الضُّرِّ، لكن اقتصرَ على الأوَّلِ لمناسبةِ المَثَلِ.

قولُه: (تَأْوِي إليهِ) يعني: بل ذاكَ أوهنُ، فإنَّ لهذا حقيقةً وانتِفاعاً ما.

قولُه: (بِمَعنَى: الَّذي) وعائدُهُ محذوفٌ.

قولُه: (بالياءِ) الغيبةُ بصريٌّ وعاصمٌ[٤].

قولُه: (والتَّاءِ) أي: قُلْ للكَفَرةِ.

قولُه: (في القُرآنِ) أي: هذا المَثَلُ ونظائرُهُ.

---

(١) منهم ابن كثير، انظر: «تفسيره» (٦/ ٢٧٩).

(٢) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» (٣/ ٢٨١).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ١٩٥).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠١).

نجعلها ﴿لِلنّاسِ، وما يَعقِلُها﴾ أي: يفهمها ﴿إلاّ العالِمُونَ﴾: المُتدبِّرون. ٤٤ ـ ﴿خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾ أي: مُحقًّا. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآيَةً﴾: دالّة على قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لِلمُؤمِنِينَ﴾. خُصّوا بالذكر لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

٤٥ ـ ﴿اتلُ ما أُوحِيَ إلَيكَ مِنَ الكِتابِ﴾: القُرآنِ، ﴿وأقِمِ الصَّلاةَ ـ إنَّ الصَّلاةَ تَنهَى عَنِ الفَحشاءِ والمُنكَرِ﴾ شرعًا، أي: من شأنها ذلك ما دام المرء فيها،..........................

قولُه: (نَجْعَلُهَا) أو نبيِّنُها تقريباً لِمَا بَعُدَ منَ الأفهامِ.

قولُه: (يَفهَمُهَا) أو: لا يعقلُ حُسنَها وفائدتَها على إضمارِ المضافِ.

قولُه: (المُتَدَبِّرُونَ) وعنهُ عليه السَّلامُ أنَّه تلا هذهِ الآيَةَ فقالَ: «العالِمُ مَنْ عَقِلَ عنِ اللهِ، فعمِلَ بطاعتِهِ واجتنبَ سخطَهُ» رواهُ محيي السُّنَّةِ[1].

قولُه: (فِي الإِيمَانِ... إلخ) تطويلٌ بلا فائدةٍ.

قولُه: (القُرآنِ) و﴿اتْلُ﴾ بمعنى: اقرَأ، أو اتَّبِع.

قولُه: (فِيهَا) وكذا خارجَها ببركتِها غالباً من حيثُ إنَّها تُذكِّرُ اللهَ، وتورثُ للنَّفسِ خشيتَهُ، أو مواظبتُها تحملُ على تركِ ذلك، وفي الحديثِ: «مَنْ لم تنهَهُ صلاتُهُ عنِ الفحشاءِ والمنكرِ لمْ يزدَدْ مِنَ اللهِ إلَّا بُعْداً» رواهُ الإمامُ أحمدُ[2].

أو مراعاتُها تجرُّهُ إلى الانتهاءِ، وفي الحديثِ: قيلَ له عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: إنَّ فلاناً يصلِّي باللَّيلِ فإذا أصبحَ سرقَ! قالَ: «سينهاهُ ما تقولُ» رواهُ ابنُ أبي حاتمٍ والطَّبرانيُّ وابنُ جريرٍ[3]،..............

---

(١) رواه البغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٥٥٨) (١٦٢٣). ورواه أيضاً داود بن المحبر في كتاب «العقل» كما في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٧)، وعنه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨٣٧ ـ زوائد الهيثمي)، ومن طريق الحارث رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٢٠)، والبغوي في الموضع المذكور، ونقل ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٦) عن الدارقطني قوله: كتاب «العقل» وضعه أربعة: أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر فركَّبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، فسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أُخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي، فأتى بأسانيد أخر.

(٢) رواه أحمد في «الزهد» (١٤٩٢) بنحوه، من قول الحسن.

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٤٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٥٤) (١١٠٢٥)، والقضاعي في «مسنده» (٥٠٩) من حديث ابن عباس مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٨): فيه ليث بن أبي سليم وهو ثقة ولكنه مدلس.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤١) عن الحسن مرسلاً.

(٣) كذا قال، ولم أجده عندهم ولعله سبق نظر فهم ممن أخرج الحديث المتقدم، ورواه أحمد في «مسنده» (٩٧٧٨)، والبزار في =

﴿ولَذِكرُ اللهِ أكبرُ﴾ من غيره من الطاعات، ﴿واللهُ يَعلَمُ ما تَصنعُونَ﴾ فيُجازيكم به ـ ٤٦ ـ ﴿ولا تُجادِلُوا أهلَ الكِتابِ إلاّ بِالَّتِي﴾ أي: بالمُجادلة التي ﴿هِيَ أحسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والتنبيه على حُججه، ﴿إلاّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُم﴾ بأن حاربوا وأبَوا أن يُقرّوا بالجِزية، فجالِدوهم بالسيف حتّى يُسلموا أو يُعطوا الجِزية، ﴿وقُولُوا﴾ لمن قَبِلَ الإقرار بالجِزية إذا أخبروكم بشيء ممّا في كُتبهم: ﴿آمَنّا بِالَّذِي أُنزِلَ إلَينا وأُنزِلَ إلَيكُم﴾ ـ ولا تُصدّقوهم ولا تُكذّبوهم في ذلك ـ ﴿وإلـٰهُنا وإلـٰهُكُم واحِدٌ، ونَحنُ لَهُ مُسلِمُونَ﴾: مُطِيعون.

٤٧ ـ ﴿وكَذلِكَ أنزَلْنا إلَيكَ الكِتابَ﴾: القُرآنَ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها. ﴿فالَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ﴾: التوراةَ كعبدالله بن سلام وغيره ﴿يُؤمِنُونَ بِهِ﴾: بالقرآن، ﴿ومِن هؤُلاءِ﴾..............

وهو قولُ أكثرِ السَّلفِ[١]، وأمّا ما اختارَهُ الشَّيخُ فهو قولُ ابنِ عونٍ[٢].

قولُه: (مِنَ الطَّاعَاتِ) أو: لَلصَّلاةُ ـ لاشتمالِها على ذكرِهِ ـ أكبرُ من سائرِ العباداتِ، أو: لَذِكرُ اللهِ إيّاكُم برحمتِهِ أكبرُ من ذكرِكُم إيّاهُ بطاعتِهِ، وهذا المعنى في «الدُّرِّ» بطرقٍ كثيرةٍ مرفوعاً وموقوفاً[٣].

قولُه: (بالمُجَادَلَةِ) أو: بالخصلةِ؛ كمعارضةِ الخشونةِ باللِّينِ.

قولُه: (لِمَنْ قَبِلَ الإقرَارَ بالجِزْيَةِ) حقُّ العبارةِ: لمن قَبِلَ الجزيةَ، والصَّوابُ: الإطلاقُ؛ لإطلاقِ الآيةِ، والحديثِ الصَّحيحِ في البخاريِّ وغيرِهِ: «لا تصدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تكذِّبُوهُم ﴿وقولُوا آمَنَّا...﴾ [البقرة: ١٣٦] الآيةَ»[٤].

قولُه: (مُطِيعُونَ) خاصَّةً.

قولُه: (وغيرِهِ) الذين أسلموا بالمدينةِ، والسُّورةُ مكِّيَّةٌ، فهو إعلامٌ من اللهِ تعالى لرسولِهِ، ودخولُ الفاءِ باعتبارِ الإعلامِ، أو المرادُ: مَن تقدَّمَ عهدَ الرَّسولِ مِن أهلِ الكتابِ.

= «مسنده» (٩٢١٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٠٥٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٨): رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٤١).

(٢) رواه عن ابن عون الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٤٥).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٦٦، ٤٦٧).

(٤) رواه البخاري: (٤٤٨٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٦١٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أي: أهل مكّة ﴿مَن يُؤمِنُ بِهِ، وما يَجحَدُ بِآياتِنا﴾ بعد ظهورها ﴿إلاّ الكافِرُونَ﴾ أي: اليهودُ. وظهر لهم أنّ القُرآن حقّ والجائي به مُحِقٌّ، وجحدوا ذلك. ٤٨ ـ ﴿وما كُنتَ تَتلُو مِن قَبلِهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿مِن كِتابٍ، ولا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ. إذًا﴾ أي: لو كنت قارئًا كاتبًا ﴿لارتابَ﴾: شكّ ﴿المُبطِلُونَ﴾ اليهودُ فيك، وقالوا: «الذي في التوراة أنه أُمّيٌّ لا يقرأ ولا يكتب». ٤٩ ـ ﴿بَل هُوَ﴾ أي: القُرآن الذي جئتَ به ﴿آياتٌ بيِّناتٌ، في صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾ أي: المؤمنين يحفظونه، ﴿وما يَجحَدُ بِآياتِنا إلاّ الظّالِمُونَ﴾: اليهودُ. وجحدوها بعد ظهورها لهم.

٥٠ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة: ﴿لَولا﴾: هلاّ ﴿أُنزِلَ علَيهِ﴾: على مُحمّدٍ ﴿آيَةٌ مِن رَبِّهِ﴾ ـ وفي قراءةٍ: «آياتٌ» ـ كناقةِ صالح وعصا موسى ومائدة عيسى. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إنَّما الآياتُ عِندَ اللهِ﴾ يُنزِلها كما يشاء، ﴿وإنَّما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الإنذار بالنار.

٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿أوَلَم يَكفِهِم﴾ فيما طلبوا ﴿أنّا أنزَلْنا علَيكَ الكِتابَ﴾: القُرآن، ﴿يُتلَى علَيهِم﴾. فهو آية مُستمرّة لا انقضاء لها بخِلاف ما ذُكر من الآيات........................

قولُه: (أَهلِ مَكَّةَ) أو أهلِ الكتابِ ممَّن في عهدِ الرَّسولِ.

قولُه: (أي: اليَهُودُ) لا وجهَ للتَّخصيصِ، والصَّوابُ: كاليهودِ، والمعنى: المتوغِّلُونَ في الكفرِ.

قولُه: (اليَهُودُ) الصَّحيحُ: الإطلاقُ؛ يعني: لقالوا: تعلَّمَهُ أو التقطَهُ من كُتُبِ الأقدمينَ، وقيل: أهلُ الكتابِ، فلا وجهَ للتَّخصيصِ أيضاً.

قولُه: (يَحفَظُونَهُ) لا يقدرُ أحدٌ على تحريفِهِ.

قولُه: (أي: اليَهُودُ) يعني: وأمثالُهم المتوغِّلُونَ في الظُّلمِ بالمكابَرةِ.

قولُه: (أي: كُفَّارُ مَكَّةَ) وغيرُهم، ويدلُّ على العمومِ الأمثلةُ الآتيةُ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وبصريٍّ وشاميٍّ وحفصٍ[1].

قولُه: (بَيِّنُ) الأَولى: مُظهِرٌ إنذاري بما أُعطيْتُ من الآياتِ.

قولُه: (فِيمَا طَلَبُوا) من المقترَحاتِ.

قولُه: (بخِلافِ مَا ذُكِرَ) وفي الحديثِ: أنَّ ناساً من المسلمينَ جاؤوا بكُتُبٍ قد كَتَبوا فيها بعضَ ما سمِعوهُ من اليهودِ، فقالَ النَّبيُّ ﷺ: «كفَى بقومٍ حُمْقاً ـ أو ضلالةً ـ أنْ يرغبُوا عمَّا جاءَهُم بهِ نبيُّهُم إليهم

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠١).

﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ الكتابِ ﴿لَرَحمةً وذِكرَى﴾: عِظةً ﴿لِقَومٍ يُؤمِنُونَ. قُلْ: كَفَى بِاللهِ بَيني وبَينكُم شَهِيدًا﴾ بصدقي، ﴿يَعلَمُ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾، ومنه حالي وحالكم! ﴿والَّذِينَ آمَنُوا بِالباطِلِ﴾ ـ وهو ما يُعبد من دون الله ـ ﴿وكَفَرُوا بِاللهِ﴾ منكم ﴿أُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾ في صفقتهم حيثُ اشتَرَوُا الكُفر بالإيمان.

٥٣ ـ ﴿ويَستَعجِلُونَكَ بِالعذَابِ، ولَولا أجَلٌ مُسَمًّى﴾ له ﴿لَجاءَهُمُ العَذابُ﴾ عاجلاً، ﴿ولَيأتِيَنَّهم بَغتَةً، وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بوقت إتيانه. ٥٤ ـ ٥٥ ـ ﴿يَستَعجِلُونَكَ بِالعَذابِ﴾ في الدنيا، ﴿وإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطةٌ بِالكافِرِينَ يَومَ يَغشاهُمُ العَذابُ مِن فَوقِهِم ومِن تَحتِ أرجُلِهِم، ونَقُولُ﴾ فيه، بالنون أي: نأمر بالقول، وبالياء أي: «يَقُولُ» أي: المُوكَّلُ بالعذاب: ﴿ذُوقُوا ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ أي: جزاءه. فلا تفوتوننا.

٥٦ ـ ﴿يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ أرضِي واسِعةٌ. فإيّايَ فاعبُدُونِ﴾ في أيّ أرض تيسَّرت فيها العِبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسّر فيها. نزل في ضُعفاء مسلمي مكّة، كانوا في ضيق من إظهار الإسلام بها..

إلى ما جاءَ بِهِ غيرُهُ إلى غيرِهِم» فنزلَت، كذا في «الدُّرِّ»[1].

قولُه: (بِصِدْقِي) وقد صدَّقَني بالمعجِزاتِ.

قولُه: (لَهُ) أي: للعَذابِ؛ يعني: لكلِّ عذابٍ أو قومٍ.

قولُه: (بالنُّونِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ[2].

قولُه: (نَأْمُرُ) أو بلا واسطةٍ.

قولُه: (المَلَكُ)[3] أو اللهُ.

قولُه: (فلا تَفُوتُونَنَا) بالغيبةِ.

قولُه: (بِهَا) أي: بمكَّةَ، وأمَّا اليومَ ـ بحمدِ اللهِ ـ فكما في «المدارِكِ»: قالوا: لم نجدْ أعونَ على قهرِ النَّفسِ، وأجمعَ للقلبِ، وأحثَّ على القناعةِ، وأطردَ للشَّيطانِ، وأبعدَ منَ الفِتَنِ، وأظهرَ لأمرِ الدِّينِ، من مكَّةَ حرسَها اللهُ[4].

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٧١). والحديث رواه الدارمي في «السنن» (٤٩٥)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٣٨٠) عن يحيى بن جعدة مرسلاً.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠١).

(٣) لم أقف عليها في المتن، والظاهر أن موضعها قبل كلمة: «الموكَّلُ».

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٦٨٣).

٥٧ ـ ﴿كُلُّ نَفسٍ ذائقةُ المَوتِ، ثُمَّ إلَينا تُرجَعُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ بعد البعث.

٥٨ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم﴾: نُنزِلنّهم ـ وفي قراءة بالمُثلّثة بعد النون، من الثُّوِيّ: الإقامة، وتعديتُه إلى «غرفًا» بحذف «في» ـ ﴿مِنَ الجَنّةِ غُرَفًا، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، خالِدِينَ﴾: مُقدّرين الخُلودَ ﴿فِيها، نِعمَ أجرُ العامِلِينَ﴾ هذا الأجرُ! ٥٩ ـ هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على أذى المُشركين والهِجرةِ لإظهار الدِّين، ﴿وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾، فيرزقهم من حيثُ لا يحتسبون.

٦٠ ـ ﴿وكَأيِّنْ﴾: كم ﴿مِن دابّةٍ، لا تَحمِلُ رِزقَها﴾ لضعفها، ﴿اللهُ يَرزُقُها وإيّاكُم﴾ ـ أيها المُهاجرون ـ إن لم يكن معكم زاد ولا نفقة! ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لقولكم ﴿العَلِيمُ﴾ بضميركم.

قولُه: (واليَاءِ) الغيبةَ لشعبةَ[١].

قولُه: (بَعدَ البَعْثِ) ومَن هذا عاقبتُهُ ينبغي أن يجتهدَ في الاستعدادِ له.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[٢].

قولُه: (مِنَ الثّوي) أي[٣]: الإثواءِ.

قولُه: (غُرَفًا) عَلاليَ.

قولُه: (هَذَا الأَجْرُ) يعني: المخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ دلَّ عليهِ ما قبلَهُ.

قولُه: (هُم) يعني: ما بعدَهُ مرفوعٌ على المدحِ، وجُوِّزَ نصبُه وجرُّه.

قولُه: (والهِجرَةِ) وغيرِهما[٤] من المحنِ والمشاقِّ.

قولُه: (لِضَعْفِهَا) أي: لا تطيقُ حملَهُ لضعفِها، أو: لا تدَّخِرُه، وإنَّما تصبحُ ولا معيشةَ عندَها.

قولُه: (أَيُّهَا المُهاجِرُونَ) التَّخصيصُ لكونِهم سببَ النُّزولِ، فإنَّهُم لمَّا أُمِرُوا بالهجرةِ قالَ بعضُهم: كيفَ نَقْدمُ بلدةً ليسَ لنا بها معيشَةٌ؟ فنزلَت[٥].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٢).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) في (د): «أصل».

(٤) في (ص): «وغيرها».

(٥) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢١/ ٨٥) بدون سند ولا راوٍ، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤١٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وروى ابن أبي الدنيا في «الجوع» (٣٠٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨١٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٨)، =

٦١ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سألتَهُم﴾ أي: الكُفَّار: ﴿مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ. فأنَّى يُؤفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن توحيده، بعد إقرارهم بذلك؟ ٦٢ ـ ﴿اللهُ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسِّعه ﴿لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾ امتحانًا، ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيِّقه ﴿لَهُ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاءً. ﴿إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾، ومنه محلّ البسط والتضييق.

٦٣ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سألتَهُم: مَن نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأحيا بِهِ الأرضَ مِن بَعدِ مَوتِها؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ﴾. فكيف يُشركون به؟ ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الحَمدُ لِلهِ﴾ على ثُبوت الحُجّة عليكم. ﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ﴾ تناقُضَهم في ذلك، ٦٤ ـ ﴿وما هذهِ الحَياةُ الدُّنيا إلاّ لَهوٌ ولَعِبٌ﴾، وأمّا القُرَب فمن أُمور الآخرة لظُهور ثمرتها فيها، ﴿وإنَّ الدّارَ الآخِرةَ لَهِيَ الحَيَوانُ﴾ بمعنى: الحياة. ﴿لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ ذلك ما آثروا الدنيا عليها.

قولُه: (لامُ قَسَمٍ) أي: موطِّئةٌ له.

قولُه: (أي: الكُفَّارَ) الظَّاهرُ: أنَّ المسؤولَ عنهُم كفَّارُ مكَّةَ.

قولُه: (ابتِلاءً) قيدٌ لـ﴿يَقْدِرُ﴾.

قولُه: (مَحَلُّ البَسْطِ) وقَدْرُهُ وزمانُهُ ونوعُهُ.

قولُه: (لامُ قَسَمٍ) مقدَّرٍ[1].

قولُه: (يُشرِكُونَ بِهِ) بعضَ مخلوقاتِهِ الَّذي لا يقدرُ على شيءٍ من ذلك.

قولُه: (بِمَعنَى: الحَيَاةِ) أي: الحقيقيَّةِ.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: حَقَّ العِلمِ.

قولُه: (مَا آثَرُوا) وفي الحديثِ مرفوعاً: «يا عَجَباً كلَّ العجبِ للمصدِّقِ بدارِ الحَيَوانِ وهو يسعى لدارِ الغرورِ» ذكرَهُ في «الدُّرِّ»[2].

= وأبو الشيخ في «أخلاق النبي وآدابه» (٨٧٩)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٣) عن ابن عمر قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلقط من التمر ويأكل، فقال: «يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟» فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله، فقال: «لكني أشتهيه، وهذه صبيحة رابعة ما ذقت طعاماً، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم، ويضعف اليقين؟» قال: فوالله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾.

(١) في (م): «تقدم».

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٧٦).

٦٥ ـ ﴿فإذا رَكِبُوا في الفُلكِ دَعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاءَ، أي: لا يدعون معه غيره لأنهم في شدّة لا يكشفها إلاّ هو، ﴿فلَمّا نَجّاهُم إلَى البَرِّ إذا هُم يُشرِكُونَ﴾ به، ٦٦ ـ ﴿لِيَكفُرُوا بِما آتيناهُم﴾ من النِّعمة، ﴿ولِيَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعهم على عِبادة الأصنام. وفي قراءة بسكون اللام: أمرُ تهديد. ﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ عاقبةَ ذلك. ٦٧ ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ﴿أنّا جَعَلْنا﴾ بلدهم مكّة ﴿حَرَمًا آمِنًا، ويُتَخَطَّفُ النّاسُ مِن حَولِهِم﴾ قتلاً وسبيًا دونهم؟ ﴿أفبِالباطِلِ﴾: الصنم ﴿يُؤمِنُونَ، وبِنِعْمةِ اللهِ يَكفُرُونَ﴾ بإشراكهم؟

٦٨ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّنِ افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به، ﴿أو كَذَّبَ بِالحَقِّ﴾: النبيِّ أو الكتابِ ﴿لَمّا جاءَهُ؟ ألَيسَ في جَهَنَّمَ مَثوًى﴾: مأوًى ﴿لِلكافِرينَ﴾؟ أي: فيها ذلك وهو منهم. ٦٩ ـ ﴿والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا﴾: في حقّنا ﴿لَنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا﴾ أي: طُرقَ السير إلينا، ﴿وإنَّ اللهَ لَمَعَ المُحسِنِينَ﴾: المُؤمنين بالنصر والعون.

قولُه: (مِنَ النِّعمَةِ) أي: نعمةِ النَّجاةِ وغيرِها.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لقالون ومكِّيٍّ وحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (أَمرُ تَهْدِيدٍ) وكذا بالكسرِ، وقيلَ: إنَّهُ لامُ كي.

قولُه: (بِأَنْ أَشرَكَ بِهِ) أو أثبتَ له ولدًا ونحوَهُ.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: المأوى.

قولُه: (وَهُوَ) أي: مَن افترى.

قولُه: (فِي حَقِّنَا) يعمُّ الجهادَ الأصغرَ والأكبرَ.

قولُه: (طُرُقَ السَّيرِ) والوصولِ إلى جنابِنا، وفي الحديثِ: «مَنْ عملَ بمَا عَلِمَ ورَّثَهُ اللهُ علمَ مَا لمْ يعلمْ»[2].

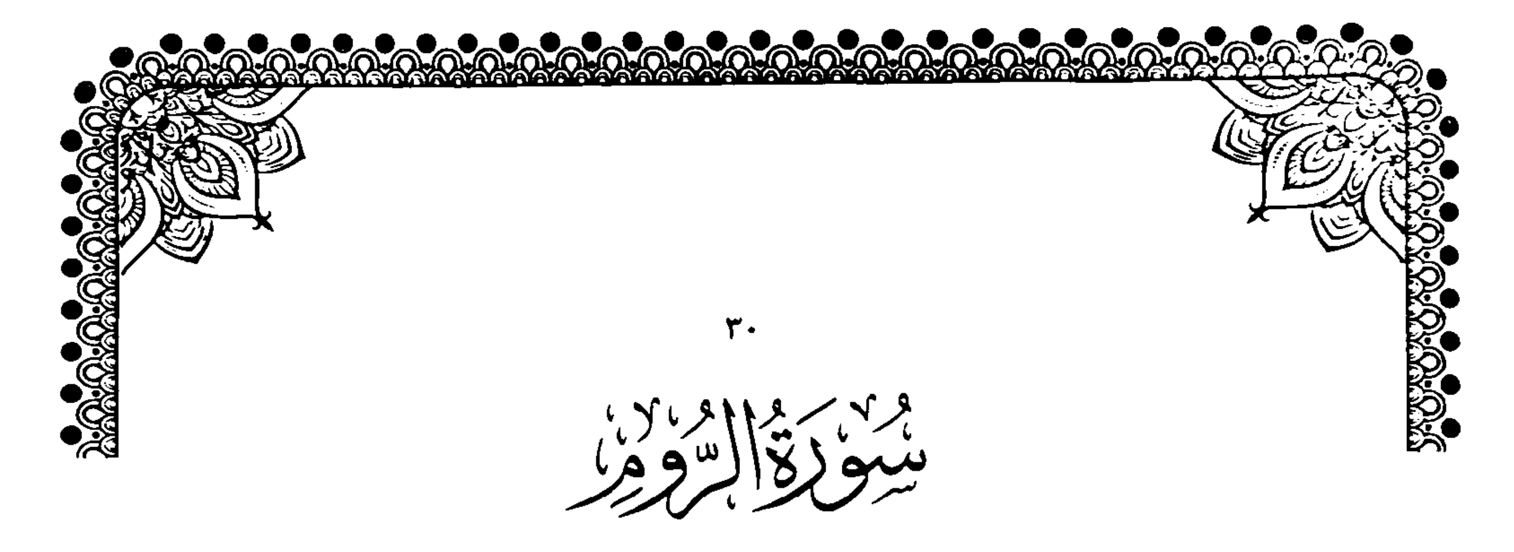
قولُه: (والعَونِ) في جهادِهِم واجتهادِهِم، واللهُ أعلمُ.

***

= والحديث رواه ابن أبي الدنيا في «الزهد» (١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٥٦) عن أبي جعفر، مرسلاً.

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٢).

(٢) رواه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٥) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال أبو نعيم: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين، عن عيسى ابن مريم عليه السلام فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.



مكية، وهي ستون أو تسع وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ـ وهم أهل الكِتاب ـ غلبتْها فارسُ وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان، ففرح كُفّار مكّة بذلك، وقالوا للمُسلمين: «نحن نغلبُكم كما غَلبتْ فارسُ الرومَ»، ٣ ـ ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ أي: أقربِ أرض الروم إلى فارسَ بالجزيرة، التقى فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرسُ، ﴿وهُم﴾ أي: الروم ﴿مِن بَعدِ غَلَبِهِم﴾ ـ أُضيفَ المصدر إلى المفعول ـ أي: غلبةِ فارسَ إياهم ﴿سَيَغلِبُونَ﴾ فارسَ ٤ ـ ٥ ـ ﴿فِي بِضعِ سِنِينَ﴾ هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر. فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغَلبَتِ الرومُ فارسَ ـ ﴿لِلهِ الأمرُ مِن قَبلُ ومِن بَعدُ﴾ أي: من قبلِ غَلَبِ الروم ومن بعده. المعنى: أنّ غلبةَ فارسَ أوّلاً وغلبةَ الرومِ ثانيًا بأمر الله، أي: إرادته ـ ﴿ويَومَئِذٍ﴾ أي: يومَ تغلب الرومُ ﴿يَفرَحُ المُؤمِنُونَ بِنَصرِ اللهِ﴾..............................

سورة الروم

قولُه: (وَلَيْسُوا) أي: فارسَ.

قولُه: (بذَلِكَ) أي: الغَلَبِ.

قولُه: (بالجَزِيرَةِ) وقيلَ: من أقربِ أرضِ العربِ إلى الرُّومِ؛ لأنّها المعهودةُ عندَهم في طرفِ الشَّامِ.

قولُه: (تَغلِبُ) معلومٌ.

إيّاهم على فارسَ. وقد فرحوا بذلك، وعلموا به يومَ وقوعه يومَ بدر بنزول جبريل بذلك فيه، مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه. ﴿يَنصُرُ مَن يَشاءُ، وهُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

٦ ـ ﴿وَعْدَ اللهِ﴾: مصدرٌ بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَدَهم اللهُ النصرَ، ﴿لا يُخلِفُ اللهُ وَعدَهُ﴾ به، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ وعدَه ـ تعالى ـ بنصرهم، ٧ ـ ﴿يَعلَمُونَ ظاهِرًا مِنَ الحَياةِ الدُّنيا﴾ أي: معايشَها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك، ﴿وهُم عَنِ الآخِرةِ هُم غافِلُونَ﴾. أعاد «هم» تأكيدًا. ٨ ـ ﴿أوَلَم يَتَفَكَّرُوا في أنفُسِهِم﴾ ليرجِعوا عن غفلتهم: ﴿ما خَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلاّ بِالحَقِّ وأجَلٍ مُسَمًّى﴾؟..............................

قولُه: (إيّاهُم) أي: مَن له كتابٌ على مَن لا كتابَ له، لِمَا فيهِ من انقلابِ التَّفاؤلِ وظهورِ صِدْقِهِم فيما أخبَروا به المشركينَ.

قولُه: (يَومَ بَدرٍ) وقيلَ: يومَ الحديبيةِ.

قولُه: (مَعَ فَرَحِهِمْ) متعلِّقٌ بـ«فرحُوا».

قولُه: (بدل) لعلَّ معناهُ: أُقيمَ مقامَ فعلِهِ باللَّفظِ، وظاهرُ كلامِهِ أنَّه من اللَّفظِ المذكورِ، وقالَ القاضي: مصدرٌ مؤكِّدٌ لنفسِهِ؛ لأنَّ ما قبلَهُ في معنى الوعدِ[1].

قولُه: (بِهِ) أي: النَّصرِ وبغيرِه[2] الشَّاملِ للوعيدِ أيضاً.

قولُه: (كُفَّارِ مَكَّةَ) وغيرِها.

قولُه: (وَعْدَهُ) أي: صحَّةَ وعدِهِ.

قولُه: (وَغيرِ ذَلِكَ) عنِ الحسنِ في الآيةِ قالَ: لَيبلغُ مِن حِذْقِ أحدِهِم بأمرِ دنياهُ أنَّه يقلِّبُ الدِّرهمَ على ظفرِهِ فيخبِرُكَ بوزنِهِ وما يُحسِنُ يصلِّي، كذا في «الدُّرِّ»[3].

قولُه: (تَأكِيداً) لتكريرِ الإسنادِ سواءٌ يكونُ الضَّميرُ تكريراً لـ﴿هم﴾ الأوَّلِ، أو مبتدأً وخبرُهُ: ﴿غَافِلُونَ﴾ والجملةُ خبرُ الأوَّلِ.

قولُه: (عَن غَفْلَتِهِم) بإحداثِ التَّفكُّرِ ويعلموا.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٠٢).

(٢) في (ص): «وبضده».

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٤) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

قلت: رواه أيضاً أبو حاتم في «الزهد» (٦٦).

لذلك تفنى عِند انتهائه، وبعدَه البعثُ. ﴿وإنَّ كَثِيرًا مِنَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿بِلِقاءِ رَبِّهِم لَكافِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

٩ ـ ﴿أَوَلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأُمم، وهي إهلاكُهم بتكذيبهم رُسلَهم؟ ﴿كانُوا أَشَدَّ مِنهُم قُوَّةً﴾ كعادٍ وثمودَ، ﴿وأثارُوا الأرضَ﴾: حرثوها وقلبوها للزرع والغرس، ﴿وعَمَرُوها أكثَرَ مِمّا عَمَرُوها﴾ أي: كُفّارُ مكّة، ﴿وجاءَتهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالحُجج الظاهرات، ﴿فما كانَ اللهُ لِيَظلِمَهُم﴾ بإهلاكهم بغير جُرم، ﴿ولكِن كانُوا أنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رُسُلَهم، ١٠ ـ ﴿ثُمَّ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ أساؤُوا السُّوءَى﴾: تأنيث الأسوأ: الأقبح، خبرُ «كان» على رفع «عاقبةُ» واسمُ «كان» على نصب «عاقبةَ»، والمُراد بها جهنّم، وإساءتُهم ﴿أنْ﴾ أي: بأن............

قولُه: (لِذَلِكَ) أي: لِمَا ذُكِرَ من السّماواتِ وغيرِها.

قولُه: (يَفْنَى) أي: ما ذكرَ، ويجوزُ التّأنيثُ[١]، و(عِندَ انْتِهَائِهِ) أي: الأجلِ، فالمرادُ به: المدّةُ، لا غايتُها.

قولُه: (وبَعدَهُ البَعثُ) جملةٌ تقدّمَ خبرُها.

قولُه: (كعَادٍ وثَمُودَ) كانَ الرّجلُ بينَ منكبَيهِ مِيلٌ، كذا في «الدُّرِّ»[٢].

قولُه: (والغَرْسِ) واستنباطِ[٣] المياهِ واستخراجِ المعادنِ.

قولُه: (بالحُجَجِ) أي: المعجزاتِ، أو الآياتِ الواضحاتِ.

قولُه: (بِغَيرِ جُرمٍ) أي: ليعامِلَهُم معاملةَ الظَّلَمةِ فيدمِّرَهُم من غيرِ جرمٍ ولا تذكيرٍ؛ أي: ما كانَ من عادتِهِ ذلك.

قولُه: (بتَكْذِيبِهِمْ) فأدّى إلى تدميرِهِم.

قولُه: (عَلَى رَفعِ ﴿عَاقِبَةُ﴾) للحِرْميَّينِ والبصريِّ[٤].

قولُه: (جَهَنَّمُ) أو العقوبةُ السُّوأى.

قولُه: (وإسَاءَتُهم) إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿أَنْ كَذَّبُوا﴾ خبرُ مبتدأ محذوفٍ، أو إيماءٌ إلى أنَّ ﴿أَنْ﴾ مفسِّرةٌ.

قولُه: (أي: بِأَنْ) الظّاهرُ: أو بأنْ، فإنَّ أحدَ التّقديرينِ مستدركٌ، ويبعدُ أن تكونَ الباءُ بياناً لإساءتِهم المتقدمةِ مع إمكانِ أن يكونَ بياناً لـ﴿أساؤوا﴾ المذكورِ.

(١) وهكذا هو في نسخ المتن.

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٤، ٤٨٥)، وقال: أخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٣) في (د): «لاستنباط».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٦).

﴿كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ﴾: القُرآنَ ﴿وكانُوا بِها يَستَهزِئُونَ﴾.

١١ ـ ﴿اللهُ يَبدَأُ الخَلقَ﴾ أي: يُنشِئ خلق الناس، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: خَلْقَهم بعد موتهم، ﴿ثُمَّ إِلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ بالتاء والياء، ١٢ ـ ﴿ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ يُبلِسُ المُجرِمُونَ﴾: يسكتُ المُشركون لانقطاع حُجّتهم، ١٣ ـ ﴿ولَم يَكُنْ﴾ أي: لا يكون ﴿لَهُم مِن شُرَكائِهِم﴾ ممّن أشركوهم بالله ـ وهم الأصنام ليشفعوا لهم ـ ﴿شُفَعاءُ، وكانُوا﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكائِهِم كافِرِينَ﴾ أي: مُتبرّئين منهم.

١٤ ـ ﴿ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ يَومَئِذٍ﴾: تأكيدٌ ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ أي: المؤمنون والكافرون. ١٥ ـ ﴿فأَمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فهُم في رَوضةٍ﴾: جنّة ﴿يُحبَرُونَ﴾: يُسَرّون، ١٦ ـ ﴿وأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: القُرآنِ ﴿ولِقاءِ الآخِرةِ﴾: البعث وغيره ﴿فأُولئِكَ في العَذابِ مُحضَرُونَ﴾.

١٧ ـ ﴿فسُبحانَ اللهِ﴾ أي: سبِّحوا اللهَ بمعنى: صلُّوا ﴿حِينَ تُمسُونَ﴾ أي: تدخلون في المساء، وفيه صلاتان: المغربُ والعِشاء، ﴿وحِينَ تُصبِحُونَ﴾ تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصُّبح ـ ١٨ ـ ﴿ولَهُ الحَمدُ في السَّماواتِ والأرضِ﴾: اعتراضٌ ومعناه يحمده أهلهما ـ ﴿وعَشِيًّا﴾: عطف على «حينَ» وفيه صلاة العصر، ﴿وحِينَ تُظهِرُونَ﴾: تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر!

قولُه: (خَلْقَ النَّاسِ) جعلَ الخلقَ مصدراً، واللَّامَ بدلاً من المضافِ إليهِ، وما أحوجَهُ إلى ذلكَ؟ فـ﴿الخلقُ﴾ بمَعنى: المخلوقِ على عمومِهِ؛ هو الصَّوابُ.

قولُه: (والياءِ) الغيبةُ لبصريٍّ وشعبةَ[1]؛ يعني: إلى جزائِهِ.

قولُه: (أي: لا يَكُونُ) ومجيئُهُ بلفظِ الماضي لتحقُّقِهِ.

قولُه: (لِيَشْفَعُوا) حقُّهُ التَّأخيرُ عن ﴿شُفَعَاءُ﴾.

قولُه: (يَكُونُونَ) وقيلَ: كانوا في الدُّنيا كافرينَ بسببِهِم.

قولُه: (والكَافِرُونَ) عن قتادةَ: فُرْقةٌ لا اجتماعَ بعدها[2].

قولُه: (يُسَرُّونَ) سروراً تهلَّلَتْ له وجوهُهُم، وفي حديثٍ مرفوعٍ كما في «الدُّرِّ»: «الحَبرُ: اللَّذَّةُ والسَّماعُ»[3].

قولُه: (بِمَعنَى: صَلُّوا) أو بمعنى: نَزِّهوا، فهو خبرٌ معناهُ الأمرُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨١). وعزاه في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٥): لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٨٦) عن يحيى بن أبي كثير عن النبي ﷺ مرسلًا. وعزاه في «الدر المنثور» (٦/ ٤٨٦) لعبد بن حميد. ورواه الترمذي (٢٥٦٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٠٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٢)، عن يحيى بن أبي كثير من قوله.

١٩ ـ ﴿يُخرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيْتِ﴾ كالإنسانِ من النُّطفة والطائرِ من البيضة، ﴿ويُخرِجُ المَيْتَ﴾: النُّطفةَ والبيضة ﴿مِنَ الحَيِّ، ويُحيِي الأرضَ﴾ بالنبات ﴿بَعدَ مَوتِها﴾ أي: يُبسِها ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ الإخراجِ ﴿تَخرُجُونَ﴾ من القُبور، بالبناء للفاعل والمفعول ـ ٢٠ ـ ﴿ومِن آياتِهِ﴾ ـ تعالى ـ الدالّةِ على قُدرته ﴿أنْ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ﴾ أي: أصلَكم آدمَ، ﴿ثُمَّ إذا أنتُم بَشَرٌ﴾ من دم ولحم، ﴿تَنتَشِرُونَ﴾ في الأرض.

٢١ ـ ﴿ومِن آياتِهِ أن خَلَقَ لَكُم مِن أنفُسِكُم أزواجًا﴾، فخُلقت حوّاءُ من ضِلَع آدمَ، وسائرُ الناس من نُطف الرجال والنساء، ﴿لِتَسكُنُوا إلَيها﴾ وتألفوها، ﴿وجَعَلَ بَينَكُم﴾ جميعًا ﴿مَودّةً ورَحْمةً ـ إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفكَّرُونَ﴾ في صُنع الله تعالى ـ ٢٢ ـ ﴿ومِن آياتِهِ خَلقُ السَّماواتِ والأرضِ، واختِلافُ ألسِنَتِكُم﴾ أي: لُغاتِكم من عربيّة وعجميّة وغيرهما ﴿وألوانِكُم﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة. ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾: دلالاتٍ على قُدرته تعالى ﴿لِلعالَمِينَ﴾ ـ بفتح اللام وكسرِها ـ أي: ذوي العُقول وأُولي العِلم.

٢٣ ـ ﴿ومِن آياتِهِ مَنامُكُم بِاللَّيلِ والنَّهارِ﴾ بإرادته راحةً لكم،......................

قولُه: (للفَاعِلِ) حمزةُ والكسائيُّ وابنُ ذكوانَ بخُلْفٍ عنه[١].

قولُه: (أي: أَصلَكُم) على تقديرِ مضافٍ، أو: خلقَكُم في أصلِ الإنشاءِ؛ لأنَّه خَلَقَ أصلَكُم منه.

قولُه: (فخُلِقَتْ حوَّاءُ) ممدودٌ، أو: لأنَّهُنَّ من جنسِهِم لا جنسٍ آخرَ.

قولُه: (وتَأْلَفُوهَا) في «القاموسِ»: أَلِفَهُ كعَلِمَهُ[٢]، فلا وجهَ لقولِ القاضِي: تألَفوا بها، فإنَّ الجنسيَّةَ علَّةُ الضَّمِّ[٣].

قولُه: (أي: لُغَاتِكُم) أو: أجناسِ نُطْقِكُم.

قولُه: (وعَجَمِيَّةٍ) أرادَ بها: فارسيَّةً؛ ليصحَّ قولُه: (وغَيرِهِمَا).

قولُه: (بِفَتحِ اللَّامِ) سِوى حفصٍ[٤].

قولُه: (أي: ذَوِي العُقُولِ) بناءً على الفتحِ.

قولُه: (بإرَادَتِهِ) إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ قيدٌ لهما.

---

(١) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ١٠٨٣، ١٠٨٤).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٩٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٠٤). وفيه: «علة للضم».

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٦).

﴿وابتِغاؤُكُم﴾ بالنهار ﴿مِن فَضلِهِ﴾ أي: تصرّفكم في طلب المعيشة بإرادته ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تدبّر واعتبار ـ ٢٤ ـ ﴿ومِن آياتِهِ يُرِيكُمُ﴾ أي: إراءتُكم ﴿البَرقَ خَوفًا﴾ للمُسافر من الصواعق ﴿وطَمَعًا﴾ للمُقيم في المطر، ﴿ويُنَزِّلُ مِنَ السَّماءِ ماءً، فيُحيِي بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها﴾ أي: يُبسِها بأن تُنبِت. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ يتدبّرون.

٢٥ ـ ﴿ومِن آياتِهِ أن تَقُومَ السَّماءُ والأرضُ بِأمرِهِ﴾: بإرادته من غير عَمَد، ﴿ثُمَّ إذا دَعاكُم دَعوَةً مِنَ الأرضِ﴾ بأن ينفخَ إسرافيلُ في الصُّور للبعث من القُبور ﴿إذا أنتُم تَخرُجُونَ﴾ منها أحياءً. فخُروجكم منها بدعوة من آياته ـ تعالى ـ ٢٦ ـ ﴿ولَهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾:..........................

قولُه: (بالنَّهارِ) الأظهرُ: بهما، غايتُهُ: أنَّ الابتغاءَ بالنَّهارِ أكثرُ، كما أنَّ النَّومَ باللَّيلِ أغلبُ، مع أنَّ الابتغاءَ يعمُّ طلبَ الرَّحمةِ بالعبادةِ في اللَّيلِ.

هذا وبلسانِ الإشارةِ خطرَ ببالي موافقاً لحالي: ومِن آياتِهِ الدَّالَّةِ على كمالِ رحمتِهِ نومُكُم وغفلتُكُم عمَّا خُلِقتُمْ له دائماً، وطلبُكُمُ الخيرَ في الدُّنيا والعقبى من فضلِهِ وزيادةِ كرمِهِ إذ لو عاملَكُم[1] بعدلِهِ لعذَّبَكُم جميعاً.

قولُه: (أي: إِرَاءَتُكُم) مُقدَّرٌ بـ(أنْ)، والفعلُ فيه نُزِّلَ منزلةَ المصدرِ.

قولُه: (مِنَ الصَّوَاعِقِ) فيه أنَّ خوفَ الصَّاعقةِ ليسَ مختصًّا بالمسافرِ، فكانَ الأولى أن يقولَ: أو من الصَّواعقِ، فإنَّ المسافرَ أيضاً يخافُ من المطرِ غالباً كما أنَّ المقيمَ يطمعُ فيه غالباً.

قولُه: (يُبْسِهَا) قالَ البيضاويُّ: وقُرِئَ ﴿ينزِّلُ﴾ بالتَّشديدِ[2]، وهو سهوٌ حيثُ عبَّرَ بصيغةِ التَّمريضِ؛ لأنَّه قراءةُ غيرِ ابنِ كثيرٍ والبصريِّينَ[3] مع أنَّهُ مخالفٌ لعادتِهِ من جَعْلِ ما اتَّفقَ عليه أكثرُ القرَّاءِ أصلاً يبني عليهِ تفسيرَهُ.

قولُه: (يَنفُخَ) ويقولَ: أيُّها الموتى اخرُجوا، وقولُهُ تعالى: ﴿مِنَ الأَرْضِ﴾ متعلِّقٌ بـ«دعا»، وجُوِّزَ تعلُّقُهُ بـ﴿تخرجون﴾، ويؤيِّدُهُ قولُ قتادةَ: دعاهُم من السَّماءِ فخرَجوا من الأرضِ، على ما في «الدُّرِّ»[4]، وقدِّمَ للفاصلةِ.

قولُه: (مِنَ القُبُورِ) متعلِّقٌ بالبعثِ، وباعثُ التَّعلُّقِ غيرُ ظاهرٍ.

قولُه: (مِنْهَا) بيانٌ للواقِعِ.

---

(١) في (د): «عامل».

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٠٥).

(٣) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ٨٧٧).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩٠). وعزاه في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩٠) لعبد بن حميد والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم.

مُطيعون، ٢٧ ـ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبۡدَأُ الخَلۡقَ﴾ للناس، ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بعد هلاكهم، ﴿وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ من البدء بالنظر إلى ما عِند المُخاطَبينَ من أنّ إعادة الشيء أسهلُ من ابتدائه ـ وإلاّ فهما عِند الله ـ تعالى ـ سواء في السُّهولة ـ ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأعلَى في السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: الصفةُ العليا، وهي أنه لا إلٰـهَ غيرُه، ﴿وَهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في خلقه.

٢٨ ـ ﴿ضَرَبَ﴾: جعل ﴿لَكُم﴾ ـ أيها المُشركون ـ ﴿مَثَلاً﴾ كائنًا ﴿مِن أنفُسِكُم﴾، وهو ﴿هَل لَكُم مِمّا مَلَكَتۡ أيمانُكُم﴾ أي: من مماليككم ﴿مِن شُرَكاءَ﴾ لكم ﴿فِيما رَزَقۡناكُم﴾ من الأموال وغيرها، ﴿فأنتُم﴾ وهم ﴿فِيهِ سَواءٌ، تَخافُونَهُم كَخِيفَتِكُم أنفُسَكُم﴾ أي: أمثالَكم من الأحرار؟ والاستفهام بمعنى النفي. المعنى: ليس مماليككم شُركاءَ لكم إلى آخره عندكم. فكيف تجعلون بعض مماليك الله شُركاءَ له؟ ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ﴾: نُبيِّنُها مِثلَ ذلك التفصيل ﴿لِقَوۡمٍ يَعقِلُونَ﴾: يتدبّرون.

قولُه: (مُطِيعُونَ) عنِ ابنِ عبَّاسٍ: يعني: في الحياةِ والنُّشورِ والموتِ، وهم عاصونَ له في العبادةِ، كذا في «الدُّرِّ»[1]، فالظاهرُ تفسيرُهُ بِـ«منقادُونَ».

قولُه: (النَّاسَ) لا وجهَ للخُصوصِ.

قولُه: (فِي السُّهُولَةِ) وقيلَ: ﴿أهوَن﴾ بمعنى: هيِّنٌ، وقيلَ: الهاءُ لِـ﴿الخلقِ﴾.

قولُه: (إِلَّا هُوَ) القادرُ على ما يريدُهُ.

قولُه: (فِي مُلْكِهِ) يفعلُ ما يشاءُ.

قولُه: (فِي خَلْقِهِ) لا مُعقِّبَ لحكْمِهِ، أو: يُجري الأفعالَ على مقتَضى حكمتِهِ.

قولُه: (كَائِناً) أي: منتزَعاً ومأخوذاً من أحوالِها الَّتي هي أقربُ الأمورِ إليكم.

قولُه: (وَهُو) أي: المَثَلُ.

قولُه: (وَغَيرِهَا) كالأزواجِ، و(هم) يحتملُ أن يكونَ (هم) أو (معَهُم) مقدَّراً بمعونةِ المقامِ، والأظهرُ: أنَّ فيه تغليباً، والمعنى: فتكونونَ أنتُم وهم سواءٌ يتصرَّفونَ فيه كتصرُّفِكُم مع أنَّهُم بشرٌ مثلُكُم، وأنَّ الأموالَ مُعارَةٌ من عندِ اللهِ لكم.

قولُه: (نُبيِّنُهَا) فإنَّ التَّمثيلَ ممَّا يوضِّحُ المعاني.

قولُه: (يَتَدَبَّرُونَ) في الأمثالِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩٠). وانظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٩١).

٢٩ ـ ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالإشراك ﴿أهْواءَهُم بِغَيرِ عِلمٍ. فَمَن يَهدِي مَن أضَلَّ اللهُ﴾؟ أي: لا هاديَ لهم، ﴿وما لَهُم من ناصِرِينَ﴾: مانعين من عذاب الله.

٣٠ ـ ﴿فأقِمْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: مائلاً إليه، أي: أخلِصْ دِينَك لله أنت ومن تبعك، ﴿فِطْرَةَ اللهِ﴾: خِلقتَه ﴿الَّتِي فَطَرَ النّاسَ علَيها﴾ وهي دِينه، أي: الزموها، ﴿لا تَبدِيلَ لِخَلقِ اللهِ﴾: لدِينه أي: لا تُبدّلوه بأن تُشركوا ـ ﴿ذلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾: المُستقيم توحيدُ الله، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ توحيدَ الله ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿مُنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إليهِ﴾ ـ تعالى ـ فيما أمر به ونهى عنه، حالٌ من فاعل «أقم» وما أريد به، أي: أقيموا، ....

قولُه: (أي: لا هَادِيَ) فالاستِفهامُ إنكاريٌّ.

قولُه: (خِلْقَتَهُمْ)[1] وهي قبولُهُم للحقِّ وتمكُّنُهُم من إدراكِهِ، أو: ملَّةُ الإسلامِ فإنَّهُم لو خُلُّوا وما خُلِقوا عليهِ أدَّى بهم إليها، وبهذا يُعلمُ أنَّ قولَه: (وَهِي دِينُهُ) خلطٌ بين تفسيرَين.

قولُه: (أي: الْزَمُوهَا) أي: نصبٌ على الإغراءِ، وقيلَ: على المصدرِ لِمَا دلَّ عليه ما بعدَها، وهو ظاهرُ قولِه: (خِلقَتَهُ).

قولُه: (لِدِينِهِ) أي: لا يقدرُ أحدٌ أن يغيِّرَهُ، أو: ما ينبَغي أن يقدِرَ.

قولُه: (لا تُبَدِّلُوهُ) أشارَ إلى أنَّ النَّفي معناهُ النَّهيُ.

قولُه: (تَوْحِيدُ اللهِ) ظاهرُهُ أنَّه خبرٌ مقدَّرٌ، ويحتملُ أن يكونَ مشاراً إليه، والظَّاهرُ أنَّ ﴿ذلكَ﴾ إشارةٌ إلى الدِّينِ المأمورِ بإقامةِ الوجهِ [له][2]، أو الفطرةِ إن فُسِّرَت بالملَّةِ، والتَّذكيرُ باعتبارِ معناها الإسلامُ، أو لتذكيرِ الخبرِ.

قولُه: (تَوْحِيدَ اللهِ) أو استقامَةَ دينِهِ.

قولُه: (رَاجِعِينَ) من أنابَ: إذا رجعَ مرَّةً بعدَ أخرى، وقيلَ: منقطِعينَ.

قولُه: («أقم») أو: الزَموا.

قولُه: (ومَا أُرِيْدَ بِهِ) يعني: ممَّن اتَّبعَهُ؛ لأنَّ الآيَةَ خطابٌ للرَّسولِ والأمَّةِ غيرَ أنَّها صُدِّرَت بخطابِ الرَّسولِ تعظيماً له أو للدِّينِ.

---

(١) كذا في النسخ، والذي في متن «الجلالين»: «خِلقتَه»، وهكذا ستأتي قريبا، وكذلك هي في «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٠٦)، فلعل ما هنا تصحيف.

(٢) من «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٠٦).

﴿واتَّقُوهُ﴾: خافوه، ﴿وأقِيمُوا الصَّلاةَ، ولا تَكُونُوا مِنَ المُشرِكِينَ، مِنَ الَّذِينَ﴾: بدلٌ بإعادة الجارّ ﴿فَرَّقُوا دِينَهُم﴾ باختلافهم فيما يعبدونه، ﴿وكانُوا شِيَعًا﴾: فِرقًا في ذلك، ﴿كُلُّ حِزبٍ﴾ منهم ﴿بِما لَدَيهِم﴾: عِندَهم ﴿فَرِحُونَ﴾: مسرورون. وفي قراءةٍ «فارَقُوا» أي: تركوا دِينهم الذي أُمروا به.

٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿وإذا مَسَّ النّاسَ﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿ضُرٌّ﴾: شِدّة ﴿دَعَوا رَبَّهُم مُنِيبِينَ﴾: راجعين ﴿إلَيهِ﴾ دُون غيره، ﴿ثُمَّ إذا أذاقَهُم مِنهُ رَحمَةً﴾ بالمطر ﴿إذا فَرِيقٌ مِنهُم بِرَبِّهِم يُشرِكُونَ. لِيَكفُرُوا بِما آتَيناهُم﴾ ـ أُريد به التهديد ـ ﴿فَتَمَتَّعُوا. فَسَوفَ تَعلَمُونَ﴾ عاقبة تمتّعكم. فيه التفات عن الغَيبة.

٣٥ ـ ﴿أم﴾ ـ بمعنى همزة الإنكار ـ ﴿أنزَلْنا علَيهِم سُلطانًا﴾: حُجّة وكِتابًا، ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلُّمَ دلالةٍ ﴿بِما كانُوا بِهِ يُشرِكُونَ﴾ أي: يأمرهم بالإشراك؟ لا.

٣٦ ـ ﴿وإذا أذَقْنا النّاسَ﴾: كُفّارَ مكّة وغيرَهم ﴿رَحمَةً﴾: نعمةً..........................

قولُه: (فِي ذَلِكَ) الاختلافِ.

قولُه: (مَسرُورُونَ) ظنًّا منهم بأنَّه الحقُّ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (أي: كُفَّارَ مَكَّةَ) كيفَ يُخَصُّ[2] والنَّاسُ جميعاً واقعونَ فيه، وإشراكُهُم إمَّا جليٌّ وإمَّا خفيٌّ.

قولُه: (دُونَ غَيرِهِ) والأظهرُ: من دعاءِ غيرِهِ.

قولُه: (بالمَطَرِ) يعني به: مثلاً، وإلَّا فمَعناها: خلاصاً من الشِّدَّةِ، أو نعمةً تعمُّ الخلائقَ.

قولُه: (أُرِيدَ بِهِ) أي: بالأمرِ.

قولُه: (التَّهدِيدُ) وقيل: اللَّامُ فيه للعاقبةِ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ: ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ وقُرِئَ: (وليتمتَّعُوا)[3].

قولُه: (فِيهِ التِفَاتٌ) وقُرِئَ بالياءِ[4] على أنَّ «تمتَّعُوا» ماضٍ.

قولُه: (بِمَعْنَى: هَمزَةِ الإنكَارِ) هذا مذهبٌ كوفيٌّ، والمعتمدُ أنَّها بمعنى: بل والهمزةُ.

قولُه: (تَكَلُّمَ دَلالَةٍ) كقولِهِ تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩].

قولُه: (نِعْمَةً) من صحَّةٍ وسَعةٍ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٤).

(٢) في (ص): «يخصص».

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٨٠) ونسبت لابن مسعود، وانظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٧٥).

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٧٥) ونسبت لأبي العالية.

﴿فَرِحُوا بِها﴾ فَرَحَ بطرٍ، ﴿وإن تُصِبْهُم سَيِّئَةٌ﴾: شِدّة ﴿بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم إذا هُم يَقنِطُونَ﴾: ييأسون من الرحمة. ومن شأن المؤمن أن يشكر عِند النعمة ويرجو ربّه عِند الشِّدّة. ٣٧ ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ﴿أنَّ اللهَ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعُه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقُه لمن يشاء ابتلاءً؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ بها.

٣٨ ـ ﴿فآتِ ذا القُربَى﴾: القرابةِ ﴿حَقَّهُ﴾ من البرّ والصِّلة ﴿والمِسكِينَ وابنَ السَّبِيلِ﴾: المُسافرَ، من الصدقة. وأُمّةُ النبيِّ تبعٌ له في ذلك. ﴿ذلِكَ خَيرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجهَ اللهِ﴾ أي: ثوابَه بما يعملون، ﴿وأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون. ٣٩ ـ ﴿وما آتَيتُم مِن رِبًا﴾ بأن يُعطِيَ شيئًا هِبةً أو هديّة ليَطلب أكثر منه ـ فسُمّي باسم المطلوب من الزيادة في المُعاملة ـ ﴿لِيَربُوَ في أموالِ النّاسِ﴾: المُعطَينَ، ....

قولُه: (بِهَا) فيستدلُّونَ بها على كمالِ القدرةِ والحكمة، قالَ الشَّاعرُ[1]:

نكدُ الأريبِ وطيبُ عيشِ الجاهلِ ... قد أرشداكَ إلى حكيمٍ كاملِ[2]

قولُه: (والصِّلَةِ) في الحديثِ: «صِلُوا أرحامَكُم ولَو بالسَّلامِ»[3]. وظاهرُ الآيةِ يؤيِّدُ الحنفيَّةَ في وجوبِ النَّفقةِ للمحارمِ[4].

قولُه: (مِنَ الصَّدَقَةِ) يحتمِلُ أنَّه أرادَ بها الزَّكاةَ، ففيهِ أنَّ السُّورةَ مكِّيَّةٌ، والزَّكاةُ فُرِضَت بالمدينةِ، ويحتمِلُ البرَّ والإحسانَ والضِّيافةَ فلا إشكالَ.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: الأمرِ والخطابِ، وقيلَ: الخطابُ لمن بسطَ له، وهو الأظهَرُ.

قولُه: (ثَوَابَهُ) هذا حاصِلُ المعنى، وإلَّا فلا وجهَ لتفسيرِ الوجهِ بالثَّوابِ، بل يُقالُ: ذاتَهُ أو جهتَهُ؛ أي: يقصدونَ بمعروفِهم إيَّاهُ خالصاً، أو جهةَ التَّقرُّبِ إليه لا جهةً أخرى.

قولُه: (فسُمِّيَ) يعني: أطلقَ الرِّبا عليها لأنَّها فضلٌ لا يجبُ على المعطي.

قولُه: (مِنَ الزِّيادَةِ في المُعَامَلَةِ) وقيلَ: هي المرادُ؛ أي: زيادةٍ محرَّمةٍ في المعاملةِ، وقرأ ابنُ كثيرٍ بالقصرِ[5]؛

---

(١) لم أقف على قائله، وذكر في «الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم» (١/ ٤١٠)، و«تفسير الآلوسي» (١١/ ٤٣).

(٢) في (ص): «عالم» وفي هامشها: «في نسخة: كامل».

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٣٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأعله بمحمد بن عبد الملك الأنصاري، ثم قال: وكل أحاديثه مما لا يتابعه الثقات عليه، وهو ضعيف جدًّا.

قال العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٣٠): وله طرق بعضها يقوي بعضاً.

(٤) انظر: «التجريد» للقدوري (١٠/ ٥٤٠٢).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٧).

أي: ليزيد، ﴿فلا يَربُو﴾: يزكو ﴿عِندَ اللهِ﴾ أي: لا ثواب فيه للمُعطِينَ، ﴿وما آتيتُم مِن زَكاةٍ﴾: صدقة ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجهَ اللهِ فأُولئِكَ هُمُ المُضعِفُونَ﴾ ثوابَهم بما أرادوه. فيه التفات عن الخِطاب.

٤٠ ـ ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم ثُمَّ رَزَقَكُم، ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يُحيِيكُم ـ هَل مِن شُرَكائكُم﴾: ممّن أشركتم بالله ﴿مَن يَفعَلُ مِن ذلِكُم مِن شَيءٍ﴾؟ لا ـ ﴿سُبحانَهُ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به!

٤١ ـ ﴿ظَهَرَ الفَسادُ في البَرِّ﴾ أي: القِفارِ بقحط المطر وقِلّة النبات ﴿والبَحرِ﴾ أي: البِلادِ التي على الأنهار بقلّة مائها، ﴿بِما كَسَبَتْ أَيدِي النّاسِ﴾ من المعاصي، ﴿لِنُذِيقَهُم﴾ ـ بالنون والياء ـ..........

أي: ما جئتُم به وفعلتُمْ من إعطاءِ الربا.

قولُه: (يَزِيدَ) وقرأ نافعٌ بتاءٍ مضمومةٍ وإسكانِ الواوِ[1]؛ أي: لتزيدوا أو لتَصِيروا ذَوِي رباً.

قولُه: (يَزكُو) أو: لا يباركُ فيه؛ لخُلوِّهِ عن الثَّوابِ، أو لحرمتِهِ.

قولُه: (ثَوَابَهُم) أو أموالَهُم ببركةِ الصَّدقةِ.

قولُه: (بِهِ) وحمزةُ والكسائيُّ على الخطابِ[2].

قولُه: (أي: القِفَارِ) لا وجهَ لتخصيصِهِ، بخلافِ البحرِ؛ فإنَّه خُصِّصَ لتصحيحِ نسبةِ سببيةِ[3] كسبِ النَّاسِ، والصَّحيحُ أنَّهما على عمومِهما وظاهرِهما المتبادِرِ منهُما لغةً وعرفاً، والفسادُ: كالقحطِ وموتِ الماشيةِ والحَرْقِ والغرَقِ وخيبةِ الغوَّاصِ ونقصانِ البركاتِ وكثرةِ المضارِّ، أو المرادُ بالفسادِ: الضَّلالةُ والظُّلمُ.

وعن مجاهِدٍ: فسادُ البرِّ: قتلُ ابنِ آدمَ أخاهُ، وفسادُ البحرِ: أخذُ الملكِ السُّفنَ غصباً[4].

وقيل: البحرُ: الجزائرُ[5].

وقيلَ: البرُّ: كلُّ قريةٍ نائيةٍ عن البحرِ مثلَ مكَّةَ والمدينةِ، والبحر: كلُّ قريةٍ على البحرِ مثلُ: الكوفةِ والبصرةِ والشَّامِ، كذا في «الدُّرِّ»[6].

قولُه: (بالنُّونِ) قنبلٌ[7].

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٢١).

(٣) في (م) و(ص): «لتصحيح نسبتِهِ بسببٍ».

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٧٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٠٩).

(٥) عزاه في «الدر» لابن أبي حاتم عن عطاء.

(٦) انظر: «الدر المنثور» (٦/ ٤٩٧) وعزاه لابن أبي حاتم عن السدي.

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٧).

﴿بَعضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: عُقوبتَه، ﴿لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾: يتوبون. ٤٢ ـ ﴿قُلْ﴾ لكُفّار مكّة: ﴿سِيرُوا في الأرضِ، فانظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلُ؟ كانَ أكثَرُهُم مُشرِكِينَ﴾، فأُهلِكوا بإشراكهم، ومساكنُهم ومنازلهم خاوية.

٤٣ ـ ﴿فأَقِمْ وَجهَكَ لِلدِّينِ القَيِّمِ﴾: دينِ الإسلام ﴿مِن قَبلِ أن يأتِيَ يَومٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾، هو يوم القيامة. ﴿يَومَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد: يتفرّقون بعد الحِساب إلى الجنّة والنار، ٤٤ ـ ﴿مَن كَفَرَ فعَلَيهِ كُفرُهُ﴾: وبالُ كُفره وهو النار، ﴿ومَن عَمِلَ صالِحًا فلأنفُسِهِم يَمهَدُونَ﴾: يُوطّئون منازلَهم في الجنّة، ٤٥ ـ ﴿لِيَجزِيَ﴾: مُتعلّق بـ «يصّدّعون» ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ مِن فَضلِهِ﴾: يُثيبَهم. ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ﴾ أي: يُعاقبُهم.

٤٦ ـ ﴿ومِن آياتِهِ﴾ ـ تعالى ـ ﴿أن يُرسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ﴾ بمعنى: لتُبشّركم بالمطر، ﴿ولِيُذِيقَكُم﴾

قولُه: (عُقُوبتَهُ) أي: بعضَ جزائه، فإنَّ تمامَهُ في الآخرةِ.

قولُه: (خَاوِيَةٌ) أي: ساقطةٌ، أو: خاليةٌ من أهلِها فاعتبِروا.

قولُه: (دِينِ الإسلامِ) البليغِ الاستقامةِ، قالَ الفضيلُ: هو الاتّباعُ وتركُ الابتداعِ[1].

قولُه: (هُو يَومُ القِيَامَةِ) و﴿مِنَ اللهِ﴾ متعلِّقٌ بـ﴿يأتي﴾.

قولُه: (يُوَطِّئُونَ) أي: يُسَوُّون.

قولُه: (فِي الجَنَّةِ) وفي القبرِ.

قولُه: (بـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾) أي: لا بـ﴿يَمْهَدُونَ﴾ كما قيلَ، وهو الأظهرُ، فالاقتصارُ على جزاءِ المؤمنينَ للإشعارِ بأنّه المقصودُ بالذّاتِ، وللاكتفاءِ على فحوى قولِه: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الكَافِرينَ﴾.

قولُه: (يُثِيبَهُم) و﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ دلَّ على أنَّ الإثابةَ تفضُّلٌ محضٌ، وتأويلُ الزَّمخشريِّ بالعطاءِ والزِّيادةِ على الثَّوابِ[2]، عدولٌ عن الظَّاهرِ.

قولُه: (تُبَشِّرُكُم) أشارَ إلى أنَّ ﴿لِيُذِيقَكُم﴾ عطفٌ على علّةٍ محذوفةٍ دلَّ عليها ﴿مُبَشِّراتٍ﴾، وقيلَ: عليها باعتبارِ المعنى.

قولُه: (بالمَطَرِ) قالَ القاضِي: الرِّياحُ: الشَّمالُ والصَّبا والجنوبُ، فإنّها رياحُ الرَّحمةِ، وأمَّا الدَّبورُ: فريحُ العذابِ،

---

(١) وانظر: «حقائق التأويل» (٢/ ١٢٧).

(٢) انظر: «الكشاف» (٣/ ٤٨٣).

بها ﴿مِن رَحْمتِهِ﴾: المطرِ والخِصب، ﴿ولِتَجرِيَ الفُلكُ﴾ السفن بها ﴿بِأمرِهِ﴾: بإرادته ﴿ولِتَبتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضلِهِ﴾ الرزقَ بالتجارة في البحر، ﴿ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ هذه النِّعَمَ ـ يا أهل مكّة ـ فتوحدونه.

٤٧ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا مِن قَبلِكَ رُسُلاً إلَى قَومِهِم، فجاؤُوهُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالحُجج الواضحات على صِدقهم في رِسالتهم إليهم فكذّبوهم، ﴿فانتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أجرَمُوا﴾: أهلكنا الذين كذّبوهم. ﴿وكانَ حَقًّا علَينا نَصرُ المُؤمِنِينَ﴾ على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

ومنه قولُه ﷺ: «اللَّهمَّ اجعلْهَا رِيَاحاً ولا تجعلْهَا رِيْحاً» رواهُ الشَّافعيُّ والطَّبرانيُّ وغيرُهُما[1].

ثمَّ قالَ: وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ: (الرِّيحَ) على إرادةِ الجنسِ[2]. وهو سهوٌ؛ إذ محلُّ الخلافِ في هذه السُّورةِ إنَّما هو الموضعُ الثَّاني، ولذا قيَّدهُ الشَّاطبيُّ بقوله:

وفي النَّملِ والأعرافِ والرُّومِ ثانياً[3]

قولُه: (بِهَا) أي: بالرِّياحِ.

قولُه: (المَطرِ) مفعولُ لنُذيقَكم؛ يعني: المنافعَ التَّابعةَ للرِّياحِ من نزولِ المطرِ وإزالةِ عفونةِ الهواء، وتذريةِ الحبوبِ وغيرِها.

قولُه: (الرِّزقَ) مفعولٌ.

قولُه: (يَا أَهلَ مَكَّةَ) فإنَّ السُّورةَ مكِّيَّةٌ.

قولُه: (فَكَذَّبُوهُ)[4] الأولى: فآمَن به بعضٌ وكذَّبهُ بعضٌ، فالفاءُ فيما بعدَهُ فصيحةٌ.

قولُه: (بإهلاكِهِم) والظَّاهرُ أنَّ ﴿نَصْرُ الْمُؤْمِنِيْنَ﴾ اسمُ ﴿كَانَ﴾؛ أي: كالحقِّ عليه بحسبِ وَعْدِهِ لهم، وقد يوقَفُ على ﴿حَقًّا﴾ على أنَّه متعلِّقٌ بالانتقامِ، وفي الحديثِ: «مَا مِنِ امرِئٍ مسلمٍ يَرُدُّ عن عِرْضِ أخيهِ إلَّا كانَ

---

(١) رواه الشافعي في «مسنده/ ترتيب السندي» (٥٠٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٥٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢١٣) (١١٥٣٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وذكر الطحاوي أن هذا الحديث مما لا أصل له ولا يعرفه أهل العلم بالحديث، ثم رده من جهة المعنى بقوله تعالى: ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان﴾ [يونس: ٢٢] قال: وكانت الريح الطيبة من الله رحمة، والريح العاصف منه عز وجل عذاباً. انظر: «شرح مشكل الآثار» (٢/ ٣٧٩).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٠٩).

(٣) انظر: «حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع» (ص: ٤٠).

(٤) قوله: «فكذبوه» كذا ذكره بالإفراد، ثم استمر عليه في استدراكه بقوله: «فآمن به بعض. . .»، والذي في المتن: «فكذبوهم» بالجمع وهو الموافق للتنزيل.

٤٨ ـ ﴿اللهُ الَّذِي يُرسِلُ الرِّياحَ، فتُثِيرُ سَحابًا﴾: تُزعِجه، ﴿فيَبسُطُهُ في السَّماءِ كَيفَ يَشاءُ﴾ من قِلّة وكثرة؟ ﴿ويَجعَلُهُ كِسَفًا﴾، بفتح السين وسكونها: قِطَعًا مُتفرّقة، ﴿فترَى الوَدْقَ﴾: المطر ﴿يَخرُجُ مِن خِلالِهِ﴾ أي: وسْطِه، ﴿فإذا أصابَ بِهِ﴾: بالودْق ﴿مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ إذا هُم يَستَبشِرُونَ﴾: يفرحون بالمطر، ٤٩ ـ ﴿وإنْ﴾: وقد ﴿كانُوا، مِن قَبلِ أن يُنْزَل علَيهِم مِن قَبلِهِ﴾: تأكيد، ﴿لَمُبلِسِينَ﴾ آيِسِينَ من إنزاله. ٥٠ ـ ﴿فانظُرْ إلَى أثَرِ﴾ ـ وفي قراءةٍ: «آثارِ» ـ ﴿رَحْمةِ اللهِ﴾ أي: نِعمته بالمطر: ﴿كَيفَ يُحيِي الأرضَ بَعدَ مَوتِها﴾ أي: يُبسِها بأن تُنبِتَ؟......................................

حقًّا على اللهِ أنْ يردَّ عنهُ نارَ جهنَّمَ» ثمَّ تلا هذه الآيَةَ، رواهُ التِّرمذيُّ وحسَّنَهُ[١]، وفيه إشارةٌ إلى تأييدِ الإعرابِ الأوَّلِ، ودلالةٌ على أنَّ حقيقةَ نصرِهِم تعمُّ الآخرةَ.

قولُه: (مِنْ قِلَّةٍ وكَثْرَةٍ) وسيرٍ ووقوفٍ وإطباقٍ وغيرِهِ، من جانبٍ دونَ جانبٍ ونحوِها.

قولُه: (وسُكُونِهَا) ابنُ ذكوانَ وهشامٌ بخُلْفٍ عنهُ[٢].

قولُه: (مُتَفَرِّقَةً) يعني: تارةً مبسوطةً متَّصلةً وأخرى قِطَعاً متفرِّقةً.

قولُه: (أي: وَسْطِهِ) في التَّارَتَينِ.

قولُه: (بالوَدْقِ) الباءُ للتَّعديةِ.

قولُه: (بالمَطَرِ) لمجيءِ الخصبِ.

قولُه: (وَقَد) تبعَ فيه البغويَّ[٣]، وهذا قولٌ مرجوحٌ، والصَّحيحُ أنَّ ﴿إنْ﴾ هنا مخفَّفةٌ من المثقَّلةِ.

قولُه: (تَأكِيدٌ) أي: تكريرٌ للتَّأكيدِ، والدِّلالةِ على تطاولِ عهدِهِم بالمطرِ، وقالَ الكرمانيُّ: من قبلِ الاستبشارِ[٤].

قولُه: (وفي قِرَاءَةٍ) لشاميٍّ وحفصٍ وحمزةَ والكِسائيِّ[٥].

قولُه: (نِعمَتِه بالمَطَرِ) الظَّاهرُ: أثرِ المطرِ من النَّباتِ والأشجارِ وأنواعِ الثِّمارِ.

قولُه: (بِأَنْ تُنبِتَ) أي: الأرضُ، أو ينبتَ اللهُ أو المطرُ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرئَ بالتَّاءِ[٦] على إسنادِهِ إلى ضميرِ الرَّحمةِ.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٣١) بنحوه من حديث أبي الدرداء.

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٦١).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥٨٢).

(٤) انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (٢/ ٨٩٦).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٨).

(٦) أي: (تحيى) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٧٦) ونسبت لأبي حياة وأبي البرهسم.

﴿إنَّ ذلِكَ﴾ المُحييَ الأرضَ ﴿لَمُحيِي المَوتَى، وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

٥١ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿أرسَلْنا رِيحًا﴾ مُضرّةً على نبات، ﴿فرَأَوهُ مُصفَرًّا، لَظَلُّوا﴾: صاروا ـ جوابُ القسم ـ ﴿مِن بَعدِهِ﴾ أي: بعدِ اصفراره ﴿يَكفُرُونَ﴾: يجحدون النعمة بالمطر. ٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿فإنَّكَ لا تُسمِعُ المَوتَى، ولا تُسمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذا﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الياء ـ ﴿وَلَّوا مُدبِرِينَ. وما أنتَ بِهادِي العُميِ عَن ضَلالَتِهِم. إنْ﴾: ما ﴿تُسمِعُ﴾ سماعَ إفهام وقَبول ﴿إلاّ مَن يُؤمِنُ بِآياتِنا﴾: القُرآنِ، ﴿فهُم مُسلِمُونَ﴾: مُخلصون بتوحيد الله تعالى.

٥٤ ـ ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِن ضُعفٍ﴾: ماءٍ مَهِين، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ ضُعفٍ﴾ آخَرَ ـ وهو ضعفُ الطفوليّة ـ ﴿قُوّةً﴾ أي: قُوّة الشباب، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعدِ قُوّةٍ ضُعفًا وشَيبةً﴾: ضعفَ الكِبَرِ وشيبَ الهرَم ـ والضعف في الثلاثة بضمّ أوله وفتحه ـ ﴿يَخلُقُ ما يَشاءُ﴾ من الضعف والقُوة والشباب والشيبة، ﴿وهُوَ العَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿القَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

قولُه: (لامُ قَسَمٍ) موطِّئةٌ.

وقولُهُ تعالى: (﴿فرأَوْهُ﴾) أي: الأثرَ، أو الزَّرعَ فإنَّه مدلولٌ عليه بما تقدَّمَ، وقيلَ: السَّحابَ؛ لأنَّه إذا كانَ مصفرًّا لم يمطرْ.

قولُه: (جَوَابُ القَسَمِ) سدَّ مسدَّ الجزاءِ.

قولُه: (بِتَحقِيقِ) للشَّاميِّ والكوفيِّ[1].

قولُه: (مَاءٍ مَهِينٍ) أي: من أصلٍ ضعيفٍ هو النُّطفةُ، أو: ابتدأَكُم ضعفاءَ، وجعلَ الضَّعفَ أساسَ أمرِكُم؛ كقولِهِ تعالى: ﴿خُلِقَ الإنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

قولُه: (آخَرَ وهُوَ ضَعْفُ) تقدَّمَ، وذلك إذا تعلَّقَ بأبدانِكُم الرُّوحُ، أو إذا بلغتُمُ الحُلُمَ.

قولُه: (وفَتحِهِ) عاصمٌ وحمزةُ بخلافٍ عن حفصٍ[2].

وقولُ البيضاويِّ: التَّنكيرُ مع التَّكريرِ لأنَّ المتأخِّرَ ليسَ عينَ المتقدِّمِ[3]، ليس بظاهِرٍ، والأظهرُ: أنَّ القاعدةَ المشهورةَ مبنيَّةٌ على الأكثرِ.

---

(١) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/ ٥٢٩).

(٢) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٣/ ١١٤١).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢١٠).

٥٥ ـ ﴿ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ يُقسِمُ﴾: يَحلف ﴿المُجرِمُونَ﴾: الكافرون، ﴿ما لَبِثُوا﴾ في القُبور ﴿غَيرَ ساعةٍ﴾ ـ قال تعالى: ﴿كَذلِكَ كانُوا يُؤفَكُونَ﴾: يُصرَفون عن الحقّ البعث كما صُرفوا عن الحقّ الصدق في مُدّة اللبث ـ ٥٦ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ والإيمانَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَد لَبِثتُم في كِتابِ اللهِ﴾: فيما كتبه في سابق عِلمه ﴿إلَى يَومِ البَعثِ. فهذا يَومُ البَعثِ﴾ الذي أنكرتموه، ﴿ولكِنَّكُم كُنتُم لا تَعلَمُونَ﴾ وقوعَه. ٥٧ ـ ﴿فيَومَئِذٍ لا يَنفَعُ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُم﴾ في إنكارهم له، ﴿ولا هُم يُستَعتَبُونَ﴾: لا يُطلب منهم العُتبى، أي: الرجوعُ إلى ما يُرضي الله.

٥٨ ـ ﴿ولَقَد ضَرَبنا﴾: جعلنا ﴿لِلنّاسِ في هذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهًا لهم، ﴿ولَئِن﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿جِئتَهُم﴾ يا مُحمّد ﴿بِآيَةٍ﴾ مِثلِ العصا واليد لمُوسَى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾،.........

قولُه: (فِي القُبُورِ) أو الدُّنيا، أو البرزخِ، قالَ القاضِي[1]: «استقلُّوا مدَّةَ لُبثِهم إضافةً إلى عذابِهم في الآخرةِ». وفيه: أنَّ قولَهُ تعالى: ﴿يؤفكونَ﴾ يأباهُ، وقولُه: «أو نسياناً»، محلُّ نظرٍ من وجهَين؛ فالوجهُ ما في «المعالم»[2]: قالَ الكلبيُّ ومقاتلٌ: كذَّبوا في قولِهم: ﴿ساعة﴾ كما كذَّبوا في الدُّنيا أن لا بعثَ؛ والمعنى: أنَّ اللهَ أرادَ أن يفضحَهُم فحَلفوا على شيءٍ يتبيَّن لأهلِ الجمعِ أنَّهم كاذبونَ فيه.

وسُمِّيَت القيامةُ بها؛ لأنَّها تقومُ في آخِرِ ساعةٍ من ساعاتِ الدُّنيا، أو لأنَّها تقعُ بَغتةً، وصارَت عَلَماً لها بالغَلَبَةِ كالكوكبِ للزُّهرةِ.

قولُه: (فِي سَابِقِ عِلمِهِ) أي: معلومِه، أو مقضيِّه، أو: في اللَّوحِ.

قولُه: (بِاليَاءِ) التَّذكيرُ للكوفيِّ[3].

قولُه: (العُتبَى) كرُجْعَى.

قولُه: (جَعَلْنَا) أو بيَّنَّا.

قولُه: (تَنْبِيهاً) على التَّوحيدِ والبَعثِ، وصِدْقِ الرَّسولِ.

قولُه: (لامُ قَسَمٍ) موطِّئةٌ.

قولُه: (مِثلَ العَصَا) هذا أحسنُ ممَّا في البيضاويِّ: من آياتِ القرآنِ[4]، وتَبِعَهُ صاحبُ «المدارِكِ»، وجعلَ

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢١١).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٥٨٣)، و«التفسير الوسيط» (٣/ ٤٣٨).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٠٩).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢١١). والحقيقة أنه إنما تابع فيه الزمخشري في «الكشاف» (٣/ ٤٨٨)، فالتعقب على الزمخشري لا عليه.

حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات، والواوُ ضمير الجمع لالتقاء الساكنين، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾: ما ﴿أَنتُمْ﴾ أي: مُحمّدٌ وأصحابه ﴿إِلاَّ مُبطِلُونَ﴾: أصحاب الأباطيل. ٥٩ ـ ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ التوحيدَ كما طبع على قُلوب هؤلاء. ٦٠ ـ ﴿فاصبِرْ ـ إِنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بنصرك عليهم ﴿حَقٌّ ـ ولا يَستَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ بالبعث، أي: لا يَحملُنَّك على الخِفّة والطيش بترك الصبر، أي: لا تتركنّهُ.

(إنْ) بمعنى: إذا[1]، وهو تكلُّفٌ، فعَلَيكَ بالإنصافِ والتَّأمُّلِ بالمقالِ، ولا تنظُرْ إلى مَن قالَ.

قولُه: (حُذِفَ مِنهُ) هذا وهمٌ منه أنَّ الصِّيغةَ هاهنا كما فيما تقدَّمَ من المواضعِ موضوعَةٌ للجمعِ، فذكرَ ما ذكرَهُ مراراً، فوقعَ فيما وقعَ، والحالُ أنَّها للمفردِ بلا خلافٍ بين القُرَّاءِ.

قولُه: (مِنهُم) من فرطِ عنادِهِم وقساوةِ قلوبِهِم.

قولُه: (أَصحَابُ أَبَاطِيلَ) أي: مُزوِّرونَ.

قولُه: (التَّوحِيدَ) أو: لا يطلبونَ العِلمَ ويصرُّونَ على الجهلِ المركَّبِ أو التَّقليدِ.

قولُه: (بِنَصرِكِ) أي: بنصرتِكِ وإظهارِ دينِكِ على الدِّينِ كلِّهِ.

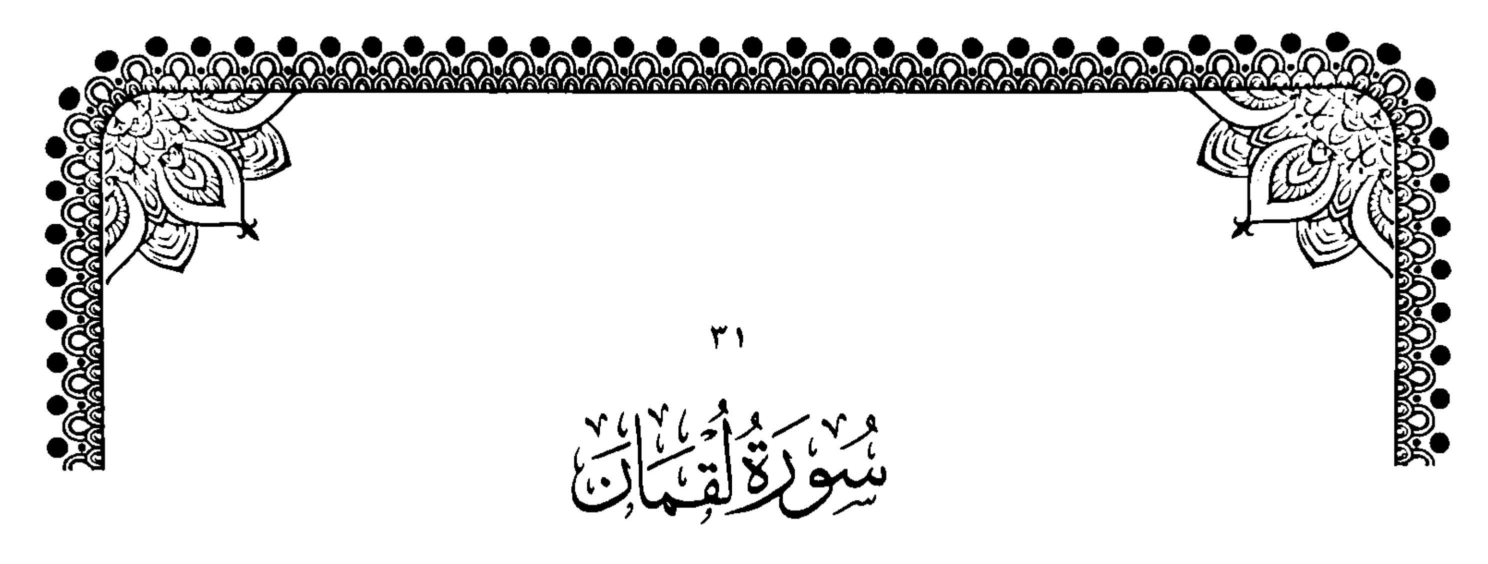
قولُه: (أي: لا تَترُكَنَّهُ)[2] أي: الصَّبرَ، إشارةٌ إلى أنَّه من بابِ: لا أرَينَّكَ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٢/ ٧٠٨). والظاهر أن صاحب «المدارك» تابع الزمخشري ـ لتطابق كلاميهما ـ لا البيضاوي. فليحرر.

(٢) في (م) و(ص): «أي لا تتركه».



٣١

سورة لقمان

مكية أو إلاّ «ولو أنّ ما في الأرض من شجرة أقلام» الآيتين فمدنيتان، وهي أربع وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿تِلكَ﴾ أي: هذه الآياتُ ﴿آياتُ الكِتابِ﴾: القرآنِ ﴿الحَكِيمِ﴾: ذي الحِكمة ـ والإضافةُ بمعنى: مِن ـ ٣ ـ هو ﴿هُدًى ورَحْمةٌ﴾، بالرفع، ﴿لِلمُحسِنِينَ﴾ ـ وفي قراءة العامّة بالنصب حالاً من الآيات، العاملُ فيها ما في «تلك» من معنى الإشارة ـ ٤ ـ ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾: بيانٌ للمُحسنين، ﴿ويُؤْتُونَ الزَّكاةَ، وهُم بِالآخِرةِ هُم يُوقِنُونَ﴾. «هم» الثاني: توكيد. ٥ ـ ﴿أُولئِكَ علَى هُدًى، مِن رَبِّهِم وأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون.

٦ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ مَن يَشتَرِي لَهوَ الحَدِيثِ﴾ أي: ما يُلهي منه عمّا يَعني ﴿لِيَضِلَّ﴾..............

سورة لقمان

قولُه: (هَذِهِ الآيَاتُ) أو السُّورةُ.

قولُه: (هُوَ) أو: هي، على أنَّ ﴿هُدًى﴾ خبرٌ لمحذوفٍ، وجوِّزَ أن يكونَ خبراً بعد خبرٍ.

قولُه: (بالرَّفعِ) حمزةُ[1].

قولُه: (حَالاً) الأظهرُ: حالانِ.

قولُه: (مِنْهُ) أي: منَ الحديثِ، و(مِنَ) بيانُ (ما)، عنِ ابنِ عبَّاسٍ وغيره منَ الصَّحابةِ والتَّابعينَ: كلُّ كلامٍ

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٣).

ـ بفتحِ الياء وضمِّها ـ ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: طريق الإسلام ﴿بِغَيرِ عِلم، ويَتَّخِذَها﴾، بالنصب عطفًا على «يضلّ»، وبالرفع عطفًا على «يشتري»، ﴿هُزُوًا﴾: مهزوءًا بها ـ ﴿أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة ـ ٧ ـ ﴿وإذا تُتلَى علَيهِ آياتُنا﴾ أي: القُرآنُ ﴿وَلَّى مُستكبِرًا﴾: مُتكبّرًا، ﴿كَأنْ لَم يَسمَعْها، كَأنَّ في أُذُنَيهِ وَقْرًا﴾: صمَمًا. وجُملتا التشبيه: حالان من ضمير «ولّى»، أو الثانيةُ بيان للأُولى. ﴿فبَشِّرْهُ﴾: أعلِمْه ﴿بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلم. وذِكر البِشارة تهكّمٌ به. وهو النضر بن الحارث، كان يأتي الحِيرةَ يَتجُر فيشتري كُتب أخبار الأعاجم، ويُحدّث بها أهل مكّة، ويقول: إنّ مُحمّدًا يُحدّثكم أحاديث عادٍ وثمودَ، وأنا أُحدّثكم أحاديث فارسَ والرومِ. فيستملحون حديثه ويتركون استماع القُرآن.

سوى كتابِ اللهِ وحديثِ رسولِهِ وحكايةِ الصَّالحينَ فهو لهوٌ[1].

قولُه: (بِفَتحِ اليَاءِ) مكّيٌّ وبصريٌّ[2].

قولُه: (طَرِيقِ الإِسلامِ) أو قراءةِ كتابِهِ.

قولُه: (بالنَّصبِ) حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ[3].

قولُه: (ذُو إِهَانَةٍ) لإهانتِهِمُ الحقَّ بإيثارِ الباطلِ عليهِ.

قولُه: (مُتَكَبِّراً) لا يعبأُ بها، ولا يلتفِتُ إليها.

قولُه: (حَالانِ) أي: مشابهاً حالُهُ حالَ مَن لا يسمَعُها، ومشابهاً مَن في أُذُنَيهِ ثقَلٌ لا يقدرُ أن يسمَعَ.

قولُه: (ضَمِيرِ: ﴿وَلَّى﴾) أو: ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾.

قولُه: (بَيَانٌ) أو بدلٌ.

قولُه: (مُؤلِمٍ) بفتحِ اللَّامِ، وقيلَ: بالكسرِ.

قولُه: (وَهُو) أي: النَّازلُ في شأنِهِ.

قولُه: (الحِيرَةَ) بالكسرِ، بلدٌ قُربَ الكوفةِ.

قولُه: (الأعَاجِمِ) كرُسْتُمَ وإسفنديارَ والأكاسرةِ.

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ إلا من قول أبي عثمان النهدي، ذكره إسماعيل حقي في «روح البيان» (٧/ ٦٥).

ولا شك أنه ـ لو صح عن ابن عباس ـ فإن «حكاية الصالحين» مقحم ننزه الحبر عنه، والعجب من المصنف ـ أو من قائله ـ كيف استقام له أن يقرنه بكتاب الله وسنة رسوله.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٧)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٣).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٣).

٨ ـ ٩ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُم جَنّاتُ النَّعِيمِ خالِدِينَ فِيها﴾: حالٌ مُقدّرة أي: مُقدَّرًا خلودُهم فيها إذا دخلوها، ﴿وَعْدَ اللهِ حَقًّا﴾ أي: وعَدَهم اللهُ ذلك وحقَّه حقًّا، ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه شيء، فيمنعَه عن إنجاز وعده ووعيده ﴿الحَكِيمُ﴾ الذي لا يضع شيئًا إلاّ في محلّه، ١٠ ـ ﴿خَلَقَ السَّماواتِ بِغَيرِ عَمَدٍ، تَرَونَها﴾ أي العمدَ: جمع عِماد وهو الأُسطوانة، وهو صادق بأن لا عمدَ أصلاً، ﴿وألقَى في الأرضِ رَواسِيَ﴾: جِبالاً مُرتفعة لـ ﴿أن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾: تتحرّكَ ﴿بِكُم، وبَثَّ فِيها مِن كُلِّ دابَّةٍ، وأنزَلْنا﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿مِنَ السَّماءِ ماءً، فأنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ زَوجٍ كَرِيمٍ﴾: صِنف حسن.

١١ ـ ﴿هذا خَلقُ اللهِ﴾ أي: مخلوقه. ﴿فأرُونِي﴾: أخبروني يا أهل مكّة: ﴿ماذا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ غيره، أي: آلِهتُكم حتّى أشركتموها به؟ تعالى. وما: استفهام إنكار مبتدأ، وذا: بمعنى «الذي» بصلته خبرُه، وأروني: مُعلَّق عن العمل، وما بعده سدّ مسدّ المفعولَين..........

وقيلَ: كانَ يشتري المغنّياتِ ويحملُهُنَّ على معاشرةِ مَن أرادَ الإسلامَ ومَنعِه عنهُ.

قولُه: (أَصلاً) وهو الأصلُ، وهو الظّاهرُ.

قولُه: (مُرتَفِعَةً) وهو معنى قولِ القاضي: شوامخَ[1]. والأَولى: ثوابتَ.

قولُه: (لـ﴿أَنْ﴾ لا) أو: كراهةَ أن تميلَ.

قولُه: (حَسَنٍ) كثيرِ المنفعَةِ.

قولُه: (أخبِرُوني) لا يحتاجُ إلى هذا التّأويلِ، ولا إلى تخصيصِ أهلِ مكّةَ.

قولُه: (أي: آلِهَتُكُم) بل كلُّ ما عُبِدَ من دونِ اللهِ.

قولُه: (إِنكَارٍ) منكرٌ وجهُهُ غيرُ معروفٍ.

قولُه: (مُبتَدَأٌ) فيهِ: أنَّ ﴿مَاذَا﴾ كلمةُ استفهامٍ نصبٌ بـ﴿خَلَقَ﴾، أو ﴿مَا﴾ مرتفعٌ بالابتداءِ، خبرُهُ ﴿ذا﴾ بصلتِهِ، ففي كلامِ الشّيخِ خلطٌ بين القولينِ.

قولُه: (مُعَلَّقٌ) يعني: على الوَجهينِ.

قولُه: (عَنِ العَمَلِ) أي: في (ما).

قولُه: (أَو مَا بَعْدَهُ) لعَلَّها بمعنى: الواوِ[2]، أو بمعنى التّخييرِ في التّعبيرِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢١٣).

(٢) وهكذا جاءت في نسخ المتن بالواو، فأغنت عن تكلف جعل (أو) بمعنى الواو.

﴿بَلِ﴾: للانتقال ﴿الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ بإشراكهم وأنتم منهم.

١٢ ـ ﴿ولَقَدْ آتَيْنا لُقمانَ الحِكْمَةَ﴾، منها العِلمُ والدِّيانة والإصابة في القول ـ وحِكَمُه كثيرة مأثورة، كان يُفتي قبل بَعث داودَ، وأدرك زَمنَه وأخذ عنه العِلم وترك الفُتيا، وقال في ذلك: ألا أكتفي إذا كُفيتُ؟ وقيل له: أيُّ الناس شرّ؟ قال: الذي لا يُبالي أن رآه الناس مُسيئًا ـ ﴿أنِ﴾ أي: وقلنا له: أنِ ﴿اشكُرْ للهِ﴾ على ما أعطاك من الحِكمة. ﴿ومَن يَشكُرْ فإنَّما يَشكُرُ لِنَفسِهِ﴾ لأنّ ثواب شُكره له، ﴿ومَن كَفَرَ﴾ النِّعمةَ ﴿فإنَّ اللهَ غَنيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في صُنعه. ١٣ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ لُقمانُ لِابنِهِ، وهُوَ يَعِظُهُ: يا بُنَيَّ﴾ ـ تصغيرُ إشفاق ـ ﴿لا تُشرِكْ بِاللهِ. إنَّ الشِّرْكَ﴾ بالله ﴿لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، فرجَعَ إليه وأسلمَ.

١٤ ـ ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بِوالِدَيهِ﴾: أمرناه أن يَبَرّهما ـ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ﴾ فوَهَنَتْ ﴿وَهْنًا على وَهْنٍ﴾ أي: ضعُفتْ...

قولُه: (وأَنْتُم مِنهُم) الأظهرُ: أنَّه وضعَ الظَّاهرَ موضعَ المضمرِ للدِّلالةِ على أنَّهم ظالمونَ بإشراكِهم.

قولُه: (مِنهَا العِلمُ) والجمهورُ على أنَّه لم يكن نبيًّا، وقيلَ: كانَ عبداً نوبيًّا من سودانِ مصرَ، وقيلَ: حبشيًّا نجَّاراً أو خيَّاطاً.

قولُه: (كَانَ يُفتِي) ويَقْضي.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: في سببِ تركِ الفُتْيَا.

قولُه: (قُلْنَا لَهُ: ﴿أَنِ..﴾) فيه أنَّ (أنْ) المفسِّرةَ بعدَ القولِ الصَّريحِ غيرُ صحيحٍ، وكذا المصدريَّةُ، فإنَّ المقولَ لا بُدَّ أن يكونَ جملةً، فالأولى عدَمُ تقديرِ القولِ، فإنَّ إيتاءَ الحكمةِ في معنى القولِ.

قولُه: (ثَوَابَ شُكرِهِ) الأحسنُ: نَفْعَهُ، وهو دوامُ النِّعمةِ واستحقاقُ مزيدِها في الدَّارينِ.

قولُه: (عَن خَلقِه) فضلاً عن شكرِهِم.

قولُه: (مَحمُودٌ) نطَقَ بحمدِه جميعُ مصنوعاتِه، أو: حقيقٌ بالحمدِ حُمِدَ أو لم يُحْمَد.

قولُه: (وأَسْلَمَ) على ما قيلَ: إنَّه كانَ كافراً.

قولُه: (أَن يَبَرَّهُمَا) الأظهرُ: ببرِّهِما.

قولُه: (فَوَهَنَتْ) أو: تَهِنُ [وهناً]، أو: ذاتَ وهنٍ، أو مبالغةٌ.

قولُه: (أي: ضَعُفَتْ) أو: تضعُفُ ضَعْفاً فوقَ ضعفٍ، فإنَّها لا تزالُ يتضاعفُ ضَعفُها.

للحَمل وضعُفت للطلق وضعُفت للوِلادة، ﴿وفِصالُهُ﴾ أي: فِطامه ﴿في عامَين﴾ ـ وقلنا له: ﴿أنِ اشكُرْ لِي ولِوالِدَيكَ ـ إلَيَّ المَصِيرُ﴾ أي: المَرجِع ـ ١٥ ـ ﴿وإن جاهَداكَ علَى أن تُشرِكَ بِي ما لَيسَ لَكَ بِهِ عِلمٌ﴾، مُوافقةٌ للواقع، ﴿فلا تُطِعْهُما، وصاحِبْهُما في الدُّنيا مَعرُوفًا﴾ أي: بالمعروف: البِرّ والصِّلة، ﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ﴾: طريق ﴿مَن أنابَ﴾: رجَع ﴿إلَيَّ﴾ بالطاعة. ﴿ثُمَّ إلَيَّ مَرجِعُكُم، فأُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فأُجازيكم عليه. وجملة الوصيّة وما بعدها اعتراض.

١٦ ـ ﴿يا بُنَيَّ، إنَّها﴾ أي: الخَصلةَ السيّئة ﴿إن تَكُ مِثقالَ حَبَّةٍ مِن خَردَلٍ، فتكُنْ في صَخرةٍ أو في السَّماواتِ أو في الأرضِ﴾ أي: في أخفى مكان من ذلك ﴿يأتِ بِها اللهُ﴾،..........................

قولُه: (للوِلادَةِ) والأظهرُ: للتَّربيةِ في الإرضاعِ وغيرِهِ إلى الفطامِ، فإنَّ الطَّلقَ والولادةَ متقاربانِ، ولعلَّهُ عليهِ السَّلامُ قالَ: «بِرَّ أمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أُمَّكَ، ثُمَّ أبَاكَ»[1] لهذهِ الأحوالِ الثَّلاثِ المختصَّةِ بالأمِّ.

قولُه: (وقُلْنَا لَهُ) فيهِ ما قُلنا له[2]، قالَ القاضي: تفسيرٌ لـ﴿وَصَّيْنَا﴾، أو علَّةٌ له، أو بدلٌ من ﴿وَالِدَيْهِ﴾ بدلَ اشتمالٍ[3].

عنِ ابنِ عيينةَ: مَن صلَّى الصَّلواتِ الخمسِ فقد شكرَ اللهَ، ومَن دَعَا لوالدَيْهِ فِي أدبارِ الصَّلواتِ الخمسِ فقد شكرَ والديهِ[4].

قولُه: (مُوَافَقَةٌ) أي: فلا مفهومَ، وقيلَ: أرادَ بنفيِ العلمِ [به] نَفْيَهُ.

قولُه: (أي: بالمَعرُوفِ) والأظهرُ: صحاباً معروفاً يرتضيهِ الشَّرعُ ويقتضيهِ الكرمُ.

قولُه: (اعتِرَاضٌ) في تضاعيفِ وصيَّةِ لقمانَ؛ تأكيداً لما فيها مِن النَّهيِ عنِ الشِّركِ.

قولُه: (السَّيِّئَةَ) أو الحسنةَ.

قولُه: (مِنْ ذَلِكَ) ممَّا ذُكِرَ من السَّماواتِ والأرضِ، أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن السُّدِّيِّ قالَ: هذه الصَّخرةُ ليسَت في السَّماواتِ ولا في الأرضِ، هي تحتَ سبعةِ أرضينَ، عليها ملكٌ قائمٌ، كذا في «الهيئةِ السَّنيَّةِ» للسُّيوطيِّ[5].

---

(١) رواه أبو داود (٥١٣٩)، والترمذي (١٨٩٧) من حديث بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه، ولفظه عند أبي داود: قال: قلت يا رسول الله: من أبر؟ قال: «أمك، ثم أمك، ثم أمك، ثم أباك، ثم الأقرب، فالأقرب».

قال الترمذي: هذا حديث حسن. ورواه بنحوه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) لعله يريد ما تقدم قريبا من قوله في تعقب الجلال: «فيه أنَّ (أنْ) المفسِّرةَ بعدَ القولِ الصَّريحِ غيرُ صحيحٍ. . .».

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢١٤).

(٤) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢١/ ٢٠٤) (٢٢١١).

(٥) لم أجده في «الهيئة السنية» وذكره السيوطي في «الحبائك في أخبار الملائك» (ص: ١١٣).

فيحاسبْ عليها. ﴿إنَّ اللهَ لَطِيفٌ﴾ باستخراجها ﴿خَبِيرٌ﴾ بمكانها. ١٧ ـ ﴿يا بُنَيِّ، أَقِمِ الصَّلاةَ، وأْمُرْ بِالمَعرُوفِ، وانْهَ عَنِ المُنكَرِ، واصبِرْ علَى ما أصابَكَ﴾ بسبب الأمر والنهي ـ ﴿إنَّ ذلِكَ﴾ المذكورَ ﴿مِن عَزمِ الأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها التي يُعزم عليها لوجوبها ـ ١٨ ـ ﴿ولا تُصَعِّرْ﴾، وفي قراءة: «تُصاعِرْ»، ﴿خَدَّكَ لِلنّاسِ﴾: لا تُمِل وجهَك عنهم تكبّرًا، ﴿ولا تَمشِ في الأرضِ مَرَحًا﴾ أي: خُيلاءَ ـ ﴿إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ﴾: متبختر في مشيه ﴿فَخُورٍ﴾ على الناس ـ ١٩ ـ ﴿واقصِدْ في مَشيِكَ﴾: توسّطْ فيه بين الدبيب والإسراع وعليك السكينةُ والوقار، ﴿واغضُضْ﴾: اخفِض ﴿مِن صَوتِكَ. إنَّ أنكَرَ الأصْواتِ﴾: أقبحَها ﴿لَصَوتُ الحَمِيرِ﴾ أوّلُه زفيرٌ، وآخِرُه شهيقٌ.

قولُه: (فيُحَاسبْ) أي: يُحضِرْها فيُجازي، وهما مجزومانِ.

قولُه: (والنَّهيِ) يعني: خُصوصاً، وغيرُهُما عموماً.

قولُه: (المَذكُورَ) أي: كُلَّ ما أمرَهُ، أو: الصَّبرَ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وبصريٍّ وحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (وَجهَكَ) الأظهرُ: صفحَةَ وجهِكَ، في «القاموسِ»: الخدَّانِ: اللَّذانِ يكتنفانِ الأنفَ عن يمينٍ وشمالٍ[2].

قولُه: (أي: خُيَلاءَ) ظاهرُهُ: أنَّه مفعولٌ مطلقٌ؛ لأنَّ خيلاءَ نوعٌ من المشيِ، أو التَّقديرُ: ذا مَرَحٍ؛ أي: بَطَرٍ، وهو يحتمِلُ الحالَ والوصفَ بالمصدرِ، أو: مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ بتأويلِهِ بالوصفِ؛ أي: فَرَحاً، أو: مبالغةٌ[3].

قولُه: (عَلَى النَّاسِ) وتأخيرُ الفخورِ ـ وهو مقابلٌ للمصعِّرِ، والمختالُ للماشي، فإنَّ الاختيالَ هو مَشيَةُ المتكبِّرِ ـ لمراعاةِ الفاصلةِ.

قولُه: (اخفِضْ) فـ﴿مِنْ﴾ تبعيضيَّةٌ مفعولٌ، أو: انقُصْ واقصُرْ، فـ﴿مِن﴾ صلةٌ.

قولُه: (أَقبَحَهَا) وأوحَشَها، قالَ سفيانُ الثَّوريُّ: صوتُ كلِّ شيءٍ تسبيحٌ إلَّا صوتَ الحميرِ[4]. فإنَّها تصيحُ لرؤيةِ الشَّيطانِ، ولذلك يكونُ أنكرَ.

= والأثر عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٣٣٨٤)

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٥).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٧٩).

(٣) أي: هو وصف بالمصدر على سبيل المبالغة كقولك: رجلٌ عدلٌ. فهو أبلغ من: رجلٌ عادلٌ.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٢٥)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢١/ ٢١٩) (٢٢١٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٧٦٢).

٢٠ ـ ﴿أَلَم تَرَوا﴾: تعلموا ـ يا مُخاطَبِين ـ ﴿أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم ما في السَّماواتِ﴾ من الشمس والقمر والنجوم لتنتفعوا بها ﴿وما في الأرضِ﴾ من الثمار والأنهار والدوابّ، ﴿وأسبَغَ﴾: أوسَعَ وأتمَّ ﴿علَيكُم نِعَمَهُ ظاهِرَةً﴾ ـ وهي حُسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك ـ ﴿وباطِنَةً﴾ هي المعرفة وغيرها؟ ﴿ومِنَ النّاسِ﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿مَن يُجادِلُ في اللهِ بِغَيرِ عِلمٍ ولا هُدًى﴾ من رسول ﴿ولا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾ أنزله الله بل بالتقليد، ٢١ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ: اتَّبِعُوا ما أنزَلَ اللهُ، قالُوا: بَل نَتَّبِعُ ما وَجَدْنا علَيهِ آباءَنا﴾. قال تعالى: ﴿أَ﴾ يتّبعونه ﴿وَلَو كانَ الشَّيطانُ يَدعُوهُم إلَى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ أي: مُوجِباتِه؟ لا.

٢٢ ـ ﴿ومَن يُسلِمْ وَجهَهُ إلَى اللهِ﴾ أي: يُقبِلْ على طاعته،........................

قلتُ: ولذا يُتعَوَّذُ باللهِ من الشَّيطانِ عند صوتِه كما وردَ في الحديثِ[1]، قالَ الطِّيبيُّ: قوله: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ﴾ تعليلٌ للأمرِ بغضِّ الصَّوتِ على الاستئنافِ، كأنَّهُ قيلَ: لمَ أغُضُّ الصَّوتَ؟ فأجيبَ: لأنَّكَ إن رفعْتَ صوتَكَ كنت بمنزلةِ الحمارِ في أخسِّ أحوالِهِ[2].

قولُه: (وغَيرُ ذَلِكَ) من النِّعَمِ المحسوسَةِ، وقرأ نافعٌ وأبو عَمرٍو وحفصٌ: ﴿نِعَمَهُ﴾ بالجمعِ والإضافةِ[3].

قولُه: (وغيرُهَا) مِنَ النِّعَمِ المعقُولَةِ، قيل: الظَّاهرةُ: العافيةُ والأمانُ، والباطنةُ: العفوُ والغفرانُ، وقيل: المرادُ بهما: الإسلامُ والإيمانُ، وقيل: حُسْنُ الخَلقِ والخُلُقِ.

قولُه: (أي: أَهْلِ مَكَّةَ) بالجرِّ أو الرَّفعِ، ولا وجهَ للتَّخصيصِ.

قولُه: (بَل بالتَّقلِيدِ) فقولُه: ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: مستفادٍ من دَليلٍ عقليٍّ.

قولُه: (﴿أَ﴾يتَّبِعُونَهُ) أي: ما وجَدوا عليه آباءَهُم، فالهمزةُ للإنكارِ على التَّقليدِ والتَّعجُّبِ منه، والواوُ وصليَّةٌ؛ يعني: التقليدُ في أمرِ التَّوحيدِ غيرُ سديدٍ، خصُوصاً إذا كانَ ينجرُّ إلى عذابٍ شديدٍ، والضَّميرُ في: ﴿يَدْعُوهُم﴾ لهم، أو لآبائِهم ولهُم[4].

قولُه: (لا) أي: لا ينبَغي اتِّباعُهُم.

قولُه: (أي: يُقْبِلْ) يريدُ: أنَّ الوجهَ بمعنى الذَّاتِ، والمرادُ من إسلامِهِ: إسلامُ أمورِهِ، والمعنى: يفوِّضُ

---

(١) روى البخاري (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه قال: «وإذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً».

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٩٩).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٥).

(٤) في النسخ: «أو لهم»، ولعل الصواب هو المثبت.

﴿وهُوَ مُحسِنٌ﴾: مُوحّد، ﴿فقَدِ استَمسَكَ بِالعُرْوةِ الوُثقَى﴾: بالطرف الأوثق الذي لا يُخاف انقطاعُه ـ ﴿وإلَى اللهِ عاقِبةُ الأُمورِ﴾: مَرجِعها ـ ٢٣ ـ ﴿ومَن كَفَرَ فلا يَحزُنْكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿كُفرُهُ﴾: لا تهتمَّ بكُفره. ﴿إلَينا مَرجِعُهُم، فنُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا. إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ أي: بما فيها كغيره فمُجازٍ عليه، ٢٤ ـ ﴿نُمَتِّعُهُم﴾ في الدنيا ﴿قَليلاً﴾ أيام حياتهم، ﴿ثُمَّ نَضطَرُّهُم﴾ في الآخرة ﴿إلَى عَذابٍ غَلِيظٍ﴾. وهو عذاب النار، لا يجدون عنه مَحيصًا.

٢٥ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سألتَهُم: مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ﴾. حُذف منه نونُ الرفع لتوالي الأمثال، وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين. ﴿قُلِ: الحَمدُ للهِ﴾ على ظُهور الحُجّة عليهم بالتوحيد. ﴿بَل أكثَرُهُم لا يَعلَمُونَ﴾ وجوبَه عليهم..

أمرَهُ إليه، ويُقبِلُ بشَراشِرِه[1] عليه، ويؤيِّدُه قراءةُ الأعمشِ بالتَّشديدِ[2]، وحيثُ عُدِّي باللَّامِ نحوَ قولِهِ تعالى: ﴿مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١١٢] فلِتَضَمُّنِ معنى الإخلاصِ.

قولُه: (مُوَحِّدٌ) أو في عَمَلِهِ.

قولُه: (بالطَّرَفِ الأَوثَقِ) أي: تعلَّقَ بأوثَقِ ما يُتعَلَّقُ به، وهو تمثيلٌ للمتوكِّلِ المشتغلِ بالطَّاعةِ بمن أرادَ أن يترقَّى شاهِقَ جبلٍ فتمسَّكَ بأوثَقِ عُرى الحَبْلِ المتدلِّي منه.

قولُه: (لا تَهْتَمَّ لكُفرِهِ) فإنَّه لن يضرَّكَ، وقولُ البيضاويِّ: وقُرِئَ: (فَلَا يُحزِنكَ) من أحزنَهُ وليسَ بمستفيضٍ[3]. خطأٌ من وجهين؛ فإنَّ القراءةَ لنافعٍ[4]، وهي متواترةٌ فوقَ المستفيضِ بمعنى: المشهورِ، وفي «القاموسِ»: حزنَهُ الأمرُ وأحزَنَهُ: جعلَهُ حَزيناً[5].

قولُه: (أيَّامَ حَيَاتِهِم) أي: زماناً قليلاً، أو: تَمتيعاً قليلاً، فإنَّ ما يزولُ بالنِّسبةِ إلى ما يدومُ قليلٌ.

قولُه: (وَهُو عَذَابُ النَّارِ) يثقُلُ عليهم ثِقَلَ الأجرامِ الغِلاظِ، أو يَضمُّ إلى الإحراقِ الضَّغطَ.

قولُه: (لامُ قَسَمٍ) موطِّئَةٌ.

قولُه: (وُجُوبَهُ) أي: التَّوحيدَ، أو ظهورَها عليهم.

---

(١) الشراشر: النَّفس والأثقال والمحبة وجميع الجسد. «القاموس المحيط» (ص: ٤١٥).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨) عن علي والسلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢١٦).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢١٩)، و«حجة القراءات» (ص: ١٨١).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١٨٩).

٢٦ ـ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، فلا يستحقّ العِبادة فيهما غيرُه. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في صُنعه.

٢٧ ـ ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ، وَالْبَحْرَ﴾: عطفٌ على اسم «أنّ» ﴿يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مِدادًا، ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ المُعبَّر بها عن معلوماته، بكَتبها بتلك الأقلام بذلك المداد، وبأكثرَ من ذلك، لأنّ معلوماته ـ تعالى ـ غير مُتناهية. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾: لا يُعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾: لا يخرج شيء عن عِلمه وحِكمته. ٢٨ ـ ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خلقًا وبعثًا لأنه بكلمة «كُنْ فيكُونُ». ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾: يسمع كُلّ مسموع ﴿بَصِيرٌ﴾ يُبصر كُلّ مُبصَر، لا يَشغله شيء عن شيء.

٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: تعلمْ ـ يا مُخاطَبًا ـ ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾:..............................

قولُه: (عَطفٌ عَلى اسمِ ﴿أنَّ﴾) وهو [في][1] قراءةِ البصريِّ وغيرِه[2] بالرَّفعِ للعطفِ على محلِّ ﴿أنَّ﴾ ومعمولِها و﴿يَمُدُّهُ﴾ حالٌ؛ أي: لو ثبَتَ كونُ الأشجارِ أقلاماً والبحرِ المحيطِ بسَعَتِه مِداداً ممدوداً بسبعَةِ أبحُرٍ.

قولُه: (مِدَادًا) خبرُ ﴿أنَّ﴾ على قراءةِ البصريِّ[3]، وأغنى عن ذكرِ المدادِ ﴿يمدُّهُ﴾؛ لأنَّه من مَدَّ الدَّواةَ؛ أي: زادَ في مِدادِها.

قالَ شيخُ مشايخِنا مَولانا شيخُ الإسلامِ وقطبُ الأنامِ الشَّيخُ أبو الحسَنِ البكريُّ[4] تغمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ في «تفسيرِهِ»: ذِكرُ السَّبعةِ ليسَ للحَصْرِ بل للمبالغةِ، وإنَّما خُصَّ بالذِّكرِ لكثرَةِ ما يُعَدُّ بها مِن الكواكبِ السَّيَّارةِ والسَّماواتِ والأرضينَ وغيرِهَا، ولأنَّها عَدَدٌ تنحصرُ فيهِ المعدوداتُ، إذ كلُّ أحدٍ يحتاجُ في حاجتِهِ إلى زمانٍ ومكانٍ، والزَّمانُ ينحصرُ في سبعةِ أيَّامٍ، والمكانُ في سبعةِ أقاليمَ، انتهى.

قولُه: (بِكَلِمَةِ: كُنْ) المُعبَّرِ بها عن تعلُّقِ إرادَتِهِ.

قولُه: (يَا مُخَاطَباً) إشارةٌ إلى أنَّ المنادَى نكِرةٌ غيرُ مقصودةٍ، وهو غير[5] ظاهرٌ، فالصَّحيحُ: أنَّ الخطابَ عامٌّ لكُلِّ أحدٍ، أو: له ﷺ أصالةً ولغيرِه تبعاً.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧)، و«النشر» (٢/ ٣٤٧) عن أبي عمرو ويعقوب البصريين.

(٣) كذا قال، وفيه نظر، فاسم ﴿أن﴾ مرفوع وهذا منصوب.

(٤) هو: محمد بن محمد بن عبد الرحمن، أبو الحسن البكري الصدِّيقي: مفسر، متصوف مصري، من علماء الشافعية. مولده ووفاته بالقاهرة، كان يقيم عاماً بمصر وعاماً بمكة، وشاع ذكره في أقطار الأرض مع صغر سنة، وله تفسيران أحدهما لم يطبع بعد وهو: «تسهيل السبيل» والثاني طبع وهو: «الواضح الوجيز» (ت: ٩٥٢هـ). وانظر: «الأعلام» (٧/ ٥٧).

(٥) «غير»: سقطت من (م) و(ص) و(ن).

يُدخِل ﴿اللَّيلَ في النَّهارِ، ويُولِجُ النَّهارَ﴾: يُدخله ﴿في اللَّيلِ﴾، فيزيد كُلٌّ منهما بما نقَص من الآخَر، ﴿وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجرِي﴾ في فلكه ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: يومِ القيامة، ﴿وأنَّ اللهَ بِما تعمَلُونَ خَبيرٌ؟ ذلِكَ﴾ المذكور ﴿بِأنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ﴾: الثابت، ﴿وأنَّ ما يَدعُونَ﴾، بالياء والتاء: يعبدون ﴿مِن دُونِهِ الباطِلُ﴾: الزائل، ﴿وأنَّ اللهَ هُوَ العَلِيُّ﴾ على خلقه بالقهر ﴿الكَبِيرُ﴾: العظيم.

٣١ ـ ﴿ألَم تَرَ أنَّ الفُلكَ﴾ السُّفن ﴿تَجرِي في البَحرِ بِنِعْمةِ اللهِ، لِيُرِيَكُم﴾ ـ يا مُخاطَبِين ـ بذلك ﴿مِن آياتِهِ؟ إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾: عِبرًا ﴿لِكُلِّ صَبّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿شَكُورٍ﴾ لِنعمته.

٣٢ ـ ﴿وإذا غَشِيَهُم﴾ أي: علا الكُفّارَ ﴿مَوجٌ كالظُّلَلِ﴾: كالجِبال التي تُظِلّ مَن تحتها ﴿دعَوُا اللهَ مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدُّعاءَ بأن يُنجيَهم، أي: لا يدعون معه غيره، ﴿فلَمّا نَجّاهُم إلَى البَرِّ فمِنهُم مُقتَصِدٌ﴾: مُتوسّط بين الكُفر والإيمان، ومنهم باقٍ على كفره. ﴿وما يَجحَدُ بِآياتِنا﴾، ومنها الإنجاءُ من الموج، ﴿إلاّ كُلُّ خَتّارٍ﴾: غَدّار ﴿كَفُورٍ﴾ لِنعم الله تعالى.

قولُه: (يَومِ القِيَامَةِ) فالمرادُ بالأجَلِ: غايةُ المدَّةِ ونهايتُها.

قولُه: (المَذْكُورُ) من سَعَةِ العِلمِ وشمولِ القدرَةِ وعجائِبِ الصُّنعِ، واختصاصُ الباري بها بالإجماعِ من المشرِكينَ أيضاً.

قولُه: (بالياءِ) الغيبةُ بصريٌّ وكوفيٌّ غيرُ شعبةَ[1].

قولُه: (العَظِيمُ) شأنُه وبرهانُه.

قولُه: (عَن مَعَاصِي اللهِ) وعلى طاعاتِهِ وفي مصيباتِه.

قولُه: (لِنِعَمِهِ) يعرِفُ النِّعَمَ، ويتعرَّفُ المنعِمَ.

قولُه: (عَلا) وغَطَّى.

قولُه: (كالجِبَالِ) أو السَّحابِ.

قولُه: (بَيْنَ الكُفرِ) لانزجارِهِ بعضَ الانزجارِ، أو: مقيمٌ على الطَّريقِ القصدِ الَّذي هو التَّوحيدُ.

قولُه: (ومِنهَا الإِنجَاءُ) الأظهرُ: التَّنجيَةُ.

قولُه: (غَدَّارٍ) غيرِ صبَّارٍ على العهدِ الفِطريِّ، أو البحريِّ[2]، والخَتْرُ: أشدُّ الغَدرِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٧).

(٢) أي: ما كان في البحر إذا غشيهم الموج.

٣٣ ـ ﴿يا أيُّها النَّاسُ﴾ أي أهلَ مكّة، ﴿اتَّقُوا رَبَّكُم واخشَوا يومًا، لا يَجزِي﴾: يُغني ﴿والِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ فيه شيئًا ﴿ولا مَولُودٌ هُوَ جازٍ عَن والِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيئًا! إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ. فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾ عن الإسلام، ﴿ولا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ﴾ في حِلمه وإمهاله ﴿الغَرُورُ﴾: الشيطانُ.

٣٤ ـ ﴿إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ﴾: متى تقومُ؟ ﴿ويُنَزِّلُ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿الغَيثَ﴾ بوقت يعلمه، ﴿ويَعلَمُ ما في الأرحامِ﴾ أذكرٌ أم أنثى؟ ولا يعلم واحدًا من الثلاثة غيرُ الله تعالى ـ ﴿وما تَدرِي نَفسٌ: ماذا تَكسِبُ غَدًا﴾ من خير أو شرّ؟ ويعلمه الله ـ تعالى ـ ﴿وما تَدرِي نَفسٌ: بِأيِّ أرضٍ تَمُوتُ﴾؟ ويعلمه الله تعالى ـ ﴿إنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ بكُلّ شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بباطنه كظاهره..........................

قولُه: (أيْ: أهلَ مَكَّةَ) لعلَّهُم خُصُّوا لأنَّهم من أهلِ البيتِ، وأهلُ البيتِ منهم.

قولُه: (يُغنِي) أو يقضِي.

قولُه: (بالبَعثِ) المتضمِّنِ للثَّوابِ والعقابِ.

قولُه: (الشَّيطَانُ) بأن يسوِّفَكم في التَّوبةِ ويرجِّيَكُمُ المغفرةَ، فيحملَكُم على المعاصي، أو بقولِهِ: لا بعثَ ولا ثوابَ ولا عقابَ.

قولُه: (مَتَى تَقُومُ) أي: عِلمُ وقتِ قيامِها.

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ وحمزةُ والكسائيُّ[1].

قولُه: (بوَقْتٍ) ومحَلٍّ.

قولُه: (أَذَكَرٌ أم أُنثَى) أتامٌّ أم ناقصٌ؟

وقيلَ: من كافرٍ ومؤمنٍ، ومُطيعٍ وعاصٍ، وغيرِ ذلك.

قولُه: (ولا يَعلَمُ وَاحِداً) يريدُ أنَّ العِلمَ بهذه الأشياءِ الثَّلاثةِ مختَصٌّ باللهِ، وهذا لا يفهمُ ممَّا سبَقَ بخلافِ ما سيأتي من الشَّيئَينِ، فإنَّ الحصرَ مستَفادٌ منهُما.

قولُه: (وشَرٍّ) الأظهرُ: (أو) فربَّما يعزمُ على أحدِهِما ويفعلُ خلافَهُ.

قولُه: (ويَعْلَمُهُ اللهُ) كما لا تَدْري في أيِّ وقتٍ تموتُ واللهُ يعلمُهُ، وقيلَ: معنى ﴿بِأَيِّ أَرْضٍ﴾: بأيِّ قدمٍ أو مقامٍ.

---

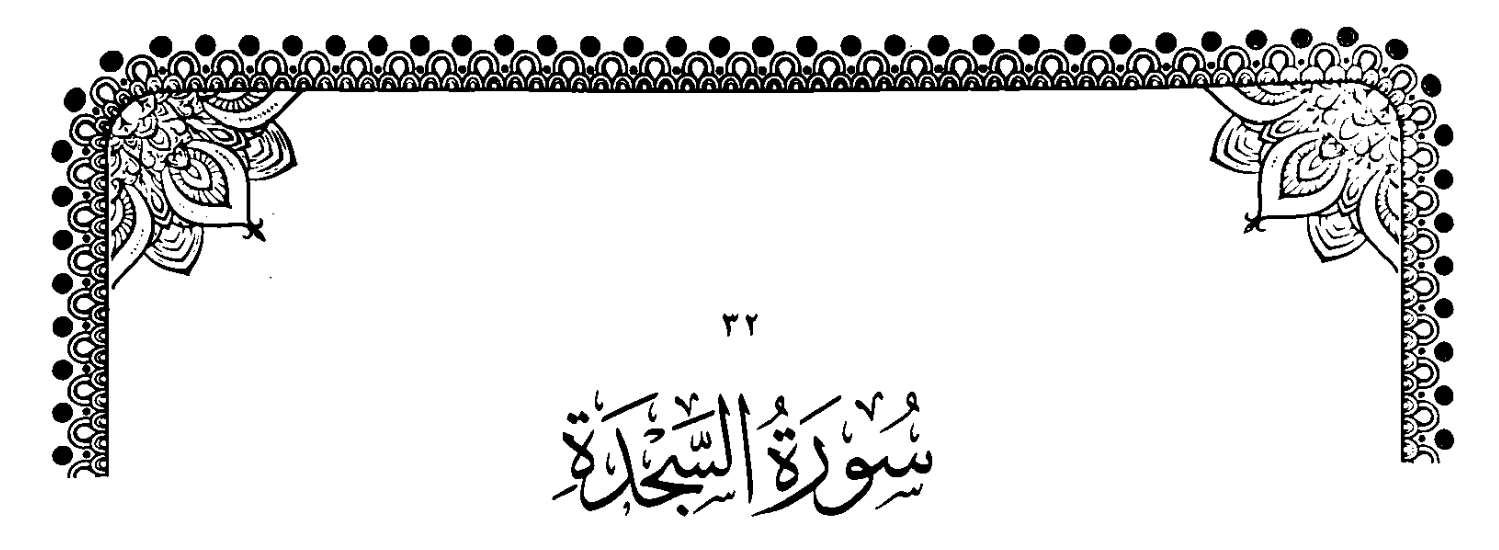
(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٧).

روى البخاريّ عن ابن عُمرَ حديثَ: «مَفاتِيحُ الغَيبِ خَمسةٌ: إنَّ اللهَ عِندَهُ عِلمُ السّاعةِ» إلى آخِرِ السُّورة.

قولُه: (خَمسَةٌ) هذا ظاهرٌ، بخلافِ ما في البيضاويِّ: (خمسٌ)[1]. ولعلَّهُ باعتبارِ أنَّ المفتاحَ آلةُ الفتْحِ، والأظهرُ أنَّ المرادَ: خمسُ كلماتٍ، أو خمسُ جُمَلٍ، أو قضايا، واللهُ أعلمُ.

* * *

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢١٨). وما فيه هو الموافق لما في روايات البخاري (١٠٣٩) وأطرافه.



٣٢

سورة السجدة

مكية، ثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ مبتدأٌ ﴿لا رَيبَ﴾: شكّ ﴿فِيهِ﴾: خبرٌ أوّل ﴿مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾: خبرٌ ثانٍ. ٣ ـ ﴿أم﴾ بل ﴿يَقُولُونَ: افتَراهُ﴾ مُحمّد؟ لا ﴿بَل هُوَ الحَقُّ مِن رَبِّكَ، لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَومًا، ما﴾: نافية ﴿أتاهُم مِن نَذِيرٍ مِن قَبلِكَ، لَعَلَّهُم يَهتَدُونَ﴾ بإنذارِكَ.

سورة السجدة

قولُه: (مُبْتَدَأٌ) أو خبرٌ محذوفٍ؛ أي: هذا المتلوُّ، على أنَّ التَّنزيلَ بمعنى: المنزَّلِ، والإضافةُ من بابِ إضافةِ الصِّفةِ إلى الموصوفِ.

قولُه: (شَكَّ) لأنَّ نافيَ الرَّيبِ معه، وهو كونُه مُعجِزاً.

قولُه: (بَل) الظَّاهرُ: تقديرُ الهمزةِ أيضاً ليصِحَّ.

قولُه: (لَا) أي: ما افترَاهُ.

قولُه: (نَافِيةٌ) وقولُه إذا كانوا أهلَ الفترَةِ فيه إشكالٌ؛ إذ أهلُ الفترَةِ في عذابِهم خلافٌ، فالأحسنُ قولُ الصَّفويِّ: فإنَّهُ ما أتاهم رسُولٌ منهم مبعُوثٌ إليهم ينذرُهُم، وإنْ كانُوا يُلْزَمُونَ بشرائعِ الرُّسُلِ من قَبْلُ، وكانُوا مُقَصِّرينَ في البحثِ عنها، لاسيَّما دِيْنُ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السَّلامُ[1].

قولُه: (بِإِنْذَارِكَ) إيَّاهم.

---

(١) وانظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» (٣/ ٣٢٦)، ففيه بعض الكلام وبقيته في «جوامع التبيان» ولم يطبع بعد.

٤ ـ ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما في سِتَّةِ أيَّامٍ﴾، أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، ﴿ثُمَّ استَوَى علَى العَرشِ﴾، هو في اللغة سريرُ المُلك، استواءً يليق به، ﴿مالَكُم﴾ ـ يا كُفّار مكّة ـ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مِن وَلِيٍّ﴾: اسم «ما» بزيادة «من» أي: ناصرٍ، ﴿ولا شَفِيعٍ﴾: يدفع عذابه عنكم. ﴿أفلا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا، فتؤمنون به؟

٥ ـ ﴿يُدَبِّرُ الأمرَ مِنَ السَّماءِ إلَى الأرضِ﴾ مُدّةَ الدنيا، ﴿ثُمَّ يَعرُجُ﴾ يرجِع الأمر والتدبير ﴿إلَيهِ في يَومٍ، كانَ مِقدارُهُ ألفَ سَنةٍ مِمّا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا. وفي سورةِ «سأَل»: «خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ»، وهو يوم القيامة لشِدّة أهواله بالنسبة إلى الكافر. وأمّا المؤمن فيكون أخفّ عليه من صلاة مكتوبة، يُصلّيها في الدنيا كما جاء في الحديث.

٦ ـ ﴿ذلِكَ﴾ الخالق المدبِّر ﴿عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر، ﴿العَزِيزُ﴾: المنيع في مُلكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته،..........................

قولُه: (وهُوَ في اللُّغَةِ) والمرادُ به شَرْعاً: الجِسمُ الأعظَمُ المحيطُ بجميعِ المخلوقاتِ.

قولُه: (يَلِيقُ بِهِ) هذا مذهَبُ السَّلَفِ، وتقدَّمَ تأويلُ بعضِ الخلَفِ[1].

قولُه: (هَذا) الوَعظُ.

قولُه: (مُدَّةَ الدُّنيَا) ظرفٌ لـ﴿يُدَبِّرُ﴾؛ أي: يدبِّرُ أمرَ الدُّنيا منزَّلاً من السَّماءِ إلى الأرضِ إلى يومِ القيامَةِ، فإنَّ السَّماءَ محلُّ حُكمِ اللهِ، ومنه تَنزِلُ الأمورُ.

قولُه: (يَرجِعُ الأمْرُ) أي: ذلك الأمرُ كلُّهُ؛ أي: يصيرُ إلى اللهِ لأنْ يحكُمَ فيهِ، فقولُه: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ ظرفٌ لـ﴿يَعْرُجُ﴾ لا لـ﴿يُدَبِّرُ﴾ فتدبَّر.

قولُه: (وفي سُورَةِ ﴿سَأَلَ﴾[2]) حاصلُهُ: أنَّ يومَ القيامةِ طويلٌ مُدَّة [خمسين][3] ألفَ سنةٍ في الدُّنيا، ويكونُ طويلاً على الكافرينَ وقصيراً على المؤمنينَ الكاملينَ، والباقونَ على مراتِبِهِم، وفي الآيةِ هذهِ أقوالٌ كَثيرَةٌ للسَّلفِ والخَلفِ، وهذا أظهرُها.

قولُه: (ومَا حَضَرَ) أي: لهم.

قولُه: (المَنِيعُ) الغالِبُ الَّذي لا يغالبُهُ أحدٌ.

---

(١) في سورة الأعراف [٥٤].

(٢) قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤].

(٣) سقطت من كل النسخ، وسياق آية المعارج تقتضيها.

٧ ـ ٨ ـ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ـ بفتح اللام، فعلاً ماضيًا: صفةٌ، وبسكونها: بدلُ اشتمال ـ ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الإنسانِ﴾ آدمَ ﴿مِن طِينٍ، ثُمَّ جَعَلَ نَسلَهُ﴾: ذُرّيته ﴿مِن سُلالةٍ﴾: علَقةٍ ﴿مِن ماءٍ مَهِينٍ﴾: ضعيف، هو النُّطفة، ٩ ـ ﴿ثُمَّ سَوّاهُ﴾ أي: خَلقَ آدمَ، ﴿ونَفَخَ فِيهِ مِن رُوحِهِ﴾، أي: جعله حيًّا حسّاسًا بعد أن كان جمادًا، ﴿وجَعَلَ لَكُمُ﴾ أي: لذُرّيته ﴿السَّمعَ﴾ بمعنى الأسماع ﴿والأبصارَ والأفئِدةَ﴾: القُلوب. ﴿قليلاً ما تَشكُرُونَ﴾ ما: زائدة مؤكّدة للقِلّة.

١٠ ـ ١١ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿أإذا ضَلَلْنا في الأرضِ﴾: غبنا فيها بأن صِرنا تُرابًا مُختلطًا بتُرابها ﴿أإنّا لَفِي خَلقٍ جَدِيدٍ﴾؟ استفهامُ إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين. قال تعالى: ﴿بَل هُم بِلِقاءِ رَبِّهِم﴾: بالبعث ﴿كافِرُونَ. قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَفّاكُم مَلَكُ المَوتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُم﴾ أي: بقبضِ أرواحكم، ﴿ثُمَّ إلى رَبِّكُم تُرجَعُونَ﴾ أحياءً، فيُجازيكم بأعمالكم.

قولُه: (بفَتحِ اللّامِ) نافعٌ وكوفيٌّ[1].

قولُه: (صِفَةٌ) لـ﴿شَيْءٍ﴾ أو لـ﴿كُلَّ﴾.

قولُه: (بَدَلُ اشتِمالٍ) من ﴿كُلَّ﴾، وضميرُ ﴿خَلْقَهُ﴾ عائدٌ إلى: ﴿كُلَّ﴾.

قولُه: (ضَعيفٍ) أو مُمتهَنٍ مبتَذَلٍ حَقيرٍ.

قولُه: (أي: خَلَقَ آدمَ) أو نسلَه، والثّاني أظهرُ لمعنى ﴿ثُمَّ﴾.

قولُه: (لذُرِّيَّتِهِ) هذا غيرُ مَرضيٍّ لتوهُّمِ خروجِ آدمَ، والأَولى أن يُقالَ: فيه التِفاتٌ من مُفرَدٍ غائبٍ إلى جَمعٍ مُخاطَبٍ.

قولُه: (للقِلَّةِ) أي: تشكرون شكراً قليلاً، مع أنَّ الشّاكرينَ قليلٌ، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

قولُه: (بأنْ صِرْنَا) هذا جمْعٌ بين القولَينِ، فإنَّ «ضلَّ» إما بمعنى: صارَ، وإمّا بمعنى: غابَ.

قولُه: (استفهامُ إنكارٍ) وتعجُّبٍ، والثّاني للتّأكيدِ، وقرأ شاميٌّ بالإخبارِ في الأوّلِ، ونافعٌ والكسائيُّ في الثّاني[2]، وكلٌّ على أصلِهِ المتقدِّمِ ذكرُه.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٨).

(٢) أي: بالإخبار في الثاني، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٥٧، ٥١٦).

١٢ ـ ﴿ولَو تَرَى إِذِ المُجرِمُونَ﴾: الكافرون ﴿ناكِسُو رُؤُوسِهِم عِندَ رَبِّهِم﴾: مُطأطئوها حياءً، يقولون: ﴿رَبَّنا، أبصَرْنا﴾ ما أنكرنا من البعث، ﴿وسَمِعْنا﴾ منك تصديق الرُّسل فيما كذّبناهم فيه. ﴿فارجِعْنا﴾ إلى الدنيا، ﴿نعمَلْ صالِحًا﴾ فيها. ﴿إنّا مُوقِنُونَ﴾ الآنَ. فما ينفعهم ذلك ولا يرجعون. وجواب «لو»: لرأيتَ أمرًا فظيعًا.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿ولَو شِئنا لآتَينا كُلَّ نَفسٍ هُداها﴾، فتهتدي بالإيمان والطاعة باختيار منها، ﴿ولكِن حَقَّ القَولُ مِنِّي﴾، وهو: ﴿لأملَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ﴾: الجنّ ﴿والنّاسِ أجمَعِينَ﴾. وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها: ١٤ ـ ﴿فذُوقُوا﴾ العذابَ ﴿بِما نَسِيتُم لِقاءَ يَومِكُم هذا﴾ أي: بترككم الإيمانَ به ـ ﴿إنّا نَسِيناكُم﴾: تركناكم في العذاب ـ ﴿وذُوقُوا عَذابَ الخُلدِ﴾ الدائمِ ﴿بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ من الكُفر والتكذيب.

قولُه: (الكَافِرُونَ) بقرينةِ طَلَبِ الرَّجعَةِ.

قولُه: (حَيَاءً) وندامَةً.

قولُه: (أَمْراً فَظِيْعاً) أو: ﴿لَو﴾ للتَّمنِّي فلا تطلُب جواباً، والمخاطَبُ في ﴿تَرى﴾ رسولُ اللهِ ﷺ، أو كلُّ أحدٍ، ولا يُقدَّرُ له مفعولٌ، فإنَّ معناهُ: لو يكونُ معكَ رؤيةٌ في هذا الوقتِ، أو يُقدَّرُ ما يدُلُّ عليه الظَّرفُ.

قولُه: (باختِيَارٍ مِنْهَا) وبتوفيقٍ منَّا، الَّذي هو إعطاءٌ للهدايةِ.

قولُه: (وهُوَ) أي: ﴿حقَّ القولُ﴾ أي: ثبَتَ قضَائي، وسبَقَ وَعيدِي[1] وهو: [﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾][2].

قولُه: (الجِنّ) واللَّامُ للإشارةِ إلى المجرِمينَ، أو الَّذينَ هم في عِلمِ اللهِ أشقياءُ، فلا يُشكِلُ بقولِه: ﴿أَجْمَعِيْنَ﴾ وايمُ اللهِ إنَّ هذهِ الآيةَ لكسَرَت أنيابَ المعتزلةِ، ولكن ﴿مَن لَمْ يجعَلِ اللهُ لَهُ نوراً فمَا لَهُ مِنْ نورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قولُه: (تَقولُ لَهُمُ الخَزَنَةُ) على سَبيلِ التَّقريعِ.

قولُه: (العَذَابَ) أشارَ إلى مفعولٍ محذوفٍ، والمرادُ به: ما هُم فيه من نَكْسِ الرُّؤوسِ والخِزْيِ والغَمِّ، حتَّى لا يكونَ تَكْراراً لقوله تعالى: ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ [السجدة: ١٤] فالظَّاهرُ أن يُقدَّرَ: (ويقالُ لهُم)، فقط اللَّهمَّ إلَّا أن يُؤوَّلَ «إذا دخلُوهَا» بمعنى: قارَبوا دُخولها، أو يُحمَلُ الأمرُ الثَّاني على التَّأكيدِ.

---

(١) في (م) و(ص): «وعيدي وجزائي»، والمثبت موافق لما في «أنوار التنزيل».

(٢) ما بين معكوفتين من «أنوار التنزيل».

١٥ ـ ﴿إِنَّما يُؤمِنُ بِآياتِنا﴾: القرآنِ ﴿الَّذِينَ إذا ذُكِّرُوا﴾: وُعِظوا ﴿بِها خَرُّوا سُجَّدًا، وسَبَّحُوا﴾ مُلتبسين ﴿بِحَمدِ رَبِّهِم﴾ أي: قالوا: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿وهُم لا يَستكبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة، ١٦ ـ ﴿تَتَجافَى جُنُوبُهُم﴾: ترتفعُ ﴿عَنِ المَضاجِعِ﴾: مواضعِ الاضطجاع بفُرُشها لصلاتهم بالليل تهجّدًا، ﴿يَدعُونَ رَبَّهُم خَوفًا﴾ من عِقابه ﴿وطَمَعًا﴾..........................

قولُه: (وُعِظُوا) وقولُه تعالى: ﴿خَرُّوا﴾ أي: خَوفاً من عَذابِ اللهِ.

قولُه: (أي قَالُوا: سُبْحَانَ اللهِ وبِحَمدِهِ) أي: نزَّهوهُ عمَّا لا يليقُ به كالعَجْزِ عن البعثِ، وحَمِدوه شُكراً على ما هداهُم ووفَّقَهُم.

قولُه: (والطَّاعَةِ) ومنها السَّجدَةُ في أوقاتِها.

قولُه: (تَرتَفِعُ) وتتنحَّى، وفي نسبةِ التَّجافي إلى الجَنْبِ مبالغةٌ لا تَخفى.

قولُه: (الاضْطجَاعِ) فيهِ: أنَّ المضاجِعَ موضِعُ الضَّجعِ، وهو وضْعُ الجَنبِ بالأرضِ، فقولُه: (بفُرُشِهَا) ليسَ مفهومَهُ اللُّغويَّ، وكذا قولُ البيضاويِّ: الفرشُ ومواضعُ النَّومِ[١]، إلَّا أن يُقالَ: اللَّامُ للعهدِ بقرينَةِ المقامِ، وهو الظَّاهرُ من الكَلامِ.

قولُه: (تَهَجُّدًا) ويدُلُّ عليه الأحاديثُ الصِّحاحُ[٢]، وعن بعضٍ: هو صلاةُ العِشاءِ والصُّبحِ في جماعةٍ[٣]، وعن بعضٍ: هو صلاةُ الأوَّابينَ بينَ العِشاءَينِ[٤]، وعن بعضٍ: هو انتظارُ صلاةِ العِشاءِ[٥].

قولُه: (مِنْ عِقَابِهِ) وحِجابِهِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٢١).

(٢) روى أحمد في «مسنده» (٢٢٠٢٢) من حديث معاذ بن جبل، عن النبي ﷺ أنه قال: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ [السجدة: ١٦] قال: «قيام العبد من الليل».

وبمعناه رواه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) من قول أبي الدرداء والضحاك وغيرهما، انظر: «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٠٠)، و«البحر المحيط» (٨/ ٤٣٧).

(٤) روى أبو داود (١٣٢١) عن أنس بن مالك، في هذه الآية: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون﴾، قال: كانوا يتيقظون ما بين المغرب والعشاء يصلون.

وروى البيهقي في «السنن الكبرى» (٤٧٥٠) عن ابن المنكدر وأبي حازم يقولان: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾: هي ما بين المغرب وصلاة العشاء، صلاة الأوابين.

(٥) روى الترمذي (٣١٩٦) عن أنس بن مالك: أن هذه الآية: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تدعى العتمة.

وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

في رحمته، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يتصدّقون. ١٧ ـ ﴿فلا تعلَمُ نَفسٌ ما أُخفِيَ﴾: خُبِئ ﴿لَهُم مِن قُرَّةِ أَعيُنٍ﴾: ما تَقِرّ به أعينهم ـ وفي قراءة بسكون الياء: مضارعٌ ـ ﴿جَزاءً بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿أَفَمَن كانَ مُؤمِنًا كَمَن كانَ فاسِقًا؟ لا يَستَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاسقون. ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿أَمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُم جَنّاتُ المَأوَى نُزُلًا﴾ ـ هو ما يُعَدّ للضيف ـ ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ، وأَمّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكُفر والتكذيب ﴿فمأواهُمُ النّارُ، كُلَّما أرادُوا أن يَخرُجُوا مِنها أُعِيدُوا فِيها، وقِيلَ لَهُم: ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ. ولَنُذِيقَنَّهُم مِنَ العَذابِ الأدنَى﴾ عذابِ الدنيا بالقتل والأسر والجدب سِنينَ والأمراض ﴿دُونَ﴾: قبلَ ﴿العَذابِ الأكبَرِ﴾ عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّهُم﴾ أي: مَن بقي منهم ﴿يَرجِعُونَ﴾ إلى الإيمان،..............

قولُه: (فِي رَحمَتِهِ) من جنَّتِهِ وثوابِهِ وقُربِهِ.

قولُه: (أَعيُنُهُم) وفي الحديثِ: «أعدَدْتُ لعبادِيَ الصَّالحينَ ما لا عينٌ رأَتْ، ولا أُذُنٌ سمعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بَشَرٍ» رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ[1].

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ[2].

قولُه: (مُضَارِعٌ) معلومٌ، والفاعلُ هو «اللهُ»، قيلَ: هذا لقومٍ أخفَوا أعمالَهم فأخفَى اللهُ جزاءَهُم جزاءً وفاقاً. وهو قولٌ حسَنٌ.

قولُه: (والفَاسِقُونَ) الخارِجونَ عن الإيمانِ، رُوِيَ: أنَّها نزلَت في عليٍّ والوليدِ بن عُقبَةَ[3].

قولُه: (مَا يُعَدُّ) ويُحضَّرُ قبلَ الضِّيافةِ، ونصبُهُ على الحالِ من ضَميرِ: ﴿جَنَّاتُ﴾.

قولُه: (والجَدْبِ) القَحطِ.

قولُه: (سِنِينَ) سبعٌ.

قولُه: (والأَمْرَاضِ) والمصائِبِ.

قولُه: (أي: مَنْ بَقِيَ) و«لعلَّ» لترَجِّي المخاطَبينَ.

---

(١) رواه البخاري (٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٩).

(٣) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣)، والآجري في «الشريعة» (١٥٩٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٣/ ٢٣٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢٢ ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾: القُرآنِ، ﴿ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾؟ أي: لا أحدَ أظلم منه. ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أي: المُشركين ﴿مُنتَقِمُونَ﴾.

٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التوراة ـ ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ﴾: شكٍّ ﴿مِّن لِّقَائِهِ﴾. وقد التقيا ليلةَ الإسراء ـ ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: مُوسَى أو الكتابَ ﴿هُدًى﴾ هاديًا ﴿لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً﴾، بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء: قادةً، ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا، لَمَّا صَبَرُوا﴾ على دِينهم وعلى البلاء من عدوّهم، ﴿وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالّة على قُدرتنا ووَحدانيّتنا ﴿يُوقِنُونَ﴾. وفي قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم. ٢٥ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدِّين.

قولُه: (أيْ: لا أَحَدَ) مفهومٌ من: ﴿مَنْ﴾ للاستفهامِ الإنكاريِّ، و﴿ثُمَّ﴾ لاستِبْعادِ الإعراضِ عنها معَ فَرطِ وضوحِها وإرشادِها إلى أسبابِ السَّعادَةِ، ولذا قالَ تعالى في الكهف: ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الكهف: ٥٧] أي: فلم يَتفكَّر فيها.

قولُه: (أي: المُشركِينَ) فكيفَ مَن كانَ أظلمَ من كلِّ ظالِمٍ.

قولُه: (التَّورَاةَ) كما آتَيْناكَ القُرآنَ.

قولُه: (وقَدِ التَقَيَا) أي: من لقائكَ موسَى، أو: مِن لقاءِ موسَى الكتابَ، أو: مِن لقاءِ موسى ربَّهُ بعدَ الموتِ، فاطمَعْ أنت أيضاً، كذا فسَّرَه ﷺ. رواهُ الطَّبرانيُّ(١).

قولُه: (أَو الكِتَابَ) المنزلَ عليهِ.

قولُه: (هَادِيًا) بأحَدِ التَّأويلاتِ الثَّلاثةِ.

قولُه: (بتَحقِيقِ) تقدَّمَ(٢).

قولُه: (قَادَةً) جمعُ قائِدٍ، و﴿أَئِمَّةً﴾ جمعُ إمامٍ.

قولُه: (النَّاسَ) إلى ما فيه مِن الحِكَمِ والأحكامِ بتَوفيقِنا له، أو بأمرِنا إيَّاهم بأن يَهْدوا.

قولُه: (عَلَى دِينِهِم) أو: عنِ الدُّنيا، وحمزةُ والكسائيُّ بكسرِ اللَّامِ وتخفيفِ الميمِ(٣)؛ أي: لصَبْرِهم.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٦٠) (١٢٧٥٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٠): رجاله رجال الصحيح.

(٢) انظر سورة التوبة الآية رقم: (١٢).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٩).

٢٦ ـ ﴿أوَلَم يَهدِ لَهُم كَم أهلَكْنا مِن قَبلِهِم﴾، أي: يَتبيَّنْ لكُفّار مكّة إهلاكُنا كثيرًا، ﴿مِنَ القُرُونِ﴾: الأُمم بكُفرهم، ﴿يَمشُونَ﴾: حالٌ من ضمير «لهم» ﴿في مَساكِنِهِم﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها، فيعتبروا؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ﴾: دلالات على قُدرتنا. ﴿أفلا يَسمَعُونَ﴾ سماعَ تدبّر واتّعاظ؟ ٢٧ ـ ﴿أوَلَم يَرَوا أنّا نَسُوقُ الماءَ إلَى الأرضِ الجُرُزِ﴾: اليابسة التي لا نبات فيها، ﴿فنُخرِجُ بِهِ زَرعًا، تأكُلُ مِنهُ أنعامُهُم وأنفُسُهُم؟ أفلا يُبصِرُونَ﴾ هذا، فيعلمون أنّا نقدر على إعادتهم؟

٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿ويَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿متَى هذا الفَتحُ﴾ بيننا وبينكم، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ؟ قُلْ: يَومَ الفَتحِ﴾ بإنزال العذاب بهم ﴿لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إيمانُهُم، ولا هُم يُنظَرُونَ﴾: يُمهَلون لتوبة أو مَعذرة. ٣٠ ـ ﴿فأعرِضْ عَنهُم، وانتَظِرْ﴾ إنزال العذاب بهم. ﴿إنَّهُم مُنتَظِرُونَ﴾ بك حادثَ موتٍ أو قتلٍ، فيستريحون منك. وهذا قبلَ الأمر بقتالهم.

قولُه: (إهْلَاكُنَا كَثِيراً) أو: كثرةُ إهلاكِنا، أو: كثرةُ من أهلكناهُم.

قولُه: (الأُمَمِ) الماضيَةِ.

قولُه: (فِي أسْفَارِهِم) متعلِّقٌ بـ﴿يَمْشُونَ﴾ فحقُّهُ تقديمُهُ.

قولُه: (﴿مَسَاكِنِهِمْ﴾) دُورِهِم، أو ديارِهِم.

قولُه: (اليَابِسَةِ) الَّتي جُرِزَ نباتُها؛ أي: قُطِعَ وأُزِيلَ، لا الَّتي لا تُنْبِتُ؛ لِمَا بعدَهُ[1].

قولُه: (هَذا) الإخراجَ، ولمَّا كانَ هذا مرئيًّا ناسَبَ ﴿أفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ بخلافِ الأوَّلِ فإنَّهُ مسموعٌ، فقالَ: ﴿أفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

قولُه: (للمُؤْمِنِينَ) الأظهرُ: للنَّبيِّ والمؤمنينَ.

قولُه: (بَيْنَنَا وبَيْنَكُم) فالمرادُ بـ﴿الفتح﴾: النَّصرُ، أو استعجالُ العَذابِ.

قولُه: (بإنْزَالِ العَذَابِ بِهِم) يومَ القيامةِ، أو يومَ بَدرٍ.

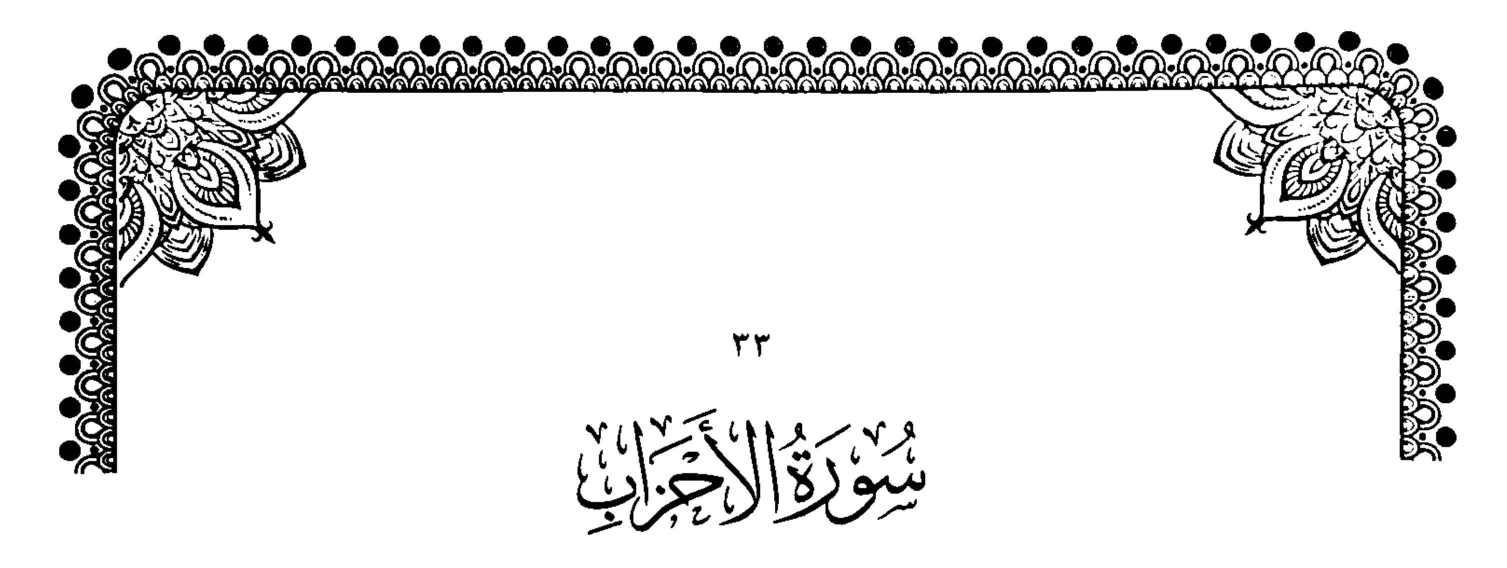
قولُه: (حَادِثَ مَوْتٍ) بالإضافَةِ.

قولُه: (وهَذا قَبْلَ الأَمْرِ) إنْ كانَ المرادُ: أعرِضْ عن قتالِهِم، وإلَّا فقيلَ: معناهُ: لا تُبالِ بتكذيبِهِم، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) أي: ما جاء في تمام الآية من قوله تعالى: ﴿فنخرج به زرعاً. . .﴾ الآية.



٣٣

سورة الأحزاب

مدنية، ثلاث وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ، اتَّقِ اللهَ﴾: دُم على تقواه، ﴿ولا تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ﴾ فيما يُخالف شريعتك ـ ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يخلقه ـ ٢ ـ ﴿واتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ـ ﴿إنَّ اللهَ كانَ بِما يَعمَلُونَ خَبِيرًا﴾. وفي قراءة بالفوقانيّة ـ ٣ ـ ﴿وتَوَكَّلْ علَى اللهِ﴾ في أمرك. ﴿وكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾ حافظًا لك! وأُمّتُه تبعٌ له في ذلك كُلّه.

٤ ـ ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِن قَلبَينِ في جَوفِهِ﴾، ....

سورة الأحزاب

قولُه: (دُمْ على تَقْوَاهُ) ومنها: عدَمُ إطاعَةِ الكافِرينَ.

قولُه: (فِيمَا يُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ) بوَهْنٍ في الدِّينِ.

قولُه: (أي: القُرآنَ) أو كالنَّهي عن طاعَتِهم.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ البصريِّ[1]، وهي أولى بأن تكونَ أصْلاً.

قولُه: (بالفَوقَانِيَّةِ) على تَعميمِ الخِطابِ، أو تَعظيمِ المخاطَبِ، أو للتَّغليبِ وهو الأظهَرُ، والتَّحتانيَّةُ: على الالتفاتِ، والواو: ضميرُ الكَفَرةِ.

قولُه: (حَافِظاً لَكَ) مَوكولاً إليه أمرُكَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٨).

ردًّا على من قال من الكُفّار: «إنّ له قلبين، يعقِل بكُلّ منهما أفضلَ من عقلِ مُحمّد»، ﴿وما جَعَلَ أزواجَكُمُ اللائي﴾ ـ بهمزة وياء وبلا ياء ـ ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾، بلا ألف قبل الهاء وبها، والتاء الثانية في الأصل مُدغمة في الظاء، ﴿مِنهُنَّ﴾ ـ يقول الواحد مثلاً لزوجته: «أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمّي» ـ ﴿أُمّهاتِكُم﴾ أي: كالأمّهات في تحريمها بذلك، المُعَدّ في الجاهليّة طلاقًا، وإنّما تجب به الكفّارة بشرطه كما ذُكر في سورة «المُجادَلة»، ﴿وما جَعَلَ أدعِياءَكُم﴾:........................

قولُه: (رَدًّا) والمعنى: لم يرَ في حكمَتِهِ أن يجعلَ لأحدٍ قَلبَينِ؛ لأنَّ القلبَ سلطانٌ، ولا يَليقُ بملكِهِ إلَّا سلطانٌ واحِدٌ.

قولُه: (بهَمزَةٍ ويَاءٍ) كوفيٌّ وشاميٌّ[١].

قولُه: (وبِلا يَاءٍ) قالونُ وقُنبُلٌ، وبياءٍ ساكنةٍ من غيرِ همزٍ أبو عَمرو وبزِّيٌّ، وبتسهيلِ الهمزِ من غَيرِ ياءٍ ورشٌ[٢]، فعبارتُهُ قاصرةٌ جدًّا كعبارةِ البيضاويِّ[٣] في هذا المقامِ.

قولُه: (بلا أَلِفٍ قَبْلَ الهَاءِ) مع تشديدِ الظَّاءِ والهاءِ: نافعٌ ومكِّيٌّ وبصريٌّ[٤].

قولُه: (وبِهَا) أي: بألِفٍ قبلَ الهاءِ مع تخفيفِ الظَّاءِ: حمزةُ والكسائيُّ، ومعَ تشديدِها: شاميٌّ، ومع ضمِّ التَّاءِ وتخفيفِ الظَّاءِ وكسرِ الهاءِ: عاصمٌ[٥]، فهذه أربعُ قراءاتٍ، ذكرَهَا الشَّيخُ على وجهٍ لا ينتَفِعُ به المبتَدي، ويَتْعَبُ في تقريرِهِ وتحريرِهِ المنتَهي.

قولُه: (والتَّاءُ) مبتدأٌ خبرُه (مُدغَمَةٌ) يعني: على بعضِ القراءاتِ كما بيَّنَّا.

قوله: (فِي تَحرِيمِهَا) أي: الأزواجِ.

قولُه: (بذَلِكَ) التَّشبيهِ.

قولُه: (المَعدُودِ) صفةُ المشارِ إليه.

قولُه: (طَلاقًا) تحصلُ به الفُرْقةُ الأبديَّةُ، وإلَّا فهو في الإسلامِ يقتَضي الحُرمَةَ إلى أداءِ الكفَّارةِ، والطَّلاقَ أيضاً في بعضِ الصُّورِ عندَنا بأن قالَ: أنت عَلَيَّ مِثلُ أمِّي، أو كأمِّي، ونَوى الطَّلاقَ، بانَتْ[٦].

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٥٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٢٤).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٩).

(٥) انظر المصدر السابق.

(٦) انظر: «الهداية» (٢/ ٢٦٥).

جمع دَعِيّ ـ وهو من يُدعَى لغير أبيه ابنًا له ـ ﴿أبناءَكُم﴾ حقيقة. ﴿ذلِكُم قَولُكُم بِأفواهِكُم﴾ أي: اليهودِ والمنافقين، قالوا لمّا تزوج النبيّ ﷺ زينبَ بنتَ جحش التي كانت امرأة زيدِ ابنِ حارثةَ، الذي تبنّاه النبيّ ﷺ، قالوا: تزوّج مُحمّد امرأةَ ابنِه. فأكذبَهم الله ـ تعالى ـ في ذلك: ﴿واللهُ يَقُولُ الحَقَّ﴾ في ذلك، ﴿وهُوَ يَهدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحقّ. ٥ ـ لكن ﴿ادعُوهُم لِآبائِهِم ـ هُوَ أَقسَطُ﴾: أعدلُ ﴿عِندَ اللهِ ـ فإن لَم تَعلَمُوا آباءَهُم فإخوانُكُم في الدِّينِ ومَوالِيكُم﴾: بنو عمّكم، ﴿ولَيسَ علَيكُم جُناحٌ فِيما أخطأتُم بِهِ﴾ في ذلك، ﴿ولكِن ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُم﴾ فيه، وهو بعدَ النهي. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لِما كان من قولكم قبل النهي......

قولُه: (والمُنَافِقِينَ) بيانٌ للخطابِ المضافِ إليهِ، والإشارةُ إلى الأخيرِ لا إلى كلِّ ما ذُكِرَ.

قولُه: (قَالُوا لَمَّا تَزَوَّجَ) أعادَ «قالُوا» لطولِ الفَصْلِ.

قولُه: (فكَذَّبَهُم) وفي نسخةٍ: «فأَكْذَبَهُم»[1] أي: نسبَهُم إلى الكذِبِ.

قولُه: (لَكِن) الظَّاهرُ: هـو؛ أي: الحقُّ هذا الأمرُ والحُكْمُ المطابقُ للواقعِ، هذا على تقييدِ المصنِّفِ ﴿الحقَّ﴾ وأمَّا على إطلاقِ البيضاويِّ[2] ـ وهو الحقُّ ـ فهو إفرادٌ للمقصودِ من أقوالِهِ الحقَّةِ.

وقولُهُ تعالى: ﴿هُوَ أَقْسَطُ﴾ تعليلٌ له.

قولُه: (أَعدَلُ) قصدَ به الزِّيادَةَ مطلقاً، ومعناهُ: البالِغُ في الصِّدقِ.

قولُه: (بَنُو عَمِّكُم) المولَى وإن جاءَ بهذا المعنى لكنَّه غيرُ مناسبٍ لهذا المبنى؛ أي: فقولوا: هذا أخي ومَولاي، يعني: الأخوَّةَ والولايةَ في الدِّينِ، أو ﴿مواليكُم﴾ إن كانوا محرَّرينَ فإنَّ من مَعاني المولى: «المعتَق» بالفتحِ، وإطلاقُه لا يحتاجُ إلى تأويلٍ.

قولُه: (في ذَلِكَ) قبلَ النَّهي فالخطأُ بمعنى الجهلِ، أو بعدَهُ على النِّسيانِ أو سَبْقِ اللِّسانِ.

قولُه: (فِيهِ) أي: فيه الجُناحِ، أو الجُناحُ فيما تعمَّدَتْ، فعلى الأوَّلِ: ﴿ما تعمَّدَتْ﴾ في محلِّ الجرِّ عطفاً على ﴿ما أخطأتُم﴾، وعلى الثَّاني: في محلِّ الرَّفعِ على الخبريَّةِ.

قولُه: (وهُو) أي: الجُناحُ.

قولُه: (بَعدَ النَّهيِ) بقيدِ التَّعمُّدِ.

قولُه: (قَبلَ النَّهيِ) يَرِدُ عليه: أنَّه لا قُبْحَ قبلَ النَّهي على المذهبِ الحقِّ، فالصَّوابُ: ﴿غفوراً﴾ لعفوِهِ عن المخطئِ، وفي «المدارِكِ»: لا يؤاخذُكُم بالخطأ، ويقبلُ التَّوبَةَ من المتعمِّدِ[3].

---

(١) وهكذا هي في النسخ المعتمدة في المتن.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٢٥).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ١٧).

﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

٦ - ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِن أنفُسِهِم﴾ فيما دعاهم إليه ودعتْهم أنفسهم إلى خِلافه، ﴿وأزواجُهُ أُمَّهاتُهُم﴾ في حُرمة نكاحهنّ عليهم، ﴿وأُولُو الأرحامِ﴾: ذَوو القراباتِ ﴿بَعضُهُم أَولَى بِبَعضٍ﴾ في الإرث ﴿في كِتابِ اللهِ مِنَ المُؤمِنِينَ والمُهاجِرِينَ﴾ أي: منَ الإرث بالإيمانِ والهِجرةِ، الذي كان أوّلَ الإسلام فنُسخ. ﴿إلاّ﴾ لكنْ ﴿أن تَفعَلُوا إِلَى أَولِيائكُم مَعرُوفًا﴾ بوصيّة فجائز. ....

قولُه: (فِي ذَلِكَ) الأظهرُ: في ذلكُم؛ أي: في الرُّخصَةِ المذكورَةِ ورَفعِ الجُناحِ.

قولُه: (إلى خِلافِهِ) وقُرئَ: (وهو أبٌ لهم)[1] أي: في الدِّينِ، فإنَّ كلَّ نبيٍّ أبٌ لأمَّتِهِ من حيثُ إنَّهُ أصلٌ فيما به الحياةُ الأبديَّةُ، ولذلك صارَ المؤمنونَ إخوةً.

قولُه: (في حُرْمَةِ نِكَاحِهِنَّ) على التَّأبيدِ، ولم يتعَدَّ التَّحريمُ إلى بناتهنَّ، وفي استِحقاقِ تعظيمِهِنَّ لا في المَحْرَميَّةِ[2] والإرْثِ، وقالت عائشةُ رضي الله عنها: لَسْنا أمَّهاتُ النِّساءِ[3]؛ إذ لا يتحقَّقُ فيهنَّ هذا المجموعُ، وقالَت أمُّ سلمةَ: أنا أمُّ الرِّجالِ والنِّساءِ[4]، وهو الظَّاهرُ من الضَّميرِ الرَّاجعِ إلى ﴿المؤمنينَ﴾ الشَّاملينَ للرِّجالِ والنِّساءِ، ولا يلزمُ من إطلاقِ المجازِ المنزَّلِ منزلَةَ الشَّيءِ أن يكونا في جميعِ الأحكامِ سواءٌ كقولِه تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فإنَّ حكمَ الأخوَّةِ عامٌّ في الرِّجالِ والنِّساءِ مع عدمِ المشاركةِ في أكثرِ الأحكامِ.

قولُه: (فِي الإِرْثِ) أي: التَّوارُثِ.

قولُه: (أي: مِنَ الإِرْثِ) إشارَةٌ إلى أنَّ ﴿مِنَ﴾ صلةٌ لـ«أُولِي»، يعني: ﴿أولو الأرحامِ﴾ بحقِّ القرابةِ أولى بالميراثِ من المؤمنينَ بحقِّ الإيمانِ، والمهاجرينَ بحقِّ الهجرَةِ.

وقيل: ﴿مِنَ﴾ بيانٌ لـ«أولِي الأرحامِ».

قولُه: (لَكِن) أي: فعلُكُم إلى أحبابِكُم[5].

---

(١) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٢٠) ونسبت لابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في (ص): «الحرمة».

(٣) رواه ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٧٨)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٩٣٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤٢٢).

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٧٨).

(٥) أي: لكن فعلكم إلى أحبابكم معروفا جائز.

﴿كانَ ذٰلِكَ﴾ أي: نَسخُ الإرثِ بالإيمان والهجرة بإرث ذوي الأرحام ﴿في الكِتابِ مَسطُورًا﴾. وأريد بالكتاب في الموضعين اللوحُ المحفوظ.

٧ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُم﴾ حين أُخرجوا من صُلب آدم كالذَّرّ: جمع ذَرّة ـ وهي أصغر النمل ـ ﴿ومِنكَ ومِن نُوحٍ وإبراهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى بنِ مَريَمَ﴾ بأن يعبدوا الله ويدعوا إلى عِبادته ـ وذِكر الخمسة من عطف الخاصّ على العامّ ـ ﴿وأخَذْنا مِنهُم مِيثاقًا غَلِيظًا﴾: شديدًا، بالوفاء بما حُمّلوه ـ وهو اليمينُ بالله تعالى، ثمّ أخذُ المِيثاق ـ ٨ ـ ﴿لِيَسألَ﴾ اللهُ ﴿الصّادِقِينَ عَن صِدقِهِم﴾ في تبليغ الرسالة، تبكيتًا للكافرين بهم، ﴿وأعَدَّ﴾ ـ تعالى ـ ﴿لِلكافِرِينَ﴾ بهم ﴿عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا. هو عطفٌ على «أخذنا».

٩ ـ ١٠ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عليكُم، إذ جاءَتْكُم جُنُودٌ﴾ من الكُفّار متحزّبون

قولُه: (اللَّوحُ) أو القرآنُ، أو آيةُ المواريثِ، أو: في حُكمِ اللهِ.

قولُه: (ويَدْعُوا) ويتعاوَنوا.

قولُه: (عَطفِ الخَاصِّ) لكونِهِم أولي العَزمِ، أو لأنَّهُم مشاهيرُ لأربابِ الشَّعائرِ، وقدَّمَ نبيَّنا إشارةً إلى تعظيمِهِ، وإيماءً إلى تقديمِ وجودِهِ سابقاً، وتقديمِ رُتبتِهِ لاحقاً، وتلويحاً إلى أنَّه واسطةُ عقْدِ النُّبوَّةِ والرِّسالةِ.

قولُه: (شَدِيداً) أو عظيمَ الشَّأنِ، والتَّكريرُ لبيانِ هذا الوصفِ، ويجوزُ أن يكونَ مُتعَلَّقَ ﴿لِيَسْأَلَ﴾ على وجهِ الالتفاتِ.

قولُه: (ثُمَّ أَخذُ المِيثَاقِ) ظاهرُه أنَّه مصدرٌ قدَّرَهُ ليتعلَّقَ به ﴿لِيَسْأَلَ﴾، وقدَّرَ القاضِي: فعَلْنا ذلك[1]. قلنا: هو عينُ ﴿أخذْنَا﴾، فلا فائدةَ في تقديرِه، فالأولى تقديرُ: فعل ذلك.

قولُه: (هُو عَطفٌ) وهو دليلٌ على ما قلنا من تعلُّقِ: ﴿لِيَسْأَلَ﴾ بـ﴿أَخَذْنَا﴾، وقيل: عطفٌ على: ﴿لِيَسْأَلَ﴾ بتأويلِهِ بالمضارعِ، وقيل: على ما دلَّ عليه ﴿لِيَسْأَلَ﴾ إنْ كانَ ﴿الصَّادقينَ﴾ يعمُّ المؤمنينَ، وهو ظاهِرُ القرآنِ، وإلَّا كانَ موضعُهُ الضَّمير، كأنَّه قال: فأثابَ المؤمنينَ وأعدَّ للكافرينَ.

وقيل: الأظهرُ أنَّ الواو للحالِ من فاعلِ: ﴿يسأل﴾ بتقديرِ: قد، أو بدونِهِ.

قولُه: (مُتَحَزِّبُونَ) أي: مجتمِعونَ؛ يعني: الأحزابَ، وهم قريشٌ وغَطَفانُ ويهودُ قريظةَ والنَّضيرِ، وكانوا قَدْرَ اثني عشرَ ألفاً، وقيل: خمسةَ عشرَ ألفاً، والمؤمنونَ ثلاثةُ آلافٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٢٦).

أيامَ حفر الخندق، ﴿فأرسَلْنا علَيهِم رِيحًا، وجُنودًا لَم تَروها﴾: ملائكةً ـ ﴿وكانَ اللهُ بِما تَعمَلُونَ﴾، بالتاء من حفر الخندق، وبالياء من تحزيب المشركين، ﴿بَصِيرًا ـ إذ جاؤُوكُم مِن فَوقِكُم ومِن أسفَلَ مِنكُم﴾: من أعلى الوادي وأسفله من المشرق والمغرب، ﴿وإذ زاغَتِ الأبصارُ﴾: مالتْ عن كُلّ شيء إلى عدوّها من كُلّ جانب، ﴿وبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ﴾: جمع حَنجَرة ـ وهي منتهى الحُلقوم ـ من شِدّة الخوف، ﴿وتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَ﴾ المُختلِفة بالنصر واليأس.

١١ ـ ﴿هُنالِكَ ابتُلِيَ المُؤمِنُونَ﴾: اختُبروا ليتبيّن المُخلص من غيره، ﴿وزُلزِلُوا﴾: حُرّكوا ﴿زِلزالاً شَدِيدًا﴾ من شِدّة الفزع، ١٢ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ يَقُولُ المُنافِقُونَ والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: ضعفُ اعتقاد: ....

قولُه: (الخَندَقِ) كـ«جعفرٍ» حفيرٌ حولَ أسوارِ المُدُنِ، معرَّبُ كَنْده[1]، وكانَ بِشَوْرِ سَلْمَانَ.

قولُه: (مَلائِكَةٌ) والرِّيحُ: الصَّبا.

قولُه: (وبالياءِ) بصريٌّ[2].

قولُه: (مِنْ أعلَى الوَادِي) بنو غطفانَ.

قولُه: (وأَسفَلِهِ) قريشٌ.

قولُه: (مِنَ المَشرِقِ) لفٌّ ونشرٌ، وقيل: المرادُ بذلك المبالغةُ؛ يعني: من جميْعِ الجهاتِ محيطينَ بكم، نحوَ: ﴿يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥].

قولُه: (جَمعُ حَنجَرَةٍ) وهذا مَثَلٌ في الاضطرابِ؛ إذ لا انتقالَ للقَلْبِ عن مَقَرِّه.

قولُه: (بالنَّصْرِ) للمؤمنِ الكامِلِ.

قولُه: (واليَأْسِ) للمؤمنِ الضَّعيفِ، وأمَّا إدخالُ ظَنِّ المنافقينَ، كما فعلَهُ القاضي[3] فغيرُ ظاهرٍ للسَّابقِ واللَّاحقِ.

قولُه: (المُخلِصَ) أي: الكامِلَ.

قولُه: (حُرِّكُوا) أي: أزعِجُوا.

قولُه: (ضَعفُ اعْتِقَادٍ) أي: شُبهَةٌ، لم تطمئنَّ قلوبُهُم بالإيمانِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٨١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥١٩).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٢٦).

﴿ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ﴾ بالنصر ﴿إلاّ غُرُورًا﴾: باطلاً. ١٣ ـ ﴿وإذ قالَتْ طائفةٌ مِنهُم﴾ أي: المنافقين: ﴿يا أهلَ يَثرِبَ﴾ ـ هي أرض المدينة، ولم تنصرف للعلميّة ووزن الفعل ـ ﴿لا مُقامَ لَكُم﴾، بضمّ الميم وفتحها، أي: لا إقامة ولا مكانة. ﴿فارجِعُوا﴾ إلى منازلكم من المدينة. وكانوا خرجوا مع النبيّ إلى سَلعٍ جبلٍ خارجَ المدينة للقتال. ﴿ويَستأذِنُ فَريقٌ مِنهُمُ النَّبِيَّ﴾ في الرُّجوع، ﴿يَقُولُونَ: إنَّ بُيُوتَنا عَورةٌ﴾: غيرُ حصينة نخشى عليها. قال تعالى: ﴿وما هِيَ بِعَورةٍ. إنْ﴾: ما ﴿يُرِيدُونَ إلاّ فِرارًا﴾ من القِتال، ١٤ ـ ١٥ ـ ﴿ولَو دُخِلَتْ﴾ أي: المدينةُ ﴿علَيهِم مِن أقطارِها﴾: نواحيها، ﴿ثُمَّ سُئِلُوا﴾ أي: سألهم الداخلون ﴿الفِتْنَةَ﴾: الشِّركَ، ﴿لآتَوها﴾ ـ بالمدّ والقصر ـ..........................

قولُه: (بالنَّصْرِ) الظَّاهرُ: من النَّصرِ.

قولُه: (بَاطِلاً) أي: وَعداً باطلاً.

قولُه: (أي: المُنَافِقِينَ) تفسيرٌ للضَّميرِ، والمرادُ بالطَّائفةِ: عبدُ اللهِ بن أبيٍّ وأصحابُهُ.

قولُه: (بِضَمِّ المِيمِ) حفصٌ[١].

قولُه: (أيْ: لا إقَامَةَ) أو: مكانَ إقامَةٍ.

قولُه: (ولا مَكانَةَ) أي: مكانَ القيامِ، أو مصدرٌ، يعني: هاهنا[٢].

قولُه: (مِنَ المَدِينَةِ) أي: هاربينَ.

قولُه: (سَلْعٍ) بفتحِ السِّينِ وسكونِ اللَّامِ[٣]، أسندَ المسلمونَ ظهورَهُم إلى سَلْعٍ ووجوهَهُم نحوَ العدُوِّ، والخندقُ بينهم.

قولُه: (﴿فَرِيْقٌ مِنْهُمْ﴾) قالَ الضَّحَّاكُ: رجعَ ثمانونَ رجلاً من غَيرِ الإذنِ[٤].

قولُه: (نَخْشَى عَلَيهَا) السُّرَّاقَ.

قولُه: (أي: المَدِينَةُ) أو بيوتُهُم.

قولُه: (الشِّركَ) أو الرِّدَّةَ، أو مقاتلةَ المسلمينَ.

قولُه: (والقَصرِ) للحِرْميَّينِ[٥].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٠).

(٢) عبارة البيضاوي: ﴿لا مَقام﴾ [بفتح الميم]: لا مَوضِعَ قيامٍ ﴿لكم﴾ هاهنا.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٢٩).

(٤) انظر: «تفسير الماوردي» (٤/ ٣٨٢)، و«تفسير القرطبي» (١٤/ ١٤٩).

(٥) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٥٧٤)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٧٨).

أي: أعطَوها وفعلوها، ﴿وما تَلَبَّثُوا بِها إلاّ يَسِيرًا، ولَقَد كانُوا عاهَدُوا اللهَ مِن قَبلُ، لا يُوَلُّونَ الأدبارَ. وكانَ عَهدُ اللهِ مَسؤُولاً﴾ عن الوفاء به.

١٦ ـ ﴿قُلْ: لَن يَنفَعَكُمُ الفِرارُ، إن فَرَرتُم مِنَ المَوتِ أوِ القَتلِ، وإذًا﴾ إن فررتم ﴿لا تُمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا بعد فِراركم ﴿إلاّ قَلِيلاً﴾: بقيّةَ آجالكم. ١٧ ـ ﴿قُلْ: مَن ذا الَّذِي يَعصِمُكُم﴾: يُجيركم ﴿مِنَ اللهِ، إن أرادَ بِكُم سُوءًا﴾: هلاكًا وهزيمة، ﴿أو﴾ يُصيبُكم بسوء، إن ﴿أرادَ﴾ اللهُ ﴿بِكُم رَحْمةً﴾ خيرًا؟ ﴿ولا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿ولا نَصِيرًا﴾ يدفع الضُّرّ عنهم.

١٨ ـ ﴿قَد يَعلَمُ اللهُ المُعَوِّقِينَ﴾: المُثبِّطين ﴿مِنكُم والقائلِينَ لِإخوانِهِم: هَلُمَّ﴾: تعالَوا ﴿إلَينا. ولا يأْتُونَ البأسَ﴾: القِتال ﴿إلاّ قَلِيلاً﴾ رياءً وسُمعة، ....

قولُه: (أي: أعطَوهَا) معنى: الأوَّل.

قولُه: (وفَعَلُوهَا) أي: جاؤُوهَا.

قولُه تعالى: ﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾ أي: بإعطاءِ الفتنَةِ ﴿إِلَّا﴾ تلبُّثاً ﴿يسيراً﴾ قَدْرَ سؤالٍ وجوابٍ، وقيل: وما لبِثُوا بالمدينةِ بعدَ الارتِدادِ إلَّا لُبْثاً ـ أو زماناً ـ يسيراً، فإنَّ اللهَ أهلكَهُم، أو أخرجَهُم.

قولُه: (عَنِ الوَفَاءِ بِهِ) مُجازًى عليهِ.

قولُه: (إنْ فَرَرْتُم) أي: وإن نفعَكُمُ الفِرارُ مثلاً على الفرضِ، والتَّقديرُ: فمُتِّعتُم بالتَّأخيرِ.

قولُه: (بَقِيَّةَ آجَالِكُم) أي: تمتيعاً أو زماناً قليلاً، فإنَّه لا بُدَّ لكُلِّ شخصٍ من مَوتٍ أو قتْلٍ في وقتٍ معيَّنٍ سَبَقَ به القضاءُ وجرى عليه القلَمُ.

قولُه: (﴿أَوْ﴾ يُصِيبُكُم) يعني: فاختُصِرَ الكلامُ، وعندي أنَّ معناهُ: مَن يمنعُكُم مِنْ مُرادِ اللهِ... إلخ.

قولُه: (المُثَبِّطِينَ) هذا تفسيرٌ بما هو أغرَبُ، وهم المنافقونَ الَّذينَ يعوِّقونَ ويمنَعونَ المسلمينَ عن معاونتِهِ ﷺ، فقولُهُ تعالى: ﴿وَالْقَائِلِيْنَ﴾ عطفٌ باختلافِ الصِّفةِ، والمرادُ بالإخوانِ: سكَّانُ المدينةِ، وهم الأنصارُ.

قولُه: (تَعَالَوا ﴿هَلُمَّ﴾)[1] لازمٌ هنا؛ أي: أقبِلُوا، ومتعدٍّ في ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠] أي: أحْضِروا، والمعنى: تعالوا فنحنُ في ظلالٍ وثمارٍ وراحةٍ في بُيوتِنا.

قولُه: (رِيَاءً وسُمْعَةً) عِلَّتانِ للإتيانِ، أو التَّقديرُ: إلَّا إتياناً، أو زماناً، أو بأساً، قليلاً.

---

(١) كذا في النسخ، والذي في المتن من العكس ـ أي: مجيء (تعالوا) بعد ﴿هلم﴾ تفسيرا لها ـ هو الأنسب.

١٩ ـ ﴿أَشِحَّةً عَلَيكُم﴾ بالمُعاونة ـ جمع شحيح وهو حالٌ من ضمير «يأتون» ـ ﴿فَإِذا جاءَ الخَوفُ رأيتَهُم يَنظُرُونَ إِلَيكَ، تَدُورُ أَعيُنُهُم كالَّذِي﴾: كنظرِ أو كدَورانِ الذي ﴿يُغشَى عَلَيهِ مِنَ المَوتِ﴾ أي: سَكَراتِه، ﴿فَإِذا ذَهَبَ الخَوفُ﴾ وحِيزَتِ الغنائم ﴿سَلَقُوكُم﴾: آذَوكم أو ضربوكم ﴿بِأَلسِنَةٍ حِدادٍ، أَشِحَّةً عَلَى الخَيرِ﴾ أي: الغنيمةِ يطلبونها ـ ﴿أُولَئِكَ لَم يُؤمِنُوا﴾ حقيقةً، ﴿فَأَحبَطَ اللهُ أَعمالَهُم. وكانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته ـ ٢٠ ـ ﴿يَحسِبُونَ الأَحزابَ﴾ من الكُفّار ﴿لَم يَذهَبُوا﴾ إلى مكّة لِخوفهم منهم، ﴿وَإِن يَأتِ الأَحزابُ﴾ كرّة أُخرى ﴿يَوَدُّوا﴾: يتمنَّوا ﴿لَو أَنَّهُم بادُونَ فِي الأَعرابِ﴾ أي: كائنون في البادية، ﴿يَسأَلُونَ عَن أَنبائِكُم﴾: أخبارِكم مع الكُفّار،.........................

قولُه: (بالمُعَاوَنَةِ) أو النَّفقَةِ، أو الظَّفَرِ والغنيمَةِ.

قولُه: (وَهُو حَالٌ) أو منصوبٌ على الذَّمِّ.

قولُه تعالى: (﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوفُ﴾) أي: وقتُ الحرْبِ.

وقولُه: (﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾) أي: في أحداقِهِم.

قولُه: (أو كَدَوَرانِ) أي: دوراناً كدَوَرانِ عَينِ الَّذي، أو ينظرُونَ إليه كنظَرِ الَّذي، فقولُه: ﴿كَالَّذِي﴾ صفةُ مَصدَرٍ محذُوفٍ بتَقديرِ مضافَينِ أو مضافٍ.

قولُه: (سَكَرَاتِهِ) أي: من معالجَةِ سكراتِ الموتِ؛ يعني: ينظرونَ إليك كذا؛ خوفاً ولِواذًا بك.

قولُه: (آذَوْكُم) اجترَؤُوا عليكُم.

قولُه: (أو ضَرَبُوكُم) السَّلْقُ: البسطُ للِّسانِ[1].

قولُه: (أي: الغَنِيمَةِ) وليسَ بتكريرٍ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منهُما مُقيَّدٌ من وجهٍ.

قولُه: (حَقِيقَةً) أي: إخلاصاً.

قولُه: (بإِرَادَتِهِ) أي: هيِّناً؛ لتعلُّقِ الإرادةِ به، وعدمِ ما يمنعُهُ عنهُ.

قولُه: (لِخَوفِهِم) وجُبْنِهم، ففَرُّوا إلى داخِلِ المدينةِ.

قولُه: (كَرَّةً أُخرَى) مع ما رَأوا مِن كيفيَّةِ فِرارِ الكفَّارِ وعدمِ ظهورِهِم وقَرارِهِم.

قولُه: (أي: كَائِنُونَ فِي البَادِيَةِ) في جملةِ البدَويينَ، والأظهرُ: خارجونَ إلى البَدوِ حاصِلونَ بينَ الأعرابِ.

قولُه: (أَخبَارِكُم) كلَّ قادِمٍ من جانِبِ المدينةِ.

---

(١) انظر: «جمهرة اللغة» (٢/ ٨٥٠). وفي البيضاوي: السَّلْقُ: البَسْطُ بقهرٍ باليدِ أو اللسانِ.

﴿ولَو كانُوا فِيكُم﴾ هذه الكرّة ﴿ما قاتَلُوا إلاّ قَلِيلاً﴾ رِياءً وخوفًا من التعيير.

٢١ ـ ﴿لَقَد كانَ لكُم في رَسُولِ اللهِ إسْوةٌ﴾ ـ بكسر الهمزة وضمّها ـ ﴿حَسَنَةٌ﴾: اقتداءٌ به، في القِتال والثبات في مواطنه، ﴿لِمَن﴾: بدلٌ من «لكم» ﴿كانَ يَرجُو اللهَ﴾: يخافُه ﴿واليَومَ الآخِرَ، وذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ بخِلاف من ليس كذلك. ٢٢ ـ ﴿ولَمّا رأَى المُؤمِنُونَ الأحزابَ﴾ من الكُفّار ﴿قالُوا: هذا ما وَعَدَنا اللهُ ورَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر، ﴿وصَدَقَ اللهُ ورَسُولُهُ﴾ في الوعد. ﴿وما زادَهُم﴾ ذلك ﴿إلاّ إيمانًا﴾: تصديقًا بوعد الله ﴿وتَسلِيمًا﴾ لأمره.

قولُه: (هَذِهِ الكَرَّةَ) ولم يَرجِعوا إلى المدينةِ، وكانَ قتالٌ.

قولُه: (وضَمِّهَا) عاصمٌ[1]؛ أي: خصلةٌ من حقِّها أن يُؤتسَى بها؛ أي: يُقتَدى.

قولُه: (اقتِدَاءٌ) تعريفُ القُدْوةِ بالمصدرِ غيرُ معروفٍ، ففي «القاموسِ»: القدوةُ ـ مثلَّثةٌ ـ: ما تسنَّنتَ به واقتديْتَ به.

قولُه: (فِي القِتَالِ) فإنَّه قاتلَ بنفسِهِ، فكُسِرَت رَباعِيَتُه وشُجَّ وجهُهُ الكريمُ.

قولُه: (بَدَلٌ مِنْ: ﴿لَكُمْ﴾) الأكثرُ على أنَّ ضميرَ المخاطَبِ لا يُبدَلُ منه، فالصَّحيحُ أنَّه صلةٌ لـ﴿حَسَنَةٌ﴾ أو صفةٌ لها لا لـ﴿أُسْوَةٌ﴾ لأنَّها قد وصفَتْ.

قولُه: (يَخَافُهُ) أو يأملُهُ.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَذَكَرَ اللهَ﴾) عطفٌ على ﴿كَانَ﴾ وقرَنَ بالرَّجاءِ كثرةَ الذِّكرِ المؤدِّيةِ إلى ملازَمَةِ الطَّاعةِ، فإنَّ المقتديَ بالرَّسولِ مَن كانَ كذلك.

قولُه: (مِنَ الابتِلَاءِ) لقولِه تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ﴾الآية [البقرة: ٢١٤] وقولِه ﷺ: «إنَّهُم سائرُونَ إليكُم بعدَ تِسْعٍ أو عشرٍ»[2].

قولُه: (والنَّصرِ) الظَّاهرُ: أو النَّصرِ، والمشارُ إليه بـ﴿هذا﴾: ما رأينا، أو الخَطْبُ أو البلاءُ.

قولُه: (فِي الوَعدِ) أي: صَدَقا في النُّصرَةِ كما صَدَقا في البلاءِ، وإظهارُ اسمِهِما للتَّعظيمِ.

قولُه: (ذَلِكَ) هو المشارُ إليه بـ﴿هذا﴾.

قولُه: (لأَمْرِهِ) وقضائِهِ وقَدَرِهِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٧٥).

(٢) قال ابن حجر في «الكاف الشاف» (ص: ١٣٣): لم أجده.

٢٣ ـ ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ، صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عليهِ﴾ من الثبات مع النبيّ، ﴿فمِنهُم مَن قَضَى نَحْبَهُ﴾: ماتَ أو قُتل في سبيل الله، ﴿ومِنهُم مَن يَنتَظِرُ﴾ ذلك، ﴿وما بَدَّلُوا تَبدِيلاً﴾ في العهد ـ وهم بخلاف حال المنافقين ـ ٢٤ ـ ﴿لِيَجزِيَ اللهُ الصّادِقِينَ بِصِدقِهِم ويُعَذِّبَ المُنافِقِينَ، إن شاءَ﴾ بأن يُميتَهم على نِفاقهم، ﴿أو يَتُوبَ عليهِم. إنَّ اللهَ كانَ غَفُورًا﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمًا﴾ به.

٢٥ ـ ﴿ورَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: الأحزابَ ﴿بِغَيظِهِم، لَم يَنالُوا خَيرًا﴾: مُرادَهُم من الظفر بالمؤمنين، ﴿وكَفَى اللهُ المؤمِنِينَ القِتالَ﴾ بالريح والملائكة ـ ﴿وكانَ اللهُ قَوِيًّا﴾ على إيجاد ما يُريده ﴿عَزِيزًا﴾: غالبًا على أمره ـ ٢٦ ـ ﴿وأنزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُم، مِن أهلِ الكِتابِ﴾ أي: قُريظةَ ....

قولُه: (مِنَ الثَّبَاتِ) فإنَّ المعاهِدَ إذا وَفَّى بعهدِه فقد صَدَقَ فيه.

قولُه: (أو قُتِلَ) بأن قاتَلَ حتَّى استُشهدَ كحمزةَ ومصعبِ بنِ عُمَيرٍ وأنسِ بن النَّضرِ، والنَّحبُ: النَّذرُ، واستُعيرَ للموتِ لأنَّهُ كنَذْرٍ لازمٍ في رقبةِ كلِّ حيوانٍ.

وقيل: النَّحبُ: المدَّةُ[1].

قولُه: (ذلِكَ) أي: الموتَ أو الشَّهادةَ؛ كعثمانَ وطلحةَ.

قولُه: (في العَهدِ) والظَّاهرُ: وما بدَّلوا العَهْدَ شيئاً من التَّبديلِ.

قولُه: (وهُم بخِلَافِ حَالِ المُنَافِقِينَ) يعني: فيه تعريضٌ لهم بالتَّبديلِ، وقولُه: ﴿لِيَجْزِيَ. . . ﴾ إلخ، تعليلٌ للمنطوقِ والمعرَّضِ به، كأنَّه قالَ: ما بدَّلَ المؤمنُونَ، وبدَّلَ المنافقونَ ﴿ليجزي﴾.

قولُه: (بأنْ يُمِيتَهُم) أو يقبلَ توبتَهُم إن تابوا، أو يوفِّقَهُم للتَّوبةِ.

قولُه: (أي: الأَحزَابُ) وقولُه: ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾ أي: مَغيظينَ.

قولُه: (مِنَ الظَّفَرِ) أي: غير ظافِرينَ، حالانِ مُتَداخلانِ أو مُتَرادِفانِ، والفرقُ بينهما: أنَّ التَّداخلَ هو أن يعملَ الحالُ الأولى في الثَّانيةِ، ويكونَ الحالانِ لشيئينِ لفظاً، والتَّرادفُ: أن يكونَ لشيءٍ واحدٍ.

قولُه: (والمَلائِكَةِ) أو كفى اللهُ مداومَةَ القتالِ؛ فلمْ تَغزُ قريشٌ المسلمينَ بعدَ الخندقِ، وقد قالَ ﷺ: «الآنَ نَغزُوهُم ولَمْ يغزُونَا»[2].

قولُه: (أيْ: قُرَيظَةَ) عاوَنوا الأحزابَ، ونقَضوا عهدَ النَّبيِّ ﷺ، مع أنَّ آباءَهُم نزَلوا المدينةَ قديماً طَمَعاً في اتِّباعِ النَّبيِّ الأمِّيِّ المكتوبِ في التَّوراةِ، فلمَّا جاءَهُم ما عَرَفوا كفَروا به.

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١/ ٧٥٠).

(٢) رواه البخاري (٤١١٠) من حديث سليمان بن صرد الخزاعي رضي الله عنه بلفظ: «الآنَ نَغْزُوهم ولا يَغْزُوننا، نحن نَسيرُ إليهم».

﴿مِن صَيَاصِيهِم﴾: حصونهم جمعُ صِيصِية، وهو ما يُتحصَّن به، ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾: الخوفَ، ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ منهم ـ وهم المُقاتِلة ـ ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم أي: الذراريَّ، ٢٧ ـ ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا﴾ بعدُ. وهي خَيبر أُخذتْ بعد قُريظة. ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾.

٢٨ ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، قُل لِّأَزْوَاجِكَ﴾ وهُنَّ تِسع، وطلبنَ منه من زِينة الدنيا ما ليس عِنده: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ، أُمَتِّعْكُنَّ﴾ أي: مُتعةَ الطلاق، ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: أُطلِّقكنَّ، مِن غير ضِرار، ٢٩ ـ ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ أي: الجنّةَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ بإرادة الآخِرة ....

قولُه: (الخَوفَ) قالَ القاضي: وقُرئَ بالضَّمِّ[1]. وهو قراءةُ الشَّاميِّ[2].

قولُه: (أي: الذَّرَارِيَّ) والنِّساءَ.

قولُه تعالى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ مزارعَهُم ﴿وَدِيَارَهُمْ﴾ حصونَهُم ﴿وَأَمْوَالَهُمْ﴾ نقودَهُم ومواشيَهُم وأثاثَهُم.

قولُه: (وهِيَ خَيبَرُ) أو مكَّةُ، أو أرضُ الرُّومِ وفارسَ، أو كلُّ أرضٍ تُفتَحُ إلى يومِ القيامةِ.

قولُه: (وهُنَّ تِسْعٌ) قالَ عكرمةُ: كانَ تحتَهُ يومئذٍ تِسْعُ نِسوَةٍ: خمسٌ من قريشَ: عائشةُ، وحفصةُ، وأمُّ حبيبةَ بنتُ أبي سفيانَ، وسودةُ بنتُ زمعةَ، وأمُّ سلمةَ، وكانَتْ تحتَهُ صفيَّةُ، وميمونةُ، وزينبُ، وجويريةُ كذا في «المبهماتِ»[3].

قولُه: (مِنْ زِينَةِ الدُّنْيَا) أي: زَخارِفِها.

قولُه: (مَا لَيسَ عِنْدَهُ) من السَّعَةِ والتَّنعُّمِ ظنًّا منهنَّ أنَّه اختُصَّ بنفائسِ اليهودِ وذخائرِهِم، وقلنَ: نساءُ كسرى وقيصرَ في الحُلَلِ والحُليِّ والإماءِ، ونحنُ على ما تراهُ من الفاقَةِ والضِّيقِ، وآلمن قلبَهُ الشَّريفَ.

قولُه: (أيْ: مُتعَةَ) أي: أُعطِكُنَّ.

قولُه: (مِنْ غَيرِ) أي: طلاقاً من غَيرِ ضِرارٍ وبدعَةٍ.

قولُه: (بإِرَادَةِ) متعلِّقٌ بالـ﴿محسناتِ﴾.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٢٩).

(٢) والكسائي أيضاً، انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٨١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣١٢).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٨٦) وعزاه لابن أبي حاتم.

﴿أجرًا عَظِيمًا﴾ أي: الجنّة. فاخترْنَ الآخرةَ على الدنيا.

٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ، مَن يأتِ مِنكُنَّ بِفاحِشةٍ مُبَيَّنةٍ﴾ ـ بفتح الياء وكسرها ـ أي: بُيِّنَتْ أو هي بيِّنة ﴿يُضاعَفْ﴾، وفي قراءة: «يُضعَّفْ» بالتشديدِ، وفي أُخرى: «نُضعِّفْ» بالنونِ معه ونصبِ «العَذابَ»، ﴿لَها العَذابُ ضِعفَينِ﴾: ضِعفي عذاب غيرهنّ أي: مِثلَيه ـ ﴿وكانَ ذلِكَ على اللهِ يَسِيرًا ـ ومَن يَقنُتْ﴾: يُطِعْ ﴿مِنكُنَّ لِلهِ ورَسُولِهِ وتَعمَلْ صالِحًا نُؤتِها أجرَها مَرّتَينِ﴾ أي: مِثلَي ثواب غيرهنّ من النساء ـ وفي قراءة بالتحتانيّة..

قولُه: (أي: الجَنَّةَ) الَّتي تُستَحقَرُ دُونَها الدُّنيا وزينتُها.

و(مِن) للتَّبيينِ؛ لأنَّهنَّ كلَّهُنَّ كنَّ محسناتٍ، وقيل: للتَّبعيضِ، فإنَّ واحدةً اختارَتِ الدُّنيا فصارَت تجمعُ البعرَ وتتعيَّشُ به.

قولُه: (بفَتحِ اليَاءِ) مكِّيٌّ وشعبةُ[1].

قولُه: (بَيِّنَةٌ) أي: ظاهرٌ قُبْحُها، عن ابنِ عبَّاسٍ: هي النُّشوزُ وسوءُ الخُلُقِ[2].

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للبصريِّ[3].

قولُه: (وفِي أُخرَى) لمكِّيٌّ وشاميٌّ[4].

قولُه: (مَعَهُ) أي: مع التَّشديدِ.

قولُه: (أي: مِثلَيْهِ) لأنَّ الذَّنبَ أقبحُ من العارفينَ، والشَّرطُ لا يَقتَضي الوُقوعَ، قالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ الآيةَ [الزخرف: ٨١].

قولُه: (يُطِعْ) ولعلَّ ذِكرَ اللهِ للتَّعظيمِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحًا﴾، فإنَّ العملَ الصَّالحَ هو الطَّاعةُ، والأصلُ في العطفِ التَّغايرُ، فالمرادُ بالإطاعةِ أوَّلاً هو حسنُ المعاشرَةِ.

قولُه: (مِثْلَي ثَوَابِ) أو: مرَّةً على الطَّاعةِ، ومرَّةً على طلبهنَّ رضاءَ النَّبيِّ ﷺ بالقناعةِ وحُسْنِ المعاشرَةِ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[5].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٩٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠٤٠).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢١)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٧٥).

(٤) انظر المصادر السابقة.

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢١)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٧٦).

في «تَعملْ» و«نُؤتِها» ـ ﴿وأعتَدْنا لَها رِزقًا كَرِيمًا﴾ في الجنّة زيادةً.

٣٢ ـ ﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ، لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ﴾: كجماعة ﴿مِنَ النِّساءِ، إنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ الله فإنكنّ أعظم. ﴿فلا تَخضَعْنَ بِالقَولِ﴾ للرجال، ﴿فَيَطمَعَ الَّذِي في قَلبِهِ مَرَضٌ﴾: نفاق، ﴿وقُلْنَ قَولاً مَعرُوفًا﴾ من غير خُضوع، ٣٣ـ ٣٤ـ ﴿وقِرْنَ﴾، بكسر القاف وفتحها، ﴿في بُيُوتِكُنَّ﴾ ـ من القرار وأصله «اقرِرْنَ» بكسر الراء وفتحها من: قَررتُ،...

قولُه: (في «يَعْمَلْ») حملاً على لفظِ ﴿مَنْ﴾ كما أنَّ قراءةَ التَّاءِ حملاً على معنى ﴿مَنْ﴾.

قولُه: (و﴿نُؤْتِهَا﴾) على أنَّ فيهِ ضميرَ اسمِ اللهِ.

قولُه: (فِي الجَنَّةِ) أي: أعلى مَراتِبِها.

قولُه: (زِيَادَةً) على أجْرِها، ويجوزُ أن يكونَ في ذلك وَعدٌ دنياويٌّ، وكريمٌ من جهةِ أنَّه حلالٌ من غيرِ كَدٍّ وإذلالٍ.

قولُه: (كجَمَاعَةٍ) أصلُ ﴿أحدٍ﴾: وَحَدٌ بمعنى: واحِدٍ، ثمَّ وُضِعَ في النَّفي العامِّ مستوياً فيه المذكَّرُ والمؤنَّثُ، والواحدُ والأكثرُ، والمعنى: لستُنَّ كجماعةٍ واحدةٍ من جماعاتِ النِّساءِ في الفضلِ، كذا ذكرَهُ «الكشَّافُ»[١] والبيضاويُّ[٢]، وعندَ صاحبِ «البحرِ»: معناهُ: ليسَ كلُّ واحدةٍ منكنَّ كشخصٍ واحدٍ من نساءِ عصرِكُنَّ[٣].

قولُه: (اللهَ) مخالفتَهُ، أو عقابَهُ، أو: راعَيتُنَّ التَّقوى ودُمْتُنَّ عليها.

قولُه: (للرِّجَالِ) أي: لا تَكلَّمْنَ كلاماً ليِّناً.

قولُه: (نِفَاقٌ) وفجُورٌ.

قولُه: (بكَسرِ القَافِ) من وَقَرَ يَقِرُ وَقاراً: إذا سَكَنَ، فـ(قِرْنَ) كـ«عِدْنَ».

قولُه: (وفَتْحِهَا) نافعٌ وعاصمٌ[٤]، من قارَ يَقارُ، إذا اجتمعَ فـ﴿قَرْنَ﴾ كـ«خَفْنَ».

قولُه: (مِنَ القَرَارِ) يعني: أنَّ القراءتَينِ من القَرارِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٣/ ٥٣٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٣١).

(٣) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (٨/ ٤٧٤).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢١)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٧٧).

بفتح الراء وكسرها. نُقلت حركة الراء إلى القاف وحُذفت مع همزة الوصل ـ ﴿ولا تبرَّجْنَ﴾، بترك إحدى التاءين من أصله، ﴿تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنَهنّ للرجال ـ والإظهارُ بعد الإسلام مذكور في آيةِ «ولا يُبدِينَ زِينتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنها» ـ ﴿وأقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكاةَ، وأطِعْنَ اللهَ ورَسُولَهُ ـ إنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ﴾: الإثمَ، يا ﴿أهلَ البَيتِ﴾ أي: نساءَ النبيّ،....

قولُه: (بِفَتحِ الرَّاءِ) من قَرِرْتُ بالكسرِ، أَقَرُّ بالفتحِ، وهو لغةٌ في قَرَّ يَقَرُّ قراراً[1]، وهو معنى قولِهِ: (وكَسرِهَا)، وكانَ حقُّهُ التَّقديمَ؛ لأنَّه قراءَةُ الجمهورِ ولغتُهم، واللَّفُّ المرتَّبُ، وفي بعضِ النُّسَخِ: «نُقِلَتْ حركةُ الرَّاءِ إلى القافِ وحُذِفَتْ همزةُ الوصلِ»[2]؛ يعني: استغناءً عنها كما حُذِفَت إحدى الرَّاءينِ؛ لالتِقاءِ السَّاكنَينِ.

قولُه: (بتَرْكِ إِحْدَى التَّاءَينِ) والبَزِّيُّ بتشديدِ التَّاءِ وصلاً[3]؛ أي: لا تتبختَرْنَ في مشيِكُنَّ.

قولُه: (مَحَاسِنَهُنَّ) وزينَتَهُنَّ.

قولُه: (بَعدَ الإِسْلَامِ) أي: الَّذي هو تبرُّجُ الجاهليَّةِ الأخرى، فيه: أنَّ الثَّانيةَ عينُ الأولى فلا فائدةَ في التَّقييدِ، ولذا قالَ القاضِي: أي: تبرُّجاً مِثلَ تبرُّجِ النِّساءِ في أيَّامِ الجاهليَّةِ القديمَةِ[4]. يعني: ﴿الأولى﴾ لا أُخْرى لها، كما قيلَ في: ﴿أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ﴾ [النجم: ٥٠].

قولُه: (الإِثْمَ) أي: الذَّنبَ المدنِّسَ لعِرْضِكُم، أو: خبائِثَ القَلْبِ، أو: ما ليسَ للهِ فيه رِضًى.

قولُه: (يَا) يعني: نُصِبَ ﴿أَهْلَ﴾ على النِّداءِ، وقيل: على المَدْحِ.

قولُه: (أَيْ: نِسَاءَ النَّبِيِّ) عن ابنِ عبَّاسٍ وعكرمَةَ: أنَّها نزلَتْ فيهنَّ[5].

وأخرجَ التِّرمذيُّ: أنَّها لمَّا نزلَتْ دعا النَّبيُّ ﷺ فاطمةَ وحسناً وحسيناً وعليًّا وقالَ: «اللَّهمَّ هؤلاءِ أهلُ بيتِي»[6]، فالظَّاهرُ أنَّ الحُكمَ عامٌّ للرِّجالِ والنِّساءِ جميعاً من أهلِ البيتِ على سبيلِ التَّغليبِ، فقيلَ: ﴿عَنكُمُ﴾ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ حتَّى لا يختَصَّ بهِنَّ.

---

(١) انظر: «الصحاح» (٢/ ٧٩٠).

(٢) وهكذا هي في النسخ المعتمدة في المتن، لكن فيه: «مع همزة الوصل» وهو أصوب، قال البيضاوي في «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٣١): حُذِفَت الأولى مِن راءي (اقرِرْنَ) ونُقِلَت كسرتُها إلى القافِ فاستُغنِي عن همزةِ الوصلِ.

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨٣).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٣١).

(٥) رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤١٠) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه.

ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٦٧) عن عكرمة.

(٦) رواه الترمذي (٣٧٨٧) من حديث عمر بن أبي سلمة، ربيب النبي ﷺ، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

﴿ويُطهِّرَكُم﴾ منه ﴿تطهيرًا ـ واذكُرْنَ ما يُتلَى في بُيُوتِكُنَّ مِن آياتِ اللهِ﴾: القُرآنِ ﴿والحِكْمةِ﴾: السُّنّة. ﴿إنَّ اللهَ كانَ لَطِيفًا﴾ بأوليائه ﴿خَبِيرًا﴾ بجميع خلقه.

٣٥ ـ ﴿إنَّ المُسلِمِينَ والمُسلِماتِ، والمُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ، والقانِتِينَ والقانِتاتِ﴾: المُطيعات، ﴿والصّادِقِينَ والصّادِقاتِ﴾ في الإيمان، ﴿والصّابِرِينَ والصّابِراتِ﴾ على الطاعات، ﴿والخاشِعِينَ﴾: المُتواضعين ﴿والخاشِعاتِ، والمُتَصَدِّقِينَ والمُتَصَدِّقاتِ، والصّائمِينَ والصّائماتِ، والحافِظِينَ فُرُوجَهُم والحافِظاتِ﴾ عن الحرام، ﴿والذّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا والذّاكِراتِ، أعَدَّ اللهُ لَهُم مَغفِرةً﴾ للمعاصي، ﴿وأجرًا عَظِيمًا﴾ على الطاعات.

٣٦ ـ ﴿وما كانَ لِمُؤمِنٍ ولا مُؤمِنةٍ، إذا قَضَى اللهُ ورَسُولُهُ أمرًا، أن تَكُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿لَهُمُ الخِيَرةُ﴾ أي: الاختيارُ ﴿مِن أمرِهِم﴾ خلافَ أمر الله ورسوله ـ نزلتْ في عبدالله بن جحش وأُخته زينب خطبها النبيّ، ....

قولُه: (مِنْهُ) أي: الرِّجْسِ.

قولُه: (والسُّنَّةِ) فيهِ أنَّ السُّنَّةَ ممَّا لا يُتلى، ولذا قالَ القاضي: من الكِتابِ الجامِعِ بينَ الأمرينِ[١].

قولُه: (فِي الإِيمَانِ) الصَّوابُ: في القولِ والعَمَلِ، أو: في جميعِ الأحوالِ.

قولُه: (عَلَى الطَّاعَاتِ) وعنِ السَّيِّئاتِ، وفي البليّاتِ.

قولُه: (المُتَوَاضِعَاتِ)[٢] للهِ بالقلوبِ والجوارحِ.

قولُه تعالى: ﴿وَالذَّاكِرَاتِ﴾ أي: بقلوبِهِم وألسنَتِهِم[٣].

قولُه: (للمَعَاصِي) أي: لِمَا اقترفوا من الصَّغائرِ؛ لأنَّهُنَّ مُكَفِّراتٍ دونَ الكبائرِ.

قولُه: (باليَاءِ) كوفيٌّ وهشامٌ[٤].

قولُه: (الاخْتِيَارُ خلافَ أمرِ اللهِ) بل يجبُ عليهِم أن يجعَلوا اختيارَهُم تبعاً لاختيارِ اللهِ ورسولِهِ، وجَمَعَ الضَّميرينِ لعمومِ: مؤمنٍ ومؤمنةٍ، من حيثُ إنَّهما في سياقِ النَّفي.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٣١).

(٢) في المتن المعتمد جاء الوصف للذكور، والمؤدى واحد؛ لأن ما وصف به أحدهما ينسحب على الآخر.

(٣) قوله: «بقلوبهم وألسنتهم» الظاهر أنه من وصف الذاكرين والذاكرات كليهما على تغليب الذكور، لا الذاكرات وحدهن وإلا لقال: بقلوبهن وألسنتهن، ولألزم القصور في التعبير.

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٧٩).

وعنَى لزيد بن حارثة، فكرها ذلك حين علما لظنّهما قبلُ أنّ النبيّ ﷺ خطبها لنفسه، ثمّ رضيا للآية ـ ﴿ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ فقَد ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا﴾: بيِّنًا. فزوّجها النبيّ لزيد. ثمّ وقع بصره عليها بعد حين، فوقع في نفسه حُبّها وفي نفس زيد كراهتُها، ثمّ قال للنبيّ: أريد فِراقها. فقال: «أمسِكْ علَيكَ زَوجَكَ» كما قال تعالى.

٣٧ ـ ﴿وإذْ﴾ منصوب بـ «اذكرْ» ﴿تَقُولُ لِلَّذِي أنعمَ اللهُ علَيهِ﴾ بالإسلام، ﴿وأنعَمتَ علَيهِ﴾ بالإعتاق، وهو زيد بن حارثة كان من سبْي الجاهليّة، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البِعثة وأعتقه وتبنّاه: ﴿أمسِكْ علَيكَ زَوجَكَ، واتَّقِ اللهَ﴾ في أمر طلاقها. ﴿وتُخفِي في نَفسِكَ ما اللهُ مُبدِيهِ﴾: مُظهِرُه من محبّتها وأنْ لو فارقها زيد تزوّجتَها، ﴿وتَخشَى النّاسَ﴾ أن يقولوا: تزوّجَ زوجةَ ابنه. ﴿واللهُ أحَقُّ أن تَخشاهُ﴾ في كُلّ شيء ويُزوّجَكها، ....

قولُه: (عَنَى) أي: أرادَ.

قولُه: (ذَلكَ) الإشارةُ إلى مصدَرِ: «عَنَى».

قولُه: (حينَ عِلْمِهِ) مصدرٌ، والضَّميرُ لـ«ذلكَ».

قولُه: (قَبْلُ) إفادةَ[١] الإرادَةِ.

قولُه: (فوَقَعَ) فقالَ: «سبحانَ مُقَلِّبِ القلُوبِ»[٢]، قلتُ: فيه إشارةٌ إلى تقلُّبِ قلبِهِ الشَّريفِ وقَلْبِ زيدٍ أيضاً[٣].

قولُه: (بالإِعْتَاقِ) والمحبَّةِ.

قولُه: (وتَبَنَّاهُ) بعدَ ما خيَّرَهُ بينَهُ وبينَ أبوَيْهِ، فاختارَهُ عليهما.

قولُه: (في أَمْرِ طَلاقِهَا) فإنَّ أبغضَ الحلالِ إلى اللهِ الطَّلاقُ.

قولُه: (مِنْ) بيانُ: ﴿مَا﴾، و(أَنْ) عطفٌ على (مَحَبَّتِهَا).

---

(١) هكذا ضبطناها بالنصب مفعولًا به للظن؛ أي: لظنهما إفادةَ الإرادة. . .، والله أعلم.

(٢) ذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٩٣).

(٣) وردت آثار في هذه القصة تناقلها كثير من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها، والمعتمد عند المحققين: أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه. وكل ما عدا هذا فهو من الباطل الذي ينبغي تنزيه النبي ﷺ عنه، ولا يجوز تسويد الكتب به.

وانظر: «فتح الباري» (٨/ ٥٢٤).

ولا عليك من قول الناس. ثمّ طلّقها زيد وانقضتْ عِدّتها. قال تعالى: ﴿فلمّا قَضى زَيدٌ مِنها وَطَرًا﴾: حاجة ﴿زَوَّجْناكَها﴾ ـ فدخل عليها النبيّ بغير إذن، وأشبعَ المسلمين خُبزًا ولحمًا ـ ﴿لِكَيلا يَكُونَ على المُؤمِنِينَ حَرَجٌ في أزواجِ أدعِيائِهِم، إذا قَضَوا مِنهُنَّ وَطَرًا. وكانَ أمرُ اللهِ﴾: مَقضِيُّه ﴿مَفعُولاً﴾.

٣٨ ـ ﴿ما كانَ علَى النَّبِيِّ مِن حَرَجٍ فِيما فَرَضَ﴾: أحلّ ﴿اللهُ لَهُ، سُنَّةَ اللهِ﴾ أي: كسُنّة الله ـ فنُصب بنزع الخافض ـ ﴿في الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ﴾ من الأنبياء أنْ لا حرجَ عليهم في ذلك توسعةً لهم في النّكاح ـ ﴿وكانَ أمرُ اللهِ﴾: فِعله ﴿قَدَرًا مَقدُورًا﴾: مَقضِيًّا ـ ٣٩ ـ ﴿الَّذِينَ﴾: نعت لِـ «الذين» قبله ﴿يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللهِ ويَخشَونَهُ، ولا يَخشَونَ أحَدًا إلاّ اللهَ﴾، فلا يخشون قالةَ الناس فيما أحلّه الله لهم، ﴿وكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا﴾: ....

قولُه: (حَاجَةً) بحيثُ مَلَّهَا، ولم يَبْقَ له فيها حاجَةٌ، وطلَّقَها وانقضَتْ عدَّتُها.

قولُه: (بغَيْرِ إذْنٍ) ووقعَ التَّزويجُ بلا وليٍّ من بَشَرٍ ولا شاهِدٍ ولا مَهْرٍ، ولهذا كانت تفتَخِرُ وتقولُ: زوَّجَني اللهُ مِنْ فَوقِ سَبعِ سماواتٍ[1]، والسَّفيرُ جبريلُ، وقيل: زيدٌ[2]، وذلك ابتلاءٌ عظيمٌ، وشاهدٌ بيِّنٌ على قُوَّةِ إيمانِهِ.

قولُه: (ولَحْماً) يعني: في عُرْسِها.

قولُه: (أَحَلَّ) أو قَسَمَ وقدَّرَ.

قولُه: (كسُنَّةِ اللهِ) الظَّاهرُ نصبُهُ على المصدرِ؛ أي: سُنَّ ذلك سُنَّةً.

قولُه: (فِي ذِلِكَ) أي: فيما أباحَ لهم من كثْرَةِ الأزواجِ وغيرِها.

قولُه: (فِعلُهُ) الظَّاهرُ: قضاؤُهُ.

قولُه: (مَقضِيًّا) أي: حُكماً مَقطوعاً.

قولُه: (نَعتٌ) أو مدْحٌ منصوبٌ أو مرفوعٌ.

قولُه: (قَالَةَ النَّاسِ) ففيه تعريضٌ بعد تصريحٍ، أو: فلا يمنعُهُم شيءٌ عن الإبلاغِ، ولذلكَ قالَت عائشةُ: لو كتمَ محمَّدٌ ﷺ شيئاً لكتمَ ﴿وَتُخفِي فِي نَفسِكَ﴾ إلى: ﴿أَنْ تَخشَاهُ﴾، رواهُ ابنُ جريرٍ وغيرُه[3].

---

(١) رواه البخاري (٧٤٢٠) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) وهذا رواه مسلم (١٤٢٨) عن أنسٍ قال: لَمَّا انقَضَتْ عِدَّةُ زينبَ قال رسولُ اللهِ ﷺ لزيد: «فاذكُرْها عَلَيَّ»، قال: فانطلق زيدٌ حتى أتاها وهي تُخمِّرُ عجينَها. . .، الحديث.

(٣) رواه الترمذي (٣٢٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٧٤) وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

حافظًا لأعمال خلقه ومُحاسِبَهم!

٤٠ ـ ﴿ما كانَ مُحَمّدٌ أبا أحَدٍ مِن رِجالِكُم﴾ ـ فليس أبا زيدٍ، أي: والدَه، فلا يحرمُ عليه التزوّج بزوجته زينب ـ ﴿ولكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولَ اللهِ وخاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾. فلا يكون له ابنٌ رجلٌ بعده يكون نبيًّا. وفي قراءة بفتح التاء كآلة الخَتم، أي: به خُتموا. ﴿وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾، منه أنْ لا نبيَّ بعده. وإذا نزل السيِّد عِيسَى يحكمُ بشريعته.

قولُه: (حَافِظاً) أو: كافياً للمخاوفِ، من: حسبيَ اللهُ؛ أي: كافيَّ.

قولُه: (ومُحَاسِبَهُم) عطفٌ على: (حَافِظَهُم) ولوِ اقتصَرَ على الثَّاني كانَ أظهرَ، وفي نسخةٍ: «ومحاسبتِهِم» عطفٌ على (أعمالِ) يعني: فينبَغي أن لا يُخشى إلَّا منهُ.

قولُه: (أَبَا زَيْدٍ) على الحقيقةِ.

قولُه: (رَجُلٌ) فإنَّ القاسمَ وإبراهيمَ لم يبلُغا مبلغَ الرِّجالِ، ولو بلغا كانا رجالَهُ لا رجالَهُم.

قولُه: (يَكُونُ نَبِيًّا) يعني: لو كانَ له ابنٌ بالغٌ لاقَ منصبَهُ أن يكونَ نبيًّا أخذاً من قولِهِ ﷺ: «لو عاشَ إبراهيمُ لكانَ نبيًّا»[1].

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لعاصمٍ[2].

قولُه: (كَآلَةِ الخَتْمِ) وعلى قراءةِ الجمهورِ؛ أي: آخِرَهُم الَّذي ختمَهُم، فهو اسمُ فاعِلٍ.

قولُه: (وإِذَا نَزَلَ) يعني: لا يقدَحُ فيه نزولُ عيسى بعدَهُ؛ لأنَّه إذا نزلَ كانَ مؤيِّداً له، مع أنَّ المرادَ: آخِرُ مَن نُبِّئَ.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٥١١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وللقاري نص مهم أسوقه لتحقق الفائدة من «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» (٩/ ٣٧٢١) حيث قال: قال النووي في «تهذيبه»: وأما ما روي عن بعض المتقدمين حديث: «لو عاش إبراهيم لكان نبياً» فباطل، وجسارة على الكلام بالمغيبات ومجازفة وهجوم على عظيم. وقال ابن عبد البر في «تمهيده»: لا أدري ما هذا، فقد وَلَد نوح غيرَ نبي، ولو لم يلد إلا نبياً لكان كل أحد نبياً؛ لأنه من ولد نوح. انتهى. ثم قال القاري بعد أن تعقب كلامهما: هذا وقد قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة»: وهذا عجيب من النووي مع وروده عن ثلاثة من الصحابة، ولا يظن بالصحابي أن يهجم على مثل هذا بظنه.

قلتُ (القائل القاري): مع أنهم لم يقولوه موقوفاً، بل أسندوه مرفوعاً، كما بينه خاتمة الحفاظ السيوطي بأسانيده في رسالة على حدة، مع أن من القواعد المقررة في الأصول أن موقوف الصحابي إذا لم يتصور أن يكون من رأي فهو في حكم المرفوع، فإنكار النووي وابن عبد البر لذلك: إما لعدم اطلاعهما، أو لعدم ظهور التأويل عندهما.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٢).

٤١ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اذكُرُوا اللهَ ذِكرًا كَثِيرًا﴾ أي: اذكروه في جميع الأحوال، ٤٢ ـ ﴿وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً﴾: أوّلَ النهار وآخِره. ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي علَيكُم﴾ أي: يرحمُكم ﴿ومَلائكتُهُ﴾ أي: يستغفرون لكم، ﴿لِيُخرِجَكُم﴾: ليديم إخراجَه إياكم ﴿مِنَ الظُّلُماتِ﴾ أي: الكُفر ﴿إلَى النُّورِ﴾ أي: الإيمان، ﴿وكانَ بِالمُؤمِنِينَ رَحِيمًا، تَحِيَّتُهُم﴾ منه ـ تعالى ـ ﴿يَومَ يَلقَونَهُ سَلامٌ﴾ بلسان الملائكة، ﴿وأعَدَّ لَهُم أجرًا كَرِيمًا﴾. هو الجنّة.

٤٥ ـ ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ، إنّا أرسَلْناكَ شاهِدًا﴾ على من أُرسلتَ إليهم، ﴿ومُبَشِّرًا﴾ مَن صدّقك بالجنّة، ﴿ونَذِيرًا﴾: مُنذرًا من كذّبك بالنار، ٤٦ ـ ﴿وداعِيًا إلَى اللهِ﴾: إلى طاعته ﴿بِإذنِهِ﴾: بأمره، ﴿وسِراجًا مُنِيرًا﴾.........

قولُه: (وآخِرَهُ) خُصوصاً من الأوقاتِ، كمَّا خصَّ التَّسبيحَ من الأذكارِ للدِّلالةِ على فضلِهما على سائِرِ الأوقاتِ؛ لكونِهما مشهودَينِ له، ولاكتنافِهما بطرَفَيِ اللَّيلِ والنَّهارِ، ولعمومِ الذِّكرِ وُصِفَ بالكثرةِ ولم يقيَّدْ بوقتٍ.

وقيلَ: الفعلانِ موجَّهانِ إليهما على التَّنازُعِ، فقيل: المرادُ بهما الدَّوامُ.

قولُه: (أي: يَستَغفِرُونَ) يعني: المرادُ بالصَّلاةِ: المعنى المشترَكُ، وهو العنايةُ بصَلاحِ أمرِكُم وظهُورِ شَرَفِكُم، مستعارٌ من الصَّلاةِ بالمعنى اللُّغويِّ، وهو الدُّعاءُ، فإنَّهُ يكونُ مُسَبَّباً عن العنايَةِ بالمدعُوِّ إليه، فلا يلزمُ الجمْعُ بينَ الحقيقَةِ والمجازِ، أو المعنيَينِ المجازيينِ.

قولُه: (الكُفرِ) أي: أنواعِهِ، أو: ليخرجَكُم من ظُلُماتِ المعاصِي إلى نورِ الطَّاعةِ، أو من ظلماتِ الشُّكوكِ والشُّبُهاتِ إلى نورِ اليَقينِ، أو مِنْ ظلماتِ الغَفْلةِ إلى نورِ الحُضورِ، أو من ظلماتِ الجهالةِ إلى نورِ العِلمِ.

قولُه: (مِنْهُ تَعالَى) من إضافةِ المصدَرِ إلى المفعولِ؛ أي: يُحَيَّونَ يومَ لقائِهِ عندَ الموتِ، أو الخروجِ عند الجزاءِ، أو دخولِ الجنَّةِ أو فيها.

قولُه: (بِلِسَانِ المَلائكَةِ) أو بلا واسطَةٍ، وهو حينئذٍ إخبارٌ بالسَّلامةِ عن كُلِّ مكرُوهٍ وآفةٍ، بخلافِ ما في الدُّنيا فإنَّه دعاءٌ، ويمكنُ أن يكونَ لمجرَّدِ التَّعظيمِ، ولتحيَّةِ التَّكريمِ، ويؤيِّدُه وقوعُهُ مكرَّراً.

قولُه: (هُوَ الجَنَّةُ) ونعيمُها.

قولُه: (إلَيهِم) بتَصديقِهِم وتكذيبِهِم، وهو حالٌ مقدَّرةٌ.

قولُه: (بأَمْرِهِ) وتيسيرِهِ.

أي: مِثلَه في الاهتداء به، ٤٧ ـ ﴿وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِنَ اللهِ فَضلاً كَبِيرًا﴾ هو الجنّة، ٤٨ ـ ﴿ولا تُطِعِ الكافِرِينَ والمُنافِقِينَ﴾ فيما يُخالف شريعتك، ﴿ودَعْ﴾: اتركْ ﴿أذاهُم﴾: لا تُجازِهم عليه إلى أن تُؤمر فيهم بأمر، ﴿وتَوَكَّلْ علَى اللهِ﴾ ـ فهو كافيك ـ ﴿وكَفَى بِاللهِ وَكِيلاً﴾: مُفوَّضًا إليه!

٤٩ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا نَكَحتُمُ المُؤمِناتِ، ثُمَّ طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ﴾ ـ وفي قراءة: «تُماسُّوهُنَّ» ـ أي: تُجامِعوهنَّ،........

قولُه: (أي: مِثلَهُ) والمرادُ بالسِّراجِ: الشَّمسُ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١]، وإنَّما ذكرتُ هذا لِمَا بلغَني عن بعضِ المدرِّسينَ في المسجدِ الحرامِ أنّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ شُبِّهَ بالسِّراجِ دونَ الشَّمسِ والشَّمعِ لكلامٍ لا يليقُ ذكرُه في هذا المقامِ.

قولُه: (هُوَ الجَنَّةُ) الأظهرُ: ﴿فضلاً﴾ على سائرِ الأممِ، أو: على أجرِ أعمالِهم بتضعيفِ الحسناتِ.

ولعلَّهُ[1] معطوفٌ على محذوفٍ مثل: فراقِبْ أحوالَ أمَّتِكَ.

قولُه: (فِيمَا يُخَالِفُ) على ما أنتَ عليه[2].

قولُه: (لا تُجَازِهِم) إشارةٌ إلى أنَّ المصدرَ مضافٌ إلى المفعولِ؛ أي: إيذاءكَ إيَّاهم، وقيل: إيذاءهُم إيَّاكَ، ولا تبالِ به، أو: لا تؤاخِذْهُم على كُفرِهِم، فيكونُ منسُوخاً، وبهذا يظهرُ لك ما في كلامِ الشَّيخِ من الخَلْطِ بينَ القولينِ[3].

قولُه: (كَافِيكَ) أي: يكفيكَهُم.

قولُه: (مُفَوَّضاً) يعني: التَّوكُّلُ بمعنى التَّفويضِ، وهو بمعنى المفعولِ.

قولُه: (وفي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[4].

قولُه: (أي: تُجَامِعُوهُنَّ) والخلوةُ الصَّحيحةُ في حُكْمِ الجماعِ عندَنا قضاءً لا ديانَةً.

---

(١) أي: قوله تعالى: ﴿وبشر﴾.

(٢) عبارة البيضاوي: ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ تهييجٌ له على ما هو عليهِ مِن مُخالَفَتِهم

(٣) جاء في «تفسير ابن عطية» (٤/ ٣٩٠): ﴿وَدَعْ أَذاهُمْ﴾ يحتمل معنيين: أحدهما أن يأمره بترك أن يؤذيهم هو ويعاقبهم، فكان المعنى: واصفح عن زللهم، ولا تؤذهم، فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، ونسخ من الآية على هذا التأويل ما يخص الكافرين، وناسخه آية السيف، والمعنى الثاني: أن يكون قوله: ﴿وَدَعْ أَذاهُمْ﴾ بمعنى: أعرض عن أقوالهم وما يؤذونك به، فالمصدر على هذا التأويل مضاف إلى الفاعل.

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٢).

﴿فما لكُم عليهِنَّ مِن عِدّةٍ تَعتَدُّونَها﴾: تُحصُونها بالأقراء وغيرها. ﴿فمَتِّعُوهُنَّ﴾: أعطوهنّ ما يستمتعن به، أي: إن لم يُسَمَّ لهنَّ أصدِقةٌ ـ وإلاّ فلهنّ نِصف المُسمَّى، فقط. قاله ابن عبّاس، وعليه الشافعيّ ـ ﴿وسَرِّحُوهُنَّ سَراحًا جَمِيلاً﴾: خلّوا سبيلهنّ من غير إضرار.

٥٠ ـ ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ، إنّا أحلَلْنا لَكَ أزواجَكَ اللاّتِي آتيتَ أجُورَهُنَّ﴾: مُهورَهنّ، ﴿وما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمّا أفاءَ اللهُ علَيكَ﴾ من الكُفّار بالسبْي كصَفيّة وجُوَيرية، ﴿وبَناتِ عَمِّكَ وبَناتِ عَمّاتِك، وبَناتِ خالِكَ وبَناتِ خالاتِكَ اللاّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ﴾ بخِلاف من لم يهاجرن، ....

قولُه: (تُحصُونَهَا) وقولُ البيضاويِّ: عن ابنِ كثيرٍ: (تعتدونَها) مُخَفَّفاً[1]. غيرُ صحيحٍ[2].

قولُه: (بالأَقْرَاءِ) أي: الحِيَضِ، أو الأطهارِ، على خلافِ المذهَبَينِ.

قولُه: (وغَيْرِهَا) بالأشهُرِ للآيسةِ والصَّغيرةِ.

قولُه: (أَصْدِقَة) جمعُ: صَداقٍ، وهو المهرُ.

قولُه: (وعَلَيهِ الشَّافِعِيُّ) وفي «المدارِكِ»: تجبُ المتعةُ للَّتي طلَّقَها قبلَ الدُّخُولِ بها ولم يُسَمِّ لها مهراً دونَ غيرِها[3]؛ يعني: فإنَّها تُستحَبُّ لها.

قولُه: (مِنْ غَيرِ إِضْرَارٍ) ولا منْعِ حَقٍّ.

قولُه: (مُهُورَهُنَّ) لأنَّ المهرَ أجرٌ على البُضْعِ، وتقييدُ الإحلالِ له بإعطائِها معجَّلة لبيانِ الأفضَلِ، وفي «المدارِكِ»: إيتاؤُهَا: إعطاؤُها عاجلاً، أو فَرضُها وتسميَتُها عقداً[4].

قلتُ: الثَّاني أيضاً بيانُ الأكمَلِ لا شرطٌ للحِلِّ.

قولُه: (بالسَّبْيِ) هذا القَيدُ لإيثارِ الأحوطِ، فإنَّ المشتراةَ لا يتحقَّقُ بَدْءُ أمرِها وما جَرى عليها.

قولُه: (بخِلافِ مَنْ لَم يُهَاجِرْنَ) والمرادُ بقولِه: (مهاجراتٌ معه): مشتركاتٌ في الهجرَةِ لا في الصُّحبةِ؛ كقولِه: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: ٤٤].

ثمَّ اعلمْ: أنَّ التَّقييدَ بالقرائبِ لإيثارِ الأفضلِ، وللردِّ على النَّصارى، فإنَّهُم لا يتزوَّجُونَ امرأةً بينهُم وبينها سبعةُ أجدادٍ، وعلى اليهودِ يتزوَّجُ أحدُهُم ابنةَ أخيهِ وأختِه.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٣٥).

(٢) يعني: ليس من المتواتر، وإلا فقد ورد ذلك في الشواذ. انظر «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٣٧).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٣٨)

﴿وامرأةً مؤمنةً إن وَهَبَتْ نَفسَها لِلنَّبِيِّ، إن أرادَ النَّبِيُّ أن يَستَنكِحَها﴾: يطلبَ نِكاحَها بغيرِ صَداق، ﴿خالِصةً لَكَ مِن دُونِ المُؤمِنينَ﴾ النِّكاحُ بلفظ الهِبة من غير صَداق - ﴿قد عَلِمْنا ما فَرَضْنا عليهِم﴾ أي: المؤمنين ﴿في أزواجِهِم﴾ من الأحكام ألاّ يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوّجوا إلاّ بوليّ وشهود ومَهر، ﴿و﴾ فيـ ﴿ـما مَلَكَتْ أيمانُهم﴾ من الإماء بشراء وغيره، بأن تكون الأمة ممّن تحِلّ لمالكها كالكتابيّة بخلاف المجوسيّة والوثنيّة، وأن تُستبرأ قبل الوطء - ﴿لِكَيلا﴾: مُتعلّق بما قبلَ ذلك ....

وأمّا التَّقييدُ بالهجرَة فيحتمِلُ أن يكونَ لتوقُّف الحِلِّ عليه في حقِّهِ خاصّةً، ويعضدُه قولُ أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ: خطبَني رسولُ اللهِ ﷺ فاعتذرْتُ إليه فعذَرَني، ثمَّ أنزلَ اللهُ هذه الآيةَ، فلم أحِلَّ له لأنّي لم أهاجِرْ معَهُ، هكذا ذكرَهُ صاحبُ «المدارك»[1] والبيضاويُّ[2]، والحديثُ رواهُ التِّرمذيُّ والحاكمُ[3].

وفيه: أنّه فَهْمٌ منها لا روايةٌ عنِ النَّبيِّ ﷺ.

قولُه: (يَطلُبَ نِكَاحَهَا) ويرغَبَ فيه.

قولُه: (النِّكَاحُ) وعندَنا اختصاصُهُ بتركِ المهْرِ فقط[4].

قولُه: (إلّا بِوَلِيٍّ) أي: فيما يحتاجُ إليه عندَنا[5].

قولُه: (ومَهْرٍ) ذِكْرُ المهرِ غيرُ شَرطٍ عندَنا، بل لو نَفَى المهرَ صحَّ ولزِمَهُ مهرُ المِثْلِ[6].

قولُه: (وغَيرِه) من وجوهِ المِلكِ: كالهِبَةِ والإرثِ والوصيّةِ والسَّبي.

قولُه: (بخِلافِ المَجُوسِيَّةِ والوَثَنِيَّةِ) وهذا مذهَبُ مالكٍ والشَّافعيِّ وأحمدَ في روايةٍ[7]، وقالَ أبو حنيفةَ: يجوزُ استرقاقُ العجمِ منهُم دون العربِ[8].

قولُه: (بِمَا قَبْلَ ذَلِكَ) وهو ﴿خالِصَةً﴾، أي: اختصَصْناكَ بأشياءَ في التَّزوُّجِ، وجملةُ: ﴿قَدْ عَلِمْنَا﴾ اعتراضٌ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٣٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٢١٤) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٧٤) وصححه.

(٤) أي: اختصاص النبي ﷺ بإسقاط المهر في الهبة. انظر: «المبسوط» للسرخسي (٥/ ٥٩).

(٥) انظر: «حاشية ابن عابدين» (٣/ ٥٥).

(٦) انظر: «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع» (٢/ ٢٨٧).

(٧) انظر: «مواهب الجليل» (٣/ ٣٨١)، و«روضة الطالبين» للنووي (٧/ ١٣٢)، و«المغني» (٩/ ٢١٢).

(٨) وقولهم بعدُ جوازُ ذلك، انظر: «درر الحكام شرح غرر الأحكام» (١/ ٣٣٣).

وفي «المبسوط» للسرخسي (١٠/ ١١٩): عبدة الأوثان من العجم؛ فلا خلاف في جواز استرقاقهم.

﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾: ضِيق في النِّكاح. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لما يَعسرُ التحرّز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

٥١ ـ ﴿تُرجِئُ﴾، بالهمزِ والياءِ بَدَلَه: تُؤخّرُ ﴿مَن تَشاءُ مِنهُنَّ﴾ أي: أزواجِك عن نَوبتها، ﴿وتُؤوِي﴾: تَضمُّ ﴿إلَيكَ مَن تَشاءُ﴾ منهنّ فتأتيها ﴿ومَنِ ابتَغَيتَ﴾: طلبتَ ﴿مِمَّن عَزَلتَ﴾ من القِسمة، ﴿فلا جُناحَ عَلَيكَ﴾ في طلبها وضمّها إليك. خُيِّر في ذلك بعد أن كان القَسْمُ واجبًا عليه. ﴿ذلِكَ﴾ التخيير ﴿أدنَى﴾: أقربُ إلى ﴿أن تَقَرَّ أعيُنُهُنَّ ولا يَحزَنَّ، ويَرضَينَ بِما آتَيتَهُنَّ﴾ ما ذُكر المُخيَّر فيه، ﴿كُلُّهُنَّ﴾: تأكيدٌ للفاعل في «يَرضَينَ». ﴿واللهُ يَعلَمُ ما في قُلُوبِكُم﴾ من أمر النساء والميل إلى بعضهنّ ـ وإنّما خيَّرناك فيهنّ تيسيرًا عليك في كُلّ ما أردتَ ـ ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَلِيمًا﴾ عن عقابهم.

٥٢ ـ ﴿لا تَحِلُّ﴾، بالتاء والياءِ، ﴿لَكَ النِّساءُ مِن بَعدُ﴾: بعدِ التّسع التي اخترْنَك، ﴿ولا أن تَبَدَّلَ﴾ ـ بترك إحدى التاءين في الأصل ـ ﴿بِهِنَّ مِن أزواجٍ﴾ بأن تُطلّقَهنّ أو بعضهنّ وتنكحَ بدلَ مَن طلّقتَ، ﴿ولَو أعجَبَكَ حُسنُهُنَّ، إلاّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾..........

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: مظانِّ الحَرَجِ.

قولُه: (والياءِ) السَّاكنةِ: نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ[1].

قولُه: (بَدَلٌ) أي: عوضُ الهمزِ المضمومِ، لا أنَّهُ أُبدِل منهُ، فإنَّ كلَّ قراءَةٍ من مادَّةٍ وإن كانَ معناهما واحداً.

قولُه: (بالتَّاءِ) للتَّأنيثِ بصريٌّ، والباقونَ بالياءِ[2]؛ لأنَّ تأنيثَ الجمعِ غيرُ حقيقيٍّ، وإذا جازَ بغيرِ فصْلٍ في ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ﴾ [يوسف: ٣٠] فمعَ الفصلِ أجوزُ.

قولُه: (بَعْدِ التِّسْعِ) أو مِن بعدِ اليومِ، حتَّى لو ماتَتْ واحدةٌ لم يحلَّ له نِكاحُ أخرى، أو من بعدِ هؤلاءِ التِّسعِ، وهو في حقِّهِ كالأربعِ في حقِّنا.

قولُه: (بتَرْكِ) والبَزِّيُّ بتشديدِ التَّاءِ[3].

قولُه تعالى: (﴿حُسْنُهُنَّ﴾) أي: حُسنُ الأزواجِ الَّتي يُرادُ إبدالُها، وفي «المدارِكِ»: عن عائشةَ وأمِّ سلمةَ: ما ماتَ رسولُ اللهِ ﷺ حتَّى أحَلَّ اللهُ له أن يتزوَّجَ مِن النِّساءِ ما شاءَ[4]..........

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٧٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٧٩).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨٣).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤١). ورواه من حديث عائشة رضي الله عنها الترمذي (٣٢١٦)، والنسائي (٣٢٠٤)، وقال الترمذي: حسن صحيح.

من الإماء فتحِلُّ لك. وقد ملكَ بعدهنّ ماريةَ، وولدتْ له إبراهيمَ، ومات في حياته. ﴿وكانَ اللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ رَقِيبًا﴾: حفيظًا.

٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَدخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أن يُؤذَنَ لَكُم﴾ في الدُّخول بالدُّعاء ﴿إلَى طَعامٍ﴾، فتدخلوا ﴿غَيرَ ناظِرِينَ﴾: منتظرين ﴿إناهُ﴾: نُضجَه، مصدر: أَنَى يأنِي ـ ﴿ولكِن إذادُعِيتُم فادخُلُوا، فإذا طَعِمتُم فانتَشِرُوا ـ ولا﴾ تمكثوا ﴿مُستأنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ من بعضكم لبعض ـ ﴿إنَّ ذلِكُم﴾ المكث ﴿كانَ يُؤذِي النَّبِيَّ، فيَستَحْيِي مِنكُم﴾ أن يُخرجكم، ﴿واللهُ لا يَستَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ أن يُخرجكم، أي: لا يتركُ بيانه. وقُرِئَ: «يَستَحِي» بياء واحدة ـ ....

يعني: أنَّ الآيَةَ نُسِخَت، ونَسْخُها إمَّا بالسُّنَّةِ، أو بقولِهِ: ﴿إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ﴾، وترتيبُ النُّزولِ ليسَ على ترتيبِ المصحَفِ.

قولُه: (مِنَ الإمَاءِ) استثناءٌ من ﴿النِّسَاءُ﴾.

قولُه: (فِي الدُّخُولِ) أي: إلَّا بأن يُؤذَنَ، أو: وقتَ أن يُؤذَنَ، أو: إلَّا مأذونًا.

قولُه: (بالدُّعَاءِ) قالَ القاضي: متعلِّقٌ بـ﴿يُؤْذَنَ﴾ لأنَّهُ متضمِّنٌ معنى يُدعى؛ للإشعارِ بأنَّه لا يحسُنُ الدُّخولُ على الطَّعامِ من غيرِ دعوةٍ وإن أُذِنَ[1]؛ يعني: دلالةً بفتحِ البابِ ورفعِ الحجابِ، كما أشعرَ به: ﴿غَيْرَ نَاظِرِيْنَ﴾.

قولُه: (نُضْجَهُ) بالضَّمِّ؛ أي: إدراكَهُ، وقيلَ: ﴿إناه﴾ وقتَهُ.

قولُه: (تَمْكُثُوا) أو تدخُلوا، أو عطفٌ على: ﴿نَاظِرِيْنَ﴾، أو على ﴿غَيْرَ﴾، والآيَةُ خطابٌ لقومٍ كانوا يتحيَّنونَ طعامَ رسولِ اللهِ فيدخُلونَ ويقعُدونَ منتظرينَ لإدراكِهِ مخصوصةٌ بهم وبأمثالِهم، وإلَّا لَمَا جازَ لأحدٍ أن يدخُلَ بيوتَهُ بالإذنِ لغَيْرِ الطَّعامِ، ولا اللَّبثُ بعدَ الطَّعامِ لمُهِمٍّ، وفيه دليلٌ على تحريمِ التَّطفُّلِ؛ أي: الدُّخولِ في طعامٍ لم يُدعَ إليه.

قولُه: (أنْ يُخرِجَكُم) أي: من إخراجِكُم، إذ لو كانَ المرادُ الاستحياءَ من أنفسِهم لقيلَ: واللهُ لا يستحيي منكُم.

قولُه: (أنْ يُخرِجَكُم) يعني: أنَّ إخراجَكُم حقٌّ فينبَغي أن لا يُتْرَكَ حياءً، كما لم يتركْهُ اللهُ تَرْكَ الحيِيِّ فأمَرَكُم بالخروجِ.

قولُه: (وقُرِئَ: (يستحي)) يعني: مع ﴿لا﴾[2]، فهو اختصارٌ مُخِلٌّ.

قولُه: (بِيَاءٍ وَاحِدَةٍ) أي: بحذفِ الياءِ الأولى بعدَ إلقاءِ حركَتِها على الحاءِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٣٧).

(٢) في (ص): «قوله وقرئ يستحي يعني مع إبقاء حركتها».

﴿وإذا سألتُمُوهُنَّ﴾ أي: أزواجَ النبيّ ﴿مَتاعًا فاسألُوهُنَّ مِن وَراءِ حِجابٍ﴾: سِتر. ﴿ذلِكُم أطهَرُ لِقُلُوبِكُم وقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطر المُريبة، ﴿وما كانَ لَكُم أن تُؤذُوا رَسُولَ اللهِ﴾ بشيء، ﴿ولا أن تَنكِحُوا أزواجَهُ مِن بَعدِهِ أبَدًا. إنَّ ذلِكُم كانَ عِندَ اللهِ﴾ ذنبًا ﴿عَظِيمًا. إن تُبدُوا شَيئًا أو تُخفُوهُ﴾ من نِكاحهنَّ بعده ﴿فإنَّ اللهَ كانَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾ فيُجازيكم عليه.

٥٥ ـ ﴿لا جُناحَ علَيهِنَّ في آبائِهِنَّ ولا أبنائِهِنَّ ولا إخوانِهِنَّ، ولا أبناءِ إخوانِهِنَّ ولا أبناءِ أخَواتِهِنَّ، ولا نِسائِهِنَّ﴾ أي: المُؤمنات، ﴿ولا ما مَلَكَتْ أيمانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد، أن يروهنّ ويكلّموهنّ من غير حجاب، ﴿واتَّقِينَ اللهَ﴾ فيما أُمِرتنَّ به. ﴿إنَّ اللهَ كانَ على كُلِّ شَيءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء.

٥٦ ـ ﴿إنَّ اللهَ ومَلائكتَهُ يُصَلُّونَ علَى النَّبِيِّ﴾ مُحمّد. ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، صَلُّوا علَيهِ وسَلِّمُوا تَسلِيمًا﴾، أي: قولوا: اللّهمَّ صلِّ على مُحمّد وسَلّمْ..............................

قولُه: (أي: أَزْوَاجَ النَّبِيِّ) أي: طلبْتُم أزواجَهُ حاجَةً.

قولُه: (سِتْرٍ) بالكسرِ، وأمَّا بالفتحِ فمصدَرٌ.

قولُه: (المُرِيبَةِ) الموقِعَةِ في الرِّيبَةِ؛ إذِ الرُّؤيةُ سببُ التَّعلُّقِ والفتنَةِ.

قولُه: (بشَيءٍ) أو بوجهٍ؛ أي: ما صحَّ لكم أن تفعَلوا ما يكرهُهُ.

قولُه تعالى: (﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾) أي: من بعدِ موتِهِ أو فراقِهِ، وخُصَّتِ الَّتي لم يدخُلْ بها.

قولُه: (فيُجَازِيْكُم عَلَيهِ) أي: على كلٍّ من المُبدَى والمُخْفَى، أو على كلِّ شيءٍ يترتَّبُ عليه الجزاءُ.

قولُه: (أي: المُؤمِنَاتِ) والعَمُّ والخالُ بمنزلةِ الوالدَينِ، فلا حاجَةَ إلى ذِكرِهِما.

قولُه: (والعَبِيْدِ) تقدَّمَ الخلافُ[1].

قولُه: (فيمَا أُمِرْتُنَّ بِهِ) في السِّرِّ والعلانيةِ.

قولُه: (مُحَمَّدٍ) أي: يَعْتَنونَ بإظهارِ شرفِهِ وتعظيمِ شأنِهِ.

قولُه: (أي: قُوْلُوا) أو: انقادُوا لأوامرِهِ، والآيةُ تدُلُّ على وجوبِ الصَّلاةِ والسَّلامِ عليهِ في الجملةِ، وذهبَ الطَّحاويُّ وبعضٌ إلى وجوبِها كلَّما جَرى ذِكْرُهُ[2]، وقيلَ[3]: يتداخلُ في المجلِسِ.

---

(١) انظر الآية رقم: (٣١) من سورة النور.

(٢) وانظر: «الهداية» (١/ ٥٣).

(٣) بعدها في (ص): «كلما». وانظر: «حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح» (ص: ٢٧٢)، وفيه: قال بعضهم يتداخل الوجوب إذا اتحد المجلس وتكفي صلاة واحدة كسجود التلاوة إذ لو وجبت كل مرة لأفضى إلى الحرج. =

٥٧ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم الكُفّار، يصفون الله بما هو منزّه عنه من الولد والشريك ويُكذّبون رسوله، ﴿لَعَنَهُمُ اللهُ في الدُّنيا والآخِرةِ﴾: أبعدَهم، ﴿وأعَدَّ لَهُم عذابًا مُهينًا﴾: ذا إهانة، وهو النار.

٥٨ ـ ﴿والَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِناتِ بِغَيرِ ما اكتَسَبُوا﴾: يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فقَدِ احتَمَلُوا بُهتانًا﴾: تحمّلوا كذبًا ﴿وإثمًا مُبينًا﴾: بيّنًا. ٥٩ ـ ﴿يا أيُّها النَّبيُّ، قُلْ لِأزواجِكَ وبَناتِكَ ونِساءِ المُؤمِنِينَ: يُدنِينَ علَيهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ﴾: جمعُ جِلباب ـ وهي المُلاءة التي تشتمل بها المرأة ـ أي: يُرخِين بعضها على الوجوه إذا خرجْن لحاجتهنّ إلاّ عينًا واحدة. ﴿ذلِكَ أدنَى﴾: ....

قولُه: (ويُكَذِّبُونَ) أي: ينسبونَ إليهِما ما لا يليْقُ بهِما، أو: يفعلونَ ما يكرَهانِهِ.

قولُه: (أَبعَدَهُم) من رحمَتِهِ.

قولُه: (ذَا إهَانَةٍ) يهينُهُم مع الإيلامِ، يعني: عذاباً جِسْمانيًّا ورُوحانيًّا.

قولُه: (عَمِلُوا) من القَولِ والفِعْلِ؛ أي: ينسبونَ إليهم ما هم بُرآءُ منهُ، أو المرادُ: بغيرِ جنايةٍ استحقُّوا الأذى بها، والمعنى الأوَّلُ أظهرُ لقولِهِ: ﴿بُهْتَانًا﴾.

قولُه: (بَيِّنًا) أي: ظاهراً كالغيبةِ.

قولُه: (وهيَ المُلاءَةُ) وهي رداءٌ فوقَ الخِمارِ، يسترُ من فوقٍ إلى أسفلَ؛ يعني: يُرْخينَها عليهنَّ ويغطِّينَ وجوهَهُنَّ وأبدانَهُنَّ.

قولُه: (بَعْضَهَا) الظَّاهرُ أنَّهُ أرادَ أنَّ ﴿مِنْ﴾ للتَّبعيضِ، وفيه: أنَّ النَّظمَ ﴿يُدْنِيْنَ عَلَيْهِنَّ﴾ دونَ: على وجوهِهِنَّ، ولو قالَ: «بعضَ الجلبابِ» لكانَ له وجهٌ، وأمَّا وجهُ التَّبعيضِ في الآيةِ أنَّه لا يختَصُّ بنوعٍ منها دونَ نوعٍ، أو المعنى: يتجلبَبْنَ ببعضِ ما لهنَّ من الجلابيبِ.

قولُه: (إلَّا عَيْناً وَاحِدَةً) كذا نقلَهُ البغويُّ عن ابنِ عبَّاسٍ[1]، لكن فيه حرجٌ مع نَوعٍ من العَيْبِ، ولذا قَلَّ مَن يعمَلُ بهذا، وما رآهُ المسلمونَ حسناً فهو عندَ اللهِ حَسَنٌ[2]، كذا خطرَ لي، ولم أرَ من تعرَّضَ لهذهِ المسألةِ.

= وفي «حاشية ابن عابدين» (١/ ٥١٦): الوجوب يتداخل في المجلس فيكتفي بمرة للحرج كما في السجود، إلا أنه يندب تكرار الصلاة في المجلس الواحد بخلاف السجود.

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٣/ ٦٦٤)

(٢) هذا رواه أحمد في «مسنده» (٣٦٠٠)، والطيالسي في «مسنده» (٢٤٣)، والبزار في «مسنده» (١٨١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٦٥)، من قول ابن مسعود رضي الله عنه. .

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد أصح منه إلا أن فيه إرسالًا.

أقربُ إلى ﴿أن يُعرَفْنَ﴾ بأنهنّ حرائر، ﴿فلا يُؤذَينَ﴾ بالتعرّض لهنّ بخِلاف الإماء فلا يُغطِّين وجوههنّ، فكان المنافقون يتعرضون لهنّ. ﴿وكانَ اللهُ غَفُورًا﴾ لِما سلف منهنّ من ترك السَّتر ﴿رَحِيمًا﴾ بهنّ إذ سترهنّ.

٦٠ ـ ﴿لَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿لَم يَنتَهِ المُنافِقُونَ﴾ عن نِفاقهم، ﴿والَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾ بالزنى، ﴿والمُرجِفُونَ في المَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم: «قد أتاكم العدوّ، وسراياكم قُتلوا أو هُزموا»، ﴿لَنُغرِيَنَّكَ بِهِم﴾: لنُسلِّطَنّك عليهم، ﴿ثُمَّ لا يُجاوِرُونَكَ﴾: يُساكنونك ﴿فِيها إلاّ قَلِيلاً﴾، ثمّ يُخرجون..........

قولُه: (بأنَّهنَّ) أو: يُميَّزنَ من الإماءِ.

قولُه: (المُنافِقونَ) أو: ناسٌ من الفُسَّاقِ.

قولُه: (السَّترِ) يحتملُ الفتحَ والكسرَ، لكن فيه: أن لا قُبحَ قبلَ الشَّرعِ، فالصَّوابُ أن يُقالَ: لِمَا عسى يَصدرُ عنهُنَّ من الإخلالِ في أمرِ التَّسَتُّرِ.

قولُه: (بهِنَّ) أو بعبادِهِ، حيثُ يُراعي مصالِحَهُم حتَّى الجزئيَّاتِ منها.

قولُه: (بالزِّنا) عن فجورِهِم، أو: ضَعْفُ إيمانٍ عن تزلزلِهِم في الدِّينِ.

قولُه: (المُؤمِنِينَ) كأنَّه حَمَلَ الإرجافَ على أحَدِ المعاني اللُّغويَّةِ، وهو التَّحريكُ، وجعلَ (المؤمنينَ) مفعولاً مقدَّراً، وهو غيرُ ظاهِرِ المعنى، ففي «القاموسِ»: أرجفَ القومُ: خاضوا في أخبارِ الفتَنِ ونحوِها، ومنهُ: ﴿والْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾[1].

فالمعنى: يبالغونَ في أخبارِ السُّوءِ عن سَرايا المسلمينَ ونحوِها.

ويمكنُ أن يُقالَ: الإرجافُ: هو الإخبارُ عن غيرِ حقيقةٍ مطلقاً، وتقييدُهُ بالسُّوءِ يكونُ بالقرينةِ، أو لأنَّهُ سوءٌ في نفسِهِ لكونِهِ كذباً، ولذا قالَ ﷺ: «كَفَى بالمرءِ كَذِباً أنْ يحدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ»[2]، فإذا كانَ النَّاقِلُ كاذباً فكيفَ بالمخْبِرِ ابتداءً؟ وهو المرجِفُ الحقيقيُّ، فبهذا المعنى ينصَلِحُ كلامُ المصنِّفِ، ويَصِحُّ كونُ المؤمنينَ مفعولاً لـ﴿المرْجِفُونَ﴾، واللهُ أعلمُ.

قولُه: (لنُسَلِّطَنَّكَ) ونأمُرَكَ بقتالِهِم وإجلائِهِم، أو ما يضطرُّهُم إلى طلبِ الجلاءِ.

قولُه: (يُسَاكِنُونَكَ) عطفٌ على: ﴿لَنُغرِيَنَّكَ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ للدَّلالةِ على أنَّ الجَلاءَ ومفارقةَ جوارِ الرَّسولِ أعظمُ ما يُصيبُهُم، وقولُه تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيْلاً﴾ أي: زماناً، أو جواراً، أو عدداً، قليلاً، أو معنى ﴿قَلِيْلاً﴾: أذلَّاءُ، و﴿ملعونينَ﴾ صفتُهُ، أو نصبٌ على الذَّمِّ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨١٢).

(٢) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٦١ ـ ﴿مَلعُونِينَ﴾: مُبعَدِين عن الرحمة، ﴿أينَما ثُقِفُوا﴾: وُجدوا ﴿أُخِذُوا، وقُتِّلُوا تقتِيلاً﴾ أي: الحكمُ فيهم هذا على جِهة الأمر به، ٦٢ ـ ﴿سُنَّةَ اللهِ﴾ أي: سنَّ الله ذلك ﴿في الَّذِينَ خَلَوا مِن قَبلُ﴾ من الأُمم الماضية في مُنافقيهم المُرجفين المؤمنين، ﴿ولَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً﴾ منه.

٦٣ ـ ٦٤ ـ ﴿يَسألُكَ النّاسُ﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿عَنِ السّاعةِ﴾: متى تكون؟ ﴿قُل: إنَّما عِلمُها عِندَ اللهِ. وما يُدرِيكَ﴾: يُعلمك بها؟ أي: أنت لا تعلمها ﴿لَعَلَّ السّاعةَ تَكُونُ﴾: تُوجد ﴿قَرِيبًا. إنَّ اللهَ لَعَنَ الكافِرِينَ﴾: أبعدَهم، ﴿وأعَدَّ لَهُم سَعِيرًا﴾ نارًا شديدة يدخلونها ٦٥ ـ ﴿خالِدِينَ﴾: مُقدَّرًا خُلودُهم ﴿فِيها أبَدًا، لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾: يحفظهم عنها ﴿ولا نَصِيرًا﴾: يدفعها عنهم، ٦٦ ـ ٦٧ ـ ﴿يَومَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُم في النّارِ، يَقُولُونَ: يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَنا أطَعْنا اللهَ وأطَعْنا الرَّسُولَ. وقالُوا﴾ أي: الأتباعُ منهم: ﴿رَبَّنا، إنّا أطَعْنا سادتَنا﴾ ـ وفي قراءة: «ساداتِنا» جمعُ الجمع ـ ﴿وكُبَراءَنا، فأضَلُّونا السَّبِيلَ﴾: طريق الهُدى. ٦٨ ـ ﴿رَبَّنا، آتِهِم ضِعفَينِ مِنَ العَذابِ﴾ أي: مِثلَي عذابِنا، ﴿والعَنْهُم﴾: عذّبهم ﴿لَعنًا كَثِيرًا﴾ عددُه. وفي قراءة بالموحدة أي: عظيمًا.

قولُه: (ذَلِكَ) أي: سنَّتَهُ، فهو مصدَرٌ مؤكِّدٌ.

قولُه: (أي: أَهلُ مَكَّةَ) استهزاءً، أو اليهودُ امتحاناً.

قولُه: (بهَا) أيُّ شيءٍ يُعلِمُكَ وقتَها.

قولُه: (تُوجَدُ) وتقعُ عن قريبٍ، فانتصابُهُ على الظَّرفِ، أو يكونُ شيئاً أو زماناً قريباً على أنَّهُ صفةُ محذُوفٍ، أو ﴿السَّاعةَ﴾ بمعنى: اليومِ، وفيه تهديدٌ للمستعجلينَ وإسكاتٌ للمتعنِّتينَ.

قولُه: (شَدِيدَة) الإيقادِ.

قولُه تعالى: (﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ﴾) أي: تُصرَّفُ من جهةٍ إلى جهةٍ، أو من حالٍ إلى حالٍ، أو تطرَحُ مقلوبينَ منكوسينَ، وعاملُهُ: ﴿يَقُولُونَ﴾.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ[1].

قولُه: (جَمْعُ الجَمْعِ) للدِّلالةِ على الكَثرةِ.

قولُه: (أي: مِثْلَيْ عذابِنَا) أي: مثلَي ما آتيْتَنا منهُ، أو من هذا العذابِ الَّذي عذَّبْتَهُم به فإنَّهُم أحقَّاءُ لزيادةِ العذابِ؛ لأنَّهم ضَلُّوا وأضلُّوا.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لعاصمٍ[2].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٨٠).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

٦٩ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَكُونُوا﴾ مع نبيّكم ﴿كالَّذِينَ آذَوا مُوسَى﴾ بقولهم مثلاً: «ما يمنعه أن يغتسل معنا إلاّ أنه آدرُ»، ﴿فبَرّأَهُ اللهُ مِمّا قالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل، ففرّ الحجر به حتّى وقف بين ملأٍ من بني إسرائيل، فأدركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به، فرأوه ولا أُدرةَ به ـ وهي نُفخة في الخُصية ـ ﴿وكانَ عِندَ اللهِ وَجِيهًا﴾: ذا جاه. وممّا أُوذِي به نبيّنا أنه قسم قَسمًا، فقال رجل: هذه قِسمة ما أُريدَ بها وجهُ الله تعالى. فغضب النبيّ من ذلك، وقال: «يَرحَمُ اللهُ مُوسَى. لَقَد أُوذِيَ بأكثَرَ مِن هذا، فصَبَرَ». رواه البخاريّ. ٧٠ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ وقُولُوا قَولاً سَدِيدًا﴾: صوابًا، ٧١ ـ ﴿يُصلِحْ لَكُم أعمالَكُم﴾: يتقبّلْها، ﴿ويَغفِرْ لَكُم ذُنُوبَكُم. ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ فقَد فازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾: نال غاية مطلوبه.

٧٢ ـ ﴿إنّا عَرَضْنا الأمانَةَ﴾: الصلواتِ وغيرَها بما في فِعلِها من الثواب وتركِها من العِقاب ﴿علَى السَّماواتِ والأرضِ والجِبالِ﴾ بأن خَلقَ فيها فهمًا ونُطقًا، ﴿فأبَينَ أن يَحمِلْنَها وأشفَقْنَ﴾: خِفنَ ﴿مِنها، وحَمَلَها الإنسانُ﴾ آدمُ بعد عرضها عليه ـ ﴿إنَّهُ كانَ ظَلُومًا﴾ لنفسه بما حمله، ﴿جُهُولاً﴾ به ـ.........

قولُه: (أَنْ يَغْتَسِلَ) وكانَ موسى عليهِ السَّلامُ حييًّا سِتِّيراً، ولعلَّهُ كانَ سَتْرُ العورةِ غيرَ واجبٍ.

قولُه: (آدَرُ) أو: به بَرَصٌ، وهو في البخاريِّ مرفوعاً[1]، وقيل: غيرُهُما[2]، وظاهرُ القرآنِ أنَّ أذاهُ أعَمُّ.

قولُه: (بأنْ وَضَعَ) أي: أظهرَ اللهُ براءتَهُ من مضمونِ مقولِهِم.

قولُه: (بأَكثَرَ مِنْ هَذَا) منها ما ذُكِرَ، ومنهَا قولُهُم: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى﴾ [البقرة: ٥٥] و: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ [الأعراف: ١٣٨] وقولُهُم: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ﴾ [المائدة: ٢٤].

قولُه: (صَوَاباً) عَدْلاً.

قولُه: (يَتَقَبَّلْهَا) متعلِّقٌ بـ﴿يُصْلِحْ﴾[3]، أو تفسيرٌ له.

قولُه: (غَايَةَ مَطْلُوبِهِ) يعيشُ في الدُّنيا حميداً وفي الآخرَةِ سعيداً.

قولُه: (بمَا حَمَلَهُ) أي: بتحمُّلِهِ ما يشُقُّ عليها.

قولُه: (بِهِ) أي: بثقلِ عاقبتِه ومآلِه، عن كثيرٍ منَ السَّلفِ: مَا كانَ بينَ قَبُولِهِ الأمانةَ وبينَ خطيئتِهِ إلَّا قَدْرَ ما بينَ العصرِ إلى اللَّيلِ[4]، وقيلَ: الظَّلوميَّةُ والجهوليَّةُ باعتبارِ الجنسِ.

---

(١) رواه البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كقولهم: إنه قتل أخاه، انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٣٣٢ ـ ٣٣٥).

(٣) في (ص): «متعلق بقوله: ﴿يصلح﴾».

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٣٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٨٠) بنحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

٧٣ ـ ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾، اللام: مُتعلّقة بـ «عَرَضْنا» المُترتّبِ عليه حملُ آدم، ﴿الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ المُضيّعين الأمانةَ، ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المُؤدِّين الأمانةَ. ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

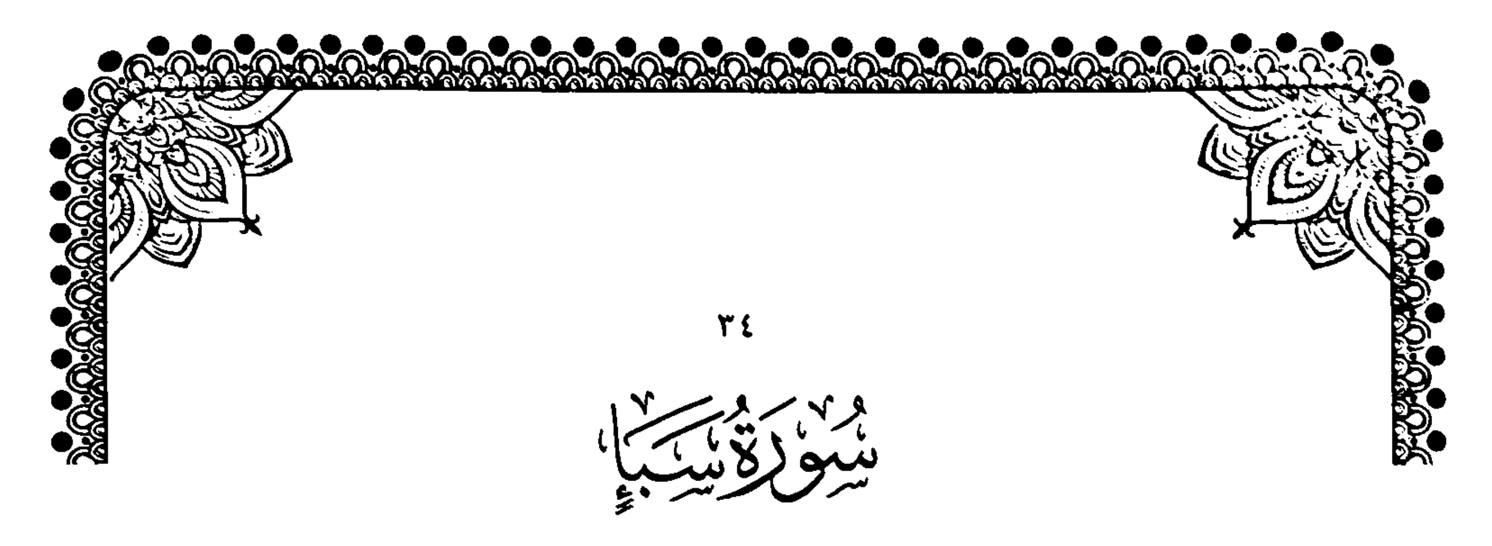
قولُه: (حَمْلُ آدَمَ) أو تعليلٌ للحَمْلِ من حيثُ إنَّه نتيجتُهُ كالتَّأديبِ للضَّربِ في: ضربتُه تأديباً.

قولُـه: (المُؤَدِّيـنَ) وذِكْـرُ التَّوبـةِ في الوَعدِ إشـعارٌ بأنَّ كونَهُـم ﴿ظَلُوماً جهـولاً﴾ في جِبِلَّتِهـم لا يخلِّيهم عـن فَرَطاتٍ.

قولُه: (للمُؤْمِنِينَ) حيثُ تابَ على فرَطاتِهم.

قولُه: (بِهِم) حيثُ أثابَ بالفَوزِ على طاعاتِهم، واللهُ أعلمُ.

* * *



مكية إلاّ «ويرى الذين أوتُوا العلم» الآيةَ فمدنية، وهي أربعٌ أو خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الحَمْدُ لِلهِ﴾ حَمْدُ تعالى نفسَه بذلك المُرادُ به الثناءُ بمضمونه من ثُبوتِ الحمد ـ وهو الوصف بالجميل ـ لِله ﴿الَّذِي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا، ﴿ولَهُ الحَمدُ في الآخِرةِ﴾ كالدنيا، يحمده أولياؤه إذا دخلوا الجنّة، ﴿وهُوَ الحَكِيمُ﴾ في فِعله ﴿الخَبِيرُ﴾ بخلقه، ٢ ـ ﴿يَعلَمُ ما يَلِجُ﴾: يدخل ﴿في الأرضِ﴾ كماء وغيره، ﴿وما يَخرُجُ مِنها﴾ كنبات وغيره، ﴿وما يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ﴾ من رِزق وغيره، ﴿وما يَعرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيها﴾ من عمل وغيره، ﴿وهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿الغَفُورُ﴾ لهم.

سورة سبإ

قوله: (مِلكاً) بالكسرِ، ويحتملُ الضَّمَّ.

قوله: (وخَلقاً) ونِعمَةً، فله الحمْدُ في الدُّنيا لكمالِ قُدرَتِهِ وعلى تمامِ نعمتِهِ.

قوله: (كالدُّنيا) لأنَّ ما في الآخرَةِ أيضاً كذلك، وتقديمُ الصِّلةِ لمزيدِ اختصَاصِ أمورِ الآخرةِ باللهِ.

قوله: (وغيرِهِ) من الدَّفائنِ والبُذورِ والأمواتِ.

قوله: (وغيرِهِ) مِن الحيواناتِ، والفِلِزَّاتِ، وماءِ العُيونِ.

قوله: (وغيْرِهِ) من الملائكةِ، والكُتُبِ، والأنديَةِ، والصَّواعقِ.

قوله: (مِنْ عَمَلٍ) أي: صالِحٍ.

قوله: (وغيْرِهِ) من الملائكَةِ، وأرواحِ المؤمِنينَ، والأبخرَةِ، والأدخِنَةِ.

قوله: (لَهم) إن وقَعَ لهم تقصيرٌ في شُكرِ نعمِهِ.

٣ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا: لا تأتِينا السّاعةُ﴾: القِيامة. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَى ورَبِّي لَتأتِيَنَّكُم، عالِمِ الغَيبِ﴾ ـ بالجرِّ: صفةٌ، والرفعِ: خبرَ مبتدأ. و«عَلاّمِ» بالجرّ ـ ﴿لا يَعزُبُ﴾: يغيب ﴿عَنهُ مِثقالُ﴾: وزنُ ﴿ذَرَّةٍ﴾: أصغرِ نملةٍ ﴿في السَّماواتِ ولا في الأرضِ، ولا أصغرُ مِن ذلِكَ ولا أكبَرُ، إلاّ في كِتابٍ مُبِينٍ﴾: بيّنٍ هو اللوح المحفوظ، ٤ ـ ﴿لِيَجزِيَ﴾ فيها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ. أُولئِكَ لَهُم مَغفِرةٌ ورِزقٌ كَرِيمٌ﴾: حسن في الجنّة. ٥ ـ ﴿والَّذِينَ سَعَوا في﴾ إبطال ﴿آياتِنا﴾: القُرآنِ ﴿مُعَجِّزِينَ﴾، وفي قراءة هنا وفيما يأتي: «مُعاجِزِينَ» أي: مُقدّرين عجزَنا، أو مُسابقين لنا فيفوتونا لظنّهم أنْ لا بعث ولا عقاب،..

قولُه: (بالجَرِّ صِفَةَ) ﴿ربِّي﴾ مكِّيٌّ وبصريٌّ[1].

قولُه: (والرَّفعِ) نافعٌ وشاميٌّ[2].

قولُه: (خَبَرَ مُبتَدَأٍ) أو مبتدأ خبرُهُ: ﴿لا يعزب﴾، وبالكسرِ كسائيٌّ[3].

قولُه: (وَزْنُ) مِقدارُ.

قولُه: (أصْغَرِ نَمْلَةٍ) أو ذرَّةِ الهباءِ.

قولُه: (بَيِّنٍ) ورفعُهُما بالابتداءِ، ويؤيِّدُه القراءةُ الشَّاذَّةُ بالفتحِ[4] على نَفْيِ الجنسِ.

قولُه: (فِيهَا) أي: في السَّاعةِ، عِلَّةٌ ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾، وبيانٌ لما يَقتَضي إتيانَها.

قولُه: (حَسَنٌ) لا تَعَبَ فيه، ولا مِنَّةَ مخلوقٍ.

قولُه: (إِبْطَالِ ﴿آيَاتِنَا﴾) وتزهيْدِ النَّاسِ فيها.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ مكِّيٍّ وبصريٍّ[5]، وهي أولى بأن تكونَ أصْلاً به.

قولُه: (مُقَدِّرِينَ) أو: مُعَوِّقينَ عنِ الإيمانِ مَن أرادَهُ، على الأَوْلى.

قولُه: (فَيَفُوتُونَا) أي: كي يفُوتونا، أو مُفَوِّتينَ على زعمِهِم يحسَبونَ أنَّهم يفوتونَنا.

---

(١) ومثلهم عاصم، وكذلك حمزة والكسائي إلا أنهما بلام قبل الألف مشددة، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٨١).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٨٢).

(٤) أي: (ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ)، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٢٢) ونسبت للأعمش وقتادة.

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٨٢).

﴿أُولَئِكَ لَهُم عَذابٌ مِن رِجزٍ﴾: سيئ العذاب ﴿أَلِيمٍ﴾: مُؤلم. بالجرِّ والرفعِ صِفةً لرجز أو عذاب.

٦ ـ ﴿ويَرَى﴾: يعلمُ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾: مؤمنو أهل الكتاب كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿الَّذِي أُنزِلَ إِلَيكَ مِن رَبِّكَ﴾ أي: القُرآنَ ﴿هُوَ﴾ ـ فصلٌ ـ ﴿الحَقَّ، ويَهدِي إِلَى صِراطِ﴾: طريقِ ﴿العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾ أي: اللهِ ذي العِزّة المحمودة.

٧ ـ ٨ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم على جِهة التعجّب لبعض: ﴿هَل نَدُلُّكُم على رَجُلٍ﴾، هو مُحمّد، ﴿يُنَبِّئُكُم﴾: يُخبِرُكم: ﴿إذا مُزِّقتُم﴾: قُطِّعتم ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ بمعنى: تمزيقٍ ﴿إِنَّكُم لَفِي خَلقٍ جَدِيدٍ؟ أَفْتَرَى﴾ ـ بفتح الهمزة للاستفهام واستُغني بها عن همزة الوصل ـ ﴿عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ في ذلك، ﴿أم بِهِ جِنَّةٌ﴾: جنون تَخيّلَ به ذلك؟

قال تعالى: ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرَةِ﴾ المُشتملةِ على البعث والعذاب ﴿في العَذابِ﴾ فيها

قولُه: (والرَّفع) مكّيٌّ وحفصٌ[1].

قولُه: (مُؤمِنُو أَهلِ الكِتَابِ) أو: أولو العلمِ من الصَّحابةِ ومن تبعَهُم من الأمَّةِ.

قولُه: (فَصْلٌ) وما بعدَهُ ثاني مفعولَي: ﴿يرى﴾.

قولُه: (طَرِيْقِ) دينِ الإسلامِ، والهادي هو اللهُ، أو القرآنُ.

قولُه: (هُو مُحَمَّدٌ) يعنُونَ أصدَقَ الصَّادِقينَ.

قولُه: (يُخبِرُكُم) بأعجَبِ الأعاجيبِ.

قولُه: (بمَعنَى: تَمْزِيْقٍ) يعني: أنَّهُ مصدَرٌ ميميٌّ.

قولُه: (إنَّكُم) نحوَ قولِهِ تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ [المؤمنون: ٣٥].

قولُه: (للاستِفهَامِ) الأظهرُ الأخصَرُ: بهمزةِ الاستفهامِ.

قولُه: (واستُغنِيَ بِهَا) فحُذِفَت.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: في دعوَتِه[2]، والمعنى: اختلقَ عليه قاصِداً الكذبَ، أو اختَرعَ عليه كَذِباً.

قولُه: (تَخَيَّلَ) فيتفوَّهُ بما لا يعقلُهُ من المُحالِ.

قولُه: (فِيهَا) أي: كائِنونَ في العَذابِ في الآخرةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٨٢).

(٢) في (ص): «قوله في ذلك الافتراء أي في قوله».

﴿والضَّلالِ البَعِيدِ﴾ من الحقّ في الدنيا. ٩ ـ ﴿أفلَم يَرَوا﴾: ينظروا ﴿إلَى ما بَينَ أيدِيهِم وما خَلفَهُم﴾: ما فوقهم وما تحتهم ﴿مِنَ السَّماءِ والأرضِ، إن نَشَأْ نَخسِفْ بِهِمِ الأرضَ أو نُسقِطْ علَيـهِم كِسَفًا﴾، بسكون السين وفتحها: قِطعةً ﴿مِنَ السَّماءِ﴾. وفي قراءة في الأفعال الثلاثة بالياء. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المرئيِّ ﴿لَآيَـةً لِكُلِّ عَبدٍ مُنِيبٍ﴾: راجعٍ إلى ربّه، تدل على قُدرة الله على البعث وما يشاء.

١٠ ـ ﴿ولَقَد آتَينا داوُدَ مِنّا فَضلاً﴾: نُبوّة وكِتابًا، وقلنا: ﴿يا جِبالُ، أَوِّبِي﴾: رجِّعي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح، ﴿والطَّيرَ﴾ ـ بالنصب عطفًا على محلّ «الجبال» أي: ودعَوناها تسبّحُ معه. ﴿وأَلَـنّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ فكان في يده كالعجين، ١١ ـ وقلنا: ﴿أنِ اعمَلْ﴾ منه ﴿سابِغاتٍ﴾: دُروعًا كواملَ يجرّها لابسها على الأرض،

قولُه: (فِي الدُّنيَا) ولذا تردَّدوا في أنَّهُ مُفترٍ أو مجنونٌ، ولولا ذلك لعَلموا أنَّه أصدَقُ الخلقِ وأعقَلُهُم.

قولُه: (مَا فَوقَهُم) أو: ما أحاطَ بجوانِبِهِم، ولم يتَفكَّروا أهُم أشَدُّ خَلقاً أم هي؟ وأنَّهُما تحتَ قُدرَتِنا وإرادَتِنا.

قولُه: (وفَتْحِهَا) حفصٌ[١].

قولُه: (قِطعَةً) يعني: مفردَهُما.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ، وبإدغامِ الفاءِ في الباءِ كسائيٌّ[٢].

قولُه: (راجِعٍ إلى رَبِّهِ) فإنَّهُ يكونُ كثيرَ التَّأمُّلِ في أمرِهِ.

قولُه: (وكِتَاباً) ومِلْكاً، وصوتاً حَسَناً.

قولُه: (بالتَّسْبِيحِ) الباءُ زائدةٌ؛ أي: سَبِّحي معه إذا سبَّحَ.

قولُه: (بالنَّصبِ عَطفًا على مَحَلِّ الجِبَالِ) ويؤيِّدُهُ القراءةُ الشَّاذَّةُ بالرَّفعِ[٣] عطفاً على لفظِها.
وقيلَ: إنَّهُ مفعولٌ معهُ لـ﴿أَوِّبِي﴾، وكانَ إذا سبَّحَ تُسبِّحُ معه الجبالُ والطَّيرُ، وتجاوبُهُ بأنواعِ اللُّغاتِ.

قولُه: (كالعَجِيْنِ) والشَّمْعِ.

قولُه: (وقُلْنَا ﴿أَنِ﴾) بعدَ القولِ لا يكونُ «أن»، فالصَّوابُ تقديرُ: أمَرناهُ؛ أي: بلسانِ المَلَكِ أو الوحي، و﴿أَنِ﴾ مفسِّرةٌ أو مصدريَّةٌ.

قولُه: (كَوَامِلَ) واسِعاتٍ، وقُرِئَ: (صابغات)[٤] وهو أوَّلُ مَن اتَّخذَها.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٦٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

(٣) أي: (والطيرُ) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٢٢)، ونسبت للأعرج وعبد الوارث عن أبي عمرو.

(٤) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٨٩) ونسبت لزيد بن علي.

﴿وقَدِّرْ في السَّردِ﴾ أي: نسجِ الدُّروع ـ قيل لصانعها سَرّادٌ ـ أي: اجعله بحيثُ تتناسب حَلَقُه، ﴿واعمَلُوا﴾ أي: آلَ داودَ معه ﴿صالِحًا. إنّي بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأُجازيكم به.

١٢ ـ ﴿و﴾ سخَّرْنا ﴿لِسُلَيمانَ الرِّيحَ﴾ ـ وقراءة الرفع بتقدير: تسخيرُ ـ ﴿غُدُوُّها﴾: مسيرُها من الغُدوة بمعنى الصباح إلى الزوال ﴿شَهرٌ، ورَواحُها﴾: سيرُها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهرٌ﴾ أي مسيرتُه، ﴿وأسَلْنا﴾: أذَبْنا...

قولُه: (تَتَنَاسَبُ) وأصلُ السَّردِ: التَّابعُ.

قولُه: (حلَقَهُ) الأظهرُ: حلَقها.

قولُه: (أي: آلَ دَاوُدَ) بالرَّفعِ: بيانُ الضَّميرِ، وبالنَّصبِ: تقديرُ نِداءٍ.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةِ الرَّفعِ) لشعبةَ[1].

قولُه: (تَسْخِيرُ) الرِّيحِ، أو: ولسليمانَ الرِّيحُ مسخَّرةٌ.

قولُه: (إلى الزَّوَالِ) في «القاموسِ»: الغُدْوَةُ: البُكرةُ، أو ما بينَ الصُّبحِ وطلُوعِ الشَّمسِ[2]، وقالَ في البُكرةِ: الغدوةُ[3].

قولُه: (مِنَ الزَّوَالِ) في «القاموسِ»: الرَّواحُ: العَشيُّ، أو من الزَّوالِ إلى اللَّيل[4]، وقالَ في العَشيِّ: آخرُ النَّهارِ[5].

قولُه: (أي: مَسِيرَتُهُ) محلُّهُ شهرُ الأوَّلِ.

قولُه: (أَذَبْنَا) فيه: أنَّ الإسالَةَ غيرُ الإذابةِ، مع أنَّها تستَدْعي سَبْقَ الجموديَّةِ، اللَّهمَّ إلَّا أن يُقالَ: خَلقناهُ مُذاباً، وعليه يحملُ قولُ البيضاويِّ: «النُّحاسِ المُذابِ»؛ أي: في أصلِ خِلقَتِهِ، ولذا قالَ: «أسالَه لَهُ مِنْ معدنِه، فنَبَعَ منهُ نبوعَ الماءِ مِن الينبُوعِ، ولذلك سمَّاهُ عيناً»[6].

وفي «المبهماتِ»: قال قتادةُ: وكانَ ذلك باليَمَنِ[7].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٧).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٣١٧).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٥٣).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٢١).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٣١١).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٤٣).

(٧) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٨٨). ورواه عن قتادة الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٦٣).

﴿لَهُ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِ﴾ أي: النُّحاسِ، فأُجريَتْ ثلاثة أيام بلياليهنّ كجري الماء ـ وعمَلُ الناس إلى اليوم ممّا أُعطي سُليمانُ ـ ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ﴾: بأمرِ ﴿رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ﴾: يعدِل ﴿مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: النار في الآخرة ـ وقيل: في الدنيا بأن يضربه مَلَك بسوط منها ضربة تُحرقه ـ ١٣ ـ ﴿يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: أبنيةٍ مُرتفعة يُصعد إليها بدرَج، ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: جمعُ تِمثال وهو كل شيء مثّلتَه بشيء، أي: صُورًا من نُحاس وزُجاج ورُخام ـ ولم يكن اتّخاذ الصور حرامًا في شريعته ـ ﴿وَجِفَانٖ﴾: جمع جَفنة ﴿كَٱلۡجَوَابِ﴾: جَمع جابية، وهي حوض كبير، يجتمع على الجفنة ألفُ رجل يأكلون منها، ﴿وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ﴾: ثابتات لها قوائمُ لا تتحرّك عن أماكنها، تُتّخذ من الجِبال باليمن يُصعد إليها بالسلاليم، وقلنا: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾ ـ يا ﴿ءَالَ دَاوُۥدَ﴾ ـ بطاعة الله ﴿شُكۡرٗاۚ﴾ له على ما آتاكم، ﴿وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾: العامل بطاعتي شكرًا لنعمتي.

قولُه: (وعَمَلُ النُّحَاسِ) وفي نسخةٍ: «وعَمَلُ النَّاسِ»[1].

قولُه: (لَهُ بِطَاعَتِهِ) أي: عمَّا أمَرْناهُ من طاعَةِ سليمانَ.

قولُه: (مِنْهَا) أي: من النَّارِ، وقالَ السُّدِّيُّ ومجاهدٌ: تدركُهُ صاعقَةٌ فتحرِقُهُ[2].

قولُه: (أَبنِيَةٍ) أو قُصورًا حصينَةً ومساكنَ[3] شريفةً، أو مساجِدَ عظيمةً، سُمِّيَت بها؛ لأنَّها يُدفَعُ عنها ويُحارَبُ عليها.

قولُه: (يُصْعَدُ) كأنَّه أخذَ من «القاموسِ»: المحرابُ: الغُرْفةُ، وهي العلِّيةُ، ومن جملةِ معاني المحرابِ على ما ذُكِرَ في «القاموسِ»: الموضعُ ينفردُ به المَلِكُ[4]، وهو المناسِبُ للمقامِ.

قولُه: (ولمْ يَكُنِ) الظاهرُ: أو؛ يعني: تماثيلَ للملائكةِ والأنبياءِ على ما اعتادوا من العِباداتِ ليَراها النَّاسُ فيَعبُدوا نحو عبادَتِهم.

قولُه: (جَفْنَةٍ) قَصعَةٍ.

قولُه: (لَهُ) أي: للهِ، أو: للشُّكرِ؛ إشارةٌ إلى أنَّه علَّةٌ، وقيلَ: الشُّكرُ يكونُ بالقلبِ واللِّسانِ والجوارِحِ، فقالَ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ﴾ لينبِّهَ على التزامِ الأنواعِ، ولذا قيلَ: نَصبُهُ على المصدرِ.

قولُه: (العَامِلُ) الأنسبُ: البالِغُ الباذِلُ وُسعَهُ في الشُّكرِ.

---

(١) وهكذا هي في النسخ المعتمدة في المتن.

(٢) ذكر القرطبي في «تفسيره» (١٤/ ٢٧١) نحوه عن السدي.

(٣) في (ص): «ومعالي».

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٣).

١٤ ـ ﴿فلَمّا قَضَينا علَيهِ﴾: على سُليمانَ ﴿المَوتَ﴾ أي: ماتَ، ومكَثَ قائمًا على عصاه حولاً ميتًا، والجِنُّ تعمل تلك الأعمال الشاقّة على عادتها لا تشعر بموته، حتّى أكلَتِ الأرَضةُ عصاه فخرَّ ميتًا، ﴿ما دَلَّهم علَى مَوتِهِ إلاّ دابّةُ الأرْضِ﴾: مصدرُ: أُرِضَتِ الخشبةُ بالبناء للمفعول: أكلتْها الأرَضةُ، ﴿تأكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ بالهمزِ، وتركِه بألِفٍ: عصاه لأنها يُنسأ: يُطرد ويُزجر بها. ﴿فلَمّا خَرَّ﴾ ميتًا ﴿تَبَيَّنَتِ الجِنُّ﴾: انكشفَ لهم ﴿أنْ﴾: مُخففةٌ أي: أنّهم ﴿لَو كَانُوا يَعلَمُونَ الغَيبَ﴾، ومنه ما غاب عنهم من موت سُليمان، ﴿ما لَبِثُوا في العَذابِ المُهِينِ﴾: العمل الشاقّ لهم لظنّهم حياتَه خِلاف ظنّهم علمَ الغيب. وعُلِمَ كونُه سَنةً بحساب ما أكلته الأرَضة من العصا بعد موته يومًا وليلة مثلاً.

قولُه: (الأَرَضَةُ) محرَّكةٌ: دُوَيبَّةٌ معروفةٌ، كذا في «القاموسِ»[1].

قولُهُ تعالى: (﴿مَا دَلَّهُمْ﴾) أي: الجنَّ، وقيلَ: آلَ داودَ.

قولُه: (مَصدَرٌ) يعني: أضيفَتْ إلى فِعلِها، فلا يلتبِسْ عليكَ بـ«دابّة الأرض تكلِّمُهم»، ولعلَّهُ وجهُ التَّأخيرِ لِمَا حقُّهُ التَّقديمُ على: ﴿تَأْكُلُ﴾.

قولُه: (الآرِضَةُ) بالمدِّ: الدَّابَّةُ، والجمعُ: أرَضَةٌ، كالكَفَرَةِ والفَجَرَةِ، كذا في «عجائبِ الكرمانيِّ»[2]، قيلَ: فشكرَتِ الجنُّ للأرَضَةِ، فهم يأتونَها بالماءِ والطِّينِ في أيِّ موضعٍ هي فيهِ.

قولُه: (بالهَمْزِ) المفتوحِ: للجمهورِ، وبالسَّاكنِ: لابنِ ذكوانَ[3].

قولُه: (وتَرْكِهِ بأَلِفٍ) نافعٌ وبصريٌّ[4]، وحقُّهُ تركُهُ.

قولُه: (عَصَاهُ) الأولى: عصاتَهُ، من نَسَأْتُ البعيرَ: إذا طردْتَهُ.

قولُه: (يُنْسَأُ) أي: يُؤخَّرُ.

قولُه: (انْكَشَفَ لَهُم) فـ(تبيَّنَ) لازمٌ بمعنى: ظَهَرَ، فتكونُ ﴿أَنْ﴾ مع صِلَتِها بدلَ اشتمالٍ من ﴿الْجِنُّ﴾ كما تقولُ: تبيَّنَ زَيدٌ جهلُهُ؛ أي: ظَهَرَ جهلُ الجِنِّ للإنسِ، أو متعَدٍّ بمعنى: عَلِمَ؛ أي: علمَتِ الجنُّ بعد التِباسِ الأمرِ عليهم.

قولُه: (وَمِنْهُ مَا غَابَ) أي: لعلمُوا[5] موتَهُ حيثُ ما وَقَعَ، فلم يلبثُوا بعدَهُ حولاً في تَسْخيرِهِ إلى أن سقَطَ،

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٦٣٦).

(٢) انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (٢/ ٩٢٩).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

(٤) انظر المصادر السابق.

(٥) أي: «لو كانوا يعلمون الغيب كما يزعمون لعلموا...».

١٥ ـ ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ﴾، بالصرف وعدمه: قبيلةٍ سُمّيت باسم جدٍّ لهم من العرب، ﴿فِي مَسَٰكِنِهِمۡ﴾ باليمن، ﴿ءَايَةٞ﴾: دالّة على قُدرة الله ـ تعالى ـ ﴿جَنَّتَانِ﴾: بدلٌ ﴿عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖ﴾: عن يمين واديهم وشِماله،

رُويَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ[١]: أنَّهُ كانَ مِنْ عادَتِهِ أنْ يعتكفَ في مسجدِ بيتِ المقدِسِ سَنَةً وسنتَينِ، وأقلَّ وأكثرَ، فلمَّا عَلِمَ قُربَ أجلِهِ قالَ: اللَّهمَّ عَمِّ موتي على الجنِّ حتَّى يعلمَ الإنسُ أنَّ الجنَّ لا يعلمُونَ الغَيْبَ، ثمَّ دَخَلَ المِحْرَابَ واتَّكَأَ على عصاهُ، وقبضَهُ مَلَكُ الموتِ[٢]، وكانَ عمُرُه ثلاثاً وخمسينَ سنةً، ومُلِّكَ وهو ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً، وابتدأ عمارَةَ بيتِ المقدسِ لأربعٍ مَضَينَ من ملكِهِ[٣].

قولُه: (وعَدَمِهِ) هذا معدومٌ غيرُ موجودٍ في القراءاتِ، فإنَّ البَزِّيَّ والبصريَّ: بهمزةٍ مفتوحةٍ من غيرِ تنوينٍ، وقُنْبُلاً: بهمزةٍ ساكنةٍ، والباقينَ: بهمزةٍ مكسورةٍ منوَّنةٍ[٤]، وقولُ البيضاويِّ: وعن ابنِ كثيرٍ قَلْبُ همزَتِهِ ألفاً، ولعلَّهُ أخرجَهُ بينَ بينَ فلمْ يؤدِّهِ الرَّاوي كما وجبَ[٥]. ظنُّ سوءٍ مع أنَّ إخراجَهُ بينَ بينَ غيرُ صحيحٍ على مُقتَضى مذهبِ المكِّيِّ وغيرِهِ، فالصَّوابُ أنَّ إسكانَهُ إجراءٌ للوَصلِ مُجرى الوقْفِ.

قولُه: (قَبِيْلَةٍ) أو حَيٌّ.

قولُه: (بِاليَمَنِ) وحفصٌ وحمزةُ بالإفرادِ والفتحِ والكسائيُّ بالكسرِ[٦]. أي: موضِعِ سُكْناهُم، أو مسكنِ كلِّ واحدٍ منهُم.

قولُه: (بَدَلٌ) مِنْ: ﴿ءَايَةٞ﴾.

قولُه: (عَن يَمِيْنِ وَادِيْهِم) أي: جماعةٌ عن يمينِ بَلَدِهِم، وأخرى عن شمالِهِ، كلُّ واحدةٍ منهُما في تقارُبِها وتضايُقِهَا[٧] كأنَّهُما جنَّةٌ واحدةٌ، أو: بُسْتانا كلِّ رجلٍ منهم عن يمينِ مسكنِهِ وعن شمالِهِ، والآيَةُ قِصَّتُهُما.

---

(١) لم أقف عليه مسنداً هكذا، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٢) مختصراً.

(٢) لم أقف عليه مسنداً هكذا، وروى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٢) مختصراً.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٦٥)، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٩٩) عن محمد بن إسحاق عن الزهري وغيره.

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٦٧).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٤٤).

(٦) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

(٧) قوله: «وتضايقها» بالقاف؛ أي: واتصالها، فإنه كما يُطلق التفسحُ على الانفصال كقوله: ﴿تفسحوا في المجالس﴾ [المجادلة: ١١] يطلق الضيق على الاتصال لأنه لازم معناه. وضبط بالفاء وهو بمعنى القاف؛ أي: تنضم إليها وتتصل بها حتى تكون في حكم شيء واحد وإن تباينت حدودها وملاكها. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٩٧). وفي نسخة ذكرها زكريا الأنصاري في «الحاشية على البيضاوي» (٤/ ٥٠٢): «تضامها»، والمعنى في الكل متقارب.

وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِزقِ رَبِّكُم، واشكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة. في أرض سبأ ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس بها سِباخ ولا بعوضة ولا ذُبابة ولا بُرغوث ولا عقرب ولا حيّة، ويمرّ الغريب بها وفي ثيابه قملٌ، فيموت لطِيب هوائها. ﴿وَ﴾ الله ﴿رَبٌّ غَفُورٌ﴾.

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿فأعرَضُوا﴾ عن شُكره وكفروا، ﴿فأرسَلْنا عليهِم سَيلَ العَرِمِ﴾: جمعُ عَرِمة، وهو ما يَمسِك الماءَ من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أي: سيلَ واديهم الممسوك بما ذُكر، فأغرق جنّتيهم وأموالهم، ﴿وبَدَّلْناهُم بِجَنَّتَيهِم جَنَّتَينِ ذَواتَي﴾: تثنيةُ ذوات ـ مفرد على الأصل ـ ﴿أُكُلٍ خَمْطٍ﴾: مُرٍّ بشع، ....

قولُه: (وَقِيْلَ لَهُمْ) أي: قالَ لهم نَبيُّهم، أو لسانُ الحالِ.

قولُه: (أَرْضِ سَبَأ) استئنافٌ للدَّلالةِ على مُوجِبِ الشُّكرِ؛ أي: هذه البلدةُ الَّتي فيها رزقكُمُ ﴿بلدةٌ طيِّبةٌ﴾، وربُّكُمُ الَّذي رزقَكُم وطلبَ شُكرَكم ﴿ربٌّ غفورٌ﴾ فَرَطاتِ[1] من يشكُرُهُ.

قولُه: (سِبَاخٌ) جمعُ: سَبَخَةٍ ـ محرَّكةً ـ: أرضٌ ذاتُ نَزٍّ[2] ومِلْحٍ[3].

قولُه: (ولا حَيَّةٌ) ولا غيرُها من المؤذياتِ.

قولُه: (عَن شُكْرِهِ) إلى عبادةِ الشَّمسِ.

قولُه: (وكَفَرُوا) وكذَّبوا الأُمَناءَ[4]، عن وهبٍ: أرسلَ إليهم ثلاثةَ عشَرَ نبيًّا[5].

قولُه: (سَيْلَ وَادِيهِم) فـ﴿العرم﴾ وصفٌ للوادي، وقيل: إنَّه اسمُ وادٍ جاءَ السَّيلُ من قِبَلِهِ، وكانَ ذلك بين عيسى ومحمَّدٍ عليهما السَّلامُ.

قولُه: (ثَمَرٍ) تفسيرٌ لـ﴿أُكُلٍ﴾، وفي نسخةٍ: «مُرٍّ»[6] إذ كلُّ نبتٍ مُرٍّ فهو خَمْطٌ.

قولُه: (بَشِعٍ) فإنَّ الخَمْطَ كُلُّ نبتٍ أخذَ طَعْماً في مرارَةٍ[7]، وفسَّرهُ بـ«الأراكِ» جماعةٌ من السَّلفِ كابنِ عبَّاسٍ

---

(١) «فرطات» مفعول به لـ﴿غفور﴾؛ أي: غفورٌ ما فرط به في جنب الله من الذنوب.

(٢) في (ص): «تراب».

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٥٢).

(٤) في (ص): «الأنبياء».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٨).

(٦) وهكذا هي في نسخ المتن المعتمدة.

(٧) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٦٦٦).

بإضافةِ «أُكل» بمعنى مأكول وتركِها، ويُعطف عليه ﴿وأَثْلٍ وشَيءٍ مِن سِدرٍ قَلِيلٍ. ذلِكَ﴾ التبديلَ ﴿جَزَيناهُم بِما كَفَرُوا﴾: بكُفرهم. ﴿وهَل يُجازَى إلاّ الكَفُورُ﴾؟ بالياءِ، وبالنونِ مع كسر الزاي ونصب «الكفورَ»، أي: ما يُناقَش إلاّ هو.

١٨ ـ ﴿وجَعَلْنا بَينَهُم﴾ بين سبأٍ ـ وهم باليمن ـ ﴿وبَينَ القُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها﴾ بالماء والشجر ـ وهي قرى الشام التي يسيرون إليها للتجارة ـ ﴿قُرًى ظاهِرَةً﴾: مُتواصلة من اليمن إلى الشام،..........

والحسنِ وقتادةَ[١]، وقيلَ: كلُّ شَجَرٍ ذي شَوكٍ، فالتَّقديرُ: أُكلٍ [أُكلِ][٢] خمطٍ، فحُذِف المضافِ، وأقيمَ المضافُ إليه مقامَهُ في كونِهِ بدلاً أو عطفَ بيانٍ.

قولُه: (بِإِضَافَةِ ﴿أُكُلٍ﴾) للبصريِّ[٣].

قولُه: (وتَرْكِهَا) لغَيرِهِ، وأسكنَ الحِرميَّانِ الكافَ[٤].

قولُه: (عَلَيهِ) أي: على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾، فإنَّ الأَثْلَ هو الطَّرْفاءُ أو شجرٌ يشبهُهُ، ولا ثمرَ له[٥]، ووُصفَ السِّدرُ بالقِلَّةِ فإنَّ جَناهُ وهو النَّبْقُ ممَّا يطيبُ أُكُلُه، ولذلك يغرَسُ في البساتينِ، وفيه إشارةٌ إلى عدمِ انقطاعِ الرَّحمةِ عنهم بالكلِّيَّةِ معَ استحقاقِهِم كمالَ البليَّةِ، وإيماءٌ إلى قوَّتِهِم، وتسميةُ البدلِ ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ للمشاكلةِ والتَّهكُّمِ.

قولُه: (بالرُّسلِ)[٦] أو بكفرانِهِم النِّعمةَ.

قولُه: (بالياءِ) أي: المضمومةِ وفتحِ الزَّاي، ورفعُ (الكَفُورُ) لغيرِ حفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ[٧].

قولُه: (ما يُنَاقَشُ) ويعاقَبُ إلَّا هو؛ أي: البليغُ في الكُفرِ أو الكُفرانِ.

قولُه: (بالمَاءِ والشَّجَرِ) أو التَّوسِعَةِ على أهلِها.

قولُه: (مُتَوَاصِلَةً) يظهَرُ بعضُها لبعضٍ فلا يحتاجونَ إلى دليلٍ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٢) عن ابن عباس والحسن.
ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢٤٠٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٣) عن قتادة.

(٢) من «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٤٥).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

(٤) انظر المصدرين السابقين.

(٥) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٢٠).

(٦) «بالرسل» ليس في المتن، ولعله عقب قول المتن: «بكفرهم»، أو عوض عنه.

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨١).

﴿وقَدَّرْنا فِيها السَّيرَ﴾ بحيثُ يَقيلون في واحدة ويبيتون في أُخرى إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء، وقلنا: ﴿سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وأيَّامًا آمِنِينَ﴾: لا تخافون في ليل ولا نهار.

١٩ ـ ﴿فقالُوا: رَبَّنا، بَعِّدْ﴾ ـ وفي قراءة: «باعِدْ» ـ ﴿بَيْنَ أسفارِنا﴾ إلى الشام، اجعلْها مَفاوِزَ. ليتطاولوا على الفُقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء، فبطِروا النعمةَ. ﴿وظَلَمُوا أنفُسَهُم﴾ بالكُفر، ﴿فجَعَلْناهُم أحادِيثَ﴾ لمَن بعدهم في ذلك، ﴿ومَزَّقْناهُم كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾: فرّقناهم في البلاد كُلّ التفريق. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآياتٍ﴾: عِبرًا ﴿لِكُلِّ صَبّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شَكُورٍ﴾ على النِّعم.

٢٠ ـ ﴿ولَقَد صَدَقَ﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿علَيهِم﴾ أي: الكُفّارِ منهم سبأٍ...............

قولُه: (قُلْنَا) بلسانِ القالِ، أو الحالِ لمَّا تمكَّنوا من السَّيرِ في رَغَدٍ وأمنٍ كأنَّهم أُمِروا بذلك وأُذِنَ لهم.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للأكثرِ، وهم غيرُ مكِّيٍّ وبصريٍّ وهشامٍ[1].

قولُه: (لِيَتَطَاوَلُوا) أو: لئلَّا يتمكَّنَ الفقراءُ من تلكَ السَّفْرَةِ.

قولُه: (فبَطِرُوا) الظَّاهرُ: لمَّا بَطِروا النَّعمةَ ومَلُّوا العافيةَ ـ كبني إسرائيلَ ـ سألوا اللهَ فأجابَهُم بتخريبِ القُرَى المتوسِّطةِ.

قولُه: (لِمَنْ بَعْدَهُم) يتحدَّثُ النَّاسُ بهم تعجُّباً وضَرْبَ مَثَلٍ، فيقولونَ: تفرَّقوا أيدي سَبَا[2].

قولُه: (كُلَّ التَّفْرِيقِ) أي: غايتَهُ، حتَّى لحِقَ غسَّانُ منهم بالشَّامِ، وأنمارُ بيثربَ، وجذامُ بتهامةَ، والأزدُ بعمانَ.

قولُه: (على النِّعَمِ) وهو المؤمنُ، فإنَّه إذا أُعطيَ شكَرَ، وإذا ابتُلِيَ صبَرَ.

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) غيرُ كوفيٍّ[3].

قولُه: (مِنْهُم سَبَأٌ) أي: من جملةِ الكفَّارِ أهلُ سبأ، والظَّاهرُ أنَّ الظَّنَّ بأهلِ سبأ حينَ رأى انهماكَهُم في الشَّهواتِ، أو ببني آدمَ حينَ رأى ما رُكِّبَ فيهم من الشَّهوةِ والغضبِ، أو سمعَ من الملائكةِ ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فقالَ: ﴿لَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ [النساء: ١١٩] وعليه السَّلفُ[4].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٦٥).

(٢) أي: مذاهب سبأ وطرقها؛ أي: تفرقوا تفرقاً لا اجتماع بعده. وقال الأزهريُّ: العربُ لا تهمز «سَبَا» في هذا الموضع لأنه كَثُر في كلامهم فاستَثقلوا فيه الهمزَ وإن كانت «سبأ» في الأصل مهموزة. انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٧٢)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤١٠)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٢٧٥).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٦٥).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٤٦).

﴿إبليسُ ظَنَّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتّبعونه، ﴿فاتَّبَعُوهُ﴾ فصَدَقَ، بالتخفيف في ظنّه، أو صَدَّقَ، بالتشديد ظنّه أي: وجده صادقًا، ﴿إلاّ﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرِيقًا مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ من: للبيان، أي: هم المؤمنون لم يتّبعوه،

٢١ ـ ﴿وما كانَ لَهُ علَيهِم مِن سُلطانٍ﴾: تسليط منّا، ﴿إلاّ لِنَعلَمَ﴾ عِلمَ ظُهور ﴿مَن يُؤمِنُ بِالآخِرةِ، مِمَّن هُوَ مِنها في شَكٍّ﴾، فنُجازيَ كُلًّا منهما. ﴿ورَبُّكَ على كُلِّ شَيءٍ حَفِيظٌ﴾: رقيب.

٢٢ ـ ﴿قُلِ﴾ ـ يا مُحمّد ـ لكُفّار مكّة: ﴿ادعُوا الَّذِينَ زَعَمتُم﴾ أي: زعمتموهم آلهةً ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرِه، لينفعوكم بزعمكم. قال تعالى فيهم: ﴿لا يَملِكُونَ مِثقالَ﴾: وزنَ ﴿ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شرّ، ﴿في السَّماواتِ ولا في الأرضِ، ومالَهُم فِيهِما مِن شِركٍ﴾: شركة، ....

قولُه: (أي: وَجَدَهُ) أو: حَقَّقَ ظنَّهُ فيهم، ومحلُّهُ سَبَقَ[1].

قولُه: (بِمَعنَى: لَكِن) هذا مبنيٌّ على تفسيرِهِ من أنَّ ضميرَ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ للكفَّارِ، وأمَّا على كلامِ غيرِهِ فالاستثناءُ متَّصِلٌ؛ أي: إلا فَريقاً هم المؤمنونَ لم يتَّبِعوهُ، فـ﴿مِنَ﴾ بيانيَّةٌ، وتقليلُهُم بالإضافةِ إلى الكفَّارِ، أو: إلَّا فريقاً من فِرَقِ المؤمنينَ لم يتَّبعوهُ في العصيانِ ـ وهم المخلصونَ ـ فـ﴿مِنَ﴾ تبعيضيَّةٌ، وتقليلُهُم بالنِّسبةِ إلى الفُجَّارِ.

قولُه: (تَسلِيطٍ مِنَّا) أو: تسلُّطٍ واستيلاءٍ منه على المتَّبِعينَ بوسوَسةٍ واستغواءٍ.

قولُه: (عِلْمَ ظُهُورٍ) ووقوعٍ، فإنَّه كانَ معلوماً بالغَيْبِ؛ أي: ليتعلَّقَ عِلْمُنا بذلك تعلُّقاً يترتَّبُ عليه الجزاءُ، أو: ليتميَّزَ المؤمنُ من الشَّاكِّ، أو: ليؤمنَ مَن قُدِّرَ إيمانُهُ ويشُكَّ مَن قُدِّرَ ضلالُهُ، والمرادُ من حصولِ العِلْمِ: حصولُ متعلَّقِهِ مبالغةً.

قالَ القاضي: وفي نظمِ الصِّلَتَينِ نكتةٌ لا تخفى[2]، قالَ الصَّفَويُّ: لم يقلْ: مَن كَفرَ، في مقابلةِ: ﴿مَنْ يؤمنُ﴾، ليُعلَمَ أنَّ أدنى شكٍّ في الآخرةِ كُفرٌ.

قولُه: (لِكُفَّارِ مَكَّةَ) الأَولى: للمشركينَ.

قولُه: (زَعَمْتُمُوهُم آلِهَةً) وهما مَفعولا «زعمَ» حُذفَ الأوَّلُ لطولِ الموصولِ بصلتِهِ، والثاني لقيامِ صفتِهِ ـ وهي: ﴿مِنْ دونِ اللهِ﴾ ـ مقامَهُ.

قولُه: (لِيَنفَعُوكُم) بجلبِ نفعٍ من رِزقٍ وعافيةٍ ونَصرٍ، وبدفعِ ضُرٍّ من بليَّةٍ ومَرَضٍ وفقرٍ.

قولُه: (قَالَ تَعَالَى) إشعاراً بأنَّه الجوابُ، ولا يقبلُ المكابرَةَ.

قولُه: (شِرْكَةٍ) لا خَلقاً ولا مُلكاً، وذَكَرَهُما للعمومِ العُرفيِّ، أو لأنَّ آلهتَهُم بعضُها سماويَّةٌ كالملائكةِ والكواكبِ، وبعضُها أرضيَّةٌ كالأصنامِ.

---

(١) الآية رقم: (١٧) من سورة الأعراف.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٤٦).

﴿ومالَهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿مِنهُم﴾: من الآلهة ﴿مِن ظَهِيرٍ﴾: مُعينٍ، ٢٣ ـ ﴿ولا تَنفَعُ الشَّفاعةُ عِندَهُ﴾ تعالى ـ ردًّا لقولهم: إنّ آلهتهم تشفع عنده ـ ﴿إلاّ لِمَن أذِنَ﴾، بفتح الهمزة وضمها، فيها ﴿لَهُ. حَتَّى إذا فُزِّعَ﴾ ـ بالبناء للفاعل والمفعول ـ ﴿عَن قُلُوبِهِم﴾: كَشَفَ عنها الفزعَ بالإذن فيها، ﴿قالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿ماذا قالَ رَبُّكُم﴾ فيها؟ ﴿قالُوا﴾: القولَ ﴿الحَقَّ﴾ أي: قد أذِن فيها. ﴿وهُوَ العَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر ﴿الكَبِيرُ﴾: العظيم.

٢٤ ـ ﴿قُلْ: مَن يَرزُقُكُم مِنَ السَّماواتِ﴾ المطرَ ﴿والأرضِ﴾ النباتَ؟ ﴿قُلِ: اللهُ﴾ إن لم يقولوه، لا جوابَ غيره، ﴿وإنّا أو إيّاكُم﴾ أي: أحدَ الفريقين ﴿لَعَلَى هُدًى أو في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّن. في الإبهام تلطّفٌ بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وُفّقوا له. ٢٥ ـ ﴿قُلْ: لا تُسألُونَ عَمّا أجرَمْنا﴾: أذنبْنا، ﴿ولا نُسألُ عَمّا تَعمَلُونَ﴾ لأنّا بريؤون منكم. ٢٦ ـ ﴿قُلْ: يَجمَعُ بَينَنا رَبُّنا﴾ يوم القيامة، ﴿ثُمَّ يَفتَحُ﴾: يحكم ﴿بَينَنا بِالحَقِّ﴾، فيُدخل المُحقّين الجنّةَ والمُبطلين النارَ. ﴿وهُوَ الفَتّاحُ﴾: الحاكم ﴿العَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

قولُه: (عِندَهُ) أي: لا تنفَعُ شفاعةُ شافِعٍ لمشفوعٍ.

قولُه: (وضَمِّهَا) بصريٌّ وحمزةُ وكسائيٌّ[1].

قولُه: (فِيهَا) أي: في الشَّفاعةِ؛ أي: في أن يُشَفَّعَ، أو أن يُشفَعَ له.

قولُه: (للفَاعِلِ) شاميٌّ[2]، غايةٌ لمفهومِ الكلامِ مِن أنَّ ثَمَّ توقُّفاً وانتظاراً للإذنِ؛ أي: يتربَّصونَ فزِعينَ.

قولُه: (كَشَفَ عَنْهَا) أي: عن قُلوبِ الشَّافِعينَ والمشفوعِ لهم، وقيلَ: الضَّميرُ للملائكةِ، وقد تقدَّمَ ذكرُهُم ضِمناً.

قولُه: (القَولَ) أي: ﴿قالُوا﴾: قالَ القولَ ﴿الحقَّ﴾، وهو الإذنُ بالشَّفاعَةِ لمنِ ارتَضى، وهُمُ المؤمنونَ، رُوِيَ: أنَّ أوَّلَ مَن يقولُ جبريلُ فيتَّبِعونَهُ[3].

قولُه: (أيْ: أَحَدَ) بالنَّصبِ بدلُ[4] الضَّميرِينِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٦٥)

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) روى أبو داود (٤٧٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٧) عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا تكلم الله بالوحي، سمع أهل السماء للسماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل، حتى إذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم» قال: «فيقولون: يا جبريل ماذا قال ربك؟ فيقول: الحق، فيقولون: الحق، الحق».

(٤) في (ص) زيادة: «من».

٢٧ ـ ﴿قُلْ: أَرُونِيَ﴾: أعلموني ﴿الَّذِينَ أَلْحَقتُم بِهِ شُرَكاءَ﴾ في العِبادة. ﴿كَلاّ﴾: ردعٌ لهم عن اعتقاد شريك له. ﴿بَل هُوَ اللهُ العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقه. فلا يكون له شريك في مُلكه.

٢٨ ـ ﴿وما أرسَلْناكَ إلاّ كافَّةً﴾ ـ حالٌ من «الناس» قُدّم للاهتمام ـ ﴿لِلنّاسِ بَشِيرًا﴾: مُبشّرًا للمؤمنين بالجنّة ﴿ونَذِيرًا﴾: مُنذِرًا للكافرين بالعذاب، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك، ٢٩ ـ ﴿ويَقُولُونَ: مَتى هذا الوَعدُ﴾ بالعذاب، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه؟ ٣٠ ـ ﴿قُلْ: لَكُم مِيعادُ يَومٍ، لا تَستأخِرُونَ عَنهُ ساعةً ولا تَستَقدِمُونَ﴾ عليه. وهو يوم القيامة.

٣١ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة: ﴿لَن نُؤمِنَ بِهذا القُرآنِ، ولا بِالَّذِي بَينَ يَدَيهِ﴾ أي: تقدّمه كالتوراة والإنجيل الدالّين على البعث،..

قولُه: (أعلِمُوني) الإراءَةُ البصَرِيَّةُ أظهَرُ؛ يعني: لأرى بأيِّ صفَةٍ ألحقتُموهُم باللهِ في استِحقاقِ العبادَةِ.

قولُه: (الغَالِبُ) والضَّميرُ للهِ، أو للشَّأنِ.

قولُه: (حَالٌ مِنَ «النَّاسِ») قالَ القاضي: لا يجوزُ على المختارِ[1]. وقالَ أبو البقاءِ: ضعيفٌ عندَ الأكثرينَ، فإنَّ صاحبَ الحالِ مجرورٌ[2].

والشَّيخُ تَبِعَ ابنَ مالكٍ[3] في الجوازِ، لكنْ لا كلُّ ما يجوزُ يَنزلُ عليه القرآنُ ويُقتصرُ عليه، فالصَّحيحُ: أنَّهُ حالٌ منَ الكافِ، والتاءُ للمبالغةِ؛ أي: إلَّا جامعاً لهم في الإبلاغِ، أو كافًّا للنَّاسِ عن الكُفرِ والمعاصي، أو التَّقديرُ: إلَّا إرسالَةً عامَّةً لهم.

قولُه: (أي: كُفَّارِ مَكَّةَ) الصَّوابُ: إطلاقُ ﴿النَّاسِ﴾ن والمرادُ بالأكثرِ: الكفَّارُ؛ يعني: فيحملُهُم جهلُهُم على مخالَفَتِكَ، ولعلَّ وَضعَ الظَّاهرِ موضِعَ المضمَرِ لدَفْعِ إيهامِ تخصيصِ النَّاسِ بأهلِ زمَنِ الإرسالِ، واللهُ أعلمُ بحقيقةِ الحالِ.

قولُه: (بالعَذَابِ) الموعودِ بقولِهِ: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾.

قولُه: (فِيهِ) أي: الوعدِ، والخطابُ له ﷺ وللمؤمنينَ.

قولُه: (كالتَّوراةِ) وقيل: (الَّذي بين يدَيْهِ): يومُ القيامةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٤٧).

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١٠٦٩).

(٣) انظر: «شرحه على التسهيل» (٢/ ٣٣٧).

لإنكارهم له. قال تعالى فيهم: ﴿ولَو تَرَى﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿إذِ الظّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿مَوقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِم، يَرجِعُ بَعضُهُم إلَى بَعضٍ القَولَ، يَقُولُ الَّذِينَ استُضعِفُوا﴾ الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ استَكبَرُوا﴾ للرؤساءِ: ﴿لَولا أنتُم﴾ صددتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنّا مُؤمِنِينَ﴾ بالنبيّ.

٣٢ ـ ﴿قالَ الَّذِينَ استَكبَرُوا لِلَّذِينَ استُضعِفُوا: أنَحنُ صَدَدْناكُم عَنِ الهُدَى بَعدَ إذ جاءَكُم﴾؟ لا، ﴿بَل كُنتُم مُجرِمِينَ﴾ في أنفسكم. ٣٣ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ استُضعِفُوا لِلَّذِينَ استَكبَرُوا: بَل مَكرُ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾ أي: مكرٌ فيهما منكم بنا، ﴿إذ تأمُرُونَنا أن نَكفُرَ بِاللهِ، ونَجعَلَ لَهُ أندادًا﴾: شُركاءَ. ﴿وأسَرُّوا﴾ أي: الفريقانِ ﴿النَّدامَةَ﴾ على ترك الإيمان به، ﴿لَمّا رأَوُا العَذابَ﴾، أي: أخفاها كُلّ عن رفيقه مخافةَ التعيير، ﴿وجَعَلْنا الأغلالَ في أعناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار، ﴿هَل﴾: ما ﴿يُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ في الدنيا؟

٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿وما أرسَلْنا في قَرْيَةٍ مِن نَذِيرٍ إلاّ قالَ مُترَفُوها﴾: رُؤساؤها المُتنعِّمون: ﴿إنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ كافِرُونَ. وقالُوا: نَحنُ أكثَرُ أمْوالاً وأولادًا﴾ ممّن آمن، ﴿وما نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ. قُلْ: إنَّ رَبِّي يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاءً، ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: كُفّارِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك.

قولُه: (صَدَدْتُمُونَا) الظّاهرُ: لولا صدُّكُم إيَّانا.

قولُه: (بالنَّبِيِّ) أو باتِّباعِهِ.

قولُه: (لا) يعني: استفهامُهُم للإنكارِ.

قولُه: (مِنكُم بِنَا) الظّاهرُ: مكرٌ منكُم بنا فيهِما، والحاصلُ: أنّه اتُّسِعَ في الظَّرفِ وأضِيفَ المصدرُ إليه، وإلَّا فالأصلُ أنَّ المصدرَ لا يُضافُ إلَّا إلى الفاعلِ أو المفعولِ.

قولُه: (أي: أخفَوهَا) أو: أظهَروها، فإنَّهُ من الأضدادِ؛ إذِ الهمزَةُ تصلُحُ للإثباتِ والسَّلبِ.

قولُه: (فِي النَّارِ) يعني: لا في القيامَةِ، ولا في الدُّنيا؛ لأنَّ قولَهُ تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾ [يس: ٨] تمثيلٌ، كما سيَأتي.

قولُه: (جَزَاءَ) أو عُدِّي لتضمُّنِه معنى: يَقْضي، أو لنَزعِ الخافِضِ.

قولُه: (ذلِكَ) ما ذُكِرَ من الامتحانِ، فيظنُّونَ أنَّ كثرَةَ الأموالِ والأولادِ للشَّرفِ والكرامةِ، وكثيراً ما يكونُ للاستدراجِ.

٣٧ ـ ﴿وما أموالُكم ولا أولادُكم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُم عِندَنا زُلفَى﴾: قُربَى، أي: تقريبًا. ﴿إلاَّ﴾ لكن ﴿مَن آمَنَ وعَمِلَ صالِحًا فأُولئِكَ لَهُم جَزاءُ الضِّعفِ بِما عَمِلُوا﴾ أي: جزاءُ الحسنةِ مَثَلاً بعشر فأكثرَ، ﴿وهُم في الغُرُفاتِ﴾ من الجنّة ﴿آمِنُونَ﴾ من الموت وغيره ـ وفي قراءةٍ: «الغُرْفةِ» بمعنى الجمع ـ

٣٨ ـ ﴿والَّذِينَ يَسعَونَ في آياتِنا﴾: القرآنِ بالإبطال ﴿مُعَجِّزِينَ﴾ لنا: مقدّرين عجزَنا وأنهم يفوتوننا ﴿أُولئِكَ في العَذابِ مُحضَرُونَ﴾.

٣٩ ـ ﴿قُلْ: إنَّ رَبِّي يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ﴾ امتحانًا، ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه ﴿لَهُ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاءً، ﴿وما أنفَقتُم مِن شَيءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخلِفُهُ، وهُوَ خَيرُ الرّازِقِينَ﴾. يقال: كُلّ إنسان يَرزُق عائلتَه، أي: من رزق الله.

٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿يَومَ نَحشُرُهُم جَمِيعًا﴾ أي: المُشركين، ....

قولُه: (لكِن) أو: إلا أموالُ وأولادُ ﴿مَنْ﴾.

قولُه: (وغَيْرِهِ) من المكارِهِ.

قولُه: (وفي قِرَاءَةٍ) لحَمزةَ[1].

قولُه: (بِمَعنَى الجَمْعِ) لأنّهُ أُريدَ به الجنسُ.

قولُه: (بالإِبْطَالِ) أي: بالرَّدِّ والطَّعنِ فيها.

قولُه: (مُقَدِّرِينَ عَجْزَنَا) تفسيرٌ لقراءَةِ التَّشديدِ[2].

قولُه: (وأنَّهُم) مقدِّرينَ أو ظانِّينَ.

قولُه: (ابْتِلاءً) فهذا في شخصٍ واحدٍ باعتبارِ وقتَينِ، أو في المؤمنِ، وما سبقَ في شخصَينِ، أو في الكافرِ، فلا تَكريرَ، وقيل: إنَّه تأكيدٌ.

قولُه تعالى: (﴿فَهُوَ يُخلِفُهُ﴾) أي: عِوَضاً، إمَّا عاجلاً، أو آجلاً، ولا منعَ[3] مِن جَمعٍ.

قولُه: (أيْ: المُشرِكِينَ) و[غير][4] حفصٍ بالنُّونِ في الفِعلَينِ[5].

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٦٥).

(٢) وهي قراءة مكي وبصري، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٤٣٩)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٨٢).

(٣) في (ص): «مانع».

(٤) أضفتها لكي تستقيم العبارة.

(٥) أي: ﴿يَحشُرُهُمْ﴾ و﴿يَقُولُ﴾، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٧).

﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلمَلائكةِ: أَهؤُلاءِ إيّاكُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الأُولى ياء، وإسقاطِها ـ ﴿كانُوا يَعبُدُونَ؟ قالُوا: سُبحانَكَ﴾: تنزيهًا لك عن الشريك! ﴿أنتَ وَلِيُّنا مِن دُونِهِم﴾ أي: لا مُوالاة بيننا وبينهم من جِهتنا. ﴿بَل﴾: للانتقال ﴿كانُوا يَعبُدُونَ الجِنَّ﴾ أي: الشياطينَ، أي: يُطيعونهم في عِبادتهم إيانا، ﴿أكثَرُهُم بِهِم مُؤمِنُونَ﴾: مُصدّقون فيما يقولون لهم. ٤٢ ـ قال تعالى: ﴿فاليَومَ لا يَملِكُ بَعضُكُم لِبَعضٍ﴾ أي: بعضُ المعبودين لبعض العابدين ﴿نَفعًا﴾: شفاعة ﴿ولا ضَرًّا﴾: تعذيبًا، ﴿ونَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا: ﴿ذُوقُوا عَذابَ النّارِ الَّتِي كُنتُم بِها تُكَذِّبُونَ﴾.

٤٣ ـ ﴿وإذا تُتلَى علَيهِم آياتُنا﴾: القُرآنُ ﴿بَيِّناتٍ﴾: واضحاتٍ بلسان نبيّنا مُحمّد ﴿قالُوا: ما هذا إلاّ رَجُلٌ يُرِيدُ أن يَصُدَّكُم عَمّا كانَ يَعبُدُ آباؤُكُم﴾ من الأصنام. ﴿وقالُوا: ما هذا﴾ أي: القرآنُ ﴿إلاّ إفكٌ﴾: كذب ﴿مُفتَرًى﴾ على الله. ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلحَقِّ﴾: القُرآن ﴿لَمّا جاءَهُم: إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ سِحرٌ مُبِينٌ﴾ بيّن. قال تعالى: ٤٤ ـ ﴿وما آتيناهُم مِن كُتُبٍ يَدرُسُونَها، وما أرسَلْنا إلَيهِم قَبلَكَ مِن نَذِيرٍ﴾. فمِن أين كذّبوك؟

قولُه: (بتَحْقِيقِ الهَمْزَتَينِ) شاميٌّ وكوفيٌّ[1].

قولُه: (وإبدَالِ الأُوْلَى يَاءً) لم يقرَأ به أحدٌ، وإنَّما قرأ بتسهيلِها قالونُ والبَزِّيُّ، وبإبدالِ الثَّانيةِ وتسهيلِها ورشٌ وقُنبُلٌ، وبإسقاطِ الأولى ـ وقيلَ: الثَّانية ـ: بصريٌّ[2].

قولُه: (للانْتِقَالِ) بل: للإبطالِ على وَجهِ الحقيقةِ.

قولُه: (لهُم) الضَّميرُ الأوَّلُ للإنسِ أو للمشركينَ، والأكثرُ بمعنى: الكلِّ، والثَّاني للجِنِّ.

قولُه: (شَفَاعَةً) فكيفَ نفعاً آخرَ؟

قولُه: (تَعْذِيباً) أي: مَضرَّةً؛ لأنَّ الدَّارَ دارُ ثوابٍ وعِقابٍ، والمُثيبُ والمعاقِبُ هو اللهُ لا إلهَ إلَّا هوَ.

قولُه: (مِنَ الأَصْنامِ) فيستتبعَكُم بما يستَدْعِيهِ.

قولُه تعالى: (﴿مِنْ كُتُبٍ﴾) فيها دليلٌ على صِحَّةِ الإشراكِ، وقولُه: (﴿مِنْ نَذِيْرٍ﴾) يدعوهُم إلى الإشراكِ، وينذِرُهُم على تركِهِ، وقد بانَ من قَبْلُ أنَّه لا وجهَ له، فمِن أينَ وَقَعَ لهم هذه الشُّبهَةُ؟ وبهذا ظهرَ معنى قولِهِ: (فَمِنْ أينَ يُكَذِّبُونَ؟) وفي نسخةٍ: «كذَّبوكَ»[3]، يعني: في ذَمِّ الإشراكِ المنقولِ[4] عن اللهِ، ويمكنُ تخفيفُ

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ١٧٨).

(٢) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٤٨٣).

(٣) وهي كذلك في نسخ المتن المعتمدة.

(٤) أي: الذم.

٤٥ ـ ﴿وكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، وما بَلَغُوا﴾ أي: هؤلاء ﴿مِعشارَ ما آتيناهُم﴾ من القُوّة وطُول العمر وكثرة المال، ﴿فكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إليهم، ﴿فكَيفَ كانَ نكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالعُقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقعٌ موقعَه.

٤٦ ـ ﴿قُلْ: إنَّما أعِظُكُم بِواحِدَةٍ﴾، هي ﴿أن تَقُومُوا لِلهِ﴾ أي: لِأجله ﴿مَثنَى﴾ أي: اثنينِ اثنين ﴿وفُرادَى﴾: واحدًا واحدًا، ﴿ثُمَّ تَتَفكَّرُوا﴾ فتعلموا: ﴿ما بِصاحِبِكُم﴾ مُحمّدٍ ﴿مِن جِنَّةٍ﴾: جنون، ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ نَذِيرٌ لكُم بَينَ يَدَي﴾ أي: قَبلَ ﴿عَذابٍ شَدِيدٍ﴾ في الآخرة، إن عصيتموه. ٤٧ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿ما سألتُكُم﴾ على الإنذار والتبليغ ﴿مِن أجرٍ فهُوَ لكُم﴾ أي: لا أسألكم عليه أجرًا. ﴿إن أجرِيَ﴾: ما ثوابي ﴿إلاّ على اللهِ، وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾: مطّلع يعلم صِدقي.

٤٨ ـ ﴿قُلْ: إنَّ رَبِّي يَقذِفُ بِالحَقِّ﴾: يُلقيه إلى أنبيائه، ﴿عَلاّمُ الغُيُوبِ﴾: ما غاب عن خلقه في السماوات والأرض..

«يكذبُونَ»، والمعنى: كَذِبُهُم على اللهِ بالإشراكِ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ ما بعدَهُ[١].

قولُه: (مِنَ القُوَّةِ) أو من الآياتِ، والمعشارُ بمعنى: العُشْرِ، كالمِرْباعِ، ولا ثالثَ[٢].

قولُه: (إليهِم) ولا تَكريرَ؛ لأنَّ الأوَّلَ مطلَقٌ ـ أي: فعَلوا التَّكذيبَ ـ والثَّانيَ مقيَّدٌ، أو الأوَّلُ مبهَمٌ والثَّاني مبيَّنٌ.

قولُه تعالى: ﴿بِوَاحِدَةٍ﴾ أي: بخصلَةٍ واحِدةٍ.

قولُه: (أيْ: لِأَجْلِهِ) مُعْرِضاً عن التَّقليدِ والمِراءِ، والقيامُ: الانتصابُ في الأمرِ.

قولُه: (جُنُونٍ) فـ﴿مَا﴾ نافيةٌ، وقيل: ﴿مَا﴾ استفهاميَّةٌ؛ أي: تتفكَّروا أيُّ شيءٍ به من آثارِ الجُنونِ؟!

قولُه: (قَبْلَ) أو: قُدَّامَ، وفي الحديثِ: «بُعِثْتُ في نَسَمِ السَّاعةِ»[٣] أي: أوَّلِها.

قولُه: (والتَّبليغِ) و﴿مَا﴾ شرطيَّةٌ؛ أي: أيَّ شيءٍ.

قولُه: (يُلقِيْهِ) أو يَرمي به الباطلَ فيدمَغُهُ.

---

(١) أي: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

(٢) أي: لا ثالثَ لهما من ألفاظ، لا يقال: مِسْداسَ ولا مِخْماس. انظر: «الدر المصون» (٩/ ١٩٨).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الأهوال» (٥)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣٢١٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٦١)، من حديث أبي جبيرة بن الضحاك رضي الله عنه. وحسن إسناده ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٩)، لكن أبا جبيرة مختلف في صحبته. انظر: «الإصابة» (٧/ ٥٤).

٤٩ ـ ﴿قُلْ: جاءَ الحَقُّ﴾: الإسلام، ﴿وما يُبدِئُ الباطِلُ﴾: الكُفر ﴿وما يُعِيدُ﴾، أي: لم يبق له أثر.
٥٠ ـ ﴿قُلْ: إن ضَلَلتُ﴾ عن الحق ﴿فإنَّما أضِلُّ علَى نَفسِي﴾ أي: إثمُ ضلالي عليها، ﴿وإنِ اهتَدَيتُ فبِما يُوحِي إليَّ رَبِّيَ﴾،من القُرآنِ والحِكمة. ﴿إنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدُّعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

٥١ ـ ﴿ولَو تَرَى﴾، يا مُحمّد، ﴿إذْ فَزِعُوا﴾ عِند البعث لرأيت أمرًا عظيمًا ـ ﴿فلا فَوتَ﴾ لهم منّا أي: لا يفوتوننا ـ ﴿وأُخِذُوا مِن مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القُبور، ٥٢ ـ ﴿وقالُوا: آمَنّا بِهِ﴾: بمُحمّد أو القُرآن. ﴿وأنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾ ـ بالواو، وبالهمزة بدلها ـ أي: تناولُ الإيمان ﴿مِن مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محلّه، إذ هم في الآخرة ومحلّه الدنيا؟ ٥٣ ـ ﴿وقَد كَفَرُوا بِهِ مِن قَبلُ﴾ في الدنيا،..........................

قولُه: (أي: لمْ يَبْقَ لَهُ) أي: للباطِلِ؛ أي: زَهَقَ مأخوذٌ من هلاكِ الحَيِّ، فإنَّهُ إذا هَلَكَ لم يبقَ له إبداءٌ ولا إعادةٌ.

قولُه: (والحِكْمَةِ) فإنَّها وَحيٌ خَفيٌّ.

قولُه: (للدُّعَاءِ) قريبٌ مجيبٌ لمن دعاهُ.

قولُه: (يا مُحَمَّدُ) الكفَّارَ.

قولُه: (البَعْثِ) أو الموتِ، أو يومَ بدْرٍ.

قولُه: (مِنَّا) بهَرَبٍ أو تحَصُّنٍ.

قولُه: (أي: القُبُورِ) إلى النُّشورِ، أو من الموقِفِ إلى النَّارِ[1]، أو مِن ظَهْرِ الأرضِ إلى بَطنِها، أو من صحراءِ بدْرٍ إلى القَليبِ.

قولُه: (بمُحَمَّدٍ) وقد مرَّ ذِكرُه في قولِهِ: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِنْ جِنَّةٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

قولُه: (والقُرآنِ) الظَّاهرُ: «أو»[2] وهو أقربُ، أو: باللهِ، ويؤيِّدُه قولُه: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [غافر: ٨٤].

قولُه: (وبالهَمْزةِ) بصريٌّ وكوفيٌّ غيرُ حفصٍ[3].

قولُه: (بَدَلَهَا) أي: عِوضَها، أو على إبدالِ الواو لضمَّتِها اللَّازمةِ.

قولُه: (أي: تَنَاوُلُ) أي: من أينَ لهم أن يتناوَلوا الإيمانَ تناولاً سَهلاً؟

---

(١) في (م) و(د) زيادة: «أو الجنة».

(٢) وهي كذلك في نسخ المتن المعتمدة.

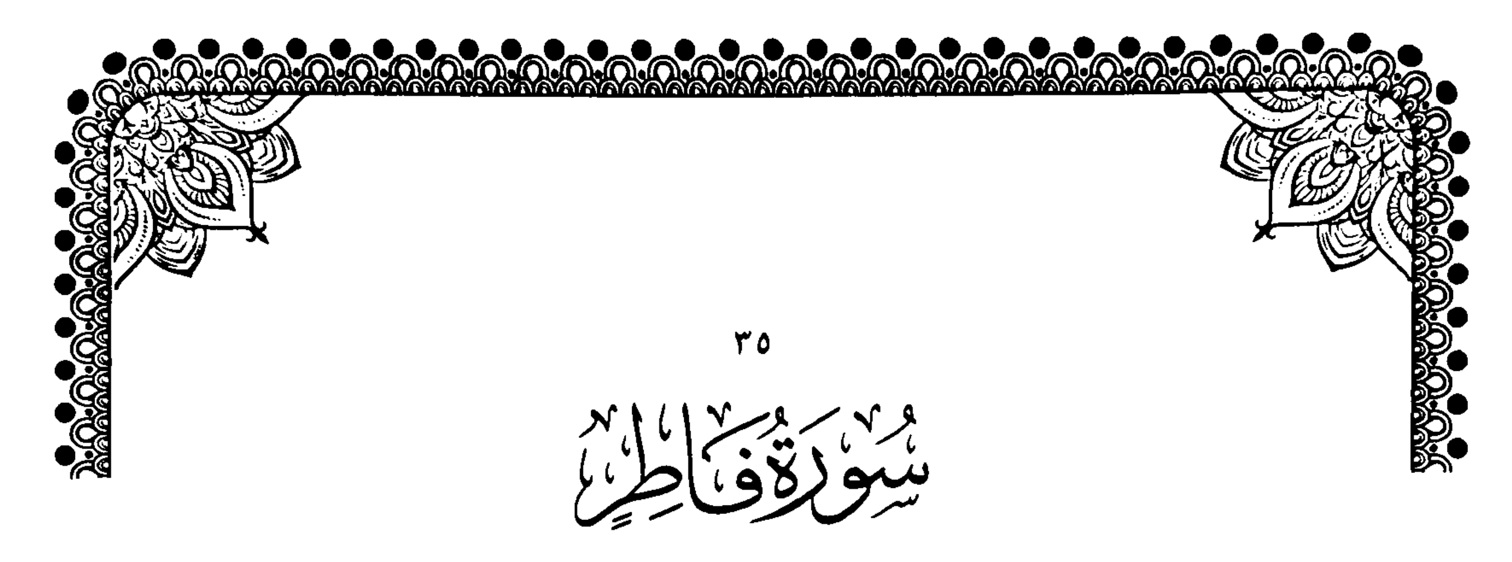
(٣) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٥٩١)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٤٨٤).

﴿ويَقذِفُونَ﴾: يرمون ﴿بِالغَيبِ مِن مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب عِلمه عنهم غَيبةً بعيدة، حيثُ قالوا في النبيّ: ساحرٌ شاعر كاهن، وفي القُرآن: سِحرٌ شِعر كِهانة. ٥٤ ـ ﴿وحِيلَ بَينَهُم وبَينَ ما يَشتَهُونَ﴾ من الإيمان، أي: قَبولِه ﴿كَما فُعِلَ بِأشياعِهِم﴾: أشباههم في الكُفر ﴿مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِهم. ﴿إنَّهُم كانُوا في شَكٍّ مُرِيبٍ﴾: مُوقعِ الرِّيبةَ لهم فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدّوا بدلائله في الدنيا.

قولُه: (غَيبَةً بَعِيدَةً) أو من جانبٍ بعيدٍ من أمرِه؛ لأنَّ أبعدَ شيءٍ ممَّا جاءَ به السِّحرُ والشِّعرُ.

قولُه: (أيْ: قَبُولِهِ) وفي نسخةٍ: «أو قَبُولِهِ» فـ«أو» للتَّنويعِ، وقيل: من الإيمانِ بالرَّدِّ إلى الدُّنيا، وقيل: من اللَّذَّاتِ النَّفسانيَّةِ والشَّهواتِ الجِسمانيَّةِ، أو من ماءِ الجنَّةِ ونَعيمِها، والله تعالى أعلمُ.

***



مكية، وهي خمس أو ست وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿**الحَمدُ لِلهِ**﴾ ـ حَمِدَ الله ـ تعالى ـ نفسَه بذلك كما بُيّن في أوّل سورة «سبأ» ـ ﴿**فاطِرِ السَّماواتِ والأرضِ**﴾: خالقِهما على غير مِثال سَبَق، ﴿**جاعِلِ المَلائكةِ رُسُلاً**﴾ إلى الأنبياء ﴿**أُولِي أجنِحةٍ مَثنَى وثُلاثَ ورُباعَ، يَزيدُ في الخَلقِ**﴾ في الملائكة وغيرها ﴿**ما يَشاءُ. إنَّ اللهَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، ما يَفتَحِ اللهُ لِلنّاسِ مِن رَحْمةٍ**﴾ كرِزق ومطر ﴿**فلا مُمسِكَ لَها، وما يُمسِكْ**﴾ من ذلك ﴿**فلاَ مُرسِلَ لَهُ مِن بَعدِهِ**﴾ أي: بعدِ إمساكه، ﴿**وهُوَ العَزيزُ**﴾: الغالب على أمره ﴿**الحَكيمُ**﴾ في فِعله.

٣ ـ ﴿**يا أيُّها النّاسُ**﴾ أي أهلَ مكّة،...

سورة فاطر

قولُه: (إلى الأَنبِيَاءِ) أو وسائِطَ بينَ اللهِ وبينَ أنبيائِهِ وأوليائِهِ بالوَحْي، والإلهامِ، والرُّؤيا الصَّادقةِ.

قولُه: (وغَيرِهَا) الأولى: وغيرِهِم، والآيةُ متناوِلَةٌ زياداتِ الصُّوَرِ والمعاني؛ كمَلاحَةِ الوجْهِ، وحُسنِ الصَّوتِ، وحصافَةِ العقلِ، وسماحةِ النَّفسِ، وعن ابنِ مسعودٍ بالحاءِ المهملةِ[1].

قولُه: (ومَطَرٍ) ونعمَةٍ، وأمنٍ، وصِحَّةٍ، وعِلمٍ، وعَمَلٍ، ونبوَّةٍ، وولايَةٍ.

قولُه: (مِنْ ذلِكَ) الظَّاهرُ: منها ومن غيرِها؛ إذِ اختلافُ الضَّميرَينِ في المجرورَينِ؛ لأنَّ ﴿مَا﴾ الأوَّلَ: مفسَّرٌ بالرَّحمةِ، والثَّاني: مطلقٌ يتَناولُها والغضب، وفي ذلك إشعارٌ بأنَّ رحمتَهُ سبقَت غضبَهُ.

قولُه: (أيْ: أهْلَ مكَّةَ) تقييدٌ عنِ المرادِ بعيدٌ، فإنَّهم ـ وإن كانوا أهلَ زمَنِ النُّزولِ ـ لا يختَصُّ الحُكمُ بهم،

---

(١) أي: (يزيد في الحلق) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٩٤).

﴿اذكُرُوا نِعْمةَ اللهِ علَيكُم﴾ بإسكانكم الحرمَ ومنع الغارات عنكم. ﴿هَل مِن خالِقٍ﴾ ـ من: زائدةٌ، وخالقٍ: مبتدأ ـ ﴿غَيرُ اللهِ﴾، بالرفع والجرّ: نعتٌ لـ «خالق» لفظًا ومحلًّا، وخبر المُبتدإ: ﴿يَرزُقُكُم مِنَ السَّماءِ﴾ المطرَ ﴿و﴾ من ﴿الأرضِ﴾ النباتَ؟ والاستفهام للتقرير، أي: لا خالقَ رازقٌ غيرُه. ﴿لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ. فأنّى تُؤفَكُونَ﴾: من أين تُصرَفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟ ٤ ـ ﴿وإن يُكَذِّبُوكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ في مجيئك بالتوحيد والبعث والحِساب والعِقاب ﴿فقَد كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِن قَبلِكَ﴾ في ذلك. فاصبر كما صبروا. ﴿وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾ في الآخرة، فيُجازي المُكذّبين، وينصر المُرسَلِينَ.

٥ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ، إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بالبعث وغيره ﴿حَقٌّ. فلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾ عن الإيمان بذلك، ﴿ولا يَغُرَّنَّكُم بِاللهِ﴾ في حِلمه وإمهاله ﴿الغَرُورُ﴾: الشيطانُ. ٦ ـ ﴿إنَّ الشَّيطانَ لَكُم عَدُوٌّ. فاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله ولا تُطيعوه. ﴿إنَّما يَدعُو حِزبَهُ﴾: أتباعه في الكُفر ﴿لِيَكُونُوا مِن أصحابِ السَّعِيرِ﴾: النار الشديدة. ٧ ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ، والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ﴾. هذا بيانُ ما لمُوافِقِي الشيطان وما لمُخالِفيه.

ونزل في أبي جهل وغيره: ٨ ـ ﴿أفمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ بالتمويه، ....

فإنَّ العبرَةَ بعمومِ اللَّفظِ وهم يدخُلونَ دخولاً أوَّليًّا، وأمَّا ما قيلَ: من أنَّ كلَّ ما كانَ في القرآنِ من قولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ فهُم أهلُ مكَّةَ، ومن قولِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا﴾ فهُم أهلُ المدينةِ، فليسَ مرادُهُ أنَّهم المرادُ فقط، بل المرادُ أنَّ تلكَ الآيةَ مكّيَّةٌ، والأخرى مدنيَّةٌ.

قولُه: (بإسْكَانِكُم) قالَ تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

قولُه: (والجَرِّ) حمزةُ والكسائيُّ[١].

قولُه: (لَفظاً ومَحَلًّا) نَشرٌ مُشوَّشٌ.

قولُه: (للتَّقريرِ) الظَّاهرُ: أنَّه للنَّفي.

قولُه: (ويَنصُرُ المُسلِمِينَ) الأَولى: ويثبِّتُ المصدِّقينَ.

قولُه: (عَنِ الإيمَانِ) فيشغلُكُم بالتَّمتُّعِ بها والتَّنعُّمِ فيها عن طَلَبِ الآخرَةِ والسَّعي لها.

قولُه: (الشَّيطَانُ) بأن يمنِّيَكُمُ المغفرةَ مع الإصرارِ على المعصيةِ، أو بأن يقولَ: لا ثوابَ ولا عِقابَ.

قولُه: (هَذا بَيَان) وقطعٌ للأماني الفارغَةِ، وبناءٌ للأمرِ كُلِّهِ على الإيمانِ والعمَلِ الصَّالِحِ.

قولُه: (بالتَّمْوِيهِ) بأن غلَبَ وهمُهُ وهواهُ على عقلِهِ حتَّى انتكَسَ رأيُهُ، فرأى الباطِلَ حَقًّا والقَبيحَ حُسْناً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٣٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٩٢).

﴿فرآهُ حَسَنًا﴾ مَن: مبتدأ خبرُه: كمن هداه اللهُ؟ لا. دلّ عليه: ﴿فإنَّ اللهَ يُضِلُّ مَن يَشاءُ، ويَهدِي مَن يَشاءُ ـ فلا تَذهَبْ نَفسُكَ علَيهِم﴾: على المُزيَّن لهم ﴿حَسَراتٍ﴾ باغتمامك أن لا يُؤمنون. ﴿إنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِما يَصنَعُونَ﴾ فيُجازيهم عليه ـ ٩ ـ ﴿واللهُ الَّذِي أرسَلَ الرِّياحَ﴾ ـ وفي قراءة: «الرِّيحَ» ـ ﴿فتُثِيرُ سَحابًا﴾، المضارعُ لحكاية الحال الماضية، أي: تُزعِجه، ﴿فسُقْناهُ﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿إلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾، بالتشديد والتخفيف: لا نباتَ بها، ﴿فأحيَينا بِهِ الأرضَ﴾ من البلد ﴿بَعدَ مَوتِها﴾: يُبسها، أي: أنبتْنا به الزرع والكلأ. ﴿كَذلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: البعثُ والإحياء.

١٠ ـ ﴿مَن كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فلِلّهِ العِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة، فلا تُنال منه إلاّ بطاعته، فليُطِعْهُ. ﴿إلَيهِ يَصعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾: يعلمُه ـ وهو «لا إلـهَ إلاّ اللهُ»........................

قولُه: (باغتِمَامِكَ) أي: لا تُهلِكْ نفسَكَ عليهم للحَسَراتِ على غَيِّهِم.

قولُه: (وفي قِرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ وحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُه: (المَاضِيَةِ) استِحضاراً لتلك الصُّورةِ البديعَةِ الدَّالَّةِ على كمالِ القُدرَةِ والحِكمَةِ.

قولُه: (بالتَّشدِيدِ) نافعٌ وكوفيٌّ غيرُ شعبةَ[2].

قولُـه تعالـى: (﴿فَأَحْيَيْنَـا بِـهِ﴾) أي: بالمَطَرِ النَّازلِ منـه، وذِكـرُ السَّـحابِ كذِكـرِهِ، أو: بالسَّـحابِ فإنَّه سببُ السَّببِ.

قولُه: (والإِحْيَاءُ) أي: مِثلُ إحياءِ المواتِ نشورُ الأمواتِ في صحَّةِ المقدوريَّةِ.

قولُه: (فلا تَنَالُ إلَّا مِنْهُ بِطَاعَتِهِ) وفي نسخةٍ: «فلا تُنَالُ منهُ إلَّا بطاعتِهِ»[3] والأُولى هي الأَولى.

قولُه: (يعلمُهُ) يعني: الصُّعودُ إليه مجازٌ عن علمِهِ، والمشهورُ عن المفسِّرينَ أنَّه مجازٌ عن القَبولِ، وفي «المداركِ»: إلى محَلِّ القَبولِ[4].

قولُه: (وَهُو: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ) اقتصَرَ عليه الجمهورُ من السَّلفِ[5]، وفي «المدارِكِ»: ﴿الْكَلِمُ الْطَّيِّبُ﴾:

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٧٣)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٩٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٠٣)، و«حجة القراءات» (ص: ١٥٩).

(٣) وهكذا هي في نسخ المتن.

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٧٩).

(٥) جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿كلمة طيبة﴾ [إبراهيم: ٢٤].

رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠٦٥٨)، والطبراني في «الدعاء» (١٥٩٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢٠٦)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ونحوُها ـ ﴿والعَمَلُ الصّالِحُ يَرفَعُهُ﴾: يقبله، ﴿والَّذِينَ يَمكُرُونَ﴾ المكَراتِ ﴿السَّيِّئاتِ﴾ بالنبيِّ في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذُكر في «الأنفال» ﴿لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ، ومَكرُ أُولئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يَهلِك.

١١ ـ ﴿واللهُ خَلَقَكُم مِن تُرابٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه، ﴿ثُمَّ مِن نُطفَةٍ﴾ أي: مَنِيٍّ بخلق ذُرِّيّته منها، ﴿ثُمَّ جَعَلَكُم أزواجًا﴾: ذُكورًا وإناثًا، ﴿وما تَحمِلُ مِن أُنثَى ولا تَضَعُ إلاّ بِعِلمِهِ﴾: حالٌ، أي: معلومةً له، ﴿وما يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ﴾ أي: ما يُزاد في عُمرِ طويلِ العُمر، ﴿ولا يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ﴾ أي: ذلك المُعمَّرِ أو مُعمَّرِ آخَرَ، ﴿إلاّ في كِتابٍ﴾، هو اللوح المحفوظ. ﴿إنَّ ذلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾: هيِّنٌ.

كلماتُ التَّوحيدِ؛ أي: لا إلهَ إلَّا الله[1]، فأشارَ إلى أنَّ الجمعَ باعتبارِ الذَّواتِ، ويحتمِلُ أن يكونَ باختلافِ الأوقاتِ.

قولُه: (ونَحْوُهَا) قالَ القاضِي[2]: وقيلَ: ﴿الكلم الطيب﴾ يتناولُ الذِّكرَ، والدُّعاءَ، وقراءةَ القرآنِ.

قولُه: (يَقْبَلُهُ) فالمُستكَنُّ للهِ، وعن ابنِ عبَّاسٍ وأكثرِ المفسِّرينَ: أنَّهُ لـ﴿الكلم﴾[3]، فإنَّ العملَ لا يُقبَلُ إلَّا بالتَّوحيدِ، وقيل: للعملِ فإنَّه يحقِّقُ الإيمانَ ويقوِّيه.

قولُه: (يَهلِكُ) أي: يفسُدُ ولا ينفُذُ؛ لأنَّ المقدَّرَ لا يتغيَّرُ.

قولُه: (ذُكُوراً) أو أصنافاً من عرَبٍ وعَجَمٍ.

قولُه: (طَوِيلِ العُمُرِ) أي: مِن مصيرِهِ إلى الكِبَرِ.

قولُه: (أي: ذَلِكَ المُعَمَّرِ) يعني: الزِّيادةُ والنُّقصَانُ في عمُرٍ واحدٍ بأسبابٍ مختلفةٍ أُثبِتَتْ في اللَّوحِ، مِثلَ أن يكونَ فيه: إن حَجَّ زيدٌ فعمرُهُ ستُّونَ، وإلَّا فأربعونَ.

وقيل: المرادُ بالنُّقصانِ: ما يمرُّ من عُمُرِه وينتقصُ، فإنَّه يُكتَبُ في صحيفَةِ عُمُرِه يوماً فيوماً، أو للمُعمَّرِ؛ أي: ذي عُمُرٍ، على التَّسامحِ فيه ثقةً بفهمِ السَّامعِ.

قولُه: (أو مُعَمَّرٍ آخَرَ) أي: مِن عُمُرِ المعمَّرِ لغيرِه، بأن يُعطى له عُمرٌ ناقصٌ من عمرِهِ، أو: لا يُنقَصُ من عُمُرِ المنقوصِ عمرُهُ بجعلِهِ ناقصاً، والضَّميرُ للمنقوصِ وإن لم يُذكَرْ؛ لدلالةِ مقابِلِه عليه.

قولُه: (هُوَ اللَّوحُ) أو الصَّحيفَةُ، أو عِلمُ اللهِ.

قولُه: (هَيِّنٌ) والإشارةُ إلى الحفظِ، أو الزِّيادةِ والنَّقصِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٧٩).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٥٥).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٤٥) عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة.

١٢ ـ ﴿وما يَستَوِي البَحرانِ، هذا عَذبٌ فُراتٌ﴾: شديد العُذوبة ﴿سائغٌ شَرابُهُ﴾: شُربه، ﴿وهذا مِلحٌ أُجاجٌ﴾: شديد المُلوحة، ﴿ومِن كُلٍّ﴾ منهما ﴿تأكُلُونَ لَحمًا طَرِيًّا﴾ هو السَّمك، ﴿وتَستَخرِجُونَ﴾ من المِلح، وقيل: منهما ﴿حِليَةً تَلبَسُونَها﴾ هي اللؤلؤ والمَرجان، ﴿وتَرَى﴾: تُبصِر ﴿الفُلكَ﴾: السُّفن ﴿فِيهِ﴾: في كُلّ منهما ﴿مَواخِرَ﴾: تمخر الماء، أي: تشقّه بجريها فيه مُقبِلة ومُدبرة بريح واحدة، ﴿لِتَبتَغُوا﴾: تطلبوا ﴿مِن فَضلِهِ﴾ ـ تعالى ـ بالتجارة، ﴿ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ﴾ اللهَ على ذلك.

١٣ ـ ﴿يُولِجُ﴾: يُدخِلُ اللهُ ﴿اللَّيلَ في النَّهارِ﴾ فيزيد، ﴿ويُولِجُ النَّهارَ﴾: يُدخِله ﴿في اللَّيلِ﴾ فيزيد، ﴿وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجرِي﴾ في فَلَكه ﴿لِأجَلٍ مُسَمًّى﴾: يومِ القيامة. ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم لَهُ المُلكُ، والَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَه ـ وهم الأصنام ـ ﴿ما يَملِكُونَ مِن قِطمِيرٍ﴾: لِفافة النواة، ١٤ ـ ﴿إن تَدعُوهُم لا يَسمَعُوا دُعاءَكُم، ولَو سَمِعُوا﴾ ـ فَرْضًا ـ ﴿ما استَجابُوا لَكُم﴾: ما أجابوكم، ﴿ويَومَ القِيامةِ يَكفُرُونَ بِشِركِكُم﴾: بإشراككم إياهم مع الله، أي: يتبرؤون منكم ومن عِبادتكم إياهم. ﴿ولا يُنَبِّئُكَ﴾ بأحوال الدارين ﴿مِثلُ خَبِيرٍ﴾: عالم، وهو الله تعالى.

١٥ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ، أنتُمُ الفُقَراءُ إلَى اللهِ﴾ بكُلّ حال، ﴿واللهُ هُوَ الغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الحَمِيدُ﴾ المحمود في صُنعه بهم، ١٦ ـ ﴿إن يَشَأ يُذهِبكُم ويأتِ بِخَلقٍ جَدِيدٍ﴾ بدلَكم، ١٧ ـ ﴿وما ذلِكَ علَى اللهِ بِعَزِيزٍ﴾: شديد.

قولُه: (شَدِيدُ العُذُوبَةِ) الَّذي يكسِرُ العطشَ.

قولُه: (شُربُهُ) أي: شُرْبُ شرابِهِ؛ إذِ السَّائغُ: الَّذي يسهُلُ انحدارُه.

قولُه: (شَدِيدُ المُلُوحَةِ) الَّذي يُحرِقُ لملوحتِهِ، مَثلٌ للمؤمنِ والكافرِ.

قولُه: (مِنَ المِلْحِ) فيه إشارةٌ لطيفةٌ إلى أنَّ الحِليَةَ زينةُ الكفَّارِ غالباً.

قولُه: (وقِيلَ: مِنهُمَا) وهو الظَّاهرُ من ﴿كُلٍّ﴾.

قولُه: (برِيْحٍ وَاحِدَةٍ) أو برياحٍ مختلِفَةٍ.

قولُه: (بالتِّجَارَةِ) والنُّقلَةِ فيها.

قولُه: (يَومِ القِيَامَةِ) أو مدَّةَ دورِ كُلٍّ، أو منتهاهُ.

قولُه: (مَا أَجَابُوكُم) لعَدَمِ قُدرَتِهم.

قولُه: (عَالِم) بها أخبرَكَ.

قولُه: (بَدَلَكُم) أي: بقومٍ آخرينَ أطوَعَ منكم، أو بعالَمٍ آخرَ غيرَ ما تعرفونَهُ.

قولُه: (شَدِيدٍ) أي: متعذِّرٍ أو متعسِّرٍ.

١٨ ـ ﴿ولا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وازِرةٌ﴾: آثمة، أي: لا تحمل ﴿وِزرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخرَى، وإن تَدعُ﴾ نفسٌ ﴿مُثقلَةٌ﴾ بالوِزر ﴿إلَى حِملِها﴾ منه أحدًا ليحمل بعضَه ﴿لا يُحمَلْ مِنهُ شَيءٌ، ولَو كانَ﴾ المدعوُّ ﴿ذا قُربَى﴾: قرابةٍ كالأب والابن. وعدمُ الحمل في الشِّقَّين حُكمٌ من الله. ﴿إنَّما تُنذِرُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه لأنهم المنتفعون بالإنذار، ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾: أداموها، ﴿ومَن تَزَكَّى﴾: تطهّرَ من الشِّرك وغيره ﴿فإنَّما يَتَزَكَّى لِنَفسِهِ﴾: فصلاحهُ مُختصّ به، ﴿وإلَى اللهِ المَصِيرُ﴾: المَرجِعُ فيَجزي بالعمل في الآخرة.

١٩ ـ ﴿وما يَستَوِي الأعمَى والبَصِيرُ﴾: الكافر والمؤمن، ٢٠ ـ ﴿ولا الظُّلُماتُ﴾: الكُفر ﴿ولا النُّورُ﴾: الإيمان، ٢١ ـ ﴿ولا الظِّلُّ ولا الحَرُورُ﴾: الجنّة والنار، ٢٢ ـ ﴿وما يَستَوِي الأحياءُ ولا الأمواتُ﴾: المؤمنون والكُفّار. وزيادة «لا» في الثلاثة تأكيد...

قولُه: (نَفْسٌ) أي: إِثْمَ نَفْسٍ[١].

قولُه: (مِنْهُ) أي: إلى أن تحمِلَ حِملَها.

قولُه: (المَدْعُوُّ) أو الدَّاعي، يدلُّ عليه: ﴿وإِنْ تَدْعُ﴾.

قولُه: (في الشِّقَّينِ) يعني: نَفى أن يحمِلَ عنها ذَنْبَها كما نفى أن يَحمِلَ عليها ذَنْبَ غيرِها.

قولُه: (ومَا رَأَوْهُ) أي: غائبينَ عن عذابِهِ، أو: غائِباً عنهم عذابُهُ.

وقيلَ: غائبينَ عن النَّاسِ في خَلَواتِهِم كما يخشَونَ في جَلَواتِهِم.

قولُه: (لأنَّهُم) تَعليلٌ للتَّخصيصِ المفهومِ من الحصْرِ.

قولُه: (فَصَلاحُهُ) أي: نفعُهُ.

قولُه: (الكَافِرُ) وقيلَ: مَثَلانِ للصَّنَمِ وله تَعالى.

قولُه: (الكُفْرُ) أو الباطِلُ.

قولُه: (الإِيمَانُ) أو الحقُّ.

قولُه: (الجَنَّةُ) أو الثَّوابُ والعِقابُ.

قولُه: (في الثَّلاثَةِ) يعني: المواضِعَ الثَّلاثةَ مكرَّرةً في الأوَّلينِ وغيرَ مكرَّرةٍ في الأخيرِ، فشملَ التَّأكيدَ والزِّيادةَ اللَّذينِ أشارَ إليهما البيضاويُّ بقولِهِ: و﴿لا﴾ لتأكيدِ نفيِ الاستواءِ وتكريرُها على الشِّقَّينِ لزيادةِ

---

(١) أي: ولا تحملُ نفسٌ آثمةٌ إثمَ نفسٍ أُخرى.

﴿إنَّ اللهَ يُسمِعُ مَن يَشاءُ﴾ هِدايتَه فيُجيبه بالإيمان، ﴿وما أنتَ بِمُسمِعٍ مَن في القُبُورِ﴾ أي: الكُفّارَ. شبّههم بالموتى، فلا يجيبون. ٢٣ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿أنتَ إلاّ نَذِيرٌ﴾: مُنذرٌ لهم.

٢٤ ـ ﴿إنّا أرسَلْناكَ بالحَقِّ﴾: الهُدى ﴿بَشِيرًا﴾ مَن أجاب إليه، ﴿ونَذِيرًا﴾ مَن لم يُجب إليه، ﴿وإنْ﴾: ما ﴿مِن أُمّةٍ إلاّ خَلا﴾: سلفَ ﴿فِيها نَذِيرٌ﴾: نبيٌّ يُنذرها، ٢٥ ـ ﴿وإن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهلُ مكّة ﴿فقَد كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، جاءَتْهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: المُعجزات ﴿وبِالزُّبُرِ﴾ كصُحف إبراهيم ﴿وبِالكِتابِ المُنِيرِ﴾ هو التوراة والإنجيل ـ فاصبر كما صبروا ـ ٢٦ ـ ﴿ثُمَّ أخَذتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتكذيبهم، ﴿فكَيفَ كانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم بالعُقوبة والإهلاك؟ أي: هو واقعٌ موقعه.

٢٧ ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أنَّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فأخرَجْنا﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة ـ ﴿بِهِ ثَمَراتٍ مُختَلِفًا ألوانُها﴾ كأخضرَ وأحمرَ وأصفرَ وغيرِها، ﴿ومِنَ الجِبالِ جُدَدٌ﴾: جمع جُدّةٍ: طريقٍ في الجبل وغيرِه، ﴿بِيضٌ وحُمرٌ﴾ وصفر ﴿مُختَلِفٌ ألوانُها﴾ بالشِّدّة والضعف، ﴿وغَرابِيبُ سُودٌ﴾: عطف على «جدد» ....

التَّأكيدِ(١)؛ لأنَّ زيادةَ التَّأكيدِ تأكيدٌ.

قولُه: (بالهُدَى) أي: بالدِّينِ الحقِّ، فهو مفعولٌ به، أو: مُحِقِّينَ، أو: مُحِقًّا، أو: إرسالاً مصحوباً بالحقِّ.

قولُه: (سَلَفَ) ومَضَى.

قولُه: (نَبِيٌّ يُنذِرُهَا) أو عالِمٌ ينذرُها نيابَةً عنه، والاكتفاءُ بذكرِه(٢)؛ للعِلمِ بالقرينَةِ، ولأنَّ الإنذارَ هو المقصودُ الأهمُّ من البعْثَةِ، أو هو المقدَّمُ بمنزلَةِ الاحتماءِ والتَّخليَةِ.

قولُه: (المُعجِزَاتِ) الشَّاهدَةِ على نُبوَّتِهم.

قولُه: (كصُحُفِ إبْرَاهِيمَ) وزَبورِ داودَ.

قولُه: (وغَيْرِها) أو المرادُ بـ﴿ألوانُها﴾: أجناسُها، أو: أصنافُها على أنَّ كلًّا منها لها أصنافٌ.

قولُه: (جُدَّةٍ) بالضَّمِّ.

قولُه: (طَرِيقٍ) أي: خطٌّ.

قولُه: (وصُفرٌ) وخُضرٌ.

قولُه: (عَلَى ﴿جُدَدٌ﴾) والأقربُ: على ﴿بِيضٌ﴾.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٥٧).

(٢) أي: بذكر النذير وعدم اقترانه بالبشير.

أي: صخورٌ شديدة السواد ـ يقال كثيرًا: أسودُ غِربيبٌ، وقليلاً: غِربيبٌ أسودُ ـ ٢٨ ـ ﴿ومِنَ النّاسِ والدَّوابِّ والأنعامِ مُختلِفٌ ألوانُهُ كَذلِكَ﴾: كاختلاف الثِّمار والجِبال؟ ﴿إنَّما يَخشَى اللهَ مِن عِبادِهِ العُلَماءُ﴾ بخِلاف الجُهّال ككُفّار مكّة. ﴿إنَّ اللهَ عَزيزٌ﴾ في مُلكه ﴿غَفورٌ﴾ لذُنوب عِباده المؤمنين.

٢٩ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يَتلُونَ﴾: يقرؤون ﴿كِتابَ اللهِ، وأَقامُوا الصَّلاةَ﴾: أداموها ﴿وأنفَقُوا مِمّا رَزَقْناهُم سِرًّا وعَلانِيةً﴾ زكاةً وغيرها، ﴿يَرجُونَ تِجارةً لَن تَبُورَ﴾: تَهلِك، ٣٠ ـ ﴿لِيُوَفِّيَهُم أُجُورَهُم﴾: ثواب أعمالِهم المذكورة، ....

قولُه: (أي: صُخُورٌ) كأنَّه قيل: ومن الجبالِ ذُو جُدَدٍ ومختلفُ اللَّونِ، ومنها غرابيبُ متَّحِدَةُ اللَّونِ.

قولُه: (أَسوَدُ غِرْبِيبٌ) فإنَّ حَقَّ التَّأكيدِ أن يَتْبَعَ المؤكَّدَ.

قولُه: (وقَلِيلاً) في «القاموسِ»: ﴿سود﴾: بدلٌ؛ لأنَّ توكيدَ الألوانِ لا يتقدَّمُ[1]. ولعلَّ العُدولَ عن الكَثيرِ مراعاةٌ للفاصلةِ.

قولُه: (بخِلافِ الجُهَّالِ) إذ شرطُ الخشيَةِ معرِفَةُ المخشِيِّ، والعلمُ بصفاتِهِ وأفعالِهِ، فمَن كانَ أعلمَ به كانَ أخشى له، ولذا قالَ ﷺ: «إنِّي أعلمُكُم باللهِ وأخْشَاكُم لَهُ»[2]، ولذا أتبعَهُ ذِكرَ أفعالِهِ الدَّالَّةِ على كمالِ قدرتِهِ، وتقديمُ المفعولِ لأنَّ المقصودَ حَصرُ الفاعليَّةِ، ولو أُخِّرَ انعكسَ الأمرُ.

وقُرِئَ برفعِ اسمِ (اللهُ) ونصْبِ: (العلماءَ)[3] على أنَّ الخشيةَ مستعارَةٌ للتَّعظيمِ، فإنَّ المعظَّمَ يكونُ مَهيباً، ولذا قيل: الخشيةُ خوفٌ معَ تعظيمٍ، فحيثُ استُعمِلَ في أحدِهِما يكونُ تجريداً.

قولُه: (يَقرَؤُونَ) يداومونَ على قراءَتِهِ ـ أو متابَعَةِ ما فيهِ ـ حتَّى صارَ سَمْتاً لهم وعُنواناً.

قولُه: (زَكَاةً وغَيْرَهَا) أي: كيفَ اتَّفق مِن غيرِ قصدٍ إليهما.

وقيل: السِّرُّ في المسنونَةِ، والعلانيَةُ في المفروضَةِ.

قولُه: (تَهلِكَ) وتَكْسدَ، والمرادُ بالتِّجارةِ: تحصيلُ الثَّوابِ بالطَّاعةِ.

قولُه: (ثَوَابَ أعْمَالِهِم) عِلَّةٌ لمدلولِ ما عُدَّ من أفعالِهم نحوَ: فعَلوا ذلك، أو عاقبةٌ لـ﴿يرجُونَ﴾[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٤٩١٢) من حديث عائشة رضي الله عنها. ورواه البخاري (٢٠) من وجه آخر عنها، بلفظ: «إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا». ورواه مسلم (١١١٠) من وجه آخر أيضاً عنها بلفظ: «والله، إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي».

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٣٩٦) ونسبت لعمر بن عبد العزيز وأبي حنيفة.

(٤) الكلام هنا عن قوله تعالى: ﴿ليوفيهم أجورهم﴾، فهو إما علة لمدلولِ ما عدَّ مِن أفعالِهم نحو: فَعَلوا ذلك ليوفِّيَهُم، أو عاقبةٌ =

﴿ويَزِيدَهُم مِن فَضلِهِ. إنَّهُ غَفُورٌ﴾ لذُنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعتهم.

٣١ ـ ﴿والَّذِي أَوحَينا إلَيكَ مِنَ الكِتابِ﴾: القُرآنِ ﴿هُوَ الحَقُّ، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾: تقدَّمَه من الكُتب ـ ﴿إنَّ اللهَ بِعِبادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾: عالم بالبواطن والظواهر ـ ٣٢ ـ ﴿ثُمَّ أَورَثْنا﴾: أعطينا ﴿الكِتابَ﴾: القُرآنَ ﴿الَّذِينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا﴾ وهم أُمّتك، ﴿فمِنهُم ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به، ﴿ومِنهُم مُقتَصِدٌ﴾ يعمل به في أغلب الأوقات، ﴿ومِنهُم سابِقٌ بِالخَيراتِ﴾ يضمّ إلى العمل به التعليمَ والإرشاد إلى العمل ﴿بِإذنِ اللهِ﴾: بإرادته. ....

قولُه: (لذُنُوبِهِم) أي: فَرَطاتِهِم.

قولُه: (لطَاعَتِهِم) أي: مجازيهِم عليها، وقالَ سهلٌ[1]: غفورٌ لذنوبٍ كثيرةٍ، شَكورٌ لأعمالٍ يسيرةٍ.

قولُه: (أَعْطَيْنَا) أي: عطاءً بلا كَدٍّ وتعَبٍ كالإرْثِ.

قولُه: (وَهُم أُمَّتُكَ) يعني: ﴿الَّذينَ اصطفيْنَا﴾، وعليه الجمهورُ، و﴿مِنْ﴾ للتَّبيينِ أو للتَّبعيضِ.

قولُه: (وَهُم أُمَّتُكَ) يعني: أُمَّةَ الإجابةِ، فإنَّ اللهَ اصطَفاهُم على سائرِ الأمَمِ، أو المرادُ: عُلَماءُ الأُمَّةِ من الصَّحابَةِ ومن بعدَهُم.

قولُه: (يَضُمُّ) ظاهرُ التَّقسيمِ أن يقولَ: السَّابقُ: دائمُ العملِ، أو يقالَ: الظَّالمُ: الجاهلُ العاملُ، والمقتصدُ: العالِمُ العاملُ، والسَّابقُ: العالمُ العاملُ المعلِّمُ، وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ: الظَّالمُ أنا والمقتصدُ أنا، والسَّابقُ أنا، فقيلَ له: كيفَ ذلك؟ قالَ: أنا الظَّالِمُ بمعصيَتي، ومقتصدٌ بتوبَتي، وسابقٌ بمحبَّتي[2].

فأشارَ ـ كرَّمَ اللهُ وجهَهُ ـ إلى وجْهٍ لطيفٍ وشريفٍ، وهو أنَّهُ قد تختَلِفُ الصِّفاتُ باختلافِ الحالاتِ والمقاماتِ.

وقيل: الظَّالِمُ يجزَعُ عندَ البلاءِ، والمقتصِدُ يصبِرُ، والسَّابقُ يتلذَّذُ.

وقيل: الظَّالمُ: الزَّاهدُ، والمقتصدُ: العارفُ، والسَّابقُ: المحِبُّ.

= لـ﴿يرجون﴾. هكذا ذكره البيضاوي لكنه قدم عليه قوله: «﴿لن تبور﴾: لن تكسدَ ولن تهلكَ بالخُسرانِ، صِفَةٌ للتِّجارَةِ، وقوله: ﴿ليوفيهم أجورهم﴾ عِلَّةٌ لمدلولِه؛ أي: يَنتَفِي عنها الكسادُ وتَنْفُقُ عندَ اللهِ ليوفيَهُم بنَفَاقِها أجورَ أعمالِهم، أو لمدلولِ ما عدَّ مِن أفعالِهم...» إلى باقي ما ذُكر.

(١) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٢٩).

(٢) لم أقف عليه.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: إيراثهم الكِتابَ ﴿هُوَ الفَضۡلُ الكَبِيرُ﴾.

٣٣ـ ٣٤ـ ﴿جَنَّاتُ عَدۡنٍ﴾ أي: إقامةٍ، ﴿يَدۡخُلُونَهَا﴾، أي: الثلاثةُ ـ بالبناء للفاعل وللمفعول:.....

وقيلَ: المرادُ بهم: الواعظُ بلسانِهِ وبعمَلِهِ[1] وبسرِّهِ، وقيلَ: الجاهلُ والمتعلِّمُ والعالِمُ، وقيلَ: صاحبُ الكبيرةِ والصَّغيرةِ والمجتَنِبُ عنهما.

وقيل: السَّابقُ: الَّذي اشتغَلَ بمعادِهِ عن معاشِهِ، والمقتصدُ: الَّذي اشتغَلَ بمعاشِهِ ومعادِهِ، والظَّالمُ: الَّذي اشتغَلَ بمعاشِهِ عن معادِهِ.

وقيل: الظَّالمُ: من أخذَ الدُّنيا حَلالاً كانَ أو حراماً، والمقتصدُ: من يجتهِدُ أن لا يأخُذَها إلَّا من حلالٍ، والسَّابقُ: من أعرَضَ عنها جملَةً.

وقيل: الظَّالِمُ: طالبُ الدُّنيا، والمقتَصِدُ: طالبُ العُقْبى، والسَّابقُ: طالبُ المولى.

وقالَ ابنُ عطاءٍ[2]: إنَّما قدَّمَ الظَّالِمَ لئلَّا ييأسَ من فضلِهِ، وقيل: لأنَّ أوَّلَ الأحوالِ معصيةٌ ثمَّ توبةٌ ثمَّ استقامةٌ، وقيل: للإيذانِ بكثرةِ الظَّالمينَ، وأنَّ المقتَصِدينَ قليلٌ بالإضافةِ إليهم، والسَّابقونَ أقلُّ من القَليلِ.

قولُه: (أي: **إِيرَاثُهُم**) أو الاصطفاءُ، أو السَّبْقُ.

قولُه: (أي: **الثَّلَاثَةُ**) في الحديثِ المرفوعِ: «سَابِقُنَا سابِقٌ، ومُقتَصِدُنَا ناجٍ، وظالِمُنا مغفُورٌ لَهُ»[3]، وفي «الكشفِ»[4]: عن التِّرمذيِّ عن أبي سعيدٍ عن رسولِ اللهِ ﷺ قالَ في هذهِ الآيةِ: «هَؤُلاءِ كُلُّهُم بمنزلَةٍ واحدةٍ، وكلُّهُم في الجنَّةِ»[5]، أقولُ: «وكلُّهُم» عطفٌ تفسيريٌّ، انتهى.

قولُه: (**والمَفعُولِ**) بصرِيٌّ[6].

---

(١) في (د): «وبعلمه».

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (ص: ١٦٣).

(٣) رواه العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٤٤٣)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٢/ ٢٠٤) (٢٣٦٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦١)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٠٥) من حديث عمر رضي الله عنه.

وقال العقيلي: وهذا يروى من غير هذا الوجه بنحو هذا اللفظ بإسناد أصلح من هذا.

وقال البيهقي: فيه إرسال بين ميمون بن سياه وبين عمر رضي الله عنه. وروي من وجه آخر غير قوي، عن عمر موقوفاً عليه.

والموقوف رواه سعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٦٢).

(٤) هو «الكشف على الكشاف» للقزويني، وانظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٦٥٧).

(٥) رواه الترمذي (٣٢٢٥) وقال: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٣٤)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٩٢).

خبرُ «جنّاتُ» المبتدأِ ـ ﴿يُحَلَّونَ﴾: خبرٌ ثانٍ ﴿فِيها مِن﴾: بعضَ ﴿أساوِرَ مِن ذَهَبٍ ولُؤلُؤٍ﴾ مُرصّعٍ في الذهب، ﴿ولِباسُهُم فِيها حَرِيرٌ، وقالُوا: الحَمدُ لِلهِ الَّذِي أذهَبَ عَنّا الحَزَنَ﴾ جميعَه ـ ﴿إنَّ رَبَّنا لَغفُورٌ﴾ للذُّنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للطاعات ـ ٣٥ ـ ﴿الَّذِي أحَلَّنا دارَ المُقامةِ﴾ أي: الإقامة ﴿مِن فَضلِهِ، لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ﴾: تعب، ﴿ولا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾: إعياءٌ من التعب لعدم التكليف فيها. وذُكر الثاني التابعُ للأوّل للتصريح بنفيه.

٣٦ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم نارُ جَهَنَّمَ، لا يُقضَى علَيهِم﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا، ﴿ولا يُخَفَّفُ عَنهُم مِن عَذابِها﴾ طَرْفةَ عين ـ ﴿كَذلِكَ﴾ كما جزَيناهم ﴿يُجزَى كُلُّ كَفُورٍ﴾: كافر. بالياء، والنونِ المفتوحة مع كسر الزاي ونصب «كُلَّ» ـ..................................

قولُه: (خَبَرٌ ثَانٍ) أو حالٌ مقدَّرةٌ.

قولُه: (بَعضَ) و﴿مِنْ﴾ الثَّانيةُ بيانٌ.

قولُه: (مُرَصَّعٍ) أي: اللُّؤلؤُ؛ يعني: ﴿لؤلؤٍ﴾ بالجرِّ عطفٌ على ﴿ذَهَبٍ﴾؛ أي: ذهبٍ مُرَصَّعٍ باللُّؤلؤِ، أو مِن ذَهَبٍ في صفاءِ اللُّؤلؤِ، ونصبَهُ نافعٌ وعاصمٌ[1] عطفاً على محلِّ: ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾.

قولُه: (جَمِيعَهُ) الشَّامِلَ لحَزَنِ الموتِ، وخوفِ العاقبةِ، وهَمِّ المعاشِ، ووسوسَةِ إبليسَ، وقيلَ: حَزَنِ القطيعةِ، وقيلَ: المحاسبة، وقد أكثَروا حتَّى قالَ بعضُهم: كِرَى الدَّارِ، وقيلَ: التَّحويل، ومعناهُ: أنَّه يعمُّ كلَّ حَزَنٍ من أحزانِ الدِّينِ والدُّنيا حتَّى هذا.

قولُه: (إِعيَاءٌ) وكَلالٌ.

قولُه: (لعَدَمِ التَّكلِيفِ) والكَدِّ.

قولُه: (للتَّصْرِيحِ بنَفيِهِ) مبالغةً.

قولُه: (ليَسْتَرِيحُوا) الظَّاهرُ: فيستَريحوا، ونَصْبُهُ بإضمارِ: أَنْ.

قولُه: (طَرْفَةَ عَيْنٍ) بل كُلَّما خَبَتْ زِيدَ إسعارُها.

قولُه: (كَمَا جَزَيْنَاهُم) الصَّوابُ: مثلَ ذلك الجزاءِ.

قولُه: (كَافِرٍ) فيه إشارةٌ إلى الرَّدِّ على القاضي حيثُ قالَ: مبالِغٍ في الكُفْرِ[2].

قولُه: (باليَاءِ) المضمومةِ وفتحِ الزَّاي، ورفعِ (كُلُّ) بصريٌّ.

---

(١) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٥٩٣)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٤٨٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٦٠).

٣٧ ـ ﴿وهُم يَصطَرِخُونَ فِيها﴾: يستغيثون بشِدّة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنا، أخرِجْنا﴾ منها، ﴿نَعمَلْ صالِحًا غَيرَ الَّذِي كُنّا نَعمَلُ﴾. فيقال لهم: ﴿أوَلَم نُعَمِّرْكُم ما﴾: وقتًا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ، وجاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ الرسول فما أجبتم؟ ﴿فذُوقُوا. فما لِلظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿مِن نَصِيرٍ﴾: يدفع العذاب عنهم.

٣٨ ـ ﴿إنَّ اللهَ عالِمُ غَيبِ السَّماواتِ والأرضِ ـ إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوب. فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس ـ ٣٩ ـ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُم خَلائفَ في الأرضِ﴾: جمع خليفة، أي: يخلف بعضكم بعضًا. ﴿فمَن كَفَرَ﴾ منكم ﴿فعَلَيهِ كُفرُهُ﴾ أي: وبال كُفره، ﴿ولا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفرُهُم عِندَ رَبِّهِم إلاّ مَقتًا﴾: غضبًا، ﴿ولا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفرُهُم إلاّ خَسارًا﴾ لِلآخرة.

٤٠ ـ ﴿قُلْ: أرَأيتُم شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ـ وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاءُ الله تعالى ـ ﴿أرُونِي﴾: أخبِروني ﴿ماذا خَلَقُوا مِنَ الأرضِ؟ أم لَهُم شِركٌ﴾: شَرِكة مع الله ﴿في﴾ خلق ﴿السَّماواتِ؟ أم آتيناهُم كِتابًا فهُم علَى بَيِّنةٍ﴾:.........................

قولُه: (عَوِيْلٍ) صِياحٍ.

قولُه: (وَقْتاً) فُسِّرَ في حديثٍ مرفوعٍ بالسِّتِّينَ[1]، وعنِ ابنِ عبَّاسٍ: أربعونَ[2]، كذا في «المبهماتِ»[3].

قولُه: (الرَّسُولُ) أو الكتابُ، وقيلَ: العقلُ، أو الشَّيبُ، أو موتُ الأقرانِ.

قولُه: (غَضَباً) أي: شديداً؛ لأنَّ المَقتَ أشَدُّ البُغضِ، والتَّكريرُ للدَّلالةِ على أنَّ اقتضاءَ الكُفرِ لكلِّ واحدٍ مِنَ الأمرينِ مستَقِلٌّ باقتضاءِ قُبْحِهِ ووجوبِ التَّجنُّبِ عنه، ويمكنُ أن يكونَ الأوَّلُ للمعانِدينَ والمنافقينَ، والثَّاني لغيرِهِم.

قولُه: (أَخبِرُونِي) ظاهرُه أنَّه تأكيدٌ، وقالَ القاضي: بدلٌ من: ﴿أَرَأَيْتُم﴾ بدلَ الاشتمالِ؛ لأنَّه بمعنى: أخبروني، كأنَّه قالَ: أخبروني عن هؤلاءِ الشُّركاءِ، أروني أيَّ جُزْءٍ من الأرضِ استبدُّوا بخلقِهِ[4]؟!

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٩٢٥)، وفي «المعجم الكبير» (١١/ ١٧٧) (١١٤١٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٧): فيه إبراهيم بن الفضل المخزومي وهو ضعيف.

وروى البخاري (٦٤١٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «أعذر الله إلى امرئ أخَّر أجله، حتى بلَّغَه ستِّين سنة».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧٧).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٨٩).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٦١).

حُجّة ﴿مِنهُ﴾ بأنّ لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك. ﴿بَل إنْ﴾: ما ﴿يَعِدُ الظّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿بَعضُهُم بَعضًا إلاّ غُرُورًا﴾: باطلاً بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

٤١ - ﴿إنَّ اللهَ يُمسِكُ السَّماواتِ والأرضَ أن تَزُولا﴾ أي: يمنعُهما من الزوال، ﴿ولَئِنْ﴾ - لامُ قسم - ﴿زالَتا إنْ﴾: ما ﴿أمسَكَهُما﴾: يُمسِكُهما ﴿مِن أحَدٍ مِن بَعدِهِ﴾ أي: سواه. ﴿إنَّهُ كانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ في تأخير عِقاب الكُفّار.

٤٢ - ﴿وأقسَمُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿بِاللهِ جَهدَ أَيمانِهِم﴾ أي: غايةَ اجتهادهم فيها - ﴿لَئِن جاءَهُم نَذِيرٌ﴾: رسول - ﴿لَيَكُونُنَّ أهدَى مِن إحدَى الأُمَمِ﴾: اليهود والنصارى وغيرهما، أي: أيِّ واحدة منهما لِما رأَوا من تكذيب بعضهم بعضًا، إذ «قالَتِ اليَهُودُ: لَيسَتِ النَّصارَى علَى شَيءٍ. وقالَتِ النَّصارَى: لَيسَتِ اليَهُودُ علَى شَيءٍ»، ﴿فلَمّا جاءَهُم نَذِيرٌ﴾ مُحمّد ﷺ ﴿ما زادَهُم﴾ مجيئُه ﴿إلاّ نُفُورًا﴾: تباعُدًا عن الهُدى،

قولُه: (حُجَجٍ) نافعٌ والشّاميُّ وشعبةُ والكسائيُّ بالجمعِ[1]، والضَّميرُ للمشركين؛ لقولِه: ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ [الروم: ٣٥]، ويجوزُ أن يكون للآلهةِ.

قولُه: (لا شَيءَ مِنْ ذَلِكَ) إشارةٌ إلى أنَّ الاستفهامَ للإنكارِ.

قولُه: (الأَصنَامُ) أو: لا بَعثَ.

قولُه: (يَمْنَعُهما) لأنَّ الإمساكَ مَنعٌ، أو: كراهةَ أن تَزولا، أو: لئلّا تزولا.

قولُه: (لامُ قَسَمٍ) موطِّئةٌ، وقوله: ﴿زَالَتَا﴾ أي: أرادَتا الزَّوالَ، أو: ﴿زالَتَا﴾ حقيقةً، والإمساكُ بمعنى: الإقامةِ.

قولُه: (سِوَاهُ) أو من بعدِ الزَّوالِ، والجملةُ سادَّةٌ مَسدَّ الجوابَينِ، و﴿مِنْ﴾ الأُولى زائدةٌ، والثَّانيةُ للابتِداءِ.

قولُه: (في تَأخِيرِ) متعلِّقٌ بـ﴿حَلِيمًا﴾ يعني: حيثُ أمسكَهُما وكانَتا جَديرَتَينِ بأنْ تُهَدَّا هَدًّا كما قالَ تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠]، وأمَّا قولُهُ تعالى: ﴿غَفُوراً﴾ أي: للمؤمنينَ، أو: لمن تابَ من الكافرينَ.

قولُه: (أي: أَيِّ وَاحِدَةٍ) إشارةٌ إلى عَدَمِ تَعيينِ الواحدةِ، بخلافِ عبارةِ البيضاويِّ: أي: من واحِدةٍ من الأُمَمِ[2]. فإنَّها مُوهِمَةٌ.

قولُه: (مَجِيئُهُ) على التَّسبُّبِ، أو: النَّذيرُ، وهو الأظهرُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٣٥)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٩٤).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٦١).

٤٣ ـ ﴿اسْتِكْبارًا في الأرضِ﴾ عن الإيمان: مفعولٌ له ﴿ومَكْرَ﴾ العملِ ﴿السَّيِّئِ﴾ من الشِّرك وغيره، ﴿ولا يَحِيقُ﴾: يُحيط ﴿المَكْرُ السَّيِّئُ إلاّ بِأهلِهِ﴾ وهو الماكرُ. ووصفُ المكر بالسيّئ أصل، وإضافته إليه قبلُ استعمالٌ آخر قُدّر فيه مضافٌ حذرًا من الإضافة إلى الصفة.

﴿فهَل يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ﴿إلاّ سُنّةَ الأوَّلِينَ﴾: سُنّة اللهِ فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلَهم؟ ﴿فلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللهِ تَبدِيلاً، ولَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللهِ تَحوِيلاً﴾ أي: لا يُبدَّل بالعذاب غيرُه، ولا يُحوَّل إلى غير مُستحِقّه. ٤٤ ـ ﴿أوَلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم، وكانُوا أشَدَّ مِنهُم قُوّةً﴾ فأهلكَهم الله بتكذيبهم رسلَهم؟ ﴿وما كانَ اللهُ لِيُعجِزَهُ مِن شَيءٍ﴾: يَسبِقَه ويفوته ﴿في السَّماواتِ ولا في الأرضِ. إنَّهُ كانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياء كُلّها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

٤٥ ـ ﴿ولَو يُؤاخِذُ اللهُ النّاسَ بِما كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿ما تَرَكَ عَلَى ظَهرِها﴾ أي: الأرضِ ﴿مِن دابّةٍ﴾: نَسَمة..

قولُه: (مَفعُولٌ لَهُ) أو بدلٌ من: ﴿نُفُوراً﴾.

قولُه: (حَذَراً) على مذهَبِ البصريينَ.

قولُه: (أي: لا يُبَدَّلُ) مجهولٌ نائبُهُ (غَيرُهُ).

قولُه: (بالعَذَابِ غَيرُهُ) فيه: أنَّ الحُكمَ بالعكسِ، وهو أنّه لا يبدَّلُ العذابُ بغيرِهِ، وكأنّه تَبعَ البيضاويَّ حيثُ قالَ: إذ لا يبدِّلُها بجعلِ غير التَّعذيبِ تعذيباً[1]. قالَ سعدي جلبي: فيه: أنَّ المعنى على العَكْسِ بأن يرحمَهُم مثلاً بَدَلَ التَّعذيبِ[2].

قولُه: (ولا يُحَوَّلُ) بأن ينقلَهُ من المكذِّبينَ إلى غيرِهِم، قالَ صاحبُ «المدارِكِ»: أي: لا يبدلُها في ذاتِها ولا يحوِّلُها عن أوقاتِها[3].

قولُه: (﴿دابَّةٍ﴾ نَسَمَة) النَّسمةُ: الرُّوحُ نفسُهُ والإنسان، كذا في «القاموسِ»[4]، فـ«أنوار التنزيل»: الدَّابَّة:

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٦١). قال الشهاب في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (٧/ ٢٣٠): قوله: «إذ لا يبدلها الخ» إشارة إلى عدم التكرار، فتبديلها بجعل غير التعذيب ـ وهو الرحمة ـ مكان التعذيب، هذا مراده، وهو على ما في بعض النسخ من سقوط قوله: «تعذيباً» ظاهر وعليها فـ«غير التعذيب» مفعول ثان، و«تعذيباً» مفعول أوّل؛ أي: بجعل التعذيب غيره؛ أي: رحمة، فسقط ما قيل: إنّ المعنى على العكس بأن يرحمهم بدل تعذيبه.

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٩٣).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١٦٢).

تدِبّ عليها، ﴿ولكِن يُؤخِّرُهُم إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: يومِ القيامة. ﴿فإذا جاءَ أجَلُهُم فإنَّ اللهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيرًا﴾ فيُجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعِقاب الكافرين.

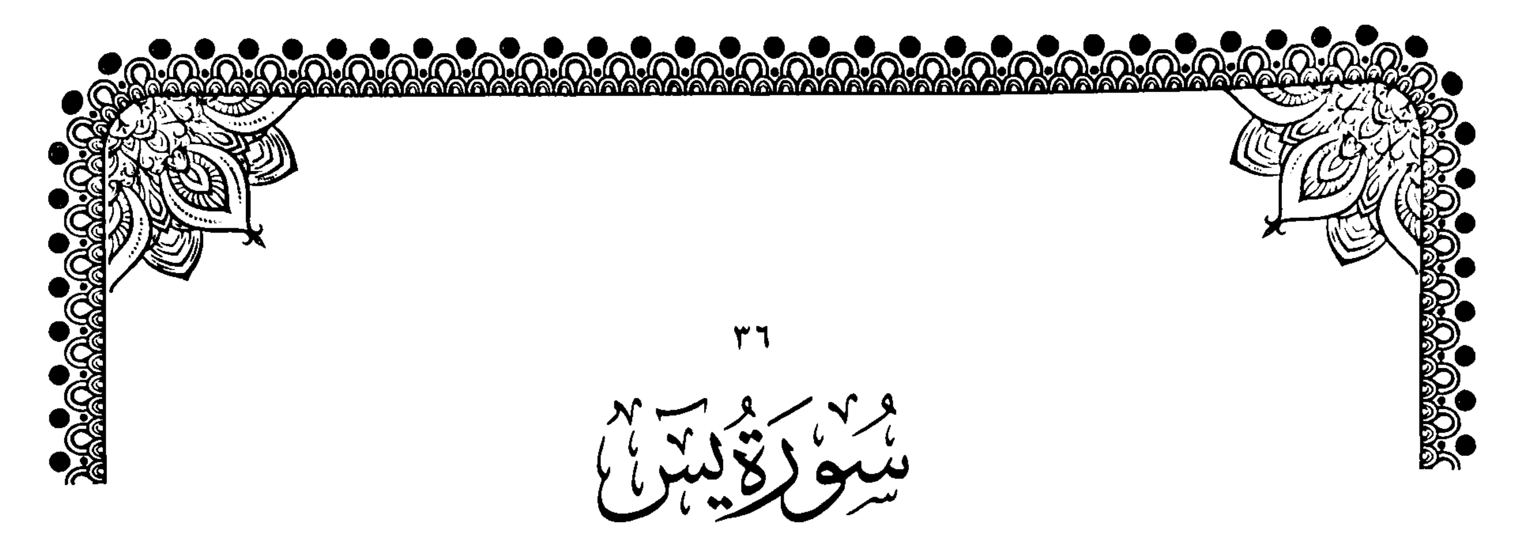
بنسمةٍ[١]. غيرُ ظاهرٍ.

قولُه: (عَلَيهَا) بشؤمِ مَعاصيهِم.

وقيل: المرادُ بالدَّابَّةِ: الإنسُ وحدَهُ؛ لِمَا بعدَهُ، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

* * *

(١) في (د): «فتفسير البيضاوي». وانظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٦٢).



٣٦

سورة يس

مكية، أو إلاّ قوله «وإذا قيل لهم انفقوا» الآيةَ، أو مدنية، ثنتان [أو ثلاثٌ] وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يس﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿والقُرآنِ الحَكِيمِ﴾: المُحكَم بعجيب النظم وبديع المعاني، ٣ ـ ٤ ـ ﴿إنَّكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿لَمِنَ المُرسَلِينَ، علَى﴾: مُتعلّق بما قبله ﴿صِراطٍ مُستَقِيم﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك التوحيدِ والهدى. والتأكيدُ بالقسم وغيره ردّ لقول الكُفّار له: «لَستَ مُرسَلاً». ٥ ـ ﴿تَنزيلُ العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿الرَّحِيمِ﴾ بخلقه: خبرُ مبتدأ مُقدَّر، أي: القُرآنُ، ٦ ـ ﴿لِتُنذِرَ﴾ به ﴿قَومًا﴾: مُتعلّق بـ «تنزيل»، ﴿ما أُنذِرَ آباؤُهُم﴾ أي: لم يُنذَروا في زمن الفترة، ﴿فهُم﴾ أي: القوم ﴿غافِلُونَ﴾ عن الإيمان والرُّشد.

سورة يس

قولُه: (اللهُ أَعلَمُ) قيلَ: يا إنسانُ، وقالَ الصَّادقُ: «يا سيِّد»، والواو: للقَسَمِ.

قولُه: (المُحكَمِ) أو: ذي الحِكْمةِ، أو: الحاكمِ، أو وصفَ بصفةِ المتكلِّمِ.

قولُه: (متَعَلِّق بِمَا قَبْلَهُ) أي: ﴿المرسَلِينَ﴾ الثَّابتينَ ﴿عَلَى﴾ الحقِّ.

قولُه: (والهُدَى) أي: الاستِقامَةِ في الأمورِ، أو ﴿عَلَى صِراطٍ﴾ خبرٌ ثانٍ.

قولُه: (وغَيْرِهِ) من: إنَّ واللَّامِ.

قولُه: (خَبَرٌ مُبتَدَأ) والمصدرُ بمعنى المفعولِ، وقرأ شاميٌّ وكوفيٌّ غيرُ شعبةَ بالنَّصبِ[1] بإضمارِ: أعني.

قولُه: (أيْ: لَمْ يُنذَرُوا) فـ﴿مَا﴾ نافيةٌ، وقيلَ: موصولةٌ أو موصوفةٌ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٣٩).

٧ ـ ﴿لَقَد حَقَّ القَولُ﴾: وجبَ ﴿عَلَى أكثَرِهِم﴾ بالعذاب، ﴿فَهُم لا يُؤمِنُونَ﴾ أي: الأكثرُ.
٨ ـ ﴿إنّا جَعَلْنا في أعناقِهِم أغلالاً﴾ بأن تُضمّ إليها الأيدي لأنّ الغُلّ يَجمع اليد إلى العُنق، ﴿فهِيَ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إلَى الأذقانِ﴾: جمع ذَقَن وهو مُجتمَع اللَّحْيَين، ﴿فهُم مُقمَحُونَ﴾: رافعون رُؤوسَهم لا يستطيعون خفضها ـ وهذا تمثيل، والمراد أنهم لا يُذعِنون للإيمان ولا يَخفضون رؤوسهم له ـ ٩ ـ ﴿وجَعَلْنا مِن بَينِ أيدِيهِم سَدًّا ومِن خَلفِهِم سَدًّا﴾، بفتح السين وضمّها في الموضعين، ﴿فأغشَيناهُم، فهُم لا يُبصِرُونَ﴾. تمثيلٌ أيضًا لسدّ طرق الإيمان عليهم.

١٠ ـ ١١ ـ ﴿وسَواءٌ علَيهِم أأنذَرْتَهُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين وإبدالِ الثانية ألفًا، وتسهيلِها وإدخالِ ألف بين المسهّلة والأُخرى، وتركِه ـ ﴿أم لَم تُنذِرْهُم لا يُؤمِنُونَ. إنَّما تُنذِرُ﴾: يَنفعُ إنذارُكَ ﴿مَنِ اتَّبَعَ الذِّكرَ﴾: القرآن، ﴿وخَشِيَ الرَّحمنَ بِالغَيبِ﴾: خافه ولم يرَه. ﴿فبَشِّرْهُ بِمَغفِرةٍ وأجرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنّة.
١٢ ـ ﴿إنّا نَحنُ نُحيِي المَوتَى﴾ للبعث، ....

قولُه: (بالعَذَابِ) متعلِّقٌ بالقولِ، وهو: ﴿لَأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ﴾.

قولُه: (أي: الأَكثرُ) لأنَّهُم ممَّن علِمَ أنَّهُم لا يؤمنونَ.

قولُه: (تَمثِيلٌ) قيل: الظَّاهرُ أنَّها على الحقيقةِ، وأنَّه تعالى أخبرَ عن مآلِهِم.

قولُه: (لا يَخفِضُونَ) أي: لا يُطأطِئونَ؛ يعني: لا ينقادونَ.

قولُه: (بِفَتحِ السِّينِ) حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ[١].

قولُه: (تَمثِيلٌ) فعدمُ النَّظرِ في القُرونِ الخاليةِ مشبَّهٌ بالسَّدِّ مِن خَلفِهِم، وعدمُ النَّظرِ إلى العواقِبِ المستقبَلَةِ مشبَّهٌ بالسَّدِّ من قُدَّامِهم، أو تَحقيقٌ، كما مرَّ.

قولُه: (بِتَحْقِيقِ) تحقَّقَ في «البقرةِ»[٢].

قولُه: (القُرآنَ) بالتَّأمُّلِ فيه والعملِ به.

قولُه: (خَافَهُ) ولم يغترَّ برحمتِهِ، فإنَّه كما هو رحمنٌ منتقمٌ قهَّارٌ.

قولُه: (ولَمْ يَرَهُ) أي: غائباً عنه الرَّحمنُ، أو عذابُهُ، وقيلَ: غائباً عن الخَلقِ بالخَلوةِ.

قولُه: (هُو الجَنَّةُ) و﴿كَرِيمٍ﴾ معناهُ: حَسَنٌ نفَّاعٌ.

قولُه: (بالبَعثِ) أو الهِدايَةِ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) في الآية رقم: (٦).

﴿ونكتبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿ما قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشرّ ليُجازَوا عليه، ﴿وآثارَهُم﴾: ما استُنَّ به بعدهم، ﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾: نصبُه بفعل يفسّره ﴿أحصَيناهُ﴾: ضبطْناه ﴿في إمامٍ مُبِينٍ﴾: كتاب بيّن، هو اللوح المحفوظ.

١٣ ـ ﴿واضرِبْ﴾: اجعلْ ﴿لَهُم مَثَلاً﴾: مفعولٌ أوّل ﴿أصحابَ﴾: مفعولٌ ثان ﴿القَرْيةِ﴾: أنطاكِيَةَ، ﴿إذ جاءَها﴾ إلى آخِره، بدلُ اشتمال من «أصحابَ القرية»، ﴿المُرسَلُونَ﴾ أي: رُسلُ عِيسَى، ١٤ ـ ١٥ ـ ﴿إذْ أرسَلْنا إلَيهِم اثنَينِ، فكَذَّبُوهُما﴾ إلى آخِره، بدلٌ من «إذ» الأُولى إلى آخِره، ﴿فعَزَزْنا﴾، بالتخفيف والتشديد: قوّينا الاِثنين ﴿بِثالِثٍ، فقالُوا: إنّا إلَيكُم مُرسَلُونَ. قالُوا: ما أنتُم إلاّ بَشَرٌ مِثلُنا، وما أنزَلَ الرَّحمنُ مِن شَيءٍ. إنْ﴾: ما ﴿أنتُم إلاّ تكذِبُونَ﴾.

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿قالُوا: رَبُّنا يَعلَمُ﴾: جارٍ مَجرى القسَم، وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار..

قولُه: (في اللَّوحِ) الظَّاهرُ: في صحائِفِ الأعمالِ.

قولُه: (مَا اسْتُنَّ) أي: آثارَهُمُ الحسَنةَ كعِلمٍ ووقْفٍ، والسَّيِّئةَ: كإشاعَةِ باطلٍ، وتأسيسِ ظُلْمٍ، أو المرادُ: آثارُ خُطاهُم إلى الطَّاعةِ والمعصيةِ.

قولُه: (يُفَسِّرُه) لأنَّهُ مُشتَغِلٌ عنه بضميرِهِ.

قولُه: (ضَبَطْنَاهُ) ومنه ما فَعلوا وما يفعَلونَ.

قولُه: (مَفْعُولٌ ثَانٍ) الصَّوابُ أنّه مفعولٌ أوّل على حذفِ مضافٍ؛ أي: اجعَلْ لهم مَثَلَ أصحابِ القريةِ مَثَلاً، أو ﴿اضرِبْ﴾ بمعنى: بيِّن، والمقدَّرُ بدلٌ من الملفوظِ أو بيانٌ له.

قولُه: (أَنْطَاكِيَةَ) بالفتحِ والكسرِ وسكونِ النُّونِ وكسرِ الكافِ وفتحِ الياءِ المخفَّفةِ، وهي ذاتُ أعيُنٍ وسورٍ عظيمٍ من صَخرٍ داخلَهُ خمسةُ أجبُلٍ ودُورُها اثني عَشَرَ ميلاً[1].

قولُه: (رُسلُ عِيسَى) بأمرِ اللهِ، أو رُسُلُ اللهِ، ويدلُّ عليه قولُهُم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[يس: ١٥].

قولُه: (بالتَّخفِيفِ) شعبةُ[2]؛ أي: غَلَبْنا.

قولُه: (الاثْنَينِ) حُذفَ المفعولُ لدلالةِ ما قبلَهُ عليه، ولأنَّ المقصودَ ذِكرُ المعزَّزِ به.

قولُه: (عَلى مَا قَبْلَهُ) متعلِّقٌ بـ«زِيدَ» يعني: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

---

(١) انظر: «معجم البلدان» (١/ ٢٦٦).

(٢) انظر: «البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» (ص: ٢٦٥).

في ﴿إنّا إلَيكم لَمُرسَلُونَ، وما علَينا إلاّ البَلاغُ المُبِينُ﴾:

التبليغ البَيّن الظاهر بالأدلّة الواضحة. وهي إبراءُ الأكمه والأبرص والمريض وإحياءُ الميّت.
١٨ ـ ﴿قالُوا: إنّا تَطيَّرْنا﴾: تشاءَمنا ﴿بِكُم﴾ لانقطاع المطر عنا بسببكم. ﴿لَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿لَم تَنتَهُوا لَنَرجُمَنَّكُم﴾ بالحِجارة ﴿ولَيَمَسَّنَّكُم مِنّا عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مؤلم.

١٩ ـ ﴿قالُوا: طائرُكُم﴾: شؤمكم ﴿مَعَكُم﴾ بكُفركم. ﴿أإن﴾: همزة استفهام دخلت على «إن» الشرطيّة ـ وفي همزتها التحقيقُ والتسهيلُ، وإدخالُ ألف بينها بوجهَيها وبين الأُخرى ـ ﴿ذُكِّرتُم﴾: وُعِظتم وخُوّفتم. وجواب الشرط محذوف، أي: تطيّرتم وكفرتم؟ وهو محلّ الاستفهام، والمراد به التوبيخ. ﴿بَل أنتُم قَومٌ مُسرِفُونَ﴾: مُتجاوزون الحدَّ بشِرككم.

٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿وجاءَ مِن أقصَى المَدِينةِ رَجُلٌ﴾ هو حَبيبُ النجار، كان قد آمنَ بالرُّسل ومنزلُه بأقصى البلد، ﴿يَسعَى﴾: يشتدّ عدوًا لمّا سمع بتكذيب القوم الرُّسلَ. ﴿قالَ: يا قَومِ، اتَّبِعُوا المُرسَلِينَ، اتَّبِعُوا﴾: تأكيدٌ للأول ﴿مَن لا يَسألُكُم أجرًا﴾ على رسالته، ﴿وهُم مُهتَدُونَ﴾. فقيل له: أنت على دِينهم.
٢٢ ـ فقال: ﴿ومالِيَ لا أعبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾: ....

قولُه: (فِي) متعلِّقٌ باللَّامِ.

قولُه: (تَشَأَّمْنَا) تفعَّلَ، أو تفاعَلَ.

قولُه: (بالحِجَارَةِ) أو الشَّتمِ.

قولُه: (شُؤْمُكُم) أي: سببُهُ.

قولُه: (التَّحقِيقُ) لشاميٍّ وكوفيٍّ[1].

قولُه: (وإِدخَالُ) قالونُ وبصريٌّ وهشامٌ بخُلْفٍ عنهُ[2].

قولُه: (بوَجْهَيْهَا) التَّسهيلِ والتَّحقيقِ.

قولُه: (أيْ: تَطَيَّرْتُم) بالمواعظِ، أو: توعَّدْتُم بالرَّجمِ والتَّعذيبِ.

قولُه: (وَهُو) أي: جوابُ الشَّرطِ.

قولُه: (عَلى رِسَالتِهِ) ونُصحِهِ.

---

(١) انظر «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٤٩٠).

(٢) انظر المصدر السابق.

خلقني، أي: لا مانع لي من عِبادته الموجودِ مُقتضيها، وأنتم كذلك ﴿وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ بعد الموت، فيُجازيكم كغيركم؟ ٢٣ ـ ﴿أأتَّخِذُ﴾ ـ في الهمزتين منه ما تقدّم في «أأنذرتهم»، وهو استفهام بمعنى النفي ـ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرَه أصنامًا ﴿آلِهةً، إن يُرِدْنِ الرَّحمنُ بِضُرٍّ لا تُغنِ عَنِّي شَفاعتُهُم﴾ التي زعمتموها ﴿شَيئًا! ولا يُنقِذُونِ﴾؟ صفةٌ: آلهة. ٢٤ ـ ﴿إنِّيَ إذًا﴾، إن عبدتُ غيرَ الله، ﴿لَفِي ضَلالٍ مُبينٍ﴾: بيِّن. ٢٥ ـ ﴿إنِّيَ آمَنْتُ بِرَبِّكُم. فاسمَعُونِ﴾ أي: اسمعوا قولي. فرجَموه فمات.

٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿قِيلَ﴾ له عند موته: ﴿ادخُلِ الجَنَّةَ﴾. وقيل: دخلَها حيًّا. ﴿قالَ: يا﴾: حرفُ تنبيه ﴿لَيتَ قَومِي يَعلَمُونَ بِما غَفَرَ لِي رَبِّي﴾: بغُفرانه، ﴿وجَعَلَني مِنَ المُكرَمِينَ﴾.

٢٨ ـ ﴿وما﴾: نافيةٌ ﴿أنزَلْنا علَى قَومِهِ﴾ أي: حبيبَ ﴿مِن بَعدِهِ﴾: بعدِ موته ﴿مِن جُندٍ مِنَ السَّماءِ﴾ أي: ملائكةٍ لإهلاكهم،...

قولُه: (كغَيْرِكُم) فاعبُدوهُ أنتم أيضاً، ووَحِّدوهُ، وصدِّقوهُم.

قولُه: (بِمَعنَى النَّفيِ) والإنكارِ.

قولُه: (الَّتي زَعَمْتُمُوهَا) أي: على الفَرْضِ.

قولُه: (صِفَةٌ) أي: جملةُ ﴿إنْ يُرِدْنِ﴾.

قولُه: (عِندَ مَوتِه) بُشرى بأنَّهُ من أهلِ الجنَّةِ، أو إكراماً وإذْناً في دُخولِها كسائرِ الشُّهداءِ.

قولُه: (وقِيلَ) قائلُهُ الحسنُ[1]؛ لمَّا هَمُّوا بقتلِهِ رفعَهُ اللهُ إلى الجنَّةِ.

قولُه: (بغُفْرَانِهِ) فـ﴿مَا﴾ مصدريَّةٌ، وقيلَ: موصُولةٌ. قولُه[2] يعني: التَّوحيد والصَّبر على المذلَّةِ لإعْزازِ الدِّينِ[3].

قولُه: (مَوتِهِ) أو رَفعِهِ.

قولُه: (لإهْلَاكِهِم) كما أرسَلنا يومَ بدرٍ والخندقِ، بل كفَينا أمرَهُم بصيحَةِ مَلَكٍ، وفيهِ استحقارٌ لإهلاكِهِم وإيماءٌ بتَعظيمِ رَسولِنا ﷺ.

---

(١) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ١٩).

(٢) كلمة: «قوله» كذا في النسخ، ولعلها مقحمة أو أن في الكلام سقطاً، وانظر التعليق الآتي.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٦٦)، وفيه: و(ما) خبريَّةٌ أو مصدريَّةٌ والباءُ صِلَةُ ﴿يعلمون﴾، أو استفهاميَّةٌ جاءَتْ على الأصلِ والباءُ صِلَةُ ﴿غفر﴾؛ أي: بأيِّ شَيءٍ غفرَ لي، يريدُ به المهاجرةَ عَن دينِهم والمصابرةَ على أذِيَّتِهم.

﴿وما كُنّا مُنزِلِينَ﴾ ملائكةً لإهلاك أحد.

٢٩ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿كانَتْ﴾ عُقوبتُهم ﴿إلاّ صَيحةً واحِدةً﴾ صاح بهم جِبريلُ، ﴿فإذا هُم خامِدُونَ﴾: ساكنون ميِّتون. ٣٠ ـ ﴿يا حَسْرةً علَى العِبادِ﴾ هؤلاء ونحوِهم ممّن كذّبوا الرُّسلَ فأُهلكوا. وهي شِدّة التألّم ونداؤها مُجازٌ، أي: هذا أوانُكِ فاحضُري. ﴿ما يأتِيهِم مِن رَسُولٍ إلاّ كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾. مسوقٌ لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المُؤدّي إلى إهلاكهم المُسبَّبِ عنه الحسرةُ.

٣١ ـ ﴿ألَم يَرَوا﴾ أي: أهلُ مكّة القائلون للنبيّ: «لَستَ مُرسَلاً» ـ والاستفهام للتقرير ـ أي: عَلِموا ﴿كَم﴾: خبريةٌ بمعنى: كثيرًا، معمولةٌ لِما بعدها مُعلِّقة لما قبلها عن العمل، والمعنى: آنّا ﴿أهلَكْنا قَبلَهُم﴾ كثيرًا ﴿مِنَ القُرُونِ﴾: الأمم! ﴿أنَّهُم﴾ أي: المُهلَكين ﴿إلَيهِم﴾ أي: المكّيِّين ﴿لا يَرجِعُونَ﴾؟ أفلا يعتبرون بهم؟ و«أنهم» إلى آخره: بدلٌ ممّا قبله برعاية المعنى المذكور،.........................

قولُه: (لإهْلَاكِ أَحَدٍ) قبلَكَ.

[قوله]: (ونداؤها مجازٌ) ونصبُها لطولِها بالجارِّ المتعلِّقِ بها[1].

قولُه: (أَوَانُكِ) وهو وقتُ استِهزائِهم بالرُّسُلِ.

قولُه: (سَبَبِها) أي: الحسْرَةِ.

قولُه: (لاشتِمَالِهِ) أي: المَسوقِ.

قولُه: (للتَّقرِيرِ) يعني: الاستفهامُ للإنكارِ، وإنكارُ النَّفي إثباتٌ.

قولُه: (لِمَا بَعْدَهَا) لأنَّ ﴿كَمْ﴾ لا يعملُ فيها ما قبْلَها وإن كانَتْ خبريَّةً؛ لأنَّ أصلَها الاستفهامُ، وتكونُ الجملةُ مَعمولَ ﴿يَرَوا﴾ معنًى.

قولُه: (عنِ العَمَلِ) أي: لفظاً.

قولُه: (مِمَّا قَبْلَهُ) أي: من ﴿كَمْ﴾ على المعنى، فإنَّ عدمَ الرُّجوعِ والإهلاكِ واحدٌ، وهذا معنى قولِهِ: (برِعَايَةِ المَعنَى) أي: ألم يروا كثرَةَ إهلاكِنا مَن قَبلَهُم كونَهُم غيرَ راجعينَ إليهم.

---

(١) ما بين معكوفتين زيادة يقتضيها السياق، وكلمة «ونداؤها» في النسخ: «ونداؤه» وهو خلاف الجادة ومخالف للمتن، وقوله: «ونصبها لطُولها بالجار المتعلق بها» جواب ما يقال: ﴿يا حسرة﴾ مفرد، فكيف نُصب؟ فأجاب بأنه مُطوَّل؛ أي: شبيه بالمضاف. انظر: «حاشية زكريا الأنصاري على البيضاوي» (٤/ ٥٤٩).

وقول الأنصاري: «مفرد» لا يراد به مقابل الجمع، بل كونه ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف، ولذلك قابله بقوله: «مطول» وشرحه بأنه الشبيه بالمضاف.

٣٢ ـ ﴿وإنْ﴾: نافية أو مخفّفة ﴿كُلٌّ﴾ أي: كُلّ الخلائق: مبتدأٌ ﴿لَمّا﴾ بالتشديد بمعنى: إلاّ، وبالتخفيف فاللام: فارقة وما: مزيدة، ﴿جَمِيعٌ﴾: خبرُ المبتدأِ أي: مجموعون ﴿لَدَينا﴾: عِندنا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحضَرُونَ﴾ للحِساب: خبرٌ ثانٍ.

٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿وآيَةٌ لَهُمُ﴾ على البعث: خبرٌ مُقدّم ﴿الأرضُ المَيْتةُ﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿أحيَيناها﴾ بالماء: مبتدأٌ، ﴿وأخرَجْنا مِنها حَبًّا﴾ كالحِنطة ـ ﴿فمِنهُ يأكُلُونَ ـ وجَعَلْنا فِيها جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿مِن نَخِيلٍ وأعنابٍ، وفَجَّرْنا فِيها مِنَ العُيُونِ﴾ أي: بعضَها،..................

قولُه: (نَافِيَةٌ أو مُخَفَّفَةٌ) هذا لفٌّ.

قولُه: (أي: كُلُّ الخَلائقِ) والنُّونُ عِوَضٌ عن المضافِ إليه.

قولُه: (بالتَّشدِيدِ) شاميٌّ وعاصمٌ وحمزةُ[١].

قولُه: (مَزِيدَةٌ) للتَّأكيدِ.

قولُه: (أي: مَجمُوعُونَ) فعيلٌ؛ بمعنى: مفعولٍ، و﴿لَدَيْنَا﴾ ظرفٌ له، أو لـ﴿مُحْضَرُونَ﴾ والأوَّلُ مختارُ الشَّيخِ، وجيءَ بـ﴿كُلٌّ﴾ و﴿جَمِيْعٌ﴾؛ لأنَّ كلًّا يفيدُ إحاطةَ الأفرادِ دونَ الجمْعِ، و﴿جَمِيْعٌ﴾؛ يفيدُ الاجتماعَ والتَّضامَّ.

قولُه: (والتَّشدِيدِ) نافعٌ[٢].

قولُه: (مُبتَدَأٌ) أي: ﴿الْأَرْضُ﴾ مبتدأٌ، و﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ صفةٌ لها إذ[٣] لم يُرِدْ بها معيَّنةً، فعومِلَت معاملَةَ النَّكِرَةِ في وصفِها بالفعلِ كقولِهِ:

ولقَـــد أَمُـــرُّ علـــى اللئيـــمِ يَسُـــبُّني[٤]

قولُه: (كالحِنطَةِ) يعني: جنسَ الحَبِّ.

قولُه: (أي: بَعضَها) إشارةٌ إلى أنّه مفعولٌ مقدَّرٌ، و﴿مِنْ﴾ للتَّبعِيضِ، أو التَّقديرُ: شيئاً من العُيونِ، فحُذِفَ الموصوفُ وأقيمَتِ الصِّفةُ مُقامَهُ، أو: العيونَ و﴿مِنْ﴾ مزيدةٌ عندَ الأخفشِ[٥].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٢٦).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٦).

(٣) في (ص): «إن».

(٤) البيت لرجل من سلول، كما في «الكتاب» لسيبويه (٣/ ٢٤)، وعجزه:

فمضيــت ثُمَّــتَ قلــتُ لا يعنينــي

(٥) انظر: «تفسير البيضاوي» (٤/ ٢٦٧).

٣٥ ـ ﴿لِيأكُلوا مِن ثَمَرِهِ﴾ ـ بفتحتين وبضمّتين ـ أي: ثمر المذكور من النخيل والأعناب وغيرهما، ﴿وما عَمِلَتْهُ أيدِيهِم﴾ أي: لم تعملِ الثمرَ. ﴿أفلا يَشكُرُونَ﴾ أنعُمَه ـ تعالى ـ عليهم؟ ٣٦ ـ ﴿سُبحانَ الَّذِي خَلَقَ الأزواجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّها، مِمّا تُنبِتُ الأرضُ﴾ من الحُبوب وغيرها، ﴿ومِن أنفُسِهِم﴾ من الذُكور والإناث، ﴿ومِمّا لا يَعلَمُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة!

٣٧ ـ ﴿وآيةٌ لَهُمُ﴾ على القُدرةِ العظيمةِ ﴿اللَّيلُ، نَسلَخُ﴾: نفصِل ﴿مِنهُ النَّهارَ، فإذا هُم مُظلِمُونَ﴾: داخلون في الظلام، ٣٨ ـ ﴿والشَّمسُ تَجرِي﴾ إلى آخِره: من جملة الآية لهم، أو آيةٌ أُخرى، والقمرُ كذلك، ﴿لِمُستَقَرٍّ لَها﴾ أي: إليه لا تتجاوزه ـ.......................

قولُه: (وبِضَمَّتَيْنِ) حمزةُ والكسائيُّ[١].

قولُه: (المَذكُورِ) أو اللهِ.

قولُه: (أي: لَمْ تَعمَل) فـ﴿مَا﴾ نافيةٌ، أو ﴿مَا﴾ موصولةٌ عطفٌ على الثَّمرِ، والمرادُ: ما يُتَّخذُ منهُ كالعصيرِ والدِّبسِ، ويؤيِّدُ الثَّانيَ قراءةُ الكوفيين غيرِ حفصٍ بلا هاءٍ[٢]، فإنَّ حذفَهُ من الصِّلةِ أحسنُ من غيرِها، وفي قراءةِ ابنِ مسعودٍ[٣]: (وممَّا عَمِلَتْه).

قولُه: (أَنعُمَهُ) أمَرَ بالشُّكرِ من حيثُ إنَّه إنكارٌ لتركِهِ.

قولُه: (وغَيْرِهَا) من الأشجارِ[٤] والأزهارِ.

قولُه: (نَفصِلُ) أو نُزيلُ ونكشِفُ، مستَعارٌ مِن سلخِ الجِلْدَ.

قولُه: (مِنْ جُملَةِ الآيَةِ) فيعطَفُ على: ﴿اللَّيلُ﴾.

قولُه: (كَذلِكَ) يعني: بقراءةِ الرَّفعِ[٥].

قولُه: (إلَيهِ) لحدٍّ مُعيَّنٍ ينتَهي إليه دورُها من فَلَكِهِ في آخرِ السَّنَةِ، فشُبِّهَ بمستقَرِّ المسافِرِ إذا قطعَ مسيرَهُ، فالمستقرُّ: اسمُ مكانٍ، أو لمنقطَعِ[٦] جريِها عندَ خَرابِ العالَمِ، فالمستقرُّ: اسمُ زمانٍ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٥).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٤).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥١٥).

(٤) في (ص): «الأثمار».

(٥) أي: القراءة بالرفع في قوله تعالى الآتي: ﴿والقمر﴾ وسيأتي تخريجها قريباً.

(٦) في النسخ: «والمنقطع» بدل: «أو لمنقطع» والتصويب من البيضاوي.

﴿ذَلِكَ﴾ أي: جريها ﴿تَقدِيرُ العَزِيزِ﴾في مُلكه ﴿العَلِيمِ﴾ بخلقه ـ ٣٩ ـ ﴿والقَمَرُ﴾، بالرفع والنصب وهو منصوب بفعل يُفسّره ما بعده، ﴿قَدَّرْناهُ﴾ من حيث سيرُه ﴿مَنازِلَ﴾ ثمانية وعشرين مَنزلاً في ثمان وعشرين ليلةً من كُلّ شهر، ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يومًا، وليلةً إن كان تسعة وعشرين يومًا، ﴿حَتَّى عادَ﴾ في آخر منازله في رأيِ العين ﴿كالعُرجُونِ القَدِيمِ﴾ أي: كعُود الشَّماريخ،..............

وفي حديثٍ أخرجَهُ الخمسَةُ عن أبي ذَرٍّ قالَ: سألْتُ النَّبيَّ ﷺ عن قولِ اللهِ تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ قالَ: «مستقرُّهَا تحتَ العرشِ»[1].

وفي روايةِ البخاريِّ: «تذهَبُ وتسجُدُ هناكَ»[2].

وإذا كانَ العرشُ كُرَةً محيطةً فتحتيَّتُها باعتبارِ مكانٍ خاصٍّ من العرْشِ، اللهُ ورسولُه أعلمُ.

وظاهرُ بعضِ الأحاديثِ دالٌّ على أنَّه قُبَّةٌ ذاتُ قوائمَ تحمِلُها الملائكةُ فوقَ هذا الجانبِ من الأرضِ، فحينئذٍ يكونُ وقتُ الظَّهيرَةِ أقربَ ما يكونُ إلى العرشِ، وفي نصفِ اللَّيلِ أبعدَ، فحينئذٍ تسجدُ وتستأذِنُ في الطُّلوعِ، والعَجَبُ من الشَّيخِ والقاضي معَ كثرةِ اطِّلاعِهِما لم يذكُرا هذا التَّفسيرَ المنسوبَ إلى مَن نزلَ عليه القرآنُ.

قولُه: (أي: جَرْيُهَا) الخاصُّ على هذا التَّقديرِ المتضمِّنِ للحِكَمِ الَّتي يعجَزُ الفَطِنُ عن إحصائها.

قولُه: (بالرَّفعِ) حِرْميٌّ وبصريٌّ[3].

قولُه: (مِنْ حَيْثُ سَيْرُهُ) والأظهرُ: قدَّرْنا مسيرَهُ منازِلَ، أو: سَيْرَهُ في منازِلَ.

قولُه: (ويَستَتِرُ) وفي نسخةٍ: «يتسرَّ» استفعالٌ مِن السَّترِ، ينزلُ كلَّ ليلةٍ في واحِدٍ منها لا يتخطَّاهُ ولا يتقاصَرُ عنه.

قولُه: (في آخِرِ مَنَازِلِهِ) وهو الَّذي يكونُ فيه قُبَيْلَ الاجتِماعِ.

قولُه: (في رَأْيِ العَينِ) وإلَّا ففي الحقيقَةِ لا يَعْلَمُ بكُبْرِ الهلالِ إلَّا خالقُهُ.

قولُه: (كعُودِ الشَّمَارِيخِ) جمعُ الشِّمراخِ ـ بالكسرِ ـ: العثكالُ[4] عليه بُسْرٌ أو عنبٌ[5]، فقولُ القاضي: كالشِّمراخِ المعوجِّ[6]. فيه مسامَحَةٌ.

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٣)، ومسلم (١٥٩)، وأبو داود (٤٠٠٢)، والترمذي (٢١٨٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٦٦).

(٢) رواه البخاري (٤٨٠٢).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٩٩).

(٤) هو العذق.

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٥٤).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٦٨).

إذا عتَق فإنه يَدِقُّ ويتقوّس ويصفرّ، ٤٠ ـ ﴿لا الشَّمسُ يَنبَغِي﴾: يسهُل ﴿لَها أن تُدرِكَ القَمَرَ﴾ فتجتمعَ معه في الليل، ﴿ولا اللَّيلُ سابِقُ النَّهارِ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه، ﴿وكُلٌّ﴾ ـ تنوينه عِوَض من المضاف إليه، أي: الشمسِ والقمر والنجوم ـ ﴿في فَلَكٍ﴾: مُستدير ﴿يَسبَحُونَ﴾: يسيرون. نُزّلوا منزلةَ العُقلاء.

٤١ ـ ﴿وآيَةٌ لَهُم﴾ على قُدرتنا ﴿أنّا حَمَلْنا ذُرِّيّتَهُم﴾ ـ وفي قراءةٍ: «ذُرِّيّاتِهِم» ـ أي: آباءهم الأصول، ﴿في الفُلْكِ﴾ أي: سفينة نُوح ﴿المَشحُونِ﴾: المملوء، ٤٢ ـ ﴿وخَلَقْنا لَهُم مِن مِثلِهِ﴾ أي: مِثلِ فُلك نُوح ـ وهو ما عملوه على شكله من السُّفن الصغار والكبار بتعليم الله ـ تعالى ـ ﴿ما يَركَبُونَ﴾ فيه، ٤٣ ـ ﴿وإن نَشَأْ نُغرِقْهُم﴾ مع إيجاد السُّفن، ﴿فلا صَرِيخَ﴾: مُغيث ﴿لَهُم، ولا هُم يُنقَذُونَ﴾: يُنجَون، ٤٤ ـ ﴿إلاّ رَحْمَةً مِنّا ومَتاعًا إلَى حِينٍ﴾ أي: لا نُنجيهم إلاّ لرحمتنا لهم وتمتيعنا إياهم بلذّاتهم إلى انقضاء آجالهم.

قولُه: (إذَا عَتَقَ) أي: يَبِسَ.

قولُه: (فتَجتَمِعَ) فتَطمِسَ نورَهُ.

قولُه: (والنُّجُومِ) فإنَّ ذكرَهُما مُشعِرٌ بها.

قولُه: (يَسِيرُونَ) سيراً سريعاً.

قولُه: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ[(١)].

قولُه: (آبَاءَهُمُ الأُصُولَ) يعني: وفي أصلابِهم ذرِّيَّتُهُم، وتخصيصُ الذُّرِّيَّةِ لأنَّه أبلغُ في الامتنانِ وأدخَلَ في التَّعجيبِ مع الإيجازِ، أو: أولادَهُم الَّذينَ يبعثونَهُم إلى تجاراتِهم، فالمرادُ: السُّفُنُ مطلقاً.

قولُه: (فِيهِ) من الإبلِ، فإنَّها سفائِنُ البرِّ.

قولُه: (اتِّخَاذِ) وفي نسخةٍ: «إيجَادِ»[(٢)].

قولُه: (مُغِيثَ) يحرسُهُم عن الغَرَقِ.

قولُه: (يُنجَونَ) من الموتِ.

قولُه: (أي: لا نُنجِيهِم) هذا حاصِلُ المعنى، والتَّقديرُ: أي: لا ينجونَ لجهةٍ إلَّا لرحمةٍ منَّا وتَمتيعٍ بالحياةِ.

قولُه: (إلى انقِضَاءِ) أي: زمانٍ قُدِّرَ لآجالِهِم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٠)، و«حجة القراءات» (ص: ٦٠٠).

(٢) وهكذا هي في نسخ المتن المعتمدة.

٤٥ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُمُ: اتَّقُوا ما بَيْنَ أيدِيكُم﴾ من عذاب الدنيا كغيركم ﴿وما خَلفَكُم﴾ من عذاب الآخرة، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾. أعرضوا، ٤٦ ـ ٤٧ ـ ﴿وما تأتِيهِم مِن آيةٍ مِن آياتِ رَبِّهِم إلاّ كانُوا عَنها مُعرِضِينَ، وإذا قِيلَ﴾ أي: قال فُقراء الصحابة ﴿لَهُم: أنفِقُوا﴾ علينا ﴿مِمّا رَزَقَكُمُ اللهُ﴾ من الأموال، ﴿قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاءً بهم: ﴿أنُطعِمُ مَن لَو يَشاءُ اللهُ أطعَمَهُ﴾ في مُعتقدكم؟ ﴿إنْ﴾: ما ﴿أنتُم﴾ في قولكم لنا ذلك مع مُعتقدكم هذا ﴿إلاّ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ. وللتصريح بكُفرهم موقعٌ عظيم.

٤٨ ـ ﴿ويَقُولُونَ: مَتَى هذا الوَعدُ﴾ بالبعث، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه؟ ٤٩ ـ قال تعالى: ﴿ما يَنظُرُونَ﴾ أي: ما ينتظرون ﴿إلاّ صَيحةً واحِدةً﴾، وهي نفخة إسرافيلَ الأُولى، ﴿تأخُذُهُم وهُم يَخَصِّمُونَ﴾ ـ بالتشديد أصله «يَختَصِمُونَ»، نُقلتْ حركة التاء إلى الخاء وأُدغمت في الصاد،.........

قولُه: (كغَيْرِكُم) أي: من مِثْلِ الوقائعِ الَّتي ابتُليَتْ بها الأمَمُ المكذِّبَةُ بأنبيائِها، ونقلَ مُحيي السُّنَّةِ[1] عنِ ابنِ عبَّاسٍ: إنَّ ﴿ما بينَ أيديكُمْ﴾ الآخرةُ؛ يعني: اعمَلوا لها، ﴿ومَا خلفَكُم﴾ أي: الدُّنيا؛ يعني: احذَروها، ولا تغتَرُّوا بها.

قولُه: (أَعرَضُوا) أي: عنهُ، جوابُ ﴿إذا﴾ دَلَّ عليه ما بعدَهُ.

قولُه: (قَالَ فُقَرَاءُ الصَّحَابَةِ) أو: أمِروا بالإنفاقِ على فقَراءِ الصَّحابةِ.

قولُه: (عَلَيْنا) أو: عليهم، أو: على مَحاويجِكُم.

قولُه: (استِهْزَاءً بِهِم) أو إيماءً بأنَّ اللهَ لمَّا كانَ قادراً أن يطعمَهُم ولم يطعمْهُم فنحنُ أحَقُّ بذلك؛ أي: فمَن لم يرزقْهُ اللهُ مع قُدرَتِهِ لا نعطيهِ؛ لنوافِقَ مشيئةَ اللهِ، وهذا من فَرْطِ جهالَتِهِم، فإنَّ اللهَ يُطْعِمُ بأسبابٍ: منها حثُّ الأغنياءِ على إطعامِ الفقراءِ وتوفيقُهم له.

قولُه: (في مُعتَقَدِكُم) هذا يشيرُ إلى أنَّ الكفَّارَ معطِّلةٌ كانوا بمكَّةَ، وقولُهُم هذا تهكُّمٌ بهم من إقرارِهِم بالصَّانعِ وتعليقِهِمُ الأمرَ بمشيئتِهِ.

قولُه: (بَيِّنٍ) حيثُ أمَرتُمونا بما يخالِفُ مشيئةَ اللهِ، أو بالإنفاقِ على مَن أرادَ اللهُ.

قولُه: (وللتَّصْرِيحِ) بوضعِ المُظهَرِ موضِعَ المضمَرِ في: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قولُه: (إلى الخَاءِ) حرميٌّ وبصريٌّ وهشامٌ، لكن أخفى الحركةَ قالونُ والبصريُّ[2].

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٤/ ١٥).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٤).

أي: وهم في غفلة عنها بتخاصُم وتبايُع وأكل وشرب وغير ذلك. وفي قراءة: «يَخْصِمُون» كيَضْرِبُون، أي: يخصِم بعضُهم بعضًا ـ ٥٠ ـ ﴿فلا يَستَطِيعُونَ تَوصِيةً﴾ أي: أن يُوصُوا، ﴿ولا إلَى أهلِهِم يَرجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم بل يموتون فيها.

٥١ ـ ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ ـ هو قرنٌ ـ النفخةَ الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿فإذا هُم﴾ أي: المقبورون ﴿مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿إلَى رَبِّهِم يَنسِلُونَ﴾: يخرجون بسرعة. ٥٢ ـ ﴿قالُوا﴾ أي: الكُفَّار منهم: ﴿يا﴾ للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا ـ وهو مصدر لا فِعل له من لفظه ـ ﴿مَن بَعَثَنا مِن مَرقَدِنا﴾؟ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين، لم يُعذّبوا. ﴿هذا﴾ أي: البعث ﴿ما﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به ﴿الرَّحمنُ، وصَدَقَ﴾ فيه ﴿المُرسَلُونَ﴾. ....

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ، والباقونَ بكسْرِ الخاءِ وتَشديدِ الصَّادِ بقَلبِ التَّاءِ صاداً وإدغامِها في مثلِها، ثمَّ كَسرِ الخاءِ لالتِقاءِ السَّاكنَينِ[1]، وقولُ القاضي: وروى أبو بكرٍ بكسرِ الياءِ للإتْباعِ[2]. محمولٌ على الشَّاذِّ[3].

قولُه: (أَنْ يُوْصُوا) في شيءٍ مِن أمورِهم توصيةً، كذا في «المدارِكِ»[4]، ولعلَّ فيه إشارةً إلى أنَّ ما بعدَهُ عَطفٌ على المنفيِّ لا النَّفي؛ أي: ولا يتمَكَّنونَ من الرُّجوعِ إلى بيوتِهم.

قولُه: (فِيهَا) أي: في زمانِ الصَّيحةِ ومكانِها.

قولُه: (النَّفخَةَ) منصوبٌ.

قولُه: (للتَّنْبِيهِ) الصَّحيحُ: للنِّداءِ؛ أي: يا وَيْلنا تعالَ فهذا أوانُكَ.

قولُه: (نَائِمِينَ) يحسَبونَ أنَّهم نِيامٌ.

قولُه: (لَمْ يُعَذَّبُوا) ولعلَّهُم يُغشى عليهم بالنَّفخَةِ الأولى الَّتي لموتِ العالَمِ، ثمَّ يحصلُ لهم الإفاقَةُ بالأخرى، فظنُّوا أنَّهم كانوا نائمينَ.

قولُه: (بِهِ) يعني: الرَّاجعُ إلى الموصولِ محذوفٌ، يقالُ: وعدَهُ ربه[5].

قولُه: (فيهِ) نحوَ: صَدَقُوا القتالَ والحديثَ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٧٠).

(٣) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٠٠).

(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ١٠٧).

(٥) «وعده ربه» كذا في النسخ، ولعل الصواب: (وعده به).

أقرّوا حين لا ينفعهم الإقرار، وقيل: يقال لهم ذلك. ٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿إِنْ﴾: ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا﴾: عِندنا ﴿مُحْضَرُونَ. فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا! وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا﴾ جزاءَ ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٥٥ ـ ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ ـ بسكون الغين وضمّها ـ عمّا فيه أهل النار ممّا يتلذّذون به كافتضاض الأبكارِ، لا شُغلٍ يتعبون فيه لأنّ الجنّة لا نصبَ فيها، ﴿فَاكِهُونَ﴾: ناعِمون، خبرٌ ثانٍ لـ«إنّ»، والأوّل: في شُغل، ٥٦ ـ ﴿هُمْ﴾: مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾: جمع ظُلّة أو ظِلّ، خبرٌ، أي: لا تُصيبُهم الشمس،

قولُه: (أَقَرُّوا) يعني: أنّهُ من كَلامِهم، رَدًّا على أنفُسِهم وتحَسُّراً.

قولُه: (وقِيْلَ: يُقَالُ) أنّهُ جوابُ الملائكةِ أو المؤمنينَ عن سُؤالِهم.

قولُه: (بسُكُونِ الغَينِ) حرميٌّ وبصريٌّ[1].

قولُه: (كافْتِضَاضِ) القِضَّةُ ـ بالكسْرِ ـ: عُذرَةُ المرأةِ: بَكارتُها[2]، سُئِلَ بعضُهم عن قولِ النَّبيِّ ﷺ: «أكثرُ أهلِ الجنَّةِ البُلْهُ»[3] فقال: مَن رَضِيَ مِن اللهِ بالجنَّةِ.

قولُه: (نَاعِمُونَ) متلذِّذونَ في النِّعمةِ من الفاكِهةِ[4]، وقولُه: ﴿الْيَوْمَ﴾ يومَ القيامةِ بعد دخولِ الجنَّةِ.

قولُه: (جَمْعُ: ظُلَّةٍ) كقِبابٍ، ويؤيِّدُه قراءَةُ حمزةَ والكسائيِّ: (في ظُلَلٍ)[5].

قولُه: (أو ظِلٍّ) كشِعابٍ.

قولُه: (لا تُصِيْبُهُم) فيه: أن لا شمسَ في الجنَّةِ وإنَّما هي أنوارٌ، وقد يحمَلُ على هذا، أو يُقالُ: المرادُ: شمسُ الموقِفِ، فهم في ظلالٍ من أشجارِ الجنَّةِ وقُصورِها.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٤).

(٢) انظر: «المصباح المنير» (٢/ ٥٠٧).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٦٣٣٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٩٨٢)، والقضاعي في «مسنده» (٩٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٠٤)، من حديث أنس بن مالك رَضِي الله عنه. ورواه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٥٨) من حديث جابر، و(١٥٥٩) من حديث أنس، وقال: لا يصحان.

والبُلْهُ: جمعُ الأبلهِ، وهو الغافلُ عن الشرِّ المطبوعُ على الخيرِ، وقيل: هم الذين غلبت عليهم سلامةُ الصدور وحسنُ الظنِّ بالناسِ؛ لأنهم أغفلوا أمرَ دُنياهم فجهلوا حذق التصرُّف فيها وأقبلوا على آخرتهم فشغلوا أنفُسَهم بها؛ فاستحقُّوا أن يكونوا أكثرَ أهل الجنة؛ فأما الأبلهُ ـ وهو الذي لا عقلَ له ـ فغيرُ مرادٍ في الحديثِ. انظر: «النهاية» (مادة: بله).

(٤) كذا في النسخ، وعند البيضاوي: «الفكاهة»، وقال الشهاب في «الحاشيه على تفسير البيضاوي» (٧/ ٢٤٦): قوله [أي: البيضاوي]: «من الفكاهة» بالضم: وهي التمتع والتلذذ، مأخوذ من الفاكهة، وقد يكون بمعنى: التحدث بما يَسرُّ.

(٥) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٤).

﴿عَلَى الأرائكِ﴾: جمع أريكة ـ وهو السريرُ في الحَجَلة، أو الفرشُ فيها ـ ﴿مُتَّكِئُونَ﴾: خبرٌ ثانٍ مُتعلَّقُ «على»، ٥٧ ـ ﴿لَهُم فِيها فاكِهَةٌ، ولَهُم﴾ فيها ﴿ما يَدَّعُونَ﴾: يتمنَّون، ٥٨ ـ ﴿سَلامٌ﴾: مبتدأٌ ﴿قَولاً﴾ أي: بالقول، خبرُه: ﴿مِن رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ بهم، أي: يقول لهم: سلام عليكم.

٥٩ ـ ﴿و﴾ يقول: ﴿امتازُوا اليَومَ، أيُّها المُجرِمُونَ﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين. عِند اختلاطهم بهم. ٦٠ ـ ﴿أَلَم أعهَدْ إلَيكُم﴾: آمُرْكم ـ ﴿يا بَنِي آدَمَ﴾ ـ على لِسان رُسلي: ﴿أن لا تَعبُدُوا الشَّيطانَ﴾: لا تُطيعوه ـ ﴿إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ العداوة ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ﴿وأنِ اعبُدُونِي﴾: وحِّدوني وأطيعوني. ﴿هذا صِراطٌ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٌ؟ ولَقَد أضَلَّ مِنكُم جُبْلاً﴾: خَلقًا جمعُ جَبيل كقَديم ـ وفي قراءة بضمّ الباء ـ ﴿كَثِيرًا. أفلَم تَكُونُوا تَعقِلُونَ﴾ عداوتَه وإضلاله، أو ما حلّ بهم من العذاب، فتُؤمنون؟ ويقال لهم في الآخرة: ٦٣ ـ ﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ﴾ بها.........................

قولُه: (في الحَجَلَةِ) بالفتحِ والتَّحريكِ، واحدُ حِجالِ العرُوسِ: بيتٌ يزيَّنُ بالثِّيابِ[١].

قولُه: (مُتَعَلَّقُ) بالفتحِ والإضافةِ.

قولُه: (يَتَمَنَّونَ) قالَ الإمامُ: أي: لهم كلُّ ما يطلبُهُ أحدٌ لنفسِهِ، لا أنَّهُم يطلبونَ فإنَّه حاصلٌ، أو: لهم الطَّلبُ والإجابةُ؛ لأنَّ الغِبطَةَ بالإجابةِ توجِبُ اللَّذَّةَ بالطَّلبِ، فإنَّه مَرْتبَةٌ سنيَّةٌ[٢]، كذا في «الكشفِ»، لكن ليسَ المرادُ أنَّه هنالكَ طَلبٌ وانتظارُ إجابةٍ، بل الطَّلبُ بلسانِ القالِ أو الحالِ مقرونٌ بحصولِ الأمانيِّ والآمالِ في الحالِ.

قولُه: (مُبتَدَأٌ) أو بدلٌ من ﴿ما﴾، أو صفةٌ أخرى، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبَرِ؛ أي: ولهم سلامٌ.

قولُه: (أيْ: بالقَولِ) الظَّاهرُ: أنَّه منصوبٌ على المصدريَّةِ، و﴿مِنْ﴾ صفةٌ له؛ أي: يقولُ اللهُ، أو يقالُ لهم قولاً كائناً من جهتِهِ، والمعنى: أنَّ اللهَ يسلِّمُ عليهم بواسطَةِ الملائكةِ، أو بغيرِ واسطةٍ تعظيماً لهم، وذلك مطلوبُهُم ومتمنَّاهُم، بل غايةُ مُناهُم، ويحتملُ نصبهُ على الاختصاصِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لمكّيٍّ وحمزةَ والكسائيِّ[٣].

قولُه: (بِضَمِّ البَاءِ) أي: معَ تخفيفِ اللَّامِ، وأمَّا نافعٌ وعاصمٌ فبكسرِ الجيمِ والباءِ وتشديدِ اللَّامِ[٤]، والكلُّ لغاتٌ بمعنى: الطَّائفةِ والجماعةِ.

---

(١) انظر: «الصحاح» (٤/ ١٦٦٧).

(٢) بمعناه في «تفسير الرازي» (٢٦/ ٢٩٥).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٦٠٢).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٦٠١).

٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿اصلَوها اليَومَ بِما كُنتُم تكفُرُونَ. اليَومَ نَختِمُ علَى أفواهِهِم﴾ أي: الكُفّارِ، لقولهم: «واللهِ رَبِّنا ما كُنّا مُشرِكِينَ»، ﴿وتُكَلِّمُنا أيدِيهِم وتَشهَدُ أرجُلُهُم﴾ وغيرها ﴿بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾. فكُلّ عُضو ينطِق بما صدر منه.

٦٦ ـ ﴿ولَو نَشاءُ لَطَمَسْنا علَى أعيُنِهِم﴾: لأعمَيناهم طمْسًا، ﴿فاستَبَقُوا﴾: ابتدروا ﴿الصِّراطَ﴾: الطريق ذاهبين كعادتهم، ﴿فأنّى﴾: فكيف ﴿يُبصِرُونَ﴾ حينئذٍ؟ أي: لا يبصرون، ٦٧ ـ ﴿ولَو نَشاءُ لَمَسَخْناهُم﴾ قِردةً وخنازير أو حِجارة ﴿علَى مَكانَتِهِم﴾ ـ وفي قراءة: «مَكاناتِهِم» جمع مكانة بمعنى مكان ـ أي: في منازلهم، ﴿فما استَطاعُوا مُضِيًّا ولا يَرجِعُونَ﴾ أي: لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء، ٦٨ ـ ﴿ومَن نُعَمِّرْهُ﴾ بإطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ ـ..

قوله: (أيْ: الكُفّارِ) بمَنعِها عنِ التَّكَلُّمِ.

قوله: (يَنطِقُ) بإنطاقِ اللهِ إيّاها، أو بظُهورِ آثارِ المعاصي عليها ودلالتِها على أفعالِها.

قوله: (﴿لطَمَسْنَا﴾) أي: لمسخْنَا أعينَهُم، بالمهملةِ.

قوله: (ابْتَدَرُوا) إشارةٌ إلى أنَّ نصبَ ﴿الصِّراطَ﴾ بتَضمينِ الاستباقِ معنى الابتِدارِ، كذا في «الكشّافِ»[1] والبيضاويِّ[2]، وذكَرَ في «الأساسِ» في قِسْمِ الحقيقةِ: ﴿اسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ [٦٦] ابتَدَروها[3]، فلا تضمينَ، وقيلَ: بنَزعِ الخافِضِ؛ يعني: «إلى».

قولـه: (أيْ: لا يُبصِـرُونَ) الطّريـقَ وجهَـةَ السُّـلوكِ فضـلاً عـن غيـرِهِ، و﴿أنّـى﴾ بمعنـى: كيـفَ، إنـكارٌ فيفيـدُ النَّفيَ.

قوله: (أو حِجَارَةً) أو: أزمَنّاهُم، أو: بتغييرِ صوَرِهِم وإبطالِ قواهُم.

قوله: (وفي قِرَاءَةٍ) لشعبةَ[4].

قوله: (أيْ: لَمْ يَقدِرُوا) حلٌّ للمعنى، والتَّقديرُ: ما استَطاعوا ذَهاباً ولا رُجوعاً، فوُضِعَ الفعلُ موضعَهُ للفواصِلِ، والمعنى: أنَّهم بكُفرِهم ونقضِهِم ما عُهِدَ إليهم أحقّاءُ بأن نفعلَ بهم الطَّمْسَ والمَسْخَ، ونحن قادِرونَ، لكنّا لم نفعَلْ لشُمول الرَّحمَةِ لهم، واقتضاءِ الحكمَةِ إمهالَهُم.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٤).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٤/ ٢٧٢).

(٣) انظر: «أساس البلاغة» (١/ ٤٣٥).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٥٤٢).

وفي قراءة: «نُنَكِّسْهُ» بالتشديد من التنكيس ـ ﴿في الخَلقِ﴾ أي: خلقِه، فيكون بعد قُوّته وشبابه ضعيفًا وهرِمًا. ﴿أفلا يعقِلُونَ﴾ أنّ القادر على ذلك المعلومِ عِندهم قادر على البعث، فيُؤمنون؟ وفي قراءة بالتاء.

٦٩ ـ ﴿وما عَلَّمْناهُ﴾ أي: النبيَّ ﴿الشِّعرَ﴾، ردٌّ لقولهم: «إنّ ما أتى به من القُرآن شِعرٌ»، ﴿وما يَنبَغِي﴾ يَتسهّل ﴿لَهُ﴾ الشِّعرُ. ﴿إنْ هُوَ﴾: ليس الذي أتى به ﴿إلاّ ذِكرٌ﴾: عِظة، ﴿وقُرآنٌ مُبينٌ﴾: مُظهِرٌ للأحكام وغيرها، ٧٠ ـ ﴿لِيُنذِرَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ به ﴿مَن كانَ حَيًّا﴾ يعقِل ما يُخاطَب به وهم المؤمنون، ﴿ويَحِقَّ القَولُ﴾ بالعذاب ﴿علَى الكافِرينَ﴾، وهم كالميتين لا يعقلون ما يُخاطَبون به.

٧١ ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ـ والاستفهام للتقرير والواو..

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لعاصِمٍ وحمزةَ[1].

قولُه: (مِنَ التَّنْكِيسِ) وهو أبلغُ، والنَّكْسُ أشهَرُ.

قولُه: (على البَعْثِ) أو على الطَّمسِ والمَسخِ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وابنِ ذَكْوانَ[2].

قولُه: (بالتَّاءِ) للخِطابِ.

قولُه: (﴿الشِّعْرَ﴾) أي: إن أرادَهُ وقصدَهُ، وما صَدَرَ عنه من الكلماتِ الموزونَةِ فإنَّها اتفاقيَّةٌ، وقيلَ: الضَّميرُ للقرآنِ؛ أي: وما يَصِحُّ للقرآنِ أن يكونَ شِعْراً.

قولُه: (عِظَةٌ) وإرشادٌ من اللهِ.

قولُه: (مُظْهِرٌ) أو: ظاهرٌ أنَّه ليسَ من كَلامِ البَشرِ لما فيه من الإعجازِ.

قولُه: (باليَاءِ) أي: القرآنُ، أو الرَّسولُ ويؤيِّدُهُ قراءةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ بالخطابِ[3].

قولُه: (بِهِ) يتعيَّنُ في الخِطابِ، ويُحتَمَلُ في الغيبَةِ.

قولُه: (يَعقِلُ) فإنَّ الغافِلَ كالميِّتِ، أو: مؤمناً في عِلمِ اللهِ، فإنَّ الحياةَ الأبديَّةَ بالإيمانِ.

قولُه: (وهُمُ المُؤمِنُونَ) لأنَّهم هم المنتَفِعونَ.

قولُه: (العَذَابُ) أي: تجِبَ كلمةُ العَذابِ.

قولُه: (عَلَيْهَا)[4] أي: على الهمزةِ دُخولاً أوَّليًّا، فإنَّ في الأصلِ كان الواو مقدَّماً، ثمَّ لصدارَةِ الاستفهامِ تأخَّرَ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٥).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٣).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٥)، و«السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٤).

(٤) قوله: «عليها» ليست في المتن، ولعل عبارة سقطت من نسخ المتن وثبتت في نسخ المؤلف منها الكلمة المذكورة، والمراد بها الكلام على اجتماع الاستفهام والعطف في ﴿أولم﴾ مع تقديم الاستفهام على العطف.

للعطف ـ ﴿أنَّا خَلَقْنا لَهُم﴾ في جُملة الناس، ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أيدِينا﴾ أي: عمِلْناه بلا شريك ولا مُعين، ﴿أنعامًا﴾ هي الإبل والبقر والغنم ـ ﴿فهُم لَها مالِكُونَ﴾: ضابطون ـ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ﴿وذَلَّلْناها﴾: سخَّرناها ﴿لَهُم، فمِنها رَكُوبُهُم﴾: مركوبهم ﴿ومنها يأكُلُونَ، ولَهُم فِيها مَنافِعُ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿ومَشارِبُ﴾ من لبنها: جمعُ مَشرَب بمعنى شُربٍ أو موضعِه؟ ﴿أفلا يَشكُرُونَ﴾ المُنعِم عليهم بها فيُؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

٧٤ ـ ﴿واتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه أصنامًا ﴿آلِهةً﴾ يعبدونها، ﴿لَعَلَّهُم يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون من عذاب الله بشفاعة آلهتهم بزعمهم. ٧٥ ـ ﴿لا يَستَطِيعُونَ﴾ أي: آلهتُهم ـ نُزِّلوا منزلةَ العقلاء ـ ﴿نَصْرَهُم، وهُم﴾ أي: آلهتُهم من الأصنام ﴿لَهُم جُندٌ﴾ بزعمهم نصرَهم،.........................

وقولُه: (للعَطْفِ) أي: على الجُمَلِ السَّابقةِ.

أو المرادُ: على الجُملَةِ المنفيَّةِ بعد الاستفهامِ، وقولُه: (للعَطْفِ) يعني: على مُقَدَّرٍ، تقديرُهُ: ألم يتفكَّروا، ولم يعلموا.

قولُه: (هِيَ الإِبِلُ) خَصَّها بالذِّكرِ؛ لما فيها مِن بدائِعِ الفِطرَةِ، وكثْرَةِ المنافِعِ.

قولُه: (ضَابِطُونَ) أي: متمَكِّنونَ من ضَبطِها، قالَ[1]:

أصبَحْتُ لا أحْمِلُ السِّلاحَ ولا ... أمْلِكُ رأسَ البَعيرِ إنْ نفَرا

أي: لا أضبطُهُ.

وقيلَ: متملِّكونَ.

قولُه: (سَخَّرْنَاهَا) أي: صَيَّرناها منقادَةً.

قولُه: (مَركُوبُهُم ﴿وَمِنْها﴾) ما يأكلونَ لحمَهُ.

قولُه: (كأَصْوافِهَا) وجُلودِها.

قولُه: (شُرْبٍ) بالتَّثليثِ، مصدَرٌ.

قولُه: (أي: مَا فَعَلُوا) فالاستِفهامُ للإنكارِ، وهو يفيدُ النَّفيَ، وقدَّرَهُ ليعطفَ عليه: ﴿وَاتَّخَذُوا﴾.

قولُه: (بزَعْمِهِم) والأمرُ بالعَكسِ.

قولُه: (بزَعْمِهِم) أي: الكفَّارِ.

---

(١) نسبه سيبويه في «الكتاب» (١/ ٨٩) للربيع بن ضبُع الفزاري.

﴿مُحضَرُونَ﴾ في النار معهم. ٧٦ ـ ﴿فلا يَحزُنْكَ قَولُهُم﴾ لك: «لَستَ مُرسَلاً» وغيرَ ذلك. ﴿إنّا نعلَمُ ما يُسِرُّونَ وما يُعلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره فنُجازيهم عليه.

٧٧ ـ ﴿أوَلَم يَرَ الإنسانُ﴾ يعلمْ ـ وهو العاصِ بنُ وائل ـ ﴿أنّا خَلَقْناهُ مِن نُطْفةٍ﴾ مَنِيٍّ إلى أن صيَّرناه شديدًا قويًّا، ﴿فإذا هُوَ خَصِيمٌ﴾: شديد الخُصومة لنا ﴿مُبِينٌ﴾: بيِّنُها في نفي البعث؟ ٧٨ ـ ﴿وضَرَبَ لَنا مَثَلاً﴾ في ذلك، ﴿ونَسِيَ خَلْقَهُ﴾ من المَنِيِّ، وهو أغرب من مَثله، ﴿قالَ: مَن يُحيِي العِظامَ، وهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية؟ ولم يقل بالتاء لأنه اسم لا صِفة. رُوي أنه أخذ عظمًا رميمًا ففتَّته، وقال للنبيّ: أتَرَى يُحيي اللهُ هذا بعدَ ما بَلِيَ ورَمَّ؟ فقال ﷺ: «نَعَمْ ويُدخِلُكَ النّارَ».

٧٩ ـ ﴿قُلْ: يُحيِيها الَّذِي أنشَأَها أوَّلَ مَرّةٍ، وهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ﴾ أي: مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مُجمَلاً ومُفصَّلاً قبل خلقه وبعد خلقه، ٨٠ ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾ في جُملة الناس ﴿مِنَ الشَّجَرِ الأخضَرِ﴾: المَرْخ والعَفار

قولُه: (مَعَهُم): لعَذابِهِم؛ لأنَّهم يُجعَلون وقودَ النَّارِ، هذا قولُ «الكشَّافِ»[1].

أو المعنى: أنَّ الكفَّارَ لآلهتِهِم جنْدٌ محضَرونَ في الدُّنيا يَغضَبونَ للآلهةِ ويحفَظونَها، وهو قولُ أكثرِ السَّلفِ[2].

قولُه: (هُو العَاصِ) أو أُبَيُّ بنُ خَلَفٍ.

قولُه: (فِي ذَلِكَ) أي: أمراً عجيباً، وهو نَفيُ القُدرَةِ على إحياءِ الموتى.

قولُه: (لأَنَّهُ اسمٌ) بالغلبَةِ، وقيلَ: فعيلٌ بمعنى: مفعولٍ، من رممتُه.

قولُه: (رَمِيْماً) ظاهِرُه الوصفيَّةُ.

قولُه: (في جُملَةِ النَّاسِ) يعني: الخطابُ للعرَبِ، أو لأهلِ مكَّةَ.

قولُه: (المَرْخِ) بفتحِ الميمِ وسكونِ الرَّاءِ والخاءِ المعجمةِ، شجَرٌ سريعُ الوَرْيِ؛ أي: القَدْحِ.

قولُه: (والعَفَارِ) بفتحِ العينِ المهملةِ وفاءٍ، وراءٍ بعدَ ألفٍ: الزَّنْدُ وهو الأعلى، والمرخُ: الزَّندةُ وهي السُّفلى، قالَهُ الجوهريُّ[3]، لكن عكسَ الزَّمخشريُّ ذلك[4].

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/ ٥٥٢).

(٣) انظر: «الصحاح» (١/ ٤٣١).

(٤) في «الكشاف» (٤/ ٤٦٧): ويسمون الأعلى: الزند، والأسفل: الزندة.

أو كُلّ الشجر إلاّ العُنّاب ﴿نارًا، فإذا أنتم مِنهُ تُوقِدُونَ﴾: تَقدحون. وهذا دالّ على القُدرة على البعث، فإنه جمع فيه بين الماء والنار والخشب، فلا الماءُ يُطفئ النار، ولا النارُ تُحرق الخشب.

٨١ ـ ﴿أوَلَيسَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ﴾ مع عِظمهما ﴿بِقادِرٍ علَى أن يَخلُقَ مِثلَهُم﴾ أي: الأناسيِّ في الصِّغر؟ ﴿بَلَى﴾ أي: هو قادر على ذلك ـ أجاب نفسَه ـ ﴿وهُوَ الخَلاّقُ﴾: الكثير الخلق ﴿العَلِيمُ﴾ بكُلّ شيء. ٨٢ ـ ﴿إنَّما أمرُهُ﴾: شأنه، ﴿إذا أرادَ شَيئًا﴾ أي: خَلْقَ شيء، ﴿أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾، أي: فهو يكون. وفي قراءة بالنصب عطفًا على «يقولَ». ٨٣ ـ ﴿فسُبحانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ﴾: مُلكُ، زيدت الواو والتاء للمبالغة، أي: القُدرةُ على ﴿كُلِّ شَيءٍ، وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾: تُردُّون في الآخرة!

قولُه: (أو كُلِّ شَجَرٍ) والمرادُ: الزِّنادُ الَّتي توري بها الأعرابُ، وأكثرُها مِنْ شجرِ المَرْخِ والعَفارِ الخَضراوَينِ.

قولُه: (تَقْدَحُونَ) بأن يُسحقَ المَرْخُ على العَفارِ، وهما خَضراوانِ يقطرُ منهما الماءُ، فتنقدِحُ منهُ النّارُ.

قولُه: (عِظَمِهِمَا) جِرْماً وشَأناً.

قولُه: (في الصِّغَرِ) والحقارَةِ بالإضافةِ إليهما، فإنَّ خَلْقَ الصَّغيرِ أسهلُ عندَكُم.

قولُه: (أجَابَ نَفْسَهُ) لتقريرِ ما بعدَ النَّفيِ، مُشْعِراً بأنَّهُ لا جوابَ سِواهُ.

قولُه: (﴿فَيَكُونُ﴾) أي: يَحدُثُ.

قولُه: (وفِي قِرَاءَةٍ) للشّاميِّ والكسائيِّ[1].

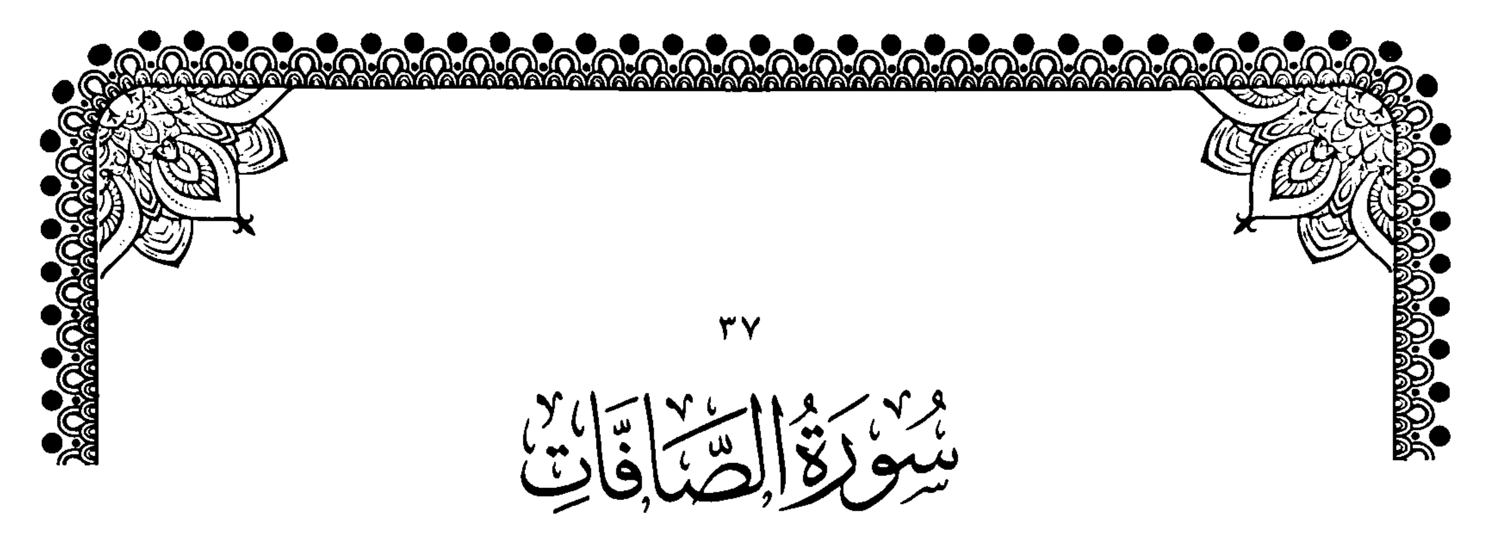
قولُه: (على ﴿يَقُولَ﴾) ومعنى يقول كنْ: يُكوِّنُه، فهو تمثيلٌ لتأثيرِ قدرتِهِ تعالى في مرادِهِ بأمرِ المطاعِ للمُطيعِ في حصولِ المأمورِ من غَيرِ امتناعٍ وتوقُّفٍ وافتقارٍ إلى مزاولةِ عملٍ واستعمالِ آلةٍ قَطْعاً لمادَّةِ الشُّبهةِ، وهي قياسُ قُدْرةِ اللهِ على قُدْرةِ الحقِّ.

قولُه: (تُرَدُّونَ) وَعدٌ ووعيدٌ للمُقِرِّينَ والمنكِرينَ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٤٤).



مكية، مِائَةٌ واثنتانِ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والصّافّاتِ صَفًّا﴾: الملائكةِ تصُفّ نُفوسَها في العِبادة أو أجنحتَها في الهواء، تنتظر ما تُؤمر به، ٢ ـ ﴿فالزّاجِراتِ زَجرًا﴾: الملائكةِ تَزجرُ السحاب، أي: تسوقه، ٣ ـ ﴿فالتّالِياتِ﴾: جماعةِ قُرّاءِ القُرآن تتلوه ﴿ذِكرًا﴾: مصدرٌ من معنى: التاليات، ٤ ـ ٥ ـ ﴿إنَّ إلـٰهَكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ....

سورة الصافات

قولُه: (فِي العِبَادَةِ) أو في مقامِ العُبوديَّةِ على مراتِبَ، باعتِبارِها تُفيضُ عليهم الأنوارَ الإلهيَّةَ.

قولُه: (تَنتَظِرُ) ناظرةٌ إلى الوجهَينِ.

قولُه: (السَّحَابَ) أو الأجرامَ العُلويَّةَ والسُّفليَّةَ بالتَّدبيرِ المأمورِ فيها، أو النَّاسَ عن المعاصي بإلهامِ الخَيرِ، والشَّياطينَ عن التَّعرُّضِ لهم.

قولُه: (جَمَاعَةُ) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن ابنِ مسعودٍ، أنَّ المرادَ بالثَّلاثةِ: الملائكةُ[1]؛ يعني: التَّالينَ آياتِ اللهِ وجَلايا قُدْسِهِ على أنبيائِهِ وأوليائِهِ.

قولُه: (مَصدَرٌ) الأظهرُ أنَّهُ مفعولٌ.

قولُه: (يَا أَهْلَ مَكَّةَ) بل: يا أيُّها النَّاسُ، جوابُ القسَمِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٩٠٤١)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢١٤) (٩٠٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٧) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

﴿لَواحِدٌ، رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَيْنَهُما، ورَبُّ المَشارِقِ﴾ أي: والمغاربِ للشمس، لها كُلَّ يوم مشرِق ومغرِب.

٦ ـ ﴿إنّا زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا بِزِينةٍ الكَواكِبِ﴾ أي: بضوئها أو بها ـ والإضافةُ للبيان، كقراءة تنوين «زينةٍ» المُبيَّنةِ بـ«الكواكب» ـ ٧ ـ ﴿وحِفظًا﴾: منصوبٌ بفعل مقدّر أي: حفظناها بالشهب ﴿مِن كُلِّ﴾: مُتعلّقٌ بالمقدّر ﴿شَيطانٍ مارِدٍ﴾: عاتٍ خارج عن الطاعة. ٨ ـ ﴿لا يَسَّمَّعُونَ﴾ أي: الشياطينُ ـ مستأنف، وسَماعهم هو في المعنى: المحفوظُ عنه ـ ﴿إلَى المَلَإِ الأعلَى﴾: الملائكة في السماء ـ وعُدِّيَ السَّماع ....

قولُه: (أي: والمَغَارِبِ) فحُذِفَ اكتفاءً، مع أنَّ الشُّروقَ أدَلُّ على القُدرَةِ، وأبلغُ في النِّعمَةِ.

قولُه: (للشَّمْسِ) وقيلَ: للكَواكِبِ.

قولُه: (لهَا كُلَّ يَومٍ) فالجمعُ بهذا الاعتبارِ، والتَّثنيةُ في آيةٍ أخرى باعتبارِ مشرِقَيِ الشِّتاءِ والصَّيفِ، والإفرادُ في أخرى: باعتِبارِ الجنسِ.

قولُه: (أي: بِضَوئِهَا) يعني: بنورِ الكواكِبِ.

قولُه: (أو بِهَا) أي: بالكواكِبِ.

قولُه: (للبَيَانِ) على أنَّها اسمٌ؛ أي: بزينَةٍ هي الكواكِبُ.

قولُه: (كقِرَاءَةِ تَنوِينٍ) معَ جَرِّ ﴿الكَواكِبِ﴾ لحفصٍ وحمزةَ[1].

قولُه: (المُبَيَّنَةِ) أو المبدَلَةِ، ويحتملُ إضافةَ المصدَرِ إلى المفعولِ، ويؤيِّدُه قراءةُ شعبةَ بالتَّنوينِ والنَّصبِ على الأصلِ[2].

قولُه: (بالشُّهُبِ) أي: برَمْيِها.

قولُه: (بالمُقَدَّرِ) لأنَّه أقوى في العَملِ.

قولُه: (مُستَأْنَفٌ) أي: كلامٌ مبتَدَأٌ لبَيانِ حالِهِم بعدما حَفِظَ السَّماءَ عنهم.

قولُه: (المَحْفُوظُ) الظَّاهرُ: المحفوظَةُ.

قولُه: (المَلائِكَةِ) أو أشرافِهِم.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٢) انظر المصدر السابق.

بـ «إلى» لتضمّنه معنى الإصغاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله «يَتَسَمَّعُونَ» أُدغمت التاء في السين ـ ﴿وَيُقذَفُونَ﴾ أي: الشياطينُ بالشُّهب ﴿مِن كُلِّ جانِبٍ﴾ من آفاق السماء، ٩ ـ ﴿دُحُورًا﴾: مصدرُ: دَحَرَه، أي: طرَده وأبعده، وهو مفعول له، ﴿ولَهُم﴾ في الآخرة ﴿عَذابٌ واصِبٌ﴾: دائم، ١٠ ـ ﴿إلاّ مَن خَطِفَ الخَطْفَةَ﴾ مصدرٌ أي: المرّةَ ـ والاستثناء من ضمير «يسمعون» ـ أي: لا يسمع إلاّ الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة، ﴿فأتبَعَهُ شِهابٌ﴾: كوكب مضيء ﴿ثاقِبٌ﴾:

قولُه: (مَعنَى الإِصْغَاءِ) مبالغةً لنَفيِهِ وتهويلاً لِمَا يمنعُهُم عنهُ، ويدلُّ عليه قراءَةُ حمزةَ والكسائيِّ وحفصٍ بالتَّشديدِ من التَّسَمُّعِ[1]: وهو تَطلُّبُ السَّماعِ.

قولُه: (أُدْغِمَتِ التَّاءُ) بعد إبدالِها سيناً.

قولُه: (أي: الشَّيَاطِينُ) أي: يُرمَونَ إذا قَصَدوا الصُّعودَ.

قولُه: (دَائِمٌ) أو شَديدٌ.

قولُه: (مِن ضَمِيرِ ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾) و﴿مَنْ﴾ بدلٌ منه.

قولُه: (بِسُرعَةٍ) الخَطفُ: الاختلاسُ، والمرادُ: اختلاسُ كَلامِ الملائكَةِ مُسارَقَةً.

قولُه: (كَوْكَبٌ) وأتبَعَ؛ بمعنى: تَبعَ، والشِّهابُ: ما يُرى كأنَّ كوكَباً انقضَّ، وما رُوِيَ أنَّ ذلك حَدَثَ بميلادِ النَّبيِّ ﷺ[2]، فلعلَّ المرادَ كثرةُ وقوعِهِ، واختُلِفَ في أنَّ المرجومَ يتأذَّى به فيَرجِعُ، أو يحترِقُ به لكن قد يُصيبُ الصَّاعدَ مرَّةً وقد لا يُصيبُ؛ كالمَوجِ لراكِبِ السَّفينَةِ، ولذلك لا يرتَدعونَ عنه رأساً.

قولُه: (مُضِيءٌ) الظَّاهرُ: أنَّه تفسيرٌ لـ﴿ثَاقِبٌ﴾، فكأنَّهُ يثقُبُ الجوَّ بضَوئِهِ، كما قالَهُ القاضي[3]، ويمكنُ أن يكونَ الضَّوءُ داخِلاً في مفهومِ الشِّهابِ؛ لأنَّه على ما في «القاموسِ»: شُعلَةٌ مِن نارٍ ساطعَةٍ، والماضِي في الأمرِ[4]، انتهى. فيجوزُ في المُضيِّ الهمزُ والتَّشديدُ.

---

(١) انظر: «تحبير التيسير في القراءات العشر» (ص: ٥٢٨).

(٢) ذكر الثعلبي في «الكشف والبيان» (١٥/ ٤٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه: فلما ولد محمَّد ﷺ منعوا من السماوات أجمع، فما منهم من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب.

وقد روى البخاري (٤٩٢١) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس ما يفيد بأن ذلك لم يكن مختصًّا بوقت الولادة، وفيه: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء، وأرسلت علينا الشهب، قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث... الحديث.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٦).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣).

يَثقبُه أو يُحرقه أو يُخبّله.

١١ ـ ﴿فاستَفتِهِم﴾: استخبرْ كُفّار مكّة تقريرًا أو توبيخًا: ﴿أهُم أشَدُّ خَلقًا أم مَن خَلَقْنا﴾ من الملائكة والسماوات والأرَضِينَ وما فيهما؟ وفي الإتيان بـ «مَن» تغليبُ العقلاء. ﴿إنّا خَلَقْناهُم﴾ أي: أصلَهم آدمَ ﴿مِن طِينٍ لازِبٍ﴾: لازم يلصق باليد. المعنى أنّ خلقهم ضعيف، فلا يتكبّروا بإنكارِ النبيّ والقُرآن المؤدّي إلى هلاكهم اليسير.

١٢ ـ ﴿بَل﴾: للانتقال من غرض إلى آخر، وهو الإخبار بحاله وحالهم، ﴿عَجِبتَ﴾ ـ بفتح التاء خِطابًا للنبيّ ـ أي: من تكذيبهم إياك، ﴿و﴾ هم ﴿يَسخَرُونَ﴾ مِن تعجّبك، ....

قولُه: (أو يُحرِقُهُ) لا يقالُ: إنَّ الشَّيطانَ من النَّارِ فلا يحتَرِقُ= لأنَّهُ ليسَ من النَّارِ الصِّرفِ، كما أنَّ الإنسانَ ليسَ منَ التُّرابِ الخالِصِ، مع أنَّ النَّارَ القويَّةَ إذا استَولَت على النَّارِ الضَّعيفَةِ استَهلَكَتْها.

قولُه: (كُفَّارَ مَكَّةَ) أو المشركينَ.

قولُه: (تَقرِيراً) أي: حَمْلاً على الإقرارِ بالحَقِّ من الأمرَينِ.

قولُه: (ومَا فِيهَا) وفي نسخةٍ: «وما فيهما» يعني: من الكواكِبِ والشُّهُبِ الثَّواقِبِ.

قولُه: (تَغلِيبُ العُقَلاءِ) وقيلَ: المرادُ بـ﴿مَنْ خَلَقْنَا﴾: مَن قَبْلَهُم كعادٍ وثمودَ، وهو غيرُ صَحيحٍ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم﴾.

قولُه: (أي: أَصْلَهُم) أو: أصلَ مادَّتِهِم.

قولُه: (اليَسِيرِ) أي: الهَيِّنِ على اللهِ تعالى.

قولُه: (بِفَتْحِ التَّاءِ) وحمزةُ والكسائيُّ بضمِّها[1]؛ أي: بلغَ كمالُ قُدرَتي أنِّي تعجَّبْتُ منها وهؤلاءِ بجَهلِهِم يسخَرونَ منها، أو: عجِبْتُ مِن أن يُنكَرَ البعثُ مِمَّن هذه أفعالُهُ، وهم يسخرُونَ ممَّن يُجوِّزُهُ، والعَجَبُ من اللهِ: إمَّا على سبيلِ الفَرْضِ، أو على معنى الاستعظامِ اللَّازمِ له، فإنَّه روعةٌ تَعتَري الإنسانَ عند استعظامِهِ لشيءٍ، وقيلَ: التَّقديرُ: قُل يا محمَّدُ.

قولُه: (مِنْ تَكذِيبِهِم) أو من قُدرَةِ اللهِ، أو إنكارِهِم البعثَ.

قولُه: (هُم) أشارَ[2] إلى أنَّ الجملةَ حاليَّةٌ.

قولُه: (مِنْ تَعجُّبِكَ) أو تقريرِكَ للبَعْثِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٢) في (م): «إشارة».

١٣ ـ ﴿وإذا ذُكِّرُوا﴾: وُعظوا بالقُرآن ﴿لا يَذكُرُونَ﴾: لا يتّعظون، ١٤ ـ ﴿وإذا رأَوا آيَةً﴾ كانشقاق القمر ﴿يَستَسخِرُونَ﴾: يستهزئون بها، ١٥ ـ ﴿وقالُوا﴾ فيها: ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ سِحرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنٌ. وقالوا منكرين للبعث: ١٦ ـ ﴿أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا لَمَبعُوثُونَ﴾ ـ في الهمزتين في الموضعين التحقيقُ، وتسهيلُ الثانية، وإدخالُ ألف بينهما على الوجهين ـ ١٧ ـ ﴿أوْ آباؤُنا الأوَّلُونَ﴾؟ بسكون الواو عطفًا بـ «أو»، وبفتحها والهمزة للاستفهام والعطفُ بالواو. والمعطوف عليه محلُّ «إن» واسمِها، أو الضميرُ في «لمبعوثون» والفاصل همزة الاستفهام.

١٨ ـ ﴿قُلْ: نَعَم﴾ تُبعثون، ﴿وأنتُم داخِرُونَ﴾: صاغرون. ١٩ ـ ﴿فإنَّما هِيَ﴾: ضميرٌ مُبهم يُفسّره ﴿زَجْرةٌ﴾ أي: صيحة ﴿واحِدةٌ، فإذا هُم﴾ أي: الخلائق أحياءٌ ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما يُفعل بهم،.............

قولُه: (بالقُرآنِ) أو بشَيءٍ.

قولُه: (فِيهَا) أي: الآيةِ، وقولُهُم: ﴿إِنْ هَذَا﴾ يَعنونَ ما يَرَونَهُ.

قولُه: (بالهَمزَتَينِ) تقدَّمَ[1]، وقرأَ الشَّاميُّ بالإخبارِ في الأوَّلِ، ونافِعٌ والكسائيُّ في الثَّاني[2].

قولُه: (بِسُكُونِ الواوِ) قالونُ وشاميٌّ[3].

قولُه: (بـ﴿أو﴾) على التَّرديدِ.

قولُه: (والهَمْزَةُ) بالرَّفعِ.

قولُه: (والفَاصِلُ) بينَ المعطوفِ والمعطوفِ عليهِ.

قولُه: (هَمزَةُ الاستِفهَامِ) لزيادةِ الاستِبْعادِ لبُعدِ زَمانِهِم.

قولُه: (تُبعَثُونَ) وفي البيضاويِّ: قُرِئَ (نَعِمْ) بالكسرِ[4]، سهوٌ؛ لأنَّه قراءَةُ الكسائيِّ حيثُ جاءَ[5].

قولُه: (ضَمِيرٌ مُبهَمٌ) وقالَ القاضي: جوابُ شَرطٍ مُقدَّرٍ؛ أي: إذا كانَ ذلك فإنَّما البَعثَةُ[6].

قولُه: (أيْ: صَيحَةٌ ﴿واحدةٌ﴾) وهي النَّفخَةُ الثَّانيةُ، من زَجَرَ الرَّاعي غنمَهُ: إذا صاحَ عليها.

قولُه: (أَحيَاءٌ) أو: قيامٌ مِن مَراقِدِهم يُبصِرونَ أو ينتَظِرونَ.

---

(١) في الآية رقم: (٥) من سورة الرعد.

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٣٢).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٤) هذا لفظ الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٨)، أما البيضاوي فعبارته في «أنوار التنزيل» (٥/ ٧): وقرأ الكسائي....

(٥) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١١٠).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٧).

٢٠ ـ ﴿وقالوا﴾ أي: الكفّار: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. وهو مصدر لا فِعل له من لفظه. وتقول لهم الملائكة: ﴿هذا يَومُ الدِّينِ﴾ أي: الحِسابِ والجزاء، ٢١ ـ ﴿هذا يَومُ الفَصلِ﴾ بين الخلائق، ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

٢٢ ـ ٢٣ ـ ويقال للملائكة: ﴿احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفُسَهم بالشِّرك ﴿وأزواجَهُم﴾: قُرناءهم من الشياطين، ﴿وما كانُوا يَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه من الأوثان، ﴿فاهدُوهُم﴾: دُلّوهم وسوقوهم ﴿إلَى صِراطِ الجَحِيمِ﴾: طريق النار، ٢٤ ـ ﴿وقِفُوهُم﴾: احبِسوهم عِند الصِّراط. ﴿إنَّهُم مَسؤُولُونَ﴾ عن جميع أقوالهم وأفعالهم. ويقال لهم توبيخًا: ٢٥ ـ ﴿مالَكُم لا تَناصَرُونَ﴾: لا ينصر بعضكم بعضًا، كحالكم في الدنيا؟ ويقال عنهم: ٢٦ ـ ﴿بَل هُمُ اليَومَ مُستَسلِمُونَ﴾: منقادون أذِلاّء.

٢٧ ـ ﴿وأقبَلَ بَعضُهُم علَى بَعضٍ يَتَساءَلُونَ﴾: يتلاومون ويتخاصمون. ٢٨ ـ ﴿قالُوا﴾ أي: الأتباعُ منهم للمتبوعين: ﴿إنَّكُم كُنتُم تأتُونَنا عَنِ اليَمِينِ﴾: عن الجِهة التي كنّا نأمنكم منها بحَلِفِكم إنكم على الحقّ، فصدّقناكم واتّبعناكم. المعنى: إنكم أضللتمُونا. ٢٩ ـ ﴿قالُوا﴾ أي: المتبوعون لهم: ﴿بَل لَم تَكُونُوا مُؤمِنِينَ﴾ ـ وإنما يَصدق الإضلالُ منّا أن لو كنتم مؤمنين، فرجَعتم عن الإيمان إلينا ـ

قولُه: (للتَّنْبِيهِ) والأظهرُ: أنَّه للنِّداءِ.

قولُه: (المَلائِكَةُ) والظَّاهرُ: أنَّ الأوَّلَ من كلامِ الكفَّارِ، والثَّاني جوابُ الملائكةِ، وقيل: هو أيضاً من كَلامِ بعضِهم لبعضٍ.

قولُه: (بَينَ الخَلائِقِ) والفَصْلُ: القضاءُ، أو الفرقُ بينِ المحسِنِ والمُسيءِ.

قولُه: (قُرَناءَهُم) أو: أشباهُهُم، كعابِدِ الصَّنمِ مع عبَدَةِ الصَّنمِ.

قولُه: (مِنَ الأَوْثَانِ) وغيرِها، وهو عامٌّ مخصوصٌ بقولِهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى﴾ الآيَةَ [الأنبياء: ١٠١].

قولُه: (عِنْدَ الصِّرَاطِ) أي: الجِسرِ، أو في الموقِفِ، والواوُ لا توجِبُ التَّرتيبَ.

قولُه: (وأَفْعَالِهِم) وعقائدِهِم.

قولُه: (بَعْضاً) بالتَّخليصِ، وهو توبيخٌ.

قولُه: (مُنقَادُونَ) لعجزِهِم.

قولُه: (ويَتَخَاصَمُونَ) أي: سؤالُهُم للتَّوبيخِ.

٣٠ ـ ﴿وما كانَ لَنا علَيكُم مِن سُلطانٍ﴾: قُوّة وقُدرة تقهركم على مُتابعتنا، ﴿بَل كُنتُم قَومًا طاغِينَ﴾: ضالّين مِثلَنا، ٣١ ـ ﴿فحَقَّ﴾: وجب ﴿علَينا﴾ جميعًا ﴿قَولُ رَبِّنا﴾ بالعذاب، أي قوله: «لأملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنّةِ والنّاسِ أجمَعِينَ» ـ ﴿إنّا﴾ جميعًا ﴿لَذائقُونَ﴾ العذابَ بذلك القول ـ ونشأ عنه قولُهم: ٣٢ ـ ﴿فأغوَيناكُم﴾ المُعلَّل بقولهم: ﴿إنّا كُنّا غاوِينَ﴾.

٣٣ ـ قال تعالى: ﴿فإنَّهُم يَومَئذٍ﴾: يومَ القيامةِ ﴿في العَذابِ مُشتَرِكُونَ﴾ أي: لِاشتراكهم في الغَواية. ٣٤ ـ ﴿إنّا كَذلِكَ﴾: كما نفعل بهؤلاء ﴿نَفعَلُ بِالمُجرِمِينَ﴾ غيرِ هؤلاء، أي: نُعذّبهم التابعَ منهم والمتبوع. ٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿إنَّهُم﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده، ﴿كانُوا إذا قِيلَ لَهُم: لا إلـٰهَ إلاّ اللهُ. يَستكبِرُونَ، ويَقُولُونَ: أإنّا﴾ ـ في همزتيه ما تقدّم ـ ﴿لَتارِكُو آلِهتِنا لِشاعِرٍ مَجنُونٍ﴾ أي: لِأجل قول مُحمّد؟ ٣٧ ـ قال تعالى: ﴿بَل جاءَ بِالحَقِّ وصَدَّقَ المُرسَلِينَ﴾ الجائين به. وهو قول: لا إلـٰهَ إلاّ اللهُ.

٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿إنَّكُم﴾ ـ فيه التفات ـ ﴿لَذائقُو العَذابِ الألِيمِ، وما تُجزَونَ إلاّ﴾ جزاءَ ﴿ما كُنتُم تَعمَلُونَ، إلاّ عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناءٌ منقطع، أي: ذُكِرَ جزاؤهم في قوله:.........

قولُه: (ضَالِّيْنَ) مُختارينَ الطُّغيانَ والضَّلالَةَ.

قولُه: (بالعَذَابِ) يعني: أنَّ ضَلالَ الفريقينِ ووقوعَهُم في العذابِ كانَ أمْراً مَقضيًّا لا مَحيصَ لهم عنه، وأنَّ غايَةَ ما فعَلوا بهم أنَّهُم دَعَوهم إلى الغَيِّ؛ لأنَّهُم كانوا على الغَيِّ فأحبُّوا أن يكونوا مِثلَهُم، وفيه إيماءٌ بأنَّ غِوايَتَهُم في الحقيقَةِ ليسَت مِن قِبَلِهِم، إذ لو كانَ كُلُّ غِوايَةٍ لإغواءِ غاوٍ فمَن أغواهُم، كذا أفادَهُ القاضي[1] رحمَهُ اللهُ رحمةً واسعَةً.

قولُه: (ونَشَأَ عنهُ) أي: عن القَولِ بالعذابِ على ما قدَّمناهُ.

قولُه: (كمَا نَفْعَلُ) الصَّحيحُ: مِثلَ ذلك الفعلِ نفعَلُ بالمشركينَ مُطلَقاً.

قولُه: (أي: هَؤُلاءِ) المشرِكونَ.

قولُه: (بِقَرِينَةِ مَا بَعدَهُ) أي: يستكبِرونَ عن كلمَةِ التَّوحيدِ، أو على مَن يَدعوهُم إليه.

قولُه: (جَزَاءَ) أو مِثلَ.

قولُه: (ذُكِرَ جَزَاؤُهُم) والأظهرُ: لكنَّ ﴿عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ﴾ أولئكَ، بأن يكونَ ﴿عباد اللهِ﴾ مبتدأً، والجملةُ خبرُه.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٩).

٤١ ـ ﴿أُولئِكَ لَهُم﴾ في الجنّة ﴿رِزقٌ مَعلُومٌ﴾ بُكرةً وعشيًّا، ٤٢ ـ ﴿فَواكِهُ﴾: بدلٌ أو بيانٌ للزرق ـ وهو ما يُؤكل تلذُّذًا لا لِحِفظ صِحّة لأنّ أهل الجنّة مُستغنون عن حِفظها بخلق أجسامهم للأبد ـ ﴿وهُم مُكرَمُونَ﴾ بثواب الله ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿في جَنّاتِ النَّعِيمِ، علَى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ﴾: لا يَرى بعضهم قفا بعض.

٤٥ ـ ﴿يُطافُ علَيهِم﴾: على كُلّ منهم ﴿بِكأسٍ﴾ هو الإناء بشرابه ﴿مِن مَعِينٍ﴾: من خمرٍ تجري على وجه الأرض كأنهار الماء، ٤٦ ـ ﴿بَيضاءَ﴾ أشدَّ بياضًا من اللبن ﴿لَذّةٍ﴾: لذيذة ﴿لِلشّارِبِينَ﴾، بخِلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب، ....

قولُه: (بُكرَةً وعَشيًّا) أو: خصائصُهُ من الدَّوامِ وتمحُّضِ اللَّذَّةِ.

قولُه: (صِحَّةٍ) الظَّاهرُ: بِنْيَةٍ.

قولُه: (بثَوَابِ اللهِ) أو في نَيلِ الرِّزقِ يَصِلُ إليهم مِن غَيرِ تَعَبٍ وسؤالٍ كما عليهِ رِزقُ الدُّنيا، وقولُه تعالى: ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[٤٣] أي: في جَنَّاتٍ ليسَ فيها إلَّا النَّعيمُ، ولذا قالَ ﷺ: «اللَّهمَّ لا عَيْشَ إلَّا عَيْشُ الآخرةِ» رواهُ أحمدُ والشَّيخانِ[١].

قولُه: (لا يَرَى) لأنَّ التَّقابُلَ أتمُّ سُرورٍ وأُنْسٍ، أو يكونُ هذا الوصفُ دائماً على خَرْقِ العادةِ.

قولُه: (هو الإِنَاءُ بشَرَابِهِ) في «القاموسِ»: الكأسُ: الإناءُ يُشرَبُ فيهِ، أو ما دامَ الشَّرابُ فيه مؤنَّثٌ[٢]. ولذا قالَ القاضي[٣]: بإناءٍ فيه خَمرٌ، أو خَمرٍ كقولِه:

وكَأْسٍ شُـرِبَتْ علـى لـذَّةٍ[٤]

والظَّاهرُ: أنَّ الثَّاني مَجازٌ: إمَّا بالتَّجريدِ، أو بإطلاقِ المحلِّ وإرادَةِ الحالِّ.

قولُه: (مِنْ خَمْرٍ) أي: شرابٍ مَعِيْنٍ، أو نَهرٍ مَعينٍ؛ أي: ظاهرٍ للعُيونِ جمعِ: عَينٍ، أو خارجٍ من العيونِ.

قولُه: (أَشَدَّ) هو وما بعدَهُ صِفَتانِ لـ﴿كَأْسٍ﴾.

قولُه: (لَذِيذَةٍ) إمَّا للمُبالَغَةِ كـ: رجلٍ عدلٍ، أو لأنَّها تأنيثُ لَذٍّ؛ بمعنى: لذيذٍ.

---

(١) رواه البخاري (٦٤١٣)، ومسلم (١٨٠٥)، وأحمد في «مسنده» (١٢٧٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٥٦٩).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٠).

(٤) قائله الأعشى، انظر: «ديوانه» (ص: ١٧٣)، و«خزانة الأدب» (١١/ ٤٣٤). وتمامه:

وأخـرى تداويـت منهـا بهـا

٤٧ ـ ﴿لا فِيها غَولٌ﴾: ما يَغتال عُقولهم ﴿ولا هُم عَنها يُنزَفُونَ﴾ ـ بفتح الزاي وكسرها من: نُزِفَ الشاربُ وأنزفَ ـ أي: يَسكرون بخِلاف خمر الدنيا، ٤٨ ـ ﴿وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: حابساتُ الأعين على أزواجهنّ، لا ينظرْن إلى غيرهم لِحُسنهم عندهنّ، ﴿عِينٌ﴾: ضِخامُ الأعيُنِ حِسانُها، ٤٩ ـ ﴿كأنَّهُنَّ﴾ في اللون ﴿بَيضٌ﴾ للنعام ﴿مَكنُونٌ﴾: مستور برِيشه لا يصل إليه غُبار، ولونه ـ وهو البياض في صُفرة ـ أحسنُ ألوان النساء.

قولُه: (مَا يَغْتَالُ) يُفسِدُ؛ أي: غائلةٌ كما في خمرِ الدُّنيا كالخِمارِ، من غالَهُ يغولُهُ: إذا أفسدَهُ، ومنهُ: الغَوْلُ؛ لأنَّه مُفسِدٌ، وفي «القاموسِ»: الغَوْلُ: الصُّداعُ والسُّكرُ والمشَقَّةُ[1].

قولُه: (وكَسْرِهَا) حمزةُ والكسائيُّ[2].

قولُه: (مِنْ: نُزِفَ) كعُنِيَ: ذهبَ عقلُهُ، أو سَكِرَ.

قولُه: (وأُنزِفَ) إذا نفدَ عقلُهُ أو شرابُه.

قولُه: (لحُسْنِهِم) ولغيرِهِ.

قولُه: (ضِخَامُ الأَعيُنِ) وقالَ القاضِي: نُجلُ العُيونِ[3]؛ يعني: الوِساع، وفي «القاموسِ»: عَيِنَ: كفَرِحَ، عَظُمَ سوادُ عَينِهِ في سَعَةٍ، جمع: عَيْناء[4].

قولُه: (حِسَانُهَا) تكميلٌ لدَفعِ توهُّمِ أن يكونَ كعُيونِ البَقرِ.

قولُه: (في اللَّونِ) والصَّفاءِ.

قولُه: (مَستُورٌ برِيْشِهِ) أو مَصونٌ من غُبارٍ ونحوِهِ.

قولُه: (ولَونُهُ) مبتدأٌ خبرُهُ (أَحسَنُ) وما بينهُما اعتراضٌ.

قولُه: (أَلْوَانِ النِّسَاءِ) يعني: عندَ العربِ، وإلَّا فعندَ العَجَمِ والرُّومِ: الأبيضُ المشْرَبُ بحمْرَةٍ هو الأحسَنُ، ولذا قالَ تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٥٨] أي: اللُّؤلُؤُ، وقالَ تعالى: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ [الواقعة: ٢٣]، فالظَّاهرُ أنَّ التَّشبيهَ هنا في الصَّفاءِ فقط، وفيه إيماءٌ إلى قولِهِ تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]، ولكنَّ اللَّونَ مُنحصِرٌ في البياضِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٤٠).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٠).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢١٨).

٥٠ ـ ﴿فأقبَلَ بَعضُهُم﴾: بعضُ أهل الجنّة ﴿علَى بَعضٍ، يَتَساءَلُونَ﴾ عمّا مرّ بهم في الدنيا. ٥١ ـ ﴿قالَ قائلٌ مِنهُم: إنِّي كانَ لِي قَرينٌ﴾: صاحبٌ يُنكر البعثَ، ٥٢ ـ ﴿يَقُولُ﴾ لي تَبكيتًا: ﴿أإنَّكَ لَمِنَ المُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث؟ ٥٣ ـ ﴿أإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أإنّا﴾ ـ في الهمزتين في الثلاثةِ مواضعَ ما تقدّم ـ ﴿لَمَدِينُونَ﴾: مَجزِيّون ومُحاسَبون؟ أنكر ذلك أيضًا. ٥٤ ـ ﴿قالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَل أنتُم مُطَّلِعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

٥٥ ـ ﴿فاطَّلَعَ﴾ ذلك القائل من بعض كُوى الجنّة، ﴿فرَآهُ﴾ أي: رأى قرينَه ﴿في سَواءِ الجَحِيمِ﴾: في وسَط النار. ٥٦ ـ ﴿قالَ﴾ له تشميتًا: ﴿تاللهِ، إنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة ﴿كِدتَ﴾: قاربتَ ﴿لَتُردِينِ﴾: لَتُهلِكُني بإغوائك! ٥٧ ـ ﴿ولَولا نِعمةُ رَبِّي﴾ أي: إنعامُه عليَّ بالإيمان ﴿لَكُنتُ مِنَ المُحضَرِينَ﴾ معك في النار.

ويقول أهل الجنّة: ٥٨ ـ ٥٩ ـ ﴿أفما نَحنُ بِمَيِّتِينَ إلاّ مَوتَتَنا الأُولَى﴾ التي في الدنيا، ﴿وما نَحنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذّذ وتحدُّث بنعمة الله ـ تعالى ـ من تأبيد الحياة وعدم التعذيب. ٦٠ ـ ٦١ ـ ﴿إنَّ هذا﴾ الذي ذُكِر لأهل الجنّة ....

قولُه: (عَمَّا مَرَّ بِهِم) أي: ما جَرى لهم وعليهم، أو: عن المعارفِ والفضائلِ، أو المعنى: يشرَبونَ فيتحدَّثونَ على الشَّرابِ كعادَةِ أهلِ الشُّربِ، كمَا قالَ:

وما بقيَتْ مِنَ اللَّذَّاتِ إلَّا   أحاديثُ الكِرَامِ على المُدامِ(١)

قولُه: (صَاحِبٌ) جَليسٌ.

قولُه: (تَبْكِيتاً) وتوبيخاً على التَّصديقِ بالبَعثِ.

قولُه: (أَنْكَرَ ذَلِكَ) أي: الجزاءَ، كما أنكَرَ البعْثَ.

قولُه: (لا) لا دلالة على «لا»، ولا على «بَلَى».

قولُه: (مِنْ بَعْضِ) أو من فَوقِ الغُرَفِ، والأظهرُ أنَّه اطِّلاعُ كَشفٍ بطريقِ خرقِ العادَةِ.

قولُه: (أَهْلُ الجَنَّةِ) أو ذلكَ القائلُ تَقْريعاً لقَرينِهِ، أو معاودَةً إلى مكالمةِ جلسائِهِ.

قولُه: (هُو اسْتِفهَامٌ) وما بعدَهُ عَطفٌ على محذوفٍ؛ أي: أنحنُ مُخلَّدونَ مُنعَّمونَ ﴿فما نحنُ بميِّتينَ﴾؛ أي: بمن شأنُهُ الموتُ، ونَصْبُ ﴿مَوْتَتَنَا﴾ على المصدَرِ من اسمِ الفاعلِ، وقيل: على الاستثناءِ المنقَطِعِ.

قولُه: (الَّذِي ذُكِرَ) من النِّعمَةِ والخُلودِ والأمنِ من العذابِ.

---

(١) نسبه في «يتيمة الدهر» (١/ ١٣٠، ١٣٢) لأبي محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفيَّاض.

﴿لَهُوَ الفوزُ العَظِيمُ. لِمِثلِ هذا فلْيَعمَلِ العامِلُونَ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

٦٢ - ﴿أذلِكَ﴾ المذكورُ لهم ﴿خَيرٌ نُزُلاً﴾ - وهو ما يُعدُّ للنازل من ضيف وغيره - ﴿أم شَجَرةُ الزَّقُّومِ﴾ المُعدّةُ لأهل النار؟ وهي من أخبثِ الشجر المرّ بتِهامة، يُنبتها الله في الجحيم كما سيأتي.

٦٣ - ﴿إنّا جَعَلْناها﴾ بذلك ﴿فِتْنةً لِلظّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكّة، إذ قالوا: النار تُحرق الشجرَ. فكيف تُنبتُه؟

٦٤ - ﴿إنَّها شَجَرةٌ، تَخرُجُ في أصلِ الجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنّم، وأغصانها ترتفع إلى دَرَكاتها، ٦٥ - ﴿طَلْعُها﴾ المُشبَّهُ بطلع النخلة ﴿كأنَّهُ رُؤُوسُ الشَّياطِينِ﴾: الحيّاتِ القبيحة المنظر، ٦٦ - ٦٧ - ﴿فإنَّهم﴾ أي: الكُفّارَ ﴿لَآكِلُونَ مِنها﴾، مع قُبحها لشِدّة جوعهم، ﴿فمالِئُونَ مِنها البُطُونَ، ثُمَّ إنَّ لَهُم علَيها لَشَوبًا مِن حَمِيمٍ﴾ أي: ماءٍ حارّ يشربونه، فيختلط بالمأكول منها فيصير شوبًا له، ....

قولُه: (﴿ذَلِكَ﴾) ما ذُكِرَ من الآيَتينِ.

قولُه: (لَهُم) لأهلِ الجنَّةِ.

قولُه: (مَا يُعَدُّ) ونصبُهُ على التَّمييزِ أو الحالِ.

قولُه: (بتِهَامَةَ) بالكسرِ: مكَّةَ، وأرضٍ معروفةٍ.

قولُه: (بذَلِكَ) أي: بذِكرِه، أو بتسميتِه.

قولُه: (فَكَيفَ تُنْبِتُهُ) ولم يعلموا أنَّ مَن قَدَرَ على خَلْقِ ما يعيشُ في النَّارِ ويُلتَذُّ بهَا، فهو أقدَرُ على خَلْقِ الشَّجرِ في النَّارِ، وحفظِهِ مِنَ النَّارِ، كذا قالَهُ القاضي[1].

ويمكنُ أن يُقالَ: فمَن قَدَرَ أن يَخلُقَ النَّارَ في الشَّجرِ فهو قادرٌ على أن يخلُقَ الشَّجَرَ في النَّارِ.

قولُه: (المُشَبَّهُ) أي: حِمْلُها.

قولُه: (أي: الحَيَّاتِ) الهائلَةِ لها أعرافٌ.

قولُه: (مَعَ قُبْحِهَا) أي: الشَّجرةِ أو طَلعِها.

قولُه: (لشِدَّةِ جُوعِهِم) أو الجَبرِ على أكلِها.

قولُه: (فيَصِيرُ شَوْباً) أو التَّقديرُ: لشَراباً من غسَّاقٍ أو صَديدٍ مَشوباً بماءٍ حَميمٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١١).

٦٨ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرجِعَهُم لَإِلَى الجَحِيمِ﴾. يُفيد أنهم يخرجون منها لشُرب الحميم وأنه خارجَها.

٦٩ ـ ٧٠ ـ ﴿إِنَّهُم ألفَوا﴾: وجدُوا ﴿آباءَهُم ضالِّينَ، فهُم علَى آثارِهِم يُهرَعُونَ﴾: يُزعَجون إلى اتّباعهم، فيُسرعون إليه. ٧١ ـ ﴿ولَقَد ضَلَّ قَبلَهُم أكثَرُ الأوَّلِينَ﴾ من الأُمم الماضية، ٧٢ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا فِيهِم مُنذِرِينَ﴾ من الرُّسل مُخوِّفين. ٧٣ ـ ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُنذَرِينَ﴾ الكافرين؟ أي: عاقبتُهم العذابُ، ٧٤ ـ ﴿إلاّ عِبادَ اللهِ المُخلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين. فإنهم نجَوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أو لأنّ الله أخلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

٧٥ ـ ﴿ولَقَد نادانا نُوحٌ﴾ بقوله: «رَبِّ إنِّي مَغلُوبٌ فانتَصِرْ»، ﴿فلَنِعمَ المُجِيبُونَ﴾ له نحن! أي: دعانا على قومه فأهلكناهم بالغرَق، ٧٦ ـ ﴿ونَجَّيناهُ وأهلَهُ مِنَ الكَربِ العَظِيمِ﴾ أي: الغرَق، ٧٧ ـ ﴿وجَعَلْنا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الباقِينَ﴾ ـ فالناس كُلّهم من نسله عليه السلام. وكان له ثلاثة أولاد: سامٌ وهو أبو العرب وفارسَ والرومِ، وحامٌ وهو أبو السودانِ، ويافِثُ وهو أبو الترك والخَزَر ويأجوجَ ومأجوجَ وما هُنالك ـ..........

قولُه: (يُفِيدُ) فيه أنَّ هذهِ الإفادةَ مُخالِفَةٌ لظاهِرِ قولِهِ تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧]، فالصَّوابُ أن يُقالَ: إلى دَرَكاتِها، أو وَسَطِها، أو إلى نَفْسِها بأنَّ الزَّقُّومَ والحميمَ نُزُلٌ يُقدَّمُ إليهم قبلَ دخولِها.

قولُه: (فيُسرِعُونَ) من غَيرِ تَوقُّفٍ على نَظَرٍ وبَحْثٍ.

قولُه: (مِنَ الأُمَمِ) قَبلَ قَومِكَ.

قولُه: (مُخَوِّفِينَ) من العَواقِبِ.

قولُه: (فَتْحِ اللَّامِ) نافعٌ وكوفيٌّ[1].

قولُه: (أي: الغَرَقِ) أو أذى قومِهِ.

قولُه: (مِن نَسْلِهِ) إذ رُوِيَ أنَّهُ ماتَ كلُّ من كانَ معَهُ في السَّفينةِ غَيرَ بنيهِ وأزواجِهِم[2].

قولُه: (والخَزَرِ) محرَّكةٌ: اسمُ جيلٍ خُزرِ العُيُونِ؛ أي: ضيقها وصِغَرها؛ يعني: التَّتارَ، وهو صنفٌ من التُّركِ، وفي بعضِ النُّسخِ: «الخزرج»، وهو تصحيفٌ وخطأٌ فاحِشٌ؛ لأنَّهم قبيلةٌ من الأنصار.

قولُه: (ومَا هُنالِكَ) يعني: قوماً يقربونَ إلى مكانِ يأجُوجَ ومأجُوجَ ﴿لا يكادُونَ يفقهُونَ قولاً﴾ [الكهف: ٩٣].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٣٤٨)، و«حجة القراءات» (ص: ٣٥٩).

(٢) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٢/ ٣٥٧) (٢٤١٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٧٨ ـ ﴿وتَركْنا﴾: أبقينا ﴿عليهِ﴾ ثناءً حسنًا ﴿في الآخِرِينَ﴾ من الأنبياء والأُمم إلى يوم القيامة ـ ٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ٨٢ ـ ﴿سَلامٌ﴾ منّا ﴿علَى نُوحٍ في العالَمِينَ. إنّا كَذلِكَ﴾: كما جزيناهُ ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ. إنَّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ ثُمَّ أغرَقْنا الآخَرِينَ﴾: كُفّارَ قومه.

٨٣ ـ ﴿وإنَّ مِن شِيعتِهِ﴾ أي: مِمّن تابعه في أصل الدِّين ﴿لَإبراهِيمَ﴾، وإن طال الزمان بينهما ـ وهو ألفان وستُّمِائَةٍ وأربعون سنة وكان بينهما هود وصالح ـ ٨٤ ـ ﴿إذ جاءَ﴾ أي: تابعه وقتَ مجيئه ﴿رَبَّهُ بِقَلبٍ سَلِيمٍ﴾ من الشكّ وغيره، ٨٥ ـ ٨٦ ـ ﴿إذ قالَ﴾ في هذه الحالة المستمرّة له ﴿لِأبِيهِ وقَومِهِ﴾ مُوبّخًا: ﴿ماذا﴾: ما الذي ﴿تَعبُدُونَ؟ أإفكًا﴾ ـ في همزتيه ما تقدّم ـ ﴿آلِهةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ﴾؟ وإفكًا: مفعول له، وآلهة: مفعول به لـ «تُريدون»، والإفك: أسوأُ الكذب، أي: أتعبدون غيرَ الله؟ ٨٧ ـ ﴿فما ظَنُّكُم بِرَبِّ العالَمِينَ﴾ إذ عبدتم غيره، أنه يترككم بلا عقاب؟ لا.

وكانوا نجّامِينَ، فخرجوا إلى عِيد لهم، وتركوا طعامهم عند أصنامهم ـ زعموا التبرُّك عليه ـ فإذا رجعوا أكلوه، وقالوا للسيّد إبراهيم: اخرُجْ معنا. ....

قولُه: (ثَنَاءً حَسَناً) إشارَةٌ إلى أنَّ مفعولَ ﴿تَرَكْنَا﴾ محذوفٌ.

قولُه: (كَمَا جَزَيْنَاهُ) الظَّاهرُ: مِثلَ ذلك الجزاءِ.

قولُه: (في أَصْلِ الدِّيْنِ) ولا يبعُدُ اتِّفاقُ شرعِهِما في الفروعِ، أو غالبِها.

قولُه: (أي: تَابَعَهُ) يعني: الظَّرفُ متعلِّقٌ بمَا في الشِّيعةِ من معنى المشايَعَةِ، أو التَّقديرُ: اذكُرْ.

قولُه: (وغَيْرِهِ) من الآفاتِ والعلائِقِ، ومعنى: المجيءِ به[1] ربَّهُ: إخلاصُهُ له، كأنَّهُ جاءَ مستَحِقًّا[2] إيَّاهُ.

قولُه: (في هَذِهِ الحَالَةِ) قالَ القاضي: بدلٌ من الأولى، أو ظرفٌ لـ﴿جَاءَ﴾، أو ﴿سَلِيمٍ﴾[3].

قولُه: (مَفعُولٌ لَهُ) قُدِّمَ لأنَّ الأهمَّ أن يُقرِّرَ أنَّهم على الباطلِ ومبنَى أمرِهِم على الإفْكِ.

قولُه: (مَفعُولٌ بِهِ) قُدِّمَ للعنايَةِ، أو مُراعاةً للفاصلَةِ.

قولُه: (لا) يعني: الاستفهامُ إنكارُ ما يوجِبُ ظنًّا ـ فَضْلاً عن قَطعٍ ـ يصُدُّ عن عبادَةِ غيرِه، أو يجوِّزُ الإشراكَ به، أو يقتَضي الأمنَ من عقابِهِ.

---

(١) أي: بقلب سليم.

(٢) كذا في النسخ، وفي «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣): «متحفاً».

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣).

٨٨ ـ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ إيهامًا لهم أنه يعتمد عليها ليتّبعوه، ٨٩ ـ ﴿فقالَ: إِنِّي سَقِيمٌ﴾: عليل، أي: سأسقَمُ. ٩٠ ـ ٩١ ـ ﴿فتَوَلَّوا عَنهُ﴾ إلى عِيدهم ﴿مُدبِرِينَ، فراغَ﴾: مالَ في خِفية ﴿إِلَى آلِهتِهِم﴾ ـ وهي الأصنام ـ وعندها الطعام، ﴿فقالَ﴾ استهزاءً: ﴿ألا تأكُلُونَ﴾. فلم ينطقوا. ٩٢ ـ فقال: ﴿مالَكُم لا تَنطِقُونَ﴾؟ فلم يُجَب، ٩٣ ـ ﴿فراغَ علَيهِم ضَربًا بِاليَمِينِ﴾: بالقُوّة، فكسرها.

فبلغ قومَه ممّن رآه، ٩٤ ـ ﴿فأقبَلُوا إِلَيهِ يَزِفُّونَ﴾ أي: يُسرعون المشي، فقالوا له: نحن نعبدها وأنت تكسِرها. ٩٥ ـ ﴿قالَ﴾ لهم مُوبّخًا: ﴿أَتعبُدُونَ ما تَنحِتُونَ﴾ من الحِجارة وغيرها أصنامًا، ٩٦ ـ ﴿واللهُ خَلَقَكُم وما تَعمَلُونَ﴾ من نحتكم ومنحوتكم؟...........

قولُه: (ليَتَّبِعُوهُ) أو ليَتركوهُ.

قولُه: (أي: سَأَسْقَمُ) يعني: أنَّه مُشارِفٌ للسَّقمِ، أو بصدَدِ الموتِ، ومنهُ المثلُ: كَفَى بالسَّلامةِ داءً، وقولُ لَبيدٍ:

فدَعَـوتُ رَبِّـي بالسَّـلامةِ جَاهِداً ... لِيُصِحَّنِـي فـإذا السَّـلامةُ داءُ[1]

ماتَ رجلٌ فجأةً، فقيلَ: ماتَ وهو صحيحٌ، فقالَ أعرابيٌّ: أصحيحٌ مَن الموتُ في عُنُقِهِ.

قولُه: (في خِفْيَةٍ) من روغَةِ الثَّعلبِ، وأصلُهُ: الميلُ بحيْلَةٍ.

قولُه: (بالقُوَّةِ) يعني: تقييدُهُ باليَمينِ للدِّلالَةِ على قوَّةِ الفعلِ، فإنَّ قوَّةَ الآلةِ تستَدْعي قوَّةَ الفعلِ، وقيلَ: باليَمينِ؛ يعني: قولَهُ ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧]، والتَّعديةُ بـ«على» هنا للاستعلاءِ، وأنَّ الميلَ لمكروهٍ، و﴿ضَرْبًا﴾ مصدرٌ لـ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِم﴾؛ لأنَّهُ في معنى: ضَرَبَهُم.

قولُه: (فبَلَّغَ) بالتَّشديدِ، والظَّاهرُ أنَّهم ظنُّوا أنَّه هو، كما بيَّنَهُ قولُه: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا﴾ الآيةَ [الأنبياء: ٥٩].

قولُه: (أي: يُسرِعُونَ) وحمزةُ بضمِّ الياءِ[2]، وقولُ البيضاويِّ[3]: وقراءَةُ حمزةَ على بناءِ المفعولِ[4]. سهوٌ، نعم، هو قراءةٌ شاذَّةٌ عنه أو عن غيرِهِ.

قولُه: (مِنْ نَحْتِكُم) فإنَّ فِعلَهُم إذا كان بخَلْقِ اللهِ فيهم كانَ مفعولُهُمُ المتوقِّفُ على فعلِهِم أولى بذلكَ، وبهذا المعنى تَمسَّكَ أهلُ السُّنَّةِ على خَلقِ الأعمالِ.

قولُه: (ومَنْحُوتِكُم) لما تقدَّمَ، أو لأنَّ جوهَرَها بخلقِهِ تعالى.

---

(١) لم أجده في ديوانه. ونسبه إليه الثعالبي في «التمثيل والمحاضرة» (ص: ٦١)، ونسبه القيرواني في «زهر الآداب» (١/ ٢٦٨) لعمرو بن قميئة.

(٢) أي: (يُزِفُّون) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٤).

(٤) أي: (يُزَفُّون). وتقدم الصواب فيها عن حمزة.

فاعبُدوه وحدَه. وما: مصدرية، وقيل: موصولة، وقيل: موصوفة. ٩٧ ـ ﴿قالُوا﴾ بينهم: ﴿ابنُوا لَهُ بُنيانًا﴾، فاملؤوه حطبًا، وأضرموه بالنار، فإذا التهب ﴿فألقُوهُ في الجَحِيمِ﴾: النارِ الشديدة.

٩٨ ـ ﴿فأرادُوا بِهِ كَيدًا﴾ بإلقائه في النار لتُهلكه، ﴿فجَعَلْناهُمُ الأسفَلِينَ﴾: المقهورين. فخرج من النار سالمًا، ٩٩ ـ ﴿وقالَ: إنِّي ذاهِبٌ إلَى رَبِّي﴾: مهاجر إليه من دار الكُفر، ﴿سَيَهدِينِ﴾ إلى حيث أمرني ربّي بالمصير إليه، وهو الشام. فلمّا وصل إلى الأرض المُقدّسة قال: ١٠٠ ـ ١٠١ ـ ﴿رَبِّ، هَبْ لِي﴾ ولدًا ﴿مِنَ الصّالِحِينَ. فبَشَّرْناهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ﴾ أي: ذي حِلم كثير.

١٠٢ ـ ﴿فلَمّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعيَ﴾ أي: أن يسعى معه ويُعينه ـ قيل: بلغ سبعَ سنين، وقيل: ثلاث عشْرةَ سنة ـ ﴿قالَ: يا بُنَيَّ، إنِّيَ أرَى﴾ أي: رأيتُ ﴿في المَنامِ أنِّيَ أذبَحُكَ﴾. ورؤيا الأنبياء حقّ، وأفعالُهم بأمر الله. تعالى. ﴿فانظُرْ: ماذا تَرَى﴾ من الرأي؟ شاوَرَه ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به. ﴿قالَ: يا أبَتِ﴾ ـ التاء عِوَض عن ياء الإضافة ـ ﴿افعَلْ ما تُؤمَرُ﴾ به. ﴿سَتَجِدُنِيَ، إن شاءَ اللهُ، مِنَ الصّابِرِينَ﴾ على ذلك.

قولُه: (ومَا مَصدَرِيَّةٌ) ورُجِّحَت على الأخيرَينِ؛ لما فيهما مِن حَذْفٍ أو مَجازٍ.

قولُه: (أَضرَمُوهُ) بفتحِ الرَّاءِ: وَقدُوهُ.

قولُه: (النَّارِ) واللَّامُ بدلُ الإضافَةِ؛ أي: جَحيمِ ذلك البُنْيانِ.

قولُه: (لتُهلِكَهُ) لئلَّا يظهَرَ عَجزُهُم للعامَّةِ.

قولُه: (إلى حَيثُ) أو: إلى ما فيه صَلاحُ ديني.

قولُه: (وهُو الشَّامُ) أو حيثُ تجرَّدَ فيه لعبادَتِهِ.

قولُه: (وَلَدًا) أو: بعضَ الصالحينَ، يعني: الولدَ؛ لأنَّ لفظَ الهبةِ غالِبٌ فيه.

قولُه: (أيْ: ذِي حِلْمٍ) بشَّرَهُ بالولدِ، وبأنَّهُ ذَكَرٌ يبلغُ أوانَ الحُلُمِ.

قولُه: (يَسْعَى معَهُ) في أعمالِهِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ، و﴿معَهُ﴾ متعلِّقٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه ﴿السَّعيَ﴾ لا به؛ لأنَّ صلةَ المصدرِ لا تتقدَّمُهُ، ولا بـ﴿بلغ﴾ فإنَّ بلوغَهُما لم يكن معاً، كأنَّهُ قالَ: فلمَّا بلغَ السَّعيَ، فقيلَ: مع مَن؟ فقيلَ: معه.

قولُه: (رَأَيْتُ) وذُكِرَ بلفظِ المضارعِ لتكريرِ الرُّؤيا، ويمكنُ: لاستحضارِها.

قولُه: (بِهِ) فحُذِفا دُفْعَةً، أو على التَّرتيبِ بأن حُذفَتِ الباءُ ثمَّ الهاءُ بعدَ إيصالِ الفعلِ بها.

قولُه: (عَلى ذَلِكَ) أي: على الذَّبحِ، أو قضاءِ اللهِ.

١٠٣ ـ ﴿فلَمّا أسلَما﴾: خضعا وانقادا لأمر الله ـ تعالى ـ ﴿وتَلَّهُ لِلجَبِينِ﴾: صرَعه عليه ـ ولكُلّ إنسان جبينانِ بينهما الجبهةُ ـ وكان ذلك بمِنًى، وأمَرَّ السِّكّين على حلقه، فلم تعمل شيئًا بمانع من القُدرة الإلـهية، ١٠٤ ـ ١٠٥ ـ ﴿ونادَيناه: أن يا إبراهِيمُ، قَد صَدَّقتَ الرُّؤيا﴾ بما أتَيتَ به ممّا أمكنك من أمر الذبح، أي: يكفيك ذلك. فجملة ناديناه: جواب «لمّا» بزيادة الواو. ﴿إنّا كَذلِكَ﴾: كما جزيناك ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ﴾ لأنفُسهم بامتثال الأمر بإفراج الشِّدّة عنهم. ١٠٦ ـ ﴿إنَّ هذا﴾ الذبحَ المأمورَ به ﴿لَهُوَ البَلاءُ المُبِينُ﴾ أي: الاختبار الظاهر.

١٠٧ ـ ﴿وفَدَيناهُ﴾ أي: المأمورَ بذَبحه ـ وهو إسماعيلُ أو إسحاق قولان ـ ﴿بِذِبحٍ﴾: بكبشٍ ﴿عَظِيمٍ﴾ من الجنّة، وهو الذي قرّبه هابيل، جاء به جِبريل ـ عليه السلام ـ فذبحه السيّد إبراهيم مُكبّرًا، ١٠٨ ـ ﴿وتَرَكْنا﴾: أبقَينا ﴿علَيهِ في الآخِرِينَ﴾ ثناءً حسنًا: ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ١١١ ـ ١١٢ ـ ١١٣ ـ ﴿سَلامٌ﴾ منّا ﴿علَى إبراهِيمَ ـ كَذلِكَ﴾: كما جزَيناه ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ. إنَّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ ـ وبَشَّرناهُ بِإسحاقَ﴾، استُدلَّ بذلك على أنّ الذبيح غيرُه، ﴿نَبِيًّا﴾: حالٌ مُقدّرة، أي: يُوجد مُقدَّرًا نُبوّتُه ﴿مِنَ الصّالِحِينَ، وبارَكْنا علَيهِ﴾ بتكثير ذُرّيّته، ﴿وعلَى إسحاقَ﴾: ولدِه، بجعلنا أكثرَ الأنبياء من نسله. ﴿ومِن ذُرِّيَّتِهِما مُحسِنٌ﴾: مؤمنٌ ﴿وظالِمٌ لِنَفسِهِ﴾: كافرٌ ﴿مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الكفرِ.

١١٤ ـ ﴿ولَقَد مَنَنّا علَى مُوسَى وهارُونَ﴾ بالنُّبوّة، ١١٥ ـ ﴿ونَجَّيناهُما وقَومَهُما﴾ بني إسرائيلَ ﴿مِنَ الكَربِ العَظِيمِ﴾، أي: من استعبادِ فِرعونَ إياهم،........................

قولُه: (جَوَابُ) أو الجوابُ: قَبِلنا منهُ و﴿نَادَيْنَاهُ﴾ عطفٌ عليهِ، وهذا أحسنُ من القولِ بالزَّائدِ.

قولُه: (كمَا جَزَيْنَاكَ) والأظهرُ: جزَيْناهُ.

قولُه: (الظَّاهِرُ) الَّذي يتميَّزُ فيه المُخلِصُ مِن غيرِهِ.

قولُه: (وهُو إِسْمَاعِيلُ) وهو الأظهرُ عندَ الأكثرِ.

قولُه: (قَولانِ) توقَّفَ فيهما السُّيوطيُّ في «رسالتِهِ»[1] أيضاً.

قولُه: (كمَا جَزَيْنَاهُ) ولعلَّهُ لم يَقُلْ هنا: «إنَّا» اكتفاءً بذكرِهِ مرَّةً في هذه القصَّةِ.

قولُه: (استُدِلَّ) لأنَّ البِشارَةَ به معطوفٌ على البشارَةِ بالغُلامِ المذبوحِ.

قولُه: (مُقَدَّرًا نُبُوَّتَهُ) مقضيًّا كونُهُ من الصَّالحينَ.

قولُه: (أي: استِعْبَادِ) أو الغرَقِ.

---

(١) «القول الفصيح في تعيين الذبيح» للسيوطي ضمن «الحاوي للفتاوى» (١/ ٣٧٧) ذكر فيها أدلة القولين.

١١٦ـ١١٧ ـ ﴿وَنَصَرْنَاهُم﴾ على القِبط ﴿فَكَانُوا هُمُ الغالِبِينَ، وآتيناهُما الكِتابَ المُسْتَبِينَ﴾: البليغَ البيانِ فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها ـ وهو التوراة ـ ١١٨ ـ ١١٩ ـ ﴿وَهَدَيْناهُما الصِّراطَ﴾: الطريق ﴿المُسْتَقِيمَ، وتَرَكْنا﴾: أبقينا ﴿عَلَيهِما في الآخِرِينَ﴾ ثناءً حسنًا: ١٢٠ ـ ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ﴿سَلامٌ﴾ منّا ﴿عَلَى مُوسَى وهارُونَ. إنّا كَذلِكَ﴾: كما جزَيناهما ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ. إنَّهُما مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ﴾.

١٢٣ ـ ﴿وإنَّ إلياسَ﴾، بالهمزةِ أوّلَه وتركِها، ﴿لَمِنَ المُرسَلِينَ﴾. قيل: هو ابن أخي هارونَ أخي موسى، وقيل: غيره، أُرسل إلى قوم ببَعْلَبَكَّ ونواحيها، ١٢٤ ـ ﴿إذ﴾: منصوب بـ «اذكرْ» مُقدّرًا ﴿قالَ لِقَومِهِ: ألا تَتَّقُونَ﴾ اللهَ. ١٢٥ ـ ﴿أتَدْعُونَ بَعلاً﴾: اسمٌ لصنم لهم من ذهب، وبه سُمّي البلد أيضًا مضافًا إلى «بكّ»، أي: أتعبدونه ﴿وتَذَرُونَ﴾: تتركون ﴿أحسَنَ الخالِقِينَ﴾ فلا تعبدونه؟ ١٢٦ ـ ﴿اللهُ رَبُّكُم ورَبُّ آبائكُمُ الأوَّلِينَ﴾، برفع الثلاثة على إضمار «هو»، وبنصبها على البدل من «أحسنَ».

قولُه: (عَلى القِبْطِ) الضَّميرُ لهما مع القَومِ.

قولُه: (بالهَمْزَةِ) المكسورةِ القطعيَّةِ لجمهورِ القُرَّاءِ، وبهمزةٍ مفتوحَةٍ وصليَّةٍ لابنِ ذكوانَ بخُلْفٍ عنهُ[١] على أن (أل) التَّعريف فتثبتُ في الابتداءِ وتسقُطُ في الدَّرْجِ، فعلى هذا يُحمَلُ قوله: (وتركِهَا)، وكذا قولُ البيضاويِّ: وبحذفِها[٢].

قولُه: (أَخَا مُوسَى) نصبٌ بتقديرِ: أعني[٣].

قولُه: (غَيرُهُ) أي: غيرُ ابنِ أخيهِ، أو: غيرُ هذا القولِ، قيلَ: هو إدريسُ.

قولُه: (اللهَ) أي: عذابَهُ، أو: مخالفتَهُ.

قولُه: (لَهُم) أي: لأهلِ بَكَّ من الشَّامِ.

قولُه: (وبِهِ سُمِّيَ البَلَدُ) الَّذي يُقالُ له الآن: بَعْلَبَكُّ.

قولُه: (مُضَافًا) فيه: أنَّ التَّركيبَ مَزجيٌّ لا إضافيٌّ، ولعلَّهُ أرادَ معناهُ اللُّغويَّ؛ أي: مُنْضَمًّا.

قولُه: (أَتَعبُدُونَهُ) أو: تَطلبونَ الخيرَ منهُ.

قولُه: (وبنَصْبِهَا) الكوفيُّ غيرَ شعبةَ[٤] (على البَدَلِ) أو بتقديرِ: أعني.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٧).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٧).

(٣) وفي المتن: «أخي موسى» فلا حاجة للتقدير.

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٧).

١٢٧ ـ ﴿فكَذَّبُوهُ، فإِنَّهُم لَمُحضَرُونَ﴾ في النار، ١٢٨ ـ ﴿إلاّ عِبادَ اللهِ المُخلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين منهم ـ فإنّهم نجَوا منها ـ ١٢٩ ـ ﴿وتَرَكْنا عليَهِ في الآخِرِينَ﴾ ثناءً حسنًا: ١٣٠ ـ ﴿سَلامٌ﴾ منّا ﴿علَى إِلْياسِينَ﴾ هو إلياسُ المُتقدّمُ ذِكرُه ومَن آمنَ معه، فجُمعوا معه تغليبًا، كقولهم للمُهلَّب وقومه: المُهلَّبونَ. وعلى قراءةِ «آلِ ياسِينَ» بالمدّ أي: أهلِهِ والمرادُ به إلياسُ أيضًا. ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ﴿إنّا كَذلِكَ﴾: كما جزَيناه ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ. إِنَّهُ مِن عِبادِنا المُؤمِنِينَ﴾.

١٣٣ ـ ﴿وإنَّ لُوطًا لَمِنَ المُرسَلِينَ﴾، ١٣٤ ـ ١٣٥ ـ اذكرْ ﴿إذ نَجَّيناهُ وأهلَهُ أجمَعِينَ، إلاّ عَجُوزًا في الغابِرِينَ﴾ أي: الباقينَ في العذاب، ١٣٦ ـ ﴿ثُمَّ دَمَّرْنا﴾: أهلكنا ﴿الآخَرِينَ﴾: كُفّارَ قومه. ١٣٧ ـ ﴿وإنَّكُم لتَمُرُّونَ علَيهِم﴾: على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُصبِحِينَ﴾ أي: وقتَ الصباح يعني: بالنهار ١٣٨ ـ ﴿وبِاللَّيلِ. أفلا تَعقِلُونَ﴾ ـ يا أهل مكة ـ ما حل بهم فتعتبرون به؟

قولُه: (في النَّارِ) وإنَّما أطلقَهُ اكتِفاءً بالقَرينَةِ، أو لأنَّ الإحضارَ المطلَقَ مخصوصٌ بالشَّرِّ عُرْفاً.

قولُه: (أي: المُؤمِنِينَ) مستثنًى مِن الواو لا مِن ﴿الْمُحْضَرِينَ﴾؛ لفسادِ المعنى؛ لأنَّهُ إذا لم يُستَثْنَ شيءٌ من واو «كذبُوا» كانَ كلُّهُم مكَذِّبينَ، فليسَ فيهم عبدٌ مُخلِصٌ فَضْلاً عن المُخلَصينَ.

قولُه: (المُهَلَّبُونَ) قالَ القاضي: لكن فيه: أنَّ العَلَمَ إذا جُمِعَ يجبُ تعريفُهُ باللَّامِ[1]. قلتُ: لعلَّهُ حَسَّنَ الحذفَ لزومُ تكرارِ (أل).

وقيل: جمعٌ للمنسوبِ إليه بحذفِ ياءِ النَّسَبِ كالأعجمينَ.

وقيل: ﴿إلياسين﴾ لغةٌ في إلياسَ، كسِيناء وسِينينَ[2].

قولُه: (بالمَدِّ) نافعٌ وشاميٌّ[3].

قولُه: (إلِيَاسُ) أو أبو إلياسَ، وقيلَ: محمَّدٌ، أو القرآنُ.

قولُه: (فِي أَسْفَارِكُم) إلى الشَّامِ، فإنَّ سَدومَ في طريقِهِ.

قولُه: (أي: وَقْتَ الصَّبَاحِ) أي: داخِلينَ في الصَّباحِ.

قولُه: (يَعني: بالنَّهَارِ) أو: صباحاً ومساءً، ولعلَّ الواو بمعنى: أو؛ للتَّنويعِ، أو التَّقديرُ: ﴿مصبحينَ﴾ مرَّةً ﴿وباللَّيلِ﴾ أخرى بحسبِ اتِّفاقِ المَسيرِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٧).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١٥/ ١١٩).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٧).

١٣٩ ـ ١٤٠ ـ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ، إِذْ أَبَقَ﴾: هربَ ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: السفينةِ المملوءة حين غاضب قومه، لمّا لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به، فركب السفينة فوقفتْ في لُجّة البحر، فقال الملاّحون: هنا عبد أبَقَ من سيّده، تُظهره القُرعة. ١٤١ ـ ﴿فَسَاهَمَ﴾: قارعَ أهلَ السفينة، ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾: المغلوبين بالقُرعة، فألقوه في البحر، ١٤٢ ـ ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾: ابتلعه، ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آتٍ بما يُلام عليه من ذهابه إلى البحر ورُكوبه السفينةَ بلا إذن من ربّه.

١٤٣ ـ ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾: الذاكرين بقوله كثيرًا في بطن الحوت: «لا إلَـهَ إلاّ أنتَ سُبحانَكَ. إنِّي كُنتُ مِنَ الظّالِمينَ»، ١٤٤ ـ ﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ لصار بطن الحوت له قبرًا إلى يوم القيامة، ١٤٥ ـ ﴿فَنَبَذْنَاهُ﴾: ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِالْعَرَاءِ﴾: بوجه الأرض، أي: بالساحل،

قولُه: (هَرَبَ) وأصلُه: الهَرَبُ منَ السَّيِّدِ، لكن لمَّا كان هربُهُ من قومِهِ بغيرِ إذنِ ربِّهِ أُطلِقَ عليه.

قولُه: (المَغلُوبِينَ) وأصلُهُ: المزلَقُ عن مَقامِ الظَّفرِ.

قولُه: (فَأَلْقَوهُ) أو: رَمى نفسَهُ.

قولُه: (ابْتَلَعَهُ) من اللُّقمَةِ.

قولُه: (آتٍ) أو: داخِلٌ في الملامةِ، أو: مُليمٌ نفسَه.

قولُه: (بقَولِهِ) أو بالتَّسبيحِ مدَّةَ عُمرِه، وقيلَ: من المصلِّينَ.

قولُه: (قَبْراً) يعني: لبثَ مَيْتاً، وقيلَ: حيًّا، فيكونُ معناهُ كالقَبرِ، رُويَ: أنَّه أوحِيَ إلى الحوتِ: إنَّا جَعلنا بطنَكَ له سِجْناً، ولم نَجعَلْهُ لك طعاماً(١).

قولُه: (أَلْقَيْنَاهُ) بأن حَمَلنا الحوتَ على لَفْظِهِ.

قولُه: (بِوَجْهِ الأَرْضِ) أي: بالمكانِ الخالي عمَّا يغطِّيهِ من شجرٍ أو نَبْتٍ.

قولُه: (بالسَّاحِلِ) قيلَ: بشاطِئِ دجلةَ، وقيل: بأرضِ اليَمَنِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١١٦) عن شهر بن حوشب.

وروى البزار في «مسنده» (٨٢٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥١٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما أراد الله تبارك وتعالى حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن لا تخدشن له لحماً، ولا تكسرن له عظماً فأخذه...» الحديث.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٨): رواه البزار عن بعض أصحابه ولم يسمه، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله رجال الصحيح.

من يومه أو بعد ثلاثةٍ أو سبعةِ أيامٍ أو عشرين أو أربعين يومًا، ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾: عليل كالفرخ المُمَّعِط، ١٤٦ - ﴿وأنبَتْنا عليهِ شَجَرَةً مِن يَقطِينٍ﴾ - وهي القَرْع تُظِلّه، وهو بسِياق على خِلاف العادة في القرع، مُعجزةً له. وكانت تأتيه وعلةٌ صباحًا ومساء، يشرب من لبنها حتّى قوي - ١٤٧ - ﴿وأرسَلْناهُ﴾ بعد ذلك كقَبلِه إلى قومٍ بنِينَوَى من أرض المَوصل، ﴿إِلَى مِائَةِ أَلفٍ - أو﴾: بل ﴿يَزِيدُونَ﴾ عشرين.............

قولُه: (عَلِيلٌ) ممَّا نالَهُ، قيل: صارَ بدنُهُ كبدَنِ الطِّفلِ حينَ يولَدُ.

قولُه: (كالفَرْخِ) أي: ولدِ الطَّيرِ.

قولُه: (المُمَّعِطِ) بضمِّ الميمِ الأولى وتشديدِ الثَّانيةِ وكسرِ العينِ: المنتُوفِ الشَّعرِ.

قولُه تعالى: (﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ﴾) أي: فوقَهُ مُظِلَّةً عليهِ.

قولُه: (القَرْعُ) وعليهِ الأكثرُ، واليقطينُ شجرٌ ينبسِطُ على وجهِ الأرضِ ولا يقومُ على ساقِهِ، يَفْعِيلٌ مِن قَطَنَ بالمكانِ: إذا قامَ به.

قولُه: (تُظِلُّهُ) أو غطَّتْهُ بأوراقِها عن الذُّبابِ فإنَّهُ لا يقعُ عليه، وقيل: التِّينُ، وقيل: المَوزُ، وقيل: نامَ نومَةً فاستيقظَ وقد يبسَتِ الشَّجَرةُ فأصابَتْهُ الشَّمسُ فبكى، فأوحى اللهُ إليه: تحزَنُ على شجرةٍ يبسَتْ، ولا تحزَنُ على مئةِ ألفٍ أو يزيدونَ، أرسَلناكَ إليهم فلم يتَّبِعوكَ فأردْتَ إهلاكَهُم، كذا في «تفسيرِ الكواشيِّ»[1].

قولُه: (وَعْلَةٌ) في «القاموسِ»: الوَعَلُ؛ بالفتحِ، وككَتِفٍ: تيسُ الجبلِ، جمع: أوعَالٍ ووُعُولٍ ووعلةٍ، والأنثى: بلفظِها[2].

قولُه: (بَل) وقُرِئَ به وبالواو[3].

قولُه: (عِشرِينَ) كذا في حديثٍ مرفوعٍ[4].

---

(١) انظر: «التلخيص في تفسير القرآن العزيز» (٤/ ٤٣).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦٨). قوله: (والأنثى بلفظها)، أي: بلفظ وعلة الذي هو جمع أو اسم جمع. انظر: «تاج العروس» (٣١/ ٨٨).

(٣) قراءة (بل يزيدون) رويت عن ابن عباس، كما في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٧).

وقراءة (ويزيدون) نسبت لجعفر بن محمد وأبي البرهسم، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٠٨).

(٤) روى الترمذي (٣٢٢٩)، والطبري «تفسيره» (٢١/ ١١٥) عن أبي بن كعب، قال: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال: «عشرون ألفاً».

قال الترمذي: هذا حديث غريب.

أو ثلاثين أو سبعين ألفًا ـ ١٤٨ ـ ﴿فَآمَنُوا﴾ عِند مُعاينة العذاب الموعودين به، ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أي: أبقَيناهم مُمتّعين بما لَهُم ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي آجالُهم فيه.

١٤٩ ـ ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾: استخبرْ كُفّارَ مكّة توبيخًا لهم: ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾، بزعمهم أنّ الملائكة بناتُ الله، ﴿وَلَهُمُ الْبَنُونَ﴾ فيختصّون بالأسنَى؟ ١٥٠ ـ ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا، وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ خلقَنا، فيقولون ذلك؟ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾: كذِبِهم ﴿لَيَقُولُونَ: وَلَدَ اللَّهُ﴾، بقولهم: الملائكةُ بناتُ الله. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيه. ١٥٣ ـ ١٥٤ ـ ﴿أَصْطَفَى﴾ ـ بفتح الهمزة للاستفهام، واستُغني بها عن همزة الوصل فحُذفت ـ أي: أختارَ ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ؟ مَا لَكُمْ؟ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكمَ الفاسد؟ ١٥٥ ـ ﴿أَفَلَا تَذَّكَّرُونَ﴾، بإدغام التاء في الذال، أنه ـ تعالى ـ مُنزّه عن الولد؟ ١٥٦ ـ ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾: حُجّة واضحة بأنّ للهِ ولدًا؟ ١٥٧ ـ ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ التوراةِ فأروني ذلك فيه، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم ذلك.

قولُه: (أو ثَلاثِينَ) عن ابنِ عبَّاسٍ[١]، وفي روايةٍ: أربعينَ[٢].

قولُه: (المَوعُودِينَ) نَصبُهُ بتقديرِ: أعني، أو المرسلونَ إليهم ثانيةً.

قولُه: (بِمَا لَهُمْ) بفتحِ اللَّامِ.

قولُه: (خَلَقَنَا) مفعولٌ للاستفهامِ الإنكاريِّ.

قولُه: (فحُذِفَتْ) بل حُذفَت على أصلِها في الدَّرجِ لا استغناءً، ونَقلُ القاضي[٣] عن نافِعٍ حذْفَ الاستفهامِ شاذٌّ[٤].

قولُه: (بإدْغَامِ التَّاءِ) عندَ غَيرِ حفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ[٥].

قولُه: (واضِحَةٌ) نزلَتْ عليكم مِن السَّماءِ.

قولُه: (التَّورَاةِ) فيه: أنَّ الخطابَ مع كفَّارِ مكَّةَ.

قولُه: (فِي قَوْلِكُم) أي: دَعوَتِكُم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١١٥).

(٢) رواه ابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٣٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٩).

(٤) انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٢٨).

(٥) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨).

١٥٨ ـ ﴿وجَعَلُوا﴾ أي: المشركون ﴿بَيْنَهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿وبَينَ الجِنَّةِ﴾ أي: الملائكةِ لاجتنانهم عن الأبصار ﴿نَسَبًا﴾ بقولهم: إنّها بنات الله، ﴿ولَقَد عَلِمَتِ الجِنَّةُ إنَّهُم﴾ أي: قائلي ذلك ﴿لَمُحضَرُونَ﴾ النارَ يعذَّبون فيها.

١٥٩ ـ ﴿سُبحانَ اللهِ﴾: تنزيهًا له ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾ بأنّ لِلهِ ولدًا! ١٦٠ ـ ﴿إلاّ عِبادَ اللهِ المُخلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين ـ استثناء منقطع ـ أي: لكنِ المؤمنون فإنّهم مُنزِّهون اللهَ عمّا يصفه هؤلاء. ١٦١ ـ ﴿فإنَّكُم وما تَعبُدُونَ﴾ من الأصنام. ١٦٢ ـ ﴿ما أنتُم علَيهِ﴾ أي: على معبودكم، وعليه: مُتعلّق بقوله ﴿بِفاتِنِينَ﴾ أي: أحدًا ١٦٣ ـ ﴿إلاّ مَن هُوَ صالِ الجَحِيمِ﴾ في عِلم الله تعالى.

قال جبريلُ للنبيّ ﷺ: ١٦٤ ـ ﴿وما مِنّا﴾ ـ معشرَ الملائكة ـ أحدٌ ﴿إلاّ لَهُ مَقامٌ مَعلُومٌ﴾ في السماوات، نعبد الله فيه لا نتجاوزه، ١٦٥ ـ ﴿وإنّا لَنَحنُ الصّافُّونَ﴾ أقدامَنا في الصلاة، ١٦٦ ـ ﴿وإنّا لَنَحنُ المُسَبِّحُونَ﴾: المُنزِّهون اللهَ عما لا يليق به.

١٦٧ ـ ١٦٨ ـ ﴿وإنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة ﴿كانُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿لَيَقُولُونَ: لَو أنَّ عِندَنا ذِكرًا﴾: كِتابًا ﴿مِنَ الأوَّلِينَ﴾ أي: من كُتب الأُمم الماضية، ١٦٩ ـ ﴿لَكُنّا عِبادَ اللهِ المُخلِصِينَ﴾ العِبادةَ له. ١٧٠ ـ قال تعالى: ﴿فكَفَرُوا بِهِ﴾ أي: بالكِتاب الذي جاءهم، وهو القُرآن الأشرف من تلك الكُتب. ﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ عاقبة كُفرهم، ....

قولُه: (أي: المَلائِكَةِ) ذكرَهُم باسمِ جنسِهِم وضعاً منهم أن يَبلُغوا هذهِ المرتبَةَ.

قولُه: (استِثْنَاءٌ) من «المحضرينَ»؛ أي: فإنَّهُم غيرُ محضرينَ، بل أولئك عنها مُبْعَدونَ، وما بينهُما اعتراضٌ، أو من واو: ﴿يَصِفُونَ﴾ على ما اختارَهُ الشَّيخُ.

قولُه: (عَلى مَعبُودِكُم) أو على اللهِ.

قولُه: (أي: أحَداً) أي: مضلِّينَ، كذا في «الدُّرِّ»[1].

قولُه: (قَالَ جِبرِيلُ) اعترافاً بالعُبوديَّةِ وردًّا على عَبَدَتِهِم.

قولُه: (أَحَدٌ) فحُذِفَ الموصوفُ وأقيمَ الصِّفةُ مقامَهُ.

قولُه: (في السَّمَاوَاتِ) أو: في المعرفةِ والعبادَةِ والانتهاءِ إلى أمرِ اللهِ في تدبيرِ العالَمِ لا يتجاوَزُهُ.

قولُه: (أَقدَامَنَا) أو في أداءِ الطَّاعةِ ومنازِلِ الخدمَةِ.

---

(١) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٣٤)، و«تفسير الطبري» (٢١/ ١٢٣).

١٧١ ـ ﴿ولَقَد سَبَقَتْ كَلِمتُنا﴾ بالنصر ﴿لِعِبادِنا المُرسَلِينَ﴾، وهي: «لَأَغلِبَنَّ أنا ورُسُلِي»، أو هي قوله: ١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ﴿إِنَّهُم لَهُمُ المَنصُورُونَ، وإنَّ جُندَنا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ الغالِبُونَ﴾ الكُفّارَ بالحُجّة والنُّصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا ففي الآخرة.

١٧٤ ـ ﴿فتَوَلَّ عَنهُم﴾ أي: أعرِض عن كُفّار مكّة ﴿حَتَّى حِينٍ﴾ تُؤمَر فيه بقِتالهم، ١٧٥ ـ ﴿وأبصِرْهُم﴾ إذا نزل بهم العذاب. ﴿فسَوفَ يُبصِرُونَ﴾ عاقبة كُفرهم ـ فقالوا استهزاء: متى نزول العذاب؟ قال تعالى تهديدًا لهم: ١٧٦ ـ ١٧٧ ـ ﴿أفبِعَذابِنا يَستَعجِلُونَ؟ فإذا نَزَلَ بِساحتِهِم﴾: بفِنائهم، قال الفرّاء: العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿فساءَ﴾: بئسَ صباحًا ﴿صَباحُ المُنذَرِينَ﴾! فيه إقامة الظاهر مَقامَ الضمير ـ ١٧٨ ـ ١٧٩ ـ ﴿وتَوَلَّ عنهُم حَتَّى حِينٍ، وأبصِرْ فسَوفَ يُبصِرُونَ﴾. كُرِّرَ تأكيدًا لتهديدِهم وتسليةً له ﷺ.

١٨٠ ـ ﴿سُبحانَ رَبِّكَ، رَبِّ العِزَّةِ﴾: الغلبة ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾، بأنّ له ولدًا! ١٨١ ـ ﴿وسَلامٌ علَى المُرسَلِينَ﴾: المُبلِّغين عن الله التوحيدَ والشرائع، ١٨٢ ـ ﴿والحَمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

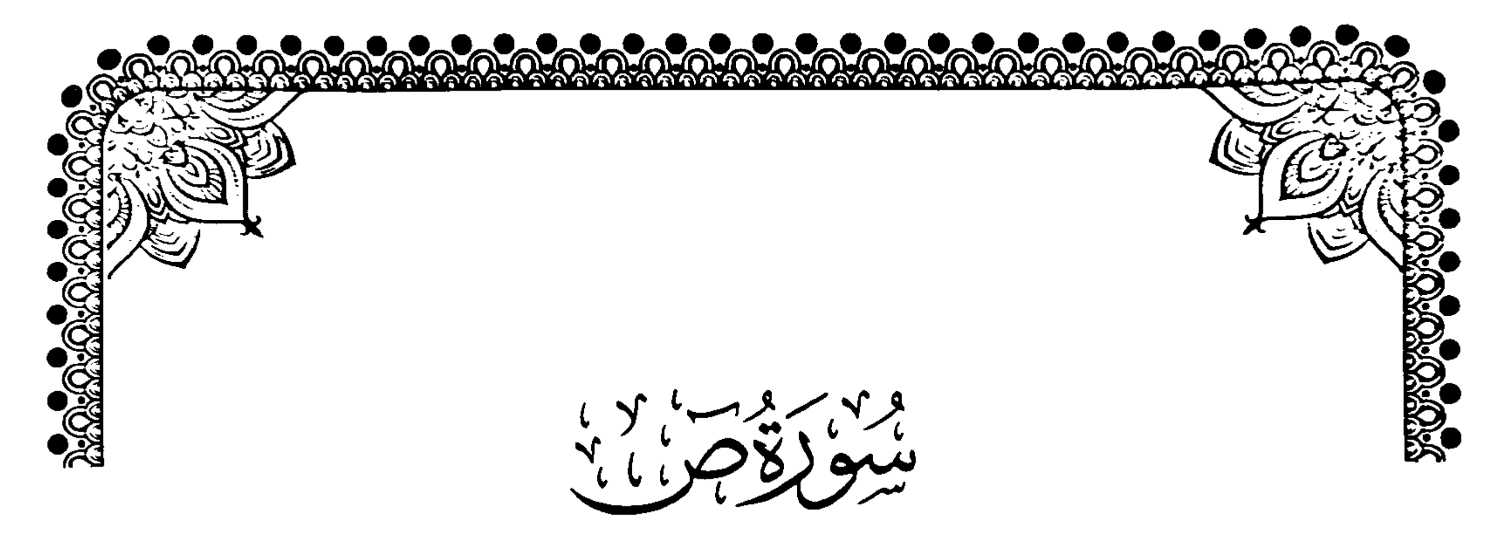
قولُه: (إذَا نَزَلَ بِهِم العَذَابُ) يومَ بدرٍ، أو يومَ الفَتحِ، أو يومَ القيامَةِ.

قولُه: (وتَسلِيَةً لَهُ) الظَّاهرُ: وتسليتِه ﷺ؛ ليدخُلَ تحتَ التَّأكيدِ؛ إذ فَهْمُ التَّسليةِ ممَّا سبَقَ أيضاً، أو الأوَّلُ لعذابِ الدُّنيا، والثَّاني لعذابِ الآخرَةِ.

قولُه: (وَلَداً) أو شَريكاً.

قولُه: (المُبَلِّغِينَ) تَعميمٌ بعدَ تخصيصٍ بعضِهِم، والمرادُ: تَعليمُ المؤمنينَ، واللهُ أعلمُ.

***



سورة ص

مكية، ستٌّ أو ثمانٍ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ص﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿والقُرآنِ ذِي الذِّكرِ﴾ أي: البيانِ أو الشرف. وجواب هذا القسم محذوف، أي: ما الأمر كما قال كُفّار مكّة من تعدّد الآلهة. ٢ ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة ﴿في عِزَّةٍ﴾: حميّة وتكبّر عن الإيمان،

سورة ص

قولُهُ: (اللهُ أَعلَمُ) قيلَ: هو الصَّادقُ، أو: صدَقَ وعدَهُ، أو: صدق محمَّدٌ.

وقيلَ: أمرٌ مِن المصاداةِ بمعنى: المعارضةِ، ومنه: الصَّدى، فإنَّه يعارضُ الصَّوتَ الأوَّلَ، ولذلك قُرِئَ بالكسرِ[1]؛ أي: عارِضِ القرآنَ بعملِكَ فاعملْ بأوامرِهِ وانتهِ عن نواهيهِ.

قولُهُ: (أي: البيَانِ) الشَّافي والاعتبارِ والموعظةِ البليغةِ.

قولُهُ: (أوِ الشَّرَفِ) أو الشُّهرةِ، أو ذكرِ ما يُحتاجُ إليه في الدِّينِ مِن العقائدِ والشَّرائعِ والمواعيدِ.

قولُهُ: (محذُوفٌ) قيل: دلَّ عليه ما في ﴿ص﴾ مِن الدِّلالةِ على التَّحدِّي، أو: الأمرِ بالمعارضةِ؛ أي: إنَّه لمعجزٌ أو لواجبٌ العملُ به، أو: إنَّ محمَّدًا لصادقٌ.

أو دلَّ عليه ما بعدَهُ؛ أي: ما كفرَ مَن كفرَ به لخللٍ وجدَهُ فيهِ [بل الذين كفرُوا به في عزةٍ وشقاق][2].

قولُهُ: (حَمِيَّةٍ) وعزَّةٍ للنَّفسِ.

---

(١) أي: بكسر الدال، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٢٩) عن الحسن وأبي السمال وابن أبي إسحاق.

(٢) من «أنوار التنزيل».

﴿وشِقاقٍ﴾: خِلافٍ وعداوة للنبيّ ﷺ. ٣ ـ ﴿كَم﴾ أي: كثيرًا ﴿أهلَكْنا مِن قَبلِهِم مِن قَرنٍ﴾ أي: أُمّةٍ من الأُمم الماضية، ﴿فنادَوا﴾ حين نُزول العذاب بهم، ﴿ولاتَ حِينَ مَناصٍ﴾ أي: ليس الحينُ حينَ فِرار! والتاء: زائدة، والجملة: حال من فاعل «نادوا»، أي: استغاثوا والحال أنْ لا مهربَ ولا منجَى، وما اعتبرَ بهم كُفّار مكّة.

٤ ـ ٥ ـ ﴿وعَجِبُوا أن جاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم﴾ رسول من أنفُسهم، يدعوهم إلى الله، ويُخوّفهم بالنار بعد البعث ـ وهو النبيّ ﷺ ـ ﴿وقالَ الكافِرُونَ﴾، فيه وضع الظاهر موضع المُضمر: ﴿هذا ساحِرٌ كَذّابٌ. أجَعَلَ الآلِهةَ إلٰـهًا واحِدًا﴾ حيثُ قال لهم: قولوا: لا إلٰـهَ إلاّ الله؟ أي: كيف يسع الخلقَ كُلَّهم إلٰـهٌ واحد؟ ﴿إنَّ هذا لَشَيءٌ عُجابٌ﴾: عجيب. ٦ ـ ﴿وانطَلَقَ المَلأُ مِنهُم﴾ من مجلس اجتماعهم عِند أبي طالب وسماعهم فيه من النبيّ: قولوا: «لا إلٰـهَ إلاّ الله»: ﴿أنِ امشُوا﴾ أي: يقول بعضهم لبعض:

قولُهُ: (خِلافٍ) للهِ.

قولُهُ: (حِينَ نُزُولِ العَذَابِ) استغاثةً، أو توبةً واستغفاراً.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) للتَّأكيدِ.

قولُهُ: (ولا مَنْجَى) أي: مَخلَص.

قولُهُ: (ومَا اعتبَرَ) رَحِمَ اللهُ الشَّيخَ حيثُ قدَّرَهُ ليعطفَ عليهِ ﴿عَجِبُوا﴾، ويكونَ انعطافاً إلى الكلامِ السَّابِقِ، ولا يتوهَّمَ أنَّه معطوفٌ على: ﴿فنَادَوا﴾، إذ هو مخلٌّ بالمعنى، كما لا يَخفى.

قولُهُ: (رَسُولٌ) بشرٌ مثلهم، أو أُمِّيٌّ من عدادِهِم.

قولُهُ: (مَوضِعَ المُضمَرِ) غضباً عليهم وذمًّا لهم وإشعاراً بأنَّ كفرَهُم جسَّرهُم على هذا القولِ.

قولُهُ: (عَجِيبٌ) أي: بليغٌ في العجبِ، فإنَّهُ خلافُ ما أطبقَ عليهِ آباؤُنا.

قولُهُ: (وسَمَاعِهِم) عطفٌ على: (اجتِمَاعِهِم)، و(فيهِ) أي: المجلسِ.

قولُهُ: (أي: يَقُولُ) أشارَ إلى قولٍ مقدَّرٍ، ويُشكِلُ عليه ﴿أَنِ﴾، وظاهرُ كلامِهِ أنَّها زائدةٌ، وقُرِئَ بغيرِ ﴿أن﴾[1]، والصَّحيحُ أنَّها مفسِّرةٌ؛ لأنَّ الانطلاقَ عن مجلسِ التَّقاولِ يُشعِرُ بالقولِ، أو لأنَّ المعنى: انطلَقوا في القولِ واندفَعوا فيه.

---

(١) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٠٩) ونسبت لابن أبي عبلة.

امشوا، ﴿واصبِرُوا علَى آلِهتِكُم﴾: اثبُتوا على عِبادتها. ﴿إنَّ هذا﴾ المذكورَ من التوحيد ﴿لَشَيءٌ يُرادُ﴾ منّا. ٧ ـ ﴿ما سَمِعْنا بِهذا في المِلّةِ الآخِرةِ﴾ أي: مِلّة عِيسَى. ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ اختِلاقٌ﴾: كذبٌ. ٨ ـ ﴿أأُنزِلَ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين وتركِه ـ ﴿علَيهِ﴾: على مُحمّد ﴿الذِّكرُ﴾: القُرآن ﴿مِن بَينِنا﴾، وليس بأكبرِنا ولا أشرفِنا؟ أي: لم ينزل عليه.

قال تعالى: ﴿بَل هُم في شَكٍّ مِن ذِكرِي﴾: وحيِي، أي: القرآنِ، حيثُ كذّبوا الجائيَ به. ﴿بَل لَمّا يَذُوقُوا عَذابِ﴾، ولو ذاقوه لصدّقوا النبيّ فيما جاء به، ولا ينفعهم التصديق حينئذ. ٩ ـ ﴿أم عِندَهُم خَزائنُ رَحْمةِ رَبِّكَ العَزيزِ﴾: الغالب ﴿الوَهّابِ﴾ من النُّبوّة وغيرها، فيعطونها من شاؤوا؟ ١٠ ـ ﴿أم لَهُم مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾؟ إن زعموا ذلك..........................

قولُهُ: (مِنَ التَّوحِيْدِ) أي: هذا الَّذي يدَّعيهِ من التَّوحيدِ.

قولُهُ: (مِنَّا) أي: يُتَمنَّى[1].

قولُهُ: (أي: مِلَّةِ عِيسَى) الَّتي هي آخرُ المللِ، فإنَّ النَّصارى يثلِّثونَ.

قولُهُ: (كَذِبٌ) اختلقَهُ.

قولُهُ: (بتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ) شاميٌّ وكوفيٌّ[2].

قولُهُ: (وتَسهِيلِ الثَّانيةِ) حرميٌّ وبصريٌّ.

قولُهُ: (وإدخَالِ أَلِفٍ) قالونُ وبصريٌّ وهشامٌ بخلفِهِما.

قولُهُ: (عَلى الوَجهَينِ) أي: التَّحقيقِ والتَّسهيلِ، ولهشامٍ وجهٌ كقالونَ.

قولُهُ: (وتَركِهِ) عطفٌ على: «إدخالِهِ».

قولُهُ: (ولا أَشرَفِنَا) بل هو مِثلنا، أو أدوَنُ منَّا في الرِّئاسةِ.

قولُهُ: (حَيثُ كَذَّبُوا) و﴿بَلْ﴾ إضرابٌ عن مقدَّرٍ، فكأنَّه قالَ: إنكارُهُم للذِّكرِ المذكورِ ليس عن علمٍ بل عن شكٍّ منه، و﴿بَلْ﴾ الثَّاني للانتقالِ من غرضٍ إلى آخرَ.

قولُهُ: (إنْ زَعَمُوا) هذا أحسنُ من تقديرِ القاضِي[3]: إن كانَ لهم ذلكَ.

---

(١) أي: إن هذا الذي يدَّعيهِ مِن التَّوحيدِ، أو يقصدُهُ مِن الرِّئاسَةِ والتَّرفُّعِ على العربِ والعجمِ، لشَيْءٌ يُتَمنَّى ويريدُه كلُّ أحدٍ.

(٢) هذا وما بعده انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٣٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥).

﴿فلْيَرتَقُوا في الأسبابِ﴾ المُوصّلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي فيخصّوا به من شاؤوا. و«أم» في الموضعين بمعنى همزة الإنكار.

١١ ـ ﴿جُندٌ ما﴾ أي: هم جند حقير ﴿هُنالِكَ﴾ أي: في تكذيبهم لك، ﴿مَهزُومٌ﴾: صفةُ «جند»، ﴿مِنَ الأحزابِ﴾: صفةُ «جند» أيضًا، أي: كالأجناد، من جِنس الأحزاب المُتحزّبين على الأنبياء قبلك ـ وأُولئك قد قُهروا وأُهلكوا، فكذا يَهلِك هؤلاء ـ ١٢ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾، تأنيث «قوم» باعتبار المعنى، ﴿وعادٌ وفِرعَونُ ذُو الأوتادِ﴾ ـ كان يَتِدُ لكُلّ من يغضب عليه أربعة أوتاد، يَشدّ إليها يديه ورجليه ويُعذّبه ـ ١٣ ـ ﴿وثَمُودُ وقَومُ لُوطٍ وأصحابُ الأَيكةِ﴾ أي: الغَيضةِ. وهم قوم شُعيب عليه السلام. ﴿أُولئِكَ الأحزابُ﴾.

١٤ ـ ١٥ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿كُلٌّ﴾ من الأحزاب ﴿إلاّ كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ لأنهم إذا كذّبوا واحدًا منهم فقد كذّبوا جميعَهم لأنّ دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد، ﴿فحَقَّ﴾: وجبَ ﴿عِقابِ، وما يَنظرُ﴾: ينتظر ﴿هؤُلاءِ﴾ أي: كُفّارُ مكّة ﴿إلاّ صَيحةً واحِدةً﴾، وهي نفخة القِيامة تُحِلُّ بهم العذابَ، ﴿مالَها مِن فَواقٍ﴾ بفتح الفاء وضمّها: رُجوعٍ.

قولُهُ: (بِمَعنَى الهَمزَةِ) هذا مذهبٌ كوفيٌّ، والمعتمدُ أنَّه بمعنى: بل والهمزةِ[1].

قولُهُ: (حَقِيرٌ) و﴿مَا﴾ زائدةٌ للتَّقليلِ كقولِك: أكلتُ شيئاً ما.

قولُهُ: (فِي تَكذِيبِهِم لَكَ) بقولِهِم: ﴿أأنزل﴾.

قولُهُ: (صِفَةُ: ﴿جندٌ﴾) أي: مكسورٌ عمَّا قريبٍ.

قولُهُ: (باعتِبَارِ المَعنَى) أي: الجماعةِ أو القبيلةِ.

قولُهُ: (لأَنَّهُم) أو لمقابلةِ الجمعِ بالجمعِ.

قولُهُ: (أي: كُفَّارُ مَكَّةَ) كغيرِهِم من الأحزابِ.

قولُهُ: (نَفخَةُ القِيَامَةِ) أي: الثَّانيةُ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) حمزةُ والكسائيُّ[2].

قولُهُ: (رُجُوعٍ) وفواقُ النَّاقةِ: هو ما بينَ الحلبتَينِ ساعةَ يرجعُ الدَّرُّ إلى ضرعِها[3]، يريدُ أنَّها نفخةٌ واحدةٌ فحسب، لا تثنَّى ولا تكرَّرُ.

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٦٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٢)، و«حجة القراءات» (ص: ٦١٣).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٠).

١٦ ـ ﴿وقالُوا﴾ لمّا نزل «فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ» إلى آخره: ﴿رَبَّنا، عَجِّلْ لَنا قِطَّنا﴾ أي: كِتاب أعمالنا ﴿قَبلَ يَومِ الحِسابِ﴾. قالوا ذلك استهزاء. ١٧ ـ قال الله تعالى: ﴿اصبِرْ علَى ما يَقُولُونَ، واذكُرْ عَبدَنا داوُدَ ذا الأَيدِ﴾ أي: القُوّةِ في العِبادة، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم نصف الليل وينام ثُلثه ويقوم سُدسه. ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾: رجّاع إلى مرضاة الله تعالى.

١٨ ـ ﴿إنّا سَخَّرْنا الجِبالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالعَشِيِّ﴾: وقتَ صلاة العِشاء ﴿والإشراقِ﴾: وقتَ صلاة الضُّحى ـ وهو أن تُشرق الشمس ويتناهى ضوءُها ـ ١٩ ـ ﴿و﴾ سخّرنا ﴿الطَّيرَ مَحشُورةً﴾: مجموعة إليه تُسبّح معه، ﴿كُلٌّ﴾ من الجِبال والطير ﴿لَهُ أوّابٌ﴾: رجّاع إلى طاعته بالتسبيح، ٢٠ ـ ﴿وشَدَدْنا مُلكَهُ﴾ قوّيناه بالحَرَس والجنود، وكان يحرس مِحرابَه في كُلّ ليلة ثلاثون ألف رجل، ﴿وآتَيناهُ الحِكْمَةَ﴾: النُّبوّة ....

قولُهُ: (أي: كِتَابَ أَعمَالِنَا) وهو من قطَّهُ: إذا قطعَهُ[1]، ويُقالُ لصحيفةِ الجائزةِ؛ لأنّها قطعةٌ من القرطاسِ، أو معناهُ: قسطَنا أو نصيبَنا من العذابِ، والقائلُ: النَّضرُ[2]، أو أبو جهلٍ[3]، وقيل: مِن الجنَّةِ[4].

قولُهُ: (أنْ تُشرِقَ) بضمِّ الرّاءِ وكسرِها[5]؛ أي: تُضِيءَ ويَصْفوَ شُعاعُها، وأمّا شروقُها فطلوعُها، يقالُ: شَرَقَتِ الشَّمسُ ولَمّا تُشرِقْ.

قولُهُ: (القُوَّةِ) و﴿الأَيدِ﴾ مصدرٌ، أو اسمٌ بمعنى: القوّةِ، لا أنّه جمعُ يدٍ وحُذفَ الياء.

قولُهُ: (مَجمُوعَةً إلَيهِ) من كلِّ جانبٍ.

قولُهُ: (مِنَ الجِبَالِ) أي: كلُّ واحدٍ منهُما لأجلِ تسبيحِه رجّاعٌ إلى التَّسبيحِ، أو كلٌّ منهما ومن داودَ مُرجِّعٌ للهِ التَّسبيحَ، وكلامُ الشَّيخِ أوّلًا ناظرٌ إلى الأوّلِ، وثانياً إلى الثّاني، ففيهِ نوعُ تلفيقٍ.

قولُهُ: (بالحُرَّسِ) بضمِّ الحاءِ وتشديدِ الرّاءِ: جمعُ حارسٍ، أو كخَدَمٍ لفظاً ومعنًى.

قولُهُ: (القُوَّة) أو: النُّبوَّةَ[6]، أو كمالَ العلمِ وإتقانَ العملِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٦٨٣).

(٢) رواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ١٤٨) عن عطاء.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٦٥) عن قتادة.

(٤) أي: معنى ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾: قِسطَنَا مِن العَذابِ الذي تُوْعِدُنا به، أو من الجنةِ التي تُعَدُّ للمُؤمِنينَ.

(٥) في النسخ: «بضم التاء..»، والصواب المثبت؛ أي: تُشرِق وتَشرُق بمعنى. انظر: «القاموس» (مادة: شرق).

(٦) وكذا هي في النسخ المعتمدة في المتن، ولعل «القوة» في نسخة المصنف محرفة عنها، إذ لم أجد من ذكر القوة من معاني الحكمة اللغوية.

والإصابة في الأمور ﴿وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾: البيانَ الشافي في كُلّ قصد.

٢١ ـ ﴿وهَل﴾ ـ معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ـ ﴿أتاكَ﴾، يا مُحمّد، ﴿نبأُ الخَصمِ، إذ تَسَوَّرُوا المِحرابَ﴾: مِحرابَ داودَ، أي: مَسجدَه، حيثُ مُنعوا الدخولَ عليه من الباب لشُغله بالعِبادة، أي: خبرُهم وقِصّتُهم؟ ٢٢ ـ ﴿إذ دَخَلُوا علَى داوُدَ ففَزِعَ مِنهُم. قالُوا: لا تَخَفْ﴾. نحن ﴿خَصمانِ﴾ ـ قيل: فريقان لِيُطابِقَ ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان والضمير بمعناهما، والخصم يُطلق على الواحد وأكثر، وهما مَلَكان جاءا في صُورة خصمَين، وقع لهما ما ذُكر على سبيل الفرض لتنبيه داود ـ عليه السلام ـ على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأةً، وطلب امرأة شخص ....

قولُهُ: (قَصدٍ) أي: مقصُودٍ؛ أي: الكلامُ الملخَّصُ الَّذي يُنبِّهُ المخاطَبَ على المقصودِ من غيرِ التباسٍ، وإنَّما سُمِّي به: «أمَّا بعدُ»؛ لأنَّه يفصلُ المقصودَ عمَّا سبقَ مقدِّمةً له من الحمدِ والصَّلاةِ.

وقيل: هو الخطابُ القصدُ الَّذي ليسَ فيه اختصارٌ مخلٌّ ولا إطنابٌ مملٌّ.

أو المرادُ: وفصلَ الخصامِ بتَمييزِ الحقِّ عن الباطلِ.

قولُهُ: (أي: مَسجِدَهُ) أي: تصَعَّدوا سورَهُ.

قولُهُ: (لشُغلِهِ) فإنَّه جزَّأَ زمانَهُ يوماً للعبادةِ، ويوماً للقضاءِ، ويوماً للوعظِ، ويوماً للاشتغالِ بخاصَّتِهِ.

قولُهُ: (فَرِيقَانِ) أو: فوجانِ متخاصمانِ، على تسميةِ مصاحبِ الخصمِ خصماً.

قولُهُ: (بمَعنَاهُمَا) أي: ضميرُ الجمعِ بسببِ معنى الخصمينِ؛ إذ الخصمُ في الأصلِ مصدرٌ يُطلَقُ على الجمعِ.

قولُهُ: (مَلَكَانِ) كذا في حديثٍ مرفوعٍ[1]، وعنِ ابن عبَّاسٍ: هما جبريلُ وميكائيلُ[2].

قولُهُ: (مَا ذُكِرَ) من البغيِ.

قولُهُ: (على سَبِيلِ الفَرْضِ) وقصدِ التَّعريضِ.

قولُـهُ: (وطَلَـبَ امرَأَةَ شَـخصٍ) لعلَّهـا مخطوبتُه، أو طلبَ طلاقَهـا، وعلى كلِّ تقديـرٍ يحملُ على خلافِ الأَولى.

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٨٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه. وضعف السيوطي إسناده في «الدر المنثور» (٧/ ١٥٦).

(٢) انظر: «زاد المسير في علم التفسير» (٣/ ٥٦٧)، و«تفسير الألوسي» (١٥/ ٥٢١).

ليس له غيرها، وتزوّجها ودخل بها ـ ﴿بَغَى بَعضُنا علَى بَعضٍ. فاحكُمْ بَينَنا بِالحَقِّ، ولا تُشطِطْ﴾: تَجُرْ، ﴿واهدِنا﴾: أرشِدْنا ﴿إلَى سَواءِ الصِّراطِ﴾: وسَطِ الطريق الصواب.

٢٣ ـ ﴿إنَّ هذا أخِي﴾ أي: على دِيني ﴿لَهُ تِسعٌ وتِسعُونَ نَعْجةً﴾ يُعبَّرُ بها عن المرأة، ﴿ولِي نَعْجةٌ واحِدةٌ، فقالَ: أكفِلْنِيها﴾ أي: اجعلني كافلَها، ﴿وعَزَّنِي﴾: غلبني ﴿في الخِطابِ﴾ أي: الجِدال. وأقرّه الآخَرُ على ذلك. ٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿قالَ: لَقَد ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجتِكَ﴾ ليضمّها ﴿إلَى نِعاجِهِ، وإنَّ كَثِيرًا مِنَ الخُلَطاءِ﴾: الشُّركاء ﴿لَيَبغِي بَعضُهُم علَى بَعضٍ، إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، وقَلِيلٌ ما هُم﴾. ما: لتأكيد القِلّة. فقال المَلَكانِ، صاعدَينِ في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه.

فتنبّه داود، قال تعالى: ﴿وظَنَّ﴾ أي: أيقنَ ﴿داوُدُ أنّما فَتَنّاهُ﴾: أوقعْناه في فِتنة، أي: بليّة بمحبّته تلك المرأةَ، ﴿فاستَغفَرَ رَبَّهُ وخَرَّ راكِعًا﴾...

قولُهُ: (تَجُرْ) من الجورِ في الحكومةِ.

قولُهُ: (الصَّوابِ) وهو العدلُ.

قولُهُ: (أي: عَلى دِيني) أو بالصُّحبةِ.

قولُـهُ: (يُعَبَّـرُ) ويكنـى بالنَّعجـةِ، وهي الأنثى مِـن الضَّأنِ، والكنايـةُ والتَّمثيـلُ فيما يُسـاقُ للتَّعريضِ أبلغُ فـي المقصودِ.

قولُهُ: (كَافِلَهَا) كما أَكفُلُ ما تحتَ يدي، وقيل: اجعلْهَا كِفْلي؛ أي: نصيبي، والمعنى: ملِّكْنِيها.

قولُهُ: (أي: الجِدَالِ) يعني: في مخاطبتِهِ إيَّاي، بأن جاءَ بحِجَاجٍ لم أقدِرْ ردَّهُ.

قولُهُ: (وأقَرَّهُ) بالسُّكوتِ، وهو ظاهرُ كلامِهِ، فيُحمَلُ على تقديرِ صدقِ المدَّعي، أو بالإقرارِ، وهو الأظهرُ.

قولُهُ: (لِيَضُمَّهَا) السُّؤالُ مضافٌ إلى مفعولِهِ، وتعديتُهُ إلى مفعولٍ آخرَ بـ(إلى) لتضمُّنِهِ معنى: الإضافةِ والضَّمِّ، فكانَ حقَّهُ أن يقولَ: منضمًّا أو منضمَّةً أو ضامًّا.

قولُهُ: (الشُّرَكَاءِ) الَّذين خلَطوا أموالَهُم، جمعُ: خليطٍ.

قولُهُ: (لِتَأكِيدِ القِلَّةِ) أي: وهُم قليلٌ.

قولُهُ: (صَاعِدَينَ) حالٌ.

قولُهُ: (في فِتنَةٍ) أي: امتحنَّاهُ بتلك الحكومةِ هل يتنبَّهُ لها؟

قولُهُ: (أي: بَلِيَّةٍ) أي: ابتَلَيْناهُ بالذَّنبِ.

أي: ساجدًا ﴿وأنابَ، فغفَرْنا لهُ ذلِكَ، وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلفَى﴾ أي: زيادةَ خير في الدنيا ﴿وحُسنَ مآبٍ﴾ أي: مرجعٍ في الآخرة، ٢٦ ـ ﴿يا داوُدُ، إنّا جَعَلْناكَ خَلِيفةً في الأرضِ﴾ تُدبّر أمر الناس. ﴿فاحكُمْ بَينَ النّاسِ بِالحَقِّ، ولا تَتَّبِعِ الهَوَى﴾ أي: هوى النفس، ﴿فيُضِلَّكَ عَن سَبيلِ اللهِ﴾ أي: عن الدلائلِ الدالّة على توحيده. ﴿إنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبيلِ اللهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا﴾: بنسيانِهم ﴿يَومَ الحِسابِ﴾ المُترتِّبِ عليه تركُهُم الإيمانَ. ولو أيقنوا بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿وما خَلَقْنا السَّماءَ والأرضَ وما بَينَهُما باطِلاً﴾ أي: عَبَثًا. ﴿ذلِكَ﴾ أي: خلقُ ما ذُكر لا لشيء ﴿ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة. ﴿فوَيلٌ﴾: وادٍ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النّارِ. أم نَجعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ كالمُفسِدِينَ في الأرضِ؟ أم نَجعَلُ المُتَّقِينَ كالفُجّارِ﴾؟ نزلَ لمّا قال كُفّار مكّة للمؤمنين: إنّا نُعطَى في الآخرة مِثلَ ما تُعطَون. و«أم» بمعنى همزة الإنكار..........

قولُهُ: (أي: سَاجِداً) على تسميةِ السُّجودِ ركوعاً لأنَّهُ مبدؤُهُ، أو: خرَّ للسُّجودِ راكعاً؛ أي: مصلِّياً، كأنَّهُ أحرمَ بركعَتَي الاستغفارِ.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَأَنَابَ﴾) أي: رجعَ إلى اللهِ عن الغفلةِ.

قولُهُ: (زِيَادَةَ) أو لقربِهِ بعدَ المغفرةِ.

قولُهُ: (على تَوحِيدِهِ) الأظهرُ: على الحقِّ والعدلِ، والمرادُ بالدَّلائلِ: هي النُّصوصُ والأَقْيِسةُ الصَّحيحةُ.

قولُهُ: (بِنِسيَانِهِم) و﴿ما﴾ مصدريَّةٌ.

قولُهُ: (عليهِ) أي: نسيانِهم؛ يعني: نسيانُهُم هو ضلالُهُم عن السبيلِ، فإنَّ تذكُّرَهُ يقتضِي ملازمةَ الهُدى ومخالفَةَ الهوى.

قولُهُ: (أي: عَبَثاً) أي: خَلْقاً باطلاً لا حكمةَ فيه، أو: ذَوي باطلٍ؛ بمعنى: مبطلِينَ عابثِينَ، أو: للباطلِ الَّذي هو متابعَةُ الهوى.

قولُهُ: (لا لِشَيءٍ) أي: عبثاً.

قولُهُ: (مِن أَهلِ مَكَّةَ) والظَّنُّ بمعنى المظنونِ.

قولُهُ: (و﴿أَمْ﴾) أي: فيهِما، وتقدَّمَ ما فيه[1].

والآيةُ تدلُّ على صحَّةِ الحشرِ، فإنَّ التَّفاضلَ بينَهُما إمَّا أن يكونَ في الدُّنيا والغالبُ فيها أنَّ غيرَ المؤمنِ أحسنُ حالاً في الظَّاهرِ، أو في غيرِها وذلك يستَدعي أن يكونَ لهم حالٌ آخرُ يجازَونَ فيها.

---

(١) في الآية رقم: (١٠).

٢٩ ـ ﴿كِتابٌ﴾: خبر مبتدإٍ محذوفٍ، أي: هذا، ﴿أنزَلْناهُ إليكَ مُبارَكٌ، لِيَدَّبَّرُوا﴾ ـ أصلُه «يَتَدَبّروا» أُدغمت التاء في الدال ـ ﴿آياتِهِ﴾: ينظروا في معانيها فيؤمنوا، ﴿ولِيَتَذَكَّرَ﴾: يتّعظَ ﴿أُولُو الألبابِ﴾: أصحابُ العقول.

٣٠ ـ ﴿ووَهَبْنا لِداوُدَ سُلَيمانَ﴾ ابنَه، ﴿نِعمَ العَبدُ﴾ أي: سُليمانُ! ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾: رجّاع في التسبيح والذِّكر في جميع الأوقات، ٣١ ـ ﴿إذ عُرِضَ علَيهِ بالعَشِيِّ﴾ هو ما بعد الزوال ﴿الصّافِناتُ﴾: الخيل جمع صافنة ـ وهي القائمة على ثلاث، وأقامتِ الأُخرى على طرف الحافر. وهو من: صَفَنَ يَصفِنُ صُفونًا ـ ﴿الجِيادُ﴾: جمع جَواد، وهو السابق. المعنى أنها إن استُوقفتْ سَكنت، وإن رُكِضَتْ سَبقت. وكانت ألفَ فرس،..

قولُهُ تعالى: (﴿مباركٌ﴾) أي: كثيرُ البركةِ والنَّفعِ.

قولُهُ: (يَتَدَبَّرُوا) وقُرئَ به[1]، أي: ليتفكَّروا فيها فيَعرفوا ما يَدْبُرُ ظاهرَها من التَّأويلاتِ الصَّحيحةِ والمعاني المستنبَطةِ، وعن الحسنِ: إنَّما تدبُّرُ آياتِه اتِّباعُهُ بعلمِهِ[2]، كذا في «الدُّرِّ»[3].

قولُهُ: (العُقولِ) السَّليمةِ.

قولُهُ: (أي: سُلَيمَانُ) إذ ما بعدَهُ تعليلٌ للمَدحِ، وهو مِن حالِهِ.

قولُهُ: (في التَّسبِيحِ) أو: إليه[4] مُرَجَّعٌ له، أو: إلى اللهِ بالتَّوبةِ والإنابةِ والأوبةِ، وهي مقاماتٌ للسَّالكينَ.

قولُهُ: (طَرَفِ الحَافِرِ) أي: طرفِ سُنْبُك[5] يدٍ أو رِجلٍ، وهو من الصِّفاتِ المحمودةِ في الخيلِ لا تكادُ توجَدُ إلَّا في العِرابِ الخُلَّصِ.

قولُهُ: (جَمْعُ جَوَادٍ) أو جَوْدٍ ـ بالفتحِ ـ وهو الَّذي يسرعُ في جريهِ.

وقيل: الَّذي يجودُ بالرَّكضِ، من الجُودَةِ ـ بالضَّمِّ ـ وهو المختارُ للشَّيخِ.

وقيل: جمعُ جَيِّدٍ بعدَ التَّخفيفِ إذ أصلُهُ: جَيْوِدٌ.

قولُهُ: (أَلْفَ[6] فَرَسٍ) وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن إبراهيمَ التَّيميِّ:..

---

(١) أي: (ليتدبروا) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعلي رضي الله عنه، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤١١).

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥٩٨٤)، وسعيد بن منصور في «التفسير» (١٣٥).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٧٥) ووقع في مطبوعه: «عن الحسين رضي الله عنه» وهو تحريف.

(٤) قوله: «إليه»؛ إلى التسبيح.

(٥) السُّنْبُكُ: طرف الحافر وجانباه من قدم. «العين» (٥/ ٤٢٧).

(٦) في بعض الأصول: «ألفا».

عُرضت عليه بعد أن صلّى الظُّهر، لإرادة الجِهاد عليها العدوَّ. فعند بلوغ العرض منها تسعَمِائَةٍ غربت الشمس، ولم يكن صلّى العصر فاغتمّ، ٣٢ ـ ﴿فقالَ: إنِّيَ أحببتُ﴾ أي: أردت ﴿حُبَّ الخَيرِ﴾ أي: الخيلِ ﴿عَن ذِكرِ رَبِّي﴾ أي: صلاةِ العصر، ﴿حَتَّى تَوارَتْ﴾ أي: الشمسُ ﴿بِالحِجابِ﴾ أي: استترتْ بما يحجبها عن الأبصار. ٣٣ـ ﴿رُدُّوها علَيَّ﴾ أي: الخيلَ المعروضة، فردّوها ﴿فطَفِقَ مَسحًا﴾ بالسيف ﴿بِالسُّوقِ﴾: جمع ساق ﴿والأعناقِ﴾ أي: ذبَحَها وقطع أرجُلها تقرّبًا إلى الله ـ تعالى ـ حيثُ اشتغل بها عن الصلاة، وتصدّق بلحمها. فعوّضه الله خيرًا منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء.

أنَّها عشرةُ آلافِ فرسٍ[١]، كذا في «المبهماتِ»[٢].

قولُهُ: (صَلَّى العَصْرَ) وقيل: فاتَهُ وِرْدٌ له.

قولُهُ: (أَرَدْتُ) أصل «أحبَبْتُ» أن يعدَّى بـ«على»؛ لأنَّهُ بمعنى: آثَرْتُ، لكن لمَّا أنيبَ منابَ «أنبْتُ» عُدِّي تعديَتَهُ.

قولُهُ: (أي: الخَيلِ) (الخيرُ): المالُ الكثير، والمرادُ به: الخيلُ الَّتي شغلَتْهُ، وقيل: إنَّه سمَّاها خيرًا لتعلُّقِ الخيرِ بها، قالَ ﷺ: «الخَيلُ معقُودٌ بنَواصيهَا الخيرُ إلى يومِ القيامةِ» رواهُ الشَّيخانِ؛ أي: الأجرُ والغنيمَةُ[٣].

قولُهُ: (أي: الشَّمسُ) وإضمارُها من غيرِ ذكرٍ لدلالةِ العشيِّ عليه.

قولُهُ: (أي: استَتَرَتْ) يعني: شبَّهَ غُروبَها بتواري المخبَّأةِ بحِجابِها.

قولُهُ: (بالسَّيفِ) أي: فأخذَ وشرعَ يمسحُ بالسَّيفِ مسحاً.

قولُهُ: (جَمعُ: سَاقٍ) أي: بسوقِها وأعناقِها.

قولُهُ: (ذَبَحَها) من قولِهِم: مسحَ علاوتَهُ: إذا ضربَ عنقَهُ، وقيلَ: جعلَ يمسحُ بيدِهِ أعناقَها وسوقَها حبًّا لها[٤]، وعن قُنبلٍ: (بالسُّؤقِ)[٥] على همزِ الواوِ لضمَّةِ ما قَبلها كمؤقنٍ، وعنه: بزيادةِ واوٍ على وزنِ فُعُولٍ، ونقلُ البيضاويِّ[٦] عن أبي عَمرٍو شاذٌّ[٧].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٧/ ٦٤).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٩٣) ووقع فيه، وفي «تفسير ابن كثير»: عشرون ألف فرس.

(٣) رواه البخاري (٢٨٥٢)، ومسلم (١٨٧٣) من حديث عروة البارقي رضي الله عنه، وفيه: «الأجر والمغنم».

وروواه مسلم (١٨٧٢) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٩٦) عن ابن عباس بلفظ: أعراف الخيل وعراقيبها.

(٥) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٦٨).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٩).

(٧) قال ابن مجاهد: وعن علي بن نصر عن أبي عمرو قال: سمعت ابن كثير يقرأ: (بالسؤوق) بواو بعد الهمزة، ثم قال ابن مجاهد: =

٣٤ ـ ﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ﴾ ابتلَيناه بسلب مُلكه ـ وذلك لتزوّجه بامرأةٍ هَواها، وكانت تعبد الصنم في داره من غير عِلمه، وكان مُلكه في خاتَمه، فنزعه مرّة عِند إرادة الخَلاء، ووضعه عند امرأته المُسمّاة بالأمينة على عادته، فجاءها جنّيّ في صورة سُليمان فأخذه منها ـ ﴿وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا﴾ هو ذلك الجنّيّ وهو صخرٌ أو غيره، جلس على كرسيّ سُليمان، وعكفت عليه الطير وغيرها، فخرج سُليمان في غير هيئته، فرآه على كرسيّه وقال للناس: أنا سُليمان. فأنكروه ـ ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾: رجَع سُليمان إلى مُلكه بعد أيام، بأن وصل إلى الخاتَم فلبسه وجلس على كرسيّه.

٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿قَالَ: رَبِّ، ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا، لَّا يَنۢبَغِي﴾: لا يكون ﴿لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾ أي: سِواي نحو: «فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِ».........................

قولُهُ: (هَوِيَهَا) كرَضيَ؛ أي: أحبَّها.

قولُهُ: (تَعبُدُ الصَّنَمَ) كذا رواهُ البغويُّ عن وهبِ بن منبِّهٍ[١]، لكن في «المداركِ»: أنَّ ما يروى من عبادةِ الوثنِ[٢] في بيتِ سليمانَ فمن أباطيلِ اليهودِ[٣].

وقد ذكرَ السُّيوطيُّ في «الدُّرِّ» نقولاً كثيرةً[٤]، وأظهرُ ما قيلَ فيه كما قالَ القاضي[٥]: ما رويَ مرفوعاً: أنَّه قالَ: «لأطوفَنَّ اللَّيلةَ على سبعينَ امرأةً تأتي كلُّ واحدةٍ بفارسٍ يجاهدُ في سبيلِ اللهِ، ولمْ يقُلْ: إن شاءَ اللهُ، فلمْ تحمِلْ إلَّا امرأةٌ جاءَتْ بشقِّ رجلٍ، فوالَّذي نفسُ محمَّدٍ بيدِهِ لو قالَ: إن شاءَ اللهُ؛ لجاهَدُوا فرساناً» رواهُ الشَّيخانِ[٦].

قولُهُ: (بأنْ وَصَلَ إلى الخَاتَمِ) وفي كيفيَّتِهِ رواياتٌ كثيرةٌ[٧].

قولُهُ: (سِوَايَ) ليكونَ معجِزةً لي.

= ورواية أبي عمرو هذه عن ابن كثير هي الصواب؛ لأن الواو انضمت فهمزت لانضمامها.. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٣٨). ولم يذكر في «التيسير» (ص: ١٦٨) سوى الأولى عن قنبل.

قلت: وقول المصنف: «شاذ» لعله يريد به نسبة القراءة لأبي عمرو، أما لابن كثير فليست بشاذة.

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٦٨).

(٢) عبارة «المدارك»: ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ١٥٦).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٧٨ ـ ١٨٥).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٩).

(٦) رواه البخاري (٦٦٣٩)، ومسلم (١٦٥٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٢١/ ١٩٩)، وفيما تقدم عن النسفي بيان عن حال مثل هذه الروايات.

أي: سوى الله؟ ﴿إنَّكَ أنتَ الوَهّابُ. فسَخَّرْنا لَهُ الرِّيحَ، تَجرِي بِأمرِهِ رُخاءً﴾: ليّنة ﴿حَيثُ أصابَ﴾: أراد، ٣٧ ـ ﴿والشَّياطِينَ كُلَّ بَنّاءٍ﴾ يبني الأبنية العجيبة ﴿وغَوّاصٍ﴾ في البحر يستخرج اللؤلؤ، ٣٨ ـ ﴿وآخَرِينَ﴾ منهم ﴿مُقَرَّنِينَ﴾: مشدودين ﴿في الأصفادِ﴾: القُيود تَجمَعُ أيديهم إلى أعناقهم، وقلنا له: ٣٩ ـ ﴿هذا عَطاؤُنا. فامنُنْ﴾: أعطِ منه مَن شئتَ ﴿أو أمسِكْ﴾ عن الإعطاء ﴿بِغَيرِ حِسابٍ﴾ أي: لا حِساب عليك في ذلك. ٤٠ ـ ﴿وإنَّ لَهُ عِندَنا لَزُلفَى وحُسنَ مآبٍ﴾. تقدَّمَ مِثلُه.

٤١ ـ ﴿واذكُرْ عَبدَنا أيُّوبَ، إذ نادَى رَبَّهُ أنِّي﴾ أي: بأني ﴿مَسَّنِيَ الشَّيطانُ، بِنُصْبٍ﴾: بضُرّ ﴿وعَذابٍ﴾: ألم. ونسبَ ذلك إلى الشيطان، وإن كانت الأشياء كُلّها من الله، تأدّبًا معه ـ تعالى ـ وقيل له: ٤٢ ـ ﴿اركُضْ﴾: اضرِب ﴿بِرِجلِكَ﴾ الأرضَ، فضرب فنبعت عين ماء، فقيل: ﴿هذا مُغتَسَلٌ﴾: ماء تغتسل به ﴿بارِدٌ، وشَرابٌ﴾ تشرب منه ـ فاغتسلَ وشرب فذهب عنه كُلّ داء كان بظاهره وباطنه. ٤٣ ـ ﴿ووَهَبْنا لَهُ أهلَهُ ومِثلَهُم مَعَهُم﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده ورزقَه مِثلهم ﴿رَحْمَةً﴾: نِعمة ﴿مِنّا وذِكرَى﴾: عِظةً ﴿لِأُولِي الألبابِ﴾: لأصحاب العُقول ـ ٤٤ ـ ﴿وخُذْ بِيَدِكَ ضِغثًا﴾ هو حُزمة من حشيش أو قِضبان، ﴿فاضرِبْ بِهِ﴾ زوجتَك ـ وكان قد حلف ليضربنّها مِائَةَ ضربة لإبطائها عليه يومًا ـ ﴿ولا تَحنَثْ﴾ بترك ضربها. فأخذ مِائَةَ عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة. ﴿إنّا وَجَدْناهُ صابِرًا، نِعمَ العَبدُ﴾ أيوبُ! ﴿إنَّهُ أوّابٌ﴾: رجّاع إلى الله تعالى.

قولُهُ: (أَرَادَ) من قولِهِم: أصابَ الصَّوابَ فأخطأَ الجوابَ.

قولُهُ: (يَبنِي) ﴿الشَّياطينَ﴾ عطفٌ على: ﴿الرِّيحَ﴾، و﴿كُلَّ﴾ بدلٌ منهُ.

قولُهُ: (اللُّؤلُؤَ) والمرجانَ وغيرَهُما.

قولُهُ: (مِنهُم) عطفٌ على: ﴿كُلَّ﴾.

قولُهُ: (عَنِ الإعطَاءِ) أي: امنَعْ ما شئْتَ.

قولُهُ: (بِضُرٍّ) وتعَبٍ.

قولُهُ: (عَينٌ) وقيلَ: عينانِ.

قولُهُ: (تغتَسِلُ) وتشرَبُ، يحتملُ وجهينِ.

قولُهُ: (نِعمَةً) علّةٌ؛ أي: لرحمَتِنا عليهِ.

قولُهُ: (عِظَةً) وتذكيراً لينتَظروا الفرجَ بالصَّبرِ واللَّجَأِ إلى اللهِ فيما يحيقُ بهم.

قولُهُ: (زَوجَتَكَ) وهي ليَّا بنتُ يعقوبَ[1].

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٣٢٢).

٤٥ ـ ﴿واذكُرْ عِبادَنا إبراهِيمَ وإسحاقَ ويَعقُوبَ أُولِي الأيدِي﴾: أصحابَ القُوى في العِبادة، ﴿والأبصارِ﴾: البصائرِ في الدِّين ـ وفي قراءةٍ: «عَبدَنا»، وإبراهيمَ: بيان له، وما بعده عطف على «عبدَنا». ٤٦ ـ ﴿إنّا أخلَصْناهُم بِخالِصةٍ﴾، هي ﴿ذِكرَى الدّارِ﴾ الآخرة، أي: ذِكرُها والعمل لها، وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان، ٤٧ ـ ﴿وإنَّهُم عِندَنا لَمِنَ المُصطَفَينَ﴾: المُختارِينَ ﴿الأخيارِ﴾: جمع خيِّر بالتشديد ـ ٤٨ ـ ﴿واذكُرْ إسماعِيلَ واليَسَعَ﴾ هو نبيّ، واللام: زائدة، ﴿وذا الكِفلِ﴾ اختُلف في نبوّته، قيل: كَفَلَ مِائَةَ نبيّ، فرّوا إليه من القتل. ﴿وكُلٌّ﴾ أي: كُلّهم ﴿مِنَ الأخيارِ﴾.

٤٩ ـ ﴿هذا ذِكرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا، ﴿وإنَّ لِلمُتَّقِينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لَحُسنَ مَآبٍ﴾: مرجعٍ في الآخرة، ٥٠ ـ ﴿جَنّاتِ عَدْنٍ﴾: بدلٌ أو عطفُ بيان لـ «حسنَ مآب»، ﴿مُفَتَّحةً لَهُمُ الأبوابُ﴾ منها، ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿مُتَّكِئِينَ فِيها﴾ على الأرائك،..

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ[1].

قولُهُ: (و﴿إبراهيمَ﴾) وحَّدَهُ لمزيدِ شرفِهِ، عطفُ بيانٍ له.

قولُهُ: (على (عَبْدَنَا)) أي: لا على ﴿إبراهيمَ﴾، إذ البَيانُ حينئذٍ هو إبراهيمُ وحدَهُ، أو المرادُ: وضعُ الجنسِ موضعَ الجمعِ، وهو أنسبُ ليوافِقَ القراءتَينِ.

قولُهُ: (هِيَ) أي: جَعلناهُم خالصينَ لنا بخصلةٍ خالِصةٍ لا شَوبَ فيها، هي تذكُّرُهُم للآخرةِ دائماً، وإطلاقُ الدَّارِ للإشعارِ بأنَّها الدَّارُ في الحقيقةِ والدُّنيا معبرٌ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وهشامٍ[2].

قولُهُ: (المُختَارِينَ) من أبناءِ جنسِهِم.

قولُهُ: (بالتَّشدِيدِ) والتَّخفيفِ، صفتانِ مشبَّهتانِ؛ كأمواتٍ جمعُ: مَيْتٍ أو ميِّتٍ، أو جمعُ خيرِ أفعلَ تفضيلٍ؛ كشرٍّ وأشرارٍ.

قولُهُ: (واللَّامُ: زَائِدَةٌ) وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ: (واللَّيسع)[3].

قولُهُ: (كَفَلَ مِائَةَ نَبِيٍّ) وقيلَ: تكفَّلَ بعملِ رجلٍ صالحٍ كان يُصلِّي كلَّ يومٍ مئةَ صلاةٍ.

قولُهُ: (مِنهَا) أي: من الـ﴿جنَّاتِ﴾، و﴿مفتَّحةً﴾ حالٌ منها.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٤).

﴿يَدعُونَ فِيها بِفاكِهةٍ كَثِيرةٍ وشَرابٍ، وعِندَهُم قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: حابساتُ العَين على أزواجهنّ ﴿أترابٌ﴾: أسنانهنّ واحدة، وهن بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع تِرب. ٥٣ ـ ﴿هذا﴾ المذكور ﴿ما يُوعَدُونَ﴾ ـ بالغَيبة، وبالخِطاب التفاتًا ـ ﴿لِيَومِ الحِسابِ﴾ أي: لأجله. ٥٤ ـ ﴿إنَّ هذا لَرِزقُنا، مالَهُ مِن نَفادٍ﴾ أي: انقطاع. والجملة: حال من «رزقنا» أو خبر ثان لـ «إنّ» أي: دائمًا أو دائمٌ.

٥٥ ـ ٥٦ ـ ﴿هذا﴾ المذكور للمؤمنين، ﴿وإنَّ لِلطّاغِينَ﴾: مستأنفٌ ﴿لَشَرَّ مآبٍ، جَهَنَّمَ يَصلَونَها﴾: يدخلونها. ﴿فَبِئسَ المِهادُ﴾: الفِراشُ! ٥٧ ـ ﴿هذا﴾ أي: العذاب المفهوم ممّا بعده ـ ﴿فلْيَذُوقُوهُ ـ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حارّ مُحرق ﴿وغَساقٌ﴾، بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، ٥٨ ـ ﴿وأُخَرُ﴾ ـ بالجمع والإفراد ـ ﴿مِن شَكلِهِ﴾..

قولُهُ: (أَسنَانُهُنَّ وَاحِدَةٌ) أي: لِدَاتٌ بعضُهنَّ لبعضٍ، لا عجوزٌ فيهنَّ ولا صبيةٌ، أو لداتٌ لهم فإنَّ التَّحابَّ بينَ الأقرانِ أثبتُ.

قولُهُ: (جَمعُ: تِرَبٍ) بالكسرِ، واشتقاقُهُ من التُّرابِ؛ فإنَّه يمسُّهُنَّ[١] في وقتٍ واحدٍ.

قولُهُ: (بالغَيبَةِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[٢].

قولُهُ: (لأَجلِهِ) لأنَّ الحسابَ علَّةُ الوصولِ إلى الجزاءِ.

قولُهُ: (﴿هذا﴾ المَذكُورُ): الأمرُ ﴿هذا﴾، أو: ﴿هذا﴾ كما ذُكِرَ، أو: خُذ ﴿هذا﴾.

قولُهُ: (الفِرَاشُ) أي: المهدُ، أو المفترَشُ، مستعارٌ من فراشِ النَّائمِ، والمخصُوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ، وهو جهنَّمُ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١].

قولُهُ: (ممَّا بَعْدُ) والأظهرُ: ممَّا قبلُ؛ أي: ليَذوقوا ﴿هذا فليذوقُوهُ﴾، أو: العذابُ هذا ـ ويجوزُ العكسُ ـ ﴿فليذوقُوهُ﴾، ويجوزُ أن يكونَ مبتدأً خبرُه: ﴿حميمٌ﴾، وهو على ما سبقَ خبرُ محذوفٍ.

قولُهُ: (والتَّشدِيدُ) حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ[٣].

قولُهُ: (بالجَمعِ) بصريٌّ[٤]؛ أي: مذوقاتٌ، أو: أنواعُ عذابٍ أُخَرُ.

قولُهُ: (والإِفرَادِ) أي: مذوقٌ، أو: عذابٌ آخرُ.

---

(١) في الأصول: «يمسهم»، والتصويب من «البيضاوي» (٥/ ٣٢).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٥).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

أي: مِثلِ المذكور من الحميم والغساق ﴿أزواجٌ﴾: أصناف، أي: عذابهم من أنواع مختلفة، ويقال لهم، عِند دُخولهم النارَ بأتباعهم: ٥٩ ـ ٦٠ ـ ﴿هذا فَوجٌ﴾: جمع ﴿مُقتَحِمٌ﴾: داخلٌ ﴿مَعَكُم﴾ النارَ بشِدّة، فيقول المتبوعون: ﴿لا مَرحَبًا بِهِم﴾ أي: لا سَعةً عليهم. ﴿إنَّهُم صالُو النّارِ. قالُوا﴾ أي: الأتباعُ: ﴿بَل أنتُم لا مَرحَبًا بِكُم. أنتُم قَدَّمتُمُوهُ﴾ أي: الكُفرَ ﴿لَنا. فبِئسَ القَرارُ﴾ لنا ولكم النارُ! ٦١ ـ ﴿قالُوا﴾ أيضًا: ﴿رَبَّنا، مَن قَدَّمَ لَنا هذا فزِدْهُ عَذابًا ضِعفًا﴾ أي: مِثلَ عذابه على كُفره ﴿في النّارِ﴾.

٦٢ ـ ٦٣ ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: كُفّار مكّة، وهم في النار: ﴿مالَنا لا نَرَى رِجالاً، كُنّا نَعُدُّهُم﴾ في الدنيا ﴿مِنَ الأشرارِ؟ اتَّخَذْناهُم سُخرِيًّا﴾، بضم السين وكسرها: كنّا نسخر بهم في الدنيا ـ والياء: للنسب ـ أي: أمفقودون هم ﴿أم زاغَتْ﴾:..

قولُهُ: (مِثْلِ المَذكُورِ) أي: مثلِ هذا المذوقِ، أو: العذابِ في الشِّدَّةِ، وقُرِئَ بالكسرِ[1]، وهي لغةٌ.

قولُهُ: (أَصنَافٌ) أو أجناسٌ، خبرٌ لـ﴿آخَرُ﴾.

قولُهُ: (بِشِدَّةٍ) متعلِّقٌ بـ«داخل»، إذِ الاقتحامُ: ركوبُ الشِّدَّةِ والدُّخولُ فيها.

قولُهُ: (أي: لا سَعَةً) دعاءٌ على أتباعِهِم؛ أي: ما أتوا سعةً؛ لأنَّهُم داخِلونَ النَّارَ بأعمالِهِم مِثلَنا.

قولُهُ: (أي: الأَتبَاعُ) للرُّؤساءِ.

قولُهُ: (أي: الكُفرَ) أو العذابَ، فأنتم أحقُّ بما قلتُم.

قولُهُ: (لَنَا ولَكُم) أي: المقرُّ جهنَّمُ.

قولُهُ: (أَيضاً) أي: الأتباعُ.

قولُهُ: (مِثلَ عَذَابِهِ) أو: ذا ضِعْفٍ، أو: مُضاعفاً، وذلك أن يزيدَ على عذابِهِ مثلَهُ فيصيرَ ضعفينِ، كقولِهِم: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الأحزاب: ٦٨].

قولُهُ: (أي: كُفَّارُ مَكَّةَ) يعني: الطَّاغينَ، وفي «المبهماتِ»: قال ذلك أبو جَهلٍ[2].

قولُهُ: (بِضَمِّ السِّينِ) نافعٌ وحمزةُ والكسائيُّ[3].

قولُهُ: (أي: أَمَفقُودُونَ) وفي قراءةِ البصريِّ والكسائيِّ بتقديرِ الاستفهامِ[4].

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لمجاهد، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤١٢).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٩٤). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٣٢) عن مجاهد.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٦١٨).

(٤) يعني: قرؤوا بوصل الألف على تقدير الاستفهام، وهي قراءة أبي عمرو وحمزة والكسائي، والباقون بهمزة الاستفهام. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٦١٦)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

مالت ﴿عَنهُمُ الأبصارُ﴾ فلم نرَهم؟ وهم فُقراء المُسلمين كعمّار وبلال وصُهيب وسلمان. ٦٤ - ﴿إنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ﴾: واجبٌ وقوعُه، ﴿تَخاصُمُ أهلِ النّارِ﴾ كما تقدّم.

٦٥ - ﴿قُلْ﴾ - يا مُحمّد - لكُفّار مكّة: ﴿إنَّما أنا مُنذِرٌ﴾: مُخوِّف بالنار، ﴿وما مِن إلٰهٍ إلاّ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾ لخلقِه، ٦٦ - ﴿رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما العَزيزُ﴾: الغالب على أمره ﴿الغَفّارُ﴾ لأَوليائه. ٦٧ - ٦٨ - ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ، أنتُم عَنهُ مُعرِضُونَ﴾ أي: القُرآنُ الذي أنبأتُكم به، وجئتكم فيه بما لا يُعلم إلاّ بوحي. وهو قوله: ٦٩ - ﴿ما كانَ لِيَ مِن عِلمٍ بِالمَلَإِ الأعلَى﴾ أي: الملائكة، ﴿إذ يَختَصِمُونَ﴾ في شأن آدم، حين قال الله: «إنِّي جاعِلٌ في الأرضِ خَليفةً» إلى آخره. ٧٠ - ﴿إنْ﴾: ما ﴿يُوحَى إلَيَّ إلاّ أنَّما أنا﴾ أي: أنّي ﴿نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الإنذارِ.

٧١ - اذكرْ ﴿إذ قالَ رَبُّكَ لِلمَلائكةِ: إنِّي خالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ﴾ هو آدم. ٧٢ - ﴿فإذا سَوَّيتُهُ﴾: أتممته، ﴿ونَفَختُ﴾: أجريت ﴿فِيهِ مِن رُوحِي﴾ فصار حيًّا - وإضافة الروح إليه تشريف لآدم. والروح: جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه - ﴿فقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾ سُجودَ تحيّة بالانحناء. ٧٣ - ﴿فسَجَدَ المَلائكةُ كُلُّهُم أجمَعُونَ﴾ - فيه تأكيدان - ٧٤ - ﴿إلاّ إبلِيسَ﴾ هو أبو الجِنّ كان بين الملائكة، ﴿استكبَرَ وكانَ مِنَ الكافِرِينَ﴾ في عِلم الله تعالى. ٧٥ - ﴿قالَ: يا إبلِيسُ، ما مَنَعَكَ أن تَسجُدَ لِما خَلَقتُ بِيَدَيَّ﴾ أي: تولَّيتُ خلقه؟ وهذا تشريف لآدمَ - ....

قولُهُ: (وسَلمَانَ) وخبَّابٍ، كذا في «المبهماتِ»[1].

قولُهُ: (كَمَا تَقَدَّمَ) وهو بدلٌ مِن: (حقٌّ).

قولُهُ: (لِأَولِيَائِهِ) المؤمنينَ.

قولُهُ: (القُرآنُ) يجوزُ إطلاقُهُ على البعضِ.

قولُهُ: (وهُوَ) أي: النَّبأُ المفسَّرُ بالقرآنِ ما بعدَهُ من نبأ آدَمَ.

قولُهُ: (أي: أَنّي) إشارةٌ إلى أنّه مرتفعٌ بإسنادِ ﴿يوحى﴾ إليهِ، وقيل: التَّقديرُ: لأنّي أتممتُهُ وعدلْتُ خلقتَهُ.

قولُهُ: (لآدَمَ) أو للرُّوحِ.

قولُهُ: (في عِلمِ اللهِ) أو صارَ باستنكارِهِ أمرَ اللهِ، واستكبارِهِ عن المطاوعةِ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٩٤).

فإنّ كل مخلوق تولّى الله خلقه ـ ﴿أستكبَرتَ﴾ الآن عن السُّجود؟ استفهام توبيخ، ﴿أم كُنتَ مِنَ العالِينَ﴾: المُتكبّرين، فتكبّرت عن السُّجود لكونك منهم؟ ٧٦ ـ ﴿قالَ: أنا خَيرٌ مِنهُ. خَلَقتَني مِن نارٍ وخَلَقتَهُ مِن طِينٍ﴾.

٧٧ ـ ﴿قالَ: فاخرُجْ مِنها﴾ أي: من الجنّة، وقيل: من السماوات. ﴿فإنَّكَ رَجِيمٌ﴾: مطرود، ٧٨ ـ ﴿وإنَّ عليكَ لَعنَتِي إلَى يَومِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ. ٧٩ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، فأنظِرْنِيَ إلَى يَومِ يُبعَثُونَ﴾، أي: الناس. ٨٠ ـ ٨١ ـ ﴿قالَ: فإنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ إلَى يَومِ الوَقتِ المَعلُومِ﴾: وقتِ النفخة الأُولى. ٨٢ ـ ٨٣ ـ ﴿قالَ: فَبِعِزَّتِكَ، لَأُغوِيَنَّهُم أجمَعِينَ، إلاّ عِبادَكَ مِنهُمُ المُخلِصِينَ﴾ أي: المؤمنين.

٨٤ ـ ﴿قالَ: فالحَقَّ والحَقَّ أقُولُ﴾ ـ بنصبِهما ورفعِ الأول ونصبِ الثاني ـ فنصبُه بالفعل بعده، ونصبُ الأوّل قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر، أي: أَحُقُّ الحقَّ، وقيل: على نزع حرف القسم. ورفعُه على أنه مبتدأ محذوف الخبر، أي: فالحقُّ منّي..........................

قولُهُ: (فَإِنَّ كُلَّ مَخلُوقٍ) لعلَّ قولَهُ: ﴿بيدي﴾ إشارةٌ إلى خصوصيَّةِ خلقِهِ بلا واسطةٍ كأبٍ وأمٍّ، والتَّثنيةُ لِمَا في خلقِهِ من مزيدِ القدرةِ واختلافِ الفعلِ، ولعلَّ فيه إيماءً إلى أنَّه مظهرُ صِفَتَي الجمالِ والجلالِ بخلافِ الملائكةِ والشَّياطينِ.

قولُهُ: (مِنَ السَّمَاوَاتِ) وقيلَ: من الهيئةِ الملكيَّةِ.

قولُهُ: (مَطرُودٌ) من الرَّحمةِ ومحلِّ الكرامةِ.

قولُهُ: (الجَزَاءِ) فيشاهِدُ عذاباً يُنسيهِ اللَّعنةَ، أو الغايةُ داخِلٌ في المغيَّا.

قولُهُ: (أي: النَّاسُ) يعني: النَّفخةَ الثَّانيةَ.

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) الَّذين أخلصَهُمُ اللهُ للطَّاعةِ، وحفظَهُم من الضَّلالةِ، أو: أخلصُوا أمورَهُم للهِ على اختلافِ القراءتين[1].

قولُهُ: (بِنَصبِهِمَا) غيرُ عاصمٍ وحمزةَ[2].

قولُهُ: (فنَصْبُهُ) أي: الثَّاني.

قولُهُ: (ورَفعُهُ) أي: الأوَّلِ.

---

(١) قرأ الكوفيون ونافع: ﴿المخلصين﴾ بفتح اللام، والباقون بكسرها، انظر: «التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) فقراءتهما ضم الأول وفتح الثاني. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٥٧)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

وقيل: فالحقُّ قَسَمي، وجواب القسم: ٨٥ ـ ﴿لَأَملأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ﴾ بذُرّيّتك، ﴿ومِمَّن تَبِعَكَ مِنهُم﴾: من الناس ﴿أجمَعِينَ﴾.

٨٦ ـ ﴿قُلْ: ما أسألُكُم عليهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿مِن أجرٍ﴾: جُعْل، ﴿وما أنا مِنَ المُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقوِّلينَ القُرآنَ من تِلقاء نفسي. ٨٧ـ ﴿إنْ هُوَ﴾ أي: ما القُرآنُ ﴿إلاّ ذِكرٌ﴾: عِظة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجِنّ دُون الملائكة، ٨٨ ـ ﴿ولَتَعلَمُنَّ﴾ ـ يا كُفّارَ مكّة ـ ﴿نَبأَهُ﴾: خبر صِدقه ﴿بَعدَ حِينٍ﴾ أي: يومَ القيامة. وعَلِمَ بمعنى: عَرَفَ. واللام قبلها: لام قسم مُقدّر، أي: والله.

قولُهُ: (بذُرِّيَّتِكِ) أو المرادُ بـ﴿مِنْكَ﴾: من جنسِكَ، ليتناولَ الشَّياطينَ.

قولُهُ: (مِنَ النَّاسِ) إذ الكلامُ فيهم، وقيل: للثَّقلينِ.

قولُهُ: (دُونَ المَلائِكَةِ) لا وجهَ للنَّفي إلَّا على تفسيرِ الذِّكرِ بالعظةِ، وإلَّا فقد صحَّ أنَّ جماعةً منهم يلتَمِسونَ أهلَ الذِّكرِ[1]، مع أنَّه قيل: بُعِثَ النبيُّ ﷺ إليهم وأنذَرَهُم قولَه تعالى: ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

قولُهُ: (يا كُفَّارَ مَكَّةَ) عِلْماً عِياناً.

قولُهُ: (خَبَرَ صِدقِهِ) أو: ما فيه من الوَعدِ والوعيدِ.

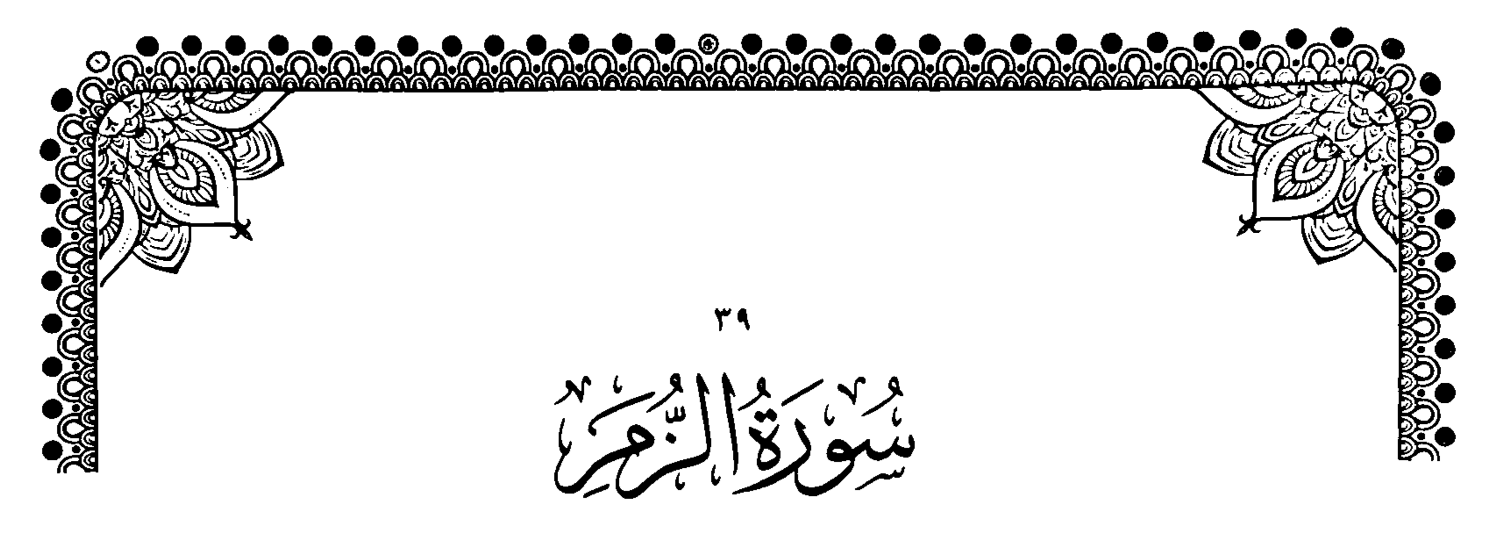
قولُهُ: (أي: يَومَ القِيَامَةِ) أو بعدَ الموتِ، أو عندَ ظُهورِ الإسلامِ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: عُرِفَ) ولذا عُدِّي إلى مفعولٍ واحدٍ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) روى البخاري (٦٤٠٨)، ومسلم (٢٦٨٩) واللفظ للبخاري، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر».



٣٩

سُورَةُ الزُّمَرِ

مكية إلاّ «قل يا عباديَ الذين أسرفوا» الآيةَ فمدنية، وهي خمس وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿تنزِيلُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ، مبتدأٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبرُه، ﴿العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمِ﴾ في صُنعه.

٢ ـ ﴿إنّا أنزَلْنا إلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿الكِتابَ بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ «أنزل». ﴿فاعبُدِ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك، أي: مُوحِّدًا له.

٣ ـ ﴿ألا لِلهِ الدِّينُ الخالِصُ﴾، لا يستحقّه غيره، ﴿والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ الأصنامَ ﴿أَولِياءَ﴾ ـ وهم كُفّار مكّة ـ قالوا: ﴿ما نَعبُدُهُم إلاّ لِيُقَرِّبُونا إلَى اللهِ زُلفَى﴾:.........

سُورَةُ الزُّمَرِ

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ) أو خبرُ محذوفٍ مثلَ: هذا.

قولُهُ: (خَبَرُهُ) أو خبرٌ ثانٍ.

قولُهُ: (مُتَعَلِّقٌ بـ«أَنزَلَ») أي: بسببِ إثباتِ الحقِّ وإظهارِهِ وتفصيلِهِ.

قولُهُ: (مِنَ الشِّركِ) والرِّياءِ.

قولُهُ: (أي: مُوَحِّداً لَهُ) أي: الطَّاعةَ، قيل: الإخلاصُ في العملِ أشدُّ من العملِ.

قولُهُ: (لا يَستَحِقُّهُ غَيرُهُ) أو: لا يَقبلُ سواهُ.

قولُهُ: (الأَصنَامَ) مفعولٌ أوَّلُ.

قولُهُ: (وهُم كُفَّارُ مَكَّةَ) أُضمِروا من غيرِ ذكرٍ لدلالةِ المساقِ عليهم.

قولُهُ: (قَالُوا) خبرٌ لـ﴿الَّذِينَ﴾ وبه قُرِئَ[1].

---

(١) أي: (قالوا ما نعبدهم) ونسبت لابن عباس ومجاهد، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤١٣).

قُربَى مصدر بمعنى: تقريبًا. ﴿إنَّ اللهَ يَحكُمُ بَينَهُم﴾ وبين المسلمين﴿فِيما هُم فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدِّين، فيُدخل المؤمنين الجنّة والكافرين النار. ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي مَن هُوَ كاذِبٌ﴾ في نِسبة الولد إلى الله ﴿كَفّارٌ﴾ بعِبادته غيرَ الله.

٤ ـ ﴿لَو أرادَ اللهُ أن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: «اتَّخَذَ الرَّحمنُ وَلَدًا» ﴿لَاصطَفَى مِمّا يَخلُقُ ما يَشاءُ﴾ واتّخذه ولدًا غيرَ مَن قالوا: الملائكةُ بناتُ الله، وعُزيرٌ ابنُ الله، والمسيحُ ابنُ الله. ﴿سُبحانَهُ﴾: تنزيهًا له عن اتّخاذ الولد. ﴿هُوَ اللهُ الواحِدُ القَهّارُ﴾ لخلقه! ٥ ـ ﴿خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ«خلق»، ﴿يُكَوِّرُ﴾: يُدخِل ﴿اللَّيلَ عَلَى النَّهارِ﴾ فيزيد، ﴿ويُكَوِّرُ النَّهارَ﴾: يُدخِله ﴿عَلَى اللَّيلِ﴾ فيزيد، ﴿وسَخَّرَ الشَّمسَ والقَمَرَ، كُلٌّ يَجرِي﴾ في فلَكه ﴿لِأجَلٍ مُسَمًّى﴾: لِيوم القِيامة. ﴿ألا هُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره المُنتقم من أعدائه ﴿الغَفّارُ﴾ لأوليائه.

٦ ـ ﴿خَلَقَكُم مِن نَفسٍ واحِدَةٍ﴾ أي: آدم ـ ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنها زَوجَها﴾ حوّاءَ ـ ﴿وأنزَلَ لَكُم مِنَ الأنعامِ﴾: الإبلِ والبقر والغنم الضأنِ والمعزِ ﴿ثَمانِيَةَ أزواجٍ﴾ من كُلٍّ زوجانِ: ذكر وأُنثى كما بيّنَ في سورة «الأنعام»، ﴿يَخلُقُكُم في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم خَلقًا مِن بَعدِ خَلقٍ﴾ أي: نُطَفًا ثمّ عَلَقًا ثمّ مُضَغًا، ﴿في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾..

قولُهُ: (وبَينَ المُسلِمِينَ) الظَّاهرُ: بين المسلمينَ والكافرينَ؛ لأنَّ الضَّميرَ فيما قبلَهُ راجعٌ إلى الأصنامِ، وفيما بعدَهُ إلى الفريقينِ.

قولُهُ: (واتَّخَذَهُ وَلَداً) يعني: لكنْ ما أرادَهُ، وفيه: أنَّ هذا غيرُ ملائمٍ للتَّنزيهِ المطلقِ الدالِّ عليه الوحدانيَّةُ والقهاريَّةُ، والأظهرُ ما في «المداركِ»: لو جازَ اتِّخاذُ الولدِ[1].

قولُهُ: (يُدخِلُ) أي: يُغَشِّي كلَّ واحدٍ منهما الآخَرَ، كأنَّه يُلفُّ عليه لفَّ اللِّباسِ على اللَّابسِ.

قولُهُ: (لِيَومِ القِيَامَةِ) فإنَّه منقطَعُ حركتِهِ، وقيل: هو منتَهَى دورِهِ.

قولُهُ: (لأَولِيَائِهِ) غيرُ عجولٍ بالانتقامِ على أعدائِهِ.

قولُهُ: (الإبِلِ) أي: قضى أو قسَمَ لكم، فإنَّ قضاياهُ وقِسَمَهُ توصَفُ بالنُّزولِ من السَّماءِ حيثُ كتبَ في اللَّوحِ، وقيل: خلقَها في الجنَّةِ ثمَّ أنزلَها.

قولُهُ: (ثُمَّ مُضَغاً) ثمَّ عِظاماً عاريةً، ثمَّ عظاماً مكسوَّةً، ثمَّ حيواناً سويًّا.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ١٦٩).

هي: ظُلمة البطن وظُلمة الرحم وظُلمة المَشيمة. ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، لَهُ المُلكُ، لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ. فأنّى تُصرَفُونَ﴾عن عِبادته إلى عِبادة غيره؟

٧ ـ ﴿إن تَكفُرُوا فإنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنكُم، ولا يَرضَى لِعِبادِهِ الكُفرَ﴾، وإن أراده من بعضهم، ﴿وإن تَشكُرُوا﴾ اللهَ فتؤمنوا ﴿يَرضَهْ﴾ ـ بسكون الهاء، وضمّها مع إشباع ودونَه ـ أي: الشُّكرَ ﴿لَكُم، ولا تَزِرُ﴾ نفسٌ ﴿وازِرةٌ وِزرَ﴾ نفسٍ ﴿أُخرَى﴾ أي: لا تحمله، ﴿ثُمَّ إلَى رَبِّكُم مَرجِعُكُم، فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ. إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القُلوب.

٨ ـ ٩ ـ ﴿وإذا مَسَّ الإنسانَ﴾ أي: الكافرَ ﴿ضُرٌّ دَعا رَبَّهُ مُنِيبًا﴾: راجعًا ﴿إلَيهِ، ثُمَّ إذا خَوَّلَهُ نِعْمةً﴾: أعطاه إنعامًا ﴿مِنهُ نَسِيَ﴾: ترك ﴿ما كانَ يَدعُو﴾: يتضرّعُ ﴿إلَيهِ مِن قَبلُ﴾ وهو الله ـ فما: في موضع: مَن ـ ﴿وجَعَلَ لِلهِ أنداداً﴾: شُركاءَ ﴿لِيَضِلَّ﴾، بفتح الياء وضمّها، ﴿عَن سَبِيلِهِ. قُلْ: تَمَتَّعْ بِكُفرِكَ قَلِيلاً﴾: بقيّةَ أجلك. ﴿إنَّكَ مِن أصحابِ النّارِ. أمَن﴾، بتخفيف الميم،.........................

قولُهُ: (المَشِيمَةِ) محلِّ الولدِ.

قولُهُ: (وإنْ أَرَادَهُ) ففرَّقَ بين الرِّضا والإرادةِ، وهو مذهبُ كثيرٍ من السَّلفِ، وقالَ جماعةٌ منهم[١]: معناهُ: أنَّ اللهَ لا يرضى لعبادِهِ المؤمنينَ الكفرَ.

قولُهُ: (بِسُكُونِ الهَاءِ) سُوسيٌّ ودُوريٌّ وهشامٌ بخلفٍ عنهما[٢].

قولُهُ: (مَعَ إِشبَاعٍ) لابنِ كثيرٍ والدُّوريِّ وابنِ ذكوانَ والكسائيِّ[٣].

قولُهُ: (وهُو اللهُ) أو الضُّرُّ الَّذي كانَ يَدعو اللهَ إلى كشفِهِ.

قولُهُ: (بفَتحِ اليَاءِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[٤].

قولُهُ: (بَقِيَّةَ أَجَلِكَ) أمرُ تهديدٍ.

قولُهُ: (بتَخفِيفِ المِيمِ) حِرْميٌّ وحمزةُ[٥].

---

(١) ومنهم السدي، رواه عنه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦٠)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٠٥).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦٠)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٠٥).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٦٧)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٦٥).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦١)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٦٥).

﴿هُوَ قانِتٌ﴾: قائم بوظائف الطاعات ﴿آناءَ اللَّيلِ﴾: ساعاتِه ﴿ساجِدًا وقائمًا﴾ في الصلاة، ﴿يَحذَرُ الآخِرةَ﴾ أي: يخاف عذابها، ﴿ويَرجُو رَحْمةَ﴾: جنّةَ ﴿رَبِّهِ﴾، كمن هو عاصٍ بالكُفر أو غيره؟ وفي قراءة: «أم مَن» بمعنى: بل والهمزة. ﴿قُلْ: هَل يَستَوِي الَّذِينَ يَعلَمُونَ والَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾؟ أي: لا يستويان كما لا يستوي العالم والجاهل. ﴿إنَّما يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿أُولُو الألبابِ﴾: أصحاب العُقول.

١٠ ـ ﴿قُلْ: يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا رَبَّكُم﴾ أي: عذابَه بأن تُطيعوه. ﴿لِلَّذِينَ أحسَنُوا في هذِهِ الدُّنيا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنةٌ﴾ هي الجنّة، ﴿وأرضُ اللهِ واسِعةٌ﴾. فهاجروا إليها من بين الكُفّار ومُشاهدة المُنكرات. ﴿إنَّما يُوَفَّى الصّابِرُونَ﴾ على الطاعة وما يُبتلَون به ﴿أجرَهُم بِغَيرِ حِسابٍ﴾: بغير مِكيال ولا مِيزان.

١١ ـ ﴿قُلْ: إنِّيَ أُمِرتُ أن أعبُدَ اللهَ مُخلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك، ١٢ ـ ﴿وأُمِرتُ لِأَن﴾ أي: بأن ﴿أكُونَ أوَّلَ المُسلِمِينَ﴾ من هذه الأُمّة. ١٣ ـ ١٤ ـ ﴿قُلْ: إنِّيَ أخافُ، إن عَصَيتُ رَبِّي، عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ. قُلِ: اللهَ أعبُدُ مُخلِصًا لَهُ دِينِي﴾ من الشِّرك. ١٥ ـ ﴿فاعْبُدُوا ما شِئتُم مِن دُونِهِ﴾: غيرَه. فيه تهديد لهم وإيذان بأنهم لا يعبدون الله تعالى.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) هذا قد مرَّ[1]، ولعلَّهُ كرَّرَهُ ليرتِّبَ عليه ما بعدَهُ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: بَلْ) فـ(أم) منقطعةٌ، وقيل: متَّصلةٌ بمحذوفٍ تقديرُه: الكافرُ خيرٌ أمَّن هو قانتٌ.

قولُهُ: (أي: لا يَستَوِيَانِ) يعني: القانتينَ وغيرَهُم، فيكونُ تقديرًا للأوَّلِ على سبيلِ التَّشبيهِ، وقيل: نفيٌ لاستواءِ الفريقينِ باعتبارِ القوَّةِ العلميَّةِ بعدَ نفيِهِ باعتبارِ القوَّةِ العمليَّةِ على وجهٍ أبلغَ لمزيدِ فضلِ العلمِ.

قولُهُ: (يتَّعِظُ) بأمثالِ هذهِ البياناتِ.

قولُهُ: (أي: عَذَابَهُ) أو: مخالفتَهُ.

قولُهُ: (هِيَ الجَنَّةُ) أي: مثوبةٌ حسنةٌ، وقيل: هي الصِّحَّةُ والعافيةُ.

قولُهُ: (ومَا يُبْتَلُونَ بِهِ) مِن مُهاجرةِ الأوطانِ وغيرِها.

قولُهُ: (بِغَيرِ مِكيَالٍ) أي: أجراً لا يهتدي إليه حسابُ الحسَّابِ.

قولُهُ: (أي: بِأَنْ) يعني: اللَّامُ زائدةٌ كما في: أردتُ لأنْ أفعلَ، وتقدَّرُ الباءُ، أو أرادَ أنَّ اللَّامَ بمعنى الباءِ على القولِ بأنَّ الحروفَ تتناوَبُ، والأحسنُ ما قالَ القاضي: أمِرتُ بذلك لأجلِ أن أكونَ مقدَّمَهُم في الدُّنيا والآخرةِ؛ لأنَّ إحرازَ السَّبقِ في الدَّارينِ بالإخلاصِ[2].

---

(١) أي: عند قوله السابق: «بتخفيف الميم».

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٩).

﴿قُلْ: إِنَّ الخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهلِيهِم يَومَ القِيامَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحُور المُعدّة لهم في الجنّة، لو آمنوا ـ ﴿ألا ذلِكَ هُوَ الخُسرانُ المُبِينُ﴾: البيّنُ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿لَهُم مِن فَوقِهِم ظُلَلٌ﴾: طِباق ﴿مِنَ النّارِ ومِن تَحتِهِم ظُلَلٌ﴾ من النار. ﴿ذلِكَ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبادَهُ﴾ أي: المؤمنين ليتّقوه ـ يدلّ عليه: ﴿يا عِبادِ، فاتَّقُونِ ـ والَّذِينَ اجتَنَبُوا الطّاغُوتَ﴾: الأوثانَ ﴿أن يَعبُدُوها، وأنابُوا﴾: أقبلوا ﴿إلَى اللهِ، لَهُمُ البُشرَى﴾ بالجنّة. ﴿فَبَشِّرْ عِبادِيَ الَّذِينَ يَستَمِعُونَ القَولَ فيَتَّبِعُونَ أحسَنَهُ﴾، وهو ما فيه فلاحهم. ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ هَداهُمُ اللهُ، وأُولئِكَ هُم أُولُو الألبابِ﴾: أصحاب العُقول.

١٩ ـ ﴿أفمَن حَقَّ علَيهِ كَلِمةُ العَذابِ﴾، هي: «لَأملأنَّ جَهَنَّمَ» الآيَةَ، ﴿أفأنتَ تُنقِذُ﴾: تُخرج ﴿مَن في النّارِ﴾؟ جوابُ الشرط. وأُقيم فيه الظاهر مَقام المُضمر، والهمزةُ: للإنكار. والمعنى: لا تقدرُ على هِدايته فتُنقذَه من النار. ٢٠ ـ ﴿لكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُم غُرَفٌ، مِن فَوقِها غُرَفٌ، مَبنِيَّةٌ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ﴾ ....

قولُهُ: (وبِعَدَمِ وُصُولِهِم) أو: الَّذينَ خَسِروا أنفسَهُم بالضَّلالِ وأهليهم بالإضلالِ؛ أي: ظهرَ خسرانُهُم يومَ القيامةِ.

قولُهُ: (طِبَاقٌ) أو أطباقٌ.

قولُهُ: (مِنَ النَّارِ) وهي ظُلَلٌ للآخَرينَ، جمعُ: ظلَّةٍ.

قولُهُ: (أي: المُؤمنِينَ) الظَّاهرُ: تعميمُ التَّخويفِ وتخصيصُ النِّداءِ.

قولُهُ: (الأَوثَانَ) وقالَ القاضي: الشَّيطانَ[1]، والأظهرُ: كلُّ ما عُبِدَ من دونِ اللهِ أو أُطِيعَ، وقالَ سهلٌ: الطَّاغوتُ: الدُّنيا[2].

قولُهُ: (أَقبَلُوا) بكلِّيَّتِهم عمَّا سواهُ.

قولُهُ: (بالجَنَّةِ) أو بالثَّوابِ على ألسنةِ الرُّسلِ، أو الملائكةِ عندَ حضورِ الموتِ.

قولُهُ: (والهَمزَةُ: للإنكَارِ) وإعادتُها لمزيدِ التَّأكيدِ.

قولُهُ تعالى: (﴿مَبْنِيَّةٌ﴾) لعلَّها إشارةٌ إلى أنَّ الغُرفَ عوالي[3] حسِّيَّةٌ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٣٣).

(٣) كذا في النسخ، والجادة: «عوالٍ».

أي: من تحت الغُرف الفَوقانيّة والتحتانيّة، ﴿وَعْدَ اللهِ﴾: منصوب بفعله المُقدَّر، ﴿لا يُخلِفُ اللهُ المِيعادَ﴾: وعدَه.

٢١ ـ ﴿ألَم ترَ﴾: تعلمْ ﴿أنَّ اللهَ أنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً، فسَلَكَهُ يَنابِيعَ﴾: أدخله أمكنةَ نبعٍ ﴿في الأرضِ، ثُمَّ يُخرِجُ بِهِ زَرعًا مُختَلِفًا ألوانُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ﴾: ييبَسُ، ﴿فتَراهُ﴾ بعد الخُضرة مَثلاً ﴿مُصفَرًّا، ثُمَّ يَجعلُهُ حُطامًا﴾: فُتاتًا؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَذِكرَى﴾: تذكيرًا، ﴿لِأُولِي الألبابِ﴾ يتذكّرون به لدلالته على وحدانيّة الله ـ تعالى ـ وقُدرته. ٢٢ ـ ﴿أفمَن شَرَحَ اللهُ صَدرَهُ لِلإسلامِ﴾ فاهتدى، ﴿فهُوَ علَى نُورٍ مِن رَبِّهِ﴾، كمن طَبع على قلبه؟ دلَّ على هذا: ﴿فوَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب ﴿لِلقاسِيةِ قُلُوبُهُم مِن ذِكرِ اللهِ﴾ أي: عن قَبول القُرآن. ﴿أُولئِكَ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّن.

قولُهُ: (بفِعْلِهِ) أو مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ لأنَّ قولَهُ: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ في معنى الوعدِ.

قولُهُ: (أَمكِنَةَ نَبْعٍ) هي عيونٌ ومجارٍ كائنةٌ فيها.

قولُهُ تعالى: (﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾) أي: أصنافُهُ من بُرٍّ وشعيرٍ وغيرِهما، أو: كيفيَّاتُه مِن خضرةٍ وحمرةٍ وغيرِهما.

قولُهُ: (يَيْبَسُ) لأنَّهُ إذا يبسَ حانَ له أن يثورَ عن منبتِهِ.

قولُهُ: (دَلِيلاً)[1] أو بأنَّه مثلُ الحياةِ الدُّنيا فلا يُغتَرَّ بها.

قولُهُ: (فاهْتَدَى) وعنهُ ﷺ: «إذا دخَلَ النُّورُ القلبَ[2] انشرحَ وانفسَحَ»، قيلَ: فما علامةُ ذلك؟ قالَ: «الإنابةُ إلى دارِ الخلودِ، والتَّجافي عن دارِ الغرورِ، والتَّأهُّبُ للموتِ قبلَ نزولِهِ»، رواهُ الحاكمُ وغيرُهُ[3].

قولُهُ: (عَلى هَذَا) أي: على خبرِ (مَنْ) المحذوفِ.

قولُهُ: (عَن قَبُولِ القُرآنِ) أو: من أجلِ ذكرِه، وهو أبلغُ من أن يكونَ (عن) مكان ﴿مِن﴾؛ لأنَّ القاسيَ من أجلِ الشَّيءِ أشدُّ تأبِّيًا عن قبولِه من القاسي عنه لسببٍ آخرَ.

قولُهُ: (بَيِّنٍ) يظهرُ للنَّاظرِ بأدنى نَظرٍ.

---

(١) الذي في المتن: «لدلالته».

(٢) في (م): «قلب المؤمن».

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٣١٥)، وابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٦٨) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

٢٣ ـ ﴿اللهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَدِيثِ، كِتابًا﴾: بدلٌ من «أحسنَ» أي: قُرآنًا ﴿مُتَشابِهًا﴾ أي: يُشبه بعضه بعضًا في النظم وغيره، ﴿مَثانِيَ﴾: ثُنِيَ فيه الوعدُ والوعيد وغيرُهما، ﴿تَقشَعِرُّ مِنهُ﴾: ترتعد عِند ذِكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم، ثُمَّ تَلِينُ﴾: تطمئنّ ﴿جُلُودُهُم وقُلُوبُهُم إلَى ذِكرِ اللهِ﴾ أي: عِندَ ذِكر وعده. ﴿ذلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدَى اللهِ، يَهدِي بِهِ مَن يَشاءُ، ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ﴾.
٢٤ ـ ﴿أفمَن يَتَّقِي﴾: يلقَى ﴿بِوَجهِهِ سُوءَ العَذابِ يَومَ القِيامةِ﴾ أي: أشدَّه بأن يُلقى في النار مغلولةً يداه إلى عُنقه كمن أمِنَ منه بدُخول الجنّة؟ ﴿وقِيلَ لِلظّالِمِينَ﴾ أي: كُفّارِ مكّة: ﴿ذُوقُوا ما كُنتُم تَكسِبُونَ﴾ أي: جزاءه.

٢٥ ـ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ رُسلَهم في إتيان العذاب، ﴿فأتاهُمُ العَذابُ مِن حَيثُ لا يَشعُرُونَ﴾: من جِهةٍ لا تخطر ببالهم، ٢٦ ـ ﴿فأذاقَهُمُ اللهُ الخِزْيَ﴾: الذّل والهوان من المسخ والقتل وغيرهما ﴿في الحَياةِ الدُّنيا. ولَعَذابُ الآخِرةِ أكبَرُ. لَو كانُوا﴾ أي المُكذّبون ﴿يَعلَمُونَ﴾ عذابها ما كذّبوا.

٢٧ ـ ﴿ولَقَد ضَرَبْنا﴾: جعلنا ﴿لِلنّاسِ في هذا القُرآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ، لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتّعظون، ٢٨ ـ ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾: حالٌ مُؤكِّدة، ﴿غَيرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: لَبسٍ واختلاف، ﴿لَعَلَّهُم يَتَّقُونَ﴾ الكُفر.

قولُهُ: (بَدَلٌ مِنْ: ﴿أَحْسَنَ﴾) أو حالٌ منه.

قولُهُ: (في النَّظمِ) أي: تَجاوُبِه.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) من وجوهِ الإعجازِ وصحَّةِ المعنى والدِّلالةِ على المنافعِ العامَّةِ.

قولُهُ: (وغَيرُهُمَا) مِنَ الحلالِ والحرامِ وسائرِ الأحكامِ، وقصصِ الأنبياءِ عليهِم السَّلامُ.

قولُهُ: (تَطمَئِنُّ) يعني: التَّعديةُ بـ﴿إلَى﴾ لتضمينِ معنى السُّكونِ والاطمئنانِ.

قولُهُ: (يَلقَى) معلومٌ؛ أي: يجعلُهُ درقَةً لأنَّهُ يقي به نفسَهُ.

قولُهُ: (بِأنْ يُلقَى) مَجهولٌ.

قولُهُ: (إلى عُنُقِهِ) فلا يقدرُ أن يتَّقي إلَّا بوجهِهِ.

قولُهُ: (كمَنْ أَمِنَ) أو: كمَنْ هو آمنٌ، فحُذِفَ الخبرُ كما حُذِفَ في نظائرِهِ.

قولُهُ: (أي: كُفَّارِ مَكَّةَ) وغيرِهِم.

قولُهُ: (وغَيرِهِمَا) من السَّبيِ والإجلاءِ.

قولُهُ: (حَالٌ مُؤَكِّدةٌ) من هذا، والاعتمادُ فيها على الصِّفةِ كقولك: جاءَني زيدٌ رجلاً صالحاً، أو مدحٌ له.

قولُهُ: (أي: لَبْسٍ) يعني: لا اختِلالَ فيه بوجهٍ ما، فهو أبلغُ منَ المستقيمِ، وقيل: غيرَ مخلوقٍ.

٢٩ ـ ﴿ضَرَبَ اللهُ﴾ للمُشرك والمُوحِّد ﴿مَثَلاً رَجُلاً﴾: بدلٌ من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكاءُ مُتَشاكِسُونَ﴾: متنازعون سيِّئةٌ أخلاقُهم، ﴿ورَجُلاً سالِمًا﴾: خالصًا ﴿لِرَجُلٍ. هَل يَستَوِيانِ مَثَلاً﴾؟ تمييزٌ، أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد. فإنّ الأوّل إذا طلَبَ منه كُلٌّ من مالكيه خِدمته في وقت واحد تحيَّر فيمن يخدمه منهم. وهذا مَثل للمُشرك، والثاني مَثل للمُوحِّد. ﴿الحَمدُ لِلهِ﴾ وحدَه. ﴿بَل أكثَرُهُم﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيُشركون.

٣٠ ـ ﴿إنَّكَ﴾ ـ خِطاب للنبيّ ـ ﴿مَيِّتٌ وإنَّهُم مَيِّتُونَ﴾: ستموت ويموتون، فلا شماتةَ بالموت ـ نزلتْ لمّا استبطؤوا موته ﷺ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿ثُمَّ إنَّكُم﴾، أيها الناس، فيما بينكم من المظالم ﴿يَومَ القِيامَةِ عِندَ رَبِّكُم تَختَصِمُونَ. فَمَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللهِ﴾ بِنسبة الشريك والولد إليه، ﴿وكَذَّبَ بِالصِّدقِ﴾: بالقُرآن، ﴿إذ جاءَهُ؟ أَلَيسَ في جَهَنَّمَ مَثوًى﴾: مأوًى ﴿لِلكافِرِينَ﴾؟ بلى.

٣٣ ـ ﴿والَّذِي جاءَ بِالصِّدقِ﴾ هو النبيّ، ﴿وصَدَّقَ بِهِ﴾، هم المؤمنون ـ فالذي بمعنى: الذين ـ ﴿أُولئِكَ هُمُ المُتَّقُونَ﴾ الشِّركَ،..

قولُه: (سَيِّئةٌ أخلاقُهم) في «القاموسِ»: ﴿متشاكسُونَ﴾: متخالِفونَ عسِرونَ[١].

قولُهُ: (خَالِصاً) وقرأ غيرُ المكيِّ والبصريِّ: (سلَمَاً) بفتحتينِ[٢].

قولُهُ: (تَمييزٌ) ولذلك وحَّدَه؛ أي: صِفةً وحالاً.

قولُهُ: (وَحدَهُ) لا يشاركُهُ في الحقيقةِ سواهُ؛ لأنَّهُ المنعِمُ بالذَّاتِ والمالِكُ على الإطلاقِ.

قولُهُ: (مَا يَصِيرُونَ) أو: مضمُونَ المثلِ، فيشرِكونَ به غيرَهُ من فَرْطِ جهلِهِم.

قولُهُ: (أيُّها النَّاسُ) فيه تغليبُ المخاطَبِ على الغُيَّبِ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: الَّذِينَ) يعني: للجِنسِ المتناوِلِ للرُّسلِ والمؤمنينَ، وقيل: هو النَّبيُّ والمرادُ: هو ومَن تبعَهُ، قالَ القاضي: وقيل: الجائي الرَّسولُ والمصدِّقُ أبو بكرٍ، وذلك يقتضِي إضمارَ (الَّذي) وهو غيرُ جائزٍ[٣]. انتهى.

قلتُ: ثبتَ هذا عن السَّلفِ برِواياتٍ متعدِّدةٍ على ما في «الدُّرِّ»[٤]،..

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٥٥٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٩).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٤٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٨).

٣٤ ـ ﴿لَهُم ما يَشاؤُونَ عِندَ رَبِّهِم. ذلِكَ جَزاءُ المُحسِنِينَ﴾ لأنفُسهم بإيمانهم، ٣٥ ـ ﴿لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنهُم أسوَأَ الَّذِي عَمِلُوا، ويَجزِيَهُم أجرَهُم بِأحسَنِ الَّذِي كانُوا يَعمَلُونَ﴾. أسوأُ وأحسنُ بمعنى: السيّئ والحَسَن.

٣٦ ـ ٣٧ ـ ﴿أَلَيسَ اللهُ بِكافٍ عَبدَهُ﴾ أي: النبيَّ؟ بلى، ﴿ويُخَوِّفُونَكَ﴾ ـ الخِطابُ له ـ ﴿بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنامِ أن تقتله أو تَخبِله، ﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ، ومَن يَهدِ اللهُ فما لَهُ مِن مُضِلٍّ. أَلَيسَ اللهُ بِعَزِيزٍ﴾: غالبٍ على أمره ﴿ذِي انتِقامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى.

٣٨ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سألتَهُم: مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ. قُلْ: أفَرَأَيتُم ما تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ؟ ﴿إن أرادَنِيَ اللهُ بِضُرٍّ، هَل هُنَّ كاشِفاتُ ضُرِّهِ﴾؟ لا، ﴿أو أرادَنِي بِرَحْمةٍ، هَل هُنَّ مُمسِكاتُ رَحْمتِهِ﴾؟ لا. وفي قراءة بالإضافة، فيهما. ﴿قُلْ: حَسبِيَ اللهُ. علَيهِ يَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلُونَ﴾: يثق الواثقون.

وفي روايةٍ: المصدِّقُ: عليٌّ[1]، فيُحمَلُ على مذهبِ الكوفيِّينَ والأخفشِ من جوازِ إضمارِ (الَّذي) إن كانَ المرادُ به المصدِّقَ أوَّلاً، ويمكنُ أن يكونَ مرادُهُم: مَثَلاً، فيكونُ كلٌّ داخلاً دخولاً أوَّليًّا في المؤمنينَ فلا يحتاجُ إلى إضمارٍ، واللهُ أعلمُ.

قولُهُ: (لِأَنفُسِهِم) على إحسانِهِم.

قولُهُ: (بِمَعنَى: السَّيِّئِ) أو ﴿أسوَأَ﴾ على بابِهِ؛ لأنَّه إذا كُفِّرَ فالسَّيِّئُ بالأَولى، والأحسنُ أن يكونَ الأحسنُ على بابِهِ أيضاً بأن يجزيَهُ على عملِهِ الحسنِ جزاءً، والأحسنِ فضلاً وإحساناً.

قولُهُ: (أي: النَّبِيَّ) ويحتملُ: الجنسَ، ويؤيِّدُهُ قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ: (عبادَهُ)[2] وفُسِّرَ بالأنبياءِ.

قولُهُ: (أو تَخبِلَهُ) بعَيبِه إيَّاها، التَّخبيلُ: إفسادُ العقلِ.

قولُهُ: (تَعبُدُونَ) أو: تطلبُونَ النَّفعَ والدَّفعَ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ البصريِّ[3].

قولُهُ: (فِيهِمَا) أي: ﴿كاشفات﴾ و﴿ممسكات﴾.

قولُهُ: (يَثِقُ الوَاثِقُونَ) لعلمِهِم بأنَّ الكلَّ من عندِ اللهِ.

---

(١) رواه ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٢٨).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٨٩).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٠).

٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿قُلْ: يا قَومِ، اعمَلُوا علَى مَكانتِكُم﴾: حالتِكم. ﴿إنِّي عامِلٌ﴾ على حالتي. ﴿فسَوفَ تَعلَمُونَ مَن﴾: موصولةٌ مفعولُ العِلم ﴿يأتِيهِ عَذابٌ يُخزِيهِ، ويَحِلُّ﴾: يَنزل ﴿علَيهِ عَذابٌ مُقِيمٌ﴾: دائمٌ، هو عذاب النار. وقد أخزاهم الله ببَدر.

٤١ ـ ﴿إنّا أنزَلْنا علَيكَ الكِتابَ لِلنّاسِ بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ«أنزل». ﴿فمَنِ اهتَدَى فلِنَفسِهِ﴾ اهتداؤه، ﴿ومَن ضَلَّ فإنَّما يَضِلُّ علَيها، وما أنتَ علَيهِم بِوَكِيلٍ﴾، فتُجبرَهم على الهُدى. ٤٢ ـ ﴿اللهُ يَتَوفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِها، و﴾ يتوفّى ﴿الَّتِي لَم تَمُتْ في مَنامِها﴾ أي: يتوفّاها وقت النوم، ﴿فيُمسِكُ الَّتِي قَضَى علَيها المَوتَ، ويُرسِلُ الأُخرَى إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي: وقتِ موتها. والمُرسَلةُ نفْسُ التمييزِ، تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس. ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَآياتٍ﴾: لَدلالاتٍ ﴿لِقَومٍ يَتفَكَّرُونَ﴾، فيعلمون أنّ القادر على ذلك قادر على البعث. وقُريش لم يتفكّروا في ذلك.

قولُهُ: (حَالَتِكُم) اسمٌ لمكانٍ استُعيرَ للحالِ، وشعبَةُ: بالجمعِ[1].

قولُهُ: (عَلى حَالَتِي) فحُذِفَ للاختِصارِ والمبالَغَةِ في الوعيدِ.

قولُهُ: (مُتَعَلِّقٌ بـ«أنزَلَ») وقولُهُ: (﴿للنَّاسِ﴾) أي: لأجلِهِم، فإنَّهُ مَناطُ مصالحِهِم في معاشِهِم ومعادِهِم.

قولُهُ: (يَتَوَفَّى) يعني: ﴿الَّتي﴾ عطفٌ على: ﴿الأنفسَ﴾.

قولُهُ: (والمُرْسَلَةُ... إلخ) رويَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: في ابنِ آدمَ نَفْسٌ وروحٌ بينهما مثلُ شعاعِ الشَّمسِ، فالنَّفْسُ الَّتي بها العقلُ والتَّمييزُ، والرُّوحُ الَّتي بها النَّفَسُ والحياةُ، فيُتوفَّيَانِ عندَ الموتِ، وتُتوفَّى النَّفسُ وحدَهَا عندَ النَّومِ[2].

والحاصلُ: أنَّ اللهَ تعالى يقبضُ الأنفسَ عن الأبدانِ بقطعِ تعلُّقِها عنها وتصرُّفِها فيها، إمَّا بالكلِّيَّةِ وذلك عندَ الموتِ، أو ظاهراً وهو في النَّومِ.

قولُهُ: (المَذكُورِ) من التَّوفِّي والإمساكِ والإرسالِ.

قولُهُ: (وقُرَيشٌ لَمْ يَتَفَكَّرُوا) ظاهِرُهُ: أنَّه قدِّرَ لتكونَ ﴿أَمْ﴾ متَّصلةً، لكنَّ قولَهُ: (بل) يأباهُ، أو ليعطفَ عليهِ ﴿اتَّخَذُوا﴾ ففيه: أنَّهُ لا عطفَ، و(بل) للانتقالِ، وما بعدَهُ مصدَّرٌ بهمزةِ الاستفهامِ للإنكارِ، فيُحتمَلُ كلامُهُ على أنَّه لحلِّ المعنى ومناسبةِ المبنى.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٧).

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٣/ ٦٩) بنحوه. وروى ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٠) عن ابن عباس في قوله: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ الآية، قال: نفس وروح بينهما شعاع الشمس، فيتوفى الله النفس في منامه، ويدع الروح في جسده وجوفه يتقلب ويعيش، فإن بدا لله أن يقبضه قبض الروح فمات، أو أخر أجله رد النفس إلى مكانها من جوفه.

٤٣ ـ ﴿أمِ﴾: بل ﴿اتَّخذُوا مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ آلهةً ﴿شُفَعاءَ﴾ عند الله بزعمهم. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَ﴾ يشفعون ﴿وَلَو كانُوا لا يَملِكُونَ شَيئًا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿ولا يَعقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غيرَ ذلك؟ لا. ٤٤ ـ ﴿قُلْ: الشَّفاعةُ جَمِيعًا﴾ أي: هو مُختصّ بها، فلا يشفع أحد إلاّ بإذنه. ﴿لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، ثُمَّ إلَيهِ تُرجَعُونَ﴾.

٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿وإذا ذُكِرَ اللهُ وَحدَهُ﴾ أي: دُونَ آلهتهم ﴿اشمَأَزَّتْ﴾: نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ، وإذا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنامُ ﴿إذا هُم يَستَبشِرُونَ. قُلِ: اللَّهُمَّ﴾ بمعنى: يا أللهُ، ﴿فاطِرَ السَّماواتِ والأرضِ﴾: مُبدعَهما، ﴿عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾: ما غابَ وما شُوهد، ﴿أنتَ تَحكُمُ بَينَ عِبادِكَ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾ من أمر الدِّين، «اهدِني لِما اختُلفَ فيه منَ الحقّ». ٤٧ ـ ﴿ولَو أنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ما في الأرضِ جَمِيعًا ومِثلَهُ مَعَهُ لَافتَدَوا بِهِ مِن سُوءِ العَذابِ يَومَ القِيامةِ، وبَدا﴾: ظهرَ ﴿لَهُم مِنَ اللهِ ما لَم يَكُونُوا يَحتَسِبُونَ﴾: يظنّون، ٤٨ ـ ﴿وبَدا لَهُم سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا، وحاقَ﴾ نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ أي: العذابُ.

٤٩ ـ ﴿ فإذا مَسَّ الإنسانَ﴾: الجنسَ ﴿ضُرٌّ دَعانا، ثُمَّ إذا خَوَّلْناهُ﴾: أعطَيناه ﴿نِعْمةً﴾: إنعامًا ﴿مِنّا قالَ: إنَّما أُوتِيتُهُ علَى عِلمٍ﴾ من الله بأني له أهل..........................

قولُهُ: (لا) أي: لا شفاعةَ لهم.

قولُهُ: (أي: دُونَ آلِهَتِهِم) ﴿وَحْدَهُ﴾ منصوبٌ على الحاليَّةِ؛ بمعنى: منفرداً؛ لوجوبِ كونِ الحالِ نكرةً عندَ البصريينَ خلافاً للكوفيِّينَ.

قولُهُ: (أوِ انقَبَضَتْ) الظَّاهرُ: بالواوِ.

قولُهُ: (بمَعنَى: يا اللهُ) المشهورُ أنَّ أصلَهُ: يا اللهُ، كما تقدَّمَ[1].

قولُهُ: (أي: العَذَابُ) بالرَّفعِ، أو: جزاؤُهُ.

قولُهُ: (الجِنسَ) إخبارٌ عنه باعتبارِ الغالبِ فيه.

قولُهُ: (إنعَاماً) هذا غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ الإنعامَ ممَّا لا يُعطى، اللَّهمَّ إلَّا أن يُقالَ: معناهُ: إحساناً وتفضُّلاً، على أنَّهُ تمييزٌ أو علَّةٌ.

قولُه: (مِنَ اللهِ) أو: منِّي بوجوهِ كسبِهِ من الزِّراعةِ أو التِّجارةِ أو الكيمياءِ، أو: بأنِّي سأُعطاهُ لِمَا لي من استحقاقِهِ، والهاءُ فيه لـ﴿مَا﴾ إن جُعِلَت موصولةً لا كافَّةً، وإلَّا فللنِّعمةِ، والتَّذكيرُ لأنَّ المرادَ شيءٌ منها.

---

(١) عند الآية رقم: (٢٦) من سورة آل عمران، قال القاري عندها: وقيل: أصله يا الله أُمَّنا بخير... إلخ.

﴿بَل هِيَ﴾ أي: القَولةُ ﴿فِتنَةٌ﴾: بليّة يُبتلى بها العبدُ، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنّ التخويل استدراج وامتحان. ٥٠ ـ ٥١ ـ ﴿قَد قالَها الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ من الأمم كقارونَ وقومه الراضين بها، ﴿فما أغنَى عَنهُم ما كانُوا يَكسِبُونَ، فأصابَهُم سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا﴾ أي: جزاؤها. ﴿والَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هؤُلاءِ﴾ أي: قُريشٍ ﴿سَيُصِيبُهُم سَيِّئاتُ ما كَسَبُوا، وما هُم بِمُعجِزِينَ﴾: بفائتين عذابَنا. فقُحِطوا سبعَ سنينَ ثمّ وُسّع عليهم. ٥٢ ـ ﴿أوَلَم يَعلَمُوا أنَّ اللهَ يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا، ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاء؟ ﴿إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يُؤمِنُونَ﴾ به.

٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿قُل: يا عِبادِيَ الَّذِينَ أسرَفُوا علَى أنفُسِهِم، لا تَقنِطُوا﴾، بكسرِ النون وفتحِها، وقُرئ بضمّها: تيأسوا ﴿مِن رَحمَةِ اللهِ ـ إنَّ اللهَ يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشِّرك، ﴿إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ـ وأنِيبُوا﴾: ارجِعوا ﴿إلَى رَبِّكُم، وأسلِمُوا﴾: أخلصوا العمل ﴿لَهُ مِن قَبلِ أن يأتِيَكُمُ العَذابُ ـ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ بمنعه، ....

قولُهُ: (أي: القَولَةُ) فيه: أنَّ القولَ ليسَ ببليَّةٍ، وإنَّما البليَّةُ النِّعمةُ، فهي امتحانٌ له أيَشكُرُ أم يكفُرُ، وهو ردٌّ لِمَا قالَهُ، فالضَّميرُ راجعٌ إلى التَّخويلِ، وتأنيثُهُ باعتبارِ الخبرِ أو لفظِ النِّعمةِ.

قولُهُ: (مِنَ الأُمَمِ) والهاءُ لقولِهِ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ﴾؛ لأنَّها كلمةٌ أو جملةٌ.

قولُهُ: (أي: قُرَيشٍ) ممَّا بَقُوا.

قولُهُ: (قُحِطُوا) وقُتِلَ ببدرٍ صناديدُهُم.

قولُهُ: (ثُمَّ وَسَّعَ عَلَيهِمْ) سبعاً.

قولُهُ: (بِكَسرِ النُّونِ) بصريٌّ وكسائيٌّ[1].

قولُهُ: (بِضَمِّهَا) في «القاموسِ»: قَنَطَ كنَصَرَ وضَرَبَ وحَسِبَ وكَرُمَ[2].

قولُهُ: (لِمَنْ تَابَ) أو: إلَّا الشِّركُ، ولو بعدَ تعذيبٍ.

قولُهُ: (ارجِعُوا) من المعصيةِ إلى الطَّاعةِ، أو: من الغفلةِ إلى الذِّكرِ، أو: من الغيبةِ إلى الحضُورِ، أو: من التَّوجُّهِ بما سواهُ إلى اللهِ.

قولُهُ: (أَخلِصُوا العَمَلَ) أو: سَلِّمُوا له العملَ، واترُكوا منكُمُ الأمَلَ.

قولُهُ: (بِمَنْعِهِ) أي: العذابِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٣٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٦٨٤).

إن لم تتوبوا ـ ٥٥ ـ ﴿واتَّبِعُوا أحسَنَ ما أُنزِلَ إلَيكُم مِن رَبِّكُم﴾ هو القُرآن ﴿مِن قَبلِ أن يأتِيَكُمُ العَذابُ بَغتَةً، وأنتُم لا تَشعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقته.

بادروا قبل ٥٦ ـ ﴿أن تَقُولَ نَفسٌ: يا حَسرَتا﴾ ـ أصله «يا حسرتِي» ـ أي: نَدامتي ﴿علَى ما فَرَّطتُ في جَنبِ اللهِ﴾ أي: طاعته، ﴿وإنْ﴾: مُخفَّفةٌ من الثقيلة، أي: وإنّي ﴿كُنتُ لَمِنَ السّاخِرِينَ﴾ بدِينه وكِتابه، ٥٧ ـ ﴿أو تَقُولَ: لَو أنَّ اللهَ هَداني﴾ بالطاعة فاهتدَيت ﴿لَكُنتُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾ عذابَه، ٥٨ ـ ﴿أو تَقُولَ حِينَ تَرَى العَذابَ: لَو أنَّ لِي كَرَّةً﴾: رجعة إلى الدنيا، ﴿فأكُونَ مِنَ المُحسِنِينَ﴾ المؤمنين. فيقالَ له من قِبَلِ الله: ٥٩ ـ ﴿بَلَى قَد جاءَتْكَ آياتِي﴾ أي: القُرآنُ، وهي سبب الهِداية، ﴿فكَذَّبتَ بِها واستَكبَرتَ﴾: تكبّرت عن الإيمان بها، ﴿وكُنتَ مِنَ الكافِرِينَ﴾.

٦٠ ـ ﴿ويَومَ القِيامةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا علَى اللهِ﴾..............................

قولُهُ: (إنْ لَمْ تَتُوبُوا) أو لم تُدرِكْكُمُ المغفرَةُ.

قولُهُ: (هُو القُرْآنُ) أو المأمورُ به دونَ المنهيِّ عنه، أو العزائمُ دونَ الرُّخصِ.

وقيل: ما هو أنجى وأسلمُ كالإنابةِ والمواظبَةِ على الطَّاعةِ.

قولُهُ: (بَادِرُوا قَبْلَ) التَّقديرُ الصَّحيحُ: كراهَةَ أن تقولَ، وهو علَّةٌ لـ﴿اتَّبِعُوا﴾.

قولُهُ: (حَسْرَتِي) وقُرِئَ به[١].

قولُهُ: (طَاعَتِهِ) أي: قصَّرتُ فيها.

قولُهُ: (وكِتَابِهِ) أو: بأهلِه.

قولُهُ: (بألطَافِهِ)[٢] جمعُ: لطفٍ.

قولُهُ: (عَذَابَهُ) أو: الشِّركَ والمعاصيَ.

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) أو: في العقيدةِ والعملِ.

و﴿أو﴾ للدِّلالةِ على أنَّه لا يخلو من هذهِ الأقوالِ تحيُّراً وتعلُّلاً بما لا طائلَ تحتَهُ، كذا قالَهُ القاضي[٣]، والأظهرُ: أنَّ ﴿أو﴾ للتَّوزيعِ والتَّنويعِ من غيرِ دلالةٍ على عدمِ الخلوِّ، بل المرادُ هذا وأمثالُهُ ممَّا لا ينفعُهُم.

---

(١) أي: (يا حسرتي) ونسبت لأبي جعفر، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤١٥).

(٢) في نسخ المتن: «بالطاعة».

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٤٧).

بِنسبة الشريك والولد إليه ﴿وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ ـ أَلَيسَ فِي جَهَنَّمَ مَثوًى﴾: مأوًى ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى ـ ٦١ ـ ٦٢ ـ ﴿ويُنَجِّي اللهُ﴾ من جهنّم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ الشِّركَ ﴿بِمَفازَتِهِم﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنّة، بأن يُجعلوا فيه، ﴿لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ ولا هُم يَحزَنُونَ ـ اللهُ خالِقُ كُلِّ شَيءٍ، وهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ﴾: متصرّف فيه كيف يشاء، ٦٣ ـ ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: مفاتيحُ خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ﴾: القُرآن ﴿أُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ﴾. متّصل بقوله: «وينجّي الله الذين اتقوا» إلى آخره، وما بينهما اعتراض.

٦٤ ـ ﴿قُلْ: أفغَيرَ اللهِ تأمُرُونِيَ أعبُدُ، أيُّها الجاهِلُونَ﴾؟ غيرَ: منصوب بـ «أعبدُ» المعمولِ لـ «تأمروني»، بنون واحدة، ....

قولُهُ: (الشَّرِيكِ والوَلَدِ) [أي: بأَنْ وَصَفوهُ بما لا يجوزُ كاتِّخاذِ الوَلَدِ][1].

قولُهُ: (أي: بِمَكَانِ فَوزِهِم) والكوفيُّ غيرَ حفصٍ بالجمعِ[2]، وقيل: بالسَّعادةِ والعملِ الصَّالحِ.

قولُهُ: (أي: مَفَاتِيحُ) يعني: لا يملكُ أمرَها ولا يتمكَّنُ من التَّصرُّفِ فيها غيرُه، وهو كنايَةٌ عن قدرتِهِ وحفظِهِ لها، وفي الآيةِ مزيدُ دلالةٍ على الاختصاصِ؛ لأنَّ الخزائنَ لا يدخلُ ولا يتصرَّفُ فيها إلَّا مَن بيدِهِ مفاتيحُها، وهو جمعُ: مِقليدٍ أو مِقلادٍ، من قلَّدْتُه إذا ألزمْتُهُ.

وقيل: جمعُ: إقليدٍ معرَّبِ إكليدَ على الشُّذوذِ، فإنَّ قياسَهُ: أقاليدُ[3].

قولُهُ: (بِتَقْدِيرِ أَنْ)[4] ضعَّفَ هذا القولَ أبو البقاءِ في «إعرابِهِ»[5]، وقالَ: لا يجوزُ مثلُ هذا إلَّا في ضرورةِ الشِّعرِ، وذكرَ وجهينِ، والأظهرُ: ما قالَ القاضي: أي: أغيرَ اللهِ أعبدُ بعد هذهِ الدَّلائلِ والمواعيدِ، و﴿تَأْمُرُونِّي﴾ اعتراضٌ[6].

قولُهُ: (بِنُونٍ وَاحِدَةٍ) نافعٌ، وفتحَ الياءَ هو والمكِّيُّ[7].

---

(١) ما بين معكوفتين من البيضاوي، وقد وقع في الأصول دون شرح.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٠).

(٣) انظر: «تاج العروس» (٩/ ٦٥).

(٤) «بتقدير أن» ليست في نسخ المتن المعتمدة، ولعل مكانها عقب قوله: «المعمول لـ﴿تأمروني﴾»

(٥) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١١١٣).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٤٨).

(٧) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦٣)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٧٠).

وبنونين بإدغام وفكّ. ٦٥ ـ ٦٦ ـ ﴿ولَقَد أُوحِيَ إلَيكَ وإلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكَ﴾: واللهِ ﴿لَئِنْ أشرَكتَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ فَرْضًا ﴿لَيَحبَطَنَّ عَمَلُكَ، ولتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ. بَلِ اللهَ﴾ وحدَه ﴿فاعبُدْ، وكُنْ مِنَ الشّاكِرِينَ﴾ إنعامَه عليك. ٦٧ ـ ﴿وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾: ما عرَفوه حقّ معرفته، أو ما عظّموه حقّ عظمته حين أشركوا به غيره، ﴿والأرضُ جَمِيعًا﴾: حالٌ، أي: السبعُ، ﴿قَبضتُهُ﴾ أي: مقبوضة له، أي: في مُلكه وتصرّفه ﴿يَومَ القِيامةِ، والسَّماواتُ مَطوِيّاتٌ﴾: مجموعات ﴿بِيَمِينِهِ﴾: بقُدرته. ﴿سُبحانَهُ وتَعالَى عَمّا يُشرِكُونَ﴾ معه!

٦٨ ـ ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ النفخةَ الأُولى، ﴿فصَعِقَ﴾: مات ﴿مَن في السَّماواتِ ومَن في الأرضِ إلاّ مَن شاءَ اللهُ﴾ من الحُور والوِلدان وغيرهما، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخرَى، فإذا هُم﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيامٌ، يَنظُرُونَ﴾: ينتظرون ما يُفعل بهم، ٦٩ ـ ﴿وأشرَقَتِ الأرضُ﴾: أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّها﴾ حين يتجلّى الله لفصل القضاء، ﴿ووُضِعَ الكِتابُ﴾: كِتاب الأعمال للحِساب،..........

قولُهُ: (بإِدغَامٍ) عندَ الشَّاميِّ[١].

قولُهُ: (يا مُحَمَّدُ) الصَّوابُ: أيُّها النَّبيُّ؛ لأنَّه تعالى ما خاطبَهُ باسمِهِ قطُّ، ولأنَّهُ يعمُّهُ وغيرَه على أنَّ إفرادَ الخطابِ باعتبارِ كلِّ واحدٍ من الرُّسلِ، أو يُفهَمُ غيرُه بالأَولى.

قولُهُ: (وَحدَهُ) أي: مُنفرداً، والتَّخصيصُ يُفهَمُ منَ التَّقديمِ.

قولُهُ: (حَالٌ) على القولِ بجوازِ الحالِ من المبتَدأِ.

قولُهُ: (مَقبُوضَةٌ) مصدرٌ بمعنى المفعولِ، أو التقديرُ: ذاتُ قبضَةٍ.

قولُهُ: (مَعَهُ) أو: عن إشراكِهِم.

قولُهُ: (مَاتَ) أي: خرَّ ميِّتاً أو مغشيًّا عليه.

قولُهُ: (وغَيرِهِمَا) وقيل: جبريلُ وميكائيلُ وإسرافيلُ وملكُ الموتِ وحمَلَةُ العرشِ، فإنَّهم يموتونَ بعدُ.

قولُهُ: (لِفَصْلِ القَضَاءِ) كذا عن مُحيي السُّنَّةِ[٢].

قولُهُ: (كِتَابُ الأَعمَالِ) أي: صحائفُ الأعمالِ في أيدي العمَّالِ، واكتُفيَ باسمِ الجنسِ عن الجمعِ، وقيلَ: اللَّوحُ المحفوظُ تُقابَلُ به الصَّحائفُ.

---

(١) انظر المصدرين السابقين.

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٤/ ١٠١).

﴿وجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ والشُّهَداءِ﴾ أي: أُمّة مُحمّد، يشهدون للرُّسل بالبلاغ، ﴿وقُضِيَ بَينَهُم بِالحَقِّ﴾ أي: العدل، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ شيئًا، ٧٠ ـ ﴿ووُفِّيَتْ كُلُّ نَفسٍ ما عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه، ﴿وهُوَ أعلَمُ﴾ أي: عالمٌ ﴿بِما يَفعَلُونَ﴾، فلا يحتاج إلى شاهد.

٧١ ـ ٧٢ ـ ﴿وسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعُنف ﴿إلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾: جماعاتٍ في تفرقة. ﴿حَتَّى إذا جاؤُوها فُتِحَتْ أبوابُها﴾: جواب «إذا»، ﴿وقالَ لَهُم خَزَنتُها: ألَم يأتِكُم رُسُلٌ مِنكُم، يَتلُونَ علَيكُم آياتِ رَبِّكُم﴾: القُرآنَ وغيره ﴿ويُنذِرُونكُم لِقاءَ يَومِكُم هذا؟ قالُوا: بَلَى، ولكِن حَقَّتْ كَلِمةُ العَذابِ﴾، أي: «لَأملأنَّ جَهَنَّمَ» الآيَةَ، ﴿علَى الكافِرِينَ. قِيلَ: ادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ، خالِدِينَ﴾: مُقدِّرينَ الخُلودَ ﴿فِيها. فبِئسَ مَثوَى﴾: مأوى ﴿المُتكَبِّرِينَ﴾ جهنّمُ!

٧٣ ـ ﴿وسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوا رَبَّهُم﴾ بلُطف ﴿إلَى الجَنّةِ زُمَرًا. حَتَّى إذا جاؤُوها، وفُتِحَت أبوابُها﴾ ـ الواو فيه للحال بتقدير «قد» ـ ﴿وقالَ لَهُم خَزَنتُها: سَلامٌ علَيكُم. طِبتُم﴾ حالاً. ﴿فادخُلُوها خالِدِينَ﴾ مقدِّرين الخُلودَ فيها..

قولُهُ: (أي: أُمَّة مُحمَّدٍ) أو: الملائكةُ والمؤمنونُ والمستشهدونَ.

قولُهُ: (للرُّسُلِ) على الأمَمِ.

قولُهُ: (أي: العَدلِ) بين العِبادِ.

قولُهُ: (شَيئاً) بنَقصِ ثوابٍ أو زيادةِ عقابٍ على ما جرى به الوعدُ.

قولُهُ: (أي: جَزَاءَهُ) بالنَّصبِ مفعولٌ ثانٍ.

قولُهُ: (أي: عَالِمٌ) بل هو أعلمُ من كلِّ عالمٍ، فلا يفوتُهُ شيءٌ من أعمالِهِم.

قولُهُ: (مُتَفَرِّقَةً) بعضُها في إثرِ بعضٍ على تفاوُتِ إقدامِهِم في الضَّلالةِ والشَّرارةِ.

قولُهُ: (جَوَابُ ﴿إِذَا﴾) والكوفيُّ بالتَّخفيفِ[1].

قولُهُ: (جَهَنَّمُ) يعني: المخصُوصُ بالذَّمِّ محذوفٌ.

قولُهُ: (بِلُطْفٍ) إسراعاً بهم إلى دارِ الكرامةِ، وقيل: ساقَ مراكبَهُم، إذ لا يذهبُ بهم إلَّا راكبينَ.

قولُهُ: (بِتَقْدِيرِ: قَد) وقيل: الواو زائدةٌ أو واوُ الثمانيةِ وما بعدَها الجوابُ.

قولُهُ: (حَالاً) تمييزٌ عن النِّسبةِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦٤)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٧٠).

وجواب «إذا» مقدّرٌ أي: دخلوها ـ وسَوقُهم وفتحُ الأبواب قبل مجيئهم تكرمةٌ لهم، وسوقُ الكُفّار وفتحُ أبواب جهنّم عِند مجيئهم ليبقى حرّها إليه إهانةٌ لهم ـ ٧٤ ـ ﴿وقالُوا﴾: عطف على «دخلوها» المُقدّرِ: ﴿الحَمدُ لِلهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعدَهُ﴾ بالجنّة، ﴿وأورَثَنا الأرضَ﴾ أي: أرض الجنّة، ﴿نَتبوّأُ﴾: ننزل ﴿مِنَ الجَنَّةِ حَيثُ نَشاءُ﴾. لأنها كُلّها لا يُختار فيها مكان على مكان. ﴿فنِعمَ أجرُ العامِلِينَ﴾ الجنّةُ!

٧٥ ـ ﴿وتَرَى المَلائكةَ حافِّينَ﴾: حالٌ ﴿مِن حَولِ العَرشِ﴾ من كُلّ جانب منه، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: حالٌ من ضمير «حافّين»، ﴿بِحَمدِ رَبِّهِم﴾: ملابسين للحمد، أي: يقولون: سُبحان الله وبحمده، ﴿وقُضِيَ بَينَهُم﴾: بين جميع الخلائق ﴿بِالحَقِّ﴾ أي: العدل، فيُدخِلُ المؤمنين الجنّة، والكافرين النار، ﴿وقِيلَ: الحَمدُ لِلهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾. خُتِمَ استقرارُ الفريقين بالحمد من الملائكة.

قولُهُ: (لأَنَّهَا كُلَّهَا) والأظهرُ: ما قالَ القاضي: يتبوَّأ كلٌّ منَّا في أيِّ مقامٍ أرادَهُ من جنَّتِهِ الواسعةِ، معَ أنَّ في الجنَّةِ مقاماتٍ معنويَّةً لا يتمانَعُ وارِدُوها[1].

قولُهُ: (حَالٌ) أي: مُحْدقينَ.

قولُهُ: (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) و﴿مِنْ﴾ لابتداءِ الحفوفِ، وقيلَ: زائدةٌ، أي: حولَهُ.

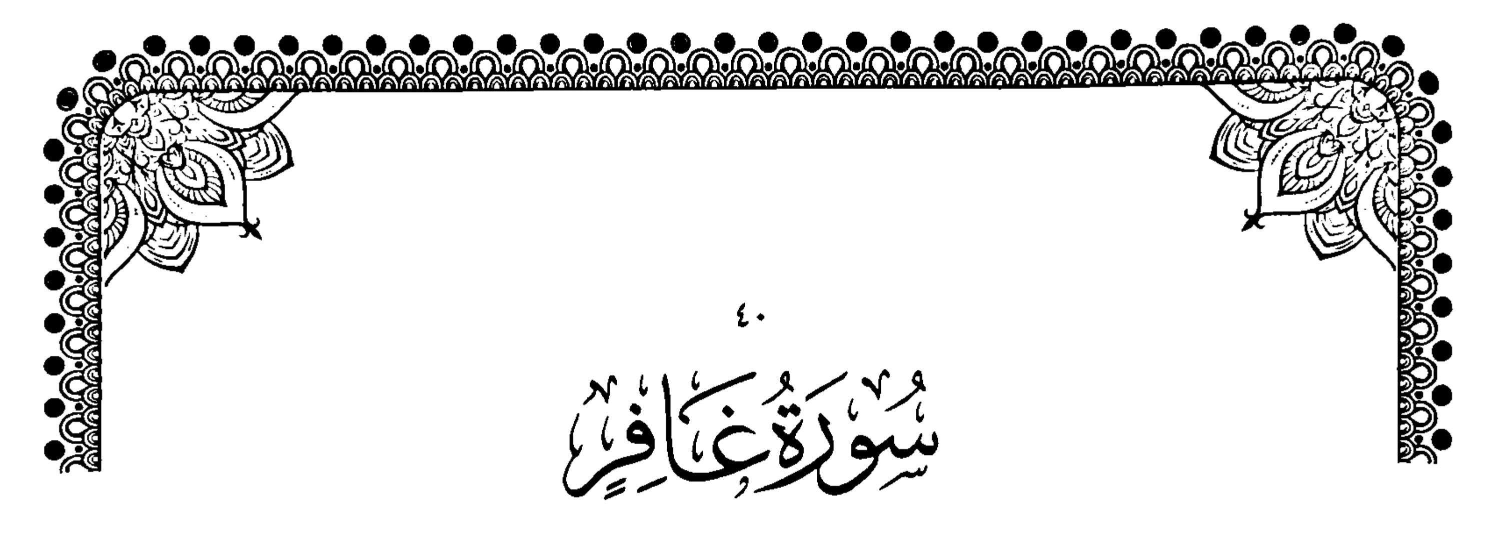
قولُهُ: (مِنْ ضَمِيرِ: ﴿حَافِّينَ﴾) أي: حالٌ مقيَّدةٌ للأولى، والمعنى: ذاكرينَ له بوصفي جلالِهِ وإكرامِهِ تلذُّذاً به، وفيه إشعارٌ بأنَّ منتهى درجاتِ العلّيّينَ وأعلى لذائذِهِم هو الاستغراقُ في صفاتِ الحقِّ.

قولُهُ: (مِنَ المَلائِكَةِ) أو المؤمنينَ، واللهُ أعلمُ.

***

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٥٠).



٤٠
سورة غافر

مكية إلاّ «الذين يجادلون» الآيتين، خمسٌ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ مبتدأٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبرُه، ﴿العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿العَلِيمِ﴾ بخلقه،

٣ ـ ﴿غافِرِ الذَّنبِ﴾ للمؤمنين ﴿وقابِلِ التَّوبِ﴾ لهم: مصدرٌ،............

سورة غافر

قولُهُ: (اللهُ أَعلَمُ) قيل: الحيُّ الملكُ، وقيل: الحافظُ المقتدرُ هو اللهُ.

وقال سهلٌ: «﴿حم﴾ قضَى في اللَّوحِ المحفوظِ وكتبَ فيه ما هو كائنٌ»[1].

ولعلَّهُ إشارةٌ إلى ما في اللُّغةِ: حُمَّ بالأمرِ ـ بالضَّمِّ ـ: قُضي، وله ذلكَ: قُدِّرَ[2].

وقيل: معَ ﴿الر﴾ و﴿ن﴾ يصيرُ الرَّحمن.

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ) أو خبرُ مبتدأٍ مقدَّرٌ هو: هذا، والمصدرُ؛ بمعنى: المفعولِ.

قولُهُ: (خَبَرُهُ) أو خبرٌ آخرُ.

قولُهُ: (للمُؤمِنِينَ) ولو لم يَتوبوا.

قولُهُ: (لَهُم) ولغيرِهِم.

قولُهُ: (مَصدَرٌ) كالتَّوبةِ.

---

(١) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٣٧).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٩٧).

﴿شَدِيدِ العِقابِ﴾ للكافرين أي: مُشدِّدِه، ﴿ذِي الطَّولِ﴾ أي: الإنعام الواسع ـ وهو موصوف على الدوام بكُلّ من هذه الصفات. فإضافة المُشتقّ منها للتعريف كالأخيرة ـ ﴿لا إلـٰهَ إلاّ هُوَ إلَيهِ المَصِيرُ﴾: المَرجِع.

٤ ـ ﴿ما يُجادِلُ في آياتِ اللهِ﴾: القرآن ﴿إلاّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة. ﴿فلا يَغرُرْكَ تَقَلُّبُهُم في البِلادِ﴾ للمعاش سالمين، فإنّ عاقبتهم النار. ٥ ـ ﴿كَذَّبَت قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ والأحزابُ﴾ كعادٍ وثمودَ وغيرِهما ﴿مِن بَعدِهِم، وهَمَّتْ كُلُّ أُمّةٍ بِرَسُولِهِم، لِيأخُذُوهُ﴾: يقتلوه، ﴿وجادَلُوا بالباطِلِ لِيُدحِضُوا﴾: يُزيلوا ﴿بِهِ الحَقَّ فأخَذتُهُم﴾ بالعِقاب. ﴿فكَيفَ كانَ عِقابِ﴾ لهم؟ أي: هو واقع موقعَه. ٦ ـ ﴿وكَذلِكَ حَقَّتْ كَلِمةُ رَبِّكَ﴾، أي: «لَأَملَأَنَّ جَهَنَّمَ» الآيَةَ، ﴿علَى الَّذِينَ كَفَرُوا، أنَّهُم أصحابُ النّارِ﴾: بدل من «كلمة».

٧ ـ ﴿الَّذِينَ يَحمِلُونَ العَرشَ﴾: مبتدأٌ ﴿ومَن حَولَهُ﴾: عطفٌ عليه ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: خبرُه ﴿بِحَمدِ رَبِّهِم﴾: مُلابسين للحمد، أي يقولون: سُبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿ويُؤمِنُونَ بِهِ﴾ ـ تعالى ـ ببصائرهم أي: يُصدّقون بوحدانيّته، ....

قولُهُ: (للكَافِرِينَ) المصرِّينَ.

قولُهُ: (أي: مُشدِّدُهُ) فسَّرَهُ به لأنَّ (شديداً) صفةٌ مشبَّهةٌ، فإضافتُه غيرُ محضةٍ بكلِّ حالٍ، بخلافِ اسمِ الفاعلِ إذا لم يُرَدْ به الحالُ والاستقبالُ كـ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوبِ﴾، فإنَّ إضافتَهُ محضةٌ فتفيدُ التَّعريفَ.

قولُهُ: (المَرجِعُ) فيُجازي المطيعَ والعاصيَ، فيجبُ الإقبالُ الكلِّيُّ على عبادتِهِ.

قولُهُ: (القُرآنِ) بالطَّعنِ وإدحاضِ الحقِّ، فإنَّ الجدالَ فيه لحلِّ عُقَدِهِ واستنباطِ حقائقِهِ من أعظمِ الطَّاعاتِ، ولذا قالَ ﷺ: «إنَّ جدالاً في القُرآنِ كُفرٌ» بالتَّنكيرِ مع أنَّه ليسَ جدالًا فيه على الحقيقةِ، والحديثُ رواهُ البيهقيُّ وغيرُه[1].

قولُهُ: (أي: هُوَ وَاقِعٌ) يعني: أنَّه تقريرٌ فيه تعجيبٌ.

قولُهُ: (أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ﴾) أو: وعيدُه، أو: قضاؤُهُ بالعذابِ، ونافعٌ وشاميٌّ بالجمعِ[2].

قولُهُ: (يُصَدِّقُونَ) ويوحِّدونَ بألسنتِهم، أخبرَ عنهُم بالإيمانِ إظهارًا لفضلِهِ وتعظيماً لأهلِهِ، وإشعاراً بأنَّ حملةَ العرشِ وسكَّانَ الفرشِ في معرفتِهِ سواءٌ، ردًّا على المجسِّمةِ[3].

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٤٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٠٦١)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. ورواه عبد بن حميد كما في «الدر المنثور» (٧/ ٣٧٣)، وأبو داود (٤٦٠٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ولفظ أبي داود: «المراء في القرآن كفر». وانظر: «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٢١٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦٧).

(٣) انظر: «الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية» للطوفي (١/ ٤٣٥).

﴿ويَستَغفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقولون: ﴿رَبَّنا، وَسِعتَ كُلَّ شَيءٍ رَحْمةً وعِلمًا﴾ أي: وسعَ رحمتُك كُلَّ شيء وعِلمُك كُلَّ شيء. ﴿فاغفِرْ لِلَّذِينَ تابُوا﴾ من الشِّرك، ﴿واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾: دِينَ الإسلام، ﴿وقِهِم عَذابَ الجَحِيمِ﴾: النارِ ـ ٨ ـ ﴿رَبَّنا ـ وأدخِلْهُم جَنّاتِ عَدنٍ﴾: إقامةٍ ﴿الَّتِي وَعدتَهُم، ومَن صَلَحَ﴾: عطفٌ على «هم» في «وأدخلهم» أو في «وعدتهم»، ﴿مِن آبائِهِم وأزواجِهِم وذُرِّيّاتِهِم ـ إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ في صُنعه ـ ٩ ـ ﴿وقِهِمِ السَّيِّئاتِ﴾ أي: عذابَها. ﴿ومَن تَقِ السَّيِّئاتِ يَومَئِذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿فقَد رَحِمتَهُ، وذٰلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾.

١٠ ـ ١١ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنادَونَ﴾ مِن قِبَلِ الملائكة، وهم يمقتون أنفسَهم عِند دُخولهم النارَ: ﴿لَمَقتُ اللهِ﴾ إيّاكم ﴿أكبَرُ مِن مَقتِكُم أنفُسَكُم، إذ تُدعَونَ﴾ في الدنيا ﴿إلَى الإيمانِ فتَكفُرُونَ. قالُوا: رَبَّنا، أمَتَّنا اثنَتَينِ﴾: إماتتَين، ﴿وأحيَيتَنا اثنَتَينِ﴾: إحياءتَين لأنهم، وكانوا نطفًا، أمواتٌ فأُحيُوا ثمّ أُمِيتوا ثمّ أُحيُوا للبعث، ﴿فاعتَرَفْنا بِذُنُوبِنا﴾: بكُفرنا بالبعث. ﴿فهَل إلَى خُرُوجٍ﴾ من النار والرجوع إلى الدنيا لنُطيع ربَّنا ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طريقٍ؟ وجوابُهم: لا.

قولُهُ: (يَقُولُونَ) وهو بيانٌ لـ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾، أو حالٌ.

قولُهُ: (وعِلمُكَ) إشارةٌ إلى أنَّهما تمييزانِ محوَّلانِ عن الفاعلِ.

قولُهُ: (مِنَ الشِّركِ) استغفارُهُم: شفاعتُهُم، وحملُهُم على التَّوبةِ، وإلهامُهُم ما يوجِبُ المغفرَةَ.

قولُهُ: (عَطفٌ على «هم») الثَّاني لبيانِ عمومِ الوعدِ، أو الأوَّلِ؛ أي: أدخِلْهُم معهُم ليتمَّ سرورُهُم، وهذا أظهرُ لإفادةِ دخولِهِم.

قولُهُ: (أي: عَذَابَهَا) أي: جزاءَ السَّيِّئاتِ على حَذفِ مضافٍ، أو العقوباتِ أو المعاصي في الدُّنيا لقولِهِ: ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ﴾؛ أي: في الدُّنيا ﴿فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ في الآخرةِ، كأنَّهُم طَلبُوا السَّببَ بعد ما طَلبُوا المسبَّبَ.

قولُهُ: (لأنَّهُم نُطَفٌ) كذا في النُّسخِ[1]، والصَّوابُ: لأنَّهم كانوا ـ أو: خُلِقوا ـ نُطَفاً، فإنَّ الإماتةَ: جَعْلُ الشَّيءِ عادمَ الحياةِ ابتداءً أو بتصييرٍ، والمعنى: خلقْتَنا أمواتاً [أولاً][2]، ثمَّ صيَّرتَنا أمواتاً عندَ انقضاءِ آجالِنا.

قولُهُ: (بكُفرِنَا) والجمعُ للجمعِ.

قولُهُ: (لنُطِيعَ) أي: فنسلكَهُ لنُطيعَ.

---

(١) أي: نسخه هو.

(٢) من البيضاوي.

١٢ ـ ﴿ذلِكُم﴾، أي: العذابُ الذي أنتم فيه، ﴿بِأَنَّهُ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إذا دُعِيَ اللهُ وَحدَهُ كَفَرتُم﴾ بتوحيده، ﴿وإن يُشرَكْ بِهِ﴾: يُجعل له شريك ﴿تُؤمِنُوا﴾: تُصدّقوا بالإشراك. ﴿فالحُكمُ﴾، في تعذيبكم، ﴿لِلهِ العَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الكَبِيرِ﴾: العظيم.

١٣ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آياتِهِ﴾: دلائلَ توحيده، ﴿ويُنَزِّلُ لَكُم مِنَ السَّماءِ رِزقًا﴾ بالمطر، ﴿وما يَتَذَكَّرُ﴾: يتّعظ ﴿إلاّ مَن يُنِيبُ﴾: يرجِع عن الشِّرك ـ ١٤ ـ ﴿فادعُوا اللهَ﴾: اعبدُوه ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك، ﴿ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ إخلاصَكم فيه ـ ١٥ ـ ﴿رَفِيعُ الدَّرَجاتِ﴾ أي: اللهُ عظيمُ الصفات أو رافعُ درجات المؤمنين في الجنّة ﴿ذُو العَرشِ﴾: خالقُه، ﴿يُلقِي الرُّوحَ﴾: الوحيَ ﴿مِن أمرِهِ﴾ أي: قوله ﴿عَلَى مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ لِيُنذِرَ﴾: يُخوِّفَ المُلقى عليه الناسَ ﴿يَومَ التَّلاقِ﴾، بحذف الياء وإثباتها: يومَ القيامة لتلاقي أهل السماء والأرض والعابد والمعبود والظالم والمظلوم فيه، ١٦ ـ ﴿يَومَ هُم بارِزُونَ﴾: خارجون من قُبورهم، ﴿لا يَخفَى عَلَى اللهِ مِنهُم شَيءٌ: لِمَنِ المُلكُ اليَومَ﴾؟ يقوله تعالى، ويُجيب نفسَه:

قولُهُ: (بالمَطَرِ) أي: أسبابَ رزقٍ كالمطرِ[1] مُرَاعَاةً لِمَعَاشِكُم كما أنَّ الأوَّلَ مراعاةٌ لمعادِكُم.

قولُهُ: (مِنْهُ) أي: (مِنَ الشِّركِ).

قولُهُ: (أي: اللهُ) أو هو مبتدأٌ مقدَّرٌ.

قولُهُ: (في الجَنَّةِ) وقيلَ: الدَّرجاتُ مراتِبُ المخلوقاتِ.

قولُهُ: (أي: قَولِهِ) و﴿مِنْ﴾ بيانيَّةٌ.

قولُهُ: (يُخَوِّفَ) غايَةُ الإلقاءِ.

قولُهُ: (المُلْقَى عَلَيهِ) يعني: المستكنُّ فيه لـ﴿مَن﴾، وقيل: للهِ، أو للرُّوحِ؛ أي: المُلْقِي أو المُلْقَى.

قولُهُ: (النَّاسَ) مفعولُ: ﴿يُنْذِرَ﴾.

قولُهُ: (وإثبَاتِهَا) للمكِّيِّ مطلقاً، وللمدنيِّ وصلاً، بخلافٍ عن قالونَ إذ جاءَ الحذفُ عنه أيضاً[2].

قولُهُ: (والمَظْلُومِ) والجسدِ والرُّوحِ والأعمالِ والعمَّالِ.

قولُهُ: (خَارِجُونَ) أو: ظاهِرونَ لا يسترُهُم شيءٌ.

قولُهُ: (ويُجِيبُ) يعني: أنّه حكايةٌ لِمَا دلَّ عليه ظاهرُ الحالِ في ذلك اليومِ من زوالِ الأسبابِ وارتفاعِ الوسائطِ، وأمَّا حقيقةُ الحالِ فناطقةٌ بذلك دائماً.

---

(١) بعدها في النسخ: «قوله»، ولعلها سهو أو خطأ من الناسخ.

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٢)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٧٢).

﴿لِلهِ الواحِدِ القَهّارِ﴾ أي: لخلقه. ١٧ ـ ﴿اليَومَ تُجزَى كُلُّ نَفسٍ بِما كَسَبَتْ، لا ظُلْمَ اليَومَ. إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾: يُحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك.

١٨ ـ ﴿وأَنذِرْهُم يَومَ الآزِفةِ﴾: يومَ القيامة ـ أزِفَ الرحيلُ: قَرُبَ ـ ﴿إذِ القُلُوبُ﴾ ترتفعُ خوفًا ﴿لَدَى﴾: عِندَ ﴿الحَناجِرِ كاظِمِينَ﴾: مُمتلئين غمًّا، حالٌ من «القلوب» عُوملت بالجمع بالياء والنون مُعاملة أصحابها، ﴿ما لِلظّالِمِينَ مِن حَمِيمٍ﴾: مُحبّ ﴿ولا شَفِيعٍ يُطاعُ﴾. لا مفهومَ للوصف إذ لا شفيع لهم أصلاً: «فما لَنا مِن شافِعِينَ»، أوْ له مفهومٌ بناء على زعمهم أنّ لهم شُفعاءَ، أي: لو شفَعوا فرْضًا لم يُقبلوا.

١٩ ـ ﴿يَعلَمُ﴾ أي: اللهُ ﴿خائنةَ الأعيُنِ﴾ بمُسارقتها النظرَ إلى مُحرَّم، ﴿وما تُخفِي الصُّدُورُ﴾: القُلوب، ٢٠ ـ ﴿واللهُ يَقضِي بِالحَقِّ، والَّذِينَ يَدعُونَ﴾: يعبدون أي: كُفّارُ مكّة ـ بالياء والتاء ـ ﴿مِن دُونِهِ﴾ ـ وهم الأصنام ـ ﴿لا يَقضُونَ بِشَيءٍ﴾. فكيف يكونون شُركاءَ لله؟ ﴿إنَّ اللهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿البَصِيرُ﴾ بأفعالهم.

٢١ ـ ﴿أَوَلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ كانُوا مِن قَبلِهِم؟ كانُوا هُم أَشَدَّ مِنهُم﴾ ـ وفي قراءة: «مِنكُم» ـ ﴿قُوَّةً وآثارًا في الأرضِ﴾ من مصانعَ وقُصورٍ، ﴿فأَخَذَهُمُ اللهُ﴾: أهلكهم ﴿بِذُنُوبِهِم، وما كانَ لَهُم مِنَ اللهِ مِن واقٍ﴾ عذابَه..

قولُهُ: (يَومَ القِيامَةِ) أو الموتِ.

قولُهُ: (قَرُبَ) سُمِّيَت بها لقُربِها.

قولُهُ: (مُحِبٍّ) أو قريبٍ مشفقٍ.

قولُهُ: (بمُسَارَقَتِهَا) أي: النَّظرةِ الخائنةِ، أو خيانةِ الأعينِ.

قولُهُ: (والتَّاءِ) الخطابُ: نافعٌ وهشامٌ[1].

قولُهُ: (فَكَيفَ) تهكُّمٌ بهم؛ لأنَّ الجمادَ لا يُقالُ فيه: إنَّه يَقضي أو لا يَقضِي.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ[2].

قولُهُ: (مِنْ مَصَانِعَ) للمارِّ تحتَ الأرضِ.

قولُهُ: (وقُصُورٍ) وقلاعٍ ومدائنَ حصينةٍ.

قولُهُ: (عَذَابَهُ) أي: مَن يمنعُ عذابَ اللهِ عنهُم.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٧١).

(٢) انظر المصدرين السابقين.

٢٢ ـ ﴿ذلِكَ بِأَنَّهُم كانَتْ تأتِيهِم رُسُلُهُم بِالبيِّناتِ﴾: بالمُعجزات الظاهرات، ﴿فكَفَرُوا فأخَذَهُمُ اللهُ. إنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقابِ﴾.

٢٣ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا وسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: بُرهانٍ بيِّنٍ ظاهر ٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿إلَى فِرعَونَ وهامانَ وقارُونَ، فقالُوا﴾: هو ﴿ساحِرٌ كَذّابٌ. فلَمّا جاءَهُم بِالحَقِّ﴾: بالصِّدق ﴿مِن عِندِنا قالُوا: اقتُلُوا أبناءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، واستَحيُوا﴾: استبْقُوا ﴿نِساءَهُم. وما كَيدُ الكافِرِينَ إلاّ في ضَلالٍ﴾: هلاك ـ ٢٦ ـ ﴿وقالَ فِرعَونُ: ذَرُونِيَ، أقتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفّونه عن قتله، ﴿ولْيَدعُ رَبَّهُ﴾ ليمنَعه منّي. ﴿إنِّيَ أخافُ أن يُبَدِّلَ دِينَكُم﴾ من عِبادتكم إياي فتتّبعونه ﴿وأن يُظهِرَ في الأرضِ الفَسادَ﴾ من قتل وغيره. وفي قراءة: «أوْ»، وفي أُخرى بفتح الياء والهاء وضمِّ الدال. ٢٧ ـ ﴿وقالَ مُوسَى﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إنِّي عُذتُ بِرَبِّي ورَبِّكُم مِن كُلِّ مُتكَبِّرٍ، لا يُؤمِنُ بِيَومِ الحِسابِ﴾.

قولُهُ: (بالمُعْجِزَاتِ) أو الأحكامِ الواضِحاتِ.

قولُهُ: (بُرهَانٍ) ظاهرٍ، والعطفُ لتغايرِ الوصفينِ، أو لإفرادِ بعضِ المعجزاتِ كالعصا؛ تفخيماً لشأنِها.

قولُهُ: (هُو) مبتدأٌ مع خبرِه جملةُ مقولِ القولِ.

قولُهُ: (استَبْقُوا) أي: أَعِيدوا عليهم القتلَ والاستبقاءَ كي يمتَنِعوا عن مظاهَرةِ موسى.

قولُهُ: (هَلاكٍ) وضياعٍ.

قولُهُ: (يَكُفُّونَهُ) ويقولونَ: إنَّه ليسَ الَّذي تخافُهُ بل هو ساحرٌ.

قولُهُ: (فتَتَّبِعُونَهُ) الظَّاهرُ: فتتَّبعُوهُ.

قولُهُ: (مِنْ قَتْلٍ) أي: ما يُفسدُ دُنياكُم من التَّحاربِ[1] والتَّهارجِ إن لم يَقدِرْ أن يُبطلَ دينكُم بالكلِّيَّةِ، وهذا على قراءةِ الكوفيِّ، وأمَّا على قراءةِ الحِرْميَّينِ والبصريِّ والشَّاميِّ بالواوِ على معنى الجمعِ[2]، وهو أصلُ الشَّيخِ.

قولُهُ: (وَفِي أُخرَى) لغيرِ نافعٍ وبصريٍّ وحفصٍ[3].

قولُهُ: (ذلِكَ) أي: كلامَ فرعونَ.

---

(١) في (م): «التمادي».

(٢) أي: ﴿وأن يظهر﴾ ـ وهو الذي في المتن ـ والمراد بالجمع: الجمع بين مضموني الجملتين: ما قبل الواو وما بعدها. انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٦٩).

(٣) انظر المصدر السابق.

٢٨ ـ ﴿وقالَ رَجُلٌ مُؤمِنٌ مِن آلِ فِرعَونَ﴾ قيل: هو ابن عمّه، ﴿يَكتُمُ إيمانَهُ: أتَقتُلُونَ رَجُلاً أنْ﴾ أي: لِأن ﴿يَقُولَ: رَبِّيَ اللهُ. وقَد جاءَكُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات الظاهرات ﴿مِن رَبِّكُم، وإن يَكُ كاذِبًا فعلَيهِ كَذِبُهُ﴾ أي: ضررُ كذبه، ﴿وإن يَكُ صادِقًا يُصِبكُم بَعضُ الَّذِي يَعِدُكُم﴾ به من العذاب عاجلاً؟ ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي مَن هُوَ مُسرِفٌ﴾: مُشرك ﴿كَذّابٌ﴾: مُفترٍ. ٢٩ ـ ﴿يا قَومِ، لَكُمُ المُلكُ اليَومَ ظاهِرِينَ﴾: غالبين حالٌ ﴿في الأرضِ﴾ أرض مِصرَ. ﴿فمَن يَنصُرُنا مِن بأسِ اللهِ﴾: عذابه، إن قتلتم أولياءه، ﴿إن جاءَنا﴾؟ أي: لا ناصرَ لنا. ﴿قالَ فِرعَونُ: ما أُرِيكُم إلاّ ما أرَى﴾ أي: ما أُشيرُ عليكم إلاّ بما أُشير به على نفسي ـ وهو قتل مُوسى ـ ﴿وما أهدِيكُم إلاّ سَبِيلَ الرَّشادِ﴾: طريقَ الصواب.

٣٠ ـ ﴿وقالَ الَّذِي آمَنَ: يا قَومِ، إنِّيَ أخافُ عَلَيكُم مِثلَ يَومِ الأحزابِ﴾ أي: يومِ حزب بعد حزب، ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿مِثلَ دأبِ قَومِ نُوحٍ وعادٍ وثَمُودَ، والَّذِينَ مِن بَعدِهِم﴾ ـ مِثلَ: بدل من «مِثلَ» قبله ـ أي: مِثلَ جزاءِ عادةِ مَن كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا، ﴿وما اللهُ يُرِيدُ ظُلمًا لِلعِبادِ، ويا قَومِ إنِّيَ أخافُ عَلَيكُم يَومَ التَّنادِ﴾، بحذف الياء وإثباتها، أي: يومَ القيامة يكثُر فيه نداءُ أصحابِ الجنّة أصحابَ النار وبالعكس، والنداءُ بالسعادة لأهلها وبالشقاوة لأهلها.........................

قولُهُ: (قِيلَ: ابنُ عَمِّهِ) وقيل: ﴿مِنْ﴾ متعلِّقٌ بقولِه: ﴿يَكْتُمُ إِيْمَانَهُ﴾، والرَّجلُ إسرائيليٌّ، أو غريبٌ موحِّدٌ.

قولُهُ: (أي: لأَنْ) أو: وقتَ أن يقولَ من غيرِ تفكُّرٍ في أمرِه وتأمُّلٍ في عاقبتِهِ.

قولُهُ: (بالمُعجِزَاتِ) والاستدلالاتِ.

قولُهُ: (عَاجِلاً) أو: فلا أقلَّ من أن يصيبَكُم بعضُهُ، وفيه مُبالغةٌ في التَّحذيرِ وإظهارٌ للإنصافِ وعدمِ التَّعصُّبِ.

قولُهُ: (مُفتَرٍ) وفيه تعريضٌ لفرعونَ.

قولُهُ: (حَالٌ) من المجرورِ.

قولُهُ: (أي: يَومِ حِزْبٍ) إشارَةٌ إلى أنَّ جمعَ ﴿الأحزابِ﴾ مع تفسيرِهِ ـ وهو ﴿مثلُ دأبِ... ﴾ إلخ ـ أغنى عن جمعِ اليومِ.

قولُهُ: (وإِثبَاتِهَا) مكِّيٌّ مطلقاً، ونافعٌ وصلاً بخلفٍ عن قالونَ[1].

قولُهُ: (والنِّدَاءُ) عطفٌ على: (نداءُ) يعني: من الملائكَةِ.

---

(١) تقدم مثله في الآية رقم: (١٥) عند قوله: ﴿التلاق﴾.

وغيرُ ذلك، ٣٣ ـ ﴿يَومَ تُوَلُّونَ مُدبِرِينَ﴾ عن موقف الحِساب إلى النار، ﴿ما لَكُم مِنَ اللهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِن عاصِمٍ﴾: مانع. ﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن هادٍ﴾.

٣٤ ـ ﴿ولَقَد جاءَكُم يُوسُفُ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ مُوسى ـ وهو يُوسفُ بنُ يعقوبَ في قولِ عُمِّر إلى زمن مُوسى، أو يُوسفُ بنُ إبراهيمَ بنِ يُوسفَ بنِ يعقوبَ في قولٍ ـ ﴿بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات الظاهرات، ﴿فما زِلتُم في شَكٍّ مِمّا جاءَكُم بِهِ. حَتَّى إذا هَلَكَ قُلتُم﴾ من غير برهان: ﴿لَن يَبعَثَ اللهُ مِن بَعدِهِ رَسُولاً﴾، أي: فلن تزالوا كافرين بيُوسفَ وغيرِه. ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إضلالكم ﴿يُضِلُّ اللهُ مَن هُوَ مُسرِفٌ﴾: مُشرك ﴿مُرتابٌ﴾: شاكٌّ فيما شهدتْ به البيّناتُ. ٣٥ ـ ﴿الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ﴾: مُعجزاته مُبتدأٌ ﴿بِغَيرِ سُلطانٍ﴾: بُرهانٍ ﴿أتاهُم كَبُرَ﴾ جِدالُهم، خبرُ المُبتدأ ﴿مَقتًا عِندَ اللهِ، وعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا! كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إضلالهم ﴿يَطبَعُ﴾: يختِم ﴿اللهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَى كُلِّ قَلبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ﴾..

قولُهُ: (وغَيرُ ذلِكَ) ينادي فيه بعضُهم بعضاً للاستغاثةِ، أو يتصايَحونَ بالويلِ والثُّبورِ.

قولُهُ: (يُوسُفُ بنُ يَعقُوبَ) بعثَهُ اللهُ من قَبلِ موسى رسولاً يَدعو القِبْطَ إلى الطَّاعةِ للهِ وحدَهُ، فما أطاعوهُ تلك الطَّاعةِ، نعم أطاعوهُ لمجرَّدِ الوزارةِ والجاهِ الدُّنيويِّ، هذا هو الصَّحيحُ.

قولُهُ: (عُمِّرَ) ظاهرُ كلامِهِ أنَّه يعني يوسفَ، والصَّحيحُ أنَّ المعمَّرَ هو فرعونُ موسى؛ عُمِّرَ أربعَ مائةِ سنةٍ وأربعينَ سنةً[1].

قولُهُ: (في قَولٍ) آخرَ، وهو خلافُ الظَّاهرِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) يعني: ضمُّوا إلى تكذيبِ رسالتِهِ تكذيبَ رسالةِ مَن بعدَهُ، أو جزَمُوا بأن لا يُبعَثَ بعدَهُ رسولٌ مع الشَّكِّ في رسالتِهِ.

قولُهُ: (أي: مِثلَ إضلالِكُم) الأظهرُ: مثلَ ذلكَ الإضلالِ.

قولُهُ: (بُرهَانٍ) حجَّةٍ ظاهرةٍ.

قولُهُ: (جِدَالُهم) على حذفِ مضافٍ: إمَّا في الخبرِ وهو ظاهرُ كلامِهِ، وإمَّا في المبتدأِ وهو قولُ البيضاويِّ[2].

قولُهُ: (خَبَرُ مُبْتَدَأ) الظاهرُ: خبر المبتدأِ.

(١) قال ابن جزي في «تفسيره» (١/ ٣٨٧): هذا بعيد.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٥٧).

بتنوينِ «قلبٍ» ودُونِه. ومتى تكبَّر القلب تكبَّر صاحبه وبالعكس. «وكُلّ» على القراءتين لعُموم الضلال جميعَ القلب لا لعُموم القلوب.

٣٦ ـ ٣٧ ـ ﴿وقالَ فِرعَونُ: يا هامانُ، ابنِ لِي صَرحًا﴾ بناءً عاليًا، ﴿لَعَلِّيَ أبلُغُ الأسبابَ، أسبابَ السَّماواتِ﴾: طُرُقَها المُوصلةَ إليها، ﴿فأطَّلِعُ﴾ ـ بالرفع عطفًا على «أبلغُ»، وبالنصب جوابًا لـ «ابنِ» ـ ﴿إلَى إلٰـهِ مُوسَى. وإنِّي لَأظُنُّهُ﴾ أي: مُوسى ﴿كاذِبًا﴾ في أنّ له إلٰـهًا غيري. قال فرعون ذلك تمويهًا. ﴿وكَذٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرعَونَ سُوءُ عَمَلِهِ، وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾: طريق الهُدى ـ بفتح الصاد وضمِّها ـ ﴿وما كَيدُ فِرعَونَ إلاّ في تَبابٍ﴾: خسار.

٣٨ ـ ﴿وقالَ الَّذِي آمَنَ: يا قَومِ، اتَّبِعُونِيَ﴾، بإثباتِ الياء وحذفِها،.......................

قولُهُ: (بتَنوِينِ ﴿قلبٍ﴾) بصريٌّ وابنُ ذكوانَ[١].

قولُهُ: (وبالعَكسِ) أي: أنّهما متلازمانِ، وفيه: أنَّ قراءةَ التَّنوينِ على المجازِ والأخرى على الحقيقةِ، ولذا قيل: وصفَ القلبَ بالتَّكبُّرِ لأنَّهُ منبعُهُ، كقولِهِ: رأت عيني وسمعَتْ أُذُني، أو على حذفِ مضافٍ؛ أي: على كلِّ ذي قلبٍ متكبِّرٍ.

قولُهُ: (و﴿كلِّ﴾ إلخ) والأظهرُ: ما قالَ أبو البقاءِ[٢]: وإضافةُ ﴿كلِّ﴾ إلى القلبِ يرادُ بها عمومُ القلبِ لا استيعابُ كلِّ قلبٍ بالطَّبعِ، وهو في المعنى كقراءةِ مَن قرأَ: (على قلبِ كلِّ متكبِّرٍ)[٣].

قولُهُ: (طُرُقَهَا) وفي إبهامِها ثمَّ إيضاحِها تفخيمٌ لشأنِها، وتشويقٌ للسَّامعِ إلى مَعرفتِها.

قولُهُ: (وبِالنَّصبِ) حفصٌ[٤].

قولُهُ: (جَوَاباً لـ﴿ابنِ﴾) أو جواباً للتَّرجِّي.

قولُهُ: (في أَنَّ لَهُ إلهاً) أو في النُّبوَّةِ.

قولُهُ: (بِفَتحِ الصَّادِ) غيرُ الكوفيِّ[٥]، والفاعلُ ضميرُ فرعونَ.

قولُهُ: (بِإثبَاتِ اليَاءِ) مكِّيٌّ مُطلقاً، وقالونُ وبصريٌّ وصلاً[٦].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٧١).

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١١٢٠).

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن مسعود، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٣٣).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٧١).

(٥) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٣٣)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٣٦).

(٦) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٢)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٧٢).

﴿أهدِكُم سَبِيلَ الرَّشادِ﴾. تقدّم. ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿يا قَومِ، إنَّما هذِهِ الحَياةُ الدُّنيا مَتاعٌ﴾: تَمتُّعٌ يزول، ﴿وإنَّ الآخِرةَ هِيَ دارُ القَرارِ، مَن عَمِلَ سَيِّئةً فلا يُجزَى إلاّ مِثلَها، ومَن عَمِلَ صالِحًا مِن ذَكَرٍ أو أُنثَى، وهُوَ مُؤمِنٌ، فأُولئِكَ يُدخَلُونَ الجَنّةَ﴾ ـ بضمّ الياء وفتح الخاء وبالعكس ـ ﴿يُرزَقُونَ فِيها بِغَيرِ حِسابٍ﴾ رِزقًا واسعًا بلا تَبِعة، ٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿ويا قَومِ، ماليَ أدعُوكُم إلَى النَّجاةِ، وتَدعُونَنِيَ إلَى النّارِ؟ تَدعُونَنِي لِأكفُرَ بِاللهِ، وأُشرِكَ بِهِ ما لَيسَ لِي بِهِ عِلمٌ، وأنا أدعُوكُم إلَى العَزِيزِ﴾: الغالب على أمره ﴿الغَفّارِ﴾ لمن تاب. ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿لا جَرَمَ﴾: حقًّا ﴿أنَّ ما تَدعُونَنِيَ إلَيهِ﴾ لأعبدَه ﴿لَيسَ لَهُ دَعْوةٌ في الدُّنيا﴾ أي: استجابةُ دعْوةٍ ﴿ولا في الآخِرةِ، وأنَّ مَرَدَّنا﴾: مَرجِعَنا ﴿إلَى اللهِ، وأنَّ المُسرِفِينَ﴾: الكافرين ﴿هُم أصحابُ النّارِ. فَسَتَذكُرُونَ﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿ما أقُولُ لَكُم، وأُفَوِّضُ أمرِيَ إلَى اللهِ. إنَّ اللهَ بَصِيرٌ بِالعِبادِ﴾. قال ذلك، لمّا توعّدوه بمُخالفته دِينَهم.

٤٥ ـ ﴿فوَقاهُ اللهُ سَيِّئاتِ ما مَكَرُوا﴾ به من القتل، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِآلِ فِرعَونَ﴾: قومِه معه ﴿سُوءُ العَذابِ﴾: الغرَقُ، ٤٦ ـ ثُمَّ ﴿النّارُ يُعرَضُونَ علَيها﴾........................

قولُهُ: (تَمتُّعٌ) يسيرٌ.

قولُهُ: (يَزُولُ) سَريعاً.

قولُهُ: (بِضَمِّ اليَاءِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ وشعبةُ[1].

قولُهُ: (بِلا تَبِعَةٍ) أو: بغيرِ تقديرٍ وموازنةٍ بالعَملِ، بل أضعافاً مضاعفةً فضلاً منه.

قولُهُ: (لِمَن تَابَ) من الكفَّارِ وغيرِهِم، ولمن لم يتُبْ ممَّن شاءَ من المؤمنينَ.

قولُهُ: (حَقًّا) أي: قطعاً.

قولُهُ: (أي: استِجَابَةُ دَعوَةٍ) أو: دعوَةٌ مستجابةٌ.

قولُهُ: (مَرجِعَنَا) بالموتِ والبعثِ، أو بكلِّ حالٍ.

قولُهُ: (بِهِ) أي: بالمؤمنِ، وقيلَ: بموسى.

قولُهُ: (مِنَ القَتلِ) وغيرِهِ من شَدائِدِ مكرِهِم.

قولُهُ: (معَهُ) واستغنى بذكرِهِم عن ذكرِه للعِلمِ بأنَّهُ أولى بذلكَ.

قولُهُ: (ثُمَّ) أي: الغرقُ في الدُّنيا، ثمَّ النَّقلةُ منه إلى النَّارِ في البرزخِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٩٧)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣١٥).

يُخوَّفون بها ﴿غُدُوًّا وعَشِيًّا﴾ صباحًا ومساءً، ﴿ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ﴾ يقال: ﴿ادخُلوا﴾ ـ يا ﴿آلَ فِرعَونَ﴾، وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الخاء: أمرٌ للملائكة ـ ﴿أشَدَّ العَذابِ﴾ عذابَ جهنّم.

٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ يَتحاجُّونَ﴾: يتخاصم الكُفّار ﴿في النّارِ، فيَقُولُ الضُّعَفاءُ لِلَّذِينَ استكبَرُوا: إنّا كُنّا لَكُم تَبَعًا﴾: جمعُ تابع. ﴿فهَل أنتُم مُغنُونَ﴾: دافعون ﴿عَنّا نَصِيبًا﴾: جُزءًا ﴿مِنَ النّارِ؟ قالَ الَّذِينَ استكبَرُوا: إنّا كُلٌّ فِيها. إنَّ اللهَ قَد حَكَمَ بَينَ العِبادِ﴾ فأدخَلَ المؤمنين الجنّة والكافرين النار.

٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ في النّارِ لِخَزَنةِ جَهَنَّمَ: ادعُوا رَبَّكُم، يُخَفِّفْ عَنّا يَومًا﴾ أي: قدْرَ يوم ﴿مِنَ العَذابِ. قالُوا﴾ أي: الخزنةُ تهكّمًا: ﴿أوَلَم تَكُ تأتِيكُم رُسُلُكُم بِالبَيِّناتِ﴾: بالمعجزات الظاهرات؟ ﴿قالُوا: بَلَى﴾، أي: فكفروا بهم. ﴿قالُوا: فادعُوا﴾ أنتم. فإنّا لا نشفع لكافر........

قولُهُ: (يُخَوَّفُونَ بِهَا) من قولِهِم: «عُرِضَ الأُسارى على السَّيفِ» إذا قُتِلوا به، وذلك لأرواحِهِم، كما روى ابنُ مسعودٍ: أنَّ أرواحَهُم في أجوافِ طيرٍ سودٍ تُعرَضُ على النَّارِ بكرةً وعشيًّا إلى يومِ القيامةِ[1]، وفيهِ دليلٌ على عذابِ القبرِ.

قولُهُ: (صَبَاحاً ومَسَاءً) وفيمَا بين ذلك اللهُ أعلمُ بحالِهِم، فإمَّا أن يُعذَّبوا بنَوعٍ آخرَ من العذابِ، أو يُنَفَّس عنهم، ويمكنُ أن يرادَ بالغُدوِّ والعشيِّ الدَّوامُ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وحفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ[2].

قولُهُ: (أَمْرٌ لِلمَلائِكَةِ) و﴿آلَ فِرْعَونَ﴾ مفعولٌ أوَّلُ.

قولُهُ: (عَذَاب جَهَنَّمَ) فإنَّهُ أشدُّ ممَّا كانوا فيهِ، أو: أشدَّ عذابِ جهنَّمَ.

قولُهُ: (جَمْعُ: تَابِعٍ) كخَدَمٍ: جمعُ خادمٍ.

قولُهُ: (دَافِعُونَ) والأظهرُ: ﴿مغنُونَ عنَّا﴾ بالدَّفعِ أو الحملِ.

قولُهُ: (جُزْءًا) مفعولٌ.

قولُهُ: (أي: قَدْرَ يَومٍ) أو: وقتاً ما، والمفعولُ به: شيئاً من العذابِ، أو: عذابَ يومٍ من أنواعِ العذابِ.

قولُهُ: (تَهَكُّماً) الظَّاهرُ: توبيخاً.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٢٦٨٠) بنحوه.

وروى ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٩٥) عن السدي قال بلغني ثم ساق نحوه.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٧٢).

قال تعالى: ﴿وما دُعاءُ الكافِرِينَ إلاّ في ضَلالٍ﴾: انعدام. ٥١ ـ ﴿إنّا لَنَنصُرُ رُسُلَنا والَّذِينَ آمَنُوا في الحَياةِ الدُّنيا ويَومَ يَقُومُ الأشهادُ﴾: جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ وعلى الكُفّار بالتكذيب، ٥٢ ـ ﴿يَومَ لا يَنفَعُ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿الظّالِمِينَ مَعذِرَتُهُم﴾: عُذرُهم لو اعتذروا، ﴿ولَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ أي: البُعد من الرحمة ﴿ولَهُم سُوءُ الدّارِ﴾ الآخرةِ، أي: شدّةُ عذابها.

٥٣ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الهُدَى﴾: التوراةَ والمُعجزاتِ، ﴿وأورَثْنا بَنِي إسرائيلَ﴾ من بعد مُوسَى ﴿الكِتابَ﴾ التوراةَ ٥٤ ـ ﴿هُدًى﴾: هاديًا ﴿وذِكرَى لِأُولِي الألبابِ﴾: تذكرةً لأصحاب العُقول. ٥٥ ـ ﴿فاصبِرْ﴾ ـ يا مُحمّد. ﴿إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومَن تَبعك منهم ـ ﴿واستَغفِرْ لِذَنبِكَ﴾ لِيُستَنَّ بك، ﴿وسَبِّحْ﴾: صلِّ مُلتبسًا ﴿بِحَمدِ رَبِّكَ بِالعَشِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿والإبكارِ﴾ الصلواتِ الخمسَ.

قولُهُ: (انعِدَامٍ) لا يجابُ؛ أي: في الآخرةِ، واختلفَ في وقوعِ إجابتِهِم في الدُّنيا، والظَّاهرُ وقوعُها لقولِهِ تعالى: ﴿فإنَّكَ مِنَ المنظرِينَ﴾ [الحجر: ٣٧].

قولُهُ: (وَهُمُ المَلائِكَةُ) أو النَّبِيُّونَ والمؤمنونَ والأجسادُ.

قولُهُ: (بالتَّاءِ) التَّأنيثُ مكِّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ[١].

قولُهُ: (لوِ اعتَذَرُوا) أو لأنَّها باطِلةٌ، أو لأنَّه لا يُؤذَنُ لهم فيعتذرونَ.

قولُهُ: (التَّورَاةَ) أي: ما يُهتدَى به في الدِّينِ.

قولُهُ: (التَّورَاةَ) أي: وترَكْنَا عليهم بعدَهُ من ذلك الهُدى التَّوراةَ.

قولُهُ: (تَذْكِرَةً) كأنَّ[٢] حسْنَ المقابلةِ أن يقولَ: هادياً ومذكِّراً، أو: هدايةً وتذكرةً، والثَّاني تجوُّزٌ أو علَّةٌ.

قولُهُ: (العُقُولِ) السَّليمةِ.

قولُهُ: (لِيُستَنَّ) أو: تدارَكْ فرطاتِكَ، أو: من خطورِ السِّوى في حضورِ المولى، أو: من رؤيةِ الطَّاعةِ، أو: من التَّقصيرِ في العبادةِ بتركِ الأَولى والاهتمامِ بأمرِ العِدى بالاستغفارِ[٣].

قولُهُ: (الصَّلواتِ الخَمْسِ) وقيل: صَلِّ بهذَينِ الوقتَينِ، إذ كانَ الواجبُ بمكَّةَ ركعتانِ بكرةً وركعتانِ عشيًّا، وقيل: دُمْ على التَّسبيحِ والتَّحميدِ لربِّكَ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٧٢).

(٢) في (د): «كان».

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٦١)، وفيه: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ وأقبل على أمر دينك وتدارك فرطاتك بترك الأولى والاهتمام بأمر العدا بالاستغفار.

٥٦ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللهِ﴾: القُرآن ﴿بِغَيرِ سُلطانٍ﴾: بُرهان ﴿أتاهُم إنْ﴾: ما ﴿في صُدُورِهِم إلاّ كِبْرٌ﴾: تكبّر وطمع أن يعلوا عليك، ﴿ما هُم بِبالِغِيهِ. فاستَعِذْ﴾ من شرِّهم ﴿بِاللهِ. إنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿البَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

ونزل في مُنكري البعث: ٥٧ ـ ﴿لَخَلقُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ ابتداءً ﴿أكبَرُ مِن خَلقِ النّاسِ﴾ مرّة ثانية ـ وهي الإعادة ـ ﴿ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ أي: الكُفّارَ ﴿لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك. فهم كالأعمى ومن يعلمُه كالبصير، ٥٨ ـ ﴿وما يَستَوِي الأعمَى والبَصِيرُ، و﴾ لا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ ـ وهو المُحسن ـ ﴿ولا المُسِيءُ﴾. فيه زيادة «لا». ﴿قَلِيلاً ما يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتّعظون، بالياء والتاء، أي: تذكُّرهم قليلٌ جِدًّا. ٥٩ ـ ﴿إنَّ السّاعةَ لآتِيةٌ لا رَيبَ﴾: شكّ ﴿فِيها، ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يُؤمِنُونَ﴾ بها.

٦٠ ـ ﴿وقالَ رَبُّكُمُ: ادعُونِيَ، أستَجِبْ لَكُم﴾ أي: اعبدوني أُثِبْكم، بقرينةِ: ﴿إنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِي سَيَدخُلُونَ﴾ ـ بفتح الياء وضمّ الخاء وبالعكس ـ ﴿جَهَنَّمَ داخِرِينَ﴾: صاغرين.

قولُهُ: (القُرآنِ) عامٌّ في كلِّ مجادلٍ مبطِلٍ يردُّ الحججَ بالشُّبَهِ، وإن نزلَتْ في مُشركي مكّةَ أو اليهودِ.

قولُهُ: (تكبُّرٌ) عن اتِّباعِ الحقِّ، وتعظُّمٌ عن التَّفكُّرِ والتَّعلُّمِ، أو: إرادةُ الرِّياسةِ[1].

قولُهُ: (أي: الكُفّارَ) منصوبٌ.

قولُهُ: (والتّاءِ) الخطابُ كوفيٌّ[2].

قولُهُ: (جدًّا) أي: تذكُّراً ما قليلاً [يتذكرون][3].

قولُهُ: (أي: اعْبُدُونِي) المشهورُ عندَ العلماءِ أنَّ ﴿ادْعونِي﴾ من الدُّعاءِ؛ وبمعنى السُّؤالِ، فلا بدَّ من تأويلِ عبادتي ـ واللهُ أعلمُ ـ بأن يُقالَ: ومن ملةِ العبادةِ الدُّعاءُ؛ لقولِهِ ﷺ: «الدُّعاءُ مخُّ العبادةِ»[4]، أو يُقالَ: العبادةُ هي الدُّعاءَ ادِّعاءً للمبالغةِ، ولذا قالَ ﷺ: «الدُّعاءُ هو العبادةُ»، وقرأَ الآيَةَ[5] كما في «الحصن»[6].

قولُهُ: (وبالعَكسِ) مكّيٌّ وشعبةُ[7].

---

(١) قوله: (أو إرادة الرياسة) تفسير للكبر معطوف على قوله: (تكبر). انظر: «حاشيه الشهاب على تفسير البيضاوي» (٧/ ٣٧٧)

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٧٢).

(٣) من «أنوار التنزيل» (٥/ ٦١).

(٤) رواه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس رضي الله عنه، هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

(٥) رواه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٣٣٧٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٠٠)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد في «مسنده» (١٨٣٥٢)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٦) انظر: «الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين» لابن الجزري (ص: ٤١).

(٧) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٢).

٦١ ـ ﴿اللهُ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيلَ لِتَسكُنُوا فِيهِ والنَّهارَ مُبصِرًا﴾ إسنادُ الإبصار إليه مجازيّ لأنه يُبصَر فيه. ﴿إنَّ اللهَ لَذُو فَضلٍ علَى النَّاسِ، ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ لا يَشكُرُونَ﴾ اللهَ فلا يُؤمنون. ٦٢ ـ ﴿ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم، خالِقُ كُلِّ شَيءٍ، لا إلٰـهَ إلاَّ هُوَ. فأنَّى تُؤفَكُونَ﴾: فكيف تُصرفون عن الإيمان مع قيام البُرهان؟ ٦٣ ـ ﴿كَذلِكَ يُؤفَكُ﴾ أي: مِثلَ أفْكِ هؤلاء أُفِكَ ﴿الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللهِ﴾: مُعجزاته ﴿يَجحَدُونَ﴾.

٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿اللهُ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ قَرارًا والسَّماءَ﴾ سقفًا ﴿بِناءً، وصَوَّرَكُم فأحسَنَ صُوَرَكُم، ورَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّباتِ. ذلِكُمُ اللهُ رَبُّكُم ـ فتَبارَكَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ ـ! هُوَ الحَيُّ لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ. فادعُوهُ﴾: اعبدوه ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشِّرك: ﴿الحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾.

٦٦ ـ ٦٧ ـ ﴿قُل: إنِّي نُهِيتُ أن أعبُدَ الَّذِينَ تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ، لَمّا جاءَنِيَ البَيِّناتُ﴾: دلائل التوحيد ﴿مِن رَبِّي، وأُمِرتُ أن أُسلِمَ لِرَبِّ العالَمِينَ. هُوَ الَّذي خَلَقَكُم مِن تُرابٍ﴾ بخلق أبيكم آدمَ منه ﴿ثُمَّ مِن نُطفَةٍ﴾: مَنِيٍّ ﴿ثُمَّ مِن عَلَقَةٍ﴾: دم غليظ، ﴿ثُمَّ يُخرِجُكُم طِفلاً﴾ بمعنَى: أطفالاً، ﴿ثُمَّ﴾ يُبقيكم ﴿لِتَبلُغُوا أشُدَّكُم﴾: تكامُلَ قوّتِكم من الثلاثين سنة إلى الأربعين، ﴿ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا﴾ ـ بضمّ الشين وكسرها..

قولُهُ: (مَجَازِيٌّ) فيهِ مبالغةٌ، ولذا عدلَ به عن التَّعليلِ إلى الحالِ.

قولُهُ: (يُبصَرُ فِيهِ) أو به.

قولُهُ: (فلا يُؤمِنُونَ) وتكريرُ ﴿النَّاسِ﴾ لتنصيصِ تخصيصِ الكفرانِ بهم.

قولُهُ: (فَكَيفَ) ومن أيِّ وجهٍ.

قولُهُ: (فاعْبُدُوهُ) أو: وحِّدوهُ بالدُّعاءِ.

قولُهُ: (مِنَ الشِّركِ) والرِّياءِ، وقائلينَ: الحمدُ للهِ، أو: الحمدُ للهِ حيث حصلَتِ النِّعمةُ وثبتَتِ الحجَّةُ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: أَطفَالاً) والإفرادُ لإرادةِ الجنسِ، أو على تأويلِ: كلَّ واحدٍ منكم.

قولُهُ: (تَكامُلَ) واللّامُ متعلِّقٌ بمحذوفٍ تقديرُهُ: ثمَّ يبقيكُم لتَبلُغوا.

قولُهُ: (بِضَمِّ الشِّينِ) نافعٌ وبصريٌّ وهشامٌ وحفصٌ[1].

قولُهُ: (وكَسرِهَا) الباقونَ[2]، وفي البيضاويِّ: وقُرِئَ بالكسرِ[3]، وهو سهوٌ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٢).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٦٣).

﴿ومنكُم مَن يُتَوَفَّى مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ الأشُدّ والشيخوخة ـ فعلَ ذلك بكم لتعيشوا، ﴿ولِتَبلُغُوا أجَلاً مُسَمًّى﴾: وقتًا محدودًا ﴿ولَعَلَّكُم تَعقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون. ٦٨ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُحيِي ويُمِيتُ. فإذا قَضَى أمرًا﴾: أراد إيجادَ شيء ﴿فإنَّما يَقُولُ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ﴾ ـ بضمّ النون، وفتحها بتقدير «أن» ـ أي: يُوجَد عقبَ الإرادة التي هي معنى القول المذكور.

٦٩ ـ ﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِ اللهِ﴾: القُرآن ﴿أنَّى﴾: كيف ﴿يُصرَفُونَ﴾ عن الإيمان، ٧٠ ـ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالكِتابِ﴾ القرآن ﴿وبِما أرسَلْنا بِهِ رُسُلَنا﴾ من التوحيد والبعث. وهم كُفّار مكّة؟ ﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾ عُقوبة تكذيبهم، ٧١ ـ ﴿إذِ الأغلالُ في أعناقِهِم﴾ ـ إذ: بمعنى إذا ـ................

قولُهُ: (والشَّيخُوخَةِ) الصَّوابُ: أو.

قولُهُ: (فَعَلَ ذَلِكَ) الأولى: يفعَلُ.

قولُهُ: (لِتَعِيشُوا) فيه أنَّ العيشَ مستفادٌ من: ﴿لِتَبْلُغُوا﴾، فالظَّاهرُ: لتعتَبِروا، مع أنَّ الاحتياجَ إنَّما هو إلى الفعلِ المعلَّلِ، فحقُّهُ أن يقدِّمَ الواوَ على (فَعَلَ).

قولُهُ: (وَقْتاً مَحدُوداً) هو وقتُ الموتِ، أو يومُ القيامةِ.

قولُهُ: (وفَتحِهَا) شاميٌّ[١].

قولُهُ: (المَذْكُورِ) فيه أنَّه يصيرُ المعنى: إذا أرادَ إيجادَ شيءٍ فإن يريد[٢] فيكونُ، ولا يخفى ما فيهِ، فالظَّاهرُ: أنَّ القولَ على حقيقتِهِ؛ يعني: فلا يَحتاجُ في تكوينِهِ إلى عُدَّةٍ وتجشمِ كلفةٍ أو تمثيلٍ كما تقدَّمَ[٣].

قولُهُ: (عَنِ الإِيمَانِ) وتكريرُ ذمِّ المجادلةِ لتعدُّدِ المجادِلِ أو المجادَلِ فيه، أو للتَّوكيدِ.

قولُهُ: (القُرآنِ) أو لجنسِ الكتبِ السَّماويَّةِ.

قولُهُ: (والبَعثِ) وغيرِهما.

قولُهُ: (عُقُوبَةَ تَكذِيبِهِم) أي: جزاءَهُ.

قولُهُ: (﴿إذ﴾ بِمَعْنَى: إِذَا) والتَّحقيقُ ما قالَهُ القاضِي: أنَّهُ ظرفٌ لـ﴿يَعْلَمُونَ﴾، إذ المعنى على الاستقبالِ، والتعبيرُ بلفظِ المضيِّ لتيقُّنِهِ[٤].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٧٦).

(٢) «فإن يريد» كذا في النسخ، ولعل الصواب: «فإنما يريده».

(٣) انظر الآية رقم: (٨٢) من سورة يس عند قوله: «على ﴿يقول﴾».

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٦٣).

﴿والسَّلاسِلُ﴾: عطف على «الأغلالُ» فتكون في الأعناق، أو مبتدأٌ خبرُه محذوف، أي: في أرجُلهم، أو خبرُه ﴿يُسحَبُونَ﴾ أي: يُجرّون بها ٧٢ ـ ﴿في الحَمِيمِ﴾ أي: جهنّمَ، ﴿ثُمَّ في النّارِ يُسجَرُونَ﴾: يُوقَدونَ.

٧٣ ـ ٧٤ ـ ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُم﴾ تبكيتًا: ﴿أينَ ما كُنتُم تُشرِكُونَ مِن دُونِ اللهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قالُوا: ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنّا﴾ فلا نراهم. ﴿بَل لَم نَكُنْ نَدعُو مِن قَبلُ شَيئًا﴾. أنكروا عِبادتهم إيّاها. ثمّ أُحضِرتْ، قال تعالى: «إنّكُم وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ» أي: وَقودُها ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إضلال هؤلاء المُكذّبين ﴿يُضِلُّ اللهُ الكافِرِينَ﴾ ـ ويقال لهم أيضًا: ٧٥ ـ ﴿ذلِكُم﴾ العذاب ﴿بِما كُنتُم تَفرَحُونَ في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ﴾ من الإشراك وإنكار البعث، ﴿وبِما كُنتُم تَمرَحُونَ﴾: تتوسّعون في الفرح.

قولُهُ: (فَتكُونُ في الأَعنَاقِ) هذا غيرُ لازمٍ لكنَّهُ ظاهرٌ.

قولُهُ: (أي: فِي أَرجُلِهِم) والأظهرُ: في أعناقِهِم، وحُذِفَ لدلالةِ الأوَّلِ عليه؛ إذِ المفهومُ من «القاموسِ» أنَّ الغُلَّ إنَّما يكونُ في اليدِ أو العنقِ[1]، وهذا التقديرُ ما ينافي عطفَهُ على: ﴿الأغلال﴾.

قولُهُ: (بِهَا) إشارةٌ إلى أنَّ العائدَ محذوفٌ، وهو على الأوَّلِ حالٌ من الضَّميرِ في الجارِّ، والأظهرُ: أنَّهُ مستأنَفٌ.

قولُهُ: (أي: جَهَنَّمَ) صوابُهُ: أي: الماءِ الحارِّ.

قولُهُ: (يُوقَدُونَ) ويحرقونَ، والمرادُ: أنَّهُم يعذَّبونَ بأنواعٍ من العذابِ وينتَقلونَ من بعضِها إلى بعضٍ، كذا قالَهُ القاضي[2]، والأظهرُ: أنَّهُ يُزادُ بعضُها فوقَ بعضٍ لقولِهِ تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ [النحل: ٨٨]، فـ﴿ثُمَّ﴾ للتَّراخي في الرُّتبةِ.

قولُهُ: (غَابُوا) وذلكَ قبلَ أن يُقرنَ بهم آلهتُهُم، أو: ضاعوا عنَّا فلم نجِدْ ما كنَّا نتوقَّعُ منهم.

قولُهُ: (أَنكَرُوا عِبَادَتَهُم) والأظهرُ أنَّ معناهُ: بل تبيَّنَ لنا أنَّا لم نكُنْ نعبدُ شيئاً بعبادتِهِم، فإنَّهُم ليسوا شيئاً يعتدُّ به، كقولِكَ: حسبتُهُ شيئاً فلم يكُنْ.

قولُهُ: (مِثْلَ إِضلالِ) الصَّوابُ: مثلَ ذلك الضَّلالِ؛ إذ لم يتقدَّمْ إلَّا ﴿ضلُّوا﴾، والمكذِّبونَ هُمُ الكافرونَ.

قولُهُ: (العَذَابُ) أو الإضلالُ.

قولُهُ: (تَتَوَسَّعُونَ) بالطُّغيانِ والعدوانِ والعصيانِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٩).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٦٣).

٧٦ ـ ﴿ادخُلُوا أبوابَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها. فبِئسَ مَثوَى﴾: مأوى ﴿المُتَكَبِّرِينَ﴾!

٧٧ ـ ﴿فاصبِرْ. إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بعذابهم ﴿حَقٌّ. فإمّا نُرِيَنَّكَ﴾ ـ فيه «إن» الشرطيّة مدغمة، وما: زائدة تؤكّد معنى الشرط أوّلَ الفعل، والنونُ تؤكّد آخرَه ـ ﴿بَعضَ الَّذِي نَعِدُهُم﴾ به من العذاب في حياتك، وجوابُ الشرط محذوف أي: فذاكَ، ﴿أو نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فإلَينا يُرجَعُونَ﴾، فنُعذّبهم أشدّ العذاب. فالجواب المذكور للمعطوف فقط.

٧٨ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا رُسُلاً مِن قَبلِكَ، مِنهُم مَن قَصَصْنا علَيكَ، ومِنهُم مَن لَم نَقصُصْ علَيكَ﴾ ـ رُوِي أنه تعالى بعث ثمانيةَ آلافِ نبيّ: أربعةَ آلافِ نبيّ من بني إسرائيلَ، وأربعةَ آلافٍ من سائر الناس ـ ﴿وما كانَ لِرَسُولٍ﴾ منهم ﴿أن يأتِيَ بِآيَةٍ إلاّ بإذنِ اللهِ﴾ لأنهم عبيد مَربوبون، ﴿فإذا جاءَ أمرُ اللهِ﴾ بنُزول العذاب على الكُفّار ﴿قُضِيَ﴾ بين الرسل ومُكذّبيها ﴿بِالحَقِّ، وخَسِرَ هُنالِكَ المُبطِلُونَ﴾ أي: ظهر القضاء والخُسران للناس، وهم خاسرون في كُلّ وقت قبل ذلك.

قولُهُ: (و«ما» زَائِدَةٌ) الأظهرُ في «ما» زائدةٌ.

قولُهُ: (آخِرَهُ) كانَ حقَّهُ أن يقولَ: ولذلكَ لحقَتِ النُّونُ الفعلَ؛ إذ لا تلحقُ مع «إنْ» وَحدَها.

قولُهُ: (مِنَ العَذَابِ) وهو القتلُ والأسرُ؛ أي: فذاكَ هو المطلوبُ.

قولُهُ: (قَبلَ تَعذِيبِهِم) والأظهرُ: قبلَ أن تراهُ.

قولُهُ: (فَنُعَذِّبُهُم) أو: فنُجازيهِم بأعمالِهِم يومَ القيامةِ.

قولُهُ: (فالجَوَابُ المَذكُورُ) يعني: إذا قُدِّرَ الجوابُ للأوَّلِ فالجوابُ.. إلخ، وهذا ظاهرٌ لكنْ فيه إيماءٌ إلى قولِ القاضي: ويجوزُ أن يكونَ جواباً لهما، والمعنى: إن نعذِّبهُم في حياتِكَ أو لم نعذِّبْهُم فإنَّا نعذِّبُهُم في الآخرةِ أشدَّ العذابِ[1].

قولُهُ: (رُوِيَ) وروِيَ: أنَّ عددَ الأنبياءِ مئةُ ألفٍ وأربعةٌ وعشرونَ ألفاً، والرُّسلِ ثلاثُ مئةٍ وخمسةَ عشرَ[2]، والمذكورُ قصَّتُهم أشخاصٌ معدودةٌ، قيل: أربعةٌ وعشرونَ.

قولُهُ: (بنُزُولِ العَذَابِ) في الدُّنيا والعُقبى.

قولُهُ: (بَينَ الرُّسلِ) أو بإنجاءِ المحقِّ وتعذيبِ المبطِلِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٦٤).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٢٢٢٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢١٧) (٧٨٧١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٥٩): مداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف.

٧٩ ـ ٨٠ ـ ٨١ ـ ﴿اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأنعامَ﴾، قيل: الإبلُ خاصّةً هنا. والظاهر: والبقرُ والغنمُ، ﴿لِتَركَبُوا مِنها ـ ومِنها تأكُلُونَ، ولكُم فِيها مَنافِعُ﴾ من الدَّرّ والنسل والوبر والصوف ـ ﴿ولِتَبلُغُوا علَيها حاجةً في صُدُورِكُم﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ـ ﴿وعلَيها﴾ في البرّ ﴿وعلَى الفُلكِ﴾: السفن في البحر ﴿تُحمَلُونَ ـ ويُرِيكُم آياتِهِ. فأيَّ آياتِ اللهِ﴾ الدالّةِ على وحدانيّته ﴿تُنكِرُونَ﴾؟ استفهام توبيخ. وتذكير «أيّ» أشهرُ من تأنيثه.

٨٢ ـ ٨٣ ـ ﴿أفلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ كانُوا أكثَرَ مِنهُم وأشَدَّ قُوّةً، وآثارًا في الأرضِ﴾ من مصانعَ وقصور، ﴿فما أغنَى عَنهُم ما كانُوا يَكسِبُونَ. فلَمّا جاءَتْهُم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾: المُعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكُفّارُ ﴿بِما عِندَهُم﴾ أي: الرسلِ ﴿مِنَ العِلمِ﴾ فَرَحَ استهزاء وضحك منكرين له، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ أي: العذابُ، ٨٤ ـ ٨٥ ـ ﴿فلَمّا رأَوا بأسَنا﴾ أي: شِدّة عذابنا ﴿قالُوا: آمَنّا بِاللهِ وَحدَهُ وكَفَرْنا بِما كُنّا بِهِ مُشرِكِينَ. فلَم يَكُ يَنفَعُهُم إيمانُهُم لَمّا رأَوا بأسَنا، سُنّةَ اللهِ﴾ ـ نصبُه على المصدر بفعل مقدَّر من لفظه ـ ﴿الَّتِي قَد خَلَتْ في عِبادِهِ﴾ في الأُمم، ألاّ ينفعَهم الإيمان وقت نزول العذاب، ﴿وخَسِرَ هُنالِكَ الكافِرُونَ﴾: تَبيّنَ خُسرانُهم لكُلّ أحد، وهم خاسرون في كُلّ وقت قبل ذلك.

قولُهُ: (هُنَا) لأنَّها هي: الجامعَةُ للأوصافِ المذكورةِ من الرُّكوبِ والأكلِ والمنافعِ والبلوغِ والحملِ، وهذا هو الظَّاهرُ، وعلى تقديرِ إرادةِ جنسِ الأنعامِ الشَّاملِ للإبلِ والبقرِ والغنمِ لا بدَّ من تأويلٍ بأن يُقالَ: فإنَّ من جِنسِها ما يُؤكَلُ كالغنمِ والبقرِ، ومنها ما يُركَبُ ويبلِّغُ ويَحملُ كالإبلِ، فتأمَّل ليظهرَ لك ظهوراً كاملاً.

قولُهُ: (والصُّوفِ) والشَّعرِ والجلدِ.

قولُهُ: (السُّفُنِ) إنَّما لم يقُل: في الفُلكِ؛ للمُزاوجةِ.

قولُهُ: (وقُصُورٍ) ونحوِها.

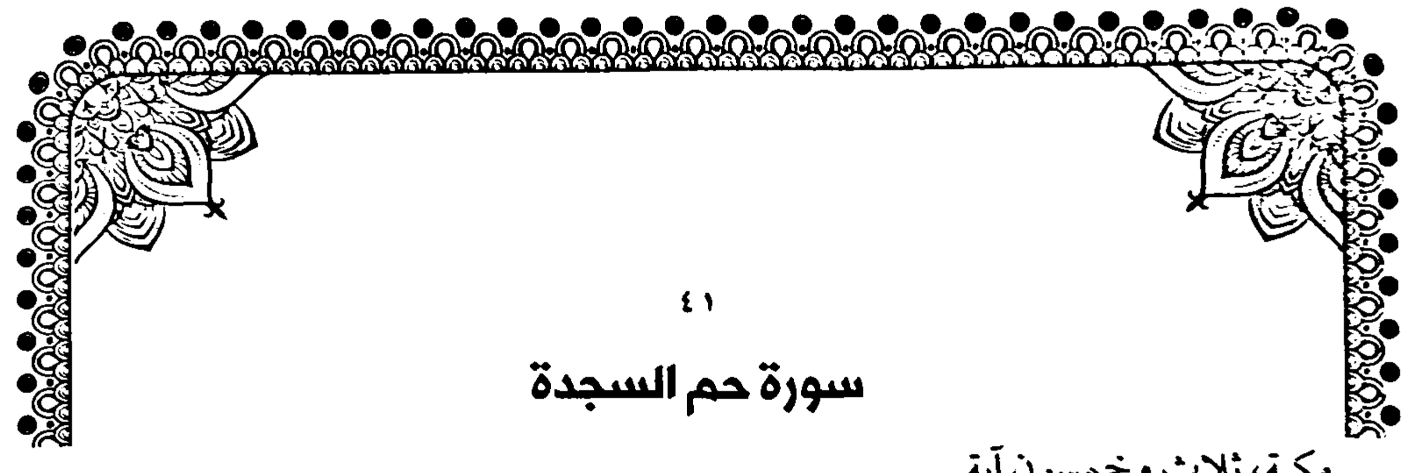
قولُهُ: (المُعجِزَاتِ) أو الآياتِ الواضِحاتِ.

قولُهُ: (أي: العَذَابُ) وهو جزاءُ جهلِهم واستهزائِهم.

قولُهُ: (مِنْ لَفْظِهِ) أي: سنَّ اللهُ ذلك سنَّةً ماضيةً في العبادِ، وهي من المصادرِ المؤكِّدةِ.

قولُهُ: (قَبلَ ذَلِكَ) الوقتِ، وهو وقتُ رؤيتِهمُ البأسَ، اسمُ مكانٍ استُعيرَ للزَّمانِ، واللهُ أعلمُ.

* * *



٤١

سورة حم السجدة

مكية، ثلاث وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ﴾: مبتدأٌ ٣ ـ ﴿كِتابٌ﴾: خبرُه، ﴿فُصِّلَتْ آياتُهُ﴾: بُيِّنتْ بالأحكام والقِصص والمواعظ ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾: حالٌ من «كتاب» بصفته ﴿لِقَومٍ﴾: مُتعلّق بـ «فصّلت» ﴿يَعلَمُونَ﴾: يفهمون ذلك ـ وهم العرب ـ ٤ ـ ﴿بَشِيرًا﴾ صفةُ «قُرآنًا» ﴿ونَذِيرًا، فأعرَضَ أكثَرُهُم فهُم لا يَسمَعُونَ﴾ سماعَ قَبول،.......................................

سُورَةُ فُصِّلَتْ[1]

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ) لتخصُّصِهِ بالصِّفةِ، والأظهرُ: أنّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، وكذا ﴿كِتَابٌ﴾ لوقوفِ أربابِ الوقوفِ على ما قبلَهُ.

قولُهُ: (بُيِّنَتْ) أي: بياناً تفصيليًّا.

قولُهُ: (حَالٌ) أو مدحٌ، وفيه امتنانٌ بسهولةِ قراءتِهِ وفهمِهِ.

قولُهُ: (بـ﴿فُصِّلَتْ﴾) أو ﴿تنزيلٌ﴾، والأظهرُ: أنّه صفةٌ أخرى لـ﴿قُرآنًا﴾ لوقوعِهِ بين الصِّفاتِ.

قولُهُ: (ذَلِكَ) أي: العربيّةَ.

قولُهُ: (وهُم العَرَبُ) أي: أصالةً، وغيرُهُم تبعاً، أو لأهلِ العلمِ.

قولُهُ: (صِفَةُ: ﴿قُرآنًا﴾) أي: للعالمينَ المقبلينَ عليه، و﴿نذيراً﴾ للمخالفينَ المعرضينَ عنهُ.

قولُهُ: (سَمَاعَ قَبُولٍ) أو: فضلاً عن القبولِ[2].

---

(١) في الأصل: شطب على «فصلت» وكتب في الهامش «السجدة» وصحح عليها. وهي كذلك في المطبوع من الجلالين.

(٢) لعله يريد: أن السماع على بابه دون تأويل بالقبول أو غيره، ويكون المعنى: فهم لا يسمعون فكيف يقبلون؟ أو: إذا كانوا =

٥ ـ ﴿وقالُوا﴾ للنبيِّ: ﴿قُلُوبُنا في أكِنَّةٍ﴾: أغطية ﴿مِمّا تَدعُونا إلَيهِ، وفي آذانِنا وَقْرٌ﴾: ثِقلٌ، ﴿ومِن بَينِنا وبَينِكَ حِجابٌ﴾: خِلافٌ في الدِّين. ﴿فاعمَلْ﴾ على دِينك. ﴿إنَّنا عامِلُونَ﴾ على دِيننا.

٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ﴿قُلْ: إنَّما أنا بَشَرٌ مِثلُكُم، يُوحَى إلَيَّ أنَّما إلـٰهُكُم إلـٰهٌ واحِدٌ. فاستَقِيمُوا إلَيهِ﴾ بالإيمان والطاعة، ﴿واستَغفِرُوهُ. ووَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب ﴿لِلمُشرِكِينَ الَّذِينَ لا يُؤتُونَ الزَّكاةَ، وهُم بِالآخِرةِ هُم﴾: تأكيد ﴿كافِرُونَ. إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ﴾: مقطوع.

٩ ـ ﴿قُلْ: أإنَّكُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزة الثانية وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بينها بوجهيها وبين الأُولى ـ ﴿لَتكفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأرضَ في يَومَينِ﴾ الأحد والاثنين، ﴿وتَجعَلُونَ لَهُ أندادًا﴾: شُركاءَ؟ ﴿ذلِكَ رَبُّ﴾: مالكُ ﴿العالَمِينَ﴾: جمعُ عالَم. وهو ما سِوى الله. وجُمع لاختلاف أنواعه بالياء والنون تغليبًا للعُقلاء. ١٠ ـ ﴿وجَعَلَ﴾: مُستأنفٌ ولا يجوز عطفه على صلة «الذي» للفاصل الأجنبيّ، ﴿فِيها رَواسِيَ﴾: جِبالاً ثوابتَ ﴿مِن فَوقِها، وبارَكَ فِيها﴾...........

قولُهُ: (أَغْطِيَةٌ) جمعُ: كنانٍ كغطاءٍ.

قولُهُ: (ثِقلٌ) أي: صممٌ، وأصلُهُ: الثِّقْلُ.

قولُهُ: (خِلافٌ) والظَّاهرُ: ما يمنعُنا من التَّواصلِ.

قولُهُ: (والطَّاعَةِ) أي: استَووا أو استَقيموا في أفعالِكُم متوجِّهينَ إليه.

قولُهُ: (مَقطُوعٍ) أبديٌّ، قيلَ: نزلَت في المرضَى والهرمى إذا عَجِزوا عن الطَّاعةِ كُتِبَ لهم الأجرُ كأصحِّ ما كانوا يعمَلونَ.

قولُهُ: (بتَحْقِيقٍ) تقدَّمَ مثلُهُ[1].

قولُهُ: (الأَحدِ والإِثنَينِ) أي: في مقدارِ يومينِ يسمَّيانِ بهِما، وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ الله ابتدَأ خلقَ العالمِ في يومِ الأحدِ[2].

قولُهُ: (الأَجنَبِيِّ) أي: للفصلِ بما هو خارجٌ عن الصِّلةِ، وهو قولُهُ تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا﴾؛ لأنَّه معطوفٌ على: ﴿تكفرونَ﴾.

يعرضون عن السماع فمن باب أولى أن يعرضوا عن القبول.

(١) في الآية رقم: (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) وفي ذلك حديث رواه الطبري في «جامع البيان» (٢٢/ ٣٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٩٧)، والمقدسي في «المختارة» (٣٢١). وصححه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: أبو سعيد البقال قال ابن معين: لا يكتب حديثه.

بكثرة المياه والزروع والضروع، ﴿وَقَدَّرَ﴾: قسَّم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِي﴾ تمام ﴿أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾، أي: الجَعلُ وما ذُكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء، ﴿سَوَاءً﴾: منصوب على المصدر، أي: استَوتِ الأربعة استواءً لا يزيد ولا ينقص. ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

١١ ـ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾: قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ، وَهِيَ دُخَانٌ﴾: بُخار مُرتفع،.......................

قولُهُ: (والضُّروعِ) وسائرِ النَّباتاتِ والحيواناتِ.

قولُهُ: (قسَّمَ) وقُرئَ به[1].

قولُهُ: (للنَّاسِ) أي: أقواتَ أهلِها بأن عيَّنَ لكلِّ نوعٍ ما يصلحُهُ ويعيشُ به.

قولُهُ: (تَمَامِ) الأظهرُ: تتمَّةِ، كقولِكَ: سِرتُ من البَصرةِ إلى بغدادَ في عشرٍ، وإلى الكوفةِ في خمسَ عشرةَ، ولعلَّهُ لم يقُلْ: «في يومينِ»؛ للإشعارِ باتِّصالِهما لليومينِ الأوَّلينِ، والتَّصريحِ على الفذلكةِ[2].

قولُهُ: (أي: استَوَت) والجملةُ صفةُ ﴿أَيَّامٍ﴾.

قولُهُ: (عَن خَلقِ الأَرضِ) أي: هذا الحصرُ للسَّائلينَ.

قولُهُ: (قَصدَ) هو مجازٌ عن إيجادِ اللهِ تعالى على ما أرادَ.

قولُهُ: (بُخَارٌ مُرتَفِعٌ) قالَ المفسِّرونَ: هذا الدُّخانُ بخارُ الماءِ، وذلك أنَّ عرشَ الرَّحمنِ كانَ على الماءِ قبلَ خلقِ السَّماواتِ والأرضِ، ثمَّ أحدثَ اللهُ في ذلك الماءِ اضطراباً فأزبدَ وارتفعَ وخرجَ منه دخانٌ، فأمَّا الزَّبدُ فبَقِي على وجهِ الماءِ، وأحدثَ منه الأرضَ، وأمَّا الدُّخانُ فارتفعَ وعلا فخلقَ منه السَّماواتِ.

---

(١) نسبها ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٩) إلى ابن مسعود رضي الله عنه: (وَقَسَّمَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا).

(٢) قوله: «فذلكة» الفذلكة في الحساب: إجماله بعد التفصيل، وذلك بأن تذكر أولاً تفاصيله، ثم تجمل تلك التفاصيل، وتكتب في مؤخَّر الحساب: فذلك كذا وكذا. انظر: «حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و٣٣٥ب). وقوله: «والتصريح على الفذلكة» عبارة البيضاوي، وقال الشهاب: عدى (أي: البيضاوي) التصريح بـ«على» لأنه بمعنى التنصيص. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ٣٩٠).

ومعنى الكلام: أن قوله: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ ليس قيداً لـ﴿قَدَّرَ﴾ فقط ـ حتى يكون تقدير الأقوات في أربعة أيام غير يومي تقدير الأرض ـ بل هو قيد لمجموع خلق الأرض وتقدير الأقوات: يومان لخلق الأرض ويومان لتقدير الأقوات، والمجموع أربعة أيام، فقوله: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ فذلكة تلك الأيام. انظر: «حاشية ابن التمجيد على البيضاوي» (١٧/ ١٢٧).

وعبارة الزمخشري: ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً﴾ فَذْلَكَةٌ لِمُدَّةِ خلق الأرضِ وما فيها؛ كأنّه قال: كلُّ ذلك في أربعةِ أيَّامٍ كامِلةٍ مُستَوِيَةٍ بلا زيادةٍ ولا نُقصَانٍ. انظر: «الكشاف» (٤/ ١٨٨).

﴿فقالَ لَها ولِلأرضِ: ائتِيا﴾ إلى مُرادي منكما ﴿طَوعًا أو كَرهًا﴾: في موضع الحال، أي: طائعتَينِ أو مُكرَهتَينِ. ﴿قالَتا: أتَينا﴾ بمَن فينا ﴿طائِعِينَ﴾. فيه تغليب المُذكّر العاقل، أو نُزّلتا لخِطابهما منزلتَه.
١٢ - ﴿فقَضاهُنَّ﴾ - الضمير يرجع إلى السماء لأنها في معنى الجمعِ الآيلةِ إليه - أي: صيَّرها ﴿سَبعَ سَماواتٍ في يَومَينِ﴾ الخميس والجمعة، فرغ منها في آخر ساعة منه، وفيها خلقَ آدم - ولذلك لم يقل هنا «سواء». ووافق ما هنا آياتِ خلق السماوات والأرض في ستّة أيام - ﴿وأوحَى في كُلِّ سَماءٍ أمرَها﴾ الذي أمر به مَن فيها مِن الطاعة والعبادة، ﴿وزَيَّنَّا السَّماءَ الدُّنيا بِمَصابِيحَ﴾: بنجوم ﴿وحِفظًا﴾: منصوبٌ بفعله المقدَّر، أي: حفظناها من استراق الشياطين السمعَ بالشُّهب. ﴿ذلِكَ تَقدِيرُ العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿العَلِيمِ﴾ بخلقه.
١٣ - ﴿فإن أعرَضُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فقُلْ: أنذَرتُكُم﴾: خوَّفتكم ﴿صاعِقةً مِثلَ صاعِقةِ عادٍ وثَمُودَ﴾ أي: عذابًا يُهلككم مِثل الذي أهلكهم، ....

قولُهُ: (إلى مُرادِي) وهو الوجودُ، على أنَّ الخلقَ السَّابقَ بمعنى التَّقديرِ، والتَّرتيبُ[1] للرُّتبةِ أو الإخبارِ.

قولُهُ: (في مَوضِعِ الحَالِ) وهما مَصدرانِ.

قولُهُ: (أي: طَائِعَينِ) يعني: شِئتُما ذلك أو أبيْتُما، والمرادُ: إظهارُ كمالِ قدرتِهِ، ووجوبِ وقوعِ مرادِهِ، لا إثباتُ الطَّوعِ والكرهِ لهما.

قولُهُ: (بمَنْ فِينَا) فيه: أنَّهُ إذ ذاكَ ما خلقَ مَن فيهما، إلَّا أن يقدَّرَ التَّقديرُ، ومعنى ﴿طَائِعِينَ﴾: منقادينَ بالذَّاتِ.

قولُهُ: (أو نُزِّلتَا) وهو المعتمَدُ، وإنَّما جُمِعَ على المعنى لأنَّها سماواتٌ وأرضونَ، ولمَّا جعلنَ مخاطباتٍ ومجيباتٍ، ووصفنَ بالطَّوعِ والكرهِ، قيلَ: ﴿طَائِعِينَ﴾ موضعَ: طائعاتٍ، نحو قولِهِ تعالى: ﴿سَاجِدِينَ﴾ في يوسفَ [٤].

قولُهُ: (يَرجِعُ) أو مبهمٌ، و﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ مفعولٌ ثانٍ على الأوَّلِ، وتمييزٌ على الثَّاني.

قولُهُ: (أي: صَيَّرَها) أو: خلقَهُنَّ خلقاً إبداعيًّا، وأتقنَ أمرَهُنَّ، فيكونُ ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ حالاً.

قولُهُ: (والجُمعَةِ) قيل: خلقَ السَّماواتِ يومَ الخميسِ، والشَّمسَ والقمرَ والنُّجومَ والملائكةَ يومَ الجمعةِ.

قولُهُ: (عَنِ استِرَاقِ) أو: من الآفَاتِ.

قولُهُ: (أي: عَذَاباً) شديدَ الوقعِ كأنَّهُ صاعقةٌ.

---

(١) في بعض نسخ البيضاوي: «أو الترتيب»، وانظر شرح ذلك على الوجهين في «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ٣٩١)، و«حاشية ابن التمجيد» و«حاشية القونوي» كلاهما على البيضاوي (١٧/ ١٣١).

١٤ ـ ﴿إذ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَينِ أيدِيهِم ومِن خَلفِهِم﴾ أي: مُقبلين عليهم ومُدبرين عنهم، فكفروا كما سيأتي ـ والإهلاكُ في زمنه فقط ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿لا تَعبُدُوا إلاّ اللهَ. قالُوا: لَو شاءَ رَبُّنا لَأنزَلَ مَلائكةً. فإنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ﴾على زعمكم ﴿كافِرُونَ﴾.

١٥ ـ ١٦ ـ ﴿فأمّا عادٌ فاستكبَرُوا في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، وقالُوا﴾ لمّا خوِّفوا بالعذاب: ﴿مَن أشَدُّ مِنّا قُوّةً﴾؟ أي: لا أحدَ. كان واحدهم يقلع الصخرة العظيمة من الجبل، يجعلها حيث يشاء. ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا ﴿أنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُم هُوَ أشَدُّ مِنهُم قُوّةً؟ وكانُوا بِآياتِنا﴾ المُعجزات ﴿يَجحَدُونَ، فأرسَلْنا علَيهِم رِيحًا صَرصَرًا﴾: باردة شديدة الصوت بلا مطر ﴿في أيّامٍ نَحِساتٍ﴾، بكسر الحاء وسكونها: مشؤوماتٍ عليهم،

وقولُهُ تعالى: (﴿إِذْ جَاءَتْهُم﴾) حالٌ من: ﴿صَاعِقَةِ عَادٍ﴾، ولا يجوزُ جعلُهُ صفةً لـ﴿صَاعِقَة﴾، أو ظرفاً لـ﴿أَنْذَرْتُكُمْ﴾ لفسادِ المعنى، كذا قالَهُ القاضي[1]، وجوَّزَهُما أبو البقاءِ[2] فكأنَّهُ غفلَ عن المعنى.

قولُهُ: (ومُدبِرِيْنَ) لا يصحُّ هذا إلَّا إذا جُعِلَ الحالُ من الكفَّارِ، والأظهرُ: أنَّهم أتَوْهُم من جميعِ جوانبِهِم واجتَهَدوا بهم من كلِّ جهةٍ.

أو: مِن جهةِ الزَّمنِ الماضي بالإنذارِ عمَّا جرى فيه على الكفَّارِ، ومن جهةِ المستقبلِ بالتَّحذيرِ عمَّا أعدَّ لهم في الآخرةِ من عذابِ النَّارِ، وكلٌّ من اللَّفظينِ يحتملُهُما.

قولُهُ: (فِي زَمَنِهِ ﷺ فَقَط) أي: لا فيما بعدَهُ من الأزمنَةِ.

قولُهُ: (أي: بِأَنْ) أو: أي.

قولُهُ: (يَقْلَعُ) بيدِهِ.

قولُهُ: (المُعجِزَاتِ) عطفٌ[3] على: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾.

قولُهُ: (شَدِيدَةَ الصَّوتِ) جمعٌ بين القولينِ، قالَ القاضي: باردةٌ تُهلِكُ بشدَّةِ بردِها، من الصِّرِّ وهو البردُ، أو: شديدةَ الصَّوتِ في هُبوبِها، من الصَّريرِ[4].

قولُهُ: (بِكَسرِ الحَاءِ) شاميٌّ وكوفيٌّ[5].

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٦٨).

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١١٢٤).

(٣) قوله تعالى: ﴿وكانوا بآياتنا﴾ هو المعطوف، فكان الأولى بالمصنف ذكرها بدلًا من كلمة: «المعجزات».

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٦٩).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٧٦)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٣).

﴿لِنُذِيقَهُم عَذابَ الخِزْيِ﴾: الذلّ ﴿في الحَياةِ الدُّنيا ـ ولَعَذابُ الآخِرةِ أخزَى﴾: أشدُّ، ﴿وهُم لا يُنصَرُونَ﴾ بمنعه عنهم ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿وأمّا ثَمُودُ فهَدَيناهُم﴾: بيّنّا لهم طريقَ الهُدى، ﴿فاستَحَبُّوا العَمَى﴾: اختاروا الكُفر ﴿علَى الهُدَى، فأخَذَتْهُم صاعِقةُ العَذابِ الهُونِ﴾: المُهين ﴿بِما كانُوا يَكسِبُونَ، ونَجَّينا﴾ منها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وكانُوا يَتَّقُونَ﴾ اللهَ.

١٩ ـ ﴿و﴾ اذكر ﴿يَومَ يُحشَرُ﴾ ـ بالياءِ، والنونِ المفتوحة وضمِّ الشين وفتحِ الهمزة ـ ﴿أعداءُ اللهِ إلَى النّارِ، فهُم يُوزَعُونَ﴾: يُساقون. ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿حَتَّى إذا ما﴾: زائدةٌ ﴿جاؤُوها شَهِدَ علَيهِم سَمعُهُم وأبصارُهُم وجُلُودُهُم بِما كانُوا يَعمَلُونَ، وقالُوا لِجُلُودِهِم: لِمَ شَهِدتُم علَينا؟ قالُوا: أنطَقَنا اللهُ الَّذِي أنطَقَ كُلَّ شَيءٍ﴾ أي: أراد نُطقَه.

﴿وهُوَ خَلَقَكُم أوَّلَ مَرّةٍ وإلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ ـ قيل: هو من كلام الجلود. وقيل: هو من كلام الله ـ تعالى ـ كالذي بعده. وموقعه تقريبُ ما قبله بأنّ القادرَ على إنشائكم ابتداءً وإعادتكم بعد الموت أحياءً قادرٌ على إنطاق جُلودكم وأعضائكم ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ﴿وما كُنتُم تَستَتِرُونَ﴾ عند ارتكابكم الفواحش من......

قولُهُ: (الذُّلّ) والإضافةُ لقصدِ الوصفِ.

قولُهُ: (أَشَدُّ) أي: خزياً، وهو في الأصلِ صفةُ المعذَّبِ، وإنّما وُصِفَ به العذابُ على الإسنادِ المجازيِّ للمبالغةِ.

قولُهُ: (الكُفرَ) الأنسبُ: الضَّلالةَ.

قولُهُ: (المُهِينِ) وإضافتُها إلى العذابِ ووصفُهُ بالهونِ للمبالغةِ.

قولُهُ: (بالياءِ) أي: المضمومةِ وفتحِ الشِّينِ ورفعِ ﴿أعداءُ﴾.

قولُهُ: (وفَتحِ الهَمزَةِ) أي: نصب (أعداءَ) نافعٌ[1].

قولُهُ: (يُسَاقُونَ) بأن يُحبَسَ أوَّلُهُم على آخرِهِم لئلّا يتفرَّقوا، وهي عبارةٌ عن كثرةِ أهلِ النّارِ.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) لتأكيدِ اتِّصالِ الشَّهادةِ بالحضورِ.

قولُهُ: (قِيلَ: هُوَ) فيه لطافةٌ.

قولُهُ: (ومَوقِعُهُ) أي: كلامِ اللهِ.

قولُهُ: (عِندَ ارتِكَابِكُم) أي: كنتُم تستتِرونَ عنِ النّاسِ عند ارتكابِ الفواحشِ مخافةَ الفضيحةِ، وما ظننتُم أنَّ أعضاءَكُم تشهدُ عليكُم فما استَترْتُم عنها.

---

(١) انظر المصدرين السابقين.

﴿أن يَشهَدَ علَيكُم سَمعُكُم ولا أبصارُكُم ولا جُلودُكُم﴾ لأنكم لم تُوقنوا بالبعث، ﴿ولكِن ظَنَنتُم﴾ عند استتاركم ﴿أنَّ اللهَ لا يَعلَمُ كَثِيرًا مِمّا تَعمَلُونَ، وذلِكُم﴾: مبتدأ ﴿ظَنُّكُمُ﴾: بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُم﴾: نعت البدلِ، والخبرُ: ﴿أرداكُم﴾ أي: أهلككم، ﴿فأصبَحتُم مِنَ الخاسِرِينَ﴾.

٢٤ ـ ﴿فإن يَصبِرُوا﴾ على العذاب ﴿فالنّارُ مَثوًى﴾: منزلٌ ﴿لَهُم، وإن يَستَعتِبُوا﴾: يطلبوا العُتبى أي الرضا ﴿فما هُم مِنَ المُعتَبِينَ﴾: المَرضِيِّينَ، ٢٥ ـ ﴿وقَيَّضنا﴾: سبّبنا ﴿لَهُم قُرَناءَ﴾ من الشياطين، ﴿فزَيَّنُوا لَهُم ما بَينَ أيدِيهِم﴾ من أمر الدنيا واتّباع الشهوات ﴿وما خَلفَهُم﴾ من أمر الآخرة بقولهم: لا بعثَ ولا حِساب، ﴿وحَقَّ علَيهِمِ القَولُ﴾ بالعذاب ـ وهو «لَأملأنَّ جَهَنَّمَ» الآيَةَ ـ ﴿في﴾ جُملةِ ﴿أُمَمٍ قَد خَلَتْ﴾: هلَكت ﴿مِن قَبلِهِم مِنَ الجِنِّ والإنسِ. إنَّهُم كانُوا خاسِرِينَ﴾.

٢٦ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عِند قِراءة النبيّ ﷺ: ﴿لا تَسمَعُوا لِهذا القُرآنِ، والغَوا فِيهِ﴾: ائتوا باللّغَط ونحوه، وصيحوا في زمن قراءته، ﴿لَعَلَّكُم تَغلِبُونَ﴾ فيسكت عن القِراءة. قال تعالى فيهم:.....

قوله: (عِندَ استِتارِكُم) عن النَّاسِ، والأظهرُ: عندَ ارتكابِكُمُ الفواحشَ.

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ) إشارةٌ إلى ظنِّهم هذا.

قولُهُ: (بَدَلٌ) والأظهرُ: أنّه خبرٌ أوّل، و﴿أَردَاكُم﴾ ثانٍ.

قولُهُ: (مَنزِلٌ) لا مَحيصَ لهم عنها.

قولُهُ: (أي: الرِّضَا) والعُتبى: الرُّجوعُ إلى ما يحبُّونَ ويرضونَ.

قولُهُ: (المَرضيِّينَ) أي: المجابينَ إلى العُتبى.

قولُهُ: (سَبَّبْنَا) والأظهرُ: قَدَّرنا للكفرةِ إخوانًا من الشَّياطينِ يَستولونَ عليهم استيلاءَ القيضِ على البيضِ وهو القشرُ.

قولُهُ: (جُملَةِ) حالٌ من الضَّميرِ المجرورِ.

قولُهُ: (هَلَكَتْ) الظَّاهرُ: مضَتْ.

قولُهُ: (باللَّغطِ) بالسُّكونِ ويُحرَّكُ: الصَّوتُ، أو أصواتٌ مبهمةٌ غيرُ مفهومةٍ.

قولُهُ: (ونَحوُهُ) بالرَّفعِ.

قولُهُ: (صِيحُوا) لتشوِّشوهُ على القارئِ، أو المعنى: عارِضُوهُ بالأباطيلِ.

قولُهُ: (فَيَسكُتُ) أو تغلبونَ بلغوِكُم على قراءتِهِ فلا تُفهَمُ.

قولُهُ: (فِيهِم) أو في عامَّةِ الكفَّارِ.

٢٧ ـ ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا، وَلَنَجزِيَنَّهُم أسوَأَ الَّذِي كانُوا يَعمَلُونَ﴾ أي: أقبحَ جزاءِ عملهم.

٢٨ ـ ﴿ذلِكَ﴾ العذاب الشديد وأسوأ الجزاء ﴿جَزاءُ أعداءِ اللهِ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزة الثانية وإبدالِها واوًا ـ ﴿النّارُ﴾: عطفُ بيان لِـ «جزاء» المُخبرِ به عن «ذلك»، ﴿لَهُم فِيها دارُ الخُلدِ﴾ أي: إقامةٍ لا انتقال منها ﴿جَزاءً﴾: منصوبٌ على المصدر بفعله المُقدّر، ﴿بِما كانُوا بِآياتِنا﴾: القُرآن ﴿يَجحَدُونَ﴾.

٢٩ ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار: ﴿رَبَّنا، أرِنا اللَّذَينِ أضَلّانا مِنَ الجِنِّ والإنسِ﴾ أي: إبليسَ وقابيلَ، سَنّا الكُفر والقتل، ﴿نَجعَلْهُما تَحتَ أقدامِنا﴾ في النار ﴿لِيَكُونا مِنَ الأسفَلِينَ﴾ أي: أشدَّ عذابًا منّا.

٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ قالُوا: رَبُّنا اللهُ. ثُمَّ استَقامُوا﴾ على التوحيد وغيره ممّا وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيهِمِ المَلائكةُ﴾........................

قولُهُ: (أي: أَقبَحَ) يعني: جزاءَ أعمالِهم الَّتي أقبحُ من كلِّ قبيحةٍ.

قولُهُ: (وأَسوَأُ الجَزَاءِ) فالإفرادُ[1] باعتبارِ المذكورِ.

قولُهُ: (وإِبدَالِهَا) الحرميَّانِ والبصريُّ[2].

قولُهُ: (إِقَامَةٌ) بالرَّفعِ، فإنَّها دارُ إقامتِهم، وهو كقولك: في هذهِ الدَّارِ دارُ سرورٍ، يعني بالدَّارِ: عينَها على أنَّ المقصودَ هو الصِّفةُ.

قولُهُ: (بِفعلِهِ المُقَدَّرِ) أي: جُوزوا، أو: يُجزَونَ.

قولُهُ: (أي: إِبلِيسَ) قالَهُ عليٌّ، كذا في «المبهماتِ»[3]، وقيل: يعني: شيطانَي النَّوعينِ الحاملينِ على الضَّلالةِ والعصيانِ.

قولُهُ: (في النَّارِ) بأن ندوسَهُما انتقاماً منهُما، وقيل: نجعلُهُما في الدَّركِ.

قولُهُ: (أي: أَشَدَّ) أو: مَكاناً أو ذُلّاً[4].

قولُه: (وغَيرِه) وما رويَ عن الخُلفاءِ في معنى الاستقامَةِ ـ من الثَّباتِ على الإيمانِ والأمرِ والنَّهي وإخلاصِ

---

(١) في اسم الإشارة في قوله تعالى: ﴿ذلك﴾.

(٢) انظر: «المكرر في ما تواتر من القراءات السبع وتحرر» (ص: ٣٦٧).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٩٥) وعزاه لابن أبي حاتم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، اهـ.

ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٧٠٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٧٧٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٤٧) وصححه، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٩/ ٤٧).

(٤) أي: من الأسفلين مكاناً أو ذلّا.

عِند الموت ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لا تَخافُوا﴾ من الموت وما بعده ﴿ولا تَحزَنُوا﴾ على ما خلّفتم من أهل وولد، فنحن نخلفكم فيهم، ﴿وأبشِرُوا بِالجَنّةِ الَّتِي كُنتُم تُوعَدُونَ. نَحنُ أَولِياؤُكُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾ أي: نحفظُكم فيها ﴿وفي الآخِرةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتّى تدخلوا الجنّة، ﴿ولَكُم فِيها ما تَشتَهِي أنفُسُكُم، ولَكُم فِيها ما تَدَّعُونَ﴾: تطلبون، ٣٢ ـ ﴿نُزُلاً﴾: رِزقًا مُهيّأً، منصوبٌ بـ «جُعِلَ» مُقدّرًا ﴿مِن غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ أي: اللهِ.

٣٣ ـ ٣٤ ـ ﴿ومَن أحسَنُ﴾ أي: لا أحد أحسن ﴿قَولاً مِمَّن دَعا إِلَى اللهِ﴾ بالتوحيد ﴿وعَمِلَ صالِحًا، وقالَ: إنَّنِي مِنَ المُسلِمِينَ؟ ولا تَستَوِي الحَسَنةُ ولا السَّيِّئةُ﴾........................

العملِ وأداءِ الفرائضِ[١] ـ فجُزْئيَّاتها.

قولُهُ: (عِندَ المَوتِ) أو الخروجِ عن القبرِ.

قولُهُ: (بِأَنْ) فـ﴿أَنْ﴾ مصدريَّةٌ، أو مخفَّفةٌ من المثقَّلةِ مقدَّرةٌ بـ(أنَّه)، أو مفسِّرةٌ.

قولُهُ: (فَنَحنُ) أو: وما عندَ اللهِ خيرٌ وأبقى.

قولُهُ: (أي: حَفَظتُكُمْ) وحملتُكم على الخيرِ.

قولُهُ: (أي: نكُونُ) أو: بالشَّفاعةِ.

قولُهُ: (تَطلُبُونَ) قالَ القاضي: وهو أعمُّ من الأوَّلِ[٢].

وفيه نظرٌ ظاهرٌ، إلَّا أن يُحمَلَ قوله[٣]: «﴿مَا تَشْتَهِي أَنْفُسكم﴾ من اللَّذائذِ» ـ أي: المستلَذَّاتِ ـ على المأكولاتِ والمشروباتِ.

قولُهُ: (مُهَيأً) من أحسنِ الرِّزقِ، كما يُهيَأ للضَّيفِ النَّازلِ.

قولُهُ: (بـ«جُعِلَ») الأَولى جعلُهُ حالاً مـن ﴿ما تَدَّعُونَ﴾ للإشعارِ بأنَّ ما يتمنَّونَ بالنِّسبةِ إلى ما يُعطونَ ممَّا لا يخطرُ ببالِهم كالنُّزلِ للضَّيفِ.

قولُهُ: (بالتَّوحِيدِ) أي: إلى عبادتِهِ (﴿وعملَ صالحاً﴾) فيما بينَهُ وبينَ ربِّهِ (وقَالَ) تفاخُراً به، والآيةُ عامَّةٌ لمنِ استجمعَ تلك الصِّفاتِ.

---

(١) ذكرها عنهم الزمخشري في «الكشاف» (٨/ ٣٤ ـ ٣٥) طبعة دار اللباب، وفيه تخريجها كاملة.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٧١).

(٣) أي: البيضاوي.

في جزئيّاتهما لأنّ بعضها فوق بعض. ﴿ادفعْ﴾ أي: السيّئةَ ﴿بِالَّتِي﴾ أي: بالخَصلة التي ﴿هِيَ أَحسَنُ﴾، كالغضب بالصبر والجهلِ بالحلم والإساءةِ بالعفو، ﴿فإذا الَّذِي بَينَكَ وبَينَهُ عَداوةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: فيصير عدوُّك كالصديق القريب في محبّته، إذا فعلتَ ذلك. فالذي: مُبتدأ، وكأنّه: الخبر، وإذا: ظرف لمعنى التشبيه.

٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿وما يُلَقّاها﴾ أي: يُؤتَى الخَصلةَ التي هي أحسنُ ﴿إلاّ الَّذِينَ صَبَرُوا، وما يُلَقّاها إلاّ ذُو حَظٍّ﴾: ثوابٍ ﴿عَظِيمٍ. وإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» الزائدة ـ ﴿يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطانِ نَزْغٌ﴾ أي: إن يصرفْك عن الخَصلة وغيرها من الخير..........................

وقيل: نزلَتْ في النبيِّ ﷺ[١]، وقيل: في المؤمنينِ[٢].

قولُهُ: (في جُزئِيَّاتِهِمَا) أو في الجزاءِ وحسنِ العاقبةِ، و﴿لا﴾ مزيدةٌ لتأكيدِ النَّفي.

قولُهُ: (أي: السَّيِّئَةَ) حيثُ اعترضَتْكَ.

قولُهُ: (كالغَضَبِ...) وهي الحسنَةُ، فالمرادُ بالـ﴿أَحْسَنُ﴾ الزَّائدُ مطلقاً، أو بأحسنِ ما يمكنُ، ودفعُها به مِنَ الحسناتِ.

قولُهُ: (ظَرفٌ) والظَّرفُ لِمَا[٣] يتقدَّمُ على العاملِ المعنويِّ، والأظهرُ أنَّ ﴿إِذَا﴾ للمفاجأةِ.

قولُهُ: (الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) والأظهرُ: هي مقابلةُ الإساءَةِ بالإحسانِ.

قولُهُ: (ثَوَابٍ) وهو الجنَّةُ، أو: نصيبٍ من الخيرِ وكمالِ النَّفسِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٣٠) عن السدي وابن زيد. وذكره السمعاني في «تفسيره» (٥/ ٥١)، وابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٢)، عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وذكر النحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٤٢) عن الضحاك قال: هو النبيّ ﷺ وأصحابه ومن اتّبعهم إلى يوم القيامة. وهو من أجمع ما قيل فيها كما قال النحاس.

(٢) كذا في الأصول، وهو محتمل على قول الحسن كما في «تفسير البغوي» (٤/ ١٣٣): هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنني من المسلمين.

وجاء في المصادر: المؤذنين، وروي عن عائشة رضي الله عنها، رواه ابن وهب في «التفسير من جامعه» (١١٨)، والفضل بن دكين في «الصلاة» (١٩١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٤٧)، والنحاس في «إعراب القرآن» (٤/ ٤٢) والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٩٨). ونسبه في «الدر المنثور» (٧/ ٣٢٥) لابن المنذر وابن مردويه. ولفظه عند بعضهم: «مَا أَحسبُ هذه الآيَةَ إلا في المؤذِّنين» وعند بعض: «إنّي لأرى هذِه الآية نزلت في المؤذِّنين»، وعند آخرين: «ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذِّنين».

(٣) كذا في النسخ، ولعل الصواب: «لا».

صارفٌ ﴿فاستَعِذْ بِاللهِ﴾: جوابُ الشرط، وجوابُ الأمر محذوفٌ، أي: يدفعه عنك. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿العَلِيمُ﴾ بالفِعل.

٣٧ ـ ٣٨ ـ ﴿ومِن آياتِهِ اللَّيلُ والنَّهارُ والشَّمسُ والقَمَرُ ـ لا تَسجُدُوا لِلشَّمسِ ولا لِلقَمَرِ، واسجُدُوا الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآياتِ الأربعَ، ﴿إن كُنتُم إيّاهُ تَعبُدُونَ. فإنِ استكبَرُوا﴾ عن السُّجود لله وحده، ﴿فالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي: فالملائكةُ ﴿يُسَبِّحُونَ﴾: يُصلّون ﴿لَهُ بِاللَّيلِ والنَّهارِ، وهُم لا يَسأَمُونَ﴾: لا يَملّون ـ ٣٩ ـ ﴿ومِن آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأرضَ خاشِعةً﴾: يابسة لا نبات فيها، ﴿فإذا أنزَلْنا علَيها الماءَ اهتَزَّتْ﴾: تحرّكتْ ﴿ورَبَتْ﴾: انتفختْ وعلتْ. ﴿إنَّ الَّذِي أحياها لَمُحيِي المَوتَى. إنَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

٤٠ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يُلحِدُونَ﴾ ـ مِن: ألحَدَ ولَحَدَ ـ ﴿في آياتِنا﴾: القُرآنِ بالتكذيب ﴿لا يَخفَونَ علَينا﴾ فنُجازيهم. ﴿أفمَن يُلقَى في النّارِ خَيرٌ أم مَن يأتِي آمِنًا يَومَ القِيامةِ؟ اعمَلُوا ما شِئتُم. إنَّهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديدٌ لهم..

قولُهُ: (صَارِفٌ) صادرٌ منه.

قولُهُ: (وجَوَابُ الأَمرِ) ليسَ لازمَ الجوابِ.

قولُهُ: (يُصَلُّونَ) عمومُ التَّسبيحِ أتمُّ.

قولُهُ: (لا يَمَلُّونَ) عن العبادةِ، وهو محلُّ السَّجدةِ عندنا[1]؛ لأنَّهُ تمامُ المعنى، وعندَ الشَّافعيِّ: الآيةُ السَّابقةُ لاقترانِ الأمرِ به[2]، ورُجِّحَ مذهبنا بأنَّهُ الأحوطُ.

قولُهُ: (يَابِسَةً) ساكِنةً.

قولُهُ: (انتَفَخَتْ) بالنَّباتِ.

قولُهُ: (ولحدَ) كسمعَ: حمزةُ[3]؛ أي: يميلونَ عنِ الاستقامَةِ.

قولُهُ: (بالتَّكذِيبِ) والطَّعنِ والتَّحريفِ والتَّأويلِ الباطلِ والإلغاءِ.

قولُهُ: (تَهدِيدٌ) أي: اعملوا.

---

(١) انظر: «الهداية» (١/ ٧٨).

(٢) أي عند ﴿تَعبُدُونَ﴾، هكذا ذكر عن الشافعي في كتب الأحناف، أما في كتب المذهب فذكر الوجهان، والأصح عند: ﴿يَسْأَمُونَ﴾. انظر: «المجموع» (٤/ ٦٠).

(٣) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٦٣٦)، و«جامع البيان في القراءات السبع» (٣/ ١١٢٤).

٤١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾: القُرآنِ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ نُجازيهم، ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾: منيع، ٤٢ ـ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس قبله كتاب يُكذّبه ولا بعده، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: اللهِ المحمود في أمره، ٤٣ ـ ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مِثْلُ ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ. إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

٤٤ ـ ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذِّكرَ ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا: لَوْلَا﴾: هلاّ ﴿فُصِّلَتْ﴾: بُيّنتْ ﴿آيَاتُهُ﴾ حتّى نفهمها. ﴿أَ﴾ قُرآنٌ ﴿أَعْجَمِيٌّ وَ﴾ نبيٌّ ﴿عَرَبِيٌّ﴾؟ استفهام إنكار منهم، بتحقيقِ الهمزة الثانية وقلبِها ألفًا، ....

قولُهُ: (نُجَازِيهِم) خبرُ ﴿إِنَّ﴾، وقيلَ: معانِدونَ، أو هالكونَ، أو أولئكَ ينادَونَ.

قولُهُ: (مَنِيعٌ) لا يتأتّى إبطالُهُ وتحريفُهُ، أو كثيرُ النَّفعِ عديمُ النَّظيرِ.

قولُهُ: (أي: لَيسَ قَبْلَهُ) أو: لا يتطرَّقُ إليه الباطلُ من جهةٍ من الجهاتِ، أو: ممَّا فيه من الأخبارِ الماضيةِ والأمورِ الآتيةِ.

قولُهُ: (في أَمرِهِ) أي: في كلِّ فعالِه، أو يحمدُهُ كلُّ مخلوقٍ بما ظهرَ عليهِ من نعمَه.

قولُهُ: (مِنَ التَّكذِيبِ) أي: ما يقولُ لك كفَّارُ قومِكَ إلا مثلَ ما قالَ لهم كفَّارُ قومِهِم، أو: ما يقولُ اللهُ لكَ إلا مثلَ ما قالَ للرُّسلِ.

قولُهُ: (بُيِّنَتْ) بلسانِنا.

قولُهُ: (قُرآنٌ) أو كلامٌ.

قولُهُ: (﴿وَ﴾ نَبيٌّ) أو: قومٌ، أو: مخاطَبٌ، والأعجميُّ يُقالُ للَّذي لا يُفهَمُ كلامُهُ، ولكلامِه.

قولُهُ: (استِفهَامُ إنكَارٍ) أو مقرِّرٌ للتَّحضيضِ.

قولُهُ: (بِتَحقِيقِ) شعبةُ وحمزةُ والكسائيُّ[1].

قولُهُ: (وقَلبِهَا) سقطَ قبلَهُ من العبارةِ: وتَسهيلِها، ولا بدَّ منهُ.

وقولُهُ: (أَلِف)[2] يعني: قبلَ المسهَّلةِ لقالونَ وبصريٍّ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٣)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥١٨).

(٢) قوله: «ألف» الظاهر أنه غير الذي في المتن منصوبا، ولعله سقط أيضا مثل «وتسهيلها» الذي جزم بسقوطه المؤلف، وعليه فيجب أن تكون العبارة في المتن هكذا: «بتحقيق الهمزة الثانية، وتسهيلها وإدخال ألفٍ بينهما، وقلبها... ». وقد لخص ما فيها من قراءات مشهورة صاحب «البدور الزاهرة» (ص: ٢٨٤) بقوله: قرأ قالون وأبو عمرو وأبو جعفر بتحقيق الأولى وتسهيل =

بإشباع ودُونه. ﴿قُلْ: هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وشِفاءٌ﴾ من الجهل، ﴿والَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ في آذانِهِم وَقْرٌ﴾: ثِقل فلا يسمعونه، ﴿وهُوَ علَيهِم عَمًى﴾ فلا يفهمونه. ﴿أُولئِكَ يُنادَونَ مِن مَكانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمُنادَى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم ما يُنادى به.

٤٥ ـ ﴿ولَقَد آتَينا مُوسَى الكِتابَ﴾: التوراة، ﴿فاختُلِفَ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب كالقُرآن. ﴿ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ﴾ بتأخير الحِساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه. ﴿وإنَّهُم﴾ أي: المُكذّبين به ﴿لَفِي شَكٍّ مِنهُ مُرِيبٍ﴾: مُوقع في الريبة.

٤٦ ـ ﴿مَن عَمِلَ صالِحًا فلِنَفسِهِ﴾ عَمِلَ، ﴿ومَن أساءَ فعلَيها﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه، ﴿وما رَبُّكَ بِظَلّامٍ لِلعَبِيدِ﴾ أي: بذي ظُلم لقوله تعالى: «إنَّ اللهَ لا يَظلِمُ مِثقالَ ذَرَّةٍ».

٤٧ ـ ﴿إلَيهِ يُرَدُّ عِلمُ السّاعةِ﴾: متى تكون؟ لا يعلمه غيره، ﴿وما تَخرُجُ مِن ثَمَرةٍ﴾ ـ وفي قراءة:

وقولُهُ: (بإِشبَاعٍ) ضعيف.

وقولُهُ: (ودُونِه) ظاهرُ كلامِهِ: دون الإشباعِ، وهو صحيحٌ، لكن لا يستوعبُ القراءاتِ، فالأظهرُ: دونَ الألفِ؛ يعني: التَّسهيلُ بغيرِ ألفٍ، وهو لمكِّيٍّ وورشٍ في أحدِ وجهَيهِ، وله إبدالُ الثَّانيةِ ألفاً، وهشامٌ أسقطَ الهمزةَ الأولى وحقَّقَ الثَّانيةَ[1].

قولُهُ: (بتَأخِيرِ) أو بتقديرِ الآجالِ.

قولُهُ: (في الدُّنيَا) باستِئصالِ المكذِّبينَ.

قولُهُ: (مُوقِعٍ للرِّيبَةِ) مُوجبٍ للاضطرابِ.

قولُهُ: (عَمِلَ) أو: نفعُهُ.

قولُهُ: (أي: فَضَرَرُ) أي: فضرُّهُ.

قولُهُ: (بِذِي ظُلْمٍ) فالصِّيغةُ للنِّسبةِ، وقيل: للمبالغةِ، أو للمقابلةِ بالعبيدِ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ وحفصٍ[2].

= الثانية مع إدخال ألف بينهما، وابن كثير وابن ذكوان وحفص ورويس بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية من غير إدخال، ولورش وجهان أحدهما كابن كثير والآخر إبدالها حرف مد مع الإشباع للساكنين. وهشام بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية. وروح وشعبة والأخوان وخلف بتحقيق الأولى والثانية من غير إدخال، فالجميع يثبتون الأولى محققة، ما عدا هشاماً فيحذفها كما علمت. اهـ. فتأمل وقارن.

(١) انظر التعليق السابق، وانظر كذلك: «التيسير» (ص: ١٩٣)، و«غيث النفع» (ص: ٥١٨).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٤).

«ثَمَراتٍ» ـ ﴿مِن أكمامِها﴾: أوعِيتِها جمع كِمّ بكسر الكاف إلاّ بعِلمه، ﴿وما تَحمِلُ مِن أُنثَى ولا تَضَعُ إلاّ بِعِلمِهِ. ويَومَ يُنادِيهِم: أينَ شُرَكائي؟ قالُوا: آذَنّاكَ﴾: أعلمناكَ الآن ﴿ما مِنّا مِن شَهِيدٍ﴾ أي: شاهِدٍ بأنّ لك شريكًا. ٤٨ ـ ﴿وضَلَّ﴾: غاب ﴿عَنهُم ما كانُوا يَدعُونَ﴾: يعبدون ﴿مِن قَبلُ﴾ في الدنيا من الأصنام، ﴿وظَنُّوا﴾: أيقنوا ﴿ما لَهُم مِن مَحِيصٍ﴾: مَهرب من العذاب. والنفي في الموضعين مُعلّق عن العمل، وجملة النفي سدّت مسدّ المفعولين.

٤٩ ـ ﴿لا يَسأَمُ الإنسانُ مِن دُعاءِ الخَيرِ﴾ أي: لا يزال يسأل ربَّه المالَ والصحّة وغيرهما، ﴿وإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ﴾: الفقر والشِّدّة ﴿فيَؤُوسٌ قَنُوطٌ﴾ من رحمة الله، وهذا وما بعده في الكافرين، ٥٠ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسمٍ ـ ﴿أذَقْناهُ﴾: آتيناه ﴿رَحْمةً﴾: غنًى وصحّة ﴿مِنّا مِن بَعدِ ضَرّاءَ﴾: شِدّة وبلاء ﴿مَسَّتهُ لَيَقُولَنَّ: هذا لِي﴾ أي: بعَملي، ﴿وما أظُنُّ السّاعةَ قائمةً، ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿رُجِعتُ إلَى رَبِّي، إنَّ لِي عِندَهُ لَلحُسنَى﴾ أي: الجنّةَ ـ ﴿فلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِما عَمِلُوا، ولَنُذِيقَنَّهُم مِن عَذابٍ غَلِيظٍ﴾: شديد. واللام في الفعلين لام قسم ـ ٥١ ـ ﴿وإذا أنعَمْنا علَى الإنسانِ﴾ الجنسِ ﴿أعرَضَ﴾ عن الشُّكر، ﴿وناءَ بِجانِبِهِ﴾: ثنى عِطفه مُتبخترًا ـ وفي قراءة بتقديم الهمزة ـ ﴿وإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ﴾: كثير.

قولُهُ: (إلَّا بِعِلمِهِ) فـ﴿مَا﴾ نافيةٌ، و﴿مِنْ﴾ الأولى مزيدةٌ للاستغراقِ، ويحتملُ أن تكونَ موصولةً معطوفةً على ﴿السَّاعةِ﴾، و﴿مِن﴾ مبيِّنةٌ بخلافِ قولِهِ: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ﴾ [فاطر: ١١]؛ أي: بمكانٍ وزمانٍ إلا مقروناً بعلمِهِ.

قولُهُ: (غَابَ) بأن لا ينفعَهُم، أو لا يروهُ.

قولُهُ: (أو جُملَةُ النَّفيِ) أو للتَّنويعِ والتَّخييرِ، أو بمعنى: الواوِ[١].

قولُهُ: (شِدَّةٍ وبَلاءٍ) الأنسبُ: فقرٍ ومرضٍ.

قولُهُ: (أي: لعلمي[٢]) أو: لاستِحقاقي، أو: لي دائماً لا يزولُ.

قولُهُ: (أي: الجَنَّةَ) أو الكرامةَ.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لغيرِ ابنِ ذكوانَ بتقديمِ الهمزةِ[٣]؛ أي: بَعُدَ وانحرفَ عنه، أو ذهبَ بنفسِهِ وتباعدَ عنهُ بكلِّيَّتِهِ تكبُّراً، والجانبُ مجازٌ عن النَّفسِ والذَّاتِ، كالجنبِ في قولِهِ: ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

قولُهُ: (كَثِيرٍ) مستعارٌ ممَّا له عرضٌ متَّسِعٌ للإشعارِ بكثرتِهِ واستمرارِهِ.

---

(١) وهكذا هي في المتن بالواو لا بـ«أو».

(٢) في (ص) و(م): «بعلمي»، وفي «الجلالين»: «بعملي».

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٤١).

٥٢ ـ ﴿قُلْ: أَرَأَيْتُم، إن كانَ﴾ أي: القرآنُ ﴿مِن عِندِ اللهِ﴾ كما قال النبيّ ﴿ثُمَّ كَفَرتُم بِهِ، مَن﴾ أي: لا أحد ﴿أَضَلُّ مِمَّن هُوَ في شِقاقٍ﴾: خِلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحقّ؟ أُوقِعَ هذا مَوقعَ «منكم» بيانًا لحالهم.

٥٣ ـ ﴿سَنُرِيهِم آياتِنا في الآفاقِ﴾: أقطار السماوات والأرض من النيّرات والنبات والأشجار ﴿وفي أنفُسِهِم﴾ من لطيف الصنعة وبديع الحِكمة، ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿الحَقُّ﴾: المُنزَل من الله بالبعث والحساب والعقاب، فيعاقَبون على كُفرهم به وبالجائي به.

﴿أَوَلَم يَكفِ بِرَبِّكَ﴾: فاعلُ «يكف» ﴿أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾؟ بدلٌ منه. أي: أَوَلم يكفِهم في صِدقك أنّ ربّك لا يغيب عنه شيء ما؟ ٥٤ ـ ﴿أَلا إِنَّهُم في مِرْيَةٍ﴾: شكّ ﴿مِن لِقاءِ رَبِّهِم﴾ لإنكارهم البعثَ. ﴿أَلا إِنَّهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿بِكُلِّ شَيءٍ مُحِيطٌ﴾ علمًا وقُدرة فيُجازيهم بكُفرهم.

قولُهُ: (كَمَا قَالَ النَّبِيُّ) الأظهرُ: كما قلتُ، مع أنَّهُ لا يحتاجُ إلى التَّقديرِ.

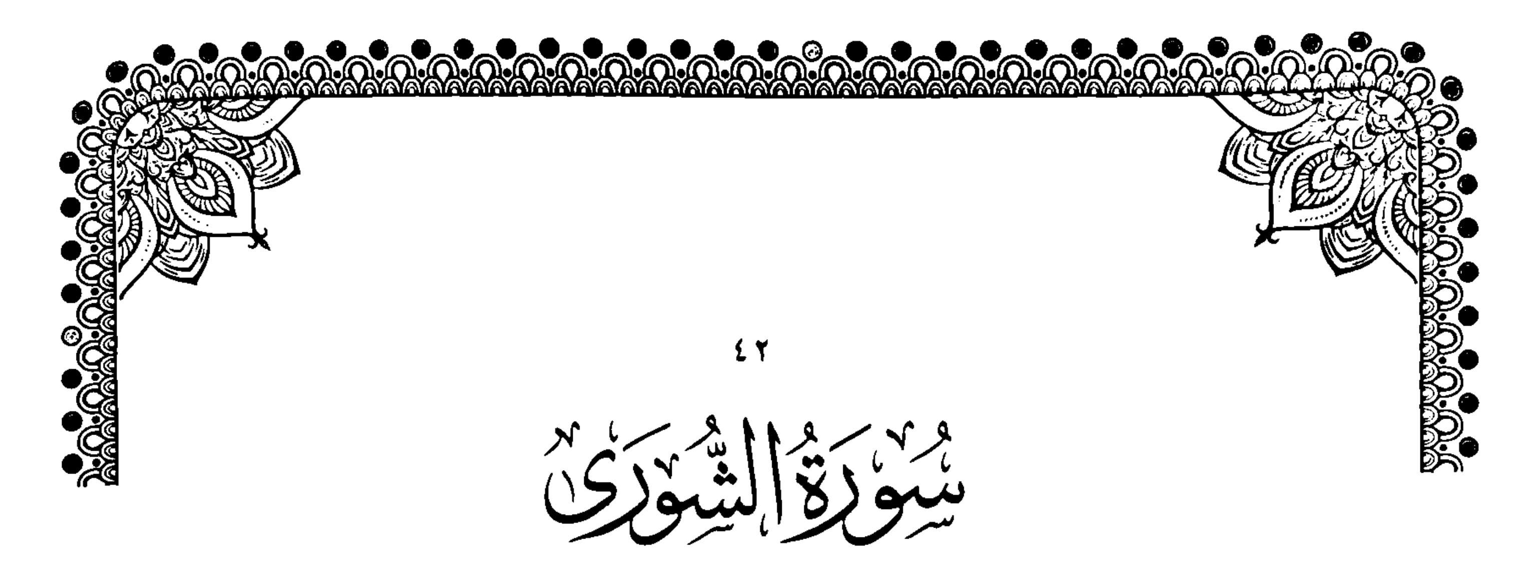
قولُهُ: (هَذا) أي: ممَّن هو، بوضعِ الظَّاهرِ موضعَ الضميرِ.

قولُهُ: (مِنْ لَطِيفِ) بيانُ: ﴿آيَاتِنَا﴾.

قولُهُ: (أي: القُرآنَ) أو الرَّسولَ، أو اللهَ، أو التَّوحيدَ.

قولُهُ: (فَاعِلُ: ﴿يَكْفِ﴾) والباءُ مزيدةٌ للتَّأكيدِ، واللهُ أعلمُ.

* * *



٤٢

سُورَةُ الشُّورَىٰ

مكية إلاّ «قل لا أسألكم» الآياتِ الأربعَ، ثلاثٌ وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿حم، عسق﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٣ ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك الإيحاءِ ﴿يُوحِي إِلَيكَ و﴾ أوحى ﴿إِلَى الَّذِينَ مِن قَبلِكَ اللهُ﴾: فاعل الإيحاء ﴿العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه، ٤ ـ ﴿لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا، ﴿وهُوَ العَلِيُّ﴾ على خلقه ﴿العَظِيمُ﴾: الكبير.

٥ ـ ﴿تَكادُ﴾، بالتاء والياء، ﴿السَّماواتُ يَنفَطِرْنَ﴾ ـ.........

سُورَةُ الشُّورَىٰ

قولُهُ: (مِثلَ ذَلِكَ) أو: مثلَ ما في هذه السُّورةِ من المعاني.

قولُهُ: (أُوحِي) وإنَّما ذُكِرَ بلفظِ المضارعِ على حكايَةِ الحالِ الماضيةِ.

قولُهُ: (فَاعِلُ الإِيحَاءِ) أي: فاعلُ ﴿يُوحِي﴾، وعلى قراءةِ المكِّيِّ مجهولاً[١] مسنداً إلى ﴿إليكَ﴾ مرفوعٌ بالابتداءِ، وما بعدَهُ أخبارٌ له.

قولُهُ: (وعَبِيداً) وفيه تغليبٌ لغيرِ ذوي العقولِ لكثرَتِها.

قولُهُ: (واليَاءِ) الغيبةُ نافعٌ والكسائيُّ[٢].

---

(١) أي: (يوحَى)، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٨٠).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٨٠).

بالنون، وفي قراءة بالتاء والتشديد ـ ﴿مِن فَوقِهِنَّ﴾ أي: تنشقّ كُلّ واحدة فوق التي تليها من عظَمته ـ تعالى ـ ﴿والمَلائكةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمدِ رَبِّهِم﴾ أي: مُلابسين للحمد، ﴿ويَستَغفِرُونَ لِمَن في الأرضِ﴾ من المؤمنين. ﴿ألا إنَّ اللهَ هُوَ الغَفُورُ﴾ لأوليائه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم، ٦ ـ ﴿والَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَولِياءَ اللهُ حَفِيظٌ﴾: مُحصٍ ﴿عليهِم﴾ ليُجازيهم، ﴿وما أنتَ عليهِم بِوَكِيلٍ﴾ تُحصّلُ المطلوب منهم ما عليك إلاّ البلاغ.

٧ ـ ﴿وكذلِكَ﴾: مِثلَ ذلك الإيحاء ﴿أوحَينا إلَيكَ قُرآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ﴾: تُخوِّفَ ﴿أُمَّ القُرَى ومَن حَولَها﴾ أي: أهلَ مكّة وسائرَ الناس، ﴿وتُنذِرَ﴾ الناسَ ﴿يَومَ الجَمعِ﴾ أي: يومَ القيامة يُجمع فيه الخلق، ﴿لا رَيبَ﴾: شكّ ﴿فِيهِ، فَرِيقٌ﴾ منهم ﴿في الجَنّةِ، وفَرِيقٌ في السَّعِيرِ﴾: النار. ٨ ـ ﴿ولَو شاءَ اللهُ لَجَعَلَهُم أُمّةً واحِدةً﴾ أي: على دِين واحد ـ وهو الإسلام ـ ﴿ولكِن يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحْمتِهِ، والظّالِمُونَ﴾: الكافرون ﴿ما لَهُم مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب.

قولُهُ: (بالنُّونِ) بصريٌّ وشعبةُ[١].

قولُهُ: (فَوقَ الَّتي) والأظهرُ: أي: مبدأُ الانفطارِ من جهتهنَّ الفوقانيَّةِ، وتخصيصُها لأنَّ أعظمَ الآياتِ وأدلَّها على علوِّ شأنِهِ من تلكَ الجهةِ، وليدلَّ على أنَّ الانفطارَ من تحتهنَّ بالطَّريقِ الأولى.

قولُهُ: (لأَولِيَائِهِ) ولمن تابَ من أعدائِهِ.

قولُهُ: (بِهِم) وبغيرِهِم في الدُّنيا، وبهم خاصَّةً في العقبى.

قولُهُ: (أي: الأَصنَامَ) مفعولٌ ثانٍ.

قولُهُ: (مُحصٍ) ورَقيبٌ على أحوالِهِم.

قولُهُ: (تُحَصِّلُ) أي: موكولٌ إليك أمرُهُم.

قولُهُ: (الخَلقُ) أو: الأرواحُ والأشباحُ، أو: العمَّالُ والأعمالُ، وحُذِفَ ثاني مفعولَي ﴿تُنْذِرَ﴾ الأوَّلِ، وأوَّلُ مفعولَي الثَّاني؛ للتَّهويلِ وإيهامِ التَّعميمِ.

قولُهُ: (شَكَّ) اعتراضٌ لا محلَّ له.

قولُهُ: (مِنهُم) بعدَ جمعِهِم في الموقفِ، والضَّميرُ للمجموعينَ لدلالةِ الجمعِ عليه.

قولُهُ: (وهُو الإسلامُ) أو الكُفرُ.

---

(١) انظر: «تحبير التيسير في القراءات العشر» (ص: ٥٤٥).

٩ ـ ١٠ ـ ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَولِياءَ﴾؟ أم: مُنقطعة بمعنى: «بل» التي للانتقال وهمزةِ الإنكار، أي: ليس المُتّخَذون أولياءَ. ﴿فاللهُ هُوَ الوَلِيُّ﴾ أي: الناصر للمؤمنين ـ والفاء لمجرّد العطف ـ ﴿وهُوَ يُحيِي المَوتَى، وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وما اختَلَفتُم﴾ مع الكُفّار ﴿فِيهِ مِن شَيءٍ﴾ من الدِّين وغيره ﴿فحُكمُهُ﴾ مردود ﴿إلَى اللهِ﴾ يوم القيامة، يفصل بينكم.

قل لهم: ﴿ذٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي علَيهِ تَوَكَّلتُ وإلَيهِ أُنِيبُ﴾: أرجِعُ، ١١ ـ ﴿فاطِرُ السَّماواتِ والأرضِ﴾: مُبدعُهما، ﴿جَعَلَ لَكُم مِن أنفُسِكُم أزواجًا﴾ حيثُ خلق حوّاء من ضِلَع آدمَ ﴿ومِنَ الأنعامِ أزواجًا﴾ ذُكورًا وإناثًا، ﴿يَذرَؤُكُم﴾، بالمعجمة: يخلقكم ﴿فِيهِ﴾: في الجعل المذكور، أي: يُكثّركم بسببه بالتوالد ـ والضمير للأناسيّ والأنعام بالتغليب ـ ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيءٌ﴾،.........................

قولُهُ: (لمُجَرَّدِ العَطفِ) الصَّحيحُ أنَّه جوابُ شرطٍ محذوفٍ مثلَ: إن أرادوا أولياءَ بحقٍّ فاللهُ هو الوليُّ بالحقِّ.

قولُهُ: (معَ الكُفَّارِ) أو: أنتم والكفَّارُ، على التَّغليبِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) الدُّنيا.

قولُهُ: (مَردُودٌ) مُفوَّضٌ.

قولُهُ: (يَفصِلُ) بالإثابةِ والمعاقبةِ.

قولُهُ: (أَرجِعُ) في المشكلاتِ.

قولُهُ: (مُبدِعُهمَا) خبرٌ آخرُ لـ﴿ذَلِكُم﴾، أو مبتدأٌ خبرُهُ ما بعدَهُ.

وقولُهُ تعالى: (﴿مِنْ أَنْفُسِكُم﴾) أي: مِن جنسِكُم (﴿أزواجاً﴾) نساءً.

قولُهُ: (ذُكُوراً وإنَاثاً) أو: أصنافاً، أو: من جِنسِها أزواجاً.

قولُهُ: (يَخلُقُكُم) من ذَرَأ بمعنى: خلقَ، أو خاصٌّ بالذُّرِّيَّةِ، وهو الأظهرُ هنا، وقولُهُ: (أي: يُكَثِّرُكُم) تفسيرٌ آخرُ من الذَّرءِ وهو البثُّ.

قولُهُ: (في الجَعْلِ المَذكُورِ) يعني: في هذا التَّدبيرِ، والتَّقديرُ: الَّذي هو جعلَ النَّاسَ والأنعامَ أزواجاً بينهم توالدٌ، فإنَّه كالمنبعِ للبثِّ والتَّكثيرِ.

قولُهُ: (بسَبَبِهِ) يعني: «في» بمعنى: الباءِ، كما في «الإتقانِ»[1].

قولُهُ: (بالتَّوَالُدِ) حقُّهُ: يعني: بالتَّوالدِ.

---

(١) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (٢/ ٢٥٠).

الكاف: زائدة لأنه ـ تعالى ـ لا مِثلَ له، ﴿وهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿البَصِيرُ﴾ بما يُفعل، ١٢ ـ ﴿لَهُ مَقالِيدُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: مفاتيحُ خزائنهما من المطر والنبات وغيرهما، ﴿يَبسُطُ الرِّزقَ﴾: يُوسّعه ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ امتحانًا ﴿ويَقدِرُ﴾: يُضيّقه لمن يشاء ابتلاءً. ﴿إنَّهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

١٣ ـ ﴿شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ ـ هو أوّل أنبياء الشريعة ـ ﴿والَّذِي أوحَينا إلَيكَ وما وَصَّينا بِهِ إبراهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى، أن أقِيمُوا الدِّينَ، ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾. هذا هو المشروع المُوصَّى به، والمُوحَى إلى مُحمّد ﷺ، وهو التوحيد. ﴿كَبُرَ علَى المُشرِكِينَ ما تَدعُوهُم إلَيهِ﴾ من التوحيد. ﴿اللهُ يَجتَبِي إلَيهِ﴾: إلى التوحيد ....

قولُهُ: (الكَافُ زَائِدَةٌ) أي: ليسَ مثلَهُ شيءٌ، وقيلَ: (مثلُهُ): صفتُهُ؛ أي: ليس كصفتِهِ صفةٌ، وقالَ سهلٌ: ليس كذاتِهِ ذاتٌ ولا كاسمِهِ اسمٌ من جهةِ المعنى، ولا كصفتِهِ صفةٌ من جميعِ الوجوهِ[1].

أو المرادُ من (مثلِهِ): ذاتُهُ، ومنه: مثلُكَ لا يبخلُ، على قصدِ المبالغةِ في نفيهِ عنه، أو نفيُ مثلِ المثلِ نفيُ المثلِ، وهو دقيقٌ.

قولُهُ: (مَفَاتِيحُ) أو خزائنُهما.

قولُهُ: (لِمَنْ يشاءُ) أو: له.

قولُهُ: (ابتِلاءً) أو: على وَفْقِ مشيئتِهِ ومقتضى حكمتِهِ.

قولُهُ: (هُو أَوَّلُ أَنبيَاءِ الشَّرِيعَةِ) قالَ سهلٌ: أَوَّلُ مَن حرَّمَ الأمهاتِ والبناتِ والأخواتِ نوحٌ، كذا في «تفسيرِ السَّلميِّ»[2].

قولُهُ: (هَذا) أي: إقامةُ الدِّينِ وعدمُ التَّفرُّقِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّه مرفوعٌ بالاستئنافِ.

قولُهُ: (المَشرُوعُ) أي: الأصلُ المشتركُ فيما بينهُم، وأمَّا فروعُ الشَّرائعِ فمختلفةٌ، كما قالَ تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

قولُهُ: (وهُوَ التَّوحِيدُ) بل هو الإيمانُ بما يجبُ تصديقُهُ، والطَّاعةُ في أحكامِ اللهِ.

قولُهُ: (عَظُمَ) وفي نسخةٍ: «ثَقُلَ»[3].

قولُهُ: (إلى التَّوحِيدِ) أي: يجتَلِبُ ويضمُّ ويجمعُ، والضَّميرُ لـ﴿مَا تَدْعُوهُمْ﴾ كما أشارَ إليه الشَّيخُ، أو للدِّينِ، أو للهِ.

---

(١) ذكره السلمي في «حقائق التأويل» (٢/ ٢٢٣)، والقرطبي في «تفسيره» (١٦/ ٩)، عن الواسطي.

(٢) انظر: «حقائق التأويل» (٢/ ٢٢٥). وانظر: «تفسير التستري» (ص: ١٣٨).

(٣) كلاهما في شرح ﴿كبر﴾، وكلاهما لم يرد في المتن.

﴿مَن يَشاءُ، ويَهدِي إلَيهِ مَن يُنِيبُ﴾: يُقبِل إلى طاعته.

١٤ ـ ﴿وما تَفَرَّقُوا﴾ أي: أهلُ الأديان في الدِّين بأن وحّد بعض وكفر بعض ﴿إلاّ مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ﴾ بالتوحيد ﴿بَغيًا﴾ من الكافرين ﴿بَينَهُم، ولَولا كَلِمةٌ سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ﴾ بتأخير الجزاء ﴿إلَى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: يومِ القيامة ﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾ بتعذيب الكافرين في الدنيا، ﴿وإنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الكِتابَ مِن بَعدِهِم﴾ ـ وهم اليهود والنصارى ـ ﴿لَفِي شَكٍّ مِنهُ﴾: من مُحمّد ﷺ ﴿مُرِيبٍ﴾: مُوقع في الريبة.

١٥ ـ ﴿فلِذلِكَ﴾ التوحيدِ ﴿فادعُ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ الناسَ ﴿واستَقِمْ﴾ عليه ﴿كَما أُمِرتَ، ولا تَتَّبِعْ أهْواءَهُم﴾ في تركه، ﴿وقُلْ: آمَنتُ بِما أنزَلَ اللهُ مِن كِتابٍ، وأُمِرتُ لِأعدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَينَكُمُ﴾ في الحُكم. ﴿اللهُ رَبُّنا ورَبُّكُم. لَنا أعمالُنا ولَكُم أعمالُكُم﴾ فكُلّ يُجازَى بعمله. ﴿لا حُجّةَ﴾: خُصومةَ ﴿بَينَنا وبَينَكُم﴾. هذا قبل أن يُؤمر بالجهاد. ﴿اللهُ يَجمَعُ بَينَنا﴾ في المَعاد لفصل القضاء، ﴿وإلَيهِ المَصِيرُ﴾: المَرجع. ١٦ ـ ﴿والَّذِينَ يُحاجُّونَ﴾: يجادلون ﴿في﴾ دِين ﴿اللهِ﴾ نبيَّه.........

قولُهُ: (يُقبِلُ إلى طَاعَتِهِ) أو الدِّينِ، أو التَّوحيدِ، أو اللهِ، والأوَّلُ للمرادِ المجذوبِ، والثَّاني للمريدِ السَّالكِ.

قولُهُ: (أَهلُ الأَديَانِ) يعني: الأممَ السَّالفةَ، أو أهلَ الكتابِ.

قولُهُ: (بالتَّوحِيدِ) أو بمبعثِ الرَّسولِ ﷺ، أو أسبابِ العلمِ.

قولُهُ: (مِنَ الكَافِرِينَ) أي: عداوَةً، أو حسَداً، أو طلباً للدُّنيا رئاسةً أو مالاً.

قولُهُ: (بتَأخِيرِ الجَزَاءِ) أو بالإمهالِ.

قولُهُ: (يَومِ القِيَامَةِ) أو: أواخرِ أعمارِهم المقدَّرةِ.

قولُهُ: (في الدُّنيَا) حينَ افترَقوا لعظَمِ ما اقترَفُوا.

قولُهُ: (التَّوحِيدِ) أي: لأجلِ تحصيلِهِ.

قولُهُ: (النَّاسَ) إليه.

قولُهُ: (خُصُومَةَ) إذ الحقُّ قد ظهرَ ولم يبقَ للمحاجَّةِ مجالٌ ولا للخلافِ مبدأٌ سوى العنادِ.

قولُهُ: (هَذا قَبلَ أنْ يُؤمَرَ) قالَ القاضي: ليس في الآيةِ ما يدلُّ على متاركةِ الكفَّارِ رأساً حتَّى تكونَ بآيةِ القتالِ منسوخَةً[1].

قولُهُ: (نَبيَّهُ) أو غيرَهُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٧٩).

﴿مِن بَعدِ ما استُجِيبَ لَهُ﴾ بالإيمان لظهور مُعجزته ـ وهم اليهود ـ ﴿حُجّتُهُم داحِضةٌ﴾: باطلة ﴿عِندَ رَبِّهِم، وعلَيهِم غَضَبٌ ولَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ﴾.

١٧ ـ ﴿اللهُ الَّذِي أنزَلَ الكِتابَ﴾: القُرآنَ ﴿بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ «أنزل» ﴿والمِيزانَ﴾: العدلَ، ﴿وما يُدرِيكَ﴾: يُعلِمُك ﴿لَعَلَّ السّاعةَ﴾ أي: إتيانَها ﴿قَرِيبٌ﴾؟ ولعلّ: مُعلِّق للفعل عن العمل، أو ما بعده سدّ مسدّ المفعولين. ١٨ ـ ﴿يَستَعجِلُ بِها الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِها﴾ يقولون: متى تأتي؟ ظنًّا منهم أنها غير آتية، ﴿والَّذِينَ آمَنُوا مُشفِقُونَ﴾: خائفون ﴿مِنها، ويَعلَمُونَ أنَّها الحَقُّ. ألا إنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ﴾: يُجادلون ﴿في السّاعةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾.

١٩ ـ ﴿اللهُ لَطِيفٌ بِعِبادِهِ﴾ بَرِّهم وفاجِرهم حيثُ لم يُهلكهم جوعًا بمعاصيهم، ﴿يَرزُقُ مَن يَشاءُ﴾ مِن كُلّ منهم ما يشاء، ﴿وهُوَ القَوِيُّ﴾ على مُراده، ﴿العَزِيزُ﴾: الغالب على أمره. ﴿مَن كانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرثَ الآخِرةِ﴾ أي: كسبَها..

قولُهُ: (وهُمُ اليَهُودُ) أي: من بعدِ ما استجابَ له أهلُ الكتابِ بأن أقرُّوا بنبوَّتِهِ واستفتَحوا به، أو المعنى: من بعدِ ما استجابَ له النَّاسُ، أو: من بعدِ ما استجابَ اللهُ لرسولِهِ، فأظهرَ دينَهُ بنصرِهِ يومَ بدرٍ.

قولُهُ: (بَاطِلَةٌ) زائلةٌ، وقولُهُ تعالى: (﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾) بمعاندتِهِم (﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾) على كفرِهِم.

قولُهُ: (القُرآنَ) أو جنسَ الكتابِ.

قولُهُ: (مُتَعَلِّقٌ) أي: بما يحقُّ إنزالُهُ من العقائِدِ والأحكامِ.

قولُهُ: (العَدلَ) بأن أنزلَ الأمرَ به، أو: آلةَ الوزنِ، أو: أوحَى بإعدادِها.

قولُهُ: (أي: إتيَانَهَا) بحذفِ مضافٍ لتصحيحِ ﴿قَرِيبٌ﴾، وقيل: تذكيرُهُ لأنَّهُ بمعنى: ذاتِ قربٍ، أو لأنَّ ﴿السَّاعةَ﴾ بمعنى البعثِ.

قولُهُ: (ظَنًّا) أو استهزاءً.

قولُهُ: (خَائِفُونَ) مع اعتناءٍ بها لتوقُّعِ الثَّوابِ.

قولُهُ: (يُجَادِلُونَ) من المريةِ.

قولُهُ: (بَرِّهِم) أو[1]: بَرَّ بهم بصنوفِ البرِّ الَّتي لا تبلغُها الأفهامُ.

قولُهُ: (أي: كَسبَهَا) في «القاموسِ»: الحرثُ: الكسبُ والزَّرعُ[2].

---

(١) في النسخ: «إذ» والصواب المثبت.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٦٧).

ـ وهو الثواب ـ ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتضعيف فيه، الحسنةَ إلى العشرِ وأكثرَ، ٢٠ ـ ﴿وَمَن كانَ يُرِيدُ حَرثَ الدُّنيا نُؤتِهِ مِنها﴾ بلا تضعيف ما قُسِم له، ﴿وما لَهُ في الآخِرةِ مِن نَصِيبٍ﴾.

٢١ ـ ﴿أم﴾: بل ﴿لَهُم﴾: لِكُفّار مكّة ﴿شُرَكاءُ﴾ هم شياطينهم، ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاءُ ﴿لَهُم﴾: للكُفّار ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ الفاسد ﴿ما لَم يأذَنْ بِهِ اللهُ﴾ كالشِّرك وإنكار البعث، ﴿ولَولا كَلِمةُ الفَصلِ﴾ أي: القضاء السابق بأنّ الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَينَهُم﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا، ﴿وإنَّ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم، ٢٢ ـ ﴿تَرَى الظّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشفِقِينَ﴾: خائفين ﴿مِمّا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيّئات أن يُجازَوا عليها، ﴿وهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿واقِعٌ بِهِم﴾ يوم القيامة لا محالة، ﴿والَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ في رَوضاتِ الجَنّاتِ﴾: أنزَهِها بالنسبة إلى مَن دُونهم، ﴿لَهُم ما يَشاؤُونَ عِندَ رَبِّهِم. ذلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبِيرُ﴾.

٢٣ ـ ﴿ذلِكَ الَّذِي يَبْشُرُ اللهُ﴾ ـ مِن البِشارة مُخفَّفًا ومُثقَّلاً ـ ....

قولُهُ: (وهُو الثَّوَابُ) شُبِّهَ بالزَّرعِ من حيثُ إنَّه فائدةٌ تحصلُ بعملِ الدُّنيا، ولذا قيل: الدُّنيا مزرعَةُ الآخرةِ.

قولُهُ: (بالتَّضعِيفِ) أو بإعطاءِ الدُّنيا أيضاً.

قولُهُ: (بَل) أي: أَلَهُم، والهمزةُ للتَّقريرِ والتَّقريعِ.

قولُهُ: (هُم) أي: ﴿شركاءُ﴾.

قولُهُ: (أي: الشُّركَاءُ) بالتَّزيينِ.

قولُهُ: (كالشِّركِ) والعملِ للدُّنيا.

قولُهُ: (أي: الجَزَاءُ) يعني: وَبالُهُ لاحقٌ بهم، أشَفقوا أو لم يشفِقوا.

قولُهُ: (بالنِّسبَةِ) بل أطيَبِها مُطلقاً.

قولُهُ: (مُخَفَّفاً) يعني: على وزنِ يَنصُرُ، لا على وزنِ يُكرِمُ، وقولُ البيضاويِّ: من أبشَرَهُ[1]، وهمٌ نشأ من إطلاقِهِم التَّخفيفَ.

قولُهُ: (ومُثَقَّلاً) نافعٌ وشاميٌّ وعاصمٌ[2].

قولُهُ: (بِهِ)[3] أي: ذلكَ الثَّوابُ الَّذي يبشِّرُهُم اللهُ به، فحُذِفَ الجارُّ ثمَّ العائدُ، أو حُذِفا دفعةً واحِدةً. وقيل: ذلك التَّبشيرُ الَّذي يبشِّرُه اللهُ عبادَهُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٨٠).
(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٥).
(٣) «به» ليست في المتن، ولعل موقعها عقب قوله: «ومثقلًا» على أن يتعلق الجار بقوله تعالى: ﴿يبشر﴾.

﴿عِبادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ. قُلْ: لا أسألُكُم علَيهِ﴾ أي: على تبليغ الرسالة ﴿أجرًا، إلاَّ المَوَدَّةَ في القُربَى﴾: استثناءٌ منقطع، أي: لكن أسألكم أن تَوَدّوا قَرابتي التي هي قرابتكم أيضًا. فإنّ له في كُلّ بطن من قريش قرابةً. ﴿ومَن يَقتَرِفْ﴾: يكتسبْ ﴿حَسَنَةً﴾: طاعة ﴿نَزِدْ لَهُ فِيها حُسنًا﴾ بتضعيفها. ﴿إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيُضاعفه.

٢٤ - ﴿أم﴾ بل ﴿يَقُولُونَ: افتَرَى علَى اللهِ كَذِبًا﴾ بنِسبة القُرآن إلى الله تعالى. ﴿فإن يَشَأِ اللهُ يَختِمْ﴾: يربطْ ﴿علَى قَلبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره - وقد فعلَ - ﴿ويَمْحُ اللهُ الباطِلَ﴾ الذي قالوه. ﴿ويُحِقُّ الحَقَّ﴾: يُثبته ﴿بِكَلِماتِهِ﴾ المُنزلةِ على نبيّه. ﴿إنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما في القلوب،

٢٥ - ﴿وهُوَ الَّذِي يَقبَلُ التَّوبَةَ عَن عِبادِهِ﴾: منهم، ﴿ويَعفُو عَنِ السَّيِّئاتِ﴾ المُتاب عنها، ....

قولُهُ: (قَرَابَتِي) أي: أهلَها.

قولُهُ: (فَإِنَّ لَهُ) ورويَ أنَّها لمَّا نزلَت قيلَ: يا رسولَ اللهِ! مَن قرابتُكَ هؤلاءِ؟ قالَ: «عليٌّ وفاطمةُ وابناهُمَا»[1]؛ يعني: إلَّا أن تودُّوني لقرابَتي منكُم، أو تودُّوا قرابَتي، ولو فُسِّرَ الأجرُ بالنَّفعِ كانَ الاستثناءُ متَّصلاً.

قولُهُ: (طَاعَةً) سيَّما حبُّ آلِ النَّبيِّ ﷺ.

قولُهُ: (للقَلِيلِ) من الطَّاعةِ بإعطاءِ الجزيلِ من المثوبَةِ.

قولُهُ: (بِنِسبَةِ القُرآنِ) أو بدَعوى النُّبوَّةِ.

قولُهُ: (الَّذِي قَالُوهُ) وهو استئنافٌ.

قولُهُ: (لوَعدِهِ)[2] بمحوِ باطلِهم وإثباتِ حقِّهِ بالقرآنِ، وسقوطُ الواو في الرَّسمِ لاتِّباعِ اللَّفظِ.

قولُهُ: (مِنهُم) أشارَ إلى أنَّ ﴿عَنْ﴾ بمعنى: من، أو ضمِّنَ القبولُ معنى الأخذِ.

قولُهُ: (المُتَابِ عَنهَا) أو: مطلقِ السَّيِّئاتِ - سوى الشِّركِ - لمن يشاءُ.

---

(١) رواه أحمد في «فضائل الصحابة» (١١٤١)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٤٧) (٢٦٤١)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٣/ ٣٤٧) (٢٦٠٤)، والواحدي في «الوسيط» (٨١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٢٠١): إسناد ضعيف، فيه مبهم لا يعرف، عن شيخ شيعي متخرق، وهو حسين الأشقر، ولا يقبل خبره في هذا المحل. وذِكْر نزول هذه الآية في المدينة بعيد؛ فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة. والحق تفسير الآية بما فسرها به الإمام حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس، كما رواه عنه البخاري، ولا تنكر الوصاة بأهل البيت، والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه، وعلي وأهل بيته وذريته، رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) كذا وقع عند العلامة الملا علي القاري في شرحه، ولا وجود لقوله: «لوعده» في النص هنا، وهو بصدد الكلام عن محو الباطل.

﴿ويَعلَمُ ما يَفعَلُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ٢٦ ـ ﴿ويَستَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ﴾: يُجيبهم إلى ما يسألون، ﴿ويَزِيدُهُم مِن فَضلِهِ، والكافِرُونَ لَهُم عَذابٌ شَدِيدٌ﴾.

٢٧ـ٢٨ ـ ﴿ولَو بَسَطَ اللهُ الرِّزقَ لِعِبادِهِ﴾ جميعِهم ﴿لَبَغَوا﴾ جميعُهم أي: طغوا ﴿في الأرضِ، ولكِن يُنْزِلُ﴾، بالتخفيفِ وضدِّه، من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ ما يَشاءُ﴾ فيبسطها لبعض عباده دُون بعض، وينشأ عن البسط البغيُ. ﴿إنَّهُ بِعِبادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ. وهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الغَيثَ﴾: المطر ﴿مِن بَعدِما قَنَطُوا﴾: يئسوا من نُزوله، ﴿ويَنشُرُ رَحْمَتَهُ﴾: يبسط مطرَه، ﴿وهُوَ الوَلِيُّ﴾: المُحسن للمؤمنين ﴿الحَمِيدُ﴾: المحمود عِندهم.

٢٩ ـ ﴿ومِن آياتِهِ خَلقُ السَّماواتِ والأرضِ و﴾ خلقُ ﴿ما بَثَّ﴾: فرّق ونشر ﴿فِيهِما مِن دابَّةٍ﴾، هي ما يدِبّ على الأرض من الناس وغيرهم، ﴿وهُوَ علَى جَمعِهِم﴾ للحشر ﴿إذا يَشاءُ قَدِيرٌ﴾ ـ في الضمير تغليب العاقل على غيره ـ..

قولُهُ: (بالتَّاءِ) الفوقانيَّةِ: حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ[1] على الالتفاتِ.

قولُهُ: (يُجِيبُهُم) والمرادُ: إجابةُ الدُّعاءِ، أو الإثابَةُ على الطَّاعةِ.

قولُهُ: (أي: طَغَوا) وتكبَّروا وأفسَدوا فيها بَطراً، أو: لبَغى بعضُهُم بعضاً استيلاءً واستعلاءً، وهذا على الغالبِ.

قولُهُ: (بالتَّخفيفِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[2].

قولُهُ: (البَغيُ) وكادَ الفقرُ أن يكونَ كفراً، فنعوذُ باللهِ من شرِّهِما.

قولُهُ: (المَطَرَ) أي: الَّذي يغيثُهُم من الجدبِ، ولذلك خُصَّ بالنَّافعِ، وقرأ نافعٌ وشاميٌّ وعاصمٌ ﴿ينزِّلُ﴾ بالتَّشديدِ[3].

قولُهُ: (يَبسُطُ) في كلِّ شيءٍ من السَّهلِ والحزنِ والنَّباتاتِ والحيواناتِ.

قولُهُ: (للمُؤمِنِينَ) وغيرِهِم.

قولُهُ: (خَلْق) عطفٌ على: ﴿السَّماواتِ﴾ وقيلَ: على ﴿خَلْقُ﴾[4].

قولُهُ: (على الأَرضِ) وما يكونُ في أحدِ الشَّيئينِ يَصدُقُ أنَّه فيهما في الجُملةِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٥).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٧٥)، و«البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة» (ص: ٢٨٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ١٦٦)، و«حجة القراءات» (ص: ٥٦٧).

(٤) قوله: «عطف على. . . » يعني به قوله تعالى: ﴿وما بث﴾، وعلى ما قدر الجلال فهو من الثاني؛ أي: العطف على ﴿خلقُ﴾.

٣٠ ـ ﴿وما أصابَكُم﴾، خِطابٌ للمؤمنين، ﴿مِن مُصِيبةٍ﴾: بليّة وشِدّة ﴿فبِما كَسَبَتْ أَيدِيكُم﴾ أي: كسَبتم من الذنوب. وعُبِّر بالأيدي لأنّ أكثر الأفعال بها. ﴿ويَعفُو عَن كَثِيرٍ﴾ منها فلا يُجازي عليه. وهو ـ تعالى ـ أكرمُ من أن يُثنّي الجزاء في الآخرة. وأمّا غير المُذنبين فما يُصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة. ٣١ ـ ﴿وما أنتُم﴾ ـ يا مُشركين ـ ﴿بِمُعجِزِينَ﴾ اللهَ هربًا ﴿في الأرضِ﴾ فتفوتونه، ﴿وما لَكُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مِن وَلِيٍّ ولا نَصِيرٍ﴾: يدفع عذابه عنكم.

٣٢ ـ ﴿ومِن آياتِهِ الجَوارِي﴾: السفنُ ﴿في البَحرِ كالأعلامِ﴾: كالجبال في العِظم، ٣٣ ـ ﴿إن يَشَأْ يُسكِنِ الرِّيحَ، فيَظلَلْنَ﴾: يَصِرْنَ ﴿رَواكِدَ﴾: ثوابتَ لا تجري ﴿علَى ظَهرِهِ ـ إنَّ في ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبّارٍ شَكُورٍ﴾ هو المؤمن يصبر في الشِّدّة ويشكر في الرخاء ـ ٣٤ ـ ﴿أو يُوبِقْهُنَّ﴾ عطفٌ على «يُسكن»، أي: يُغرِقْهُنَّ بعصف الريح بأهلهن، ﴿بِما كَسَبُوا﴾ أي: أهلُهن من الذنوب، ﴿ويَعفُ عَن كَثِيرٍ﴾ منها، فلا يُغرق أهلَه. ٣٥ ـ ﴿ويَعلَمُ﴾ ـ بالرفع مستأنف، وبالنصب معطوف على تعليل مقدر، أي: يغرقُهم لينتقمَ منهم، ويعلمَ ـ ﴿الَّذِينَ يُجادِلُونَ في آياتِنا: ما لَهُم مِن مَحِيصٍ﴾: مَهرب من العذاب. وجملة النفي سدّت مسدّ مفعولي «يعلم» والنفيُ مُعلِّق عن العمل.

٣٦ ـ ﴿فما أُوتِيتُم﴾ ـ خِطاب للمؤمنين وغيرهم ـ ﴿مِن شَيءٍ﴾ من أثاث الدنيا ﴿فمَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾ يُتمتَّع به فيها ثمّ يزول، ﴿وما عِندَ اللهِ﴾ من الثواب ﴿خَيرٌ وأبقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وعلَى رَبِّهِم يَتَوَكَّلُونَ﴾، ويُعطف عليهم:..

قولُهُ: (يُثنّيَ) الأظهرُ: يُعيدَ.

قولُهُ: (السُّفُنُ) الجاريَةُ.

قولُهُ: (يَصِرْنَ) أو يبقَينَ.

قولُهُ: (المُؤمِنُ) الكامِلُ، فإنَّ الإيمانَ نصفانِ: نصفٌ صبرٌ، ونصفٌ شكرٌ.

قولُهُ: (في الشِّدَّةِ) وعن المعصيةِ.

قولُهُ: (في الرَّخاءِ) وعلى الطّاعةِ.

قولُهُ: (بعَصْفِ الرِّيحِ) أي: بإرسالِ الرِّيحِ العاصفةِ المغرقةِ، والمرادُ: إهلاكُ أهلِها لقولِه: ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾.

قولُهُ: (مُعَلِّقٌ) للفعلِ.

قولُهُ: (ويُعْطَفُ) وقيلَ: مدحٌ منصوبٌ أو مرفوعٌ.

٣٧ ـ ﴿والَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبائرَ الإثمِ والفَواحِشَ﴾: موجباتِ الحُدود، من عطف البعض على الكُلّ، ﴿وإذا ما غَضِبُوا هُم يَغفِرُونَ﴾: يتجاوزون، ٣٨ ـ ﴿والَّذِينَ استَجابُوا لِرَبِّهِم﴾: أجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة، ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾: أداموها، ﴿وأمرُهُم﴾ الذي يبدو لهم ﴿شُورَى بَينَهُم﴾: يتشاورون فيه ولا يعجلون، ﴿ومِمّا رَزَقْناهُم﴾: أعطيناهم ﴿يُنفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

ومَن ذُكر صِنفٌ، ٣٩ ـ ﴿والَّذِينَ إذا أصابَهُم البَغيُ﴾: الظلمُ ﴿هُم يَنتَصِرُونَ﴾ صِنفٌ، أي: ينتقمون ممّن ظلمهم بمِثل ظلمه كما قال تعالى: ٤٠ ـ ﴿وجَزاءُ سَيِّئةٍ سَيِّئةٌ مِثلُها﴾. سُمِّيتِ الثانيةُ سيّئةً لمشابهتها للأُولى في الصورة. وهذا ظاهر فيما يُقتصُّ فيه من الجِراحات. قال بعضهم: وإذا قال له: أخزاك الله، فيجيبه: أخزاك الله. ﴿فمَن عَفا﴾ عن ظالمه ﴿وأصلَحَ﴾ الودّ بينه وبينه بالعفو عنه ﴿فأجرُهُ علَى اللهِ﴾ أي: إنّ الله يأجره لا محالة. ﴿إنَّهُ لا يُحِبُّ الظّالِمِينَ﴾ أي: البادئينَ بالظلم فيترتّب عليهم عِقابه.

٤١ ـ ﴿ولَمَنِ انتَصَرَ بَعدَ ظُلمِهِ﴾ أي: ظُلمِ الظالمِ إياه..............................

قولُهُ: (مُوجِبَاتِ) تفسيرٌ لـ﴿الْفَوَاحِشَ﴾.

قولُهُ: (ولا يَعجَلُونَ) بالانفرادِ بالرَّأي، وهي مصدرٌ ـ كالفُتيا ـ بمعنى التَّشاورِ؛ أي: ذُو شُورى.

قولُهُ: (صِنفٌ) كأنَّ الشَّيخَ وَهِمَ وفَهِمَ أنَّ بينَ الغفران عندَ الغضبِ وبينَ الانتقامِ تدافعاً، فدفعَهُ بأنَّ تلكَ الآيَةَ في طائفةٍ من المؤمنينَ، وهذه في أخرى، والتَّحقيقُ ما قالَهُ القاضِي حيثُ قالَ: وصَفَهُم بالشَّجاعةِ بعدَ وصفِهِم بسائرِ أمَّهاتِ الفضائلِ، وهو لا يخالفُ وصفَهُم بالغفرانِ، فإنَّه ينبئُ عن عجزِ المغفورِ، والانتصارِ عمَّن يقاومُ[1] الخصمَ، والحلمُ عن العاجزِ محمودٌ، وعن المتغلِّبِ مذمومٌ؛ لأنَّه إجراءٌ وإغراءٌ على البَغيِ[2].

ويمكنُ أن يُقالَ: يغفِرونَ للمؤمنينَ وينتقمونَ من الكافرينَ، كقولِهِ تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]، أو: يغفِرونَ للأبرارِ وينتقمونَ من الفُجَّارِ، أو: يغفِرونَ في حقوقِ أنفسِهِم، وينتقِمونَ في حقوقِ اللهِ والعبادِ.

قولُهُ: (في الصُّورَةِ) أو بالنِّسبةِ إلى العفوِ الَّذي هو حسنةٌ، أو للمشاكَلةِ، أو لأنَّها تسوءُ مَن تنزلُ به.

قولُهُ: (يَأجُرُهُ) عِدَةٌ مبهمةٌ تدلُّ على عِظَمِ الموعودِ.

قولُهُ: (البَادِئِينَ) والمتجاوِزينَ في الانتقامِ.

قولُهُ: (إِيَّاهُ) فالمصدَرُ مضافٌ إلى مفعولِهِ.

---

(١) في «أنوار التنزيل»: «والانتصار عن مقاومة».

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٨٣).

﴿فأُولئِكَ ما عَلَيهِم مِن سَبِيلٍ﴾: مُؤاخذة ـ ٤٢ ـ ﴿إنَّما السَّبِيلُ علَى الَّذِينَ يَظلِمُونَ النّاسَ، ويَبغُونَ﴾ يعلون ﴿في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ﴾: بالمعاصي. ﴿أُولئِكَ لَهُم عَذابٌ أَلِيمٌ﴾: مُؤلم ـ ٤٣ ـ ﴿ولَمَن صَبَرَ﴾ فلم ينتصر ﴿وغَفَرَ﴾: تجاوز ﴿إنَّ ذلِكَ﴾ الصبرَ والتجاوز ﴿لَمِن عَزمِ الأُمُورِ﴾ أي: معزوماتها، بمعنى: مطلوباتها شرعًا.

٤٤ ـ ﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن وَلِيٍّ مِن بَعدِهِ﴾ أي: أحدٍ يلي هِدايته بعد إضلال الله إيّاه، ﴿وتَرَى الظّالِمِينَ لَمّا رأَوُا العَذابَ، يَقُولُونَ: هَل إلَى مَرَدٍّ﴾ إلى الدنيا ﴿مِن سَبِيلٍ﴾: طريق؟ ٤٥ ـ ﴿وتَراهُم يُعرَضُونَ علَيها﴾ أي: النارِ ﴿خاشِعِينَ﴾: خائفين مُتواضعين ﴿مِنَ الذُّلِّ، يَنظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾: ضعيفِ النظرِ مُسارَقةً ـ ومن: ابتدائية، أو بمعنى الباء ـ ﴿وقالَ الَّذِينَ آمَنُوا: إنَّ الخاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أنفُسَهُم وأهلِيهِم يَومَ القِيامةِ﴾ بتخليدهم في النار وعدم وصولهم إلى الحُور المُعدّة لهم في الجنّة لو آمنوا. والموصول: خبر «إنّ». ﴿ألا إنَّ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿في عَذابٍ مُقِيمٍ﴾: دائم ـ هو من مقول الله تعالى ـ ٤٦ ـ ﴿وما كانَ لَهُم مِن أَولِياءَ يَنصُرُونَهُم مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه، يدفع عذابه عنهم، ﴿ومَن يُضلِلِ اللهُ فما لَهُ مِن سَبِيلٍ﴾: طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة.

قولُهُ: (مُؤاخَذَةٍ) بالمعاتبةِ والمعاقبةِ.

قولُهُ: (يَعلُونَ) هذا حلُّ المعنى، والتَّقديرُ: يطلبونَ الفسادَ، أو ما لا يستحقُّونَهُ.

قولُهُ: (الصَّبرَ والتَّجاوُزَ) أي: المذكورَ؛ يعني: منهُ، فحُذِفَ منهُ كما في قولِهم: «السَّمنُ مَنَوانِ بدرهمٍ» للعلمِ به.

قولُهُ: (إلى الدُّنيَا) أي: رجعَةٍ.

قولُهُ: (أي: النَّارِ) ويدلُّ عليهَا: ﴿العذاب﴾.

قولُهُ: (مُتَواضِعِينَ) متذلِّلينَ منكسرينَ ممَّا يلحقُهُم من الذُّلِّ.

قولُهُ: (ابتِدَائيَّةٌ) أي: يبتدئُ نظرُهم إلى النَّارِ من تحريكٍ لأجفانِهم ضعيفٍ؛ كالمصبورِ ينظرُ إلى السَّيفِ.

قولُهُ: (وعَدَمِ وصُولِهم) أو بتضليلِهم أهليهم.

قولُهُ: (مِنْ مَقُولِ اللهِ) تصديقاً لهم، أو تتمَّةَ كلامِهم.

قولُهُ: (يَدفَعُ) الظَّاهرُ: يدفَعونَ أو بدفعٍ ـ بالموحَّدةِ ـ متعلِّقٌ بـ﴿يَنْصُرُونَهُم﴾.

قولُهُ: (وإلى الجَنَّةِ) وما أحسَنَ عبارَةَ القاضي: إلى الهدى أو النَّجاةِ[1].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٨٤).

٤٧ ـ ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم﴾: أجيبوه بالتوحيد والعِبادة ﴿مِن قَبلِ أن يأتِيَ يَومٌ﴾ هو يوم القيامة، ﴿لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يردّه، ﴿ما لَكُم مِن مَلجَأٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَومَئِذٍ، ومالَكُم مِن نَكيرٍ﴾: إنكار لذنوبكم. ٤٨ ـ ﴿فإن أعرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فما أرسَلْناكَ علَيهِم حَفِيظًا﴾: تحفظ أعمالهم، بأن تُوافق المطلوب منهم. ﴿إنْ﴾: ما ﴿علَيكَ إلاّ البَلاغُ﴾. وهذا قبل الأمر بالجهاد. ﴿وإنّا إذا أذَقْنا الإنسانَ مِنّا رَحْمةً﴾: نِعمة كالغنى والصحّة ﴿فَرِحَ بِها، وإن تُصِبْهُم﴾ ـ الضمير للإنسان باعتبار الجِنس ـ ﴿سَيِّئةٌ﴾: بلاء ﴿بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم﴾ أي: قدّموه، وعُبّر بالأيدي لأنّ أكثر الأفعال بها، ﴿فإنَّ الإنسانَ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿ للهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يَخلُقُ ما يَشاءُ، يَهَبُ لِمَن يَشاءُ﴾ من الأولاد ﴿إناثًا، ويَهَبُ لِمَن يَشاءُ الذُّكُورَ، أو يُزَوِّجُهُم﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُكرانًا وإناثًا، ويَجعَلُ مَن يَشاءُ عَقِيمًا﴾، فلا يلد ولا يُولد له. ﴿إنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿قَدِيرٌ﴾ على ما يشاء.

قولُهُ: (إذا أَتَى بِهِ) أي: بعدَ ما حكمَ به لا يردُّهُ اللهُ، و﴿مِنَ﴾ صلةٌ لـ﴿مَرَدَّ﴾، وقيلَ: صلةُ ﴿يَأتِيَ﴾ أي: من قبلِ أن يأتيَ يومٌ من اللهِ لا يمكنُ ردُّهُ.

قولُهُ: (إِنكَارٍ) لأنَّهُ مدوَّنٌ في صحفِ أعمالِكُم، وتشهدُ عليكُم جوارحُكُم، أو: منكِرٍ علينا فيما نفعلُ.

قولُهُ: (بأنْ تُوَافِقَ) أي: الأعمالُ.

قولُهُ: (وهَذا قَبلَ الأَمرِ) وكذا بعدَ الأمرِ، فلا نَسْخَ؛ يعني: فقد بلَّغْتَ وبلَغْتَ الجهدَ فيما أُمِرتَ بالجهادِ وغيرِهِ.

قولُهُ: (باعتِبَارِ الجِنْسِ) وهذا وإن اختُصَّ بالمجرمينَ جازَ إسنادُهُ إلى الجنسِ لغلبتِهِم واندراجِهِم.

قولُهُ: (بِهَا) أي: يزاوِلُ ويعالِجُ بها.

قولُهُ: (للنِّعمَةِ) بليغُ الكُفرانِ ينسى النِّعمةَ رأساً، ويذكرُ البليَّةَ ويعظِّمُها، ولا يتأمَّلُ في سببِها.

قولُهُ تعالى: (﴿إِنَاثًا﴾) صنفاً واحداً من أنثى كلوطٍ عليهِ السَّلامُ، وقولُهُ: (﴿الذُّكُورَ﴾) كإبراهيمَ عليهِ السَّلامُ لم يُولَد له أنثى.

قولُهُ: (أي: يَجعَلُهُم) يعني: الأولادَ.

قولُهُ: (﴿ذُكْرَانًا وإِنَاثًا﴾) أي: صنفينِ كمحمَّدٍ ﷺ.

قولُهُ: (فلا تَلِدُ) أي: المرأةُ، ويجوزُ تذكيرُهُ باعتبارِ لفظِ: ﴿مَنْ﴾.

قولُهُ: (ولا يُولَدُ لَهُ) كيحيى وعيسى عليهما السَّلامُ، وقُدِّمَ الإناثُ لأنَّها أكثرُ لتكثيرِ النَّسلِ، أو لأنَّ مساقَ الآيةِ للدَّلالةِ على أنَّ الواقعَ ما يتعلَّقُ به مشيئةُ اللهِ لا مشيئةُ الإنسانِ، أو لأنَّ الكلامَ في البلاءِ، أو للمحافظةِ على الفواصلِ.

٥١ ـ ﴿وما كانَ لِبَشَرٍ أن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلاّ﴾ أن يُوحيَ إليه ﴿وَحيًا﴾ في المنام أو بإلهام، ﴿أو﴾ إلاّ ﴿مِن وَراءِ حِجابٍ﴾ بأن يُسمعه كلامه ولا يراه كما وقع لمُوسَى ـ عليه السلام ـ ﴿أو﴾ إلاّ أن ﴿يُرسِلَ رَسُولاً﴾: مَلَكًا كجبريلَ ﴿فيُوحِيَ﴾ الرسولُ إلى المُرسَلِ إليه أي: يُكلّمه ﴿بِإذنِهِ﴾ أي: اللهِ ﴿ما يَشاءُ﴾ اللهُ. ﴿إنَّهُ عَلِيٌّ﴾ عن صِفات المُحدَثين ﴿حَكِيمٌ﴾ في صُنعه.

٥٢ ـ ﴿وكَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إيحائنا إلى غيرك من الرسل ﴿أوحَينا إلَيكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿رُوحًا﴾ هو القُرآن به تحيا القلوب ﴿مِن أمرِنا﴾ الذي نُوحيه إليك، ﴿ما كُنتَ تَدرِي﴾: تعرِفُ قبل الوحي إليك: ﴿ما الكِتابُ﴾: القُرآنُ، ﴿ولا الإيمانُ﴾ أي: شرائعُه ومعالمه؟ والنفي مُعلّق للفعل عن العمل، أو ما بعده سدّ مسدّ المفعولين، ﴿ولكِن جَعَلْناهُ﴾ أي: الروحَ أو الكِتاب ﴿نُورًا، نَهدِي بِهِ مَن نَشاءُ مِن عِبادِنا، وإنَّكَ لَتَهدِي﴾: تدعو بالوحي إليك ﴿إلَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ﴾ دينِ الإسلام، ٥٣ ـ ﴿صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ مُلكًا وخلقًا وعبيدًا. ﴿ألا إلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾: ترجِعُ.

هذا وقيل: بلسانِ الإشارةِ: الإناثُ: العلومُ الظّاهرةُ، والذُّكورُ: الباطنةُ.

قولُهُ: (أنْ يُوحيَ) قدَّرَهُ ليعطفَ عليه: ﴿يُرْسِل﴾.

قولُهُ: (أو بالإلهَامِ) أي: الإلقاءِ في القَلبِ.

قولُهُ: (كمَا وَقَعَ لِمُوسَى) وكما في حديثِ المعراجِ[١] على المشهورِ.

قولُهُ: (إلّا أنْ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿يُرسِلَ﴾ بتقديرِ: أنْ، عطفٌ على: ﴿وَحيًا﴾ لا على ﴿يكلِّمَهُ﴾ لفسادِ المعنى، وقرأ نافعٌ بالرَّفعِ فيه وفيما بعدَهُ[٢] على: أو هو يرسلُ.

قولُهُ: (تَعرِفُ) هذا حلُّ المعنى، والأَولى: «تَعلَمُ» لتحقيقِ المبنى.

قولُهُ: (أي: شَرَائِعُهُ) ممَّا لا طريقَ إليه إلَّا السَّمعُ.

قولُهُ: (والنَّفيُ) صوابُهُ: الاستفهامُ.

قولُهُ: (أو مَا بَعدَهُ) (أو) للتَّنويعِ والتَّخييرِ، أو بمعنى الواوِ.

قولُهُ: (أي: الرُّوحَ) يعني: الوحيَ.

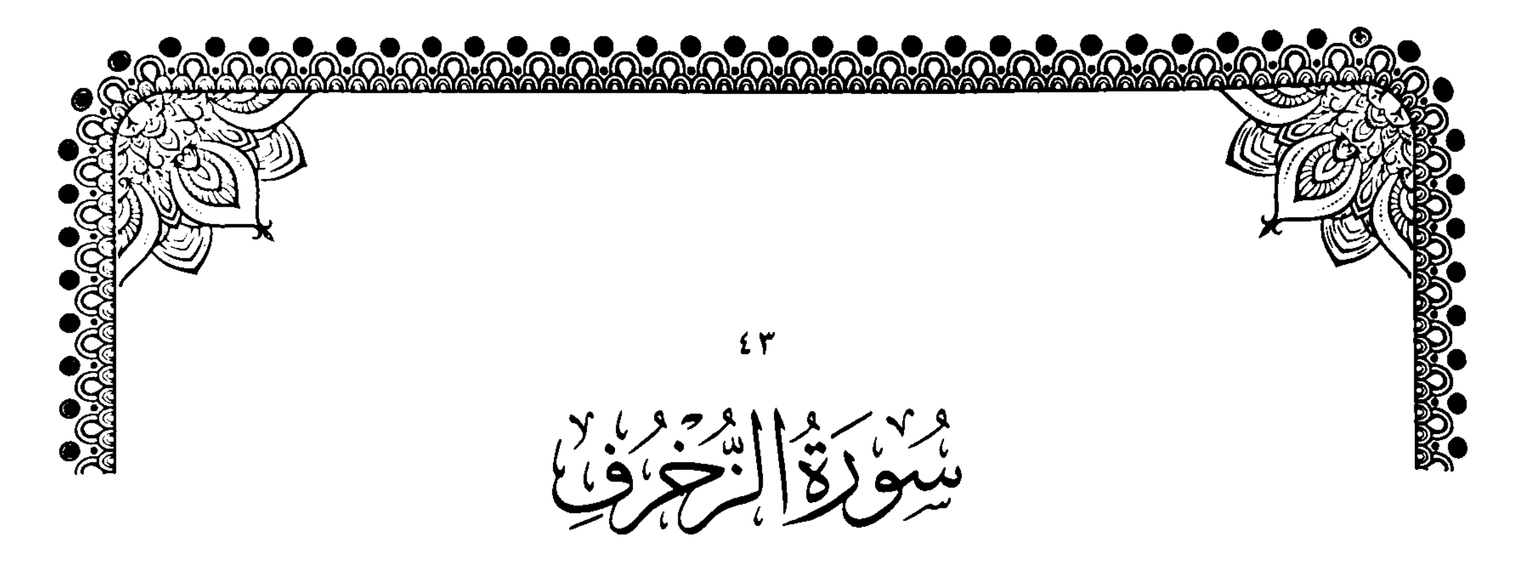
قولُهُ: (أوِ الكِتَابَ) أو الإيمانَ.

قولُهُ: (تَرجِعُ) بارتفاعِ الوسائطِ، وفيه وعدٌ ووعيدٌ للمطيعينَ والمجرمينَ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) رواه البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أي: (يرسلُ) و(فيوحيْ) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٥).



٤٣

سورة الزخرف

مكية، وقيل: إلاّ «واسأل من أرسلنا» الآيَة، تسعٌ وثمانون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿والكِتابِ﴾: القرآنِ ﴿المُبينِ﴾: المُظهِرِ طريقَ الهدى وما يُحتاج إليه من الشريعة، ٣ ـ ﴿إنّا جَعَلْناهُ﴾: أوجدنا الكتاب ﴿قُرآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب، ﴿لَعَلَّكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿تَعقِلُونَ﴾: تفهمون معانيه، ٤ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ مُثبَتٌ ﴿في أُمِّ الكِتابِ﴾: أصلِ الكُتب، أي: اللوح المحفوظ ﴿لَدَينا﴾ بدلٌ: عِندَنا ﴿لَعَلِيٌّ﴾ على الكُتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾: ذو حِكمة بالغة.

٥ ـ ﴿أَفَنَضرِبُ﴾: نُمسِك ﴿عَنكُمُ الذِّكرَ﴾:..............................

سورة الزخرف

قولُهُ: (القُرآنِ) أقسمَ بالقرآنِ على أنَّهُ جعلَهُ قرآناً عربيًّا، وهو من البديعِ ليتناسَبَ القسمُ والمقسَمُ عليه.

قولُهُ: (أَصلِ الكُتُبِ) السَّماويَّةِ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) من الجارِّ والمجرورِ.

قولُهُ: (عِندَنَا) أي: محفوظٌ.

قولُهُ: (على الكُتُبِ) أي: رفيعُ الشَّأنِ غالبٌ عليها لكونِهِ معجزاً من بينِها.

قولُهُ: (ذُو حِكمَةٍ) أو: مُحكَمٌ لا ينسخُهُ غيرُهُ.

قولُهُ: (نُمسِكُ) ونُبعِدُ ونَدفَعُ، والفاءُ للعطفِ على محذوفٍ؛ أي: أنهملُكم.

القُـرآن ﴿صَفْحًـا﴾ إمسـاكًا فلا تُؤمـرون ولا تُنهَون لِأجـل ﴿أن كُنتُم قَومًا مُسـرِفِينَ﴾: مشـركين؟ لا.
٦ ـ ٧ ـ ﴿وكَـم أرسَـلْنا مِـن نَبِـيٍّ في الأوَّلِينَ، ومـا يأتِيهِم﴾: أتاهـم ﴿مِن نَبِـيٍّ إلاّ كانُوا بِهِ يَسـتَهزِئُونَ﴾ كاستهزاء قومـك بك ـ وهذا تسـلية لـه ﷺ ـ ٨ ـ ﴿فأهلَكْنا أشَـدَّ مِنهُـم﴾: من قومك ﴿بَطشًـا﴾: قُوّة، ﴿ومَضَـى﴾: سبق في آيـاتٍ ﴿مَثَلُ الأوَّلِيـنَ﴾: صِفتُهم فـي الإهلاك! فعاقبـةُ قومك كذلك.

٩ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سألتَهُم: مَن خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ؟ لَيَقُولُنَّ﴾، حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين: ﴿خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾. آخِرُ جوابهم، أي: الله ذو العزة والعلم. زاد تعالى: ١٠ ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ مِهادًا﴾: فِراشًا كالمهد للصبيّ، ﴿وجَعَلَ لَكُم فِيها سُبُلاً﴾: طرقًا، ﴿لَعَلَّكُم تَهتَدُونَ﴾ إلى مقاصدكم في أسفاركم.

قولُهُ: (إمسَاكاً) مصدرٌ من غيرِ لفظِهِ، فإنَّ تنحيةَ الذِّكرِ عنهم إعراضٌ.

قولُهُ: (لأَجلِ) وهو في الحقيقةِ علَّةٌ مقتضيَةٌ لتركِ الإعراضِ، وقرأ حمزَةُ والكسائيُّ بالكسرِ[1] على أنَّ الجملةَ شرطيَّةٌ وما قبلَها دليلُ الجزاءِ.

قولُهُ: (لا) يعني: الهمزةُ للإنكارِ.

قولُهُ: (أَتَاهُم) جمعَ بين (كانَ)[2] و(أتاهُم)، وأحدُهُما مستغنًى عنهُ.

قولُهُ: (مِنْ قَومِكَ) فيه: أنَّه لم يتقدَّمْ ذكرُهُم، فالضَّميرُ للقومِ المسرفينَ؛ لأنَّه صُرِفَ عنهم إلى الرَّسولِ مخبراً عنهُم.

قولُهُ: (في آيَاتٍ) من القُرآنِ.

قولُهُ: (صِفَتُهُم) أو قصَّتُهُمُ العجيبةُ.

قولُهُ: (فعَاقِبَةُ) ويمكنُ أن يُقالَ: فما أبقَيْناهُم إلَّا لكَ، فإنَّك رحمةٌ للعالمينَ.

قولُهُ: (آخِرُ جَوَابِهِمْ) أو لازمُ مقولِهِم، وهو اللهُ، فلا يكونُ ما بعدَهُ استئنافاً[3].

قولُهُ: (كالمَهْدِ) وقرأَ الكوفيُّ: ﴿مَهْداً﴾[4].

قولُهُ: (إلى مَقَاصِدِكُم) أو إلى حكمةِ الصَّانعِ.

---

(١) انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٣٩٧).

(٢) «كان» ليست في المتن.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٨٧).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٥١).

١١ ـ ﴿والَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً بِقَدَرٍ﴾ أي: بقدْر حاجتكم إليه، ولم يُنزّله طُوفانًا، ﴿فأنشَرْنا﴾: أحيينا ﴿بِهِ بَلدةً مَيْتًا ـ كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ هذا الإحياء ﴿تُخرَجُونَ﴾ من قُبوركم أحياءً ـ ١٢ ـ ﴿والَّذِي خَلَقَ الأزواجَ﴾: الأصناف ﴿كُلَّها، وجَعَلَ لَكُم مِنَ الفُلْكِ﴾ السُّفنِ ﴿والأنعامِ﴾ كالإبل ﴿ما تَركَبُونَ﴾ ـ حَذف العائد اختصارًا، وهو مجرور في الأوّل أي «فيه»، منصوب في الثاني ـ ١٣ ـ ﴿لِتَستَوُوا﴾: لتستقرّوا ﴿علَى ظُهُورِهِ﴾، ذَكَّرَ الضميرَ وجَمعَ الظهر نظرًا للفظ «ما» ومعناها، ﴿ثُمَّ تَذكُرُوا نِعمَةَ رَبِّكُم إذا استَوَيتُم علَيهِ، وتَقُولُوا: سُبحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنا هذا، وما كُنّا لَهُ مُقرِنِينَ﴾: مُطِيقِينَ! ١٤ ـ ﴿وإنّا إلَى رَبِّنا لَمُنقَلِبُونَ﴾: لمنصرفون.

١٥ ـ ﴿وجَعَلُوا لَهُ مِن عِبادِهِ جُزْءًا﴾ حيثُ قالوا: «الملائكةُ بناتُ اللهِ» لأنّ الولدَ جُزء من الوالدِ والملائكةَ من عباد الله ـ تعالى ـ ﴿إنَّ الإنسانَ﴾ القائل ذلك ﴿لَكَفُورٌ مُبِينٌ﴾: بيّنٌ ظاهرُ الكُفر.........

قولُهُ تعالى: (﴿مَيْتًا﴾) أي: زالَ عنه النَّماءُ، وتذكيرُهُ لأنَّ البلدةَ بمعنى البلدِ أو المكانِ.

قولُهُ: (الإِحيَاءِ) الأُولى: الإنشارِ.

قولُهُ: (مِنْ قُبُورِكُم) تُنشَرونَ.

قولُهُ: (الأَصنَافَ) أصنافَ المخلوقاتِ.

قولُهُ: (كالإِبلِ) الظَّاهرُ: الإبلِ.

قولُهُ: (العَائِدُ) إلى: ﴿مَا﴾.

قولُهُ: (اختِصَاراً) الظَّاهرُ: أنَّهُ مراعاةٌ للفواصلِ.

قولُهُ: (في الأوَّلِ) أي: ﴿الفُلْكِ﴾.

قولُهُ: (أي: فِيهِ) أو: فيهما، وهو «على» كقولِهِ تعالى: ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٢]، ولقولِهِ: ﴿لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٣]، وهو معَ ظهورِهِ لم أرَ من ذكرَهُ.

قولُهُ: (مَنصُوبٌ) يعني: فغلبَ المتعدِّي بغيرِ واسطةٍ لقوَّته على المتعدِّي بواسطةٍ، فقيل: ما تركبونَهُ.

قولُهُ: (ذَكَّرَ الضَّمِيرَ) الظَّاهرُ: أَفردَ.

قولُهُ: (لَمُنْصَرِفُونَ) راجِعونَ.

قولُهُ: (جُزءُ الوَالِدِ) أي: بضعةٌ منه، دلالةٌ على استحالتِهِ على الواحدِ الحقِّ في ذاتِهِ، وقولُ القاضي: وقُرِئَ (جُزُؤاً) بضمَّتَينِ[1]،..

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٨٨) إلا أن عبارته: وقرأ أبو بكر بضمتين. ولعل مراده «الكشاف» (٤/ ٢٤١) فعبارته كما ساقها المصنف.

١٦ ـ ﴿أَم﴾ بمعنى همزة الإنكار، والقولُ مقدر أي: أتقولون: ﴿اتَّخَذَ مِمَّا يَخلُقُ بَناتٍ﴾ لنفسه ﴿وأصفاكُم﴾: أخلصكم ﴿بِالبَنِينَ﴾، اللازمَ من قولكم السابق، فهو من جملة المُنكَر، ١٧ ـ ﴿وإذا بُشِّرَ أحَدُهُم بِما ضَرَبَ لِلرَّحمنِ مَثَلاً﴾: جعلَ له شَبهًا بِنِسبة البنات إليه لأنّ الولد يُشبِهُ الوالد، المعنى: إذا أُخبرَ أحدهم بالبنت تُولد له ﴿ظَلَّ﴾: صار ﴿وَجهُهُ مُسوَدًّا﴾: مُتغيِّرًا تغيّرَ مُغتمّ، ﴿وهُوَ كَظِيمٌ﴾ ممتلئ غمًّا؟ فكيف يَنسِبُ البناتِ إليه تعالى؟

١٨ ـ ﴿أوَ﴾ همزة الإنكار وواو العطف بجملةٍ، أي: يجعلون لله ﴿مَن يَنشَأُ في الحِليَةِ﴾: الزِّينة، ﴿وهُوَ في الخِصامِ غَيرُ مُبِينٍ﴾: مُظهِرِ الحُجّةَ لضعفه عنها بالأنوثة؟ ١٩ ـ ﴿وجَعَلُوا المَلائكةَ الَّذِينَ هُم عِبادُ الرَّحمنِ إناثًا. أشَهِدُوا﴾: أحَضَرُوا ﴿خَلقَهُم؟ سَتُكتَبُ شَهادَتُهُم﴾ بأنهم إناث،...........

غفلةٌ؛ لأنَّه قراءةُ أبي بكرٍ[1].

قولُهُ: (بِمَعنَى: هَمزَةِ الإنكَارِ) يعني: بعدَ بل للانتقالِ.

قولُهُ: (أي: أَتَقُولُونَ) بالخطابِ، لكن لا حاجَةَ إلى التَّقديرِ.

قولُهُ: (أَخلَصَكُم) أي: اختارَكُم.

قولُهُ: (فهُو مِنْ جُملَةِ المُنكَرِ) الظَّاهرُ أنَّ محطَّ الإنكارِ هو الاتِّخاذُ فقط.

قولُهُ: (جَعَلَ) أي: بالجنسِ الَّذي جعلَ.

قولُهُ: (مُمتَلِئٌ) أي: قلبُهُ.

قولُهُ: (هَمزَةُ الإنكَارِ) حقُّهُ: همزةٌ للإنكارِ والواو للعطفِ، وهو على ما ذكَرناهُ سابقاً من الوَجهينِ.

قولُهُ: (بجُملَةٍ) أي: بجملةٍ مقدَّرةٍ.

قولُهُ: (أي: يَجعَلُونَ) أو: جَعَلوا، أو: اتَّخذَ، فـ﴿مَنْ﴾ في موضعِ نصبٍ، وقيل: في موضعِ رفعِ مبتدأٍ محذوفِ الخبرِ؛ أي: أو مَن هذا حالهُ ولدُه.

قولُهُ: (الزِّينَةِ) وقرأ حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿يُنشَّأُ﴾[2] أي: يُربَّى.

قولُهُ تعالى: (﴿عِبادُ الرَّحمَنِ﴾) قرأ الحرميَّانِ والشَّاميُّ: (عند)[3] على تمثيلِ زُلفاهُم.

قولُهُ: (حَضَرُوا)[4] ....

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨٢). (٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٦).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٨٥).

(٤) في المتن: «أحضروا»، فلعل الهمزة سقطت عند المصنف.

﴿ويُسألُونَ﴾ عنها في الآخرة، فيترتّب عليها العِقاب. ٢٠ ـ ﴿وقالُوا: لَو شاءَ الرَّحمنُ ما عَبَدْناهُم﴾ أي: الملائكةَ. فعِبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راضٍ بها. قال تعالى: ﴿ما لَهُم بذلِكَ﴾ المقول من الرضا بعِبادتها ﴿مِن عِلمٍ. إنْ﴾: ما ﴿هُم إلاّ يَخرُصُونَ﴾: يكذبون فيه. فيترتّب عليهم العقاب به.

٢١ ـ ﴿أم آتيناهُم كِتابًا مِن قَبلِهِ﴾ أي: القرآنِ بعِبادة غير الله، ﴿فهُم بِهِ مُستَمسِكُونَ﴾؟ أي: لم يقع ذلك، ٢٢ ـ ﴿بَل قالُوا: إنّا وَجَدْنا آباءَنا على أُمّةٍ﴾: مِلّة، ﴿وإنّا﴾ ماشُون ﴿علَى آثارِهِم مُهتَدُونَ﴾ بهم، وكانوا يعبدون غيرَ الله. ٢٣ ـ ﴿وكَذلِكَ، ما أرسَلْنا مِن قَبلِكَ في قَرْيةٍ مِن نَذِيرٍ إلاّ قالَ مُترَفُوها﴾ مُتنعّموها مثلَ قول قومك: ﴿إنّا وَجَدْنا آباءَنا علَى أُمّةٍ﴾: مِلّة، ﴿وإنّا علَى آثارِهِم مُقتَدُونَ﴾: متّبِعون.

٢٤ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أ﴾ تتّبعون ذلك، ﴿ولَو جِئتُكُم بِأهدَى مِمّا وَجَدتُّم علَيهِ آباءَكُم؟ قالُوا: إنّا بِما أُرسِلتُم بِهِ﴾ أنتَ ومَن قبلَك ﴿كافِرُونَ﴾. قال تعالى تخويفًا لهم: ٢٥ ـ ﴿فانتَقَمْنا مِنهُم﴾ أي: منَ المُكذّبين للرسل قبلك. ﴿فانظُرْ: كَيفَ كانَ عاقِبةُ المُكَذِّبِينَ﴾؟

٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ إبراهِيمُ لِأبِيهِ وقَومِهِ: إنَّنِي بَراءٌ﴾: بريء ﴿مِمّا تَعبُدُونَ، إلاّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾: خلقني..

ونافعٌ بهمزتَينِ[1]؛ أي: أحَضَروا خلقَ اللهِ إيَّاهم فشاهَدوهُم إناثاً؟ فإنَّ ذلك ممَّا يُعلَمُ بالمشاهدةِ، وهو تجهيلٌ لهم وتهكُّمٌ بهم.

قولُهُ: (أي: المَلائِكَةَ) أي: لو شاءَ عدمَ عبادةِ الملائكةِ ما عَبَدناهُم، فاستدلُّوا بنَفيِ مشيئةِ عَدمِ العبادَةِ على امتناعِ النَّهيِ عنها، أو على حُسنِها، وذلكَ باطلٌ؛ لأنَّ المشيئةَ ترجِيحُ بعضِ الممكناتِ على بعضٍ، مأموراً كانَ أو منهيًّا، حسناً كانَ أو غيرَهُ.

قولُهُ: (مَاشُونَ) الصَّوابُ: ثابِتونَ؛ لما تقدَّمَ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّهما خبرانِ، والأظهرُ: أنَّ الظَّرفَ صلةٌ لـ﴿مُهتَدُونَ﴾.

قولُهُ: (لَهُم) وابنُ عامرٍ وحفصٌ: ﴿قالَ﴾[2].

قولُهُ: (ذلِكَ) أي: آثارَهُم، أو: آباءَكُم.

قولُهُ: (أي: بَرِيْءٌ) مصدرٌ نُعِتَ به؛ أي: من عبادتِكُم أو معبودِكُم.

قولُهُ: (خَلَقَنِي) استثناءٌ منقطعٌ أو متَّصلٌ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٦).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٧٤).

﴿فإنَّهُ سَيَهدِينِ﴾: يُرشدني لدِينه. ٢٨ ـ ﴿وجَعَلَها﴾ أي: كلمةَ التوحيد المفهومةَ من قوله «إنِّي ذاهبٌ إلَى رَبِّي سَيَهدِينِ»، ﴿كَلِمةً باقِيَةً في عَقِبِهِ﴾: في ذُرِّيّته، فلا يزال فيهم من يوحِّد الله، ﴿لَعَلَّهُم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿يَرجِعُونَ﴾ عمّا هم عليه إلى دِين إبراهيم أبيهم.

٢٩ ـ ﴿بَل مَتَّعتُ هؤُلاءِ﴾ المُشركين ﴿وآباءَهُم﴾، ولم أعاجلهم بالعُقوبة، ﴿حَتَّى جاءَهُمُ الحَقُّ﴾: القُرآن، ﴿ورَسُولٌ مُبِينٌ﴾: مُظهرٌ لهم الأحكامَ الشرعيّة ـ وهو محمد ﷺ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿ولَمّا جاءَهُمُ الحَقُّ﴾: القُرآن ﴿قالُوا: هذا سِحرٌ وإنّا بِهِ كافِرُونَ. وقالُوا: لَولا﴾: هلاّ ﴿نُزِّلَ هذا القُرآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ القَرْيَتَينِ﴾ من أيّةٍ منهما ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: الوليد بن المُغيرة بمكّة وعُروة بن مسعود الثقفيّ بالطائف. ٣٢ـ ﴿أهُم يَقسِمُونَ رَحْمةَ رَبِّكَ﴾ النبوّةَ؟ ﴿نَحنُ قَسَمْنا بَينَهُم مَعِيشتَهُم في الحَياةِ الدُّنيا﴾، فجعلنا بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا، ﴿ورَفَعْنا بَعضَهُم﴾ بالغِنى ﴿فَوقَ بَعضٍ دَرَجاتٍ، لِيَتَّخِذَ بَعضُهُم﴾: الغنيُّ ﴿بَعضًا﴾: الفقيرَ ﴿سُخرِيًّا﴾: مُسخَّرًا في العمل له بالأُجرة. والياء للنسب، وقُرئ بكسر السين. ﴿ورَحْمةُ رَبِّكَ﴾ أي: الجنّةُ ﴿خَيرٌ مِمّا يَجمَعُونَ﴾ في الدنيا.

قولُهُ: (يُرشِدُني) أي: سيَهدِيني إلى ما وراءَ ما هَداني إليه، أو: سيثُبِّتُني على الهدايةِ.

قولُهُ: (أي: كَلِمَةَ التَّوحِيدِ) أي: جعلَ إبراهيمُ، أو اللهُ، لا يخفى أنَّ ﴿كَلِمَةً﴾ مكتوبةٌ بالحمرةِ، والصَّوابُ كتابتُهُ بالحبرِ؛ لأنَّها من جُملةِ كلماتِ التَّفسيرِ، ثمَّ لا بدَّ من كتابةِ (﴿كَلِمَةً﴾) بالحمرةِ قبلَ ﴿بَاقِيَةً﴾ بعدُ.

قولُهُ: (مَنْ يُوَحِّدُ اللهَ) ويَدعُو إلى توحيدِهِ؛ أي: كاملاً مكمِّلاً.

قولُهُ: (أَهلَ مَكَّةَ) أو: من أشركَ من ذرِّيَّتِهِ.

قولُهُ: (المُشرِكِينَ) المعاصرينَ للنبيِّ ﷺ بالمدِّ في العمرِ والنِّعمةِ، فاغترُّوا بذلك وانهَمَكوا في الشَّهواتِ.

قولُهُ: (مِنْ أيَّةٍ مِنهُما) أي: من إحداهُما.

قولُهُ: (بالطَّائفِ) فإنَّ الرِّسالةَ منصبٌ عظيمٌ لا يليقُ إلَّا بعظيمٍ في الجاهِ والحالِ، ولم يَعلمُوا أنَّها رتبةٌ روحانيَّةٌ تستَدعِي عظمةَ النَّفسِ بالتَّحلِّي بالفضائلِ القدسيَّةِ لا التَّزخرفِ بالزَّخارفِ الدُّنيويَّةِ.

قولُهُ: (بالغِنَى) وغيرِ ذلك.

قولُهُ: (الغَنِيُّ) وغيرُه؛ أي: ليستعمِلَ بعضُهُم بعضاً في حوائجِهِم، فيحصلَ بينهُم تآلفٌ ونظامٌ، وينتظِمَ بذلك نظامُ العالمِ، لا لكمالٍ في الموسَّعِ، ولا لنقصٍ في المقتَّرِ.

قولُهُ: (بكَسرِ السِّينِ) فيكونُ من السُّخريةِ والاستهزاءِ.

قولُهُ: (أي: الجَنَّةُ) أو النُّبوَّةُ، وما يتبَعُها خيرٌ من حطامِ الدُّنيا، فالعظيمُ من يُرزَقُ منها لا منهُ.

٣٣ ـ ﴿وَلَوْلا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً واحِدَةً﴾ على الكُفر ﴿لَجَعَلْنا لِمَن يَكفُرُ بِالرَّحمنِ لِبُيُوتِهِم﴾: بدلٌ من «لِمَن» ﴿سَقفًا﴾ ـ بفتح السين وسكون القاف، وبضمّهما جمعًا ـ ﴿مِن فِضّةٍ ومَعارِجَ﴾ كالدَّرج من فِضّة، ﴿عليها يَظهَرُونَ﴾: يعلون إلى السطح، ٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿ولِبُيُوتِهِم أبوابًا﴾ من فِضّة، ﴿و﴾ جعلنا لهم ﴿سُرُرًا﴾ من فِضّة: جمع سَرير ﴿عليها يَتَّكِئُونَ وزُخرُفًا﴾: ذهبًا. المعنى: لولا خوفُ الكُفر على المُؤمن من إعطاء الكافر ما ذُكر لأعطيناه ذلك لِقلّة خطر الدنيا عندنا وعدم حظّه في الآخرة في النعيم. ﴿وإنْ﴾: مُخفّفة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذلِكَ لَمَا﴾ ـ بالتخفيف فـ «ما» زائدة، وبالتشديد بمعنى «إلاّ» فإنْ: نافية ـ ﴿مَتاعُ الحَياةِ الدُّنيا﴾ يُتمتَّع به فيها ثمّ يزول، ﴿والآخِرةُ﴾: الجنّة ﴿عِندَ رَبِّكَ لِلمُتَّقِينَ﴾.

قولُهُ: (بَدَلٌ) بَدلُ اشتِمالٍ.

قولُهُ: (بِفَتحِ السِّينِ) مكّيٌّ وبصريٌّ[1]، اكتفاءً بجمعِ البيوتِ.

قولُهُ: (لَهُم) أو لبيوتِهِم؛ إذ اللّامُ للاختصاصِ.

قولُهُ: (ذَهَباً) عطفٌ على محلِّ: ﴿مِنْ فضَّةٍ﴾، أو زينةٌ عطفٌ على: ﴿سُقُفًا﴾.

قولُهُ: (خَوفُ الكُفرِ) الأولى: كراهَةُ.

قولُهُ: (مَا ذُكِرَ) بأن يرغَبَ في الكفرِ إذا رأى الكفَّارَ في غايةٍ من السَّعةِ والتَّنعُّمِ.

قولُهُ: (لِقِلَّةِ خَطَرِ[2] الدُّنيَا) كما في الحديثِ: «لو كانت الدُّنيا تعدلُ عندَ اللهِ جناحَ بعُوضَةٍ ما سَقَى كافراً منها شَرْبَةَ ماءٍ»[3].

قولُهُ: (وعَدَمِ حَظِّهِ في الآخِرَةِ) فمُقتَضى ظاهرِ العدلِ: أنْ يكونَ حظُّهُ كاملاً في الدُّنيا، كما أنَّ حظَّ المؤمنِ كامِلٌ في العُقبَى.

قولُهُ: (فـ﴿ما﴾ زَائِدَةٌ) واللّامُ فارقةٌ.

قولُهُ: (وبالتَّشدِيدِ) عاصمٌ وحمزةُ وهشامٌ بخلفٍ عنه[4].

قولُهُ: (فـ﴿إنْ﴾ نَافِيَةٌ) وقُرِئَ بـ(إلَّا) معَ (إنْ) و(ما)[5].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٦).

(٢) في (م): «حظ».

(٣) رواه الترمذي (٢٣٢٠)، وابن ماجه (٤١١٠) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه.

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٦).

(٥) أي: (وإن كل ذلك إلا)(وما كل ذلك إلا) انظر: «الكشاف» (٤/ ٢٤٩).

٣٦ ـ ﴿ومَن يَعشُ﴾: يُعرِض ﴿عَن ذِكرِ الرَّحمنِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿نُقَيِّض﴾: نُسبِّبْ ﴿لَهُ شَيطانًا، فهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ لا يُفارقه. ٣٧ ـ ﴿وإنَّهم﴾ أي: الشياطينَ ﴿لَيَصُدُّونَهم﴾ أي: العاشِينَ ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهُدى، ﴿ويَحسِبُونَ أنَّهم مُهتَدُونَ﴾. في الجمع رِعاية معنى «مَن».

٣٨ ـ ﴿حَتَّى إذا جاءَنا﴾ العاشي، بقرينه يوم القيامة، ﴿قالَ﴾ له: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَ بَينِي وبَينَكَ بُعدَ المَشرِقَينِ﴾ أي: مِثلَ بُعدِ ما بين المشرق والمغرب. ﴿فبِئسَ القَرِينُ﴾ أنتَ لي! قال تعالى: ٣٩ ـ ﴿ولَن يَنفَعَكُمُ﴾ أي: العاشِينَ تمنّيكم وندمُكم ﴿اليَومَ، إذ ظَلَمتُم﴾ أي: تبيّنَ لكم ظُلمكم بالإشراك في الدنيا، ﴿أنَّكُم﴾ مع قُرنائكم ﴿في العَذابِ مُشتَرِكُونَ﴾. عِلّةٌ بتقدير اللام لعدم النفع. وإذ: بدل من «اليومَ».

٤٠ ـ ﴿أفأنتَ تُسمِعُ الصُّمَّ أو تَهدِي العُميَ ومَن كانَ في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّن؟ أي: فهم لا يُؤمنون. ٤١ ـ ﴿فإمّا﴾ ـ فيه إدغام نون «إن» الشرطيّة في «ما» المزيدة ـ ﴿نَذهَبَنَّ بِكَ﴾ بأن نُميتَك قبل تعذيبهم ﴿فإنّا مِنهُم مُنتَقِمُونَ﴾ في الآخرة، ٤٢ ـ ﴿أو نُرِيَنَّكَ﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدْناهُم﴾ به من العذاب ﴿فإنّا علَيهِم﴾: على عذابهم ﴿مُقتَدِرُونَ﴾: قادرون.

قولُهُ: (يُعرِضُ) ويتَعامَ بفرطِ اشتغالِهِ بالمحسُوساتِ وانهماكِهِ في الشَّهواتِ.

قولُهُ: (نُسَبِّبْ) ونقدِّرْ.

قولُهُ: (لا يُفَارِقُهُ) ويوسوسُهُ ويغويهِ دائماً.

قولُهُ: (رِعَايَةُ مَعنَى ﴿من﴾) إذ المرادُ: جنسُ العاشِي، والشَّيطانُ المقيَّضُ له، وفي إفرادِ الضَّميرِ رُوعِي لفظُ ﴿مَنْ﴾.

قولُهُ: (بِقَرِينِهِ) وقرأَ الحرميَّانِ والشَّاميُّ وشعبةُ: (جَاءَانَا) أي: العاشِي والشَّيطانُ.

قولُهُ: (لَهُ) أي: للعاشي.

قولُهُ: (أي: بُعدَ مَا بَينَ) أو: بعدَ المشرقِ من المغربِ، فغلَّبَ المشرقَ [وثَنَّى][1] وأضافَ البعدَ إليهما.

قولُهُ: (عِلَّةٌ) أي: لأنَّ حقَّكُم أن تشترِكوا أنتم وشياطينُكم في العذابِ، كما كنتُم مشتركينَ في سببِهِ.

قولُهُ: (المَزِيدَةِ) المؤكِّدةِ بمنزلةِ لامِ القسمِ في استجلابِ النُّونِ المؤكِّدةِ.

قولُهُ: (في الآخِرَةِ) أو: بعدَكَ في الدُّنيا والعُقبى.

قولُهُ: (في حَيَاتِكَ) يعني: أو إن أرَدْنا أن نريَكَ.

---

(١) من البيضاوي.

٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿فاستَمسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيكَ﴾ أي: القُرآنِ ـ ﴿إِنَّكَ علَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ، وإِنَّهُ لَذِكرٌ﴾: لَشَرفٌ ﴿لَكَ ولِقَومِكَ﴾ لنُزوله بلغتهم، ﴿وسَوفَ تُسألُونَ﴾ عن القِيام بحقّه ـ ٤٥ ـ ﴿واسأَلْ مَن أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رُسُلِنا: أجَعَلْنا مِن دُونِ الرَّحمنِ﴾ أي: غيرِه ﴿آلِهَةً يُعبَدُونَ﴾؟ قيل: هو على ظاهره بأن جُمع له الرسل ليلة الإسراء. وقيل: المراد أُممٌ من أيِّ أهلُ الكتابين. ولم يَسأل، على واحد من القولين لأنّ المُراد من الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قُريش أنه لم يأت رسول من الله ولا كتاب بعِبادة غير الله.

٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا مُوسَى بِآياتِنا إِلَى فِرعَونَ ومَلَئِهِ﴾ أي: القِبط، ﴿فقالَ: إِنِّي رَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ. فلَمّا جاءَهُم بِآياتِنا﴾ الدالّة على رِسالته ﴿إِذا هُم مِنها يَضحَكُونَ، وما نُرِيهِم مِن آيَةٍ﴾ من آيات العذاب كالطُّوفانِ ـ وهو ماء دخل بُيوتهم حتّى وصل إلى حُلوق الجالسين سبعة أيام ـ والجرادِ ﴿إلاّ هِيَ أكبَرُ مِن أُختِها﴾: قرينتِها التي قبلها، ﴿وأَخَذْناهُم بِالعَذابِ، لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾ عن الكُفر، ٤٩ ـ ﴿وقالُوا﴾ لموسى لمّا رأَوُا العذاب:..

قولُهُ: (أي: القُرآنِ) والشَّرائعِ.

قولُهُ: (أُمَمٌ مِن) أو: علماءُ دينِهِم.

قولُهُ: (مِنَ القَولَينِ) بل قالَ: لا أشكُّ ولا أسألُ.

قولُهُ: (لَمْ يَأتِ رَسُولٌ) فيكونُ إجماعُ الأنبياءِ على التَّوحيدِ.

قولُهُ: (الَّتي قَبْلَهَا) دفعٌ لإشكالٍ، وهو: أنَّ أفعلَ التَّفضيلِ إذا نُسِبَ إلى شيءٍ وجبَ أن يكونَ فيه زيادةٌ على المفضَّلِ عليهِ، فيلزمُ أن تكونَ كلُّ واحدةٍ منها أكبرَ من الأخرى، وذلك يؤدِّي إلى أن يكونَ أكبرَ وليسَ بأكبرَ؟

فأجابَ: بأنَّ المرادَ أنَّ ما يأتي أكبرُ ممَّا تقدَّمَ، فيكونُ المرادُ بقولِه: ﴿مِنْ أُخْتِهَا﴾: أختَها المتقدِّمَةَ عليها، كذا في «الأمالي»[1]، ويَرِدُ عليه: أنَّ المتقدِّمةَ على الكلِّ إنَّما هي العصَا، ولا آيَةَ أكبرُ منها، فالأظهرُ في الجوابِ: أنَّ كلَّ واحدةٍ تظهرُ أنَّها أكبرُ مشقَّةً كقولِهِ:

مَـنْ تلـقَ منهُـم تقُـلْ لاقيْـتُ سـيِّدَهُم[2]

أو معناهُ: أشقُّ وأعظمُ وأثقلُ عليهم.

---

(١) انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٠٨).

(٢) قائله: عقيل بن العرندس، انظر: «محاضرات الأدباء» (١/ ٢٠٣)، و«الدر الفريد» (٩/ ٣١٨)، وعجزه:

مثل النجوم التي يسري بها الساري

﴿يا أيُّها السَّاحِرُ﴾ أي: العالمُ الكامل، لأنّ السحر عِندهم عِلم عظيم، ﴿ادعُ لَنا رَبَّكَ بِما عَهِدَ عِندَكَ﴾ من كشف العذاب عنّا، إن آمنّا. ﴿إنَّنا لَمُهتَدُونَ﴾ أي: مُؤمنون. ٥٠ ـ ﴿فلَمّا كَشَفْنا﴾ بدُعاء مُوسَى ﴿عَنهُمُ العَذابَ إذا هُم يَنكُثُونَ﴾: ينقضون عهدهم ويُصرّون على كُفرهم.

٥١ ـ ﴿ونادَى فِرعَونُ﴾ افتخارًا ﴿في قَومِهِ، قالَ: يا قَومِ، أَلَيسَ لِي مُلكُ مِصرَ وهذِهِ الأنهارُ﴾ من النيل ﴿تَجرِي مِن تَحتِيَ﴾، أي: تحتِ قُصوري؟ ﴿أفلا تُبصِرُونَ﴾ عظمتي؟ ٥٢ ـ ﴿أم﴾ بل تُبصرون، وحينئذ ﴿أنا خَيرٌ مِن هذا﴾ أي: مُوسَى ﴿الَّذِي هُو مَهِينٌ﴾: ضعيف حقير، ﴿ولا يَكادُ يُبِينُ﴾: يُظهِر كلامَه للُثغته بالجمرة التي تناولها في صِغره. ٥٣ ـ ﴿فلَولا﴾: هلاّ ﴿أُلقِيَ علَيهِ﴾، إن كان صادقًا، ﴿أساوِرَةٌ مِن ذَهَبٍ﴾: جمعُ أسوِرةٍ، كأغرِبة جمع سِوار، كعادتهم فيمن يُسوّدونه، أن يُلبسوه أسورةَ ذهب ويُطوّقونه طوق ذهب، ﴿أو جاءَ مَعَهُ المَلائكةُ مُقتَرِنِينَ﴾: مُتتابعين يشهدون بصدقه.

٥٤ ـ ٥٥ ـ ٥٦ ـ ﴿فاستَخَفَّ﴾: استفزّ فرعونُ ﴿قَومَهُ، فأطاعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ـ ﴿إنَّهُم كانُوا قَومًا، فاسِقِينَ ـ فلَمّا آسَفُونا﴾: أغضبونا ﴿انتَقَمْنا مِنهُم، فأغرَقْناهُم أجمَعِينَ، فجَعَلْناهُم سَلَفًا﴾:

قولُهُ: (إنْ آمَنَّا) وتفسيرُ البيضاويِّ ﴿ادعُ﴾ بقولِهِ: تَدعو[1]، لا أعلمُ ما الدَّاعي له إليهِ.

قولُهُ: (عَهْدَهُم) بالاهتداءِ.

قولُهُ: (افتِخَاراً) بنفسِهِ أو بمناديهِ.

قولُهُ: (قُصُورِي) أو أمري، والواوُ عاطفةٌ، أو واو الحالِ.

قولُهُ: (تُبْصِرونَ) إشارةٌ إلى أنَّ ﴿أمْ﴾ متَّصلةٌ.

قولُهُ: (جَمْعُ أَسوِرَةٍ) الصَّحيحُ أنَّه جمعُ إسوارٍ بمَعنى السِّوارِ، على تعويضِ التَّاءِ من ياءِ أساويرَ، وقرأَ حفصٌ: ﴿أسورة﴾[2] وهي جمعُ سوارٍ، وقُرِئَ: (أساوير)[3] جمعُ: أسورةٍ.

قولُهُ: (استَفَزَّ) وطلبَ منهُمُ الخفَّةَ في مطاوعتِهِ، أو: فاستخَفَّ أحلامَهُم؛ أي: وجَدَها خفيفةً.

قولُهُ: (أَغضَبُونَا) بالإفراطِ في العنادِ والعصيانِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٩٢) إلا أنه سقط من المطبوع، وقال الشهاب الخفاجي في «حاشيته على تفسير البيضاوي» (٧/ ٤٤٤): قوله: (أي تدعو لنا. . . إلخ) هو تفسير لحاصل المعنى، وقد سقط من بعض النسخ هنا، وذكر عند قوله: (إنا لمهتدون بشرط أن تدعو. . . إلخ).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٧).

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لأُبي أو عبد الله، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٣٦).

جمع سالِف، كخادم وخَدَم، أي: سابقين عِبرةً ﴿ومَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾ بعدهم، يتمثّلون بحالهم، فلا يُقدمون على مِثل فِعالهم.

٥٧ ـ ﴿ولَمّا ضُرِبَ﴾: جُعل ﴿ابنُ مَريَمَ مَثَلاً﴾ حين نزل قوله تعالى «إنّكُم وما تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ»، فقال المشركون: «رضينا أن تكون آلهتنا مع عِيسَى لأنه عُبِد من دُون الله»، ﴿إذا قَومُكَ﴾ أي: المُشركون ﴿مِنهُ﴾: من المَثَل ﴿يَصِدُّونَ﴾: يضِجّون فرحًا بما سمعوا، ٥٨ ـ ﴿وقالُوا: ءَآلِهتُنا خَيرٌ أم هُوَ﴾ أي: عِيسَى؟ فنرضى أن تكون آلهتنا معه. ﴿ما ضَرَبُوهُ﴾ أي: المَثَلَ ﴿لَكَ إلاّ جَدَلاً﴾: خُصومة بالباطل لِعِلمهم أنّ «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عِيسَى عليه السلام. ﴿بَل هُم قَومٌ خَصِمُونَ﴾: شديدو الخصومة.

٥٩ ـ ﴿إنْ هُوَ﴾: ما عِيسَى ﴿إلاّ عَبدٌ أنعَمْنا علَيهِ﴾ بالنبوّة، ﴿وجَعَلْناهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلاً لِبَنِي إسرائيلَ﴾ أي: كالمَثَل لغرابته، يُستدلّ به على قُدرة الله ـ تعالى ـ على ما يشاء. ٦٠ ـ ﴿ولَو نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنكُم﴾: بَدَلَكم ﴿مَلائكةً في الأرضِ يَخلُفُونَ﴾ بأن نُهلِكَكم. ٦١ ـ ٦٢ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: عِيسَى ﴿لَعِلمٌ لِلسّاعةِ﴾ تُعلَم بنُزوله.

قولُهُ: (كخَادِمٍ) وقرأ حمزةُ والكسائيُّ بضمِّهما[١]، جمعُ سالفٍ، كصُبُرٍ.

قولُهُ: (يَتَمَثَّلُونَ) أي: قصَّةً عجيبةً تسيرُ سيرَ الأمثالِ لهم، فيُقالُ: مَثَلُكُم مَثَلُ قومِ فرعونَ.

قولُهُ: (المُشرِكُونَ) الضَّاربُ ابنُ الزِّبَعْري[٢]، أسلمَ في آخرِ عمرِه.

قولُهُ: (المُشرِكُونَ) من قُريشٍ.

قولُهُ: (مِنَ المَثَلِ) أي: هذا المثلِ.

قولُهُ: (يَضحَكُونَ) الظَّاهرُ: يَضِجُّونَ؛ أي: يصيحونَ فرحاً لظنِّهم أنَّ الرَّسولَ ﷺ صارَ ملزَماً به، وقرأ نافعٌ وشاميٌّ والكسائيُّ بالضَّمِّ[٣]؛ أي: يُعرِضونَ عن الحقِّ، أو هو لغةٌ في الأوَّلِ على ما في «القاموسِ»[٤].

قولُهُ: (خُصُومَةً) علَّةٌ؛ أي: لا لتمييزِ الحقِّ من الباطلِ.

قولُهُ: (تُعلَمُ) أي: دنوُّها.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٧).

(٢) جاء ذلك فيما رواه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٩٨٦)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٠٥)، والضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (١١/ ٣٤٥) (٣٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٧).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٩٢).

﴿فلا تَمتَرُنَّ بِها﴾، حُذفَ منه نونُ الرفع للجزم، ووواوُ الضمير لالتقاء الساكنين: تَشُكُّنَّ فيها. ﴿و﴾ قل لهم: ﴿اتَّبِعُونِي﴾ على التوحيد ـ ﴿هذا﴾ الذي آمركم به ﴿صِراطٌ﴾: طريقٌ ﴿مُستَقِيمٌ ـ ولا يَصُدَّنَّكُمُ﴾: يصرفَنكم عن دِين الله ﴿الشَّيطانُ. إنَّهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ العداوة.

٦٣ ـ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿ولَمّا جاءَ عِيسَى بِالبَيِّناتِ﴾: بالمُعجزات والشرائع ﴿قالَ: قَد جِئتُكُم بِالحِكْمَةِ﴾: بالنبوّة وشرائع الإنجيل، ﴿ولِأُبَيِّنَ لَكُم بَعضَ الَّذِي تَختَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة من أمر الدِّين وغيره. فبيَّنَ لهم أمرَ الدِّين. ﴿فاتَّقُوا اللهَ وأَطِيعُونِ. إنَّ اللهَ هُوَ رَبِّي ورَبُّكُم. فاعبُدُوهُ. هذا صِراطٌ﴾: طريقٌ ﴿مُستَقِيمٌ. فاختَلَفَ الأحزابُ مِن بَينِهِم﴾ في عِيسَى: أهو اللهُ أو ابنُ الله أو ثالثُ ثلاثة؟ ﴿فوَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾: كفروا بما قالوه في عِيسَى ﴿مِن عَذابِ يَومٍ أَلِيمٍ﴾: مُؤلم.

٦٦ ـ ﴿هَل يَنظُرُونَ﴾ أي: كُفّارُ مكّة، أي: ما ينتظرون ﴿إلاّ السّاعَةَ، أن تأتِيَهُم﴾: بدلٌ من «الساعةَ» ﴿بَغْتَةً﴾: فجْأة، ﴿وهُم لا يَشعُرُونَ﴾ بوقت مجيئها قبله؟ ٦٧ ـ ﴿الأخِلاّءُ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَومَئِذٍ﴾: يومَ القِيامة، مُتعلّق بقوله: ﴿بَعضُهُم لِبَعضٍ عَدُوٌّ، إلاّ المُتَّقِينَ﴾ المُتحابِّين في الله على طاعته. فإنهم أصدقاءُ، ويقال لهم:

٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ﴿يا عِبادِي ـ لا خَوفٌ عَلَيكُمُ اليَومَ ولا أنتُم تَحزَنُونَ ـ الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نعتٌ لـ «عبادي» ﴿بِآياتِنا﴾: القُرآنِ، ﴿وكانُوا مُسلِمِينَ. ادخُلُوا الجَنَّةَ، أنتُم﴾:.........

قولُهُ: (قُلْ لَهُم) كذا قيل، والأظهرُ أنَّ معناهُ: اتَّبعوا هُدايَ، أو شَرعي، أو رَسولي، وأثبتَ الياءَ بصريٌّ وصلاً[١].

قولُهُ: (والشَّرَائعِ) الأظهرُ: عطفُهُ بـ«أو»، أو: بآياتِ الإنجيلِ.

قولُهُ: (بالنُّبوَّةِ) أو: بالإنجيلِ والشَّريعةِ.

قولُهُ: (فبيَّنَ لَهُم أَمرَ الدِّينِ) فإنَّ الأنبياءَ لم تُبعَثْ لبيَانِ أمرِ الدُّنيا، ولذا قالَ ﷺ: «أنتُم أعلَمُ بأمورِ دُنياكُم»[٢].

قولُهُ: (بِوقتِ مَجِيئِهَا) أي: غافِلونَ عنها لإنكارِهِم لها ولاشتغالِهِم بأمورِ الدُّنيا.

قولُهُ: (على المَعصِيَةِ) فالاستثناءُ منقطِعٌ، والأظهَرُ: الإطلاقُ؛ ولأنَّ الاتِّصالَ أصلٌ في الاستثناءِ.

قولُهُ: (نَعتٌ) أو مدحٌ مرفوعٌ أو منصوبٌ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢٣٦٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

مُبتدأٌ ﴿وأزواجُكُم﴾: زوجاتُكم ﴿تُحبَرُونَ﴾: تُسرُّون وتُكرمون، خبرُ المبتدأِ، ٧١ـ ٧٢ـ ٧٣ـ ﴿يُطافُ علَيهِم بِصِحافٍ﴾: بِقِصاع ﴿مِن ذَهَبٍ وأكْوابٍ﴾: جمعُ كُوب ـ وهو إناء لا عُروة له ليَشرب الشاربُ من حيثُ شاء ـ ﴿وفِيها ما تَشتَهِي الأنفُسُ﴾ تلذّذًا ﴿وتَلَذُّ الأعيُنُ﴾ نظرًا، ﴿وأنتُم فِيها خالِدُونَ. وتِلكَ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثتُمُوها بِما كُنتُم تَعمَلُونَ، لَكُم فِيها فاكِهةٌ كَثِيرةٌ مِنها﴾ أي: بعضَها ﴿تأكُلُونَ﴾، وكُلّ ما يُؤكل يَخلُفُ بدلُه.

٧٤ـ ٧٥ـ ﴿إنَّ المُجرِمِينَ في عَذابِ جَهَنَّمَ خالِدُونَ، لا يُفتَّرُ﴾: يُخفّف ﴿عَنهُم، وهُم فِيهِ مُبلِسُونَ﴾:

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ) الظَّاهرُ أنَّه فصلٌ، تأكيدٌ لضميرِ ﴿ادْخُلُوا﴾، ﴿وَأَزْوَاجُكُم﴾ عطفٌ عليهِ، و﴿تُحْبَرُونَ﴾ جملةٌ حاليَّةٌ.

قولُهُ: (زَوجَاتُكُم) أو رجالُكُم، فإنَّ الخطابَ عامٌّ شاملٌ للرِّجالِ والنِّساءِ تغليباً.

قولُهُ: (وتُكْرَمُونَ) الواو بمعنى: أو، وقيل: معناهُ: تُزَيَّنُونَ، أو: يُغَنَّى لكم.

قولُهُ: (بقِصَاعٍ) جمعُ صحفةٍ كقَصعةٍ.

قولُهُ: (إِنَاءٌ) أي: كوزٌ، و(لا عُروَةَ) أي: لا مُمسَكَ.

قولُهُ: (تَلَذُّذًا) وقرأ نافعٌ وشاميٌّ وحفصٌ: ﴿تشتهيهِ﴾[1] على الأصلِ.

قولُهُ: (نَظَراً) بمشاهدتِهِ، وذلك تعميمٌ بعد تخصيصِ ما يُعَدُّ من الزَّوائدِ الَّتي تفخرُ الصِّحاف والأكواب[2] في التَّنعُّمِ والتَّلذُّذِ.

قولُهُ: (بَعضَهَا) لكثرَتِها ودوامِ نوعِها، ولعلَّ تفصيلَ التَّنعُّمِ بالمطاعمِ والملابسِ وتكريرَهُ في القرآنِ ـ وهو حقيرٌ بالإضافةِ إلى سائرِ نِعَمِ الجنَّةِ ـ لِمَا كانَ لهم من الشِّدَّةِ والفاقةِ، أو لما كان أكثرُ النَّاسِ عليهِ من تحصيلِ النِّعمِ الحسِّيَّةِ، ولذا قيل[3]: «أكثرُ أهلِ الجنَّةِ البُلهِ»[4]، حيثُ اقتصرَت هِمَمُهم عليها.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٧).

(٢) قوله: «الَّتي تفخر الصِّحاف والأكواب» كذا في النسخ، ولم ترد في «تفسير البيضاوي».

(٣) هكذا ساقه هنا، وتقدم عنده أنه حديث نبوي.

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٦٣٣٩)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢٩٨٢)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ٣٢٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٩٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٠٥) من حديث أنس رضي الله عنه. قال ابن عدي: هذا الحديث بهذا الإسناد منكر.

وقال الطحاوي: ذكرت هذا الحديث لأحمد بن أبي عمران، فقال: معناه معنى صحيح. والبله المرادون فيه هم البله عن محارم الله عز وجل لا من سواهم ممن به نقص العقل بالبَلَه.

ساكتون سكوتَ يأس، ٧٦ ـ ٧٧ ـ ﴿وما ظَلَمْناهُم ولكِن كانُوا هُمُ الظّالِمِينَ، ونادَوا: يا مالِكُ﴾ هو خازنُ النار، ﴿لِيَقضِ علَينا رَبُّكَ﴾: ليُمِتْنا. ﴿قالَ﴾ بعد ألفِ سنة: ﴿إنَّكُم ماكِثُونَ﴾: مُقيمون في العذاب دائمًا.

٧٨ ـ ٧٩ ـ قال تعالى: ﴿لَقَد جِئناكُم﴾ أي: أهلَ مكّة ﴿بِالحَقِّ﴾ على لسان الرسول، ﴿ولكِنَّ أكثَرَكُم لِلحَقِّ كارِهُونَ. أم أبرَمُوا﴾ أي: كُفّارُ مكّة أحكموا ﴿أمرًا﴾ في كيد مُحمّد النبيّ؟ ﴿فإنّا مُبرِمُونَ﴾: مُحكِمون كيدَنا في إهلاكهم. ٨٠ ـ ﴿أم يَحسِبُونَ أنّا لا نَسمَعُ سِرَّهُم ونَجْواهُم﴾: ما يُسرّون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم؟ ﴿بَلَى﴾ نسمعُ ذلك، ﴿ورُسُلُنا﴾: الحَفَظةُ ﴿لَدَيهِم﴾: عِندَهم ﴿يَكتُبُونَ﴾ ذلك.

٨١ ـ ﴿قُلْ: إن كانَ لِلرَّحمنِ وَلَدٌ﴾ فَرْضًا ﴿فأنا أوَّلُ العابِدِينَ﴾ للولد. لكن ثَبَتَ أنْ لا ولدَ له ـ تعالى ـ فانتفت عِبادته. ٨٢ ـ ﴿سُبحانَ رَبِّ السَّماواتِ والأرضِ رَبِّ العَرشِ﴾: الكُرسيّ ﴿عَمّا يَصِفُونَ﴾: يقولون من الكذب بِنسبة الولد إليه! ٨٣ ـ ﴿فذَرْهُم، يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿ويَلعَبُوا﴾ في دُنياهم، ﴿حَتَّى يُلاقُوا يومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذابَ. وهو يوم القيامة.

قولُهُ: (سَاكِتُونَ) أو: آيِسونَ من النَّجاةِ.

قولُهُ: (لِيُمِتْنَا) من قَضى عليهِ: إذا أماتَهُ؛ أي: سَلْ ربَّكَ، أو ليحكُم علينا بالموتِ، وهو لا يُنافي إبلاسَهُم، فإنَّه استغاثةٌ وتمنٍّ للموتِ من فَرطِ الشِّدَّةِ.

قولُهُ: (أي: أَهلَ مَكَّةَ) الظَّاهرُ أنَّه تتمَّةُ الجوابِ إن كانَ في ﴿قالَ﴾ ضميرُ اللهِ، وإلَّا فجوابٌ منه تعالى، وكأنَّهُ عزَّ وجلَّ تولَّى جوابَهُم بعدَ جوابِ مالكٍ.

قولُهُ: (أي: كُفَّارُ مَكَّةَ) وقيل: التفاتٌ.

قولُهُ: (مَا يُسِرُّونَ) الظَّاهرُ: حديثُ نفسِهِم بذلك وتناجيهِم.

قولُهُ: (الحَفَظَةُ) مع ذلكَ.

قولُهُ: (عِندَهُم) ملازِمونَ.

قولُهُ: (فَرضاً) أو في زعمِكُم.

قولُهُ: (لِلوَلَدِ) أو للهِ تعالى، فإنَّه بذلك أولى، ويؤيِّدُه ما قيل: إنَّ ﴿إنْ﴾ للنَّفي.

قولُهُ: (الكُرسِيّ) الصَّحيحُ أنَّه غيرُه كما تقدَّمَ[1].

قولُهُ: (العَذَابَ) مفعولٌ ثانٍ.

---

(١) في الآية رقم: (١٢٩) من سورة التوبة، حيث قال: الأصح أنه الجسم الأعظم المحيط.

٨٤ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿فِي السَّماءِ إِلٰـهٌ﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وإسقاطِ الأولى، وتسهيلِها كالياء ـ أي: معبودٌ، ﴿وفِي الأرضِ إِلٰـهٌ﴾، وكُلّ من الظرفين مُتعلّق بما بعده، ﴿وهُوَ الحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿العَلِيمُ﴾ بمصالحهم، ٨٥ ـ ﴿وتَبارَكَ﴾: تعظّم ﴿الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما، وعِندَهُ عِلمُ السّاعةِ﴾: متى تقومُ؟ ﴿وإِلَيهِ تُرجَعُونَ﴾ بالتاء والياء.

٨٦ ـ ﴿ولا يَملِكُ الَّذِينَ يَدعُونَ﴾: يَعبدون، أي: الكُفّارُ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ ﴿الشَّفاعةَ﴾ لأحد، ﴿إلاّ مَن شَهِدَ بِالحَقِّ﴾ أي قال: «لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ»، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عِيسَى وعُزيرٌ والملائكة، فإنهم يشفعون للمُؤمنين. ٨٧ ـ ﴿ولَئِنْ﴾ ـ لامُ قسم ـ ﴿سألتَهُم: مَن خَلَقَهُم؟ لَيَقُولُنَّ: اللهُ﴾. حُذِفَ منه نونُ الرفع وواوُ الضمير. ﴿فأنَّى يُؤفَكُونَ﴾: يُصرفون عن عِبادة الله؟

٨٨ ـ ﴿وقِيلَهُ﴾ أي: قولَ مُحمّد النبيّ، ونصبُه على المصدر بفعله المقدر،..................

قولُهُ: (هُو) قدَّرَهُ؛ لأنَّ الصِّلةَ لا تكونُ إلَّا جملةً، وهو الرَّاجِعُ، وحُذِفَ لطولِ الصِّلةِ بمتعلَّقِ الخبرِ والعطفِ عليهِ، وفي الآية نفيُ الآلهةِ السَّماويَّةِ والأرضيَّةِ، واختصاصُهُ باستحقاقِ الألوهيَّةِ.

قولُهُ: (بتَحقِيقِ الهَمزَتَينِ) شاميٌّ وكوفيٌّ[1].

قولُهُ: (وإِسقَاطِ الأُولَى) مدًّا وقصراً بصريٌّ.

قولُهُ: (وتَسهِيلِهَا) كالياءِ مدًّا وقصراً قالونُ والبزِّيُّ، وحقُّهُ أن يقولَ: وتسهيلُ الثَّانيةِ وإبدالها، وهما لورشٍ وقُنبلٍ.

قولُهُ: (بِمَا بَعدَهُ) لأنَّهُ بمعنى المعبودِ.

قولُهُ: (والتَّاءِ) الخطابُ على الالتفاتِ للتَّهديدِ لغيرِ مكِّيٍّ وحمزةَ والكسائيِّ.

قولُهُ: (يَعبُدُونَ) أي: يعبدونَهُم، وهم الأصنامُ.

قولُهُ: (لأَحدٍ) كما زَعمُوا أنَّهُم شفعاؤُهُم عندَ اللهِ.

قولُهُ: (أي: قَالَ) أي: بالتَّوحيدِ.

قولُهُ: (وَهُم عِيسَى) والاستثناءُ متَّصلٌ إن أُريدَ بالموصولِ كلُّ ما عُبِدَ من دونِ اللهِ؛ لاندراجِ الملائكةِ والمسيحِ فيه، ومنفصلٌ إن خُصَّ بالأصنامِ.

قولُهُ: (ونَصبُهُ) وجرَّهُ عاصمٌ وحمزةُ[2] عطفاً على: ﴿السَّاعة﴾، والعجبُ من الشَّيخِ أنَّه يهملُ بيانَ......

---

(١) لهذا وما بعده انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٣٣).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٨٩)، و«الحجة في القراءات السبع» (ص: ٣٢٣).

أي: وقال: ﴿يا رَبِّ، إنَّ هؤُلاءِ قَومٌ، لا يُؤمِنُونَ﴾. ٨٩ ـ قال تعالى: ﴿فاصفَحْ﴾: أعرِض ﴿عَنهُم، وقُلْ: سَلامٌ﴾ منكم. وهذا قبل أن يُؤمر بقتالهم. ﴿فسَوفَ يَعلَمُونَ﴾، بالياء والتاء: تهديدٌ لهم.

اختلافِ القراءاتِ الَّتي يترتَّبُ عليها اختلافُ الإعرابِ والمعنى، ويعتني بوجوهِ الأداءِ للقراءاتِ الَّتي لا تعلُّقَ لها بالإعرابِ ولا بالمعنى، بل يتوقَّفُ على السَّماعِ من أفواهِ المشايخِ.

قولُهُ: (مِنكُم) أي: تسلُّمٌ ومتاركةٌ[1].

قولُهُ: (والتَّاءِ) للخطابِ نافعٌ وشاميٌّ[2].

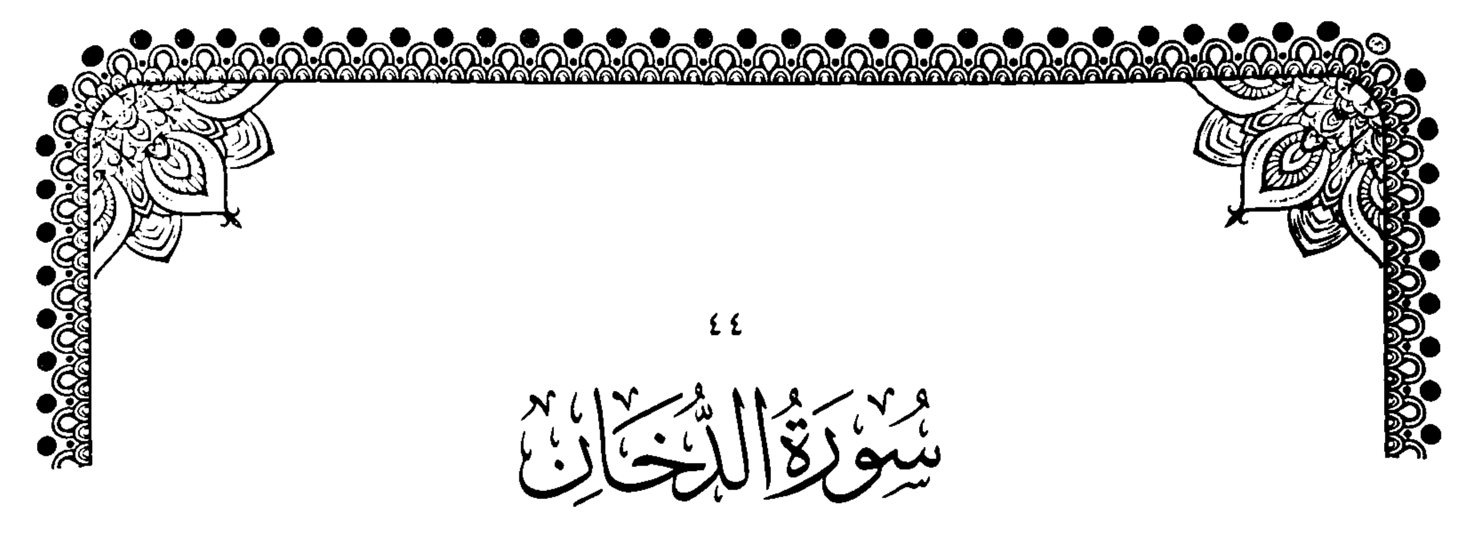
قولُهُ: (تَهدِيدٌ لَهُم) وتسليةٌ للنَّبيِّ ﷺ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) بعدها في النسخ: «أوامر الإسلام»، وليست في «الكشاف» و«أنوار التنزيل»، ولا يظهر لها وجه.

(٢) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٣٤).



٤٤

سورة الدخان

مكية، وقيل: إلاّ «إنّا كاشفو العذاب قليلاً» الآية، وهي ستٌّ أو سبع أو تسع وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿والكِتابِ﴾: القرآنِ ﴿المُبِينِ﴾: المُظهِر الحلالَ من الحرام، ٣ ـ ﴿إنّا أنزَلْناهُ في لَيلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر أو ليلة النصف من شعبان، نزل فيها من أُمّ الكِتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ـ ﴿إنّا كُنّا مُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفين به ـ ٤ ـ ﴿فِيها﴾ أي: في ليلة القدر أو ليلة نصف شعبان ﴿يُفرَقُ﴾: يُفصل ﴿كُلُّ أمرٍ حَكِيمٍ﴾: ....

سورة الدخان

قولُهُ: (الحَلالَ) والحقَّ من الباطِلِ.

قولُهُ: (نَزَلَ) أو ابتُدِئَ[1] إنزالُهُ فيها.

قولُهُ: (إلى سَمَاءِ الدُّنيَا) ثمَّ أُنزِلَ إلى الرَّسولِ ﷺ نُجوماً، وبركتُها لذلك ـ فإنَّ نزولَ القرآنِ سببٌ للمنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ ـ، أو لِمَا فيها مِن نزولِ الملائكةِ والرَّحمةِ وإجابةِ الدَّعوةِ، كذا قيل، ويمكنُ أن يكونَ الثَّاني أيضاً ببركةِ الأوَّلِ.

قولُهُ: (أي: في لَيْلَةِ القَدرِ) وهو الأصحُّ؛ لقولِهِ تعالى في سورةِ القدرِ: ﴿مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [٤].

قولُهُ: (يُفصَلُ) وقُرِئَ بالتَّشديدِ[2].

---

(١) في (م): «ابتدأ».

(٢) أي: (يفرَّق) وهي قراءة شاذة، ونسبت للحسن والأعرج والأعمش، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٣٠).

مُحكَم من الأرزاق والآجال وغيرهما التي تكون في السنة إلى مِثل تلك الليلة ٥ ـ ﴿أمرًا﴾: فرقًا ﴿مِن عِندِنا. إنّا كُنّا مُرسِلِينَ﴾ الرسلَ مُحمّدًا ومَن قبلَه ٦ ـ ﴿رَحْمَةً﴾: رأفة بالمُرسَل إليهم ﴿مِن رَبِّكَ﴾.

﴿إنّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿العَلِيمُ﴾ بأفعالهم، ٧ ـ ﴿رَبُّ السَّماواتِ والأرضِ وما بَينَهُما﴾، برفع «ربّ» خبرٌ ثالث، وبجرّه بدلٌ من «ربّك» ـ ﴿إن كُنتُم﴾، يا أهل مكّة، ﴿مُوقِنِينَ﴾ بأنه تعالى ربّ السماوات والأرض فأيقنوا بأنّ مُحمّدًا رسوله ـ ٨ ـ ﴿لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ، يُحيِي ويُمِيتُ، رَبُّكُم ورَبُّ آبائكُمُ الأوّلِينَ﴾.

٩ ـ ﴿بَل هُم في شَكٍّ﴾ من البعث، ﴿يَلعَبُونَ﴾ استهزاء بك، يا مُحمّد. فقال: «اللّٰهُمَّ أعِنِّي علَيهِم بسَبعٍ كسَبعِ يُوسُفَ». ١٠ ـ قال تعالى: ﴿فارتَقِبْ﴾ لَهُم ﴿يَومَ تأتِي السَّماءُ بِدُخانٍ مُبِينٍ﴾ ـ فأجدبَتِ الأرض واشتدّ بهم الجوع إلى أن رأَوا من شِدّته كهيئة الدُّخان بين السماء والأرض ـ ١١ ـ ١٢ ـ ﴿يَغشَى النّاسَ﴾، فقالوا: ﴿هذا عَذابٌ أليمٌ. رَبَّنا، اكشِفْ عَنّا العَذابَ. إنّا مُؤمِنُونَ﴾: مُصدّقون نبيَّك.

قولُهُ: (فَرْقاً) فنصبُهُ على المصدرِ من غيرِ لفظِهِ، وقيل: من فعلِهِ المقدَّرِ؛ أي: أَمَرْنا أمراً، وقيل: علّةٌ أو حالٌ، وقيل: مفعولُ ﴿مُنْذِرِيْنَ﴾.

قولُهُ: (ومَنْ قَبْلَهُ) من الرُّسلِ.

قولُهُ: (رَأْفَةً) أي: لأجلِ الرَّحمةِ.

قولُهُ: (خَبَرٌ ثَالِثٌ) أو استئنافٌ.

قولُهُ: (وبِجَرِّهِ) للكوفيِّ[1].

قولُهُ: (لَهُم) اللّامُ للتَّعليلِ.

قولُهُ: (كَهَيئَةِ الدُّخَانِ) من ضعفِ بصرِهِ، أو لأنَّ الهواءَ يظلمُ عامَ القحطِ لقلّةِ الأمطارِ وكثرةِ الغبارِ، وقد قُحطُوا حتَّى أكلوا جِيَفَ الكلابِ وعِظامَها، فالمعنى: يومَ شدَّةٍ ومجاعةٍ، أو المرادُ: يومَ ظهورِ الدُّخانِ المعدودِ في أشراطِ السَّاعةِ؛ لأنّه ﷺ تلا الآيةَ، وقالَ: «يملأُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ، يمكثُ أربعينَ يوماً وليلةً، أمّا المؤمنُ فيصيبُهُ كهيئةِ الزُّكامِ، وأمّا الكافرُ فهوَ كالسَّكرانِ يخرجُ مِنْ منخرِهِ وأُذُنيهِ ودُبُرِهِ»[2].

قولُهُ: (فَقَالُوا) الأظهرُ: قائلينَ، أو يُقالُ لهم بلسانِ القالِ أو الحالِ، ويقدَّرُ: فقالوا قبلُ: ﴿ربَّنَا﴾.

قولُهُ: (مُصَدِّقُونَ) وعدٌ بالإيمانِ إن كشَفَ العذابَ عنهُم.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ١٧) من حديث حذيفة رضي الله عنه. وضعفه.

١٣ ـ قال تعالى: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكرَى﴾ أي: لا ينفعهم الإيمانُ عِند نُزول العذاب، ﴿وقَد جاءَهُم رَسُولٌ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الرسالةِ، ١٤ ـ ١٥ ـ ﴿ثُمَّ تَوَلَّوا عَنهُ وقالُوا: مُعلَّمٌ﴾ أي: يُعلّمه القُرآنَ بشرٌ، ﴿مَجنُونٌ؟ إنّا كاشِفُو العَذابِ﴾ أي: الجوعِ عنكم زمنًا ﴿قَلِيلاً﴾ ـ فكُشِف عنهم ـ ﴿إنَّكُم عائدُونَ﴾ إلى كُفركم. فعادوا إليه.

١٦ ـ اذكرْ ﴿يَومَ نَبطِشُ البَطْشَةَ الكُبرَى﴾ ـ هو يوم بدر ـ ﴿إنّا مُنتَقِمُونَ﴾ منهم. والبطش: الأخذ بقوّة. ١٧ ـ ﴿ولَقَد فَتَنّا﴾: بلَونا ﴿قَبلَهُم قَومَ فِرعَونَ﴾ معه، ﴿وجاءَهُم رَسُولٌ﴾ هو مُوسَى ـ عليه السلام ـ ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله تعالى، ١٨ ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن ﴿أدُّوا إلَيَّ﴾ ما أدعوكم إليه من الإيمان، أي: أظهِروا إيمانكم بالطاعة لي ـ يا ﴿عِبادَ اللهِ ـ إنّي لَكُم رَسُولٌ أمِينٌ﴾ على ما أُرسلتُ به، ١٩ ـ ﴿وأنْ لا تَعلُوا﴾: تتجبّروا ﴿علَى اللهِ﴾ بترك طاعته ـ ﴿إنِّيَ آتِيكُم بِسُلطانٍ﴾: برهان ﴿مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ على رسالتي. فتوعَّدوه بالرجم، ٢٠ ـ فقال: ﴿وإنِّي عُذتُ بِرَبِّي ورَبِّكُم أن تَرجُمُونِ﴾ بالحِجارة ـ ٢١ ـ ﴿وإن لَم تُؤمِنُوا لِي﴾: تُصدّقوني ﴿فاعتَزِلُونِ﴾: فاتركوا أذايَ..................................

قولُهُ: (عِندَ نُزُولِ العَذَابِ) الظَّاهرُ أنَّ العذابَ هو القحطُ، وهو لا ينفِي نفعَ الإيمانِ إلّا على القولِ بأنَّ الدُّخانَ من أشراطِ السَّاعةِ، وهو يكونُ بعدَ طلوعِ الشَّمسِ من مغرِبِها، فالمعنى الصَّحيحُ: من أينَ لهم وكيفَ يتذكَّرونَ حالَةَ كشفِ العذابِ، وقد جاءَهُم رسولٌ يُبيِّنُ لهم ما هو أعظمُ منها في إيجابِ الإذكارِ من الآياتِ والمعجزاتِ؟

قولُهُ: (زَمَناً) أو كشفاً.

قولُهُ: (فكُشِفَ) أي: رُفِعَ القحطُ بدعاءِ النبيِّ ﷺ[1].

قولُهُ: (يَومُ بَدْرٍ) أو: يومُ القيامةِ.

قولُهُ: (بَلَوْنَا) امتحنَّاهُم بإرسالِ موسى إليهم، أو: أوقَعْناهُم في الفِتنةِ بالإمهالِ[2]، وتوسيعِ الجاهِ والمالِ.

قولُهُ: (عَلى اللهِ) أو: على المؤمنينَ، أو: في نفسِهِ؛ لشرفِ نسبِهِ، وفضلِ حسَبِهِ.

قولُهُ: (مَا أَدعُوكُم) أي: حقَّ اللهِ، أو: أدُّوا عبادَ اللهِ إليَّ وأرسلوهُم معي.

قولُهُ: (على مَا أُرْسِلْتُ بِهِ) غيرُ متَّهمٍ؛ لدلالةِ المعجزاتِ على صدقِهِ.

قولُهُ: (بالحِجَارَةِ) أو الشَّتمِ، أو الأذى.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٢١)، ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) في (م): «بالآمال».

فلم يتركوه، ٢٢ ـ ﴿فدَعا رَبَّهُ أنَّ﴾ أي: بأنّ ﴿هؤُلاءِ قَومٌ مُجرِمُونَ﴾: مُشرِكون، ٢٣ ـ فقال تعالى: ﴿فأَسْرِ﴾، بقطعِ الهمزة ووصلِها، ﴿بِعِبادِي﴾ بني إسرائيل ﴿لَيلاً ـ إنَّكُم مُتَّبَعُونَ﴾: يتّبعكم فِرعَون وقومه ـ ٢٤ ـ ﴿واترُكِ البَحرَ﴾ إذا قطعتَه أنت وأصحابك ﴿رَهْوًا﴾: ساكنًا منفرجًا حتّى يدخله القِبط. ﴿إنَّهُم جُندٌ مُغرَقُونَ﴾. فاطمأنّ بذلك فأُغرقوا.

٢٥ ـ ﴿كَم تَرَكُوا مِن جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ﴾ تجري، ٢٦ ـ ﴿وزُرُوعٍ ومَقامٍ كَرِيمٍ﴾: مجلس حسن، ٢٧ ـ ﴿ونَعْمةٍ﴾: مُتعة، ﴿كانُوا فِيها فاكِهِينَ﴾ ناعِمين! ـ ٢٨ ـ ﴿كَذلِكَ﴾ خبرُ مُبتدأ، أي: الأمرـ ﴿وأورَثْناها﴾ أي: أموالَهم ﴿قَومًا آخَرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل، ٢٩ ـ ﴿فما بَكَتْ علَيهِمِ السَّماءُ والأرضُ﴾ بخِلاف المُؤمنين يبكي عليهم بموتهم مُصلاّهم من الأرض ومَصعَدُ عملهم من السماء، ﴿وما كانُوا مُنظَرِينَ﴾: مُؤَخَّرينَ للتوبة.

قولُهُ: (مُشرِكُونَ) مُصرُّون، وهو تعريضٌ بالدُّعاءِ عليهم بذكرِ ما استوجَبوهُ به، ولذلك سُمِّي دعاءً.

قولُهُ: (وَوَصلِهَا) حِرْميٌّ[1].

قولُهُ: (فِرعَونُ) إذا عَلِموا بخروجِكُم.

قولُهُ: (إذا قَطَعْتَهُ) ولا تضربهُ بعَصاكَ.

قولُهُ: (سَاكِناً) أو مفتوحاً.

قولُهُ: (فاطمَأَنَّ) أي: موسى وقومُهُ معه.

قولُهُ: (بَسَاتِينَ) أي: كثيراً تَركوا.

قولُهُ: (مُتعَةٍ) وتنعُّمٍ.

قولُهُ: (نَاعِمِينَ) متنعِّمينَ.

قولُهُ: (أي: الأَمرُ) أو: مثلَ ذلك الإخراجِ أخرَجناهُم منها، ويلائمُهُ ما بعدَهُ.

قولُهُ: (أي: بَنِي إِسرَائِيلَ) ويدلُّ عليه ﴿أورثْنَاهَا بني إسرائيلَ﴾، وقيلَ: غيرهُم؛ لأَنَّهُم لم يَعودوا إلى مصرَ، ويمكنُ أن يُقالَ: المثبتُ جنسُهُم، والمنفيُّ أشخاصُهُم.

قولُهُ: (يَبكِي عَلَيهِم) وهـو كنايَةٌ عن الاكتراثِ بموتِهِم، والاعتدادِ بوجودِهِم، بخلافِ الكفَّارِ، وقيلَ: «أهلُ» مقدَّرٌ.

قولُهُ: (للتَّوبَةِ) أو: ممهلينَ إلى وقتٍ آخرَ.

---

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٣٥).

٣٠ ـ ﴿وَلَقَدْ نَجَّينا بَنِي إسرائيلَ مِنَ العَذابِ المُهِينِ﴾: قتلِ الأبناء واستخدام النساء ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿مِن فِرعَونَ﴾. قيل: بدلٌ من «العذاب» بتقدير مضاف، أي: عذاب، وقيل: حالٌ من «العذاب» ـ ﴿إنَّهُ كانَ عالِيًا﴾ أي: متكبرًا مسرفًا ﴿مِنَ المُسرِفِينَ ـ ولَقَدِ اختَرناهُم﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَى عِلمٍ﴾ منّا بحالهم ﴿عَلَى العالَمِينَ﴾ أي: عالَمِي زمانهم العُقلاء، ٣٣ ـ ﴿وآتيناهُم مِنَ الآياتِ ما فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ﴾: نعمةٌ ظاهرة من فلق البحر والمنّ والسلوى وغيرها.

٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿إنَّ هؤُلاءِ﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿لَيَقُولُونَ: إنْ هِيَ﴾: ما الموتة التي بعدها الحياةُ ﴿إلاَّ مَوتَتُنا الأُولَى﴾ أي: وهم نُطَف، ﴿وما نَحنُ بِمُنشَرِينَ﴾: بمبعوثين أحياءً بعد الثانية. ٣٦ ـ ﴿فائتُوا بِآبائنا﴾ أحياءً، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ أنا نُبعث بعد موتنا أي: نحيا.

٣٧ ـ ٣٨ ـ قال تعالى: ﴿أهُم خَيرٌ أم قَومُ تُبَّعٍ﴾، هو نبيّ أو رجل صالح، ﴿والَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾....

قولُهُ: (واستِخدَامِ النِّساءِ) واستعبادِ فرعَونَ.

قولُهُ: (أي: عَذَابِ) وقيلَ: جُعلَ عذاباً لإفراطِهِ في العذابِ.

قولُهُ: (حَالٌ) بمعنى: واقعاً من جهتِهِ.

قولُهُ: (بحَالِهِم) أي: عالمينَ بأنَّهُم أحقَّاءُ بذلك، أو: معَ علمٍ منَّا بأنَّهُم يزيغونَ في بعضِ الأحوالِ.

قولُهُ: (أي: عَالَمِي زَمَانِهِم) أو لكثرةِ الأنبياءِ فيهم.

قولُهُ: (العُقَلاءِ) يُشكِلُ بالملائكةِ، فالأولى أن يُفسَّرَ بالثَّقلينِ.

قولُهُ: (نِعمَةٌ) أو اختبارٌ.

قولُهُ: (أي: كُفَّارَ مَكَّةَ) وقصَّةُ فرعونَ معترضَةٌ.

قولُهُ: (مَا المَوتَةُ) أي: لمَّا قيلَ لهم: «إنَّكُم تموتونَ موتةً تعقُبُها حياةٌ، كما تقدَّمَتْكُم موتةٌ كذلك» قالوا ذلكَ الكلامَ.

قولُهُ: (أَحيَاءً) خطابٌ لمن وعدَهُم بالنُّشورِ من الرَّسولِ والمؤمنينَ.

قولُهُ: (هُو نَبِيٌّ) وعنهُ عليه السَّلامُ: «ما أدري أكانَ تُبَّعٌ نبيًّا أو غيرَ نبيٍّ»[1]، يعني به: الحميريَّ الَّذي سارَ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٠٤)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٣/ ٥٣٥) (٢٦٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقال الذهبي: لا أعلم له علة.

وروى أبو داود (٤٦٧٤)، وابن شاهين في «ناسخ الحديث» (٦٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٧٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٥٩٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «ما أدري أتبَّعُ لعين هو أم لا».

من الأُمم؟ ﴿أهلكْناهُم﴾ لكُفرهم. والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأُهلكوا ـ ﴿إنَّهُم كانُوا مُجرِمِينَ ـ وما خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما لاعِبِينَ﴾ بخلق ذلك، حالٌ. ٣٩ ـ ﴿ما خَلَقْناهُما﴾ وما بينهما ﴿إلاّ بِالحَقِّ﴾ أي: مُحِقِّينَ في ذلك، يُستدلّ به على قُدرتنا ووحدانيّتنا وغير ذلك، ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم﴾ أي: كُفّارِ مكة ﴿لا يَعلَمُونَ﴾.

٤٠ ـ ﴿إنَّ يَومَ الفَصلِ﴾: يومَ القيامة يفصِل الله فيه بين العباد ﴿مِيقاتُهُم أجمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم، ٤١ ـ ﴿يَومَ لا يُغنِي مَولًى عَن مَولًى﴾ بقرابة أو صداقة، أي: لا يدفع عنه ﴿شَيئًا﴾ من العذاب! ﴿ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون منه ـ ويوم: بدل من «يومَ الفصل» ـ ٤٢ ـ ﴿إلاّ مَن رَحِمَ اللهُ﴾، وهم المُؤمنون، فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله. ﴿إنَّهُ هُوَ العَزِيزُ﴾: الغالب في انتقامه من الكُفّار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمُؤمنين.

٤٣ ـ ﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾، هي من أخبث الشجر المرّ بتِهامةَ يُنبتها الله ـ تعالى ـ في الجحيم ٤٤ ـ ﴿طَعامُ الأثِيمِ﴾ كأبي جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير،..........................

بالجيوشِ وبنى سمرقندَ، وقيلَ: هَدمَها، كانَ مؤمناً وقومُهُ كافرينَ، ولذلك ذمَّهُمُ اللهُ تعالى دونَهُ.

قولُهُ: (مِنَ الأُمَمِ) كعادٍ وثمودَ.

قولُهُ: (كُفَّارِ مَكَّةَ) بل ﴿أكثرهُم﴾ على إطلاقِهِ لقلَّةِ نظرِهِم.

قولُهُ: (بَينَ العِبَادِ) يعني: فصلَ المُحِقِّ عن المبطِلِ بالجزاءِ، أو المرادُ: يومَ فصلِ الحقِّ عن الباطلِ، أو فصلِ الرَّجلَ عن أقاربِهِ وأحبَّائِهِ.

قولُهُ: (للعَذَابِ) أي: وقتَ موعدِهِم.

قولُهُ: (مِنَ العَذَابِ) أو الإغناءِ.

قولُهُ: (يُمنَعُونَ) والضَّميرُ لـ﴿مَوْلًى﴾ الأوَّلِ باعتبارِ المعنى؛ لأنَّه عامٌّ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) أو منصوبٌ بـ(اذكرْ) مقدَّرٍ.

قولُهُ: (وهُم المُؤمِنُونَ) ومحلُّهُ الرَّفعُ على البدلِ من الواوِ، أو النَّصبُ على الاستثناءِ؛ أي: إلَّا مَن رحمَهُ اللهِ بالعفوِ عنه وقبولِ الشَّفاعةِ فيه.

قولُهُ: (بالمُؤمِنِينَ) سيَّما بالأبرارِ.

قولُهُ: (وأَصحَابِهِ) الأظهرُ: وأمثالِهِ، والمرادُ به: الكافرُ؛ لدلالةِ ما قبلَهُ وما بعدَهُ عليه.

٤٥ ـ ﴿كالمُهلِ﴾ أي: دُرْدِيِّ الزيت الأسود، خبرٌ ثانٍ، ﴿تَغلِي في البُطُونِ﴾ ـ بالفَوقانيّة: خبرٌ ثالث، وبالتحتانيّة: حال من المُهل ـ ٤٦ ـ ﴿كَغَلي الحَمِيمِ﴾ أي: الماء الشديد الحرارة، ٤٧ ـ ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خُذوا الأثيم ﴿فاعتِلُوهُ﴾، بكسر التاء وضمّها: جُرّوه بغِلظة وشِدّة ﴿إِلَى سَواءِ الجَحِيمِ﴾ وسَط النار، ٤٨ ـ ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوقَ رأسِهِ مِن عَذابِ الحَمِيمِ﴾ أي: من الحميم الذي لا يُفارقه العذاب ـ فهو أبلغ ممّا في آية «يُصَبُّ مِن فَوقِ رُؤُوسِهِمِ الحَمِيمُ» ـ ٤٩ ـ ويقال له: ﴿ذُقْ﴾ أي: العذابَ. ﴿إِنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾ بزعمِك وقولِك: ما بينَ جَبلَيها أعزُّ وأكرمُ منّي. ٥٠ ـ ويقال لهم: ﴿إِنَّ هذا﴾ الذي ترَون من العذاب ﴿ما كُنتُم بِهِ تَمتَرُونَ﴾: فيه تشكّون.

٥١ ـ ﴿ إِنَّ المُتَّقِينَ في مَقامٍ﴾ مجلسٍ ﴿أَمِينٍ﴾: يؤمَنُ فيه الخوفُ، ٥٢ ـ ٥٣ ـ ﴿في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ، يَلبَسُونَ مِن سُندُسٍ وإستَبرَقٍ﴾ أي: ما رقَّ من الديباج وما غلُظ منه، ﴿مُتَقابِلِينَ﴾ حالٌ، أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرّة بهم ـ ٥٤ ـ ﴿كَذلِكَ﴾ يُقدّر قبله: الأمرُ ـ ﴿وزَوَّجْناهُم﴾ من التزويج أو قرنّاهم، ....

قولُهُ: (والتَّحتَانِيَّةِ) مكِّيٌّ وحفصٌ[1].

قولُهُ: (وضَمِّهَا) حِرْميٌّ وشاميٌّ.

قولُهُ: (أي: مِنَ الحَمِيمِ) و﴿مِنْ﴾ للتَّبعيضِ دلالةً على أنَّ المصبوبَ بعضُ هذا النَّوعِ.

قولُهُ: (ويُقَالُ لَهُ) الأظهرُ: وقولوا له؛ أي: استهزاءً وتهكُّماً وتقريعاً على ما كانَ يزعمُهُ، وقرأَ الكسائيُّ: (أَنَّكَ) بالفتحِ[2]؛ أي: لأنَّكَ.

قولُهُ: (مَجلِسٍ) الظَّاهرُ: مَوضعِ قيامٍ، وقرأَ نافعٌ والشَّاميُّ بالضَّمِّ[3]؛ أي: موضِعِ إقامَةٍ.

قولُه: (الخَوفُ) والآفَةُ والانتقالُ.

قولُهُ: (بَسَاتِينَ) بدلٌ من: ﴿مَقامٍ﴾.

قولُهُ: (لِدَوَرَانِ الأسِرَّةِ) فيكونُ على خرقِ العادَةِ، أو: متقابلينَ في مجالسِهِم ليستأنِسَ بعضُهم ببعضٍ.

قولُهُ: (الأمرُ) أو: آتيناهُم مثلَ ذلك.

قولُهُ: (أو قَرَنَّاهُم) وهو الصَّحيحُ، ولذلك عُدِّي بالباءِ ففي «القاموسِ»: زوَّجتُه امرأةً وتزوَّجْتُ امرأةً

(١) هذا وما بعده. انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٨).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٩٣).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٧١).

﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: بنساء بيضٍ واسعاتِ الأعين حِسانِها، ٥٥ ـ ﴿يَدعُونَ﴾: يطلبون الخَدمَ ﴿فِيها﴾ أي: الجنّةِ، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فاكِهةٍ﴾ منها ﴿آمِنِينَ﴾ من انقطاعها ومضرّتها ومن كلّ مخوف: حالٌ، ٥٦ ـ ٥٧ ـ ﴿لا يَذُوقُونَ فِيها المَوتَ إلاّ المَوتةَ الأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها ـ قال بعضهم: «إلاّ» بمعنى بعدَ ـ ﴿وَوَقاهُم عَذابَ الجَحِيمِ، فَضلاً﴾: مصدرٌ بمعنى تفضُّلاً منصوب بـ «تفضّلَ» مُقدّرًا، ﴿مِن رَبِّكَ. ذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾.

٥٨ ـ ﴿فإنَّما يَسَّرْناهُ﴾: سهّلنا القرآنَ ﴿بِلِسانِكَ﴾: بلغتك لتفهمه العرب عنك، ﴿لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتّعظون فيُؤمنون. لكنهم لا يُؤمنون. ٥٩ ـ ﴿فارتَقِبْ﴾: انتظر هلاكَهم. ﴿إنَّهُم مُرتَقِبُونَ﴾ هلاكَك. وهذا قبلَ نُزول الأمر بجِهادهم.

وبها، أو هذهِ قليلةٌ، ﴿وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾: قرنّاهُم[1].

قولُهُ: (بِيضٍ) جمعُ: حوراءَ.

قولُهُ: (حِسَانُهَا) جمعُ: عيناءَ، واختُلِفَ في أنّهنَّ نساءُ الدُّنيا أو غيرُها، ولا منعَ من الجمعِ.

قولُهُ: (الخَدَمَ) ويأمُرونَ بإحضارِ ما يشتَهونَ من الفواكِهِ لا يتخصَّصُ شيءٌ منها بزمانٍ ولا مكانٍ.

قولُهُ: (في الدُّنيَا) والاستثناءُ منقطِعٌ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: بَعْدَ) هذا غيرُ معروفٍ.

قولُهُ: (مُقَدَّراً) أو: أُعطوا كلَّ ذلك عطاءً وتفضُّلاً منهُ.

قولُهُ: (بِلُغَتِكَ) أي: حيثُ أنزَلناهُ بلغتِكَ، وهو فذلكَةُ السُّورةِ.

قولُهُ: (لِتَفْهَمَهُ العَرَبُ) ويتلفَّظَ به غيرُهُم، سهلُ التَّلفُّظِ في جميعِ الألسنةِ على معنى: أنّه لا فرقَ بينَ مَن يعرفُ لسانَ العربِ ومَن لم يعرِفْهُ في التَّلفُّظِ، بخلافِ الكتبِ الأُخَرِ، فإنَّه يعسرُ التَّلفُّظُ به لا سيَّما عندَ مَن لم يعرفِ اللِّسانَ المخصوصَ المنزَّلَ به، وهذا آيةُ كمالِ فصاحتِهِ وغايةِ بلاغتِهِ.

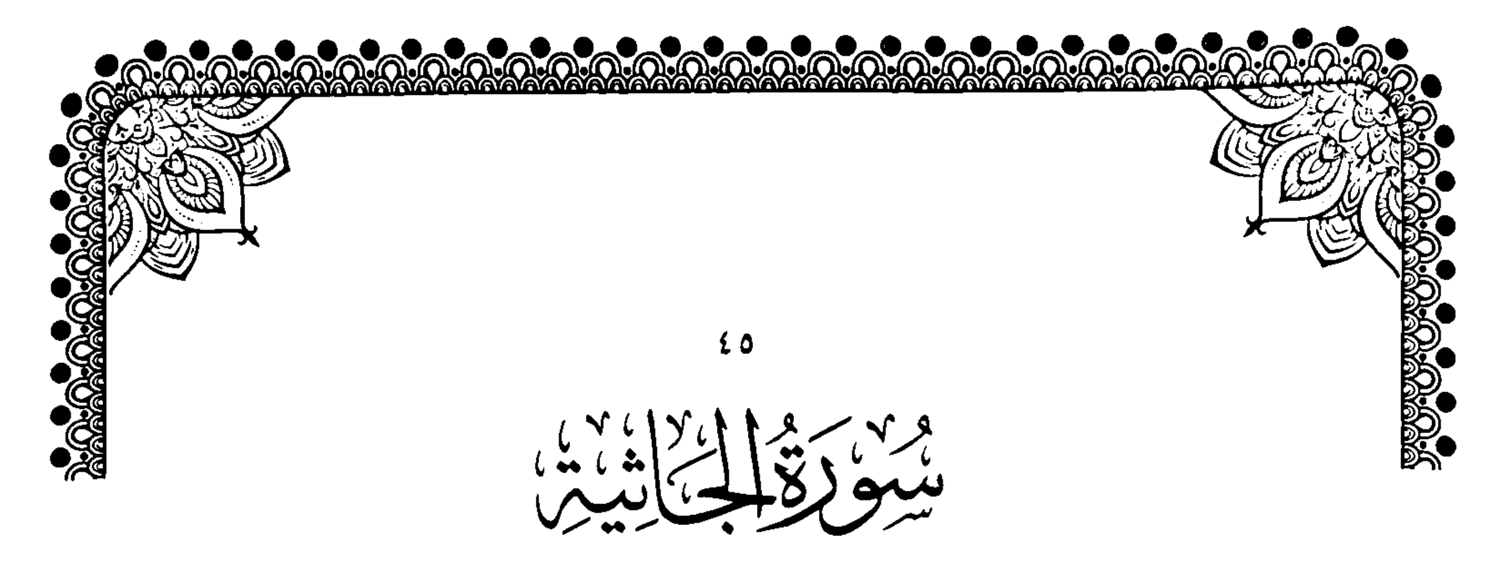
قولُهُ: (لَكِنَّهُم لا يُؤمِنُونَ) أو: فلمَّا لم يتذَكَّروا.

قولُهُ: (بِجِهَادِهِم) ليسَ في الآيةِ ما يقتَضِي النَّسخَ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٩٢).



٤٥

سورة الجاثية

مكية إلاّ «قل للذين آمنوا يغفروا» الآية، وهي ستٌّ أو سبع وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿تنزيلُ الكتابِ﴾: القرآنِ مُبتدأٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبرُه ﴿العَزيزِ﴾ في مُلكِهِ ﴿الحَكِيمِ﴾ في صُنعه.

٣ ـ ٤ ـ ﴿إنَّ في السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لآياتٍ﴾ دالّةً على قُدرة الله ـ تعالى ـ ووحدانيّته ﴿لِلمُؤمِنِينَ، وفي خَلقِكُم﴾ أي: خلقِ كُلّ منكم من نُطفة ثمّ من علَقة ثمّ من مُضغة إلى أن صار إنسانًا ﴿و﴾ خلقِ ﴿ما يَبُثُّ﴾: يُفرِّق في الأرض ﴿مِن دابّةٍ﴾ أي: ما يدِبّ على الأرض من الناس وغيرهم، ﴿آياتٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث، ٥ ـ ﴿و﴾ في ﴿اختلافِ اللَّيلِ والنَّهارِ﴾: ذَهابِهما ومجيئهما، ﴿وما أنزَلَ اللهُ مِنَ السَّماءِ مِن رِزقٍ﴾: مطرٍ لأنه سبب الرزق، ﴿فأحيا بِهِ الأرضَ بَعدَ مَوتِها، وتَصرِيفِ الرِّياحِ﴾:......

سورة الجاثية

قولُهُ: (﴿و﴾ خَلَقَ) عطفٌ على المضافِ، إذ لا يحسنُ عطفُ ﴿ما﴾ على الضَّميرِ المجرورِ عندَ الجمهورِ.

قولُهُ: (بالبَعثِ) ورفعُ ﴿آياتٌ﴾ محمولٌ على محلِّ ﴿إنَّ﴾ واسمِها، ونصبَ حمزةُ والكِسائيُّ[1] حملاً على الاسمِ.

قولُهُ: (ذَهَابِهِمَا ومَجِيئِهِمَا) زيادتِهما ونقصِهما، ضَوئها وظلمتِها.

قولُهُ: (لأنَّهُ سَبَبُ الرِّزقِ) ومن أحسَنِ الرِّزقِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٩٤).

تقليبها مرّة جنوبًا ومرّة شمالاً وباردة وحارّة، ﴿آياتٌ لِقَومٍ يَعقِلُونَ﴾ الدليلَ فيُؤمنون.

٦ - ﴿تِلكَ﴾ الآيات المذكورة ﴿آياتُ اللهِ﴾: حُججه الدالّة على وحدانيّته، ﴿نَتلُوها﴾: نقصّها ﴿عليكَ بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ «نتلو». ﴿فبِأيِّ حَدِيثٍ بَعدَ اللهِ﴾ أي: حديثِه - وهو القُرآن - ﴿وآياتِهِ﴾: حُججه ﴿يُؤمِنُونَ﴾ أي: كُفّارُ مكّة؟ أي: لا يؤمنون. وفي قراءة بالتاء. ٧ - ﴿وَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب ﴿لِكُلِّ أفّاكٍ﴾: كذّاب ﴿أثِيمٍ﴾: كثير الإثم، ٨ - ﴿يَسمَعُ آياتِ اللهِ﴾: القُرآنَ ﴿تُتلَى عليهِ، ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كُفره ﴿مُستكبِرًا﴾: مُتكبرًا عن الإيمان ﴿كأنْ لَم يَسمَعْها - فبَشِّرْهُ بعَذابٍ ألِيمٍ﴾: مُؤلم - ٩ - ﴿وإذا عَلِمَ مِن آياتِنا﴾ أي: القُرآنِ ﴿شَيئًا اتَّخَذَها هُزُوًا﴾ أي: مَهزوءًا بها. ﴿أُولئِكَ﴾ أي: الأفّاكون ﴿لَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة، ١٠ - ١١ - ﴿مِن وَرائِهِم﴾ أي: أمامِهم لأنهم في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ، ولا يُغنِي عَنهُم ما كَسَبُوا﴾ من المال والفِعال ﴿شَيئًا، ولا ما اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ ﴿أَولِياءَ! ولَهُم عَذابٌ عَظِيمٌ. هذا﴾ أي: القُرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة، ....

قولُهُ: (الدَّلِيلُ) وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ بنَصبِ: (آياتٍ)[١] على الاختصَاصِ.

قولُهُ: (مُتَعَلِّقٌ) أو: ملتبِسينَ - أو ملتبِسةً - به.

قولُهُ: (أي: لا يُؤمِنُونَ) أو التَّقديرُ: إن لم يُؤمِنوا بهما.

قولُهُ: (بالتَّاءِ) الخطابُ: شاميٌّ وكوفيٌّ غيرُ حفصٍ[٢].

قولُهُ: (على كُفرِهِ) أي: يقيمُ.

قولُهُ: (أي: القُرآنِ) أي: إذا بلغَهُ شيءٌ وعلمَ أنَّه منها، أو: إذا سمعَ.

قولُهُ: (مَهزُوءاً بِهَا) من غيرِ أن يَرى فيها ما يناسِبُ الهزءَ.

قولُهُ: (أي: الأَفَّاكُونَ) أو: المستهزِؤونَ، وهو الأقربُ.

قولُهُ: (في الدُّنيَا) مُستَقبِلونَ إلى العُقبى، أو: من خلفِهِم؛ لأنَّهُم متوجِّهونَ إلى الدُّنيا، أو لأنَّه بعد آجالِهِم.

قولُهُ: (والنَّوَال)[٣] والعبيدُ والأولادُ؛ أي: لا تدفَعُ شيئاً من العذابِ أو الإغناءِ.

قولُهُ تعالى: (﴿وَلَهُم عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾) لا يتحمَّلونَهُ، أو: لا يمكنُ وصفُهُ.

قولُهُ: (أي: القُرآنُ) يعني: الإشارةُ إليه دونَ ما ذُكِرَ من الآياتِ المصنوعَةِ، ويدلُّ عليه ما بعدَهُ؛ لأنَّهُم لم يكفُروا بالمصنوعةِ حيث اعترَفوا بصانِعِها.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٤).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٩٤).

(٣) كذا وقع عنده، وفي نسخة الجلالين بدلها: «والفعال».

﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ رَبِّهِم لَهُم عَذابٌ﴾: حظٌّ ﴿مِن رِجْزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾: مُوجعٌ.

١٢ ـ ١٣ ـ ﴿اللهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ البَحرَ لِتَجرِيَ الفُلْكُ﴾: السفن ﴿فِيهِ بِأَمرِهِ﴾: بإذنه، ﴿ولِتَبتَغُوا﴾: تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضلِهِ، ولَعَلَّكُم تَشكُرُونَ، وسَخَّرَ لَكُم ما في السَّماواتِ﴾ من شمس وقمر ونُجوم وماء وغيره ﴿وما في الأرضِ﴾ من دابّة وشجر ونبات وأنهار وغيره، أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾: تأكيدٌ ﴿مِنهُ﴾: حالٌ، أي: سخّرها كائنةً منه تعالى. ﴿إِنَّ في ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيُؤمنون.

١٤ ـ ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا، يَغفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرجُونَ﴾: يخافون ﴿أَيّامَ اللهِ﴾: وقائعَه، أي: اغفِروا للكُفّار ما وقع منهم من الأذى لكم ـ وهذا قبل الأمر بجِهادهم ـ ﴿لِيَجزِيَ﴾ أي: اللهُ، وفي قراءة بالنون، ﴿قَومًا بِما كانُوا يَكسِبُونَ﴾ من الغفر للكُفّار أذاهم. ١٥ ـ ﴿مَن عَمِلَ صالِحًا فلِنَفْسِهِ﴾ عَمِلَ، ﴿ومَن أساءَ فعلَيها﴾ إساءتُه، ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُم تُرجَعُونَ﴾: تَصيرون، فيُجازي المُصلحَ والمُسيء.

قولُهُ: (حَظٌّ) الظَّاهرُ: نوعُ عذابٍ، والرِّجزُ: جنسُ أشدِّ العذابِ.

قولُهُ: (مُوجِعٌ) وقرأَ مكِّيٌّ وحفصٌ بالرَّفعِ[١].

قولُهُ: (بإذنِهِ) وتسخيرِهِ.

قولُهُ: (بالتِّجَارَةِ) والغوصِ والصَّيدِ وغيرِها.

قولُهُ: (وأَنهَارٍ) الأنسبُ: نَهرٍ.

قولُهُ: (حَالٌ) أو خبرُ محذوفٍ؛ أي: هي جميعاً منهُ، وقُرِئَ: (مِنَّةً) على المفعولِ له[٢].

قولُهُ: (أي: اغفِرُوا) يعني: حُذِفَ المقولُ لدلالةِ الجوابِ عليه.

قولُهُ: (أي: اللهُ) علَّةٌ للأمرِ.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ وحمزةَ والكسائيِّ[٣].

قولُهُ: (مِنَ الغفرِ) أو الإساءةِ، أو ما يعمُّهُما، والقومُ هم المؤمنونَ، أو الكافرونَ، أو كلاهُما، فيكونُ التَّنكيرُ للتَّعظيمِ، أو التَّحقيرِ، أو الشُّيوعِ.

قولُهُ: (تَصِيرُونَ) حلُّ المعنى، والأولى: تُرَدُّونَ.

قولُهُ: (المُصلِحَ) الأحسنُ: المحسنَ، أو: الصَّالحَ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن عباس وعبيد بن عمير، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٣٩).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٩٥).

١٦ ـ ﴿ولَقَد آتَينا بَنِي إسرائيلَ الكِتابَ﴾: التوراة ﴿والحُكمَ﴾ به بين الناس ﴿والنُّبُوَّةَ﴾ لمُوسَى وهارونَ منهم، ﴿ورَزَقْناهُم مِنَ الطَّيِّباتِ﴾: الحلالات كالمَنّ والسلوى، ﴿وفَضَّلْناهُم علَى العالَمِينَ﴾ أي: عالَمِي زمانهم العُقلاء، ١٧ ـ ﴿وآتَيناهُم بَيِّناتٍ مِنَ الأمرِ﴾ أي: أمر الدِّين من الحلال والحرام وبِعثة مُحمّد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ ﴿فما اختَلَفُوا﴾ في بِعثته ﴿إلاّ مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ بَغْيًا بَينَهُم﴾ أي: لِبغيٍ حدث بينهم حسدًا له. ﴿إنَّ رَبَّكَ يَقضِي بَينَهُم يَومَ القِيامةِ فِيما كانُوا فِيهِ يَختَلِفُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿علَى شَرِيعةٍ﴾: طريقة ﴿مِنَ الأمرِ﴾: أمر الدِّين. ﴿فاتَّبِعْها، ولا تَتَّبِعْ أهْواءَ الَّذِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ في عِبادة غير الله. ١٩ ـ ﴿إنَّهُم لَن يُغنُوا﴾: يدفعوا ﴿عَنكَ مِنَ اللهِ﴾: من عذابه ﴿شَيئًا! وإنَّ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين ﴿بَعضُهُم أولِياءُ بَعضٍ، واللهُ وَلِيُّ المُتَّقِينَ﴾: المؤمنين. ٢٠ ـ ﴿هذا﴾ القُرآن ﴿بَصائرُ لِلنّاسِ﴾: مَعالمُ، يتبصّرون بها في الأحكام والحُدود، ﴿وهُدًى ورَحْمةٌ لِقَومٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

٢١ ـ ﴿أم﴾: بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبَ الَّذِينَ اجتَرَحُوا﴾: اكتسبوا ﴿السَّيِّئاتِ﴾:............

قولُهُ: (لِمُوسَى وهَارُونَ) وغيرِهما؛ إذ كَثُرَ فيهم الأنبياءُ ما لم يكثُرْ في غيرِهم.

قولُهُ: (عَالَمِي زَمَانِهِم) حيثُ آتيناهُم ما لم نؤتِ غيرَهُم.

قولُهُ: (أَمرِ الدِّينِ) أي: أدلةً في أمرِ الدِّينِ، وتندرجُ فيه المعجِزاتُ.

قولُهُ: (وبِعثَةِ مُحَمَّدٍ) أي: آياتٍ مبيِّنةً لصدقِهِ.

قولُهُ: (في بَعثِهِ) أي: ذلك الأمرِ[1].

قولُهُ: (حَسَداً) وعداوةً، أو: طلبَ رئاسةٍ.

قولُهُ: (في عِبَادَةِ غَيرِ اللهِ) وهم رؤساءُ قريشٍ، قالوا له: ارجِعْ إلى دينِ آبائِكَ.

قولُهُ: (مِنْ عَذَابِهِ) الأولى: ممَّا أرادَ بكَ.

قولُهُ: (القُرآنُ) أو اتِّباعُ الشَّريعةِ.

قولُهُ: (مَعَالِمُ) بيِّناتٌ تبصِّرُهُم وجهَ الفلاحِ.

قولُهُ: (بالبَعثِ) أو يطلبونَ اليقينَ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: هَمزَةِ الإنكَارِ) يعني: ﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ، ومعنى الهمزةِ فيها: إنكارُ الحِسبانِ.

قولُهُ: (اكتَسَبُوا) ومنه الجارحَةُ.

---

(١) «أي ذلك الأمر» لعل الصواب: أو ذلك. . .، أي: فما اختلفوا في ذلك الأمر إلا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال.

الكُفرَ والمعاصيَ ﴿أن نَجعلَهُم كالَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ، سَواءٌ﴾: خبرٌ ﴿مَحياهُم ومَماتُهُم﴾؟ مبتدأ ومعطوف، والجملة: بدل من الكاف، والضميران للكُفّار. المعنى: أحسِبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمُؤمنين؟ أي: في رغَد من العيش مساوٍ لعيشهم في الدنيا، حيثُ قالوا للمؤمنين: لئن بُعثنا لَنُعطَيَنَّ من الخير مِثلَ ما تُعطَون.

قال تعالى على وَفق إنكاره بالهمزة: ﴿ساءَ ما يَحكُمُونَ﴾! أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب على خِلاف عيشهم في الدنيا، والمُؤمنون في الآخرة في الثواب بعملهم الصالحاتِ في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك. وما: مصدريّة، أي: بئس حُكمًا حُكمُهم هذا! ٢٢ ـ ﴿وخَلَقَ اللهُ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ﴾: مُتعلّق بـ «خلق»، ليدلّ على قُدرته ووحدانيّته، ﴿ولِتُجزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يُساوي الكافرُ المؤمنَ، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾.

٢٣ ـ ﴿أفرَأَيتَ﴾: أخبِرْني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إلـٰهَهُ هَواهُ﴾: ما يهواه من حجَر بعد حجَر يراه أحسنَ، ﴿وأضَلَّهُ اللهُ علَى عِلمٍ﴾ منه ـ تعالى ـ أي: عالمًا بأنه من أهل الضلالة قبل خلقه، ﴿وخَتَمَ علَى سَمعِهِ وقَلبِهِ﴾، فلم يسمعِ الهدى ولم يعقله فلا يتفكّر في الآيات، ﴿وجَعَلَ علَى بَصَرِهِ غِشاوَةً﴾: ظُلمة فلم يُبصرِ الهُدى؟ ويُقدَّر هنا المفعول الثاني لـ «رأيت» أي: أيهتدي؟ ﴿فمَن يَهدِيهِ مِن بَعدِ اللهِ﴾ أي: بعدِ إضلاله إيّاه؟ أي: لا يهتدي. ﴿أفلا تَذَّكَّرُونَ﴾: تتّعظون؟ فيه إدغام إحدى التاءين في الذال.

قولُهُ: (مِنَ الكَافِ) ويدلُّ عليه قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ وحفصٍ: ﴿سواءً﴾[1] بالنَّصبِ على البدلِ، أو الحالِ من الضَّميرِ في الكافِ، أو المفعوليَّةِ والكافُ حالٌ.

قولُهُ: (أَنْ نَجْعَلَهُم) أي: نصيِّرَهُم.

قولُهُ: (حُكْماً) أي: شيئاً حَكَمُوا به.

قولُهُ: (حُكْمُهُم هَذا) الأظهرُ: ذلكَ.

قولُهُ: (لِيَدُلَّ) إشارَةٌ إلى علَّةٍ مقدَّرةٍ عطفَ عليها ﴿لتُجزَى﴾.

قولُهُ: (مَا يَهوَاهُ) أي: مَهْويَّه؛ أي: تركَ متابعَةَ الهدَى إلى مُطَاوعَةِ الهَوَى، فكأنَّهُ يعبدُهُ، وقُرِئَ: (آلهةً)[2]؛ لأنَّه كانَ أحدُهُم يستحسِنُ حجراً فيعبدُهُ، فإذا رأى أحسنَ منه رفضَهُ إليه، فتفسيرُ الشَّيخِ يلائمُ الشَّاذَّةَ.

قولُهُ: (فيهِ إِدغَامٌ) وفيه تركُهُ لحفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ[3].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٧٢).

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت للأعرج، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٣٤).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٧٢)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨).

٢٤ـ٢٥ـ ﴿وقالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿ما هِيَ﴾ أي: الحياة ﴿إلاّ حَياتُنا﴾ التي في ﴿الدُّنيا، نَمُوتُ ونَحيا﴾ أي: يموت بعض ويحيا بعض بأن يُولدوا، ﴿وما يُهلِكُنا إلاّ الدَّهرُ﴾ أي: مرور الزمان. قال تعالى: ﴿وما لَهُم بِذلِكَ﴾ المقولِ ﴿مِن عِلمٍ. إنْ﴾: ما ﴿هُم إلاّ يَظُنُّونَ. وإذا تُتلَى علَيهِم آياتُنا﴾، من القرآنِ الدالّةُ على قُدرتنا على البعث ﴿بَيِّناتٍ﴾: واضحاتٍ حالٌ، ﴿ما كانَ حُجّتَهُم إلاّ أن قالُوا: ائتُوا بِآبائنا﴾ أحياءً، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ أنا نُبعث. ٢٦ ـ ﴿قُلِ: اللهُ يُحيِيكُم﴾ حين كنتم نُطفًا، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُم، ثُمَّ يَجمَعُكُم﴾ أحياءً ﴿إلَى يَومِ القِيامةِ، لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيهِ، ولكِنَّ أكثَرَ النّاسِ﴾ وهم القائلون ما ذُكر ﴿لا يَعلَمُونَ﴾.

٢٧ ـ ﴿ولِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، ويَومَ تَقُومُ السّاعةُ﴾ يُبدل منه ﴿يَومَئذٍ يَخسَرُ المُبطِلُونَ﴾: الكافرون، أي: يظهر خُسرانهم بأن يصيروا إلى النار، ٢٨ ـ ﴿وتَرَى كُلَّ أُمّةٍ﴾ أي: أهلِ دِين ﴿جاثِيَةً﴾ على الرُّكَب أو مُجتمعةً، ﴿كُلُّ أُمّةٍ تُدعَى إلَى كِتابِها﴾: كِتاب أعمالها، ويقال لهم: ﴿اليَومَ تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ أي: جزاءه. ٢٩ ـ ﴿هذا كِتابُنا﴾: دِيوان الحَفَظة، ﴿يَنطِقُ علَيكُم بِالحَقِّ. إنّا كُنّا نَستَنسِخُ﴾: نُثبِت ونحفظ ﴿ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾.

قولُهُ: (أي: الحَيَاةُ) أو الحالُ.

قولُهُ: (الَّتي) الظَّاهرُ: حياتُنا الدُّنيا الَّتي نحنُ فيها.

قولُهُ: (أي: يَمُوتُ بَعضٌ) أو: نكونُ أمواتاً نطفاً وما قبلَها ونَحيا بعدَ ذلك، ويحتملُ أنَّهم أرادُوا به التَّناسُخَ، فإنَّهُ عقيدةُ أكثرِ عبَدَةِ الأوثانِ.

قولُهُ: (المَقُولِ) إذ لا دليلَ لهم عليهِ.

قولُهُ: (واضِحَاتٍ) [أي: واضحاتِ] الدِّلالةِ على خلافِ معتقَدِهِم، أو مبيِّناتٍ له.

قولُهُ: (أَحيَاءً) وإنَّما سمَّاهُ حجَّةً على حسبانِهِم ومساقِهِم.

قولُهُ: (لا شَكَّ) فإنَّ مَنْ قدِرَ على الابتداءِ[1] قَدرَ على الإعادةِ، والحكمَةُ اقتضَتِ الجمعَ للمُجَازاةِ، والوَعدُ المصدَّقُ [بالآيات] دلَّ على وقوعِها، وإنْ كانَ كذلك أمكنَ الإتيانُ بهم، لكنَّ الحكمَةَ اقتضَتْ أن يُعادُوا يومَ الجمعِ للجزاءِ.

قولُهُ: (دِيوَانُ الحَفَظَةِ) أضافَ صَحائِفَ أعمالِهِم إلى نفسِهِ لأنَّه أمَرَ الكتبَةَ أن يَكتبُوا فيها أعمالَهُم، وقولُهُ: (﴿يَنطِقُ﴾) أي: يشهَدُ عليكم بما عمِلْتُم بلا زيادةٍ ونُقصانٍ.

قولُهُ: (نُثبِتُ) الظَّاهرُ: تَستَكْتِبُ الملائكَةُ أعمالَكُم.

---

(١) في (م): «الإبداء».

٣٠ ـ ﴿فأمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فيُدخِلُهُم رَبُّهُم في رَحمتِهِ﴾: جنّتِه ـ ﴿ذلِكَ هُوَ الفوزُ المُبِينُ﴾: البيِّن الظاهر ـ ٣١ ـ ﴿وأمّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيقال لهم: ﴿أفلَم تكُنْ آياتِي﴾: القُرآنُ ﴿تُتلَى علَيكُم، فاستكبَرتُم﴾: تكبّرتم، ﴿وكُنتُم قَومًا مُجرِمِينَ﴾ كافرين؟ ٣٢ ـ ﴿وإذا قِيلَ﴾ لكم أيها الكُفّار: ﴿إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ، والسّاعةُ﴾ ـ بالرفع والنصب ـ ﴿لا رَيبَ﴾: شكَّ ﴿فِيها. قُلتُم: ما نَدرِي: ما السّاعةُ؟ إنْ﴾: ما ﴿نَظُنُّ إلاّ ظَنًّا﴾ ـ قال المُبرّد: أصله: إن نحن إلاّ نظنّ ظنًّا ـ ﴿وما نَحنُ بِمُستَيقِنِينَ﴾ أنها آتية.

٣٣ ـ ﴿وبَدا﴾: ظهر ﴿لَهُم﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئاتُ ما عَمِلُوا﴾ في الدنيا، أي: جزاؤها، ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾ أي: العذاب، ٣٤ ـ ﴿وقِيلَ: اليَومَ نَنساكُم﴾: نترككم في النار ﴿كَما نَسِيتُم لِقاءَ يَومِكُم هذا﴾ أي: كما تركتم العمل للقائه، ﴿ومأواكُمُ النّارُ، وما لَكُم مِن ناصِرِينَ﴾ منها.

قولُهُ: (جَنَّتِهِ) أي: الَّتي من جملَتِها الجنّةُ.

قولُهُ: (فيُقَالُ لَهُم) ﴿أ﴾لم يأتِكُم رُسُلِي ﴿فلَمْ تَكُنْ﴾، فحُذِفَ القولُ والمعطوفُ عليه اكتفاءً بالمقصودِ واستغناءً بالقرينةِ.

قولُهُ: (تَكَبَّرْتُم) عن الإيمانِ بها.

قولُهُ: (كَافِرِينَ) عادتُهُم الإجرامُ.

قولُهُ: (بالبَعثِ) يحتمِلُ الموعودَ والمصدرَ.

قولُهُ: (والنَّصبِ) حمزةُ[1] عطفاً على اسمِ: ﴿إنَّ﴾، وهو إفرادٌ للمقصودِ.

قولُهُ: (وأَصلُهُ) نظُنُّ ظنًّا، فأُدخِلَ حَرفا النَّفيِ والاستثناءِ لإثباتِ الظَّنِّ ونفيِ ما عداهُ، كأنَّهُ قالَ: ما نحنُ إلَّا نظنُّ ظنًّا.

قولُهُ: (أَنَّهَا آتِيَةٌ) تأكِيدٌ.

قولُهُ: (فِي الدُّنيَا) وحسبوها حَسَناتٍ.

قولُهُ: (أي: العَذَابُ) وهو الجَزاءُ.

قولُهُ: (فِي النَّارِ) تَرْكَ ما يُنسَى.

قولُهُ: (لِلقَائِهِ) من بابِ إضافَةِ المصدرِ إلى ظرفِهِ.

قولُهُ: (مِنهَا) يُخلِّصُونَكُم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٩٥).

٣٥ ـ ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذتُم آياتِ اللهِ﴾: القُرآنَ ﴿هُزُوًا، وغَرَّتكُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾ حتّى قلتم: لا بعثَ ولا حساب. ﴿فاليَومَ لا يَخرُجُونَ﴾ ـ بالبناء للفاعل وللمفعول ـ ﴿مِنها﴾: من النار، ﴿ولا هُم يُستَعتَبُونَ﴾ أي: لا يُطلب منهم أن يُرضُوا ربَّهم بالتوبة والطاعة لأنها لا تنفع يومئذ.

٣٦ ـ ﴿فلِلَّهِ الحَمدُ﴾: الوصفُ بالجميل على وفاء وعده في المُكذّبين، ﴿رَبِّ السَّماواتِ ورَبِّ الأرضِ رَبِّ العالَمِينَ﴾: خالقِ ما ذُكر ـ والعالَمُ: ما سِوى اللهِ، وجُمع لاختلاف أنواعه. ورَبِّ: بدل ـ ٣٧ ـ ﴿ولَهُ الكِبرِياءُ﴾: العظمة ﴿في السَّماواتِ والأرضِ﴾: حالٌ، أي كائنةً فيهما، ﴿وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾. تقدّمَ.

قولُهُ: (للفَاعِلِ) حمزَةُ والكسائيُّ[1].

قولُهُ: (مِنهُم) أن يُعتِبُوا؛ أي: يُرضوا.

قولُهُ: (في المُكَذِّبِينَ) ووعدِهِ للمصَدِّقينَ.

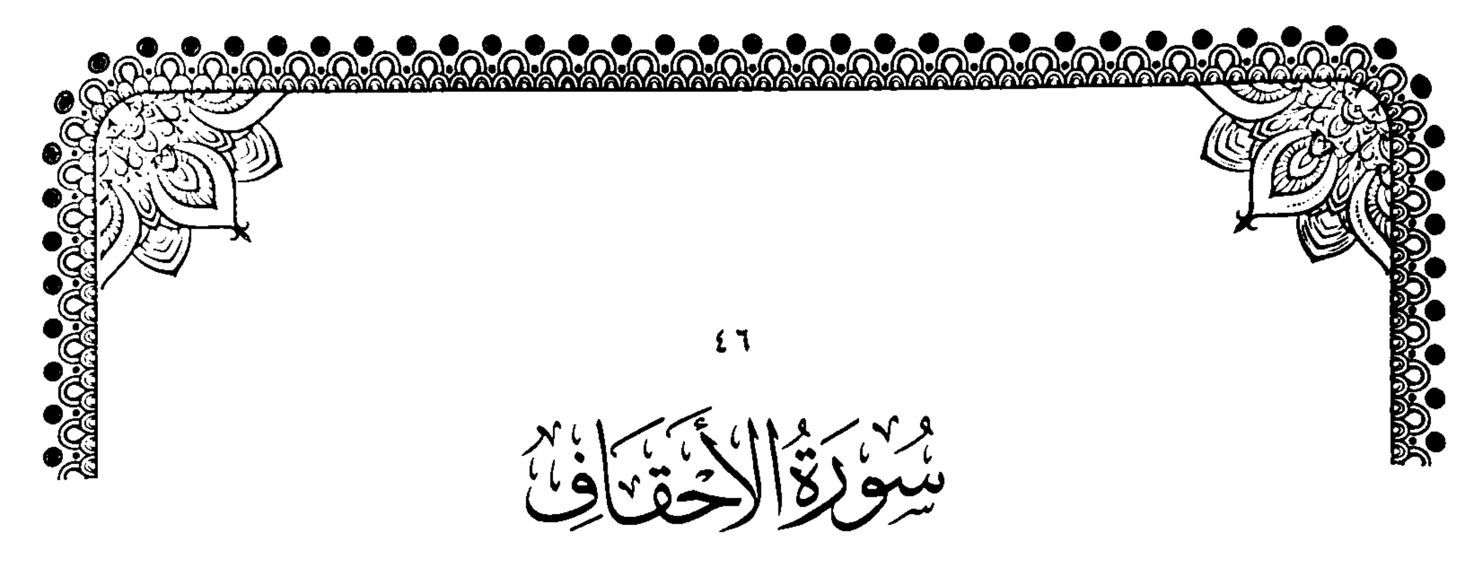
قولُهُ: (و﴿رَبِّ﴾) الأوَّلُ بدلٌ من: «اللهِ».

قولُهُ: (العَظَمَةُ) أي: ظهرَ فيهِما آثارُها، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٥٩٥)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٢٠٨).



٤٦

سُورَةُ الأَحْقَافِ

مكية إلاّ «قل أرأيتم إن كان من عند الله» الآيةَ، وإلاّ «فاصبر كما صبر أولو العزم» الآيةَ، وإلاّ «ووصينا الإنسان بوالديه» الثلاثَ آيات، وهي أربعٌ أو خمس وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿حم﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

٢ ـ ﴿تَنزِيلُ الكِتابِ﴾: القُرآنِ مُبتدأٌ ﴿مِنَ اللهِ﴾: خبرُه ﴿العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمِ﴾ في صُنعه.

٣ ـ ﴿ما خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما إلاّ﴾ خلقًا ﴿بِالحَقِّ﴾، ليدلّ على قُدرتنا ووحدانيّتنا، ﴿وأجَلٍ مُسَمًّى﴾ إلى فنائهما يوم القيامة، ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا عَمّا أُنذِرُوا﴾: خُوّفوا به من القرآن ﴿مُعرِضُونَ﴾.

٤ ـ ﴿قُلْ: أرَأَيتُم﴾: أخبِروني ﴿ما تَدعُونَ﴾: تعبدون ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: الأصنامَ، مفعولٌ أول ﴿أرُونِي﴾: أخبِروني ـ تأكيدٌ ـ ﴿ماذا خَلَقُوا﴾: مفعولٌ ثانٍ ﴿مِنَ الأرضِ﴾؟ بيانُ «ما»..............

سُورَةُ الأَحْقَافِ

قولُهُ: (خَلقاً) ملتَبِساً بالحقِّ، وهو ما تقتَضيهِ الحكمَةُ والمَعدِلةُ[١].

قولُهُ: (إلى فَنَائِهِمَا) أي: وبتقديرِ أجلٍ مسمًّى ينتهي إليه الكلُّ.

قولُهُ: (بِهِ) إشارَةٌ إلى أنَّ ﴿مَا﴾ موصولةٌ، وجُوِّزَ أن تكونَ مصدريَّةً متعلِّقَةً بـ﴿مُعْرِضُونَ﴾؛ أي: لا يتفكَّرونَ فيه، ولا يستعدُّونَ لحلولِهِ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) الظَّاهرُ أنَّه بدلُ اشتمالٍ على معناهُ الأصليِّ.

---

(١) العَدَالة والعُدُولة والمَعْدَلة والمَعْدِلةُ، كُلُّه: العَدْل. «المحكم والمحيط الأعظم» (٢/ ١٣).

﴿أم لَهُم شِركٌ﴾: مُشاركة ﴿في﴾ خلق ﴿السَّماواتِ﴾ مع الله؟ وأم: بمعنى همزة الإنكار. ﴿ائْتُوني بِكِتابٍ﴾ مُنزل ﴿مِن قَبلِ هذا﴾ القُرآن، ﴿أو أثارةٍ﴾: بقيّة ﴿مِن عِلمٍ﴾ يُؤثر عن الأوّلين بصِحّة دعواكم في عِبادة الأصنام أنها تُقرّبكم إلى الله، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في دعواكم.

٥ ـ ﴿ومَن﴾: استفهام بمعنى النفي، أي: لا أحدَ ﴿أضَلُّ مِمَّن يَدعُو﴾: يعبد ﴿مِن دُونِ اللهِ﴾ أي: غيرَه ﴿مَن لا يَستَجِيبُ لَهُ إلَى يَومِ القِيامةِ﴾، وهم أي: الأصنام لا يُجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبدًا، ﴿وهُم عَن دُعائِهِم﴾: عِبادتهم ﴿غافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون؟ ٦ ـ ﴿وإذا حُشِرَ النّاسُ كانُوا﴾ أي: الأصنامُ ﴿لَهُم﴾: لِعابديهم ﴿أعداءً، وكانُوا بِعِبادتِهِم﴾: بعبادة عابديهم ﴿كافِرِينَ﴾: جاحدين.

٧ ـ ﴿وإذا تُتلَى علَيهِم﴾ أي: أهلِ مكّة ﴿آياتُنا﴾: القُرآن ﴿بَيِّناتٍ﴾: ظاهراتٍ حالٌ ﴿قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لِلحَقِّ﴾ أي: في القُرآن ﴿لَمّا جاءَهُم: هذا سِحرٌ مُبِينٌ﴾: بيّنٌ ظاهر. ٨ ـ ﴿أم﴾: بمعنى «بل» وهمزةِ الإنكار ﴿يَقُولُونَ: افتَراهُ﴾ أي: القرآنَ؟ ﴿قُل: إنِ افتَرَيتُهُ﴾ فَرْضًا ﴿فلا تَملِكُونَ لِي مِنَ اللهِ﴾: من عذابه ﴿شَيئًا﴾......................................

قولُهُ: (و﴿أمْ﴾) الظَّاهرُ أنّها متّصلةٌ.

قولُهُ: (القُرآنِ) فإنَّهُ ناطِقٌ بالتَّوحيدِ.

قولُهُ: (بقيّةٍ) بقيَتْ عليكُم من علمِ الأوَّلينَ.

قولُهُ: (يُؤْثَرُ) أي: تُنقَلُ.

قولُهُ: (أنّها تُقَرِّبُكُم) الأنسَبُ: أنّها تستحِقُّ العبادةَ.

قولُهُ: (لا يُجِيبُونَ) لو سمِعُوا دعاءَهُم فضلاً أن يعلمُوا سرائرَهُم، ويُراعوا مصالحَهُم.

قولُهُ: (عِبَادَتِهِم) بل عن دعائِهِم فضلاً عن عبادتِهِم، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الإلهَ من لا يغفُلُ عن عبادةِ عبيدِهِ.

قولُهُ: (لأنّهم جَمَادٌ) أو عبادٌ مسخَّرونَ مشتَغِلون بأحوالِهِم.

قولُهُ: (جَاحِدِينَ) مكذِّبينَ بلسانِ الحالِ أو القالِ، أو متبرِّئينَ؛ يعني: يضرُّونَهُم ولا ينفَعونَهُم.

قولُهُ: (ظَاهِرَاتٍ) أو مُظهِراتٍ.

قولُهُ: (أي: فِي القُرآنِ) يعني: في شأنِهِ ولأجلِهِ.

قولُهُ: (ظَاهِرٌ) بُطلانُهُ.

قولُهُ: (هَمزَةِ الإِنكَارِ) بعدَ «بل» للانتقالِ.

أي: لا تقدرون على دفعه عنّي، إن عذّبني الله. ﴿هُوَ أعلَمُ بما تُفِيضُونَ فِيهِ﴾: تقولون في القرآن، ﴿كَفَى بِهِ﴾ - تعالى - ﴿شَهِيدًا بَيني وبَينكُم! وهُوَ الغَفُورُ﴾ لمن تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ به، فلم يُعاجلكم بالعُقوبة.

٩ - ﴿قُلْ: ما كُنتُ بِدْعًا﴾: بَدِيعًا ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أوّلَ مُرسَل. قد سبق قبلي كثير منهم، فكيف تُكذّبونني؟ ﴿وما أدرِي: ما يُفعَلُ بِي ولا بِكُم﴾ في الدنيا؟ أأُخرَجُ من بلدي أم أُقتل كما فُعل بالأنبياء قبلي؟ أوَتُرمَونَ بالحِجارة أم يُخسَف بكم كالمُكذّبين قبلكم؟ ﴿إنْ﴾: ما ﴿أتَّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إلَيَّ﴾ أي: القرآنَ، ولا أبتدعُ من عِندي شيئًا، ﴿وما أنا إلاّ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيّنُ الإنذار.

١٠ - ﴿قُلْ: أرَأَيتُم﴾: أخبِروني ماذا حالُكم، ﴿إن كانَ﴾ أي: القُرآن ﴿مِن عِندِ اللهِ، وكَفَرتُم بِهِ﴾: جملةٌ حاليّة، ﴿وشَهِدَ شاهِدٌ مِن بَنِي إسرائيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿على مِثلِهِ﴾ أي: عليه أنه من عند الله، ﴿فآمَنَ﴾ الشاهد، ﴿واستكبَرتُم﴾: تكبّرتم عن الإيمان؟ وجوابُ الشرط بما عطف عليه: ألستم ظالمين؟ دلّ عليه: ﴿إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾.

١١ - ١٢ - ﴿وقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: في حقّهم: ﴿لَو كانَ﴾ الإيمانُ ﴿خَيرًا ما سَبَقُونا إلَيهِ. وإذ لَم يَهتَدُوا﴾ أي: القائلون ﴿بِهِ﴾..

قولُهُ: (إنْ عَذَّبَنِي اللهُ) عاجلاً؛ يعني: فكيفَ أجترِئُ عليه وأُعرِّضُ نفسي للعقابِ من غيرِ توقُّعِ نفعٍ ولا دفعِ ضرٍّ من قبلِكُم؟

قولُهُ: (تَقُولُونَ) أي: تندَفِعونَ وتشرَعونَ فيه من القَدحِ في آياتِهِ.

قولُهُ: (بِهِ) الصَّوابُ: بعبادِهِ ليصحَّ التَّرتُّبُ عليه بقولِهِ: (فلَمْ يُعَاجِلْكُم).

قولُهُ: (فِي الدُّنْيَا) أو في الدَّارينِ على التَّفصيلِ، إذ لا عِلمَ لي بالغيبِ.

قولُهُ: (مَاذَا حَالُكُم) الظَّاهِرُ أنَّ جملةَ الشَّرطِ سدَّ مسَدَّ مفعولِهِ.

قولُهُ: (جُملَةٌ حَالِيَّةٌ) بتقديرِ قد، ويجوزُ أن تكونَ الواو عاطفَةً على الشَّرطِ، وكذا الواو في قولِهِ: (﴿وَشَهِدَ﴾).

قولُهُ: (أي: عَلَيهِ) أو مثلِ ذلك، وهو كونُهُ من عندِ اللهِ.

قولُهُ: (أَلَسْتُم ظالِمِيْنَ) أو ﴿مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٥٢].

قولُهُ: (أي: فِي حَقِّهِم) ولأجلِهِم، قيل: المرادُ عمّارٌ وبلالٌ وصُهيبٌ.

قولُهُ: (أي: القَائِلُونَ) ظرفٌ لمحذوفٍ، مثلُ: ظهرَ عنادُهُم.

أي: بالقُرآنِ ﴿فسَيقُولُونَ: هذا﴾ أي: القُرآنُ ﴿إفكٌ﴾: كذبٌ ﴿قَدِيمٌ. ومِن قَبلِهِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿كِتابُ مُوسَى﴾ أي: التوراةُ ﴿إمامًا ورَحْمةً﴾ للمُؤمنين به، حالان، ﴿وهذا﴾ أي: القُرآن ﴿كِتابٌ مُصَدِّقٌ﴾ للكُتب قبله، ﴿لِسانًا عَرَبِيًّا﴾: حالٌ من الضمير في «مُصدّق»، ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: مُشرِكي مكّة، ﴿و﴾ هو ﴿بُشرَى لِلمُحسِنِينَ﴾: للمُؤمنين.

١٣ ـ ١٤ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ قالُوا: رَبُّنا اللهُ. ثُمَّ استَقامُوا﴾ على الطاعة ﴿فلا خَوفٌ علَيهِم ولا هُم يَحزَنُونَ، أُولئِكَ أصحابُ الجَنّةِ خالِدِينَ فِيها﴾: حال ﴿جَزاءً﴾: منصوب على المصدر بفعله المُقدّر، أي: يُجزَون ﴿بِما كانُوا يَعمَلُونَ﴾.

١٥ ـ ﴿ووَصَّينا الإنسانَ بِوالِدَيهِ حُسنًا﴾. وفي قراءة: «إحسانًا» أي: أمرناه أن يُحسن إليهما. فنَصبُ «إحسانًا» على المصدر بفعله المُقدّر، ومثله «حُسنًا»..

قولُهُ: (حَالانِ) من الظَّرفِ، أو من: ﴿كِتَابُ﴾ لتخصُّصِهِ بالصِّفةِ.

قولُهُ: (مُشرِكِي مكَّةَ) وهو علَّةُ ﴿مُصَدِّقٌ﴾، والضَّميرُ للكتاب، أو اللهِ، أو الرَّسولِ، ويؤيِّدُ الأخيرَ قراءةُ نافعٍ والشَّاميِّ والبزِّيِّ بخلفٍ عنه بالخطابِ[1].

قولُهُ: (هُو) يعني: أنَّه خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، والأظهرُ: أنَّه عطفٌ على محلِّ: ﴿لِيُنْذِرَ﴾.

قوله: (عَلى الطَّاعَةِ) أي: جمَعوا بينَ التَّوحيدِ الَّذي هو خلاصَةُ العلمِ والاستقامةِ في العبادةِ الَّتي هي منتهى العَملِ، ولذا قيل: الاستقامةُ خيرٌ من ألفِ كرامَةٍ.

قولُهُ: (حَالٌ) من المستكنِّ في ﴿أَصْحَابُ﴾ بمعنى: ملازِمونَ.

قولُهُ: (المُقدَّرِ) الَّذي دلَّ عليه الكلامُ.

قولُهُ: (يُجْزَونَ) أو جوزوا.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) للكوفيِّ[2].

قولُهُ: (بِفِعلِهِ المُقَدَّرِ) وهو «يحسنُ»، وقيل: التَّقديرُ: ألزمناهُ إحساناً.

قولُهُ: (ومِثْلُهُ «حسناً») وقيل: التَّقديرُ وصيَّةً ذاتَ حُسنٍ، وقُرئَ: «حَسَناً»[3] أي: إيصاءً حسناً.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعلي والسلمي، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٣٥).

﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا، وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا﴾ أي: على مشقّة، ﴿وحَملُهُ وفِصالُهُ﴾ من الرِّضاع ﴿ثلاثُونَ شَهرًا﴾. ستّةُ أشهر أقلُّ مُدّة الحمل، والباقي أكثرُ مُدّة الرّضاع. وقيل: إن حملتْ به ستّة أو تِسعة أرضعته الباقيَ.

﴿حَتّى﴾: غايةٌ لجملة مُقدّرة أي: وعاش حتّى ﴿إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قُوّته وعقله ورأيه، أقلُّه ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون، ﴿وبَلَغَ أربَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامَها وهو أكثر الأشُدّ، ﴿قالَ: رَبِّ﴾ إلى آخِره - نزل في أبي بكر الصِّدّيق لمّا بلغ أربعين سنة بعد سنتين من مبعث النبيّ ﷺ آمن به، ثمّ آمن أبواه ثم ابنه عبد الرحمن ثم ابن عبد الرحمن أبو عَتيق - ﴿أَوزِعْنِيَ﴾: ألهِمني ﴿أن أشكُرَ نِعْمتَكَ الَّتِي أنعَمتَ﴾ بها ﴿عليَّ وعلَى والِدَيَّ﴾، وهي نعمةُ التوحيدِ،..........................

قولُهُ: (أي: على مَشَقَّةٍ) أي: ذاتِ كُرهٍ، حالٌ من الفاعلِ، أو حملاً ذا كرهٍ، وقرأ الحرميَّانِ وبصريٌّ وهشامٌ بالفتحِ[١]، وهما لُغتانِ كالفقرِ.

قولُهُ: (مِنَ الرَّضَاعِ) أي: ومدَّةُ حملِهِ وفطامِهِ، وهو بيانٌ لما تكابدُهُ الأمُّ في تربيةِ الولدِ مبالغةً في الوصيَّةِ بها.

قولُهُ: (أَكثرُ مُدَّةِ الرَّضَاعِ) وبه قالَ الجمهورُ[٢]، وقالَ أبو حنيفةَ[٣]: المرادُ به الحَمْلُ بالأكُفِّ لا بالبُطونِ.

قولُهُ: (غَايَةٌ) الأظهرُ أنَّها تعليليَّةٌ.

قولُهُ: (أي: تَمَامَهَا) أي: انتهاءَها لا الشُّروعُ والدُّخولَ فيها.

قولُهُ: (آمَنَ بِهِ) مستأنفٌ، وليسَ جواباً لـ(لمَّا) لأنَّه يوهمُ تخلُّفَ إسلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ إلى سنتينِ، وإنَّما الجوابُ: (نَزَلَ) أو محذوفٌ دلَّ عليه ذلك.

قولُهُ: (أَبُوهُ) بل أبواهُ.

قولُهُ: (ثمَّ ابنُهُ) بل بنُوهُ وبناتُهُ، ولم يقَعْ مثلُ ذلكَ لأحدٍ من المهاجرينَ والأنصارِ.

قولُهُ: (وابنُ عَبدِ الرَّحمَنِ) وابنُ أسماءَ عبدُ اللهِ بن الزُّبيرِ.

قولُهُ: (وهُو التَّوحِيدُ) يعني: نِعمةَ الدِّينِ، أو ما يعمُّهما وغيرَهما، ولم يذكُرِ الولدَ؛ لأنَّهُ من جملةِ النِّعمةِ عليهِ، أو كانَ قبلَ إسلامِهِم، أو لقولِهِ: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾.

---

(١) انظر: «جامع البيان في القراءات السبع» (٣/ ١٠٠٦).

(٢) ومنهم الشافعي، انظر: «الحاوي الكبير» (١١/ ٣٦٧).

(٣) انظر: «التجريد» (١٠/ ٥٣٥٥).

﴿وأن أعمَلَ صالِحًا تَرضاهُ﴾ ـ فأعتَقَ تِسعةً من المُؤمنين يُعذَّبون في الله ـ ﴿وأصلِحْ لِي في ذُرِّيَّتِي﴾ فكُلّهم مُؤمنون. ﴿إنِّي تُبتُ إلَيكَ، وإنِّي مِنَ المُسلِمِينَ﴾.

١٦ ـ ﴿أُولئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ يُتَقَبَّلُ عَنهُم أحسَنُ﴾ بمعنى: حَسَنُ ﴿ما عَمِلُوا، ويُتَجاوَزُ عَن سَيِّئاتِهِم في أصحابِ الجَنَّةِ﴾: حال، أي: كائنين في جُملتهم، ﴿وَعْدَ الصِّدقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: «وَعَدَ اللهُ المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ».

١٧ ـ ﴿والَّذِي قالَ لِوالِدَيهِ﴾ ـ أُريدَ به الجِنسُ: ﴿أُفٍّ﴾، بكسر الفاء وفتحها، بمعنى مصدر، أي: نتنًا وقُبحًا ﴿لَكُما﴾: أتضجّر منكما. ﴿أتَعِدانِنِيَ﴾ ـ وفي قراءة بالإدغام ـ ﴿أن أُخرَجَ﴾ من القبر، ﴿وقَد خَلَتِ القُرُونُ﴾: الأمم ﴿مِن قَبلِي﴾، ولم تخرج من القبور.

قولُهُ: (فَأَعتَقَ) أي: من جملةِ عملِهِ الصَّالحِ.

قولُهُ: (حَسَنُ) أو طاعتُهُم، فإنَّ المباحَ حسنٌ ولا يُثابُ عليهِ[1]، وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ بالنُّونِ في الفعلينِ[2].

قولُهُ: (مِنْ جُملَتِهِم) أو مثابينَ، أو معدودينَ في عدادِهِم.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) للسُّوسيِّ[3]، لا وجهَ لتخصيصِ هذا البيانِ مع إهمالِهِ في أَلْفِ مكانٍ.

قولُهُ: (أُرِيْدَ بِهِ) أي: بالموصولِ ﴿الَّذي﴾ مبتدأٌ خبرُهُ: ﴿أُولَئِكَ﴾.

قولُهُ: (بِكَسرِ الفَاءِ) تقدَّمَ في «الإسراءِ»[4].

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لهشامٍ[5].

قولُهُ: (مِنَ القَبْرِ) أي: أبعثَ.

قولُهُ: (ولَمْ تَخْرُجْ) ولم يرجِعْ أحدٌ منهُم.

---

(١) قال الصفي الهندي في «نهاية الوصول في دراية الأصول» (٢/ ٦٢٨): في أن المباح هل هو حسن أم لا؟
إن عني بالحسن ما لا حرج في فعله، سواء كان بحيث يثاب على فعله أو لا يثاب، فلا شك أن كل مباح حسن.
وإن عني به ما يكون ملائماً لغرض فاعله فبعض المباح حسن، وهو الذي يكون ملائماً لفاعله دون الذي لا يكون كذلك.
وإن عني به ما يثاب فاعله ويستحق الثناء بفعله، فليس شيء من المباح حسنًا.

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٩٨).

(٣) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٤، ٥٤١).

(٤) في الآية رقم: (٢٣).

(٥) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٤٠).

﴿وهُما يَستَغيثانِ اللهَ﴾: يسألانه الغوثَ برجوعه، ويقولان: إن لم ترجِع ﴿وَيلَكَ﴾ أي: هلاكَك بمعنى: هلكتَ. ﴿آمِنْ﴾ بالبعث، ﴿إنَّ وَعدَ اللهِ﴾ به ﴿حَقٌّ. فيَقولُ: ما هذا﴾ أي: القولُ بالبعث ﴿إلاّ أساطِيرُ الأوَّلينَ﴾: أكاذيبهم. ١٨ ـ ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾: وجب ﴿علَيهِمِ القَولُ﴾ بالعذاب ﴿في أُمَمٍ، قَد خَلَتْ مِن قَبلِهِم مِنَ الجِنِّ والإنسِ. إنَّهُم كانُوا خاسِرينَ﴾.

١٩ ـ ﴿ولِكُلٍّ﴾ من جِنسَيِ المُؤمن والكافر ﴿دَرَجاتٌ﴾، فدرجات المُؤمن في الجنّة عالية ودرجات الكافر في النار سافلة، ﴿مِمّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات والكُفّارُ من المعاصي، ﴿ولِيُوَفِّيَهُم﴾ أي: اللهُ ـ وفي قراءة بالنون ـ ﴿أعمالَهُم﴾ أي: جزاءها، ﴿وهُم لا يُظلَمُونَ﴾ شيئًا يُنقص للمُؤمنين ويُـزاد للكُفّار. ٢٠ ـ ﴿ويَومَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا علَى النّارِ﴾ بأن تُكشف لهم يقال لهم: ﴿أذهَبتُم﴾ ـ بهمزة وبهمزتين،..................................

قولُهُ: (الغَوثَ) أي: أن يُغيثَهُ بالتَّوفيقِ للإيمانِ.

قولُهُ: (إنْ لَمْ تَرْجِعْ) أي: هو دُعاءٌ بالهلاكِ بالحثِّ على ما يَخافُ على تركِهِ.

قولُهُ: (أَكَاذِيبُهُم) الَّتي كتَبوها.

قولُهُ: (بالعَذَابِ) وهو يُرِد النُّزولَ في عبدِ الرَّحمنِ؛ لأنَّهُ يدلُّ على أنَّه من أهلِها، وقد جُبَّ عنه إن كانَ لإسلامِهِ.

قولُهُ: (ودَرَجَاتُ الكَافِرِ) أي: دركاتُهُ، ففيهِ تغليبٌ؛ لأنَّ الدَّرجاتِ غالبَةٌ في المثوبَةِ.

قولُهُ: (المُؤمِنُونَ) أي: مراتبُ من جزاءِ أعمالِهِم من الخيرِ والشَّرِّ، أو من أجلِ ما عَمِلوا.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وابنِ ذكوانَ وحمزةَ والكسائيِّ[1].

قولُهُ: (يَنقُصُ المُؤمِنُونَ) لا طائلَ تحتَهُ، فالمعنى: لا يُظلَمونَ بنقصِ ثوابٍ وزيادةِ عقابٍ.

قولُهُ: (بِأَنْ تُكشَفَ) أي: تُعرَضَ النَّارُ عليهم، فغلبَ مبالغَةً، والأظهرُ: أنَّ المرادَ بالعرضِ التَّعذيبُ، كما تقدَّمَ في قولِهِ: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ [غافر: ٤٦].

قولُهُ: (ويُقَالُ) وهو ناصِبٌ.

قولُهُ: (بهَمْزَةٍ) غيرُ مكِّيٍّ وشاميٍّ[2].

قولُهُ: (وبهَمزَتَينِ) محقَّقتين ابنُ ذكوانَ[3].

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٥)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٤١).

(٢) انظر المصادر السابقة.

(٣) لهذا وما بعده انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧١)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٤١).

وبهمزة ومدّة، وبهما وتسهيلِ الثانية ـ ﴿طَيِّبَاتِكُم﴾ باشتغالكم بلذّاتكم ﴿في حَياتِكُمُ الدُّنيا، واستَمتَعتُم﴾: تمتّعتم ﴿بِها. فاليَومَ تُجزَونَ عَذابَ الهُونِ﴾ أي: الهوانِ ﴿بِما كُنتُم تَستَكبِرُونَ﴾: تتكبّرون ﴿في الأرضِ بِغَيرِ الحَقِّ، وبِما كُنتُم تَفسُقُونَ﴾ به. ويُعذَّبون بها.

٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿واذكُرْ أخا عادٍ﴾ هو هُودٌ ـ عليه السلام ـ ﴿إذ﴾ إلى آخره: بدل اشتمال ﴿أنذَرَ قَومَهُ﴾: خوَّفهم ﴿بِالأحقافِ﴾ وادٍ باليمن به منازلُهم ـ ﴿وقَد خَلَتِ النُّذُرُ﴾: مضَتِ الرسلُ ﴿مِن بَينِ يَدَيهِ ومِن خَلفِهِ﴾ أي: من قَبلِ هُود ومن بَعدِه إلى أقوامهم ـ ﴿أنْ﴾ أي: بأن قال: ﴿لا تَعبُدُوا إلاّ اللهَ﴾. وجملة «وقد خلت» مُعترضة. ﴿إنِّيَ أخافُ علَيكُم﴾، إن عبدتم غير الله، ﴿عَذابَ يَومٍ عَظِيمٍ. قالُوا: أجِئتَنا لِتأفِكَنا عَن آلِهتِنا﴾: لتصرفَنا عن عِبادتها؟ ﴿فأْتِنا بِما تَعِدُنا﴾ من العذاب على عِبادتها،

﴿إن كُنتَ مِنَ الصّادِقِينَ﴾ في أنه يأتينا. ٢٣ ـ ﴿قالَ﴾ هود: ﴿إنَّما العِلمُ عِندَ اللهِ﴾ هو الذي يعلم: متى يأتيكم العذاب؟ ﴿وأُبَلِّغُكُم ما أُرسِلتُ بِهِ﴾ إليكم، ﴿ولكِنِّيَ أراكُم قَومًا تَجهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذابَ.

قولُهُ: (وبِهَمزَةٍ ومَدَّةٍ) أي: وبهمزةٍ محقَّقةٍ وإدخالِ ألفٍ وتحقيقِ الثَّانيةِ، وجهٌ لهشامٍ.

قولُهُ: (وبِهِما) أي: بهمزةٍ محقَّقةٍ وإدخالٍ معَ تسهيلِ الثَّانيةِ لهشامٍ في وجهٍ آخرَ، وبقيَ لمكِّيٍّ بتسهيلِ الثَّانيةِ من غيرِ إدخالٍ، وبهذا عرفتَ ما في كلامِ الشَّيخِ من القُصورِ في بعضٍ، وعدمِ الظُّهورِ في بعضٍ، وقولُ البيضاويِّ[1]: غيرَ أنَّ ابنَ كثيرٍ يقرأُ بهمزةٍ ممدودةٍ... إلخ، غيرُ صحيحٍ لما عرفتَ.

قولُهُ: (بِلَذَّاتِكُم) أي: باستيفائِها.

قولُهُ: (تَمَتَّعْتُم) فما بَقِيَ لكم منها شيءٌ.

قولُهُ: (أي: الهَوَانِ) وقُرئَ به[2].

قولُهُ: (ويُعَذَّبُونَ) عطفٌ على: ﴿يُعْرَضُ﴾ عطفُ تفسيرٍ، فبينَ كلامَيهِ تعارُضٌ.

قولُهُ: (وَادٍ باليَمَنِ) جمعُ: حِقفٍ، وهو رَملٌ مستطيلٌ مرتَفعٌ فيه انحناءٌ، وكانوا يسكنونَ بينَ رمالٍ مشرفةٍ على البحرِ بالشَّجرِ من اليمنِ.

قولُهُ: (بِأَنْ قَالَ) أو بأن لا تَعبدُوا، فإنَّ النهيَ عن الشَّيءِ إنذارٌ عن مضرَّتهِ، والأظهرُ أنَّ ﴿أنْ﴾ تفسيريَّةٌ، فإنَّ في الإنذارِ معنى القولِ.

قولُهُ: (مُعتَرِضَةٌ) بين الإنذارِ والمنذرِ به، أو حالٌ من فاعلِ: ﴿أنْذَرَ﴾.

قولُهُ: (فِي أَنَّهُ) الأظهرُ: في وعدِكَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١١٥).

(٢) أي: (عذاب الهوان) وهي قراءة شاذة، نسبت لابن مسعود وابن أبي عبلة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٣٦).

٢٤ ـ ﴿**فلمّا رأوهُ**﴾أي: ما هو العذاب ﴿**عارِضًا**﴾: سحابًا عَرَضَ في أُفق السماء ﴿**مُستَقبِلَ أَودِيتِهِم قالُوا: هذا عارِضٌ مُمطِرُنا**﴾، أي: مُمطرٌ إيانا ـ قال تعالى: ﴿**بَل هُوَ ما استَعجَلتُم بِهِ**﴾ من العذاب، ﴿**رِيحٌ**﴾: بدلٌ من «ما» ﴿**فِيها عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾: مؤلم، ٢٥ ـ ﴿**تُدَمِّرُ**﴾: تُهلك ﴿**كُلَّ شَيءٍ**﴾ مرّت عليه، ﴿**بِأَمرِ رَبِّها**﴾: بإرادته، أي: كُلَّ شيء أراد إهلاكَه بها. فأهلكتْ رِجالهم ونساءهم وصِغارهم وأموالهم بأن طارت بذلِك بين السماء والأرض ومزّقته، وبقي هود ومن آمن معه ـ ﴿**فأصبَحُوا لا تَرَى إلاّ مَساكِنُهُم. كَذلِكَ**﴾: كما جزيناهم ﴿**نَجزِي القَومَ المُجرِمِينَ**﴾ غيرَهم.

٢٦ ـ ﴿**ولَقَد مَكَّنّاهُم فِيما**﴾: في الذي ﴿**إن**﴾: نافيةٌ أو زائدة ﴿**مَكَّنّاكُم**﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿**فِيهِ**﴾ من القُوّة والمال، ﴿**وجَعَلْنا لَهُم سَمعًا**﴾ بمعنى: أسماعًا ﴿**وأبصارًا وأفئِدَةً**﴾: قُلوبًا، ﴿**فما أغنَى عَنهُم سَمعُهُم ولا أبصارُهُم ولا أفئِدتُهُم مِن شَيءٍ**﴾ أي: شيئًا من الإغناء ـ..........

قولُهُ: (عَرَضَ) أي: نشأَ وظَهرَ.

قولُهُ: (إيَّانَا) وقيل: لنا؛ أي: يأتينا بالمطرِ؛ يعني: الإضافَةُ لفظيَّةٌ، وكذا ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾؛ أي: متوجِّهَ أوديتِهم، فهو نكرةٌ صفةٌ لـ﴿عَارِضٌ﴾ وهو نكِرةٌ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) أو هي ريحٌ.

قولُهُ: (مُؤلِمٌ) صِفتُها.

قولُهُ: (مَرَّتْ عَلَيهِ) من نفوسِهم وأموالِهم.

قولُهُ: (بإرَادَتِهِ) إذ لا توجَدُ نابضةُ حركةٍ ولا قابضةُ سكونٍ إلَّا بمشيئتِهِ.

قولُهُ: (فأَهْلَكَتْ) أي: فجاءَتِ الرِّيحُ فأهلكَتْ، وعطفَ عليهِ: ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ أي: بحيثُ لو حضرْتَ بلادَهُم (لا ترى إلَّا مساكنَهُم)، وقرأَ عاصمٌ وحمزةُ بياءٍ مضمومةٍ ورفعِ ﴿مساكن﴾[1].

قولُهُ: (في الَّذِي) أو في شيءٍ، على أنَّ ﴿ما﴾ موصولَةٌ أو موصوفةٌ.

قولُهُ: (﴿إنْ﴾ نَافِيَةٌ) وهي أحسنُ من «ما» هنا لعدمِ التَّكرارِ اللَّفظيِّ، فيكونُ كقولِه تعالى: ﴿وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ [سبأ: ٤٥].

قولُهُ: (أَسمَاعاً) وأفردَ؛ لأنَّهُ في الأصلِ مصدرٌ، ولأنَّهُ لا يتعدَّدُ إدراكُهُ في آنٍ واحدٍ، وقُدِّمَ لشرفِ المسموعِ والمنقولِ على المرئيِّ والمعقولِ، أو للتَّرقِّي؛ يعني: ليَعرِفوا تلك النِّعَمَ ويستَدلُّوا بها على مُنعِمِها، ويُداوِموا على شُكرِها.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٥).

ومِن: زائدة ـ ﴿إذ﴾: معمولة لـ«أغنى» وأُشربَت معنى التعليل ﴿كانُوا يَجحَدُونَ بِآياتِ اللهِ﴾: حُججِه البيّنة! ﴿وحاقَ﴾: نزل ﴿بِهِم ما كانُوا بِهِ يَستَهزِئُونَ﴾، أي: العذابُ، ٢٧ ـ ﴿ولَقَد أهلَكْنا ما حَولَكُم مِنَ القُرَى﴾ أي: من أهلها كثمودَ وعادٍ وقومِ لوط، ﴿وصَرَّفْنا الآياتِ﴾: كرّرنا الحُججَ البيّناتِ، ﴿لَعَلَّهُم يَرجِعُونَ﴾.

٢٨ ـ ﴿فلَولا﴾: فهلاّ ﴿نَصَرَهُمُ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللهِ قُرْبانًا﴾: مُتقرَّبًا بهم إلى الله، ﴿آلِهَةً﴾ معه، وهم الأصنام. ومفعول «اتّخذ» الأولُ ضمير محذوف يعود على الموصول أي: هم، وقربانًا: الثاني، وآلهة: بدل منه. ﴿بَل ضَلُّوا﴾: غابوا ﴿عَنهُم﴾ عِند نُزول العذاب. ﴿وذلِكَ﴾ أي: اتّخاذُهم الأصنامَ آلهةً قُربانًا ﴿إفكُهُم﴾: كذبُهم، ﴿وما كانُوا يَفتَرُونَ﴾: يَكذِبون. وما: مصدريّة، أو موصولة والعائد محذوف، أي: فيه.

٢٩ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ صَرَفْنا﴾: أمَلْنا ﴿إلَيكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ﴾: جِنَّ نَصِيبِينِ اليمنِ أو جِنَّ نِينَـوَى ـ وكانوا سبعة أو تسعة..

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) لتأكيدِ النَّفي أو تبعيضيَّةٌ؛ أي: من شيءٍ من الغَناءِ، وهو التَّقليلُ.

قولُهُ: (مَعمُولَةٌ) أي: علَّةٌ.

قولُهُ: (وأُشرِبَتْ) يعني: أنَّها ظرفٌ أُجريَ مجرى التَّعليلِ من حيثُ إنَّ الحكمَ مرتَّبٌ على ما أُضيفَ إليه.

قولُهُ: (أي: العَذَابُ) وهو إمَّا بيانٌ لـ﴿مَا﴾، أو إشارةٌ إلى مضافٍ مقدَّرٍ.

قولُهُ: (مُتقَرَّباً) مجهولٌ حيثُ قالوا: ما نعبُدُهم إلَّا ليُقرِّبونا، وهؤلاءِ شُفعاؤنا.

قولُهُ: (الأَوَّل) صفةُ مفعولٍ.

قولُهُ: (غَابُوا) عن نصرِهِم.

قولُهُ: (كَذِبُهُم) أو ذلك؛ أي: غيبتُهُم عن نصرِهِم إثرَ إفكِهِمُ الَّذي هو اتِّخاذُهُم إيَّاها آلهةً.

قولُهُ: (يُكَذِّبُونَ) الإفكُ: أسوَأُ الكذبِ وأقبحُهُ[١]، والافتراءُ: الاختلاقُ والاختراع الكذبِ[٢]، فبينهما فرقٌ.

قولُهُ: (مَصدَرِيَّةٌ) ويَرِدُ على قولِهِ: «بعدمِ الفرقِ» أنَّ التَّقدير يكونُ: وذلكَ كفرُهُم وكذبُهُم.

قولُهُ: (أو تِسْعَةً) وعن ابنِ عبَّاسٍ وعكرمةَ: أنَّهُم كانوا اثني عشرَ ألفاً من جزيرةِ الموصلِ، كذا في «المبهماتِ»[٣].

---

(١) انظر: «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» (ص: ٤٦).

(٢) انظر: «تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب» (ص: ٢٥٢).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ٩٩). وعزاه لابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما، ولابن أبي حاتم عن عكرمة.

«وكانَ ﷺ بِبَطنِ نَخلةَ يُصلِّي بأصحابِهِ الفَجرَ». رواه الشيخان ـ ﴿يَستَمِعُونَ القُرآنَ، فلَمّا حَضَرُوهُ قالُوا﴾أي: قال بعضهم لبعض: ﴿أنصِتُوا﴾: اصغَوا لِإستماعه. ﴿فلَمّا قُضِيَ﴾: فُرِغ من قراءته ﴿وَلَّوا﴾: رجَعوا ﴿إلَى قَومِهِم، مُنذِرِينَ﴾: مُخوِّفين قومَهم العذابَ، إن لم يُؤمنوا. وكانوا يهودًا.

٣٠ ـ ﴿قالُوا: يا قَومَنا، إنّا سَمِعْنا كِتابًا﴾ ـ هو القُرآن ـ ﴿أُنزِلَ مِن بَعدِ مُوسَى، مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيهِ﴾ أي: تقدّمه كالتوراة، ﴿يَهدِي إلَى الحَقِّ﴾: الإسلام، ﴿وإلَى طَرِيقٍ مُستقِيمٍ﴾، أي: طريقه. ٣١ ـ ﴿يا قَومَنا، أجِيبُوا داعِيَ اللهِ﴾ مُحمّدًا ﷺ إلى الإيمان، ﴿وآمِنُوا بِهِ يَغفِرْ لَكُم﴾ اللهُ ﴿مِن ذُنُوبِكُم﴾ أي: بعضَها، لأنّ منها المظالمَ ولا تُغفر إلاّ برضا أربابها، ﴿ويُجِرْكُم مِن عَذابٍ ألِيمٍ﴾: مُؤلم. ٣٢ ـ ﴿ومَن لا يُجِبْ داعِيَ اللهِ فلَيسَ بِمُعجِزٍ في الأرضِ﴾ أي: لا يُعجِزُ اللهَ بالهرب منه فيفوتَه، ﴿ولَيسَ لَهُ﴾: لِمن لا يُجيبُ ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: اللهِ ﴿أولِياءُ﴾: أنصارٌ يدفعون عنه العذاب. ﴿أُولئِكَ﴾ الذين لم يُجيبوا ﴿في ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ ظاهر.

قولُهُ: (ببَطْنِ نَخلَةَ) عندَ مُنصرَفِه من الطَّائفِ سنةَ إحدى عشرَة من النُّبوَّةِ في ربيعِ الأوَّلِ، وقيلَ: بالحجونِ، وقيل: بتعدُّدِ لقيِّهم.

قولُهُ: (اصْغَوا) كارضَوا؛ أي: اسكُتُوا.

قولُهُ: (فُرِغَ) وقُرِئَ على بناءِ الفاعلِ[1]، وهو ضميرُ الرَّسولِ ﷺ.

قولُهُ: (العَذَابَ) أو بما سَمِعوا.

قولُهُ: (يَهُوداً) أو ما سمِعُوا بأمرِ عيسى عليهِ السَّلامُ.

قولُهُ: (الإِسلامِ) أو من العَقائدِ.

قولُهُ: (أي: طَرِيقِهِ) أي: طريقِ الإسلامِ من الشَّرائعِ، أو إلى الجنَّةِ، أو إلى المَولى وهو الأولى.

قولُهُ: (ولا تُغْفَرُ) أي: المظالِمُ كالقِصاصِ، كذا في «التَّأويلاتِ»[2]، ذكرَهُ صاحبُ «المداركِ»[3].

قولُهُ: (مُؤلِمٍ) مُعَدٌّ للكفَّارِ، واحتجَّ به أبو حنيفةَ خلافاً لهما[4] باقتصارِهِم على المغفرةِ والإجارةِ على أن لا ثَوابَ لهم، قالَ القاضي[5]:...

---

(١) أي: (فلما قَضَى) وهي قراءة شاذة، ونسبت لحبيب بن عبد الله بن الزبير، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٣٧).

(٢) انظر: «تأويلات أهل السنة» (١٠/ ٢٢١).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٥٤١) عند قوله تعالى: ﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾[نوح: ٤].

(٤) وانظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٣/ ١٤٧)، و«الكشف والبيان عن تفسير القرآن» للثعلبي (٢٤/ ١٤١)، و«التيسير في التفسير» للنسفي (١٣/ ٣٩٩)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٣٠٣).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١١٧).

٣٣ـ ﴿أوَلَم يَرَوا﴾: يعلموا، أي: منكرو البعث، ﴿أنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ، ولَم يَعْيَ بِخَلقِهِنَّ﴾: لم يعجِز عنه، ﴿بِقادِرٍ﴾: خبرُ «أنّ» ـ وزيدت الباء فيه لأنّ الكلام في قوّة: أليس الله بقادر ـ ﴿علَى أن يُحيِيَ المَوتَى؟ بَلَى﴾ هو قادر على إحياء الموتى. ﴿إنَّهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

٣٤ ـ ﴿ويَومَ يُعرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا علَى النّارِ﴾ بأن يُعذّبوا بها، ويقال لهم: ﴿أَلَيسَ هذا﴾ التعذيب ﴿بِالحَقِّ؟ قالُوا: بَلَى، ورَبِّنا. قالَ: فذُوقُوا العَذابَ بِما كُنتُم تَكفُرُونَ﴾.

٣٥ ـ ﴿فاصبِرْ﴾ على أذى قومك ﴿كَما صَبَرَ أُولُو العَزمِ﴾: ذوُو الثبات والصبر على الشدائد ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ قبلك، فتكونَ ذا عزم ـ ومِن: للبيان فكُلّهم ذوو عزم. وقيل: للتبعيض. فليس منهم آدمُ لقوله تعالى: «ولَم نَجِدْ لَهُ عَزمًا»، ولا يونسُ لقوله تعالى: «ولا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ» ـ ﴿ولا تَستَعجِلْ لَهُم﴾: لِقومك نُزولَ العذاب بهم. قيل: كأنه ضجِر منهم فأحبَّ نُزول العذاب بهم، فأُمر بالصبرِ وتركِ الاستعجال للعذاب. فإنه نازل بهم لا محالة. ﴿كَأَنَّهُم يَومَ يَرَونَ ما يُوعَدُونَ﴾ من العذاب في الآخرة لطُوله ﴿لَم يَلبَثُوا﴾ في الدنيا في ظنّهم ﴿إلاّ ساعةً مِن نَهارٍ﴾. هذا القُرآن ﴿بَلاغٌ﴾: تبليغٌ من الله ـ تعالى ـ إليكم. ﴿فهَل﴾ أي: لا ﴿يُهلَكُ﴾ عِند رُؤية العذاب ﴿إلاّ القَومُ الفاسِقُونَ﴾ أي: الكافرون؟

والأظهرُ أنّهم في توابعِ التّكليفِ كبني آدمَ، قلتُ: وما في سورةِ «الرّحمنِ»[1] يؤيِّدُ قولَ الجمهورِ.

قولُهُ: (لَمْ يَعجِزْ) ولم يتعَبْ.

قولُهُ: (زِيْدَتِ البَاءُ) لتأكيدِ النّفي، فإنَّهُ مشتملٌ على ﴿أنَّ﴾ وما في حيِّزِها.

قولُهُ: (يُقَالُ) عامِلٌ في ﴿يومَ﴾.

قولُهُ: (ذَوُو الثَّباتِ) والجدِّ.

قولُهُ: (للتَّبعِيضِ) و﴿أُولُوا العَزمِ﴾ أصحابُ الشَّرائعِ ومشاهيرُهُم نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى، وأشهرُهُم محمَّدٌ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ. قولُهُ: (لِقَومِكَ) أي: لكفَّارِ قريشٍ.

قولُهُ: (نَازِلٌ) ولو في الآخرةِ. قولُهُ: (لِطُولِهِ) أي: اليومِ أو لهولِهِ.

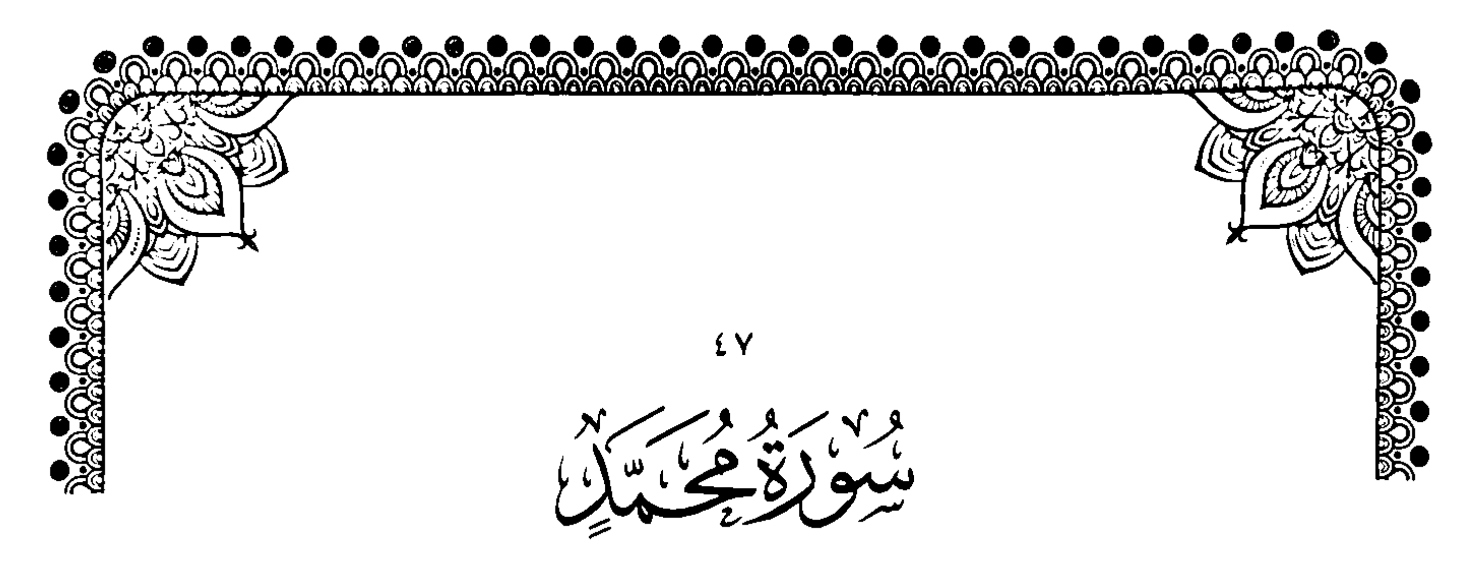
قولُهُ: (القُرآنُ) أو الَّذي وُعِظتُم به، أو هذه السُّورةُ.

قولُهُ: (تَبلِيغٌ) أو كِفايةٌ.

قولُهُ: (مِنَ اللهِ) أو من الرَّسولِ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) الآيات رقم: (٤٦، ٤٧).



٤٧

سورة محمد

مدنية إلاّ «وكأيّن من قرية» الآيَةَ، أو مكية، وهي ثمانٍ أو تسعٌ وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة ﴿وصَدُّوا﴾ غيرَهم ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَضَلَّ﴾: أحبط ﴿أعمالَهُم﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، ويُجزَون بها في الدنيا من فضله ـ تعالى ـ ٢ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: الأنصارُ وغيرهم، ﴿وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ، وآمَنُوا بِما نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ أي: القُرآنِ ـ ﴿وهُوَ الحَقُّ مِن رَبِّهِم ـ كَفَّرَ عَنهُم﴾: غفر لهم ﴿سَيِّئاتِهِم، وأصلَحَ بالَهُم﴾ أي: حالهم فلا يعصُونه.

سورة محمد ﷺ

قولُهُ: (مِنْ أَهلِ مَكَّةَ) وغيرِهِم.

قولُهُ: (غَيرَهُم) أو امتَنعوا.

قولُهُ: (أي: الإِيمَانِ) أو سلوكِ طريقِهِ.

قولُهُ: (كإِطعَامِ الطَّعَامِ) أي: جعلَ مكارمَهُم كفكِّ الأسرى وحفظِ الجوارِ وترحُمِ الأيتامِ وإعانةِ الضُّعفاءِ وإغاثةِ الملهوفينَ ضالَّةً؛ أي: ضائعةً محبطَةً بالكفرِ، أو مغلوبةً مَغمورةً فيه، كما يضلُّ الماءُ في اللَّبنِ أو ضلالاً حيثُ لم يَقصِدوا به وجهَ اللهِ.

قولُهُ: (أي: الأنصَارُ) الظَّاهرُ: من أهلِ مكَّةَ وغيرِهِم.

قولُهُ: (أي القرآنِ) تخصيصٌ تعظيماً له.

قولُهُ: (أي: حَالَهُم) في الدِّينِ والدُّنيا بالتَّوفيقِ والتَّأييدِ.

٣ ـ ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال وتكفير السيّئات ﴿بِأَنَّ﴾: بسبب أنّ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الباطِلَ﴾: الشيطان ﴿وأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الحَقَّ﴾: القُرآنَ ﴿مِن رَبِّهِم. كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ ذلك البيان ﴿يَضرِبُ اللهُ لِلنّاسِ أمثالَهُم﴾: يُبيِّنُ أحوالَهم، فالكافر يُحبِط عملَه، والمُؤمن يَغفر زَلَـلَـهُ.

٤ ـ ٥ ـ ﴿فإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فضَرْبَ الرِّقابِ﴾: مصدرٌ بدل من اللفظ بفعله، أي: فاضربوا رقابهم أي: اقتلوهم. وعُبّر بضرب الرقاب لأنّ الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة. ﴿حَتَّى إذا أثخَنتُمُوهُم﴾: أكثرتم فيهم القتل ﴿فشُدُّوا﴾، أي: فأمسكوا عنهم وائسِروهم وشُدّوا ﴿الوَثاقَ﴾: ما يُوثق به الأسرى ـ ﴿فإمّا مَنًّا بَعدُ﴾: مصدرٌ بدل من اللفظ بفعله، أي: تَمُنّون عليهم بإطلاقهم من غير شيء، ﴿وإمّا فِداءً﴾: تُفادونهم بمالٍ، أو أسرَى مسلمين ـ ﴿حَتَّى تَضَعَ الحَربُ﴾ أي: أهلُها ﴿أوزارَها﴾: أثقالها من السلاح وغيره بأن يُسلِمَ الكُفّار أو يدخلوا في العهد. وهذه غاية للقتل والأسر.

قولُهُ: (وتَكفِيرُ السَّيِّئَاتِ) وإصلاحُ البالِ، فالإفرادُ باعتبارِ ما مرَّ، وهو مبتدأٌ.

قولُهُ: (الشَّيطَانَ) أو ضدَّ: الحقِّ، وهو الظَّاهرُ.

قولُهُ: (القُرآنَ) وهو تصريحٌ بما علمَ ظنًّا، ولذلك يسُمَّى تفسيراً في علمِ البيانِ.

قولُهُ: (البَيَانِ) الأظهرُ: التَّبيينِ.

قولُهُ: (أَحوَالَهُم) أي: أحوالَ الفريقينِ، أو أحوالَ النَّاسِ، أو بضربِ أمثالِهم بأن جعلَ اتِّباعَ الباطلِ مثلاً لعملِ الكفَّارِ، والإضلالَ مثلاً لخيبتِهم، واتِّباعَ الحقِّ مثلاً للمؤمنينَ، وتكفيرَ السَّيِّئاتِ مثلاً لفوزِهم.

قولُهُ: (رِقَابَهُم) أصلُهُ: فاضرِبوا الرِّقابَ ضرباً، فحُذِفَ الفعلُ وقُدِّمَ المصدرُ وأُنيبَ منابَهُ مضافاً إلى المفعولِ ضمًّا إلى التَّأكيدِ للاختصارِ.

قولُهُ: (لأنَّ الغَالِبَ) أو للإشعارِ بأنَّهُ ينبغي أن يكونَ بضربِ الرَّقبةِ حيثُ ما أمكنَ، وللتَّصويرِ له بأشنعِ صورةٍ.

قولُهُ: (أَكثَرتُمْ) وأغلظتُمُوهُ من الثَّخينِ، وهو الغَليظُ.

قولُهُ: (وائسِروهم) بهمزةٍ ساكنةٍ وكسرِ السِّينِ؛ أي: احفظوهُم.

قولُهُ: (الأَسرَى) قيدُ الأسرى واقعيٌّ غيرُ معتبرٍ لغةً.

قوله: (أو أَسرَى) في «المدارِكِ»[1]: وحكمُ أسارى المشركينَ عندَنا[2] القتلُ أو الاسترقاقُ، والمنُّ والفداءُ المذكورانِ في الآيةِ منسوخٌ بقولِهِ: ﴿اقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]؛ لأنَّ سورةَ «براءة» من آخرِ ما نزلَ، أو المرادُ

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٣٢٢).

(٢) انظر: «الهداية» (٢/ ٣٨٤).

﴿ذلِكَ﴾: خبرُ مُبتدأ مُقدّر، أي: الأمرُ فيهم ما ذُكر، ﴿ولَو يَشاءُ اللهُ لانتَصَرَ مِنهُم﴾ بغير قِتال، ﴿ولكِن﴾ أمركم به، ﴿لِيَبلُوَ بَعضَكُم بِبَعضٍ﴾ منهم في القتال، فيصيرَ من قُتل منكم إلى الجنّة ومنهم إلى النار. ﴿والَّذِينَ قُتِلُوا﴾، وفي قراءة «قاتَلُوا» ـ الآيةُ نزلت يوم أُحد، وقد فشا في المسلمين القتل والجراحات ـ ﴿في سَبِيلِ اللهِ فلَن يُضِلَّ﴾: يُحبِط ﴿أعمالَهُم، سَيَهدِيهِم﴾ في الدنيا والآخرة إلى ما ينفعهم، ﴿ويُصلِحُ بالَهُم﴾: حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقتل، وأُدرجوا في «قُتِلوا» تَغليبًا، ٦ ـ ﴿ويُدخِلُهُمُ الجَنَّةَ، عَرَّفَها﴾: بيَّنَها ﴿لَهُم﴾، فيهتدون إلى مساكنهم منها وأزواجِهم وخدمهم من غير استدلال.

بالمنِّ أن يمنَّ عليهِم بتركِ القتلِ ويُسترَقُّوا، أو يمنَّ عليهم فيخلوا لقبولِهم الجزيَةَ، وبالفداءِ أن يُفادى بأساراهم أسارى المشركينَ[1]، فقد رواه الطَّحاويُّ[2] مذهباً عن أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ، وهو قولُهُما، والمشهورُ: أنَّه لا يرى فداءَهُم لا بمالٍ ولا بغيرِهِ؛ لئلَّا يعودوا حرباً علينا، وعندَ الشَّافعيِّ رحمَهُ الله[3]: للإمامِ أن يختارَ أحدَ الأمورِ الأربعةِ: القتلَ، والاسترقاقَ، والفداءَ بأسارى المسلمينَ، والمنَّ، انتهى.

قولُهُ: (مَا ذُكِرَ) أو افعَلوا بهم ذلك.

قولُهُ: (وفِي رِوَايَةٍ) الصَّوابُ: في قراءةٍ، بلِ الأولى جعلُها أصلاً؛ لأنَّها قراءةُ الجمهورِ، وقرأ البصريُّ وحفصٌ: ﴿قُتِلُوا﴾[4] أي: استشهَدوا.

قولُهُ: (يُحبِطَ) الأنسبُ: لن يضيِّعَ.

قولُهُ: (وَمَا فِي الدُّنْيَا) أي: من المنفعةِ.

قولُهُ: (تَغلِيباً) والظَّاهرُ أنَّ الهدايةَ تفسَّرُ بحسبِ القراءةِ.

قولُهُ: (بيَّنَهَا) أو طيَّبَها لهم من العَرفِ ـ بالفتحِ ـ وهو طيبُ الرَّائحةِ[5]، وفي الحديثِ: «إنَّ ريحَ الجنَّةِ يُوجَدُ مِن مسيرةِ خمسِ مائةِ عامٍ»[6].

---

(١) كذا العبارة في الأصول، والأليق أن تكون: المسلمين.

(٢) انظر: «مختصر الطحاوي» (ص: ٢٨٩).

(٣) انظر: «الحاوي الكبير» (٨/ ٤٠٨).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٠).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٣٦) إلا أنه قال: العَرف: الريح طيبة أو منتنة، وأكثر استعماله في الطيبة.

(٦) رواه ابن ماجه (٢٦١١) من حديث عبد الله بن عَمرو رضي الله عنهما، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١١٨): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

ورواه عنه البخاري (٦٩١٤) إلا أنه قال: «من مسيرة أربعين عاماً».

٧ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن تَنصُرُوا اللهَ﴾ أي: دِينَه ورسوله ﴿يَنصُرْكُم﴾ على عدوّكم، ﴿ويُثَبِّتْ أقدامَكُم﴾: يُثبّتْكم في المعترك. ٨ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكّة، مُبتدأ خبره: تَعِسُوا، يدلّ عليه: ﴿فتَعْسًا لَهُم﴾ أي: هلاكًا وخيبة من الله، ﴿وأضَلَّ أعمالَهُم﴾: عطفٌ على «تعسوا». ٩ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: التعس والإضلال ﴿بِأَنَّهُم كَرِهُوا ما أنزَلَ اللهُ﴾ من القُرآن المشتمل على التكاليف، ﴿فأحبَطَ أعمالَهُم﴾.

١٠ ـ ﴿أفلَم يَسِيرُوا في الأرضِ، فيَنظُرُوا: كَيفَ كانَ عاقِبةُ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم؟ دَمَّرَ اللهُ علَيهِم﴾: أهلكَ اللهُ أنفُسَهم وأولادهم وأموالهم، ﴿ولِلكافِرِينَ أمثالُها﴾: أمثالُ عاقبة مَن قبلهم. ١١ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: نصرُ المُؤمنين وقهر الكافرين ﴿بِأنَّ اللهَ مَولَى﴾: وليُّ وناصرُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا، وأنَّ الكافِرِينَ لا مَولَى لَهُم﴾.

١٢ ـ ﴿إنَّ اللهَ يُدخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، والَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾ في الدنيا، ﴿ويأكُلُونَ كَما تأكُلُ الأنعامُ﴾ أي: ليس لهم هِمّة إلاّ بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة، ﴿والنّارُ مَثوًى لَهُم﴾: منزلٌ ومُقام ومَصير. ١٣ ـ ﴿وكأَيِّن﴾: وكم ﴿مِن قَرْيةٍ﴾ أُريد بها أهلُها، ﴿هِيَ أشَدُّ قُوّةً مِن قَرْيتِكَ﴾ مكّةَ أي: أهلِها ﴿الَّتِي أخرَجَتْكَ﴾ رُوعي لفظ «قرية»، ﴿أهلَكناهُم﴾ ـ رُوعي معنى «قرية» الأُولى ـ ﴿فلا ناصِرَ لَهُم﴾ من إهلاكنا!......................

قولُهُ: (ورَسُولَهُ) تخصيصٌ، والأظهرُ: أو رسولَهُ.

قولُهُ: (في المُعترَكِ) وفي القيامِ بحقوقِ الإسلامِ.

قولُهُ: (يَدُلُّ عَليهِ ﴿فتَعْسًا﴾) انتصابُهُ بفعلِهِ الواجبِ إضمارُهُ سماعاً.

قولُهُ: (أي: هَلاكاً) أو عثاراً، أو انحطاطاً.

قولُهُ: (التَّكَالِيفِ) من التَّوحيدِ والأوامرِ المخالفةِ لما أَلِفوهُ.

قولُهُ: (وأَولادَهُم) الأولى: أهليهِم.

قولُهُ: (عَاقِبَةِ) أو عقوبةِ.

قولُهُ: (فِي الدُّنيَا) أي: ينتفِعونَ بمتاعِ الدُّنيا.

قولُهُ: (ومَصِيرٌ) الواو فيهما؛ بمعنى: أو.

قولُهُ: (لَفظُ القَريَةِ) والإخراجُ باعتبارِ التَّسبُّبِ.

قولُهُ: (مِنْ إهلاكِنَا) ظاهرُه أنَّ الضَّميرَ في ﴿لَهُم﴾ للقريةِ الأولى، والأظهرُ: أنَّه للثَّانيةِ.

١٤ ـ ﴿أفمَن كانَ علَى بَيّنَةٍ﴾: حُجّة وبُرهان ﴿مِن رَبِّهِ﴾ ـ وهم المُؤمنون ـ ﴿كَمَن زُيّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ﴾ فرآه حسنًا ـ وهم كُفّار مكّة ـ ﴿واتّبَعُوا أهْواءَهُم﴾ في عِبادة الأوثان؟ أي: لا مُماثلة بينهما.

١٥ ـ ﴿مَثَلُ﴾ أي: صِفةُ ﴿الجَنّةِ الّتِي وُعِدَ المُتّقُونَ﴾، المُشترَكُ بين داخليها، مبتدأ خبره: ﴿فِيها أنهارٌ مِن ماءٍ غَيرِ آسِنٍ﴾ ـ بالمدّ والقصر، كضارِب وحَذِر ـ أي: غيرِ مُتغيّر بخِلاف ماء الدنيا فيتغيّر لعارض، ﴿وأنهارٌ مِن لَبَنٍ لَم يَتَغَيّرْ طَعمُهُ﴾ بخِلاف لبن الدنيا لخروجه من الضروع، ﴿وأنهارٌ مِن خَمرٍ لَذّةٍ﴾: لذيذة ﴿لِلشّارِبينَ﴾ بخِلاف خمر الدنيا فإنها كريهة عند الشرب، ﴿وأنهارٌ مِن عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ بخِلاف عسل الدنيا فإنه بخروجه من بُطون النحل يخالطه الشمع وغيره، ﴿ولَهُم فِيها﴾ أصنافٌ ﴿مِن كُلِّ الثّمَراتِ، ومَغفِرةٌ مِن رَبِّهِم﴾ ـ فهو راضٍ عنهم مع إحسانه إليهم بما ذُكر بخِلاف سيّد العبيد في الدنيا. فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطًا عليهم ـ ﴿كَمَن هُوَ خالِدٌ في النّارِ﴾: خبرُ مُبتدأ مُقدّر، أي: أم مَن هو في هذا النعيم؟ ﴿وسُقُوا ماءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة، ﴿فقَطّعَ أمعاءَهُم﴾ أي: مصارينهم، فخرجت من أدبارهم؟ وهو جمع مِعًى بالقصر، وألفه عن ياء لقولهم: مِعَيانِ.

قولُهُ: (وبُرهَانٍ) بيانٍ، وهو القرآنُ.

قولُهُ: (وهُم كُفّارُ مَكّةَ) لا وجهَ للتّخصيصِ أبداً.

قولُهُ: (في عِبَادَةِ الأَوْثَانِ) وغيرها ممّا لا شبهَةَ لهم عليها فضلاً عن حجّةٍ.

قولُهُ: (المُشتَرَكُ) الظّاهرُ: المشتركَةُ.

قولُهُ: (خَبَرُهُ) أي: الجملةُ، أو فيما نقصُّ عليك صِفتُها العجيبَةُ، والجملةُ استئنافٌ.

قوله: (والقَصرِ) مكّيٌّ[1].

قولُهُ: (لَذِيذَةٍ) لا يكون فيها كراهَةُ طعمٍ وريحٍ ولا غائلَةُ سكرٍ وخمارٍ، تأنيثُ: لذٍّ، أو مصدرٌ نُعِتَ به بإضمارٍ أو تجوُّزٍ.

قولُهُ: (بخُرُوجِهِ) في كونِ هذا وما قبلَهُ علةً نظَرٌ ظاهرٌ.

قولُهُ: (وغَيرُهُ) من فَضلاتِ النّحلِ.

قولُهُ: (أَصنَافٌ) والأظهرُ: صنفٌ، وقولُهُ تعالى: (﴿ومَغفِرةٌ﴾) عطفٌ عليه، أو مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ؛ أي: لهم مغفرَةٌ.

قولُهُ: (شَدِيدَ الحَرَارَةِ) مكانَ تلك الأشربَةِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٠).

١٦ ـ ﴿ومِنهُم﴾ أي: الكُفّارِ ﴿مَن يَستَمِعُ إلَيكَ﴾ في خُطبة الجُمعة ـ وهم المنافقون ـ ﴿حَتَّى إذا خَرَجُوا مِن عِندِكَ قالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ﴾: لعُلماء الصحابة، منهم ابن مسعود وابن عبّاس، استهزاءً وسخرية: ﴿ماذا قالَ آنِفًا﴾ ـ بالمد والقصر ـ أي: الساعةَ؟ أي: لا يُرجَعُ إليه. ﴿أُولئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم﴾ بالكُفر ﴿واتَّبَعُوا أهْواءَهُم﴾ في النِّفاق، ١٧ ـ ﴿والَّذِينَ اهتَدَوا﴾ ـ وهم المُؤمنون ـ ﴿زادَهُمْ﴾ اللهُ ﴿هُدًى، وآتاهُم تَقْواهُم﴾: ألهمَهم ما يتّقون به النار.

١٨ ـ ﴿فهَل يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرون، أي: كُفّارُ مكّة ﴿إلاّ السّاعةَ، أن تأتِيَهُم﴾: بدلُ اشتمال من «الساعةَ»، أي: ليس الأمر إلاّ أن تأتيهم ﴿بَغْتَةً﴾: فجأة؟ ﴿فقَد جاءَ أشراطُها﴾: علاماتها، منها بَعثُ النبيّ ﷺ وانشقاقُ القمر والدخانُ. ﴿فأنّى لَهُم، إذا جاءَتْهُم﴾ الساعةُ، ﴿ذِكراهُم﴾: تذكّرُهم؟ أي: لا ينفعهم.

١٩ ـ ﴿فاعلَمْ أنَّهُ لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ﴾ أي: دُمْ ـ يا مُحمّد ـ على عِلمك بذلك النافع في القيامة، ﴿واستَغفِرْ لِذَنبِكَ﴾ لأجله ـ قيل له ذلك مع عِصمته لتَستنّ به أُمّتُه، وقد فعله قال ﷺ: «إنِّي لأستَغفِرُ اللهَ في كُلِّ يَومٍ مِائَةَ مَرّةٍ» ـ ﴿ولِلمُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ﴾. فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم. ....

قولُهُ: (في خُطْبَةِ الجُمُعَةِ) وغيرِها من المجالِسِ.

قولُهُ: (مِنْهُم) لا وجهَ للتَّخصيصِ.

قولُهُ: (استِهزَاءً) أي: في أنفسِهِم، أو استِعلاماً؛ إذ لم يُلقُوا له آذانَهُم تهاوناً به، وهو علّةٌ لـ﴿قَالُوا﴾.

قولُهُ: (والقَصرِ) للبزِّيِّ بخلفٍ[1].

قولُهُ: (في النِّفَاقِ) فلذلكَ استهزَؤوا بها، وتهاوَنوا بكلامِهِ.

قولُهُ: (وهُمُ المُؤمِنُونَ ﴿زادَهُمُ﴾ اللهُ) بالتَّوفيقِ والإلهامِ، أو قولِ الرَّسولِ.

قولُهُ: (أَلهَمَهُم) أو بيَّنَ لهم، أو أعانَهُم على تقواهُم، أو أعطاهُم جَزاءَها.

قولُهُ: (أي: دُمْ) يعني: إذا علمْتَ سعادةَ المؤمنينَ وشقاوةَ الكافرينَ؛ فاثبُت على ما أنتَ عليهِ من العلمِ بالوحدانيّةِ، وتكميلِ النَّفسِ بإصلاحِ أحوالِها وأفعالِها وهضمِها بالاستغفارِ.

قولُهُ: (لِتَستَنَّ) أو لإظهارِ العبوديَّةِ ورؤيةِ تقصيرِها، أو لما عَسى صَدرَ عنهُ من خلافِ الأولى.

قولُهُ: (لَهُم) أي: لذنوبِهِم بالدُّعاءِ لهم، والتَّحريضِ على ما يستدعِي غفرانَهُم.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٠٠).

﴿**والله يَعلَمُ مُتَقَلَّبَكُم**﴾: مُتصرَّفكم لأشغالكم بالنهار، ﴿**ومَثواكُم**﴾: مأواكم إلى مضاجعكم بالليل، أي: هو عالم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه شيء منها. فاحذروه. والخطاب للمُؤمنين وغيرهم.

٢٠ ـ ﴿**ويَقولُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ طلبًا للجِهاد: ﴿**لَولا**﴾: هلاّ ﴿**نُزِّلَتْ سُورةٌ**﴾ فيها ذِكر الجِهاد. ﴿**فإذا أُنزلَتْ سُورةٌ مُحكَمَةٌ**﴾ أي: لم يُنسخ منها شيء، ﴿**وذُكِرَ فِيها القِتالُ**﴾ أي: طلبُه، ﴿**رأيتَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ**﴾ أي: شكٌّ ـ وهم المُنافقون ـ ﴿**يَنظُرُونَ إليكَ نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيهِ مِنَ المَوتِ**﴾ خوفًا منه وكراهية له، أي: فهم يخافون من القِتال ويكرهونه. ﴿**فأَولَى لَهُم**﴾: مُبتدأ خبرُه: ٢١ ـ ﴿**طاعةٌ وقَولٌ مَعرُوفٌ**﴾ أي: حَسَنٌ لك، ﴿**فإذا عَزَمَ الأمرُ**﴾ أي: فُرِضَ القِتال ﴿**فلَو صَدَقُوا اللهَ**﴾ في الإيمان والطاعة ﴿**لكانَ خَيرًا لَهُم**﴾. وجملة «لو» جوابُ: إذا.

٢٢ ـ ﴿**فهَل عَسَيتُم**﴾ ـ بفتح السين وكسرها، وفيه التفات عن الغَيبة ـ أي: لعلّكم، ﴿**إن تَوَلَّيتُم**﴾: أعرضتم عن الإيمان، ﴿**أن تُفسِدُوا في الأرضِ، وتُقَطِّعُوا أرحامَكُم**﴾،..........

قولُهُ: (إلى مَضَاجِعِكُم) أو متقلَّبِكُم في الدُّنيا، فإنَّها مراحلُ لا بدَّ من قطعِها، ومثواكُم في العقبى، فإنَّها دارُ إقامتِكُم، فاتَّقوا اللهَ، واستغفرُوهُ وأعدُّوا لمعادِكُم.

قولُهُ: (أي: لَمْ يُنْسَخ) أو مبيَّنةٌ لا تشابهَ فيها.

قولُهُ: (شَكٌّ) أو ضعفٌ، أو نفاقٌ.

قولُهُ: (خَوفاً) وجُبناً.

قولُهُ: (وخَبَرُهُ) يوهمُ أنَّ الخبرَ ﴿طَاعَةٌ﴾ وليسَ كذلك، بل ﴿أَوْلَى﴾ مبتدأٌ؛ بمعنى: ويلٌ، والخبرُ: ﴿هُمْ﴾ و﴿طَاعَةٌ﴾ استئنافٌ؛ أي: أمرُهُم، أو ﴿طَاعَةٌ وقَولٌ مَعْرُوفٌ﴾ خيرٌ لهم.

قولُهُ: (أي: فُرِضَ القِتَالُ) يعني: صارَ الأمرُ معزوماً؛ أي: تحقَّقَ الأمرُ، أو ﴿عزمَ﴾ بمعنى: جدَّ؛ أي: أصحابُ الأمرِ.

قولُهُ: (فِي الإِيمَانِ) أو فيما زعَمُوا من الحرصِ على الجهادِ (﴿لكانَ﴾) الصِّدقُ.

قولُهُ: (جَوَابُ: ﴿إِذَا﴾) الصَّحيحُ أنَّ عاملَ الظَّرفِ محذوفٌ نحو: كرِهوا.

قولُهُ: (بِكَسرِ السِّينِ) نافعٌ[1].

قولُهُ: (أي: لَعَلَّكُم) أي: فهل يُتَوَقَّعُ منكُم، أو توقَّعْتُم من أنفسِكُم.

قولُهُ: (أَعرَضْتُم) أو تولَّيتُم أمورَ النَّاسِ، وهو اعتراضٌ بين «عسى» وخبرِها.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨١).

أي: تعودوا إلى أمر الجاهليّة من البغي والقِتال؟ ٢٣ ـ ﴿أُولئِكَ﴾ أي: المُفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ، فأَصَمَّهُم﴾ عن استماع الحقّ، ﴿وأعمَى أبصارَهُم﴾ عن طريق الهداية. ٢٤ ـ ﴿أفلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ﴾ فيعرفون الحقّ؟ ﴿أم﴾: بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أقفالُها﴾ فلا يفهمونه.

٢٥ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ ارتَدُّوا﴾ بالنِّفاق ﴿عَلَى أدبارِهِم مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى الشَّيطانُ سَوَّلَ﴾: زيَّن ﴿لَهُم وأُملِيَ لَهُم﴾، بضمِّ أوّله، وبفتحِه واللامَ والمُملي: الشيطانُ بإرادته ـ تعالى ـ فهو المُضلّ لهم. ٢٦ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُم قالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا ما نَزَّلَ اللهُ﴾ أي للمُشركين: ﴿سَنُطِيعُكُم في بَعضِ الأمرِ﴾ أمر المُعاونةِ على عداوة النبيّ ﷺ وتثبيط الناس عن الجِهاد معه. قالوا ذلك سرًّا، فأظهره الله تعالى. ﴿واللهُ يَعلَمُ أسرارَهُم﴾...

قولُهُ: (تَعُودُوا) أو تحرِصوا على الولايةِ وتجاذِبوا لها.

قولُهُ: (والقَتلِ) للأقاربِ والأجانبِ والغارةِ.

قولُهُ: (فَيَعرِفُونَ) أو فلا يجترئُونَ على المعاصِي.

قولُهُ: (بَل) يعني أنَّ ﴿أَمْ﴾ منقطعةٌ؛ بمعنى: بل والهمزَةِ، ومعناها: التَّقريرُ، والأظهرُ: الاتِّصالُ.

قولُهُ: (لَهُم) تنكيرُ القلوبِ؛ لأنَّ المرادَ قلوبُ بعضٍ.

قولُهُ: (فلا يَفْهَمُونَهُ) وإضافةُ الأقفالِ إليها للدِّلالةِ على أقفالٍ مناسبةٍ لها مختصَّةٍ بها لا تجانسُ الأقفالَ المعهودَةَ.

قولُهُ: (بالنِّفَاقِ) لا وجهَ للتَّخصيصِ، والحكمُ عامٌّ.

قولُهُ: (أي: زَيَّنَ) وسهَّلَ.

قولُهُ: (بِضَمِّ أَوَّلِهِ) على البناءِ للمفعولِ بصريٌّ[١].

قولُهُ: (الشَّيطَانُ) أي: مدَّ لهم في الآمالِ والأماني، أو أمهلَهُمُ اللهُ تعالى ولم يعاجِلهُم بالعقوبةِ لقراءةِ يعقوبَ: (وَأُمْلِيَ لَهُم)[٢]؛ أي: وأنا أُملِي لهم، فتكونُ الواو للحالِ أو الاستئنافِ.

قولُهُ: (أي: إِضْلالُهُم) أو ضلالُهُم، والضَّميرُ للمنافقينَ، أو لهم ولليهودِ.

قولُهُ: (أَمرِ المُعَاوَنَةِ) أي: في بعضِ أمورِكُم، أو في بعضِ ما تأمرونَ به.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «تحبير التيسير في القراءات العشر» (ص: ٥٥٩).

بفتح الهمزة: جمع سِرّ، وبكسرها مصدر.

٢٧ ـ ﴿فكَيفَ﴾ حالُهم، ﴿إذا تَوَفَّتهُمُ المَلائكةُ، يَضرِبُونَ﴾: حالٌ من الملائكة ﴿وُجُوهَهُم وأدبارَهُم﴾: ظُهورهم بمقامع من حديد؟ ٢٨ ـ ﴿ذلِكَ﴾ التوفّي، على الحال المذكورة، ﴿بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسخَطَ اللهَ، وكَرِهُوا رِضوانَهُ﴾ أي: العملَ بما يُرضيه، ﴿فأحبَطَ أعمالَهُم﴾.

٢٩ ـ ﴿أم حَسِبَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ أن لَن يُخرِجَ اللهُ أضغانَهُم﴾: يُظهرَ أحقادهم على النبيّ ﷺ والمُؤمنين؟ ٣٠ ـ ﴿ولَو نَشاءُ لَأَرَيناكَهُم﴾: عرّفناكهم، وكُرّرَتِ اللامُ في ﴿فلَعَرَفتَهُم بِسِيماهُم﴾: علامتِهم، ﴿ولَتَعرِفَنَّهُم﴾ ـ الواو: لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ـ ﴿في لَحنِ القَولِ﴾ أي: في معناه، إذا تكلّموا عِندكَ بأن يُعرّضوا بما فيه تهجينُ أمر المُسلمين. ﴿واللهُ يَعلَمُ أعمالَكُم﴾.

٣١ ـ ﴿ولَنَبلُوَنَّكُم﴾: نختبرَنَّكم بالجِهاد وغيره ﴿حَتَّى نَعلَمَ﴾ عِلمَ ظُهورٍ ﴿المُجاهِدِينَ مِنكُم والصّابِرِينَ﴾ في الجِهاد وغيره، ﴿ونَبلوَ﴾: نُظهِرَ ﴿أخبارَكُم﴾ من طاعتكم وعِصيانكم في الجِهاد وغيره. بالياء والنون في الأفعال الثلاثة.

قولُهُ: (جَمْعُ: سِرٍّ) ومنها قولُهُم: هذا الَّذي أفشاهُ اللهُ عليهم.

قولُهُ: (وبِكَسرِهَا) حفصٌ وحمزةُ والكسائيُّ[١].

قولُهُ: (حَالُهم) أي: كيفَ يعمُلونَ ويحتالونَ حينئذٍ.

قولُهُ: (عَلى النَّبِيِّ) أي: للنَّبيِّ متعلِّقٌ بـ«يُظهرَ».

قولُهُ: (عَرَّفْنَاكَهُم) بدلائلَ تعرِّفُ أعيانَهُم.

قولُهُ: (وكُرِّرَتِ اللَّامُ) لجوابِ ﴿لو﴾.

قولُهُ: (أي: مَعنَاهُ) أو أسلوبِهِ، أو إمالتِهِ إلى جهةِ تعريضٍ وتوريةٍ، ومنهُ قيلَ للمُخطِئ: اللَّاحنُ[٢]؛ لأنَّه يعدلُ الكلامَ عن الصَّوابِ.

قولُهُ: (عِلْمَ ظُهُورٍ) يتعلَّقُ به الثَّوابُ والعقابُ.

قولُهُ: (نُظهِرُ) تفسيرٌ بما هو القصدُ من الابتلاءِ؛ أي: ما يخبرُ به عن أعمَالِكُم فيظهرُ حَسَنُها وقبيحُها، أو إخبارُهُم عن إيمانِهِم وموالاتِهِم المؤمنينَ في صدقِها وكذبِها.

قولُهُ: (والنُّونِ) غيرُ شعبةَ[٣].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٣٠).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠١).

٣٢ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبِيلِ﴾: طريقِ ﴿اللهِ، وشاقُّوا الرَّسُولَ﴾: خالفوه ﴿مِن بَعدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الهُدَى﴾ هو معنى: سبيل الله، ﴿لَن يَضُرُّوا اللهَ شَيئًا! وسَيُحبِطُ﴾ اللهُ ﴿أعمالَهُم﴾: يُبطِلُها من صدَقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا. نزلتْ في المُطعِمِينَ من أصحاب بدر أو في قُرَيظةَ والنضيرِ.

٣٣ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، أَطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرَّسُولَ، ولا تُبطِلُوا أعمالَكُم﴾ بالمعاصي مثلاً.

٣٤ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ﴾: طريقِه وهو الهُدى، ﴿ثُمَّ ماتُوا وهُم كُفّارٌ، فلَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم﴾. نزلتْ في أصحاب القَليب. ٣٥ ـ ﴿فلا تَهِنُوا﴾: تَضعُفوا، ﴿وتَدعُوا إِلَى السَّلمِ﴾ ـ بفتح السين وكسرها ـ أي: الصُّلحِ مع الكُفّار إذا لقيتُموهم، ﴿وأنتُمُ الأعلَونَ﴾، حُذف منه واوُ لام الفعل: الأغلبون القاهرون، ﴿واللهُ مَعَكُم﴾ بالعون والنصر، ﴿ولَن يَتِرَكُم﴾: يَنقُصَكم ﴿أعمالَكُم﴾ أي: ثوابَها.

قولُهُ: (طَرِيقِ) بالصَّدِّ أو الصُّدودِ.

قولُهُ: (مَعنَى: سَبِيلِ اللهِ) الظَّاهرُ أنَّه بمعنى الدِّلالةِ الدَّالَّةِ على حقيقةِ السَّبيلِ؛ يعني: بإنزالِ القرآنِ المشتملِ على الأدلَّةِ العقليَّةِ والنَّقليَّةِ، وبإظهارِ سائرِ المعجزاتِ الظَّاهراتِ المظهراتِ للنُّبوَّةِ.

قولُهُ: (يُبْطِلُهَا) أي: ثوابَ حسناتِ أعمالِهم بذلك.

قوله: (بالمَعَاصِي مَثَلاً) قولُهُ: «مثلاً» لغوٌ، ثمَّ مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ أنَّ المعاصِيَ لا تُبطِلُ الأعمالَ، ولذا قالَ القاضِي[1]: وليسَ فيه دليلٌ على إحباطِ الطَّاعاتِ بالكبائرِ، فالصَّوابُ أن يُقالَ: ولا تُبطِلوها بما أبطلَ به هؤلاءِ كالكفرِ والنِّفاقِ، أو بالعجبِ والرِّياءِ والسُّمعةِ والأذى ونحوِها، أو لا تبطِلوها بعدَ الشُّروعِ فيها ولو نفلاً كما هو مذهبُنا مطلقاً[2] ومذهبُ الشَّافعيِّ في الحجِّ والعمرةِ[3].

قولُهُ: (نَزَلَتْ) عامٌّ في كلِّ من ماتَ على الكفرِ وإن صحَّ نزولُهُ في أصحابِ القليبِ، وهو بئرٌ ببدرٍ.

قولُهُ: (وكَسرِهَا) شعبةُ وحمزةُ[4].

قولُهُ: (أي: الصُّلحِ) جُبناً وتذلُّلاً.

قولُهُ: (لامِ الفِعلِ) لأنَّ الضَّمَّةَ على الواوِ ثقيلةٌ، أو لأنَّ الواوَ متحرِّكةٌ، وما قبلها مفتوحٌ، فقُلبَتِ ألِفًا ثمَّ حُذفَتِ الواوُ أو الألفُ لالتقاءِ السَّاكنينِ، وهذا إنَّما ذكرناهُ تبعاً للشَّيخِ، وإلَّا فمثلُ هذا لا يليقُ بمثل هذا التَّفسيرِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٢٤).

(٢) انظر: «البناية شرح الهداية» (٤/ ٨٧).

(٣) انظر: «المجموع شرح المهذب» (٦/ ٣٩٣).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠١).

٣٦ ـ ﴿إِنَّما الحَياةُ الدُّنيا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَعِبٌ ولَهوٌ، وإن تُؤمِنُوا وتَتَّقُوا﴾ اللهَ ـ وذلك من أُمور الآخرة ـ ﴿يُؤتِكُم أُجُورَكُم، ولا يَسألْكُم أموالَكُم﴾ جميعَها بل الزكاةَ المفروضة فيها. ٣٧ ـ ﴿إن يَسألْكُمُوها فيُحفِكُم﴾: يبالغْ في طلبها ﴿تَبخَلُوا، ويُخرِجْ﴾ البخلُ ﴿أضغانَكُم﴾ لِدين الإسلام. ٣٨ ـ ﴿ها أنتُم﴾ يا ﴿هؤلاءِ تُدعَونَ لِتُنفِقُوا في سَبيلِ اللهِ﴾ ما فرَض عليكم، ﴿فمِنكُم مَن يَبخَلُ، ومَن يَبخَلْ فإنَّما يَبخَلُ عَن نَفسِهِ﴾ ـ يقال: بَخِلَ عليه وعنه. ﴿واللهُ الغَنيُّ﴾ عن نفقتكم ﴿وأنتُمُ الفُقَراءُ﴾ إليه ـ ﴿وإن تَتَوَلَّوا﴾ عن طاعته ﴿يَستَبدِلْ قَومًا غَيرَكُم﴾ أي: يجعلْهم بدلَكم، ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أمثالَكُم﴾ في التولّي عن طاعته، بل مُطيعين له، عزّ وجلّ.

قولُهُ: (بلِ الزَّكَاةَ) كربعِ العشرِ.

قولُهُ: (يُبَالِغْ) بطلبِ الكلِّ، أو الأكثرِ، أو النِّصفِ.

قولُهُ: (البُخلَ) لأنَّهُ سببُ الإضغانِ بالكسرِ أو الفتحِ، أو الضَّميرُ للهِ تعالى، ويؤيِّدُه القراءةُ بالنُّونِ[1].

قولُهُ: (يَا) أي: أنتُم يا مخاطَبونَ، (﴿هؤلاءِ﴾) الموصوفونَ و(﴿تُدْعَونَ﴾) استئنافٌ مقرِّرٌ لذلك، أو صلةٌ لـ﴿هَؤُلَاءِ﴾ على أنَّه بمعنى: الَّذين على رأي الكوفيِّينَ من أنَّ الإشاراتِ؛ بمعنى: الموصُولاتِ[2].

قولُهُ: (مَا فَرَضَ عَلَيكُم) أو هو يعمُّ نفقةَ الغزوِ والزَّكاةِ وغيرِهما.

قولُهُ: (يُقَالُ) يعني: البخلُ يُعَدَّى بـ«عنْ» و«على» لتضمُّنِهِ معنى الإمساكِ والتَّعدِّي، فإنَّهُ إمساكٌ عن مستحقٍّ.

قولُهُ: (إلَيهِ) فما يأمرُكُم به فهو لاحتياجِكُم، فإن امتثَلْتُم فلكُم، وإن تولَّيتُم فعَلَيكُم.

قولُهُ: (عَن طَاعَتِهِ) عُطِف على: ﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا﴾.

قولُهُ: (نجْعَلْهُم بَدَلَكُم) أي: يُقِم مقامَكُم قَومًا آخرينَ.

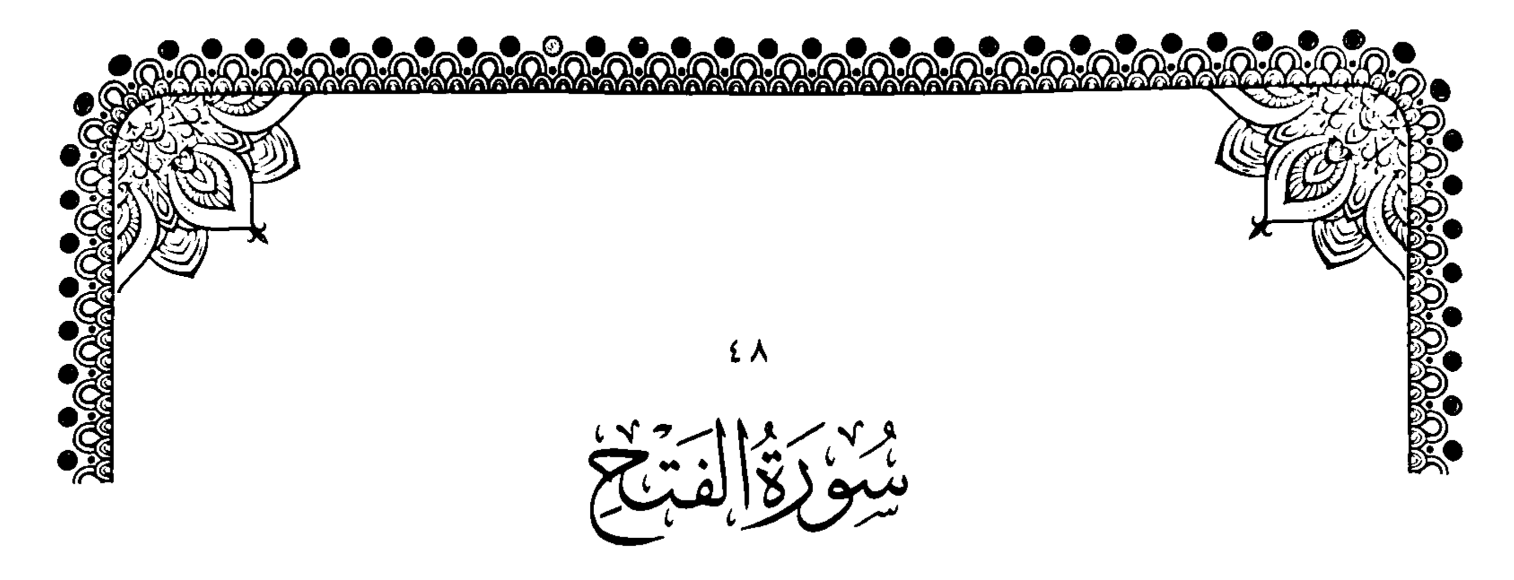
قولُهُ: (في التَّوَلِّي) والزُّهدِ في الإيمانِ، وهمُ الفرسُ، أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن أبي هريرةَ: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ تلا هذهِ الآيةَ، فقالوا: يا رسولَ اللهِ؛ مَن هؤلاءِ؟ فضربَ بيدِهِ على كتفِ سلمانَ الفارسيِّ ثُمَّ قالَ: «هذا وقومُهُ، ولو كانَ الدِّينُ عندَ الثُّريَّا لنالَهُ الرَّجلُ مِنَ الفرسِ»، كذا في «المبهماتِ»[3]، وقيلَ: الأنصارُ، أو اليمنُ، أو الملائكةُ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) أي: (ونخرج) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن عباس رضي الله عنهما، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٤٢).

(٢) انظر: «الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين» (٢/ ٥٨٩).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٠٠). ورواه الترمذي (٣٢٦١)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٢١٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٧١٢٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



مدنية، تسعٌ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ﴾: قضَينا بفتح مكّة وغيرها، المُستقبلَ عَنوةً بجِهادك، ﴿فَتحًا مُبِينًا﴾: بيِّنًا ظاهرًا، ٢ ـ ﴿لِيَغفِرَ لَكَ اللهُ﴾ بجِهادك ﴿ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وما تأَخَّرَ﴾ منه لترغب أُمّتك في الجهاد ـ وهو مُؤوّل لِعصمة الأنبياء بالدليل العقلي القاطع..

سورة الفتح

قولُهُ: (بفَتحِ مَكَّةَ) وهو قولُ الكلبيِّ وجماعةٍ[1]، والتَّعبيرُ عنه بالماضي لتحقُّقِهِ كأنَّه وقَعَ، أو لسبقِ قضائِهِ، كما أشارَ الشَّيخُ إليه، أو الفتحُ بمعنى القضاءِ؛ أي: قضيْنَا لكَ أنْ تدخلَ مكَّةَ مِنْ قابلٍ، وقالَ الجمهورُ[2]: إخبارٌ عن صلحِ الحديبيةِ، وإنَّما سُمِّي فتحاً؛ لأنَّه كانَ بعدَ ظُهورِهِ على المشركينَ حتى سألوا الصُّلحَ وتسبَّبَ لفتحِ مكَّةَ، وفرغَ به رسولُ اللهِ ﷺ لسائرِ العربِ فغزاهُم وفتحَ مواضِعَ، وأدخلَ في الإسلامِ خلقاً عظيماً.

قولُهُ: (عُنوَةً) أي: قهراً وغَلبةً، وهذا مذهَبُنا.

قولُهُ: (بَيِّناً) أو مبيناً ومظهراً عنايَتَنا عليك.

قولُهُ: (بِجِهَادِكَ) يعني: أنَّه علَّةٌ للفتحِ من حيثُ إنَّه مسبَّبٌ عن جهادِ الكفَّارِ، أو اللَّامُ للعاقبةِ والصَّيرورةِ.

قولُهُ: (لِتَرغَبَ) علَّةٌ للعلَّةِ.

---

(١) وانظر: «تفسير ابن عطية» (٥/ ١٢٥).

(٢) وانظر: «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٩٨).

من الذنوب. واللام: للعِلّة الغائيّة فمدخولها مُسبَّب لا سبب ـ ﴿ويُتِمَّ﴾ بالفتح المذكور ﴿نِعْمتَهُ﴾: إنعامه ﴿علَيكَ، ويَهدِيَكَ﴾ به ﴿صِراطًا﴾: طريقًا ﴿مُستَقِيمًا﴾ يُثبّتك عليه ـ وهو دِين الإسلام ـ ٣ ـ ﴿ويَنصُرَكَ اللهُ﴾ به ﴿نَصرًا عَزِيزًا﴾: ذا عِزّ لا ذُلّ معه.

٤ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أنزَلَ السَّكِينةَ﴾: الطُّمأنينة ﴿في قُلُوبِ المُؤمِنِينَ، لِيَزدادُوا إيمانًا مَعَ إيمانِهِم﴾ بشرائع الدين، كلّما نزَّل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد، ﴿ولِلهِ جُنُودُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ ـ فلو أراد نصر دِينه بغيركم لَفعلَ ـ ﴿وكانَ اللهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صُنعه، أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

٥ ـ ٦ ـ ﴿لِيُدخِلَ﴾: مُتعلّق بمحذوف، أي: أمَرَ بالجِهاد،.........................

قولُهُ: (مِنَ الذُّنُوبِ) ذكرَ العلَّامةُ التَّفتازانيُّ في «شرحِ العقائدِ»[1]: أنَّهم معصُومونَ عن الكفرِ مطلقاً بالإجماعِ، وعن تعمُّدِ الكبائرِ عندَ الجمهورِ خلافاً للحشويَّةِ، وأمَّا سهواً فجوَّزَهُ الأكثرونَ، وأمَّا الصَّغائرُ فتجوزُ عمداً عند الجمهورِ خلافاً للجبائيِّ[2]، ويجوز سهواً بالاتِّفاقِ إلَّا ما يدلُّ على الخسَّةِ، كسرقةِ لقمةٍ، لكنَّ المحقِّقينَ اشترَطوا أن ينبَّهوا عليه فينتَهُوا عنه، هذا كلُّهُ بعدَ الوحيِ، وأمَّا قبلَهُ فلا دليلَ على امتناعِ صُدورِ الكبيرةِ، وذهبَ المعتزلةُ إلى امتناعِها، ومنعَ الشِّيعةُ صدورَ الصغيرة و[3]الكبيرةِ قبلَ الوحي وبعدَهُ، انتهى.

ويمكنُ حملُ الذُّنوبِ على الغفلاتِ، أو الاشتغالِ بالمباحاتِ، أو التَّقصيرِ في الطَّاعاتِ، أو رؤيةِ العباداتِ، أو طلبِ المستحسناتِ، فإنَّ حسناتِ الأبرارِ سيِّئاتُ المقرَّبينَ، وما أحسنَ قولَ البيضاويِّ[4]: جميعَ ما فرطَ منك ممَّا يصحُّ أن تُعاتَبَ عليه، أو المرادُ: فرضاً وتقديراً، أو ذنوبُ أمَّتِه ببركةِ شفاعتِهِ.

قولُهُ: (إِنعَامَهُ) بإعلاءِ الدِّينِ وضمِّ الملكِ إلى النُّبوَّةِ.

قولُهُ: (يُثبِّتَكَ) أو في تبليغِ الرِّسالةِ، وإقامةِ مراسيمِ السِّياسةِ.

قولُهُ: (الطُّمَأْنِينَةَ) والثَّباتَ.

قولُهُ: (مُتَعَلِّقٌ بمَحذُوفٍ) أو ﴿فتحْنَا﴾، أو ﴿أنزل﴾، أو ﴿ليزدادُوا﴾، أو فعل ما ذُكِرَ.

---

(١) انظر: «شرح العقائد النسفية» (ص: ١٢٩).

(٢) أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام، المعروف بالجبائي أحد أئمة المعتزلة، كان إماماً في علم الكلام، أخذ هذا العلم عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصري رئيس المعتزلة بالبصرة، وله في مذهب الاعتزال مقالات مشهورة، وعنه أخذ الشيخ الأشعري، ثم ترك الأشعري مذهبه، (ت: ٣٠٣ هـ). انظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٦٧)، و«تاريخ الإسلام» (٧/ ٧٠).

(٣) قوله: «الصغيرة و» زيادة من (د).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٢٦).

﴿المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ جَنّاتٍ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها، ويُكَفِّرَ عَنهُم سَيِّئاتِهِم ـ وكانَ ذلِكَ عِندَ اللهِ فَوزًا عَظِيمًا ـ ويُعذِّبَ المُنافِقِينَ والمُنافِقاتِ والمُشرِكِينَ والمُشرِكاتِ الظّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوءِ﴾، بفتح السين وضمّها في المواضع الثلاثة، ظنّوا أنه لا ينصر مُحمّدًا ﷺ والمُؤمنين. ﴿علَيهِم دائرةُ السَّوءِ﴾ بالذلّ والعذاب، ﴿وغَضِبَ اللهُ علَيهِم، ولَعَنَهُم﴾: أبعدَهم، ﴿وأعَدَّ لَهُم جَهَنَّمَ، وساءَتْ مَصِيرًا﴾ أي: مَرجِعًا! ٧ ـ ﴿وللهِ جُنُودُ السَّماواتِ والأرضِ، وكانَ اللهُ عَزِيزًا﴾ في مُلكه، ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه، أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

٨ ـ ﴿إنّا أرسَلْناكَ شاهِدًا﴾ على أُمّتك في القِيامة، ﴿ومُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة، ﴿ونَذِيرًا﴾: مُنذرًا مُخوّفًا فيها مَن عَمِلَ سُوءًا بالنار، ٩ ـ ﴿لِيُؤمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ﴾ ـ بالياء والتاء فيه وفي الثلاثة بعده ـ ﴿ويُعَزِّرُوهُ﴾: ينصروه، وقُرئ بزاءين مع الفَوقانيّة، ﴿ويُوَقِّرُوهُ﴾: يُعظّموه ـ وضميرُهما لله أو لرسوله ـ ﴿ويُسَبِّحُوهُ﴾ أي: اللهَ ﴿بُكْرةً وأصِيلاً﴾: بالغداة والعشيّ.

١٠ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ يُبايِعُونَكَ﴾ بَيعةَ الرِّضوانِ بالحُدَيبِيةِ ﴿إنَّما يُبايِعُونَ اللهَ﴾ ـ هو نحو «مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فقَد أطاعَ اللهَ» ـ ﴿يَدُ اللهِ فَوقَ أيدِيهِم﴾ التي بايعوا بها النبيَّ،.........

قولُهُ: (في المَوَاضِعِ الثَّلاثَةِ) هذا سهوٌ؛ لأنَّ الخلافَ، إنَّما هو دائرٌ مع ﴿دائرة السَّوء﴾ هنا، فالمكّيُّ والبصريُّ بالضَّمِّ(١).

قولُهُ: (بالذُّلِّ) أي: عليهم خاصَّةً دائرة ما يظنُّونَهُ بالمؤمنينَ، يحيطُ بهم إحاطَةَ الدَّائرةِ بما فيها، والإضافةُ بمعنى في، ويحتملُ أن تكونَ ﴿عَلَيْهِم دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ وما بعدَهُ جملَ دعائيَّةً.

قولُهُ: (أي: مَرجِعاً) جهنَّمُ.

قولُهُ: (باليَاءِ) الغيبةُ مكّيٌّ وبصريٌّ(٢).

قولُهُ: (تَنصُرُوهُ) وتقوُّوهُ بتقويةِ دينِهِ ورسولِهِ.

قولُهُ: (اللهَ) أي: تنزِّهوهُ، أو تصلُّوا له.

قولُهُ: (بالغَدوَةِ) أو دائماً.

قولُهُ: (نَحوَ ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ﴾) يعني: أنَّ عقدَ الميثاقِ مع الرَّسولِ كعقدِ الميثاقِ بلا واسطةٍ معَ اللهِ من غيرِ تفاوتٍ؛ لأنَّهُ تعالى هو المقصودُ ببيعةِ رسولِهِ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٧)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٤٨).

(٢) انظر المصدر السابق.

أي: هو - تعالى - مُطّلع على مُبايعتهم، فيُجازيهم عليها. ﴿فمَن نكَثَ﴾: نقض البيعةَ ﴿فإنّما ينكُثُ﴾: يرجِعُ وبالُ نقضِه ﴿على نَفْسِهِ، ومَن أوفَى بما عاهَدَ علَيهِ اللهَ فسَيُؤتِيهِ﴾ - بالياء والنون - ﴿أجْرًا عَظِيمًا﴾.

١١ - ﴿سَيَقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأعرابِ﴾ حولَ المدينة، أي: الذين خلّفهم الله عن صُحبتك، لمّا طلبتَهم ليخرجوا معك إلى مكّة خوفًا من تعرّض قُريش لك عام الحُديبية، إذا رجعتَ منها: ﴿شَغَلَتْنا أموالُنا وأهلُونا﴾ عن الخُروج معك. ﴿فاستَغفِرْ لَنا﴾ اللهَ مِن تَركِ الخُروج معك. قال تعالى مُكذّبًا لهم: ﴿يَقُولُونَ بِألسِنَتِهِم﴾ أي: مِن طلبِ الاستغفار وممّا قبله ﴿ما لَيسَ في قُلُوبِهِم﴾. فهم كاذبون في اعتذارهم.

﴿قُلْ: فمَن﴾ - استفهام بمعنى النفي - أي: لا أحدَ ﴿يَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شَيئًا، إن أرادَ بِكُم ضَرًّا﴾ - بفتح الضاد وضمّها - ﴿أو أرادَ بِكُم نَفعًا؟ بَل كانَ اللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.
١٢ - ﴿بَل﴾..

قولُهُ: (مطّلِعٌ) يعني: فاليدُ تمثيلٌ؛ أي: يدُ رسولِهِ يدُهُ، وهو منزّهٌ عن اليدِ، أو كنايةٌ عن أنَّ كمالَ القدرةِ والقوّةِ للهِ، فيكونُ مقدِّمةً لقولِهِ: ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ وقيلَ: والأصوبُ عدمُ التّأويلِ؛ لأنّها من المتشابهاتِ، وعنِ الكلبيِّ[١] وكثيرٍ من السّلفِ: نعمةُ اللهِ عليهم بالهدايةِ فوقَ ما صنعوا من البيعَةِ.

قولُهُ: (والنُّونِ) نافعٌ ومكّيٌّ[٢]، و﴿عَلَيهُ﴾ بالضّمِّ حفصٌ[٣].

قولُهُ: (خَلّفَهُمُ اللهُ) بالخذلانِ وضعفِ العقيدةِ والخوفِ والجبنِ.

قولُهُ: (إذا رَجَعْتَ) ظَرفٌ للقولِ.

قولُهُ: (عَنِ الخُرُوجِ) إذ لم يكُنْ لنا مَن يقومُ بأشغالِهِم وأمورِهِم.

قولُهُ: (مِنْ تَركِ الخُرُوجِ) أي: على التّخلُّفِ.

قولُهُ: (وممّا قَبْلَهُ) من الاعتِذارِ.

قوله: (في اعتِذَارِهِم) واستغفارِهِم؛ إذ ليسَ في قلوبِهِم طلبُ المغفرةِ.

قولُهُ: (وضَمِّها) حمزةُ والكسائيُّ[٤]؛ أي: ما يضرُّكُم كقَتلٍ وهَزيمةٍ وخلل وظلمٍ في الأهلِ والمالِ وعقوبةِ على التّخلُّفِ، وقولُهُ تعالى: (﴿شَيئًا﴾) أي: من النّفعِ والضُّرِّ، فتكونُ الآيةُ من اللّفِّ والنّشرِ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٤/ ٢٤٢).

(٢) وشامي أيضاً، انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠١)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٧).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٧).

(٤) انظر المصدر السابق.

في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ـ ﴿ظَنَنتُم أنْ لَن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ والمُؤمِنُونَ إلَى أهلِيهِم أبَدًا، وزُيِّنَ ذلِكَ في قُلُوبِكُم﴾ أي: أنهم يُستأصَلون بالقتل فلا يرجعون، ﴿وظَنَنتُم ظَنَّ السَّوءِ﴾ هذا وغيرَه، ﴿وكُنتُم قَومًا بُورًا﴾: جمع بائر، أي: هالكين عند الله بهذا الظنّ.

١٣ ـ ﴿ومَن لَم يُؤمِنْ بِاللهِ ورَسُولِهِ فإنّا أعتَدْنا لِلكافِرِينَ سَعِيرًا﴾: نارًا شديدة، ١٤ ـ ﴿ولِلهِ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يَغفِرُ لِمَن يَشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يَشاءُ، وكانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بما ذُكر.

١٥ ـ ﴿سَيَقُولُ المُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون ﴿إذا انطَلَقتُم إلَى مَغانِمَ﴾ ـ هي مغانم خيبر ـ ﴿لِتأخُذُوها: ذَرُونا﴾: اتركونا، ﴿نَتَّبِعْكُم﴾ لنأخذَ منها. ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أن يُبَدِّلُوا كَلامَ اللهِ﴾. وفي قراءة: «كَلِمَ اللهِ» بكسر اللام، أي: مواعيدَه بغنائم خيبر أهلَ الحُدَيبية خاصّة. ﴿قُلْ: لَن تَتَّبِعُونا. كَذلِكُم قالَ اللهُ، مِن قَبلُ﴾ أي: قبل عودنا..............................

قولُهُ: (فِي المَوْضِعَينِ) هنا، وفيما سبَقَ[1].

قولُهُ: (هَذا) الظَّنَّ المذكورَ.

قولُهُ: (وغَيرَهُ) من الظُّنونِ الزَّائغةِ.

قولُهُ: (بِمَا ذُكِرَ) فالغفرانُ والرَّحمةُ من ذاتِهِ، والتَّعذيبُ داخلٌ تحت قضائِهِ بالعرضِ، ولذلك جاءَ في الحديثِ القدسيِّ: «سَبقَتْ رحمَتي غَضَبي»[2].

قولُهُ: (هِيَ مَغَانِمُ خَيبَرَ) فإنَّهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ رجعَ من الحديبيةِ سنةَ ستٍّ، وأقامَ بالمدينةِ بقيَّتَها وأوائلَ المحرَّمِ، ثمَّ غزا بمَن شهدَ الحديبيةَ ففتَحَها، وغنمَ أموالاً كثيرةً، فخصَّها بهم.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكِسائيِّ[3].

قولُهُ: (بِكَسرِ اللَّامِ) وحذفِ الألفِ، وهو جمعُ: كلمةٍ.

قولُهُ: (أي: مَوَاعِيدَهُ) أو وعدَهُ؛ يعني: يُغيِّروا.

قولُهُ: (خَاصَّةً) عِوضاً من مغانمِ مكَّةَ.

قولُهُ: (عَودِنَا) من الحديبيةِ إلى المدينةِ، أو من قبلِ التَّهيُّؤِ للخُروجِ إلى خيبرَ، أو من قبلِ أن تَسألوا الخروجَ.

---

(١) في الآية رقم: (١١).

(٢) رواه البخاري (٧٤٥٣)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ لمسلم.

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٧).

﴿فَسَيَقُولُونَ: بَل تَحسُدُونَنا﴾، أن نُصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك. ﴿بَل كانُوا لا يَفقَهُونَ﴾ من الدِّين ﴿إلاّ قَلِيلاً﴾ منهم.

١٦ ـ ﴿قُل لِلمُخَلَّفِينَ مِنَ الأعرابِ﴾ المذكورين اختبارًا: ﴿سَتُدعَونَ إلَى قَومٍ أُولِي﴾: أصحابِ ﴿بأسٍ شَدِيدٍ﴾ ـ قيل: هم بنو حَنيفةَ أصحاب اليمامة. وقيل: فارسُ والروم ـ ﴿تُقاتِلُونَهُم﴾: حالٌ مُقدّرة، هي المدعوّ إليها في المعنى، ﴿أو﴾ هم ﴿يُسلِمُونَ﴾ فلا يُقاتلون. ﴿فإن تُطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤتِكُمُ اللهُ أجرًا حَسَنًا، وإن تَتَوَلَّوا كَما تَوَلَّيتُم مِن قَبلُ يُعَذِّبكُم عذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا.

١٧ ـ ﴿لَيسَ علَى الأعمَى حَرَجٌ، ولا علَى الأعرَجِ حَرَجٌ ولا علَى المَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجِهاد، ﴿ومَن يُطِعِ اللهَ ورَسُولَهُ يُدخِلهُ﴾ ـ بالياء والنون ـ ﴿جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ، ومَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبهُ﴾ ـ بالياء والنون ـ ﴿عَذابًا ألِيمًا﴾.

١٨ ـ ﴿لَقَد رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤمِنِينَ، إذ يُبايِعُونَكَ﴾ بالحُدَيبية ﴿تَحتَ الشَّجَرةِ﴾ ـ هي سَمُرةٌ، وهم ألف وثلاثمِائَة أو أكثر،..

قولُهُ: (أنْ نُصِيبَ) أي: في أن نُصِيبَ الغَنائمَ، وليسَ أمراً من اللهِ.

قولُهُ: (مِنهُم) أو لا يفهَمونَ إلّا فهماً قليلاً، وهو فطنتُهُم لأمورِ الدُّنيا فلا يفهمونَ شيئاً من أمرِ الدِّينِ، وهذا هو الظَّاهرُ.

قولُهُ: (المَذكُورِينَ) كرَّرَ ذكرَهُم بهذا الاسمِ مبالغةً في الذَّمِّ، وإشعاراً بشناعَةِ التَّخلُّفِ.

قولُهُ: (اختِيَاراً) علَّةٌ لـ﴿قُل﴾.

قولُهُ: (والرُّومُ) وقيل: هوازنُ وثقيفٌ، أو المشركونَ.

قولُهُ: (حَالٌ مُقَدَّرةٌ) والظَّاهرُ أنَّه جملةٌ مستأنفةٌ للتَّعليلِ؛ أي: ستُدعونَ إليهم للمُقاتلةِ، نحو: سيَدعوكَ الأميرُ يكرمكَ، ولا يجوزُ أن يكونَ صفةً لـ﴿قَومٍ﴾؛ لأنَّهم دُعوا إلى قتالِ القومِ لا إلى قتالِ قومٍ موصُوفينَ بالمقاتلةِ أو الإسلامِ، والمعنى: يكونُ أحدُ الأمرينِ؛ إمَّا المقاتلةُ أو الإسلامُ، والإسلامُ بمعنى: الانقيادِ لتناولِ تقبُّلِهِمُ الجزيةَ.

قولُهُ: (والنُّونِ) نافعٌ، فيه وفيما بعدَهُ[1].

قولُهُ: (هيَ سَمُرَةٌ) شجرةٌ أو سدرةٌ.

قولُهُ: (أو أكثَرُ) قيل: ألفٌ وأربعُمائةٍ، قيل: وهو الأصحُّ، وقيل: ألفٌ وخمسُمائةٍ.

---

(١) وكذلك قرأ ابن عامر، انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠١)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٧).

ثَمّ بايعهم على أن يناجزوا قريشًا وعلى ألاّ يفروا وعلى الموت ـ ﴿فعَلِمَ﴾ اللهُ ﴿ما في قُلُوبِهِم﴾ من الصِّدق والوفاء، ﴿فأنزَلَ السَّكِينةَ عليهِم، وأثابَهُم فَتحًا قَرِيبًا﴾، هو فتح خَيبرَ بعد انصرافهم من الحُدَيبية، ١٩ ـ ﴿ومَغانِمَ كَثِيرةً يأخُذُونَها﴾ من خَيبرَ. ﴿وكانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

٢٠ ـ ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغانِمَ كَثِيرةً تأخُذُونَها﴾ من الفتوحات، ﴿فعَجَّلَ لكُم هذِهِ﴾ غنيمةَ خيبرَ، ﴿وكَفَّ أيدِيَ النّاسِ عَنكُم﴾ في عِيالكم لمّا خرجتم وهمّت بهم اليهود، فقذف الله في قلوبهم الرُّعب، ﴿ولِتكُونَ﴾ أي: المُعجلةُ ـ عطفٌ على مُقدّر، أي: فعلَ ذلك لتشكروه ـ ﴿آيةً لِلمُؤمِنِينَ﴾ في نصرهم، ﴿ويَهدِيَكُم صِراطًا مُستَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكّلِ عليه وتفويضِ الأمر إليه ـ تعالى ـ ٢١ ـ ﴿وأُخرَى﴾: صفةُ «مغانمُ» مُقدَّرًا مُبتدأ، ﴿لَم تَقدِرُوا علَيها﴾ هي من فارسَ والروم، ﴿قَد أحاطَ اللهُ بِها﴾:..........

قولُهُ: (يُنَاجِزُوا) أي: يقاتِلوا.

قولُهُ: (وعَلى المَوتِ) الظَّاهرُ أنَّه مستدركٌ، وسببُ البيعةِ أنَّه ﷺ لمَّا نزلَ الحديبيةَ بعثَ خراشَ بن أميَّةَ الخزاعيَّ إلى أهلِ مكَّةِ للإذنِ في دخولِها، فهمُّوا به فمنعَهُ الأحابيشُ فرجعَ، فبعثَ عثمانَ بن عفَّانَ فحبَسُوه فأُرجِفَ بقتلِهِ، فدعا رسولُ اللهِ ﷺ أصحابَهُ وبايعَهُم[1].

قولُهُ: (مِنَ الصِّدقِ) والإخلاصِ.

قولُهُ: (فَتْحُ خَيبَرَ) وقيل: مكَّةَ، أو هو الصُّلحُ الَّذي هو سببٌ للفتوحاتِ المكيَّةِ وغيرِها.

قولُهُ: (مِنَ الفُتُوحَاتِ) إلى يومِ القيامةِ.

قولُهُ: (في عِيَالِكُم) بالمدينةِ.

قولُهُ: (اليَهُودُ) أي: أيديَ أهلِ خيبرَ وحلفائِهم مِن بني أسَدٍ وغطفانَ، أو أيديَ قريشٍ لأجلِ صلحِ الحديبيةِ.

قولُهُ: (أي: المُعَجَّلَةُ) أي: الغنيمةُ، أو الكفَّةُ وسلامةُ عيالِكُم.

قولُهُ: (لِتَشكُرُوهُ) والأظهرُ: ليكونَ سبباً للشُّكرِ، أو العلَّةُ لمحذوفٍ مثلُ فعلِ ذلك.

قولُهُ: (في نَصرِهِم) أي: علامةً يعرفونَ بها أنَّهم من اللهِ بمكانٍ، أو صِدقَ الرَّسولِ وَعدَهُم فتحَ خيبرَ حينَ رجوعِهِ من الحديبيةِ.

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ) خبرُهُ: ﴿قَدْ أَحَاطَ﴾، و﴿لَمْ تَقْدِرُوا﴾ صفتُهُ، أو معطوفةٌ على: ﴿هذِهِ﴾.

قولُهُ: (مِنْ فَارِسَ) أو مكَّةَ، أو خيبرَ، أو مغانمِ هوازنَ.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية وأخبار الخلفاء» لابن حبان (١/ ٢٨٢).

عَلِمَ أنها ستكون لكم ـ ﴿وكانَ اللهُ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك. ٢٢ ـ ٢٣ ـ ﴿ولَو قاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحُدَيبية ﴿لَوَلَّوُا الأدبارَ، ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿ولا نَصِيرًا، سُنَّةَ اللهِ﴾: مصدرٌ مؤكّد لمضمون الجملة قبله من هزيمة الكافرين ونصر المؤمنين، أي: سَنَّ اللهُ ذلك سُنّةً، ﴿الَّتِي قَد خَلَتْ مِن قَبلُ، ولَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللهِ تَبدِيلاً﴾ منه ـ ٢٤ ـ ﴿وهُوَ الَّذِي كَفَّ أيدِيَهُم عَنكُم وأيدِيَكُم عَنهُم بِبَطنِ مَكّةَ﴾: بالحُدَيبية، ﴿مِن بَعدِ أن أظفَرَكُم علَيهِم﴾. فإنّ ثمانين منهم طافوا بعسكركم ليُصيبوا منكم،

قولُهُ: (عَلِمَ) أو استولى فأظفرَكُم بها.

قولُهُ: (بالحُدَيبِيَةِ) من أهلِ مكَّةَ ولم يُصَالحوا.

قولُهُ: (أي: سَنَّ اللهُ) أي: سنَّ غَلبَةَ أنبيائِهِ سنّةً قديمةً فيمن مضى من الأممِ، كما قالَ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[المجادلة: ٢١]، ولا يبعدُ تفسيرُ السُّنَّةِ هنا بقضائِهِ وقدرِهِ.

قولُهُ: (مِنهُ) فكيفَ من غيرِهِ؟.

قولُهُ: (بالحُدَيبِيَةِ) مَنَّ اللهُ تعالى بصلحِ الحديبيةِ وحفظِ المسلمينَ من أيدي الكفَّارِ، وعن القتالِ بمكَّةَ وهتكِ حرمةِ المسجدِ الحرامِ.

قولُهُ: (فإنَّ ثَمَانِينَ) روى التِّرمذيُّ من حديثِ أنسٍ: أنَّ ثمانينَ من أهلِ مكَّةَ هبَطوا على النَّبيِّ ﷺ من التَّنعيمِ ليقتُلوهُ، كذا في «المبهماتِ»[1]، وزادَ الصَّفويُّ[2]: فدعا عليهم فأُخِذُوا وعَفا عنهم فأطلِقوا، وأمَّا ما ذكرَهُ القاضي[3] من أنَّ عكرمةَ بنَ أبي جهلٍ خرجَ في خمسِمائةٍ إلى الحديبيةِ فبعثَ رسولُ اللهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ على جندٍ فهزمَهُم حتَّى أدخلَهُم حيطانَ مكَّةَ ثمَّ عادَ، وإن كانَ رواهُ ابنُ جريرٍ الطَّبريُّ وابنُ أبي حاتمٍ[4] فغيرُ صحيحٍ إذ خالدُ بنُ الوليدِ لم يكنْ أسلمَ يومئذٍ، بل كانَ طليعةً للمشركينَ كما في «صحيحِ البخاريِّ» وغيرِهِ[5]، وقيل: المرادُ فتحُ مكَّةَ، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ السُّورةَ مدنيَّةٌ نزلت قبلَ فتحِ مكَّةَ، والحملُ على أنَّ الماضي؛ يعني: ﴿كَفَّ﴾ للتَّحقيقِ، وهو بمعنى: المضارعِ، فيكونُ وعداً من اللهِ بعيدٌ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٠٢).

ورواه مسلم (١٨٠٨)، وأبو داود (٢٦٨٨)، والترمذي (٣٢٦٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٦١٤).

(٢) انظر: «جامع البيان في تفسير القرآن» (٤/ ١٦٠).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣٠).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٨)، وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٧/ ٥٣٣) عن ابن أبزى.

(٥) رواه البخاري (٢٧٣١)، وأحمد في «مسنده» (١٨٩٢٨) من حديث المسور بن مخرمة ومروان، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه.

فأُخذوا وأُتِي بهم إلى رسول الله ﷺ، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم، فكان ذلك سببَ الصُّلح. ﴿وكانَ اللهُ بِما يَعمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ـ بالياء والتاء ـ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك.

٢٥ ـ ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوكُم عَنِ المَسجِدِ الحَرامِ﴾ أي: عن الوصول إليه، ﴿والهَدْيَ﴾: معطوفٌ على «كُم» ﴿مَعكُوفًا﴾: محبوسًا حالٌ، ﴿أن يَبلُغَ مَحِلَّهُ﴾ أي: مكانَه الذي يُنحَر فيه عادة ـ وهو الحَرَم ـ بدلُ اشتمال، ﴿ولَولا رِجالٌ مُؤمِنُونَ ونِساءٌ مُؤمِناتٌ﴾ موجودون بمكّة مع الكفار، ﴿لَم تَعلَمُوهُم﴾ بصفة الإيمان، ﴿أن تَطَؤُوهُم﴾..........................

قولُهُ: (باليَاءِ) الغَيبةُ بصريٌّ[1].

قولُهُ: (عَلى: «كَم») أي: مَنعوكُم عن الزِّيارةِ، ومنَعوا الهديَ؛ أي: ما يُهدَى إلى مكَّةَ، وهذا يدلُّ على أنَّ ذلك عامَ الحديبيةِ.

قولُهُ: (عَادَةً) عندَ الشَّافعيِّ[2]، وشرعاً عندَنا[3]، والظَّاهرُ أنَّ ﴿محلَّهُ﴾ مكانُه الَّذي يحلُّ فيه نحرُه وهو الحرمُ كقولِه تعالى: ﴿وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦]، وأما المرادُ هنا: مكانُهُ المعهودُ من الحرمِ، وهو المروَةُ، وقولُ البيضاويِّ[4]: هو منًى، سهوٌ؛ لأنَّ الكلامَ في العمرةِ، وقد ثبتَ أنَّ بعضَ الحديبيةِ من الحرمِ؛ فذُبِحَ دمُ الإحصارِ فيه، وعندَ الشَّافعيِّ: يجوزُ ذبحُ دمِ الإحصارِ حيثُ يُحصَرُ[5].

قولُهُ: (وهُو الحَرَمُ) فيه أنَّ مطلقَ الحرمِ ليس مكانَ الذَّبحِ عادةً، بلِ العادةُ في الحجِّ منًى، وفي العمرة المروةُ، وقولُ القاضي[6]: (فلا ينتهِضُ حجَّةً للحنفيَّةِ)، فيه أنَّهُم ما استدلُّوا بهذِهِ الآيةِ، فإنَّ هذا المحلَّ ممنوعٌ، وهو بالاتِّفاقِ محمولٌ على محلِّ العادةِ، وإنَّما استدلُّوا بآيةِ البقرةِ، وبقولِهِ تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة: ٩٥] وبقولِهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣].

قولُهُ: (بَدَلُ اشتِمَالٍ) يعني: ﴿أَنْ يَبْلُغَ﴾ بدلٌ من: ﴿الهديَ﴾ أي: صدُّوا بلوغَ الهدي محلَّهُ.

قولُهُ: (مَوجُودُونَ) أي: المستضعفونَ بمكَّةَ، وهو بيانُ حكمَةِ المصالحةِ.

قولُهُ: (بِصِفَةِ الإِيمَانِ) أي: لم تعرفُوهُم بأعيانِهِم لاختلاطِهِم بالمشركينَ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٧).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «التجريد» (٤/ ٢١٣١).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣٠).

(٥) هذا إذا كان المحصر في الحل غير قادر على إيصال هديه إلى الحرم، انظر: «الحاوي الكبير» (٤/ ٣٥٠).

(٦) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣٠).

أي: تقتلوهم مع الكفّار لو أُذِنَ لكم في الفتح، بدلُ اشتمال من «هم»، ﴿فتُصِيبَكُم مِنهُم مَعَرَّةٌ﴾: إثم ﴿بِغَيرِ عِلمٍ﴾ منكم به. وضمائر الغَيبة للصِّنفين بتغليب الذكور، وجواب «لولا» محذوف، أي: لَأُذِنَ لكم في الفتح.

لكن لم يُؤذَن فيه حينئذ ﴿لِيُدخِلَ اللهُ في رَحمتِهِ مَن يَشاءُ﴾ كالمُؤمنين المذكورين. ﴿لَو تَزَيَّلُوا﴾: تميّزوا عن الكفّار ﴿لَعَذَّبنا الَّذينَ كَفَرُوا مِنهُم﴾:..

قولُهُ: (أي: تَقتُلُوهُم) أي: توقعوا بهم وتقتُلوهُم في أثناءِ القتالِ، وأصلُ الوطءِ: الدَّوسُ[١].

قولُهُ: (مِنْ: «هم») مفصولٌ؛ أي: من ضميرِ «هم» في ﴿تَعْلَمُوهُمْ﴾، أو من: ﴿رِجَالٌ﴾ و﴿نِسَاءٌ﴾.

قولُهُ: (أي: إِثمٌ) وقالَ القاضي[٢]: أي: مَكروهٌ؛ لوجوبِ الدِّيةِ والكفّارةِ بقتلِهم، والتَّأسُّفِ عليهِم وتعييرِ الكفَّارِ بأنَّهُم قتَلوا أهلَ دينِهم، والإثمُ بالتَّقصيرِ في البحثِ عنهم، وفي «المدارِكِ»[٣]: وهو الكفَّارةُ إذا قتلَهُ خطأً، والإثمُ إذا قصَّرَ، قالَ ابنُ عطيَّةَ[٤]: لا إثمَ ولا ديةَ في قتلِ مؤمنٍ مستورِ الإيمانِ بينَ أهلِ الحربِ، وقالَ ابنُ الهمام من أئمَّتِنا[٥]: إنَّه إذا كانَ الكفَّارُ في حصنٍ وفيهم ذمِّيٌّ مستورٌ لا يحلُّ قتلُ العامِّ، وقولُهُ: (﴿فَتُصِيبَكُم﴾) نصبُهُ على جوابِ النَّفي، أو للعطفِ على: ﴿تَطَئُوهُمْ﴾.

قولُهُ: (مِنكُم بِهِ) أي: بقتلِهِم، فمتعلَّقُ العلمِ الأوَّلِ وصفُ الإيمانِ، والثَّاني القتلُ فلا تكرارَ.

قولُهُ: (مَحذُوفٌ) لدَلالةِ الكلامِ عليه، والمعنى: لولا كراهةُ أن تُهْلِكوا أناساً مؤمنينَ بين أظْهُرِ الكافرينَ جاهلينَ بهم فيصيبَكُم بإهلاكِكُم لهم مكروهٌ لما كفَّ أيديكُم عنهم.

قولُهُ: (لَكِنْ لمْ يُؤْذَنْ) يعني: أنَّه متعلَّقُ العلَّةِ، أو التَّقديرُ: كانَ ذلك.

قولُهُ: (كالمُؤْمِنِينَ المَذكُورِينَ) والأظهرُ: كفَّ أيديَكُم عنهم ليُخَلِّصَ من بين أظهرِهِمُ المؤمنينَ، وليرجعَ كثيرٌ منهم إلى الإسلامِ.

قولُهُ: (تَمَيَّزُوا) أي: لو تفرَّقوا وتميَّزَ بعضُهُم من بعضٍ.

قولُهُ: (عنِ الكُفَّارِ) أو تميَّزَ الكفَّارُ من المؤمنينَ الَّذينَ بين أظهرِهِم، والأوَّلُ أولى ثمَّ الثَّالثُ.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٥/ ٢٠٠).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣٠).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٣٤١).

(٤) انظر: «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٥/ ١٣٧).

(٥) انظر: «فتح القدير» (٥/ ٤٤٩).

من أهل مكّة حينئذ بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا، ٢٦ ـ ﴿إِذ جَعَلَ﴾، مُتعلّق بـ «عذّبنا»، ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾: فاعلٌ ﴿فِي قُلُوبِهِمِ الحَمِيَّةَ﴾: الأنفةَ من الشيء ﴿حَمِيَّةَ الجاهِلِيَّةِ﴾: بدلٌ من «الحميّة» وهي صدّهم النبيَّ وأصحابه عن المسجد الحرام، ﴿فَأَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وعَلَى المُؤمِنِينَ﴾، فصالحوهم على أن يعودوا من قابلٍ، ولم يَلحقهم من الحميّة ما لحق الكُفّارَ حتّى يقاتلوهم، ﴿وأَلزَمَهُم﴾ أي: المُؤمنين ﴿كَلِمَةَ التَّقوَى﴾: «لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ مُحمّد رسول اللهِ»، ....

قولُهُ: (مُؤلِماً) قالَ القاضي[1]: بالقتلِ والسَّبي، وهو الظَّاهرُ؛ لأنَّ المرادَ من التَّعذيبِ: التَّعذيبُ الدُّنيويُّ الَّذي هو تسليطُ المؤمنينَ عليهم وقتالُهُم، فإنَّ عدمَ التَّمييزِ لا يوجِبُ عدمَ عذابِ الآخرةِ، وقيل: قولُهُ: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ هو جوابُ: ﴿لَوْلَا﴾ و﴿لَو تَزَيَّلُوا﴾ كالتَّكرارِ لـ﴿لَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾؛ لأنَّ مرجِعَ ﴿لَولَا رِجَالٌ مُؤمِنُونَ﴾ و﴿لو تزيَّلُوا﴾ واحدٌ، وهو كلامٌ سديدٌ غيرُ بعيدٍ.

قولُهُ: (بـ﴿عَذَّبْنَا﴾) أو ﴿صَدُّوكُم﴾، أو يُقدَّرُ: اذكُرْ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) وهي الَّتي تمنَعُ إذعانَ قَبولِ الحقِّ.

قولُهُ: (حَتَّى يُقَاتِلُوهُم) ويَعصُوا اللهَ في قتالِهِم، وذلك ما رويَ: أنَّه ﷺ لمَّا همَّ بقتالِهِم بعدَ البيعةِ؛ بَعثوا سهيلَ بن عَمرٍو وغيرَهُ ليسألوهُ أن يرجعَ من عامِهِ على أن يخلِّيَ له قريشُ مكَّةَ من قابلٍ ثلاثةَ أيَّامٍ فأجابَهُم وقال لعليٍّ: «اكتبْ: بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ»، فقالوا: ما نعرفُ هذا، اكتبْ: باسمكَ اللَّهمَّ، ثمَّ قالَ: «اكتُبْ هذا مَا صالحَ عليه رسولُ اللهِ ﷺ أهلَ مكَّةَ»، فقالُوا: لو نعلمُ أنَّكَ رسولُ اللهِ ما صدَدْناكَ عن البيتِ، اكتُبْ هذا ما صالحَ عليه محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ، فقالَ: «اكتبْ ما يريدُونَ، فأنَا أشهدُ أنِّي رسولُ اللهِ وأنا محمَّدُ بنُ عبدِ اللهِ»، فهَمَّ المؤمنونَ أن يأبَوا كلامَ رسولِ اللهِ ﷺ في الصُّلحِ، ودخَلوا من ذلكَ في أمرٍ عظيمٍ كادوا أنْ يهلِكوا، أو يدخلَ الشَّكُّ في قلوبِ بعضِهم حتَّى إنَّه قالَ ﷺ ثلاثَ مرَّاتٍ: «قومُوا وانحرُوا ثمَّ احلقُوا»، وما قامَ منهم رجلٌ[2] ظنًّا منهُم أنَّ الأمرَ للإباحةِ، أو الاستحبابِ، أو من بابِ الشُّورى في أمرِ الحربِ، وأرادوا أن يبطُشُوا على الكفَّارِ، فأنزلَ اللهُ السَّكينةَ عليهم، فاطمأنُّوا وتوقَّروا وتحمَّلوا وتجمَّلوا.

قولُهُ: (أي: لا إلهَ إلَّا اللهُ) يعني: كلمةَ الشَّهادةِ، وقد صرَّحَ بذلكَ رسولُ اللهِ ﷺ كما رواهُ التِّرمذيُّ وغيرُهُ[3]، وقيلَ: البسملةُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣١).

(٢) جاء ذلك في الحديث الطويل الذي رواه البخاري (٢٧٣١) من حديث المسور بن مخرمة ومروان.

(٣) رواه الترمذي (٣٢٦٥)، وأحمد في «مسنده» (٢١٢٥٥) من حديث الطفيل بن أبي بن كعب، عن أبيه، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث الحسن بن قزعة، وسألت أبا زرعة، عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه.

وأُضيفت إلى التقوى لأنها سببها، ﴿وكانُوا أحَقَّ بِها﴾: بالكلمة من الكُفّار ﴿وأهلَها﴾: عطفٌ تفسيريّ. ﴿وكانَ اللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمًا﴾ أي: لم يزل مُتّصفًا بذلك، ومن معلومه ـ تعالى ـ أنهم أهلها.

٢٧ ـ ﴿لَقَد صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤيا بِالحَقِّ﴾. رأى رسول الله ﷺ في النوم عامَ الحُدَيبيةِ قبلَ خروجه أنه يدخل مكّة هو وأصحابه آمنين ويُحلّقون ويُقصّرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا. فلمّا خرجوا معه وصدّهم الكُفّار بالحُديبية، ورجَعوا وشقّ عليهم ذلك وراب بعضَ المنافقين، نزلتْ. وقوله «بالحق» مُتعلّق بـ «صدق» أو حال من الرؤيا، وما بعدها تفسير لها وهي: ﴿لَتَدخُلُنَّ المَسجِدَ الحَرامَ، إنْ شاءَ اللهُ﴾ للتبرّك، ﴿آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُم﴾ أي: جميعَ شُعورها ﴿ومُقَصِّرِينَ﴾ بعضَ شُعورها ـ وهما حالان مُقدّرتان ـ ﴿لا تَخافُونَ﴾ أبدًا، ﴿فعَلِمَ﴾ في الصُّلح ﴿ما لَم تَعلَمُوا﴾..........

قولُهُ: (سَبَبُهَا) أي: سببُ الوقايةِ من النَّارِ، أو كلمةُ أهلِها.

قولُهُ: (تَفسِيرِيٌّ) أو كانوا أهلَها في علمِ اللهِ.

قولُهُ: (وشَقَّ ذَلِكَ) كما قدَّمْناهُ، وقالوا: ألسْتَ كنْتَ تحدِّثُنا أنّا سنأتي البيتَ ونطوفُ به؟ قال: «بلى، لكن هل أخبرتُكم أنّا نأتيهِ العامَ؟!» قالُوا: لا، قال: «فإنّكُم تأتونَهُ وتطوفُونَ بهِ»[1] والحاصلُ أنّه ﷺ وعدَهُم دخولَ مكّةَ، فعزمَ وتوجَّهَ وحسبوا لو مُنِعوا هذهِ المرَّةَ من الدُّخولِ يكونُ خلفَ وعدِ رسولِ اللهِ ﷺ، فلمَّا مُنِعوا دخَلَ السَّكينةَ في قلوبِهِم، فأزاحَ اللهُ بفضلِهِ التَّردُّدَ.

قولُهُ: (وَرَابَ بَعضَ المُنَافِقِينَ) لم يُعرَفْ منافِقٌ في أهلِ بيعةِ الرِّضوانِ رضيَ اللهُ عنهُم أجمعينَ، وإنَّما صدَر عنهُم ما صورتُهُ الرَّيبُ، وإنَّما كانَ غرضُهُم التَّثبُّتَ والتَّمكُّنَ بدفعِ الشُّبهِ النَّاشئةِ عن أنفسِهِم وإظهارِ التَّشجعِ والتَّصلُّبِ في دينِ اللهِ بقلوبِهِم بشهادةِ اللهِ تعالى في حقِّهِم: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩] و﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

قولُهُ: (مِنَ ﴿الرُّؤيا﴾) أو ﴿رسولَهُ﴾ أي: ملتبِسةً أو ملتبساً، أو محقَّةً أو محقًّا، أو التَّقديرُ: إلا صدقاً ملتبساً بالحقِّ، وقيل: الباءُ للقسمِ.

قولُهُ: (للتَّبرُّكِ) تعليماً للعبادِ، أو إشعاراً بأنَّ بعضَهُم لا يدخلُ لموتٍ أو غيبةٍ أو حكايةٍ لما قالَهُ ملكُ الرُّؤيا، أو النَّبيُّ لأصحابِهِ، و(﴿آمِنِينَ﴾) حالٌ من الواوِ، والشَّرطُ معترضٌ.

قولُهُ: (مُقَدَّرَتَانِ) لأنَّ الدُّخولَ ما كانَ حالَ وجودِهِما.

قولُهُ: (أَبَداً) فهو استئنافٌ؛ أي: لا تخافونَ بعدَ ذلكَ، أو حالٌ مؤكِّدةٌ لقولِهِ: ﴿آمنينَ﴾.

---

(١) هو طرف من حديث البخاري المتقدم قريباً.

من الصلاح، ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخولِ ﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبرَ، وتحقّقت الرؤيا في العام القابل. ٢٨ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: دِينَ الحقّ ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: على جميع باقي الأديان. ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مُرسَل بما ذُكر! كما قال تعالى:

٢٩ ـ ﴿مُحَمَّدٌ﴾: مُبتدأ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾: خبرُه، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المُؤمنين، مبتدأ خبرُه: ﴿أَشِدَّاءُ﴾: غِلاظٌ ﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم، ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾: خبرٌ ثانٍ أي: مُتعاطفون مُتوادّون كالوالد مع الولد، ﴿تَرَاهُمْ﴾: تُبصِرهم ﴿رُكَّعًا سُجَّدًا﴾: حالان ـ ﴿يَبْتَغُونَ﴾: مُستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ـ سِيمَاهُمْ﴾: علامتهم مبتدأ ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾: خبرُه ـ وهو نور وبياض يُعرفون به في الآخرة أنهم سجدوا في الدنيا ـ ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾: مُتعلّق بما تعلّق به الخبر، أي: كائنةٌ، وأُعرب حالاً من ضميره المنتقل إلى الخبر.

قولُهُ: (مِنَ الصَّلاحِ) أي: الحكمةِ في تأخيرِ ذلك.

قولُهُ: (أي: الدُّخُولِ) أي: دخولِكُمُ المسجدَ الحرامَ، أو فتحِ مكَّةَ.

قولُهُ: (فَتحُ خَيبَرَ) أو صلحُ الحديبيةِ، وهو الأصحُّ.

قولُهُ: (دِينَ الحَقِّ) أي: ليغلِّبَهُ وليعليَهُ.

قولُهُ: (عَلى جَمِيعِ) أي: جنسِ الدِّينِ؛ بنسخِ ما كانَ حقًّا، وإظهارِ فسادِ ما كانَ باطلاً.

قولُهُ: (بِمَا ذُكِرَ) أي: بالحقِّ، أو بما ذُكِرَ من التَّعليةِ، أو على نبوَّتِهِ بإظهارِ المعجزاتِ.

قولُهُ: (خَبَرُهُ) جملةٌ تامَّةٌ مبيِّنةٌ للمَشهودِ به، وقيل: تقديرُه: هو محمَّدٌ.

قولُهُ: (حَالانِ) لاشتغالِهِم بالصَّلاةِ في أكثرِ أوقاتِهِم.

قولُهُ: (مُستَأنَفٌ) أو حالٌ ثالثةٌ.

قولُهُ: (وَهُو نُورٌ) أو المرادُ: خشوعُهُم وتواضعُهُم، أو صغارُهُم أو صفرةُ اللَّونِ من السَّهرِ، أو أثرُ التُّرابِ على الجباهِ؛ فإنَّهُم كانوا يسجُدونَ على الأرضِ من غيرِ حائلٍ، وأمَّا قولُ القاضي[1]: يريدُ السِّمةَ الَّتي تحدثُ في جباهِهِم من كثرةِ السُّجودِ، فليسَ له أصلٌ من الآثارِ، والعجبُ منه أنَّه جزمَ بأنَّه المرادُ، ثمَّ رأيتُ في «الدُّرِّ»[2]

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣٢).

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ٥٤١، ٥٤٢).

﴿ذلِكَ﴾ أي: الوصف المذكور ﴿مَثَلُهم﴾: صفتُهم ﴿في التَّوراةِ﴾: مبتدأ وخبرٌ، ﴿ومَثَلُهم في الإنجِيلِ﴾: مبتدأ خبرُه: ﴿كَزَرعٍ أخرَجَ شَطْأَهُ﴾، بسكون الطاء وفتحها: فِراخَه ﴿فآزَرَهُ﴾، بالمدّ والقصر: قوّاه وأعانه، ﴿فاستَغلَظَ﴾: غلُظَ، ﴿فاستَوَى﴾: قويَ واستقام ﴿علَى سُوقِهِ﴾: أُصوله جمع ساق، ﴿يُعجِبُ الزُّرّاعَ﴾ أي: زُرّاعه، لحُسنه ـ مثّلَ الصحابةَ ن بذلك، لأنهم بدؤوا في قِلّة وضعف، ....

ما يدلُّ على نفي إرادتِهِ، وهو ما أخرجَ ابنُ جريرٍ[1] عن ابنِ عبَّاسٍ في قولِهِ: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ قالَ: أما إنَّه ليسَ الَّذي ترونَ، ولكنَّهُ سيما الإسلامِ وسمتُهُ وخشوعُهُ.

وأخرجَ الطَّبرانيُّ والبيهقيُّ في «سننِهِ»[2] عن حميدِ بن عبدِ الرَّحمنِ قال: كنتُ عند السَّائبِ بن يزيدَ إذ جاءَ رجلٌ وفي وجهِهِ أثرُ السُّجودِ فقال: لقد أفسدَ هذا وجهَهُ، أمَا واللهِ ما هي السِّيما الَّتي يسمِّي اللهُ، ولقد صلَّيتُ على وجهي منذُ ثمانينَ سنةً ما أثَّرَ السُّجودُ بين عينيَّ.

قولُهُ: (مُبتَدَأٌ خَبرُهُ) أو عطفٌ عليهِ؛ أي: ذلك مثَلُهم في الكتابينِ، وقولُهُ: (﴿كَزَرْعٍ﴾) تمثيلٌ مستأنفٌ؛ أي: هم كزرعٍ.

قولُهُ: (وفَتحِهَا) مكِّيٌّ وابنُ ذكوانَ[3].

قولُهُ: (فِرَاخَهُ) أي: فُرُوعَهُ.

قولُهُ: (والقَصرِ) لابنِ ذَكوانَ[4] كأجرَ في آجر.

قولُهُ: (قَوَّاهُ) من المؤازَرةِ؛ بمعنى: المعاوَنةِ.

قولُهُ: (أَعَانَهُ) من الإيزارِ، وهي الإعانَةُ.

قولُهُ: (غَلُظَ) بضمِّ اللَّامِ؛ أي: فصارَ مِنَ الرِّقَّةِ إلى الغلظِ.

قولُهُ: (جَمعُ: سَاقٍ) أي: قصبةٍ.

قولُهُ: (لِحُسْنِهِ) أي: لحسنِ منظرِهِ وقوَّتِهِ وغلظِهِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ١٥٨) (٦٦٨٥)، والبيهقي «السنن الكبرى» (٣٥٥٩).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٧): رواه الطبراني ورجاله ثقات.

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٢).

(٤) انظر المصدر السابق.

فكثروا وقَوُوا على أحسن الوجوه ـ ﴿لِيَغِيظَ بِهِمِ الكُفَّارَ﴾: مُتعلّق بمحذوف دلّ عليه ما قبله، أي: شُبّهوا بذلك. ﴿وعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصالِحاتِ مِنهُم﴾: للبيان ﴿مَغفِرةً وأجْرًا عَظِيمًا﴾: الجنّة. وهما لمن بعدهم أيضًا في آيات.

قولُهُ: (وقَوُوا) أي: استَحكَموا فترقّى أمرُهم بحيثُ أعجبَ النَّاسَ.

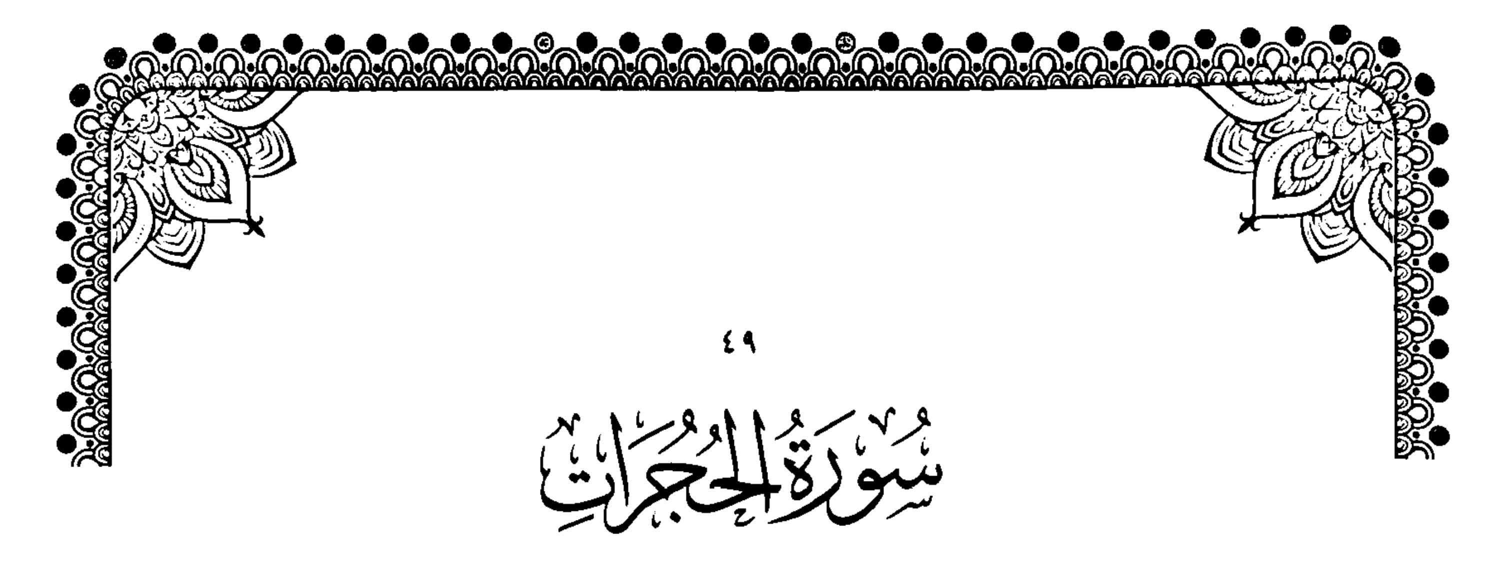
قولُهُ: (شُبِّهُوا) أو قوَّاهُم، أو علَّةٌ لما بعدَهُ[1]، فإنَّهُم لمَّا سمِعُوهُ غاظَهُم ذلك.

قولُهُ: (للبَيَانِ) أي: من الصَّحابةِ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) وهو قوله تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم... ﴾.



٤٩

سورة الحجرات

مدنية، ثمانيْ عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُقَدِّمُوا﴾ - مِن: قَدَّمَ بمعنى تَقَدَّمَ - أي: لا تَقَدَّمُوا بقول أو فعل ﴿بَينَ يَدَيِ اللهِ ورَسُولِهِ﴾ المُبلِّغ عنه، أي: بغير إذنهما، ﴿واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ سَمِيعٌ﴾ لقولكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بفعلكم. نَزلتْ في مُجادلة أبي بكر وعُمر رضي الله عنهما على النبيّ ﷺ في تأمير الأقرعِ بن حابس أو القعقاعِ بن مَعبد.

سورة الحجرات

قولُـهُ: (بمَعْنَـى: تَقَـدَّمَ) ومنـهُ مقدِّمةُ الجيـشِ لمتقدِّميهِم، ويؤيِّـدُه قراءةُ يعقـوبَ[1]: (لا تَقَدَّمـوا)، أو لا تُقدِّمـوا[2] أمراً.

قولُهُ: (بِغَيْرِ إِذنِهِمَا) أي: لا تقطَعوا أمراً قبلَ أن يحكُما به.

قولُهُ: (وعُمَرَ) الظَّاهرُ: عمرَ.

قولُهُ: (عَلى النَّبِيِّ) الصَّوابُ: عند النَّبيِّ، ففي الحديثِ: أنَّه قدمَ ركبٌ مِن بني تميمٍ على النَّبيِّ ﷺ، فقالَ أبو بكرٍ: أمِّرِ القعقاعَ، وقالَ عمرُ: بل أمِّرِ الأقرعَ، فقالَ أبو بكرٍ: ما أردْتَ إلَّا خلافِي، وقالَ عمرُ: ما أردْتُ خلافَكَ، فتَماريا حتَّى ارتفعَتْ أصواتُهُمَا، فنزلَتْ[3].

---

(١) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٧٥).

(٢) في «تفسير القرطبي» (١٦/ ٣٠٠): الأول من التقدم، والثاني: من التقديم. ومعناهما ظاهر؛ أي: لا تقدموا قولًا ولا فعلًا بين يدي الله وقول رسوله وفعله، فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا.

(٣) رواه البخاري (٤٨٤٧) عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

ونَزل فيمن رفع صوته، عند النبيّ ﷺ: ٢ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَرفَعُوا أَصْواتَكُم﴾ إذا نطقتم ﴿فَوقَ صَوتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق، ﴿ولا تَجهَرُوا لَهُ بِالقَولِ﴾ إذا ناجَيتُموه ﴿كَجَهرِ بَعضِكُم لِبَعضٍ﴾، بل دُونَ ذلك إجلالاً له ﴿أن تَحبَطَ أعمالُكُم وأنتُم لا تَشعُرُونَ﴾ أي: خشيةَ ذلك بالرفع والجهر المذكورَين.

ونَزل فيمن كان يَخفِض صوته عند النبيّ ﷺ كأبي بكر وعُمر وغيرهما رضي الله عنهم: ٣ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُم عِندَ رَسُولِ اللهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امتَحَنَ اللهُ﴾: اختبر ﴿قُلُوبَهُم لِلتَّقوَى﴾ أي: لتظهر منهم، ﴿لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ عَظِيمٌ﴾: الجنّة.

ونزَل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة، والنبيّ ﷺ في منزله، فنادَوه: ٤ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِن وَراءِ الحُجُراتِ﴾: حُجرات نِسائه ﷺ جمع حُجْرة، وهي ما يُحجَر عليه من الأرض بحائط ونحوه ـ كأنّ كُلّ واحد منهم نادى خلف حُجرة لأنهم لم يَعلموه: في أيِّها؟...

قولُهُ: (إذَا نَطَقْتُم) أي: إذا كلَّمْتُموهُ فلا تجاوزوا أصواتَكُم عن صوتِهِ.

قولُهُ: (إذَا نَاجَيْتُمُوهُ) هذا غيرُ صحيحٍ، إذ النَّجوى لا تكونُ بالجهرِ، فالمعنى: لا تبلغوا به الجهرَ الدَّائرَ بينكُم، بل اجعَلوا أصواتَكُم أخفضَ مِن صوتِهِ مراعاةً للأدَبِ.

قولُهُ: (أي: خَشيَةَ ذَلِكَ) أو كراهتَهُ فيكونُ علَّةً للنَّهي؛ أي: نهيْتُكُم أو أنهاكُم، أو لمعنى النَّهي؛ أي: انتَهوا.

قولُهُ: (بالرَّفعِ) متعلِّقٌ بـ﴿تَحْبَطَ﴾؛ لأنَّ في الرَّفعِ والجهرِ استخفافاً قد يُؤدِّي إلى الكفرِ المحبطِ، وذلكَ إذا انضمَّ إليه قصدُ الإهانةِ وعدمُ المبالاةِ، وقد رويَ أنَّ ثابتَ بنَ قيسٍ كانَ في أذنِهِ وقرٌ وكانَ جهوريًّا، فلمَّا نزلَتْ تخلَّفَ عن رسولِ اللهِ ﷺ، فتفقَّدَهُ ودعاهُ فقالَ: يا رسولَ اللهِ، لقد أُنزِلَت هذهِ الآيَةُ، وإنِّي رجلٌ جهيرُ الصَّوتِ، فأخافُ أن يكونَ عمَلي قد حبطَ، فقالَ عليهِ السَّلامُ: «لسْتَ هناكَ، إنَّكَ تعيشُ بخيرٍ وتموتُ بخيرٍ، وإنَّكَ مِنْ أهلِ الجنَّةِ»[1].

قولُهُ: (كَأَبِي بَكرٍ وعُمَرَ) قيل: كانا بعد ذلك يُسرَّانِهِ حتَّى يستفهمَهُما.

قولُهُ: (فِي قَومٍ) سبعينَ رجلاً مِن بني تميمٍ.

قولُهُ: (فِي مَنْزِلِهِ) وهو راقِدٌ.

قولُهُ: (حُجُرَاتِ نِسَائِهِ) أي: مِن خارجِها خلفَها أو قدَّامَها.

قولُـهُ: (خَلْـفَ حُجـرَةٍ) بأنَّهُـم تفرَّقوا على الحجراتِ، فأسـندَ فعـلَ الأبعاضِ إلـى الـكلِّ، أو أنَّهُم أتَوها حجـرةً فحجرةً.

---

(١) رواه البخاري (٤٨٤٦)، ومسلم (١١٩) بنحوه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

مُناداةَ الأعراب بغِلظة وجفاء ـ ﴿أَكثَرُهُم لا يَعقِلُونَ﴾، فيما فعلوه، محلَّك الرفيعَ وما يُناسبه من التعظيم، ٥ ـ ﴿ولَو أَنَّهُم صَبَرُوا﴾ ـ أنهم: في محلّ رفع بالابتداء، وقيل: فاعلٌ لفعل مقدّر أي: ثَبَتَ ـ ﴿حَتَّى تَخرُجَ إِلَيهِم لَكانَ خَيرًا لَهُم. واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب منهم.

ونَزَلَ في الوليد بن عُقبة، وقد بعثه النبيّ ﷺ إلى بني المُصطلق مُصدِّقًا، فخافهم لتِرةٍ كانت بينه وبينهم في الجاهلّية، فرجع وقال: إنهم منعوا الصدقة وهمّوا بقتله. فهمَّ النبيّ ﷺ بغزوهم، فجاؤوا مُنكِرين ما قاله عنهم: ٦ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إن جاءَكُم فاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾: خبرٍ ﴿فتبَيَّنُوا﴾ صِدقَه من كذِبه ـ وفي قِراءة: «فتَثَبَّتُوا» من الثَّبات ـ ﴿أن تُصِيبُوا قَومًا﴾: مفعولٌ له، أي: خشيةَ ذلك، ﴿بِجَهالةٍ﴾: حالٌ من الفاعل، أي: جاهلين، ﴿فتُصبِحُوا﴾: تصيروا ﴿علَى ما فَعَلتُم﴾ من الخطأ بالقوم ﴿نادِمِينَ﴾. فأرسل ﷺ إليهم بعد عودتهم إلى بلادهم خالدًا، فلم يرَ فيهم إلاّ الطاعة والخير، فأخبر النبيَّ بذلك.

٧ ـ ﴿واعلَمُوا أَنَّ فِيكُم رَسُولَ اللهِ﴾، فلا تقولوا الباطل فإنَّ الله يُخبره بالحال، ﴿لَو يُطِيعُكُم في كَثِيرٍ مِنَ الأمرِ﴾ الذي تُخبرون به على خِلاف الواقع، فيُرتِّبُ على ذلك مُقتضاه، ﴿لَعَنِتُّم﴾:..........

قولُهُ: (مُنَادَاةَ الأَعرَابِ) مفعولٌ مطلقٌ لـ﴿يُنَادُوْنَكَ﴾.

قولُهُ: (بالابتداءِ) هو قولُ سيبويه(١)، ولا يحتاجُ لخبرٍ؛ لاشتمالِ صلتِهَا على المسندِ والمسندِ إليهِ.

قولُهُ: (أي: ثبتَ) أي: صبرُهُم أوِ انتظارُهُم، هو قولُ المبرِّدِ والزَّجَّاجِ(٢) والكوفيِّينَ، ورُجِّحَ بأنَّ فيهِ إبقاءَ ﴿لَو﴾ على الاختصاصِ بالفعلِ، ولذا اقتصرَ القاضي عليهِ(٣).

قولُهُ: (لِمَنْ تابَ) أو حيثُ اقتصرَ على النُّصحِ.

قولُهُ: (مُصَدِّقاً) آخذاً للصَّدقةِ.

قولُهُ: (لِتِرَةٍ) بكسرِ التَّاءِ وتخفيفِ الرَّاءِ؛ أي: حقدٍ وعداوةٍ، فلمَّا سمِعُوا به استقبَلوهُ فحسبَهُم مقاتليهِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ(٤)؛ أي: فتوقَّفوا إلى أن يتبيَّنَ لكمُ الحالُ.

قولُهُ: (خَشيَةَ ذَلِكَ) أو كراهَةَ إصابتِكُم.

قولُهُ: (مِنَ الخَطَأِ) مغتمِّينَ متمنِّينَ أنَّه لم يقَع.

---

(١) انظر المسألة في: «مغني اللبيب» (ص: ٣٥٣، ٣٥٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ٧١).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣٤).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٣٦)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٨).

لأثِمتم دونَه إثمَ التسبّب إلى المُرتَّب، ﴿ولكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيكُمُ الإيمانَ، وزَيَّنَهُ﴾: حسّنه ﴿في قُلُوبِكُم، وكَرَّهَ إِلَيكُمُ الكُفرَ والفُسُوقَ والعِصيانَ﴾. استدراكٌ من حيثُ المعنى دُون اللفظ، لأنّ مَن حُبِّبَ إليه الإيمانُ إلى آخره غايرتْ صِفتُه صِفةَ مَن تقدّم ذِكره. ﴿أُولَئِكَ هُمُ﴾ ـ فيه التفات عن الخِطاب ـ ﴿الرَّاشِدُونَ﴾: الثابتون على دِينهم، ٨ ـ ﴿فَضلاً مِنَ اللهِ﴾: مصدر منصوب بفعله المُقدّر، أي: أفضَلَ ﴿ونِعْمَةً﴾ منه، ﴿واللهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنعامه عليهم.

٩ ـ ١٠ ـ ﴿وإن طائفتانِ مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ ـ الآيةُ نزلتْ في قضيّة، هي أنّ النبيّ ﷺ ركب حِمارًا ومرّ على ابن أُبيٍّ، فبال الحِمار فسدّ ابن أُبيٍّ أنفَه، فقال ابنُ رَواحةَ: واللهِ لَبولُ حِمارِه أطيبُ رِيحًا من مِسكِكَ. فكان بين قوميهما ضرب بالأيدي والنعال والسَّعف ـ ﴿اقتَتَلُوا﴾، جُمِعَ نظرًا إلى المعنى لأنّ كُلّ طائفة جماعةٌ ـ وقُرِئ: «اقتَتَلَتا» ـ ﴿فأصلِحُوا بَينَهُما﴾. ثُنّيَ نظرًا إلى اللفظ، ﴿فإن بَغَتْ﴾: تعدّتْ ﴿إحداهُما علَى الأُخرَى فقاتِلُوا الَّتِي تَبغِي حَتَّى تَفِيءَ﴾: ترجع ﴿إِلَى أمرِ اللهِ﴾: الحقِّ، ﴿فإن فاءَتْ فأصلِحُوا بَينَهُما بِالعَدلِ﴾: بالإنصاف، ﴿وأقسِطُوا﴾: اعدِلوا. ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ. إِنَّما المُؤمِنُونَ إِخوةٌ﴾ في الدِّين. ﴿فأصلِحُوا بَينَ أخَوَيكُم﴾ إذا تنازعا ـ وقُرِئ: «إخوَتِكُم» بالفوقانيّة ـ ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ في الإصلاح، ﴿لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾.

قولُهُ: (مَصدَرٌ) أو علّةٌ لـ﴿كَرَّهَ﴾، أو ﴿حَبَّبَ﴾، وما بينَهُما اعتراضٌ.

قولُهُ: (أي: أَفضَلَ) وأنعمَ.

قولُهُ: (بَينَ قَومَيهِمَا) الأوسِ والخزرجِ، قالَ القاضِي[1]: والآيةُ تدلُّ على أنَّ الباغيَ مؤمنٌ، قلتُ: ولعلَّهُ باعتبارِ عمومِ اللَّفظِ لا بخصوصِ السَّببِ، معَ أنَّ السَّببَ بغيٌ لغويٌّ؛ بمعنى: التَّعدِّي.

قولُهُ: (الحَقِّ) أي: إلى حكمِهِ، فالأمرُ واحدُ الأمورِ، أو ما أمرَ به مِنَ الأوامرِ، وفيهِ دلالةٌ على أنَّ الباغيَ إذا قبضَ عن الحربِ تُرِكَ، وأنَّه يجب معاونةُ مَن بُغي عليه بعد تقديمِ النُّصحِ والسَّعي في المصالحةِ.

قولُهُ: (بالإِنْصَافِ) يعني: بفصلِ ما بينهما على ما حكمَ اللهُ.

قولُهُ: (اعْدِلُوا) في كلِّ الأمورِ.

قولُهُ: (إِذَا تَنَازَعَا) وخُصَّ الاثنانِ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أقلُّ مَن يقعُ بينهُمُ الشِّقاقُ، وقيل: المرادُ بالأخوينِ: الأوسُ والخزرجُ، ولعلَّ ابنَ أُبيٍّ دخلَ فيهم صورةً أو تغليباً.

قولُهُ: (قُرِئَ) هي قراءةُ يعقوبَ[2] مِن العشرةِ، وقرأَ الحسنُ: (إخوانِكُم)[3].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣٥).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٧٦). (٣) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٤٤).

١١ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا يَسخَرْ﴾ ـ الآيةُ نزلتْ في وفدِ تميمٍ حين سخروا من فُقراء المُسلمين كعمّارٍ وصُهيب. والسخرية: الازدراء والاحتقار ـ ﴿قَومٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿مِن قَومٍ ـ عَسَى أن يَكُونُوا خَيرًا مِنهُم﴾ عِند الله ـ ﴿ولا نِساءٌ﴾ منكم ﴿مِن نِساءٍ ـ عَسَى أن يَكُنَّ خَيرًا مِنهُنَّ ـ ولا تَلمِزُوا أنفُسَكُم﴾: لا تَعيبوا فتُعابوا، أي: لا يَعِبْ بعضكم بعضًا، ﴿ولا تَنابَزُوا بِالألقابِ﴾: لا يدعو بعضكم بعضًا بلقب يكرهه، ومنه: يا فاسقُ ويا كافرُ. ﴿بِئسَ الِاسمُ﴾ أي: المذكورُ من السُّخريةِ واللمزِ والتنابزِ ﴿الفُسُوقُ بَعدَ الإيمانِ﴾! بدلٌ من الاسم، لإفادة أنه فِسق لتكرّره عادةً، ﴿ومَن لَم يَتُبْ﴾ من ذلك ﴿فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

١٢ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اجتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ ـ إنَّ بَعضَ الظَّنِّ إثمٌ﴾ أي: مُؤثِمٌ. وهو كثيرٌ كظنِّ السَّوء بأهل الخير من المُؤمنين وهم كثير،......................

قولُهُ: (مِنكُم) وعُطفَ؛ لأنَّ القومَ مختصٌّ بالرِّجالِ، واختيارُ الجمعِ؛ لأنَّ السُّخريةَ تغلبُ في المجامعِ.

قولُهُ: (فَتُعَابوا) لأنَّ مَن عابَ عِيبَ، أو لا تفعَلوا ما تلمِزونَ به، فإنَّ مَن فعلَ ما استحقَّ به اللَّمزَ فقد لمزَ نفسَهُ، واللَّمزُ: الطَّعنُ باللِّسانِ.

قولُهُ: (أي: لا يَعِبْ) هذا قولٌ آخرُ، فصوابُهُ: أو لا يعبْ بعضُكُم بعضاً، فإنَّ المؤمنينَ كنفسٍ واحدةٍ.

قولُهُ: (يَكرَهُهُ) فإنَّ النَّبزَ مختصٌّ بلقبِ السُّوءِ عرفاً.

قولُهُ: (بَدَلٌ) محلُّهُ قبلَ ﴿بَعْدَ﴾، أو بِئسَ الذكرُ المرتفعُ للمؤمنينَ أن يُذكَروا بالفسقِ بعدَ دخولِهم الإيمانَ واشتهارِهِم به، والمرادُ به: إمَّا ذمُّ نسبةِ الكفرِ والفسقِ إلى المؤمنينَ خصُوصاً، إذ رويَ أنَّ الآيةَ نزلَتْ[1] في صفيَّةَ بنتِ حيَيٍّ، أتَتْ رسولَ اللهِ ﷺ فقالَتْ: إنَّ النِّساءَ يقلْنَ لي: يا يهوديَّةُ بنتَ يهوديَّينِ، فقالَ لها: «هلَّا قلْتِ: إنَّ أبي هارونُ، وعمِّي موسى، وزوجِي محمَّدٌ»[2] صلواتُ اللهِ وسلامُهُ عليهِم أجمعينَ، أو الدِّلالةُ على أنَّ التَّنابزَ فسقٌ، والجمعُ بينَهُ وبينَ الإيمانِ مُستقبَحٌ، وكلامُ الشَّيخِ مائلٌ إلى الأخيرِ.

قولُهُ: (وهُوَ كَثِيرٌ) والإبهامُ ليُحْتاطَ في كلِّ ظنٍّ ويُتأمَّلَ حتَّى يعلمَ أنَّه مِن أيِّ القبيلِ، فإنَّ من الظنِّ ما يجبُ اتِّباعُهُ كالظنِّ حيثُ لا قاطعَ فيه من العمليَّاتِ، وحسنِ الظنِّ باللهِ، وما يحرمُ كالظنِّ في الإلهيَّاتِ والنبوَّاتِ،

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، وابن الجوزي في «زاد المسير في علم التفسير» (٤/ ١٤٩) عن عكرمة عن ابن عباس.

(٢) رواه الترمذي (٣٨٩٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٥٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٦٧٩٠) بنحوه من حديث هاشم بن سعيد الكوفي عن كنانة، عن صفية بنت حيي رضي الله عنها.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث صفية إلا من حديث هاشم الكوفي، وليس إسناده بذاك.

ورواه الترمذي (٣٨٩٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٨٧٠)، وأحمد في «مسنده» (١٢٣٩٢) من وجه آخر من حديث أنس رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

بخِلافه بالفُسّاق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ـ ﴿ولا تَجَسَّسُوا﴾، حُذف منه إحدى التاءين: لا تَتَبَّعُوا عوراتِ المُسلمين ومعايبَهم بالبحث عنها، ﴿ولا يَغتَبْ بَعضُكُم بَعضًا﴾: لا يذكرْه بشيء يكرهه، وإن كان فيه ـ ﴿أيُحِبُّ أحَدُكُم أن يأكُلَ لَحمَ أخِيهِ مَيْتًا﴾، بالتخفيف والتشديد، أي: لا يُحِسّ به؟ لا، ﴿فكَرِهتُمُوهُ﴾ أي: فاغتيابُه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عُرض عليكم الثاني فكرهتموه. فاكرهوا الأوّل ـ ﴿واتَّقُوا اللهَ﴾ أي: عِقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه. ﴿إنَّ اللهَ تَوّابٌ﴾: قابلٌ توبةَ التائبين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

وحيثُ يخالفُهُ قاطعٌ، وظنِّ السُّوءِ بالمؤمنينَ، وما يُباحُ كالظنِّ في الأمورِ المعاشيةِ، ومنه الحديثُ: «الحَزمُ سوءُ الظَّنِّ»[١]، و«احترِسُوا مِنَ النَّاسِ بسوءِ الظَّنِّ»[٢].

قولُهُ: (لا تَتَّبِعُوا) ولا تبحَثوا، وقُرِئَ بالحاءِ[٣]، وفي الحديثِ: «لا تتبَّعُوا عوراتِ المسلمينَ، فإنَّ مَنْ تتبَّعَ عوراتِهِم تتبَّعَ اللهُ عورتَهُ حتَّى يفضحَهُ ولو في جوفِ بيتِهِ» رواهُ التِّرمذيُّ وحسَّنَهُ[٤].

قولُهُ: (وإنْ كَانَ فِيهِ) فقد عدمَ الفرقُ بين البهتانِ والغيبةِ، وقد سُئِلَ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ عن الغيبةِ فقالَ: «أنْ تذكرَ أخاكَ بمَا يكرهُهُ، فإنْ كانَ فيهِ فقدِ اغتبتَهُ، وإنْ لم يكُنْ فيه فقد بهتَّهُ» رواهُ الشَّيخانِ[٥].

قولُهُ: (والتَّشدِيدِ) نافعٌ[٦]، وهو حالٌ من اللَّحمِ أو الأخِ.

قولُهُ: (لا) يعني: الهمزةُ للإنكارِ.

قولُهُ: (فقَد عُرِضَ) أو إن عُرِضَ عليكم هذا.

قولُهُ: (أي: عِقَابَهُ) أو مخالفتَهُ، وفي نسخةٍ: «في الإصلاحِ»، وهو يحتملُهُما.

قولُهُ: (قَابِلُ تَوبَةِ التَّائِبِينَ) وموفِّقُهُم لها ورجَّاعٌ عليهم بالمغفرةِ وأنواعِ اللُّطفِ، (﴿رحيمٌ﴾) لمَنِ اتَّقى ما

---

(١) رواه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٤) من حديث عبد الرحمن بن عائذ مرسلًا.
ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٥٦) عن الحكم بن عبد الله، قال: كانت العرب تقول... ثم ذكره.
(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٤٥٨) من حديث أنس رضي الله عنه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٩): فيه بقية بن الوليد وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات.
وقال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٦٥) بعد أن ذكر طرقه، قال: طرقه كلها ضعيفة، وبعضها يتقوى ببعض.
(٣) أي: (ولا تحسسوا) وهي قراءة شاذة، ونسبت لأبي رجاء وابن سيرين، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٤٥).
(٤) رواه الترمذي (٢٠٣٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.
(٥) رواه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولم يخرجه البخاري.
(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٠٦)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٨).

١٣ ـ ﴿يا أيُّها النّاسُ، إنّا خَلَقْناكُم مِن ذَكَرٍ وأُنثَى﴾: آدمَ وحوّاءَ، ﴿وجَعَلْناكُم شُعُوبًا﴾: جمعُ شَعب بفتح الشين هو أعلى طبقات النسب، ﴿وقَبائلَ﴾ هي دُون الشُّعوب، وبعدَها العمائرُ ثمّ البطونُ ثمّ الأفخاذُ ثمّ الفصائلُ آخِرُها ـ مثاله خُزَيمةُ: شعبٌ، كِنانةُ: قبيلة، قُريشُ: عِمارة بكسر العين، قُصيٌّ: بطن، هاشمٌ: فخِذ، العبّاسُ: فَصِيلة ـ ﴿لِتَعارَفُوا﴾، حُذف منه إحدى التاءين: ليَعرِفَ بعضُكم بعضًا لا لتتفاخروا بعلوّ النسب. وإنما الفخر بالتقوى ﴿إنَّ أكرَمَكُم عِندَ اللهِ أتقاكُم. إنَّ اللهَ عَلِيمٌ﴾ بكم ﴿خَبِيرٌ﴾ ببواطنكم.

١٤ ـ ﴿قالَتِ الأعرابُ﴾ نفرٌ من بني أسد: ﴿آمَنّا﴾: صدّقنا بقُلوبنا. ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَم تُؤمِنُوا، ولكِن قُولُوا: أسلَمْنا﴾ أي: انقَدْنا ظاهِرًا.

نُهِيَ عنهُ، والمبالغةُ في التوَّابِ؛ لأنَّهُ بليغٌ في قبولِ التَّوبةِ إذ يجعل صاحبَها كمَنْ لا يُذنِبُ، أو لكثرةِ المتوبِ عليهِم، أو لكثرةِ ذنوبِهِم.

قولُهُ: (آدَمَ وحَوَّاءَ) أو خَلقنا كلَّ واحدٍ منكُم من أبٍ وأمٍّ، فالكلُّ سواءٌ في ذلك، فلا وجهَ للتَّفاخرِ بالنَّسبِ.

قولُهُ: (النَّسَبِ) الَّتي عليها العربُ، وهو القبيلةُ العظيمَةُ، وهو أبو القبائلِ الَّتي تجمعُهُم.

قولُهُ: (لِيَعرِفَ بَعضُهُم بَعضاً) للتَّوارثِ والتَّواصلِ والتَّعارفِ.

قولُهُ: (بِعُلُوِّ النَّسَبِ) بالآباءِ والقبائلِ.

قولُهُ: (بالتَّقوَى) الَّتي هي الحسَبُ، وقولُ البيضاويِّ[1]: وقُرِئَ ﴿لتعارفوا﴾ بالإدغامِ، سهوٌ؛ إذ قرأَ بها البزِّيُّ[2].

قولُهُ: (نَفَرٌ) أي: نزلَت فيهم، قدِموا المدينةَ في سنةٍ جدبةٍ، وأظهَروا الشَّهادتينِ وكانوا يقولونَ لرسولِ اللهِ ﷺ: أتَيْناكَ بالأثقالِ والعيالِ، ولم نقاتلْكَ كما قاتلَكَ بنو فلانٍ، يريدونَ الصَّدقةَ ويمنُّونَ[3].

قولُهُ: (صَدَّقْنَا) هذا حقيقَةُ معناهُ، لا أنَّهم قالوا هذا القولَ.

قولُهُ: (انقَدْنَا ظَاهِراً) فإنَّ الإسلامَ انقيادٌ ودخولٌ في السِّلمِ، وإظهارُ الشَّهادةِ، وتركُ المحاربةِ يُشعِرُ به، وأمَّا الإيمانُ فهو تصديقٌ معَ ثقةٍ وطمأنينةِ قلبٍ، ولم يحصُلْ لكم، وإلَّا لما منَنْتُم على الرَّسولِ بالإسلامِ وتركِ المقاتلةِ، كما دلَّ عليه آخرُ السُّورةِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٣٧).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٨).

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٤/ ٤٠٨)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٩٦).
ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٣) عن مجاهد مختصراً.

﴿ولَمّا﴾ أي: لم ﴿يَدخُلِ الإيمانُ في قُلُوبِكُم﴾ إلى الآنَ، لكنّه يُتوقّع منكم، ﴿وإن تُطِيعُوا اللهَ ورَسُولَهُ﴾ بالإيمان وغيره ﴿لا يأْلِتْكُم﴾، بالهمز وتركِه، وبإبداله ألفًا: لا يَنقُصْكم ﴿مِن أعمالِكُم﴾ أي: من ثوابها ﴿شَيْئًا. إنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ للمُؤمنين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. ١٥ ـ ﴿إنَّما المُؤمِنُونَ﴾ أي: الصادقون في إيمانهم كما صرّح به بعدُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا باللهِ ورَسُولِهِ، ثُمَّ لَم يَرتابُوا﴾: لم يَشكّوا في الإيمان، ﴿وجاهَدُوا بِأمْوالِهِم وأنفُسِهِم في سَبِيلِ اللهِ﴾. فجِهادُهم يُظهر صِدقَ إيمانهم. ﴿أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾ في إيمانهم لا مَن قالوا: آمنّا. ولم يُوجد منهم غيرُ الإسلام.

١٦ ـ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أتُعَلِّمُونَ اللهَ بِدِينِكُم﴾ ـ مضعّفُ «عَلِمَ» بمعنى شَعَرَ ـ أي: أتُشعِرونه ....

قولُهُ: (مِنهُم) الظَّاهرُ: منكم.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) أي: الإخلاصِ وسائرِ الطَّاعاتِ.

قولُهُ: (بالهَمزِ) الدُّوريُّ[1].

قولُهُ: (وتَركِهِ) الجمهورُ.

قولُهُ: (وبإِبْدَالِهِ) السُّوسيُّ.

قولُهُ: (لا يَنْقُصْكُم) من لاتَ وألتَ، لغتانِ.

قولُهُ: (للمُؤمِنِينَ) أي: لهذا الجنسِ، أو لمن تابَ، أو لما فرطَ من المطيعينَ.

قولُهُ: (بِهِم) بالتَّفضُّلِ عليهِم.

قولُهُ: (أي: الصَّادِقُونَ) الكامِلونَ.

قولُهُ: (كَمَا صَرَّحَ بِهِ) أي: بقيدِ الصِّدقِ بعدَ ذلكَ بقولِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾، أو المرادُ بـ(بعدُ) ما بعدَهُ، وهو قولُهُ: ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾ إلخ.

قولُهُ: (فَجِهَادُهُم) المجاهَدةُ بالأموالِ والأنفسِ تصلُحُ للعباداتِ الماليَّةِ والبدنيَّةِ بأسرِها، إفراداً وجَمعاً، والمرادُ بـ﴿سبيلِ اللهِ﴾: طاعتُهُ.

قولُهُ: (فِي إِيمَانِهِم) أي: في ادِّعائِهِ.

قولُهُ: (غَيرُ الإِسلامِ) أي: الانقيادُ المجرَّدُ من غيرِ علاماتِ الانقيادِ.

قولُهُ: (أَتُشعِرُونَهُ) أي: أتُخبِرونَهُ.

---

(١) هذا وما بعده انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٥٢).

بما أنتم عليه في قولكم: آمنّا، ﴿والله يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ، والله بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾؟

١٧ - ﴿يَمُنُّونَ علَيكَ أن أسلَمُوا﴾ من غير قِتال، بخِلاف غيرهم ممّنِ أسلم بعد قِتال منهم. ﴿قُلْ: لا تَمُنُّوا علَيَّ إسلامَكُم﴾: منصوبٌ بنزع الخافض الباء، ويُقدّر قبل «أن» في الموضعين، ﴿بَلِ الله يَمُنُّ علَيكُم أن هَداكُم لِلإيمانِ، إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ في قولكم: آمنّا. ١٨ - ﴿إنَّ اللهَ يَعلَمُ غَيبَ السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: ما غاب فيهما، ﴿والله بَصِيرٌ بِما يَعمَلُونَ﴾، بالياء والتاء: لا يخفى عليه شيء منه.

قولُهُ: (وتُقَدَّرُ) أي: الباءُ.

قوله: (فِي المَوْضِعَينِ) ﴿أنْ أَسْلَمُوا﴾ و﴿أنْ هداكُمْ﴾، وقُرِئَ: (إنْ) بالكسر، و(إذ)[1].

قولُهُ: (فِي قَوْلِكُم) وجوابُهُ محذوفٌ يدلُّ عليه ما قبلَهُ؛ أي: فللَّهِ المنَّةُ عليكُم.

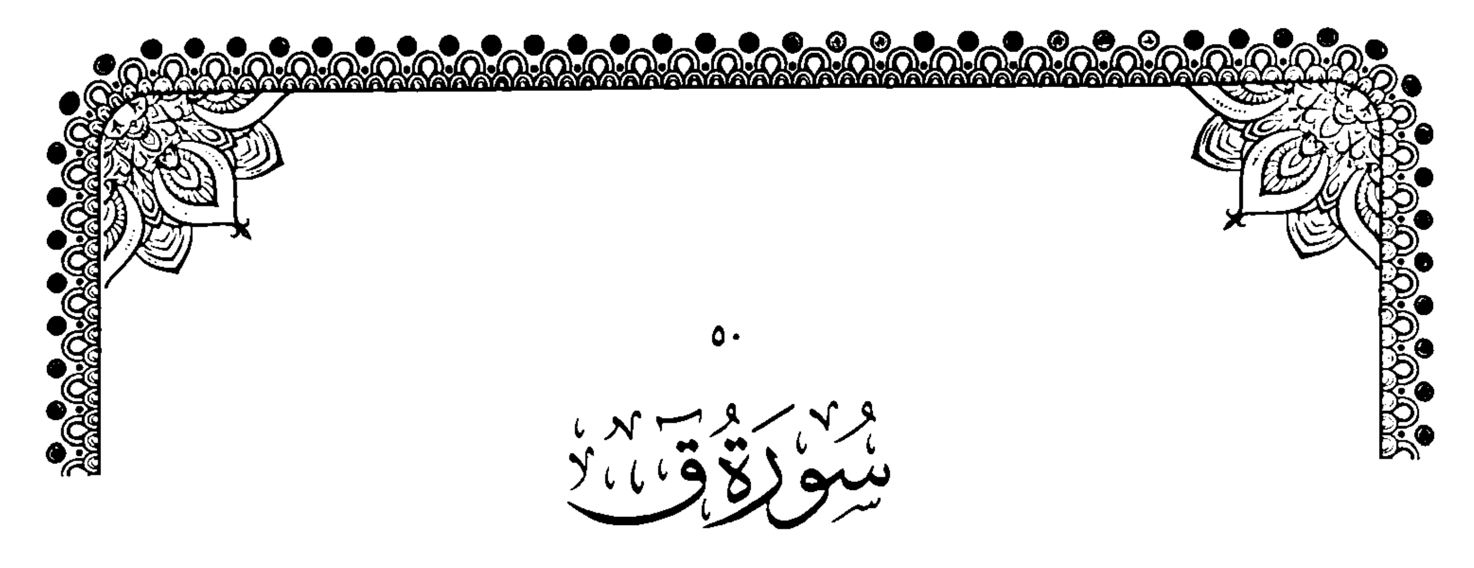
قولُهُ: (بالياءِ) للمكِّيِّ[2]، لما في الآيةِ من الغيبةِ، والله أعلمُ.

***

---

(١) فقراءة (إن هداكم) نسبت لابن عمر، وقراءة (إذ هداكم) لابن مسعود، وهي قراءات شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٤٤)، و«شواذ القراءات» (ص: ٤٤٥).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٢)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٨).



٥٠

سورة ق

مكية، إلاّ «ولقد خلقنا السماوات» الآيةَ فمدنية، خمسٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ق﴾ اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿والقُرآنِ المَجِيدِ﴾: الكريمِ، ما آمنَ كُفّار مكّة بمُحمّد ﷺ. ٢ ـ ٣ ـ ﴿بَل عَجِبُوا أن جاءَهُم مُنذِرٌ مِنهُم﴾: رسول من أنفُسهم، ينذرهم: يخوّفهم بالنار بعد البعث، ﴿فقالَ الكافِرُونَ: هذا﴾ الإنذار......

سورة ق

قولُهُ: (اللهُ أَعلَمُ) قيل: إشارةٌ إلى الصِّفاتِ المصدَّرةِ بالقافِ، كالقديرِ والقاهرِ، وقيل: جبلٌ محيطٌ بالأرضِ[1]، أو معناهُ: قُضيَ الأمر، أو ما هو كائنٌ، أو قسمٌ بقوَّتِهِ وقدرتِهِ، أو قسمٌ بقوَّةِ قلبِ حبيبِهِ.

قولُهُ: (الكَريمِ) أي: ذي المجدِ والشَّرفِ على سائرِ الكتبِ، أو لأنَّهُ كلامُ المجيدِ، أو لأنَّ مَن حفظَ مبانيَهُ، وعَلِمَ معانيَهُ، وامتثلَ أوامرَهُ ونواهيَهُ؛ مُجِّدَ وعُظِّمَ غايةَ المجدِ، ونهايةَ العظمةِ.

قولُهُ: (مَا آمَنَ) يعني: جوابُ القسمِ مقدَّرٌ، وسيأتي غيرُه.

قولُهُ: (مِنْ أَنفُسِهِم) مِن جنسِهِم، أو أبناءِ جلدتِهِم، فهو إنكارٌ لتعجُّبِهِم ممَّا ليسَ بعجبٍ.

قولُهُ: (الإِنذَارُ) حكايةٌ لتعجُّبِهِم.

---

(١) استدرك ابن كثير هلى هذا القول بقوله في «تفسيره» (١/ ٣٢): وكأن هذا من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس، لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم، يلبسون به على الناس أمر دينهم.

﴿شَيءٌ عَجِيبٌ. أإذا﴾ - بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين - ﴿مُتنا وكُنّا تُرابًا﴾ نرجِعُ؟ ﴿ذلِكَ رَجعٌ بَعِيدٌ﴾: في غاية البُعد.

٤ - ﴿قَد عَلِمْنا ما تَنقُصُ الأرضُ﴾: تأكل ﴿مِنهُم، وعِندَنا كِتابٌ حَفِيظٌ﴾ هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المُقدّرة. ٥ - ﴿بَل كَذَّبُوا بِالحَقِّ﴾: بالقُرآن ﴿لَمّا جاءَهُم، فهُم﴾ في شأن النبيِّ والقُرآنِ ﴿في أمرٍ مَرِيجٍ﴾: مُضطرب. قالوا مرّةً: ساحرٌ وسِحر، ومرّةً: شاعرٌ وشِعر، ومرّةً: كاهنٌ وكِهانة.

٦ - ﴿ أفلَم يَنظُرُوا﴾ بعُيونهم مُعتبرين بعُقولهم حينَ أنكروا البعثَ ﴿إلَى السَّماءِ﴾ كائنةً ﴿فوقَهُم، كَيفَ بَنَيناها﴾ بلا عمدٍ ﴿وزَيَّنّاها﴾ بالكواكب ﴿وما لَها مِن فُرُوجٍ﴾ شقوق تَعيبها؟ ٧ - ﴿والأرضَ﴾: معطوف على موضع «إلى السّماء» كيف ﴿مَدَدْناها﴾: دحَوناها على وجه الماء،.....................

قولُهُ: (نَرجِعُ) أي: أنرجِعُ إذا مُتْنا وصِرْنا تراباً، ويدلُّ على المحذوفِ ﴿ذَلِكَ رَجْعٌ﴾ وهو لازمٌ أو متعدٍّ.

قولُهُ: (فِي غَايَةِ البُعدِ) عن الوهمِ، أو العادةِ، أو الإمكانِ في زعمِهِم.

قولُهُ: (تَأكُلُ) مِن أجسادِ موتاهُم، وقيل: إنَّه جوابُ القسمِ، واللَّامُ حذفَ لطولِ الكلامِ.

قولُهُ: (المَحفُوظُ فِيهِ) أو محفوظٌ عن التَّغيُّرِ، أو حافظٌ لتفاصيلِ الأشياءِ كلِّها.

قولُهُ: (بالقُرآنِ) أو النَّبيِّ.

قولُهُ: (والقُرآنِ) لعلَّ الواوَ؛ بمعنى: أو.

قولُهُ: (مُضْطَرِبٍ) مختلِطٍ.

قولُهُ: (مُعْتَبِرِينَ) هذا جمعٌ بين الحقيقةِ والمجازِ، أو بينَ المعنيَينِ المشتركينِ، وهو لا يجوزُ عندَنا[1]، ويمكنُ أن يكونَ المعنى على الأوَّلِ، والاعتبارُ مفهومٌ مِن الخارجِ، فلا إشكالَ، والأظهرُ أنَّ معنى النَّظرِ: هو التَّفكُّرُ والتَّأمُّلُ.

قولُهُ: (شُقُوقٍ) بأن خَلقَها مَلسَاءَ متلاصقَةَ الأجزاءِ.

قولُهُ: (مَعطُوفٌ) تكلُّفٌ وتعسُّفٌ، بل هو مفعولٌ مقدَّمٌ[2].

قولُهُ: (دَحَوْنَاهَا) أي: بَسَطناها.

---

(١) انظر: «شرح التلويح على التوضيح» (١/ ١٢٦)، و«تخريج الفروع على الأصول» (ص: ٦٨).

(٢) جاء في «إعراب القرآن وبيانه» للدرويش (٩/ ٢٨٢): الواو: حرف عطف، و﴿الأرض﴾: عطف على محل ﴿إلى السماء﴾ وهو النصب على المفعولية، ولك أن تنصب ﴿الأرض﴾ بفعل محذوف تقديره: ومددنا الأرض.

﴿وألقَينا فِيها رَواسِيَ﴾: جِبالاً تُثبتها، ﴿وأنبَتْنا فِيها مِن كُلِّ زَوجٍ﴾: صِنفٍ ﴿بَهِيجٍ﴾ يُبهَج به لحُسنه، ٨ ـ ﴿تَبصِرةً﴾: مفعولٌ له، أي: فعلنا ذلك تبصيرًا منا، ﴿وذِكرَى﴾: تذكيرًا ﴿لِكُلِّ عَبدٍ مُنِيبٍ﴾ رجّاعٍ إلى طاعتنا؟ ٩ ـ ﴿ونَزَّلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً مُبارَكًا﴾: كثيرَ البركة، ﴿فأنبَتْنا بِهِ جنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وحَبَّ﴾ الزرع ﴿الحَصِيدِ﴾ المحصود، ١٠ ـ ﴿والنَّخلَ باسِقاتٍ﴾: طِوالاً حالٌ مُقدَّرة، ﴿لَها طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾: مُتراكب بعضُه فوق بعض، ١١ ـ ﴿رِزقًا لِلعِبادِ﴾ مفعول له، ﴿وأحيَينا بِهِ بَلدةً مَيْتًا﴾؟ يستوي في المُذكَّر والمُؤنَّث. ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلُ هذا الإحياءِ ﴿الخُرُوجُ﴾ من القُبور. ....

قولُهُ: (تُثَبِّتُهَا) فيه أنَّ الرَّواسيَ جمعُ: راسيةٍ؛ بمعنى: ثابتةٍ.

قولُهُ: (أي: فَعَلْنَا) ظاهرُه أنَّه الفعلُ المعلَّلُ، وليس كذلك، بل إشارةٌ إلى أنَّه علَّةٌ للأفعالِ المذكورةِ.

قولُهُ: (تَبْصِيراً) أي: استدلالاً على توحِيدِهم لربِّهِم.

قولُهُ: (رَجَّاعٍ) صيغةُ ﴿منيبٍ﴾ ليسَت للمبالغةِ، فمعناهُ: راجعٌ إلى ربِّهِ متفكِّرٌ في بدائعِ صنعِهِ.

قولُهُ: (كَثِيرَ البَرَكَةِ) والمنفعةِ.

قولُهُ: (بَسَاتِينَ) أشجاراً وأثماراً وأزهاراً، بل وأنهاراً لعدمِ خلوِّهَا عنها عادةً.

قولُهُ: (الزَّرعَ) قدَّرَهُ تأويلاً على مذهبِ البصريِّينَ[1]، وأمَّا الكوفيُّونَ فيجوِّزُونَ إضافةَ الموصوفِ إلى الصِّفةِ.

قولُهُ: (المَحصُودِ) أي: الَّذي من شأنِهِ أن يُحصَدَ كالبُرِّ والشَّعيرِ.

قولُهُ: (طِوَالاً) أو حوامِلَ، وإفرادُها بالذِّكرِ لفرطِ ارتفاعِها وكثرةِ منافعِها.

قولُهُ: (مُتَرَاكِبٌ) منضُودٌ، والمرادُ: تراكمُ الطَّلعِ، أو كثرةُ ما فيه مِن التَّمرِ.

قولُهُ: (مَفعُولٌ لَهُ) لـ﴿أَنْبَتْنَا﴾ أو مصدرٌ؛ فإنَّ الإنباتَ رزقٌ.

قولُهُ: (يَسْتَوِي) هذا ممَّا لا يستوي[2]، وتذكيرُهُ لأنَّ البلدةَ؛ بمعنى: البلدِ، أو المكانِ الَّذي لا نماءَ فيه.

قولُهُ: (أي: مِثلُ هَذَا) كما حَيِيَتْ هذه البلدةُ.

قولُهُ: (مِنَ القُبُورِ) أي: يكونُ خروجُكُم أحياءً بعدَ موتِكُم.

---

(١) انظر: «شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك» (ص: ٢٧٧).

(٢) في «التفسير الوسيط» للزحيلي (٢/ ١٨٠٤): ووصف البلدة بالميت؛ لأنه جعله كالمصدر الذي يوصف به المذكر والمؤنث، أو تكون البلدة بمعنى: البلد.

فكيف يُنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى أنهم نظروا وعلموا ما ذُكر.

١٢ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾ ـ تأنيثُ الفعل لمعنى «قوم» ـ ﴿وأصحابُ الرَّسِّ﴾، هي بئر كانوا مُقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبيّهم قيل: حنظلةُ بن صفوانَ، وقيل: غيره، ﴿وثَمُودُ﴾: قومُ صالحٍ، ١٣ ـ ١٤ ـ ﴿وعادٌ﴾: قوم هُود، ﴿وفِرعَونُ وإخوانُ لُوطٍ، وأصحابُ الأَيكةِ﴾ أي: الغَيضة قومُ شُعيب، ﴿وقَومُ تُبَّعٍ﴾ هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام فكذّبوه. ﴿كُلٌّ﴾ من المذكورين ﴿كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ كقُريش، ﴿فحَقَّ وَعِيدِ﴾: وجبَ نُزول العذاب على الجميع. فلا يَضِقْ صدرُك من كُفر قُريش بك. ١٥ ـ ﴿أفعَيِينا بِالخَلقِ الأَوَّلِ﴾؟ أي: لم نَعيَ به فلا نعيا بالإعادة، ﴿بَل هُم في لَبسٍ﴾: شكٌّ ﴿مِن خَلقٍ جَدِيدٍ﴾، وهو البعث.

١٦ ـ ﴿ولَقَد خَلَقْنا الإنسانَ، ونَعلَمُ﴾: حالٌ بتقدير «نحن» ﴿ما﴾: مصدرية ﴿تُوَسوِسُ﴾: تُحدّث ﴿بِهِ﴾ ـ الباء: زائدة أو للتعدية، والضمير للإنسان ـ ﴿نَفسُهُ، ونَحنُ أقرَبُ إلَيهِ﴾ بالعِلم ﴿مِن حَبلِ الوَرِيدِ﴾

قولُهُ: (للتَّقريرِ) الصَّوابُ أنَّه للإنكارِ.

قولُهُ: (وعَلِمُوا) فيه أنَّه لو علِموا لما أنكَروا ولآمَنوا وصَدَّقوا.

قولُهُ: (بِمَعنَى ﴿قومٍ﴾) وهو القبيلةُ الشَّاملةُ للرِّجالِ والنِّساءِ تغليباً، فإنَّ القومَ مختصٌّ بالرِّجالِ، كما عرفْتَ سابقاً[1].

قولُهُ تعالى: (﴿وَفِرْعَونُ﴾) المرادُ هو وقومُهُ؛ ليلائمَ سابقَهُ ولاحقَهُ من الجمعِ.

قولُهُ: (مِنَ المَذكُورِينَ) أي: كلُّ واحدٍ، أو قومٍ منهم، أو جميعُهُم، وإفرادُ ضميرِ (﴿كَذَّبَ﴾) لإفرادِ لفظِ ﴿كُلٌّ﴾.

قولُهُ: (وَجَبَ) أي: ثبتَ وحلَّ، وفيه تسليةٌ له ﷺ وتهديدٌ لهم.

قولُهُ: (لَمْ نَعْيَ) يعني: الهمزةُ للإنكارِ؛ أي: لم نعجَزْ ولم نتعَبْ.

قولُهُ: (شَكٌّ) أي: هم لا ينكِرونَ قدرَتَنا على الخلقِ الأوَّلِ ويعترفونَ به، بل هُم في خلطٍ وشبهةٍ في خلقٍ مستأنفٍ لما فيه مِن مخالفةِ العادةِ.

قولُهُ: (والضَّمِيرُ للإِنسَانِ) والمعنى: ونعلمُ وسوسَةَ نفسِ الإنسانِ إيَّاهُ.

قولُهُ: (بالعِلمِ) تجوُّزٌ بقربِ الذَّاتِ لقربِ العلمِ؛ لأنَّهُ موجبُه، وحبلُ الوريدِ مَثَلٌ في القربِ، قال[2]:

---

(١) في الآية رقم: (١١) من سورة الحجرات.

(٢) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٣٨٣) ونسبه لذي الرمة، ولفظه في «ديوانه» (ص: ٣٥٦):

ـ الإضافةُ للبيان، والوريدانِ: عِرقانِ بصفحتَيِ العُنق ـ ١٧ ـ ﴿إذ﴾: ناصبُه «اذكرْ» مُقدّرًا ﴿يَتَلَقَّى﴾: يأخذُ ويُثبِتُ ﴿الْمُتَلَقِّيانِ﴾: المَلَكانِ المُوكلان بالإنسان ما يعمله، ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ﴾ منه ﴿قَعِيدٌ﴾ أي: قاعدان ـ وهو مُبتدأ خبره ما قبله ـ ١٨ ـ ﴿ما يَلفِظُ مِن قَولٍ إلاّ لَدَيهِ رَقِيبٌ﴾: حافظ ﴿عَتِيدٌ﴾: حاضر. وكُلّ منهما بمعنى المُثنّى.

١٩ ـ ﴿وجاءَتْ سَكْرةُ المَوتِ﴾: غمرتُه وشِدّته ﴿بِالحَقِّ﴾ من أمر الآخرة ....

والمـوتُ أدنـى لـي مِـنَ الوَرِيـدِ

قولُهُ: (للبَيَانِ) والحبلُ: العرقُ.

قولُهُ: (بِصَفْحَتَيِ العُنُقِ) أي: مكتنفانِ محيطانِ بها في مقدَّمِ العنقِ متَّصلانِ بالوتينِ[١]، يرِدَانِ من الرأسِ إليه.

قولُهُ: (يَأْخُذُ) أي: يتلقَّنُ.

قولُهُ: (أي: قَاعِدَانِ) يعني: يُطْلَقُ القعيدُ للواحدِ والمتعدِّدِ، وقيل: التَّقديرُ: عن اليمينِ قعيدٌ، فحُذِفَ لدلالةِ الثَّاني عليه، والقَعيدُ؛ بمعنى: المُقاعِدِ، كالجليسِ؛ بمعنى: المُجالِسِ؛ أي: الملازمِ.

قولُهُ: (حَافِظٌ) مَلَكٌ يرقبُ عملَهُ.

قولُهُ: (حَاضِرٌ) معه، قالَ ابنُ عبَّاسٍ: يكتبُ عليه الخيرَ والشرَّ، رواهُ البخاريُّ[٢]؛ يعني: ما فيه ثوابٌ وعقابٌ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: المُثَنَّى) لا يُحتاجُ إلى هذا التَّأويلِ، فإنَّ الملفوظَ إمَّا خيرٌ فملكُهُ كاتبُ الحسناتِ، أو شرٌّ فملكُهُ كاتبُ السَّيِّئاتِ.

قولُهُ: (شِدَّتُهُ) الذَّاهبةُ بالعقلِ.

قولُهُ: (مِنْ أَمرِ الآخِرَةِ) فالباءُ للتَّعديةِ؛ أي: أحضرَتْ سكرةُ الموتِ حقيقةَ الأمرِ، أو الموعودَ الحقَّ[٣]، ونبَّهَ على اقترابِهِ بتعبيرِهِ بالماضِي.

= موعـــود رب صـــادق الموعـــود   والله أدنـــى لـــي مـــن الوريـــد

(١) الوَتينُ: عِرقٌ في القلب، إذا انقطع مات صاحبه «الصحاح» (٦/ ٢٢١١).

(٢) ذكره البخاري (٩/ ١٦٠) تعليقاً.

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٤٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٣٠). وصححه على شرط البخاري.

(٣) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٤١).

حتّى يراه المُنكِرُ لها عِيانًا ـ وهو نفس الشِّدّة ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الموت ﴿ما كُنتَ مِنهُ تَحِيدُ﴾: تهرب وتفزع. ٢٠ ـ ﴿ونُفِخَ في الصُّورِ﴾ للبعث ـ ﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: يومُ النفخ ﴿يَومُ الوَعِيدِ﴾ للكُفّار بالعذاب ـ ٢١ ـ ﴿وجاءَتْ﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفسٍ﴾ إلى المحشر، ﴿مَعَها سائِقٌ﴾: ملَك يسوقها إليه ﴿وشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بعملها ـ وهو الأيدي والأرجُل وغيرها ـ ويقال للكافر: ٢٢ ـ ﴿لَقد كُنتَ﴾ في الدنيا ﴿في غَفْلةٍ مِن هذا﴾ النازلِ بك اليوم، ﴿فكَشَفْنا عَنكَ غِطاءَكَ﴾: أزلنا غفلتك بما تُشاهده اليوم، ﴿فبَصَرُكَ اليَومَ حَدِيدٌ﴾: حادّ تُدرِك به ما أنكرتَه في الدنيا.

٢٣ ـ ﴿وقالَ قَرِينُهُ﴾ الملَك المُوكل به: ﴿هذا ما﴾ أي: الذي ﴿لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾: حاضر. فيقال لمالِكٍ:

قولُهُ: (يَرَاهَا) أي: الآخرةَ.

قولُهُ: (وهُو نَفْسُ الشِّدَّةِ) ما ظهرَ لي معناهُ[١].

قولُهُ: (تَهْرُبُ) وتميلُ، والخطابُ للإنسانِ المتقدِّمِ.

قولُهُ: (للكُفَّارِ) أي: وقتُ ذلك يومَ تحقُّقِ الوعيدِ، ففيه حذفُ مضافينِ.

قولُهُ: (﴿شَهِيدٌ﴾) قيل: هما ملَكانِ أحدُهُما يسوقُهُ إلى المحشرِ، والآخرُ يشهدُ بعملِهِ، أو ملكٌ جامعٌ للوصفَينِ، وقيل: السَّائقُ كاتبُ السَّيِّئاتِ، والشَّهيدُ كاتبُ الحسناتِ، وقيل: السائقُ نفسُه أو قرينُه، والشَّهيدُ جوارحُه أو أعمالُه[٢].

قولُهُ: (فِي الدُّنْيَا) والخطابُ لكلِّ نفسٍ؛ إذ ما من أحدٍ إلَّا ولهُ اشتغالٌ بالدُّنيا عن الآخرةِ، وقُرِئَ بكسرِ التَّاءِ والكافاتِ[٣]، أو للكافرِ.

قولُهُ: (غَفْلَتَكَ) والغطاءُ: الحاجبُ لأمورِ المعادِ.

قولُهُ: (حَادٌّ) نافذٌ لزوالِ المانعِ من الإبصارِ.

قولُهُ: (أي: الَّذي) فـ﴿مَا﴾ موصولةٌ مبتدأٌ، و﴿عَتِيدٌ﴾ بدلُهُ، أو خبرٌ بعد خبرٍ.

قولُهُ: (حَاضِرٌ) أي: هذا ما هو مكتوبٌ عندي حاضرٌ لديَّ.

قولُهُ: (لِمَالِكٍ) وقيل: للملَكَيْنِ من الخزنةِ، وقيل: للسَّائقِ والشَّهيدِ.

---

(١) جاء في «فتح البيان في مقاصد القرآن» للقنوجي (١٣/ ١٧١) متعقباً عبارة القاري: ممكن أن يقال: الضمير في قوله: (هو) راجع لأمر الآخرة، والمراد: بالشدة؛ الأمر الشديد، وهو أهوال الآخرة، فعلى هذا تكون هذه الجملة تفسيراً لقوله: من أمر الآخرة.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٤١).

(٣) أي: (كنتِ) و(عنكِ عطاءكِ فبصركِ) وهي شاذة، ونسبت للجحدري، انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٤٥).

٢٤ ـ ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ أي: ألقِ ألقِ، أو «أَلْقِيَنْ» ـ وبه قرأ الحسن، فأُبدلَتِ النونُ ألفاً ـ ﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾: مُعاند للحقّ ٢٥ ـ ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ كالزكاة ﴿مُعْتَدٍ﴾: ظالم ﴿مُرِيبٍ﴾: شاكّ في دِينه. ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾: مُبتدأ ضُمِّن معنى الشرط، خبرُه: ﴿فَأَلْقِيَاهُ﴾ ـ تفسيره مِثل ما تقدّم ـ ﴿فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ. قَالَ قَرِينُهُ﴾ الشيطان: ﴿رَبَّنَا، مَا أَطْغَيْتُهُ﴾: أضللته، ﴿وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾، فدعوته فاستجاب لي. وقال: هو أطغاني بدعائه لي.

٢٨ ـ ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ﴾ أي: ما ينفع الخصام هنا، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم﴾ في الدنيا ﴿بِالْوَعِيدِ﴾: بالعذاب في الآخرة لو لم تُؤمنوا، ولا بدّ منه. ٢٩ ـ ﴿مَا يُبَدَّلُ﴾: يُغيّر ﴿الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ في ذلك، ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ فأُعذّبهم بغير جُرم ـ وظلّام: بمعنى ذِي ظُلم لقوله «لا ظُلْمَ اليَوْمَ» ـ ٣٠ ـ ﴿يَوْمَ﴾ ناصبُه «ظلّام» ﴿نَقُولُ﴾ ـ بالنون والياء ـ ﴿لِجَهَنَّمَ: هَلِ امْتَلَأْتِ﴾؟..........

قولُهُ: (أي: أَلْقِ أَلْقِ) يعني: تثنيةُ الفاعلِ نُزّلَتْ منزلةَ تثنية الفعلِ، وتكريرُهُ للتّأكيدِ، كقولِهِ:

فإنْ تزجُرانِي يا ابنَ عفَّانَ أنزجِرْ[1]

قولُهُ: (النُّونُ) أي: الخفيفةُ، إجراءً للوَصلِ مجرى الوقفِ.

قولُهُ: (كالزَّكَاةِ) أي: كَثيرِ المنعِ للمالِ عن حقُوقِهِ المفرُوضةِ.

قولُهُ: (ظَالِم) متعدٍّ.

قولُهُ: (الشَّيطَانُ) المقيَّضُ له.

قولُهُ: (بالعَذَابِ) على الطُّغيانِ في كتبي، وعلى ألسنةِ رسلي، فلم يبقَ لكم حجَّةٌ، والباءُ مزيدةٌ.

قولُهُ: (فِي ذَلِكَ) أي: بوقوعِ الخلفِ فيه، فلا تطمَعُوا أنْ أبدِّلَ وعيدِي.

قولُهُ: (بِغَيرِ جُرمٍ) تقدَّمَ الكلامُ فيه، وفي ﴿ظَلَّامٍ﴾[2].

قولُهُ: (والياءِ) نافعٌ وشعبةُ[3].

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٧٨) فقال: وأنشدني أبو ثروان سويد بن كراع العكلي، وعجز البيت:

وإن تدعاني أَحْمِ عرضاً ممنَّعاً

(٢) انظر الآيات رقم: (١٨٢) من سورة آل عمران، ورقم: (٥١) من سورة الأنفال، ورقم: (١٠) من سورة الحج، ورقم: (٤٦) من سورة فصلت.

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٩).

استفهامُ تحقيقٍ لوعده بمَلئها، ﴿وتَقُولُ﴾ بصورة الاستفهام كالسؤال: ﴿هَل مِن مَزِيدٍ﴾ أي: فيَّ؟ لا أسَعُ غير ما امتلأتُ به، أي: قد امتلأتُ.

٣١ـ ﴿وأُزلِفَتِ الجَنَّةُ﴾: قُرِّبتْ ﴿لِلمُتَّقِينَ﴾ مكانًا ﴿غَيرَ بَعِيدٍ﴾ منهم، فيرونها ويقال لهم: ٣٢ـ ﴿هذا﴾ المرئيُّ ﴿ما تُوعَدُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ في الدنيا، ويُبدَل من «للمتّقين» قولُه: ﴿لِكُلِّ أوّابٍ﴾: رجّاع إلى طاعة الله ﴿حَفِيظٍ﴾: حافظ لحُدوده، ٣٣ ـ ﴿مَن خَشِيَ الرَّحمنَ بِالغَيبِ﴾: خافه ولم يره، ﴿وجاءَ بِقَلبٍ مُنِيبٍ﴾: مُقبل على طاعته، ويقال للمتّقين أيضًا: ٣٤ ـ ﴿ادخُلُوها بِسَلامٍ﴾ أي: سالمين من كُلّ مخوف، أو مع سلام أي: سَلِّموا وادخلوا. ﴿ذلِكَ﴾ اليوم الذي حصل فيه الدخول ﴿يَومُ الخُلُودِ﴾: ....

قولُهُ: (تحقيقٍ) وتقريرٍ.

قولُهُ: (أي: فيَّ) و(﴿مَزِيْدٍ﴾) مصدرٌ أو مفعولٌ.

قولُهُ: (أي: قدِ امْتَلَأْتُ) أو أنَّها من شدَّةِ زفيرِها وحدَّتِها وتشبُّثِها بالعصاةِ طالبَةٌ، أو كالطَّالبِ لزيادتِهِم، أو أنَّها من السَّعةِ بحيثُ يدخُلُها وفيها بعدُ فراغ.

قولُهُ: (مَكَاناً) إشارةٌ إلى أنَّ تذكيرَ ﴿بَعيدٍ﴾ باعتبارِ موصوفٍ محذوفٍ.

قولُهُ: (المَرئِيُّ) أي: الإزلافُ، أو الثَّوابُ.

قولُهُ: (والياءِ) للغيبةِ مكِّيٌّ[1]، فلا يحتاجُ إلى تقديرِ القولِ.

قولُهُ: (ويُبْدَلُ) بإعادةِ الجارِّ.

قولُهُ: (إلى طَاعَةِ اللهِ) أو رجَّاعٍ إلى اللهِ.

قولُهُ: (خَافَهُ) بدلٌ بعدَ بدلٍ[2].

قولُهُ: (ولَمْ يَرَهُ) يعني: بالغيبِ حالٌ من الفاعلِ أو المفعولِ، أو حالَ كونِهِ غائباً عن النَّاسِ أو الأعينِ، وتخصيصُ الرَّحمنِ للإشعارِ بأنَّهم رَجَوا رحمتَهُ وخافُوا عقوبتَهُ.

قولُهُ: (مُقبِلٍ) وصفَ القلبَ بالإنابةِ؛ إذ الاعتبارُ برجوعِهِ إلى اللهِ.

قولُهُ: (مُخَوِّفٍ) من العذابِ وزوالِ النِّعمِ.

قولُهُ: (أو مَعَ سَلامٍ) أو مسلَّماً عليكُم من اللهِ وملائكتِهِ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٧٩).

(٢) أي: قوله تعالى: ﴿مَنْ خَشِيَ﴾ بدل بعد ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾ وهو بدل من ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

الدوامِ في الجنّة. ٣٥ ـ ﴿لَهُم ما يَشاؤُونَ فِيها، ولَدَينا مَزِيدٌ﴾: زيادة على ما عملوا وطلبوا.

٣٦ ـ ﴿وكَم أهلَكْنا قَبلَهُم مِن قَرنٍ﴾ أي: أهلكنا قبل كُفّار قُريش قُرونًا، أي: أممًا كثيرة من الكُفّار، ﴿هُم أشَدُّ مِنهُم بَطشًا﴾: قُوّة، ﴿فنَقَّبُوا﴾: فتّشوا ﴿في البِلادِ! هَل مِن مَحِيصٍ﴾ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا. ٣٧ ـ ﴿إنَّ في ذلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَذِكرَى﴾: لعِظةً ﴿لِمَن كانَ لَهُ قَلبٌ﴾: عقل ﴿أو ألقَى السَّمعَ﴾: استمع الوعظ، ﴿وهُوَ شَهِيدٌ﴾: حاضر القلب.

٣٨ ـ ﴿ولَقَد خَلَقْنا السَّماواتِ والأرضَ وما بَينَهُما في سِتّةِ أيّامٍ﴾، أوّلها الأحدُ وآخرها الجمعة، ﴿وما مَسَّنا مِن لُغُوبٍ﴾: تعب. نزلَ ردًّا على اليهود في قولهم: «إنّ الله استراح يوم السبت». وانتفاءُ التعب عنه لتنزّهه ـ تعالى ـ عن صفات المخلوقين، ولعدم المماسّة بينه وبين غيره: «إنَّما أمرُهُ، إذا أرادَ شَيئًا، أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ».

قولُهُ: (الدَّوامِ) أي: يومُ تقديرِ الخلودِ، كقولِهِ: ادْخُلوها خالِدينَ، مما تقديرُهُ غيرُ ضروريٍّ.

قولُهُ: (زِيَادَةٌ) ممّا لا عينٌ رأَتْ، ولا أذنٌ سمعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ[1].

قولُهُ: (قُوَّةً) كعادٍ وفرعونَ.

قولُهُ: (فَتَّشُوا) أي: تصرَّفوا، أو جالوا في الأرضِ كلَّ مجالٍ حذرَ الموتِ.

قولُهُ: (مِنَ المَوْتِ) أو من اللهِ مخلصٌ أو مهربٌ.

قولُهُ: (المَذكُورِ) في هذهِ السُّورةِ.

قولُهُ: (لَعِظَةً) وتذكرةً.

قولُهُ: (عَقلٌ) أو قلبٌ واعٍ يتفكَّرُ في حقائقِهِ.

قولُهُ: (القَلبِ) الظَّاهرُ: بذهنِهِ ليفهمَ معانيَهُ، وفي تنكيرِ القلبِ وإبهامِهِ تفخيمٌ عظيمٌ، وإشعارٌ بأنَّ كلَّ قلبٍ لا يتفكَّرُ ولا يتدبَّرُ كَلَا قلبٍ.

قولُهُ: (تَعَبٍ) وإعياءٍ.

قولُهُ: (استَرَاحَ) واستَلقى على العرشِ.

---

(١) روى البخاري (٣٢٤٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر».

٣٩ ـ ﴿فاصبِرْ﴾، خِطاب للنبيّ ﷺ ﴿عَلَى ما يَقُولُونَ﴾، أي: اليهودُ وغيرهم من التشبيه والتكذيب، ﴿وسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ﴾: صَلِّ حامدًا ﴿قَبلَ طُلُوعِ الشَّمسِ﴾ أي: صلاةَ الصُّبح، ﴿وقَبلَ الغُرُوبِ﴾ أي: صلاتَيِ الظُّهر والعصر، ٤٠ ـ ﴿ومِنَ اللَّيلِ فسَبِّحْهُ﴾ أي: صلِّ العِشاءين، ﴿وأدبارَ السُّجُودِ﴾ ـ بفتح الهمزة: جمع دُبُر، وكسرِها: مصدر أدبَر ـ أي: صلِّ النوافل المسنونة عقب الفرائض. وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات مُلابسًا للحمد.

٤١ ـ ﴿واستَمِعْ﴾ ـ يا مُخاطب بقَولي ـ ﴿يَومَ يُنادِي المُنادِي﴾ هو إسرافيل ﴿مِن مَكانٍ قَرِيبٍ﴾ من السماء ـ وهو صخرةُ بيت المَقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء. يقول: أيّتها العِظامُ البالية، والأوصال المُتقطّعة، واللُّحوم المُتمزّقة، والشُّعور المُتفرّقة. إنّ الله يأمركُنّ أن تجتمعْنَ لفصل القضاء ـ٤٢ ـ ﴿يَومَ﴾: بدلٌ من «يومَ» قبله ﴿يَسمَعُونَ﴾ أي: الخلقُ كُلّهم ﴿الصَّيحةَ بِالحَقِّ﴾: بالبعث. وهي النفخة الثانية من إسرافيل. ويَحتمل أن تكون قبل ندائه وبعده ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: يومُ النداء ويوم السماع ﴿يَومُ الخُرُوجِ﴾ من القُبور. وناصبُ «يومَ: يُنادي» مُقدّرٌ، أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم. ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿إنّا نَحنُ نُحيِي ونُمِيتُ، وإلَينا المَصِيرُ ـ يَومَ﴾: بدل من «يومَ» قبله وما بينهما اعتراض ﴿تَشَقَّقُ﴾، بتخفيف الشين،

قولُهُ: (العِشَاءَينِ) يعني: مع الوترِ، وقيل: والتَّهجُّدَ.

قولُهُ: (وكَسرِهَا) الحرميَّانِ وحمزةُ[1].

قولُهُ: (مَصْدَرُ أَدْبَرَ) انقضَى.

قولُهُ: (عَقبَ الفَرَائِضِ) إذا لم يكُنْ وقتَ كراهةٍ، وقيل: الوترُ بعدَ العشاءِ[2].

قولُهُ: (مُلَابِساً لِلحَمدِ) أي: نزِّهْهُ عمَّا لا يليقُ بشأنِهِ مثبتاً له صفاتِ الكمَالِ، أو قلْ: سبحانَ اللهِ وبحمدِهِ.

قولُهُ: (مُخَاطَبُ بقَولِي) مضافٌ منصُوبٌ؛ أي: استمِعْ لما أخبرُكَ به من أحوالِ القيامةِ، وفي حذفِ المفعولِ تهويلٌ وتعظيمٌ للمُخْبَرِ به.

قولُهُ: (هُوَ إِسْرَافِيلُ) أو جبريلُ.

قولُهُ: (مِنَ السَّمَاءِ) أو بحيثُ يصلُ نداؤُهُ إلى الكلِّ على سواءٍ.

قولُهُ: (بالبَعْثِ) يعني: بالحقِّ، متعلِّقٌ بـ﴿الصَّيحة﴾، والمرادُ به: البعثُ للجزاءِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٠٧).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٤٤).

وتشـديدها بإدغـام التـاء الثانيـة في الأصـل فيهـا، ﴿الأرضُ عَنهُم سِـراعًا﴾: جمعُ سَـريع، حالٌ من مُقدّر، أي: فيَخرجون مُسـرعين. ﴿ذلِكَ حَشـرٌ علَينا يَسِـيرٌ﴾. فيه فصل بين الموصوف والصفة بمُتعلِّقها للاختصـاص. وذلك: إشـارة إلى معنى الحشـر المُخبَر به عنـه، وهو الإحياءُ بعد الفنـاء والجمعُ للعرض والحساب.

٤٥ ـ ﴿نَحنُ أعلَمُ بِما يَقُولُونَ﴾ أي: كُفّارُ قُريش، ﴿وما أنتَ علَيهِم بِجَبّارٍ﴾ تَجبُرهم على الإيمان. وهذا قبل الأمر بالجِهاد. ﴿فذَكِّرْ بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعِيدِ﴾ وهم المُؤمنون.

قولُهُ: (وتَشدِيدِهَا) حرميٌّ وشاميٌّ[1].

قولُهُ: (أي: كُفَّارُ قُرَيشٍ) تهديدٌ لهم وتسليةٌ له ﷺ.

قولُهُ: (تُجبِرُهُم) أو تفعلُ بهم ما تريدُ، وإنَّما أنتَ داعٍ.

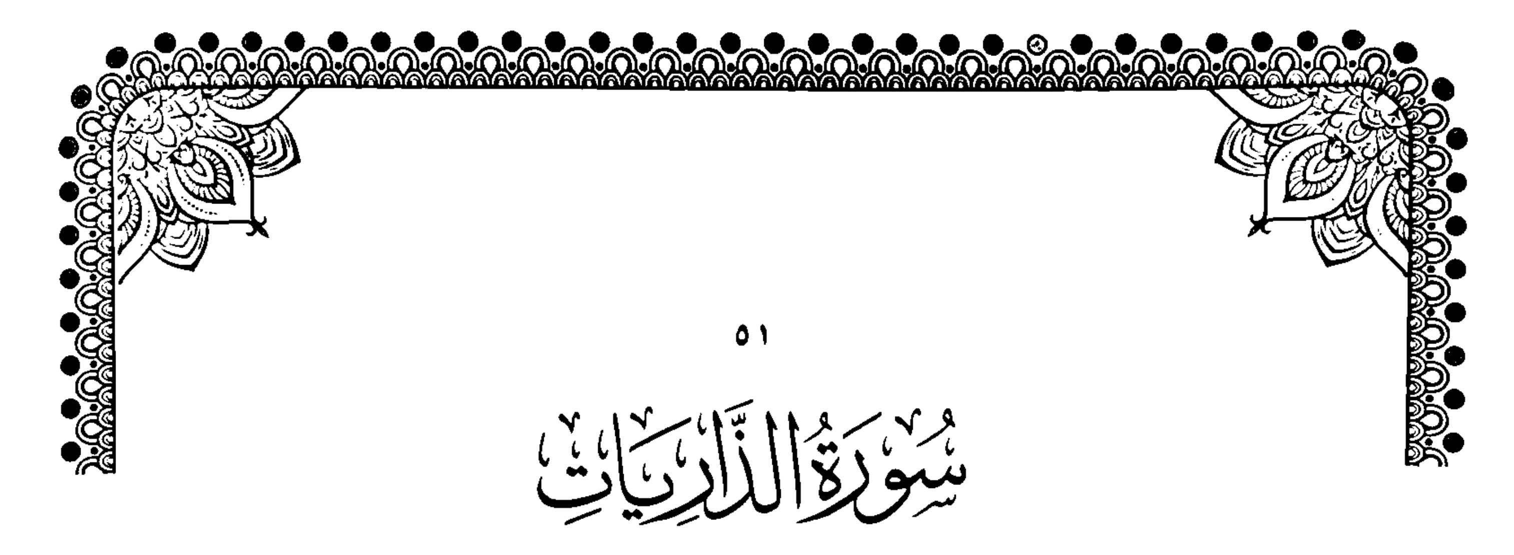
قولُهُ: (بالجِهَادِ) كلٌّ من الخبرينِ لا يصلحُ للنَّسخِ.

قولُهُ: (وهُمُ المُؤمِنُونَ) لأنَّهم المنتفعونَ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «حجة القراءات» (ص: ٦٧٩).



٥١

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

مكية، ستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والذّارِياتِ﴾: الرياحِ تَذرو الترابَ وغيرَه ﴿ذَرْوًا﴾ مصدرٌ ـ ويُقال: تَذرِيه ذَرْيًا: تهُبُّ به ـ ٢ ـ ﴿فالحامِلاتِ﴾: السُّحبِ تحمل الماء ﴿وِقْرًا﴾: ثِقْلاً مفعولُ الحاملات، ٣ ـ ﴿فالجارِياتِ﴾: السُّفنِ تجري على وجه الماء ﴿يُسْرًا﴾: بسُهولة، مصدرٌ في موضع الحال، أي: مُيسَّرةً، ٤ ـ ﴿فالمُقَسِّماتِ أمرًا﴾: الملائكةِ تُقسِّم الأرزاق والأمطار وغيرها بين البِلاد والعِباد، ....

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

قولُهُ: (ذَرْيًا) لعلَّ فائدةَ ذكرِهِ أنَّ ﴿الذَّارياتِ﴾ تحتملُ الواويَّةَ واليائيَّةَ.

قولُهُ: (ثِقْلاً) كذِبْحٍ؛ بمعنى: مذبوحٍ.

قولُهُ: (بسُهُولَةٍ) أو سهلاً، صفةُ مصدرٍ محذوفٍ؛ أي: جرياً ذا يسرٍ.

قولُهُ: (المَلائِكَةُ) نقلَ الطِّيبيُّ[1] عن الزَّجَّاجِ: أنَّ المفسِّرينَ جميعاً يقولونَ بقولِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ. لما رُوِيَ أنّه قالَ وهو على المنبرِ: سلُونِي قبلَ أنْ لا تسألُونِي، ولنْ تسألُوا بعدِي مثلِي، فقال ابنُ الكوَّاء: ما الذَّارياتُ؟ فقال: الرِّياحُ، قال: فالحاملات؟ قال: السَّحابُ، قال: فالجاريات؟ قال: الفُلكُ، قال: فالمقسِّماتُ؟ قالَ: الملائكةُ[2] انتهى، ....

(١) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٥/ ٦) وكلام الطيبي مقتصر على العبارة الأولى، وأما من قوله: «لما روي أنه قال وهو على المنبر... إلخ» فهو من كلام الزمخشري في «الكشاف».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٣٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

٥ ـ ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ ـ ما: مصدرية ـ أي: إن وعدَهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾: لَوعدٌ صادق، ٦ ـ ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾: الجزاءَ بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

٧ ـ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾: جمع حَبِيكة كطريقة وطُرُق، أي: صاحبةِ الطُّرُق في الخِلقة كالطرق في الرمل، ٨ ـ ﴿إِنَّكُمْ﴾ ـ يا أهل مكّة ـ في شأن النبيِّ والقُرآنِ ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ قيل: شاعرٌ ساحر كاهن، شِعرٌ سِحر كِهانة، ٩ ـ ﴿يُؤْفَكُ﴾: يُصرَف ﴿عَنْهُ﴾: عن النبيّ والقرآن، أي: عن الإيمان به، ﴿مَنْ أُفِكَ﴾: صُرف عن الهِداية، في عِلم الله تعالى.

وقد جاءَ هكذا عن عُمَرَ مرفوعاً[١]، كما في «الدُّرِّ»[٢]، واللهُ أعلمُ.

قولُهُ: (﴿ما﴾ مَصْدَرِيَّةٌ) أو موصولةٌ.

قولُهُ: (لَوَعْدٌ صَادِقٌ) أي: ذو صِدقٍ، والجملةُ جوابٌ للقسمِ، كأنَّه استدلَّ باقتدارِهِ على هذه الأشياءِ العجيبةِ على اقتدارِهِ على البعثِ الموعودِ.

قولُهُ: (لا مَحَالَةَ) حاصِلٌ أو نازلٌ.

قولُهُ: (في الخِلقَةِ) أخرجَ أبو الشَّيخِ: عن ابنِ عبَّاسٍ قال: ذاتِ البهاءِ والجمالِ؛ لأنَّ بُنيانَها كالبردِ المسلسلِ[٣]، وأخرجَ عن الحسنِ قالَ: ذاتِ الخلقِ الحسنِ، مُحَبَّكةٍ بالنُّجومِ[٤]، وأخرجَ عن أبي صالحٍ قالَ: ذاتِ الخلقِ الشَّديدِ[٥]، كذا ذكرَهُ السُّيوطيُّ في «الهيئةِ السَّنيَّةِ»[٦].

قولُهُ: (والقُرآنِ) أو القيامةِ.

قوله: (والقُرآنِ) الواوُ؛ بمعنى: أو.

قولُهُ: (أي: عَنِ الإِيمَانِ) والأظهرُ: أو عن الإيمانِ.

قولُهُ: (فِي عِلمِ اللهِ) وقضائِهِ.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٢٩٩) وقال: وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ من وجه من الوجوه إلا من هذا الوجه، وإنما أتى من أبي بكر بن أبي سبرة فيما أحسب؛ لأن أبا بكر لين الحديث، وسعيد بن سلام لم يكن من أصحاب الحديث، وإنما ذكرت هذا الحديث إذ لم أحفظه عن رسول الله ﷺ إلا من هذا الوجه، فذكرته وبينت العلة فيه.

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ١٦٤).

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٤٥).

(٤) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٤٦).

(٥) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٤٤).

(٦) انظر: «الهيئة السَّنية في الهيئة السُّنِّية» (ص: ٤٧).

١٠ ـ ﴿قُتِلَ الخَرّاصُونَ﴾: لُعِن الكذّابون أصحاب القول المختلف، ١١ ـ ﴿الَّذِينَ هُم في غَمْرةٍ﴾: جهلٍ يغمرهم ﴿ساهُونَ﴾: غافلون عن أمر الآخرة، ١٢ ـ ﴿يَسألُونَ﴾ النبيَّ استهزاءً: ﴿أيّانَ يَومُ الدِّينِ﴾ أي: متى مَجيئُه؟ وجوابهم: يجيءُ ١٣ ـ ﴿يَومَ هُم علَى النّارِ يُفتَنُونَ﴾ أي: يُعذّبون فيها، ويقال لهم حين التعذيب: ١٤ ـ ﴿ذُوقُوا فِتنَتَكُم﴾: تعذيبَكم. ﴿هذا﴾ العذابُ ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تَستَعجِلُونَ﴾ في الدنيا استهزاءً.

١٥ ـ ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وعُيُونٍ﴾ تجري فيها ١٦ ـ ﴿آخِذِينَ﴾: حال من الضمير في خبر «إنّ» ﴿ما آتاهُم﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُم﴾ من الثواب. ﴿إنَّهُم كانُوا قَبلَ ذلِكَ﴾ أي: قبل دُخولهم الجنّةَ ﴿مُحسِنِينَ﴾ في الدنيا، ١٧ ـ ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيلِ ما يَهجَعُونَ﴾: ينامون ـ وما: زائدة. ويهجعون: خبر «كان». وقليلاً: ظرف ـ أي: ينامون في زمن يسير من الليل، ويصلّون أكثره، ١٨ ـ ﴿وبِالأسحارِ هُم يَستَغفِرُونَ﴾ يقولون: «اللّهمّ اغفِرْ لنا»،.........................

قولُهُ: (لُعِنَ) أصلُهُ الدُّعاءُ بالقتلِ، أُجرِيَ مجرى اللَّعنِ.

قولُهُ: (أَمرِ الآخِرَةِ) أو عمَّا أُمِروا به.

قولُهُ: (مَتَى) أصلُهُ: أيُّ آنٍ مجيئُهُ أو وقوعُهُ، على حذفِ مضافٍ، فلا يردُ أنَّ ظرفَ الزَّمانِ لا يقعُ خبراً إلَّا عن حدثٍ.

قولُهُ: (يَجِيءُ) أو يقعُ الجزاءُ.

قولُهُ: (تَعذِيبَكُم) وإحراقَكُم.

قولُهُ: (العَذَابُ) أي: هو.

قوله: (أَعطَاهُم) أي: قابلينَ لما أعطاهُم راضينَ به، ومعناهُ: أنَّ كلَّ ما آتاهُم ربُّهُم حسنٌ مرضيٌّ متلقًّى بالقبولِ.

قولُهُ: (فِي الدُّنيَا) استئنافٌ فيه معنى التَّعليلِ.

قولُهُ: (فِي زَمَنٍ يَسِيرٍ) أو يهجَعونَ هُجوعاً قليلاً، أو ﴿مَا﴾ مصدريَّةٌ أو موصولةٌ؛ أي: في قليلٍ من اللَّيلِ هجوعُهُم، أو ما يهجَعونَ فيه، ولا يجوزُ أن تكونَ نافيةً؛ لأنَّ ما بعدَ «ما» لا يعملُ فيما قَبلَها خلافاً للكوفيِّينَ، ويمكنُ أن يتَّسعَ في الظَّرفِ ما لا يتَّسعُ في غيرِهِ.

قولُهُ: (يَقُولُونَ) أي: أنَّهُم مع قلَّةِ هجُوعِهِم وكثرةِ عبادتِهِم إذا أسحروا أخَذوا في الاستغفارِ؛ كأنَّهُم أسلَفوا في ليلِهِم الجرائمَ، وهم إنَّما يستغفرونَ للتَّقصيرِ في العبادةِ الحاليَّةِ، أو للتَّفريطِ في الطَّاعةِ الماضيةِ.

١٩ - ﴿وفي أموالِهم حَقٌّ لِلسّائلِ والمَحرُومِ﴾: الذي لا يسأل لتعففه.

٢٠ - ٢١ - ﴿وفي الأرضِ﴾ من الجِبال والبِحار والأشجار والثِّمار والنبات وغيرها ﴿آياتٌ﴾: دلالاتٌ على قُدرة الله - تعالى - ووحدانيّته ﴿لِلمُوقِنِينَ، وفي أنفُسِكُم﴾ آياتٌ أيضًا من مبدأ خلقكم إلى مُنتهاه وما في تركيب خلقكم من العجائب. ﴿أفلا تُبصِرُونَ﴾ ذلك، فتستدلّون به على صانعه وقُدرته؟

٢٢ - ﴿وفي السَّماءِ رِزقُكُم﴾ أي: المطرُ المُسبَّب عنه النباتُ الذي هو رِزق ﴿وما تُوعَدُونَ﴾ من المآب والثواب والعِقاب، أي: مكتوب ذلك في السماء. ٢٣ - ﴿فوَرَبِّ السَّماءِ والأرضِ، إنَّهُ﴾ أي: ما تُوعدون ﴿لَحَقٌّ مِثلَما أنَّكُم تَنطِقُونَ﴾ - برفع «مثلُ» صفةً وما: زائدة، وبفتح اللام مُركّبةً مع «ما» - المعنى: مِثلُ نُطقكم في حقيقته، أي: معلوميّته عِندكم ضرورةَ صُدوره عنكم.

وقولُهُ: (﴿حَقٌّ﴾) أي: نصيبٌ يستوجِبونَهُ على أنفسِهِم تقرُّباً إلى اللهِ، وإشفاقاً على النَّاسِ.

قولُهُ: (لتَعَفُّفِهِ) الَّذي يُظَنُّ غنيًّا فيُحرَمُ الصَّدقةَ.

قولُهُ: (وغَيرِهَا) كالمعادنِ والحيواناتِ.

قولُهُ: (مِنَ العَجَائِبِ) إذ ما في العالَمِ شيءٌ إلّا وفي الإنسانِ له نظيرٌ يدلُّ دلالتَهُ، مع ما انفَردَ به من الهيئاتِ النَّافعةِ، والمناظرِ البهيَّةِ، والتَّركيباتِ العجيبةِ، والتَّمكُّنِ من الأفعالِ الغريبةِ، واستنباطِ الصَّنائعِ المختلفةِ، واستجماعِ الكمالاتِ المتنوِّعةِ، ولذا قيل للإنسانِ: إنَّه العالمُ الأكبرُ، وفي الحديثِ: «لا يسعُنِي أرضِي ولا سمائِي، ولكن يسعُنِي قلبُ عَبدِي المؤمنِ»[١].

قولُهُ: (ذَلِكَ) أي: تنظرُونَ نَظرَ من يعتبِرُ.

قولُهُ: (أي: المَطَرُ) أو سببُ رزقِكُم، بتقديرِ مضافٍ.

قولُهُ: (مَكتُوبٌ) لأنَّ الأعمالَ وثوابَها مكتوبةٌ مقدَّرةٌ في السَّماءِ؛ يعني: (اللَّوحِ المحفوظِ)، وقيل: ما توعَدونَ مِن الثَّوابِ؛ لأنَّ الجنَّةَ فوقَ السَّماءِ السَّابعةِ، فيكونُ المرادُ بالسَّماءِ جهةَ العلوِّ.

قولُهُ: (بِرَفعِ (مِثلُ)) كوفيٌّ غيرُ حفصٍ[٢].

قولُهُ: (مُرَكَّبَةٌ مَعَ «ما») يعني: أنَّه مبنيٌّ على الفتحِ لإضافتِهِ إلى غيرِ متمكِّنٍ، وهو «ما» إن كانَت بمعنى: شيءٍ، وليس بشيءٍ، وأنَّ بما في حيزها إن جُعِلَت زائدةً، ومحلُّه الرَّفعُ على أنَّه صفةٌ لـ﴿حَقٌّ﴾.

قولُهُ: (ضَرُورَةَ صُدُورِهِ) يعني: كما أنَّه لا شكَّ لكم في أنَّكُم تنطِقونَ يَنبغِي أن لا تشكُّوا في تحقُّقِ ذلك.

---

(١) قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٨٩٠): لم أر له أصلًا.

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

٢٤ ـ ﴿هَل أتاكَ﴾ ـ خِطابٌ للنبيّ ـ ﴿حَدِيثُ ضَيفِ إبراهِيمَ المُكرَمِينَ﴾ وهم ملائكة، اثنا عشَرَ أو عشَرةٌ أو ثلاثةٌ منهم جِبريلُ، ٢٥ ـ ﴿إذ﴾: ظرف لـ «حديثُ ضيف» ﴿دَخَلُوا علَيهِ، فقالُوا: سَلامًا﴾ أي: هذا اللفظَ. ﴿قالَ: سَلامٌ﴾ أي: هذا اللفظُ. ﴿قَومٌ مُنكَرُونَ﴾: لا نعرِفهم؟ قال ذلك في نفسه، وهو خبر مُبتدأ مُقدّر، أي: هؤلاء.

٢٦ ـ ﴿فراغَ﴾: مالَ ﴿إلَى أهلِهِ﴾ سِرًّا، ﴿فجاءَ بِعِجلٍ سَمِينٍ﴾ ـ وفي سورة هود: «بِعِجلٍ حَنِيذٍ» أي: مشويّ ـ ٢٧ ـ ﴿فقَرَّبَهُ إلَيهِم، قالَ: ألا تأكُلُونَ﴾. عرضَ عليهم الأكل فلم يُجيبوا، ٢٨ ـ ﴿فأوجَسَ﴾: أضمر في نفسه ﴿مِنهُم خِيفةً. قالُوا: لا تَخَفْ﴾، إنا رُسلُ ربّك. ﴿وبَشَّرُوهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾: ذي علم كثير، هو إسحاق كما ذُكر في «هود»، ....

قولُهُ: (مِنهُم جِبْرِيلُ) وميكائيلُ وإسرافيلُ، أو منهم على جميعِ الأقوالِ جبريلُ، وسمَّاهُم ضيفاً؛ لأنَّهم كانوا في صورةِ أضيافٍ، والضَّيفُ في الأصلِ مصدرٌ، ولذا يُطلَقُ للواحدِ والجمعِ.

قولُهُ: (لـ﴿حَدِيْثُ ضَيْفِ﴾) أو الضَّيْف، أو ﴿الْمُكْرَمِيْنَ﴾.

قولُهُ: (أي: هَذا اللَّفظَ) أي: مؤدَّاهُ، أو نُسلِّمُ عليكُم سلاماً.

قولُهُ: (أي: هَذا اللَّفظُ) أو عليكم، وقُرئا مرفوعَينَ ومنصوبَينَ، وحمزةُ والكسائيُّ: (قالَ سِلْمٌ)[1] بمعنى: سلامٌ.

قولُه: (أي: هَؤُلاءِ) بل أنتُم.

قولُهُ: (سِرًّا) أي: فذهبَ إليهم للمبادرةِ إلى القِرى في خفيةٍ من ضيفِهِ حذراً من أن يمنعَهُ أو يعتذرَ أو ينتظرَ.

قولُهُ: (أي: مَشوِيٍّ) لأنَّهُ كانَ عامَّةُ مالِهِ البقرَ.

قولُهُ: (عَرَضَ) الهمزةُ فيهِ للعَرْضِ والحثِّ على الأكلِ على طريقةِ الأدبِ إن قالَه أوَّلَ ما وضعَهُ، وللإنكارِ إن قالَهُ حيثُما رأى إعراضَهُم.

قولُهُ: (أَضمَرَ) لمَّا رأى إعراضَهُم عن طعامِهِ ظنًّا أنَّهم جاؤوا بِشرٍّ.

قولُهُ: (ذِي عِلْمٍ كَثِيرٍ) يكملُ علمُهُ إذا بلغَ.

قولُهُ: (كَمَا في «هودٍ») ولما بعدَهُ من قولِهِ: ﴿امْرَأَتُهُ﴾، وقالَ مجاهدٌ: هو إسماعيلُ، أخرجَهُ ابنُ أبي حاتمٍ[2]، وقالَ الكرمانيُّ بعدَ حكايتِهِ[3]: أجمعَ المفسِّرونَ على أنَّه إسحاقُ، كذا في «المبهماتِ»[4].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٢٥)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٢٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٦٦٠).

(٣) انظر: «غرائب التفسير وعجائب التأويل» (٢/ ١١٤٣).

(٤) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٠٣).

٢٩ ـ ﴿فأقبلَتِ امرأتُهُ﴾ سارةُ ﴿في صَرّةٍ﴾: صيحةٍ، حالٌ أي: جاءت صائحةً، ﴿فصَكَّتْ وَجهَها﴾: لَطمتْه، ﴿وقالَتْ: عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾: لم تلدْ قطُّ. وعُمرها تسع وتسعون سنةً وعُمر إبراهيم مِائَةُ سنةٍ، أو عُمره مِائَةٌ وعشرون سنةً وعُمرها تِسعون سنةً. ٣٠ ـ ﴿قالُوا: كَذلِكِ﴾: مِثلَ قولنا في البِشارة ﴿قالَ رَبُّكِ. إنَّهُ هُوَ الحَكِيمُ﴾ في صُنعه ﴿العَلِيمُ﴾ بخلقه.

٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿قالَ: فما خَطبُكُم﴾ أي: شأنكم، ﴿أيُّها المُرسَلُونَ؟ قالُوا: إنّا أُرسِلْنا إلَى قَومٍ مُجرِمِينَ﴾: كافرين هم قوم لوط، ٣٣ ـ ﴿لِنُرسِلَ علَيهِم حِجارةً مِن طِينٍ﴾ يُطبَخُ بالنار ٣٤ ـ ﴿مُسَوَّمةً﴾: مُعْلَمة عليها اسمُ مَن يُرمى بها، ﴿عِندَ رَبِّكَ﴾: ظرف لها، ﴿لِلمُسرِفِينَ﴾ بإتيانهم الذُّكورَ مع كُفرهم.

٣٥ ـ ﴿فأخرَجْنا مَن كانَ فِيها﴾ أي: قُرى قومِ لُوط ﴿مِنَ المُؤمِنِينَ﴾ لِإهلاك الكافرين، ٣٦ ـ ﴿فما وَجَدْنا فِيها غَيرَ بَيتٍ مِنَ المُسلِمِينَ﴾ ـ وهم لُوط وابنتاه ـ وُصفوا بالإيمان والإسلام،.............

قولُهُ: (سَارَةُ) في بيتِها، وكانَتْ في زاويةٍ تنظرُ إليهم.

قولُهُ: (صَيحَةٍ) من الصَّريرِ.

قولُهُ: (أي: جَاءَتْ) وقيل: شرعَتْ وأخذَتْ.

قولُهُ: (لَطَمَتْهُ) بأطرافِ الأصابعِ، جبهَتَها؛ فعلَ المُتَعجِّبِ.

قولُهُ: (لَمْ تَلِدْ) أي: أنا عجوزٌ عاقِرٌ فكيفَ ألدُ؟!

قولُهُ: (مِثلَ قَولِنَا) الأظهرُ: مثلَ ذلك الَّذي بشَّرْناهُ به (﴿قالَ ربُّكَ﴾) وإنَّما نخبرُكَ به عنهُ.

قولُهُ: (في صُنعِهِ) فيكونُ قولُه حقًّا وفعلُهُ محكماً.

قولُهُ: (شَأْنُكُم) لعلَّ المرادَ بعد هذا[1].

قولُهُ: (يُطبَخُ) يريدُ السِّجِّيلَ؛ فإنَّهُ طينٌ متحجِّرٌ[2].

قولُهُ: (مُعْلَمَةً) من السُّومةِ؛ وهي العلامةُ، أو مُرسلَةً من: أُسيمَتِ الماشيةُ.

قولُهُ: (مَعَ كُفرِهِم) أي: المجاوزينَ الحدَّ.

قولُهُ: (أي: قُرَى) وإضمارُها وإن لم يجرِ ذكرُها، لكونِها معلومَةً.

قولُهُ: (وهُم) أي: غيرَ أهلِ بيتٍ؛ وهم لوطٌ وابنَتاهُ، قالَهُ مجاهدٌ، وقال قتادةُ: وأهلُ بيتِهِ، وقالَ سعيدُ بنُ جبيرٍ:

---

(١) ربما المراد: أنهم مرسلون.

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٤٩).

أي: هم مُصدّقون بقُلوبهم عاملون بجوارحهم الطاعاتِ، ٣٧ ـ ﴿وتَرَكْنا فِيها﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيةً﴾: علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخافُونَ العَذابَ الأَلِيمَ﴾، فلا يفعلون مِثل فِعلهم.

٣٨ ـ ﴿وفي مُوسَى﴾ ـ معطوفٌ على «فيها» ـ المعنى: وجعلنا في قِصّة مُوسَى آيةً، ﴿إذ أرسَلْناهُ إلَى فِرعَونَ﴾ مُلتبسًا ﴿بِسُلطانٍ مُبِينٍ﴾: بحُجّة واضحة، ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿فتَوَلَّى﴾: أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكنِهِ﴾: مع جُنوده لأنهم له كالركن، ﴿وقالَ﴾ لمُوسَى: هوَ ﴿ساحِرٌ أو مَجنُونٌ. فأخَذْناهُ وجُنُودَهُ، فنَبَذْناهُم﴾: طرحناهم ﴿في اليَمِّ﴾: البحر فغرقوا، ﴿وهُوَ﴾ أي: فِرعَون ﴿مُلِيمٌ﴾: آتٍ بما يُلام عليه من تكذيب الرُّسل ودعوى الرُّبوبيّة.

٤١ ـ ﴿وفي﴾ إهلاك ﴿عادٍ﴾ آيةٌ، ﴿إذ أرسَلْنا علَيهِمِ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾..........

كانوا ثلاثةَ عشرَ، أخرجَها ابنُ أبي حاتمٍ[1]، كذا في «المبهماتِ»[2].

قولُهُ: (بَعدَ إهلاكِ الكَافِرِينَ) في القُرى، أو في الفِعلةِ.

قولُهُ: (عَلامَةً) وهي تلكَ الأحجارُ، أو صخرٌ منضودٌ فيها، أو ماءٌ أسودُ منتنٌ.

قولُهُ: (فلا يَفعَلُونَ) فإنَّهُم المعتَبِرونَ المُنتَفِعونَ.

قولُهُ: (وَجَعَلْنَا) من بابِ:

عَلفْتُها تبناً وماءً بارداً[3]

أو عطفٌ على: ﴿في الأرضِ﴾.

قولُهُ: (بِحُجَّةٍ واضِحَةٍ) هي معجزاتُهُ كاليدِ والعَصا.

قولُهُ: (كَالرُّكْنِ) وهو ما يُتَقَوَّى به ويُركَنُ إليه.

قولُهُ: (لِمُوسَى) أي: لأجلِهِ وفي شأنِهِ (هُو) أو له مشافهةً؛ فيُقَدَّرُ: أنت؛ ليكونَ المقولُ جملةً، و(﴿أو﴾) للتَّنويعِ أو للتَّخييرِ، أو مرّةً ومرّةً مثلَ المتحيِّرِ.

قولُهُ: (ودَعْوَى الرُّبُوبِيَّةِ) والجملةُ حالٌ من الضَّميرِ في: ﴿أَخَذْنَاهُ﴾.

قولُهُ: (آيَةٌ) نصبٌ، ويحتملُ الرَّفعَ.

---

(١) أثر مجاهد رواه في (١٨٦٦٢)، وأثر ابن جبير رواه في (١٨٦٦٣).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٠٣).

(٣) قال العيني: «المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية» (٣/ ١٠٨١): هذا رجز مشهور بين القوم، ولم أر أحدًا عزاه إلى راجزه. وفي «تفسير الثعلبي» (٣/ ٧٠): وأنشد الفرّاء لرجل من عبد القيس.

ـ هي التي لا خير فيها لأنها لا تحمل المطر ولا تُلقح الشجر، وهي الدَّبور ـ ٤٢ ـ ﴿ما تَذَرُ مِن شَيءٍ﴾ نفس أو مال، ﴿أَتَتْ عليهِ، إلاّ جَعَلَتْهُ كالرَّمِيمِ﴾: كالبالي المُتفتِّت.

٤٣ ـ ﴿وفي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آيةٌ، ﴿إذ قِيلَ لَهُم﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ﴾: إلى انقضاء آجالكم كما في آيةِ «تَمَتَّعُوا في دارِكُم ثَلاثَةَ أَيامٍ». ٤٤ ـ ﴿فعَتَوا﴾: تكبّروا ﴿عَن أمرِ رَبِّهِم﴾ أي: عن الله وامتثال أمره، ﴿فأَخَذَتْهُمُ الصّاعِقَةُ﴾ بعد مُضيّ الثلاثة أيامٍ، أي: الصيحةُ المُهلِكة، ﴿وهُم يَنظُرُونَ﴾ أي: بالنهار، ٤٥ ـ ﴿فما استَطاعُوا مِن قِيامٍ﴾: ما قدروا على النهوض حِين نُزول العذاب، ﴿وما كانُوا مُنتَصِرِينَ﴾ على مَن أهلكهم، ٤٦ ـ ﴿وقَومِ نُوحٍ﴾ ـ بالجرّ عطفٌ على «ثمودَ» أي: وفي إهلاكهم بماء السماء والأرض آيةٌ، وبالنصب أي: وأهلكْنا قومَ نوح ـ ﴿مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ إهلاك هؤلاء المذكورين. ﴿إنَّهُم كانُوا قَومًا فاسِقِينَ﴾.

قولُهُ: (هِيَ الَّتِي) أي: سمَّاها عقيماً؛ لأنَّها لم تتضمَّنْ منفعةً، أو لأنَّها أهلكَتْهُم وقطعَتْ دابرَهُم.

قولُهُ: (الدَّبُورُ) أو الجنوبُ، أو النَّكباءُ[1] وهي بين الرِّيحَينِ.

قولُهُ: (﴿أَتَتْ﴾) أي: مَرَّتْ مما أُمِرَت به.

قولُهُ: (كَالبَالِي) أو كالرَّمادِ.

قولُهُ: (الصَّيحَةُ المُهْلِكَةُ) هذا يلائمُ قراءةَ الكسائيِّ: (الْصَّعْقَةُ)[2]، إذ هي المرَّةُ من الصَّعقِ، وهي الصَّيحةُ، وأمَّا الصَّاعقةُ: فهي نارٌ نازلةٌ من السَّماءِ على ما في «الكشَّافِ»[3]، ويؤيِّدُه قولُه: (﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾) إليها، فإنَّها جاءَتْهُم معاينةً بالنَّهارِ.

قولُهُ: (عَلى النُّهُوضِ) كقولِهِ تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٨].

قولُهُ: (عَلى مَنْ أَهْلَكَهُم) الظَّاهرُ: ما كانوا ممتنعينَ منه.

قولُهُ: (بالجَرِّ) بصريٌّ وحمزةُ والكسائيُّ[4].

قولُهُ: (أي: وأَهْلَكْنَا) لأنَّ ما قبلَهُ[5] يدلُّ عليهِ، أو اذكُرْ، أو عطفٌ على محلِّ: ﴿فِي عَادٍ﴾ ويؤيِّدُه قراءةُ الجرِّ[6].

---

(١) النكباء: ريح انحرفت ووقعت بين ريحين أو بين الصبا والشمال. «القاموس المحيط» (ص: ١٣٩).

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٠٤).

(٤) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

(٥) وهو الهاء والميم في قوله: ﴿فأخذتهم﴾.

(٦) وهي قراءة البصري وحمزة والكسائي، انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٠).

٤٧ ـ ﴿والسَّماءَ بَنَيناها بِأيدٍ﴾: بقُوّة، ﴿وإنّا لَمُوسِعُونَ﴾: قادرون ـ يقال: آدَ الرجلُ يَئيدُ: قَوِيَ. وأوسَعَ الرجلُ: صار ذا سَعة وقُوّة ـ ٤٨ ـ ﴿والأرضَ فَرَشْناها﴾: مهّدناها. ﴿فنِعمَ الماهِدُونَ﴾ نحن! ٤٩ ـ ﴿ومِن كُلِّ شَيءٍ﴾: متعلّق بقوله: ﴿خَلَقْنا زَوجَينِ﴾: صِنفينِ كالذّكر والأُنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة، ﴿لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾ ـ بحذف إحدى التاءين من الأصل ـ فتعلمون أنّ خالق الأزواج فرد فتعبدونه. ٥٠ ـ ﴿ففِرُّوا إلَى اللهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عِقابه بأن تُطيعوه ولا تَعصُوه ـ ﴿إنّي لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار ـ ٥١ ـ ﴿ولا تَجعَلُوا مَعَ اللهِ إلـٰهًا آخَرَ. إنِّي لَكُم مِنهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. يُقدَّر قبلَ «ففرّوا»: قلْ لهم.

٥٢ ـ ﴿كَذلِكَ، ما أتَى الَّذِينَ مِن قَبلِهِم مِن رَسُولٍ إلاّ قالُوا﴾: هو ﴿ساحِرٌ أو مَجنُونٌ﴾..........

قولُهُ: (قَادِرُونَ) من الوُسعِ؛ بمعنى: الطَّاقةِ، والموسعُ القادرُ على الإنفاقِ، أو ﴿لموسعُونَ﴾ السَّماءَ، أو ما بينَها وبينَ الأرضِ أو الرِّزقَ.

قولُهُ: (قَوِيَ) ومنه التَّأييدُ، وفي «القاموسِ»[1]: آدَ يئيدُ أيداً: اشتدَّ، والآدُ: الصُّلبُ، والقوَّةُ، كالأيدِ.

قولُهُ: (مَهَّدْنَاهَا) لتستقرُّوا عليها.

قولُهُ: (صِنْفَيْنِ) أو نوعينِ.

قولُهُ: (مِنَ الأَصلِ) للكوفيِّ غيرَ شعبةَ، والباقونَ بالتَّشديدِ[2].

قولُهُ: (فَرْدٌ) إذ التَّعدُّدُ مِن خواصِّ الممكناتِ، والواجبُ بالذَّاتِ لا يقبلُ التَّعدُّدَ والانقسامَ.

قولُهُ: (مِنْ عِقَابِهِ) أو ففِرُّوا إلى اللهِ ممَّا سواهُ.

قولُهُ: (بَيِّنُ الإِنذَارِ) من عذابِهِ المُعَدِّ لمن أشرَكَ أو عَصى، أو ﴿مبينٌ﴾ ما يجبُ أن يحذرَ منه، وكرَّرَ قولَه: ﴿إنِّي لَكُم نَذِيرٌ﴾ للتَّأكيدِ، أو الأوَّلُ مرتَّبٌ على تركِ الإيمانِ والطَّاعةِ، والثَّاني على الإشراكِ، وأُفرِد؛ لأنَّهُ أعظمُ ما يجبُ أن يُفرَّ بسببِهِ.

قولُهُ: (يُقَدَّرُ) لا حاجةَ إلى التَّقديرِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٦٦).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٠٨).

أي: مِثلُ تكذيبهم لك بقولهم: «إنك ساحرٌ أو مجنون» تكذيبُ الأُمم قبلهم لرُسلهم بقولهم ذلك.
٥٣ ـ ﴿أتَواصَوا﴾ كُلّهم ﴿بِهِ﴾؟ استفهام بمعنى النفي، ﴿بَل هُم قَومٌ طاغُونَ﴾، جمَعَهم على هذا القول طغيانُهم. ٥٤ ـ ﴿فتَوَلَّ﴾: أعرِض ﴿عَنهُم ـ فما أنتَ بِمَلُومٍ﴾ لأنك بلّغتَهم الرسالةَ ـ ٥٥ ـ ﴿وذَكِّرْ﴾: عِظْ بالقرآن. ﴿فإنَّ الذِّكرَى تَنفَعُ المُؤمِنِينَ﴾: مَن عَلِمَ اللهُ ـ تعالى ـ أنه يُؤمن.

٥٦ ـ ﴿وما خَلَقتُ الجِنَّ والإنسَ إلاّ لِيَعبُدُونِ﴾ ـ ولا يُنافي ذلك عدمَ عِبادة الكافرين لأن الغاية لا يلزم وجودُها كما في قولك: بَريتُ هذا القلمَ لأكتب به. فإنك قد لا تكتب به ـ.........

قولُهُ: (مِثلُ تَكذِيبِهِم) بالرَّفعِ.

قولُهُ: (بِقَولِهِم) أي: تسميتِهم إيَّاكَ ساحراً أو مجنوناً؛ أي: كذلك الأمرُ، وقولُهُ: (﴿مَا أَتَى﴾) كالتَّفسيرِ له، ولا يجوزُ نصبُهُ بـ﴿أَتَى﴾؛ لأنَّ ما بعدَها لا يعملُ في ما قَبلَها.

قولُهُ: (كلُّهُم) كأنَّ الأوَّلينَ والآخرينَ منهم أوصى بعضُهُم بعضاً بهذا القولِ حتَّى قالوهُ جميعاً.

قولُهُ: (بِمَعنَى النَّفيِ) لتباعُدِ أيَّامِهِم.

قولُهُ: (طُغيَانُهُمْ) الحامِلُ عليه.

قولُهُ: (أَعْرِضْ) عن مجادلَتِهِم بعدَ ما كرَّرتَ عليهم الدَّعوةَ فأبَوا إلَّا الإصرارَ والعنادَ.

قولُهُ: (بَلَّغْتَهُم) فلا عتبَ عليكَ في الإعراضِ.

قولُهُ: (وَعِظْ) أي: ولا تدعِ التَّذكيرَ والموعظةَ.

قولُهُ: (مَنْ عَلِمَ) أو مَن آمنَ، فإنَّها تزيدُهُ بصيرةً.

قولُهُ: (عِبَادَةِ الكَافِرِينَ) وفيه أنَّهُم يعبدونَهُ لكن بطريقٍ غيرِ مستقيمٍ، أو المرادُ بالعبادةِ: المعرفةُ كما فسَّرَهُ ابنُ عبَّاسٍ(1)، وكلُّهُم يعرفونَ اللهَ في الجملةِ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧] مع أنَّه لا يلزمُ مِن عدمِ معرفةِ البعضِ خلافُ مرادِهِ تعالى سيَّما إذا أُريْدَ بِهِما الجنسُ، وقيل: اللَّامُ فيهما للعهدِ فلا ينافي قولَهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، وقيل: معناهُ لنأمرَهُم بالعبادةِ، أو ليَكونوا عباداً لي.

قولُهُ: (فَإنَّكَ قَد لا تَكتُبُ) هذا بالنِّسبةِ إلينا مسلَّمٌ، وأمَّا بالنِّسبةِ إليه تعالى فممنوعٌ.

---

(١) لم أقف عليه عن ابن عباس، وذكره مع نسبته لمجاهد الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٤/ ٥٦٦)، والبغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٢٨٨).

٥٧ ـ ﴿ما أُرِيدُ مِنهُم مِن رِزقٍ﴾ لي ولأنفُسهم وغيرِهم، ﴿وما أُرِيدُ أن يُطعِمُونِ﴾ ولا أنفُسَهم ولا غيرَهم. ٥٨ ـ ﴿إنَّ اللهَ هُوَ الرَّزّاقُ ذُو القُوّةِ المَتِينُ﴾: الشديدُ.

٥٩ ـ ﴿فإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفُسَهم بالكُفر من أهل مكّة وغيرهم ﴿ذَنُوبًا﴾: نصيبًا من العذاب ﴿مِثلَ ذَنُوبِ﴾: نصيبِ ﴿أصحابِهِم﴾ الهالكين قبلهم. ﴿فلا يَستَعجِلُونِ﴾ بالعذاب، إن أخّرتُهم إلى يوم القيامة. ٦٠ ـ ﴿فوَيلٌ﴾: شِدّةُ عذابٍ ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾: في ﴿يَومِهِم الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ أي: يومِ القيامة.

قولُهُ: (ولا غَيرَهُم) وقيل: يُقَدَّرُ: قل، فيكونُ بمعنى قولِه: ﴿قُل لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الأنعام: ٩٠].

قولُهُ: (الشَّدِيدُ) القُوَّةِ.

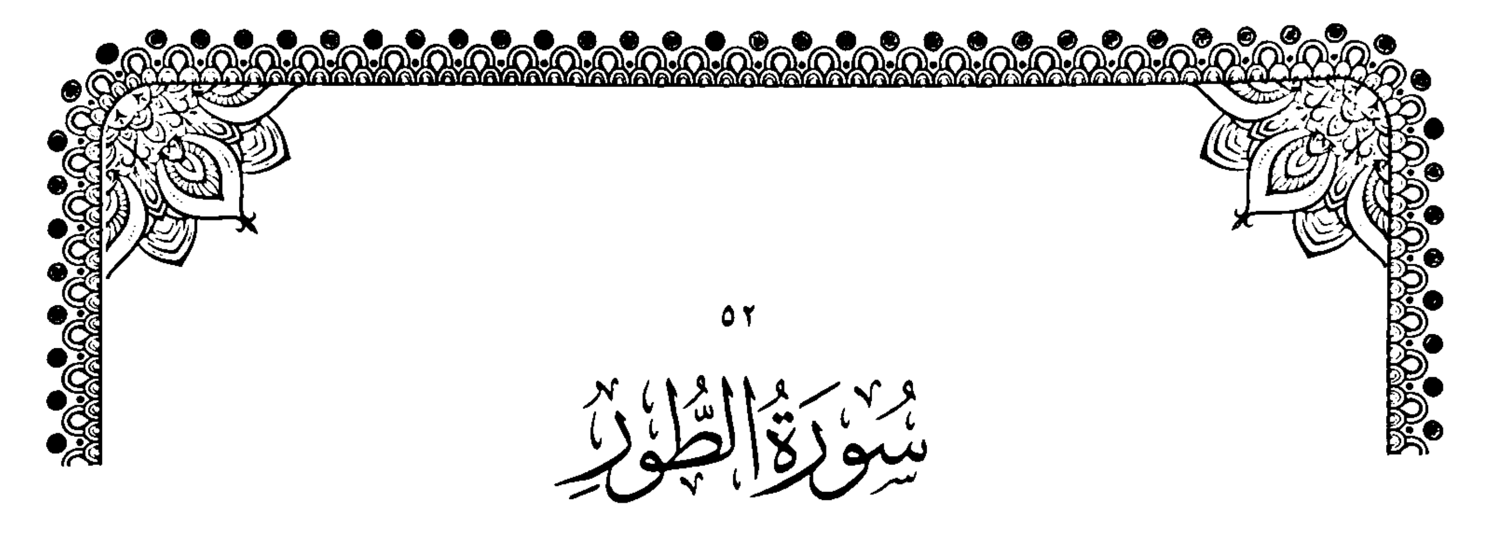
قولُهُ: (أَنفُسَهُم) أو رسولَ اللهِ بالتَّكذيبِ.

قولُهُ: (قَبلَهُم) من الأممِ السَّالفةِ.

قولُهُ: (إنْ أَخَّرْتُهُم) جوابٌ لقولِهِم: متى هذا الوَعدُ؟.

قولُهُ: (يَومِ القِيَامَةِ) أو يومِ بدرٍ، واللهُ أعلمُ.

* * *



٥٢

سورة الطور

مكية، تسعٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والطُّورِ﴾ أي: الجبل الذي كلّم الله عليه مُوسَى، ٢ ـ ٣ ـ ﴿وكِتابٍ مَسطُورٍ في رَقٍّ مَنشُورٍ﴾ أي: التوراةِ أو القُرآن، ٤ ـ ﴿والبَيتِ المَعمُورِ﴾ ـ هو في السماء الثالثة أو السادسة أو السابعة بحِيال الكعبة، يزوره كُلَّ يوم سبعون ألفَ ملَكٍ بالطواف والصلاة، لا يعودون إليه أبدًا ـ ....

سورة الطور

قولُهُ: (**الجَبَلِ**) أي: طورِ سينينَ، وهو جبلٌ بمدينَ.

قولُهُ: (**عَلَيهِ مُوسَى**) الأولى: موسى عليهِ السَّلامُ، أو ما طارَ مِنْ أوجِ الإيجادِ إلى حضيضِ الموادِّ، أو مِن عالمِ الغيبِ إلى عالمِ الشَّهادةِ[1].

قولُهُ: (**أوِ القُرآنِ**) الأولى: تقديمُ القرآنِ، أو ما كتبَهُ اللهُ في اللَّوحِ المحفوظِ، أو ما يكتبُهُ الحفظَةُ، والرَّقُّ: الجلدُ الَّذي يُكتَبُ فيه، استُعيرَ لما كتبَ فيه الكتابُ، وتنكيرُهُما للتَّعظيمِ، والمسطورُ: المكتوبُ، والسَّطرُ: ترتيبُ الحروفِ المكتوبةِ.

قولُهُ: (**الثَّالِثَةِ**) أو الرَّابعةِ، واقتصرَ عليه البيضاويُّ[2].

قولُهُ: (**أوِ السَّابِعَةِ**) اقتصرَ عليهِ البغويُّ[3]، أو المرادُ به: الكعبةُ وعمارَتُها بالحجَّاجِ والمجاورينَ، أو قلبُ المؤمنِ وعمارتُهُ بالمعرفةِ والإخلاصِ.

---

(١) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٥٢).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٤/ ٢٨٩).

٥ ـ ﴿والسَّقفِ المَرفُوعِ﴾ أي: السماء، ٦ ـ ﴿والبَحرِ المَسجُورِ﴾ أي: المملوء، ٧ ـ ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِعٌ﴾: لنازلٌ بمستحقّه ٨ ـ ﴿مالَهُ مِن دافِعٍ﴾ عنه ٩ ـ ﴿يَومَ﴾: معمول لـ «واقع» ﴿تَمُورُ السَّماءُ مَورًا﴾ تتحرّكُ وتدور، ١٠ ـ ﴿وتَسِيرُ الجِبالُ سَيرًا﴾ تصير هباء منثورًا. وذلك في يوم القيامة.

١١ ـ ﴿فوَيلٌ﴾: شِدّةُ عذاب ﴿يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾ الرسلَ، ١٢ ـ ﴿الَّذِينَ هُم في خَوضٍ﴾: باطل ﴿يَلعَبُونَ﴾ أي: يتشاغلون بكفرهم، ١٣ ـ ﴿يَومَ يُدَعُّونَ إلَى نارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾: يُدفعون بعُنف ـ بدلٌ من «تمور» ـ ويقال لهم تبكيتًا: ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ﴿هذِهِ النّارُ الَّتِي كُنتُم بِها تُكَذِّبُونَ. أفسِحرٌ هذا﴾ العذابُ الذي تَرَون كما كنتم تقولون في الوحي: «هذا سِحرٌ»؟ ﴿أم أنتُم لا تُبصِرُونَ؟ اصلَوها، فاصبِرُوا﴾ عليها ﴿أو لا تَصبِرُوا﴾. صبرُكم وجزَعُكم ﴿سَواءٌ عَلَيكُم﴾ لأنّ صبركم لا ينفعكم. ﴿إنَّما تُجزَونَ ما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في جَنّاتٍ ونَعِيمٍ، فاكِهِينَ﴾: مُتلذّذِينَ ﴿بِما﴾: مصدريّةٌ ﴿آتاهُم﴾: أعطاهم ﴿رَبُّهُم، ووَقاهُم رَبُّهُم عَذابَ الجَحِيمِ﴾ ـ عطفٌ على «آتاهم» ـ أي: بإيتائهم ووقايتهم، ويقال لهم: ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئًا﴾: حالٌ أي: مُتهنّئِين ﴿بِما﴾ ـ الباء: سببيّة ـ..............

قولُهُ: (أي: المَملُوءِ) وهو المحيطُ.

قولُهُ: (عَنهُ) أي: يدفعُهُ عنه.

قولُهُ: (تَتَحَرَّكُ) تموَّجُ، وقيل: تضطربُ، والمورُ: تردُّدٌ في المجيءِ والذَّهابِ.

قولُهُ: (تَصِيرُ) أي: تسيرُ عن وجهِ الأرضِ فتصيرُ هباءً.

قولُهُ: (شِدَّةُ عَذَابٍ) أي: إذا وقعَ ذلك فوَيلٌ لهم.

قولُهُ: (بَاطِلٍ) الأظهرُ: في الخوضِ في الباطِلِ.

قولُهُ: (العَذَابُ) أي: كنتُم تقولونَ للوحيِ: هذا سحرٌ أفهذا المصداقُ أيضاً سحرٌ؟ وتقديمُ الخبرِ؛ لأنَّهُ المقصودُ بالإنكارِ والتَّوبيخِ، وقولُهُ تعالى: (﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾) هذا أيضاً كما كنتُم لا تبصِرونَ في الدُّنيا ما يدلُّ عليهِ، وهو تقريعٌ وتهكُّمٌ.

قولُهُ: (صَبرُكُم وجَزَعُكُم) يعني: الأمرانِ الصَّبرُ وعدمُهُ سيَّان.

قولُهُ: (حَالٌ) أي[1]: أكلاً وشرباً هنيئًا، أو طعاماً وشراباً هنيئاً، وهو الَّذي لا تنغيصَ ولا تكديرَ فيه.

قولُهُ: (سببِيَّةٌ) أو بدلُهُ.

---

(١) في (م): «أو».

﴿كُنتُم تَعمَلُونَ، مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ من الضمير المُستكنّ في قوله «في جَنّات»، ﴿علَى سُرُرٍ مَصفُوفةٍ﴾: بعضُها إلى جنب بعض، ﴿وزَوَّجْناهُم﴾: عطفٌ على «في جَنّات» أي: قرنّاهم ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾: عِظامِ الأعيُن حِسانِها.

٢١ ـ ﴿والَّذِينَ آمَنُوا﴾: مبتدأٌ ﴿وأتبَعْناهُم﴾: معطوف على «آمنوا» ﴿ذُرِّيّاتِهِم﴾ الصغارَ والكبار ﴿بإيمانٍ﴾ من الكبار ومن الآباء في الصغار، والخبرُ: ﴿ألحَقْنا بِهِم ذُرِّيّاتِهِم﴾ المذكورين في الجنّة، فيكونون في درجتهم، وإن لم يعملوا بعملهم تكرمةً للآباء باجتماع الأولاد إليهم، ﴿وما ألَتْناهُم﴾، بفتح اللام وكسرها: نَقَصناهم ﴿مِن عَمَلِهِم مِن﴾: زائدةٌ ﴿شَيءٍ﴾ يُزاد في عمل الأولاد ـ ﴿كُلُّ امرِئٍ بِما كَسَبَ﴾ من عملٍ خير أو شرّ ﴿رَهِينٌ﴾: مرهون، يُؤاخذ بالشرّ ويُجازَى بالخير ـ ٢٢ ـ ﴿وأمدَدْناهُم﴾: زِدناهم في وقت بعد وقت، ﴿بِفاكِهةٍ ولَحمٍ مِمّا يَشتَهُونَ﴾، وإن لم يُصرّحوا بطلبه، ٢٣ ـ ﴿يَتَنازَعُونَ﴾: يتعاطَون بينهم ﴿فِيها﴾ أي: الجنّةِ ﴿كأسًا﴾: خمرًا، ﴿لا لَغوٌ فِيها﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿ولا تأثِيمٌ﴾ ....

قولُهُ: (بَعْضُهَا) أي: مصطفّةٌ وموصولةٌ.

قولُهُ: (عَطفٌ عَلى: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾) الأقربُ أن يكونَ معطوفاً على: ﴿آتاهُم﴾، أو حالٌ بتقديرِ: قد أو بدونِهِ، والأظهرُ أنّه استئنافٌ.

قولُهُ: (قَرَنَّاهُم) أي: الباءُ؛ لما في التَّزويجِ من معنى الوصلِ والإلصاقِ والقِرَانِ.

قولُهُ: (عِظَامِ الأَعيُنِ) والحورُ: بيضُ الألوانِ.

قولُهُ: (مَعْطُوفٌ) الأظهرُ أنّه اعتراضٌ؛ لتعليلِ الإلحاقِ.

قولُهُ: (المَذْكُورِينَ) بالتَّثنيةِ.

قولُهُ: (وكَسرِهَا) مكّيٌّ[1].

قولُهُ: (مَرْهُونٌ) عندَ اللهِ، فإن عملَ صالحاً فكّه، وإلّا أهلكَهُ.

قولُهُ: (بَينَهُم) ويتناوَلونَ، وقيل: يتجاذَبونَ، وقيل: يتعاطَونَ هم وجلساؤُهُم بتجاذُبٍ[2].

قولُهُ: (خَمْراً) سمّاها باسمِ محلِّها، ولذلك أنّثَ ضميرَ: ﴿فِيهَا﴾.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٥٤).

به يلحقهم، بخِلاف خمر الدنيا، ٢٤ ـ ﴿ويَطُوفُ علَيهِم﴾ للخِدمة ﴿غِلمانٌ﴾: أرقّاءُ ﴿لَهُم، كأنَّهُم﴾ حُسنًا ولطافة ﴿لُؤلُؤٌ مَكنُونٌ﴾: مصون في الصدف لأنه فيها أحسن منه في غيرها.

٢٥ ـ ﴿وأقبَلَ بَعضُهُم علَى بَعضٍ، يَتَساءَلُونَ﴾: يسأل بعضهم بعضًا عمّا كانوا عليه وما وصلوا إليه تلذّذًا واعترافًا بالنعمة. ٢٦ ـ ﴿قالُوا﴾ إيماءً إلى عِلّة الوصول: ﴿إنّا كُنّا قَبلُ في أهلِنا﴾ في الدنيا ﴿مُشفِقِينَ﴾: خائفين من عذاب الله، ٢٧ ـ ﴿فمَنَّ اللهُ علَينا﴾ بالمغفرة، ﴿ووَقانا عَذابَ السَّمُومِ﴾ أي: النارِ لدخولها في المسامّ. وقالوا إيماء أيضًا: ٢٨ ـ ﴿إنّا كُنّا مِن قَبلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدعُوهُ﴾ أي: نعبده مُوحّدين. ﴿إنَّهُ﴾ ـ بالكسر استئنافًا وإن كان تعليلاً معنًى، ....

قولُهُ: (يَلحَقُهُم) أي: لا يتكلّمونَ بلغوِ الحديثِ في أثناءِ شُربِها ولا يفعَلونَ ما يُؤثَمُ به فاعلُهُ؛ أي: يُنسَبُ إلى الإثمِ، كما هو عادةُ الشَّاربينَ في الدُّنيا.

قولُهُ: (للخِدمَةِ) أو بالكأسِ.

قولُهُ: (أَرِقَّاءُ) أي: مماليكُ مخصوصونَ بهم، وقيل: هم أولادُهُمُ الَّذين سبَقوهُم، وقيل: هم أولادُ الكفَّارِ خدمُ أهلِ الجنَّةِ، والأظهرُ أنَّ المرادَ الأوَّلُ، عن عبدِ اللهِ بنِ عَمرو: ما مِن أحدٍ من أهلِ الجنَّةِ إلَّا يسعى عليهِ ألفُ غلامٍ، كلُّ غلامٍ على عملٍ ما عليهِ صاحبُهُ[1].

قولُهُ: (مَصُونٌ في الصَّدفِ) من بياضِهِم وصفائِهِم، وعنهُ عليه السَّلامُ: «فضلُ المخدومِ على الخادمِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البَدرِ على سائرِ الكواكبِ»[2].

قولُهُ: (لأَنَّهُ فِيهَا) أنَّثَ ضميرَ «الصدف»؛ لأنَّه اسمُ جمعٍ لا يَعْقِلُ، فيجوزُ تذكيرُهُ وتأنيثُهُ.

قولُهُ: (عمَّا كَانُوا) من الأحوالِ والأعمالِ.

قولُهُ: (مِن عَذَابِ اللهِ) أو من عصيانِهِ.

قولُهُ: (بالمَغْفِرَةِ) والرَّحمةِ أو التَّوفيقِ.

قولُهُ: (لدُخُولِهَا) أي: عذابَ النَّارِ، النَّافذةِ في المسامِّ نفوذَ السُّمومِ.

قولُهُ: (أي: فِي الدُّنيَا) أي: من قبلِ ذلكَ.

قولُهُ: (نَعْبُدُهُ) أو نسألُهُ الوقايةَ.

---

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١٥٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٤١)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٢/ ١٧٥).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٠١٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦) عن قتادة مرسلًا.

وبالفتح تعليلاً لفظًا ـ ﴿هُو البَرُّ﴾: المُحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾: العظيم الرحمة.

٢٩ ـ ﴿فذَكِّرْ﴾: دُمْ على تذكير المُشركين ولا ترجِع عنه لقولهم لك: كاهنٌ مجنون. ﴿فما أنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾: بإنعامه عليك ﴿بِكاهِنٍ﴾: خبرُ «ما» ﴿ولا مَجنُونٍ﴾: معطوفٌ عليه. ٣٠ـ ﴿أم﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾: هو ﴿شاعِرٌ، نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيبَ المَنُونِ﴾: حوادثَ الدهر فيه، فيَهلِكُ كغيره من الشُّعراء؟ ٣١ـ ﴿قُلْ: تَرَبَّصُوا﴾ هَلاكي. ﴿فإنِّي مَعَكُم مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾ هَلاكَكم. فعُذِّبوا بالسيف يوم بدر. والتربّص: الانتظار.

٣٢ ـ ﴿أم تأمُرُهُم أحلامُهُم﴾: عُقولهم ﴿بِهذا﴾ أي: قولِهم له: شاعرٌ كاهن مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أم﴾: بل ﴿هُم قَومٌ طاغُونَ﴾ بعِنادهم. ٣٣ ـ ﴿أم يَقُولُونَ: تَقَوَّلَهُ﴾: اختلقَ القرآن؟ لم يَختلقْه، ﴿بَل لا يُؤمِنُونَ﴾ استكبارًا. فإن قالوا: اختلقَه ٣٤ ـ ﴿فلْيأتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مُختلَق ﴿مِثلِهِ، إن كانُوا صادِقِينَ﴾ في قولهم.

قولُهُ: (وبالفَتحِ) نافعٌ والكسائيُّ[1].

قولُهُ: (العَظِيمُ) أو الكثيرُ.

قولُهُ: (ولا تَرجِعْ عنه) أي: عن تذكيرِهم، ولا تكترِث بقولِهم.

قولُهُ: (حَوَادِثَ الدَّهرِ) ممَّا يُقلِقُ النُّفوسَ، وقيل: الموتَ.

قولُهُ: (بذَلِكَ) بهذا التَّناقضِ في القولِ، فإنَّ الكاهنَ يكونُ ذا فطنةٍ ودقَّةِ نظرٍ، والمجنونُ مغطًّى عقلُهُ، والشَّاعرُ يكون ذا كلامٍ موزونٍ مقفًّى مخيِّلٍ، ولا يتأتَّى ذلك من المجنونِ، وأمرُ الأحلامِ مجازٌ عن تأديتِها إليه.

قولُهُ: (بعِنَادِهِم) أي: مجاوِزونَ الحدَّ في العنادِ، وقُرِئَ: (بَلْ هُمْ)[2].

قولُهُ: (اختَلَقَ) من تلقاءِ نفسِهِ.

قولُهُ: (استِكْبَاراً) فيَرمونَ بهذه المطاعنَ لكفرِهم وعنادِهم واستكبارِهم عن قبولِ الحقِّ.

قولُهُ: (اختَلَقَهُ) وإنَّما خصَّ التَّقوُّلَ؛ لأنَّ سائرَ الأقسامِ ظاهرُ الفسادِ.

قولُهُ: (في قَولِهِم) وزعمِهم؛ إذ فيهم كثيرٌ من الفصحاءِ، أو من الكهَّانِ والشُّعراءِ، فهو ردٌّ للأقوالِ المذكورةِ بالتَّحدِّي، ولا خلافَ في أنَّ ما دونَ الآيةِ غيرُ معجزٍ، وكذا الآيةُ القصيرةُ، كذا قالَهُ الكمالُ[3]، والمرادُ بالطَّويلةِ: ما كانَ مقدارَ أقصرِ سورةٍ، قالَهُ الكافيجيُّ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨١).

(٢) وهي قراءة شاذة ونسبت لمجاهد، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٠).

(٣) لم أتبينه، وانظر: «أصول السرخسي» (١/ ٢٨٠).

٣٥ ـ ﴿أم خُلِقُوا مِن غَيرِ شَيءٍ﴾ أي: خالقٍ؟ ﴿أم هُمُ الخالِقُونَ﴾ أنفُسَهم، ولا يُعقل مخلوق بدون خالق، ولا معدومٌ يَخلق؟ فلا بُدّ لهم من خالق، هو الله الواحد. فلِمَ لا يُوحّدونه ويُؤمنون برسوله وكتابه؟ ٣٦ ـ ﴿أم خَلَقُوا السَّماواتِ والأرضَ﴾، ولا يقدر على خلقهما إلاّ الله الخالق؟ فلِمَ لا يعبدونه؟ ﴿بَل لا يُوقِنُونَ﴾ به. وإلاّ لآمنوا بنبيّه. ٣٧ ـ ﴿أم عِندَهُم خَزائنُ رَبِّكَ﴾ من النبوّة والرزق وغيرهما، فيخصّوا من شاؤوا بما شاؤوا؟ ﴿أم هُمُ المُسَيطِرُونَ﴾: المُتسلّطون الجبّارون؟ وفِعله: سَيطَرَ. ومثله: بَيطَرَ وبَيقَرَ.

٣٨ ـ ﴿أم لَهُم سُلَّمٌ﴾: مَرقًى إلى السماء، ﴿يَستَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه كلامَ الملائكة، حتّى يُمكنَهم مُنازعةُ النبيّ بزعمهم؟ إن ادَّعوا ذلك ﴿فلْيأتِ مُستَمِعُهُم﴾: مُدّعي الاستماع عليه ﴿بِسُلطَانٍ مُبِينٍ﴾: بحُجّة بيّنة واضحة. ولشَبَه هذا الزعم بزعمهم أنّ الملائكة بناتُ الله قال تعالى: ٣٩ ـ ﴿أم لَهُ البَناتُ﴾ أي: بزعمكم ﴿ولَكُمُ البَنُونَ﴾؟ تعالى الله عمّا زعموه!

٤٠ ـ ﴿أم تَسألُهُم أجرًا﴾ على ما جِئتَهم به من الدِّين، ﴿فهُم مِن مَغرَمٍ﴾: غُرمِ ذلك ﴿مُثقَلُونَ﴾ فلا يُسلِمُون؟ ٤١ ـ ﴿أم عِندَهُمُ الغَيبُ﴾ أي: عِلمُه، ﴿فهُم يَكتُبُونَ﴾..........

قولُهُ: (أي: خَالِقٍ) فلذا لا يعبدونَهُ، أو من أجلِ لا شيءَ من عبادةٍ ومجازاةٍ، ويؤيِّدُ الأوَّلَ ما بعدَهُ، و(﴿أم﴾) في هذهِ الآياتِ منقطعةٌ، ومعنى الهمزةِ فيها الإنكارُ فقط، أو معَ التَّوبيخِ.

قولُهُ: (لآمَنُوا بِنَبِيِّهِ) ولما أعرَضُوا عن عبادتِهِ.

قولُهُ: (مِنَ النُّبوَّةِ) الأظهرُ: خزائنُ رزقِهِ حتَّى يرزُقوا النُّبوَّةَ من شاؤُوا.

قولُهُ: (المُتَسَلِّطُونَ) الغالبونَ على الأشياءِ، يدبِّرونَها كيفَ شاؤوا.

قولُهُ: (مَرْقًى) أي: مُرتقًى.

قولُهُ: (كَلامَ المَلائِكَةِ) وما يوحى إليهم مِن علمِ الغيبِ حتَّى يعلموا ما هو كائنٌ.

قولُهُ: (وَاضِحَةٍ) تُصَدِّقُ استماعَهُ.

قولُهُ: (تَعَالى اللهُ) فيه تسفيهٌ لهم، وإشعارٌ بأنَّ من هذا رأيُهُ لا يُعَدُّ من العُقلاءِ، فضلاً أن يترقَّى بروحِهِ إلى عالمِ الملكوتِ فيتطَّلعَ على الغيوبِ.

قولُهُ: (عَلى مَا جِئتَهُم) أي: تبليغِهِ.

قولُهُ: (غُرمِ) أي: التزامِهِ، وقولُهُ: (﴿مُثقَلُونَ﴾) أي: مُحمَّلونَ الثِّقَلَ، فلذلك زهَدوا في اتِّباعِكَ.

قولُهُ: (أي: عِلمُهُ) أو اللَّوحُ المحفوظُ المثبتُ فيه المغيَّباتِ.

ذلك حتّى يُمكنَهم مُنازعةُ النبيّ في البعث وأمر الآخرة بزعمهم؟ ٤٢ ـ ﴿أم يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك ليُهلكوك في دار الندوة. ﴿فالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المَكِيدُونَ﴾: المغلوبون المُهلَكون. فحفظَه الله منهم ثمّ أهلكهم ببدر. ٤٣ ـ ﴿أم لَهُم إلـٰهٌ غَيرُ اللهِ؟ سُبحانَ اللهِ عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به من الآلهة! والاستفهام بـ «أم» في مواضعها للتقبيح والتوبيخ.

٤٤ ـ ﴿وإن يَرَوا كِسْفًا﴾: بعضًا ﴿مِنَ السَّماءِ ساقِطًا﴾ عليهم، كما قالوا: «فأسقِطْ علَينا كِسْفًا مِنَ السَّماءِ» أي: تعذيبًا لهم، ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحابٌ مَركُومٌ﴾: مُتراكب نَرتوِي به، ولا يُؤمنوا. ٤٥ ـ ﴿فذَرْهُم حَتَّى يُلاقُوا يومَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصعَقُونَ﴾: يَموتون، ٤٦ ـ ﴿يَومَ لا يُغنِي﴾: بدلٌ من «يومَهم» ﴿عَنهُم كَيدُهُم شَيئًا! ولا هُم يُنصَرُونَ﴾: يُمنعون من العذاب في الآخرة. ٤٧ ـ ﴿وإنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكُفرهم ﴿عَذابًا دُونَ ذلِكَ﴾ في الدنيا، قبل موتهم ـ فعُذّبوا بالجوع والقحط سبعَ سنين وبالقتل يوم بدر ـ ﴿ولكِنَّ أكثَرَهُم لا يَعلَمُونَ﴾ أنّ العذاب ينزل بهم.

٤٨ ـ ﴿واصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم ولا يضِقْ صدرك ـ ﴿فإنَّكَ بأعيُنِنا﴾: بمرأى منّا نراك ونحفظك ـ ﴿وسَبِّحْ﴾ مُلتبسًا ﴿بِحَمدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحانَ اللهِ وبحمده، ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك أو من مجلسك، ٤٩ ـ ﴿ومِنَ اللَّيلِ فسَبِّحْهُ﴾ حقيقةً أيضًا ﴿وإدبارَ النُّجُومِ﴾: مصدرٌ، أي: عَقِبَ غُروبها سبّحه أيضًا، أو صلِّ في الأوّل العِشاءين وفي الثاني الفجرَ، وقيل: الصُّبحَ.

قولُهُ: (ذَلِكَ) منهُ.

قولُهُ: (بِهِ) أي: شِرْكةِ ما يُشرِكونَ به، أو عن إشراكِهِمْ.

قولُهُ: (بَعْضاً) أي: قطعةً.

قولُهُ: (مُتَرَاكِبٌ) أي: متراكمٌ بعضها على بعضٍ.

قولُهُ: (يَمُوتُونَ) وقرأها شاميٌّ وعاصمٌ بضمِّ الياءِ[1] من صعقَهُ أو أصعقَهُ.

قولُهُ: (أي: فِي الدُّنيَا) أو في البرزخِ.

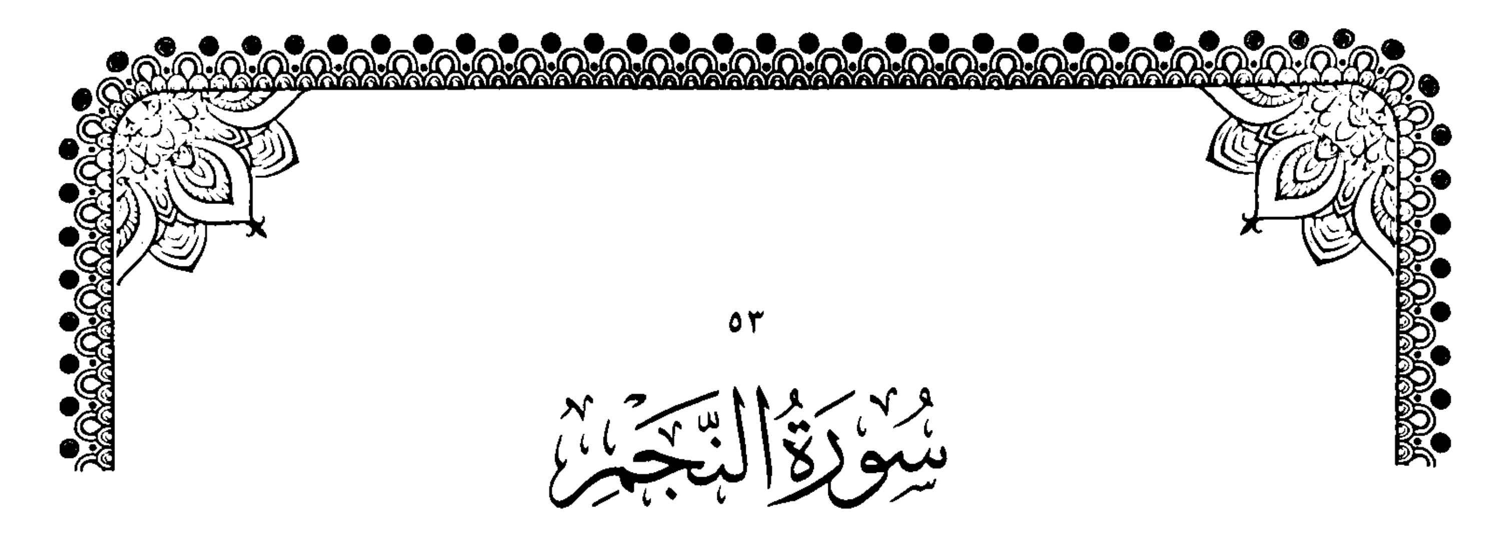
قولُهُ: (بِمَرْأًى) أي: في حِفظِنا بحيثُ نراكَ ونكلؤُك، وجمعُ العينِ لجمعِ الضَّميرِ، والمبالغةِ بكثرةِ أسبابِ الحفظِ.

قولُهُ: (مَجلِسِكَ) أي: في أيِّ مكانٍ قمْتَ.

قولُهُ: (حَقِيقَةً) أو مجازاً أُرِيْدَ به الصَّلاةُ، فإنَّ العبادةَ فيه أشقُّ على النَّفسِ، وأبعدُ عن الرِّياءِ، واللهُ أعلمُ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨١).



٥٣

سورة النجم

مكية، ثنتان وستون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والنَّجمِ﴾: الثُّرَيّا ﴿إذا هَوَى﴾: غابَ، ٢ ـ ﴿ما ضَلَّ صاحِبُكُم﴾ مُحمّد ـ عليه الصلاة والسلام ـ عن طريق الهِداية، ﴿وما غَوَى﴾: ما لابس الغَيَّ ـ وهو جهلٌ من اعتقاد فاسد ـ ٣ ـ ﴿وما يَنطِقُ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الهَوَى﴾: هوى نفسِه. ٤ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ وَحيٌ يُوحَى﴾ إليه، ٥ ـ ٦ ـ ﴿عَلَّمَهُ﴾ إيّاه ملَكٌ ﴿شَدِيدُ القُوَى، ذُو مِرّةٍ﴾: قُوّة وشِدّة أو منظر حسن، أي: جِبريلُ ـ عليه السلام ـ ﴿فاستَوَى﴾: استقرّ، ٧ ـ ﴿وهُوَ بِالأُفُقِ الأعلَى﴾ أُفق الشمس،.......................................

سورة النجم

قولُهُ: (الثُّرَيَّا) أو جنسِ النُّجومِ، وقيل: الزُّهرةُ.

قولُهُ: (غَابَ) أو طلعَ، أو القرآنُ إذا نُزِّلَ سُمِّيَ به لتفرُّقِهِ في النُّزولِ، أو للاهتداءِ به، أو النَّبيِّ ﷺ إذا ترقَّى أو تدلَّى.

قولُهُ: (مِنِ اعتِقَادٍ) الأخصرُ الأظهرُ: ما اعتُقِدَ باطلاً.

قولُهُ: (بِمَا يَأْتِيكُم بِهِ) أي: ما يصدرُ نطقُهُ بالقرآنِ.

قولُهُ: (مَا ﴿هوَ﴾) أي: القرآنُ، أو الَّذي ينطقُ به.

قولُهُ: (قُوَّةٍ) أي: إحكامٍ في عقلِهِ ورأيِهِ.

قولُهُ: (استَقَرَّ) واستَقامَ.

قولُهُ: (أُفُقِ الشَّمْسِ) أو أفقِ السَّماءِ.

أي: عِند مطلعها على صُورته التي خُلق عليها، فرآه النبيّ ﷺ وكان بحِراءٍ، قد سدَّ الأُفقَ إلى المغرب، فخرّ مَغشِيًّا عليه. وكان قد سأله أن يُريه نفسه على صُورته التي خُلق عليها، فواعده بحِراء، فنزل جِبريل ـ عليه السلام ـ له في صُورة الآدميّين.

٨ ـ ﴿ثُمَّ دَنا﴾: قرُبَ منه ﴿فتَدَلَّى﴾ زاد في القرب، ٩ ـ ﴿فكانَ﴾ منه ﴿قابَ﴾: قدرَ ﴿قوسَينِ أو أدنَى﴾ من ذلك، حتّى أفاق وسكن رُوعه، ١٠ ـ ﴿فأوحَى﴾ تعالى ﴿إلَى عَبدِهِ﴾ جِبريلَ ﴿ما أوحَى﴾ جِبريلُ إلى النبيّ ـ ولم يُذكر المُوحَى تفخيمًا لشأنه ـ ١١ ـ ﴿ما كَذَبَ﴾، بالتخفيف والتشديد: أنكرَ ﴿الفُؤادُ﴾ فُؤادُ النبيّ ﴿ما رَآهُ﴾ ببصره من صُورة جِبريل. ....

قولُهُ: (عَلى صُورَتِهِ) متعلِّقٌ بـ﴿اسْتَوَى﴾.

قولُهُ: (فَرَآهُ النَّبِيُّ) مرَّةً في السَّماءِ ومرَّةً في الأرضِ، وكانَ يحبُّ أن يراهُ، وقيل: ما رآهُ في صورتِهِ غيرُ محمَّدٍ من الأنبياءِ.

قولُهُ: (فَنَزَلَ) أي: بعدَ ما رآهُ.

قولُهُ: (في صُورَةِ الآدَمِيِّينَ) والغالبُ على صُورةِ دحيةَ.

قولُهُ: (قَرُبَ منهُ) أي: من النبيِّ.

قولُهُ: (مِنهُ) أي: مكانِ جبريلَ كقولكَ: هو منِّي معقدَ الإزارِ، أو المسافة بينهُما.

قولُهُ: (مِنْ ذَلِكَ) على تقديرِ «كم» كقولِهِ: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصافات: ١٤٧] والمقصودُ كمالُ الاتِّصالِ، وتحقيقُ استماعِهِ لما أوحَى إليه جبريلُ، أو أوحى جبريلُ إلى عبدِ اللهِ، والإضمارُ لكونِهِ معلوماً.

قولُهُ: (جِبْرِيلَ) أو اللهِ، وقيل: الضَّمائرُ كلُّها للهِ تعالى، ودنوُّهُ منه برفعِ مكانتِهِ، وتدلِّيهِ: جذبُه بكلِّيَّتِهِ إلى حضرتِهِ، قال الصَّادقُ[1]: انقطعَتِ الكيفيَّةُ عن الدُّنوِّ.

قولُهُ: (والتَّشدِيدِ) هشامٌ[2].

قولُهُ: (مِنْ صُورَةِ جِبريلَ) أي: ما قالَ فؤادُه لمَّا رآهُ: لم أعرفْكَ، ولو قالَ ذلك لكانَ كاذباً؛ لأنَّه عرفَهُ؛ يعني: أنَّه رآهُ بعينِهِ وعرفَهُ بقلبِهِ، ولم يشُكَّ في أنَّ ما رآهُ حقٌّ، وقيل: المرئيُّ: هو اللهُ سبحانَهُ رآهُ بعينِ رأسِهِ أو بقلبِهِ[3].

---

(١) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٢٨٤).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٠).

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٤٥١): هذه هي المرة الثانية التي رأى رسول الله ﷺ فيها جبريل على صورته التي خلقه الله عليها، وكانت ليلة الإسراء، وقد قدمنا الأحاديث الواردة في الإسراء بطرقها وألفاظها في أول سورة (سبحان) بما أغنى عن =

١٢ ـ ﴿أفتُمارُونَـهُ﴾: أتُجادلونـه وتغلِبونـه ﴿علَـى مـا يَـرَى﴾؟ خِطـاب للمُشـركين المُنكريـن رُؤيـةَ النبـيّ لِجبريـل. ١٣ ـ ١٤ ـ ﴿ولَقَـد رَآهُ﴾ علـى صُورتـه ﴿نَزْلَـةً﴾: مرّة ﴿أُخـرَى، عِندَ سِـدرةِ المُنتَهَى﴾ لمّـا أُسـريَ بـه فـي السـماوات، وهـي شـجرة نَبْقٍ عـن يميـن العـرش، لا يتجاوزهـا أحد مـن الملائكة وغيرهـم، ١٥ ـ ﴿عِندَهـا جَنّـةُ المـأْوَى﴾ تـأوي إليهـا الملائكـة أو أرواح الشـهداء أو المُتقـون، ١٦ ـ ﴿إذْ﴾ حيـنَ ﴿يَغشَـى السِّـدرةَ مـا يَغشَـى﴾ مـن طير وغيـره، وإذ: معمولـة لـ«رآه»، ١٧ ـ ﴿ما زاغَ البَصَـرُ﴾ مـن النبـيّ ﴿ومـا طَغَـى﴾ أي: مـا مال بصـره عن مَرئيّـه المقصـودِ له ولا جـاوزه تلـك الليلةَ. ١٨ ـ ﴿لَقَـد رأى﴾ فيهـا ﴿مِـن آيـاتِ رَبِّـهِ الكُبـرَى﴾ أي: العِظـام، أي: بعضَهـا، فـرأى مـن عجائـب الملكـوت رَفرفًـا أخضـرَ سـدّ أُفـق السـماء، وجِبريـلَ لـه سـتُّمِائَةِ جنـاحٍ.

١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿أفرَأَيتُمُ اللاّتَ والعُزَّى، ومَناةَ الثّالِثَةَ﴾ للتين قبلها ﴿الأُخرَى﴾: صِفةُ ذمّ للثالثة؟.....

قولُهُ: (تُجَادِلُونَهُ) تفسيرٌ لقراءةِ الجمهورِ[1].

قولُهُ: (وتَغلِبُونَهُ) أي: في الجدالِ، تفسيرُ قراءةِ حمزةَ والكسائيِّ: (أفتَمْرُونَهُ)[2] من ماريْتُه فمرِيْتُه.

قولُهُ: (لا يَتَجَاوَزُهَا) وينتهي إليها علمُ الخلائقِ.

قولُهُ: (أوِ المُتَّقُونَ) الظَّاهرُ: المتَّقينَ؛ أي: أرواحُهُم، أو المتَّقونَ في المآلِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) من الملائكةِ والأنوارِ.

قولُهُ: (ولا جَاوَزَهُ) أي: ما تجاوزَهُ، بل أثبتَهُ إثباتاً صحيحاً مستيقناً.

قولُهُ: (فِيهَا) أي: في تلك اللَّيلةِ.

قولُهُ: (أي: العِظَامِ) تفسيرٌ لـ﴿الكُبْرَى﴾.

قولُهُ: (أي: بَعضَهَا) فـ﴿مِنْ﴾ تبعيضيَّةٌ؛ أي: لقد رأى الكُبرى من آياتِهِ وعجائبِهِ الملكيَّةِ والملكوتيَّةِ.

قولُهُ: (رَفْرَفاً) أي: بُسُطاً أو فُرُشاً.

قولُهُ: (صِفَةُ ذَمٍّ) يعني: (﴿الأخرى﴾) من التَّأخُّرِ في الرُّتبةِ، أو الصِّفتانِ للتَّأكيدِ؛ كقولِهِ تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام: ٣٨].

= إعادته هاهنا، وتقدم أن ابن عباس رضي الله عنهما، كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية، وتابعه جماعة من السلف والخلف، وقد خالفه جماعات من الصحابة، رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم.

(١) أي: غير حمزة والكسائي من السبعة، انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٠).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٠).

وهي أصنام من حِجارة، كان المُشركون يعبدونها ويزعمون أنها تشفع لهم عند الله. ومفعول «أرأيت» الأوّلُ: اللاّتَ وما عُطف عليه، والثاني محذوف. والمعنى: أخبِروني ألهذه الأصنام قُدرةٌ على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ ولمّا زعموا أيضًا أنّ الملائكة بنات الله مع كراهتهم للبنات نزل: ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ ولَهُ الأُنثَى؟ تِلكَ إِذًا قِسْمةٌ ضِيزَى﴾: جائرةٌ من: ضازَه يَضِيزُه، إذا ضامَه وجارَ عليه. ٢٣ ـ ﴿إِن هِيَ﴾ أي: ما المذكورات ﴿إلاّ أسماءٌ، سَمَّيْتُمُوها﴾ أي: سمّيتم بها ﴿أنتُم وآباؤُكُم﴾ أصنامًا تعبدونها، ﴿ما أنزَلَ اللهُ بِها﴾ أي: بعِبادتها ﴿مِن سُلطانٍ﴾: حُجّةٍ وبُرهان. ﴿إنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ في عِبادتها ﴿إلاّ الظَّنَّ وما تَهوَى الأنفُسُ﴾ ممّا زيّنه لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله تعالى، ﴿ولَقَد جاءَهُم مِن رَبِّهِمِ الهُدَى﴾ على لسان النبيّ ﷺ بالبُرهان القاطع، فلم يرجِعوا عمّا هم عليه.

قولُهُ: (مِنْ حجارةٍ) إلَّا العُزَّى؛ فهي سمرةٌ لغطفانَ كانوا يعبُدونَها، فبعثَ إليها رسولُ اللهِ ﷺ خالداً فقطَّعَها[1].

قولُهُ: (والثَّاني مَحذُوْفٌ) أو ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ ولَهُ الأُنثى﴾ إنكاراً لقولِهِم: الملائكةُ بناتُ اللهِ، وهذه الأصنامُ استوطَنَها جِنِّيَّاتٌ هن بناتُهُ، أو الأصنامُ هياكلُ الملائكةِ[2].

قولُهُ: (ضَازَه[3]) أي: ظلمَهُ.

قولُهُ: (أي: مَا المَذْكُورَاتُ) أو الأصنامُ مطلقاً؛ يعني: ما هي باعتبارِ الألوهيَّةِ إلَّا أسماءٌ تطلِقونَها عليها؛ لأنَّكُم تقولونَ: إنَّها آلهةٌ، وليسَ فيها شيءٌ من معنى الألوهيَّةِ.

قولُهُ: (سَمَّيْتُم) بهواكُم.

قولُهُ: (بُرهَانٍ) تتعلَّقونَ به.

قولُهُ تعالى: (﴿إِلَّا الظَّنَّ﴾) إلَّا تَوَهُّمَ أنَّ ما هم عليه حقٌّ توهُّماً باطلاً أو تقليداً.

قولُهُ: (مِمَّا زَيَّنَهُ) أي: وما تشتهيهِ أنفسُهُم ممَّا زيَّنَهُ.

قولُهُ: (عَلى لِسَانِ النَّبيِّ) أو الكتابِ، أو الرَّسولِ، فتركوهُ.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٨٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩٠٢)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٤٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٧٧) عن أبي الطفيل رضي الله عنه.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٥٩).

(٣) في الأصول: «ضَامَه» ولم أقف عليها في المطبوع، ولعل ما أثبته الصواب.

٢٤ ـ ﴿أم لِلإنسانِ﴾ أي: لكُلّ إنسان منهم ﴿ما تَمَنَّى﴾ من أنّ الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. ٢٥ ـ ﴿فلله الآخِرةُ والأُولَى﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيهما إلاّ ما يريده. ٢٦ ـ ﴿وكَم مِن مَلَكٍ﴾ أي: وكثيرٌ من الملائكة ﴿في السَّماواتِ﴾ وما أكرَمَهُم عِند الله! ﴿لا تُغني شَفاعتُهُم شَيئًا، إلاّ مِن بَعدِ أن يأذَنَ اللهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَن يَشاءُ﴾ من عباده ﴿ويَرضَى﴾ عنه! كقوله: «ولا يَشفَعُونَ إلاّ لِمَن ارتَضَى». ومعلوم أنها لا تُوجد منهم إلاّ بعد الإذن فيها: «مَن ذا الَّذِي يَشفَعُ عِندَهُ إلاّ بِإذنِهِ»؟

٢٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ لا يُؤمِنُونَ بِالآخِرةِ لَيُسَمُّونَ المَلائكةَ تَسمِيةَ الأُنثَى﴾، حيث قالوا: «هم بناتُ الله»، ٢٨ ـ ﴿وما لَهُم بِهِ﴾: بهذا المقول ﴿مِن عِلمٍ. إنْ﴾: ما ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ فيه ﴿إلاّ الظَّنَّ﴾ الذي تَخيّلوه، ﴿وإنَّ الظَّنَّ لا يُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئًا﴾ أي: عن العِلم فيما المطلوبُ فيه العِلمُ!

٢٩ ـ ﴿فأعرِضْ عَمَّن تَوَلَّى عَن ذِكرِنا﴾ أي: القرآنِ، ﴿ولَم يُرِدْ إلاّ الحَياةَ الدُّنيا﴾ ـ وهذا قبل الأمر بالجِهاد. ٣٠ ـ ﴿ذلِكَ﴾: طلب الدنيا ﴿مَبلَغُهُم مِنَ العِلمِ﴾ أي: نِهاية عِلمهم أن آثروا الدنيا على الآخرة ـ.........................

قولُهُ: (لَيسَ الأَمرُ) يعني: (﴿أم﴾) منقطعةٌ، والهمزةُ فيها للإنكارِ.

قولُهُ: (مِنْ عِبَادِهِ) أن يشفعَ له، أو من الملائكةِ أن تشفَعَ.

قولُهُ: (عَنْهُ) أي: يراهُ أهلاً لذلك، فكيفَ تشفَعُ الأصنامُ لعبدَتِهِم.

قولُهُ: (بَنَاتُ اللهِ) أي: ليسمُّونَ كلَّ واحدٍ مِن الملائكةِ ﴿تسميةَ الأنثى﴾ بأن سمَّوهُ بنتاً.

قولُهُ: (عَنِ العِلمِ) فإنَّ الحقَّ الَّذي هو حقيقةُ الشَّيءِ لا يُدرَكُ إلَّا بالعلمِ.

قولُهُ: (فِيمَا المَطلُوبُ فِيهِ) أي: الظَّنُّ لا اعتبارَ له في المعارفِ الحقيقيَّةِ من الاعتقاديَّاتِ، وإنَّما العبرةُ به في العمليَّاتِ.

قولُهُ: (أي: القُرآنِ) فإنَّ مَن غفلَ عنِ اللهِ وأعرضَ عن ذكرِهِ وانهمَكَ في الدُّنيا بحيثُ كانَت منتهَى همَّتِهِ، ومبلغَ علمِهِ لا تزيدُهُ الدَّعوةُ إلَّا عناداً.

قولُهُ: (وَهَذا) إذا كانَ المرادُ إعراضَهُ عنِ القتالِ، وأمَّا إذا كانَ إعراضُهُ عنِ الدَّعوةِ بعدَ التَّبليغِ مراراً فلا نسخَ.

قولُهُ: (نِهَايَةُ عِلمِهِم) أي: لا يتجاوزُهُ ويقصرُ دونَهُ، وفيهِ إشارةٌ إلى أنَّ العلمَ لا نهايةَ له، ولذا قالَ تعالى لأعلمِ الخلقِ: ﴿وَقُل رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِمَنِ اهتَدَى﴾ أي: عالمٌ بهما فيُجازيهما، ٣١ ـ ﴿ولله ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضالّ والمُهتدي، يُضلّ من يشاء ويهدي من يشاء، ﴿لِيَجزِيَ الَّذِينَ أساؤوا بما عَمِلُوا﴾ من الشِّرك أو غيره، ﴿ويَجزِيَ الَّذِينَ أحسَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِالحُسنَى﴾ أي: الجنّةِ، وبيَّن المُحسنين بقوله: ٣٢ ـ ﴿الَّذِينَ يَجتَنِبُونَ كَبائرَ الإثمِ والفَواحِشَ إلاّ اللَّمَمَ﴾ هو صغار الذنوب كالنظرة والقُبلة واللمسة. فهو استثناء منقطع. والمعنى: لكنّ اللممَ يُغفر باجتناب الكبائر. ﴿إِنَّ رَبَّكَ واسِعُ المَغفِرةِ﴾ بذلك وبقبول التوبة.

قولُهُ: (أي: عَالِمٌ بِهِمَا) بل هو أعلمُ بهما منهُما ومِن غيرِهما، فلا وجهَ للعدولِ، وإن أرادَ الحصرَ فهو غيرُ ظاهرٍ، إلَّا أن يكونَ ادِّعائيًّا، وما الدَّاعي إليه، وتقدَّمَ الباعثُ على تأويلِ (أعلمُ) بعالمٍ في سورةِ الأنعامِ[1].

قولُهُ: (مِنَ الشِّرْكِ) أي: بعقابِ ما عمِلوا، أو بمثلِهِ، أو بسببِهِ، فهو علَّةٌ لما دلَّ عليهِ ما قبلَهُ؛ أي: قبلَ خلقِ العالمِ للجزاءِ.

قولُهُ: (أي: الجَنَّةِ) يعني: بالمثوبةِ الحُسنى، أو بما حسُنَ مِن أعمالِهم، أو بسببِ الأعمالِ الحُسنى.

قولُهُ تعالى: (﴿كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾) ما يَكبُرُ عقابُهُ مِن الذُّنوبِ، وهو ما رُتِّبَ عليه الوعيدُ بخصوصِهِ، (﴿والفواحشَ﴾) ما فحُشَ من الكبائرِ خصُوصاً.

قولُهُ: (باجتِنَابِ الكَبَائرِ) وعبارةُ البيضاويِّ[2]: فإنَّهُ مغفورٌ من مجتنِبِي الكبائرِ؛ أحسنُ، وتقدَّمَ تحقيقُ هذا المبحثِ في سورةِ النِّساءِ[3].

قولُهُ: (بذَلِكَ) أي: بغفرانِ الصَّغائرِ، أو المعنى: له أن يغفِرَ ما يشاءُ من الذُّنوبِ صغيرِها وكبيرِها، ولذا قالَ ﷺ: «إنْ تغفرِ اللَّهمَّ فاغفرْ جمًّا، وأيُّ عبدٍ لكَ لا ألمَّا»[4]، وقالَ لبعضِ أصحابِهِ: «قلِ: اللَّهمَّ مغفرتُكَ أوسعُ مِنْ ذنوبِي، ورحمتُكَ أرجى عندي مِنْ عملِي»[5] ويُنسَبُ إلى عليٍّ أنَّه قالَ[6]:

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٧].

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٠).

(٣) عند الآية رقم: (٣١).

(٤) رواه الترمذي (٣٢٨٤)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢٠٧٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٢٤) من حديث عبيد الله بن محمد بن جابر بن عبد الله، عن أبيه، عن جده رضي الله عنهما، وقال الحاكم: حديث رواته عن آخرهم مدنيون ممن لا يعرف واحد منهم بجرح.

(٦) انظر: «ديوانه» (ص: ١٢٧).

ونـزل فيمـن كان يقـول: «صلاتُنـا صيامُنا حجُّنـا»: ﴿هُوَ أعلَـمُ﴾ أي: عالـم ﴿بِكُم، إذ أنشَـأَكُم مِنَ الأرضِ﴾ أي: خلـق أباكـم من التـراب، ﴿وإذ أنتُم أجِنَّةٌ﴾: جمع جَنيـن ﴿في بُطُونِ أُمَّهاتِكُم. فلا تُزَكُّوا أنفُسَـكُم﴾: لا تمدحوهـا، أي: على سـبيل الإعجـاب. أمّا على سـبيل الاعتراف بالنِّعمة فحسـن. ﴿هُوَ أعلَـمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَـنِ اتَّقَى﴾.

٣٣ ـ ﴿أفرَأَيتَ الَّذِي تَوَلَّى﴾ عن الإيمان، أي: ارتدَّ لمّا عُيّر به، وقال: إنّي خَشيتُ عِقابَ الله. فضمِنَ له المُعيِّر أن يحمل عنه عذاب اللهِ، إن رجَع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرَجَعَ، ٣٤ ـ ﴿وأعطَى قَلِيلاً﴾ من المال المُسمَّى ﴿وأكدَى﴾: منع الباقيَ؟ مأخوذ من الكُدْية ـ وهي أرض صُلبة كالصخرة تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر ـ ٣٥ ـ ﴿أعِندَهُ عِلمُ الغَيبِ، فهُوَ يَرَى﴾ يعلم من جُملته أنّ غيره يتحمّل عنه عذاب الآخرة؟ لا. وهو الوليد بن المُغيرة أو غيرُه. وجُملة «أعنده»: المفعولُ الثاني لـ «أرأيتَ» بمعنى: أخبِرْني.

إلهـي لئِـنْ جلَّـتْ وجمَّـتْ خَطِيئَتِي فعَفـوكَ عـن ذَنبِـي أجـلُّ وأوسـعُ

قولُهُ: (أي: عَالِمٌ) قالَ القاضي[1]: أعلمُ بأحوالِكُم منكُم، وفي «المداركِ»[2]: فاكتَفوا بعلمِهِ عن علمِ النَّاسِ، وبجزائِهِ عن ثنائِهِم.

قولُهُ: (أي: لا تَمْدَحُوهَا) بزكاءِ العملِ، أو بالطَّهارةِ عن الرَّذائلِ.

قولُهُ: (عَالِمٌ) بل هو أعلمُ، فإنَّه يعلمُ التَّقيَّ وغيرَهُ منكُم قبلَ أن يخرجَكُم من صُلْبِ آدمَ.

قولُهُ: (عَنِ الإِيمَانِ) أي: عن الثَّباتِ عليه.

قولُهُ: (وقَالَ: إِنِّي) أي: لمَّا عيَّرَهُ بعضُ المشركينَ وقالَ: تركت دِينَ الأشياخِ وضلَّلتهُم فَقال[3].

قولُهُ: (وأَعطَاهُ) عَطفٌ على: (رجعَ) داخلٌ تحتَ الشَّرطِ.

قولُهُ: (الكُديَةِ) بالضمِّ.

قولُهُ: (وهُوَ الوَلِيدُ) عندَ الأكثرِ[4].

قولُهُ: (أو غَيرُهُ) وهو العاصي بنُ وائلٍ[5].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٠).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٣٩٥).

(٣) في «زاد المسير» (٤/ ١٩١): تركتَ دين الأشياخ وضلّلتَهم؟ قال: إنّي خشيتُ عذابَ الله.

(٤) وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ٦٥٩).

(٥) انظر المصدر السابق.

٣٦ ـ ﴿أم﴾: بل ﴿لَم يُنَبَّأْ بِما في صُحُفِ مُوسَى﴾: أسفارِ التوراة أو صُحفٍ قبلها ٣٧ ـ ﴿و﴾ صُحف ﴿إبراهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾: تمّمَ ما أُمِر به ـ نحو «وإذِ ابتَلَى إبراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فأتَمَّهُنَّ» ـ وبيانُ «ما»: ٣٨ ـ ﴿أنْ لا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرَى﴾ إلى آخره، وأنْ: مُخفّفة من الثقيلة، أي: أنّه لا تَحملُ نفسٌ ذنبَ غيرها، ٣٩ ـ ﴿وأنْ﴾ أي: أنّه ﴿لَيسَ لِلإنسانِ إلاّ ما سَعَى﴾ من خير، فليس له من سعيِ غيره الخيرِ شيء، ٤٠ ـ ﴿وأنَّ سَعيَهُ سَوفَ يُرَى﴾ أي: يُبصَرُ في الآخرة، ٤١ ـ ﴿ثُمَّ يُجزاهُ الجَزاءَ الأوفَى﴾: الأكملَ؟ يقال: جَزيتُه سعيَه وبسعيه.

٤٢ ـ ﴿وأنَّ﴾ ـ بالفتح عطفًا. وقُرِئ بالكسر استئنافًا. وكذا ما بعدها. فلا يكون مضمون الجُمل في الصُّحف على الثاني ـ ﴿إلَى رَبِّكَ المُنتَهَى﴾ المَرجِعَ والمصير بعد الموت فيجازيهم، ٤٣ ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ أضحَكَ﴾: من شاء أفرحه ﴿وأبكَى﴾: من شاء أحزنه، ٤٤ ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ أماتَ﴾ في الدنيا ﴿وأحيا﴾ للبعث، ٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿وأنَّهُ خَلَقَ الزَّوجَينِ﴾: الصِّنفين ﴿الذَّكَرَ والأُنثَى مِن نُطفَةٍ﴾: مَنِيٍّ، ﴿إذا تُمنَى﴾ تُصبُّ في الرحِم، ....

قولُهُ: (صُحُفِ) وتقديمُ موسى؛ لأنَّ صحفَهُ ـ وهي التَّوراةُ ـ كانَت أشهرَ وأكثرَ عندَهُم.

قولُهُ: (تَمَّمَ) أو أتمَّ ما التزمَهُ، أو بالغَ في الوفاءِ بما عهدَ اللهُ، وتخصيصُهُ بذلك لاحتمالِه ما لم يحتملْهُ غيرُهُ؛ كالصَّبرِ على نارِ نمروذَ وذبحِ الولدِ.

قولُهُ: (إلَى آخِرِهِ) في محلِّ الجرِّ بدلًا من: ﴿ما﴾، أو الرفعِ على هو.

قولُهُ: (شَيْءٌ) أي: أصالةً فلا ينافي سببيَّةَ الوزرِ والخيرِ، أو الأوَّلُ هو العدلُ والثَّاني هو الفضلُ.

قولُهُ: (سَعيَهُ) هذا غيرُ معروفٍ، ولذا قالَ القاضي[1]: نصبُ الجزاءِ بنزعِ الخافضِ.

قولُهُ: (عَلى الثَّانِي) مستدرَكٌ، ويمكنُ أن يكونَ في الصُّحفِ مع مضمونِ لفظِ ﴿أنَّ﴾، وهو الأحسنُ لتتوافَقَ القراءتانِ معنًى، أو يُقالُ: القراءةُ الشَّاذَّةُ لا تُقاوِمُ المتواترَ فدلالتُها غيرُ معتبَرةٍ.

قولُهُ: (المَرجِعَ) أو انتهاءَ فكرِ الخلائقِ ورجوعَهم.

قولُهُ: (للبَعثِ) أو ﴿وأحيا﴾ ابتداءً، وأُخِّرَ للفاصلةِ مع أنَّ الواوَ لا تقتَضِي التَّرتيبَ، وهذا الَّذي ظهرَ لي أوجَهُ؛ لئلَّا يتكرَّرَ مع قولِهِ: ﴿وَأَنَّ عَلَيهِ النَّشأَةَ الأُخرَى﴾.

قوله: (تُصَبُّ) أو تخلقُ، أو يقدَّرُ منها الولدُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦١).

٤٧ ـ ﴿وأنَّ علَيهِ النَّشاءةَ﴾ ـ بالمدّ والقصر ـ ﴿الأُخرَى﴾: الخَلقةَ الآخِرة للبعث بعد الخَلقة الأولى، ٤٨ ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ أغنَى﴾ الناسَ بالكفاية بالأموال ﴿وأقنَى﴾: أعطى المالَ المُتَّخذ قُنيةً، ٤٩ ـ ﴿وأنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرَى﴾. هو كوكب خلفَ الجوزاء، كانت تُعبد في الجاهليّة؟

٥٠ ـ ﴿وأنَّهُ أهلَكَ عادًا الأُولَى﴾ ـ وفي قراءة بإدغامِ التنوين في اللام وضمِّها بلا همز ـ هي قوم هودٍ، والأُخرى قوم صالح ٥١ ـ ﴿وثَمُودًا﴾ ـ بالصرفِ اسمٌ للأب، وبلا صرفٍ اسمٌ للقبيلة. وهو معطوف على «عادًا» ـ.........................

قولُهُ: (بالمَدِّ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[١].

قولُهُ: (للبَعثِ) وفاءً بوعدِهِ.

قولُهُ: (بالأَموَالِ) أو بالمعارفِ والأحوالِ، أو بغناهُ عمَّا سواهُ.

قولُهُ: (أَعْطَى المَالَ) أي: أعطى القُنيَةَ، وهي بالكسرِ والضَّمِّ: ما اكتسبَ، فيكونُ إشارةً إلى نوعي المالِ، أو ﴿أقنى﴾ بمعنى: أرضَى، وتحقيقُهُ جعلَ له الرِّضا قنيةً، وهي ما يُتَأَثَّلُ من الأموالِ؛ أي: يُتَّخذُ أصلاً، وقيل: معناهُ: أفقرَ، فالهمزُ للسَّلبِ، قالَ الجُنيدُ[٢]: أغنى قوماً به، وأفقرَ قوماً عنه.

قولُهُ: (تُعْبَدُ) عبدَها أبو كبشةَ، أحدُ أجدادِ الرَّسولِ ﷺ، وخالفَ قريشاً في عبادةِ الأوثانِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وبصريٍّ، لكنَّ قالونَ بقلبِ الواوِ همزاً حالَ النَّقلِ بدءاً وموصِلاً[٣].

قولُهُ: (وضَمِّهَا) بنقلِ حركةِ الهمزةِ إليها.

قولُهُ: (بِلا هَمْزٍ) فإنَّهُ يسقطُ بعدَ نقلِ حركتِهِ لالتقاءِ السَّاكنينَ، وتعبيرُ القاضي[٤]: وقُرئَ بإدغامِ التَّنوينِ؛ ضعيفٌ.

قولُهُ: (هِيَ قَوْمُ هُودٍ) أو ﴿الأُولَى﴾ بمعنى: القدماءِ؛ لأنَّهُم أُولى الأممِ هلاكاً بعدَ قومِ نوحٍ.

قولُهُ: (اسْمٌ للأَبِ) صوابُهُ: للحيِّ.

قولُهُ: (وبِلا صَرفٍ) عاصمٌ وحمزةُ[٥].

قولُهُ: (عَلى ﴿عادًا﴾) لأنَّ ما بعدَهُ لا يعملُ فيه.

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٤٩).

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٤)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٢).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٢).

(٥) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٢).

﴿فما أبقَى﴾ منهم أحدًا، ٥٢ ـ ﴿وقَومَ نُوحٍ مِن قَبلُ﴾ أي: قبلِ عادٍ وثمودٍ أهلكناهم ـ ﴿إنَّهُم كانُوا هُم أظلَمَ وأطغَى﴾ من عاد وثمود لطولِ لَبثِ نوحٍ فيهم: «فلَبِثَ فِيهِم ألفَ سَنةٍ إلاّ خَمسِينَ عامًا»، وهم مع عدم إيمانهم به يؤذونه ويضربونه ـ ٥٣ ـ ﴿والمُؤتَفِكةَ﴾ وهي قُرى قومِ لُوطٍ ﴿أهوَى﴾: أسقطَها بعد رفعها إلى السماء مقلوبةً إلى الأرض بأمره جِبريلَ بذلك، ٥٤ ـ ﴿فغَشّاها﴾ من الحِجارة بعد ذلك ﴿ما غَشَّى﴾؟ أُبهِمَ تهويلاً. وفي هود: «جَعَلْنا عالِيَها سافِلَها وأمطَرْنا علَيها حِجارةً مِن سِجِّيلٍ».

٥٥ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكَ﴾: أنعُمِه الدالّةِ على وحدانيّته وقُدرته ﴿تتَمارَى﴾: تَتشكّكُ ـ أيها الإنسان ـ أو تُكذِّبُ؟ ٥٦ ـ ﴿هذا﴾ مُحمّدٌ ﴿نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى﴾: من جِنسهم، أي: رسول كالرسل قبله، أُرسل إليكم كما أُرسلوا إلى أقوامهم.

٥٧ ـ ﴿أزِفَتِ الآزِفةُ﴾: قَرُبَتِ القِيامةُ، ٥٨ ـ ﴿لَيسَ لَها مِن دُونِ اللهِ﴾ نفسٌ ﴿كاشِفةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويُظهرها إلاّ هو كقوله تعالى: «لا يُجَلِّيها لِوَقتِها إلاّ هُوَ». ٥٩ ـ ﴿أفمِن هذا الحَدِيثِ﴾ أي: القُرآنِ ﴿تَعجَبُونَ﴾ تكذيبًا،..

قولُهُ: (مِنهُم) الأظهرُ: منهُما؛ أي: الفريقينِ.

قولُهُ: (أَهلَكْنَاهُم) الظَّاهِرُ: أهلكَهُم؛ لأنَّهُ عطفٌ على: ﴿عَادًا﴾.

قولُهُ: (ويَضرِبُونَهُ) حتَّى لا يكونَ به حركةٌ ويُنَفِّرونَ عنه.

قولُهُ: (قُرَى قَومِ لَوْطٍ) الَّتي ائتفكَت بأهلِها؛ أي: انقلبَت.

قولُهُ: (إلى الأَرضِ) أي: إلى جِهتِها أو منتهيةً بذلك؛ أي: بالإهواءِ بعد الرَّفعِ والقلبِ.

قولُهُ: (﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾) في هودٍ: ﴿عَلَيْهَا﴾ [٨٢]، وفي الحجرِ: ﴿عَلَيْهِمْ﴾ [٧٤].

قولُهُ: (وقُدرَتِهِ) إشارةٌ إلى أنَّ المعدوداتِ وإن كانَتْ نِعماً ونقماً، لكن سمَّاها آلاءَ مِن جهةِ ما في نقمهِ مِن العِبَرِ والمواعظِ للمعتبرينَ، والانتقامِ للأنبياءِ والمؤمنينَ.

قولُهُ: (أيُّهَا الإنسَانُ) أو الخطابُ للرَّسولِ، أو لكلِّ أحدٍ.

قولُهُ: (مُحَمَّدٌ) أي: هذا الرَّسولُ، أو هذا القرآنُ إنذارٌ مِن جنسِ الإنذاراتِ.

قولُهُ: (قَرُبَتِ) أي: دنَتِ السَّاعةُ الموصوفةُ بالدُّنوِّ.

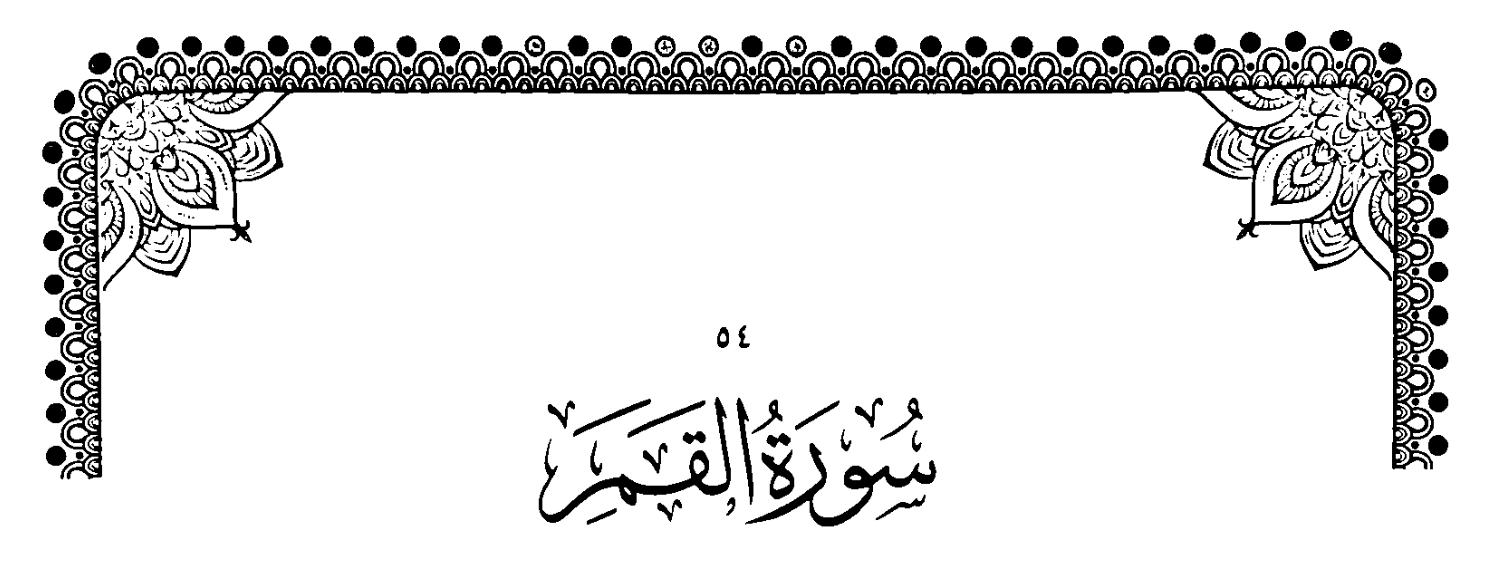
قولُهُ: (نَفسٌ) قادرةٌ على كشفِها إذا وقعَت إلَّا الله تعالى، لكنَّهُ لا يكشِفُها، أو ليسَ لها كاشفةٌ لوقتِها إلَّا الله، ولا يطَّلِعَ عليه سواهُ، وهذا مرادُ المصنِّفِ، وهو الأظهرُ.

٦٠ ـ ﴿وتَضحَكُونَ﴾ استهزاءً ﴿ولا تَبكُونَ﴾ لسماع وعده ووعيده، ٦١ ـ ﴿وأنتُم سامِدُونَ﴾: لاهونَ غافلون عما يُطلب منكم؟ ٦٢ ـ ﴿فاسجُدُوا لِلهِ﴾ الذي خلقكم ﴿واعبُدُوا﴾ ولا تسجدوا للأصنام ولا تعبدوها.

قولُهُ: (لِسَمَاعِ وَعْدِهِ) شوقاً، ووعيدِهِ خوفاً.

قولُهُ: (لاهُونَ) أو مستكبرونَ، أو مُغَنُّونَ لتشتَغِلوا عن استماعِهِ، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

* * *



مكية إلاّ «سيُهزم الجمع» الآيةَ، وهي خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿اقتربَتِ السّاعةُ﴾: قربتِ القِيامةُ، ﴿وانشَقَّ القَمَرُ﴾: انفلق فِلْقتَينِ على أبي قُبيسٍ وقُعَيقِعانَ آيةً له ﷺ، وقد سُئلها فقال: «اشهَدُوا» ـ رواه الشيخان ـ ٢ ـ ﴿وإن يَرَوا﴾ كُفّارُ قُريشٍ ﴿آيةً﴾: مُعجزة له ﷺ كانشقاق القمر ﴿يُعرِضُوا ويَقُولُوا﴾: هذا ﴿سِحرٌ مُستَمِرٌّ﴾: قويّ من المِرّةِ: القُوّةِ، أو دائمٌ. ٣ ـ ﴿وكَذَّبُوا﴾ النبيّ ﴿واتَّبَعُوا أهْواءَهُم﴾ في الباطل. ﴿وكُلُّ أمرٍ﴾ من الخير والشرّ ﴿مُستَقِرٌّ﴾ بأهله في الجنّة أو النار.

٤ ـ ﴿ولَقَد جاءَهُم مِنَ الأنباءِ﴾: أخبارِ هلاكِ الأُممِ المُكذّبةِ رسلَهم ﴿ما فِيهِ مُزدَجَرٌ﴾ لهم،.......

سورة القمر

قولُهُ: (قَرُبَتِ القِيَامَةُ) وقُرِئَ: (وَقَدِ انْشَقَّ)[1]؛ أي: حصلَ مِن آياتِ اقترابِها انشقاقُ القمرِ.

قولُهُ: (قُعَيقِعَانَ) على وزنِ زُعَيفِرَانٍ جبلٌ بمكّةَ، وجهُهُ إلى أبي قُبَيسٍ.

قولُهُ: (دَائِمٌ) مطّرِدٌ، أو مارٌّ ذاهِبٌ لا يبقى.

قولُهُ: (بأَهلِهِ) أو مُنتَهٍ إلى غايةٍ مِن خِذلانٍ، أو نصرٍ في الدُّنيا وشقاوةٍ، أو سعادةٍ في الأخرى، فإنَّ الشَّيءَ إذا انتهى إلى غايتِهِ ثبتَ واستقرَّ.

قولُهُ: (هلاكِ الأُمَمِ) أو أخبارِ الآخرةِ.

قولُهُ: (لَهُم) مِن تعذيبٍ أو وعيدٍ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لحذيفة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٣).

اسمُ مصدر أو اسمُ مكان، والدالُ بدل من تاء الافتعال ـ وازدجرتُه وزجرتُه: نَهيتُه بغِلظة. وما: موصولة أو موصوفة ـ ٥ ـ ﴿حِكْمَةٌ﴾: خبرُ مُبتدأ محذوفٍ، أو بدلٌ من «ما» أو من «مُزدجر»، ﴿بالِغَةٌ﴾: تامّة، ﴿فما تُغنِي﴾: تنفعُ فيهم ﴿النُّذُرُ﴾: جمع نَذير بمعنى: مُنذِر، أي: الأُمورُ المُنذِرة لهم. وما: للنفي أو للاستفهام الإنكاري، وهي على الثاني مفعول مُقدّم.

٦ ـ ﴿فتَوَلَّ عَنهُم﴾ هو فائدة ما قبله وبه تمّ الكلام. ﴿يَومَ يَدعُ الدّاعِ﴾ هو إسرافيل، وناصبُ «يومَ»: «يَخرجون» بعدُ، ﴿إلَى شَيءٍ نُكُرٍ﴾ ـ بضمّ الكاف وسكونها ـ أي: مُنكَرٍ تُنكره النفوس لشدته وهو الحساب، ٧ ـ ﴿خاشِعًا﴾: ذليلاً، وفي قراءة: «خُشَّعًا» بضمّ الخاء وفتح الشين مُشدّدةً، ﴿أبصارُهُم﴾: حال من فاعل ﴿يَخرُجُونَ﴾ أيِ: الناسُ ﴿مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿كَأَنَّهُم جَرادٌ مُنتَشِرٌ﴾ لا يدرون: أين يذهبون من الخوف والحَيرة؟ والجملة: حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: ٨ ـ ﴿مُهطِعِينَ﴾ أي: مُسرعين مادِّي أعناقِهم ﴿إلَى الدّاعِ، يَقُولُ الكافِرُونَ﴾ منهم:.........................

قولُهُ: (تَامَّةٌ) أي: بالغةٌ غايَتَها لا خللَ فيهَا فهي بدلٌ من: ﴿ما﴾، أو خبرٌ لمحذوفٍ.

قولُهُ: (مُنذِرٍ) أو المنذَرِ منه، أو مصدرٌ؛ بمعنى: الإنذارِ.

قولُهُ: (أو للاستِفهَامِ) أي: فأيُّ غنًى يُغني النُّذرُ؟

قولُهُ: (هُو فَائِدَةُ) أي: لعلمِكَ أنَّ الإنذارَ لا يُغني فيهم.

قولُهُ: (﴿يخرجُونَ﴾) أو اذكُرْ مقدَّراً، وإسقاطُ الياءِ اكتفاءً بالكسرِ للتَّخفيفِ.

قولُهُ: (بِضَمِّ الكَافِ) والمكِّيُّ بالسُّكونِ[1].

قولُهُ: (لِشِدَّتِهِ) ممَّا لم تعهَدْ مثلَهُ.

قولُهُ: (وهو الحِسَابِ) أو هو هَولُ القيامَةِ.

قولُهُ: (ذَلِيلاً) وإفرادُهُ وتذكيرُهُ؛ لأنَّ فاعلَهُ ظاهرٌ غيرُ حقيقيِّ التَّأنيثِ، وقُرِئَ: (خاشعةً)[2] على الأصلِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للحرميَّينِ وشاميٌّ وعاصمٍ[3].

قولُهُ: (أي: النَّاسُ) يعني: يخرُجونَ مِن قبورِهِم ذليلاً أبصارُهُم مِن الهولِ.

قولُهُ: (مُسرِعِينَ) أو ناظِرِينَ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٣).

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت لليماني وابن مسعود، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٣).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٣).

﴿هذا يَومٌ عَسِرٌ﴾ أي: صعب على الكافرين كما في المُدّثّر: «يَومٌ عَسِيرٌ علَى الكافِرِينَ».

٩ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبلَهُم﴾ أي: قبل قُريشٍ ﴿قَومُ نُوحٍ﴾ ـ تأنيث الفعل لمعنى «قوم» ـ ﴿فكَذَّبُوا عَبدَنا﴾ نُوحًا، ﴿وقالُوا: مَجنُونٌ. وازدُجِرَ﴾ أي: انتَهروه بالسبِّ وغيره، ١٠ ـ ١١ ـ ﴿فدَعا رَبَّهُ أنِّي﴾ أي: بأنّي ﴿مَغلُوبٌ فانتَصِرْ، ففَتَحْنا﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿أبوابَ السَّماءِ بِماءٍ مُنهَمِرٍ﴾: منصبّ انصبابًا شديدًا، ١٢ ـ ﴿وفَجَّرْنا الأرضَ عُيُونًا﴾ تَنبُعُ ﴿فالتَقَى الماءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿علَى أمرٍ﴾: حالٍ ﴿قَد قُدِرَ﴾: قُضِي به في الأزل ـ وهو هلاكُهم غرَقًا ـ ١٣ ـ ﴿وحَمَلْناهُ﴾ أي: نوحًا ﴿علَى﴾ سفينةِ ﴿ذاتِ ألواحٍ ودُسُرٍ﴾، وهي ما تُشدّ به الألواح من المسامير وغيرها، واحدها دِسار ككِتاب، ١٤ ـ ﴿تَجرِي بِأعيُنِنا﴾: بمرأى منّا أي: محفوظةً ﴿جَزاءً﴾: ....

قولُهُ: (عَلى الكَافِرِينَ) أو على الكلِّ في الجُملةِ.

قولُهُ: (نُوحاً) وهو تفسيرٌ بعد إبهامٍ، أو كذَّبوهُ بعد ما كذَّبوا الرُّسلَ.

قولُهُ: (أي: انتَهَرُوهُ) أي: زجر على التَّبليغِ بأنواعِ الأذيَّةِ.

قولُهُ: (بالفَتحِ) وقُرِئَ بالكسرِ[1] على إرادَةِ القولِ.

وقولُهُ: (﴿فَانْتَصِرْ﴾) أي: فانتقِمْ لي منهُم، وذلك بعدَ يأسِهِ منهُم، فقد رويَ أنَّ الواحدَ منهُم كانَ يلقاهُ فيخنقُهُ حتَّى يخرَّ مغشيًّا عليه، فيفيقَ ويقولَ: «اللَّهمَّ اغفِرْ لقَومِي فإنَّهُم لا يعلمُونَ»[2].

قولُهُ: (والتَّشدِيدِ) شاميٌّ[3].

قولُهُ: (تَنبُعُ) أي: جعلنا الأرضَ كلَّها كأنَّها عيونٌ متفجِّرةٌ، وأصلُه: وفجَّرْنا عيونَ الأرضِ فغُيِّرَ للمبالغَةِ.

قولُهُ: (مَاءُ السَّمَاءِ) والمرادُ بالماءِ: الجنسُ، وهو لا يُثنَّى.

قولُهُ: (حَالٍ) أي: على حالٍ قدَّرَها اللهُ مِن غيرِ تفاوُتٍ، أو على أمرٍ قدَّرَهُ اللهُ، وهو هلاكُ قومِ نوحٍ بالطُّوفانِ.

قولُهُ: (الأَلوَاحُ) وهي الأخشابُ العريضَةُ المنبسطَةُ.

قولُهُ: (أي: مَحفُوظَةً) بحفظِنا.

---

(١) أي: (إني مغلوب) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن عمير وأبي إسحاق وزيد بن علي، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٤).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٠٠٨)، وأحمد في «الزهد» (٢٨٠) عن عبيد الله بن عمير أنه بلغه....

وروى البخاري (٣٤٧٧) عن عبد الله: كأني أنظر إلى النبي ﷺ، يحكي نبيًّا من الأنبياء، ضربه قومه فأدموه، وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون».

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٣).

منصوب بفعل مُقدّر، أي: أُغرِقوا انتصارًا ﴿لِمَن كانَ كُفِرَ﴾. وهو نوح عليه السلام. وقُرئ: «كَفَرَ» بناءً للفاعل، أي: أُغرِقوا عقابًا لهم.

١٥ ـ ﴿ولَقَد تَرَكْناها﴾: أبقَينا هذه الفَعلةَ ﴿آيةً﴾ لمن يَعتبر بها إذ شاع خبرها واستمرّ. ﴿فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾: مُعتبرٍ ومُتّعظ بها؟ وأصله «مُذْتَكِر» أُبدلت التاء دالاً مُهملة، وكذا المُعجمة وأُدغمت فيها. ١٦ ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري؟ استفهام تقرير. وكيف: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال. والمعنى حملُ المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه ـ تعالى ـ بالمُكذّبين لنُوح موقعَه. ١٧ ـ ﴿ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ﴾: سهّلناه للحِفظ أو هيّأناه للتذكّر. ﴿فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾ مُتّعظٍ به وحافظٍ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر، أي: احفظوه واتّعظوا به. وليس يُحفظ من كُتب الله عن ظهر القلب غيرُه.

١٨ ـ ﴿كَذَّبَتْ عادٌ﴾ نبيَّهم هُودًا فعُذّبوا. ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبلَ نزوله؟ أي: وقعَ موقعَه. وبيّنه بقوله: ١٩ ـ ﴿إنّا أرسَلْنا علَيهِم رِيحًا صَرصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿في يَومِ نَحسٍ﴾: شؤم ﴿مُستَمِرٍّ﴾: دائمِ الشؤم أو قويّه، وكان يومَ الأربعاء آخرَ الشهر.................

قولُهُ: (أي: أُغرِقُوا) أو فَعَلنا ذلك.

قولُهُ: (وهُو نُوحٌ) لأنّهُ نعمةٌ كفروها، فإنّ كلَّ نبيٍّ نعمةٌ مِن اللهِ، ورحمةٌ على أمّتِهِ.

قولُهُ: (هَذهِ الفِعلَةَ) أو السَّفينةَ.

قولُهُ: (إِذْ شَاعَ) الظَّاهرُ: إذا.

قولُهُ: (مُذتكِرٍ) وقُرئَ به[1].

قولُهُ: (تَقْرِيرٍ) أو تعظيمٍ ووعيدٍ.

قولُهُ: (للحِفْظِ) بالاختصارِ وعذوبَةِ اللّفظِ.

قولُهُ: (للتَّذَكُّرِ) والاتّعاظِ بأن صَرَّفنا فيه أنواعَ المواعِظِ والعبرِ.

قولُهُ: (لَهُم) أو لمن بعدَهُم في تعذيبِهم.

قولُهُ: (وبَيّنَهُ) أي: العذابَ.

قولُهُ: (شَدِيدَةَ الصَّوتِ) أو باردةً.

قولُهُ: (دَائِمِ الشُّؤمِ) استمرَّ شؤمُهُ على الكفرةِ، أو استمرَّ عليهم حتّى أهلكَهُم، أو اشتدَّ حرارتُهُ.

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٣٥)، و«الدر المصون» (١٠/ ١٣٦).

٢٠ ـ ﴿تَنزِعُ النَّاسَ﴾: تقلعُهم من حُفَر الأرض المندسّين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم فتدقّ رِقابهم، فتُبينُ الرأسَ عن الجسد، ﴿كأنَّهُم﴾ وحالُهم ما ذُكر ﴿أعجازُ﴾: أصولُ ﴿نَخلٍ مُنقَعِرٍ﴾: مُنقلع ساقط على الأرض. وشُبّهوا بالنخل لطولهم، وذُكّرَ هنا وأُنّثَ في الحاقّة: «نَخلٍ خاوِيَةٍ» مُراعاةً للفواصل في الموضعين. ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ؟ ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟

٢٣ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾: جمع نَذير بمعنى مُنذِر، أي: بالأُمور التي أنذرهم بها نبيّهم صالحٌ، إن لم يُؤمنوا به ويتّبعوه، ٢٤ ـ ﴿فقالُوا: أبَشَرًا﴾: منصوبٌ على الاِشتغال ﴿مِنّا واحِدًا﴾: صِفتان لـ «بشرًا» ﴿نَتَّبِعُهُ﴾؟ مُفسِّرٌ للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي. المعنى: كيف نتّبعه، ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منّا وليس بمَلَكٍ؟ أي: لا نتّبعه. ﴿إنّا إذًا﴾ أي: إنِ اتبعناه ﴿لَفِي ضَلالٍ﴾: ذَهاب عن الصواب ﴿وسُعُرٍ﴾: جُنون. ٢٥ ـ ﴿أأُلقِيَ﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين،..

قولُهُ: (مُنقَلِعٍ) عن مغارسِهِ.

قولُهُ: (بالنَّخلِ) وقيل: شُبِّهوا بالأعجازِ؛ لأنَّ الرِّيحَ طيَّرت رؤوسَهُم وطرحَتْ أجسادَهُم.

قولُهُ: (في المَوضِعَينِ) يعني: بعد ما يستوي التَّذكيرُ والتَّأنيثُ في النَّخلِ، اختيرَ كلٌّ في كلٍّ للفاصلةِ، وفي «القاموسِ»[1]: النَّخلُ معروفٌ ويذكَّرُ، فأشارَ إلى أنَّ الأصلَ فيه التَّأنيثُ، ولذا قالَ القاضي[2]: وتذكيرُ ﴿مُنْقَعِرٍ﴾ للحملِ على اللَّفظِ، والتَّأنيثُ في قولِهِ: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خاويةٍ﴾ للمعنى، وهو ما يُنافي رعايَةَ الفواصلِ.

قولُهُ تعالى: (﴿فَكَيْفَ﴾) كرَّرَهُ للتَّهويلِ، أو الأوَّلُ لما حاقَ بهم في الدُّنيا، والثَّاني لما يحيقُ بهم في العُقْبى.

قولُهُ: (بِمَعنَى: مُنْذِرٍ) أو إنذارٍ.

قولُهُ: (أي: بالأُمُورِ) أي: بالإنذاراتِ، أو المواعظِ، أو الرُّسلِ.

قولُهُ: (صِفَتَانِ لـ«بَشَراً») أي: مِن جِنسِنا، أو مِن جُملتِنا، لا فضلَ له علينا، مُنفرداً لا تَبَعَ له، أو مِن آحادِهِم دونَ أشرافِهِم.

قولُهُ: (بِتَحقِيقِ الهَمْزَتَينِ) مرَّ في «صاد»[3].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٦١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٦).

(٣) في الآية رقم: (٨).

وتركِه ـ ﴿الذِّكرُ﴾: الوحيُ ﴿علَيهِ مِن بَينِنا﴾؟ أي: لم يُوحَ إليه، ﴿بَل هُوَ كَذّابٌ﴾ في قوله: «إنه أُوحي إليه ما ذُكر» ﴿أشِرٌ﴾: مُتكبّر بَطِر.

٢٦ ـ قال تعالى: ﴿سَيَعلَمُونَ غَدًا﴾ أي: في الآخرة: ﴿مَنِ الكَذّابُ الأشِرُ﴾؟ وهو هم، بأن يُعذَّبوا على تكذيبهم لنبيِّهم صالح. ٢٧ ـ ﴿إنّا مُرسِلُو النّاقةِ﴾: مُخرجوها من الهضْبةِ الصَّخرةِ كما سألوا ﴿فِتنَةً﴾: مِحنة ﴿لَهُم﴾ لِنختبرهم. ﴿فارتَقِبهُم﴾ ـ يا صالحُ ـ أي: انتظرْ ما هم صانعون وما يُصنع بهم، ﴿واصطَبِرْ﴾ ـ الطاء بدل من تاء الافتعال ـ أي: اصبرْ على أذاهم، ٢٨ ـ ﴿ونَبِّئْهُم أنَّ الماءَ قِسمَةٌ﴾: مقسوم ﴿بَينَهُم﴾ وبين الناقة، فيوم لهم ويوم لها، ﴿كُلُّ شِربٍ﴾: نصيبٍ من الماء ﴿مُحتَضَرٌ﴾: يحضُر القومُ يومَهم والناقةُ يومَها.

فتمادَوا على ذلك، ثمّ ملّوه فهمُّوا بقتل الناقة، ٢٩ ـ ﴿فنادَوا صاحِبَهُم﴾ قُدارًا ليقتلها، ﴿فتَعاطَى﴾: تناول السيف، ﴿فعَقَرَ﴾ به الناقة، أي: قتلها مُوافقةً لهم. ٣٠ ـ ﴿فكَيفَ كانَ عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي: وقع موقعَه. وبيَّنه بقوله: ٣١ ـ ﴿إنّا أرسَلْنا علَيهِم صَيحةً واحِدةً، فكانُوا كَهَشِيمِ المُحتَظِرِ﴾..

قولُهُ: (الوَحْيُ) أو الكِتابُ.

قولُهُ: (أي: لَمْ يُوحَ إِلَيهِ) إذ فينا مَن هو أحقُّ منهُ بذلكَ.

قولُهُ: (بَطِرٌ) حملَهُ بطرُهُ على التَّرفُّعِ علينا بادِّعائِهِ.

قولُهُ: (فِي الآخِرَةِ) أو عندَ نزولِ العذابِ.

قولُهُ: (وهُو هُمْ) أي: الَّذي حملَهُ أشرُهُ على الاستكبارِ عن الحقِّ وطلبِ الباطلِ أصالحٌ أم مَن كذَّبه.

قولُهُ: (الهَضْبَةِ) هي الجبلُ المنبسطُ على الأرضِ، أو جبلٌ خُلِقَ مِن صَخرةٍ واحدةٍ، أو الجبلُ الطَّويلُ.

قولُهُ: (مِحنَةً) أو امتحاناً.

قولُهُ: (أي: انتَظِرْ) وتبصَّرْ.

قولُهُ: (أي: اصْبِرْ) أي: بالِغْ في الصَّبرِ، أو دُمْ عليه.

قولُهُ: (وبَينَ النَّاقَةِ) ففيهِ تغليبُ العقلاءِ.

قولُهُ: (قُدَارًا) بضمِّ القافِ، ابن سالفٍ، ويُلقَّبُ بأُحَيْمرِ ثمودَ، وهو أشقى الأوَّلينَ.

قولُهُ: (أي: إِنْذَارِي) تفسيرٌ مكرَّرٌ محضٌ.

هو الذي يَجعل لغنمه حظيرة من يابس الشجر والشوك، يحفظهنّ فيها من الذئاب والسباع، وما سقط من ذلك فداسته هو الهشيم. ٣٢ ـ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فَهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟

٣٣ ـ ﴿كَذَّبَتْ قَومُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ﴾ أي: بالأُمور المُنذِرة لهم على لسانه. ٣٤ ـ ﴿إنّا أرسَلْنا علَيهِم حاصِبًا﴾: ريحًا ترميهم بالحَصباء ـ وهي صِغار الحِجارة الواحدُ دُونَ مَلءِ الكفّ ـ فهلَكوا ﴿إلاّ آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابنتاه معه ﴿نَجَّيناهُم بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، أي: وقتِ الصبح من يوم غير مُعيَّن ـ ولو أُريد من يوم مُعيّن لمُنع الصرفَ لأنه معرفة معدول عن «السَّحر»، لأنّ حقّه أن يُستعمل في المعرفة بـ«أل». وهل أُرسل الحاصبُ على آل لوط أوْ لا؟ قولانِ. وعُبِّر عن الاستثناء على الأوّل بأنه مُتّصل، وعلى الثاني بأنه مُنقطع وإن كان من الجِنس، ....

قولُهُ: (مِنْ يَابِسِ الشَّجَرِ والشَّوكِ) تلفيقٌ؛ إذِ المعنى: كالشَّجرِ اليابسِ المتكسِّرِ الَّذي يتَّخذُهُ مَن يعملُ الحظيرةَ لأجلِها، أو كالحشيشِ الَّذي يجمعُهُ صاحبُ الحظيرةِ لماشيتِهِ في الشِّتاءِ.

قولُهُ: (مِنَ الذِّئابِ) أي: مِن دخولِهِنَّ عليها، أو مِن خروجِها إليهنَّ، أو إلى غيرِهِنَّ.

قولُهُ: (أي: وَقتِ الصُّبحِ) قالَ القاضي[1]: وهو آخرُ اللَّيلِ، وفي «الكشَّافِ»[2]: وهو السُّدسُ الأخيرُ مِن اللَّيلِ، وفي «القاموسِ»[3]: قُبيلَ الصُّبحِ، ولا دلالةَ للمصنِّفِ في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ [هود: ٨١]؛ لأنَّ معناهُ: موعدُ هلاكِهِم مبتدأً مِن السَّحرِ منتهياً إلى الصُّبحِ، أو ما قاربَ الشَّيءَ يُعطى حكمَهُ، وهذانِ ممَّا خطرَ بالبالِ، واللهُ أعلمُ بالحالِ.

قولُهُ: (مِنْ يَومٍ) صوابُهُ: مِن ليلٍ.

قولُهُ: (قَولانِ) تَبعَ فيه أبا البقاءِ حيثُ قالَ في «إعرابِهِ»[4]: استثناءٌ منقطِعٌ، وقيل: متَّصلٌ؛ لأنَّ الجميعَ أُرسِلَ عليهِم الحاصبُ، فهَلكوا إلَّا آلَ لوطٍ، وعلى الوجهِ الأوَّلِ يكونُ الحاصبُ لم يُرسَلْ على آلِ لوطٍ، انتهى، والصَّوابُ أنَّه استثناءٌ منقطعٌ مِن ضميرِ ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الرَّاجعِ إلى المكذِّبينَ مِن قومِ لوطٍ، ويُستَبْعَدُ إرسالُ الحاصبِ على آلِ لوطٍ وإن لم يتفرَّعْ عليه الهلاكُ، وأيضاً فأيُّ فائدةٍ تبقى حينئذٍ بأمرِ لوطٍ بسيرِ أهلِهِ مِن بينِ الكفَّارِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٦٧).

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٣٨).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤٠٥).

(٤) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١١٩٥).

تسمّحًا ـ ٣٥ ـ ﴿نِعْمَةً﴾ مصدرٌ أي: إنعامًا ﴿مِن عِندِنا. كَذلِكَ﴾ مِثلَ ذلك الجزاء ﴿نجزِي مَن شَكَرَ﴾ أنعُمَنا وهو مؤمن، أو مَن آمن بالله ورسله وأطاعهم.

٣٦ ـ ﴿ولَقد أنذَرهُم﴾: خوّفهم لُوطٌ ﴿بَطْشَتنا﴾: أخْذَتَنا إياهم بالعذاب، ﴿فتَماروا﴾: تجادلوا وكذّبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾: بإنذاره، ٣٧ ـ ﴿ولَقَد راوَدُوهُ عَن ضَيفِهِ﴾ أي: أن يُخلّيَ بينهم وبين القوم الذين أتَوه في صُورة الأضياف ليَخبُثوا بهم، وكانوا ملائكة، ﴿فطَمَسْنا أعيُنَهُم﴾: أعمَيناها وجعلناها بلا شَقّ كباقي الوجه بأن صفقها جِبريل بجناحه. ﴿فذُوقُوا﴾ فقلنا لهم: ذوقوا ﴿عَذابِي ونُذُرِ﴾ أي: إنذاري وتخويفي، أي: ثمرتَه وفائدته. ٣٨ ـ ﴿ولَقَد صَبَّحَهُم بُكْرَةً﴾: وقتَ الصبح من يوم غير مُعيّن، ﴿عَذابٌ مُستَقِرٌّ﴾: دائم مُتّصل بعذاب الآخرة. ٣٩ ـ ٤٠ ـ ﴿فذُوقُوا عَذابِي ونُذُرِ. ولَقَد يَسَّرْنا القُرآنَ لِلذِّكرِ. فهَل مِن مُدَّكِرٍ﴾؟

قولُهُ: (تَسمُّحاً) يحتملُ تعلُّقُه بـ«عُبِّرَ» فيكونُ شاملاً للقسمينِ؛ لأنَّهُ نظرَ فيه إلى العاملِ بما تعلَّقَ به وهو: ﴿حَاصِبًا﴾ لقولِه: «وهل أُرسِلَ الحاصبُ... » إلخ، مع أنَّ الاتِّصالَ والانفصالَ إنَّما هو باعتبارِ المستثنى منه لا عامِله، ويجوزُ تعلُّقُه بالقسمِ الأخيرِ؛ لأنَّ الانقطاعَ إنَّما يكونُ مِن غيرِ جنسِهِ حقيقةً، وإنَّما جُعِلَ هنا كأنَّه مِن غيرِ جنسِهِ، فيكونُ تسامحاً.

قولُهُ: (أي: إِنعَاماً) وهو علَّةٌ لـ﴿نجَّيْنَا﴾.

قولُهُ: (وهُو مُؤمِنٌ) أي: متَّقٍ عن الشِّركِ فقط.

قولُهُ: (تَجَادَلُوا) وتَشاكوا.

قولُهُ: (لِيَخْبُثُوا) أي: قصَدوا الفُجورَ بهِم.

قولُهُ: (وجَعَلْنَاهَا) هذا قولٌ آخرُ؛ أي: مسَخْناها وسوَّيْناها بسائرِ الوجهِ.

قولُهُ: (بأَنْ صَفقَهَا) كذا رويَ[1].

قولُهُ: (فَقُلْنَا) على ألسنةِ الملائكةِ، أو ظاهرُ الحالِ.

قولُهُ تعالى: (﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾) كرَّرَ ذلكَ في كلِّ قصَّةٍ؛ إشعاراً بأنَّ تكذيبَ كلِّ رسولٍ مقتضٍ لنزولِ البوارِ، واستماعَ كلِّ حكايةٍ مستدعٍ للادِّكارِ، وهكذا تكريرُ قولِهِ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ و﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ و﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٥٩٧) عن قتادة.

٤١ ـ ﴿وَلَقَدْ جاءَ آلَ فِرعَونَ﴾ قومَه معه ﴿النُّذُرُ﴾: الإنذار، على لسان موسى وهارونَ فلم يُؤمنوا، بل ٤٢ ـ ﴿كَذَّبُوا بِآياتِنا كُلِّها﴾ التسع التي أُوتِيَها مُوسَى، ﴿فأَخَذْناهُم﴾ بالعذاب ﴿أَخْذَ عَزِيزٍ﴾: قويّ ﴿مُقتَدِرٍ﴾: قادر لا يُعجزه شيء.

٤٣ ـ ﴿أَكُفّارُكُم﴾ ـ يا قُريش ـ ﴿خَيرٌ مِن أُولئِكُم﴾ المذكورين من قوم نُوح إلى فِرعَون، فلم يُعذَّبوا؟ ﴿أم لَكُم﴾ ـ يا كُفّارَ قُريش ـ ﴿بَراءةٌ﴾ من العذاب ﴿في الزُّبُرِ﴾: الكُتب؟ والاستفهام في الموضعين بمعنى النفي، أي: ليس الأمر كذلك. ٤٤ ـ ﴿أم يَقُولُونَ﴾ أي: كُفّارُ قُريش: ﴿نَحنُ جَمِيعٌ﴾ أي: جمعٌ ﴿مُنتَصِرٌ﴾ على مُحمّد. ولمّا قال أبو جهل يوم بدر: «إنّا جميعٌ مُنتصرٌ» نزل: ٤٥ ـ ﴿سَيُهزَمُ الجَمعُ ويُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾، فهُزموا ببدر، ونُصر رسول الله ﷺ عليهم. ٤٦ ـ ﴿بَلِ السّاعةُ مَوعِدُهُم﴾ بالعذاب، ﴿والسّاعةُ﴾ أي: عذابُها ﴿أدهَى﴾: أعظمُ بليّةً ﴿وأَمَرُّ﴾: أشدّ مرارة من عذاب الدنيا. ٤٧ ـ ﴿إنَّ المُجرِمِينَ في ضَلالٍ﴾:..

قولُهُ: (قَومَهُ مَعَهُ) اكتَفى بذكرِهِم عن ذكرِهِ؛ للعلمِ بأنَّه أولى بذلكَ.

قولُهُ: (قَوِيٍّ) لا يغالبُ.

قولُهُ: (يَا قُرَيشُ) أو معشرَ العربِ.

قولُهُ: (المَذكُورِينَ) أي: الكفَّارِ المعدودينَ قوَّةً وعدَّةً، أو مكانةً وديناً عندَ اللهِ.

قولُهُ: (الكُتُبِ) يعني: أم نزَلَ لكُم في الكتبِ السَّماويةِ أنَّ مَن كفرَ منكُم فهو في أمانٍ مِن العذابِ.

قولُهُ: (أي: جَمعٌ) يعني: (جماعةٌ)، والتَّوحيدُ على لفظِ الجمعِ، أو أمرُنا مُجتَمِعٌ.

قولُهُ: (جَمْعٌ ﴿منتصرٌ﴾) أي: ممتنعٌ لا يُرامُ، أو منتصرٌ مِن الأعداءِ لا يغلبُ.

قولُهُ: (يَومَ بَدرٍ) الظَّاهرُ أنَّه غيرُ صحيحٍ؛ إذ وردَ عن عُمرَ أنَّه لمَّا نزلَتْ قالَ: لم أعلَمْ ما هيَ، فلمَّا كانَ يومُ بدرٍ رأيتُ النَّبيَّ ﷺ يلبسُ الدِّرعَ ويقولُ: «﴿سيُهزَمُ الجمعُ﴾»، فعلمْتُه[1].

قولُهُ تعالى: (﴿الدُّبُرَ﴾) أي: الأدبارَ، وإفرادُهُ لإرادةِ الجنسِ مع مراعاةِ الفاصلةِ، أو لأنَّ كلَّ واحدٍ يولِّي دبُرَه.

قولُهُ: (فهُزِمُوا) وهو مِن دلائلِ النُّبوَّةِ.

قولُهُ: (بالعَذَابِ) أي: موعِدُ عذابِهم الأصليِّ: وأمَّا ما يحيقُ بهِم في الدُّنيا فمِن طلائعِهِ.

قولُهُ: (أَعظَمُ بَلِيَّةٍ) الدَّاهيةُ: أمرٌ فظيعٌ لا يُهتَدى لدوائِهِ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣٠٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٦٠٢) عن عكرمة مرسلًا.

هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعُرٍ﴾: نار مُسعَّرة ـ بالتشديد ـ أي: مُهيَّجة في الآخرة، ٤٨ ـ ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾: إصابةَ جهنّمَ لكم.

٤٩ ـ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾: منصوبٌ بفعل يُفسّره ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾: بتقديرٍ، حالٌ من «كُلّ» أي: مُقدَّرًا ـ وقُرئ: «كُلُّ» بالرفع، مبتدأٌ خبره: خلقناه ـ ٥٠ ـ ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لشيء نُريد وجودَه ﴿إِلَّا﴾ أمرةٌ ﴿وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في السرعة، وهي «كُنْ» فيُوجد: «إنّما أمرُهُ، إذا أرادَ شَيئًا، أن يَقُولَ لَهُ: كُنْ. فيَكُونُ». ٥١ ـ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾: أشباهَكم في الكُفر من الأُمم الماضية ـ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟ استفهام بمعنى الأمر، أي: اذكروا واتّعظوا ـ ٥٢ ـ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العِبادُ مكتوبٌ ﴿فِي الزُّبُرِ﴾: كُتُبِ الحَفَظة، ٥٣ ـ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنب أو العمل ﴿مُّسْتَطَرٌ﴾: مكتتَبٌ في اللوح المحفوظ.

٥٤ ـ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿وَنَهَرٍ﴾ ـ أُريد به الجِنسُ. وقُرئ «نُهُرٍ» بضم النون والهاء جمعًا كأسَدٍ وأُسُدٍ ـ والمعنى أنهم يشربون من أنهارها الماءَ واللبن والعسل والخمر، ٥٥ ـ ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾:

قولُهُ: (هَلاكٍ) أو عن الحقِّ.

قولُهُ: (نَارٍ) أو نيرانٍ.

قولُهُ: (أي: فِي الآخِرَةِ) والسَّحبُ: الجرُّ على وجهِ الأرضِ.

قولُهُ: (إِصَابَةَ جَهَنَّمَ) أي: حرَّها وألمَها، فإنَّ مسَّها سببٌ للتَّألُّمِ بها، و﴿سقر﴾ علمٌ لجهنَّمَ، ولذا لم يُصرَفْ.

قولُهُ: (أي: مُقَدَّراً) أي: خَلقْنا كلَّ شيءٍ مقدَّراً مرتَّباً على مقتَضى الحكمةِ، أو مقدَّراً مكتوباً في اللَّوحِ قبلَ وقوعِهِ.

قولُهُ: (خَبَرُهُ: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾) يعني: الأولى أن يُجعَلَ خبراً لا نعتاً لـ﴿شَيْءٍ﴾؛ ليُطابِقَ المشهورةَ في الدِّلالةِ على أنَّ كلَّ شيءٍ مخلوقٌ بقدرٍ، قيل: ولعلَّ اختيارَ النَّصبِ هنا معَ احتياجِ إضمارِ العاملِ لما فيه مِن النُّصوصيَّةِ على المقصودِ.

قولُهُ: (مرَّةٌ) أو كلمةٌ.

قولُهُ: (في السُّرعَةِ) والسُّهولةِ.

قولُهُ: (وهُو قَولُ: كُنْ) وقيل: إلَّا فعلةٌ واحدةٌ، وهو الإيجادُ بلا معالجةٍ.

قولُهُ: (جَمِيعاً[1]) وبضمِّ النُّونِ وسكونِ الهاءِ أيضاً.

---

(١) كذا في الأصول، وفي المطبوع من «الجلالين»: جمعاً.

مجلسِ حقّ لا لغوَ فيه ولا تأثيم ـ أُريد به الجِنسُ. وقُرئ: «مَقاعِدِ»، المعنى أنهم في مجالسَ من الجنّات سالمةٍ من اللغو والتأثيم بخِلاف مجالس الدنيا، فقلَّ أن تسلم من ذلك. وأُعرِب هذا خبرًا ثانيًا وبدلاً. وهو صادق ببدل البعض وغيره ـ ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾: مِثالُ مُبالغةٍ، أي: عزيزِ المُلك واسعِه ﴿مُقتَدِرٍ﴾: قادر لا يُعجزه شيء. وهو الله تعالى. وعِند: إشارة إلى الرُّتبة من فضله تعالى.

قولُهُ: (مَجلِسِ حَقٍّ) أو مكانٍ مرضيٍّ.

قولُهُ: (وقُرِئَ: (مقاعِدِ)[1]) أي: معَ صدقٍ.

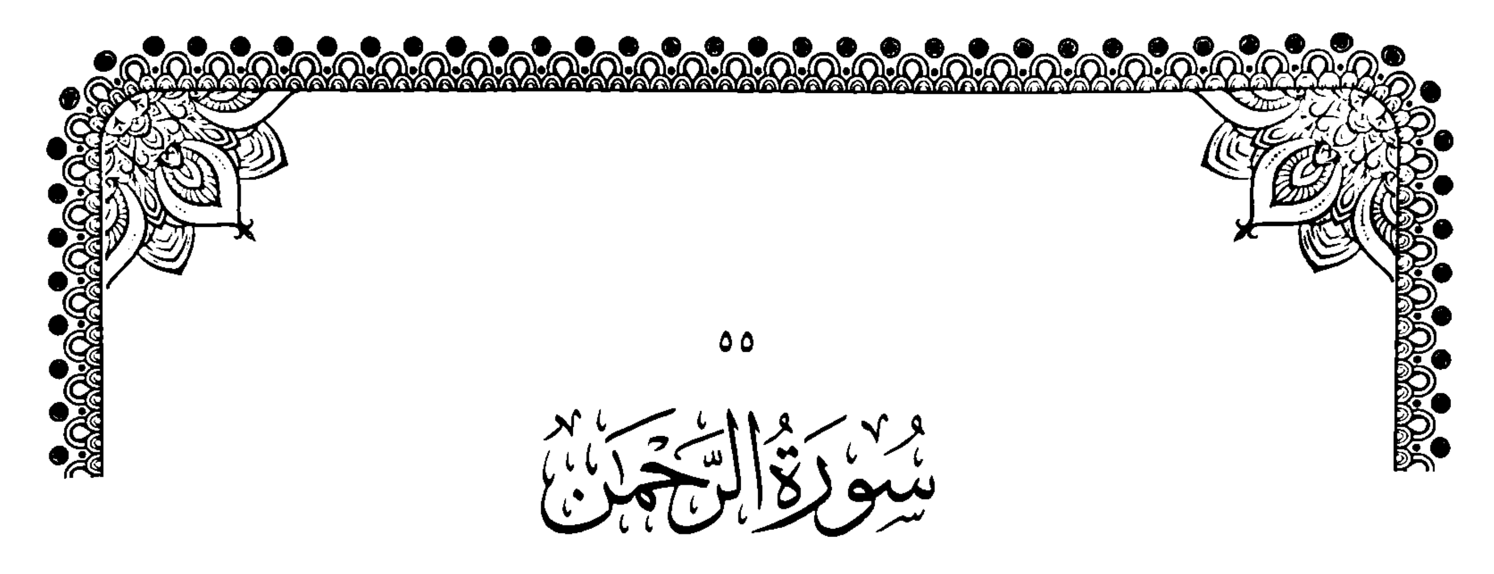
قولُهُ: (وغَيرِهِ) أي: اشتِمالٍ.

قولُهُ: (مِثَالُ) أي: صيغةُ.

قولُهُ: (و﴿عِندَ﴾ إشَارَةٌ) أي: مقرَّبينَ عندَ من تعالى أمرُهُ في الملكِ والملكوتِ والاقتدارِ، بحيثُ أبهمَهُ ذوو الاعتبارِ، واللهُ سبحانَه وتعالى أعلمُ.

* * *

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعثمان التيمي، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٥٧).



مكية، أو إلاّ «يسأله من في السماوات والأرض» الآيةَ فمدنية، وهي ست أو ثمانٍ وسبعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ﴿الرَّحمنُ عَلَّمَ﴾ مَن شاء ﴿القُرآنَ، خَلَقَ الإنسانَ﴾ أي: الجِنسَ، ٤ ـ ﴿عَلَّمَهُ البَيانَ﴾ النُّطق، ٥ ـ ﴿الشَّمسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾: بحِساب يجريانِ، ٦ ـ ﴿والنَّجمُ﴾: ما لا ساق له من النبات ﴿والشَّجَرُ﴾: ما له ساق ﴿يَسجُدانِ﴾: يخضعان لما يُراد منهما، ٧ ـ ﴿والسَّماءَ رَفَعَها ووَضَعَ المِيزانَ﴾:

سورة الرحمن

جلَّ جلالُهُ

قولُهُ: (مَنْ شَاءَ) لمَّا كانت السُّورةُ مقصورةً على تعدادِ النِّعمِ الدُّنيويَّةِ والأخرويَّةِ، صدَّرَهَا بـ﴿الرَّحمنِ﴾، وقدَّمَ ما هو أعظمُ النِّعمِ الدِّينيَّةِ، وهو إنعامُه بالقرآنِ وإنزالِهِ وتعليمِهِ.

قولُهُ: (النُّطقَ) أي: التَّعبيرَ عمَّا في الضَّميرِ، وإفهامَ الغيرِ لما أدركَهُ مِن تعلُّمِ الشَّرعِ، وإخلاءُ الجملِ الثَّلاثِ الَّتي هي أخبارٌ مترادفةٌ للرَّحمنِ عن العاطفِ لمجيئِها على نهجِ التَّعديدِ.

قولُهُ: (يَجرِيَانِ) بحسابٍ[1] معلومٍ مقدَّرٍ.

قولُهُ: (يَخضَعَانِ) وينقادانِ طبعاً انقيادَ السَّاجدِ مِن المكلَّفينَ طَوعاً.

قولُهُ تعالى: (﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾) أي: خلقَها مرفوعَةً مكاناً ومكانةً؛ فإنَّها منشأُ أقضيتِهِ، ومنزلُ أحكامِهِ، ومحلُّ ملائكتِهِ.

---

(١) في (ص): «بحسان».

أثبَتَ العدل، ٨ ـ ﴿ألاّ تَطغَوا﴾ أي: لِأجل ألاّ تجوروا ﴿في المِيزانِ﴾: ما يُوزن به، ٩ ـ ﴿وأقِيمُوا الوَزنَ بالقِسطِ﴾: بالعدل، ﴿ولا تُخسِرُوا المِيزانَ﴾: تنقُصوا المَوزونَ، ١٠ ـ ﴿والأرضَ وَضَعَها﴾: أثبتَها ﴿لِلأنامِ﴾: للخلق الإنس والجِنّ وغيرهم، ١١ ـ ﴿فِيها فاكِهةٌ والنَّخلُ﴾ المعهود ﴿ذاتُ الأكمامِ﴾: أوعيةِ طَلْعِها، ١٢ ـ ﴿والحَبُّ﴾ كالحِنطة والشعير ﴿ذُو العَصفِ﴾: التِّبنِ ﴿والرَّيحانُ﴾: الرزق أو المشموم.

١٣ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ﴾: نِعَمِ ﴿رَبِّكُما﴾ ـ أيها الإنسُ والجِنُّ ـ ﴿تُكذِّبانِ﴾؟ ذُكِرتْ إحدى وثلاثين مرّة، والاستفهام فيها للتقرير، لِما روى الحاكم عن جابر قال: «قَرأَ علَينا رسُولُ اللهِ ﷺ سُورةَ الرَّحمنِ حَتّى خَتَمَها، ثُمّ قالَ: مالِي أراكُم سُكُوتًا؟ لَلجِنُّ كانُوا أحسَنَ مِنكُم رَدًّا. ما قَرأتُ علَيهِم هذهِ الآيَةَ مِن مَرّةٍ: «فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ»؟ إلاّ قالوا: ولا بِشَيءٍ مِن نِعَمِكَ ـ رَبَّنا ـ نُكَذِّبُ. فلكَ الحَمدُ».

١٤ ـ ﴿خَلَقَ الإنسانَ﴾ آدمَ ﴿مِن صَلصالٍ﴾: من طين يابس يُسمع له صلصلةٌ، ....

قولُهُ: (العَدلَ) بأن وفَّى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه حتَّى انتظمَ أمرُ العالمِ، كما قالَ عليهِ السَّلامُ: «بالعدْلِ قامَتِ السَّماواتُ والأرضُ»[1]، أو المرادُ بـ﴿الميزانِ﴾: ما يُعرَفُ به مقاديرُ الأشياءِ مِن ميزانٍ ومكيالٍ ونحوِها.

قولُهُ: (أثبَتَها) الظَّاهرُ: خفَضَها لمقابلةِ: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا﴾.

قولُهُ: (وغَيرِهِم) في «القاموسِ»[2]: الأنامُ الخلقُ أو الجنُّ والإنسُ، أو جميعُ ما على وجهِ الأرضِ، وقيل: الأنامُ كلُّ ذي روحٍ.

قولُهُ تعالى: (﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾) أي: ضروبٌ ممَّا يُتفكَّهُ به.

قولُهُ: (كَالحِنْطَةِ) وسائرِ ما يُتَغَذَّى به.

قولُهُ: (الوَرَقُ) كذا في نسخةٍ، وهو تصحيفٌ، والصَّوابُ: «الرِّزقُ» كما في نسخةٍ، مِن قولِهم: خرجْتُ أطلبُ ريحانَ اللهِ[3].

قولُهُ: (أيُّهَا الإنسُ) يعني: الخطابُ للثَّقلينِ المدلولِ عليه بقولِه: ﴿لِلْأَنَامِ﴾، وقولِه: ﴿أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾.

قولُهُ: (لَلْجِنُّ) بفتحِ اللَّامِ للابتداءِ.

قولُهُ: (رَدًّا) أي: جواباً.

قولُهُ: (ولا بِشَيءٍ) المحفوظُ عندي: لا بشيءٍ.

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «القاموس» (ص: ١٠٧٧).

(٣) أي: رزق الله.

أي: صوت إذا نُقر، ﴿كالفَخّارِ﴾ ـ وهو ما طُبخ من الطين ـ ١٥ ـ ﴿وخَلَقَ الجانَّ﴾ أبا الجِنّ وهو إبليس ﴿مِن مارِجٍ مِن نارٍ﴾ هو لهَبها الخالص من الدُّخان. ١٦ ـ ١٧ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ رَبُّ المَشرِقَينِ﴾: مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿ورَبُّ المَغرِبَينِ﴾ كذلك. ١٨ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

١٩ ـ ﴿مَرَجَ﴾ أرسلَ ﴿البَحرَينِ﴾: العذبَ والمِلحَ ﴿يَلتَقِيانِ﴾ في رأيِ العين، ٢٠ ـ ﴿بَينَهُما بَرزَخٌ﴾: حاجز من قُدرته ـ تعالى ـ ﴿لا يَبغِيانِ﴾: لا يبغي واحد منهما على الآخَر فيختلط به. ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ يُخرَجُ﴾ ـ بالبناء للمفعول والفاعل ـ ﴿مِنهُما﴾: من مجموعهما الصادقِ بأحدهما وهو المِلح ﴿اللُّؤلُؤُ والمَرجانُ﴾: خرَز أحمر أو صِغار اللؤلؤ. ٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ ولَهُ الجَوارِي﴾: السُّفنُ ﴿المُنشَآتُ﴾: المُحدَثات ﴿في البَحرِ كالأعلامِ﴾: كالجبال عِظَمًا وارتفاعًا. ٢٥ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٢٦ ـ ﴿كُلُّ مَن علَيها﴾ أي: الأرضِ من الحيوان ﴿فانٍ﴾: هالكٌ ـ وعُبّر بـ «مَن» تغليبًا للعُقلاء ـ ٢٧ ـ ﴿ويَبقَى وَجهُ رَبِّكَ﴾: ذاتُه ﴿ذُو الجَلالِ﴾: العَظَمة..............................

قولُهُ: (وهُو مَا طُبِخَ) يعني: الخزفَ، وقد خلقَ اللهُ آدمَ مِن ترابٍ جعلَهُ طيناً، ثمَّ حمأً مسنوناً، ثمَّ صلصالاً، فلا يخالفُ ذلكَ قولَهُ: ﴿خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ [آل عمران: ٥٩] ﴿وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

قولُهُ: (أَبَا الجِنِّ) أو الجنَّ.

قولُهُ: (هُو لَهَبُهَا) و﴿مِنْ نَارٍ﴾ بيانٌ له.

قولُهُ: (فِي رَأْيِ العِينِ) أي: يتجاورانِ.

قولُهُ: (للمَفْعُولِ) نافعٌ وبصريٌّ[1].

قولُهُ: (وهُو المِلْحُ) إن صحَّ أنَّ الدُّرَّ لا يخرجُ إلَّا منهُ.

قولُهُ: (أَو صِغَارُ اللُّؤلُؤِ) والمرادُ باللُّؤلؤِ: كبارُهُ.

قولُهُ: (السُّفنُ) الجاريةُ.

قولُهُ: (المُحدَثَاتُ) أي: المصنوعاتُ، أو المرفوعاتُ الشُّرُعِ، ككتبٍ جمعُ: شِراعٍ، بالفارسيِّ: باديان.

قولُهُ: (ذُو العَظَمَةِ) والاستغناءِ المطلقِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٦).

﴿والإكرام﴾ للمُؤمنين بأنعمه عليهم. ٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تكَذِّبانِ؟ يَسألُهُ مَن في السَّماواتِ والأرضِ﴾: بنُطقٍ أو حالٍ ما يحتاجون إليه من القُوّةِ على العِبادة والرزقِ والمغفرةِ وغير ذلك، ﴿كُلَّ يَومٍ﴾: وقت ﴿هُوَ في شأنٍ﴾: أمر، يُظهره على وَفق ما قدّره في الأزل من إحياء وإماتة وإعزاز وإذلال وإغناء وإعدام وإجابة داع وإعطاء سائل وغير ذلك. ٣٠ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٣١ ـ ﴿سَنفرُغُ لكُم﴾: سنقصِد لحِسابكم ـ ﴿أيُّها الثَّقَلانِ﴾: الإنسُ والجِنُّ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ يا مَعشَرَ الجِنِّ والإنسِ، إنِ استَطَعتُم أن تَنفُذُوا﴾: تخرجوا ﴿مِن أقطارِ﴾: نواحي ﴿السَّماواتِ والأرضِ، فانفُذُوا﴾. أمرُ تعجيز. ﴿لا تَنفُذُونَ إلاّ بِسُلطانٍ﴾: بقُوّة، ولا قُوّة لكم على ذلك. ٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ يُرسَلُ عليكُما شُواظٌ مِن نارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدُّخان أو معه ﴿ونُحاسٍ﴾: أو دخانٍ لا لهب فيه، ﴿فلا تَنتَصِرانِ﴾: تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. ٣٦ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٣٧ ـ ﴿فإذا انشَقَّتِ السَّماءُ﴾: انفرجت أبوابًا لنُزول الملائكة، ﴿فكانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: مِثلَها مُحمرّة ﴿كالدِّهانِ﴾: كالأديم الأحمر، على خِلاف العهد بها. وجواب إذا: فما أعظمَ الهولَ!............

قولُهُ: (للمُؤمِنِينَ) أو الفضلِ العامِّ.

قولُهُ: (وغَيرِ ذَلِكَ) في الحديثِ: «مِنْ شأنِهِ أنْ يغفرَ ذنباً، ويفرِّجَ كرباً، ويرفعَ قوماً، ويضعَ آخرينَ»[1] قيل: معنى الآيةِ: سوقُ المقاديرِ إلى أوقاتِها، وفي «الكشَّافِ»[2]: شؤونٌ يُبدِيها لا يبتَدِيها.

قولُهُ: (سَنَقصِدُ) في «التَّذكرةِ»[3]: فرغَ؛ بمعنى: قصدَ، وقالَ القاضي[4]: أي: سنتجرَّدُ لحسابِكُم وجزائِكُم، وذلكَ يومَ القيامةِ، فإنَّهُ تعالى لا يفعلُ فيه غيرَهُ، وفيهِ تهديدٌ.

قولُهُ: (تَخرُجُوا) هاربينَ مِن اللهِ، فارِّينَ مِن قضائِهِ وقدَرِهِ.

قولُهُ: (كَالأَدِيمِ) أو مذابةً كالدُّهنِ، وهو اسمٌ لما يُدهَنُ به كالحزامِ، أو جمعُ: دهنٍ.

---

(١) رواه ابن ماجه (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣١٤٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٧٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٦). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٢٨): إسناده حسن.

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٤٤٨).

(٣) انظر: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص: ٧٩٤).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٧٢).

٣٨ ـ ٣٩ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فيَومَئِذٍ لا يُسألُ عَن ذَنبِهِ إنسٌ ولا جانٌّ﴾ عن ذنبه. ويُسألون في وقت آخر: «فوَرَبِّكَ لَنسألَنَّهم أجمَعِينَ». والجانّ هنا وفيما سيأتي بمعنى الجِنِّيّ، والإنس فيهما بمعنى الإنسيّ. ٤٠ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿يُعرَفُ المُجرِمُونَ بِسِيماهُم﴾ أي: سوادِ الوُجوه وزُرقة العُيون، ﴿فيُؤخَذُ بِالنَّواصِي والأقدامِ. فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟ أي: تُضمّ ناصية كُلّ منهم إلى قدميه من خلفُ أو قُدّامُ، ويُلقى في النار، ويقال لهم: ٤٣ ـ ٤٤ ـ ﴿هذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِها المُجرِمُونَ. يَطُوفُونَ﴾: يسعَون ﴿بَينَها وبَينَ حَمِيمٍ﴾: ماءٍ حارّ ﴿آنٍ﴾: شديد الحرارة. يُسقَونه إذا استغاثوا من حرّ النار. وهو منقوصٌ كقاضٍ. ٤٥ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿ولِمَن خافَ﴾ أي: لكُلٍّ منهم أو لمجموعهم ﴿مَقامَ رَبِّهِ﴾: قيامَه بين يديه للحِساب فتركَ معصيته ﴿جَنّتانِ، فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ ذَواتا﴾:...........................

قولُهُ: (عَن ذَنْبِهِ) لأنَّهم يُعرَفونَ بسيماهُم، وذلك حينَ ما يخرُجونَ مِن قبورِهم ويُحشَرونَ إلى الموقفِ جمعاً جمعاً على اختلافِ مراتِبِهم.

قولُهُ: (فِي وَقْتٍ آخَرَ) حين يُحبَسونَ ويُحاسَبونَ في المَجمَعِ، والهاءُ للإنس باعتبارِ اللَّفظِ، فإنَّهُ وإن تأخَّرَ لفظاً تقدَّمَ رتبةً.

قولُهُ: (بِمَعنَى: الإِنسِيِّ) والظَّاهرُ أنَّهُما للجنسِ.

قولُهُ: (أي: سَوَادِ الوُجُوهِ) أو ما يعلوهُم مِن الكآبَةِ والحزنِ.

قولُهُ: (أي: تُضَمُّ) حقُّهُ الاتِّصالُ بالمفسَّرِ، وقيل: يؤخذونَ بالنَّواصِي تارةً، وبالأقدامِ أخرى.

قولُهُ: (يُسْقَونَهُ) أو يُصَبُّ عليهم، وقيل: إذا استَغاثوا من النَّارِ أُغِيثُوا بالحميمِ.

قولُهُ: (مَنْقُوصٌ) مِن أنى الحميم: انتهى حرُّهُ فهو آنٍ، كذا في «القاموسِ»[1] يعني: بلغَ النِّهايةَ في الحرارةِ.

قولُهُ: (قِيَامَهُ بَيْنَ يَدَيهِ) أي: مقامَ الخائفِ عندَ ربِّهِ، فأضيفَ إلى الرَّبِّ تفخيماً وتهويلاً، أو قيامَ الرَّبِّ على أحوالِهِ، أو موقفَهُ الَّذي يقفُ فيه العبادُ للحسابِ، وقيل: ﴿مَقَامَ﴾ مقحمٌ للمبالغةِ.

وقولُهُ تعالى: (﴿جَنَّتَانِ﴾) أي: جنَّةٌ للخائفِ الإنسيِّ، والأخرى للخائفِ الجنِّيِّ، فإنَّ الخطابَ للفريقينِ، والمعنى: لكلِّ خائفينِ منكُما، أو لكلِّ واحدٍ جنَّةٌ لعقيدتِهِ وأخرى لعملِهِ، أو جنَّةٌ لفعلِ الطَّاعاتِ، وأخرى لتركِ

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٢٦٠).

تثنية «ذوات» على الأصل، ولامها ياء، ﴿أفنانٍ﴾: أغصانٍ جمع فَنَن كطَلَل. ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فِيهِما عَينانِ تَجرِيانِ. فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فِيهِما مِن كُلِّ فاكِهَةٍ﴾ في الدنيا أو كُلّ ما يُتفكّه به ﴿زَوجانِ﴾: نوعانِ رطبٌ ويابس، والمرُّ منهما في الدنيا كالحنظل حلوٌ. ٥٣ ـ ٥٤ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبانِ؟ مُتّكِئِينَ﴾: حالٌ عامله محذوف، أي: يتنعّمون ﴿على فُرُشٍ، بَطائنُها مِن إستبرَقٍ﴾: ما غلُظ من الديباج وخشُن، والظهائرُ من السُّندس، ﴿وجَنَى الجَنّتَينِ﴾: ثمرُهما ﴿دانٍ﴾: قريبٌ، يناله القائم والقاعد والمضطجع. ٥٥ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٥٦ ـ ٥٧ ـ ٥٨ ـ ﴿فِيهِنَّ﴾: في الجنّتين وما اشتملتا عليه من العلالي والقصور ﴿قاصِراتُ الطَّرْفِ﴾: العَينِ على أزواجهنّ المتّكئين من الإنس والجنّ،.........................

السَّيِّئاتِ، أو عن يمينٍ وشمالٍ، أو مِن ذهبٍ وفضَّةٍ، أو روحانيَّةٌ وجسمانيَّةٌ، أو معجَّلةٌ في الدُّنيا ومؤجَّلةٌ في العقبى، أو المرادُ: الكثرةُ، وكذا كلُّ ما جاءَ مثنًى بعدُ[1].

قوله: (ولامُهَا) أي: الألفُ الَّتي قبلَ التَّاءِ.

قولُهُ: (يَاءٌ) وقيلَ: واو.

قولُهُ: (أَغصَانٍ) وتخصيصُها بالذِّكرِ؛ لأنَّها الَّتي تورِقُ وتُثمِرُ وتمدُّ الظِّلَّ، أو أنواعٌ مِن الأشجارِ والثِّمارِ، جمعُ: فنن.

قولُهُ تعالى: (﴿تَجْرِيَانِ﴾) أي: حيثُ شاؤوا في الأعَالي والأسافلِ، قيل: إحداهُما التَّسنيمُ والأخرى السَّلسبيلُ.

قولُهُ: (رَطْبٌ ويَابِسٌ) أو غريبٌ ومعروفٌ.

قولُهُ: (حَالٌ) مِن الخائفينَ، أو مدحٌ لهم؛ لأنَّ مَن خافَ في معنى الجمعِ.

قولُهُ: (عَامِلُهُ مَحذُوفٌ) الظَّاهرُ كما قالَ أبو البقاءِ[2]: أنَّ عاملَهُ الظَّرفُ.

قولُهُ: (ثَمَرُهَا) ﴿وجنَى﴾ اسمٌ بمعنى: المجنيّ.

قولُهُ: (فِي الجَنَّتَينِ) أو في الجنانِ، فإنَّ (جنَّتَانِ) يدلُّ على جنانٍ هي للخائفينَ.

قولُهُ: (مِنَ الإِنسِ والجِنِّ) يحتملُ بيانَ الأزواجِ والزَّوجاتِ.

---

(١) أي: من لفظ الجنة.

(٢) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١٢٠٠).

﴿لَم يَطمِثْهُنَّ﴾: يَفتَضَّهنّ ـ وهنّ من الحُور، أو من نِساء الدنيا المُنشآت ـ ﴿إنسٌ قَبلَهُم ولا جانٌّ، فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ كأَنَّهُنَّ الياقُوتُ﴾ صفاءً ﴿والمَرجانُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضًا. ٥٩ ـ ٦٠ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ هَل﴾: ما ﴿جَزاءُ الإحسانِ﴾ بالطاعة ﴿إلاّ الإحسانُ﴾ بالنعيم؟ ٦١ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٦٢ ـ ﴿ومِن دُونِهِما﴾ أي: الجنّتين المذكورتين ﴿جَنّتانِ﴾ أيضًا لمن خاف مَقام ربّه، ٦٣ ـ ٦٤ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ مُدْهامَّتانِ﴾: سَوداوانِ من شِدّة خُضرتهما، ٦٥ ـ ٦٦ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فِيهِما عَينانِ نَضّاخَتانِ﴾: فوّارتانِ بالماء لا تنقطعان، ٦٧ ـ ٦٨ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ فِيهِما فاكِهةٌ ونَخلٌ ورُمّانٌ﴾، هما منها، وقيل: من غيرها، ٦٩ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ﴾؟

٧٠ ـ ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنّتين وقصورِهما ﴿خَيْراتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسانٌ﴾ وُجوهًا، ٧١ ـ ٧٢ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ حُورٌ﴾: شديداتُ سوادِ العُيون وبياضِها ﴿مَقصُوراتٌ﴾: مستورات ﴿في الخِيامِ﴾ من دُرٍّ مجوَّفٍ، مُضافةً إلى القُصور شبيهةً بالخُدور، ....

قوله: (يَفتَضَّهنَّ) أي: لم يمسَّ الإنسيَّاتِ والجنيَّاتِ.

قولُهُ: (بَياضاً) أو في حمرةِ الوجنةِ وبياضِ البشرةِ وصفائِهما.

قولُهُ: (لِمَنْ خَافَ) الصَّحيحُ أنَّهُما لمن دونَهُم مِن أصحابِ اليَمينِ.

قولُهُ: (مِنهَا) أي: مِن الفاكهَةِ، وعطفُهما عليها عطفُ تخصيصٍ بعدَ تعميمٍ بياناً لفضلِهما؛ فإنَّ ثمرةَ النَّخلِ فاكهةٌ وغذاءٌ، وثمرةَ الرُّمَّانِ فاكهةٌ ودواءٌ.

قولُهُ: (وقِيلَ: من غَيرِهَا) إذِ الأصلُ في العطفِ المغايرةُ، واحتجَّ به أبو حنيفةَ[1] على أنَّ مَن حلفَ لا يأكلُ فاكهةً فأكلَ رطباً أو رمَّاناً لم يحنَثْ، ولعلَّهُ اختارَ القولَ الأخيرَ، أو حكمَ بعدمِ الحنثِ للشَّكِّ النَّاشئِ عنِ الاحتمالينِ.

قولُهُ: (وقُصُورِهِمَا) أو الجنَّتين الأولَيَيْنِ والأخرَيَيْنِ.

قولُهُ: (أَخلاقاً) أي: خيِّراتٌ، فخُفِّفَت؛ لأنَّ خيراً الَّذي بمعنى: أخيرَ، لا يُجمَعُ جمعَ السَّلامةِ، وقُرئَ على الأصلِ[2].

قولُهُ: (وُجُوهاً) أو حسانُ الخَلقِ والخُلُقِ.

قولُهُ: (سَوَادِ العَينِ) من الحَوَرِ محرَّكةٌ.

قولُهُ: (مَسْتُورَاتٌ) أي: مخدَّراتٌ، أو مقصوراتُ الطَّرفِ على أزواجِهنَّ.

---

(١) انظر: «الهداية» (٢/ ٣٢٦).

(٢) أي: (فيهن خيِّرات حسان) وهي قراءة شاذة، ونسبت لأبي عثمان النهدي، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٥١).

٧٣ ـ ٧٤ ـ ٧٥ ـ ٧٦ ـ ﴿فبأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ لَم يَطمِثْهُنَّ إنسٌ قَبلَهُم﴾: قبل أزواجهنّ ﴿ولا جانٌّ، فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكذِّبانِ؟ مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أزواجُهنّ ـ وإعرابه كما تقدّم ـ ﴿علَى رَفرَفٍ خُضرٍ﴾: جمع رَفرفة، أي: بُسُطٍ أو وسائدَ، ﴿وعَبقَرِيٍّ حِسانٍ﴾: جمع عبقريّة، أي: طنافس. ٧٧ ـ ٧٨ ـ ﴿فبِأيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ؟ تَبارَكَ اسمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ والإكرامِ﴾! تقدّم، ولفظ «اسم» زائدٌ.

قولُهُ: (عَبْقَرِيَّةٍ) منسوبٌ إلى: عبقرَ، تزعُمُ العربُ أنَّه اسمُ بلدِ الجنِّ، فينسبونَ إليه كلَّ شيءٍ عجيبٍ، والمرادُ به: الجنسُ، ولذلكَ جمعَ ﴿حِسَانٍ﴾ حملاً على المعنى، فقولُ الشَّيخِ: «جمعُ عبقريَّةٍ»[1] فيه مسامحةٌ.

قولُهُ: (أي: طَنَافِسَ) جمعُ: الطِّنفسةِ ـ مثلَّثةُ الطَّاءِ والفاءِ ـ: الثِّيابُ[2].

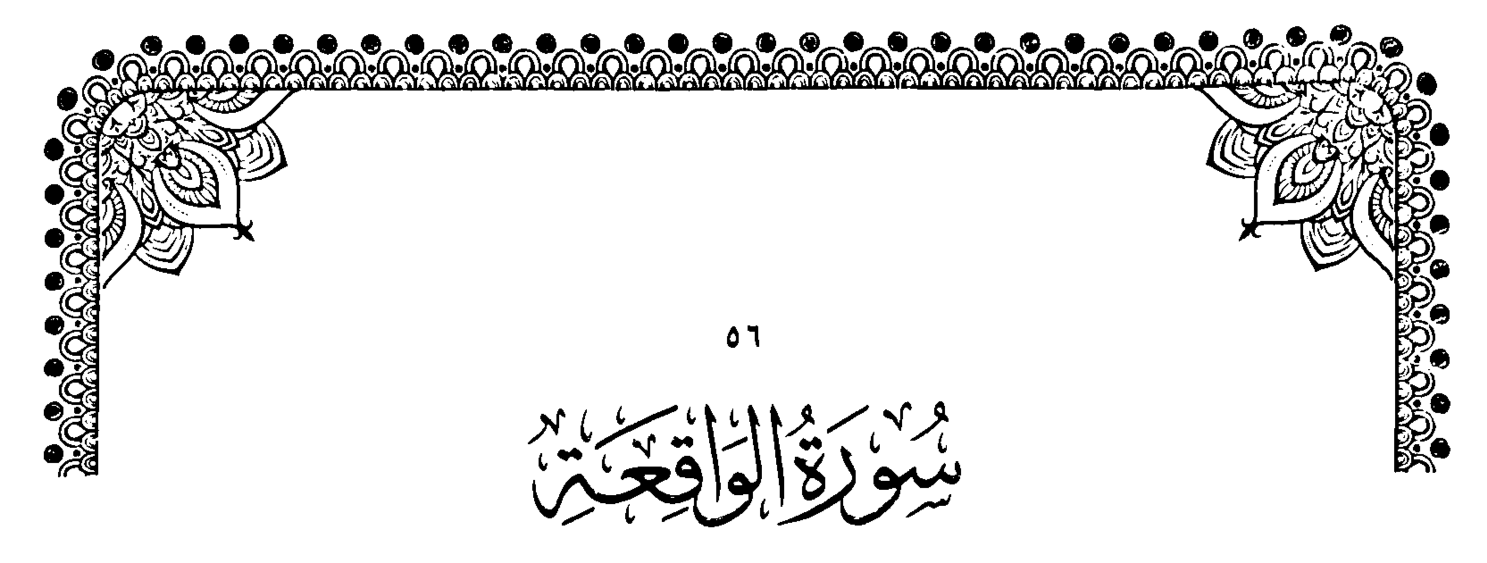
قولُهُ: (ولَفظُ ﴿اسْمُ﴾ زَائِدٌ) كذا قيل، وقيل: الاسمُ بمعنى: الصِّفةِ، والتَّحقيقُ: أنَّهُ تعالى اسمُهُ من حيثُ إنَّه يُطلَقُ على ذاتِهِ، فما ظنُّكَ بذاتِهِ، واللهُ أعلمُ.

***

---

(١) جاء في «الدر المصون في علوم الكتاب المكنون» (١٠/ ١٨٨): عبقريّ جمع: عَبْقَرِيَّة؛ يعني: فيكونُ اسمَ جنسٍ، وقيل: هو واحدٌ دالٌّ على الجمع، ولذلك وُصِف بـ﴿حسان﴾.

(٢) انظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» (١/ ٣٢٠).



مكية إلاّ «أفبهذا الحديث» الآيةَ، و«ثُلّة من الأولين» الآيةَ، وهي ستٌّ أو سبع أو تسع وتسعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا وَقَعَتِ الواقِعةُ﴾ قامتِ القِيامة، ٢ ـ ﴿لَيسَ لِوَقْعتِها كاذِبةٌ﴾: نفسٌ تكذِّب بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا، ٣ ـ ﴿خافِضةٌ رافِعةٌ﴾ أي: هي مُظهِرة لخفض أقوام بدُخولهم النارَ ولرفع آخرين بدُخولهم الجنّةَ،٤ ـ ﴿إذا رُجَّتِ الأرضُ رَجًّا﴾: حُرّكتْ حركة شديدة، ٥ ـ ﴿وبُسَّتِ الجِبالُ بَسًّا﴾: فُتّتَتْ، ٦ ـ ﴿فكانَت هَباءً﴾: غُبارًا ﴿مُنبَثًّا﴾: منتشرًا ـ وإذا الثانية: بدل من الأُولى ـ ٧ ـ ٨ ـ ﴿وكُنتُم﴾ في القِيامة ﴿أزواجًا﴾: أصنافًا ﴿ثَلاثةً، فأصحابُ المَيمَنةِ﴾..........

سورة الواقعة

قولُهُ: (قَامَتِ) أو حدثَتْ، سمَّاها واقعةً لتحقُّقِ وقوعِها، وانتصابُ ﴿إذا﴾ بمحذوفٍ مثلُ: اذكُرْ، وقيل: بـ﴿لَيْسَ﴾، وقيل: بقولِهِ: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾.

قولُهُ: (بِأَنْ تَنفِيَهَا) أي: تكذِبُ في نَفيِها، واللَّامُ للتَّأقيتِ؛ أي: حينَ تقعُ.

قولُهُ: (مُظهِرَةٌ) إشارةٌ إلى أنَّ الخافضَ والرَّافعَ هو اللهُ، لكنَّ ظهورَها في ذلكَ الوقتِ، قيل: يخفضُ أقواماً بالعدلِ، ويرفعُ أقواماً بالفضلِ.

قولُهُ: (حَرَكَةً شَدِيدَةً) بحيثُ ينهدمُ ما فوقَها مِن بناءٍ وجَبلٍ.

قولُهُ: (أي: فُتّتَتْ) أو سُيِّرت.

قولُهُ: (بَدَلٌ) أو ظَرفٌ لـ﴿خافِضةٌ﴾.

قولُهُ: (أَصنَافاً) وكلُّ صنفٍ يكونُ أو يُذكَرُ معَ صنفٍ آخرَ زوجٌ؛ أي: ينقسمُ النَّاسُ يومئذٍ إلى ثلاثةِ أصنافٍ.

وهم الذين يُؤتَون كُتبَهم بأيمانهم، مبتدأٌ خبرُه: ﴿ما أصحابُ المَيمَنةِ﴾! تعظيمٌ لشأنهم بدخولهم الجنّةَ، ٩ ـ ﴿وأصحابُ المَشْأمةِ﴾ أي: الشِّمالِ بأن يُؤتَى كُلّ منهم كِتابَه بشِماله ﴿ما أصحابُ المَشْأمةِ﴾! تحقيرٌ لشأنهم بدخولهم النارَ، ١٠ ـ ﴿والسّابِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء: مبتدأٌ ﴿السّابِقُونَ﴾: تأكيد لتعظيم شأنهم، والخبرُ: ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿أُولئِكَ المُقَرَّبُونَ، في جَنّاتِ النَّعيمِ، ثُلّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية، ١٤ ـ ﴿وقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾: من أمة محمد ﷺ وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة، والخبرُ: ١٥ ـ ﴿علَى سُرُرٍ مَوضُونةٍ﴾: منسوجة بقُضبان الذهب والجواهر، ١٦ ـ ﴿مُتَّكِئِينَ علَيها مُتَقابِلِينَ﴾: حالان من الضمير في الخبر.

١٧ ـ ﴿يَطُوفُ علَيهِم﴾ للخِدمة ﴿وِلدانٌ مُخَلَّدُونَ﴾: على شكل الأولاد لا يَهرمون، ١٨ ـ ﴿بِأكْوابٍ﴾:

قولُهُ: (تَحقِيرٌ) إشارةٌ إلى أنَّ معنى الاستفهاميَّتينِ التَّعجُّبُ مِن حالِ الفريقينِ.

قولُهُ: (وهُمُ الأَنبِيَاءُ) لأنَّهم مقدَّموا أهلِ الأديانِ، وفيه أنَّه لا يلائمُ قولَهُ: ﴿وَقَلِيْلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾، أوِ السَّابقونَ إلى إجابةِ الرَّسولِ، أو إلى الخيراتِ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) أو خبرٌ؛ أي: الَّذين سبقَوا إلى الجنَّةِ.

قولُهُ: (مُبْتَدَأٌ) أو خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ، أو خبرٌ آخرُ.

قولُهُ: (أي: جَمَاعَةٌ) كثيرةٌ.

قولُهُ: (مِنَ الأُمَمِ المَاضِيَةِ) وهذهِ الأُمَّةِ، وقالت عائشةُ رضيَ اللهُ عنها: الفِرقَتانِ في أُمَّةِ كلِّ نبيٍّ: في صدرِها ثلَّةٌ، وفي آخرِها ثلَّةٌ[١]، وكثيرٌ مِن السَّلفِ ومنهُم الحسنُ على أنَّ معناهُ: هم كثيرٌ مِن متقدِّمِي هذهِ الأمَّةِ وقليلٌ من متأخِّريْها، وروى الطَّبرانيُّ وغيرُه مرفوعاً: «أنَّهُما من هذهِ الأمَّةِ»[٢].

قولُهُ: (في الخَبَرِ) أو خبرٌ آخرُ.

قولُهُ: (للخِدْمَةِ) في «النِّهايةِ»[٣]: الطَّائفُ الخادمُ الَّذي يخدمُكَ برفقٍ وعنايةٍ، وفي الحديثِ: «أولادُ الكفَّارِ خُدَّامُ أهلِ الجنَّةِ»[٤].

---

(١) لم أقف عليه مسنداً، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٥/ ٢٤١) بهذا السياق: روي عن عائشة أنها تأولت أن الفرقتين في أمة كل نبي وهي في الصدر ثلة وفي آخر الأمة قليل.

(٢) وكذا ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ١٩) وحسن إسناده، إلا أني لم أجده عند الطبراني. ورواه مسدد كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٣٧٤٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٨٨) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ١٤٢).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٤٥١٦)، والروياني في «مسنده» (٨٣٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢٤٤) (٦٩٩٣)، وفي =

أقداح لا عُرَى لها ﴿وأباريقَ﴾ لها عُرَى وخراطيمُ ﴿وكأسٍ﴾: إناءِ شُربِ الخمر ﴿مِن مَعِينٍ﴾، أي: خمرٍ جارية من مَنبع لا ينقطع أبدًا، ١٩ ـ ﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنها ولا يُنزَفُونَ﴾ ـ بفتح الزاي وكسرها، من: نُزِفَ الشاربُ وأنزَفَ ـ أي: لا يَحصُل لهم منها صُداع ولا ذَهاب عقل بخِلاف خمر الدنيا، ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿وفاكِهةٍ مِمّا يَتَخَيَّرونَ، ولَحمِ طَيرٍ مِمّا يَشتَهُونَ، و﴾ لهم للاستمتاع ﴿حُورٌ﴾: نساء شديداتُ سوادِ العُيون وبياضِها ﴿عِينٌ﴾: ضِخامُ العُيون ـ كُسرت عينه بدل ضمّها لمجانسة الياء، ومفرده عَيناء كحَمراء. وفي قراءة بجرِّ «حورٍ عينٍ» ـ ٢٣ ـ ﴿كأمثالِ اللُّؤلُؤِ المَكنُونِ﴾: المصون، ٢٤ ـ ٢٥ ـ ﴿جَزاءً﴾: مفعول له أو مصدر، والعامل مُقدّر، أي: جعلنا لهم ما ذُكر للجزاء أو جزَيناهم ...

قولُهُ: (لا عُرَى لَهَا) ولا خرطومَ، والباءُ للتَّعديةِ.

قولُهُ: (إِنَاءِ شُرْبِ الخَمرِ) أي: إناءٍ يُشرَبُ فيه الخمرُ.

قولُهُ: (وكَسرِهَا) كوفيٌّ[1].

قولُهُ: (نُزِفَ الشَّارِبُ) بالضمِّ، ذهبَ عقلُهُ بالسكرِ.

قولُهُ: (وأَنزَفَ) بالبناءِ للفاعلِ، إذا نفدَ وفنيَ شرابُهُ.

قولُهُ: (ولا ذَهَابُ عَقلٍ) ولا نفادُ خمرٍ.

قولُهُ: (﴿و﴾ لَهُم) أو فيها، وقيل: عطفٌ على: ﴿وِلْدَانٌ﴾.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ بـ«حُورٍ عِينٍ») يعني: قراءةُ حمزةَ والكسائيِّ[2] بالجرِّ عطفاً على: ﴿جَنَّات﴾؛ أي: هم في جنَّاتٍ، وفي صُحبةِ حورٍ، أو على: ﴿أكوابٍ﴾ بحسبِ المعنى، فإنَّ معناه: ينعمونَ بأكوابٍ، وإن أرادَ أنَّ القراءةَ بالباءِ الجارَّةِ؛ فهي شاذَّةٌ[3].

قولُهُ: (المَصُونِ) عمَّا يضرُّ به في الصَّفاءِ والنَّقاءِ.

قولُه: (أو جَزَيْنَاهُمْ) رويَ: أنَّ المنازلَ في الجنَّةِ على قدرِ الأعمالِ، وأمَّا نفسُ الدُّخولِ فبرحمةِ اللهِ وفضلِهِ،

= «المعجم الأوسط» (٢٠٤٥) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١٩): فيه عباد بن منصور، وثقه يحيى القطان وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

ورواه الطيالسي في «مسنده» (٢٢٢٥)، والبزار في «مسنده» (٧٤٦٦)، والطبراني في «الأوسط» (٥٣٥٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٠٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٦٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) لم أقف عليها في كتب الشواذ.

﴿بما كانُوا يَعمَلُونَ، لا يَسمَعُونَ فِيها﴾: في الجنّة ﴿لَغْوًا﴾: فاحشًا من الكلام ﴿ولا تأثِيمًا﴾: ما يُؤثِم. ٢٦ ـ ﴿إلاّ﴾: لكنْ ﴿قِيلاً﴾: قولاً ﴿سَلامًا سَلامًا﴾: بدلٌ من «قِيلاً». فإنهم يسمعونه.

٢٧ ـ ٢٨ ـ ﴿وأصحابُ اليَمِينِ ما أصحابُ اليَمِينِ! في سِدرٍ﴾: شجرِ النَّبْق ﴿مَخضُودٍ﴾: لا شوك فيه، ٢٩ ـ ﴿وطَلحٍ﴾: شجرِ الموز ﴿مَنضُودٍ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه، ٣٠ ـ ﴿وظِلٍّ مَمدُودٍ﴾: دائم، ٣١ ـ ﴿وماءٍ مَسكُوبٍ﴾: جارٍ دائمًا، ٣٢ ـ ٣٣ ـ ﴿وفاكِهةٍ كَثِيرةٍ، لا مَقطُوعةٍ﴾ في زمن،........

والخلودُ بالنِّيَّةِ، وكذلك الدَّركاتُ في النَّارِ على مراتبِ المعاصي، وأمَّا نفسُ الدُّخولِ فبالعدلِ، والخلودُ بالنِّيَّةِ.

قولُهُ: (فَاحِشاً) الظاهرُ: عبثاً.

قولُهُ: (مَا يُؤثِمُ) أي: ولا ما يُوقِعُ في الإثمِ، أو ولا نسبةً إلى الإثمِ؛ أي: لا يقالُ لهم: أثمتُمْ.

قولُهُ: (لَكِن) يعني: الاستثناءُ منقطعٌ، وهو ظاهرٌ أو متَّصلٌ، والمعنى: لا لغوَ إلَّا السَّلامُ، ومعلومٌ أنَّ السَّلامَ ليسَ بلغوٍ فلا لغوَ، فيكونُ من بابِ تأكيدِ المدحِ بما يشبهُ الذَّمَّ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) أو صفةٌ؛ بمعنى: سالماً.

قولُهُ: (فَإِنَّهُمْ يَسْمَعُونَهُ) لقولِهِ تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا﴾ [مريم: ٦٢]، والتَّكريرُ للدَّلالةِ على فشوِّ السَّلامِ بينَهُم، ويمكنُ أن يكونَ التَّقديرُ: سلاماً مِن اللهِ وسلاماً مِن الملائكةِ.

قولُهُ: (لا شَوكَ) أو مثنيٌّ أغصانُهُ.

قولُهُ: (شَجَرِ المَوزِ) وأكثرُ السَّلفِ على أنَّه أمُّ غيلانَ له أنوارٌ كثيرةٌ ورائحةٌ طيِّبةٌ وظلٌّ باردٌ، وعن ابنِ عبَّاسٍ[1]: يشبهُ طلحَ الدُّنيا، لكنَّ ثمرَهُ أحلى مِن العسلِ، وعنهُ[2]: أنَّ بينَ نعيمِ الدُّنيا ونعيمِ العقبى مشاركةً اسميَّةً.

قولُهُ: (بالحَمْلِ) أي: متراكِمٌ.

قولُهُ: (دَائِمٍ) أو منبَسطٍ، وفي «الصَّحيحينِ»[3]: «إنَّ في الجنَّةِ شجرةً لو يسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّها مائةَ عامٍ ما قطعَها».

قولُهُ: (جَارٍ) أينَ شاؤوا، وكيفَ شاؤوا، أو مصبوبٍ سائلٍ يجري على الأرضِ من غيرِ أخدودٍ.

قولُهُ تعالى: (﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾) أي: كثيرةِ الأجناسِ.

---

(١) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٥٢٦). وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٤٦١) ونسبه للسدى.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٥٣٥)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٦٠).

(٣) رواه البخاري (٦٥٥٢)، ومسلم (٢٨٢٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

﴿ولا مَمنُوعةٍ﴾ بثمن، ٣٤ ـ ﴿وفُرُشٍ مَرفُوعةٍ﴾ على السُّرُر.

٣٥ ـ ﴿إنّا أنشأناهُنَّ إنشاءً﴾ أي: الحُورَ العِين من غير وِلادة، ٣٦ ـ ﴿فجَعَلْناهُنَّ أبكارًا﴾: عذارَى، كُلّما أتاهنّ أزواجُهنّ وجدوهنّ عذارى ولا وجعَ، ٣٧ ـ ﴿عُرُبًا﴾، بضم الراء وسكونها: جمع عَرُوب ـ وهي المُتحبّبة إلى زوجها عِشقًا له ـ ﴿أترابًا﴾: جمع تِرب، أي: مُستوياتٍ في السنّ، ٣٨ ـ ﴿لِأصحابِ اليَمِينِ﴾: صلةُ «أنشأناهنّ» أو «جعلناهنّ»، ٣٩ ـ ٤٠ ـ وهم ﴿ثُلّةٌ مِنَ الأوَّلِينَ، وثُلّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

قولُهُ: (بِثَمَنٍ) بل ولا تمتنعُ عن متناولِها بوَجهٍ.

قولُهُ: (على السُّرُرِ) أو رفيعةِ القدرِ، أو مرفوعةٍ بعضُها فوقَ بعضٍ، وفي الحديثِ: «ارتفاعُهَا ما بينَ السَّماءِ والأرضِ» رواهُ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ[1]، وقيل: الفرشُ: النِّساءُ، وارتفاعُها أنَّها على الأرائِكِ، ويدلُّ عليهِ ما بعدَهُ.

قولُهُ: (أي: الحُورَ العِينَ) أي: ابتَدأناهُنَّ ابتداءً جديداً.

قولُهُ: (مِن غَيرِ وِلادَةٍ) إبداءً أو إعادةً، أو الضَّميرُ لما دلَّ عليهِ السِّياقُ وهو ذكرُ الفرشِ؛ أي: النِّساءِ؛ أي: أعَدْنا إنشاءهُنَّ، ففي الحديثِ: «هنَّ اللَّواتي قُبِضْنَ عجائزَ خلقهنَّ اللهُ بعدَ الكبرِ فجعلهنَّ عذارى متعشِّقاتٍ على ميلادٍ واحدٍ أفضلُ مِنَ الحورِ العينِ، كفضلِ الظِّهارَةِ على البِطَانةِ، ومَن يكنْ لها أزواجٌ في الدُّنيا تُخيَّرُ فتختارُ أحسنَهُمْ خلقاً»، الحديثُ في الطَّبرانيِّ والتِّرمذيِّ[2] مطوَّلٌ دالٌّ على معانٍ كثيرةٍ جليلةِ القدرِ. وفي حديثٍ: «هنَّ أفضلُ مِنَ الحورِ لصلاتهنَّ وصيامهنَّ»[3].

قولُهُ: (وسُكُونِهَا) حمزةُ وشعبةُ[4].

قولُهُ: (فِي السِّنِّ) كلُّهنَّ بناتُ ثلاثٍ وثلاثينَ، وكذا أزواجُهنَّ.

قولُهُ: (أو جَعَلْنَاهُنَّ) أو صلةٌ لـ﴿أَبكَارًا﴾، أو خبرٌ لمحذوفٍ مثلُ: هنَّ.

قولُهُ: (وهُم) مبتدأٌ مقدَّرٌ، ولا معنى للواوِ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٢٩٤)، وأحمد في «مسنده» (١١٧١٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٤٠٥) وأبو نعيم في (صفة الجنة» (٣٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين.
ولم أجده عند النسائي، والله أعلم.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٦٧) (٨٧٠) مطولًا من حديث أم سلمة رضي الله عنها.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٩): فيه سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وابن عدي.
وأما الترمذي فروى قطعة منه (٣٢٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرقاشي يضعفان في الحديث.

(٣) هذا طرف من حديث أم سلمة رضي الله عنها المتقدم عند الطبراني.

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٧).

٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿وأصحابُ الشِّمالِ ما أصحابُ الشِّمالِ! في سَمُومٍ﴾: ريحٍ حارّة من النار تنفذ في المسامّ، ﴿وحَمِيمٍ﴾: ماء شديد الحرارة ٤٣ ـ ﴿وظِلٍّ مِن يَحمُومٍ﴾: دُخان شديد السواد، ٤٤ ـ ﴿لا بارِدٍ﴾ كغيره من الظِّلال ﴿ولا كَرِيمٍ﴾: حسن المنظر. ٤٥ ـ ﴿إِنَّهُم كانُوا قَبلَ ذلِكَ﴾: في الدنيا ﴿مُترَفِينَ﴾: مُنعّمين، لا يتعبون في الطاعة، ٤٦ ـ ﴿وكانُوا يُصِرُّونَ علَى الحِنثِ﴾: الذنب ﴿العَظِيمِ﴾ أي: الشرك، ٤٧ ـ ﴿وكانُوا يَقُولُونَ: أَإذا مُتْنا وكُنّا تُرابًا وعِظامًا أَإنّا لَمَبعُوثُونَ﴾ ـ في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين ـ ٤٨ ـ ﴿أَوَآباؤُنا الأَوَّلُونَ﴾؟ بفتح الواو للعطف. والهمزة: للاستفهام. وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد. وفي قراءة بسكون الواو عطفًا بـ«أَوْ» والمعطوف عليه محلّ «إن» واسمِها.

٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿قُلْ: إِنَّ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ لَمَجمُوعُونَ إِلَى مِيقاتِ﴾: وقتِ ﴿يَومٍ مَعلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة، ٥١ ـ ٥٢ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُم ـ أَيُّها الضّالُّونَ المُكَذِّبُونَ ـ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِن زَقُّومٍ﴾: بيانٌ للشجر،

قولُهُ: (رِيحٍ) أو حرِّ نارٍ.

قولُهُ: (المَسَامِّ) خروقِ الجسدِ.

قولُهُ: (دُخَانٍ) يفعولُ مِن الحُمَمَةِ؛ أي: الفحمِ.

قولُهُ: (حَسَنِ المَنْظَرِ) أو يانعٍ[1]، نفى بذلك ما أوهمَ الظِّلُّ من الاسترواحِ.

قولُهُ: (مُنعَّمِينَ) منهمِكينَ في الشَّهَواتِ.

قولُهُ: (لا يَتْعَبُونَ فِي الطَّاعَةِ) ولا يصبرونَ عن السَّيِّئةِ.

قولُهُ: (بالهَمْزَتَينِ) كُرِّرَتِ الهمزةُ للدَّلالةِ على إنكارِ البعثِ مطلقاً، وخُصوصاً في هذا الوقتِ.

قولُهُ: (التَّحقِيقُ) تقدَّمَ[2].

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لقالونَ وشاميٍّ[3].

قولُهُ: (لِوَقتِ) الإضافَةُ بمعنى: مِن، كخاتمِ حديدٍ؛ أي: إلى ما وُقِّتت به الدُّنيا وحُدِّتْ من يومٍ معيَّنٍ عندَ اللهِ معلومٍ.

قولُهُ: (بَيَانٌ) والأولى للابتداءِ، أو التَّبعيضِ.

---

(١) في (م): «نافع».

(٢) انظر الآية رقم: (٥) من سورة الرعد.

(٣) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٧١).

٥٣ ـ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ﴿فمالِئُونَ مِنها﴾: من الشجر ﴿البُطُونَ، فشارِبُونَ علَيهِ﴾ أي: الزقّومِ المأكولِ ﴿مِنَ الحَمِيمِ، فشارِبُونَ شَربَ﴾ ـ بفتح الشين وضمّها مصدرٌ ـ ﴿الهِيمِ﴾: الإبل العِطاش، جمع هَيمانَ للذكر وهَيمَى للأُنثى كعَطشانَ وعَطشَى. ٥٦ ـ ﴿هذا نُزُلُهُم﴾: ما أُعِدّ لهم ﴿يَومَ الدِّينِ﴾: يوم القيامة.

٥٧ ـ ﴿نَحنُ خَلَقْناكُم﴾: أوجدناكم من عدم. ﴿فلَولا﴾: فهلاّ ﴿تُصَدِّقُونَ﴾ بالبعث، إذِ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة. ٥٨ ـ ﴿أفرَأَيتُم ما تُمنُونَ﴾: تُرِيقون من المنيِّ في أرحام النساء؟ ٥٩ ـ ﴿أأنتُم﴾ ـ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركه، في المواضع الأربعة ـ ﴿تَخلُقُونَهُ﴾ أي: المنيَّ بشرًا ﴿أم نَحنُ الخالِقُونَ﴾؟

٦٠ ـ ﴿نَحنُ قَدَّرْنا﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿بَينَكُمُ المَوتَ، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾: بعاجزين

قولُهُ: (مِنَ الشَّجَرِ) لغَلبةِ الجوعِ.

قولُهُ: (أي: الزَّقُّومِ) لشدَّةِ العطشِ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) نافعٌ وعاصمٌ وحمزةُ[(١)].

قولُهُ: (العِطَاشِ) الَّتي بها الهُيامُ، وهو داءٌ يشبهُ الاستسقاءَ[(٢)]، وقيل: المرادُ الرِّمالُ الَّتي لا يرويها الماءُ.

قولُهُ: (هَيْمَانَ) أو أهيَمُ، في «البحرِ»[(٣)]: الفاءُ تقتضِي التَّعقِيبَ في الشُّربِ، وأنَّهُم لمَّا عطِشُوا شرِبوا مِن الحميمِ فازدادوا عطشاً، فشَربوا بعدَهُ شُرباً لا يقعُ به رِيٌّ أبداً، فهما شربانِ من الحميمِ لا شربٌ واحدٌ، واختلفَت صفتاهُ فَعُطِفَ.

قولُهُ: (مَا أُعِدَّ لَهُم) تكرِمةً لهم؛ فما ظنُّكَ بما يُعدُّ لهم بعدُ.

قولُهُ: (تُرِيقُونَ من المِنيِّ) أي: ما تقذفونَهُ من النُّطفِ.

قولُهُ: (بِتَحْقِيقِ) تقدَّم تحقيقُهُ في البقرةِ[(٤)].

قولُهُ: (والتَّخفِيفِ) مكّيٌّ[(٥)]؛ أي: قَسمناهُ عليكُمْ، وأقَّتْنا موتَ كلِّ بوقتٍ معيَّنٍ.

قولُهُ: (بِعَاجِزِينَ) أي: مغلوبينَ، أو لا يسبِقُنا أحدٌ فيَهرِبَ من الموتِ، أو يُغيِّرَ وقتَهُ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) في «روح البيان» (٩/ ٣٣٠): الهُيام: هو داء يصيبها يشبه الاستسقاء، فتشرب ولا تروى، إلى أن تموت أو تسقم سقماً شديداً.

(٣) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٨٧).

(٤) في الآية رقم: (٦).

(٥) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٥).

٦١ ـ ﴿عَلَى﴾: عن ﴿أَن نُّبَدِّلَ﴾: نجعل ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ مكانكم، ﴿وَنُنشِئَكُمْ﴾: نَخلقكم ﴿فِيمَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصُّور كالقِردة والخنازير. ٦٢ ـ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾. وفي قراءة بسُكون الشين. ﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الذال.

٦٣ ـ ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ﴾: تُثيرون الأرضَ وتُلقون البِذر فيها؟ ٦٤ ـ ٦٥ ـ ﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾: تُنبِتونه ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ؟ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾: نباتًا يابسًا لا حبَّ فيه، ﴿فَظَلْتُمْ﴾ ـ أصله «ظَلِلتُم» بكسر اللام حُذفت تخفيفًا ـ أي: أقمتم نهارًا ﴿تَفَكَّهُونَ﴾، حُذفتْ منه إحدى التاءين في الأصل: تَعجَبون من ذلك، وتقولون: ٦٦ ـ ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ﴾ نَفقةَ زرعِنا، ٦٧ ـ ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾: ممنوعون رزقَنا.

٦٨ ـ ٦٩ ـ ٧٠ ـ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ؟ أَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾: السحابِ، جمعُ مُزنة، ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ؟ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾: مِلحًا لا يُمكن شُربه. ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلاّ ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

قولُهُ: (مَكَانَكُمْ) أي: نبدِّلَ منكُم أشباهَكُم فنخلقَ بدلَكُم، أو نغيِّرَ صفاتِكُم، على أنَّ أمثالَ جمعُ: مَثَلٍ، بفتحتَينِ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ مكِّيٍّ وبصريٍّ[1].

قولُهُ: (فيهِ إِدْغَامُ) لغيرِ حفصٍ وحمزةَ والكسائيِّ[2].

قولُهُ: (تُنبِتونَهُ) الزَّرعُ: طرحُ البذرِ والإنباتُ، قالَهُ الجوهريُّ[3]، وفي الحديثِ: «لا يقولنَّ أحدُكُمْ: زرعْتُ، وليقلْ: حرثْتُ» رواهُ ابنُ جريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ[4].

قولُهُ: (بِكَسرِ اللَّامِ) وقُرِئَ به[5].

قولُهُ: (أَقَمْتُمْ نَهاراً) أو صِرتُم.

قولُهُ: (نَفَقَةَ زَرعِنَا) أي: لملزمونَ غرامةَ ما أنفقْنا.

قولُهُ: (جَمْعُ: مُزْنَةٍ) وقيل: المُزنُ السَّحابُ الأبيضُ، وماؤُهُ أعذبُ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٤٩).

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٩٣).

(٣) انظر: «الصحاح» (٣/ ١٢٢٤).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (١٠٠٦٤)، وأبو يعلى في «معجمه» (٢٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٣٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٢٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٠٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٢٠): فيه مسلم بن أبي مسلم الجرمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات.

(٥) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن مسعود رضي الله عنه والأعمش، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٦٣).

٧١ ـ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾: تُخرِجون من الشجر الأخضر؟ ٧٢ ـ ٧٣ ـ ﴿أَأَنتُم أَنشَأْتُم شَجَرَتَها﴾ كالمَرْخ والعَفار والكِلخ، ﴿أَم نَحنُ المُنشِئُونَ؟ نَحنُ جَعَلْناها تَذكِرَةً﴾ لنار جهنّم ﴿ومَتاعًا﴾: بُلغةً ﴿لِلمُقْوِينَ﴾: للمسافرين. مِن: أقوَى القومُ، أي: صاروا بالقِواءِ، بالمدّ والقصر، أي: القَفرِ. وهو مفازةٌ لا نبات فيها ولا ماء. ٧٤ ـ ﴿فسَبِّحْ﴾: نزِّهْ ﴿بِاسمِ﴾ ـ زائدٌ ـ ﴿رَبِّكَ العَظِيمِ﴾ أي: اللهِ.

٧٥ ـ ﴿فلا أُقسِمُ﴾، لا: زائدةٌ، ﴿بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾: بمَساقطها لغروبها ـ ٧٦ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القَسَمَ بها ﴿لَقَسَمٌ، لَو تَعلَمُونَ، عَظِيمٌ﴾ أي: لو كنتم من ذوي العِلم لعلمتم عِظَمَ هذا القسم ـ ٧٧ ـ ٧٨ ـ ﴿إنَّهُ﴾ أي: المَتلوَّ عليكم ﴿لَقُرآنٌ كَرِيمٌ في كِتابٍ مَكنُونٍ﴾: ....

قولُهُ: (تُخرِجُونَ) أي: تقدحونَ وتوقِدونَ.

قولُهُ: (كالمَرخِ والعفارِ) يحكُّ أحدَ غُصنَيها بالآخرِ فيتناثرُ منهما شررُ النَّارِ، وقيل: كلُّ شجرٍ إلَّا العنَّابَ؛ يعني: الشَّجرةَ الَّتي منها الزِّنادُ.

قولُهُ: (لِنَارِ جَهَنَّمَ) أي: جَعلنا نارَ الزِّنادِ تذكيراً، أو أنموذَجاً لنارِ جهنَّمَ.

قولُهُ: (بُلْغَةً) ومنفعةً.

قولُه: (صَارُوا) أي: نزَلوا ودخَلوا، فإنَّ انتفاعَهُم بالزندِ أكثرُ مِن انتفاعِ الحضريينَ، أو الَّذينَ خلَتْ بطونُهُم، أو مزاوِدُهم مِن الطَّعامِ، فإنَّ أصلَ القَوَاءِ: الخلاءُ، وإنَّما خُصَّ الجائعونَ؛ لأنَّ غيرَهُم المنعَّمَ بها لا يجعلُها متاعاً.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) في «البحرِ»[1]: ظهرَ أنَّ ﴿سبِّحَ﴾ يتعدَّى بنفسِهِ وبحرفِ الجرِّ؛ أي: جدِّدَ التَّسبيحَ ونزِّهْهُ عن النَّقائصِ باستعانةِ ذكرِ اسمِهِ العظيمِ، أو اسمِ ذاتِهِ العظيمِ تنزيهاً عمَّا يقولونَ، أو تعجُّباً وشكراً.

قولُهُ: (بِمَسَاقِطِهَا) وهو قولُ الحسنِ ومجاهدٍ وقتادةَ[2]، وتخصيصُ المغاربِ لما في غروبِها مِن زوالِ أثرِها، وللدَّلالةِ على وجودِ مؤثِّرٍ لا يزولُ تأثيرُه، وقيل: النُّجومُ: القرآنُ، ومواقعُها: أوقاتُ نزولِها، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ والضَّحَّاكِ وعكرمةَ والسُّدِّيِّ[3].

والمعنى: لا أقسِمُ بها؛ إذ الأمرُ أوضحُ من أن يحتاجَ إلى قسَمٍ، أو ﴿لا﴾ زائدةٌ.

قولُهُ: (أي: المَتْلُوَّ) جوابُ القسمِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٩٦).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٤٨) عن مجاهد وقتادة.

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٠/ ٩٢)، و«تفسير ابن كثير» (٧/ ٥٤٤).

مصون وهو المُصحَف، ٧٩ ـ ﴿لا يَمَسُّهُ﴾: خبرٌ بمعنى النهي ﴿إلاّ المُطَهَّرُونَ﴾: الذين طهّروا أنفُسهم من الأحداث، ٨٠ ـ ﴿تنزِيلٌ﴾: مُنزّل ﴿مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾.

٨١ ـ ﴿أفبِهذا الحَدِيثِ﴾: القُرآن ﴿أنتُم مُدهِنُونَ﴾: مُتهاونون مُكذّبون، ٨٢ ـ ﴿وتَجعَلُونَ رِزقَكُم﴾ من المطرِ أي: شُكرَه ﴿أنَّكُم تُكَذِّبُونَ﴾ بسُقيا الله حيثُ قلتم: مُطرنا بنَوء كذا؟

قولُهُ: (مَصُونٍ) من الشَّياطينِ.

قولُهُ: (وهُو المُصْحَفُ) أو اللَّوحُ، أي: لا يطَّلعُ عليه إلَّا المطهَّرونَ من الكُدوراتِ الجسمانيَّةِ وهم الملائكةُ.

قولُهُ: (مِنَ الأَحدَاثِ) وفي البخاريِّ[1]: لا يجدُ طعمَهُ ونفعَهُ إلَّا مَن آمَنَ بالقرآنِ. وقالَ بعضُ العارفينَ: لا ينالُ بركتَهُ إلَّا من طهَّرَهُ يومَ قسمتِهِ عن الشَّقاوةِ، وخلقَهُ يومَ خلَقَه مطهَّراً من المخالفَةِ.

قولُهُ: (مُنَزَّلٌ) صفةٌ للقرآنِ، وهو مصدرٌ نُعِتَ به للمبالغَةِ.

قولُهُ: (مِنَ المَطَرِ) بهذا فسَّرَهُ ﷺ كما نقلَهُ الإمامُ أحمدُ والتِّرمذيُّ[2]، وقد صحَّ عن حبرِ الأُمَّةِ أيضاً[3].

قولُهُ: (شُكْرَهُ) ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (شُكْرَكُمْ)[4]، والرِّزقُ؛ بمعنى: الشُّكرِ في لغةٍ، أو تجعلونَ حظَّكُم ونصيبَكُم من الآنِ تكذيبَكُم به، وهو قولُ الحسَنِ ومجاهدٍ[5].

قولُهُ: (بِسُقيَا اللهِ) أي: بمانحِهِ حيثُ تنسبونَهُ إلى الأنواءِ.

---

(١) ذكره البخاري (٩/ ١٥٥) كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها﴾ [آل عمران: ٩٣].

(٢) رواه الترمذي (٣٢٩٥)، وأحمد في «مسنده» (٦٧٧) من حديث علي قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وتجعلون رزقكم﴾ شكركم ﴿أنكم تكذبون﴾ تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا».

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث إسرائيل.

(٣) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٤) عن ابن عباس، قال: ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وقرأ ابن عباس: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾.

وروى مسلم (٧٣) عن ابن عباس، قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال: النبي ﷺ: «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا» قال: فنزلت هذه الآية: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾ [الواقعة: ٧٥]، حتى بلغ: ﴿وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون﴾ [الواقعة: ٨٢].

(٤) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعلي وابن عباس رضي الله عنهم، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٦٤).

(٥) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣١٥١)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦) عن الحسن.

وروى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٥٦) عن مجاهد: قولهم في الأنواء: مُطرنا بنوء كذا ونوء كذا، يقول: قولوا هو من عند الله وهو رزقه.

٨٣ ـ ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلاّ، ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ الروحُ وقتَ النزع ﴿الْحُلْقُومَ﴾ هو مجرى الطعام، ٨٤ ـ ﴿وَأَنتُمْ﴾ ـ يا حاضري الميّت ـ ﴿حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ إليه، ٨٥ ـ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ بالعِلم، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾: من البَصيرة، أي: لا تعلمون ذلك، ٨٦ ـ ﴿فَلَوْلَا﴾: فهلاّ ـ ﴿إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾: مَجزِيِّين بأن تُبعثوا، أي: غيرَ مبعوثين بزعمكم ـ ٨٧ ـ ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾: تردّون الروح إلى الجسد بعد بُلوغ الحُلقوم، ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما زعمتم. «فلولا» الثانية: تأكيد للأُولى. وإذا: ظرف لـ «ترجعون» المُتعلّقِ به الشرطان. والمعنى: هلاّ تَرجعونها، إن نفَيتم البعث صادقين في نفيه، أي: لِينتفيَ عن محلّها الموتُ فالبعثُ.

٨٨ ـ ٨٩ ـ ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ﴾ الميّت ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ﴾ أي: فله استراحةٌ ﴿وَرَيْحَانٌ﴾: رزق حسن ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ ـ وهل الجواب لِـ «أمّا» أو لِـ «إن» أو لهما؟.........

قولُهُ: (إليهِ) وما يُقاسيهِ من شدَّةِ النَّزعِ، أو حالِهِ، أو حالِكُم، أو أمري وسُلطاني ولا تقدِرونَ على دفعِهِ، والواوُ للحالِ.

قولُهُ: (بالعِلمِ) أي: نحنُ أعلمُ به، وعبَّرَ عن العلمِ بالقربِ الَّذي هو أقوى سببِ الاطِّلاعِ.

قولُهُ: (ذَٰلِكَ) أي: لا تدركونَ كنهَ ما يجري عليه، أو لا تبصرونَ قُربَنا، ولا تعرفونَ قَدرَنا.

قولُهُ: (الشَّرطَانِ) وجوابُ الشَّرطِ يدلُّ عليه السِّياقُ، وحاصلُهُ أنَّكُم تزعمونَ أن لا بعثَ ولا حسابَ، ولا إلهَ يُجازي فنفيتُمْ قُدرَتي واختيارِي، فما لكم لا تردُّونَ روحَ من يعزُّ عليكُمْ، فإذا لم يمكنكُمْ ذلك فاعلَموا أنَّ فوقَكُم قادراً مختاراً بيدِهِ الأمرُ، لا عجزَ ولا تعطيلَ.

وقالَ الإمامُ الطِّيبيُّ[1]: يزعمُ أنَّه قادرٌ على تغييرِ الطَّبيعةِ بالمعَالجةِ، والكفَّارُ أكثرُهم طبيعيُّونَ، فقيل لهم: هلَّا تَرجِعونَ الرُّوحَ من الحلقومِ إن كنتُم صادِقينَ في أنَّ لكم قدرةً.

قولُهُ: (المَيِّتُ) والمحتضِرُ.

قولُهُ: (استِرَاحَةٌ) أو راحةٌ، وفي الحديثِ: «الموتُ تحفَةُ المؤمنِ»[2].

قولُهُ: (رِزْقٌ حَسَنٌ) طيِّبٌ، وقيل: مشمومٌ، وجنَّةٌ ذاتُ تنعُّمٍ؛ أي: يبشَّرُ بهذه الثَّلاثةِ.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب» (١٥/ ٢٢٤).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٥٩٩)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٣٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٧٩٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. وخالفه الذهبي فقال: فيه ابن زياد وهو الأفريقي ضعيف.

أقوالٌ ـ ٩٠ ـ ٩١ ـ ﴿وأمّا إن كانَ مِن أصحابِ اليَمِينِ فسَلامٌ لَكَ﴾، أي: له سلامةٌ من العذاب، ﴿مِن أصحابِ اليَمِينِ﴾: من جِهة أنه منهم، ٩٢ ـ ٩٣ ـ ٩٤ ـ ٩٥ ـ ﴿وأمّا إن كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضّالِّينَ فنُزُلٌ مِن حَمِيمٍ، وتَصلِيةُ جَحِيمٍ. إنَّ هذا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾، من إضافة الموصوف إلى صِفته. ٩٦ ـ ﴿فسَبِّحْ بِاسمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾: تقدّمَ.

قولُهُ: (أَقوَالٌ) والأوَّلُ أقواها، واستَغنى بجوابِ ﴿أَمَّا﴾ عن جوابِ ﴿إنْ﴾؛ لأنَّ ﴿إنْ﴾ قد حُذِفَ جوابُها في مواضِعَ.

قولُهُ: (أي: لَهُ) هذا تفسيرٌ غَريبٌ، والصَّحيحُ أنَّ المعنى: فسلامٌ، أو فيُقَالُ له: سلامٌ لكَ يا صاحبَ اليمينِ مِن إخوانِكَ أصحابِ اليمينِ يُسلِّمونُ عليكَ، ولذا قيلَ: المعنى: فسلامٌ عليكَ من أصحابِ اليمينِ، أو حصلَ لك سلامةٌ من العذابِ حالَ كونِكَ من أهلِ اليمينِ يُبشَّرُ بالبشارتَينِ.

وعن بعضِ المفسِّرينَ: فسلامَةٌ لك يا محمَّدُ لا تهتمَّ لهم، فإنَّهُم في سِدرٍ مخضُودٍ[1].

قولُهُ تعالى: (﴿الضَّالِينَ﴾) يعني: أصحابَ الشِّمالِ، وإنَّما وصفَهُم بأفعالِهِم زجراً عنها، وإشعاراً بما أوجبَ لهم ما أوعدَهُم به، ولعلَّ فيه إشارةً لطيفَةً إلى لطفِهِ بعبادِهِ المؤمنينَ.

وقولُهُ: (﴿فَنُزُلٌ﴾) أي: فلَهُ ذلك.

قولُهُ تعالى: (﴿إِنَّ هَذَا﴾) أي: الَّذي ذكرَ في السُّورةِ، أو في شأنِ الفرقِ الثَّلاثةِ.

قولُهُ: (مِن إِضَافَةِ المَوصُوفِ[2]) هذا مذهبٌ كوفيٌّ، وأمَّا على المختارِ فتقديرُهُ: حقُّ الخبرِ اليقينِ، أو الإضافةُ بيانيَّةٌ؛ أي: حقٌّ هو اليقينُ لا مريةَ فيه، أو ﴿اليقينُ﴾ اسمٌ للعلمِ الَّذي لا لبسَ فيه، والإضافةُ؛ بمعنى: اللَّامِ.

قولُهُ: (تَقَدَّمَ) أي: نَزِّهْهُ بذكرِ اسمِهِ عمَّا لا يليقُ بعظمةِ شأنِهِ، وقد وردَ لمَّا نزلَتْ قالَ ﷺ: «اجعلُوهَا في ركوعِكُم»، ولمَّا نزلَتْ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قالَ: «اجعلُوهَا في سجودِكُم»[3]، واللهُ أعلمُ.

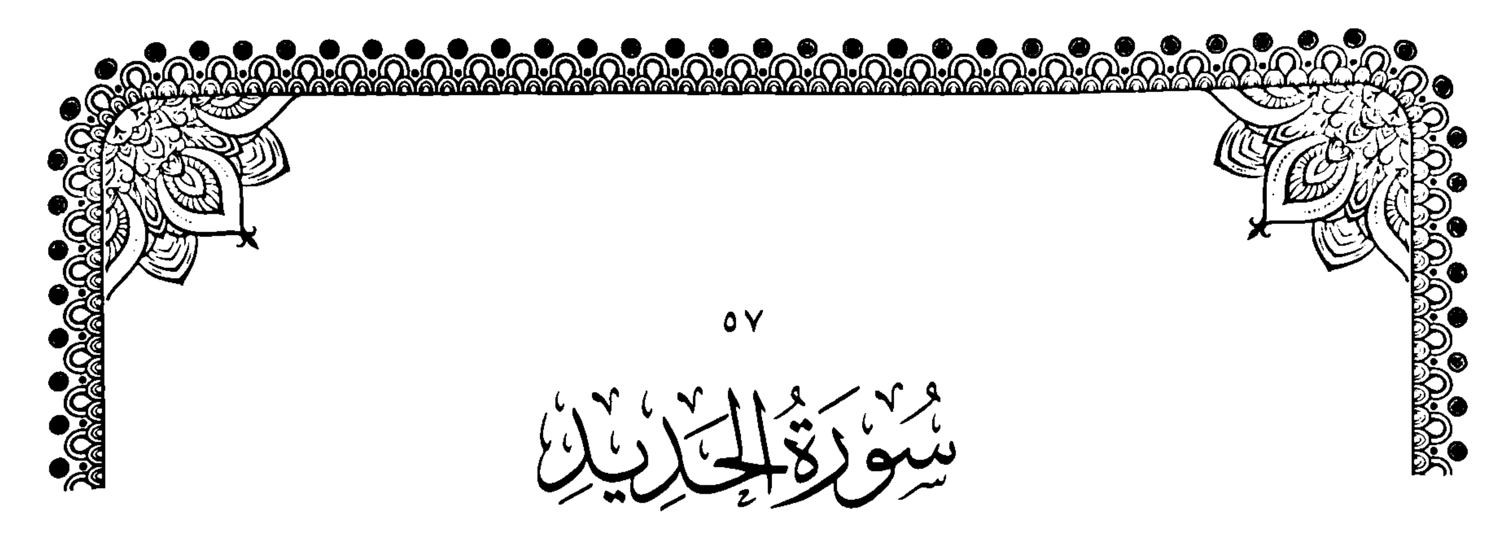
***

---

(١) انظر: «جامع البيان» للإيجي (٤/ ٢٥٦).

(٢) في الأصول: «الصفة» وما أثبته من «الجلالين».

(٣) رواه أبو داود (٨٦٩)، وابن ماجه (٨٨٧)، وأحمد في «مسنده» (١٧٤١٤)، والدارمي في «السنن» (١٣٤٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٧٣٨)، وابن حبان في «صحيحه» (١٨٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٧٨٣) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.



٥٧

سورة الحديد

مكية أو مدنية، وهي تسع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿سَبَّحَ لِلهِ ما في السَّماواتِ والأرضِ﴾ أي: نزَّهه كُلُّ شيء ـ فاللام: مزيدة. وجيء بـ «ما» دون «مَن» تغليبًا للأكثر ـ ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه، ٢ ـ ٣ ـ ﴿لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، يُحيِي﴾ بالإنشاء ﴿ويُمِيتُ﴾ بعده، ﴿وهُوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الأَوَّلُ﴾ قبل كُلّ شيء بلا بِداية ﴿والآخِرُ﴾ بعد كُلّ شيء بلا نِهاية ﴿والظّاهِرُ﴾ بالأدلّة عليه ﴿والباطِنُ﴾ عن إدراك الحواس، ﴿وهُوَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

سورة الحديد

قولُهُ: (فاللَّامُ: زَائِدَةٌ) أو إشعاراً بأنَّ إيقاعَ الفعلِ لأجلِ اللهِ وخالصاً لوجهِهِ.

قولُهُ: (بالإِنشَاءِ) أي: الإيجادِ، أو بالإيمانِ والعلمِ والمعرفةِ، قالَ ابنُ عطاءٍ[1]: يُحيي مَن يشاءُ بالإقبالِ على الملكِ، ويُميتُ مَن يشاءُ بالاشتغالِ بالملكِ.

قولُهُ: (بَعدَ كُلِّ شَيءٍ) ولو بالنَّظرِ إلى ذاتِ الأشياءِ مع قطعِ النَّظرِ عن غيرِها.

قولُهُ: (بالأَدِلَّةِ) أي: الظَّاهرُ وجودُهُ لكثرةِ دلائلِهِ.

قولُهُ: (عَن إِدْرَاكِ) أي: الباطنُ حقيقةُ ذاتِهِ فلا تكتَنهُها العقولُ، والواو الأولى والأخيرةُ للجمعِ بينَ الوصفينِ، والمتوسِّطةُ للجمعِ بينَ المجموعينِ، وقالَ بعضُ العارفينَ: أوَّلٌ ببرِّهِ، وآخرٌ بعفوِهِ، وظاهرٌ بإحسانِهِ، وباطنٌ بسترِهِ، وقالَ الصَّادقُ[2]:..............................

---

(١) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٠٥).

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٠٦).

٤ ـ ٥ ـ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ في سِتَّةِ أيّامٍ﴾ من أيّام الدنيا، أوّلها الأحد وآخرها الجمعة، ﴿ثُمَّ استَوَى علَى العَرشِ﴾: الكرسيّ استواءً يليق به، ﴿يَعلَمُ ما يَلِجُ﴾: يدخل ﴿في الأرضِ﴾ كالمطر والأموات، ﴿وما يَخرُجُ مِنها﴾ كالنبات والمعادن، ﴿وما يَنزِلُ مِنَ السَّماءِ﴾ كالرحمة والعذاب، ﴿وما يَعرُجُ﴾: يصعد ﴿فِيها﴾ كالأعمال الصالحة والسيّئة، ﴿وهُوَ مَعَكُم﴾ بعِلمه ﴿أينَما كُنتُم، واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ، لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، وإلَى اللهِ تُرجَعُ الأُمُورُ﴾ الموجودات جميعها، ٦ ـ ﴿يُولِجُ اللَّيلَ﴾: يُدخله ﴿في النَّهارِ﴾ فيزيد وينقص الليلُ، ﴿ويُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ﴾ فيزيد وينقص النهارُ، ﴿وهُوَ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما فيها من الأسرار والمُعتقدات.

٧ ـ ٨ ـ ﴿آمِنُوا﴾: داوِموا على الإيمان ﴿بِاللهِ ورَسُولِهِ، وأنفِقُوا﴾ في سبيل الله ﴿مِمّا جَعَلَكُم مُستَخلَفِينَ فِيهِ﴾ من مالِ مَن تقدّمكم...

هو أوَّلُ الأوَّلِ، وآخرُ الآخرِ، وأظهرُ الظَّاهرِ، وأبطنُ الباطنِ، فسقطَ هذهِ المعاني وبقيَ هو، وقالَ الواسطيُّ[١]: مَن كانَ حظُّهُ مِن اسمِهِ الأوَّلِ كانَ شغلُهُ لما سبقَ، ومَن كانَ حظُّهُ مِن اسمِهِ الآخرِ كانَ مرتبطاً بما يستقبلُهُ، ومَن كانَ حظُّهُ مِن اسمِهِ الظَّاهرِ لاحظَ عجائبَ قدرتِهِ، ومَن كانَ حظُّهُ مِن اسمِهِ الباطنِ لاحظَ ما جرى في السَّرائرِ مِن المواردِ، وإنَّما مزَجْنا بعضَ المعارفِ اللَّدنِّيَّةِ الوهبيَّةِ إلى العلومِ الكسبيَّةِ النَّقليَّةِ ليذوقَها بعضُ أهلِ الذَّوقِ، ويميلَ إليها بسيرِ الشَّوقِ، قالَ تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧، ٢٨].

قولُهُ: (الكُرسِيِّ) الصَّحيحُ: أنَّه غيرُ العرشِ، وقد تقدَّمَ[٢].

قولُهُ: (والأَموَاتِ) والبذورِ.

قولُهُ: (والمَعَادِنِ) والعيونِ.

قولُهُ: (والعَذَابِ) والأمطارِ.

قولُهُ: (كالأَعمَالِ) والأبخرةِ والأرواحِ الطَّيِّبةِ.

قولُهُ: (والسَّيِّئةِ) والسيئة قلمٍ؛ لأنَّه تعالى قالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

قولُهُ: (بِعِلمِهِ) وقدرتِهِ لا ينفكُّ عنكُم بحالٍ.

قولُهُ: (المَوجُودَاتُ) أي: أمورُها، ولا تكرارَ؛ لأنَّهُ ذكرَهُ مع الإعادةِ، كما ذكرَهُ معَ الإبداءِ؛ لأنَّهُ كالمقدِّمةِ.

قولُهُ: (مِنْ مَالِ مَنْ تَقَدَّمَكُمْ) أي: مِن الأموالِ الَّتي استخلفَكُم عمَّنْ قبلَكُم في تملُّكِها والتَّصرُّفِ فيها،

---

(١) وانظر المصدر السابق.

(٢) في الآية رقم: (٨٦) من سورة المؤمنون.

وسيَخلُفكم فيه مَن بعدَكم. نزلَ في غزوة العُسرة، وهي غزوة تَبوكَ. ﴿فالَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وأنفَقُوا﴾ ـ إشارةٌ إلى عُثمان رضي الله عنه ـ ﴿لَهُم أجرٌ كَبِيرٌ. وما لَكُم لا تُؤمِنُونَ بِاللهِ﴾ ـ خِطابٌ للكُفّار ـ أي: لا مانع لكم من الإيمان بالله، ﴿والرَّسُولُ يَدعُوكُم لِتُؤمِنُوا بِرَبِّكُم، وقَد أُخِذَ﴾ ـ بضمّ الهمزة وكسر الخاء، وبفتحهما ونصب ما بعده ـ ﴿مِيثاقُكُم﴾ عليه؟ أي: أخذَه اللهُ في عالم الذرّ حِين أشهدهم على أنفُسهم: «ألَستُ بِرَبِّكُم؟ قالُوا: بلَى»، ﴿إن كُنتُم مُؤمِنِينَ﴾ أي: مُريدين الإيمانَ به فبادروا إليه. ٩ ـ ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبدِهِ آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: القُرآنَ ﴿لِيُخرِجَكُم مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكُفر ﴿إلَى النُّورِ﴾: الإيمان، ﴿وإنَّ اللهَ بِكُم﴾ في إخراجكم من الكُفر إلى الإيمان ﴿لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

١٠ ـ ﴿ومالَكُم﴾ بعد إيمانكم ﴿ألاّ﴾ ـ بإدغام نون «أنْ» في لام «لا» ـ ﴿تُنفِقُوا في سَبِيلِ اللهِ، ولِلهِ مِيراثُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ بما فيهما، فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق بخلاف ما لو أنفقتم فتُؤجرون؟ ﴿لا يَستَوِي مِنكُم مَن أنفَقَ مِن قَبلِ الفَتحِ﴾ لمكّةَ.........................

أو مِن الأموالِ الَّتي جعلَكُمُ اللهُ خلفاء في التَّصرُّفِ فيها، فهي في الحقيقةِ له لا لكُم.

قولُهُ: (وَسَيَخْلُفُكُم فِيهِ) حثٌّ على الإنفاقِ، وتهوينٌ على النَّفسِ.

قولُهُ: (إِلَى عُثمَانَ) أي: ونحوهُ.

قولُهُ: (أي: لا مَانِعَ) أي: ما تصنَعونَ غيرَ مؤمنينَ به، كقولك: ما لكَ قائماً؟ وقولُهُ تعالى: (﴿وَالرَّسُولُ...﴾) إلخ، حالٌ من ضميرِ: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾؛ أي: أيُّ عذرٍ لكُم في تركِ الإيمانِ والرَّسولُ... إلخ.

قولُهُ: (بِضَمِّ الهَمزَةِ) بصريٌّ، و(مِيثَاقُكُم) بالرَّفعِ[1].

قولُهُ: (عَلَيهِ) أي: على الإيمانِ قبلَ ذلك، والواوُ للحالِ من مفعولِ: ﴿يَدْعُوكُم﴾.

قولُهُ: (مُرِيدِي الإِيمَانِ) أو ﴿إنْ كنتُم مؤمنينَ﴾ بموجبٍ ما، فإنَّ هذا الميثاقَ سببٌ لا مزيدَ عليهِ.

قولُهُ تعالى: (﴿لِيُخرِجَكُم﴾) أي: اللهُ، أو العبدُ، أو الآياتُ، المرادُ بها: الكتابُ.

قولُهُ: (الكُفرِ) أو مِن ظلماتِ الكفرِ، وجُمِعَ لكثرتِهِ من الأوهامِ والشُّكوكِ والظُّنونِ وأنواعِهِ، إلى نورِ الإيمانِ والتَّوحيدِ.

قولُهُ: (بَعدَ إِيمَانِكُم) أي: أيُّ شيءٍ يمنعُكُم من أن لا تنفِقُوا.

قولُـهُ: (لِمَكَّـةَ) إذ عـزُّ الإسـلامِ بفتـحِ مكَّـةَ وكثـرة أهلِهِ، وقلَّـةِ الحاجةِ إلـى المقاتَلـةِ والإنفاقِ، وقسـيمُ

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

﴿وقاتَلَ. أُولئِكَ أعظَمُ دَرَجةً مِنَ الَّذِينَ أنفقُوا مِن بَعدُ وقاتَلُوا، وكُلًّا﴾ مِن الفريقين ـ وفي قراءة بالرفع مبتدأً ـ ﴿وَعَدَ اللهُ الحُسنَى﴾: الجنّة، ﴿واللهُ بِما تعمَلُونَ خَبيرٌ﴾، فيُجازيكم به.

١١ ـ ﴿مَن ذا الَّذِي يُقرِضُ اللهَ﴾ بإنفاق ماله في سبيل الله ﴿قَرضًا حَسَنًا﴾ بأن يُنفقه لله، ﴿فيُضاعِفَهُ﴾ ـ وفي قراءة: «فيُضَعِّفَهُ» بالتشديد ـ ﴿لَهُ﴾ من عشرٍ إلى أكثرَ من سبعِمائةٍ كما ذُكِر في «البقرة»، ﴿ولَهُ﴾ مع المُضاعفة ﴿أجرٌ كَرِيمٌ﴾ مُقترنٌ به رضًا وإقبال؟

١٢ ـ ١٣ ـ اذكرْ ﴿يَومَ تَرَى المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ، يَسعَى نُورُهُم بَينَ أيدِيهِم﴾: أمامَهم ﴿و﴾ يكون ﴿بِأَيمانِهِم﴾، ويقال لهم:..

﴿مَنْ أَنفَقَ﴾ محذوفٌ لوضوحِهِ ودلالةِ ما بعدَهُ عليه، نزلَتِ الآيةُ في أبي بكرٍ[1]؛ فإنَّهُ أوَّلُ مَن أنفقَ في سبيلِ اللهِ، وخاصمَ الكفَّارَ حتَّى ضُرِبَ ضرباً أشرفَ على الهلاكِ، قالَ جعفرُ الصَّادقُ[2]: الإراداتُ القويَّةُ الخالصةُ الصَّفيَّةُ للمهاجرينَ وأهلِ الصُّفَّةِ وإمامُهُم وسيِّدُهم أبو بكرٍ الصِّديقُ الأكبرُ، وهمُ الَّذينَ لم يؤثِروا الدُّنيا على الآخرةِ، بل بذلُوهَا ولم يعرِّجوا عليها، واعتمَدوا في ذلك على اللهِ وطَلبوا رضاهُ وانقطَعوا عمَّا سواهُ، واتَّبعوا موافقةَ رسولِهِ وحبيبِهِ في أمرِهِ ونهيِهِ، فخصَّهُمُ اللهُ مِن بينِ الأمَّةِ بقولِهِ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم﴾.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ[3].

قولُهُ: (الجَنَّة) أي: المثوبةَ الحسنى، منصوبٌ على قراءةِ الجمهورِ، ومرفوعٌ على قراءةِ الشَّاميِّ.

قولُهُ: (بأنْ يُنفِقَهُ للهِ) رجاءَ أن يعوِّضَهُ، كمن يقرِضُهُ، وحسنُ الإنفاقِ بالإخلاصِ فيه وتحرِّي أكرمِ الأموالِ وأفضلِ الجهاتِ له، قالَ سهلٌ[4]: أعطاهُمُ اللهُ فضلاً، ثمَّ سألَهُم قرضاً، قلتُ: فإن أنفَقوا زادَ لهُم فضلاً، وإن أمسَكوا عملَ بهم عدلاً.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ وشاميٍّ، ونصبَهُ شاميٌّ وعاصمٌ[5].

قولُهُ: (رِضاً) تفسيرٌ لـ﴿أَجْرٌ﴾.

قولُهُ: (ويُقَالُ) أي: يقولُ من يتلقَّاهُم من الملائكةِ: بُشراكُم دخول جنَّاتٍ، أو المبشَّرُ به جنَّاتٌ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٦/ ٣٠)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٠٦) من رواية محمد بن فضيل عن الكلبي.

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٠٧).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٤) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٦١).

(٥) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٨١)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٠٥).

﴿بُشْراكُمُ اليَومَ جَنّاتٌ﴾ أي: دخولُها، ﴿تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها. ذلِكَ هُوَ الفَوزُ العَظِيمُ. يَومَ يَقُولُ المُنافِقُونَ والمُنافِقاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا: انظُرُونا﴾: أبصِرونا ـ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الظاء: أمهِلونا ـ ﴿نَقتَبِسْ﴾: نأخذِ القبسَ والإضاءة ﴿مِن نُورِكُم. قِيلَ﴾ لهم استهزاءً بهم: ﴿ارجِعُوا وَراءَكُم، فالتَمِسُوا نُورًا﴾. فرَجَعوا، ﴿فضُرِبَ بَينَهُم﴾ وبين المُؤمنين ﴿بِسُورٍ﴾ ـ قيل: هو سور الأعراف ـ ﴿لَهُ بابٌ، باطِنُهُ فِيهِ الرَّحمةُ﴾ من جِهة المُؤمنين، ﴿وظاهِرُهُ﴾ من جِهة المُنافقين ﴿مِن قِبَلِهِ العَذابُ﴾.

١٤ ـ ﴿يُنادُونَهُم: أَلَم نَكُنْ مَعَكُم﴾ على الطاعة؟ ﴿قالُوا: بَلَى، ولكِنَّكُم فَتَنتُم أنفُسَكُم﴾ بالنِّفاق، ﴿وتَرَبَّصتُم﴾ بالمُؤمنين الدوائر، ﴿وارتَبتُم﴾: شككتم في دِين الإسلام، ﴿وغَرَّتْكُمُ الأمانيُّ﴾: الأطماع ﴿حَتَّى جاءَ أمرُ اللهِ﴾: الموتُ، ﴿وغَرَّكُم بِاللهِ الغَرُورُ﴾: الشيطان..........

قولُهُ: (أَبصِرُونَا) أي: انظُروا إلينا؛ فإنَّهُم إذا نظَرُوا إليهم استقبَلوهُم بوجوهِهِم، فيستضيئونَ بنورٍ بينَ أيديهِم، أو انتظِرونا، فإنَّهُ يُسْرَعُ بهم إلى الجنَّةِ كالبرقِ الخاطفِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحمزةَ[1] على أنَّ انتظارَهُم ليلحَقوا بهم إمهالٌ لهم.

قولُهُ: (نَأخُذِ) أي: نُصِب.

قولُهُ: (فَرَجِعُوا) إلى الموقفِ.

قولُهُ: (وبَينَ المُؤمِنِينَ) أو بينَ المؤمنينَ والمنافقينَ، فالضَّميرُ للفريقينِ، وهو الظَّاهرُ.

قولُهُ: (قِيلَ) قائلُهُ مجاهدٌ، وقالَ قتادةُ[2]: حائطٌ بين الجنَّةِ والنَّارِ.

قولُهُ تعالى: (﴿لَهُ بَابٌ﴾) يدخلُ فيه المؤمنونَ، وقولُهُ: (﴿بَاطِنُهُ﴾) باطنُ السُّورِ أو البابِ.

قولُهُ: (مِنْ جِهَةِ المُؤمِنِينَ) أو لأنَّهُ يلي الجنَّةَ.

قولُهُ: (مِنْ جِهَةِ المُنَافِقِينَ) والكافرينَ، أو لأنَّهُ يلي النَّارَ.

قولُهُ: (عَلى الطَّاعَةِ) يريدونَ موافقتَهُم في الظَّاهرِ.

قولُهُ: (الأَطمَاعُ) بطولِ الأملِ وامتدادِ العمرِ، وأن لا بَعثَ ولا عذابَ ولا حسابَ، أو أنَّ اللهَ كريمٌ؛ كما أعطانا في الدُّنيا يُعطينا في العُقبى.

قولُهُ: (الشَّيطَانُ) أو الدُّنيا.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٨)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٢).

(٢) رواهما الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ١٨٢).

١٥ ـ ﴿فاليَومَ لا يُؤخَذُ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿مِنكُم فِدْيةٌ ولا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا. مأواكُمُ النّارُ، هِيَ مَولاكُم﴾: أَولَى بكم، ﴿وبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي!

١٦ ـ ١٧ ـ ﴿أَلَم يأنِ﴾: يَحِنْ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ـ نزلتْ في شأن الصحابة لمّا أكثروا المُزاحَ ـ ﴿أن تَخشَعَ قُلُوبُهُم لِذِكرِ اللهِ وما نَزَّلَ﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿مِنَ الحَقِّ﴾: القُرآنِ، ﴿ولا يَكُونُوا﴾: معطوف على «تخشعَ» ﴿كالَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ مِن قَبلُ﴾ ـ هم اليهود والنصارى ـ ﴿فطالَ علَيهِمِ الأمَدُ﴾: الزمن بينهم وبين أنبيائهم، ﴿فقَسَتْ قُلُوبُهُم﴾: لم تَلِن لذكر الله، ﴿وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ؟ اعلَمُوا﴾ ـ خِطابٌ للمُؤمنين المذكورين ـ ﴿أنَّ اللهَ يُحيِي الأرضَ بَعدَ مَوتِها﴾ بالنبات. فكذلك يفعل بقُلوبكم يردّها إلى الخُشوع. ﴿قَد بَيَّنّا لَكُمُ الآياتِ﴾ الدالّةَ على قُدرتنا بهذا وغيره، ﴿لَعَلَّكُم تعقِلُونَ﴾.

١٨ ـ ١٩ ـ ﴿إنَّ المُصَّدِّقِينَ﴾ ـ من التصدّقِ أُدغمَتِ التاءُ في الصاد..........................

قولُهُ: (والتَّاءِ) للتَّأنيثِ، شاميٌّ[١].

قولُهُ: (أَولَى بِكُم) أي: أولى الأشياءِ بكم وأقرَبُها إليكم، أو مكانُكُمُ الَّذي يُقالُ فيه هو أولى بكُم.

قولُهُ: (يَحِنْ) مِن حانَ يحينُ؛ أي: ألم يأتِ وقتُهُ، مِن آنَى: إذا جاءَ أناهُ؛ أي: وقتُهُ.

قولُهُ: (لَمَّا أكثَرُوا المَزْحَ) رويَ: أنَّ المؤمنين كانوا مجدِبينَ بمكَّةَ، فلمَّا هاجَروا أصابوا الرِّزقَ والنِّعمةَ ففتروا عمَّا كانوا عليه فنزلَتْ[٢].

قولُهُ: (والتَّخفِيفِ) نافعٌ وحفصٌ[٣]، عطفٌ على الذِّكرِ، عطفُ أحدِ الوصفَيْنِ على الآخرِ، أو عطفُ الخاصِّ على العامِّ.

قولُهُ: (بينَهُم) أو بطولِ أعمارِهم، أو آمالِهم.

قولُهُ: (إلى الخُشُوعِ) أو تمثيلٌ لإحياءِ القلوبِ القاسيةِ بالذِّكرِ والتِّلاوةِ، أو لإحياءِ الأمواتِ ترغيباً في الخشوعِ وزجراً عن القَساوةِ.

قولُهُ: (مِنَ التَّصدُّقِ) أي: (المتصدِّقينَ والمتصدِّقاتِ)، وقُرِئَ في الشَّواذِّ[٤].

قولُهُ: (أُدغِمَتِ) وقرَأَ المكِّيُّ وشعبةُ بالتَّخفيفِ[٥]؛ أي: الَّذين صدَقوا اللهَ ورسولَهُ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣١٦٢) عن الأعمش.

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٤) ونسبت لأبي رضي الله عنه، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٦٥).

(٥) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

أي: الذين تَصدّقوا ﴿والمُصَّدِّقاتِ﴾: اللاتي تَصدّقْنَ، وفي قراءة بتخفيف الصاد فيهما من التصديق: الإيمان، ﴿وأقرَضُوا اللهَ﴾ ـ راجعٌ إلى الذكور والإناث بالتغليب، وعُطفَ الفِعل على الاسم في صِلة «أل» لأنه فيها حلّ محلّ الفِعل، وذِكرُ القرض بوصفه بعد التصدّق تقييد له ـ ﴿قَرضًا حَسَنًا يُضاعَفُ﴾، وفي قراءة: «يُضعَّفُ» بالتشديد، أي: قَرضُهم ﴿لَهُم، ولَهُم أجرٌ كَرِيمٌ، والَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾: المُبالغون في التصديق، ﴿والشُّهَداءُ عِندَ رَبِّهِم﴾ على المُكذِّبين من الأُمم، ﴿لَهُم أجرُهُم ونُورُهُم، والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا﴾ الدالّةِ على وحدانيّتنا ﴿أُولئِكَ أصحابُ الجَحِيمِ﴾: النار.

٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿اعلَمُوا أنَّما الحَياةُ الدُّنيا لَعِبٌ ولَهوٌ وزِينةٌ﴾: تزيينٌ، ﴿وتَفاخُرٌ بَينَكُم، وتَكاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ﴾ أي: الاشتغالُ فيها ـ وأمّا الطاعات وما يُعين عليها فمن أُمور الآخرة ـ ﴿كَمَثَلِ﴾

قولُهُ: (حَلَّ مَحَلَّ الفِعلِ) لأنَّ معناهُ: الَّذين اصَّدَّقوا أو صَدَّقوا.

قولُهُ: (بَعدَ التَّصَدُّقِ) أي: على القراءَةِ الأولى.

قولُهُ: (تَقييدٌ لَهُ) بالإخلاصِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ وشاميٍّ[1]، إلَّا أنَّه لم ينصب هنا؛ لأنَّهُ خبرُ ﴿إنَّ﴾، وقولُ البيضاويِّ[2]: غيرَ أنَّه لم يُجزَمْ، سهوُ قلمٍ.

قولُهُ: (أي: قَرضُهُمْ) إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿يُضَاعَفُ﴾ مسندٌ إلى ضميرِ المصدرِ، وقيل: مسندٌ إلى: ﴿لهم﴾.

قولُهُ: (في التَّصدِيقِ) أو الصِّدقِ؛ فإنَّهُم آمَنوا وصدَّقوا جميعَ أخبارِ اللهِ ورسلِهِ، أو أولئكَ بمنزلةِ الصِّديقينِ والشُّهداءِ من غيرِ هذهِ الأمَّةِ.

قولُهُ: (أي: الاشتِغَالُ فِيهَا) الأظهرُ: بها، قالَ القاضي[3]: لمَّا ذكرَ حالَ الفريقينِ في الآخرةِ حقَّرَ أمورَ الدُّنيا؛ أعني: ما لا يُتوصَّلُ به إلى الفوزِ الآجلِ بأن بيَّنَ أنَّها أمورٌ خاليةٌ قليلةُ النَّفعِ سريعةُ الزَّوالِ؛ لأنَّها لعِبٌ يُتعِبُ النَّاسُ فيه أنفسَهُم جدًّا إتعابَ الصِّبيانِ في الملاعبِ من غيرِ فائدةٍ، ولهوٌ يلهونَ به أنفسَهُم عمَّا يهمُّهُم، وزينةٌ كالملابسِ الحسنةِ، والمراكبِ البهيَّةِ، والمنازلِ الرَّفيعةِ، وتفاخُرٌ بالأنسابِ، وتكاثرٌ بالعددِ والعُدَدِ، ثمَّ قرَّرَ ذلكَ بما بعدَهُ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٨٨).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٨٩).

أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمَثَلِ ﴿غَيثٍ﴾: مطرٍ، ﴿أعجَبَ الكُفّارَ﴾: الزُّرّاعَ ﴿نباتُهُ﴾ الناشئُ عنه، ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾: يَيبَسُ، ﴿فتراهُ مُصفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطامًا﴾: فُتاتًا يَضمحِلّ بالرياح، ﴿وفي الآخِرةِ عَذابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن آثر عليها الدنيا، ﴿ومَغفِرةٌ مِنَ اللهِ ورِضْوانٌ﴾ لِمن لم يُؤثر عليها الدنيا، ﴿وما الحَياةُ الدُّنيا﴾: ما التمتّع فيها ﴿إلاّ مَتاعُ الغُرُورِ. سابِقُوا إلَى مَغفِرةٍ مِن رَبِّكُم وجَنّةٍ، عَرضُها كَعَرضِ السَّماءِ والأرضِ﴾، لو وُصلت إحداهما بالأُخرى ـ والعرض: السَّعة ـ ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ ورُسُلِهِ. ذلِكَ فَضلُ اللهِ يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ، واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾.

٢٢ ـ ٢٣ ـ ﴿ما أصابَ مِن مُصِيبةٍ في الأرضِ﴾ بالجدب، ﴿ولا في أنفُسِكُم﴾ كالمرض وفقد الولد، ﴿إلاّ في كِتابٍ﴾ يعني اللوحَ المحفوظ، ﴿مِن قَبلِ أن نَبرَأَها﴾: نخلقها ـ ويقال في النِّعمة كذلك. ﴿إنَّ ذلِكَ علَى اللهِ يَسِيرٌ ـ لِكَيلا﴾، كي: ناصبة للفعل بمعنى «أن»، أي: أخبرَ تعالى بذلك لئلاّ ﴿تأسَوا﴾: تحزنوا ﴿علَى ما فاتَكُم، ولا تَفرَحُوا﴾..

قولُهُ: (فِي إِعجَابِهَا) وقلَّةِ جَدواها.

قولُهُ: (واضْمِحْلالِهَا) أي: سُرعةِ انقضائِها.

قولُهُ: (مَطَرٍ) أي: نباتٍ أنبتَهُ الغيثُ فاستَوى.

قولُهُ: (الزُّرَّاعَ) أو الكافرينَ باللهِ؛ لأنَّهُم أشدُّ إعجاباً، ولأنَّ المؤمنَ إذا رأى مُعجِباً انتقلَ فِكرُهُ إلى قدرةِ صانعِهِ فأُعجِبَ بها، والكافرُ لا يتخطَّى فِكرُهُ عمَّا أحسَّ به، فيستغرِقُ فيه إعجاباً.

قولُهُ: (السَّعَةُ) كقولِهِ: ﴿فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [فصلت: ٥١]، أو[1] إذا كانَ العرضُ كذلك فما ظنُّكَ بالطُّولِ.

قولُهُ: (بالجَدْبِ) والعاهةِ.

قولُهُ: (كالمَرَضِ) والآفةِ.

قولُهُ: (يَعني اللَّوحَ) أي: إلَّا مكتوبةً في اللَّوحِ مثبتةً في علمِ اللهِ.

قولُهُ: (نَخلُقَهَا) والضَّميرُ للمُصيبةِ، أو للأرضِ، أو للأنفُسِ.

قولُهُ: (أي: أَخبَرَ) أو أثبتَ وكتبَ، معلَّلٌ مقدَّرٌ.

قولُهُ تعالى: (﴿عَلَى مَا فَاتَكُم﴾) من نعمِ الدُّنيا، أو مطلقاً، فإنَّ من علمَ أنَّ الكلَّ مقدَّرٌ هانَ عليهِ الأمرُ، وفي الحديثِ: «مَا أصابَكَ لمْ يكنْ ليخطِئَكَ، وما أخطأَكَ لمْ يكنْ ليصيبَكَ»[2]،..........

(١) في (م): «و».

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد في «مسنده» (٢١٥٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٧) من حديث =

فرحَ بطرٍ بل فرحَ شُكر على النِّعمة ﴿بِما آتاكُم﴾، بالمدّ: أعطاكم، وبالقصر: جاءكم منه. ﴿واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُختالٍ﴾: متكبّر بما أُوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس، ٢٤ ـ ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿ويأمُرُونَ النّاسَ بِالبُخلِ﴾ به لهم وعيد شديد، ﴿ومَن يَتَوَلَّ﴾ عمّا يجب عليه ﴿فإنَّ اللهَ هُوَ﴾ ـ ضمير فصل، وفي قراءة بسقوطه ـ ﴿الغَنِيُّ﴾ عن غيره ﴿الحَمِيدُ﴾ لِأَوليائه.

٢٥ ـ ﴿لَقَد أرسَلْنا رُسُلَنا﴾: الملائكةَ إلى الأنبياء ﴿بِالبَيِّناتِ﴾: بالحُجج القواطع، ﴿وأنزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ﴾ بمعنى الكُتب ﴿والمِيزانَ﴾: العدل، ﴿لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسطِ، وأنزَلْنا الحَدِيدَ﴾: أخرجْناه من المعادن، ﴿فِيهِ بأسٌ شَدِيدٌ﴾ يُقاتَل به ﴿ومَنافِعُ لِلنّاسِ، ولِيَعلَمَ اللهُ﴾.........................

وورد: «مَا شاءَ اللهُ كانَ، ومَا لَمْ يشَأْ لَمْ يكُنْ»(١).

قولُهُ: (وبالقَصرِ) بصريٌّ(٢) مِن الإتيان ليعادِلَ ما فاتَكُم، والمرادُ به: نفيُ الأسى المانعِ عن التَّسليمِ لأمرِ اللهِ، والفرحِ الموجبِ للبَطرِ والاختيالِ، وإلّا فهُما مطبُوعانِ في جبلَّةِ الإنسانِ، وقلَّ من يُثبِّتُ نفسَهُ حالَي الضَّرَّاءِ والسَّرَّاءِ.

قولُهُ: (بِمَا يَجِبُ عَلَيهِم) قيل: البخيلُ مَن يرى لنفسِهِ ملكاً.

قولُهُ: (لَهُم وَعِيدٌ) أشارَ إلى أنَّ الموصولَ مبتدأٌ خبرُهُ محذوفٌ، والأظهرُ: أنّه بدلُ بعضٍ مِن كلٍّ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ(٣).

قولُهُ: (إلَى الأَنبِيَاءِ) أو الأنبياءَ إلى الأممِ.

قولُهُ: (بالحُجَجِ) والمعجزاتِ.

قولُهُ: (الكُتُبِ) يعني: المرادُ به الجنسُ، أو معَ كلِّ واحدٍ منهم؛ ليبيِّنَ الحقَّ ويميِّزَ صوابَ العملِ.

قولُهُ: (العَدْلَ) يُقامُ به السِّياسةُ، ويُدفَعُ به الأعداءُ، أو المرادُ: الميزانُ المعروفُ؛ ليسوِّي به الحقوقَ، ويُقامَ به العدلُ، وإنزالُهُ إنزالُ أسبابِهِ، أو الأمرُ، أو الإلهامُ بإعدادِهِ، وقيل: أنزلَ الميزانَ إلى نوحٍ.

قولُهُ: (يُقَاتَلُ بِهِ) فإنَّ آلاتِ الحروبِ متَّخذةٌ منهُ.

وقولُهُ تعالى: (﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾) إذ ما مِن صنعةٍ إلَّا والحديدُ آلتُها.

= زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(١) هو طرف من حديث رواه أبو داود (٥٠٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٧٥٦) عن إحدى بنات النبي ﷺ مرفوعاً.

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٦).

(٣) انظر المصدر السابق.

عِلمَ مُشاهدة ـ معطوفٌ على «ليقوم الناس» ـ ﴿مَن يَنصُرُهُ﴾ بأن ينصر دِينَه بآلات الحرب من الحديد وغيره، ﴿ورُسُلَهُ بِالغَيبِ﴾: حال من هاء «ينصره»، أي: غائبًا عنهم في الدنيا. قال ابن عبّاس: ينصرونه ولا يُبصرونه. ﴿إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: لا حاجة به إلى النُّصرة، لكنها تنفع مَن يأتي بها.

٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿ولَقَد أرسَلْنا نُوحًا وإبراهِيمَ، وجَعَلْنا في ذُرِّيّتِهِما النُّبُوّةَ والكِتابَ﴾ يعني الكُتبَ الأربعة: التوراةَ والإنجيل والزبور والفُرقان، فإنها في ذُرِّيّة إبراهيم ـ ﴿فمِنهُم مُهتَدٍ، وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ ـ ثُمَّ قَفَّينا علَى آثارِهِم بِرُسُلِنا، وقَفَّينا بِعِيسَى بنِ مَريَمَ وآتَيناهُ الإنجِيلَ، وجَعَلْنا في قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رأفةً ورَحْمةً ورَهبانِيّةً﴾ هي رفضُ النساء واتّخاذُ الصوامع، ....

قولُهُ: (عَلَى: ﴿لِيَقُومَ﴾) فيه أنَّه يصيرُ التَّقديرُ: أنزَلنا ليعلمَ اللهُ، وقد سبقَهُ البغويُّ[١] في ذلك، ولعلَّهُ من بابِ الالتفاتِ، وقالَ القاضي[٢]: اللَّامُ صلةٌ لمحذوفٍ؛ أي: أنزلَهُ ليعلمَ اللهُ.

قولُهُ: (بآلاتِ الحَربِ) أي: باستِعمَالِها في مجاهَدةِ الكفَّارِ.

قولُهُ: (مِنْ هَاءِ: ﴿يَنْصُرُهُ﴾) أو مِن مُستكنِّهِ.

قولُهُ: (لا حَاجَةَ بِهِ) الصَّوابُ: له.

قولُهُ: (تَنفَعُ) دُنيا وأخرى.

قولُهُ: (فَإنَّهَا) أي: الأربعةَ.

قولُهُ: (في ذُرِّيَّةِ إبرَاهِيمَ) وهو من ذرِّيَّةِ نوحٍ.

قولُهُ تعالى: (﴿فَمِنهُم﴾) أي: من الذُّرِّيَّةِ، وقولُهُ: (﴿عَلَى آثَارِهِم﴾) الضَّميرُ لنوحٍ وإبراهيمَ ومَن أُرسِلا إليهم، أو مَن عاصرَهُما من الرُّسُلِ، لا للذُّرِّيَّةِ، فإنَّ الرُّسُلَ المقفَّى بهم من الذُّرِّيَّةِ، والمعنى: أرسَلنا رسولًا بعدَ رسولٍ حتَّى انتهى إلى عيسى.

قولُهُ: (واتِّخَاذُ الصَّوَامِعِ) أي: رهبانيَّةً مبتدَعةً على أنَّها من المجعُولاتِ، أو ابتدَعوا رهبانيَّةً مبتدعةً ابتدعُوها، وهي المبالغةُ في العبادةِ والرِّياضةِ والانقطاعِ عن النَّاسِ، منسوبةٌ إلى: الرُّهبانِ[٣]، وهو المبالغُ في الخوفِ مِن: رَهِبَ، وقُرِئَت بالضَّمِّ[٤]، كأنَّها[٥] منسوبةٌ إلى: الرُّهبانِ، جمعُ راهبٍ.

---

(١) انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ٣٣).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٩٠).

(٣) في (م): «الترهب».

(٤) أي: (ورُهبانية) وهي قراءة شاذة، ونسبت لمبشر بن عبيد، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٦٥).

(٥) في (م): «لأنها».

﴿ابتَدَعُوها﴾ مِن قِبَل أنفُسهم، ﴿ما كَتَبْناها علَيهِم﴾: ما أمرناهم بها، ﴿إلاّ﴾: لكن فعلوها ﴿ابتِغاءَ رِضْوانِ﴾: مرضاةِ ﴿اللهِ، فما رَعَوها حَقَّ رِعايَتِها﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدِين عيسى ودخلوا في دِين مَلِكهم، وبقي على دِين عِيسَى كثير منهم فآمنوا بنبيِّنا، ﴿فآتَينا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ به ﴿مِنهُم أجرَهُم. وكَثِيرٌ مِنهُم فاسِقُونَ﴾.

٢٨ ـ ٢٩ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بعِيسَى، ﴿اتَّقُوا اللهَ وآمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ مُحمّد ـ صلّى الله عليه وعلى عيسى وسلّم ـ ﴿يُؤتِكُم كِفلَينِ﴾: نصيبَينِ ﴿مِن رَحْمتِهِ﴾ لِإيمانكم بالنبيَّينِ، ﴿ويَجعَلْ لَكُم نُورًا تَمشُونَ بِهِ﴾ على الصراط، ﴿ويَغفِرْ لَكُم ـ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ـ لِئلاّ يَعلَمَ﴾، أي: أعلَمَكم بذلك ليعلمَ ﴿أهلُ الكِتابِ﴾: ....

قولُهُ: (مَا أَمَرْنَاهُم بهَا) أو: ما فرَضْناها عليهِم.

قولُهُ: (لَكِنْ) يعني: استثناءٌ منقطعٌ؛ أي: لكنَّهُم ابتدَعوها.

قولُهُ: (إِذ تَرَكَهَا كَثِيرٌ) أي: ما رَعَوها جميعاً، بضمِّ التَّثليثِ، والقولِ بالاتِّحادِ، وقصدِ السُّمعةِ والكفرِ بمحمَّدٍ ﷺ ونحوِها إلى ما ذُكِرَ من الرَّهبانيَّةِ.

قولُهُ: (بِعِيسَى) أو بالرُّسلِ المتقدِّمةِ.

قولُهُ: (بالنَّبيِّينَ) أو بمحمَّدٍ ومن قبلَهُ، ولا يبعدُ أن يُثابوا على دينِهِمُ السَّابقِ، وإن كانَ منسُوخاً ببركةِ الإسلامِ، وقيل: الخطابُ للنَّصارى الَّذين كانوا في عصرِهِ ﷺ الثَّابتينَ على دينِ عيسى عليهِ السَّلامُ.

قولُهُ: (عَلَى الصِّرَاطِ) يريدُ المذكورَ في قولِهِ: ﴿يَسْعَى نُورُهُم﴾، أو الهدى الَّذي يُسلَكُ به إلى جَنابِ القدسِ.

قولُهُ: (لِيَعْلَمَ) وقُرِئَ به[1]، ولكي يَعلمَ، ولأنْ يعلمَ، فـ«لا» مزيدةٌ، والمعنى: ليعلمَ أهلُ الكتابِ عجزَهُم، وأمَّا قولُ البيضاويِّ[2] في قولِهِ تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ أي: أن تسجُدَ[3]، و(لا) صلةٌ مثلُهَا في قولِهِ: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد: ٢٩] مؤكِّدةٌ معنى الفعلِ الَّذي دخلَتْ عليهِ، ففيهِ أنَّ (لا) هي النَّافيةُ، فإذا كانَتْ زائدةً لا يوجدُ نفيٌ حتَّى تؤكِّدَهُ مع أنَّه لا معنى لقولِهِ: (لا) يؤكِّدُ معنى الفعلِ الَّذي

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت للحسن، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٦٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٣/ ٧).

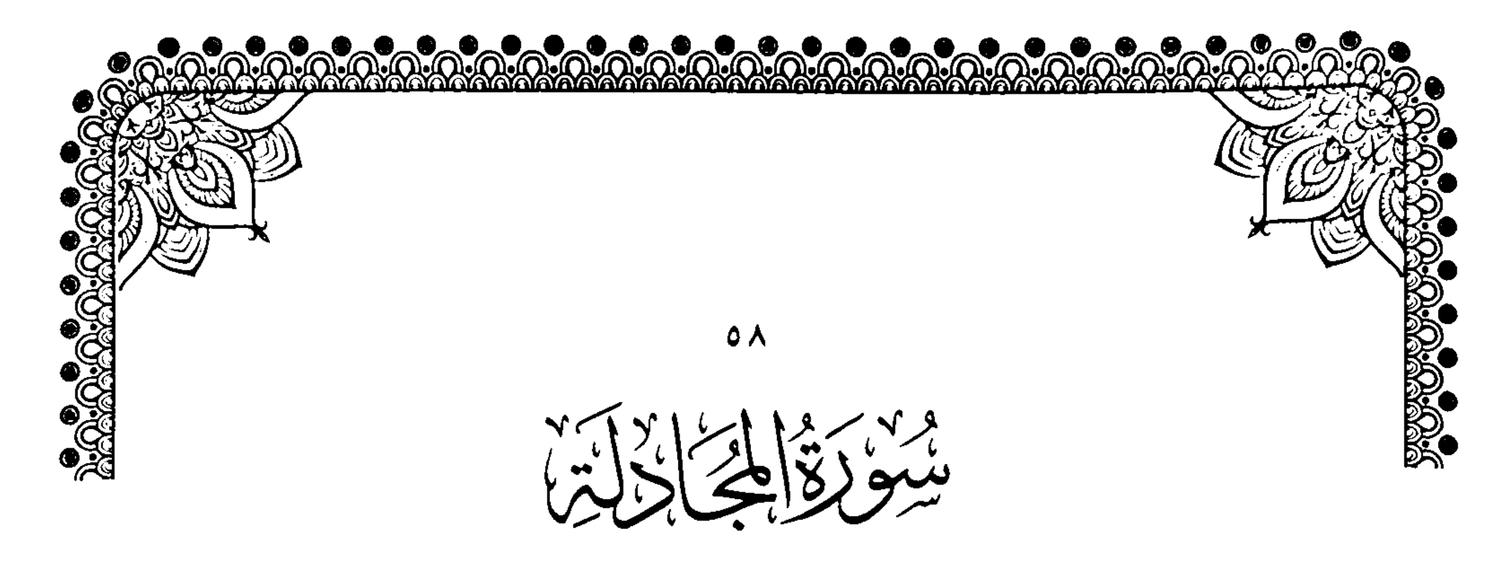
(٣) في الأصول زيادة: «كما في ص» وهي خطأ فآية ص: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] وليس فيها (لا).

التوراةِ الذين لم يُؤمنوا بمُحمّد ﷺ ﴿أنْ﴾: مُخففةٌ من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنّهم ﴿لا يَقدِرُونَ علَى شَيءٍ مِن فَضلِ اللهِ﴾، خِلافُ ما في زعمهم أنهم أحبّاءُ الله وأهل رِضوانه، ﴿وأنَّ الفَضلَ بِيَدِ اللهِ، يُؤتِيهِ﴾: يُعطيه ﴿مَن يَشاءُ﴾. فآتى المُؤمنين منهم أجرهم مرّتين، كما تقدّم. ﴿واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾.

دخلَتْ، عليه نعم، قيل هذا في لَن لا في: (لا)، وقيل: ليست زائدةً، والمعنى: لئلّا يعلَمَ أهلُ الكتابِ عجزَ المؤمنينَ، والأظهرُ أن يُقالَ: لئلّا يعلمَ أهلُ الكتابِ عدمَ قدرتِهِم فيكونَ تسجيلاً عليهِم بالجهلِ، واللهُ أعلمُ.

قولُهُ: (التَّورَاةِ) أو مطلقاً، واللهُ أعلمُ.

* * *



٥٨

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

مدنية، ثنتان وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قَد سَمِعَ اللهُ قَولَ الَّتِي تُجادِلُكَ﴾: تُراجِعُك ـ أيها النبيّ ـ ﴿في زَوجِها﴾ المُظاهِر منها ـ كان قال لها: أنتِ عليَّ كظَهرِ أُمّي. وقد سألَتِ النبيَّ عن ذلك، فأجابها بأنها حَرُمتْ عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أنّ الظِّهار مُوجَبُه فُرقةٌ مُؤبّدة. وهي خَولةُ بنتُ ثعلبةَ، وهو أوسُ بنُ الصامت ـ ﴿وتَشتكِي إلَى اللهِ﴾ وحدتَها وفاقتها وصِبية صِغارًا، إن ضمّتهم إليه ضاعوا، أو إليها جاعوا. ﴿واللهُ يَسمَعُ تَحاوُرَكُما﴾: تَراجُعَكما. ﴿إنَّ اللهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾: عالم.

٢ ـ ﴿الَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ﴾ ـ أصلُه «يَتَظَهَّرُونَ» أُدغمَتِ التاءُ في الظاء.........................

سُورَةُ المُجَادَلَةِ

سورةُ ﴿قد سَمِعَ﴾

قولُهُ: (كَانَ قَالَ) عدمُ الجزمِ دليلُ وجودِ الجزمِ.

قولُهُ: (حَرُمَتْ عَلَيهِ) فقالَت: ما طلَّقَني، فقالَ: «حرُمْتِ عليهِ»، فاغتمَّت لصِغَرِ أولادِها، وشكَتْ إلى اللهِ تعالى، فنزلَت هذه الآياتُ الأربعُ[1].

قولُهُ: (جَاعُوا) فكأنَّ النَّفقةَ لم تكُنْ واجِبةً.

قولُهُ: (عَالِمٌ) بالأقوالِ والأحوالِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢٣) عن محمد بن كعب القرظي مرسلًا.

وفي قراءة بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أُخرى كـ «يُقاتِلُونَ». وفي الموضع الثاني كذلك ـ ﴿مِنكُم مِن نِسائِهِم ما هُنَّ أُمَّهاتِهِم، إنْ أُمَّهاتُهُم إلاّ اللاّئي﴾، بهمزة وياء وبلا ياء، ﴿وَلَدْنَهُم، وإنَّهُم﴾ بالظِّهار ﴿لَيَقُولُونَ مُنكَرًا، مِنَ القَولِ وزُورًا﴾: كذبًا. ﴿وإنَّ اللهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ للمُظاهِر، بالكفّارة.

٣ ـ ﴿والَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِسائِهِم، ثُمَّ يَعُودُونَ لِما قالُوا﴾ أي: فيه،..........................

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ وحمزةَ والكسائيِّ[1]، من اظَّاهرَ أصلُهُ: تظاهَرَ.

قولُهُ: (وَفِي أُخرَى) لعاصمٍ[2].

قولُهُ: (كـ«يقاتِلُونَ») أي: من بابِ المفاعَلةِ.

قولُهُ: (بهَمزَةٍ) تقدَّمَ تفصيلُهُ في أوَّلِ الأحزابِ[3].

قولُهُ تعالى: (﴿وَلَدْنَهُم﴾) والأمَّهاتُ مخدوماتٌ والزَّوجاتُ خادماتٌ، فلا يشبَّهُ بهنَّ في الحرمةِ إلَّا ما ألحقَها اللهُ بهنَّ كالمرضعاتِ وأمَّهاتِ المؤمنينَ.

قولُهُ تعالى: (﴿مُنكَرًا﴾) إذ الشَّرعُ وكذا الحقيقةُ أنكرَهُ ﴿وزُورًا﴾ محرَّفاً عن الحقِّ وكذباً وباطلاً، فإنَّ الزَّوجةَ ليست أمًّا في الحقيقةِ.

قولُهُ: (للمُظَاهِرِ) الظَّاهرُ: لما سَلَفَ من الظِّهارِ مطلقاً، أو إذا تيبَ عنهُ.

قولُهُ: (أي: فِيهِ) يعني: في قولِهِم، أو إلى قولِهِم بالتَّداركِ، وهو ينقضُ ما يقتضيهِ الظِّهارُ، وذلك عندَ الشَّافعيِّ[4] بإمساكِ المُظاهَرِ عنها زماناً يمكنُهُ مفارقتُها فيهِ، وعندَ أبي حنيفةَ: باستباحةِ استِمتاعِها ولو بنظرِ شهوةٍ، وعندَ مالكٍ: بالعزمِ على الجماعِ[5]، وعندَ الحسنِ: بالجِماعِ[6]، كذا قالَهُ القاضي[7]، لكنَّ ما نسبَهُ إلى أبي حنيفةَ غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّ مذهبَهُ كمذهبِ مالكٍ، وقد صرَّحَ به البغويُّ[8] من الشَّافعيَّةِ، وصاحبُ «المداركِ»[9]

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٧).

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٧).

(٣) في الآية رقم: (٤).

(٤) انظر: «الحاوي الكبير» (١٠/ ٤٤٣).

(٥) انظر: «المعونة على مذهب عالم المدينة» (ص: ٨٩١).

(٦) رواه الجهضمي في «أحكام القرآن» (٢٨١).

(٧) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٩٢).

(٨) انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ٤٠).

(٩) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٤٥).

بأن يُخالفوه بإمساك المُظاهَر منها، الذي هو خِلاف مقصود الظِّهار من وصف المرأة بالتحريم، ﴿فتَحرِيرُ رَقَبةٍ﴾ أي: إعتاقُها عليه ﴿مِن قَبلِ أن يَتَماسّا﴾ بالوطء. ﴿ذلِكُم تُوعَظُونَ بِهِ، واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبيرٌ﴾.

٤ ـ ﴿فمَن لَم يَجِدْ﴾ رقبةً ﴿فصِيامُ شَهرَينِ مُتَتابِعَينِ مِن قَبلِ أن يَتَماسّا، فمَن لَم يَستَطِعْ﴾ أي: الصيامَ ﴿فإطعامُ سِتِّينَ مِسكِينًا﴾ عليه، أي: مِن قبل أن يتماسّا حملاً للمُطلق على المُقيّد، لكُلّ مسكينٍ مُدٌّ من غالب قُوت البلد. ﴿ذلِكَ﴾ أي: التخفيف في الكفّارة ﴿لِتُؤمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ، وتِلكَ﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللهِ، ولِلكافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذابٌ أليمٌ﴾: مُؤلم.

من الحنفيَّةِ[1].

قولُهُ: (عَلَيهِ) الظَّاهرُ: فعليهم، أو فالواجبُ، والرَّقبةُ مقيَّدةٌ بالإيمانِ عندَ الشَّافعيِّ[2]، مطلقةٌ عندَنا[3] لإطلاقِ الآيةِ.

قولُهُ: (بالوطءِ) وهو الصَّحيحُ من مذهبِ الشَّافعيِّ[4]، وفي «المداركِ»[5]: المماسَّةُ: الاستمتاعُ بها مِن جماعٍ أو لمسٍ بشهوةٍ أو نظرٍ إلى فرجِها بشَهوةٍ، فإن مسَّ قبلَ أن يُكَفِّرَ استغفَرَ، ولا يعودُ حتَّى يكفِّرَ، انتهى، ومذهَبُنا أظهرُ لعمومِ اللَّفظِ ومقتضى التَّشبيهِ.

قولُهُ: (أي: الصِّيَامَ) لهرمٍ أو مرضٍ مزمنٍ، أو شبقٍ مفرطٍ؛ فإنَّهُ ﷺ رخَّصَ للأعرابيِّ المفطرِ أن يعدِلَ لأجلِهِ إلى الإطعامِ[6].

قولُهُ: (حَمْلاً للمُطْلَقِ) وعندَنا: أطلقَ لجوازِهِ في خلالِ الإطعامِ[7].

قولُهُ: (مُدٌّ) وعندَنا[8]: نصفُ صاعٍ من بُرٍّ، وصاعٌ من غيرِهِ.

قولُهُ: (التَّخفِيفُ) أو البيانُ، أو التَّعليمُ للأحكامِ.

قولُهُ: (بِهَا) الَّذين لا يقبَلونَها ولا يترُكونَ ما كانوا عليه في الجاهليَّةِ.

---

(١) وهو كما قال، انظر: «تحفة الفقهاء» (٢/ ٢١٤).

(٢) انظر: «الحاوي الكبير» (١٠/ ٤٦١).

(٣) انظر: «الهداية» (٢/ ٢٦٦).

(٤) انظر: «الحاوي الكبير» (١٠/ ٤٥١).

(٥) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٤٦).

(٦) رواه البخاري (١٩٣٦)، ومسلم (١١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) انظر: «شرح مختصر الطحاوي» للجصاص (٥/ ٢٠٠)، و«البناية» للعيني (٥/ ٥٤٢).

(٨) انظر: «الهداية» (٢/ ٢٦٨).

٥ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ﴾: يُخالفون ﴿اللهَ ورَسُولَهُ كُبِتُوا﴾: أُذِلّوا ﴿كَما كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم﴾ في مُخالفتهم رسلَهم، ﴿وقَد أنزَلْنا آياتٍ بَيِّناتٍ﴾: دالّةً على صِدق الرسول، ﴿ولِلكافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة، ٦ ـ ﴿يَومَ يَبعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا، فيُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا. أحصاهُ اللهُ ونَسُوهُ. واللهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾.

٧ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تعلمْ ﴿أَنَّ اللهَ يَعلَمُ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ؟ ما يَكُونُ مِن نَجْوَى ثَلاثةٍ إلاّ هُوَ رابِعُهُم﴾ بعلمه، ﴿ولا خَمْسَةٍ إلاّ هُوَ سادِسُهُم، ولا أدنَى مِن ذلِكَ ولا أكثَرَ إلاّ هُوَ مَعَهُم، أينَما كانُوا. ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِما عَمِلُوا يَومَ القِيامةِ. إنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ﴾.

٨ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تنظرْ ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى، ثُمَّ يَعُودُونَ لِما نُهُوا عَنهُ، ويَتَناجَونَ بِالإثمِ والعُدوانِ، ومَعصِيةِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبيّ عما كانوا يفعلون من تناجيهم، أي: تحدّثهم سِرًّا، ناظرين إلى المُؤمنين ليُوقعوا في قُلوبهم الريبة، ﴿وإذا جاؤُوكَ حَيَّوكَ﴾ ـ أيها النبيُّ ـ ﴿بِما لَم يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ﴾، وهو قولهم: «السامُ عليكَ» أي: الموتُ، ﴿ويَقُولُونَ في أنفُسِهِم: لَولا﴾: هلاّ ﴿يُعَذِّبُنا اللهُ بِما نَقُولُ﴾ من التحيّة وأنّه ليس بنبيّ، إن كان نبيًّا؟ ﴿حَسْبُهُم جَهَنَّمُ يَصلَونَها﴾: يدخلونها. ﴿فبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي!

٩ ـ ١٠ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا تَناجَيتُم فلا تَتَناجَوا بِالإثمِ والعُدوانِ ومَعصِيةِ الرَّسُولِ، وتَناجَوا بِالبِرِّ والتَّقوَى، واتَّقُوا اللهَ الَّذِي إلَيهِ تُحشَرُونَ. إنَّما النَّجْوَى﴾ بالإثم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيطانِ﴾ بغروره ﴿لِيَحزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا، ولَيسَ﴾ هو ﴿بِضارِّهِم شَيئًا، إلاّ بِإذنِ اللهِ﴾ أي: إرادته! ﴿وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾.

قولُهُ: (يُخَالِفُونَ) فإنَّ كلًّا من المتخالِفينَ في حدٍّ دونَ الآخرِ.

قولُهُ: (أُذِلُّوا) أو أهْلِكوا، وأصلُ الكبتِ: الكَبُّ.

قولُهُ: (ذُو إِهَانَةٍ) يذهبُ عزَّهُم وتكبُّرَهُم، وهو عاملٌ في: ﴿يَوْمَ﴾، أو اذكُرْ مقدَّراً.

قولُهُ: (بِعلمِهِ) أي: إلَّا اللهُ يجعلُهُم أربعةً؛ من حيثُ إنَّه يشاركُهُم في الاطِّلاعِ عليها، والاستثناءُ من أعمِّ الأحوالِ.

قولُهُ: أي: أنعِم صباحاً[1]، واللهُ سبحانَهُ يقولُ: ﴿سلام على المرسلين﴾ [الصافات: ١٨١].

قولُهُ: (ونَحوِهِ) من العُدوانِ.

قولُهُ: (بغُرُورِهِ) لأنَّه المزيِّنُ لها والحاملُ عليها.

---

(١) لم أقف على هذه العبارة في «الجلالين». وكأنها مقحمة هنا، والله أعلم.

١١ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا قِيلَ لَكُم: تَفَسَّحُوا﴾ توسّعوا ﴿في المَجلِسِ﴾: مجلس النبيّ ﷺ أو الذِّكر، حتّى يجلس من جاءكم ـ وفي قراءة: «المَجالِسِ» ـ ﴿فافسَحُوا، يَفسَحِ اللهُ لَكُم﴾ في الجنّة، ﴿وإذا قِيلَ: انشِزُوا﴾: قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات، ﴿فانشِزُوا﴾ ـ وفي قراءة بضمّ الشين فيهما ـ ﴿يَرفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم﴾ بالطاعة في ذلك، ﴿و﴾ يرفعِ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ﴾ في الجنّة. ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

١٢ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا ناجَيتُمُ الرَّسُولَ﴾: أردتم مناجاتَه ﴿فقَدِّمُوا بَينَ يَدَي نَجواكُم﴾: قبلَها ﴿صَدَقةً ـ ذلِكَ خَيرٌ لَكُم وأطهَرُ﴾ لذُنوبكم ـ ﴿فإن لَم تَجِدُوا﴾ ما تتصدّقون به ﴿فإنَّ اللهَ غَفُورٌ﴾ لمُناجاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم. يعني: فلا عليكم في المُناجاة من غير صدقة. ثم نُسخ ذلك بقوله:.........

قولُهُ: (أوِ الذِّكرِ) أو المرادُ بـ(المجلسِ): الجنسُ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لعاصمٍ[1].

قولُهُ: (فِي الجَنَّةِ) أو فيما تريدونَ التَّفسُّحَ فيه من المكانِ والرِّزقِ والصَّدرِ وغيرِها.

قولُهُ: (إلى الصَّلاةِ) أي: لما أُمِرتُم به كصلاةٍ وجهادٍ، أو للتَّوسعةِ، أو ارتفِعوا في المجلسِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) نافعٌ وشاميٌّ وعاصمٌ بخلافٍ عن شعبةَ[2].

قولُهُ: (بالطَّاعَةِ) أو بالنَّصرِ وحسنِ الذِّكرِ، وإيوائِهِم غرفَ الجنَّاتِ في الآخرةِ.

قولُهُ: (فِي الجَنَّةِ) بما جمَعوا من العلمِ والعَملِ، وفي الحديثِ الصَّحيحِ[3]: «فَضلُ العالمِ على العابدِ كفَضلِي على أدناكُم».

قولُهُ: (قَبْلَهَا) مستَعارٌ ممَّن له يَدانِ.

قولُهُ: (لِذنُوبِكُم) أو لأنفسِكُم مِنَ الزِّينةِ[4]، وحبِّ المالِ.

قولُهُ: (ثمَّ نُسِخَ ذلكَ) أي: الحُكمُ للوجوبِ، أو النَّدبِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٠٩).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) رواه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ٢٣٣) (٧٩١١) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

(٤) كذا في الأصول وفي «تفسير البيضاوي» (٥/ ١٩٥): الريبة.

١٣ ـ ﴿أأشفقتم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المُسهّلة والأُخرى وتركِه ـ أي: أخِفتم من ﴿أن تُقدِّموا بينَ يدَي نجواكُم صدَقاتٍ﴾ الفقرَ؟ ﴿فإذْ لم تفعلُوا﴾ الصدقة، ﴿وتابَ اللهُ عليكُم﴾: رجَع بكم عنها، ﴿فأقيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكاةَ، وأطيعُوا اللهَ ورسُولَهُ﴾، أي: دوموا على ذلك. ﴿واللهُ خبيرٌ بما تعمَلُونَ﴾.

١٤ ـ ﴿ألَم ترَ﴾: تنظرْ ﴿إلَى الَّذِينَ تولَّوا﴾ ـ هم المُنافقون ـ ﴿قومًا﴾ هم اليهود، ﴿غَضِبَ اللهُ علَيهِم، ما هُم﴾ أي: المُنافقون ﴿مِنكُم﴾: من المُؤمنين ﴿ولا مِنهُم﴾: من اليهود، بل هم مُذبذَبون، ﴿ويَحلِفُونَ علَى الكَذِبِ﴾ أي قولِهم: إنهم مُؤمنون، ﴿وهُم يَعلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه؟ ١٥ ـ ﴿أعَدَّ اللهُ لَهُم عَذابًا شَدِيدًا. إنَّهُم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُونَ﴾ من المعاصي! ١٦ ـ ﴿اتَّخَذُوا أيمانَهُم جُنَّةً﴾: سِترًا عن أنفُسهم وأموالهم، ﴿فصَدُّوا﴾ بها المُؤمنين ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: الجِهادِ فيهم بقتلهم وأخذ أموالهم، ﴿فلَهُم عَذابٌ مُهِينٌ﴾: ذو إهانة. ١٧ ـ ﴿لَن تُغنيَ عَنهُم أمْوالُهُم ولا أولادُهُم مِنَ اللهِ﴾: من عذابه ﴿شَيئًا﴾ من الإغناء! ﴿أُولئِكَ أصحابُ النّارِ، هُم فِيها خالِدُونَ﴾.

١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ اذكرْ ﴿يَومَ يَبعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا، فيَحلِفُونَ لَهُ﴾ إنهم مُؤمنون ﴿كَما يَحلِفُونَ لَكُم، ويَحسِبُونَ أنَّهُم علَى شَيءٍ﴾ من نفعِ حلفِهم في الآخرة كالدنيا. ﴿ألا إنَّهُم هُمُ الكاذِبُونَ. استَحْوَذَ﴾: استولى ﴿عليهِمِ الشَّيطانُ﴾ بطاعتهم له،..

قولُهُ: (بتَحْقِيقِ) تقدَّمَ[1].

قولُهُ: (رَجَعَ) بأنْ رخَّصَ لكم أن لا تفعَلوهُ.

قولُهُ: (المُنافِقُونَ) والَوْا.

قولُهُ: (مؤمنون) الظَّاهرُ: آمَنوا.

قولُهُ: (سِتْراً) ووقايةً.

قولُهُ: (بقَتْلِهِم) أو فصدُّوا النَّاسَ في خلالِ أمنِهِم عن دينِ اللهِ بالتَّحريشِ والتَّعويقِ.

قولُهُ: (ذُو إِهَانَةٍ) وعيدٌ ثانٍ بوصفِ آخرَ لعذابِهِم، وقيل: الأوَّلُ عذابُ القبرِ، وهذا عذابُ الآخرةِ.

قولُهُ: (مِنَ الإِغْنَاءِ) أو العَذابِ.

قولُهُ: (بِطَاعَتِهِم لَهُ) أي: استولى وغلبَ وقَوِيَ، وهو ممَّا جاءَ على الأصلِ من غيرِ إعلالٍ بخلافِ نحوِ: استقامَ.

---

(١) في الآية رقم: (٨) من سورة «ص».

﴿فأنساهُم ذِكرَ اللهِ. أُولئِكَ حِزبُ الشَّيطانِ﴾: أتباعُه. ﴿ألا إنَّ حِزبَ الشَّيطانِ هُمُ الخاسِرُونَ. إنَّ الَّذِينَ يُحادُّونَ﴾: يُخالفون ﴿اللهَ ورَسُولَهُ أُولئِكَ في الأذَلِّينَ﴾: المغلوبِينَ. ٢١ ـ ﴿كَتَبَ اللهُ﴾ في اللوح المحفوظ أو قضى، ﴿لَأغلِبَنَّ أنا ورُسُلِيَ﴾ بالحُجّة والسيف. ﴿إنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

٢٢ ـ ﴿لا تَجِدُ قَومًا، يُؤمِنُونَ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ، يُوادُّونَ﴾: يُصادقون ﴿مَن حادَّ اللهَ ورَسُولَهُ، ولَو كانُوا﴾ أي: المُحادّون ﴿آباءَهُم﴾ أي: المُؤمنين، ﴿أو أبناءَهُم أو إخوانَهُم أو عَشِيرَتَهُم﴾. بل يقصِدونهم بالسوء، ويقاتلونهم على الإيمان كما وقع لجماعة من الصحابة. ﴿أُولئِكَ﴾ الذين لا يُوادّونهم ﴿كَتَبَ﴾: أثبتَ ﴿في قُلُوبِهِمِ الإيمانَ، وأيَّدَهُم بِرُوحٍ﴾: بنور ﴿مِنهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿ويُدخِلُهُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها، رَضِيَ اللهُ عَنهُم﴾ بطاعته، ﴿ورَضُوا عَنهُ﴾ بثوابه. ﴿أُولئِكَ حِزبُ اللهِ﴾: يتّبعون أمرَه، ويجتنبون نهيَه. ﴿ألا إنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون.

قولُهُ: (المَغْلُوبِينَ) أي: في جملةِ مَن هو أذلُّ خلقِ اللهِ.

قولُهُ: (يُصَادِقُونَ) والمرادُ: أنّه لا ينبغِي أن يوادُّوهُم.

قولُهُ: (لجَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ) رويَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ: أنَّ الآيةَ عُني بها جماعةٌ من الصَّحابةِ؛ فقولُهُ: (﴿وَلَو كَانُوا آبَاءَهُم﴾) يريدُ: أبا عبيدةَ؛ لأنَّهُ قتلَ أباهُ يومَ أحدٍ، (﴿أَوْ أَبْنَاءَهُم﴾) يريدُ: أبا بكرٍ؛ لأنَّه دعا ابنَهُ للبرازِ يومَ بدرٍ، فأمرَهُ رسولُ اللهِ ﷺ أن يقعُدَ، (﴿أَوْ إِخْوَانَهُم﴾) يريدُ: مصعبَ بنَ عُميرٍ؛ لأنَّهُ قتلَ أخاهُ يومَ أحدٍ، (﴿أَوْ عَشِيرَتَهُم﴾) يريدُ: عليًّا ونحوَهُ، ممَّن قتَلوا عشائرَهُم، كذا في «المبهماتِ»[1].

قولُهُ: (بنُورٍ) وهو نورُ القلبِ، أو القرآنُ، أو النَّصرُ على العدوِّ.

قولُهُ: (تعالى) أي: من عندِهِ.

قولُهُ: (بِطَاعَتِهِم) أو بطاعتِهِ.

قولُهُ: (بِثَوَابِهِ) أي: بما وعدَهُم من الثَّوابِ، أو بقضائِهِ.

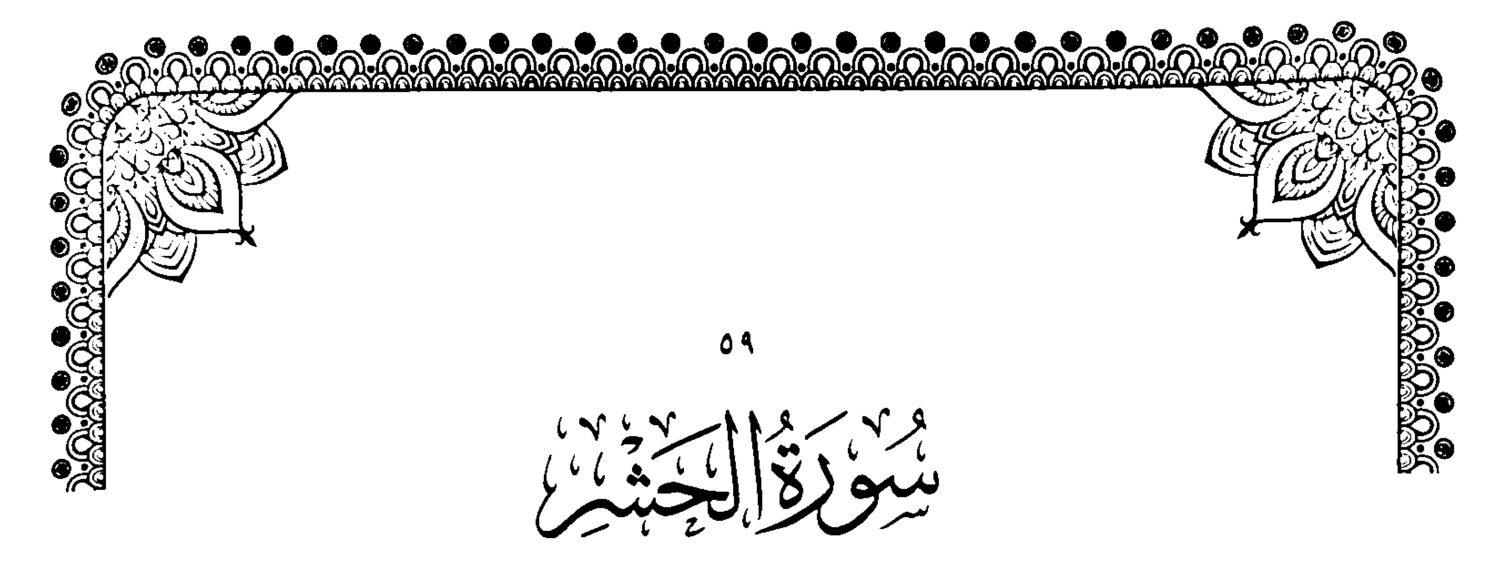
قولُهُ: (يتَّبِعُونَ) أي: جندَهُ وأنصارَ دينِهِ.

قولُهُ: (الفَائِزُونَ) بخيرِ الدَّارينِ، واللهُ أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٠٧) وعزاه لابن عساكر فقال: روى ابن نطيس عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكره.



٥٩

سورة الحشر

مدنية، أربع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿سَبَّحَ للهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: نَزَّهَه ـ فاللام مزيدة، وفي الإتيان بـ «ما» تغليبٌ للأكثر ـ ﴿وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ في مُلكه وصُنعه. ٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أخرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكِتابِ﴾ هم بنو النَّضير من اليهود ﴿مِن دِيارِهِم﴾: مساكنهم بالمدينة، ﴿لِأَوَّلِ الحَشرِ﴾ هو حشرهم إلى الشام. وآخرُه أن جلاهم عُمر في خلافته إلى خَيبر، ﴿ما ظَنَنتُم﴾ ـ أيها المُؤمنون ـ..............

سورة الحشر

قولُهُ: (فِي مُلْكِهِ) رويَ أنَّه ﷺ لمَّا قدمَ المدينةَ صالحَ بني النَّضيرِ على أن لا يَكونوا له ولا عليه، فلمَّا غلبَ النبيُّ ﷺ قالوا: إنَّه النبيُّ المنعوتُ في التَّوراةِ بالنُّصرةِ، فلمَّا هُزِمَ المسلمونَ يومَ أحدٍ ارتابوا ونكثُوا، وخرجَ كعبُ بنُ الأشرفِ في أربعينَ راكباً إلى مكَّةَ وحالَفوا أبا سفيانَ، فأمرَ رسولُ اللهِ ﷺ محمَّدَ بنَ مسلمةَ أخا كعبٍ من الرَّضاعةِ، فقتلَهُ خديعة ثمَّ صبَّحَهُم بالعسكرِ وحاصرَهُم حتَّى صالَحُوهُ على الجلاءِ، فجلا أكثرُهُم إلى الشَّامِ، ولحقَتْ طائفَةٌ بخيبرَ والحيرةِ، فأنزلَ اللهُ: ﴿سَبَّحَ للهِ﴾ إلى قولِهِ: ﴿واللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قولُهُ: (إِلَى حنين[1]) موضعٌ بينَ مكَّةَ والطَّائفِ، وحُنيناءُ بالشَّامِ، كذا في «القاموسِ»[2]، والثَّاني هو المناسبُ الموافقُ للمَنقولِ.

قولُهُ: (أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ) لشدَّةِ بأسِهِم ومنعَتِهِم.

---

(١) كذا في الأصول، وفي (الجلالين): «إلى خيبر».

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١٩٢).

﴿أن يَخرُجوا، وظَنُّوا أَنَّهم مانِعتُهُم﴾: خبرُ «أنّ» ﴿حُصُونُهُم﴾: فاعلُه تمَّ به الخبر ﴿مِنَ اللهِ﴾: من عذابه، ﴿فأتاهُمُ اللهُ﴾: أمرُه وعذابه ﴿مِن حَيثُ لَم يَحتَسِبُوا﴾: لم يَخطر ببالهم من جِهة المُؤمنين، ﴿وقَذَفَ﴾: ألقى ﴿في قُلُوبِهِمِ الرُّعْبَ﴾، بسكون العين وضمّها: الخوفَ بقتل سيّدهم كعب بن الأشرف، ﴿يُخَرِّبُونَ﴾ ـ بالتشديد، والتخفيف من: أخرَبَ ـ ﴿بُيُوتَهُم﴾ لينقلوا ما استحسنوه منها من خشب وغيره ﴿بِأيدِيهِم وأيدِي المُؤمِنِينَ. فاعتَبِرُوا، يا أُولِي الأبصارِ﴾.

٣ ـ ٤ ـ ﴿ولَولا أن كَتَبَ اللهُ﴾: قضى ﴿علَيهِمِ الجَلاءَ﴾ بالخُروج من الوطن ﴿لَعَذَّبَهُم في الدُّنيا﴾ بالقتل والسبي كما فعل بقُريظة من اليهود. ﴿ولَهُم في الآخِرةِ عَذابُ النّارِ. ذلِكَ بِأَنَّهُم شاقُّوا﴾: خالفوا ﴿اللهَ ورَسُولَهُ، ومَن يُشاقِّ اللهَ فإنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾ له.

٥ ـ ﴿ما قَطَعتُم﴾ ـ..

قولُهُ: (خَبَرُ: ﴿أَنَّ﴾) وقيل: هو خبرٌ مقدَّمٌ.

قولُهُ: (وعَذَابُهُ) وهو الرُّعبُ والاضطرارُ إلى الجلاءِ.

قولُهُ: (لَمْ يَخطُرْ بِبَالِهِم) لقوَّةِ وثوقِهِم.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) لشاميٍّ والكسائيِّ[1].

قولُهُ: (بالتَّشدِيدِ) بصريٌّ[2].

قولُهُ: (لِيَنْقُلُوا) وبُخلاً بها على المسلمينَ، وقولُهُ تعالى: (﴿وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِيْنَ﴾) فإنَّهُم أيضاً كانوا يخرِّبونَ ظواهِرَها نِكايةً وتوسيعاً لمجالِ القتالِ، وعطَفَها على: ﴿أَيْدِيْهِم﴾ من حيثُ إنَّ تخريبَ المؤمنينَ مسبَّبٌ عن بُغضِهِم، فكأنَّهُم استعملوهُم فيه.

قولُهُ: (كمَا فَعَلَ بِقُرِيظَةَ) قالَ ابن[3] إسحاقَ: كانَ إجلاءُ بني النَّضيرِ بعدَ مرجعِ النَّبيِّ ﷺ مِن أُحدٍ، وفتحُ قريظةَ عندَ مرجعِهِ من الأحزابِ، وبينَهُما سنتانِ[4].

قولُهُ تعالى: (﴿وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ﴾) استئنافٌ معناهُ: أنَّهُم إن نجَوا من عذابِ الدُّنيا لم ينجوا من عذابِ الآخرةِ، ويمكنُ أن يكونَ معناهُ: ولهم معَ ذلك.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

(٢) انظر المصدر السابق.

(٣) في الأصول: «أبو»، والصواب ما أثبته.

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٦/ ١٨٥)، و«التفسير البسيط» (٢١/ ٣٦٣).

يا مسلمين ـ ﴿مِن لِينةٍ﴾: نخلة ﴿أو تَركتُمُوها قائمةً علَى أُصُولِها فبِإذنِ اللهِ﴾ أي: خيَّركم في ذلك، ﴿وليُخزِيَ﴾ بالإذن في القطع ﴿الفاسِقِينَ﴾: اليهود في اعتراضهم بأنّ قطع الشجر المُثمر فسادٌ، ٦ ـ ﴿وما أفاءَ﴾: ردّه ﴿اللهُ علَى رَسُولِهِ مِنهُم فما أوجَفتُم﴾: أسرعتم ـ يا مسلمين ـ ﴿علَيهِ مِن﴾: زائدةٌ ﴿خَيلٍ ولا رِكابٍ﴾: إبلٍ، أي: لم تُقاسوا فيه مشقّة، ﴿ولكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ علَى مَن يَشاءُ. واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾. فلا حقّ لكم فيه، ويختصّ به النبيُّ ﷺ ومَن ذُكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة، على ما كان يقسمه من أنّ لكُلّ منهم خُمُسَ الخُمسِ، وله ﷺ الباقي يفعل فيه ما يشاء. فأعطى منه المهاجرين وثلاثةً من الأنصار لفقرهم.

٧ ـ ﴿ما أفاءَ اللهُ علَى رَسُولِهِ مِن أهلِ القُرَى﴾ كالصفراء ووادي القُرى.........

قولُهُ: (يَا مُسلِمُونَ[1]) أي: أيُّ شيءٍ قطعتُم وضميرُ (﴿تَركْتُمُوهَا﴾) لـ﴿ما﴾ وتأنيثُه؛ لأنَّهُ مفسَّرٌ باللِّينةِ.

قولُهُ: (خَيَّرَكُم) بأمرِهِ لرسولِهِ، أو بإرادتِهِ.

قولُهُ: (بالإِذنِ) علَّةٌ لمحذوفٍ؛ أي: وفعلتُم، أو أذنَ لكم في القطعِ ليخزيَهُم على فسقِهِم بما غاظَهُم منه.

قولُهُ: (فَسَادٌ) رويَ: أنَّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ أمرَهُم بقطعِ نخيلِهِم، قالوا: يا محمَّدُ؛ قد كنْتَ تنهى عن الفسادِ في الأرضِ، فما بالُ قطعِ النَّخلِ وتحريقِها؟ فنزلَتْ[2]، واستدلَّ بها على جوازِ هدمِ ديارِ الكفَّارِ وقطعِ أشجارِهِم زيادةً لغيظِهِم.

قولُهُ تعالى: (﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾) أي: جعلَهُ فيئاً له خاصَّةً، أو أعادَهُ عليه؛ بمعنى: صيَّرَهُ له، أو ردَّهُ عليهِ؛ فإنَّهُ كانَ حقيقاً بأن يكونَ له؛ لأنَّه تعالى خلقَ النَّاسَ لعبادتِهِ، وخلقَ ما خلقَ لهم ليتوَسَّلوا به إلى طاعتِهِ، فهو جديرٌ بأن يكونَ للمطيعينَ، وهو رئيسُهُم، وقولُهُ: (﴿منهُم﴾) مِن بني النَّضيرِ، أو من الكَفرةِ.

قولُهُ: (أَسْرَعْتُم) على تحصيلِهِ.

قولُهُ: (إِبلٍ) أي: ما يركَبُو من الإبلِ، غلبَ فيه كما غلبَ الرَّاكبُ على راكبِهِ، وذلك لأنَّ قرى بني النَّضيرِ كانَتْ قريبةً مِن المدينةِ، فمشوا إليها رجالاً غيرَ النَّبيِّ ﷺ فإنَّهُ ركبَ جملاً أو حماراً، ولم يجرِ مزيدُ قتالٍ.

قولُهُ: (لِفَقرِهِم) أي: الثَّلاثةِ.

قولُهُ: (كالصَّفرَاءِ) في «المداركِ»[3]: وإنَّما لم يُدخِلِ العاطفَ على هذه الجملةِ؛ لأنَّها بيانٌ للأولى، فهي

---

(١) في بعض الأصول: «يا مسلمين».

(٢) رواه أبو داود في «المراسيل» (٣٤٦) عن المغيرة بن عبد الرحمن وعبد الله بن أبي بكر مرسلًا.

ورواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٢٧١) عن يزيد بن رومان مرسلاً.

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٥٧).

ويَنبُعَ ﴿فـلِلهِ﴾ يأمر فيه بما يشاء، ﴿ولِلرَّسُولِ ولِذِي﴾: صاحبِ ﴿القُربَى﴾: قرابةِ النبيِّ من بني هاشم وبني المُطّلب، ﴿واليَتامَى﴾: أطفالِ المُسلمين الذين هلَكت آباؤهم وهم فُقراء، ﴿والمَساكِينِ﴾: ذوي الحاجة من المسلمين، ﴿وابنِ السَّبِيلِ﴾: المُنقطع في سفره من المُسلمين، أي: يستحقّه النبيّ والأصنافُ الأربعة على ما كان يقسمه، من أنّ لكُلّ من الأربعة خُمسَ الخُمس وله الباقي، ﴿كَيلا﴾ ـ كي: بمعنى اللام، «وأن» مُقدّرة بعدها ـ ﴿يَكُونَ﴾: عِلّةٌ لقَسْمه كذلك ﴿دُولةً﴾: مُتداوَلاً ﴿بَينَ الأغنياءِ مِنكُم، وما آتاكُمُ﴾: أعطاكم ﴿الرَّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فخُذُوهُ، وما نَهاكُم عَنهُ فانتَهُوا. واتَّقُوا اللهَ. إنَّ اللهَ شَدِيدُ العِقابِ﴾.

منها غيرُ أجنبيّةٍ عنها، بيّنَ لرسولِ اللهِ ﷺ ما يصنعُ بما أفاءَ اللهُ عليه، وأمرَهُ أن يضعَهُ حيثُ يضعُ الخمسَ مِن الغنائمِ مقسوماً على الأقسامِ الخمسةِ، وزيَّفَ هذا القولَ بعضُ المفسِّرينَ وقالَ: الآيةُ الأولى نزلَتْ في أموالِ بني النَّضيرِ، وقد جَعلَها اللهُ لرسولِهِ خاصَّةً، وهذه في غنائمِ كلِّ قريةٍ تُؤخَذُ بقوَّةِ الغزاةِ، وفي الآيةِ بيانُ مصرفِها، فهي مبتدأةٌ، لا معطوفةٌ ولا بيانيَّةٌ، وتقدَّمَ في «الأنفالِ»[١] أنَّ سهمَهُ ﷺ الآنَ ساقطٌ، وكذا سهمُ ذوي القربى، وإنَّما يعطَونَ لفقرِهِم.

وقالَ القاضي[٢]: واختُلِفَ في قسمِ الفيءِ فقيل: يُسدَّسُ لظاهرِ الآيةِ، ويُصرَفُ سهمُ اللهِ في عمارةِ الكعبةِ والمساجدِ، وقيل: يُخمَّسُ لأنَّ ذكرَ اللهِ للتَّعظيمِ، ويُصرَفُ الآنَ سهمُ الرَّسولِ إلى الإمامِ على قولٍ، وإلى العساكرِ والثُّغورِ على قولٍ، وإلى مصالحِ المسلمينَ على قولٍ.

وقالَ البغويُّ[٣]: للشَّافعيِّ قولانِ: أحدُهُما هو للمقاتلةِ، والثَّاني لمصالحِ المسلمينَ، وذهبَ الأكثرونَ إلى أنَّه لا يُخمَّسُ بل مصرفُ جميعِهِ واحدٌ ولجميعِ المسلمينَ فيهِ حقٌّ، قرأَ عمرُ بنُ الخطَّابِ: ﴿مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ القُرَى﴾ حتَّى بلغَ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾، ﴿وَالَّذِيْنَ جَاؤوا مِنْ بَعْدِهم﴾ ثمَّ قالَ: هذهِ استوعَبَتِ المسلمينَ عامَّةً، وقالَ: ما على وجهِ الأرضِ مسلمٌ إلَّا له في هذا الفيءِ حقٌّ إلَّا ما ملكَت أيمانُكُم، انتهى.

قلتُ: وإلَّا الرَّافضةُ فإنَّهم جاؤوا بعدَهُم، وما استغفَروا لهم بل سبُّوهُم.

قولُهُ: (ويَنْبُعَ) وقيل: قريظةُ والنَّضيرُ وخيبرُ.

قولُهُ: (مُتَدَاوِلاً) أي: كي لا يكونَ الفيءُ الَّذي حقُّهُ أن يكونَ للفقراءِ ﴿دُولَةً﴾ يتداولُهُ الأغنياءُ ويدورُ بينهُم كما كانَ في الجاهليَّةِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِ) من الأمرِ.

---

(١) في الآية رقم: (٤١).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ١٩٩).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ٥٦).

٨ ـ ﴿لِلفُقَراءِ﴾: مُتعلّقٌ بمحذوف ـ أي: اعجَبوا ـ ﴿المُهاجِرينَ الَّذِينَ أُخرِجُوا مِن دِيارِهِم وأمْوالِهِم، يَبتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللهِ ورِضوانًا، ويَنصُرُونَ اللهَ ورَسُولَهُ! أُولئِكَ هُمُ الصّادِقُونَ﴾ في إيمانهم، ٩ ـ ١٠ ـ ﴿والَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدّارَ﴾ أي: المدينةَ ﴿والإيمانَ﴾ أي: أَلِفوه ـ وهم الأنصار ـ ﴿مِن قَبلِهِم يُحِبُّونَ مَن هاجَرَ إلَيهِم، ولا يَجِدُونَ في صُدُورِهِم حاجَةً﴾: حسدًا ﴿مِمّا أُوتُوا﴾ أي: آتى النبيُّ ﷺ المُهاجرين من أموالِ بني النَّضير المختصّةِ به، ﴿ويُؤثِرُونَ علَى أنفُسِهِم، ولَو كانَ بِهِم خَصاصةٌ﴾: حاجة إلى ما يُؤثَرون به ـ ﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ﴾: حِرصَها على المال........

قولُهُ: (مُتَعَلِّقٌ) الصَّحيحُ الَّذي عليه المفسِّرونَ كالبغويِّ[1] والقاضي[2] وصاحبِ «المدارِكِ»[3] أنَّه بدلٌ مِن: ﴿لِذِي القُرْبَى﴾، و﴿ما﴾: عطفٌ عليهِ؛ فإنَّ الرَّسولَ لا يُسَمَّى فقيراً.

قولُهُ: (أي: المَدِينَةَ) في «القاموسِ»[4]: الدَّارُ: المحلُّ والبلدُ، ومدينةُ النَّبيِّ ﷺ، وهو عطفٌ على: ﴿المهاجرينَ﴾.

قولُهُ: (أي: أَلِفُوهُ) أي: نزَلوا المدينةَ، وأَلِفوا الإيمانَ، أو قبِلوهُ، أو أخلصوهُ، فيكونُ من بابِ:

علفْتُهَا تَبْناً وماءً بارداً

وقيل: المعنى تبوَّؤا دارَ الهجرةِ ودارَ الإيمانِ، فحذفَ المضافَ من الثَّاني والمضافَ إليهِ من الأوَّلِ، وعوَّضَ عنه اللَّامَ، وقيل: المعنى: لزِمُوا المدينةَ والإيمانَ وتمَكَّنوا فيهما، وهو الأحسنُ، وقولُهُ تعالى: (﴿مِنْ قَبْلِهِم﴾) أي: قبلَ هجرةِ المهاجرينَ.

قولُهُ: (حَسَداً) أي: ما يحملُ عليه الحاجةُ كالطَّلبِ وضِيْقِ النَّفسِ والحسدِ والغَيْظِ.

قولُهُ: (أي: آتَى) يعني: من أجلِ ما أُعطيَ المهاجرونَ من الفيءِ وغيرِهِ.

قولُهُ: (حَاجَةٌ) أي: يقدمونَ المهاجرينَ خصُوصاً على أنفسِهِم، حتَّى إنَّ من كانَ عندَهُ امرأتانِ نزلَ عن واحدةٍ ـ هي أحسنُ ـ وزوَّجَها مِن أحدِهِم، وكذا من كانَ عندَهُ دارانِ أو بُستانانِ.

قولُهُ: (حِرْصَهَا) حتَّى يخالفَهَا فيما يغلبُ عليها مِن حبِّ المالِ وبُغضِ الإنفاقِ.

---

(١) ولم يصرح البغوي بأنه بدل. انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ٥٧).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٠٠).

(٣) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٥٨).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٣٩٣).

﴿فأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ ـ والَّذِينَ جاؤُوا مِن بَعدِهِم﴾: من بعد المُهاجرين والأنصارِ إلى يوم القيامة ﴿يَقُولُونَ: رَبَّنا، اغفِرْ لَنا ولِإخوانِنا الَّذِينَ سَبَقُونا بالإيمانِ، ولا تَجعَلْ في قُلُوبِنا غِلًّا﴾: حقدًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا. رَبَّنا، إنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

١١ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: تنظرْ ﴿إلَى الَّذِينَ نافَقُوا؟ يَقُولُونَ لِإخوانِهِم الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكِتابِ﴾، وهم بنو النَّضير وإخوانهم في الكُفر: ﴿لَئِنْ﴾ ـ لامُ قسَـمٍ فـي الأربعة ـ ﴿أُخرِجتُم﴾ من المدينة ﴿لَنَخرُجَنَّ مَعَكُم، ولا نُطِيعُ فِيكُم﴾: في خِذلانكم ﴿أحَدًا أبَدًا، وإن قُوتِلتُم﴾ ـ حُذفت منه اللام المُوطّئة ـ ﴿لَنَنصُرَنَّكُم. واللهُ يَشهَدُ إنَّهُم لَكاذِبُونَ﴾. ١٢ ـ ﴿لَئِنْ أُخرِجُوا لا يَخرُجُونَ مَعَهُم، ولَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُم، ولَئِنْ نَصَرُوهُم﴾ أي: جاؤوا لنصرهم ﴿لَيُوَلُّنَّ الأدبارَ﴾ ـ واستُغنِيَ بجواب القسمِ المُقدّرِ عن جواب الشرط في المواضع الخمسة ـ ﴿ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾ أي: اليهودُ. ١٣ ـ ﴿لَأَنتُم أشَدُّ رَهبَةً﴾: خوفًا ﴿في صُدُورِهِم﴾ أي: المُنافقين ﴿مِنَ اللهِ﴾ لتأخير عذابه. ﴿ذلِكَ بِأنَّهُم قَومٌ لا يَفقَهُونَ﴾.

قولُهُ: (فِي الكُفرِ) أو الصَّداقةِ أو الموالاةِ.

قولُهُ: (لامُ قَسَمٍ) الصَّحيحُ: أنَّها موطِّئةٌ للقسمِ، كما تقدَّمَ(١).

قولُهُ: (مِنَ المَدِينَةِ) أو مِن ديارِكُم.

قولُهُ: (في خِذلانِكُم) أو قتالِكُم.

قولُهُ: (حُذِفَتْ) الظَّاهرُ: أنَّه معطوفٌ على الشَّرطِ السَّابقِ.

قولُهُ تعالى: (﴿لَا يَنْصُرُونَهُم﴾) وكانَ كذلك، فإنَّ ابنَ أُبيٍّ وأصحابَهُ راسَلوا بني النَّضيرِ بذلكَ، ثمَّ أخلفوهُم، وفيهِ دليلٌ على صحَّةِ النُّبوَّةِ وإعجازِ القرآنِ.

قولُهُ: (جَاؤُوا لِنَصرِهِم) على الفرضِ والتَّقديرِ.

قولُهُ: (أي: اليَهُودُ) أو المنافقونَ.

قولُهُ: (خَوفاً) مصدرٌ من المبنيِّ للمفعولِ؛ أي: مرهوبيَّةً.

قولُهُ: (أي: المُنَافِقِينَ) لأنَّهُم كانوا يُضمِرونَ مخافتَهُم من المؤمنينَ.

قولُهُ: (لِتَأخِيرِ عَذَابِهِ) أو على ما يظهِرونَهُ نفاقاً؛ فإنَّ استبطانَ رهبتِكُم سببٌ لإظهارِ رهبةِ اللهِ.

---

(١) انظر الآية رقم: (٨١) من سورة آل عمران.

١٤ ـ ﴿لا يُقاتِلُونكُم﴾ أي: اليهودُ ﴿جَمِيعًا﴾: مُجتمعينَ ﴿إلاّ في قُرًى مُحَصَّنةٍ أو مِن وَراءِ جِدارٍ﴾: سُور. وفي قِراءة: «جُدُرٍ». ﴿بأسُهُم﴾: حربهم ﴿بَينَهُم شَدِيدٌ. تَحسِبُهُم جَمِيعًا﴾: مُجتمعينَ، ﴿وقُلُوبُهُم شَتَّى﴾: مُتفرّقةٌ خِلاف الحِسبان. ﴿ذلِكَ بِأنَّهُم قَومٌ لا يَعقِلُونَ﴾. مَثَلُهم في ترك الإيمان ١٥ ـ ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم قَرِيبًا﴾: بزمن قريب، وهم أهل بدر من المُشركين. ﴿ذاقُوا وَبالَ أمرِهِم﴾: عُقوبتَه في الدنيا من القتل وغيره، ﴿ولَهُم عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مُؤلم في الآخرة. مَثَلُهم أيضًا، في سماعهم من المُنافقين وتخلّفهم عنهم، ١٦ ـ ﴿كَمَثَلِ الشَّيطانِ، إذ قالَ لِلإنسانِ: اكفُرْ. فلَمّا كَفَرَ قالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنكَ، إنِّيَ أخافُ اللهَ رَبَّ العالَمِينَ﴾. كذبٌ منه ورياء. ١٧ ـ ﴿فكانَ عاقِبَتَهُما﴾ أي: الغاوي والمُغوِي ـ وقُرئ بالرفع ـ ﴿أنَّهُما في النّارِ خالِدَينِ فِيها. وذلِكَ جَزاءُ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين.

١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللهَ، ولْتَنظُرْ نَفسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾: ليوم القِيامة،.......

قولُهُ: (أي: اليَهُودُ) أو المنافقونَ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ وكوفيٍّ[1].

قولُهُ: (مُتَفَرِّقَةٌ) لافتراقِ عقائدِهِم واختلافِ مقاصدِهِم.

قولُهُ: (مثلُهُم) أي: مثلُ اليهودِ.

قولُهُ: (بِزَمَنٍ) أي: في زمانٍ، وانتصابُهُ بـ﴿مثل﴾؛ إذ التَّقديرُ: كوجودِ مثلِ.

قولُهُ: (عُقُوبَتَهُ) أي: سوءَ عاقبةِ كفرِهِم.

قولُهُ: (مُؤلِمٌ) في العُقبى.

قولُهُ: (مثلُهُم أيضاً) أو مثلُ المنافقينَ في إغراءِ اليهودِ على القتالِ.

قولُهُ تعالى: (﴿لِلإِنسَانِ﴾) قيل: هو برصيصا العابدُ[2]، حملَ على الفجورِ والارتدادِ، وقيل: أبو جهلٍ، قالَ له إبليسُ يومَ بدرٍ: لا غالبَ لكُم اليومَ، والظَّاهرُ أنَّ المرادَ: الجنسُ.

قولُهُ: (بالرَّفعِ) على أنَّهما الخبرُ لـ﴿كانَ﴾، و﴿خَالِدَيْنِ﴾ حالٌ، وقُرئَ: (خَالِدَانِ)[3] على أنَّه الخبرُ لـ﴿أنَّ﴾، و﴿في النَّارِ﴾ لغوٌ.

قولُهُ: (لِيَومِ القِيَامَةِ) سمَّاهُ به لدنوِّهِ، أو لأنَّ الدُّنيا كيومٍ والآخرةَ غَدُهُ، وكرَّرَ: ﴿اتَّقُوا اللهَ﴾ للتَّأكيدِ، أو الأوَّلُ للمأموراتِ، والثَّاني للمنهيَّاتِ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٨).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٤/ ٢٨٢)، و«زاد المسير» (٤/ ٢٦١).

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن مسعود والأعمش وابن أبي عبلة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٧٠).

﴿واتَّقُوا اللهَ ـ إنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما تَعمَلُونَ ـ ولا تَكونُوا كالَّذِينَ نَسُوا اللهَ﴾: تركوا طاعته، ﴿فأنساهُم أنفُسَهُم﴾، أن يُقدّموا لها خيرًا. ﴿أُولئِكَ هُمُ الفاسِقُونَ. لا يَستَوِي أصحابُ النّارِ وأصحابُ الجَنّةِ. أصحابُ الجَنّةِ هُمُ الفائزُونَ﴾.

٢١ ـ ﴿لَو أنزَلْنا هذا القُرآنَ علَى جَبَلٍ﴾، وجُعل فيه تمييز كالإنسان، ﴿لَرَأَيتَهُ خاشِعًا مُتَصَدِّعًا﴾: مُتشقّقًا ﴿مِن خَشيَةِ اللهِ. وتِلكَ الأمثالُ﴾ المذكورة ﴿نَضرِبُها لِلنّاسِ، لَعَلَّهُم يَتفَكَّرُونَ﴾ فيُؤمنون.
٢٢ ـ ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ، عالِمُ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾: السرِّ والعلانية. ﴿هُوَ الرّحمنُ الرَّحِيمُ﴾.

٢٣ ـ ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لا إلٰـهَ إلاّ هُوَ، المَلِكُ القُدُّوسُ﴾: الطاهر عمّا لا يليق به، ﴿السَّلامُ﴾: ذُو السلامة من النقائص، ﴿المُؤمِنُ﴾: المُصدِّق رسلَه بخلق المعجزة لهم، ﴿المُهَيمِنُ﴾ ـ مِن: هَيمَنَ يُهَيمِنُ، إذا كان رقيبًا على الشيء ـ أي: الشهيدُ على عِباده بأعمالهم، ﴿العَزِيزُ﴾: القويّ، ﴿الجَبّارُ﴾ جبرَ خلقَه على ما أراد، ﴿المُتكبِّرُ﴾ عمّا لا يليق به. ﴿سُبحانَ اللهِ﴾ نَزَّهَ نفسه ﴿عَمّا يُشرِكُونَ﴾ به! ٢٤ ـ ﴿هُوَ اللهُ الخالِقُ البارِئُ﴾: المُنشئ من العدم، ﴿المُصَوِّرُ، لَهُ الأسماءُ الحُسنَى﴾ التسعةُ والتسعون الواردُ بها الحديثُ ـ والحسنى: مُؤنّث الأحسن ـ ﴿يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّماواتِ والأرضِ، وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ تقدّمَ أوّلَها.

قولُهُ: (أنْ يُقَدِّمُوا) أو أراهُم يومَ القيامةِ من الهولِ ما أنساهُم أنفسَهُم.

قولُهُ: (فَيُؤمِنُونَ) أو فيعمَلونَ به، والمرادُ: توبيخُ الإنسانِ على عدمِ تخشُّعِهِ عند تلاوةِ القرآنِ وسماعِهِ؛ لقساوةِ قلبِهِ، وقلّةِ تدبُّرِهِ.

قولُهُ: (السِّرِّ والعَلانِيةِ) أو المعدومِ والموجودِ.

قولُهُ: (ذُو السَّلامَةِ) أو مصدرٌ وُصفَ به للمُبالغةِ.

قولُهُ: (المُصَدِّقُ) أو واهبُ الأمنِ.

قولُهُ: (جَبَرَ خَلقَهُ) أو جبرَ حالَهُم؛ بمعنى: أصلحَهُ.

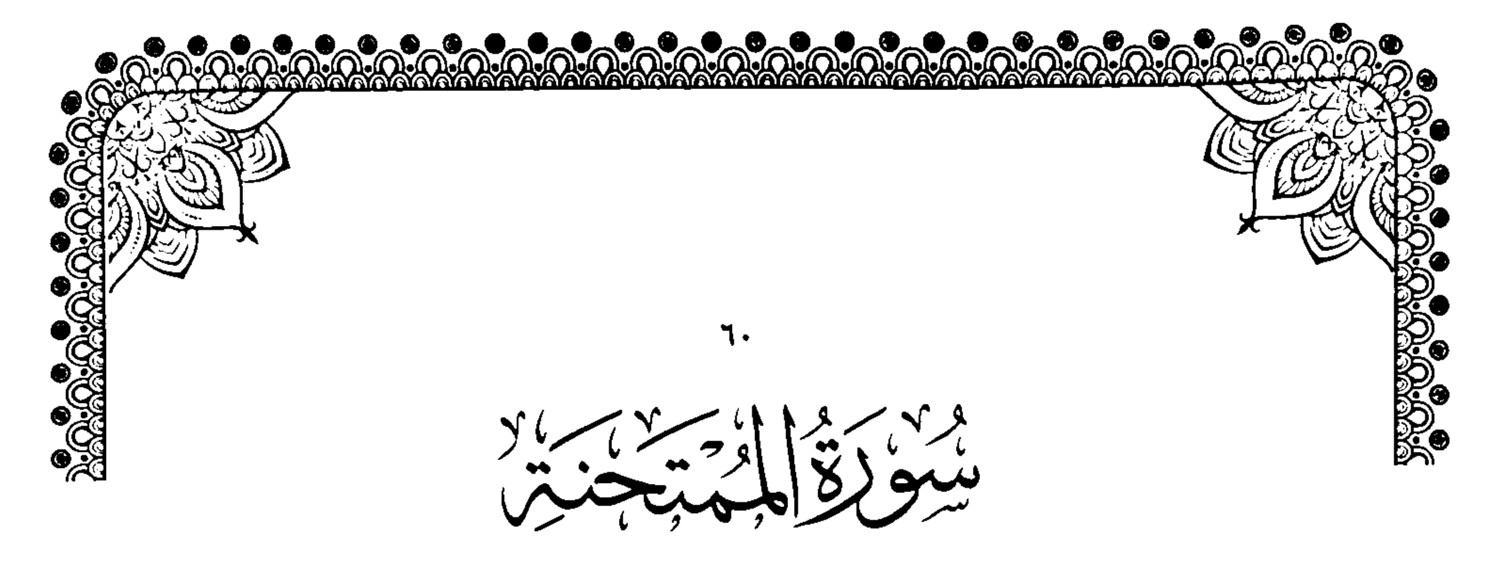
قولُهُ: (عَمَّا لا يَلِيقُ) أو عن كلِّ ما يوجِبُ حاجةً.

قولُهُ: (نَزَّهَ) يحتملُ الماضي والأمرَ.

قولُهُ: (بِهِ) إذ لا يشاركُهُ أحدٌ في شيءٍ من ذلكَ.

قولُهُ: (المُنشِئُ) أوِ (﴿الخالقُ﴾) المقدِّرُ للأشياءِ على مُقتَضى حكمتِهِ (﴿البارئُ﴾) الموجدُ لها بريئًا من التَّفاوتِ، (﴿المصوِّرُ﴾) الموجدُ لصورِها وكيفيّاتِها كما أرادَ.

قولُهُ: (تَقَدَّمَ أَوَّلَهَا) أي: في أوّلِ السُّورةِ، وحاصلُهُ هنا: أنّه يسبِّحُ لتنزُّهِهِ عنِ النَّقائصِ كُلِّها، وهو الجامعُ للكمالاتِ بأسرِها؛ فإنَّها راجعةٌ إلى الكمالِ في القدرةِ والعلمِ، واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.



٦٠

سُورَةُ المُمتَحنَة

مدنية، ثلاثَ عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أيُّها الَّذينَ آمَنُوا، لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُم﴾ أي: كُفّارَ مكّة ﴿أَولياءَ، تُلقُونَ﴾: تُوصِلون ﴿إلَيهِم﴾ قَصْدَ النبي غزوَهم الذي أسرَّه إليكم ووَرَّى بِحُنين، ﴿بِالمَوَدّةِ﴾ بينكم وبينهم ـ كتبَ حاطبُ ابنُ أبي بَلتعةَ إليهم كتابًا بذلك لِما له عِندهم من الأولاد والأهل المُشركين، فاستردّه النبيّ ممّن أرسله معه بإعلام الله ـ تعالى ـ له بذلك، وقبِلَ عُذرَ حاطب فيه ـ ﴿وقَد كَفَرُوا بِما جاءَكُم مِنَ الحَقِّ﴾ أي: دِين الإسلام والقُرآن، ﴿يُخرِجُونَ الرَّسُولَ وإيّاكُم﴾ من مكّة بتضييقهم عليكم، ﴿أن تُؤمِنُوا﴾ أي: لِأجل أن آمنتم ﴿بِاللهِ رَبِّكُم، إن كُنتُم خَرَجتُم جِهادًا﴾: للجِهاد ﴿في سَبِيلِي وابتِغاءَ مَرضاتِي﴾ ـ وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله، أي: فلا تتّخذوهم أولياء ـ ﴿تُسِرُّونَ إلَيهِم بِالمَوَدّةِ، وأنا أعلَمُ بِما أخفَيتُم، وما أعلَنتُم. ومَن يَفعَلْهُ مِنكُم﴾ أي: إسرارَ خبر النبي إليهم ﴿فقَد ضَلَّ سَواءَ السَّبِيلِ﴾: أخطأ طريق الهدى. والسواء في الأصل: الوسَط.

سُورَةُ المُمتَحنَة

قولُهُ: (قَصْدَ النَّبيِّ) وأَخبارَهُ بسببِ المودَّةِ، أو توصِلونَ إليهم المودَّةَ بالمكاتبةِ، والباءُ مزيدةٌ، والجملةُ حالٌ من فاعلِ: ﴿لَا تَتَّخذُوا﴾.

قولُهُ: (أي: لِأَجْلِ أَنْ) أو بأن.

قولُهُ: (للجِهَادِ) علَّةٌ للخروجِ.

قولُهُ: (أي: إِسرَارَ) أو الاتِّخاذَ.

٢ ـ ٣ ـ ﴿إن يَثقَفُوكُم﴾: يظفروا بكم ﴿يَكُونُوا لَكُم أعداءً، ويَبسُطُوا إلَيكُم أيدِيَهُم﴾ بالقتل والضربِ ﴿وألسِنَتَهُم بِالسُّوءِ﴾: بالسبّ والشتم، ﴿ووَدُّوا﴾: تمنَّوا ﴿لَو تكفُرُونَ. لَن تَنفَعَكُم أرحامُكُم﴾: قراباتُكم ﴿ولا أولادُكُم﴾ المُشركون الذين لأجلهم أسررتم الخبرَ، من العذاب في الآخرة. ﴿يَومَ القِيامَةِ يُفصَلُ﴾ ـ بالبناء للمفعول، وللفاعل ـ ﴿بَينَكُم﴾ وبينهم، فتكونون في الجنّة، وهم في جُملة الكُفّار في النار. ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٤ ـ ﴿قَد كانَتْ لَكُم إسْوةٌ﴾، بكسر الهمزة وضمّها في الموضعين: قُدوةٌ ﴿حَسَنَةٌ في إبراهِيمَ﴾ أي: به قولاً وفعلاً ﴿والَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المُؤمنين، ﴿إذ قالُوا لِقَومِهِم: إنّا بُرَآءُ﴾: جمع بَرِيء كظَريف ﴿مِنكُم ومِمّا تَعبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ، كَفَرْنا بِكُم﴾: أنكرناكم، ﴿وبَدا بَينَنا وبَينَكُمُ العَداوةُ والبَغضاءُ أبَدًا﴾ ـ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية واوًا ـ ﴿حَتَّى تُؤمِنُوا بِاللهِ وَحدَهُ، إلاّ قَولَ إبراهِيمَ لِأبِيهِ: لَأستَغفِرَنَّ لَكَ﴾: مُستثنى من «إسوة»، فليس لكم التأسّي به في ذلك بأن تستغفروا للكُفّار، وقولَه ﴿وما أملِكُ لَكَ مِنَ اللهِ﴾ أي: من عذابه وثوابه ﴿مِن شَيءٍ﴾. كنى به عن أنه لا يملك له غيرَ الاستغفار.......

قولُهُ: (تَمَنَّوا) قبلَ كلِّ شيءٍ.

قولُهُ: (مِنَ العَذَابِ) متعلّقٌ بـ﴿لَنْ تَنْفَعَكُم﴾.

قولُهُ: (بالبِنَاءِ للمَفعُولِ) مخفَّفاً نافعٌ ومكيٌّ وبصريٌّ، ومشدَّداً ابنُ عامرٍ[1].

قولُهُ: (والفَاعِلِ) مخفَّفاً ثلاثيًّا عاصمٌ، ومشدَّداً حمزةُ والكسائيُّ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) عاصمٌ.

قولُهُ: (قُدوَةٌ) اسمٌ لما يُقتَدى به، أو مصدرٌ بمعنى: اقتداء، وهو ظاهرُ كلامِ الشَّيخِ حيثُ قالَ: ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾؛ أي: بِهِ.

قولُهُ: (كَظَرِيفٍ) وظُرَفاء، وهو ظرفٌ لخبرِ: ﴿كَانَ﴾.

قولُهُ: (أَنكَرْنَاكُم) أو كفَرْنا بدينِكُم، أو معبودِكُم، أو بكُم وبه، فلا نعتدُّ بشأنِكُم وآلهتِكُم.

قولُهُ: (وإِبدَالِ الثَّانِيَةِ) الحرميَّانِ وبصريٌّ[2].

قولُهُ: (مُستَثنَى) منقطعٌ.

---

(١) هذا وما بعده انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٣٣).

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٤٧).

فهو مبنيّ عليه مستثنى من حيثُ المرادُ منه، وإن كان من حيثُ ظاهرُه مِمّا يُتأسّى فيه: «قُلْ: فمَن يَملِكُ لَكُم مِنَ اللهِ شيئًا»؟ واستغفارُه له قبل أن يتبيّن له أنه عدوّ لله كما ذُكر في «براءة». ﴿رَبَّنا، علَيكَ تَوَكَّلْنا، وإلَيكَ أنَبْنا، وإلَيكَ المَصِيرُ﴾: من مقول الخليل ومَن معه، أي: وقالوا: ٥ ـ ﴿رَبَّنا، لا تَجعَلْنا فِتْنةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: لا تُظهِرْهم علينا فيظنّوا أنهم على الحقّ، فيَفتتِنوا بنا أي: تذهبَ عقولهم بنا، ﴿واغفِرْ لَنا. رَبَّنا، إنَّكَ أنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ في مُلكك وصُنعك.

٦ ـ ﴿لَقَد كانَ لَكُم﴾ يا أُمّة مُحمّد ـ جوابُ قسم مُقدّر ـ ﴿فِيهِم إسوةٌ حَسَنةٌ، لِمَن كانَ﴾: بدلُ اشتمال من «كُم» بإعادة الجارّ ﴿يَرجُو اللهَ واليَومَ الآخِرَ﴾ أي: يخافُهما أو يظنّ الثوابَ والعِقاب. ﴿ومَن يَتَوَلَّ﴾ بأن يُواليَ الكُفّارَ ﴿فإنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الحَمِيدُ﴾ لِأهل طاعته.

٧ ـ ﴿عَسَى اللهُ أن يَجعَلَ بَينَكُم وبَينَ الَّذِينَ عادَيتُم مِنهُم﴾: من كُفّار مكّة طاعةً للهِ ـ تعالى ـ ﴿مَوَدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء. ﴿واللهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ـ وقد فعله بعد فتح مكّة ـ ﴿واللهُ غَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

قولُهُ: (مِنْ حَيثُ المُرَادُ) أي: الاستغفارُ منهيٌّ ولو معَ هذا القولِ، ولا يلزمُ من استثناءِ المجموعِ استثناءُ جميعِ أجزائِهِ.

قولُهُ: (وقَالُوا) إشارةٌ إلى أنَّه متَّصلٌ بما قبلَ الاستثناءِ، وقيل: أمرٌ من اللهِ تعالى لمؤمِني هذهِ الأمَّةِ بأن يقولوهُ تتميماً لما وصَّاهُم به مِن قطعِ العلائقِ بينهُم وبينَ الكفَّارِ.

قولُهُ: (فيُفْتَنُوا) بالبناءِ للمفعولِ، أو فيَفْتِنُونا بعذابٍ لا نتحمَّلُهُ.

قولُهُ: (يَا أمَّةَ مُحَمَّدٍ) تكريرٌ لمزيدِ الحثِّ على التَّأسِّي بإبراهيمَ والَّذينَ معه.

قولُهُ: (أو يَظُنُّ) الظَّاهرُ: يأملُ.

قولُهُ: (بِأَنْ) أي: يُعرِض عن حُكمِنا وموالاتِنا وموالاةِ أوليائِنا.

قولُهُ: (مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ) قالَ ابنُ شهابٍ: نزلَت في جماعةٍ منهم أبو سفيانَ، كذا في «المبهماتِ»[1].

قولُهُ: (طَاعَةً) علَّةٌ لـ﴿عَادَيْتُم﴾.

قولُهُ: (لِمَا سَلَفَ) من إظهارِ موالاتِهِم، ولما بقيَ في القلوبِ من مَيلِ الرَّحِمِ، فإنَّ الأمورَ الطَّبيعيَّةَ لا تدخلُ تحتَ الاختيارِ، فهي معفوَّةٌ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٠٨) وعزاه لابن أبي حاتم.

٨ - ﴿لا يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَم يُقاتِلُوكُم﴾ من الكُفّار ﴿في الدِّينِ ولَم يُخرِجُوكُم مِن دِيارِكُم، أن تَبَرُّوهُم﴾: بدلُ اشتمال من «الذين»، ﴿وتُقسِطُوا﴾: تُفضُوا ﴿إلَيهِم﴾ بالقسط، أي: العدل. وهذا قبل الأمر بجِهادهم - ﴿إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ﴾: العادلينَ - ٩ - ﴿إنَّما يَنهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قاتَلُوكُم في الدِّينِ، وأخرَجُوكُم مِن دِيارِكُم، وظاهَرُوا﴾: عاونوا ﴿عَلَى إخراجِكُم، أن تَوَلَّوهُم﴾: بدلُ اشتمال من «الذين»، أي: تتّخذوهم أولياء. ﴿ومَن يَتَوَلَّهُم فأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ﴾.

١٠ - ١١ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا جاءَكُمُ المُؤمِناتُ﴾ بألسنتهنّ ﴿مُهاجِراتٍ﴾ من الكُفّار، بعد الصُّلح معهم في الحُدَيبية على أنّ من جاء منهم إلى المُؤمنين يُردّ، ﴿فامتَحِنُوهُنَّ﴾ بالحلف أنهنّ ما خرجْنَ إلاّ رغبة في الإسلام لا بُغضًا لأزواجهنّ الكُفّار ولا عِشقًا لرجال من المُسلمين - كذا كان النبيّ ﷺ يُحلّفهنّ.

قولُهُ: (بَدَلُ اشْتِمَالٍ) أي: لا ينهاكُم عن مبرَّةِ هؤلاءِ وإحسانِهِم.

قولُهُ: (تُفْضُوا) يعني: لتضمينِ الإفضاءِ والوصولِ، عُدِّي بـ«إلى».

قولُهُ: (وعَاوَنُوا) فإنَّ بعضَ أهلِ مكَّةَ سعَوا في إخراجِ المؤمنينَ، وبعضُهم أعانوا المخرَجينَ.

قولُهُ: (بألسِنَتِهِنَّ) يعني: سمَّاهنَّ مؤمناتٍ لنطقِهِنَّ بكلمةِ الشَّهادةِ، أو لأنَّهُنَّ مشارفاتٌ؛ لثباتِ إيمانِهِنَّ بالامتحانِ.

قولُهُ: (بالحَلِفِ) قالَ القاضي[1] وصاحبُ «المدارِكِ»[2]: فاختبروهُنَّ بما يغلُبُ على ظنِّكُم موافقةَ قلوبِهِنَّ ألسنَتَهُنَّ بالإيمانِ، وفي «التَّوضيحِ»[3] أنَّ الإسلامَ هو التَّصديقُ والإقرارُ، وهو نوعانِ ظاهرٌ بنشوئِهِ بين المسلمينَ وثابتٌ بالبيانِ بأن يصفَ اللهَ تعالى كما هو، إلَّا أنَّ في اعتبارِهِ على سبيلِ التَّفصيلِ حرجاً فيكفي الإجمالُ أن يصدِّقَ بكلِّ ما أتى به النبيُّ ﷺ، فلهذا قُلنا: إنَّ الواجبَ أن يستوصفَ فيُقالُ: أهو كذا؟ فإذا قالَ: نعم؛ يكملُ إيمانُهُ، وهذا هو المرادُ بقولِهِ تعالى: ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾.

قولُهُ: (يُحَلِّفُهُنَّ) هذا قولُ ابنِ عبَّاسٍ[4]، وقالَتْ عائشةُ[5]: كانَ النبيُّ ﷺ يمتحنُهُنَّ بهذه الآيةِ: ﴿يَا أَيُّهَا النبيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة: ١٢]، فمَن أقرَّ بهذا الشَّرطِ منهنَّ قالَ لها: «قد بايعْتُكِ» كلاماً يكلِّمُها به، واللهِ ما مسَّتْ يدُهُ يدَ امرأةٍ قطُّ في المبايعةِ، ما بايعَهُنَّ إلَّا بقولِهِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٠٦).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٧٠).

(٣) وانظر: «شرح التلويح على التوضيح» (٢/ ١٣).

(٤) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٦/ ٣٠٦).

(٥) رواه البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦).

﴿اللهُ أعلَمُ بِإيمانِهِنَّ ـ فإن عَلِمتُمُوهُنَّ﴾: ظننتموهنّ بالحلف ﴿مُؤمِناتٍ فلا تَرجِعُوهُنَّ﴾: تردّوهنّ ﴿إلَى الكُفّارِ ـ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُم ولا هُم يَحِلُّونَ لَهُنَّ ـ وآتوهُم﴾ أي: أعطُوا الكُفّارَ أزواجَهنّ ﴿ما أنفَقُوا﴾ عليهنّ من المُهور، ﴿ولا جُناحَ علَيكُم أن تَنكِحُوهُنَّ﴾ بشرطه ﴿إذا آتَيتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾: مُهورهنَّ.

﴿ولا تُمَسِّكُوا﴾ ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾ زوجاتِكم لقطع إسلامكم لها بشرطه أو اللاحقات بالمُشركين مُرتدّاتٍ لقطع ارتدادهنّ نكاحَكم بشرطه،..........................

قولُهُ: (ظَنَنْتُمُوهُنَّ) أي: العلمَ الَّذي يمكنُكُم تحصيلُهُ، وهو الظَّنُّ الغالبُ بالحلفِ، وظهورِ الأماراتِ، وإنَّما سمَّاهُ علماً إيذاناً بأنَّهُ كالعلمِ في وجوبِ العملِ به.

قولُهُ: (مِنَ المُهُورِ) أي: ممَّا دفَعوا إليهنَّ، وذلك لأنَّ صلحَ الحديبيةِ جرى على أنَّ من جاءَنا منكُم ردَدْناهُ، فلمَّا تعذَّرَ عليهِ ردُّهُنَّ؛ لورودِ النَّهي عنه لزمَهُ ردُّ مهورِهِنَّ، وفي «المداركِ»[1]: فأنزلَ اللهُ تعالى هذه الآيةِ بياناً أنَّ ذلك في الرِّجالِ لا في النِّساءِ؛ لأنَّ المسلمةَ لا تحلُّ للكافرِ، وقيل: نَسَخَتْ هذهِ الآيةُ حكمَ الأوَّلِ.

قولُهُ: (بِشَرْطِهِ) من الوليِّ وغيرِهِ.

قولُهُ: (مُهُورَهُنَّ) لأنَّ المهرَ أجرُ البضعِ، قالَ في «المداركِ»[2]: وبه احتجَّ أبو حنيفةَ على أن لا عدَّةَ على المهاجرةِ[3]، قالَ القاضي[4]: وشَرَطَ إيتاءَ المهرِ في نكاحِهِنَّ إيذاناً بأنَّ ما أعطى أزواجُهُنَّ لا يقومُ مقامَ المهرِ.

قولُهُ: (بالتَّشدِيدِ) بصريٌّ[5].

قولُهُ: (زَوجَاتِكُم) أي: بما تعتصمُ به الكافراتُ مِن عقدٍ ونسبٍ، والمرادُ: نهيُ المؤمنينَ عن المقامِ على نكاحِ المشركاتِ ولو كانَت قريبتَهُ، وفي «المداركِ»[6]: عن ابنِ عبَّاسٍ مَن كانَت له امرأةٌ كافرةٌ بمكَّةَ فلا يعتدَّنَّ بها مِن نسائهِ؛ لأنَّ اختلافَ الدَّارينِ قطعَ عصمَتَها عنه[7].

قولُهُ: (مُرتَدَّاتٍ) في «الحصرِ»: إذا ارتدَّ أحدُ الزَّوجينِ وقعَتِ الفرقةُ للحالِ عندَنا[8]؛ يعني: معشرَ الحنفيَّةِ،

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل/ مكتبة الإرشاد» (٤/ ٤٧٧). سقط هذا الكلام من النسخة التي نعزو إليها، ثم وجدته في نسختنا ولله الحمد.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٧٠).

(٣) انظر: «المبسوط» (٥/ ٥٧).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٠٦).

(٥) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٨٩).

(٦) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٧١).

(٧) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٦/ ٣١٠).

(٨) انظر: «البناية» (٥/ ٢٤٧).

﴿واسألُوا﴾: اطلبوا ﴿ما أنفقتُم﴾ عليهنّ من المُهور في صُورة الارتداد ممّن تزوَّجهنَّ من الكُفّار، ﴿وليَسألُوا ما أنفقُوا﴾ على المُهاجرات كما تقدّم أنهم يُؤتَونه ـ ﴿ذلِكُم حُكمُ اللهِ، يَحكُمُ بَينكُم﴾ به. ﴿واللهُ عَليمٌ حَكيمٌ ـ وإن فاتَكُم شَيءٌ مِن أزواجِكُم﴾ أي: واحدةٌ فأكثرُ منهنّ أو شيء من مُهورهنّ بالذهاب ﴿إلَى الكُفّارِ﴾ مُرتدّاتٍ، ﴿فعاقَبتُم﴾: فغزَوتم وغنمتم، ﴿فآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أزواجُهُم﴾ من الغنيمة ﴿مِثلَ ما أنفقُوا﴾ لِفواته عليهم من جِهة الكُفّار، ﴿واتَّقُوا اللهَ الَّذِي أنتُم بِهِ مُؤمِنُونَ﴾. وقد فعل المُؤمنون ما أُمروا به، من الإيتاء للكُفّار والمُؤمنين، ثمّ ارتفع هذا الحُكم.

١٢ ـ ﴿يا أيُّها النَّبيُّ، إذا جاءَكَ المُؤمِناتُ يُبايِعنَكَ علَى ألاّ يُشرِكْنَ بِاللهِ شَيئًا، ولا يَسرِقْنَ ولا يَزنِينَ ولا يَقتُلْنَ أولادَهُنَّ﴾ كما كان يُفعل في الجاهليّة من وأد البنات، أي: دفنِهنّ أحياءً خوفَ العار والفقر، ﴿ولا يأتِينَ بِبُهتانٍ يَفترِينَهُ بَينَ أيدِيهِنَّ وأرجُلِهِنَّ﴾ أي: بولد ملقوط يَنسِبْنَه إلى الزوج ـ ووُصِفَ بصِفة الولد الحقيقيّ، فإنّ الأُمّ إذا وضعتْه سقطَ بين يديها ورجليها ـ ﴿ولا يَعصِينَكَ في مَعرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله ـ تعالى ـ كترك النِّياحةِ وتمزيقِ الثياب وجزِّ الشعور وشقِّ الجيب وخمشِ الوجه، ﴿فبايِعْهُنَّ﴾ ـ فَعَلَ النبيُّ ﷺ ذلك بالقول، ولم يُصافح واحدة منهنّ ـ ﴿واستَغفِرْ لَهُنَّ اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

١٣ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تَتَوَلَّوا قَومًا، غَضِبَ اللهُ علَيهِم﴾ هم اليهود،.....................

وعندَ الشَّافعيِّ[١]: إن كانَ غيرَ مدخولٍ بها فكذلكَ، وأمَّا المدخولُ بها فلا تبينُ إلَّا بعدَ ثلاثِ حيضٍ.

قولُهُ: (بِهِ) في «المداركِ»[٢]: الإشارةُ إلى جميعِ ما ذكرَ في هذهِ الآيةِ، قالَ: وهو منسوخٌ، فلم يبقَ سؤالُ المهرِ لا منَّا ولا منهُم.

قولُهُ: (أي: وَاحِدَةٌ) يعني: إنِ انفلتَ أحدٌ منهُنَّ إلى الكفَّارِ، وهو في قراءةِ ابنِ مسعودٍ: (أحدٌ)[٣].

قولُهُ: (فَغزَوْتُم) يعني: فأصبتُموهُم في القتالِ بعقوبةٍ حتَّى غنمْتُم.

قولُهُ: (مِنَ الغَنِيمَةِ) في «المداركِ»[٤]: أي: فأعطوا المسلمينَ الَّذينَ ارتدَّت أزواجُهُم ولحقَتْ بدارِ الحربِ مهورَ زوجاتِهِم من هذهِ الغنيمةِ، وقيل: هذا الحكمُ منسوخٌ أيضاً.

قولُهُ: (هُمُ اليَهُودُ) كذا في الأصلِ.

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (٩/ ٢٩٥).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٧١).

(٣) وانظر: «الكشاف» (٤/ ٥١٩).

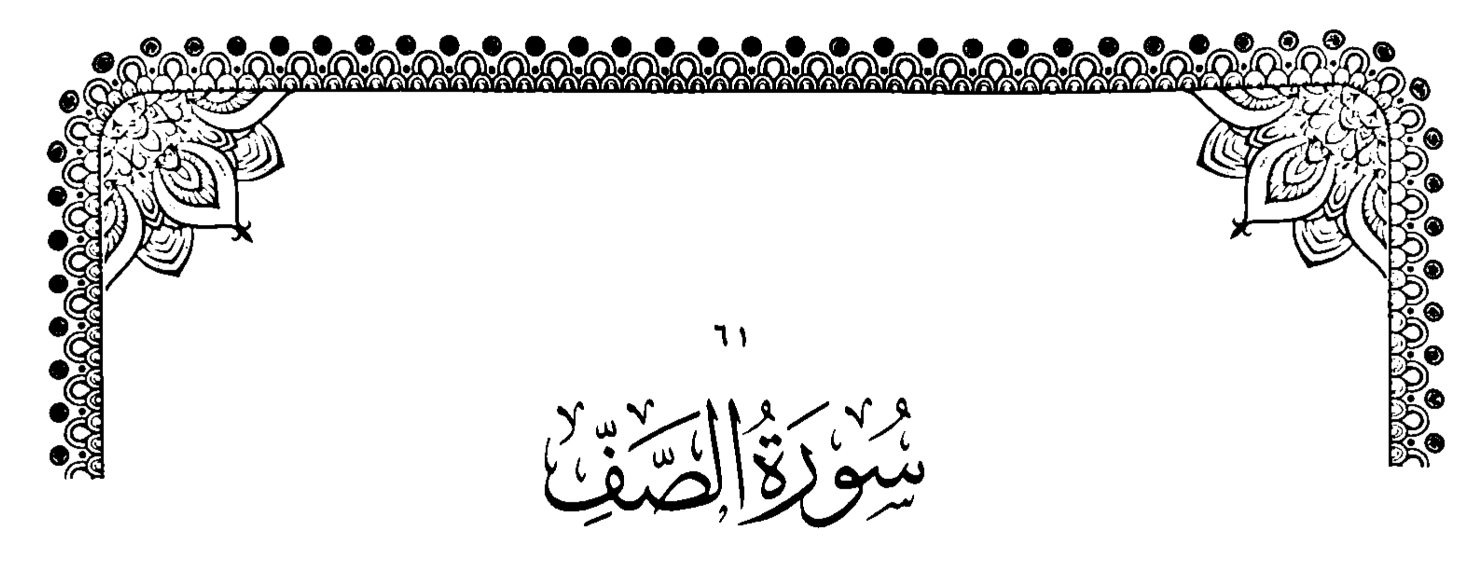
(٤) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٧١).

﴿قَد يَئِسُوا مِنَ الآخِرةِ﴾ أي: من ثوابها مع إيقانهم بها، لِعنادهم النبيَّ مع علمهم بصِدقه، ﴿كَما يَئِسَ الكُفّارُ﴾ الكائنون ﴿مِن أصحابِ القُبُورِ﴾ أي: المقبورين من خير الآخرة، إذ تُعرض عليهم مقاعدهم من الجنّة لو كانوا آمنوا، وما يصيرون إليه من النار.

قولُهُ: (أي: مِنْ ثَوَابِهَا) لعلمِهِم بأنَّه لا حظَّ لهم فيها.

قولُهُ: (المَقبُورِيْنَ) إشارَةٌ إلى أنَّ: ﴿مِنْ﴾ بيانيَّة، والمعنى: كما يئسَ الكفَّارُ من أصحابِ القبورِ؛ أي: مِن أن يبعثوا، أو يُثابوا، أو ينالَهُم غضب، واللهُ أعلمُ.

* * *



مكية أو مدنية، أربعَ عشْرَة آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿سَبَّحَ لِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: نزّهَه - فاللام: مزيدة. وجيء بـ «ما» دون «مَن» تغليبًا للأكثر - ﴿وهُوَ العَزيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكيمُ﴾ في صُنعه. ٢ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لِمَ تَقُولُونَ﴾ في طلب الجِهاد ﴿ما لا تَفعَلُونَ﴾، إذِ انهزمتم بأُحُد؟ ٣ - ٤ - ﴿كَبُرَ﴾: عظُمَ ﴿مَقْتًا﴾: تمييزٌ ﴿عِندَ اللهِ أن تَقُولُوا﴾: فاعلُ «كبُر» ﴿ما لا تَفعَلُونَ. إنَّ اللهَ يُحِبُّ﴾: يَنصر ويُكرم ﴿الَّذِينَ يُقاتِلُونَ في سَبيلِهِ صَفًّا﴾: حالٌ أي: صافّين ﴿كأنَّهم بُنيانٌ مَرصُوصٌ﴾: مُلزَقٌ بعضُه إلى بعض ثابتٌ.

سُورَةُ الصَّفِّ

قولُهُ: (بأُحُدٍ) رويَ أنَّ المسلمينَ قالوا: لو عَلِمنا أحبَّ الأعمالِ إلى اللهِ لبَذَلنا فيه أموالَنا وأنفُسَنا، فأنزلَ اللهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ﴾ [الصف: ٤] فولَّوا يومَ أحدٍ؛ فنزلَتْ(١).

قولُهُ: (تَمييزٌ) والمقتُ: أشدُّ الغضبِ(٢).

قولُهُ: (أي: صَافِّينَ) أو مصطفِّينَ، مصدرٌ وُصفَ به.

---

(١) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٢٦) ونسب القول للمفسرين.

وروى الترمذي (٣٣٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢٣٨٤) عن أبي سلمة، عن عبد الله بن سلام، قال: قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا، فقلنا: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لعملناه، فأنزل الله تعالى ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون﴾، قال عبد الله بن سلام: «فقرأها علينا رسول الله ﷺ».

(٢) كذا في الأصول، وفي التفاسير: «البغض»، إلا أنه جاء في «البحر المحيط في التفسير» (٩/ ٣٧): المقت: أشد الاحتقار والبغض والغضب.

٥ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ مُوسَى لِقَومِهِ: يا قَومِ، لِمَ تُؤذُونَني﴾ ـ قالوا: «إنه آدَرُ»، أي: مُنتفِخُ الخُصيةِ. وليس كذلك، وكذّبوه ـ ﴿وقَد﴾: للتحقيق ﴿تَعلَمُونَ أنّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم﴾ الجملة حال، والرسولُ يُحترم؟ ﴿فلَمّا زاغُوا﴾: عدلوا عن الحقّ بإيذائه ﴿أزاغَ اللهُ قُلُوبَهُم﴾: أمالَها عن الهُدى على وَفق ما قدّره في الأزل ـ ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ﴾: الكافرين في عِلمه ـ ٦ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ قالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ: يا بَنِي إسرائيلَ﴾ ـ لَم يقلْ: «يا قومِ» لأنه لم يكن له فيهم قرابة ـ ﴿إنّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم مُصَدِّقًا لِما بَينَ يَدَيَّ﴾: قبلي ﴿مِنَ التَّوراةِ، ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يأتِي مِن بَعدِيَ، اسمُهُ أحمَدُ﴾. قال تعالى: ﴿فلَمّا جاءَهُم﴾: جاء أحمدُ الكُفّارَ ﴿بِالبَيِّناتِ﴾: الآيات والعلامات ﴿قالُوا: هذا﴾ أي: المجيء به ﴿سِحرٌ﴾ ـ وفي قِراءة: «ساحِرٌ» أي: الجائي به ـ ﴿مُبِينٌ﴾: بيّنٌ. ٧ ـ ﴿ومَن﴾ أي: لا أحدَ ﴿أظلَمُ﴾ أشدّ ظُلمًا ﴿مِمَّنِ افتَرَى عَلَى اللهِ الكَذِبَ﴾ بنِسبةِ الشريك والولد إليه، ووصفِ آياته بالسِّحر، ﴿وهُوَ يُدعَى إلَى الإسلامِ؟ واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين.

قولُهُ: (وكَذَّبُوهُ) وعصَوهُ.

قولُهُ: (حَالٌ) مقرِّرةٌ للإنكارِ، فإنَّ العلمَ بنبوَّتِهِ يوجبُ تعظيمَهُ ويمنعُ إيذاءَهُ.

قولُهُ: (أَمَالَهَا) وصَرفَها؛ أي: زادَ زَيغَها عن قَبولِ الحقِّ، والميلِ إلى الصَّوابِ.

قولُهُ: (الكَافِرِينَ) هدايةً موصلةً إلى معرفةِ الحقِّ، أو إلى الجنَّةِ.

قولُهُ: (لَمْ يَقُلْ) قالَ البيضاويُّ[1]: ولعلَّهُ لم يقُلْ [يا قوم] كما قالَ موسى، إذ لا نسبَ له فيهم؛ يعني: مِن جانبِ الأبِ، فإنَّهُ هو المُعتبَرُ في النَّسبِ، وأمَّا قولُ الشَّيخِ[2]: (لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِم قَرَابَةٌ) غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّهُ من بني إسرائيلَ بلا شبهةٍ.

قولُهُ: (جَاءَ أَحمَدُ) أو عيسَى.

قولُهُ: (أي: المَجِيءُ بِهِ) أو الجائي به، وتسميتُهُ سحراً للمبالغةِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءةٍ) لحمزةَ والكسائيِّ[3].

قولُهُ: (ووَصْفِ آيَاتِهِ) وتكذيبِ أنبيائِهِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٠٨).

(٢) العلامة المحلي.

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٠).

٨ ـ ﴿يُرِيدُونَ لِيُطفِئُوا﴾ ـ منصوب بـ «أن» مُقدّرة، واللام: مزيدة ـ ﴿نُورَ اللهِ﴾: شرعَه وبراهينه ﴿بِأفواهِهِم﴾: بأقوالهم: إنه سِحرٌ وشِعر وكِهانة، ﴿واللهُ مُتِمٌّ﴾: مُظهرٌ ﴿نُورَهُ﴾، وفي قراءة بالإضافة، ﴿ولَو كَرِهَ الكافِرُونَ﴾ ذلك. ٩ ـ ﴿هُوَ الَّذِي أرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى ودِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ﴾: يُعليَه ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾: جميع الأديان المُخالفة له، ﴿ولَو كَرِهَ المُشرِكُونَ﴾ ذلك.

١٠ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، هَل أدُلُّكُم عَلَى تِجارةٍ تُنجِيكُم﴾ ـ بالتخفيف والتشديد ـ ﴿مِن عَذابٍ ألِيمٍ﴾: مُؤلم؟ فكأنهم قالوا: نعم. ١١ ـ فقال: ﴿تُؤمِنُونَ﴾: تدومون على الإيمان ﴿بِاللهِ ورَسُولِهِ، وتُجاهِدُونَ في سَبِيلِ اللهِ بِأموالِكُم وأنفُسِكُم ـ ذلِكُم خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه، ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿يَغفِرْ﴾: جوابُ شرط مُقدّر، أي: إن تفعلوه يغفرْ ﴿لَكُم ذُنُوبَكُم، ويُدخِلْكُم جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ ومَساكِنَ طَيِّبَةً في جَنّاتِ عَدنٍ﴾: إقامةٍ،..................................

قولُهُ: (واللَّامُ مَزِيدَةٌ) أو يُريدونَ الافتراءَ.

قولُهُ: (شَرعَهُ) يعني: دينَهُ، أو كتابَهُ، أو حجَّتَهُ بطعنِهم فيه.

قولُهُ: (مُظهِرٌ) ومُبلِغٌ غايتَهُ بنشرِهِ وإعلائِهِ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ وكوفيٍّ غيرُ شعبةَ[1].

قولُهُ: (ذلِكَ) أي: إرغاماً لهم.

قولُهُ: (لِيُعلِيَهُ) وليغلِّبَهُ.

قولُهُ: (ذَلِكَ) لما فيه مِن محضِ التَّوحيدِ، وإبطالِ الشِّركِ.

قولُهُ: (والتَّشدِيدِ) شاميٌّ[2].

قولُهُ: (فَقَالَ) استئنافاً مبيِّناً للتِّجارةِ، وهو الجمعُ بين الإيمانِ والجهادِ المؤدِّي إلى كمالِ عزِّهِم، والمرادُ به: الأمرُ، وإنَّما جيء بلفظِ الخبرِ؛ إيذاناً بأنَّ ذلك ممَّا لا يُترَكُ.

قولُهُ: (جَوَابُ شَرطٍ) أو جوابٌ للأمرِ المدلولِ عليه بلفظِ الخبرِ.

قولُهُ: (مُقَدَّرٍ) دلَّ عليهِ الكلامُ.

قولُهُ: (إنْ تَفعَلُوهُ) أي: ما ذكرَ من الإيمانِ والجهادِ، أو إن تُؤمِنوا.

---

(١) قال في «السبعة في القراءات» (ص: ٦٣٥): قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿متمُّ نورِه﴾ مضافاً، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: (متمٌّ نورَه) بالتنوين وفتح الراء.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٣٥).

﴿ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ﴾، و﴿ يُؤتِكم نِعمةً ﴿أُخرَى تُحِبُّونَها، نَصرٌ مِنَ اللهِ وفَتحٌ قَرِيبٌ ـ وبَشِّرِ المُؤمِنِينَ﴾ بالنصر والفتح.

١٤ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، كُونُوا أنصارًا لِلهِ﴾: لدِينه ـ وفي قراءة بالإضافة ـ ﴿كَما﴾ المعنى: كما كان الحواريّون كذلك الدالّ عليه: ﴿قالَ عِيسَى بنُ مَريَمَ لِلحَوارِيِّينَ: مَن أنصارِيَ إلَى اللهِ﴾ أي: مَن الأنصار الذين يكونون معي مُتوجّهًا إلى نُصرة الله؟ ﴿قالَ الحَوارِيُّونَ: نَحنُ أنصارُ اللهِ﴾. والحواريّون أصفياءُ عِيسَى وهم أوّل من آمن به، وكانوا اثنَي عشَرَ رجلاً، من الحَوَر، وهو البياض الخالص. وقيل: كانوا قصّارين يُحوّرون الثِّيابَ، أي: يُبيّضونها. ﴿فآمَنَتْ طائفةٌ مِن بَنِي إسرائيلَ﴾ بعِيسَى، وقالوا: إنه عبد الله، رُفِعَ إلى السماء. ﴿وكَفَرَتْ طائفةٌ﴾ لقولهم: إنه ابن الله، رَفعه إليه. فاقتتلت الطائفتان، ﴿فأيَّدْنا﴾: قوّينا ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الطائفتين ﴿علَى عَدُوِّهِم﴾: الطائفة الكافرة، ﴿فأصبَحُوا ظاهِرِينَ﴾: غالِبِينَ.

قولُهُ: (يُؤتِكُم) أو تحبُّونَ، أو لكُم إلى هذهِ النِّعمةِ المذكورةِ نعمةٌ أخرى محبوبةٌ، وفي ﴿تحبُّونَهَا﴾ تعريضٌ بأنَّهم يؤثِرونَ العاجلَ على الآجلِ، كذا قالَهُ القاضي[١] وصاحبُ المداركِ[٢]، وهو غريبٌ منهما، إذِ المحبوبةُ مفسَّرةٌ بالنَّصرِ والفتحِ، وهو محبوبٌ دينيٌّ وأخرويٌّ، ولو كانَ متضمِّناً للغنيمةِ؛ فهي إنَّما كانوا يحبُّونَها ليستَعينوا بها على العُقْبى، ويتقوَّوا على الأعداءِ، فنعمَ المالُ الصَّالحُ للرَّجلِ الصَّالحِ، أو مبتدأٌ خبرُه: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللهِ﴾ وهو على الأوَّلِ خبرُ محذوفٍ، وعلى الثَّاني بدلٌ أو بيانٌ.

قولُهُ: (بالنَّصرِ) عطفٌ على: «قُلْ» مقدَّراً قبلَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا﴾، ويمكنُ أن يكونَ مِن بابِ الالتفاتِ مِن المؤمنينَ إلى رئيسِهم، كأنَّه قالَ: وبشِّرِ الَّذينَ فعَلوا بما أُمِروا، وحُذِفَ المبشَّرَ به لإفادةِ العمومِ، أو بـ«مَا لا عينٌ رأَتْ، ولا أذنٌ سمعَتْ، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ»[٣].

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للشَّاميِّ والكوفيِّ[٤].

قولُهُ: (كذلِكَ) أي: أنصارُ عيسى حينَ قالَ لهم عيسى: ﴿مَنْ أنصاري إلى اللهِ﴾.

قولُهُ: (الدَّالّ عَلَيهِ) أي: على هذا التَّقديرِ.

قولُهُ: (مِنَ الحَوَرِ) أي: مأخوذٌ منه.

قولُهُ: (الكَافِرَةِ) بالحجَّةِ، أو الحربِ.

قولُهُ: (غَالِبِينَ[٥]) أي: فصاروا غالبينَ، واللهُ أعلمُ.

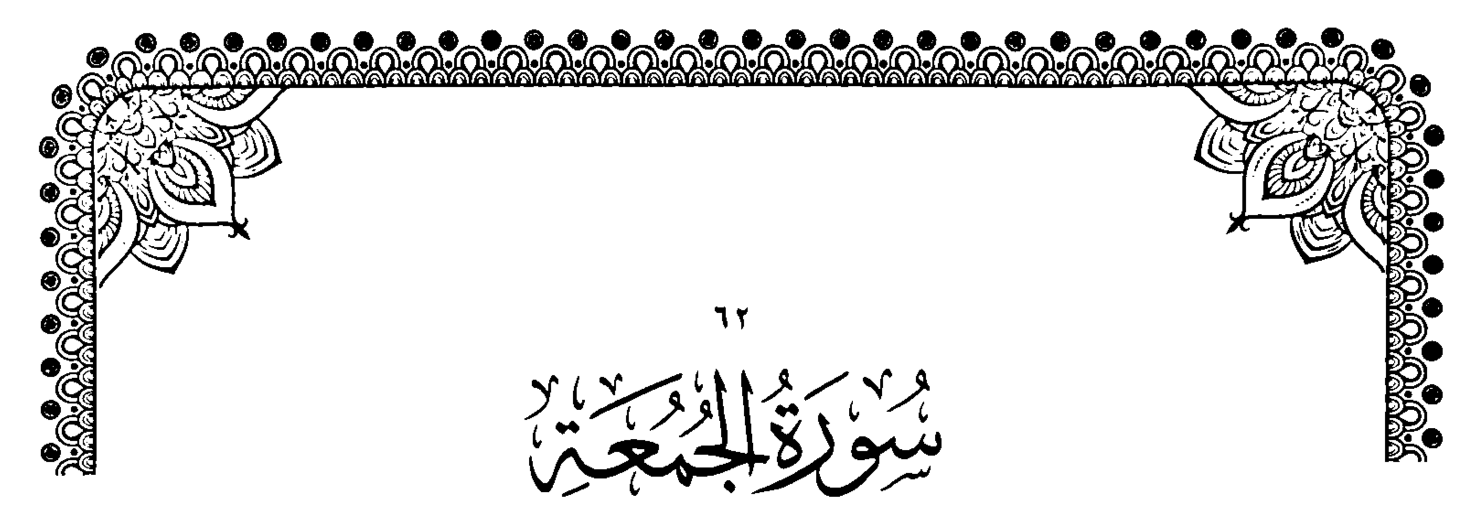
---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٠٩). (٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٤٧٧).

(٣) جاء ذلك فيما رواه البخاري (٧٤٩٨)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٠).

(٥) في الأصول: «عالين»، والصواب ما أثبته من «الجلالين» وهو موافق للشرح.



٦٢

سورة الجمعة

مدنية، إحدى عشرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلهِ﴾: يُنزّهُه، فاللام: زائدة، ﴿ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ ـ في ذكر «ما» تغليبٌ للأكثر ـ ﴿المَلِكِ القُدُّوسِ﴾: المُنزَّهِ عمّا لا يليق به ﴿العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾ في مُلكه وصُنعه.

٢ ـ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ﴾: العربِ ـ والأُمِّيُّ: من لا يكتب ولا يقرأ كتابًا ـ ﴿رَسُولاً مِنهُم﴾ هو مُحمّد ﷺ ﴿يَتلُو عليهِم آياتِهِ﴾: القُرآنَ، ﴿ويُزَكِّيهِم﴾: يُطهّرُهم من الشِّرك، ﴿ويُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ﴾: القُرآن ﴿والحِكْمَةَ﴾: ما فيه من الأحكام، ﴿وإنْ﴾: ....

سورة الجمعة

قولُهُ: (في مُلكِهِ وصُنعِهِ) لفٌّ ونشرٌ، وقرأ الأربعُ بالرَّفعِ[1] على المدحِ.

قولُهُ: (العَرَبِ) لأنَّ أكثرَهُم لا يكتُبونَ ولا يقرؤُونَ.

قولُهُ: (هُو مُحَمَّدٌ) من جملتِهِم أو أميًّا مثلَهم.

قولُهُ: (مِنَ الشِّركِ) وخبائثِ الجاهليَّةِ.

قولُهُ: (مَا فِيهِ مِنَ الأَحكَامِ) يعني: الشَّريعةَ، أو معالمَ الدِّينِ من المنقولِ والمعقولِ، ولو لم يكُنْ له سواهُ معجزةٌ لكَفاهُ.

كفاكَ بالعلمِ في الأمِّيِّ معجزةً ... في الجاهليَّةِ والتَّأديبِ في اليَتمِ[2]

---

(١) أي: (الملكُ القدوسُ العزيزُ الحكيمُ) وهي قراءة شاذة، ونسبت لشقيق بن سلمة ورؤبة وأبي الدينار الأعرابي، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٥٦).

(٢) هذا من بردة البوصيري رحمه الله رقمه: (١٣٩).

مُخفَّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وإنّهم ﴿كانُوا مِن قَبلُ﴾: قبلِ مجيئه ﴿لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ، ٣ ـ ﴿وآخَرِينَ﴾: عطفٌ على «الأُمِّيِّينَ» أي: الموجودين منهم وآتين ﴿مِنهُم﴾ بعدهم، ﴿لَمّا﴾: لم ﴿يَلحَقُوا بِهِم﴾ في السابقة والفضل، ﴿وهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ في صُنعه. وهم التابعون، والاقتصار عليهم كافٍ في بيان فضل الصحابة المبعوثِ فيهم النبيُّ على من عداهم، ممّن بُعث إليهم وآمنوا به من جميع الإنس والجنّ إلى يوم القيامة لأنّ كُلّ قرن خير ممّن يليه. ٤ ـ ﴿ذلِكَ فَضلُ اللهِ، يُؤتِيهِ مَن يَشاءُ﴾ النبيَّ ومَن ذُكر معه، ﴿واللهُ ذُو الفَضلِ العَظِيمِ﴾.

٥ ـ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ﴾: كُلّفوا العملَ بها، ﴿ثُمَّ لَم يَحمِلُوها﴾: لم يعملوا بما فيها من نعته ﷺ فلم يُؤمنوا به ﴿كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أسفارًا﴾ أي: كُتبًا في عدم انتفاعه بها، ﴿بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللهِ﴾ المُصدّقةِ للنبيّ! والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره: هذا المَثَلُ. ﴿واللهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمِينَ﴾: الكافرين.

قولُهُ: (مُخَفَّفَةٌ) واللّامُ تدلُّ عليها.

قولُهُ: (لَمْ ﴿يلحَقُوا﴾) يعني: في الزَّمانِ، أو في الإيمانِ، فـ﴿لَمَّا﴾ بمعنى: لم فقط، وقولُ القاضي[١]: لم يَلْحَقوا بهم بعدُ وسيلحَقونَ، مُشعِرٌ بأنَّ ﴿لَمَّا﴾ على بابِها، ومشيرٌ بأنَّ اللَّاحقَ لا يكونُ في مرتبةِ السَّابقِ.

قولُهُ: (وهُمُ التَّابِعُونَ) وأخرجَ الشَّيخانِ[٢] عن أبي هريرةَ مرفوعاً: «أَنَّهم قومُ سلمانَ»، وأخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ[٣] عن مجاهدٍ قالَ: همُ الأعاجمُ، والأظهرُ ما قالَ البيضاويُّ[٤]: إنَّهُم الَّذينَ جاؤوا بعدَ الصَّحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم إلى يومِ الدِّينِ، فإنَّ دعوتَهُ وتعليمَهُ تعمُّ الجميعَ.

قولُهُ: (كُلِّفُوا العَمَلَ بِهَا) بعدَ ما عَلِمُوها.

قولُهُ: (لَم يَعمَلُوا) ولم ينتَفِعوا.

قولُهُ: (فِي عَدَمِ انتِفَاعِهِ بِهَا) ووجودِ التَّعبِ في حَملِها.

قولُهُ: (مَحذُوفٌ) أو ﴿الَّذينَ كذَّبُوا﴾ بتقديرِ: مثلُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢١١).

(٢) رواه البخاري (٤٨٩٧)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٧٤)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ١٥٣).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢١١).

٦ ـ ﴿قُلْ: يا أَيُّها الَّذِينَ هادُوا، إن زعَمتُم أَنَّكُم أَولِياءُ لِلهِ مِن دُونِ النّاسِ فتَمَنَّوُا المَوتَ، إن كُنتُم صادِقِينَ﴾. تعلّقَ بتمنّيه الشرطانِ، على أنّ الأول قيد في الثاني، أي: إن صدقتُم في زعمكم أنكم أولياء اللهِ، والوليُّ يُؤثِر الآخرة ومبدؤها الموت، فتمنَّوه. ٧ ـ ﴿ولا يَتَمَنَّونَهُ أَبَدًا بِما قَدَّمَتْ أيدِيهِم﴾ من كُفرهم بالنبيّ المستلزم لكذبهم، ﴿واللهُ عَلِيمٌ بِالظّالِمِينَ﴾: الكافرين.

٨ ـ ﴿قُلْ: إنَّ المَوتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنهُ فإنَّهُ﴾ ـ الفاء: زائدة ـ ﴿مُلاقِيكُم، ثُمَّ تُرَدُّونَ إلَى عالِمِ الغَيبِ والشَّهادةِ﴾: السِّرِّ والعلانية، ﴿فيُنَبِّئُكُم بِما كُنتُم تَعمَلُونَ﴾ فيُجازيكم به.

٩ ـ ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن﴾ بمعنى: في ﴿يَومِ الجُمُعةِ فاسعَوا﴾: فامضُوا ﴿إلَى ذِكرِ اللهِ﴾ أي: الصلاة، ﴿وذَرُوا البَيعَ﴾ اتركوا عَقدَه ـ ﴿ذٰلِكُم خَيرٌ لَكُم، إن كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه ـ ١٠ ـ ﴿فإذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فانتَشِرُوا في الأرضِ﴾: أمرُ إباحة، ﴿وابتَغُوا﴾: اطلبوا الرزقَ ﴿مِن فَضلِ اللهِ، واذكُرُوا اللهَ﴾: ذكرًا ﴿كَثِيرًا، لَعَلَّكُم تُفلِحُونَ﴾: تفوزون.

كان ﷺ يخطب يوم الجُمعة، فقَدِمتْ عِير وضُرب لقُدومها الطبل على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غيرَ اثنَي عشَرَ رجلاً، فنزل:..

قولُهُ: (يُؤثِرُ الآخِرَةَ) لأنَّها محلُّ الكرامةِ، والدُّنيا دارُ أكدارٍ ومحنَةٍ.

قولُهُ: (لِكُفرِهِم) بسائرِ الأنبياءِ.

قولُهُ: (الفَاءُ زَائِدَةٌ) وقد قُرئَ بغيرِها[1]، وقيل: الفاءُ لتضمُّنِ الاسمِ معنى الشَّرطِ باعتبارِ الوصفِ، وكأنَّ فرارهم يسرِّعُ لحوقَهُ بهم.

قولُهُ: (بِمَعنَى: فِي) أو بيانٌ لـ﴿إذَا﴾.

قولُهُ: (الصَّلاةِ) أو الخطبَةِ؛ أي: فامضُوا إليها مسرعينَ قَصداً، فإنَّ السَّعيَ دونَ العَدْوِ.

قولُهُ: (عَقْدَهُ) أو المعامَلةَ، وما في معناهُ من الأمورِ الشَّاغلةِ عنها.

قولُهُ: (أنَّهُ خَيرٌ) أو ﴿إن كنتُم تعلمُونَ﴾ الخيرَ والشَّرَّ الحقيقيَّينِ.

قولُهُ: (اطلُبُوا الرِّزقَ) وفي الحديثِ: «﴿وابتغُوا مِنْ فضلِ اللهِ﴾ ليسَ لطلبِ الدُّنيا، وإنَّما هو عيادةٌ، وحضورُ جنازةٍ، وزيارةُ أخٍ في اللهِ»[2].

قولُهُ: (تَفُوزُونَ) بخيرِ الدَّارينِ.

---

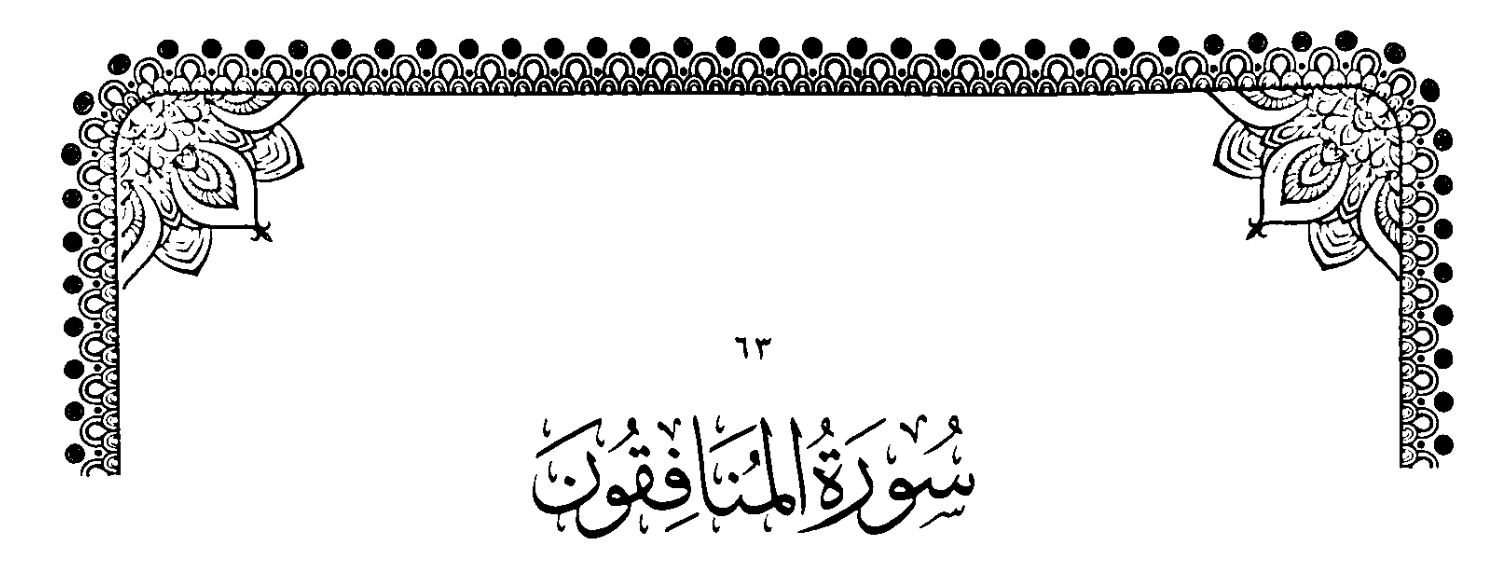
(١) وهي قراءة شاذة ونسبها الزمخشري في «الكشاف» (٤/ ٥٣١) لزيد بن علي رضي الله عنه.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٣٨٥)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٦/ ٤٢٦) (٣١٤١) من حديث أنس رضي الله عنه.

١١ ـ ﴿**وإذا رَأَوا تِجارةً أو لَهْوًا انفَضُّوا إلَيها**﴾ أي: التجارةِ لأنها مطلوبُهم دُونَ اللهو، ﴿**وتَرَكُوكَ**﴾ في الخُطبة ﴿**قائمًا. قُلْ: ما عِندَ اللهِ**﴾ من الثواب ﴿**خَيرٌ**﴾ للذين آمنوا ﴿**مِنَ اللَّهوِ ومِنَ التِّجارةِ، واللهُ خَيرُ الرّازِقِينَ**﴾. يقال: كُلّ إنسان يَرزق عائلته، أي: من رِزق الله تعالى.

قولُهُ: (دُونَ اللَّهوِ) والتَّرديدُ للدِّلالةِ على أنَّ منهُم من انفضَّ لمجرَّدِ سماعِ الطَّبلِ ورؤيتِهِ، واللهُ أعلمُ.

* * *



٦٣
سورة المنافقون

مدنية، إحدى عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا جاءَكَ المُنافِقُونَ قالُوا﴾ بألسنتهم على خِلاف ما في قُلوبهم: ﴿نَشهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ ـ واللهُ يَعلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُهُ ـ واللهُ يَشهَدُ﴾: يعلم ﴿إنَّ المُنافِقِينَ لَكاذِبُونَ﴾ فيما أضمروه مُخالفًا لما قالوه، ٢ ـ ٣ ـ ﴿اتَّخَذُوا أيمانَهُم جُنَّةً﴾: سُترة عن أموالهم ودمائهم، ﴿فصَدُّوا﴾ بها ﴿عَن سَبِيلِ اللهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم. ﴿إنَّهُم ساءَ ما كانُوا يَعمَلُونَ! ذلِكَ﴾ أي: سُوءُ عملهم ﴿بِأنَّهُم آمَنُوا﴾ باللسان، ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بالقلب، أي: استمرّوا على كُفرهم به، ﴿فطُبِعَ﴾: خُتم ﴿عَلَى قُلُوبِهِم﴾ بالكُفر، ﴿فهُم لا يَفقَهُونَ﴾ الإيمانَ.

٤ ـ ﴿وإذا رأيتَهُم تُعجِبُكَ أجسامُهُم﴾ لجمالها،......................................

سورة المنافقون

قولُهُ: (بِهَا) صدًّا، أو صدوداً؛ أي: منعاً، أو إعراضاً.

قولُهُ: (أي: عَنِ الجِهَادِ) أو عن دينِهِ.

قولُهُ: (أي: سُوءُ عَمَلِهِم) أي: ذلك القولُ الشَّاهدُ على سوءِ أعمالِهِم.

قولُهُ: (بالكُفرِ) حتَّى استَحكَموا فيهِ.

قولُهُ: (الإِيمَانَ) أي: حقيقتَهُ وصحَّتَهُ.

قولُهُ: (لِجَمَالِهَا) وضخامَتِها.

﴿وإن يَقُولُوا تَسمَعْ لِقَولِهِم﴾ لفصاحته. ﴿كأنّهم﴾ من عِظمِ أجسامهم في ترك التفهّم ﴿خُشْبٌ﴾ ـ بسكون الشين وضمّها ـ ﴿مُسَنَّدَةٌ﴾: مُمالة إلى الجِدار، ﴿يَحسِبُونَ كُلَّ صَيحةٍ﴾ تُصاحُ كنِداء في العسكر وإنشاد ضالّة ﴿علَيهِم﴾ لِما في قلوبهم من الرُّعب، أن ينزل فيهم ما يُبيح دماءهم. ﴿هُمُ العَدُوُّ. فاحذَرْهُم﴾ فإنهم يُفشون سِرّك للكُفّار. ﴿قاتَلَهُمُ اللهُ﴾: أهلكَهم. ﴿أنّى يُؤفَكُونَ﴾: كيف يُصرفون عن الإيمان بعد قيام البُرهان؟

٥ ـ ٦ ـ ﴿وإذا قِيلَ لَهُم: تعالَوا﴾ مُعتذِرينَ، ﴿يَستَغفِرْ لَكُم رَسُولُ اللهِ. لَوَّوْا﴾، بالتشديد والتخفيف: عطفوا ﴿رُؤُوسَهُم، ورأيتَهُم يَصُدُّونَ﴾: يُعرِضُونَ عن ذلك، ﴿وهُم مُستكبِرُونَ. سَواءٌ علَيهِم أستَغفَرتَ لَهُم﴾ ـ استُغنِيَ بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل ـ ﴿أم لَم تَستَغفِرْ لَهُم. لَن يَغفِرَ اللهُ لَهُم. إنَّ اللهَ لا يَهدِي القَومَ الفاسِقِينَ﴾.

٧ ـ ٨ ـ ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لِأصحابهم من الأنصار: ﴿لا تُنفِقُوا علَى مَن عِندَ رَسُولِ اللهِ﴾ من المُهاجرين ﴿حَتّى يَنفَضُّوا﴾: يتفرّقوا عنه ـ ﴿ولِلهِ خَزائنُ السَّماواتِ والأرضِ﴾ بالرزق، ....

قولُهُ: (لِفَصَاحَتِهِ) وحلاوتِه.

قولُهُ: (في تَرْكِ التَّفَهُّمِ) أي: في كونِهم أشباحاً خاليةً عن العلمِ والنَّظرِ.

قولُهُ: (بِسُكُونِ الشِّينِ) قنبلٌ وبصريٌّ والكسائيُّ[1].

قولُهُ: (مُمَالَةٌ) لا هي مركَّبةٌ في البناءِ، ولا مغروسةٌ فينتفعُ بها.

قولُهُ: (أَهلَكَهُم) دعاءٌ عليهم، وهو طلبٌ من ذاتِهِ تعالى أن يلعنَهُم، أو تعليمٌ للمؤمنينَ أن يَدعوا عليهِم بذلك.

قولُهُ: (بالتَّخْفِيفِ) نافعٌ[2].

قولُهُ: (عَطَفُوا) إعراضاً واستكباراً.

قولُهُ: (عَن ذَلِكَ) أي: الاستغفارِ، وهم مستكبِرونَ عن الاعتذارِ.

قولُهُ: (عَن هَمزَةِ الوَصلِ) بل حُذِفَت في الدَّرجِ كما هو شَأنُها، لا لخصُوصِ همزَةِ الاستفهامِ.

قولُهُ: (مِنَ المُهَاجِرِينَ) أي: فقرائِهم.

قولُهُ: (بالرِّزقِ) أي: بيدِهِ الأرزاقُ والقسمُ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١١).

(٢) انظر المصدر السابق.

فهو الرازق للمُهاجرين وغيرهم، ﴿ولكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَفقَهُونَ - يَقُولُونَ: لَئِنْ رَجَعْنا﴾ أي: من غزوة بني المُصطلِق، ﴿إلَى المَدِينةِ لَيُخرِجَنَّ الأعَزُّ﴾: عنَوا به أنفُسَهم ﴿مِنها الأذَلَّ﴾: عنَوا به المُؤمنين. ﴿ولِلهِ العِزّةُ﴾: الغلبةُ ﴿ولِرَسُولِهِ ولِلمُؤمِنِينَ، ولكِنَّ المُنافِقِينَ لا يَعلَمُونَ﴾ ذلك.

٩ - ١٠ - ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، لا تُلْهِكُم﴾: تَشغَلْكم ﴿أموالُكُم ولا أولادُكُم عَن ذِكرِ اللهِ﴾: الصلوات الخمس - ﴿ومَن يَفعَلْ ذلِكَ فأُولئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ - وأنفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِمّا رَزَقْناكُم مِن قَبلِ أن يأتِيَ أحَدَكُمُ المَوتُ، فيَقُولَ: رَبِّ، لَولا﴾ - بمعنى: هلاّ، أو لا: زائدة ولو: للتمنّي - ﴿أخّرتَنِي إلَى أجَلٍ قَرِيبٍ فأصَّدَّقَ﴾، بإدغام التاء في الأصل في الصاد: أتَصَدّق بالزكاة، ﴿وأكُنْ مِّنَ الصّالِحِينَ﴾، بأن أحُجّ. قال ابن عبّاس: ما قصّر أحد في الزكاة والحجّ إلاّ سأل الرجعةَ عِند الموت.

١١ - ﴿ولَن يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إذا جاءَ أجَلُها، واللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُونَ﴾، بالتاء والياء.

قولُهُ: (أي: مِنْ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ) قصَّتُها مذكورةٌ في الكتبِ المبسوطَةِ.

قولُهُ: (أَنْفُسَهُم) أو خسيسَهُم.

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) أو رئيسَهُم.

قولُهُ: (الغَلَبَةُ) والقوَّةُ، ولمن أعزَّهُ.

قولُهُ: (ذلِكَ) مِن فرطِ جهلِهِم، وغايةِ غرورِهِم.

قولُهُ: (الصَّلَوَاتِ) أي: تدبيرِها والاهتمامِ بها عن ذكرِهِ؛ كالصَّلواتِ وسائرِ العباداتِ المذكِّرة للمعبودِ، والمرادُ: نهيُهم عن اللَّهوِ بها، وتوجيهُ النَّهي إليها للمُبالغةِ، فإنَّها غالباً تُلهي.

قولُهُ: (في الزَّكَاةِ) أي: بعضَ أموالِكُم ادِّخاراً للآخرةِ.

قولُهُ: (هَلَّا) وهو تحضيضٌ، أو عرضٌ، أو تقديمٌ.

قولُهُ تعالى: (وأَكُونَ) بالنَّصبِ بصريٌّ[1] عطفاً على: ﴿أَصَّدَّقَ﴾، والجمهورُ على جزمِ: ﴿أَكُنْ﴾ للعطفِ على موضعِ الفاءِ وما بعدَها، ويُسَمَّى العطفَ على المعنى.

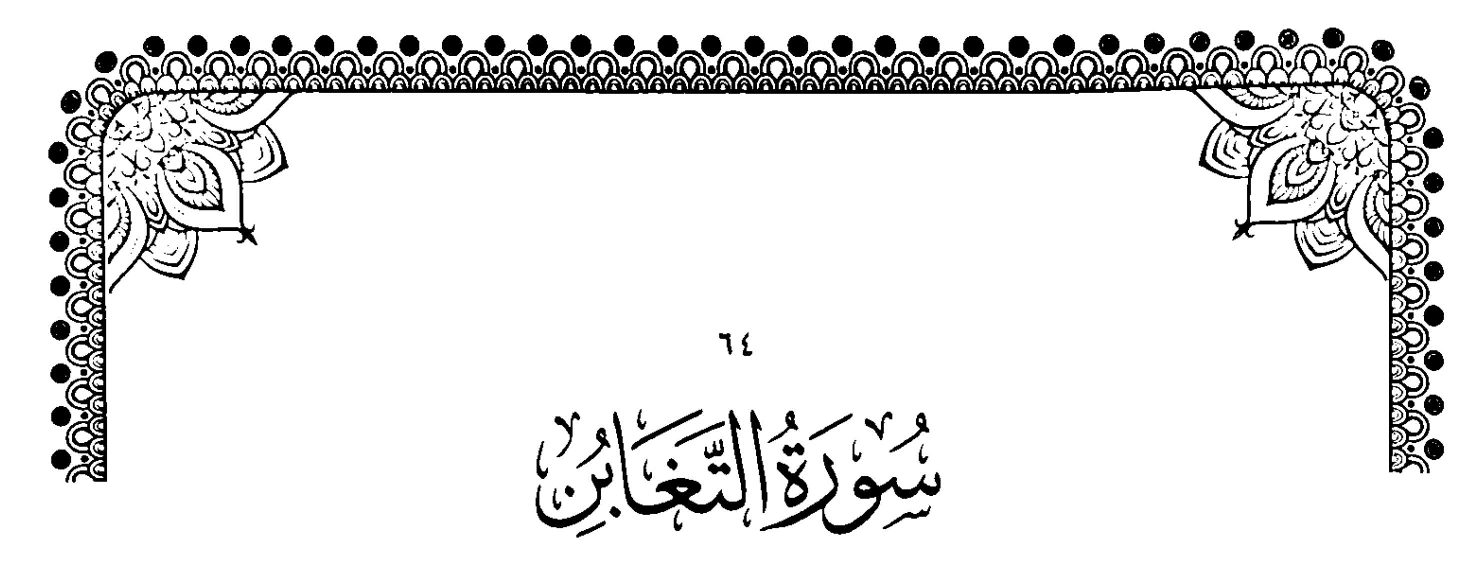
قولُهُ: (والياءِ) شعبةُ[2]؛ ليوافقَ ما قبلَهُ في الغيبةِ، واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

***

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١١).

(٢) انظر المصدر السابق.



مكية أو مدنية، ثمانيْ عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ﴿يُسَبِّحُ لِلهِ ما في السَّماواتِ وما في الأرضِ﴾ أي: يُنزِّهُه ـ فاللام: زائدة، وأُتِيَ بـ «ما» دُون «مَن» تغليبًا للأكثر ـ ﴿لَهُ المُلكُ ولَهُ الحَمدُ، وهْوَ على كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ. هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم، فمِنكُم كافِرٌ ومِنكُم مُؤمِنٌ﴾ في أصل الخلقة، ثم يُميتهم ويُعيدهم على ذلك، ﴿واللهُ بِما تَعمَلُونَ بَصِيرٌ، خَلَقَ السَّماواتِ والأرضَ بِالحَقِّ، وصَوَّرَكُم فأحسَنَ صُوَرَكُم﴾ إذ جعل شكل الآدميّ أحسن الأشكال، ﴿وإلَيهِ المَصِيرُ، يَعلَمُ ما في السَّماواتِ والأرضِ، ويَعلَمُ ما تُسِرُّونَ وما تُعلِنُونَ. واللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما فيها من الأسرار والمُعتقدات.

٥ ـ ﴿ألَم يأتِكُم﴾ ـ يا كُفّارَ مكّةَ ـ ﴿نبَأُ﴾: خبرُ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبلُ، فذاقُوا وَبالَ أمرِهِم﴾: عُقوبةَ الكُفر في الدنيا، ﴿ولَهُم﴾ في الآخرة ﴿عَذابٌ ألِيمٌ﴾: مُؤلم؟ ٦ ـ ﴿ذلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿بِأنَّهُ﴾ ـ ضميرُ الشأن ـ ﴿كانَت تأتِيهِم رُسُلُهُم بِالبَيِّناتِ﴾:..

سورة التغابن

قولُهُ: (في أصلِ الخِلْقَةِ) فواحدٌ مقدَّرٌ كفرُهُ موجَّهٌ إليهِ ما يحملُهُ عليهِ عدلاً، وآخرُ مقدَّرٌ إيمانُه موفَّقٌ لِمَا يدعُوهُ إليهِ فضلاً، لا يسألُ عمَّا يفعلُ أصلاً.

قولُهُ: (يَا كُفَّارَ مَكَّةَ) العُمومُ أولى.

قولُهُ: (عُقُوبَةَ كُفرِهِم) وضررَهُ، وأصلُهُ: الثِّقلُ.

قولُهُ: (أي: عَذَابُ الدُّنيَا) والأظهرُ: المذكورُ من الوَباءِ والعَذابِ.

بالحُجج الظاهرات على الإيمان، ﴿فقالُوا: أَبَشَرٌ﴾ ـ أُريدَ به الجنسُ ـ ﴿يَهدُونَنا؟ فكَفَرُوا وتَوَلَّوا﴾ عن الإيمان، ﴿واستَغنَى اللهُ﴾ عن إيمانهم. ﴿واللهُ غَنيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾: محمود في أفعاله.

٧ ـ ٨ ـ ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أنْ﴾ ـ مُخففةٌ واسمها محذوف ـ أي: أنَّهم ﴿لَن يُبعَثُوا. قُلْ: بَلَى ورَبِّي لَتُبعَثُنَّ، ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بما عَمِلتُم. وذلِكَ علَى اللهِ يَسِيرٌ. فآمِنُوا بِاللهِ ورَسُولِهِ والنُّورِ﴾: القُرآن ﴿الَّذِي أنزَلْنا. واللهُ بِما تَعمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ٩ ـ ١٠ ـ اذكرْ ﴿يَومَ يَجمَعُكُم لِيَومِ الجَمعِ﴾: يومِ القيامة. ﴿ذلِكَ يَومُ التَّغابُنِ﴾: يَغبِنُ المُؤمنون الكافرين بأخذ منازلهم وأهليهم في الجنّة، لو آمنوا ﴿ومَن يُؤمِنْ بِاللهِ ويَعمَلْ صالِحًا يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئاتِهِ ويُدخِلْهُ﴾ ـ وفي قراءة بالنون في الفعلين ـ ﴿جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا ـ ذلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ ـ والَّذِينَ كَفَرُوا وكَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: القُرآن ﴿أُولئِكَ أصحابُ النّارِ خالِدِينَ فِيها، وبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي!

قولُهُ: (الحُجَجِ) أو المعجزاتِ.

قولُهُ: (أُرِيْدَ بِهِ الجِنْسُ) أنكَروا وتعجَّبوا أن يكونَ الرَّسولُ بشراً، وجوَّزوا أن يكونَ الإلهُ حجراً.

قولُهُ: (عَنِ الإِيمَانِ) أو عن التَّدبُّرِ في البيِّناتِ.

قولُهُ: (عَن إِيمَانِهِم) وغيرِهِ.

قولُهُ: (عَن خَلقِهِ) فضْلاً عن طاعتِهم.

قولُهُ: (مَحمُودٌ في أَفْعَالِهِ) حُمِدَ أو لم يُحمَدْ، أو يدلُّ على حمدِهِ كلَّ مخلوقٍ.

قولُهُ: (القُرآنِ) فإنَّهُ بإعجازِهِ ظاهرٌ بنفسِهِ مظهرٌ لغيرِهِ بما فيه شرحُهُ وبيانُهُ.

قولُهُ: (يَومِ القِيَامَةِ) لأجلِ ما فيهِ من الحسابِ والجزاءِ، و﴿الجمع﴾ جمعُ الملائكةِ والثَّقلينِ.

قولُهُ: (يَغبِنُ) أي: يغبنُ فيه بعضُهم بعضاً؛ لنزولِ السُّعداءِ منازلَ الأشقياءِ لو كانوا سعداءَ، وبالعكسِ، مستعارٌ من تغابنَ التُّجَّارُ، واللَّامُ فيه للدِّلالةِ على أنَّ التَّغابنَ الحقيقيَّ هو التَّغابنُ في أمورِ الآخرةِ لعُظْمِها ودوامِها، فيظهرُ غبنُ كلِّ كافرٍ بتركِ الإيمانِ، وغبنُ كلِّ مؤمنٍ بتقصيرِهِ في الإحسانِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ[1].

قولُهُ: (في الفِعْلَينَ) أي: الأخيرينِ[2] كأنَّ الآيتينِ بيانٌ للتَّغابنِ وتفصيلٌ له.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١١).

(٢) في أكثر الأصول زيادة: «قوله» ووجودها خطأ.

١١ ـ ١٢ ـ ﴿ما أصابَ مِن مُصِيبةٍ إلاّ بِإذنِ اللهِ﴾: بقضائه، ﴿ومَن يُؤمِنْ باللهِ﴾ في قوله: «إنّ المُصيبة بقضائه» ﴿يَهدِ قَلبَهُ﴾ للصبر عليها، ﴿واللهُ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمٌ. وأطِيعُوا اللهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ. فإن تَوَلَّيتُم فإنَّما علَى رَسُولِنا البَلاغُ المُبِينُ﴾: البيِّنُ. ١٣ ـ ﴿اللهُ لا إلَـهَ إلاّ هُوَ، وعلَى اللهِ فلْيَتَوَكَّلِ المُؤمِنُونَ﴾.

١٤ ـ ١٥ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، إنَّ مِن أزواجِكُم وأولادِكُم عَدُوًّا لَكُم. فاحذَرُوهُم﴾ أن تُطيعوهم في التخلّف عن الخير، كالجِهاد والهِجرة ـ فإنّ سبب نُزول الآية الإطاعةُ في ذلك ـ ﴿وإن تَعفُوا﴾ عنهم في تثبيطهم إياكم عن ذلك الخير مُعتلّين بمشقّة فِراقكم عليهم، ﴿وتَصفَحُوا وتَغفِرُوا، فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. إنَّما أموالُكُم وأولادُكُم فِتنَةٌ﴾ لكم شاغلةٌ عن أُمور الآخرة، ﴿واللهُ عِندَهُ أجرٌ عَظِيمٌ﴾. فلا تُفوّتوه باشتغالكم بالأموال والأولاد.

١٦ ـ ﴿فاتَّقُوا اللهَ ما استَطَعتُم﴾ ـ ناسخةٌ لقوله: «اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ» ـ ﴿واسمَعُوا﴾ ما أُمرتم به سماعَ قَبول ﴿وأطِيعُوا، وأنفِقُوا﴾ في الطاعة، ﴿خَيرًا لِأنفُسِكُم﴾: خبرُ «يكن» مُقدّرة جواب الأمر. ﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾: الفائزون.

١٧ ـ ﴿إن تُقرِضُوا اللهَ قَرضًا حَسَنًا يُضاعِفْهُ لَكُم﴾ ـ وفي قِراءة: «يُضَعِّفْهُ» بالتشديد. بالواحدةِ عشرًا إلى سبعِمائةٍ وأكثرَ...

قولُهُ: (للصَّبرِ) والاسترجاعِ عندَ حُلولها.

قولُهُ تعالى: (﴿وإن تعفوا وَتَصْفَحُوا﴾) بالإعراضِ وتركِ التَّرتيبِ (﴿وتغفرُوا﴾) بإخفائِها وتمهيدِ معذرتِهِم فيها (﴿فإنَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ﴾) يعاملُكُم بمثلِ ما عامَلتُم.

قولُهُ: (عَنهُم) أي: عن ذنوبِهِم بتركِ المعاقَبةِ.

قولُهُ: (شَاغِلَةٌ) أو اختبارٌ لكُم، ولذا قالَ بعضُ أهلِ الأحوالِ: كثرةُ العيالِ فضيحةُ الرِّجالِ.

قولُهُ: (نَاسِخَةٌ) أو مبيِّنةٌ مفسِّرةٌ، فإنَّ معناهُ: ابذُلوا في تقواهُ جهدَكُم وطاقتَكُم.

قولُهُ: ﴿اللهَ﴾ أي: أوامرَهُ.

قولُهُ: (مَا أُمِرْتُم) أو مواعِظَ.

قولُهُ: (فِي الطَّاعَةِ) خالصاً لوجهِهِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لمكّيٍّ وبصريٍّ[1].

---

(١) الصواب: لمكي وشامي، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٣٨)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٥٨٨).

وهو التصدّق عن طِيب قلب ـ ﴿ويَغفِرْ لَكُم﴾ ما يشاء. ﴿واللهُ شَكُورٌ﴾: مُجازٍ على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العِقاب على المعصية، ١٨ ـ ﴿عالِمُ الغَيبِ﴾: السرّ ﴿والشَّهادةِ﴾: العلانية ﴿العَزِيزُ﴾ في مُلكه ﴿الحَكِيمُ﴾ في صُنعه.

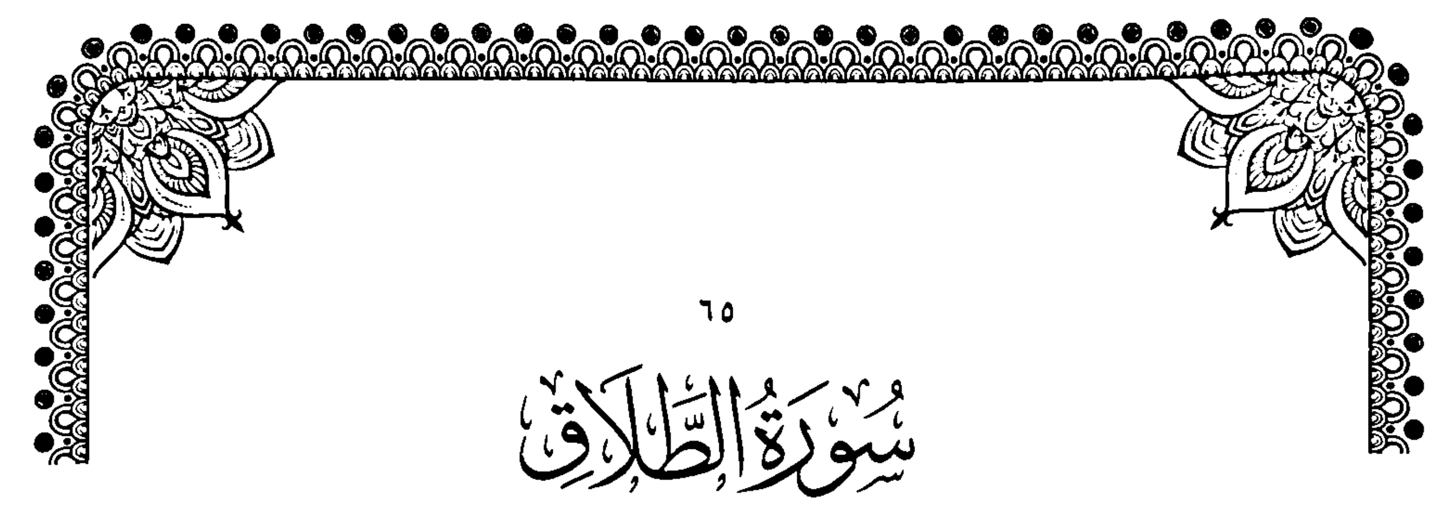
قولُهُ: (وهُو التَّصَدُّقُ) أي: صرفُ المالِ في سُبُلِ الخيرِ مقروناً بإخلاصٍ.

قولُهُ: (مَا يَشَاءُ) ببركةِ الإنفاقِ.

قولُهُ: (مُجَازٍ) يُعطِي الجزيلَ بالقليلِ.

قولُهُ: (عَلى المَعصِيَةِ) لا يعاجلُ بالعقوبةِ خُصُوصاً على البخلاءِ، واللهُ أعلمُ.

* * *



٦٥

سُورَةُ الطَّلَاقِ

مدنية، ثلاثَ عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أيُّها النَّبيُّ﴾ المُراد هو وأُمّته بقرينة ما بعده، أو قل لهم: ﴿إذا طَلَّقتُمُ النِّساءَ﴾: أردتُمُ الطلاق ﴿فطَلِّقوهُنَّ لِعِدّتِهِنَّ﴾:..

سُورَةُ الطَّلَاقِ

قولُهُ: (المُرَادُ هُوَ وأُمَّتُهُ) يعني: خصَّ النِّداءَ وعمَّ الخطابَ بالحكمِ؛ لأنَّهُ إمامُ أمَّتِهِ، فنداؤُهُ كندائِهِم، أو لأنَّ الكلامَ معه والحكمُ يعمُّهُم.

قولُهُ: (أَرَدْتُمُ الطَّلَاقَ) أي: تطليقَهُنَّ على تنزيلِ المُشارِفِ له منزلةَ الشَّارعِ فيه.

قولُهُ: (لأَوَّلِهَا) أو وقتِها، وهو الطُّهرُ، وهو مذهبُ الشَّافعيِّ[١]، وعندَنا[٢]: العدَّةُ بالحيضِ لقولِهِ ﷺ: «دعِي الصَّلاةَ أيَّامَ أقرائِكِ»[٣]، وقولِهِ: «طلاقُ الأمةِ تطليقتانِ، وعدَّتُهَا حيضتانِ»[٤] وهو قولُ الخلفاءِ الأربعةِ،

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (١١/ ١٦٣).

(٢) انظر: «الهداية» (٢/ ٢٧٤).

(٣) رواه الدارقطني في «السنن» (٨٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

ورواه ابن ماجه (٦٢٤)، وأحمد في «المسند» (٢٤١٤٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٦٠) (٨٩٥) من حديث عائشة أيضاً بلفظ: «دعي الصلاة أيام حيضتك».

(٤) رواه أبو داود (٢١٨٩)، والترمذي (١١٨٢)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٧٤٩)، والدارقطني في «السنن» (٤٠٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٨٢٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال أبو داود: وهو حديث مجهول. وقال الترمذي: حديث غريب، لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث مظاهر بن أسلم، ومظاهر لا نعرف له في العلم غير هذا الحديث.

لِأَوّلها، بأن يكون الطلاق في طُهر، لم تُمسَّ فيه ـ لتفسيره ﷺ بذلك، رواه الشيخان ـ ﴿وأحصُوا العِدّةَ﴾: احفظوها لتُراجعوا قبل فراغها، ﴿واتّقُوا اللهَ رَبَّكُم﴾: أطيعوه في أمره ونهيه، ﴿لا تُخرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ ولا يَخرُجنَ﴾ منها حتّى تنقضي عِدّتهنّ، ﴿إلاّ أن يأتِينَ بِفاحِشةٍ﴾: زنًى ﴿مُبيِّنةٍ﴾، ....

والعبادلةِ[1] وغيرِهم من الصَّحابةِ والتّابعينَ[2]، فاللّامُ متعلِّقٌ بمحذوفٍ مثلُ: مستقبلاتٍ، وفي قراءةِ رسولِ اللهِ ﷺ: (في قبيلِ عدَّتِهنّ)[3]، وإذا طُلِّقَتِ المرأةُ في الطُّهرِ المتقدِّمِ على القرءِ الأوَّلِ من أقرائِها فقد طُلِّقَت مستقبلةً لعدَّتِها؛ فالحديثُ الَّذي ذكرَهُ الشَّيخُ لا ينافي مذهَبنا بل يؤيِّدُنا.

وقولُهُ: (لأَوَّلِهَا) ليسَ لفظُ الحديثِ ليكونَ نصًّا في مذهبِهِ، واللهُ أعلمُ.

قولُهُ: (احفَظُوهَا) واضبِطوهَا وأكمِلوا ثلاثةَ أقراءٍ.

قولُهُ: (أَطِيعُوهُ) أو في تطويلِ العدَّةِ والإضرارِ بهنَّ.

قولُهُ تعالى: (﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾) أو مساكنِهِنَّ وقتَ الطَّلاقِ، وفي الجمعِ بين النَّهيَينِ دلالةٌ على استحقاقِها السُّكنى، ولزومِها ملازمةَ مسكَنِ الفراقِ.

قولُهُ: (زِنًا) هذا قولُ ابنِ مسعودٍ[4]، وبه أخذَ أبو يوسفَ، وقيل: البذاء على الزَّوجِ وأقاربِهِ، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ[5]، فيكونُ الاستثناءُ من الأوَّلِ، وقالَ النَّخعيُّ[6]: هي نفسُ الخروجِ، وبه أخذَ أبو حنيفةَ[7]، فيكونُ الاستثناءُ من الثَّاني للمبالغةِ في النَّهي، والدَّلالةِ على أنَّ خُروجَها فاحِشةٌ.

---

(١) قال الزيلعي في «نصب الراية» (٣/ ١٢١): العبادلة في اصطلاح أصحابنا ثلاثة: عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم، وفي اصطلاح غيرهم أربعة: فأخرجوا ابن مسعود، وأدخلوا ابن عمرو بن العاص، وزادوا ابن الزبير، قاله أحمد بن حنبل وغيره، وغلطوا صاحب «الصحاح» إذ أدخل ابن مسعود، وأخرج ابن العاص، قال البيهقي: لأن ابن مسعود تقدمت وفاته، وهؤلاء عاشوا حتى احتيج إلى علمهم، ويلتحق بابن مسعود كل من سمي بعبد الله من الصحابة، وهم نحو من مائتين وعشرين رجلا، قاله النووي وغيره.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٥٠٠)، و«تفسير ابن أبي حاتم» (٢/ ٤١٥).

(٣) وهي قراءة شاذة، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٥٨) إلا أنها جاءت (فطلقوهن في قُبُل عدتهن).

(٤) روى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣/ ٩٠٤) عن ابن عباس ﴿إلا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ قال: الزنا، وروي عن ابن مسعود وسعيد بن المسيب والحسن والشعبي وعكرمة في إحدى الروايات، والضحاك في إحدى الروايات، وسعيد بن جبير ومجاهد، ومحمد بن سيرين وأبي قلابة، وعطاء الخراساني، وأبي صالح والسدي وزيد بن أسلم، وسعيد بن أبي هلال نحو ذلك.

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١١٠٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٣٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٥٤٨٤).

(٦) انظر: «تفسير السمعاني» (٥/ ٤٦٠).

(٧) انظر: «البناية» (٥/ ٦٢٥).

بفتح الياء وكسرها، أي: بُيِّنتْ أو بَيِّنةٍ، فيُخرَجن لإقامة الحدّ عليهنّ. ﴿وتِلكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللهِ، ومَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فقَد ظَلَمَ نَفسَهُ. لا تَدرِي: لَعَلَّ اللهَ يُحدِثُ بَعدَ ذلِكَ﴾ الطلاقِ ﴿أمرًا﴾: مُراجعةً فيما إذا كان واحدةً أو ثِنتين.

٢ ـ ﴿فإذا بَلَغنَ أجَلَهُنَّ﴾: قارَبْنَ انقضاء عِدّتهنّ ﴿فأمسِكُوهُنَّ﴾ بأن تُراجعوهن ﴿بِمَعرُوفٍ﴾ من غير ضِرار، ﴿أو فارِقُوهُنَّ بِمَعرُوفٍ﴾: اتركوهنّ حتّى تنقضي عِدّتهنّ ولا تُضارّوهنّ بالمُراجعة، ﴿وأشهِدُوا ذَوَي عَدلٍ مِنكُم﴾ على المُراجعة أو الفِراق، ﴿وأقِيمُوا الشَّهادَةَ﴾ لا للمشهود عليه أو له. ﴿ذلِكُم يُوعَظُ بِهِ مَن كانَ يُؤمِنُ باللهِ واليَومِ الآخِرِ، ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجعَلْ لَهُ مَخرَجًا﴾ من كَرب الدنيا والآخرة، ٣ ـ ﴿ويَرزُقْهُ مِن حَيثُ لا يَحتَسِبُ﴾: يَخطر بباله، ﴿ومَن يَتَوَكَّلْ علَى اللهِ﴾ في أُموره ﴿فهُوَ حَسْبُهُ﴾: كافيه. ﴿إنَّ اللهَ بالِغُ أمرِهِ﴾: مُرادَه ـ..........................

قولُهُ: (بِفَتحِ اليَاءِ) مكّيٌّ وشعبةُ[١].

قولُهُ: (المَذكُورَاتُ) من الأحكامِ.

قولُهُ: (مُرَاجَعَةً) الأمرُ هو الرَّغبةُ في المطلَّقةِ برجعةٍ، أو استئنافٍ، وقولُهُ تعالى: (﴿لَا تَدْرِي﴾) أي: النَّفسُ، أو أنتَ أيُّها النَّبيُّ، أو المطلِّقُ.

قولُهُ: (مِنْ غَيرِ ضِرَارٍ) أي: بحسنِ عشرةٍ، وإنفاقٍ مناسبٍ.

قولُهُ: (اتْرُكُوهُنَّ) أي: بإيفاءِ الحقِّ، واتِّقاءِ الضِّرارِ مثلَ أن يراجعَها، ثمَّ يطلِّقَها تطويلاً لعدَّتِها.

قولُهُ: (أَوِ الفِرَاقِ) تبرِّياً عن الرِّيبةِ وقطعاً للمُنازعةِ، وهو ندبٌ عندَنا[٢]، وعن الشَّافعيِّ: وجوبُهُ في الرَّجعةِ[٣]؛ كقولِهِ: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قولُهُ: (كُرَبِ) بضمِّ الكافِ وفتحِ الرَّاءِ، جمعُ: كربةٍ، أو بفتحٍ فسكونٍ جنسٌ، وعنهُ عليه السَّلامُ: «إنِّي لأعلمُ آيةً لو أخذَ النَّاسُ بها لكفتْهُم ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ﴾» فما زالَ يقرأُها ويعيدُها، رواهُ الحاكمُ وغيرُه[٤].

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٢).

(٢) انظر: «الهداية» (٢/ ٢٥٤).

(٣) وهذا قوله في الإملاء، وأما في القديم والجديد فهو مستحب، انظر: «الحاوي الكبير» (١٠/ ٣١٩).

(٤) رواه ابن ماجه (٤٢٢٠)، وأحمد في «مسنده» (٢١٥٥١)، والدارمي في «السنن» (٢٧٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨١٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦٦) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

وفي قراءة بالإضافة ـ ﴿قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ كرَخاءٍ وشِدّة ﴿قَدْرًا﴾: مِيقاتًا.

٤ ـ ﴿واللائي﴾ ـ بهمزة وياء، وبلا ياء، في الموضعين ـ ﴿يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ بمعنى: الحيض ﴿مِن نِسائكُم، إنِ ارتَبتُم﴾: شككتم في عِدّتهنّ، ﴿فعِدّتُهنَّ ثَلاثةُ أشهُرٍ، واللائي لَمْ يَحِضْنَ﴾ لصِغرهنّ فعِدّتهنّ ثلاثة أشهر ـ والمسألتان في غير المُتوفَّى عنهنّ أزواجُهنّ. أمّا هنّ فعِدّتهنّ ما في آيةِ «يَتَرَبَّصْنَ بأنفُسِهنَّ أربعَةَ أشهُرٍ وعَشْرًا» ـ ﴿وأُولاتُ الأحمالِ أجَلُهُنَّ﴾: انقضاءُ عِدّتهنّ مُطلّقاتٍ أو مُتوفًّى عنهنّ أزواجُهنّ ﴿أن يَضَعْنَ حَملَهُنَّ. ومَن يَتَّقِ اللهَ يَجعَلْ لَهُ مِن أمرِهِ يُسرًا﴾ في الدنيا والآخرة. ٥ ـ ﴿ذلِكَ﴾ المذكور في العِدّة ﴿أمرُ اللهِ﴾: حُكمه، ﴿أنزَلَهُ إلَيكُم، ومَن يَتَّقِ اللهَ يُكَفِّرْ عَنهُ سَيِّئاتِهِ، ويُعظِمْ لَهُ أجرًا﴾.

٦ ـ ﴿أسكِنُوهُنَّ﴾ أي: المُطلّقاتِ ﴿مِن حَيثُ سَكَنتُم﴾ أي: بعضَ مساكنكم ﴿مِن وُجدِكُم﴾

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لحفصٍ[1].

قولُهُ: (﴿قَدْرًا﴾) أي: أجلاً لا يتأتّى تغييرُهُ، أو تقديراً، أو مِقداراً، وهو بيانٌ لوجوبِ التَّوكُّلِ.

قولُهُ: (بِهَمْزَةٍ) سبقَ في الأحزابِ[2].

قولُهُ: (بِمَعْنَى الحَيضِ) مصدرٌ ميميٌّ؛ يعني: لكبَرِهِنَّ.

قولُهُ: (شَكَكْتُم) أي: جهلتُم.

قولُهُ: (لِصِغَرِهِنَّ) أي: واللّائي لم يحضْنَ بعدُ كذلكَ.

قولُهُ: (أو مُتَوَفًّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ) والمحافظةُ على عمومِهِ أولى من محافظةِ عمومِ قولِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ [البقرة: ٢٣٤]؛ لأنَّ عمومَ ﴿أُولَاتِ الْأَحْمَالِ﴾ بالذَّاتِ، وعمومَ ﴿أزواجاً﴾ بالعرضِ، والحكمُ معلَّلٌ هاهنا بخلافِ ثمَّ، ولأنَّهُ صحَّ أنَّ سبيعةَ بنتَ الحارثِ وضعَتْ بعدَ وفاةِ زوجِها بليالٍ، فذكرَت ذلكَ لرسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: «لقد حلَلْتِ فتزوَّجي» رواهُ الشَّيخانِ[3].

قولُهُ: (المَذكُورُ) أي: ما ذُكِرَ من الأحكامِ.

قولُهُ: (بَعْضَ مَسَاكِنِكُم) أي: مكاناً من سكناكُم.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٢).

(٢) في الآية رقم: (٤).

(٣) رواه البخاري (٥٣١٨)، ومسلم (١٤٨٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها، ولفظه عند البخاري: عن أم سلمة، زوج النبي ﷺ: أن امرأة من أسلم يقال لها سبيعة، كانت تحت زوجها، توفي عنها وهي حبلى، فخطبها أبو السنابل بن بعكك، فأبت أن تنكحه، فقال: «والله ما يصلح أن تنكحيه حتى تعتدي آخر الأجلين»، فمكثت قريباً من عشر ليال، ثم جاءت النبي ﷺ فقال: «انكحي».

أي: سَعتكم، عطفُ بيان أو بدلٌ ممّا قبله بإعادة الجارّ وتقدير مضاف، أي: أمكنةِ سَعتكم لا ما دُونها، ﴿ولا تُضارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا علَيهِنَّ﴾ المساكنَ فيحتجْنَ إلى الخُروجِ، أو النفقةَ فيفتدين منكم، ﴿وإن كُنَّ أُولاتِ حَملٍ فأنفِقُوا علَيهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَملَهُنَّ، فإن أرضَعْنَ لَكُم﴾ أولادَكم منهنّ ﴿فآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ على الإرضاع، ﴿وأْتَمِرُوا بَينَكُم﴾ وبينهنّ ﴿بِمَعرُوفٍ﴾: بجميل في حقّ الأولاد بالتوافق على أجر معلوم للإرضاع، ﴿وإن تَعاسَرتُم﴾: تضايقتم في الإرضاع فامتنع الأبُ من الأجرة والأمُّ من فعله ﴿فستُرضِعُ لَهُ﴾: للأب ﴿أُخرَى﴾، ولا تُكرَهُ الأمُّ على إرضاعه.

٧ - ﴿لِيُنفِقْ﴾ على المُطلّقات والمُرضِعات ﴿ذُو سَعةٍ مِن سَعتِهِ، ومَن قُدِرَ﴾: ضُيّقَ ﴿علَيهِ رِزقُهُ فلْيُنفِقْ مِمّا آتاهُ﴾: أعطاه ﴿اللهُ﴾ على قدْره. ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إلاّ ما آتاها. سَيَجعَلُ اللهُ بَعدَ عُسرٍ يُسرًا﴾. وقد جعله بالفتوح.

٨ - ﴿وكَأَيِّنْ﴾ - هي كاف الجرّ، دخلت على «أيّ»، بمعنى: كم - ﴿مِن قَريةٍ﴾ أي: وكثيرٌ من القُرى ﴿عَتَتْ﴾: عصت، يعني: أهلَها، ﴿عَن أمرِ رَبِّها ورُسُلِهِ، فحاسَبْناها﴾ في الآخرة، وإن لم تجئ لتحقق وقوعها، ﴿حِسابًا شَدِيدًا، وعَذَّبْناها عَذابًا نُكْرًا﴾، بسكون الكاف وضمّها: فظيعًا،.........

قولُهُ: (سَعَتِكُم) أي: وُسْعِكُم؛ يعني: مما تطيقونَهُ.

قولُهُ تعالى: (﴿حَتَّى يَضَعْنَ﴾) قالَ القاضي[١]: وهذا يدلُّ على اختصاصِ استحقاقِ النَّفقةِ بالحاملِ مِن المعتدَّاتِ، وقالَ صاحبُ «المدارِكِ»[٢]: فائدةُ اشتراطِ الحملِ أنَّ مدَّةَ الحملِ ربَّما تطولُ فيُظَنُّ أنَّ النَّفقةَ تسقطُ إذا مضى مقدارُ عدَّةِ الحاملِ، فنفى ذلك الوهمَ.

قولُهُ: (مِنهُنَّ) بعدَ انقطاعِ عُلْقَةِ النِّكاحِ.

قولُهُ: (عَلى قَدْرِهِ) أي: فلْيُنفِقْ كلٌّ من الموسرِ والمعسرِ ما بلغَهُ وسعُهُ بدليلِ ما بعدَهُ.

قولُهُ: (وقَد جَعَلَهُ بالفُتُوحِ) أي: عاجلاً، أو آجلاً.

قولُهُ: (عَصَتْ) وأعرضَتْ إعراضَ العاتي المعانِدِ.

قولُهُ: (يَعني: أَهلَهَا) على حذفِ مضافٍ، أو ذكرِ المحلِّ وإرادةِ الحالِ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) نافعٌ وابنُ ذكوانَ وشعبةُ[٣].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٢٢).

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٥٠٠).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٢٤).

وهو عذاب النار، ٩ ـ ﴿فذاقَت وَبالَ أمرِها﴾: عُقوبتَه، ﴿وكانَ عاقِبةُ أمرِها خُسرًا﴾: خسارًا وهلاكًا!

١٠ ـ ﴿أعَدَّ اللهُ لَهُم عَذابًا شَدِيدًا﴾ تكريرٌ للوعيد توكيدًا. ﴿فاتَّقُوا اللهَ، يا أُولِي الألبابِ﴾: أصحابَ العقول ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾: نعتٌ للمنادى أو بيان له. ﴿قَد أنزَلَ اللهُ إلَيكُم ذِكرًا﴾ هو القُرآنُ، ١١ ـ ﴿رَسُولاً﴾ أي: محمدًا، منصوبٌ بفعل مقدر، أي: وأرسلَ رسولاً، ﴿يَتلُو علَيكُم آياتِ اللهِ مُبَيِّناتٍ﴾ ـ بفتح الياء وكسرها كما تقدّم ـ ﴿لِيُخرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُماتِ﴾: الكُفر الذي كانوا عليه ﴿إلَى النُّورِ﴾: الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر. ﴿ومَن يُؤمِنْ بِاللهِ ويَعمَلْ صالِحًا يُدخِلْهُ﴾ ـ وفي قراءة بالنون ـ ﴿جَنّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، قَد أحسَنَ اللهُ لَهُ رِزقًا﴾ هو رزق الجنة التي لا ينقطع نعيمها.

١٢ ـ ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَماواتٍ ومِنَ الأرضِ مِثلَهُنَّ﴾ يعني سبعَ أرَضِينَ، ﴿يَتَنَزَّلُ الأمرُ﴾: الوحيُ ﴿بَينَهُنَّ﴾: بين السماوات والأرض، يَنزل به جِبريل من السماء السابعة إلى الأرض السابعة،

قولُهُ: (عُقُوبَتَهُ) أي: عقوبةَ كُفرِها ومعاصيها.

قولُهُ: (خَسَاراً) لا ربحَ فيه أصلاً.

قولُهُ: (تَوكِيداً) وبياناً لما يوجِبُ التَّقوى المأمورَ بها فيما بعدَهُ، ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بالحسابِ: استقصاءَ ذنوبِهِم وإثباتَها في صحائفِ الحفظَةِ، وبالعذابِ ما أُصِيبوا به عاجِلاً.

قولُهُ: (وكَسرِهَا) شاميٌّ وكوفيٌّ غيرُ شعبةَ[1].

قولُهُ: (كَمَا تَقَدَّمَ) يعني في ﴿مبيِّنة﴾، لكن بينَهُما فرقٌ في القراءةِ.

قولُهُ: (والرَّسُولِ) أي: ليخرجَ اللهُ من علمَ، أو قدَّرَ أنَّه يؤمنُ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ[2].

قولُهُ: (يَعنِي: سَبعَ أَرَضِينَ) أي: وخلقَ مثلهُنَّ في العددِ من الأرضِ.

قولُهُ: (الوَحيُ) قالَ القاضي[3]: يجري أمرُ اللهِ وقضاؤهُ بينهُنَّ، وينفذُ حكمُهُ فيهنَّ.

قولُهُ: (يَنزِلُ بِهِ جِبرِيلُ) هذا زيادةٌ من عندِ الشَّيخِ على المنقولِ، وهو زيادةُ ضررٍ؛ لأنَّها غيرُ مستقيمةٍ بالنِّسبةِ إلى الأرضِ السَّابعةِ؛ إذ لا يُعرَفُ في غيرِ هذه الأرضِ الأولى من ينزلُ عليه جبريلُ بالوحيِ،

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ١٦٢).

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٢).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٢٣).

﴿لِتَعلَمُوا﴾: مُتعلّق بمحذوف، أي: أعلمَكم بذلك الخلق والتنزيل، ﴿أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، وأَنَّ اللهَ قَد أحاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلمًا﴾.

نعم المنقولُ عن مجاهدٍ بين السَّماءِ السَّابعةِ والأرضِ السَّابعةِ، كما في «صحيحِ البخاريِّ»[1].

وقالَ البغويُّ[2]: بالوحي بينَ السَّماءِ السَّابعةِ والأرضِ السُّفلى، ثمَّ قالَ: وقالَ أهلُ المعاني: هو ما يدبِّرُ فيهنَّ من عجيبِ تدبيرِهِ فيُنزِلُ المطرَ، ويُخرجُ النَّباتَ، ويأتي باللَّيلِ والنَّهارِ والصَّيفِ والشِّتاءِ، ويخلقُ الحيوانَ على اختلافِ هيئاتِها، وينقُلُها مِن حالٍ إلى حالٍ، وقالَ قتادةُ[3]: في كلِّ أرضٍ مِن أرضِهِ، وسماءٍ مِن سمائِهِ خلقٌ من خلقِهِ، وأمرٌ من أمرِهِ، وقضاءٌ من قضائِهِ، انتهى.

فهذهِ النُّقولُ متطابقةٌ متوافقةٌ، والوحيُ في كلامِ البغويِّ يُحمل على معنى الإلهامِ من بابِ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] ليلتئمَ الكلامُ، واللهُ أعلمُ بالمرامِ.

قولُهُ: (بِمَحذُوفٍ) وقيل: بـ﴿خلق﴾، أو ﴿يتنزَّلُ﴾.

قولُهُ: (بذلِكَ الخَلقِ والتَّنَزُّلِ) فإنَّ كلًّا منهُما يدلُّ على كمالِ قدرتِهِ وعلمِهِ، واللهُ أعلمُ.

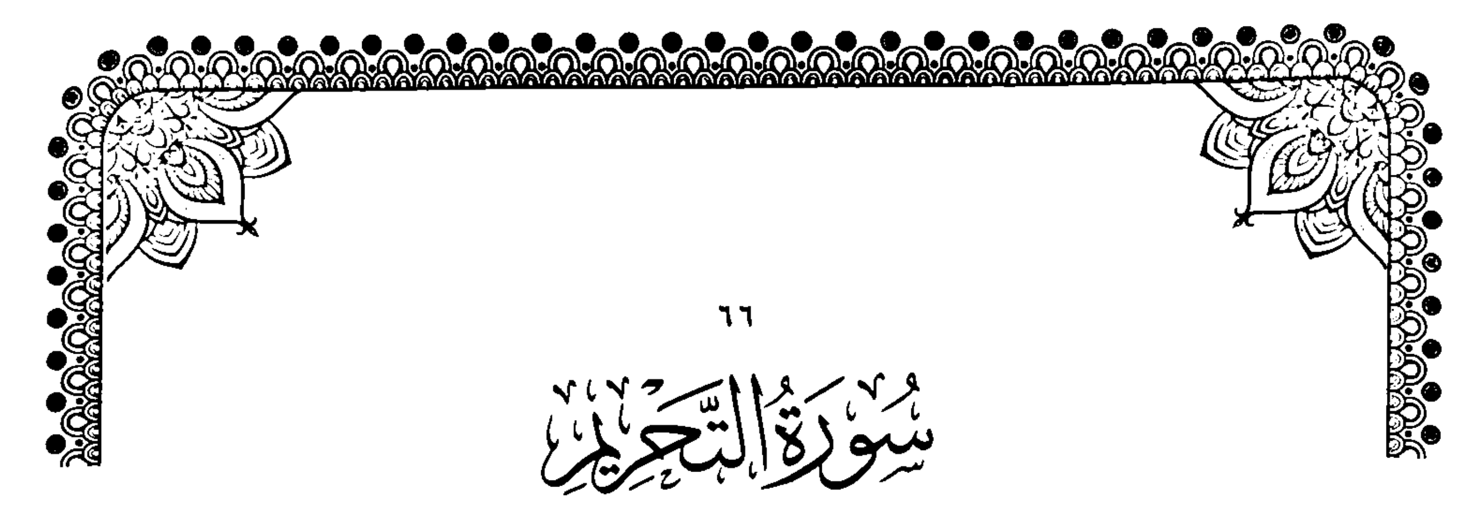
* * *

---

(١) ذكره البخاري (٩/ ١٤٢) تعليقاً. ووصله الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧١).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ١١٤).

(٣) رواه عبد الرزاق في «التفسير» (٣٢٤٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٧٠).



مدنية، اثنتا عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ، لِمَ تُحَرِّمُ ما أحَلَّ اللهُ لَكَ﴾ من أمَتِكَ مارِيَةَ القِبطيّة، لمّا واقَعَها في بيت حفصةَ وكانت غائبة، فجاءت وشقّ عليها كونُ ذلك في بيتها وعلى فِراشها، حيثُ قلتَ: هي حرامٌ عليَّ، ﴿تَبتَغِي﴾ بتحريمها ﴿مَرضاةَ أزواجِكَ﴾ أي: رِضاهنّ؟ ﴿واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ غفرَ لك هذا التحريم، ٢ ـ ﴿قَد فَرَضَ اللهُ﴾: شَرَعَ ﴿لَكُم تَحِلّةَ أيمانِكُم﴾: تحليلَها بالكفّارة المذكورة في سورة «المائدة» ـ ومِن الأيمان تحريم الأمَة..

سورة التحريم

قولُهُ: (وَاقَعَهَا) في يومِ عائشةَ أو حفصَةَ.

قولُهُ: (فَجَاءَتْ) واطَّلَعت على ذلك.

قولُهُ: (وشَقَّ) فعاتبَتْهُ فيه.

قولُهُ: (هَذا التَّحرِيمَ) ولم يؤاخِذْكَ به وعاتبَكَ، محاماةً على عصمتِهِ.

قولُهُ: (تَحليلَهَا) وهو حلُّ ما عقَّدَتْهُ الأيمانُ.

قولُهُ: (تَحرِيمُ الأَمَةِ) فيه أنَّ التَّحريمَ ليسَ بيمينٍ فـي مذهبِ الشَّافعيِّ[١] على ما صرَّحَ به البغويُّ[٢] والبيضاويُّ[٣]،..

---

(١) انظر: «الحاوي الكبير» (١٠/ ١٨٢).

(٢) انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ١١٧).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٢٤).

وهل كفَّرَ ﷺ؟ قال مُقاتل: أعتقَ رقبة في تحريم ماريَةَ، وقال الحسن: لم يكفِّر لأنه مغفور له ـ ﴿واللهُ مَولاكُم﴾: ناصركم، ﴿وهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾.

٣ ـ ﴿و﴾ اذكرْ ﴿إذ أسَرَّ النَّبِيُّ إلَى بَعضِ أزواجِهِ﴾ ـ هي حفصةُ ـ ﴿حَدِيثًا﴾ هو تحريم ماريَةَ، وقال لها: لا تُفشِيه. ﴿فلَمّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ عائشةَ ظنًّا منها أن لا حرجَ في ذلك، ﴿وأظهَرَهُ اللهُ﴾: أطلَعه ﴿علَيهِ﴾: على المُنبَأِ به، ﴿عَرَّفَ بَعضَهُ﴾ لحفصةَ، ﴿وأعرَضَ عَن بَعضٍ﴾ تكرّمًا منه، ﴿فلَمّا نَبَأها بِهِ قالَتْ: مَن أنبَأكَ هذا؟ قالَ: نَبَأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ﴾ أي: اللهُ.

٤ ـ ﴿إن تَتُوبا﴾ أي حفصةُ وعائشةُ ﴿إلَى اللهِ فقَد صَغَتْ قُلُوبُكُما﴾: مالت إلى تحريم ماريةَ، أي سرَّكما ذلك مع كراهة النبيّ له،..

وفي «المدارِكِ»[١]: تحريمُ الحلالِ يمينٌ عندَنا[٢].

قولُهُ: (نَاصِرُكُم) أو متولّي أمورِكُم.

قولُهُ: (فِي ذَلِكَ) حيثُ إنَّ الإعلامَ لواحدةٍ لا يكونُ إفشاءً في العرفِ، لكنَّ كلَّ سرٍّ جاوزَ الاثنينِ شاعَ.

قولُهُ: (عَلى المُنبَأِ بِهِ) أو على الحديثِ؛ أي: إفشائِهِ.

قولُهُ: (لِحَفصَةَ) أي: أعلمَ بعضَهُ، وفيه إشكالٌ لنا؛ إذ حديثُ ماريَةَ غيرُ قابلٍ للتَّبعيضِ، فالمَخلَصُ منه ما ذكرَهُ البغويُّ[٣]: أنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا رأى الكراهيةَ في وجهِ حفصَةَ أرادَ أن يترَاضَاها، فأسرَّ إليها شيئينِ: تحريمَ الأمَةِ على نفسِهِ، وتبشيرَها بأنَّ الخلافةَ بعدَهُ في أبي بكرٍ وعُمَرَ، فأخبرَتْ به حفصَةُ عائشةَ، وأطلعَ اللهُ نبيَّهُ عليهِ، (﴿عَرَّفَ﴾) حفصةَ وأخبرَها ببعضِ ما أخبرَت به عائشةَ، وهو تحريمُ الأمَةِ (﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾) يعني: ذكْرَ الخلافةِ كرِهَ رسولُ اللهِ ﷺ أن ينتشرَ في النَّاسِ، انتهى، وقرأَ الكسائيُّ: (عَرَفَ)[٤] بالتَّخفيفِ؛ أي: جازاها ببعضِ ما فعلَتْ.

قولُهُ: (تَكَرُّماً) قالَ الحسنُ[٥]: ما استَقصى كريمٌ قطُّ.

قولُهُ: (أَيْ) نِدائيَّةٌ أو تفسيريَّةٌ؛ يعني: هي خطابٌ لحفصةَ وعائشةَ على الالتِفاتِ؛ للمُبالغةِ في المعاتبةِ.

---

(١) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٥٠٤).

(٢) انظر: «التجريد» (١٠/ ٤٨٩٣).

(٣) انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ١١٩).

(٤) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٣).

(٥) ذكره البغوي في «تفسيره» (٥/ ١١٨)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٧/ ٢٨).

وروى ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٢١٩) نحوه عن علي رضي الله عنه.

وذلك ذنب ـ وجواب الشرط محذوف أي: تُقبَلا. وأُطلِقَ «قلوب» على قلبين ولم يُعبَّر به لاستثقال الجمع بين تثنيتين فيما هو كالكلمة الواحدة ـ ﴿وإن تَظَّاهَرا﴾، بإدغام التاء الثانية في الأصل في الظاء، وفي قراءة بدونها: تَتعاونا ﴿علَيهِ﴾ أي: النبيِّ فيما يكرهه ﴿فإنَّ اللهَ هُوَ﴾ ـ فصلٌ ـ ﴿مَولاهُ﴾: ناصرُه ﴿وجِبرِيلُ وصالِحُ المُؤمِنِينَ﴾ أبو بكرٍ وعُمرُ: معطوف على محلّ اسم «إنّ» فيكونون ناصريه، ﴿والمَلائكةُ بَعدَ ذلِكَ﴾ أي: بعد نصر الله والمذكورين ﴿ظَهِيرٌ﴾: ظُهراء، أعوان له في نصره عليكما.

٥ ـ ﴿عَسَى رَبُّـهُ، إن طَلَّقَكُنَّ﴾ أي: طـلّق النـبيُّ أزواجَه، ﴿أن يُبَدِّلَهُ﴾، بالتشديد والتخفيف، ﴿أزواجًا خَيرًا مِنكُنَّ﴾: خبرُ «عسى» ـ والجملة: جواب الشرط. ولم يقع التبديل لعدم وقوع الشرط ـ ﴿مُسلِماتٍ﴾: مُقِرّاتٍ بالإسلام، ﴿مُؤمِناتٍ﴾: مُخلصاتٍ ﴿قانِتاتٍ﴾:..................

قولُهُ: (ذَنبٌ) يعني: فقد وُجِدَ منكُما ما يوجِبُ التَّوبةَ، وهو ميلُ قلوبِكُما عن الواجبِ من مخالطةِ الرَّسولِ بحبِّ ما يحبُّهُ وكراهةِ ما يكرهُهُ.

قولُهُ: (مَحذُوفٌ) الظَّاهرُ أنَّ جوابَهُ قوله: ﴿فَقَدْ صَغَتْ﴾.

قولُهُ: (لاستِثقَالِ الجَمْعِ) ولعدمِ الإلباسِ؛ كطويلِ الشَّوارِبِ، وعريضِ الحواجِبِ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) للكوفيِّ[1].

قولُهُ: (بِدُونِهَا) أي: التَّاءِ الثَّانيةِ، أو إحدى التَّاءينِ ولو قالَ: بدونِهِ ـ أي: الإدغامِ ـ لكانَ أولى.

قولُهُ: (نَاصِرُهُ) أي: فلن يُعدمَ مَن يظاهرُهُ من اللهِ والملائكةِ وصُلحاءِ المؤمنينَ؛ فإنَّ اللهَ ناصرُهُ، وجبريلَ رئيسُ الكروبيين قرينُهُ، ومَن صَلُحَ من المؤمنينَ أتباعُهُ وأعوانُهُ، والملائكةُ متظاهِرونَ.

قولُهُ: (أَبو بَكرٍ وعُمَرُ) وقيل: نزلَت في عُمَرَ خاصَّةً، كذا في «المبهماتِ»[2]، والأظهرُ: أنَّ المرادَ بالصَّالحِ: الجنسُ، ولذلك عمَّ بالإضافةِ.

قولُهُ: (بالتَّشدِيدِ) نافعٌ وبصريٌّ[3].

قولُهُ: (أزوَاجَهُ) على تعميمِ الخطابِ، أو التَّغليبِ.

قولُهُ: (خَبرُ: ﴿عَسَى﴾) أي: قولُهُ: ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ﴾.

قولُهُ: (مُخلِصَاتٍ) أو منقاداتٍ مصدِّقاتٍ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٣).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٠). ورواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ١٨٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٣٣٣).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٣).

مُطيعات، ﴿تائباتٍ عابِداتٍ سائحاتٍ﴾: صائماتٍ أو مُهاجرات، ﴿ثَيِّباتٍ وأبكارًا﴾.

٦ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، قُوا أنفُسَكُم وأهلِيكُم﴾ بالحمل على طاعة الله ﴿نارًا، وَقُودُها النّاسُ﴾: الكفّار ﴿والحِجارةُ﴾ كأصنامهم منها ـ يعني أنها مُفرطة الحرارة تتّقد بما ذُكر لا كنار الدنيا تتّقد بالحطب ونحوه ـ ﴿علَيها مَلائكةٌ﴾: خزَنتها عِدّتهم تسعةَ عشَرَ كما سيأتي في «المدّثّر» ﴿غِلاظٌ﴾ من غِلظ القلب ﴿شِدادٌ﴾ في البطش، ﴿لا يَعصُونَ اللهَ ما أمَرَهُم﴾: بدلٌ من الجلالة، أي: لا يعصون أمرَ الله، ﴿ويَفعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ﴾: تأكيدٌ ـ والآية تخويف للمُؤمنين عن الارتداد وللمُنافقين المُؤمنين بألسنتهم دُون قُلوبهم ـ ٧ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ كَفَرُوا، لا تَعتَذِرُوا اليَومَ﴾ يقال لهم ذلك عِند دُخولهم النارَ، أي: لأنه لا ينفعكم. ﴿إنَّما تُجزَونَ ما كُنتُم تعمَلُونَ﴾ أي: جزاءه.

٨ ـ ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا، تُوبُوا إلَى اللهِ تَوبةً نَصُوحًا﴾، بفتح النون وضمّها: صادقةً بألاّ يُعادَ إلى الذنب، ولا يُرادَ العودُ إليه، ﴿عَسَى رَبُّكُم﴾: تَرجيةٌ تَقَعُ.............................

قولُهُ: (مُطِيعَاتٍ) أو مواظباتٍ على الطَّاعةِ، أو مصلِّياتٍ.

قولُهُ: (صَائِمَاتٍ) سُمِّي الصَّائمُ سائحاً؛ لأنَّهُ يسيحُ بالنَّهارِ بلا زادٍ.

قولُهُ: (فِي البَطْشِ) أي: أقوياءُ على الأفعالِ الشَّديدةِ، أو غلاظُ الأقوالِ شِدادُ الأفعالِ، أو غلاظُ الخُلُقِ شِدادُ الخَلقِ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) أو الأوَّلُ فيما مضى، والثَّاني فيما يستقبَلُ.

قولُهُ: (أي: أنَّهُ) أي: العذرَ على الفرضِ، أو على زعمِهم.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) شعبةُ[1]، وهو مصدرٌ؛ بمعنى: النُّصحِ، تقديرُهُ: ذاتُ نصوحٍ، أو تنصحُ نصوحاً، أو توبوا نُصحاً لأنفسِكُم.

قولُهُ: (صَادِقَةً) أو بالغةً في النُّصحِ، وهو في الأصلِ صفةُ التَّائبِ، فإنَّهُ ينصحُ نفسَهُ بالتَّوبةِ، وُصِفَت به على الإسنادِ المجازيِّ مبالغةً.

قولُهُ: (بأَنْ لا يُعَادَ) هذا شَرطُ الكمالِ.

قولُهُ: (ولا يُرَادُ) هذا شَرطُ الصِّحَّةِ.

قولُهُ: (تَرجِيَةٌ) ذكرَ بصيغةِ الإطماعِ جرياً على عادةِ الملوكِ، وإشعاراً بأنَّهُ تفضُّلٌ، والتَّوبةُ غيرُ موجبةٍ، وأنَّ العبدَ ينبغي أن يكونَ بينَ خوفٍ ورجاءٍ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٣).

﴿أن يُكَفِّرَ عَنكُم سَيِّئَاتِكُم، ويُدخِلَكُم جَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿تَجرِي مِن تَحتِهَا الأنهارُ يَومَ لا يُخزِي اللهُ﴾، بإدخال النّار، ﴿النَّبِيَّ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُم يَسعَى بَينَ أيدِيهِم﴾: أمامَهم ﴿و﴾ يكون ﴿بِأَيمانِهِم، يَقُولُونَ﴾، مُستأنف: ﴿رَبَّنا، أتمِمْ لَنا نُورَنا﴾ إلى الجنّة ـ والمُنافقون يَطفأ نورُهم ـ ﴿واغفِرْ لَنا. إنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾.

٩ ـ ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ، جاهِدِ الكُفّارَ﴾ بالسيف ﴿والمُنافِقِينَ﴾ باللسان والحُجّة، ﴿واغلُظْ عَلَيهِم﴾ بالانتهار والمقت. ﴿ومأواهُم جَهَنَّمُ، وبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي!

١٠ ـ ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امرأةَ نُوحٍ وامرأةَ لُوطٍ. كانَتا تَحتَ عَبدَينِ مِن عِبادِنا صالِحَينِ، فخانَتاهُما﴾ في الدِّين إذ كفرَتا ـ وكانت امرأةُ نُوح واسمها واهِلةُ تقول لقومه: إنه مجنون. وامرأةُ لُوط واسمها واعِلةُ تدلّ قومه على أضيافه إذا نزلوا به ليلاً بإيقاد النار ونهارًا بالتدخين ـ ﴿فلَم يُغنِيا﴾ أي: نُوحٌ ولُوط ﴿عَنهُما مِنَ اللهِ﴾: من عذابه ﴿شَيئًا! وقِيلَ﴾ لهما: ﴿ادخُلا النّارَ مَعَ الدّاخِلِينَ﴾ من كُفّار قوم نُوح وقوم لُوط.

١١ ـ ﴿وضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امرأةَ فِرعَونَ﴾، آمنت بمُوسى واسمها آسِيةُ فعذّبها فرعون بأن أوتد يديها ورجليها، وألقى على صدرها رحًى عظيمة واستقبل بها الشمسَ، فكانت إذا تفرّق عنها من وُكل بها ظلّلتها الملائكة، ﴿إذ قالَتْ﴾ في حال التعذيب:..

قولُهُ: (بإدخَالِ النَّارِ) إشارةٌ إلى أنَّ: ﴿يَوْمَ﴾ ظرفٌ لـ﴿يدخل﴾، وعطفَ ﴿الَّذِيْنَ آمَنُوا﴾ على: ﴿النَّبِيِّ﴾ إحماداً لهم، وتعريضاً لمن ناوأهُم، وقيل: مبتدأٌ خبرُهُ: ﴿نورُهُم...﴾ إلخ.

قولُهُ: (يَكُونُ) لا ضَرُورةَ إلى تقديرِهِ.

قولُهُ: (بالانتِهَارِ) أي: استعملِ الخشونةَ فيما تجاهدُهُم، إذ بلغَ الرِّفقُ غايتَهُ واللُّطفُ نهايتَهُ.

قولُهُ: (هيَ) أي: جهنَّمُ، أو مأواهُم.

قولُهُ: (في الدِّينِ) وقيل: بالنِّفاقِ.

قولُهُ: (وَاهِلَةُ) أو والفةُ.

قولُهُ: (وَاعِلَةُ) أو والهةُ.

قولُهُ: (وقَومِ لُوطٍ) الَّذينَ لا وصلةَ بينَهُم وبين الأنبياءِ.

قولُهُ: (آمَنَتْ) فيهِ إشارةٌ إلى أنَّ وصلةَ الكافرينِ لا تضرُّ مع الإيمانِ، كما أنَّ وصلةَ الأنبياءِ لا تنفعُ معَ الكفرِ.

﴿رَبِّ، ابنِ لِي عِندَكَ بَيتًا في الجَنّةِ﴾، فكُشف لها فرأته فسهُل عليها التعذيب، ﴿ونَجِّني مِن فِرعَونَ وعَمَلِهِ﴾: وتعذيبه، ﴿ونَجِّني مِنَ القَومِ الظّالِمِينَ﴾ أهل دينه. فقبض الله رُوحها. وقال ابن كَيسانَ: رُفعت إلى الجنّة حيّة فهي تأكل وتشرب ـ ١٢ ـ ﴿ومَريَمَ﴾: عطفٌ على «امرأةَ فِرعون» ﴿ابنتَ عِمرانَ الّتي أحصَنَتْ فَرْجَها﴾: حفظتْه، ﴿فنَفَخْنا فِيهِ مِن رُوحِنا﴾ أي: جِبريلَ حيثُ نفخ في جَيب دِرعها بخلق الله ـ تعالى ـ فِعلَه الواصلَ إلى فرجها فحملتْ بعيسى، ﴿وصَدَّقَتْ بِكَلِماتِ رَبِّها﴾: شرائعِه ﴿وكُتُبِهِ﴾ المُنْزَلَة، ﴿وكانَتْ مِنَ القانِتِينَ﴾: من القوم المُطيعين.

قولُهُ: (عَلى ﴿امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾) تسليةٌ للأراملِ.

قولُهُ: (حَفِظَتْهُ) من الرِّجالِ.

قولُهُ: (جِبرِيلَ) أو من روحٍ خَلَقناهُ بلا توسُّطِ أصلٍ.

قولُهُ: (إلَى فَرجِهَا) فقولُهُ: ﴿فيه﴾ يعني: في فرجِها، وقُرئَ: (فيها)[1] أي: في مريمَ.

قولُهُ: (المُنَزَّلَةِ) وقرأ غيرُ البصريِّ وحفصٌ بالإفرادِ للجنسِ[2].

قولُهُ: (المُطِيعِينَ) المواظبينَ على الطَّاعةِ، والتَّذكيرُ للتَّغليبِ، والإشعارِ بأنَّ طاعتَها لم تقصُرْ عن طاعةِ الرِّجالِ الكاملينَ حتَّى عدَّتْ من جملتِهِم، عن النَّبيِّ ﷺ: «كمُلَ مِنَ الرِّجالِ كثيرٌ، ولمْ يكمُلْ مِنَ النِّساءِ إلَّا أربعٌ: آسيةُ بنتُ مزاحمٍ امرأةُ فرعونَ، ومريمُ بنتُ عمرانَ، وخديجةُ بنتُ خويلدَ، وفاطمةُ بنتُ محمَّدٍ، وفضلُ عائشةَ على النِّساءِ كفضلِ الثَّريدِ على سائرِ الطَّعامِ» رواهُ أبو نُعيم في «الحليةِ»[3]، وأصلُهُ في الصَّحيحِ[4] بدونِ ذكرِ خديجةَ وفاطمةَ، واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

* * *

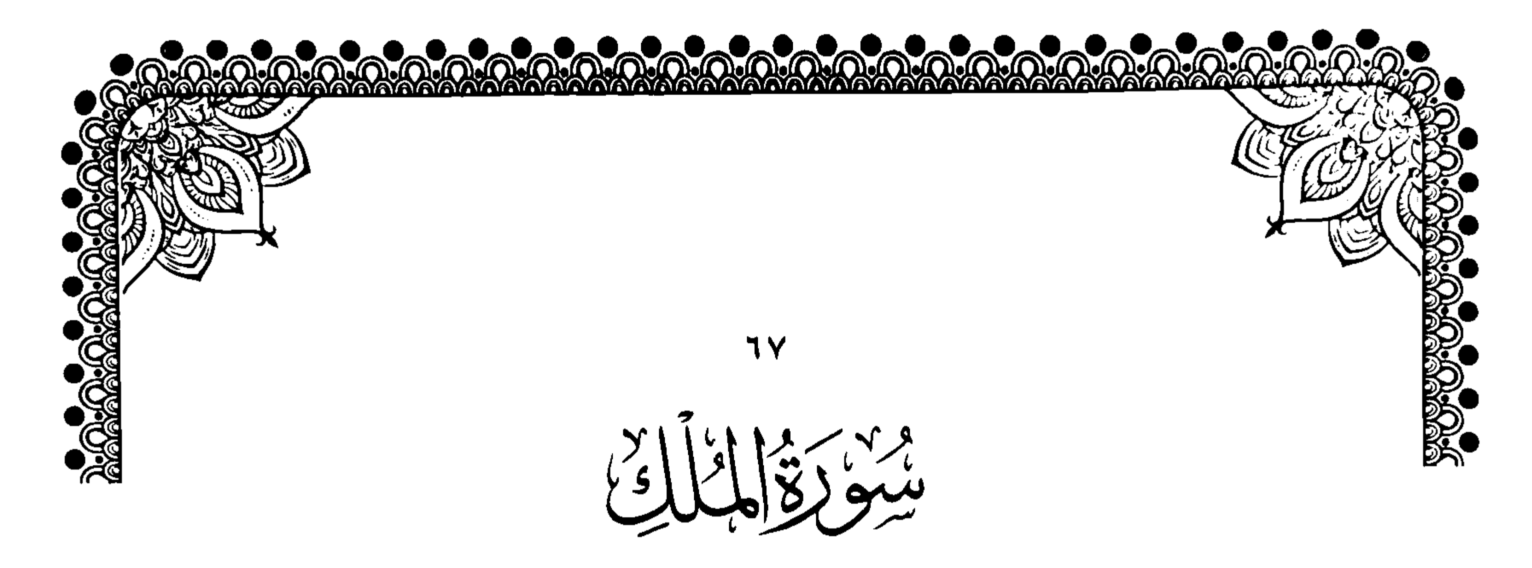
---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن مسعد، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٧٨).

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٣).

(٣) وكذلك قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٦٧) إلا أن الذي رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٩٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه، موافق لما هو في «الصحيحين»؛ أي: من دون ذكر خديجة وفاطمة رضي الله عنهما، فالله أعلم.

(٤) رواه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.



٦٧

سورة المُلك

مكية، ثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿تبارَكَ﴾: تَنزَّهَ عن صِفات المُحدَثين ﴿الَّذي بِيَدِهِ﴾: في تصرّفه ﴿المُلكُ﴾: السلطان والقُدرة، ﴿وهُوَ علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ المَوتَ﴾ في الدنيا ﴿والحَياةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا ـ فالنطفة تَعرِض لها الحياةُ وهي ما به الإحساسُ، والموتُ ضِدُّها أو عَدَمُها، قولانِ. والخلق على الثاني بمعنى التقدير ـ ﴿لِيَبلُوَكُم﴾: ليختبركم...

سورة المُلك

قولُهُ: (تَنزَّهَ) الظَّاهِرُ: تعالى وتعظَّمَ، أو كثُرَ خيرُه.

قولُهُ: (فِي تَصرُّفِه) وقبضَةِ قُدرَته.

قولُهُ: (السُّلطَانُ) أي: سلطَنَةُ الخَلقِ وقُدرَتِهم، بل في جميعِ الأمُورِ.

قولُهُ: (أَو هُمَا فِي الدُّنيَا) أو هي فيهِما.

قولُهُ: (قَولانِ) اختلفَ العلماءُ، هل الموتُ صفةٌ وُجوديَّةٌ مُضادَّةٌ للحياةِ كما دلَّتْ عليهِ الآيَةُ، أو هو عدمُ الحياةِ؟ فمَن قالَ بالثَّاني ذكَر في تفسيرِهما: قدَّرَهُما، أو أوجدَ الحياةَ وأزالَها حسبما قدَّرَه، والمرادُ منَ (الخلقِ) هاهُنا: الإنشاءُ والإبداعُ الشَّامِلُ لمعناهُ الحقيقيِّ ـ أَعنِي: الإيجادَ ـ، والمجازِيِّ ـ أَعني: الإثباتَ ـ بعدَما لم يَثبُت فهوَ من قَبِيلِ عُمومِ المجازِ، وقدَّمَ الموتَ لقولِهِ: ﴿وكُنتُم أَمواتاً فَأَحيَاكُم﴾ [البقرة: ٢٨]، أو لأَنَّهُ أدعى إلى حُسنِ العَمَلِ.

قولُهُ: (لِيَختَبِرَكُم) أي: لِيُعامِلَكُم مُعامَلَةَ المختَبِرِ بالتَّكليفِ أيُّها المكَلَّفونَ.

في الحياة: ﴿أَيُّكُم أحسَنُ عَمَلاً﴾: أطوعُ للهِ؟ ﴿وهُوَ العَزِيزُ﴾ في انتقامه ممّن عصاه ﴿الغَفُورُ﴾ لمن تاب إليه.

٣ ـ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبعَ سَماواتٍ طِباقًا﴾: بعضُها فوقَ بعض من غير مُماسّة، ﴿ما تَرَى في خَلقِ الرَّحمنِ﴾ لهنّ أو لغيرهنّ ﴿مِن تَفاوُتٍ﴾: تباينٍ وعدم تناسُب. ﴿فارجِعِ البَصَرَ﴾: أعِدْه إلى السماء: ﴿هَل تَرَى﴾ فيها ﴿مِن فُطُورٍ﴾: صُدوع وشُقوق؟ ٤ ـ ﴿ثُمَّ ارجِعِ البَصَرَ كَرَّتَينِ﴾: كرّةً بعد كرّة، ﴿يَنقَلِبْ﴾: يرجعْ ﴿إلَيكَ البَصَرُ خاسِئًا﴾: ذليلاً لعدم إدراك خلل، ﴿وهُوَ حَسِيرٌ﴾ مُنقطع عن رُؤيةِ خللٍ. ٥ ـ ﴿ولَقَد زَيَّنّا السَّماءَ الدُّنيا﴾: القُربَى إلى الأرض ﴿بِمَصابِيحَ﴾:..........

قولُهُ: (في الحَيَاةِ) أي: الدُّنيَويَّة.

قولُهُ: (أَطوَعُ) أي: أكثَرُ طاعَةً وانقيادًا، وأصوَبُهُ وأخلَصُهُ، وجاءَ مَرفوعاً: «أَحسَنُ عَقْلاً، وأورَعُ عن مَحَارِمِ اللهِ، وأَسرَعُ في طَاعَتِهِ»[1] وقيلَ: أزهَدُكُم في الدُّنيا، وقيل: أكثَرُكُم ذِكراً للمَوتِ وأشَدُّكُم استِعدادًا له.

قولُهُ: (مِن غَيرِ مُمَاسَّةٍ) ومُعالَجَة، وهو إمَّا مَفعولٌ ثانٍ، أو صِفَةٌ لـ﴿سَبعِ سَمَاوَاتٍ﴾؛ أي: ذاتَ طِباقٍ، جمعُ: طَبَقَة.

قولُهُ: (تَبايُنٍ) أي: تَنافُرٍ وتَناقُضٍ وتَخالُفٍ، و﴿مِن﴾ زائِدةٌ للتَّأكيدِ، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: (مِن تَفَوُّتٍ)[2]، والخِطابُ لكلِّ مُخاطَبٍ.

قولُهُ: (أَعِدْهُ) أي: انظُر إليها مرَّةً أخرى نظرَةَ[3] تأمُّلٍ.

قولُهُ: (صُدُوعٍ) أو خَللٍ.

قولُهُ: (بَعدَ كَرَّةٍ) أي: التَّثنِيَةُ بمَعنى التَّكريرِ والتَّكثيرِ، كما في: لَبَّيكَ وسَعديكَ.

قولُهُ: (مُنقَطِعٌ) كَلِيلٌ؛ لطولِ التَّرَدُّد.

قولُهُ: (القُربَى) أي: أقرَبُ السَّماواتِ.

---

(١) رواه الحارث بن أبي أسامة كما في «المطالب العالية» (٢٧٨١)، والطبري في «تفسيره» (١٧٩٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٠٦) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

قال ابن حجر في «المطالب العالية» (١٣/ ٧٢٥): هذه الأحاديث من كتاب «العقل» لداود بن المحبر، كلها موضوعة، ذكرها الحارث في «مسنده».

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٤٤)، و«التسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٢).

(٣) في (م): «نظر».

بنُجوم، ﴿وجَعَلْناها رُجُومًا﴾: مَراجمَ ﴿لِلشَّياطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع بأن ينفصل شِهاب عن الكوكب كالقبس يُؤخذ من النار، فيَقتل الجِنّيَّ أو يُخبّله لا أنّ الكوكب يزول عن مكانه، ﴿وأعتَدْنا لَهُم عَذابَ السَّعِيرِ﴾: النارِ المُوقدة.

٦ ـ ﴿ولِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِم عَذابُ جَهَنَّمَ، وبِئسَ المَصِيرُ﴾ هي! ٧ ـ ﴿إذا أُلقُوا فِيها سَمِعُوا لَها شَهِيقًا﴾: صوتًا مُنكرًا كصوت الحِمار، ﴿وهِيَ تَفُورُ﴾: تغلي، ٨ ـ ﴿تكادُ تَمَيَّزُ﴾، وقُرئ: «تَتَمَيَّزُ» على الأصل: تتقطّع ﴿مِنَ الغَيظِ﴾ غضبًا على الكافر، ﴿كُلَّما أُلقِيَ فِيها فَوجٌ﴾: جماعة منهم ﴿سأَلَهُم خَزَنَتُها﴾ سُؤالَ توبيخ: ﴿أَلَم يأتِكُم نَذِيرٌ﴾: رسول يُنذركم عذاب الله؟ ٩ ـ ﴿قالُوا: بَلَى قَد جاءَنا نَذِيرٌ، فكَذَّبْنا وقُلْنا: ما نَزَّلَ اللهُ مِن شَيءٍ. إنْ﴾: ما ﴿أنتُم إلاّ في ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾. يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكُفّار حين أُخبروا بالتكذيب، وأن يكون من كلام الكُفّار للنُّذر. ١٠ ـ ﴿وقالُوا: لَو كُنّا نَسمَعُ﴾ أي: سماعَ تفهّم ﴿أو نَعقِلُ﴾ أي: عقلَ تفكّر ﴿ما كُنّا في أصحابِ السَّعِيرِ﴾.

١١ ـ ﴿فاعتَرَفُوا﴾ حيثُ لا ينفع الاعتراف ﴿بِذَنبِهِم﴾، وهو تكذيب الرسل. ﴿فسُحْقًا﴾.........

قولُهُ: (بنُجُومٍ) مُضيئةٍ كالمصباحِ، ولا يَمنَعُ ذلك كَونَ بعضِ الكَواكِبِ مَركوزَةً في السَّماواتِ فَوقَها؛ إذِ التَّزيُّنُ بإظهارِها عليها.

قولُهُ: (مَرَاجِمَ) الرُّجُومُ جمعُ: رَجْم ـ بالفتحِ ـ وهو مصدَرٌ، سُمِّيَ به ما يُرجَمُ به[1].

قولُهُ: (شِهَابٌ) ككِتابٌ، شُعلَةٌ من نارٍ ساطِعَةٌ[2].

قولُهُ: (أَن يُخَبِّلَهُ) التَّخبيلُ: إفسادُ العَقلِ.

قولُهُ: (النَّارِ المُوقَدَةِ) في الآخِرَةِ بعدَ الإحراقِ بالشُّهُبِ في الدُّنيا.

قولُهُ: (تَغلِي) بهم غَلَيانَ المِرجَلِ بما فيه.

قولُهُ: (تَنقَطِعُ) وتَتَفَرَّقُ.

قولُهُ: (لِلنُّذُرِ) وهذا هو الأظهَرُ.

قولُهُ: (سَمَاعَ تَفَهُّمٍ) أي: كلامَ الرُّسُلِ.

قولُهُ: (عَقلَ تَفَكُّرٍ) في حُكمِهِ ومعانيهِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١١١١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣).

- بسكون الحاء وضمّها - ﴿لِأصحابِ السَّعِيرِ﴾: فبُعدًا لهم عن رحمة الله. ١٢ - ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم﴾: يخافونه ﴿بِالغَيبِ﴾: في غيبتهم عن أعيُن الناس، فيطيعونه سِرًّا فيكون علانيةً أولى، ﴿لَهُم مَغفِرةٌ وأجرٌ كَبِيرٌ﴾، أي: الجنة.

١٣ - ﴿وأَسِرُّوا﴾ - أيها الناس - ﴿قَولَكُم أوِ اجهَرُوا بِهِ. إنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾: بما فيها. فكيف بما نطقتم به؟ وسببُ نزول ذلك أنّ المُشركينِ قال بعضهم لبعض: أسرّوا قولكم، لا يسمعْكم إلـٰـهُ مُحمّد. ١٤ - ﴿ألا يَعلَمُ مَن خَلَقَ﴾ ما تُسرّون، أي: أينتفي عِلمه بذلك، ﴿وهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في عِلمه ﴿الخَبِيرُ﴾ فيه؟ لا. ١٥ - ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ ذَلُولاً﴾ سهلة للمشي فيها - ﴿فامشُوا في مَناكِبِها﴾: جوانبها، ﴿وكُلُوا مِن رِزقِهِ﴾ المخلوقِ لأجلكم - ﴿وإلَيهِ النُّشُورُ﴾ من القُبور للجزاء.

١٦ - ﴿أأمِنتُم﴾ - بتحقيق الهمزتين، وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينها وبين الأُخرى وتركِه، وإبدالِها ألفًا - ﴿مَن في السَّماءِ﴾ سُلطانُه وقُدرتُه ﴿أن يَخسِفَ﴾: بدلٌ مِن «مَن» ﴿بِكُمُ الأرضَ، فإذا هِيَ تَمُورُ﴾: تتحرّك بكم وترتفع فوقكم؟..

قولُهُ: (وضَمِّهَا) كسائِي[1].

قولُهُ: (فَبُعداً) مَفعولٌ مُطلَقٌ وَجبَ حَذفُ فعلِهِ؛ أي: سَحقَهُم الله سَحقاً.

قولُهُ: (عَن أَعيُنِ النَّاسِ) أو عن اللهِ (أو يَخَافُونَ) عَذابَهُ غائِباً عَنهُم.

قولُهُ: (أي: الجَنَّةُ) لأَنَّها تَصغُرُ دُونَها لذائِذُ الدُّنيا.

قولُهُ: (بِمَا فِيهَا) من الضَّمائِرِ قَبلَ أن يُعَبَّرَ عَنها سِرًّا أو جَهراً.

قولُهُ: (لا) أي: لا يَنتَفي عِلمُهُ بذلك.

قولُهُ: (لِلمَشيِ) والحَرثِ والغَرسِ والبِناء.

قولُهُ: (بتَحقِيقِ) تقدَّم[2].

قولُهُ: (وَقُدرَتُه) أي: آثارُ قُدرَتِهِ، خَصَّ السَّماءَ؛ لأَنَّها مَساكِنُ مَلائِكَتِهِ وعَرشِهِ وكُرسِيِّهِ، ومنها يَنزِلُ قَضاؤُهُ وكُتُبُهُ وأمرُهُ ونَهيُه.

قولُهُ: (بَدَلٌ) بَدَلُ اشتِمالٍ، كذا قالوا، والأظهَرُ أن يُقدَّرَ «مِن»؛ أي: أَمِنتُموهُ من الخَسفِ أو الإرسالِ، والله أعلمُ بالأحوالِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٢)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٤).

(٢) في الآية رقم: (٨) من سورة ص.

١٧ ـ ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ﴾: بدلٌ مِن «مَن» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾: رِيحًا ترميكم بالحصباء؟ ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عِند مُعاينة العذاب: ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾: إنذاري بالعذابِ؟ أنه حقّ. ١٨ ـ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم، ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾: إنكاري عليهم التكذيبَ عِند إهلاكهم؟ أي: إنه حقّ.

١٩ ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾: ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَافَّاتٍ﴾: باسطاتٍ أجنحتَهنّ، ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ أجنحتَهنّ بعد البسط، أي: وقابضاتٍ؟ ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوُقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَٰنُ﴾ بقُدرته. ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾. المعنى: ألم يستدِلّوا، بثُبوت الطير في الهواء، على قُدرتنا أن نفعل بهم ما تقدّم وغيرَه من العذاب؟

٢٠ ـ ﴿أَمَّنْ﴾: مبتدأٌ ﴿هَٰذَا﴾: خبرُه ﴿الَّذِي﴾: بدلٌ من «هذا» ﴿هُوَ جُندٌ﴾: أعوان ﴿لَّكُمْ﴾: صلةُ «الذي»، ﴿يَنصُرُكُم﴾: صفةُ «جُند» ﴿مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ﴾ أي: غيرِه، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ـ ﴿إِنِ﴾: ما ﴿الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ غرّهم الشيطانُ بأنّ العذاب لا ينزل بهم ـ ٢١ ـ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُ﴾ أي: المطرَ عنكم؟ وجواب الشرط محذوف، دلّ عليه ما قبله، أي: فمَن يرزقُكم؟ أي: لا رازق لكم غيرُه ـ ﴿بَل لَّجُّوا﴾: تمادَوا ﴿فِي عُتُوٍّ﴾: تكبّر......................

قولُهُ: (رِيحاً) أو مَطَراً ذا حجارَةٍ.

قولُهُ: (عِندَ مُعَايَنةِ العَذَابِ) لكن لا يَنفعُكُم العِلمُ حينَئِذٍ.

قولُهُ: (أي: أنَّهُ حَقٌّ) وهو تَسليةٌ للرَّسُولِ وتَهديدٌ لقومِهِ.

قولُهُ: (في الهَوَاءِ) عندَ طَيَرانِها.

قولُهُ: (أي: وَقَابِضَات) وفي «الصحاح»[1]: القَبضُ الإسراعُ، ومنه قولُهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ الآية [الملك: ١٩].

قولُهُ: (بَدَلٌ) أو صِفتُه.

قولُهُ: (صِفَةُ: جُندٍ) مَحمولٌ في الإفرادِ على لفظِهِ.

قولُهُ: (يَدفَعُ) تَفسيرٌ لـ﴿يَنصُرُكُم﴾.

قولُهُ: (أي: المَطَرَ) وسائِرَ الأسبابِ المحَصِّلَةِ والموصِلَةِ للرِّزقِ إليكم.

قولُهُ: (تَكَبُّرٍ) أو عِنادٍ.

---

(١) انظر: «الصحاح» (٣/ ١١٠٠).

﴿ونُفُورٍ﴾: تباعُد عن الحقّ. ٢٢ ـ ﴿أفمَن يَمشِي مُكِبًّا﴾: واقعًا ﴿علَى وَجهِهِ أهدَى أم مَن يَمشِي سَوِيًّا﴾: مُعتدلاً ﴿علَى صِراطٍ﴾: طريق ﴿مُستَقِيمٍ﴾؟ وخبر «مَن» الثانية محذوف، دلّ عليه خبرُ الأُولى، أي: أهدى. والمَثل في المُؤمن والكافر، أي: أيُّهما على هُدى؟

٢٣ ـ ﴿قُلْ: هُوَ الَّذِي أنشَأَكُم﴾: خلقكم، ﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمعَ والأبصارَ والأفئِدَةَ﴾: القُلوب، ﴿قَلِيلاً ما تَشكُرُونَ﴾. ما: مزيدة، والجملة: مستأنفة مُخبِرةٌ بقِلّة شُكرهم جِدًّا على هذه النِّعم. ٢٤ ـ ﴿قُلْ: هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُم﴾: خلقكم ﴿في الأرضِ، وإلَيهِ تُحشَرُونَ﴾ للحِساب. ٢٥ ـ ﴿ويَقُولُونَ﴾ للمُؤمنين: ﴿مَتَى هذا الوَعدُ﴾: وعد الحشر، ﴿إن كُنتُم صادِقِينَ﴾ فيه؟ ٢٦ ـ ﴿قُلْ: إنَّما العِلمُ﴾ بمجيئه ﴿عِندَ اللهِ، وإنَّما أنا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار.

قولُهُ: (تَبَاعُدٍ) وشرادٍ؛ لتَنَفُّرِ[1] طِباعِهِم عنه.

قولُهُ: (وَاقِعَاً) أي: يعثُرُ كُلَّ ساعَةٍ ويخِرُّ على وجهِهِ؛ لوُعورَةِ طريقِهِ واختِلافِ أجزائِه.

قولُهُ: (مُعتَدِلاً) أي: قائِماً سالِماً من السُّقوطِ.

قولُهُ: (طَرِيقٍ) مُستَوِي الأجزاءِ والجِهَة.

قولُهُ: (والمَثَلُ) يعني: المرادُ تمثِيلُ المشرِكِ والموحِّدِ بالسَّالِكينَ، والدِّينَينِ بالمسلَكَينِ، وقيل: المرادُ بالمُكبِّ الأعمى، وبالسَّويِّ البَصيرُ، وقيلَ: من يمشي مُكبًّا هو الذي يُحشَرُ على وَجهِهِ في النَّارِ، ومَن يَمشي سَويًّا الذي يُحشرُ على قَدَمَيهِ إلى الجَنَّة.

قولُهُ: (القُلُوبَ) أي: لتسمَعوا المَواعِظَ، وتَنظُروا صنائِعَهُ، وتَتَفكَّروا وتَعتَبروا.

قولُهُ: (﴿مَا﴾ مَزِيدَةٌ) لتَأكيدِ القِلَّةِ؛ أي: تشكُرونَ شُكراً قَليلاً لهذهِ النِّعَمِ باستِعمالِها فيما خُلِقَت لأجلِهِ.

قولُهُ: (خَلَقَكُم) أو بَثَّكُم ونَشَرَكُم.

قولُهُ: (للحِسَابِ) عن قَريبٍ.

قولُهُ: (لِلمُؤمِنِينِ) والأظهَرُ: للنَّبيِّ والمؤمِنينَ.

قولُهُ: (وَعدُ الحَشرِ) إنكاراً، وهو الأظهَرُ، أو وَعدُ العَذابِ في الدُّنيا استِهزاءً.

قولُهُ: (بِمَجِيئِهِ) الظَّاهِرُ: علمُ وقتِهِ.

قولُهُ: (بَيِّنُ الإِنذَارِ) ويَكفي له العِلمُ بوقُوعِ المنذَرِ به، ولا يَحتاجُ إلى تَعيينِ وَقتِه.

---

(١) في (م): «تباعد وتكبر لنفر».

٢٧ ـ ﴿فلَمّا رأَوهُ﴾ أي: العذابَ بعد الحشر ﴿زُلْفةً﴾: قريبًا ﴿سِيئَتْ﴾: اسودّتْ ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا، وقِيلَ﴾ أي: قال الخزنة لهم: ﴿هذا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ﴾: بإنذاره ﴿تَدَّعُونَ﴾ أنكم لا تُبعثون. وهذه حِكاية حال تأتي، عُبِّر عنها بطريق المُضيّ لتحقّق وقوعها.

٢٨ ـ ﴿قُلْ: أرَأَيتُم، إن أهلَكَنيَ اللهُ ومَن مَعِيَ﴾ من المُؤمنين بعذابه كما تقصدون، ﴿أو رَحِمَنا﴾ فلم يُعذّبنا، ﴿فمَن يُجِيرُ الكافِرِينَ مِن عَذابٍ أليمٍ﴾؟ أي: لا مُجيرَ لهم منه. ٢٩ ـ ﴿قُلْ: هُوَ الرَّحمنُ، آمَنّا بِهِ، وعَلَيهِ تَوَكَّلْنا. فسَتَعلَمُونَ﴾ ـ بالتاء والياء ـ عِند مُعاينة العذاب: ﴿مَن هُوَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾: بيِّنٍ؟ أنحن أم أنتم أم هم؟

٣٠ ـ ﴿قُلْ: أرَأَيتُم، إن أصبَحَ ماؤُكُم غَورًا﴾ أي: غائرًا في الأرض ﴿فمَن يأتِيكُم بِماءٍ مَعِينٍ﴾: جارٍ تناله الأيدي والدِّلاء كمائكم؟ أي: لا يأتي به إلاّ الله..............................

قولُهُ: (أي: العَذَابَ) أي: الوَعدَ، فإنَّهُ بمَعنى الموعودِ.

قولُهُ: (قَرِيباً) أو ذا زلفَةٍ؛ أي: قُرْبَ منهم، وانتصابُهُ على الظَّرفِ أو الحالِ.

قولُهُ: (اسوَدَّتْ) أي: بانَ عليها الكآبَةُ والسَّوادُ، وساءَتها رُؤيَةُ العَذابِ.

قولُهُ: (أي: قَالَ الخَزَنَةُ لَهُم) أو الأنبياءُ والمؤمِنونَ تَقريعاً، أو بلسانِ الحالِ.

قولُهُ: (بإنذَارِهِ) أي: بسَبَبِه.

قولُهُ: (لا تُبعَثُونَ) فهو من الدَّعوَى، إذ به تَطلُبونَ وتستَعجِلونَ، تفتَعِلونَ من الدُّعاءِ.

قولُهُ: (بعَذَابِهِ) أو بالإماتَةِ.

قولُهُ: (فَلَم يُعَذِّبْنَا) أو فأخَّرَ آجَالَنا.

قولُهُ: (أي: لا مُجِيرَ) ولا مُنجيَ، مُتنا أو بقينا[1].

قولُهُ: (والياءُ) الغَيبَة، للكِسائِي[2].

قولُهُ: (أَم أَنتُم) على قِراءَةِ الخِطابِ[3].

قولُهُ: (غَائِراً) بحيثُ لا يَنالُهُ الدِّلاءُ، مصدَرٌ وُصِفَ به.

قولُهُ: (جَارٍ) أو ظاهِرٍ.

---

(١) في (ص) و(م): «ظَنًّا أو يَقينًا».

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٢)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٤).

(٣) أي: لغير الكسائي.

فكيف تُنكرون أن يبعثكم؟ ويُستحبُّ أن يقول القارئ عقب «مَعين»: اللهُ رَبُّ العالَمِينَ، كما ورد في الحديث. وتُليتْ هذه الآية عند بعض المُتجبّرين، فقال: تأتي به الفُؤوس والمَعاول. فذهب ماء عينه وعمِي. نعوذ بالله من الجرأة على الله ـ تعالى ـ وعلى آياته.

قولُهُ: (الفُؤُوسُ) جمعُ: فأسٍ.

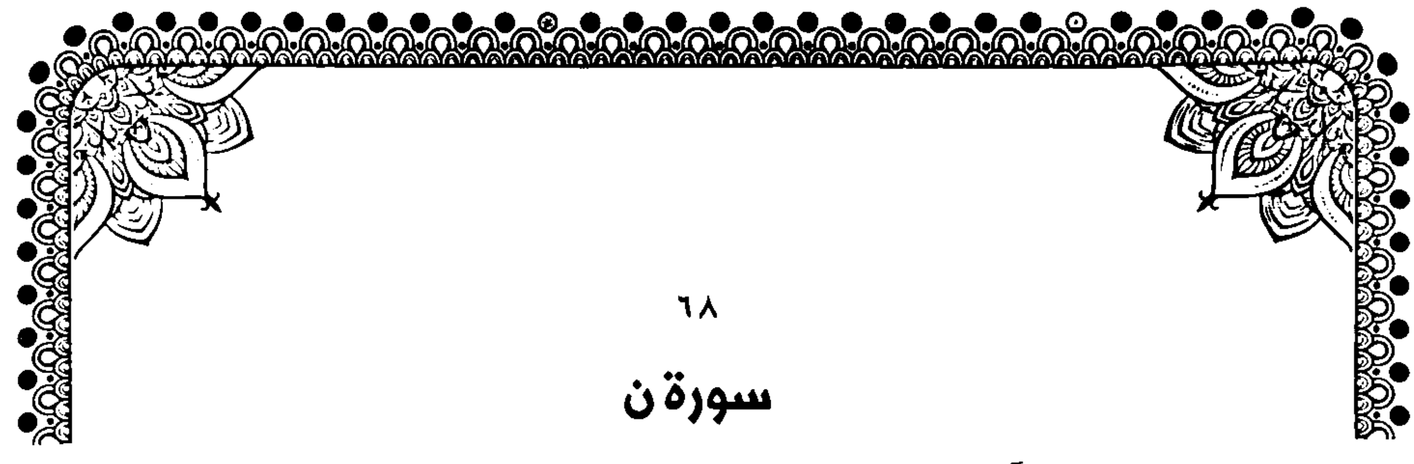
قولُهُ: (والمَعَاوِلُ) جمعُ: مِعوَل، كمِنبَرٍ، الحَديدَةُ يُنقَرُ بها الجِبالُ[1].

وورَدَ في فَضلِ هذه السُّورَةِ: «لَوَدِدتُ أنَّها في قَلبِ كُلِّ إنسَانٍ مِن أُمَّتِي» رواهُ الطَّبَرانيُّ[2] والله أعلم.

***

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٠٣٧).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «المتمنين» (١٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٤١) (١١٦١٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٧٧) وقال الحاكم: هذا إسناد عند اليمانيين صحيح ولم يخرجاه.
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٢٧): فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان، وهو ضعيف.



٦٨

سورة ن

مكية، ثنتانِ وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿ن﴾: أحدُ حروف الهجاء، اللهُ أعلم بمُراده به.

﴿والقَلَمِ﴾ الذي كُتب به الكائناتُ في اللوح المحفوظ ﴿وما يَسطُرُونَ﴾، أي: الملائكةُ ....

سورة ن

قولُهُ: (أَحَدُ حُرُوفِ الهِجَاءِ) يعني: أنَّه ليسَ اسماً للحوتِ، أو الدَّواةِ كما قيلَ، لكنَّ النَّفيَ غيرُ مُناسِبٍ، فإنَّ الأوَّلَ مَنقولٌ عن كَثيرٍ من السَّلَفِ منهم ابنُ عبَّاسٍ[١]، والثَّاني عن الحسَنِ وقتادَة[٢] وغيرهما، وقيلَ: مفتاحُ اسمِهِ نُورٌ وناصِرٌ، وقيلَ: أقسَمَ بنُصرَتِهِ المؤمِنينَ[٣].

قولُهُ: (في اللَّوحِ المَحفُوظِ) الوارِدِ في الحديثِ: «جَفَّ القَلَمُ بما هو كائِنٌ في عِلمِ الله»[٤] والمرادُ: كُلُّ قَلَمٍ ومَكتوبٍ.

قولُهُ: (أي: المَلائِكَةُ) فالضَّميرُ لأصحابِ القَلَمِ، أو الحَفَظَةِ، و﴿ما﴾ مصدَريَّةٌ، أو موصولَةٌ.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢١)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٤٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٧٧٠٣) بنحوه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٢٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٢٥) عن الحسن، وقتادة.

(٣) تعقب أكثر هذه الأقول في «البحر المحيط» (١٠/ ٢٣٤) بقوله: لعله لا يصح شيء من ذلك. ونقله عنه الآلوسي في «روح المعاني» (١٥/ ٢٧) وتوسع في البحث فيها، فانظره.

(٤) رواه الترمذي (٢٦٤٢)، وأحمد في «مسنده» (٦٨٥٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦١٦٩) بنحوه من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وروى البخاري (٥٠٧٦) من حديث أبي هريرة وفيه: «جف القلم بما أنت لاق».

من الخير والصلاح، ٢ ـ ﴿ما أنتَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجُنونُ عنك بسبب إنعام ربك عليك بالنبوّة وغيرها ـ وهذا ردّ لقولهم: إنه مجنونٌ ـ ٣ ـ ﴿وإنَّ لَكَ لَأجرًا غيرَ مَمنُونٍ﴾: مقطوع، ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ﴿وإنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ﴾: دِينٍ ﴿عَظِيمٍ. فَسَتُبصِرُ ويُبصِرُونَ: بِأَيِّكُمُ المَفتُونُ﴾؟ مصدرٌ كالمَعقول، أي: الفُتونُ بمعنى الجُنون، أي: أبِكَ أم بِهِم؟

٧ ـ ﴿إنَّ رَبَّكَ هُوَ أعلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ، وهُوَ أعلَمُ بِالمُهتَدِينَ﴾ له. وأعلم بمعنى: عالمٌ. ٨ ـ ٩ ـ ﴿فلا تُطِعِ المُكَذِّبِينَ. وَدُّوا﴾: تمنَّوا ﴿لَو﴾: مصدريّةٌ ﴿تُدهِنُ﴾: تَلينُ لهم ﴿فيُدهِنُونَ﴾: يلينون لك. وهو معطوف على «تُدهِنُ»...

قولُهُ: (مِنَ الخيرِ والصَّلاحِ) الظَّاهِرُ من الخَيرِ والشَّرِ.

قولُهُ: (يا مُحَمَّدُ) جوابٌ للقَسَم.

قولُهُ: (بسَبَب) أو وحقِّ نعمَةِ ربِّكَ.

قولُهُ: (مَقطُوعٍ) سَواءٌ آمَنوا أو لم يؤمِنوا، فإنَّ الأجرَ على الإبلاغِ، والاحتِمالِ لا يتَوقَّف على الامتِثالِ.

قولُهُ: (دِينٍ) أو وَصفٍ، وسُئِلت عائشَةُ عن خُلُقِهِ فقالَت: كانَ خُلُقُه القُرآنَ، ألستَ تَقرَأ القرآنَ: ﴿قَد أفلَحَ المؤمِنُون﴾ [المؤمنون: ١] رواهُ مُسلِم[١]، فأشارَت إلى بعضِ خُلُقِهِ، وأرادَتْ هذا وأمثالَهُ، وقالَ بعضُ العارِفينَ[٢]: لم يُؤثِّرْ فيكَ جَفاءُ الخَلقِ بعدَ مُطالَعَةِ عَطاءِ الحَقِّ.

قولُهُ: (مَصدَرٌ) والباءُ زائدَةٌ.

قولُهُ: (بمَعنَى: عَالِم) لا أعلمُ له وَجهاً.

قولُهُ: (مَصدَرِيَّةٌ) أي: وَدُّوا التَّداهُنَ؛ لكنَّهم أخَّروا إدهانَهُم حتَّى تُدهِن.

قولُهُ: (وَهوَ مَعطُوفٌ) وفي بعضِ المصاحِفِ: (فيُدْهِنُوا)[٣] على أنَّهُ جوابُ التَّمَنِّي.

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٠٨).

والذي رواه مسلم (٧٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها، ليس فيه ذكر للآية.

ولعل الأنسب هنا ما رواه أحمد في «مسنده» (٢٤٦٠١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٨٦٢) من حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه: أما تقرأ القرآن، قول الله عز وجل: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ [القلم: ٤]. وهو المناسب للموضع، فالله أعلم.

(٢) هو للحسين بن منصور الحلاج كما في «إحياء علوم الدين» (٣/ ٥٣).

(٣) ذكرها سيبويه في «الكتاب» (٣/ ٣٦) وقال: زعم هارون أنها في المصاحف. قلت: هو المقرئ هارون بن موسى الأزدي البصري.

وإن جُعل جوابَ التمنّي المفهومِ من «ودّوا» قُدّرَ قبله، بعد الفاء: «هم».

١٠ ـ ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلاّفٍ﴾: كثير الحَلْف بالباطل ﴿مَهِينٍ﴾: حقير، ١١ ـ ﴿هَمّازٍ﴾: عيّاب أو مُغتاب ﴿مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾: ساع بالكلام بين الناس على وجه الإفساد بينهم، ١٢ ـ ﴿مَنّاعٍ لِلخَيرِ﴾: بَخيلٍ بالمال عن الحُقوق ﴿مُعتَدٍ﴾: ظالم ﴿أثِيمٍ﴾: آثمٍ، ١٣ ـ ﴿عُتُلٍّ﴾: غليظ جافٍ ﴿بَعدَ ذلِكَ زَنِيمٍ﴾: دعيٍّ في قريش ـ وهو الوليد بن المُغيرة، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشْرةَ سنةً. قال ابن عبّاس: لا نعلم أنّ الله وصف أحدًا بما وصفه به من العُيوب، فألحقَ به عارًا لا يُفارقه أبدًا. وتعلّقَ بـ «زنيم» الظرفُ قبله ـ

قولُهُ: (بَعدَ الفَاءِ) للسَّببيَّةِ.

قولُهُ: (هُم) أي: فهم يُدهِنونَ حينَئِذٍ.

قولُهُ: (بالبَاطِلِ) وقالَ القاضِي[1]: في الحَقِّ والباطِلِ، ولعَلَّ الإطلاقَ؛ لأنَّ من يحلف كَثِيراً يَقَعُ في الكَذِب، وفي الحديثِ: «كَفَى بالمرءِ إثماً أن يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِع»[2].

قولُهُ: (حَقِيرٍ) عندَ الله، وعِندَ أوليائِهِ.

قولُهُ: (أَو) حقيرِ الرَّأيِ.

قولُهُ: (أي: مُغتَابٍ) فيه أنَّ الأوَّلَ أعمُّ.

قولُهُ: (سَاعٍ) أي: نَقَّالٍ للحَدِيثِ على وجهِ السِّعايةِ.

قولُهُ: (بَخِيلٍ) الظَّاهِرُ أنَّ مَعناهُ: يمنَعُ النَّاسَ عنِ الخَيرِ من الإيمانِ والإنفاقِ والعَمَلِ الصَّالِح.

قولُهُ: (ظَالِمٍ) أو مُتَجاوِزٍ في الظُّلمِ.

قولُهُ: (آثِمٍ) الظَّاهِرُ: كثيرِ الإثمِ.

قولُهُ: (غَلِيظٍ) من عَتَله: إذا قادَهُ بعُنفٍ وغِلْظَة.

قولُهُ: (دَعِيٍّ) مُتَّهمٍ في نَسَبِه.

قولُهُ: (في قُرَيشٍ) أي: مُستَلحَقٍ فيهم ليسَ منهم.

قولُهُ: (سَنَةً) من مَولِدِه.

قولُهُ: (قَبلَه) أي: بعدَ ذلكَ، والمعنَى: بعدَ ما عَدَّ مثالِبَه.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٣٤).

(٢) رواه مسلم في «مقدمة الصحيح» (١/ ١٠)، وأبو داود (٤٩٩٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي مسلم: «كذباً»، بدل: «إثماً».

١٤ ـ ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: لِأنْ، وهو مُتعلّق بما دلّ عليه: ١٥ ـ ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾: القُرآنُ ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: كذّبَ بها لِإنعامنا عليه بما ذُكر. وفي قراءةٍ: «أأن» بهمزتين مفتوحتين. ١٦ ـ ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾: سنجعل على أنفه علامة يُعيَّرُ بها ما عاش. فخُطم أنفه بالسيف يوم بدر.

١٧ ـ ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾: امتحَنّا أهلَ مكّةَ بالقحط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾: البُستانِ ـ ﴿إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا﴾: يقطعون ثمرتها ﴿مُصْبِحِينَ﴾: وقتَ الصباح كيلا يشعر بهم المساكينُ، فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدّق به عليهم منها، ١٨ ـ ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾ في يمينهم بمشيئة الله، تعالى. والجملة: مستأنفة، أي: وشأنهم ذلك ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾: نارٌ أحرقتها ليلاً

قولُهُ: (بِمَا دَلَّ) أي: مَدلولِ قالَ، لا نفسِهِ؛ لأنَّ ما بَعدَ الشَّرطِ لا يعمَلُ فيما قبلَهُ[1]، ويُمكِنُ أن يَتوسَّعَ في الظَّرفِ ما لا يُتَوسَّعُ في غيرِه؛ أي: قالَ ذلك حينَئذٍ؛ لأنه كانَ مُتمَوِّلاً مُستظهِراً بالبَنِينَ مِن فَرطِ غُرورِهِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لشُعبَة وحَمزَة، والشَّاميُّ مُسَهِّلاً[2].

قولُهُ: (عَلامَةً) من الوسمِ.

قولُهُ: (فَخُطِم) أي: فجُرِحَ وبَقِيَ أثرُهُ[3].

قولُهُ: (بالقَحْطِ) أو الأموالِ.

قولُهُ: (البُستَانُ) كانت بضَروان قَرْيَةٌ باليَمَنِ بينها وبينَ صَنعاءَ ستَّةُ أميالٍ، كذا في «المبهمات»[4]، وكان لرَجُلٍ صالِحٍ، وكانَ يُنادي الفُقَراءَ وقتَ الصِّرامِ ويَترُكُ لهم ما أخطَأَهُ المِنجَلُ أو ألقَتهُ الرِّيحُ، أو بعُدَ من البِساطِ الذي يُبسَطُ تحتَ النَّخلَةِ، فيجتَمِعُ لهم شيءٌ كثيرٌ، فلمَّا ماتَ قالَ بَنوهُ: إن فَعَلنا ما كان يفعَلُ أبونا ضاقَ علينا.

قولُهُ: (وَقتَ الصَّبَاحِ) أي: داخِلِينَ في الصَّباحَ خفيَةً عن المساكينِ.

قولُهُ: (في يَمِينِهِم) أو لا يستَثنونَ حِصَّةَ المساكين، كما كان يخرِجُ أبوهُم.

قولُهُ: (نَارٌ) أي: بلاءٌ طائفٌ مُبتَدأٌ منه.

---

(١) وانظر: «شرح كتاب سيبويه» (١/ ٤٧٩).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٥).

(٣) وانظر: «تاج العروس» (٣٢/ ١١٩).

(٤) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١١) وعزاه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير.
ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٤٥) عنه.

﴿وهُم نائمُونَ، فأصبَحَتْ كالصَّرِيمِ﴾: كالليل الشديد الظُّلمة، أي: سوداءَ. ٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿فتَنادَوا مُصبِحِينَ أنِ اغدُوا علَى حَرثِكُم﴾: غلّتكم ـ تفسيرٌ للتنادي، أو أنْ: مصدريّة أي: بأن ـ ﴿إن كُنتُم صارِمِينَ﴾: مُريدين القطع. وجواب الشرط دلّ عليه ما قبله. ٢٣ ـ ﴿فانطَلَقُوا وهُم يَتخافَتُونَ﴾: يتشاورون ٢٤ ـ ﴿أنْ لا يَدخُلَنَّها اليَومَ علَيكُم مِسكِينٌ﴾: تفسيرٌ لما قبله، أو أنْ: مصدريّة أي: بأنْ. ٢٥ ـ ﴿وغَدَوا علَى حَرْدٍ﴾: منع للفُقراء ﴿قادِرِينَ﴾ عليه في ظنّهم.

٢٦ ـ ﴿فلَمّا رأَوها﴾ سوداء مُحترقة ﴿قالُوا: إنّا لَضالُّونَ﴾ عنها، أي: ليست هذه. ثمّ قالوا لمّا علموها: ٢٧ ـ ﴿بَل نَحنُ مَحرُومُونَ﴾ ثمرتَها بمنعنا الفُقراءَ منها. ٢٨ ـ ﴿قالَ أوسَطُهُم﴾: خيرُهم: ﴿ألَم أقُل لَكُم: لَولا﴾: هلاّ ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ اللهَ تائبين؟ ٢٩ ـ ﴿قالُوا: سُبحانَ رَبِّنا! إنّا كُنّا ظالِمِينَ﴾ بمنعنا الفُقراءَ حقَّهم. ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ﴿فأقبلَ بَعضُهُم علَى بَعضٍ يَتَلاوَمُونَ. قالُوا: يا﴾: للتنبيه ﴿وَيلَنا﴾: هلاكَنا. ﴿إنّا كُنّا طاغِينَ. عَسَى رَبُّنا أن يُبَدِّلَنا﴾ ....

قولُهُ: (غَلَّتِكُم) أي: اخرُجوا، أو بأن اخرُجوا إليه غُدوَةً، وتعدِيَةُ الفِعلِ بـ﴿عَلَى﴾، لتضمُّنِهِ مَعنى الإقبالِ.

قولُهُ: (يتَسَارُّونَ) يتشاوَرونَ فيما بينَهُم.

قولُهُ: (تَفسِيرٌ) أي: ﴿أنَّ﴾ مُفسِّرَةٌ لما في: ﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ من مَعنى القَولِ، وقُرِئَ بطَرحِها على إضمارِ القَولِ[1].

قولُهُ: (مَنَعَ) في «القاموسِ»[2]: حرَدَهُ: قصَدَهُ ومَنَعَهُ وغَضِبَ، وقيل: الحردُ بمَعنى: النَّكدِ؛ أي: غدواً قادِرِينَ على نَكدٍ لا غَير، والمعنى: أنَّهُم عَزَموا على أنَّهم يُنكِّدونَ على المساكين فنُكِّدَ عليهِم بحيثُ لا يَقدِرونَ فيها إلا على النَّكدِ، وقيل: علَمٌ للجنَّة.

قولُهُ: (سَودَاءَ) أي: أوَّلَ ما رَأوها.

قولُهُ: (عَنهَا) أو طَريقَها.

قولُهُ: (لمَّا عَلِمُوهَا) بعدَ التَّأمُّلِ فيها.

قولُهُ: (خَيرُهُم) أي: أوسَطُهُم رَأياً، وقيلَ: سِنًّا.

قولُهُ: (تَائِبِينَ) أي: لولا تَذكُرُونَهُ وتَتوبونَ إليه من خُبثِ نيَّتِكُم، وقَد قالها حَيثما عَزَموا على ذلك.

قولُهُ: (للتَّنبِيهِ) والظَّاهِرُ أنَّه: للنِّداءِ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن أبي عبلة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٨١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٧٦).

ـ بالتشديد والتخفيف ـ ﴿خَيرًا مِنها. إنّا إلَى رَبِّنا راغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا ويردّ علينا خيرًا من جنّتنا. رُوي أنهم أُبدِلوا خيرًا منها. ٣٣ ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلُ العذابِ لهؤلاء ﴿العَذابُ﴾ لمن خالف أمرنا من كُفّار مكّة وغيرهم. ﴿ولَعَذابُ الآخِرةِ أكبَرُ. لَو كانُوا يَعلَمُونَ﴾ عذابها ما خالفوا أمرنا.

ونزل لمّا قالوا: «إن بُعثنا [فإنّا] نُعطَى أفضلَ منكم»: ٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿إنَّ لِلمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِم جَنّاتِ النَّعِيمِ. أفنَجعَلُ المُسلِمِينَ كالمُجرِمِينَ﴾ أي: تابعين لهم في العطاء؟ ٣٦ ـ ﴿مالَكُم؟ كَيفَ تَحكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ ٣٧ ـ ﴿أم﴾ أي: بل أ ﴿لَكُم كِتابٌ﴾ مُنزَل، ﴿فِيهِ تَدرُسُونَ﴾ أي: تقرؤون: ٣٨ ـ ﴿إنَّ لَكُم فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ﴾: تختارون؟ ٣٩ ـ ﴿أم لَكُم أيمانٌ﴾: عُهود ﴿عَلَينا بالِغةٌ﴾: وثيقة ﴿إلَى يَومِ القِيامةِ﴾: مُتعلّق معنًى بـ«علينا». وفي هذا الكلام معنى القسَم، أي: أأقسَمنا لكم؟ وجوابه: ﴿إنَّ لَكُم لَما تَحكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

٤٠ ـ ﴿سَلْهُم: أيُّهُم بِذلِكَ﴾ الحُكمِ الذي يحكمون به لأنفُسهم من أنهم يُعطَون في الآخرة أفضلَ من المُؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾: كفيل لهم؟ ٤١ ـ ﴿أم لَهُم شُرَكاءُ﴾ مُوافقون لهم في هذا المَقول،..........

قولُهُ: (بالتَّشدِيدِ) نافِعٌ وبَصريٌّ[1].

قولُهُ: (لمَنْ خَالَفَ) أي: في الدُّنيا.

قولُهُ: (نُعطَى أَفضَلَ) كما نحنُ عليه في الدُّنيا.

قولُهُ: (أي: تَابِعِينَ) الظَّاهِرُ مُساوِينَ لهم ﴿لا يَستَوِي أصحابُ النَّارِ وأَصحَابُ الجَنَّةِ أَصحَابَ الجَنَّةِ هُم الفَائِزُون﴾ [الحشر: ٢٠].

قولُهُ: (هَذَا الحُكْمَ) التِفاتٌ فيه تعَجُّبٌ من حُكمِهِم واستِبعادٌ له.

قولُهُ: (بَل) لا بُدَّ من الهَمزَة.

قولُهُ: (تَختَارُونَ) استِئنافُ بَيانٍ.

قولُهُ: (عُهُودٌ) مُؤكَّدَةٌ بالأيمانِ.

قولُهُ: (وَاثِقَةٌ) مُتَناهيَةٌ في التَّوكيدِ.

قولُهُ: (بـ﴿عَلَينَا﴾) أي: ثابِتَةٌ علينا.

قولُهُ: (كَفِيلٌ لَهُم) قائِمٌ يدَّعيهِ ويُصَحِّحُه.

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٤٣).

يكفُلون لهم به؟ فإن كان كذلك ﴿فلْيأتوا بِشُرَكائِهِم﴾ الكافلين لهم به، ﴿إن كانُوا صادِقِينَ﴾.

٤٢ ـ اذكرْ ﴿يَومَ يُكشَفُ عَن ساقٍ﴾ ـ عِبارةٌ عن شِدّة الأمر يوم القِيامة للحِساب والجزاء. يقال: كَشفَتِ الحربُ عن ساق، إذا اشتدّ الأمر فيها ـ ﴿ويُدعَونَ إلَى السُّجُودِ﴾ امتحانًا لإيمانهم ﴿فلا يَستَطِيعُونَ﴾، تصير ظهورهم طبَقًا واحدًا، ٤٣ ـ ﴿خاشِعةً﴾: حالٌ من ضمير «يُدعون» أي: ذليلةً ﴿أبصارُهُم﴾ لا يرفعونها، ﴿ترهَقُهُم﴾: تغشاهم ﴿ذِلّةٌ، وقَد كانُوا يُدعَونَ﴾ في الدنيا ﴿إلَى السُّجُودِ، وهُم سالِمُونَ﴾، فلا يأتون به بألاّ يُصلّوا.

٤٤ ـ ٤٥ ـ ﴿فذَرْني﴾: دَعْني ﴿ومَن يُكَذِّبُ بِهذا الحَدِيثِ﴾: القُرآنِ. ﴿سَنَستَدرِجُهُم﴾: نأخذهم قليلاً قليلاً، ﴿مِن حَيثُ لا يَعلَمُونَ، وأُملِي لَهُم﴾: أُمهِلُهم. ﴿إنَّ كَيدِي مَتِينٌ﴾: شديد لا يُطاق. ٤٦ ـ ﴿أم﴾: بل أ﴿تَسألُهُم﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أجرًا، فهُم مِن مَغرَمٍ﴾: ممّا يُعطونَكَهُ ﴿مُثقَلُونَ﴾، فلا يُؤمنون لذلك؟ ٤٧ ـ ﴿أم عِندَهُمُ الغَيبُ﴾ أي: اللوح الذي فيه الغيب، ﴿فهُم يَكتُبُونَ﴾ منه ما يقولون؟

قولُهُ: (الكَافِلِينَ) إذ لا أقَلَّ من التَّقليدِ.

قولُهُ: (للحِسَابِ) أي: يومَ يشتَدُّ الأمرُ، وكَشفُ السَّاقِ مَثَلٌ في ذلك، وأصلُهُ: تَشمِير المخَدَّراتِ عن سُوقِهِنَّ في الهرب، أو يومَ يُكشَفُ عن أصلِ الأمرِ وحَقيقَتِهِ بحيثُ يصيرُ عِياناً، مُستَعارٌ من ساقِ الشَّجَرِ وساقِ الإنسانِ، وتَنكيرُهُ للتَّهويلِ أو التَّعظِيمِ.

قولُهُ: (تَغشَاهُم) وتَلحَقُهُم.

وقولُهُ تَعَالَى: (﴿وَهُم سَالِمُونَ﴾) أي: وهم مُتَمكِّنونَ منهُ.

قولُهُ: (دَعنِي) أي: كِلْهُ إليَّ فإنِّي أكفيكَهُ (فَلا يَأْتُونَ به).

قولُهُ: (نَأخُذُهُم) أي: سَنُدنيهِم من العَذابِ درَجَةً درَجَةً بالإمهالِ وإدامَةِ الصِّحَّةِ وازديادِ النِّعمَةِ، وجَمعِ الضَّميرِ لمعنى: ﴿من﴾.

قولُهُ: (لا يُطَاقُ) ولا يُدفَعُ بشَيءٍ.

قولُهُ: (أي: اللَّوحُ) أو المغَيَّباتُ.

٤٨ ـ ﴿فاصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء، ﴿ولا تَكُنْ كَصاحِبِ الحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة ـ وهو يُونسُ عليه السلام ـ ﴿إذ نادَى﴾: دعا ربّه ﴿وهُوَ مَكظُومٌ﴾: مملوء غمًّا في بطن الحوت، ٤٩ ـ ﴿لَولا أن تَدارَكَهُ﴾: أدركه ﴿نِعْمةٌ﴾: رحمة ﴿مِن رَبِّهِ لَنُبِذَ﴾ من بطن الحوت ﴿بِالعَراءِ﴾: بالأرض الفضاء ﴿وهُوَ مَذمُومٌ﴾. لكنه رُحِم فنُبذ غير مذموم، ٥٠ ـ ﴿فاجتَباهُ رَبُّهُ﴾ بالنبوّة، ﴿فجَعَلَهُ مِنَ الصّالِحِينَ﴾: الأنبياء.

٥١ ـ ﴿وإن يَكادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزلِقُونَكَ﴾ ـ بضمّ الياء وفتحها ـ ﴿بِأبصارِهِم﴾ أي: ينظرون إليك نظرًا شديدًا، يكاد يصرعُك ويُسقِطك عن مكانك ﴿لَمّا سَمِعُوا الذِّكرَ﴾: القُرآنَ، ﴿ويَقُولُونَ﴾ حسدًا: ﴿إنَّهُ لَمَجنُونٌ﴾ بسبب القُرآن الذي جاء به. ٥٢ ـ ﴿وما هُوَ﴾ أي: القُرآنُ ﴿إلاّ ذِكرٌ﴾: موعظة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجِنّ، لا يَحدث بسببه جُنون.

قولُهُ: (بِمَا يشَاءَ) وهو إمهالُهُم وتَأخيرُ نُصرَتِكَ عليهِم.

قولُهُ: (وهوَ يُونُسُ) فَتَبتَلى ببلائِهِ.

قولُهُ: (رَحمَةٌ) يعني: تَوفيقَ التَّوبَةِ وقَبولَها.

قولُهُ: (غَيرَ مَذمُومٍ) يعني: الجُملَةُ حالٌ يَعتَمدُ عليها الجَوابُ؛ لأنَّها المنفيَّةُ دُونَ النَّبذ.

قولُهُ: (بالنُّبُوَّةِ) بأن رَدَّ إليه الوَحيَ.

قولُهُ: (وفَتحِهَا) نافِعٌ[1].

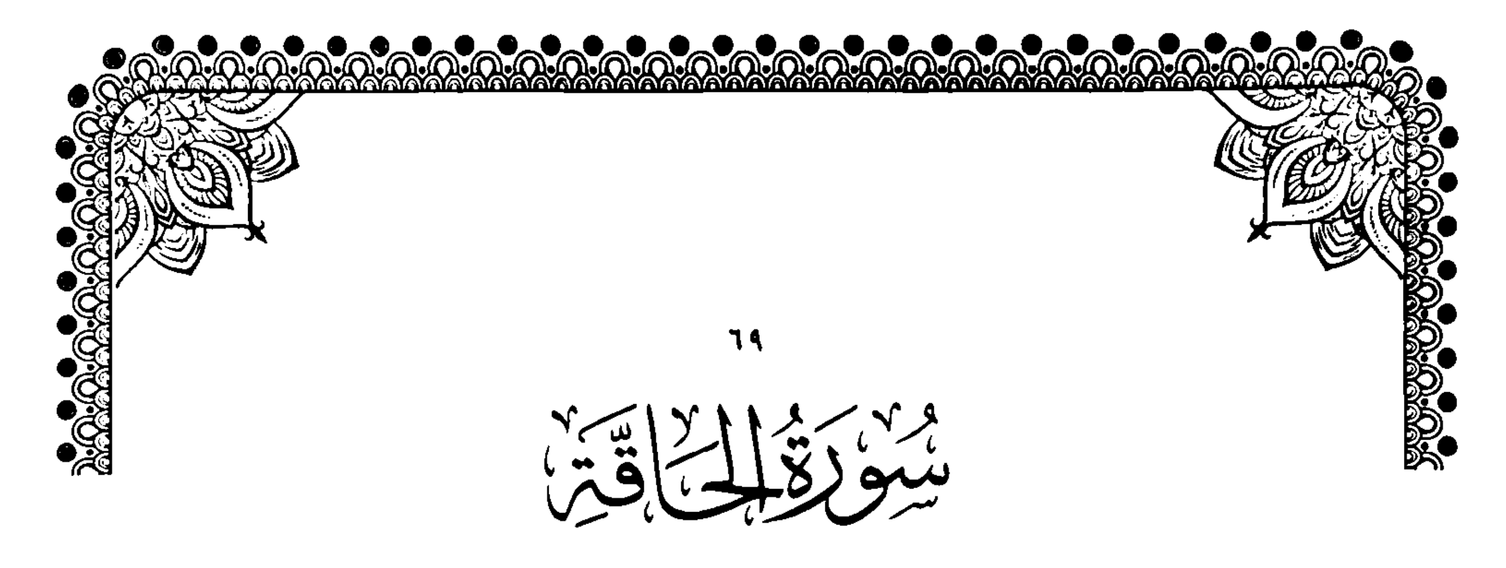
قولُهُ: (حَسَداً) أو حيرَةً في أمرِهِ وتَنفيراً عنه.

قولُهُ: (جُنُونٌ) بل يرتَفِعُ به، من الجُنونِ فُنونٌ، واللهُ أَعلَم.

* * *

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٦).



٦٩

سورة الحاقة

مكية، إحدى أو اثنتان وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿**الحاقّةُ**﴾ أيِ: القِيامةُ التي يَحِقّ فيها ما أُنكِر من البعث والحِساب والجزاء أو المُظهِرةُ لذلك، ٢ ـ ﴿**ما الحاقّةُ**﴾؟ تعظيمٌ لشأنها ـ وهما مُبتدأ وخبرٌ، خبرُ: الحاقّة ـ ٣ ـ ﴿**وما أدراكَ**﴾: أعلَمَكَ: ﴿**ما الحاقّةُ**﴾؟ زيادةُ تعظيم لشأنها. فـ «ما» الأُولى: مُبتدأ وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها: في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى».

سورة الحاقة

قولُهُ: (القِيَامَةُ) أو السَّاعةُ، أو الحاقَّةُ التي يَحِقُّ وُقوعُها.

قولُهُ: (فِيهَا) أي: التي تحِقُّ فيها الأمُور؛ أي: تُعرَفُ حَقيقَتُها، أو يَقعُ فيها حَواقُّ الأمُورِ، على الإسنادِ المجازيِّ، أو يَحقُّ لكُلِّ قومٍ عملُهُم.

قولُهُ: (أو المُظْهِرَةُ) لم يَظهَر وجهُهُ.

قولُهُ: (تَعظِيمٌ لشَأنِهَا) أصلهُ: ما هي؟ أي: أيُّ شيءٍ هي؟ على التَّعظيمِ لشأنِها والتَّهويلِ لها، فوَضعَ الظَّاهرَ موضعَ الضَّميرِ؛ لأنَّه أهلٌ لها.

قولُهُ: (أُعَلِّمُكَ) أي: أيُّ شيءٍ أعلَمُك؟ أي: أيُّ شيءٍ هيَ؟ أي: إنَّك لا تعلَمُ كُنهَها، فإنَّها أعظمُ من أن يبلُغَها درايَةُ أحَدٍ.

قولُهُ: (ومَا بَعدَهَا) أي: ﴿أدراك﴾.

قولُهُ: (فِي مَحَلِّ المَفعُولِ الثَّانِي) الصَّوابُ: أنَّه في محلِّ النَّصبِ على أنَّه المفعولُ الثَّاني.

٤ ـ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وعادٌ بِالقارِعةِ﴾: القِيامةِ لأنها تقرع القُلوب بأهوالها. ٥ ـ ﴿فأمّا ثَمُودُ فأُهلِكُوا بِالطّاغِيةِ﴾: بالصيحة المُجاوزة للحدّ في الشِّدّة، ٦ ـ ﴿وأمّا عادٌ فأُهلِكُوا بِرِيحٍ صَرصَرٍ﴾: شديدة الصوت ﴿عاتِيةٍ﴾: قويّة شديدة على عادٍ مع قوّتهم وشِدّتهم، ٧ ـ ﴿سَخَّرَها﴾: أرسلها بالقهر ﴿علَيهِم سَبعَ لَيالٍ وثَمانِيةَ أيّامٍ﴾ ـ أوّلُها من صُبح يوم الأربعاء لثمانٍ بقين من شوّال، وكانت في عَجُز الشتاء ـ ﴿حُسُومًا﴾: مُتتابعاتٍ، شُبّهتْ بتتابع فِعل الحاسم في إعادة الكيّ على الداء كرّة بعد أُخرى حتّى ينحسم، ﴿فترَى القَومَ فِيها صَرعَى﴾: مطروحِينَ هالكينَ، ﴿كأنَّهُم أعجازُ﴾: أصولُ ﴿نَخلٍ خاوِيةٍ﴾: ساقطة فارغة. ٨ ـ ﴿فهَل تَرَى لَهُم مِن باقِيةٍ﴾: صفةُ «نفس» مُقدّرة، أو التاءُ للمبالغة، أي: باقٍ؟ لا.

قولُهُ: (القِيَامَةِ) وضِعَت مَوضِعَ الحاقَّة زيادَةً في وَصفِ شدَّتِها.

قولُهُ: (بالصَّيحَةِ) لتكذيبِهم بالقارِعَةِ.

قولُهُ: (شَدِيدَةِ الصَّوتِ) أو البَردِ.

قولُهُ: (قَوِيَّةٍ) مُتجاوِزَةٍ عن الحدِّ في العادَةِ؛ لعُتوِّهم عن الأمورِ الحاقَّةِ، أو شديدَةِ العَصفِ كأنَّها عتَتْ على خُزَّانِها فلم يَستَطيعوا صَدَّها، أو على عادٍ فلم يقدِروا رَدَّها.

قولُهُ: (﴿سَخَّرَهَا﴾) سَلَّطَها عليهم بقُدرَتِهِ، استئنافٌ أو صفَةٌ.

قولُهُ: (يَومَ الأربعَاءِ) وقالَ الرَّبيعُ بنُ أنسٍ: كان أَوَّلَها الجمعَةُ، أخرجَهُ ابنُ أبي حاتِمٍ، كذا في «المبهمات»[1].

قولُهُ: (مِن شَوَّالٍ) إلى غرُوبِ الأربعاءِ الآخَرِ.

قولُهُ: (وكَانَتْ في عَجُزِ الشِّتَاءِ) كأنَّه يُهرَمُ فيها، ولذا سُمِّيت: أَيَّامَ العَجُوزِ.

قولُهُ: (مُتَتَابِعَاتٍ) جمعُ: حاسِم.

قولُهُ: (حتَّى تَنحَسِم) أي: تنقَطِعَ، أو نحِساتٍ حَسَمَت كُلَّ خَيرٍ وقطعَتهُ واستأصَلَتهُ، أو قاطِعاتٍ قَطَعَت دابرَهُم.

قولُهُ تعالى: (﴿فتَرَى﴾) أيُّها الرَّائي لو كنتَ حاضرَهُم فيها؛ أي: في مهابّها، أو في اللَّيالي والأيّامِ.

قولُهُ: (هَالِكِينَ) أي: مَوتى، جمعُ: صَرِيعٍ.

قولُهُ: (فَارِغَةٍ) أي: مُتآكلَةِ الأجوافِ، أو خاليَةٍ من الأرواحِ؛ أي: في هذا الوَصفِ، وإلا فهم كانوا أطوَلَ من النَّخيلِ.

قولُهُ: (أي: بَاقٍ) أو بقيَّةٍ، أو بقاءٍ.

قولُهُ: (لا) أي: استفهاميَّةٌ للإنكارِ؛ أي: لا تَرى ولا تعلَمُ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٢).

٩ ـ ﴿وجاءَ فِرعَونُ ومَن قِبَلَهُ﴾: أتباعُه ـ وفي قِراءة بفتح القاف وسكون الباء، أي: مَن تقدّمه من الأُمم الكافرة ـ ﴿والمُؤتَفِكاتُ﴾ أي: أهلها وهي قُرى قوم لُوط ﴿بِالخاطِئةِ﴾: بالفَعَلات ذات الخطأ، ١٠ ـ ﴿فعَصَوا رَسُولَ رَبِّهِم﴾ أي: لوطًا وغيره، ﴿فأخَذَهُم أخذةً رابِيَةً﴾: زائدةً في الشِّدّة على غيرها.

١١ ـ ﴿إنّا لَمّا طَغَى الماءُ﴾: علا فوق كُلّ شيء من الجِبال وغيرها زمن الطوفان ﴿حَمَلْناكُم﴾ يعني آباءكم، إذ أنتم في أصلابهم، ﴿في الجارِيةِ﴾: السفينة التي عملها نُوح، ونجا هو ومَن كان معه فيها وغرِق الباقون، ١٢ ـ ﴿لِنَجعَلَها﴾ أي: هذه الفَعلةَ ـ وهي إنجاء المُؤمنين وإهلاك الكافرين ـ ﴿لَكُم تَذكِرةً﴾: عظة، ﴿وتَعِيَها﴾: ولتحفظها ....

قولُهُ: (أَتبَاعُهُ) أي: ومن عندَهُ من أتباعِهِ، ويدُلُّ عليهِ أنَّه قُرِئَ: (ومَن مَعَه)[1].

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ البصريِّ والكِسائيِّ[2].

قولُهُ: (وَهيَ قُرَى قَومِ لُوطٍ) أي: المنقَلِباتِ.

قولُهُ: (بالفَعلاتِ) أي: بالخَطأ، أو بالفَعلَةِ.

قولُهُ: (أي: لُوطاً وغَيرَهُ) إن كانَ ضَميرُ: ﴿عَصوا﴾ راجعاً إلى فرعَونَ، والمؤتَفِكاتِ؛ كانَ حقُّهُ أن يقولَ: أي مُوسى ولوطاً؛ لتقَدُّمِ مُوسى ذِكراً ورُتبَةً، أو لُوطاً ومُوسَى؛ لتقَدُّمِ لُوطٍ زَماناً، وإن كان راجِعاً إلى جميعِ المكَذِّبينَ المذكُورينَ في أوَّلِ هذه السُّورَةِ، فالأولى أن يقولَ: صالِحاً وغيرَهُ، وحينئذٍ فالمرادُ بـ﴿رَسُولِ رَبِّهِم﴾: الجِنس، أو التَّقديرُ: فعَصَى كلُّ أمَّةٍ رسولَها.

قولُهُ: (عَلى غَيرِهَا) من جِنسِها؛ زيادَةَ أعمالِهِم في القُبحِ.

قولُهُ: (يَعنِي: آبَاءَكُم) وهُم أبناءُ نُوحٍ.

قولُهُ: (الفَعلَةَ) أو السَّفينَةَ.

قولُهُ: (عِظَةً) وعبرَةً، ودَلالَةً على قُدرَةِ الصَّانِعِ وحكمَتِهِ، وكَمالِ قُدرَتِهِ ورَحمَتِهِ.

قولُهُ: (ولِيَحفَظَهَا) عَطفٌ على: (نَجعَلَهَا) وما ذكرَ القاضي[3] عن ابنِ كَثيرٍ: (وتَعْيَهَا) بسُكونِ العَينِ،

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لأبي، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٨٣).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٧).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٠).

﴿أُذُنٌ واعِيةٌ﴾: حافظة لِما تسمع.

١٣ـ ﴿فإذا نُفِخَ في الصُّورِ نَفْخةٌ واحِدةٌ﴾ للفصل بين الخلائق ـ وهي الثانية ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ﴿وحُمِلَتِ﴾: رُفِعَتِ ﴿الأرضُ والجِبالُ، فدُكَّتا﴾: دُقَّتا ﴿دَكّةً واحِدةً، فيَومَئذٍ وَقَعَتِ الواقِعةُ﴾: قامتِ القِيامة، ١٦ ـ ﴿وانشَقَّتِ السَّماءُ، فهْيَ يَومَئذٍ واهِيةٌ﴾: ضعيفة، ١٧ ـ ﴿والمَلَكُ﴾ ـ يعني الملائكةَ ـ ﴿على أرجائها﴾: جوانب السماء، ﴿ويَحمِلُ عَرشَ رَبِّكَ فَوقَهُم﴾ أي: الملائكةِ المذكورين ﴿يَومَئذٍ ثَمانِيةٌ﴾ من الملائكة أو من صُفوفهم،.......................................

لعلَّهُ شاذٌّ[١]، والوَعي: أن تحفَظَ الشَّيءَ في نَفسِكَ، والإيعاءُ: أن تحفَظَهُ في غَيرِك[٢].

قولُهُ: (حَافِظَةٌ) أي: من شأنِها أن تحفَظَ ما يجبُ حفظُه بتذكُّرِهِ وإشاعَتِهِ، والتَّفكُّرِ فيه والعملِ بموجِبِهِ، وقيل: الواعيَةُ لِذكرِ الله، الخاليَةُ عمَّا سِواهُ.

قولُهُ: (وهِيَ الثَّانِيَةُ) وقيل: الأولى، وجزَمَ بها القاضِي[٣] وهو غَيرُ ظاهِرٍ.

قولُهُ: (رُفِعَت) من أماكِنِها بمُجرَّدِ القُدرَةِ الكامِلَةِ، أو بتوسُّطِ زلزَلةٍ، أو ريحٍ عاصِفَةٍ.

قولُهُ: (دُقَّتا) أي: ضُرِبَت الجُملتانِ بعضُها ببعضٍ ضربَةً واحدَةً، فيَصيرُ الكُلُّ هَباءً[٤].

قولُهُ: (ضَعِيفَةٌ) مُستَرخيَةٌ، وانشِقاقُها لنُزولِ الملائِكَة.

قولُهُ: (يَعنِي: المَلائِكَةَ) أي: الجِنسَ المتَعارَفَ بالمَلكِ.

قولُهُ: (جَوَانِبِ السَّمَاءِ) جمعُ: رَجا، بالقَصرِ.

قولُهُ: (منَ المَلائِكَةِ) لما رويَ مَرفوعاً: «إنَّهُم اليَومَ أَربَعَةٌ، فإذا كانَ يَومُ القِيامَةِ أيَّدَهُمُ اللهُ بِأَربَعَةٍ أُخرَى»[٥].

قولُهُ: (أو مِن صُفُوفِهِم) لا يعلَمُ عدَّتَهُم إلا اللهُ، أخرَجَ ابنُ أبي حاتِمٍ عن أبي زَيدٍ قالَ: لم يُسمَّ من حَمَلةِ العَرشِ إلا إسرافيلَ، قال: وميكائيلُ ليسَ من حَمَلةِ العَرشِ[٦].

---

(١) قال ابن مهران في «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٤٤٤): قرأ ابن كثير في رواية القواس ساكنة العين، هكذا في الترجمة بسكون العين. وذكرها صاحب «شواذ القراءات» (ص: ٤٨٣) مع نسبتها لطلحة.

(٢) انظر: «الكليات» لأبي البقاء الكفوي (ص: ٩٤٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٠).

(٤) في (م): زيادة «منثورا».

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٤) عن ابن إسحاق بلاغاً.

(٦) كذا في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧٠)، و«مفحمات الأقران» (ص: ١١٢).

١٨ ـ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ للحِساب، ﴿لَا تَخْفَى﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ من السرائر.

١٩ ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾ خِطابًا لجماعته لِما سُرَّ به: ﴿هَاؤُمُ﴾: خُذوا ﴿اقْرَؤُوا كِتَابِيَهْ﴾: تنازعَ فيه «هاؤم» و«اقرؤوا». ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾: تيقّنتُ ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾: مَرْضيّة، ٢٢ ـ ٢٣ ـ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ، قُطُوفُهَا﴾: ثِمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾: قريبةٌ يتناولها القائم والقاعد والمُضطجع، فيقال لهم: ٢٤ ـ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾: حالٌ أي: مُتهنّئين ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾: الماضية في الدنيا.

قولُهُ: (للحِسَابِ) تَشبيهاً للمُحاسَبَةِ بعَرضِ السُّلطانِ العسكَرَ ليتعرَّفَ أحوالَهُم.

قولُهُ: (واليَاءُ) للتَّذكيرِ، حمزَةُ والكَسائي[1].

قولُهُ: (مِنَ السَّرَائِرِ) أي: سَريرَةٌ على الله حتَّى يكونَ العَرضُ للاطِّلاعِ عليها، وإنَّما المرادُ منه: إفشاءُ الحالِ، والمبالَغَةُ في العَدلِ، أو على النَّاسِ كما قالَ: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.

قولُهُ: (لِمَا) تعليليَّةٌ، أو ظَرفيَّةٌ.

قولُهُ: (خُذُوا) اسمُ فِعلٍ.

قولُهُ: (واقْرَؤُوا) والصَّحيحُ أنَّ مَفعولَ ﴿هَاؤُمُ﴾ مَحذوفٌ، و﴿كِتَابِيَهْ﴾ مَفعُول: ﴿اقْرَؤُوا﴾؛ لأنَّه أقرَبُ العامِلَين.

قولُهُ: (تَيَقَّنْتُ) قال القاضِي[2]: ولعلَّهُ عبَّرَ عن العِلمِ بالظَّنِّ؛ إشعاراً بأنَّه لا يقدَحُ في الاعتقادِ ما يهجُسُ في النَّفسِ من الخَطَراتِ التي لا تنفَكُّ عنها العُلومُ النَّظَريَّة غالِباً. انتهى.

لكن فيه بَحثٌ إذ هذه المسألَةُ من القَطعيَّاتِ؛ للنُّصوصِ من الآياتِ والأخبارِ وإجماعِ الأمَّةِ بحيثُ إنَّها صارَت من جُملَةِ المعلوماتِ بالضَّرورَةِ من الشَّرعِ.

قولُهُ: (مَرضِيَّةٍ) فاعِلَةٍ بمَعنى: مَفعولَةٍ، أو ذاتِ رِضا على النِّسبَةِ بالصِّيغَة.

قولُهُ: (فَيُقَالُ لَهُم) ولو بلسانِ الحالِ، وجُمِعَ الضَّميرُ لمَعنى: ﴿مَن﴾.

قولُهُ: (حَالٌ) أو مصدَرٌ؛ أي: أكلاً وشُرباً هَنيئًا، أو هَنِئتُم هَنِيًّا، أو بحَذفِ مُضافٍ، أو مُبالَغَةٌ.

قولُهُ: (المَاضِيَةِ) من أيَّامِ الدُّنيا بما قدَّمتُم من الأعمالِ الصَّالحَة، أو الخاليَةِ عن الأكلِ والشُّربِ كأيَّامِ رمضانَ، أو أوقاتِ الفقرِ فحينئذٍ المعنى: بما قدَّمتُم من الصَّبرِ والصَّوم.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٣)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٦).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤١).

٢٥ـ٢٦ـ٢٧ـ ﴿وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ بِشِمالِهِ فيَقُولُ: يا﴾ ـ للتنبيه ـ ﴿لَيتَني لَم أُوتَ كِتابِيَهْ، ولَم أدرِ: ما حِسابِيَهْ؟ يا لَيتَها﴾ أي: الموتةَ في الدنيا ﴿كانَتِ القاضِيَةَ﴾: القاطعة لحياتي بألاّ أُبعث. ٢٨ـ٢٩ـ ﴿ما أغنَى عَنِّي مالِيَهْ. هَلَكَ عَنِّي سُلطانِيَهْ﴾: قوّتي وحُجّتي. وهاء «كتابيه وحسابيه، وماليه وسلطانيه» للسكْت، تَثبُتُ وقفًا ووصلاً اتّباعًا للمُصحفِ الإمام والنقلِ. ومنهم من حذفها وصلاً.

٣٠ـ ﴿خُذُوهُ﴾ ـ خِطابٌ لخَزَنة جهنّم ـ ﴿فغُلُّوهُ﴾: اجمعوا يديه إلى عُنقه في الغُلّ، ٣١ـ ﴿ثُمَّ الجَحِيمَ﴾: النارَ المُحرقة ﴿صَلُّوهُ﴾: أدخِلوه، ٣٢ـ ﴿ثُمَّ في سِلسِلَةٍ ذَرعُها سَبعُونَ ذِراعًا﴾ بذراع المَلَك ﴿فاسلُكُوهُ﴾ أي: أدخِلوه فيها بعد إدخاله النارَ. ولم تمنعِ الفاءُ من تعلّق الفعل بالظرف المُتقدّم. ٣٣ـ٣٤ـ٣٥ـ ﴿إنَّهُ كانَ لا يُؤمِنُ بِاللهِ العَظِيمِ، ولا يَحُضُّ علَى طَعامِ المِسكِينِ. فلَيسَ لَهُ اليَومَ هٰهُنا حَمِيمٌ﴾: قريب ينتفع به، ٣٦ـ ﴿ولا طَعامٌ إلاّ مِن غِسلِينٍ﴾: صديدِ أهل النار أو شجرٍ فيها، ٣٧ـ ﴿لا يأكُلُهُ إلاّ الخاطِئُونَ﴾: الكافرون.

قولُهُ: (للتَّنبِيْهِ) أو مُناداةِ مَحذوفٍ؛ أي: يا قَومُ.

قولُهُ تعالَى: (﴿مَا أَغنَى عَنِّي مَالِيَه﴾) أي: ما لي من المالِ والتَّبَعِ، و﴿ما﴾ نفيٌ، والمفعولُ محذوفٌ؛ أي: شيئاً، أو استفهامُ إنكارٍ مفعُولٌ لـ﴿أَغنَى﴾.

قولُهُ: (قُوَّتِي) ومُلكي وتَسَلُّطي على النَّاس.

قولُهُ: (وحُجَّتِي) الواو بمَعنى: أو؛ أي: حُجَّتي التي أَحُجُّ بها في الدُّنيا.

قولُهُ: (ومِنهُم) وهو حمزَة في ﴿ماليَه﴾ و﴿سُلطَانِيَه﴾، ويعقوبُ من العشرَة في الأربعَةِ[1].

قولُهُ: (خِطَابٌ) منَ اللهِ.

قولُهُ تعالَى: (﴿ولا يَحُضُّ﴾) أي: ولا يحُثُّ على بذلِ طعامِهِ، أو على إطعامِهِ فَضلاً أن يبذُلَ من مالِهِ.

قولُهُ: (﴿غِسلِين﴾ وصَدِيدٍ) فعلينِ من الغَسلِ.

قولُهُ: (الكَافِرُونَ) أي: أصحابُ الخَطايا، مِن (خَطِئَ الرَّجلُ): إذا تعمَّدَ الذَّنبَ، لا من الخَطأ المضادِّ للصَّوابِ، فإنَّه يقالُ فيه: أخطَأَ، وقَولُ القاضِي[2] وقُرِئَ: ﴿الخَاطِيون﴾ بقَلبِ الهمزَةِ ياءً، و﴿الخَاطون﴾ بطَرحِها، فقد قرَأ بهما حَمزَةُ وَقفاً[3].

---

(١) انظر: «الكنز في القراءات العشر» (٢/ ٦٩١)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ١٤٢).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٢).

(٣) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٠) وقال: وفيه لحمزة إن وقف ثلاثة تسهيل الهمزة بينها وبين الواو وإبدالها ياءً ونقل حركتها إلى الطاء وحذفها ويجوز مع كل من الثلاثة المد والتوسط والقصر.

٣٨ ـ ﴿فلا﴾ لا: زائدة ﴿أُقسِمُ بِما تُبصِرُونَ﴾ من المخلوقات، ٣٩ ـ ﴿وما لا تُبصِرُونَ﴾ منها، أي: بكل مخلوق. ٤٠ ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآنَ ﴿لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي: قاله رسالةً عن الله تعالى ٤١ ـ ٤٢ ـ ﴿وما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ، قَلِيلاً ما تُؤمِنُونَ، ولا بِقَولِ كاهِنٍ ـ قَلِيلاً ما تَذَكَّرُونَ﴾، بالتاء والياء في الفعلين. وما: زائدة مُؤكّدة، والمعنى أنهم آمنوا بأشياء يسيرة وتذكّروها مما أتى به النبيّ ﷺ من الخير والصلة والعفاف، فلم تُغنِ عنهم شيئًا ـ ٤٣ ـ بل هو ﴿تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾.

٤٤ ـ ﴿ولَو تَقَوَّلَ﴾ أي: النبيُّ ﴿عَلَينا بَعضَ الأقاوِيلِ﴾ بأن قال عنّا ما لم نقُله ٤٥ ـ ﴿لَأَخَذْنا﴾: لَنِلنا ﴿مِنهُ﴾ عِقابًا ﴿بِاليَمِينِ﴾: بالقُوّة والقُدرة، ٤٦ ـ ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنهُ الوَتِينَ﴾: نِياطَ القلب ـ وهو عِرق مُتّصل به إذا انقطع مات صاحبه ـ ٤٧ ـ ﴿فما مِنكُم مِن أحَدٍ﴾ هو اسم «ما» ومِن: زائدة لتأكيد النفي، ومنكم: حال من: أحد، ﴿عَنهُ حاجِزِينَ﴾: مانعين، خبرُ «ما». وجُمِعَ لأنّ «أحدًا» في سياق النفي بمعنى الجمع. وضمير «عنه» للنبيّ، أي: لا مانعَ لنا عنه من حيثُ العِقابُ.

٤٨ ـ ٤٩ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَتَذكِرَةٌ لِلمُتَّقِينَ، وإنّا لَنَعلَمُ أنَّ مِنكُم﴾........................

قولُهُ: (﴿لا﴾ زَائِدَةٌ) ﴿لا﴾ رَدٌّ لإنكارِهِم البَعثَ، و﴿أُقسِمُ﴾ مُستَأنفٌ، أو ﴿فَلا أُقسِمُ﴾ لظُهورِ الأمرِ، واستِغنائِهِ بالتَّحقيقِ بالقَسَم.

قولُهُ: (بِكُلِّ مَخلُوقٍ) أو بالمشاهَداتِ، أو المغيَّباتِ، وذلك يَتَناولُ الخالِقَ والمخلوقاتِ بأسرِها.

وقَولُهُ: (﴿كَرِيم﴾) أي: على اللهِ تعالى، وهو محمَّدٌ، أو جبريلُ.

قولُهُ: (رِسَالَةً) فإنَّ الرَّسولَ لا يَقولُ عن نَفسِهِ.

قولُهُ: (والياءِ) للغيبةِ، مكّيٌّ وشاميٌّ بخُلْفٍ عن ابنِ ذَكوان[1].

قولُهُ: (نِيَاط القَلبِ) بضَربِ عُنُقِه.

قولُهُ: (و﴿مِنكُم﴾ حَالٌ) والخِطابُ للنَّاس.

قولُهُ: (خَبَر ﴿ما﴾) وهو وصفٌ لـ﴿أَحَدٍ﴾.

قولُهُ: (للنَّبِيِّ) الأحسَنُ من حيثُ الأدبُ في العبارَةِ أن يُقالَ: للمُتقَوِّلِ، أو المقتولِ[2]، وقيل: عن القتلِ.

قولُهُ: (أي: القُرآنَ) عَطفٌ على ما سبَقَ، وما بينَهُما اعتراضٌ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤).

(٢) في (م): «للمقتول».

ـ أيها الناس ـ ﴿مُكَذِّبِينَ﴾ بالقُرآن ومُصدّقين، ٥٠ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَسْرَةٌ علَى الكافِرِينَ﴾ إذا رأَوا ثوابَ المُصدّقين وعِقابَ المُكذّبين به، ٥١ ـ ﴿وإنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَحَقُّ اليَقِينِ﴾ أي: لَليقينُ الحقُّ. ٥٢ ـ ﴿فَسَبِّحْ﴾: نزِّهْ ﴿بِاسمِ﴾ ـ الباء: زائدةٌ ـ ﴿رَبِّكَ العَظِيمِ﴾.

قولُهُ: (بالقُرآنِ) فيُجازيهِم على تكذيبِهِم.

قولُهُ: (ومُصَدِّقِينَ) يَعني: أنَّه من بابِ الاكتِفاءِ، أو هـذا فُهِمَ من قوله تعالى: ﴿وإنَّهُ لَتَذكِرَةٌ لِلمُتَّقِينَ﴾ [الحاقة: ٤٨]، فإنَّهُم المنتَفِعونَ به، المصَدِّقونَ بحقيقَتِهِ.

قولُهُ: (الحَقُّ اليَقِينِ) إشارَةٌ إلى أنَّه من بابِ إضافَةِ الموصوفِ إلى الصِّفَةِ، وهو مذهَبٌ كوفيٌّ، والبصريُّون يُقَدِّرونَ مُضافاً إليه.

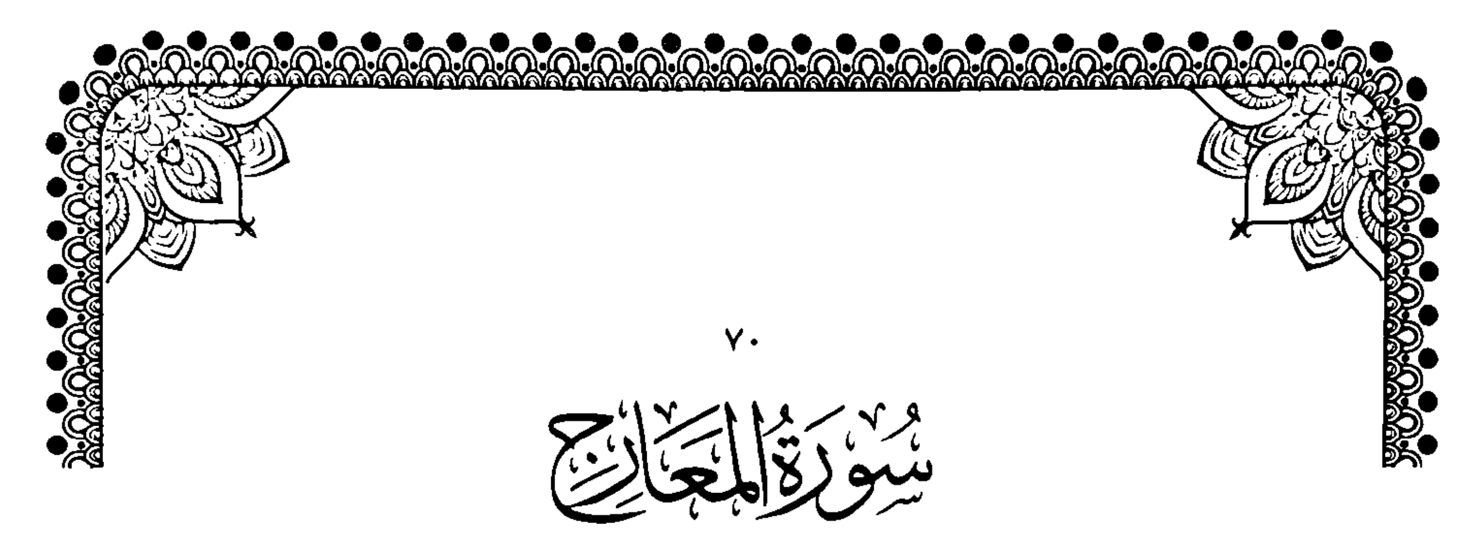
قولُهُ: (أي: لَلْيقينُ) أو في نفسِهِ، أو للكُلِّ لو تأمَّلوا فيه ونَظَروا في مَعانيهِ.

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) يعني: الباءُ زائِدَةٌ، والاسمُ يُرادُ به الذَّاتُ والصِّفَة، ويحتمِلُ أنَّه أرادَ أنَّ الاسمَ زائدٌ، وتأنيثُهُ باعتِبارِ الكلمَةِ، ويلزَمُ مِن زيادَتِها زيادَتُها، أو يُقال: كُلُّ واحدَةٍ من الباءِ ومَدخولِها زائدَةٌ، وقالَ القاضِي[1]: فسبِّح الله تعالى بذكرِ اسمِهِ العَظيمِ، والله أعلمُ.

***

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٣).



٧٠

سورة المعارج

مكية، أربعٌ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿سأَلَ سائلٌ﴾: دعا داعٍ ﴿بِعَذابٍ واقِعٍ لِلكافِرِينَ لَيسَ لَهُ دافِعٌ﴾ ـ هو النضرُ بنُ الحارثِ، قال: «اللّهمَّ إن كانَ هذا هُوَ الحَقَّ» الآيةَ ـ ٣ ـ ﴿مِنَ اللهِ﴾: مُتّصلٌ بـ«واقع» ﴿ذِي المَعارِجِ﴾: مَصاعدِ الملائكة وهي السماوات، ٤ ـ ﴿تعرُجُ﴾ ـ بالتاء والياء ـ ﴿المَلائكةُ والرُّوحُ﴾: جِبريلُ ﴿إلَيهِ﴾: إلى مَهبِط أمره من السماء ﴿في يَومٍ﴾: متعلّقٌ بمحذوف، ....

سورة المعارج

قولُهُ: (دَعَا دَاعٍ) أي: استَدعاهُ، ولذلك عُدِّيَ الفِعلُ بالباء، وقرأَ نافعٌ وشاميٌّ[1] بأَلفٍ من الهَمزِ أو من واوٍ أو ياءٍ أُبدِلا.

قولُهُ: (هو) أي: السَّائِلُ.

قولُهُ: (النَّضرُ) أو أَبُو جَهلٍ، أو نوحٌ، أو مُحمَّدٌ عليهما السَّلام.

قولُهُ: (﴿دافِعٌ﴾) أي: ليسَ له دافِعٌ يَردُّهُ من جهَتِهِ؛ لتعَلُّقِ إرادَتِهِ به، فلا يكونُ من غيرِهِ.

قولُهُ: (مصَاعِدِ) أو الدَّرَجاتِ في دارِ المثوباتِ.

قولُهُ: (والياء) التَّذكيرُ للكِسائِي[2].

قولُهُ: (بمَحذُوفٍ) أو بـ﴿وَاقِعٍ﴾، وقيل: مُتعَلِّقٌ بـ﴿يَعرُج﴾، وهو استِئنافٌ لبَيانِ ارتفاعِ تلك المعارِجِ،

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤)، و«غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٠).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٦).

أي: يقع العذاب بهم في يوم القِيامة، ﴿كانَ مِقدارُهُ خَمسِينَ ألفَ سَنةٍ﴾ بالنسبة إلى الكافر لِما يَلقى فيه من الشدائد. وأمّا المُؤمن فيكون عليه أخفّ من صلاة مكتوبة، يُصلّيها في الدنيا كما جاء في الحديث. ٥ ـ ﴿فاصبِرْ﴾ ـ وهذا قبل أن يُؤمر بالقِتال ـ ﴿صَبرًا جَمِيلاً﴾ أي: لا جزعَ فيه.

٦ ـ ﴿إنَّهُم يَرَونَهُ﴾ أي: العذابَ ﴿بَعِيدًا﴾: غيرَ واقع، ٧ ـ ﴿ونَراهُ قَرِيبًا﴾: واقعًا لا محالة، ٨ ـ ﴿يَومَ تَكُونُ السَّماءُ﴾ ـ مُتعلّقٌ بمحذوف، أي: يقعُ ـ ﴿كالمُهلِ﴾: كذائب الفِضّة، ٩ ـ ﴿وتَكُونُ الجِبالُ كالعِهنِ﴾: كالصّوف في الخِفّة والطيران بالريح، ١٠ ـ ﴿ولا يَسألُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾: قريبٌ قريبَه لِاشتغال كُلّ بحاله.

والمعنى: إنَّها بحيثُ لو قُدِّرَ قطعُها في زمانٍ لكانَ في زمانٍ يُقدَّرُ بخمسِينَ ألفَ سَنةٍ من سنيِّ الدُّنيا.

قولُهُ: (بالنِّسبَةِ) أو لأنَّهُ على الحقيقَةِ كذلك.

قولُهُ: (هَذا) هذا إن كان معناهُ الصَّبرَ على أذى الكُفَّارِ وتَركِ مُقاتَلَتِهِم، وأمَّا إذا كان الأمرُ بالصَّبرِ على الطَّاعَةِ وفي المصيبَةِ، ومِن تحمُّلِ عبءِ الرِّسالةِ فلا نسخَ، وهو الظَّاهِر.

قولُهُ: (لا جَزَع فِيهِ) ولا شَكوى إلى مَخلوقٍ.

قولُهُ: (أي: العَذَابَ) أو يومَ القيامَةِ.

قولُهُ: (بمَحذُوفٍ) دَلَّ عليهِ: ﴿وَاقِع﴾.

قولُهُ: (كَذَائِبِ الفِضَّةِ) أي: المذابِ في مَهَلٍ وتَدريجٍ، كالفلِزَّاتِ[1].

قولُهُ: (كالصُّوفِ) المصبُوغِ ألواناً.

قولُهُ: (والطَّيَرَانِ) عَطفٌ على: (الخِفَّةِ).

قولُهُ: (بالرِّيحِ) أي: بسَبَبِها، مُتعَلِّقٌ بـ﴿تكونُ﴾؛ لأنَّ الجبالَ مُختَلفةُ الألوانِ فإذا بُسَّت وطُيِّرَت في الجوِّ أشبَهَت العِهنَ المنفوشَ: إذا طَيَّرتهُ الرِّيحُ.

قولُهُ: (قَرِيب) وما ذكَرَ البَيضاوِيُّ[2] عن ابنِ كَثيرٍ: (ولا يسأل)، مَجهولاً غيرُ مَعروفٍ عندَ القُرَّاء[3].

---

(١) الفلز: نحاس أبيض يجعل منه قدور عظام مفرغة، «العين» للخليل (٧/ ٣٦٨).

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٥).

(٣) قلت: قرأ بذلك البزي بخلف عنه، وابن مجاهد في «السبعة في القراءات» غلط ذلك، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٥٠)، و«جامع البيان في القراءات السبع» (٤/ ١٦٥٧)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٦).

١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿يُبَصَّرُونَهُم﴾ أي: يُبصَّر الأحِمّاءُ بعضُهم بعضًا، ويتعارفون ولا يتكلّمون ـ والجملة: مُستأنفة ـ ﴿يَوَدُّ المُجرِمُ﴾: يتمنّى الكافر ﴿لَو﴾ بمعنى: أن ﴿يَفتَدِيْ مِن عَذابِ يَومِئذٍ﴾ ـ بكسر الميم وفتحها ـ ﴿بِبَنِيهِ، وصاحِبتِهِ﴾: زوجته ﴿وأخِيهِ، وفَصِيلتِهِ﴾: عشيرته لفصله منها ﴿الَّتِي تُؤوِيهِ﴾: تضمُّه، ١٤ ـ ﴿ومَن في الأرضِ جَمِيعًا، ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ ذلك الافتداءُ: عطفٌ على «يفتدي». ١٥ ـ ﴿كَلاَّ﴾: ردٌّ لِما يَودّه، ﴿إنَّها﴾ أي: النارَ ﴿لَظَى﴾: اسم لجهنّمَ لأنها تتلظّى، أي: تتلهّب على الكُفّار، ١٦ ـ ﴿نَزّاعةً لِلشَّوَى﴾: جمعُ شَواة ـ وهي جِلدة الرأس ـ ١٧ ـ ﴿تَدعُو مَن أدبَرَ وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان بأن تقول: «إليَّ إليَّ»، ١٨ ـ ﴿وجَمَعَ﴾ المال ﴿فأوعَى﴾: أمسكَه في وِعائه ولم يُؤدِّ حقّ الله منه.

١٩ ـ ﴿إنَّ الإنسانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾: حالٌ مُقدّرة، وتفسيرُه: ٢٠ ـ ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقتَ مس الشرّ، ٢١ ـ ﴿وإذا مَسَّهُ الخَيرُ مَنُوعًا﴾ وقتَ مسّ الخيرِ أي: المالِ لحقِّ الله منه، ٢٢ ـ ﴿إلاّ المُصَلِّينَ﴾ أي: المُؤمنين، ٢٣ ـ ﴿الَّذِينَ هُم علَى صَلاتِهِم دائمُونَ﴾: مُواظبون،......................

قولُهُ: (مُستَأنَفَةٌ) تدُلُّ على أنَّ المانِعَ عن السُّؤالِ هو الشَّاغِلُ دُونَ الخفاءِ، وجمعُ الضَّميرِ لعُمومِ الحَميمِ.

قولُهُ: (وفَتحِهَا) نافِعٌ والكَسائِي[1].

قولُهُ: (تَضُمُّهُ) في النَّسَبِ وعندَ الشَّدائِدِ.

قولُهُ: (رَدٌّ) أي: رَدعٌ للمُجرِمِ عن الوَدادَةِ، ودَلالَةٌ على أنَّ الافتداءَ لا يُنجيهِ.

قولُهُ: (أي: النَّارَ) أو مُبهَمٌ تفسيرُهُ ﴿لظى﴾، وهو خبرٌ أو بدَلٌ.

قولُهُ: (جِلدَةُ الرَّأسِ) أو الشَّوَى: الأطرافُ، وحفصٌ بنَصْبِ ﴿نَزَّاعَة﴾ على الاختِصاصِ[2].

قولُهُ: (بأَن تَقُول) أو تجذِبَ، أو تدعو زَبانيتُها.

قولُهُ: (أَمسَكَهُ) أي: جعلَهُ في وعاءٍ وكنَزَهُ حِرصاً وتأميلاً.

قولُهُ: (حَالٌ مُقَدَّرَةٌ) أو مُحَقَّقةٌ؛ لأنَّها طبيعةٌ جُبِلَ الإنسانُ عليها، وكذا الحالُ في الحالَينِ المتأخِّرَين.

قولُهُ: (وتَفسِيرُهُ) أي: ما بعدَهُ، وقيل معناهُ: شَديدَ الحِرصِ قَليلَ الصَّبرِ.

قولُهُ: (وَقتَ مَسِّ الشَّرِّ) أي: الضُّرِّ والفَقرِ، أشارَ إلى أنَّ: ﴿إذا﴾ ظَرفٌ لـ﴿جَزُوعَا﴾.

قولُهُ: (لِحَقِّ اللهِ) مُتعلِّقٌ بـ﴿مَنُوعاً﴾.

قولُهُ: (مُوَاظِبُونَ) لا يَشغَلُ عنها شاغِلٌ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤).

(٢) انظر المصدر السابق.

٢٤ ـ ﴿والَّذِينَ في أموالِهِم حَقٌّ مَعلُومٌ﴾ هو الزكاة ٢٥ ـ ﴿لِلسّائلِ والمَحرُومِ﴾: المُتعفّف عن السّؤال فيُحرَم، ٢٦ ـ ﴿والَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾: الجزاء، ٢٧ ـ ﴿والَّذِينَ هُم مِن عَذابِ رَبِّهِم مُشفِقُونَ﴾: خائفون ـ ٢٨ ـ ﴿إنَّ عَذابَ رَبِّهِم غَيرُ مأمُونٍ﴾ نزولُه ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِفُرُوجِهِم حافِظُونَ، إلاّ علَى أزواجِهِم أو ما مَلَكَتْ أيمانُهُم﴾ من الإماء ـ ﴿فإنَّهُم غَيرُ مَلُومِينَ. فمَنِ ابتَغَى وَراءَ ذلِكَ فأُولئِكَ هُمُ العادُونَ﴾: المُتجاوزون الحلالَ إلى الحرام ـ ٣٢ ـ ﴿والَّذِينَ هُم لِأماناتِهِم﴾، وفي قراءة بالإفراد: ما اؤْتُمِنوا عليه من أمر الدين والدنيا، ﴿وعَهدِهِم﴾ المأخوذِ عليهم في ذلك، ﴿راعُونَ﴾: حافظون، ٣٣ ـ ﴿والَّذِينَ هُم بِشَهادتِهِم﴾ ـ وفي قراءة بالجمع ـ ﴿قائمُونَ﴾: يُقيمونها ولا يكتمونها، ٣٤ ـ ﴿والَّذِينَ هُم علَى صَلاتِهِم يُحافِظُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها. ٣٥ ـ ﴿أُولئِكَ في جَنّاتٍ مُكرَمُونَ﴾.

٣٦ ـ ﴿فما لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ﴾: نحوَك ﴿مُهطِعِينَ﴾: حالٌ،........

قولُهُ: (هُوَ الزَّكَاةُ) وسائرُ الواجِباتِ الماليَّة.

قولُهُ: (فَيُحرَمُ) غالِباً بحِسبانِهِ غَنيًّا.

قولُهُ: (خَائِفُونَ) على أنفُسِهِم.

قولُهُ: (نُزُولُهُ) اعتِراضٌ يدُلُّ على أنَّه لا ينبَغي لأحَدٍ أن يأمَنَ من عَذابِ الله وإن بالَغَ في طاعَتِه.

قولُهُ: (مِنَ الإمَاءِ) من بَيانيَّةٌ.

قولُهُ: (المُتَجَاوِزُونَ) كالاستِمناءِ لغَيرِ ضَرورَةٍ، والمتعَةِ، ووَطءِ العَبدِ والحَيوانِ والميتَةِ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لمكِّيٍّ[1].

قولُهُ: (فِي ذَلِكَ) أي: في أمرِ الدِّينِ والدُّنيا.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَة) لِحَفص[2].

قولُهُ: (بالجَمعِ) لاختلافِ الأنواعِ.

قولُهُ: (في أَوقَاتِهَا) ورِعايَةِ بقيَّةِ شُروطِها وأركانِها وواجِباتِها، وفي تكريرِ ذِكرِ الصَّلاةِ ووصفِهِم بِها أوّلاً وآخِراً باعتِبارَين ـ أعني: المداوَمَةَ والمحافَظَة ـ دلالَةٌ على فَضلِها على غَيرِها.

قولُهُ: (نَحوَكَ) أو حَولَك.

---

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٢).

(٢) انظر المصدر السابق.

أي: مُديمِي النظر، ٣٧ ـ ﴿عَنِ اليَمِينِ وعَنِ الشِّمالِ﴾ منك ﴿عِزِينَ﴾: حالٌ أيضًا، أي: جماعاتٍ حِلَقًا حِلَقًا، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلَنّها قبلَهم؟ ٣٨ ـ ٣٩ ـ قال تعالى: ﴿أيَطمَعُ كُلُّ امرِئٍ مِنهُم أن يُدخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ؟ كَلاّ﴾: ردعٌ لهم عن طمعهم في الجنّة. ﴿إنّا خَلَقْناهُم﴾ كغيرهم ﴿مِمّا يَعلَمُونَ﴾: من نُطَف. فلا يُطمع بذلك في الجنّة، وإنما يُطمع فيها بالتقوى.

٤٠ ـ ٤١ ـ ﴿فلا﴾ ـ لا: زائدةٌ ـ ﴿أُقسِمُ بِرَبِّ المَشارِقِ والمَغارِبِ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب. ﴿إنّا لَقادِرُونَ علَى أن نُبَدِّلَ﴾: نأتيَ بدَلَهم ﴿خَيرًا مِنهُم، وما نَحنُ بِمَسبُوقِينَ﴾: بعاجزين عن ذلك. ٤٢ ـ ﴿فذَرْهُم﴾: اتركْهم، ﴿يَخُوضُوا﴾ في باطلهم، ﴿ويَلعَبُوا﴾ في دُنياهم ﴿حَتَّى يُلاقُوا﴾: يلقَوا ﴿يَومَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ فيه العذابَ، ٤٣ ـ ﴿يَومَ يَخرُجُونَ مِنَ الأجداثِ﴾: القُبور ﴿سِراعًا﴾ إلى المحشر، ﴿كأنَّهُم إلَى نَصْبٍ﴾، وفي قراءة بضمّ الحرفين، شيء منصوب كعَلَم أو راية ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسرِعون، ٤٤ ـ ﴿خاشِعةً﴾: ذليلة ﴿أبصارُهُم، تَرهَقُهُم﴾: تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ. ذلِكَ اليَومُ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾. ذلك: مُبتدأ وما بعده الخبر، ومعناه يومُ القيامة.

قولُهُ: (مُدِيمِي النَّظَرِ) أو مُسرِعين.

قولُهُ: (أي: جَمَاعَاتٍ) يعني: فِرَقاً شَتَّى، جمعُ: عِزَة.

قولُهُ: (وسَائِرِ الكَوَاكِبِ) يعني: جَمَعَها باعتِبارِ ضَمِّ الكَواكِبِ، والتَّحقيقُ أنَّ لهما كُلَّ يَومٍ ولَيلةٍ مَشرِقًا ومَغرِبًا، وحيثُ ثَنَّى اعتُبِرَ مَشرِقَي الشِّتاءِ والصَّيفِ ومَغرِبيهِما، وحيثُ أفرَدَ اعتُبِرَ الجِنس.

قولُهُ: (نَأتِي بَدَلَهُم) بأن نُهلِكَهُم ونَأتي بخَلقٍ أمثَلَ منهم.

قولُهُ: (بعَاجِزِينَ) أو مغلوبينَ إن أرَدنا.

قولُهُ: (اترُكْهُم) أمرُ تهديدٍ ووعيدٍ.

قولُهُ: (إلى المحشَر) أي: مُسرِعينَ، جمعُ: سَريعٍ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لشاميٍّ وحَفصٍ[1]، والله تعالى أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٤).



٧١

سُورَةُ نُوحٍ

مكية، ثمانٍ أو تسعٌ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِنَّا أَرسَلْنا نُوحًا إِلَى قَومِهِ أن أنذِرْ﴾ أي: بإنذارِ ﴿قَومَكَ مِن قَبلِ أن يأتِيَهُم﴾، إن لم يُؤمنوا، ﴿عَذابٌ أَليمٌ﴾: مُؤلم في الدنيا والآخرة. ٢ ـ ﴿قالَ: يا قَومِ، إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾: بيِّنُ الإنذار ٣ ـ ٤ ـ ﴿أَنِ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعبُدُوا اللهَ واتَّقُوهُ وأَطِيعُونِ، يَغفِرْ لَكُم مِن ذُنُوبِكُم﴾ ـ مِن: زائدةٌ. فإن الإسلام يُغفَر به ما قبله، أو تبعيضيةٌ لإخراجِ حقوق العباد ـ ....

سُورَةُ نُوحٍ

قولُهُ: (أي: بِإِنذَارِ) أشارَ إلى أنَّ ﴿أن﴾ مصدَرِيَّةٌ، لكن لا يَصِحُّ مَعنًى؛ لأنَّه يَصيرُ التَّقديرُ: أرسَلنا نُوحاً إلى قومِهِ بإنذارِ قومِكَ، والعَجَبُ من البَيضاوِيِّ[1] أنَّهُ اختارَ هذا القَولَ ثمَّ قالَ: أو بأن قُلنا له: أنذِر، ثمَّ قالَ: ويجوزُ أن تكونَ مُفسِّرةً؛ لتضمُّنِ الإرسالِ مَعنى القَولِ، ولا يخفَى أنَّ إعرابَهُ الثَّاني أيضاً لا يَخلو عن تكلُّفٍ، فالمفسِّرَةُ هي المتعيِّنَةُ للتَّفسيرِ، والله أعلم.

قولُهُ: (في الدُّنيَا) الطُّوفانُ.

قولُهُ: (أي: بأَنْ أَقُولَ) قدَّرَ القولَ لصحَّةِ المعنى؛ إذ لا مَعنى لقولِهِ: ﴿نَذِير﴾ لعبادَةِ الله، والأظهَرُ هنا أيضاً أنَّها تفسيرِيَّةٌ؛ لأنَّ الإنذارَ يتضَمَّنُ مَعنى القَولِ.

قولُهُ: (لإِخرَاجِ) أو لأنَّ المغفورَ ما سبَقَ، وهو بعضُ الذُّنوبِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٨).

﴿ويُؤَخِّرْكُم﴾ بلا عذاب ﴿إلى أجَلٍ مُسَمًّى﴾: أجلِ الموت. ﴿إنَّ أجَلَ اللهِ﴾ بعذابكم، إن لم تؤمنوا، ﴿إذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ. لَو كُنتُم تَعلَمُونَ﴾ ذلك لآمنتم.

٥ ـ ﴿قالَ: رَبِّ، إنِّي دَعَوتُ قَومِي لَيلاً ونَهارًا﴾ أي: دائمًا مُتّصلاً، ٦ ـ ﴿فلَم يَزِدْهُم دُعائيَ إلاّ فِرارًا﴾ عن الإيمان، ٧ ـ ٨ ـ ﴿وإنِّي كُلَّما دَعَوتُهُم لِتَغفِرَ لَهُم جَعَلُوا أصابِعَهُم في آذانِهِم﴾ لئلاّ يسمعوا كلامي، ﴿واستَغشَوا ثِيابَهُم﴾: غطّوا رُؤوسهم بها لئلاّ يُبصرونِي، ﴿وأصَرُّوا﴾ على كُفرهم، ﴿واستَكبَرُوا﴾ تكبّروا عن الإيمان ﴿استِكبارًا، ثُمَّ إنِّي دَعَوتُهُم جِهارًا﴾ أي: بأعلى صوتي، ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ﴿ثُمَّ إنِّيَ أعلَنتُ لَهُم﴾ صوتي، ﴿وأسرَرتُ لَهُم﴾ الكلامَ ﴿إسرارًا، فقُلتُ: استَغفِرُوا رَبَّكُم﴾ من الشِّرك ـ ﴿إنَّهُ كانَ غَفّارًا ـ يُرسِلِ السَّماءَ﴾ المطرَ، وكانوا قد مُنِعوه، ﴿عَلَيكُم مِدرارًا﴾: كثير الدُّرور، ١٢ ـ ﴿ويُمدِدْكُم بِأموالٍ وبَنِينَ، ويَجعَلْ لَكُم جَنّاتٍ﴾: بساتينَ، ﴿ويَجعَلْ لَكُم أنهارًا﴾ جارية. ....

قولُهُ: (أَجَلِ المَوتِ) أو هو أقصى ما قَدَّر لكم بشَرطِ الإيمانِ والطّاعةِ، (بِعَذَابِكُم) أو الأجلِ الذي قدَّرَهُ ﴿إذا جاءَ﴾ على الوَجهِ المقدَّرِ به أجلاً، وقيل: إذا جاءَ الأجلُ الأطوَلُ ﴿لا يُؤَخَّر﴾، فبادِروا في أوقاتِ الإمهالِ والتأخيرِ.

قولُهُ: (ذَلِكَ) وفيه أنّهُم لانهِماكِهِم في حُبِّ الحَياةِ كأنّهم شاكُّونَ في الموتِ، ولذا قالَ الغَزاليُّ[1]: ما يَقينٌ أشبَهُ بالشَّكِّ من الموتِ.

قولُهُ: (عنِ الإيمَانِ) وإسنادُ الزِّيادَةِ إلى الدُّعاءِ على السَّبَبِيَّةِ.

قولُهُ: (لِئَلا ينْظرُونِي) كَراهَةَ النَّظَرِ إليَّ من فَرطِ كراهَتِهِم دَعوَتي.

قولُهُ: (عنِ الإيمَانِ) أو عن اتِّباعي.

قولُهُ: (أي: بأَعلَى صَوتِي) ونصَبَهُ على المصدَرِ؛ لأنّه أحَدُ نَوعي الدُّعاءِ، أو على الحال؛ أي: مُجاهِراً.

قولُهُ: (الكَلامَ) أي: دَعَوتُهُم مَرَّةً بعد أُخرى، على أيِّ وَجهٍ أمكَنَني، و﴿ثُمَّ﴾ لتَراخي بَعضِها عن بَعضٍ.

قولُهُ: (مِنَ الشِّركِ) بالتَّوبَةِ.

قولُهُ: (المَطَرَ) أو السَّحاب، أو المظَلَّة.

قولُهُ: (مُنِعُوهُ) أربَعينَ سنَةً، وأعقَمَ أرحامَ نسائِهِم.

قولُهُ: (كَثِيرَ الدُّرُورِ) أي: السَّيلانِ.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (١/ ٧٣) فذكره بلفظ: قال بعضهم: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت.

١٣ ـ ﴿ما لكُم، لا تَرجُونَ لِلهِ وَقارًا﴾ أي: تؤمِّلون وقارَ الله إياكم بأن تُؤمنوا، ١٤ ـ ﴿وقَد خَلَقَكُم أطوارًا﴾: جمعُ طَور. وهو الحال ـ فطورًا نطفةً وطورًا علقةً إلى تمام خلق الإنسان ـ والنظر في خلقه يُوجب الإيمانَ بخالقه؟

١٥ ـ ﴿ألَم تَروا﴾: تنظروا: ﴿كَيفَ خَلَقَ اللهُ سَبعَ سَماواتٍ طِباقًا﴾ بعضُها فوق بعض، ١٦ ـ ﴿وجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهنّ الصادقِ بالسماء الدنيا ﴿نُورًا، وجَعَلَ الشَّمسَ سِراجًا﴾: مِصباحًا مُضيئًا، وهو أقوى من نور القمر؟ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿واللهُ أنبَتَكُم﴾: خلقَكم ﴿مِنَ الأرضِ﴾ إذ خلق أباكم آدمَ منها ﴿نَباتًا، ثُمَّ يُعِيدُكُم فِيها﴾ مقبورِينَ، ﴿ويُخرِجُكُم﴾ للبعث ﴿إخراجًا، واللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأرضَ بِساطًا﴾: مبسوطة ﴿لِتَسلُكُوا مِنها سُبُلًا﴾: طُرقًا ﴿فِجاجًا﴾: واسعة.

٢١ ـ ﴿قالَ نُوحٌ: رَبِّ، إنَّهُم عَصَونِي، واتَّبَعُوا﴾ أي: السَّفَلةُ والفُقراءُ ﴿مَن لَم يَزِدهُ مالُهُ ووُلْدُهُ﴾ ـ وهم الرُّؤساءُ المُنعَمُ عليهم بذلك. وولد بضمّ الواو وسكون اللام وبفتحهما.........................

قولُهُ: (﴿وَقَاراً﴾) تَوقيراً؛ أي: تَعظيماً لمن عبدَهُ وأطاعَهُ، فتكونونَ على حالٍ تَأمُلونَ فيها تَعظيمَهُ إيَّاكُم، و﴿لله﴾ بَيانٌ للموقِّرِ بكَسرِ القافِ، ولو تَأخَّرَ لكانَ صلَةً للوَقارِ، وبهذا يتَبيَّنُ ما في كَلامِ الشَّيخِ.

قولُهُ: (جَمعُ: طَورٍ) أي: تاراتٍ.

قولُهُ: (وَهوَ) الظَّاهِرُ أنَّه راجِعٌ إلى السِّراجِ، ولا يَصحُّ معنًى، ولذا قالَ البَيضاويُّ[1]: مَثَّلها به؛ لأنَّها تُزيلُ ظُلُماتِ اللَّيلِ عن وَجهِ الأرضِ كما يُزيلها السِّراجُ عمَّا حولَهُ؛ يعني: التَّشبيهُ لا يلزَمُ أن يكونَ من جميعِ الوجوهِ، ولا يَبعُدُ أن يرجِعَ إلى الضِّياءِ المستَفادِ من مصدَرِ قولِهِ: (مُضِيئاً) واللهُ أعلَمُ.

قولُهُ: (خَلَقَكُم) أي: أنشَأكُم منها، فاستُعِيرَ الإنباتُ للإنشاءِ؛ لأنَّه أدَلُّ على الحُدوثِ والتَّكَوُّنِ من الأرضِ، فأصلُهُ: أنبَتَكُم إنباتاً فنبَتُّم نَباتاً، فاختُصِرَ اكتِفاءً بالدَّلالَةِ الالتِزاميَّةِ.

قولُهُ: (للبَعثِ) أو للحَشرِ.

قولُهُ: (مَبسُوطَةً) أو بساطاً يتَقلَّبونَ عليها.

قولُهُ: (طُرُقاً) و﴿من﴾ لتضَمُّنِ الفِعلِ مَعنى الاتِّخاذِ.

قولُهُ: (بذَلِكَ) أي: البَطِرينَ بأموالِهم المغتَرِّينَ بأولادِهم بحيثُ صارَ ذلك سَبَباً لزيادَةِ خَسارِهم في الآخِرَة.

قولُهُ: (وبِفَتحِهِما) نافِعٌ وشاميٌّ وحَفصٌ[2].

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٤٩).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٧).

والأول قيل: جمع وَلَد بفتحهما كخُشْب وخَشَب. وقيل: بمعناه كبُخْل وبَخَل ـ ﴿إلاّ خَسارًا﴾: طُغيانًا وكُفرًا، ٢٢ ـ ﴿ومَكَرُوا﴾ أي: الرؤساءُ ﴿مَكْرًا كُبّارًا﴾: عظيمًا جِدًّا بأن كذّبوا نُوحًا وآذَوه ومن اتّبعه، ٢٣ ـ ﴿وقالُوا﴾ للسّفلة: ﴿لا تَذَرُنَّ آلِهتَكُم، ولا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ ـ بفتح الواو وضمّها ـ ﴿ولا سُواعًا ولا يَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسرًا﴾ هي أسماء أصنامهم. ٢٤ ـ ﴿وقَد أضَلُّوا﴾ بها ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس، بأن أمروهم بعبادتها، ﴿ولا تَزِدِ الظّالِمِينَ إلاّ ضَلالاً﴾: عطفٌ على «قد أضلّوا». دعا عليهم لمّا أُوحي إليه «أنّه لَن يُؤمِنَ مِن قَومِكَ إلاّ مَن قَد آمَنَ».

٢٥ ـ ﴿مِمّا﴾ ـ ما: صلة ـ ﴿خَطاياهُم﴾، وفي قِراءةٍ: «خَطِيئتِهِم» بالهمز، ﴿أُغرِقُوا﴾ بالطوفان، ﴿فأُدخِلُوا نارًا﴾ عُوقبوا بها عَقِبَ الإغراق تحت الماء، ....

قولُهُ: (أي: الرُّؤَسَاءُ) عطفٌ على: ﴿لَم يَزِده﴾، والضَّميرُ لـ﴿مَنْ﴾ وجمعُهُ للمَعنى.

قولُهُ: (جِدًّا) فإنَّهُ أبلَغُ من كُبار، وهو من كَبيرٍ.

قولُهُ: (بأَن كَذَّبُوا) أو احتالوا في الدِّين وحَرَّشوا النَّاسَ على أذى نُوحٍ.

قولُهُ: (للسَّفَلَةِ) أو بَعضُهُم لبَعضٍ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) نافِعٌ[1]؛ أي: عبادَتَها.

قولُهُ: (هي) الظَّاهِر: هي أو هُنَّ.

قولُهُ: (عطفٌ) الظَّاهرُ عُطِف على: ﴿رَبِّ إنَّهُم عَصَونِي﴾، وهو الملائِمُ لقَولِ الشَّيخِ: دَعا عليهم، قالَ القاضِي[2]: ولعَلَّ المطلوبَ هو الضَّلالُ في تَرويجِ مكرِهِم ومصالِحِ دنياهُم، لا في أمرِ دينِهِم أو الضَّياعُ والهَلاكُ[3].

قولُهُ: (﴿ما﴾ صِلَةٌ) للتَّأكيدِ؛ أي: من أجلِ خَطاياهُم.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لغَيرِ البَصريِّ[4]، صَنيعُهُ هذا يُشيرُ إلى أنَّ قراءَتَهُ الخاصَّة كانت بَصريَّةً، وإلا فالأنسَبُ جَعلُ قراءَةِ الجُمهورِ أصلاً.

قولُهُ: (عُوقِبُوا بِهَا) يعني: في البَرزَخ.

---

(١) انظر المصادر السابقة.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٠).

(٣) في (م): «الهلاك».

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٧).

﴿فلَم يَجِدُوا لَهُم مِن دُونِ﴾ أي: غيرَ ﴿اللهِ أنصارًا﴾ يمنعون عنهم العذاب.

٢٦ ـ ﴿وقالَ نُوحٌ: رَبِّ، لا تَذَرْ علَى الأرضِ مِنَ الكافِرِينَ دَيّارًا﴾ أي: نازلَ دار ـ والمعنى: أحدًا.

٢٧ ـ ﴿إنَّكَ إن تَذَرْهُم يُضِلُّوا عِبادَكَ، ولا يَلِدُوا إلاّ فاجِرًا كَفّارًا﴾ مَن يفجُر ويكفر. قال ذلك لِما تقدّم من الإيحاء إليه ـ ٢٨ ـ ﴿رَبِّ، اغفِرْ لِي ولِوالِدَيَّ﴾، وكانا مُؤمنَين، ﴿ولِمَن دَخَلَ بَيتِي﴾: منزلي أو مَسجدي ﴿مُؤمِنًا ولِلمُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ﴾ إلى يوم القيامة، ﴿ولا تَزِدِ الظّالِمِينَ إلاّ تَبارًا﴾: هلاكًا. فأُهلكوا.

قولُهُ: (العَذَابَ) لا عَذابَ الإغراقِ، ولا عَذابَ الإحراقِ، تَعرِيضٌ لهم باتِّخاذِ آلِهَةٍ من دُونِ الله لا تَقدِرُ على نَفعِهِم.

قولُهُ: (نَازِلَ دَارٍ) أو دائِراً، فيُقال: من الدَّارِ أو الدُّورِ.

قولُهُ: (مَن يَفجُرُ) مَجازٌ باعتِبارِ الصَّيرورَةِ والمآلِ.

قولُهُ: (لِمَا تَقَدَّم) ولمَّا جرَّبَهُم وتتَبَّعَ أحوالَهُم ألفَ سَنَةٍ إلا خَمسينَ عاماً، فعرَفَ شيَمَهُم وطِباعَهُم.

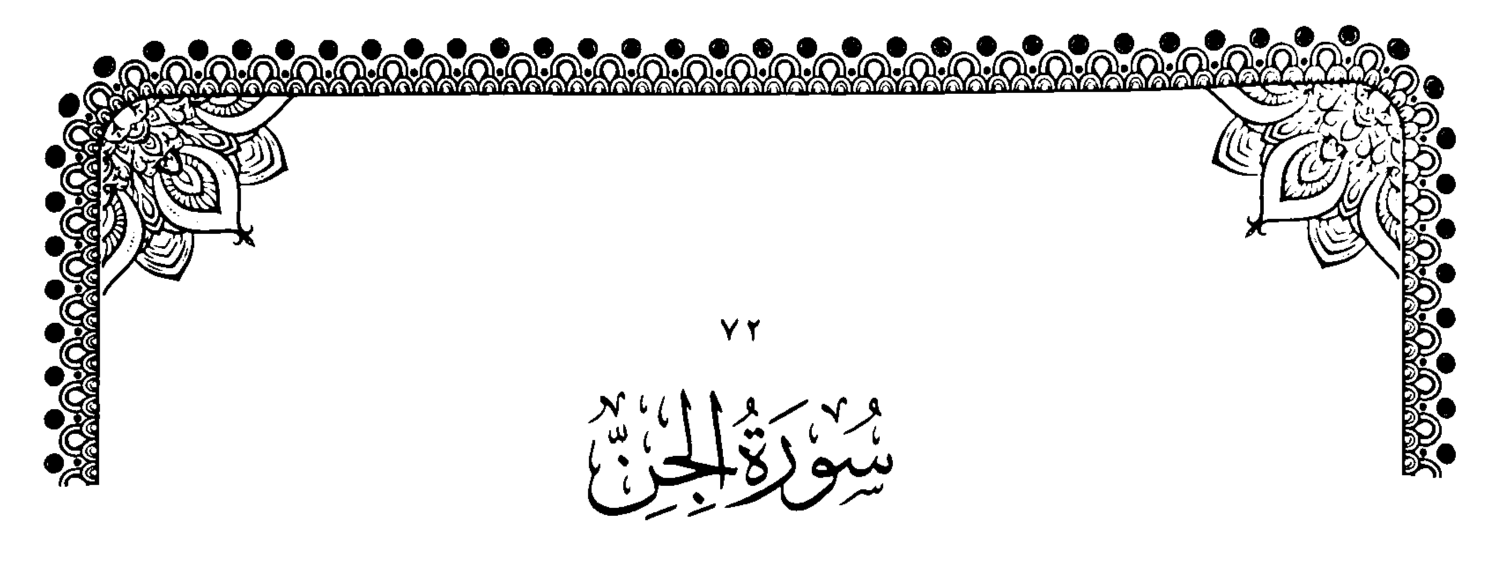
قولُهُ: (وكَانَا مُؤمِنَينِ) وقالَ سَعيدُ بنُ جُبَير: والِدِهُ وجدِّهِ، أخرجَهُ ابنُ أبي حاتمٍ[1].

قولُهُ: (أو مَسجِدِي) أو سَفينَتي، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٩٥).



٧٢

سورة الجن

مكية، ثمانٍ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قُلْ﴾ ـ يا مُحمّد ـ للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أُخبِرتُ بالوحي من الله ﴿أَنَّهُ﴾ ـ الضمير للشأن ـ ﴿استَمَعَ﴾ لقِراءتي ﴿نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ﴾ جِنٌّ نَصِيبِينَ ـ وذلك في صلاة الصبح ببطن نخلةَ موضع بين مكة والطائف، وهم الذين ذُكروا في قوله تعالى: «وإذْ صَرَفْنا إلَيكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِّ» الآيَةَ ـ ﴿فقالُوا﴾ لقومهم لمّا رجَعوا إليهم:

﴿إنّا سَمِعْنا قُرآنًا عَجَبًا﴾ يُتعجّب منه في فصاحته وغزارة معانيه وغير ذلك، ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ﴿يَهدِي إلَى الرُّشدِ﴾: الإيمان والصواب، ﴿فآمَنّا بِهِ، ولَن نُشرِكَ﴾ بعد اليوم ﴿بِرَبِّنا أحَدًا، وإنَّهُ﴾ ـ الضميرُ للشأن فيه وفي الموضعين بعده ـ ﴿تَعالَى جَدُّ رَبِّنا﴾: تنزّهَ جلاله............................

سورة الجن

قولُهُ: (للنَّاسِ) التَّخصيصُ لحكايَةِ الجِنِّ، ويمكِنُ عمُومُ الخطابِ؛ لأنَّه أحوالُ بعضِهِم.

قولُهُ: (نَصِيبِينَ) بلَدٌ، قاعدَةُ ديارِ ربيعَةَ[1].

قولُهُ: (بَينَ مَكَّةَ) على ليلَةٍ.

قولُهُ: (يُتعَجَّبُ) أي: كِتاباً أو مَقروءاً يتعَجَّبُ منه، مصدَرٌ وُصِفَ به للمُبالَغَة.

قولُهُ: (بَعدَ اليَومِ) على ما نَطَقَ به الأدلَّةُ القاطِعَةُ على التَّوحيدِ.

قولُهُ: (الضَّمِيرُ) على القِراءَتَين الآتيَتَينِ.

---

(١) في «معجم البلدان» (٥/ ٢٨٨): مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام.

وعظمته عمّا نُسب إليه، ﴿ما اتَّخَذَ صاحِبَةً﴾: زوجة ﴿ولا وَلَدًا، وإنَّهُ كانَ يَقُولُ سَفِيهُنا﴾: جاهلُنا ﴿عَلَى اللهِ شَطَطًا﴾: غُلوًّا في الكذب بوصفه بالصاحبة والولد، ٥ ـ ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفةٌ، أي: أنّه ﴿لَن تَقُولَ الإنسُ والجِنُّ عَلَى اللهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتّى تبيّنّا كذبهم بذلك.

٦ ـ قال تعالى: ﴿وإنَّهُ كانَ رِجالٌ مِنَ الإنسِ يَعُوذُونَ﴾: يستعيذون ﴿بِرِجالٍ مِنَ الجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمَخوف، فيقول كُلّ رجل: «أعوذُ بسيّد هذا المكان مِن شرّ سُفهائه»، ﴿فزادُوهُم﴾ بعَوذهم بهم ﴿رَهَقًا﴾: طغيانًا، فقالوا: «سُدنا الجِنَّ والإنس»، ٧ ـ ﴿وإنَّهُم﴾ أي: الجِنَّ ﴿ظَنُّوا كَما ظَنَنتُم﴾ ـ يا إنسُ ـ ﴿أنْ﴾: مُخففةٌ أي: أنّه ﴿لَن يَبعَثَ اللهُ أحَدًا﴾ بعد موته.

٨ ـ قال الجِنّ: ﴿وإنّا لَمَسْنا السَّماءَ﴾: رُمنا استراقَ السمعِ منها، ﴿فوَجَدْناها مُلِئَتْ حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا، وشُهُبًا﴾:..

قولُهُ: (وعَظَمَتُهُ) أو سُلطانُهُ، أو غِناهُ.

قولُهُ: (ممّا نُسِبَ إلَيهِ) من الشَّريكِ وغيرِهِ، أو تفسيرُهُ ما بعدَهُ.

قولُهُ: (جَاهِلُنَا) إبليسُ، أو مَرَدَةُ الجِنِّ.

قولُهُ: (غُلُوًّا) أي: قَولاً ذا شَطَطٍ، وهو البُعدُ ومُجاوَزَةُ الحَدِّ.

قولُهُ: (بذَلِكَ) أي: باتِّخاذِ الصَّاحِبَةِ والوَلَدِ.

قولُهُ: (تَبيَّنّا) أي: عَلِمنا.

قولُهُ: (بذَلِكِ) أي: بالقرآنِ، وهذا اعتِذارٌ عن اتباعِهِم للسَّفِيهِ في ذلك بظنِّهِم أنَّ أحَداً لا يكذِبُ على الله، و(﴿كذباً﴾) نُصِبَ على المصدَرِ؛ لأنَّهُ نَوعٌ من القَولِ أو الوَصفِ لمَحذوفٍ؛ أي: قَولاً مَكذوباً فيه.

قولُهُ: (يَنْزِلُونَ) أي: حين يَنزِلون؛ يعني: الرِّجالَ من الإنسِ.

قولُهُ: (طُغيَاناً) وكِبراً.

قولُهُ: (يَا إِنسُ) أو بالعكسِ، والآيَتانِ من كَلامِ الجنِّ بعضِهِم لبَعضٍ، أو استئنافُ كلامٍ من الله، ومن فَتَحَ ﴿أن﴾ فيهما جعَلَهُما منَ الموحى به.

قولُهُ: (مُخَفَّفَةٌ) سادٌّ مسَدَّ مَفعُولَي: ﴿ظَنُّوا﴾.

قولُهُ: (رُمْنَا) أي: طَلَبنا.

قولُهُ: (استِرَاقَ السَّمعِ) أي: خَبَرَ السَّماءِ، أو بُلوغَ السَّماءِ.

قولُهُ: (مِنَ المَلائِكَةِ) الذينَ يمنَعونَهُم عنها، اسمُ جَمعٍ كالخَدَمِ.

نُجومًا مُحرِقة ـ وذلك لمّا بُعث النبي ﷺ ـ ٩ ـ ﴿وإنّا كُنّا﴾ أي: قبلَ مَبعثه ﴿نَقعُدُ مِنها مَقاعِدَ لِلسَّمعِ﴾ أي: نستمع، ﴿فمَن يَستَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهابًا رَصَدًا﴾ أُرصِد له ليُرمى به.

١٠ ـ ﴿وإنّا لا نَدرِي: أشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعدم استراق السمع ﴿بِمَن في الأرضِ؟ أم أرادَ بِهِم رَبُّهُم رَشَدًا﴾ خيرًا؟ ١١ ـ ﴿وإنّا مِنّا الصّالِحُونَ﴾ بعد استماع القُرآن، ﴿ومِنّا دُونَ ذلِكَ﴾ أي: قومٌ غير صالحين، ﴿كُنّا طَرائقَ قِدَدًا﴾: فِرَقًا مُختلفة مُسلمين وكافرين.

١٢ ـ ﴿وإنّا ظَنَنّا أنْ﴾: مُخفّفةٌ أي: أنّه ﴿لَن نُعجِزَ اللهَ في الأرضِ، ولَن نُعجِزَهُ هَرَبًا﴾ أي: لا نفوته كائنين في الأرض أو هاربين منها إلى السماء، ١٣ ـ ﴿وإنّا لَمّا سَمِعْنا الهُدَى﴾: القُرآن ﴿آمَنّا بِهِ ـ فمَن يُؤمِنْ بِرَبِّهِ فلا يَخافُ﴾، بتقدير «هو» بعد الفاء، ....

قولُهُ: (أي: نَستَمِعُ) يعني: مقاعِدَ خاليَةً عن الحَرسِ والشُّهُب.

قولُهُ: (أُرْصِدَ) أو راصِداً لأجلِهِ يمنَعهُ عن الاستِماعِ بالرَّجمِ.

قولُهُ: (بعَدَمِ) أو بحراسَةِ السَّماءِ.

قولُهُ: (بَعدَ استِمَاعِ القُرْآنِ) أي: المؤمِنونَ الأبرارُ.

قولُهُ: (أي: قَومٌ) فحَذَفَ الموصوفَ، وهم المقتَصِدونَ.

قولُهُ: (فِرَقاً) أي: ذَوي طرائِقَ؛ أي: مَذاهِب.

قولُهُ: (مُختَلِفَةً) مُتفرِّقَةً، جمعُ: قِدَّة، من قَدَّ إذا قَطَعَ.

قولُهُ: (مُسلِمِينَ وكَافِرِينَ) هو قولُ مُجاهِدٍ[1]، وقالَ الحسنُ والسُّدِّي: الجنُّ أمثالُكُم، فمِنهُم قدَرِيَّةٌ، ومُرجئةٌ، ورافضَةٌ[2].

قولُهُ: (أي: أنَّهُ) يعني: عَلِمْنا.

قولُهُ: (في الأَرضِ) أينَ ما كُنّا فيها.

قولُهُ: (أو هَارِبِينَ) أشارَ إلى أنَّ الواو بمعنى: أو؛ للتَّنويعِ أو للتَّخييرِ.

قولُهُ: (بِتَقدِيرِ هُو) وقُرِئَ: (فَلا يَخَفْ)[3].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٥٩).

(٢) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٦٨٩)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٧/ ٤٣٣) (٣٢٥٢) عن السدي.

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن وثاب، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٨٨).

﴿بَخْسًا﴾: نقصًا من حسناته ﴿ولا رَهَقًا﴾: ظُلمًا بالزيادة في سيّئاته ـ ١٤ ـ ﴿وإنّا مِنّا المُسلِمُونَ ومِنّا القاسِطُونَ﴾: الجائرون بكُفرهم. ﴿فمَن أسلَمَ فأُولئِكَ تَحَرَّوا رَشَدًا﴾: قصدوا هِداية، ١٥ ـ ﴿وأمّا القاسِطُونَ فكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾: وَقودًا.

وانا وانهم وانه: في اثني عشر موضعًا ـ هي «وإنه تعالى» و«إنا منّا المسلمون» وما بينهما ـ بكسر الهمزة استئنافًا، وبفتحها بما يُوجّه به. قال تعالى في كُفّار مكّة:

١٦ ـ ﴿وأنْ﴾ ـ مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: وأنّهم، وهو معطوف على «أنّه استمع» ـ ﴿لَوِ استَقامُوا علَى الطَّرِيقةِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأسقَيناهُم ماءً غَدَقًا﴾: كثيرًا من السماء ـ وذلك بعد ما رُفع المطرُ عنهم سبعَ سنين ـ ١٧ ـ ﴿لِنَفتِنَهُم﴾: لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلمَ: كيف شُكرُهم عِلمَ ظهور؟ ﴿ومَن يُعرِضْ عَن ذِكرِ رَبِّهِ﴾: القُرآنِ ﴿نَسلُكْهُ﴾، بالنون والياء، ....

قولُهُ: (الجَائِرُونَ) عن طَريقِ العَدلِ، وهو الإيمانُ والطَّاعَةُ.

قولُهُ: (هِدَايَةً) عظيمَةً تُرشِدُهُم إلى الصَّوابِ في الدُّنيا، وتهدِيهم إلى دارِ الثَّوابِ في العُقبى.

قولُهُ: (وَقُوداً) يوقَدُ بهم، كما يوقَدُ بكفَّارِ الإنسِ.

قولُهُ: (بكَسرِ الهَمزَةِ) نافعٌ ومكِّيٌّ وبصريٌّ وشُعبَةُ[١].

قولُهُ: (استِئنَافاً) أو من جُملةِ المحكيِّ بعد القَولِ.

قولُهُ: (بمَا يُوجَّهُ بِهِ) بأن ما لم يكُن من مقُولِهِم فمَعطوفٌ على محَلِّ الجار والمجرُور في ﴿بِهِ﴾، كأنَّهُ قيل: صدَّقناهُ وصَدَّقنا أنَّه تعالى جَدُّ ربِّنا[٢].

قولُهُ: (أي: طَرِيقَةِ الإِسلامِ) والضَّميرُ للجِنِّ، أو الإنسِ، أو كِليهِما.

(كَثِيراً) أي: لوَسَّعنا عليهِمِ الرِّزقَ، وتَخصيصُ الماءِ بالذِّكرِ؛ لأنَّه أصلُ المعاشِ والسَّعَةِ، ولعِزَّةِ وجودِهِ بين العَرَب.

قولُهُ: (القُرآنِ) أو عبادَتِهِ، أو موعِظَتِه.

قولُهُ: (واليَاء) كُوفيٌّ[٣].

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

(٢) انظر: «تفسير البيضاوي» (٥/ ٢٥١).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

نُدخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾: شاقًّا، ١٨ ـ ﴿وأنَّ المَساجِدَ﴾: مواضعَ الصلاة ﴿لِلهِ. فلا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللهِ أَحَدًا﴾ بأن تُشركوا كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسَهم وبِيَعَهم أشركوا.

١٩ ـ ﴿وأَنَّهُ﴾ بالفتح، وبالكسر استئنافًا، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قامَ عَبدُ اللهِ﴾ مُحمّد النبيّ ﷺ ﴿يَدعُوهُ﴾: يعبده ببطن نخلةَ ﴿كادُوا﴾ أي: الجِنُّ المُستمعون لقِراءته ﴿يَكُونُونَ علَيهِ لِبَدًا﴾، بكسر اللام وضمّها، جمعُ لِبْدة، كاللِّبَد في رُكوب بعضهم بعضًا، ازدحامًا حِرصًا على سماع القُرآن.........

قولُهُ: (شَاقًّا[١]) يَعلو المعَذَّبَ ويَغلِبهُ، مصدَرٌ وُصفَ به.

قولُهُ: (مَوَاضِعَ الصَّلاةِ) تختَصُّ به تعالى، أو الأرضَ كُلَّها، لأنَّها جُعِلت للنَّبيِّ مَسجِداً، وقيل: المسجِدَ الحَرامَ؛ لأنَّه قِبلَةُ المساجِدِ، أو مواضِعَ السُّجودِ على أنَّ المراد: النَّهيُ عن السُّجودِ لغَيرِ الله، أو عن الخُضوعِ والتَّذلُّلِ لغَيرِ خالِقِها، كما قالَهُ الواسِطيُّ[٢].

قولُهُ: (بأَن تُشرِكُوا) قالَ القاضِي[٣]: فلا تَعبُدوا فيها غيرَهُ، ولعَلَّ المعنى: معَ وُجودِ الله.

قولُهُ: (والكَسرِ) نافِعٌ وشُعبَةُ[٤].

قولُهُ: (استِئنَافاً) من اللهِ، وأمَّا الفَتحُ فعلى أنَّه من جُملَةِ الموحى به.

قولُهُ: (مُحَمَّدٌ) وإنَّما ذُكِرَ لفظُ العَبدِ للتَّواضُعِ، كذا قالَهُ القاضِي[٥]، وعندِي أنَّه للتَّشريفِ ولله دَرُّ القائِلِ[٦]:

لا تَدْعُنِـي إلا بِيَـا عَبْدَهَا فَإِنَّـهُ أَشْـرَفُ أَسْـمَائِي

وقيلَ: للإشعارِ بما هو المقتَضِي لقيامِهِ، ويمكِنُ أن يَكونَ لتَصحِيحِ الإضافَةِ، ولذا قيل: سمَّاهُ عَبدَ الله؛ لأنَّه هو المظهِرُ لاسمِ الله لا غيرُهُ بالأصالَةِ، وغيرُه إنَّما هو بالتَّبعِيَّةِ.

قولُهُ: (وضَمِّهَا) هشامٌ بخُلْفٍ عنه[٧].

قولُهُ: (جَمعُ: لِبدَةٍ) وهو ما تلبَّدَ بعضُهُ على بَعضٍ.

---

(١) في الأصول: «مشاقاً»، وما أثبته من «الجلالين».

(٢) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٥٤) ونقله عن ابن عطاء.

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٥).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٦) ذكره أبو عبد الرحمن السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٩٦) من قول أبي عبد الله المغربي.

(٧) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٨).

٢٠ ـ ﴿قالَ﴾ مُجيبًا للكُفّار في قولهم: «ارجِع عمّا أنتَ فيه» ـ وفي قِراءةٍ: «قُلْ» ـ ﴿إنَّما أدعُو رَبِّي﴾ إلـٰهًا، ﴿ولا أُشرِكُ بِهِ أحَدًا﴾.

٢١ ـ ﴿قُلْ: إنِّي لا أملِكُ لَكُم ضَرًّا﴾: غيًّا ﴿ولا رَشَدًا﴾: خيرًا ـ ٢٢ ـ ﴿قُلْ: إنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللهِ﴾: من عذابه إن عصيتُه ﴿أحَدٌ، ولَن أجِدَ مِن دُونِهِ﴾ أي: غيرِه ﴿مُلتَحَدًا﴾: مُلتجأ ـ ٢٣ ـ ﴿إلاّ بَلاغًا﴾: استثناءٌ من مفعول «أملِكُ» أي: لا أملك لكم إلاّ البلاغَ إليكم ﴿مِنَ اللهِ﴾ أي: عنه، ﴿ورِسالاتِهِ﴾: عطفٌ على «بلاغًا». وما بين المُستثنى منه والاستثناء اعتراضٌ لتأكيد نفي الاستطاعة، ﴿ومَن يَعصِ اللهَ ورَسُولَهُ﴾ في التوحيد فلم يُؤمن ﴿فإنّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِدِينَ﴾: حالٌ من ضمير «مَن» في «له» رِعايةً لمعناها، وهي حال مُقدّرة، والمعنى: يدخلونها مُقدَّرًا خلُودُهم ﴿فِيها أبدًا﴾.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لعاصِمٍ وحمزَةَ[١].

قولُهُ: (خَيراً) مُقتَضى حُسنِ المقابَلَةِ: هدايَةً، أو تفسيرُ (ضَرًّا) بشَرٍّ، ولذا قالَ القاضِي[٢]: (ضَرًّا ولا رَشَداً): ولا نَفعاً أو غَيًّا ولا رَشداً، عَبَّرَ عن أحدِهِما باسمِهِ، وعن الآخَرِ باسمِ سَبَبِهِ، أو مُسبَّبِهِ إشعاراً بالمعنيَينِ، انتهى.

أقولُ: وهذا من ألطَفِ أنواعِ البَديعِ وأبدَعِها ويُسمَّى: بالاحتِباك، وهو أن يحذِفَ من الأوَّلِ ما أُثبِتَ نظيرُهُ في الثَّاني، ومن الثَّاني ما أُثبِتَ نظيرُهُ في الأوَّلِ، على ما ذكرَهُ في «الإتقان»[٣].

قولُهُ: (إِن عَصَيتُهُ) أو إن أرادَ بي سُوءاً.

قولُهُ: (مُلتَجَأ) ومُنْحَرَفاً.

قولُهُ: (مِن مَفعُولِ: ﴿أَملِك﴾) فإنَّ التَّبليغَ إرشادٌ ونَفعٌ.

قولُهُ: (أي: لا أَملِكُ لَكُم) يعني: شَيئاً من الضَّرِّ والرَّشَدِ.

قولُهُ: (أي: عَنهُ) و﴿من﴾ بمعنى: عن، أو صِفَةُ ﴿بَلاغاً﴾ فإنَّ صلتَهُ عن؛ كقولِهِ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي ولَو آيَة»[٤].

قولُهُ: (في التَّوحُّدِ) إذ الكَلامُ فيه.

قولُهُ: (لمَعنَاهَا) في الحالِ.

---

(١) انظر المصدر السابق.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٥٣).

(٣) انظر: «الإتقان في علوم القرآن» (٣/ ٢٠٤).

(٤) رواه البخاري (٣٤٦١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

٢٤ ـ ﴿حَتَّى إذا رأَوا﴾ حتى: ابتدائيّة فيها معنى الغاية لمُقدّر قبلها، أي: لا يزالون على كُفرهم إلى أن يروا ﴿ما يُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿فسَيَعلَمُونَ﴾ عِند حُلوله بهم يوم بدر أو يوم القيامة: ﴿مَن أضعَفُ ناصِرًا، وأقَلُّ عَدَدًا﴾: أعوانًا؟ أهم أم المُؤمنون، على القول الأوّل؟ أو أنا أم هم، على الثاني؟ فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل:

٢٥ ـ ﴿قُلْ: إنْ﴾ أي: ما ﴿أدرِي: أقَرِيبٌ ما تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أم يَجعَلُ لَهُ رَبِّي أمَدًا﴾: غاية وأجلاً لا يعلمه إلاّ هو؟ ٢٦ ـ ﴿عالِمُ الغَيبِ﴾: ما غاب به عن العِباد، ﴿فلا يُظهِرُ﴾: يُطلِع ﴿علَى غَيبِهِ أحَدًا﴾ من الناس، ٢٧ ـ ﴿إلاّ مَنِ ارتَضَى مِن رَسُولٍ. فإنَّهُ﴾ مع إطلاعه على ما شاء منه مُعجزةً له ﴿يَسلُكُ﴾: يجعل ويُسيّر ﴿مِن بَينِ يَدَيهِ﴾ أي: الرسولِ ﴿ومِن خَلفِهِ رَصَدًا﴾: ملائكة يحفظونه حتّى يُبلّغه في جُملة الوحي، ٢٨ ـ ﴿لِيَعلَمَ﴾ الله عِلمَ ظُهور ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة أي: أنّه ﴿قَد أبلَغُوا﴾ أي: الرسلُ ﴿رِسالاتِ رَبِّهِم﴾ ـ رُوعي بجمع الضمير معنى «مَن» ـ ﴿وأحاطَ بِما لَدَيهِم﴾: عطفٌ على مُقدّر، أي: فعلم ذلك، ﴿وأحصَى كُلَّ شَيءٍ عَدَدًا﴾: تمييز. وهو مُحوّل عن المفعول، والأصل: أحصى عددَ كُلّ شيء.

قولُهُ: (عَلى القَولِ الأوَّلِ) لكن يُشكِلُ بقولِهِ: ﴿أَقَلُّ عَدَداً﴾.

قولُهُ: (أَو أنَا) أو هو، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (غايَةً) تَطولُ مُدَّتُها.

قولُهُ: (وأَجَلاً) أي: بَعيداً.

قولُهُ: (لا يَعلَمُهُ) استِئنافٌ، والضَّميرُ راجِعٌ إلى ما ذُكِر من القُربِ والبُعدِ.

قولُهُ: (مِنَ النَّاسِ) ولعَلَّ المرادَ من: ﴿غَيبِهِ﴾ وَحيُهِ الخاصُّ، فلا يُنافي الكَراماتِ.

قولُهُ: (مِنه) أي: من غَيبِهِ.

قولُهُ: (أي: الرَّسُولِ) أو المرتَضى، فإنَّ ﴿مِن﴾ بَيانٌ لـ﴿مَن﴾.

قولُهُ: (يَحفَظُونَهُ) من اختِطافِ الشَّياطينِ وتخاليطِهِم.

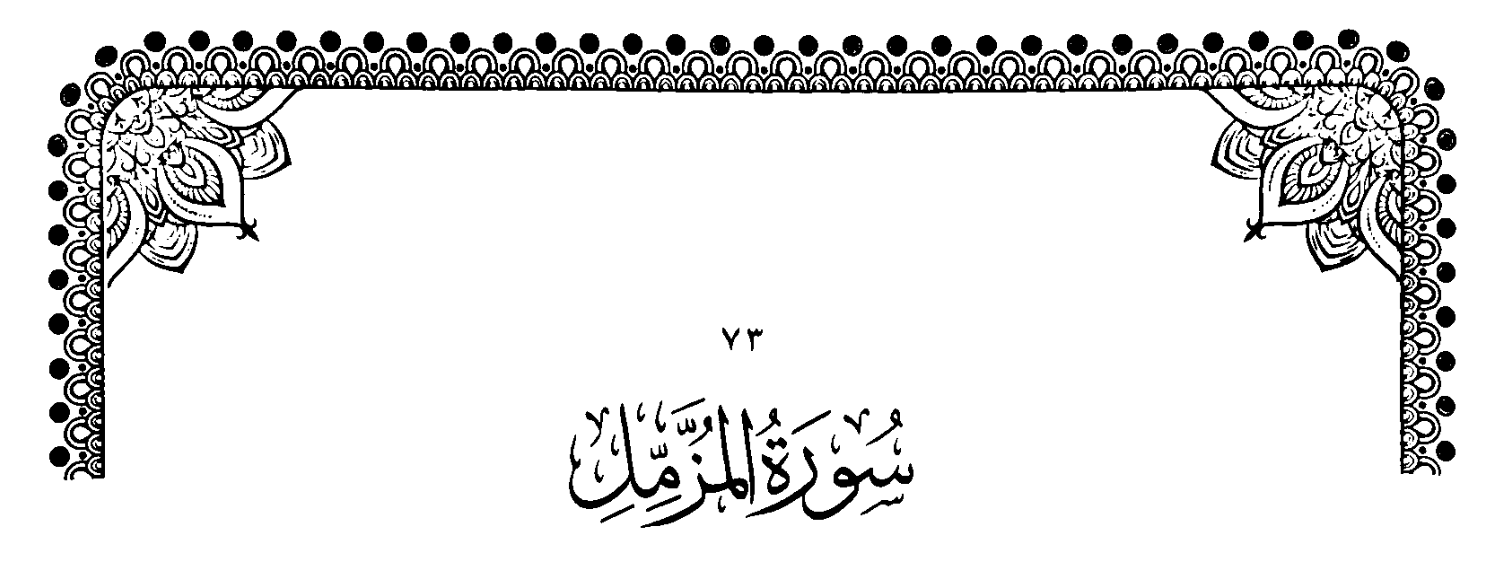
قولُهُ: (عِلمَ ظُهُورٍ) أي: ليتعَلَّقَ علمُهُ به مَوجوداً، كما تعَلَّقَ به مَعدوماً.

قولُهُ: (مَعنَى) كما رُوعيَ لفظُها في: ﴿مَنِ ارتَضَى﴾.

قولُهُ: (أي: فَعَلِمَ ذَلِكَ) وأحاطَ بما عِندَ الرُّسلِ.

قولُهُ: (أحصَى) أي: ضَبَطَ وحَفِظَ.

قولُهُ: (عَدَدَ كُلِّ شَيءٍ) حتَّى القَطرَ والرَّملَ، والله تعالى أعلَمُ.



٧٣

سورة المزمل

مكية، أو إلاّ قوله «إنّ ربك يعلم» إلى آخرها فمدني، تسعَ عشْرةَ أو عشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أيُّها المُزَّمِّلُ﴾: النبيُّ ـ وأصله «المُتزَمِّل»، أُدغمَتِ التاءُ في الزاي ـ أي: المُتلفّف بثِيابه حِين مجيء الوحي له خوفًا منه لهَيبته، ٢ ـ ٣ ـ ﴿قُمِ اللَّيلَ﴾: صَلِّ ﴿إلاّ قَلِيلاً، نِصفَهُ﴾: بدلٌ من «قليلاً»، وقِلّته بالنظر إلى الكُلّ، ﴿أوِ انقُصْ مِنهُ﴾: من النصف ﴿قَلِيلاً﴾ إلى الثُّلث، ٤ ـ ٥ ـ ﴿أو زِدْ علَيهِ﴾ إلى الثُّلثين ـ وأو: للتخيير ـ ﴿ورَتِّلِ القُرآنَ﴾: تثبّتْ في تِلاوته ﴿ترتِيلاً. إنّا سَنُلقِي علَيكَ قَولاً﴾ أي: قُرآنًا ﴿ثَقِيلاً﴾: ....

سورة المزمل

قولُهُ: (المُتَزَمِّلُ) وقُرِئَ به[1].

قولُهُ: (أي: المتَلَفِّفُ) أو المتحَمِّلُ أعباءَ النُّبوَّةِ.

قولُهُ: (صَلِّ) أي: قُم إلى الصَّلاةِ، أو داوِم عليها فيه.

قولُهُ: (من ﴿قَلِيلاً﴾) وهو استِثناءٌ من: ﴿اللَّيل﴾.

قولُهُ: (إلى الكُلِّ) وهذا النِّصفُ الخالي عن الطَّاعَة، وإن ساوى النِّصفَ المعهودَ بذكرِ الله في الكمِّيَّةِ لا يُساويهِ في التَّحقيقِ والكَيفيَّةِ، بل هو القَليلُ، وذلك النِّصفُ بمنزِلَةِ الكُلِّ.

قولُهُ: (تَثَبَّتْ) بأن تقرَأهُ على تُؤُدَةٍ؛ فإنَّه تجويدُ الحُروفِ ومعرفَةُ الوقوفِ.

قولُهُ: (﴿قَولاً﴾) لا يحمِلُهُ إلَّا قَلبٌ مُؤيَّدٌ بالتَّوفيقِ، ونفسٌ مُزَيَّنةٌ بالتَّوحيدِ والتَّحقيقِ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهما، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٩٠).

مَهيبًا أو شديدًا لِما فيه من التكاليف. ٦ ـ ﴿إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيلِ﴾: القيامَ بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وِطاءً﴾: مُوافقة السمع للقلب على تفهّم القرآن ﴿وأقوَمُ قِيلاً﴾: أبيَنُ قولاً. ٧ ـ ﴿إِنَّ لَكَ في النَّهارِ سَبحًا طَوِيلاً﴾: تصرُّفًا في أشغالك، لا تفرُّغ فيه لتلاوة القرآن.

٨ ـ ﴿واذكُرِ اسمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: «بسم الله الرحمن الرحيم» في ابتداء قِراءتك، ﴿وتبَتَّلْ﴾: انقطع ﴿إِلَيهِ﴾ في العبادة ﴿تبتِيلاً﴾: مصدرُ: بَتّل. جيء به رِعاية للفواصل، وهو ملزوم التبتّل............

قولُهُ: (أو شَدِيداً) أو ثَقيلاً في الميزانِ، أو على الكُفَّارِ والفُجّارِ.

قولُهُ: (القِيَامَ) أي: قيامَ اللَّيلِ على أنَّ النَّاشئَةَ مصدرٌ للقيامِ أو العبادَةِ التي تنشَأ باللَّيلِ؛ أي: تحدُثُ.

قولُهُ: (مُوَافَقَة) هذا تَفسيرٌ لقراءَةِ بصريٍّ وشاميٍّ: (وِطَاءً) بكسرِ الواو والمدِّ[١]؛ أي: مواطأةَ القلبِ اللِّسانَ للنَّاشئَةِ، أو فيها، أو مُوافقَةً لما يرادُ من الخضوعِ والإخلاصِ.

(والبَاقُونَ) (وَطْأً) كنصراً؛ أي: كُلفةً أو ثباتَ قدمٍ.

قولُهُ: (أَبْيَنُ) أو أسدُّ مَقالاً، وأثبتُ قراءَةً لحضورِ القلبِ وهدوءِ الأصواتِ، وأبعَدُ من الرِّياءِ والسُّمعةِ.

قولُهُ: (تَصَرُّفاً) وتقلُّباً في مهمَّاتكَ فعليكَ بالتَّهجُّدِ، فإنَّ مناجاةَ الرَّبِّ تستدعي فراغَ القلبِ.

قولُهُ: (فِي ابتِدَاءِ قِرَاءَتِك) هذا يلائِمُ مذهَبَنا[٢] أنَّ البسملَةَ ليست داخلَةً في القراءَةِ نفسها حتَّى يكونَ مأموراً بأن يبدأ بها كما في قولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأتَ القُرآنَ فَاستَعِذ بِاللهِ﴾ [النحل: ٩٨]، فإنَّ الاستعاذَةَ ليست من القُرآنِ إجماعاً، هذا وتفسيرُ الشَّيخِ[٣] غريبٌ، والمشهورُ في معناهُ: دُم على ذكرِهِ ليلاً ونَهاراً، وذكرُ الله يتناوَلُ كلَّ ما يذكَرُ به من تَسبيحٍ وتهليلٍ وتحميدٍ وصلاةٍ وقراءَةِ قُرآنٍ ودراسَةِ علمٍ.

قولُهُ: (في العِبَادَةِ) أو بها.

(وجَرِّد) نفسَك عمَّا سواهُ.

قولُهُ: (هُو) يعني: أنَّ المبتدأ مُقدَّرٌ، وقيلَ: لا تقدير، وخبرُهُ: ﴿لا إله إلا هُوَ﴾، وقرأ الشَّاميُّ والكوفيُّ غير حفصٍ بالجرِّ[٤] على البدلِ من: ﴿رَبِّكَ﴾.

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٩).

(٢) انظر: «البناية» (٢/ ١٩٢).

(٣) الشيخ المحلي رحمه الله.

(٤) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٦).

٩ ـ هو ﴿رَبُّ المَشرِقِ والمَغرِبِ، لا إلـٰـهَ إلاّ هُوَ. فاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾: موكولاً له أمُورُك، ١٠ ـ ﴿واصبِرْ علَى ما يَقُولُونَ﴾، أي: كُفّارُ مكّة من أذاهم، ﴿واهجُرْهُم هَجرًا جَمِيلاً﴾: لا جزعَ فيه ـ وهذا قبل الأمر بقِتالهم ـ ١١ ـ ﴿وذَرْني﴾: اتركني ﴿والمُكَذِّبينَ﴾: عطفٌ على المفعول، أو مفعولٌ معه ـ والمعنى: أنا كافيكَهُم، وهم صناديد قُريش ـ ﴿أُولِي النَّعْمةِ﴾: التنعّم ﴿ومَهِّلْهُم قَلِيلاً﴾ من الزمن. فقُتلوا بعد يسير منه ببدر.

١٢ ـ ﴿إنَّ لَدَينا أنكالاً﴾: قُيودًا ثِقالاً، جمعُ نِكْل بكسر النون ﴿وجَحِيمًا﴾: نارًا مُحرقة، ١٣ ـ ﴿وطَعامًا ذا غُصّةٍ﴾: يُغَصّ به في الحلق ـ وهو الزقّوم أو الضريع، أو الغِسلينُ أو شوك من نار ـ لا يخرج ولا ينزل ﴿وعَذابًا أليمًا﴾: مُؤلمًا زيادة على ما ذُكر لمن كذّب النبيّ، ١٤ ـ ﴿يَومَ تَرجُفُ﴾: تَزَلزلُ ﴿الأرضُ والجِبالُ، وكانَتِ الجِبالُ كَثِيبًا﴾: رملاً مُجتمِعًا ﴿مَهِيلاً﴾: سائلاً بعد اجتماعه. وهو مِن: هالَ يَهيلُ. ....

قولُهُ: (من أَذَاهُم) أي: على ما يقولونَ فينا، أو فيكَ، أو في القُرآنِ.

قولُهُ: (لا جَزَعَ) أو بأن تجانبَهُم وتُداريَهُم.

قولُهُ: (عَلَى المَفعُولِ) أي: دعني وإيَّاهُم وكِلْ إليَّ أمرَهُم.

قولُهُ: (مِنَ الزَّمَنِ) أو الإمهالِ.

قولُهُ: (يَغُصُّ) ويعترِضُ وينشَبُ.

قولُهُ: (مُؤلِماً) أي: نَوعاً آخرَ من العذابِ مؤلماً لا يعرِفُ كنهَهُ إلا الله، وفسَّرَ العذابَ بالحرمانِ عن لقاءِ الله تعالى، ولذا قيلَ: الحجابُ أشدُّ العذابِ.

قولُهُ: (تُزَلزَلُ) بحذفِ إحدى التَّاءينِ؛ أي: تضطَرِبُ.

قولُهُ: (رَملاً) إنَّما أعيدَ لفظُ: ﴿الجِبالِ﴾ والقياسُ الإضمارُ؛ لتقدُّمِ ذكرها؛ لأنَّ الآيَةَ سيقَت للتَّخويفِ والتَّنبيهِ على عِظَمِ الأمرِ، فإعادَةُ الضَّميرِ[1] أبلغُ، وأيضاً لو لم يذكرِ الجبالَ لكان الضَّميرُ مُحتمِلاً أن يعُودَ إلى ﴿الأَرضِ﴾، فذكرَ ﴿الجبَالَ﴾ بظاهرِها دفعاً لهذا الاحتِمالِ.

قولُهُ: (سَائِلاً) مَنثوراً.

قولُهُ: (من هَالَ) إذا نُثِرَ وسالَ.

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: الظاهر، ليناسب السياق.

وأصله «مَهْيُول» استُثقلت الضمّةُ على الياء فنقلت إلى الهاء، وحُذفَتِ الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقُلبت الضمّة كسرة لمجانسة الياء.

١٥ ـ ﴿إِنَّا أَرسَلْنا إِلَيكُم﴾ ـ يا أهل مكّة ـ ﴿رَسُولاً﴾ هو مُحمّد ﷺ ﴿شاهِدًا عليكُم﴾ يوم القيامة بما يصدر منكم من العِصيان ﴿كَما أَرسَلْنا إِلَى فِرعَونَ رَسُولاً﴾ هو مُوسَى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ١٦ ـ ﴿فعَصَى فِرعَونُ الرَّسُولَ، فأَخَذْناهُ أَخذًا وَبِيلاً﴾: شديدًا.

١٧ ـ ﴿فكَيفَ تَتَّقُونَ، إن كَفَرتُم﴾ في الدنيا، ﴿يَومًا﴾: مفعول «تتّقون» أي: عذابه، أي: بأيِّ حِصن تتحصّنون من عذاب يومٍ، ﴿يَجعَلُ الوِلدانَ شِيبًا﴾: جمع أشيَبَ لشِدّة هوله، وهو يوم القيامة ـ والأصل في شين «شيب» الضمّ، وكُسرت لمجانسة الياء. ويقال في اليوم الشديد: يومٌ يُشِيب نواصيَ الأطفال. وهو مجاز. ويجوز أن يكون المُراد في الآية الحقيقةَ ـ ١٨ ـ ﴿السَّماءُ مُنفَطِرٌ﴾: ذاتُ انفطارٍ أي: انشقاقٍ ﴿بِهِ﴾: ....

قولُهُ: (ثَانِي السَّاكِنَينِ) عندَ سيبَويهَ[1] وأوَّلُهما عندَ الأخفَشِ[2]، وقُلبت الواو ياءً.

قولُهُ: (منَ العِصيَانِ) والطَّاعَةِ.

قولُهُ: (هُوَ مُوسَى) ولم يُعيِّنهُ؛ لأنَّ المقصودَ لم يتعلَّق به.

قولُهُ تَعَالَى: (﴿الرَّسُول﴾) عرَّفَهُ لسبقِ ذكرِهِ.

قولُهُ: (شَدِيداً) ثَقيلاً غليظاً بالإغراقِ في الدُّنيا، وبالإحراقِ في العُقبى.

قولُهُ: (فِي الدُّنيَا) أي: إن بَقيتُم على الكفرِ.

قولُهُ: (وكُسِرَتْ) كبِيْض، جمعُ: أبيَض.

قولُهُ: (وَهوَ مَجَازٌ) أي: تَمثيلٌ للشِّدَّةِ، وأصلُهُ: أنَّ الهُمومَ تضعِفُ القوى وتُسرِعُ بالشَّيبِ، وقيل: هذا على الفرَضِ؛ أي: لو وجِدَ وِلْدانٌ.

قولُهُ: (الحَقِيقَةُ) بأن يكونَ وَصفَ اليومَ بالطُّولِ.

قولُهُ: (ذَاتُ انفِطَارٍ وانشِقَاقٍ) يعني: على النَّسَبِ والتَّذكيرِ على تأويلِ الشَّقِّ، وإضمارِ شيءٍ، وقيل: السَّماءُ يُذكَّرُ ويُؤنَّثُ.

---

(١) انظر: «الكتاب» (٤/ ٣٨٦).

(٢) انظر: «معاني القرآن» (١/ ٥٠).

بذلك اليوم لشِدّته؟ ﴿كَانَ وَعدُهُ﴾ ـ تعالى ـ بمجيء ذلك اليوم ﴿مَفعُولاً﴾، أي: هو كائن لا محالة.

١٩ ـ ﴿إِنَّ هذِهِ﴾ الآياتِ المُخوِّفة ﴿تَذكِرةٌ﴾: عِظة للخلق. ﴿فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا بالإيمان والطاعة.

٢٠ ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أدنَى﴾: أقلّ ﴿مِن ثُلُثَي اللَّيلِ ونِصفِهِ وثُلُثِهِ﴾ ـ بالجرّ: عطفٌ على «ثُلثي»، وبالنصب: عطفٌ على «أدنى». وقِيامُه كذلك نحوُ ما أُمر به أوّلَ السورة ـ ﴿وطائفةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾: عطفٌ على ضمير «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل ـ وقِيامُ طائفة من أصحابه كذلك للتأسّي به. ومنهم من كان لا يدري: كم صلّى من الليل؟ وكم بقي منه؟ فكان يقوم الليل كُلّه احتياطًا، فقاموا حتّى انتفخت أقدامهم سَنة أو أكثر، فخُفّف عنهم ـ قال تعالى: ﴿واللهُ يُقَدِّرُ﴾: يُحصي ﴿اللَّيلَ والنَّهارَ، عَلِمَ أَنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿لَن تُحصُوهُ﴾ أي: الليلَ لتقوموا فيما يجب القِيام فيه، إلاّ بقِيام جميعه، وذلك يشُقّ عليكم، ﴿فتابَ عَلَيكُم﴾: رجَعَ بكم إلى التخفيف. ﴿فاقرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنَ القُرآنِ﴾ في الصلاة بأن تُصلّوا ما تيسّر.

قولُهُ: (بِذَلكَ اليَومِ) أو بشدَّةِ ذلكَ اليَومِ مع عظَمِها وإحكامِها فضلاً عن غيرِها، والباءُ للآلَةِ، وقيلَ: للسَّببيَّةِ، وقيلَ: للظَّرفيَّةِ.

قولُهُ: (تَعَالَى) يعني: الضَّميرُ للَّه، وقيلَ: لليَومِ على إضافَتِهِ إلى المفعولِ.

قولُهُ تَعَالَى: (﴿فَمَن شَاءَ﴾) أي: أن يتّعظَ.

قولُهُ: (أَقَلَّ) استعَارَ الأدنى للأقَلِّ؛ لأنَّ الأقرَبَ إلى الشَّيءِ أقَلُّ بُعداً منه.

قولُهُ: (وبِالنَّصبِ) مكّيٌّ وكوفيٌّ[1].

قولُهُ: (للفَصلِ) أي: ويَقولُ ذلك جَماعَةٌ من أصحابِكَ، و﴿من﴾ بَيانيَّةٌ أو تبعيضيَّةٌ.

قولُهُ: (يُحصِي) أي: لا يعلَمُ مقاديرَ ساعاتِهما كما هي إلا اللهُ.

قولُهُ: (أي: اللَّيلَ) أي: لن تُحصُوا تقديرَ الأوقاتِ، ولن تُطيقوا ضبطَ السَّاعاتِ.

قولُهُ: (إلى التَّخفِيفِ) بالتَّرخيصِ في تركِ القيامِ المقدَّرِ، ورفعِ التَّبعَةِ فيه.

قولُهُ: (مَا تَيَسَّرَ) عليكُم من صلاةِ اللَّيلِ، عبَّر عن الصَّلاةِ بالقراءَةِ كما عبَّرَ عنها بسائرِ الأركانِ، أو المرادُ بـ﴿القُرآنِ﴾: القراءاتُ السَّبعُ على ما في البُخاري[2]، قيل: كانَ التَّهجُّدُ واجباً على التَّخييرِ المذكورِ، فعَسُرَ

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

(٢) روى البخاري (٧٥٥٠)، ومسلم (٨١٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولفظه قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه».

﴿عَلِمَ أَنْ﴾: مُخففة من الثقيلة، أي: أنّه ﴿سَيَكُونُ مِنكُم مَرضَى، وآخَرُونَ يَضرِبُونَ في الأرضِ﴾: يُسافرون، ﴿يَبتَغُونَ مِن فَضلِ اللهِ﴾: يطلبون من رزقه بالتجارة وغيرها، ﴿وآخَرُونَ يُقاتِلُونَ في سَبِيلِ اللهِ﴾. وكُلّ من الفِرَق الثلاث يشُقّ عليهم ما ذُكر في قيام الليل، فخُفّف عنهم بقيام ما تيّسر منه، ثمّ نُسخ ذلك بالصلوات الخمس. ﴿فاقرَؤُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ﴾ كما تقدم ﴿وأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ المفروضة، ﴿وآتُوا الزَّكاةَ، وأقرِضُوا اللهَ﴾ بأن تُنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرضًا حَسَنًا﴾ عن طِيب قلب ـ ﴿وما تُقَدِّمُوا لِأنفُسِكُم مِن خَيرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللهِ هُوَ خَيرًا﴾ ممّا خلّفتم، وهو: فصلٌ وما بعده، وإن لم يكن معرفة، يُشبهها لامتناعه من التعريف، ﴿وأعظَمَ أجرًا ـ واستَغفِرُوا اللهَ. إنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمُؤمنين.

عليهم القيامُ به فنسَخَ به، ثمَّ نسخَ هذا بالصَّلواتِ الخمسِ، ومذهَبُ الحسنِ البصريِّ[1] وبعضٌ آخرُ أنَّ الواجِبَ على حمَلَةِ القُرآنِ أن يقوموا من اللَّيلِ ولو بشَيءٍ منه، وفي الأحاديثِ ما يدُلُّ على ذلك[2].

قولُهُ: (وغَيرِهَا) كالحَجِّ وطلَبِ العِلمِ.

قولُهُ: (كَمَا تَقَدَّمَ) أو اكتَفوا بالقراءَةِ، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (بأَن تُنفِقُوا) وهذا يدُلُّ على قولِ من قالَ: إنَّ فرضَ الزَّكاةِ بمكَّةَ، لكنَّ المقاديرَ والمصارِفَ لم تتبَيَّنْ إلا بالمدينَةِ.

قولُهُ: (مَا سِوَى المفرُوضِ) أو المرادُ به: الأمرُ بأداءِ الزَّكاةِ على أحسَنِ وجهٍ، والتَّرغيبُ فيه بوَعدِ العِوَضِ.

قولُهُ: (عَن طِيبِ قَلبٍ) ووجهِ حلالٍ، وبأن يكونَ مقروناً بإخلاصٍ.

قولُهُ: (مِمَّا خَلَّفتُم) من مَتاعِ الدُّنيا، أو من الذي تؤَخِّرونَهُ إلى الوصيَّةِ عند الموتِ، وهو ثاني مفعولَي: ﴿تَجِدُوه﴾.

قولُهُ: (وَهُوَ فَصْلٌ) أو تأكيدٌ.

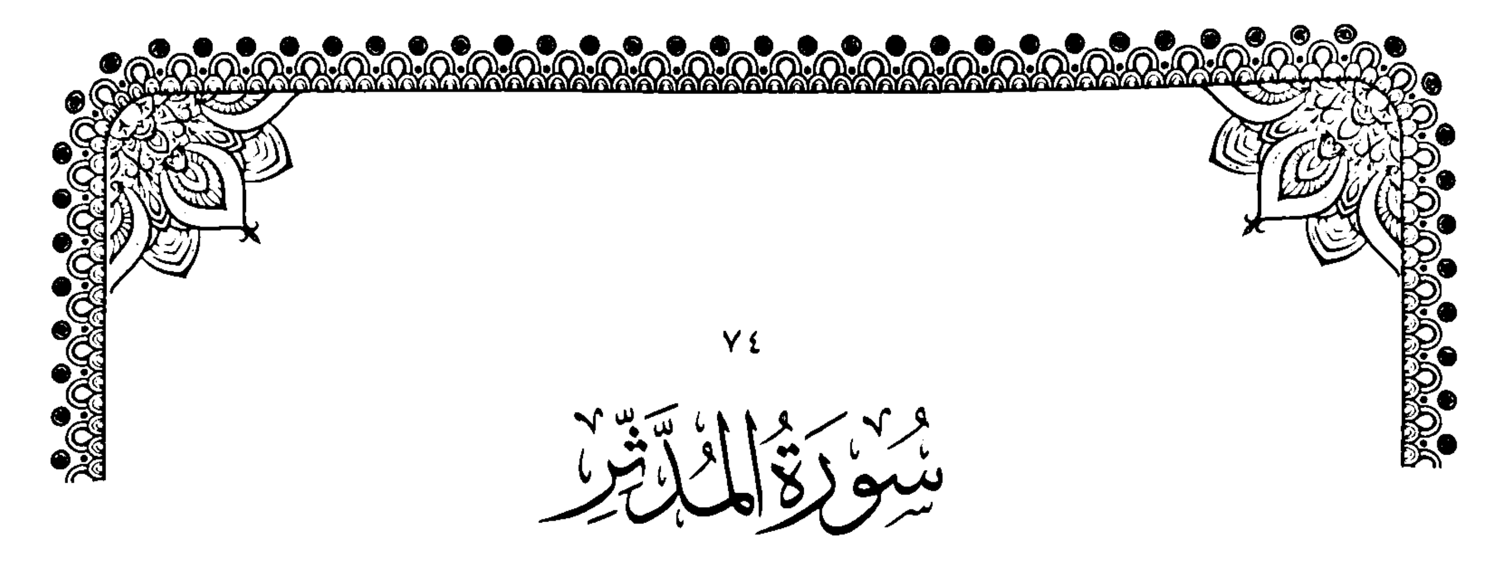
قولُهُ: (يُشبِهُهَا) لأنَّ أفعَلَ مِنْ كالمعرفَةِ.

قولُهُ: (مِنَ التَّعرِيفِ) أي: حَرفِه، والله أعلمُ.

---

(١) روى الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٦٩٨) عن أبي رجاء محمد، قال. قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، فلا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة، قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذاك؛ قال الله للعبد الصالح: ﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾ ﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ قلت: يا أبا سعيد قال الله: ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾ قال: نعم، ولو خمسين آية.

(٢) روى أبو داود (١٤١٦)، والترمذي (٤٥٣)، والنسائي (١٦٧٥)، وابن ماجه (١١٦٩)، وأحمد في «مسنده» (٨٧٧) عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أهل القرآن، أوتروا، فإن الله وتر، يحب الوتر». قال الترمذي: حديث حسن.



مكية، خمس وخمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿يا أَيُّها المُدَّثِّرُ﴾: النبيُّ ـ وأصله «المُتَدَثِّر» أُدغمت التاء في الدال ـ أي: المُتلفّف بثيابه عند نُزول الوحي عليه، ٢ ـ ﴿قُمْ فأنذِرْ﴾: خوِّفْ أهلَ مكّة النارَ إن لم يُؤمنوا، ٣ ـ ﴿وربَّكَ فكَبِّرْ﴾: عظِّم عن إشراك المُشركين، ٤ ـ ﴿وثِيابَكَ فطَهِّرْ﴾..

سورة المدثر

قولُهُ: (المُتَدَثِّر) وقُرِئَ به[1]، وهو لابِسُ الدِّثارِ، رويَ أنّه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلام قال: «كُنتُ بحِراءَ فَنُودِيتُ فنَظَرتُ عن يمِيني وشِمالي فلم أَرَ شيئاً، فنظَرتُ فَوقِي فإذا هو على عَرشٍ بينَ السَّماءِ والأرضِ ـ يَعني: الملَكَ الذي ناداهُ ـ فرُعِبتُ ورَجعتُ إلى خَدِيجَة فقُلتُ: دَثِّرُوني، فنزَلَ جبرِيلُ، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا المدَّثِرُ﴾» رواهُ الشَّيخانِ[2]، ولذلك قيل: هي أوّلُ سورَةٍ نزلَتْ؛ أي: كاملَةً.

قولُهُ تَعالَى: (﴿قُم﴾) أي: من مضجَعِكَ، أو قُم قيامَ عزمٍ وجِدٍّ.

قولُهُ: (أَهْلَ مَكَّةَ) أو عشيرَتَكَ، والأظهَرُ أنّه مطلَقٌ لإفادَةِ التَّعميمِ.

قولُهُ: (أي: عَظِّم) يعني: وخَصِّص ربَّكَ بالتَّكبيرِ، وهو وصفُهُ بالكبرياءِ والعظمَةِ اعتِقاداً وقَولاً وفِعلاً، رويَ أنّه لمَّا نزلَ كبَّرَ رسولُ الله ﷺ وأيقنَ أنّه الوحيُ[3]؛ لأنَّ الشَّيطانَ لا يأمُرُ بذلك.

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لأبي بن كعب رضي الله عنه، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٩١).

(٢) رواه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١) بنحوه من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) ذكر مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٤/ ٤٩٠) بنحوه.

عن النجاسة، أو قصِّرْها خِلاف جرّ العرب ثيابَهم خُيَلاءَ فربّما أصابتها نجاسة، ٥ ـ ﴿والرِّجزَ﴾ ـ فسّره النبيُّ ﷺ بالأوثان ـ ﴿فاهجُرْ﴾ أي: دُم على هجره، ٦ ـ ﴿ولا تَمنُنْ تَستكثِرُ﴾ ـ بالرفع حال ـ أي: لا تُعطِ شيئًا لتطلب أكثر منه، وهذا خاصّ به ﷺ لأنه مأمور بأجلّ الأخلاق وأشرف الآداب، ٧ ـ ﴿ولِرَبِّكَ فاصبِرْ﴾ على الأوامر والنواهي.

٨ ـ ﴿فإذا نُقِرَ في النَّاقُورِ﴾: نُفخ في الصُّور ـ وهو القَرن ـ النفخةُ الثانية ٩ ـ ﴿فذلِكَ﴾ أي: وقتُ النقر ﴿يَومَئِذٍ﴾: بدل ممّا قبله المُبتدأِ، وبُني لإضافته إلى غير مُتمكّن، وخبر المبتدأ: ﴿يَومٌ عَسِيرٌ﴾ ـ والعامل في «إذا» ما دلّت عليه الجملة، أي: اشتدّ الأمر ـ ١٠ ـ ﴿عَلَى الكافِرِينَ غَيرُ يَسِيرٍ﴾. فيه دلالة على أنه يسير على المُؤمنين، أي: في عُسره.

١١ ـ ﴿ذَرْنِي﴾: اتركْني ﴿ومَن خَلَقتُ﴾: عطفٌ على المفعول أو مفعول معه، ﴿وَحِيدًا﴾: حالٌ من «مَن» أو من ضميره المحذوف مِن «خلقتُ»، أي: منفردًا بلا أهل ولا مال ـ وهو الوليد بن المُغيرة ـ ١٢ ـ ﴿وجَعَلتُ لَهُ مالاً مَمدُودًا﴾:..

قولُهُ: (عَنِ النَّجَاسَةِ) فإنَّ التَّطهيرَ واجبٌ في الصَّلاةِ ومحبوبٌ في غيرها، وذلك بغسلِها وبحِفظِها عن النَّجاسَة كتقصيرِها مخافَةَ جرِّ الذُّيولِ فيها، وهو أوَّلُ ما أمرَ به من تركِ العاداتِ المذمومَةِ.

قولُهُ: (أو قَصِّرْهَا) فإنَّه «أبقَى وأتقَى وأنقَى»، كما في حَديثٍ[1].

قولُهُ: (بالأَوثَانِ) أي: فاهجُرِ العذابَ بالثَّباتِ على هجرِ ما يؤدِّي إليه من الشِّركِ وغيره من القبائِحِ، وقرأَ حفصٌ بالضَّمِّ[2]، وهو لُغةٌ كالذِّكرِ.

قولُهُ: (وهَذا خَاصٌّ) أو نهيُ تنزيهٍ، وقيل: لا تمتَنَّ على الله بعبادتِكَ مُستكثِراً إيَّاها.

قولُهُ: (عَلى الأَوَامِرِ) أو على أذى المشركِينَ لِوَجْهِه تَعالى، أو لأمرِهِ.

قولُهُ: (أي: فِي عُسْرِهِ عَلى الكَافِرِينَ) يعني: أنَّه تأكيدٌ يمنَعُ أن يكونَ عسيراً على الكافرينَ من وَجهٍ دونَ وجهٍ.

قولُهُ: (مِن مَن) أو من الياءِ؛ أي: ذَرني وَحدي معه فإنِّي أكفيكَهُ، أو من التَّاءِ؛ أي: ومن خَلَقْتُهُ وحدي لم يَشرَكني في خلقِهِ أحَدٌ.

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٦٠٢)، وأحمد في «مسنده» (٢٣٠٨٦)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده» (١٢٨٦)، والترمذي في «الشمائل المحمدية» (١٢١)، والحارث في «مسنده» (٥٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٣٧) من حديث عن أشعث، عن عمته، عن عمها، ووقع عند بعضهم: «أتقى وأبقى»، وبعضهم: «أبقى وأنقى»، وبعضهم: «أتقى وأنقى».

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

واسعًا مُتّصلاً من الزروع والضروع والتجارة ١٣ ـ ﴿وبَنِينَ﴾ عشَرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾: يشهدون المَحافل وتُسمع شهادتهم، ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ﴿ومَهَّدتُ﴾: بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعُمر والولد ﴿تَمهِيدًا، ثُمَّ يَطمَعُ أن أزِيدَ. كَلاّ﴾ لا أزيدُه على ذلك ـ ﴿إنَّهُ كانَ لِآياتِنا﴾: القُرآن ﴿عَنِيدًا﴾: مُعاندًا ـ ١٧ ـ ﴿سأُرهِقُهُ﴾: أُكلّفه ﴿صَعُودًا﴾: مشقّة من العذاب أو جبلاً من نار يَصعد فيه ثمّ يهوي أبدًا.

١٨ ـ ﴿إنَّهُ فَكَّرَ﴾ فيما يقول في القُرآن الذي سمعه من النبي ﷺ ﴿وقَدَّرَ﴾ في نفسه ذلك ـ ١٩ ـ ﴿فقُتِلَ﴾:..

قولُهُ: (وَاسِعاً) أي: مَبسوطاً كثيراً، أو ممدوداً بالنَّماءِ.

قولُهُ: (أو أَكثَرَ) قيلَ: ثلاثَةَ عشَر كلُّهُم رجالٌ[1]، قيل: أسلَمَ منهم ثلاثَةٌ: خالِدٌ والوليدُ وهشامٌ[2].

قولُهُ: (المَحَافِلَ) لوجاهَتِهِم واعتبارِهِم من الشُّهودِ؛ بمعنى: الحُضورِ.

قولُهُ: (في العَيشِ) والرِّئاسَةِ والجاهِ العريضِ.

قولُهُ: (لا أَزِيدُهُ) لأنَّه لا يُناسِبُ ما هو عليه من كُفرانِ النِّعمِ ومُعاندَةِ المنعِمِ، قيل: ما زالَ بعدَ نُزولِ هذه الآيةِ في نُقصانٍ حتَّى هلكَ.

قولُهُ: (أُكَلِّفُه) وأُغَشِّيه.

قولُهُ: (مَشَقَّةً) أي: عقبَةً شاقَّةَ المصعَدِ، وهو مَثَلٌ لما يلقى من الشَّدائد.

قولُهُ: (أو جَبَلاً) على ما رواهُ التِّرمذيُّ وغيره[3].

قولُهُ: (يَصعَدُ) سبعينَ خريفاً، ثمَّ يهوي فيه كذلك أبداً.

قولُهُ: (فِيمَا يَقُولُ) أي: فيما تخيَّلَ طَعناً.

قولُهُ: (ذَلِكَ) أي: ما يقولُ فيه.

(١) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٣٢٩) عن سعيد بن جبير، قال: وكان له ثلاثة عشر ولدا كلهم رب بيت... إلخ، وعزاه لسعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ١٧٥) من قول مقاتل.

والذي نقله الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٤٣) عن مقاتل، أنه أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام وعمارة. وغلط ذلك ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ٢١٦) ثم قال: والصواب خالد وهشام والوليد، فأما عمارة فإنه مات كافراً.

(٣) رواه الترمذي (٢٥٧٦)، وأحمد في «مسنده» (١١٧١٢) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من حديث ابن لهيعة.

قلت: تابعه عمرو بن الحارث فيما رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٦٤) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

لُعِنَ وعُذِّبَ ﴿كَيفَ قَدَّرَ﴾: على أيِّ حال كان تقديره؟ ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيفَ قَدَّرَ ـ ثُمَّ نَظَرَ﴾ في وُجوه قومه أو فيما يَقدَحُ به فيه، ٢٢ ـ ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾: قبَض وجهه وكلَّحه ضِيقًا بما يقول، ﴿وبَسَرَ﴾: زاد في القبض والكلوح، ٢٣ ـ ﴿ثُمَّ أدبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿واستكبَرَ﴾: تكبّر عن اتّباع النبيّ ﷺ، ٢٤ ـ ﴿فقالَ﴾ فيما جاء به: ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ سِحرٌ يُؤثَرُ﴾: يُنقل عن السَّحرة. ٢٥ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هذا إلاّ قَولُ البَشَرِ﴾ كما قالوا: «إنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ». ٢٦ ـ ﴿سأُصلِيهِ﴾: أُدخِلُه ﴿سَقَرَ﴾: جهنّمَ.

قولُهُ: (لُعِنَ) تعجيبٌ من تقديرِهِ استِهزاءً به، رويَ أنّه مرَّ بالنَّبيِّ ﷺ وهو يقرَأُ: ﴿حمٓ﴾ السَّجدَة [فصلت: ١]، فأتَى قومَهُ وقال: لقد سمعتُ من مُحمَّدٍ آنِفاً كَلاماً ما هو من كَلامِ الإنسِ والجنِّ، إنَّ له لحلاوَةً وإنَّ عليه لطلاوَةً ـ أي: رَونَقاً ـ وإن أعلاهُ ـ أي: مَعناهُ ـ لمثمِرٌ، وإنَّ أسفلَهُ ـ أي: لفظَهُ ـ لمُغدِق ـ أي: واسِعٌ ـ، وإنَّه ليَعلو ولا يُعلى، فقالَ قريشٌ: صَبأَ الوليدُ، فقالَ ابنُ أخيهِ أبو جَهلٍ: أنا أكفيكُمُوهُ، فقعَدَ إليهِ حزيناً وكلَّمَهُ بما أحماه ـ أي: أغضَبَهُ ـ فقامَ فأتاهُم فقال: تزعُمونَ أنَّ مُحمَّداً مجنونٌ، فهل رأيتموهُ يخنق؟ وتقولونَ: إنَّهُ كاهنٌ فهل رأيتموهُ يتكهَّنُ؟ وتزعمونَ أنَّه شاعرٌ، فهل رأيتُموهُ يَتعاطى شِعراً؟ فقالوا: لا، فقال: ما هو إلا ساحِرٌ، أما رأيتُموهُ يُفرِّقُ بين الرَّجُلِ وأهلِهِ ووَلَدِهِ ومواليهِ، ففَرِحوا بقولِهِ، وتَفرَّقوا مُتعجِّبينَ منه[1].

قولُهُ تعالَى: (﴿ثمَّ قُتِلَ﴾) تكريرٌ للمُبالغَةِ، و﴿ثمَّ﴾ للدَّلالَةِ على أنَّ الثَّانيةَ أبلغُ من الأولى، وفيما بَعدُ على أصلِها.

قولُهُ: (أو فِيمَا يَقْدَحُ) أي: في أمرِ القُرآنِ مرَّةً بعد أخرى.

قولُهُ: (قَبَضَ) وقطَّبَ.

قولُهُ: (ضِيقاً) أي: لمَّا لم يجدْ فيه طَعناً ولم يَدرِ ما يقولُ، أو نَظَرَ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقطَّبَ في وجهِهِ.

قولُهُ: (زَادَ) موافقٌ لما في «المدارِكِ»[2]، وهو الصَّحيحُ، وخالَفَ البَيضاويُّ وقال[3]: إتباعٌ لـ﴿عبس﴾، ورُدَّ بأنَّ عَطْفَ الإتباعِ على المتبوعِ غير معروفٍ.

قولُهُ: (عَنِ الإيمَانِ) أو الرَّسولِ.

قولُهُ: (النَّبيِّ) أو الحَقِّ.

قولُهُ: (يُنقَلُ) ويُروى ويُتعلَّمُ.

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٧) بنحوه عن ابن عباس، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري. ووافقه الذهبي.
وقال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص: ٣٢٤): رواه البيهقي في «الشعب» من حديث ابن عباس بسند جيد.

(٢) انظر: «مدارك التنزيل» (٣/ ٥٦٤).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٦١).

٢٧ ـ ﴿وما أدراكَ: ما سَقَرُ﴾؟ تعظيمٌ لشأنها. ٢٨ ـ ﴿لا تُبقِي ولا تَذَرُ﴾ شيئًا من لحم ولا عصب إلاّ أهلكته ثمّ يعود كما كان، ٢٩ ـ ﴿لَوّاحةٌ لِلبَشَرِ﴾: مُحرقة لظاهر الجلد، ٣٠ ـ ﴿علَيها تِسْعةَ عَشَرَ﴾ ملَكًا خزنتُها؟ قال بعض الكُفّار، وكان قويًّا شديد البأس: أنا أكفيكم سبعةَ عشَرَ، واكفوني أنتم اثنين. قال تعالى:

٣١ ـ ﴿وما جَعَلْنا أصحابَ النّارِ إلاّ مَلائكةً﴾، أي: فلا يُطاقون كما يَتوهّمون، ﴿وما جَعَلْنا عِدّتَهُم﴾ ذلك ﴿إلاّ فِتْنَةً﴾: ضلالاً ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يقولوا: لمَ كانوا تسعةَ عشَرَ؟ ﴿لِيَستَيقِنَ﴾: ليستَبينَ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ أي: اليهودُ صِدقَ النبيّ في كونِهم تسعةَ عشَرَ المُوافقِ لِما في كِتابهم، ﴿ويَزدادَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أهل الكتاب ﴿إيمانًا﴾ تصديقًا لمُوافقة ما أتى به النبيّ ﷺ لِما في كِتابهم، ﴿ولا يَرتابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ والمُؤمِنُونَ﴾ من غيرهم في عدد الملائكة، ....

قولُهُ: (مُحْرِقَةٌ) أو مُسوِّدَةٌ، أو لائحَةٌ ظاهِرَةٌ للنَّاسِ.

قولُهُ: (مَلَكاً) أو صِنفاً، أو صَفًّا من الملائِكةِ.

قولُهُ: (خَزَنَتُهَا) يَلونُ أمرَها، قيل: في سَقَر تسعَةَ عَشَرَ دَركاً، وقد سُلِّطَ على كُلِّ دركٍ مَلكٌ، وقيل: يُعذَّبُ فيها تسعَةَ عشَرَ لَوناً من العَذابِ، على كُلِّ لونٍ مَلكٌ مُوكَّلٌ.

قولُهُ: (كمَا يَتوهَّمُون) إذ جاءَ في الخبَرِ: أعيُنُهُم كالبَرقِ الخاطِفِ، وأنيابُهُم كالصَّياصِي[1] يخرُجُ لهَبُ النَّارِ من أفواهِهِم ما بينَ منكِبَي أحدِهِم مسيرَةُ سنةٍ، نُزعَت منهُمُ الرَّحمَةُ، يدفَعُ أحدُهُم سبعينَ ألفاً فيرميهِم حيثُ أرادَ من جهنَّمَ[2].

قولُهُ: (ضَلالاً) وافتِتاناً.

قولُهُ: (بأَن يَقُولُوا) أو يَستقِلُّوا، ويَستَهزِؤوا ويَستبعِدوا أن يَتولَّى هذا العدَدُ القليلُ تعذيبَ أكثرِ الثَّقَلينِ.

قولُهُ: (أي: اليَهُودُ) يعني: ليكتَسِبوا اليقينَ بنبوَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ وصِدقِ القُرآنِ.

قولُهُ: (مِن أَهلِ الكِتَابِ) الظَّاهرُ أنَّه أعمُّ.

قولُهُ: (تَصدِيقاً) أو إيماناً بالإيمانِ به، أو بتَصديقِ أهلِ الكِتابِ له.

قولُهُ: (مِن غَيرِهِم) وهو تأكيدٌ للاستيقانِ، وزيادَةِ الإيمانِ.

---

(١) الصيصة: شوكة الحائك يسوي بها السدى واللحمة. «القاموس المحيط» (ص: ٦٢٣).

(٢) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٥٩) (٣٢١٨) بنحوه عن ابن جريج مرسلا.

﴿وليقولَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِم مَرَضٌ﴾: شكٌّ بالمدينة ﴿والكافِرُونَ﴾ بمكّة: ﴿ماذا أرادَ اللهُ بِهذا﴾ العدد ﴿مَثَلاً﴾؟ سمَّوه لغرابته بذلك، وأُعرِب حالاً ـ ﴿كَذلِكَ﴾ أي: مِثلَ إضلالِ مُنكِرِ هذا العدد وهَدْيِ مُصدّقِه ﴿يُضِلُّ اللهُ مَن يَشاءُ ويَهدِي مَن يَشاءُ ـ وما يَعلَمُ جُنودَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكةَ في قوّتهم وأعوانهم، ﴿إلاّ هُوَ، وما هِيَ﴾ أي: سقرُ ﴿إلاّ ذِكرَى﴾: عِظةٌ ﴿لِلبَشَرِ﴾.

٣٢ ـ ٣٣ ـ ﴿كَلاّ﴾: استفتاحٌ بمعنى: ألا ﴿والقَمَرِ، واللَّيلِ إذا﴾، بفتح الذال، ﴿دَبَرَ﴾: جاء بعد النهار ـ وفي قِراءة: «إذْ أدبَرَ» بسكون الذال بعدها همزة، أي: مضى ـ ٣٤ ـ ﴿والصُّبحِ إذا أسفَرَ﴾: ظهر، ٣٥ ـ ﴿إنَّها﴾ أي: سقرَ ﴿لَإحدَى الكُبَرِ﴾: البلايا العِظام،........................

قولُهُ: (شَكٌّ بالمَدِينَةِ) الصَّواب: شَكٌّ أو نفاقٌ، فيكونُ إخباراً بمكَّةَ عمَّا سيكونُ في المدينَةِ بعدَ الهجرَةِ.

قولُهُ: (بِمَكَّةَ) الجازمونَ في التَّكذيبِ.

قولُهُ: (العَدَدِ) أي: أيُّ شيءٍ أرادَ بهذا العَدَدِ المستغرَبِ استِغرابَ المثلِ.

قولُهُ: (أي: المَلائِكَةَ) يعني: جُموعَ خلقِهِ على ما هم عليه.

قولُهُ: (أي: سَقَر) أو عدَّةُ الخزنَةِ، أو السورَةُ.

قولُهُ: (استِفتَاحٌ) هذا قولُ أبي حاتِمٍ ومتابعيهِ، وقالَ الكسائيُّ: معناهُ: حقًّا[1]، والجمهورُ على أنَّه رَدعٌ لمن أنكَر[2].

قولُهُ: (بفَتحِ الذَّالِ) وأَلِفٌ بعدها.

قولُهُ: (جَاءَ) أو دَبَرَ بمعنى أَدْبَرَ، كقَبَلَ بمعنى: أقبلَ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وحفصٍ وحمزَة[3].

قولُهُ: (بِسُكُونِ الذَّالِ) أي: المعجمَةِ.

قولُهُ: (بَعدَهَا هَمزَةٌ) أي: في أوَّلِ الكلِمةِ الآتيةِ؛ يعني: ﴿أَدبَرَ﴾ على وزنِ: أكرَمَ.

قولُهُ: (ظَهَرَ) وأضاءَ.

قولُهُ: (العِظَام) أي: البلايا الكُبر كثيرَةٌ، وسقَرُ واحدَةٌ منها.

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٢٥٠).

(٢) انظر: «شرح قواعد الإعراب» (١/ ١٠٦).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

٣٦ ـ ٣٧ ـ ﴿نَذِيرًا﴾: حالٌ من «إحدى الكبر»، وذُكّر لأنها بمعنى العذاب ﴿لِلْبَشَرِ، لِمَن شاءَ مِنكُم﴾: بدلٌ من «للبشر» ﴿أن يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الخير أو الجنّة بالإيمان ﴿أو يَتأَخَّرَ﴾ إلى الشرّ أو النار بالكُفر.

٣٨ ـ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾: مرهونة مأخوذة بعملها في النار، ٣٩ ـ ﴿إلاّ أصحابَ اليَمِينِ﴾ وهم المُؤمنون فناجون منها، كائنون ٤٠ ـ ﴿في جَنّاتٍ يَتَساءَلُونَ﴾ بينهم ٤١ ـ ﴿عَنِ المُجرِمِينَ﴾ وحالهم، ويقولون لهم بعد إخراج المُوحّدين من النار: ٤٢ ـ ﴿ما سَلَكَكُم﴾: أدخلكم ﴿في سَقَرَ﴾؟

٤٣ ـ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ﴿قالُوا: لَم نَكُ مِنَ المُصَلِّينَ، ولَم نَكُ نُطعِمُ المِسكِينَ، وكُنّا نَخُوضُ﴾ في الباطل ﴿مَعَ الخائضِينَ، وكُنّا نِكَذِّبُ بيَومِ الدِّينِ﴾: البعث والجزاء ٤٧ ـ ﴿حَتَّى أتانا اليَقِينُ﴾: الموت. ٤٨ ـ ﴿فما تَنفَعُهُم شَفاعةُ الشّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين. والمعنى: لا شفاعةَ لهم.

٤٩ ـ ﴿فما﴾: مبتدأ ﴿لَهُم﴾: خبره مُتعلّق بمحذوف انتقل ضميره إليه ﴿عَنِ التَّذكِرةِ مُعرِضِينَ﴾؟ حال من الضمير، والمعنى: أيُّ شيء حصل لهم في إعراضهم عن الاتعاظ؟

قولُهُ: (حَالٌ مِن: ﴿إحدى﴾) أي: نفسِها، أو من ضَميرِها، والتَّقديرُ: كبُرت مُقدَّرةً، وهو المختارُ، وقيل: إنَّه تَمييزٌ؛ أي لأحدى ﴿الكُبَرِ﴾ إنذاراً.

قولُهُ: (إلى الخَيرِ) أو إلى ما أُمرَ به.

قولُهُ: (إلى الشَّرِّ) أي: عن الخَيرِ إلى الشَّرِّ، أو عمَّا نُهي عنه؛ أي: نذيراً للمُمَكَّنينَ من السَّبقِ إلى الخَيرِ والتَّخلُّفِ عنه.

قولُهُ: (مَرهُونَةٌ) عند الله، مصدَرٌ كالشَّتيمَةِ بمعنى الشَّتمِ، أُطلقَت للمفعولِ كالرَّهنِ، ولو كانت صفَةً لقيلَ: رهينٌ؛ لأنَّ فعيلاً بمعنى مفعول يستوي فيه المذكَّرُ والمؤنَّثُ.

قولُهُ: (فَنَاجُونَ مِنهَا) لأنَّهم فكُّوا رقابَهُم بما أحسَنوا من أعمالِهِم.

قولُهُ: (كَائِنُونَ) صوابُهُ: كائِنين؛ لأنَّه حالٌ من أصحابِ اليمينِ، أو من الضَّميرِ في: ﴿يَتَسَاءَلُون﴾.

قولُهُ: (بَينَهُم) أي: يسألُ بعضُهُم بعضاً.

قولُهُ: (البَعثِ) أخَّرهُ لتعظيمِهِ؛ أي: وكنَّا بعد ذلك كلِّهِ مكذِّبينَ بالقيامَةِ.

قولُهُ: (المَوتُ) ومُقدِّماتِ اليقينِ.

قولُهُ: (لا شَفَاعَةَ) أو المعنى: لا تنفعُهُم شفاعَةُ الشَّافِعينَ لو شَفَعوا لهم جميعاً.

قولُهُ: (مِنَ الضَّمِيرِ) في الجارِ.

قولُهُ: (في إعرَاضِهِم) أي: حالَ إعراضِهِم.

قولُهُ: (عَنِ الاتِّعَاظِ) أو القُرآنِ، أو ما يعمُّهُ.

٥٠ ـ ﴿كأنَّهُم حُمُرٌ مُستَنفِرةٌ﴾: وحشيّة، ٥١ ـ ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرةٍ﴾: أسدٍ، أي هربتْ منه أشدّ الهرب؟ ٥٢ ـ ﴿بَل يُرِيدُ كُلُّ امرِئٍ مِنهُم أن يُؤتَى صُحُفًا مُنَشَّرةً﴾ أي: من الله ـ تعالى ـ باتّباع النبيّ كما قالوا: «لَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ، حَتَّى تُنَزِّلَ علَينا كِتابًا نَقرَؤُهُ». ٥٣ ـ ﴿كَلاّ﴾: ردعٌ عمّا أرادوه، ﴿بَل لا يَخافُونَ الآخِرةَ﴾ أي: عذابها.

٥٤ ـ ﴿كَلاّ﴾: استفتاح ﴿إنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿تَذكِرةٌ﴾: عِظة، ٥٥ ـ ﴿فمَن شاءَ ذَكَرَهُ﴾: قرأه فاتّعظ به، ٥٦ ـ ﴿وما يَذكُرُونَ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ. هُوَ أهلُ التَّقوَى﴾ بأن يُتّقى ﴿وأهلُ المَغفِرةِ﴾ بأن يَغفر لمن اتّقاه.

قولُهُ: (وَحشِيَّةٌ) نافرَةٌ، وقرأ نافعٌ وشاميٌّ بفتحِ الفاءِ[1].

قولُهُ: (أَسَد) فَعْوَلَةٌ من القَسرِ، وهو القَهرُ.

قولُهُ: (باتِّبَاعِ النَّبِيِّ) وذلك أنَّهم قالوا: لن نَتَّبعكَ حتَّى تأتي كلًّا منَّا بكتابٍ من السَّماءِ فيه: من الله تعالى إلى فُلانٍ اتَّبع مُحمَّداً[2].

قولُهُ: (لَن نُؤمِنَ لَكَ) لفظُ التَّنزيلِ: ﴿لَن نُؤمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الإسراء: ٩٣].

قولُهُ: (أي: عَذَابَهَا) لاستِهلاكِهِم في محبَّةِ الدُّنيا وشَهواتِها، وإعراضِهِم عن التَّذكِرَة.

قولُهُ: (استِفتَاح) أو رَدعٌ لهم عن إعراضِهِم.

قولُهُ: (عِظَةٌ) وأيُّ عظَةٍ.

قولُهُ: (والتَّاءُ) الخطاب نافِعٌ[3].

قولُهُ تعالَى: (﴿إلَّا أن يَشَاءَ اللهُ﴾) أي: ذِكْرَهُم أو مشيئَتَهُم؛ لقولِهِ تعالى: ﴿ومَا تَشَاؤُونَ إلا أن يَشَاءَ اللهُ﴾ وهو تصريحٌ بأنَّ فعلَ العَبدِ بمشيئَةِ الله.

قولُهُ: (بأَن يُتَّقى) أي: حقيقٌ بأن يُتَّقى عقابُهُ، أو هو أهلُ من يُتَّقى به عمَّا سواهُ.

قولُهُ: (لمَنِ اتَّقَاهُ) أو لعبادِهِ سيما المتَّقينَ منهم، والله سُبحانَهُ وتعالى أعلم.

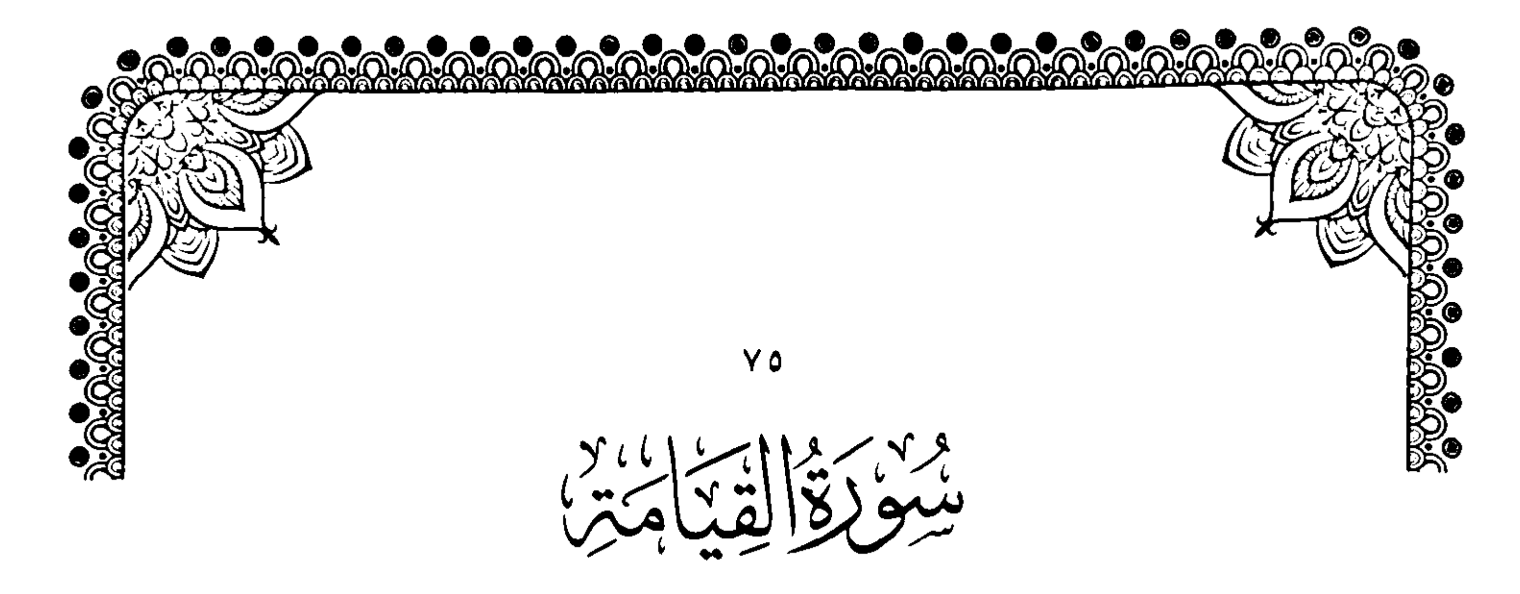
* * *

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).

(٢) روى نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣) عن قتادة.

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ١٩٩).



٧٥

سورة القيامة

مكية، وهي أربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿لا﴾ زائدةٌ في الموضعين ﴿أُقسِمُ بِيَومِ القِيامةِ، ولا أُقسِمُ بِالنَّفسِ اللَّوّامةِ﴾ التي تلوم نفسها، وإن اجتهدت في الإحسان. وجوابُ القسم محذوف، أي: لتُبعَثُنَّ. دلّ عليه: ٣ ـ ﴿أيَحسِبُ الإنسانُ﴾ أي: الكافر ﴿أن لَن نَجمَعَ عِظامَهُ﴾ للبعث والإحياء؟ ٤ ـ ﴿بَلَى﴾ نجمعُها ﴿قادِرِينَ﴾......

سورة القيامة

قولُهُ: (زَائِدَةٌ) إدخالُ النَّافيَةِ على فعلِ القسمِ للتأكيدِ شائعٌ في كلامِ العربِ، وقرأ المكِّيُّ بخُلْفٍ عن البزيِّ بغيرِ ألِفٍ بعد اللامِ في الأوَّل[١]؛ أي: لَأَنا أقسِم، فاللامُ لامُ الابتِداءِ.

قولُهُ: (الَّتِي تَلُومُ نَفسَهَا) أو الجِنسِ؛ لما رويَ أنَّه ﷺ قال: «ليسَ مِن نَفْسٍ بَرَّةٍ ولا فاجِرَةٍ إلا وتَلُومُ نَفسَها يَومَ القِيامَةِ، إن عَمِلَت خَيراً قالت: كيفَ لم أَزِد! وإن عَمِلتْ شَرًّا قالت: لَيتَنِي كُنتُ قَصَّرتُ»[٢].

قولُـهُ: (أي: الكَافِـر) يعنـي: الجِنس، وإسنادُ الفعـلِ إليـهِ؛ لأنَّ فيهم مـن يحسَـبُ، أو الذي نـزَلَ فيه وهو عُـديُّ بـن ربيعَةَ سـألَ رسـولَ اللهِ ﷺ عـن أمرِ القيامَـةِ، فأخبرَهُ بـه فقالَ: لـو عايَنتُ ذلـك اليومَ لـم أُصدِّقكَ[٣]، أو يجمـعَ الله هـذه العِظامَ.

---

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٠٩).

(٢) لم أقف عليه مسنداً، وذكره الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠٨) دون نسبته حديثاً.

(٣) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ١١٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٤٨).

مع جمعها ﴿عَلَى أن نُسَوِّيَ بَنانَهُ﴾ ـ وهو الأصابع ـ أي: نُعيدَ عِظامها كما كانت مع صِغرها. فكيف بالكبيرة؟ ٥ ـ ﴿بَل يُرِيدُ الإنسانُ لِيَفجُرَ﴾ ـ اللام: زائدة. ونصبه بـ «أنْ» مُقدّرةً ـ أي: أن يُكذِّب ﴿أمامَهُ﴾ أي: يومَ القيامة. دلّ عليه: ٦ ـ ﴿يَسأَلُ: أيّانَ﴾: متى ﴿يَومُ القِيامةِ﴾ سُؤالَ استهزاء وتكذيب؟

٧ ـ ﴿فإذا بَرِقَ البَصَرُ﴾، بكسر الراء وفتحها: دَهِش وتَحيرَ لِما رأى ممّا كان يُكذّب به، ٨ ـ ﴿وخَسَفَ القَمَرُ﴾: أظلم وذهب ضوءُه، ٩ ـ ﴿وجُمِعَ الشَّمسُ والقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو ذهب ضوءُهما ـ وذلك في يوم القيامة ـ ١٠ ـ ﴿يَقُولُ الإنسانُ يَومَئِذٍ: أينَ المَفَرُّ﴾ الفِرار؟ ١١ ـ ﴿كَلّا﴾: ردعٌ عن طلب الفِرار، ﴿لا وَزَرَ﴾: لا ملجأ يُتحصّن به. ١٢ ـ ﴿إلى رَبِّكَ يَومَئِذٍ المُستَقَرُّ﴾: مُستقرّ الخلائق فيُحاسَبون ويُجازَون. ١٣ ـ ﴿يُنَبَّأُ الإنسانُ يَومَئِذٍ بِما قَدَّمَ وأخَّرَ﴾: بأوّل عمله وآخره. ١٤ ـ ﴿بَلِ الإنسانُ على نَفسِهِ بَصِيرةٌ﴾: شاهدٌ تنطِق جوارحُه بعمله ـ والهاء: للمبالغة ـ فلا بُدّ من جزائه، ١٥ ـ ﴿ولَو ألقَى مَعاذِيرَهُ﴾: جمعُ مَعذِرة على غير قياس، ....

قولُهُ: (مَعَ جَمعِهَا) حالٌ من فاعِلِ الفعلِ المقدَّرِ بعد: ﴿بَلَى﴾.

قولُهُ: (وَهُوَ الأَصَابعُ) أو أطرافُها، جمعُ: بنانَةٍ[1].

قولُهُ: (أَن يُكَذِّبَ) أو يَدومَ على فُجورِهِ فيما يستَقبلهُ من الزَّمانِ.

قولُهُ: (مَتَى) أصلُهُ: أيُّ آنٍ.

قولُهُ: (استِهزَاءٍ) أو استِبعادٍ.

قولُهُ: (وفَتحِهَا) نافعٌ[2].

قولُهُ: (الفِرَارُ) وقرئَ بالكَسرِ[3] وهو المكانُ، قالَ بعضُ الحُكماءِ: الأرضُ نقطَةٌ، والإنسانُ هدفٌ والأفلاكُ قِسيٌّ، والحوادِثُ سهامٌ، والرَّامي هو اللهُ تعالى، فأينَ المفَرُّ.

قولُهُ: (مُستَقَرُّ الخَلائِقِ) أي: إليه وحدَهُ استِقرارُ العِبادِ، أو إلى حُكمِهِ استِقرارُ أمرِهِم، أو إلى مشيئتِهِ موضِعُ قرارِهِم يُدخِلُ من يشاءُ الجنَّةَ، ومن يشاءُ النَّارَ.

قولُهُ: (بأوَّلِ عَمَلِهِ) أو بما قدَّمَ من عمَلٍ عَمِلَهُ، وبما أخَّرَ منه لم يعمله.

قولُهُ: (عَلى غَيرِ قِيَاسٍ) فإنَّ قياسَهُ مُعاذِر.

---

(١) انظر: «الصحاح» (٥/ ٢٠٨١).

(٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٨٩).

(٣) قرأ ابن عباس وعكرمة وأيوب السختياني بكسر الفاء، وعن الزهري بكسر الميم، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٩٤).

أي: لو جاء بكُلِّ معذرة ما قُبلت منه.

قال تعالى لنبيّه: ١٦ ـ ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ﴾: بالقُرآن قبل فراغ جِبريلَ منه ﴿لِسانَكَ، لِتَعجَلَ بِهِ﴾ خوفَ أن ينفلت منك. ١٧ ـ ﴿إِنَّ علَينا جَمعَهُ﴾ في صدرك ﴿وقُرآنَهُ﴾: قِراءتك إياه، أي: جَرَيانَه على لسانك ـ ١٨ ـ ﴿فإذا قَرأناهُ﴾ عليك بِقراءة جِبريلَ ﴿فاتَّبِعْ قُرآنَهُ﴾: استمع قِراءته. فكان ﷺ يستمع، ثمّ يقرؤه ـ ١٩ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَينا بَيانَهُ﴾ بالتفهيم لك. والمُناسبة بين هذه الآية وما قبلها أنّ تلك تضمّنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمّنت المُبادرة إليها بحفظها.

٢٠ ـ ﴿كَلاَّ﴾: استفتاحٌ بمعنى: ألا ﴿بَل يُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾: الدنيا ـ بالياء والتاء، في الفعلين ـ ٢١ ـ ﴿ويَذَرُونَ الآخِرةَ﴾ فلا يعملون لها، ....

قولُهُ: (بِكُلِّ مَعذِرَةٍ) أو بكُلِّ ما يمكِنُ أن يتعذَّرَ به، جمعُ: مِعذارٍ، وهو العُذرُ، كمفتاحٍ ومفاتيحَ قياساً، وهذا هو الأصَحُّ.

قولُهُ: (خَوفَ) أي: لتأخُذَه على عجَلَةٍ مخافَةَ.

قولُهُ: (أي: جَرَيَانَهُ) وإثباتَ قراءَتِه.

قولُهُ: (بقِرَاءَةِ جِبريلَ) أي: بلسانِهِ.

قولُهُ: (بالتَّفهِيمِ لَكَ) أي: بيانَ ما أشكَلَ عليكَ من معانيهِ، والمرادُ: بيانُ التَّفسيرِ إجماعاً، كذا «التَّلويحِ»[1]، وذكرَ السلميُّ في «تفسيرِهِ»[2]: قيل للنَّبيِّ ﷺ: لا تستَعِنْ بنفسِكَ على شيءٍ من أسبابِكَ، فإنَّا لا نَكِلُكَ إلى نفسِكَ، بل نتولَّاكَ في جميعِ أمورِكَ.

قولُهُ: (استِفتَاح) أو رَدعٌ للإنسانِ على الاغتِرارِ بالعاجِلِ.

قولُهُ: (باليَاءِ) الغيبَة، مكِّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ[3].

قولُهُ: (فَلا يَعمَلُونَ لَهَا) قيل: من أحبَّ الدُّنيا وأقبَلَ عليها وطلبَها فليتيقَّن بفَوتِ حظِّهِ من الآخِرَةِ، وقالَ ﷺ: «مَن أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بدُنيَاهُ، ومَن أَحَبَّ دُنيَاهُ أَضَرَّ بآخِرَتِهِ، فَآثِرُوا ما يَبقَى على مَا يَفنَى»[4].

(١) انظر: «شرح التلويح على التوضيح» (٢/ ٣٥).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٦١).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٧).

(٤) رواه أحمد في «مسنده» (١٩٦٩٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٥٦٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٥٣) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. وتعقبه الذهبي فقال: فيه انقطاع.

٢٢ ـ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿نَاضِرَةٌ﴾: حسنةٌ مُضيئة، ٢٣ ـ ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: يرون اللهَ ـ سبحانه وتعالى ـ في الآخرة، ٢٤ ـ ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾: كالحةٌ شديدة العُبوس، ٢٥ ـ ﴿تَظُنُّ﴾: تُوقِن ﴿أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾: داهية عظيمة تكسر فَقارَ الظهر.

٢٦ ـ ﴿كَلَّا﴾ بمعنى: ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ﴾ النفسُ ﴿التَّرَاقِيَ﴾: عِظامَ الحلق، ٢٧ ـ ﴿وَقِيلَ﴾ قال مَن حولَه: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ يَرقِيه ليُشفى؟ ٢٨ ـ ﴿وَظَنَّ﴾: أيقنَ مَن بلغتْ نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ فراق الدنيا، ٢٩ ـ ﴿وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي: إحدى ساقَيه بالأُخرى عِند الموت، أو التفّتْ شِدّة فِراق الدنيا بشِدّة إقبال الآخرة، ....

قولُهُ: (حَسَنَةٌ) عبَّرَ بالوجوهِ عن الذَّواتِ.

قولُهُ تعالَى: (﴿نَاظِرَةٌ﴾) تراهُ مُستغرقةً في مُطالعَةِ جمالِهِ بحيثُ تغفُلُ عمَّا سواهُ، ولذلك قدَّمَ المفعولَ، وليس هذا في كلِّ الأحوالِ حتَّى يُنافيهِ نظَرُها إلى غيره.

قولُهُ: (تُوقِنُ) ويتوقَّعُ أربابُها.

قولُهُ: (فَقَارَ الظَّهرِ) جمعُ: الفَقارَةِ ـ بالفتحِ ـ: ما انتضَدَ من عظامِ الصُّلبِ من لَدنِ الكاهِلِ إلى العَجبِ.

قولُهُ: (بِمَعنَى: أَلَا) أو رَدعٌ عن إيثارِ الدُّنيا على العُقبى.

قولُهُ: (النَّفسُ) وإضمارُها من غيرِ ذكرٍ لدلالَةِ الكَلامِ عليها.

قولُهُ: (عِظَامَ الحَلْقِ) أو أعاليَ الصُّدورِ.

قولُهُ: (مَن حَولَهُ) أي: حاضِروا صاحِبِها.

قولُهُ: (يَرقِيهِ) بكسرِ القافِ، ممَّا به، من الرُّقيةِ ـ بالضمِّ ـ العَوذَةُ، أو قال ملائكَةُ الموتِ: أيُّكُم يَرقى بروحِهِ؟ ملائكَةُ الرَّحمَةِ أو ملائكَةُ العذابِ؟ من الرُّقيِّ من بابِ عَلِمَ.

قولُهُ: (مَن بَلَغَت نَفْسُهُ) أي: المحتَضَر.

قولُهُ: (فِرَاقُ الدُّنيَا) أي: الذي نزَلَ به فِراقُ الدُّنيا ومَحابِّها.

قولُهُ: (بالأُخرَى) أي: القُوت[1].

قولُهُ: (التَفَّت) أي: اتَّصَلت.

قولُهُ: (إِقبَالِ الآخِرَةِ) وهولِها.

---

(١) كذا في الأصول، ولعل الصواب: التَوتْ، كما في بعض التفاسير.

٣٠ ـ ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ أي: السَّوقُ. وهذا يدلّ على العامل في «إذا». المعنى: إذا بلغتِ النفس الحُلقومَ تُساق إلى حُكم ربّها.

٣١ ـ ﴿فَلَا صَدَّقَ﴾ الإنسانُ ﴿وَلَا صَلَّى﴾ أي: لم يُصدّق ولم يصلِّ، ٣٢ ـ ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقُرآن ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، ٣٣ ـ ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾: يتبختر في مِشيته إعجابًا. ٣٤ ـ ﴿أَوْلَى لَكَ﴾ ـ فيه التفات عن الغَيبة. والكلمة اسمُ فعلٍ. واللام: للتبيين ـ أي: وَلِيَكَ ما تكره! ﴿فَأَوْلَى﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك، ٣٥ ـ ﴿ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾: تأكيدٌ!

٣٦ ـ ﴿أَيَحْسَبُ﴾: يظنّ ﴿الإنسانُ أن يُترَكَ سُدًى﴾: هَمَلاً، لا يُكلّف بالشرائع؟ أي: لا يَحسِبْ ذلك. ٣٧ ـ ﴿أَلَمْ يَكُ﴾ أي: كان ﴿نُطْفَةً مِن مَنِيٍّ تُمْنَى﴾، بالتاء والياء: تُصبّ في الرحم،.............

قولُهُ: (أي: السَّوقُ) أي: سوقُهُ إلى الله تعالى وحُكمِه.

قولُهُ: (الإِنسَانُ) المذكورُ في: ﴿أَيَحسَبُ الإِنسَانُ﴾ قالَ مُجاهِد وغيرُهُ: نزلَت في أبي جَهلٍ، أخرجَهُ ابنُ أبي حاتِمٍ، كذا في «المبهمات»[1].

قولُهُ: (أي: لَم يُصَدِّق) ما يجِبُ تصديقُهُ، أو لم يتصَدَّق بمالِهِ فيما يجبُ عليه.

قولُهُ: (إِعجَاباً) أو افتِخاراً بذلك، من المطِّ بمعنى: المدِّ؛ فإنَّ المتَبَختِرَ يمُدُّ خُطاهُ فيكونُ أصلُهُ: يتمطَّطُ، أو منَ المطا، وهو الظَّهرُ فإنَّه يُلَوِّيهِ.

قولُهُ: (واللَّامُ لِلتَّبيِينِ) وقيل أصلُهُ: أولاكَ اللهُ ما تكرَهُهُ؛ أي: قرَّبَكَ، واللامُ مزيدَةٌ، أو أولى لك الهَلاكَ، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) أي: يتكَرَّرُ ذلك عليه مرَّةً بعدَ أخرى.

قولُهُ: (هَملاً) أي: مُهمَلاً.

قولُهُ: (لا يُكَلَّفُ) ولا يُجازِي.

قولُهُ: (أي: كانَ) يعني: الاستفهامُ للإنكارِ، ونفيُ النَّفيِ إثباتٌ.

قولُهُ: (واليَاء) التَّذكيرُ، حفصٌ[2].

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٣). وانظر «تفسير الطبري» (٢٤/ ٨١).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٧).

٣٨ ـ ﴿ثُمَّ كانَ﴾ المنيُّ ﴿عَلَقةً، فخَلَقَ﴾ الله منها الإنسانَ ﴿فسَوَّى﴾: عدّل أعضاءه، ٣٩ ـ ﴿فجَعَلَ مِنهُ﴾: من المنيّ الذي صار علقة: قِطعة دم، ثمّ مُضغة أي: قِطعة لحم ﴿الزَّوجَينِ﴾: النوعين ﴿الذَّكَرَ والأُنثَى﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كُلّ منهما عن الآخر تارة؟ ٤٠ ـ ﴿أَلَيسَ ذلِكَ﴾ الفعّالُ لهذه الأشياءِ ﴿بِقادِرٍ علَى أن يُحيِيَ المَوتَى﴾؟ قال ﷺ: بَلَى.

قولُهُ: (يَجتَمِعَانِ) أي: النَّوعانِ في بَطنٍ واحدٍ.

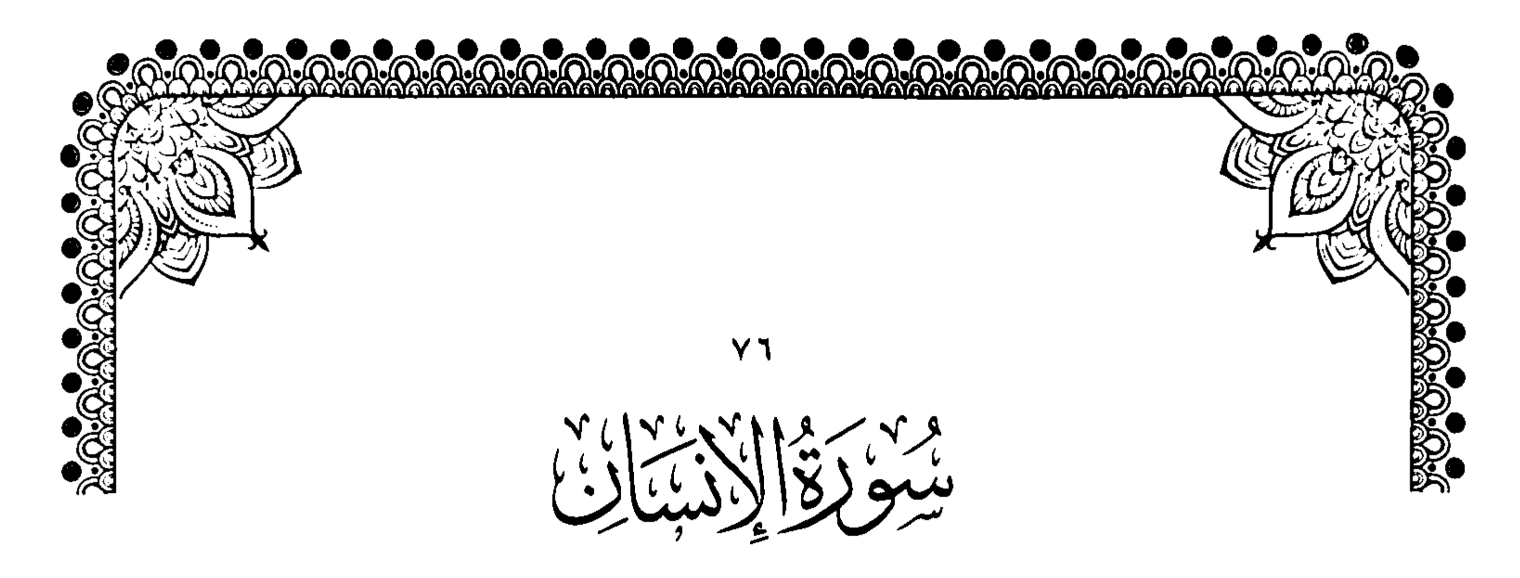
قولُهُ: (بَلَى) وفي روايَةٍ: «سُبحانَكَ بَلى»[1]، واللهُ سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٨٨٤)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٣٤١٩)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣٦٩٢) عن موسى بن أبي عائشة عن رجل من الصحابة.

قال ابن كثير: لم يسم هذا الصحابي ولا يضر ذلك.



٧٦

سُورَةُ الإِنسَانِ

مكية أو مدنية، إحدى وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿هَلْ﴾: قد ﴿أَتَى عَلَى الإنسانِ﴾ آدمَ ﴿حِينٌ مِنَ الدَّهرِ﴾ أربعون سنة، ﴿لَم يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيئًا مَذكُورًا﴾؟ كان فيه مُصوَّرًا من طِين لا يُذكر. أو المراد بالإنسانِ الجِنسُ وبالحِينِ مُدّةُ الحَمل.

٢ ـ ٣ ـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإنسانَ﴾ الجنس ﴿مِن نُطْفَةٍ أمشاجٍ﴾: أخلاط، أي: من ماء الرجل وماء المرأة المُختلطينِ المُمتزجينِ، ....

سورة الدَّهر

قولُهُ: (قَد) استِفهامُ تقريرٍ وتقريبٍ، ولذلك فُسِّر بـ(قَد).

قولُهُ: (أربَعُونَ) أي: طائفَةٌ محدودَةٌ من الزَّمانِ الممتَدِّ الغَيرِ المحدودِ.

قولُهُ: (فِيهِ) أشارَ إلى أنَّ الجُملَةَ وصفٌ لـ﴿حين﴾ بحَذفِ الرَّاجِعِ، وقيل: حالٌ من الإنسانِ.

قولُهُ: (لا يُذْكَرُ) أي: بل كانَ شَيئاً مَنسيًّا غير مذكورٍ بالإنسانيَّةِ، كالعنصُرِ والنُّطفَةِ.

قولُهُ: (الجِنسَ) أو آدم عليهِ السَّلام، بيَّنَ أوَّلاً خَلْقَهُ، ثمَّ ذكرَ خَلْقَ بنيهِ.

قولُهُ: (أَخلاطٍ) أي: مُختلِطَةٍ بماءِ المرأةِ ودمِها، جَمع: مَشَج كسَبَب، أو مَشِج ككَتِف، من مشَجت الشَّيءَ: إذا خَلطتَه[1].

قولُهُ: (المُمتَزِجَينِ) فالجمعُ باعتبارِ الجِنسِ، أو على أنَّ التَّثنيَةَ أقلُّ الجَمعِ، أو لأنَّ المرادَ بها: مجموعُ مَنيِّ الرَّجُلِ والمرأةِ، وكُلٌّ منهما مختلِفَةُ الأجزاءِ في الرِّقَّةِ والقَوامِ والخَواصِّ، ولذلك يصيرُ كلُّ جُزءٍ منها مادَّةَ عُضوٍ.

---

(١) انظر: «مقاييس اللغة» (٥/ ٣٢٦).

﴿نَبْتَلِيهِ﴾: نختبرُه بالتكليف ـ والجملة: مُستأنفة أو حال مُقدّرة ـ أي: مُريدين ابتلاءه حِين تأهّله، ﴿فجَعَلْناهُ﴾ بسبب ذلك ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا. إنّا هَدَيناهُ السَّبِيلَ﴾: بيّنّا له طريق الهُدى ببعث الرسل، ﴿إمّا شاكِرًا﴾ أي: مُؤمنًا ﴿وإمّا كَفُورًا﴾: حالان من المفعول، أي: بيّنّا له في حال شُكره أو كُفره المُقدّرة. وإمّا: لتفصيل الأحوال.

٤ ـ ﴿إنّا أعتَدْنا﴾: هيّأنا ﴿لِلكافِرِينَ سَلاسِلَ﴾، يُسحَبون بها في النار ﴿وأغلالاً﴾ في أعناقهم تُشدّ فيها السلال ﴿وسَعِيرًا﴾: نارًا مُسعَّرة، أي: مُهيَّجة يُعذّبون بها. ٥ ـ ٦ ـ ﴿إنَّ الأبرارَ﴾: جمع بَرٍّ، أو بارٍّ ـ وهم المُطيعون ـ ﴿يَشرَبُونَ مِن كأسٍ﴾، هو إناء شُربِ الخمرِ وهي فيه ـ والمراد: من خمرٍ، تسميةً للحالّ باسم المحَلّ. ومِن: للتبعيض ـ ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما تُمزج به ﴿كافُورًا، عَينًا﴾: بدلٌ من «كافورًا» فيها رائحتُه،

قولُهُ: (أو حَالٌ) أي: في موضِعِ الحالِ؛ أي: مُبتلينَ له.

قولُهُ: (بسَبَبِ ذَلِكَ) الابتلاءِ، عَطفٌ على: ﴿خَلَقنَا﴾.

وقولُهُ تَعَالَى: (﴿سَمِيعاً بَصِيراً﴾) ليتَمَكَّنَ من مُشاهَدَةِ الدَّلائِلِ واستِماعِ الآياتِ.

قولُهُ: (ببَعثِ الرُّسُلِ) ونصبِ الدَّلائلِ وإنزالِ الآياتِ.

قولُهُ: (مِنَ المَفعُولِ) أي: من الهاءِ في: ﴿هَدَيناه﴾.

قولُهُ: (لتَفصِيلِ الأَحوَالِ) أي: هَدَيناهُ في حالَتَيهِ جميعاً.

قولُهُ: (يُسحَبُونَ) وقرأ نافِعٌ والكسائيُّ وأبو بَكرٍ وهشامٌ: ﴿سَلاسِلاً﴾ للمُناسَبَة[1].

قولُهُ: (جَمعُ: بَرٍّ) كأربابٍ.

قولُهُ: (أو بَارٍّ) كأشهادٍ.

قولُهُ: (والمُرَادُ) الظَّاهرُ: أو المرادُ.

قولُهُ: (ومِن لِلتَّبعِيضِ) على الثَّاني.

قولُهُ: (مَا تُمزَجُ) بالتَّأنيثِ.

قولُهُ: (﴿عَينًا﴾) هوَ عَينٌ يُشبِهُ الكَافُورَ في رائحتِهِ وبياضِهِ، أو المرادُ: نفسُ الكافورِ لبردِهِ وعذوبَتِهِ وطِيبِ عرفِهِ، وقيلَ: يخلُقُ في الخمرِ كيفيَّاتِ الكافورِ فتكونُ كالممزوجَةِ به.

قولُهُ: (بَدَلٌ) إن جُعِلَ اسمُ ماء للمُقرَّبينَ، أو نصبٌ على الاختصاصِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٧).

﴿يَشرَبُ بِها﴾: منها ﴿عِبادُ اللهِ﴾: أولياؤه، ﴿يُفَجِّرُونَها تَفجِيرًا﴾: يقودونها حيثُ شاؤوا من منازلهم.

٧ ـ ﴿يُوفُونَ بِالنَّذرِ﴾ في طاعة الله، ﴿ويَخافُونَ يَومًا كانَ شَرُّهُ مُستَطِيرًا﴾: مُنتشرًا، ٨ ـ ﴿ويُطعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ وشهوتهم له ﴿مِسكِينًا﴾: فقيرًا ﴿ويَتِيمًا﴾ لا أبَ له ﴿وأسِيرًا﴾ ـ يعني المحبوس بحقّ ـ ٩ ـ ﴿إنَّما نُطعِمُكُم لِوَجهِ اللهِ﴾: لطلب ثوابه، ﴿لا نُرِيدُ مِنكُم جَزاءً ولا شُكُورًا﴾: شُكرًا. فيه عِلّة الإطعام. وهل تكلّموا بذلك، أو عَلِمه الله منهم فأثنى عليهم به؟ قولانِ. ١٠ ـ ﴿إنّا نَخافُ مِن رَبِّنا يَومًا عَبُوسًا﴾ تكلح الوجوه فيه، أي: كريهَ المنظر لشِدّته، ﴿قَمطَرِيرًا﴾: شديدًا في ذلك.

١١ ـ ١٢ ـ ﴿فوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَومِ، ولَقّاهُم﴾: أعطاهم ﴿نَضرَةً﴾: حُسنًا وإضاءة في وُجوههم ﴿وسُرُورًا، وجَزاهُم بِما صَبَرُوا﴾: بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أُدخِلوها ﴿وحَرِيرًا﴾ أُلبِسوه، ١٣ ـ ﴿مُتَّكِئِينَ﴾: حالٌ من مرفوع «أُدخِلوها» المُقدّر، ....

قولُهُ: (مِنهَا) فالباءُ بمعنى: (مِن)؛ لأنَّ الشُّربَ مبتَدأٌ منها كما هوَ، وقيل: الباءُ زائدَةٌ، أو التَّقديرُ: مُلتَذًّا، أو ممزوجاً.

قولُهُ: (يَقُودُونَهَا) أي: يجرونَها إجراءً سَهلاً.

قولُهُ: (طَاعَةِ اللهِ) استئنافٌ ببَيانِ ما رزقوهُ لأجلِهِ، وهو أبلَغُ في وصفِهِم بالتَّوفرِ على أداءِ الواجِباتِ؛ لأنَّ من وفَّى بما أوجَبهُ على نفسِهِ لله كان أوفى بما أوجَبهُ الله تعالى عليه.

قولُهُ: (مُنتَشِراً) غايَةَ الانتِشارِ، وشَرُّهُ شدائدُهُ.

قولُهُ: (وشَهوَتِهِم لَهُ) أو حُبِّ اللهِ، أو الإطعامِ.

قولُهُ: (المَحبُوسَ) قالَ القاضِي[1]: يعني: أُسارَى الكفَّارِ؛ فإنَّه ﷺ كان يُؤتى بالأسيرِ فيدفَعهُ إلى بعضِ المسلمينَ فيقولُ: «أَحْسِن إلَيهِ»[2]، أو الأسيرَ المؤمِنَ، ويدخُلُ فيه المملوكُ والمسجونُ.

قولُهُ: (تَكَلَّمُوا) إزاحَةً لتوهُّمِ المنِّ وتوَقُّعِ المكافَأَةِ المنقِصَةِ للأجرِ.

قولُهُ: (أَو عَلِمَهُ اللهُ) فكأنَّهُم قالوا بلِسانِ الحالِ.

قولُهُ: (عَنِ المَعصِيَةِ) وعلى الطَّاعَةِ وفي البَلِيَّةِ.

قولُهُ: (أُدْخِلُوهَا) وأكَلوا منها.

قولُهُ: (مِن مَرفُوعِ) الظَّاهرُ: من «هُم» في: ﴿جَزَاهُم﴾، أو صفَةٌ (لجنةً).

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٧٠).

(٢) لم أقف عليه، وسكت عنه الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ١٣٣).

﴿فِيها علَى الأرائكِ﴾: السُّرر في الحِجال، ﴿لا يَرَونَ﴾: لا يجدون: حالٌ ثانية ﴿فِيها شَمسًا ولا زَمهَرِيرًا﴾ أي: لا حرًّا ولا بردًا ـ وقيل: الزمهرير: القمر. فهي مُضيئة من غير شمس ولا قمر ـ ١٤ ـ ﴿ودانِيَةً﴾: قريبة، عطفٌ على محلّ «لا يرون»، أي: غيرَ رائين، ﴿علَيهِم﴾: منهم ﴿ظِلالُها﴾: شجرِها، ﴿وذُلِّلَتْ قُطُوفُها تَذلِيلاً﴾: أُدنِيَتْ ثِمارها، فينالها القائم والقاعد والمضطجع.

١٥ ـ ١٦ ـ ﴿ويُطافُ علَيهِم﴾ فيها ﴿بِآنِيَةٍ مِن فِضّةٍ وأكْوابٍ﴾: أقداح بلا عُرى، ﴿كانَتْ قَوارِيرَ، قَوارِيرَ مِن فِضّةٍ﴾ أي: أنها من فِضّة، يُرى باطنها من ظاهرها كالزجاج، ﴿قَدَّرُوها﴾ أي: الطائفون ﴿تَقدِيرًا﴾ على قدر رِيّ الشاربين من غير زيادة ولا نقص ـ وذلك ألذُّ الشراب ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿ويُسقَونَ فِيها كأسًا﴾ أي: خمرًا ﴿كانَ مِزاجُها﴾: ما تُمزج به ﴿زَنجَبِيلاً، عَينًا﴾: بدلٌ من «زنجبيلاً» ﴿فِيها تُسَمَّى سَلسَبِيلاً﴾، يعني أنّ ماءها كالزنجبيل الذي تستلذّ به العرب سهلُ المساغ في الحلق.

قولُهُ: (حَالٌ) أو صفَةٌ.

قولُهُ: (مُضِيئَةٌ) بذاتِها.

قولُهُ: (عَطفٌ) أو حالٌ، أو صفَةٌ أخرى.

قولُهُ: (شَجَرِهَا) بالجرِّ على تقديرِ مُضافٍ.

قولُهُ: (أَقدَاحٍ) الظَّاهرُ: أباريقَ.

قولُهُ: (كالزُّجَاجِ) يعني: تكونُ جامِعةً بينَ صَفاءِ الزُّجاجَةِ وشفيفِها، وبَياضِ الفضَّةِ ولينِها، وقد نوَّنَ ﴿قوارِيرَا﴾ من نوَّنَ ﴿سَلاسِلا﴾ إلا هِشاماً، ونوَّنَ ابنُ كثيرٍ الأولى؛ لأنَّها رأسُ الآيِ[1].

قولُهُ: (أي: الطَّائِفُونَ) المدلولُ عليهم بقولِهِ: ﴿يُطَافُ﴾ شَرابُها.

قولُهُ: (رِيِّ الشَّارِبِينَ) أي: اشتِهائِهم، أو قَدَّروها في أنفُسِهم فجاءَت مَقادِيرُها وأشكالُها كما تمنَّوهُ.

قولُهُ: (كالزَّنجَبِيلِ) أي: في الطَّعمِ.

قولُهُ: (بِهِ) أي: بالشَّرابِ الممزُوجِ به.

قولُهُ: (سَهلُ المَسَاغِ) تفسيرٌ لـ﴿سَلسَبِيلا﴾ يُقال: شَرابٌ سلسَلٌ وسَلسالٌ وسَلسَبِيل، ولذلك حَكَمَ بزيادَةِ الباء، والمرادُ به: أن يَنفِيَ عنه لَذعَ الزَّنجَبيلِ ويصِفَها بنقيضِهِ، وقيل: أصلُهُ سَلْ سبيلاً، فسُمِّيَت به كتأبَّطَ شرًّا؛ لأنَّه لا يشرَبُ منها إلا من سَأَلَ إليها سَبيلاً بالعمَلِ الصَّالِحِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٧).

١٩ ـ ﴿وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ﴾: بصفة الوِلدان لا يَشيبون، ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ﴾ لحُسنهم وانتشارهم في الخِدمة ﴿لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا﴾ من سِلكه، أو من صدفه، وهو أحسن منه في غير ذلك ـ ٢٠ ـ ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَ ثَمَّ﴾ أي: وُجِدَتِ الرؤيةُ منك في الجنّة ﴿رَأَيۡتَ﴾: جوابُ «إذا» ﴿نَعِيمٗا﴾ لا يُوصف ﴿وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾: واسعًا لا غاية له ـ ٢١ ـ ﴿عَٰلِيَهُمۡ﴾: فوقَهم، فنصبُه على الظرفيّة، وهو خبر المُبتدأ بعده، وفي قراءة بسكون الياء مبتدأ وما بعده خبره والضمير المُتّصل به للمَطوف عليهم، ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾: حريرٍ ﴿خُضۡرٞ﴾، بالرفع، ﴿وَإِسۡتَبۡرَقٞ﴾ بالجرّ: ما غلُظ من الدِّيباج فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكسُ ما ذُكر فيهما، ....

قولُهُ: (لحُسنِهم) وصَفاءِ ألوانِهم، وانعِكاسِ شُعاعِ بعضِهم إلى بَعض.

قولُهُ: (أي: وَجَدْتَ) يعني: لَيسَ له مفعولٌ مَلفوظٌ ولا مُقدَّرٌ؛ لأنّه عامٌّ معناهُ: أنَّ بصَرَكَ أينما وقعَ، فنُزِّلَ منزلَةَ اللّازِم.

قولُهُ: (وَاسِعاً) وفي الحديثِ: «أدنَى أهلِ الجَنَّة مَنزِلَةً يَنظرُ في مُلكِهِ مَسِيرَةَ ألفِ عامٍ يَرَى أقصاهُ كما يَرَى أدنَاه»[1].

قولُهُ: (على الظَّرفِيَّةِ) أو على الحاليَّةِ من «هم» في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ أو ﴿حَسِبۡتَهُمۡ﴾؛ أي: يَعلوهُم ثِيابٌ، ولم يتعرَّفْ بالإضافَةِ؛ لأنّه ليسَ بمعنى المضِيِّ.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لنافِعٍ وحمزَةَ[2].

قولُهُ: (بالرَّفعِ) صفَةُ: ﴿ثِيَاب﴾.

قولُهُ: (بالجَرِّ) عطفٌ على: ﴿سُندُس﴾.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) لمَكّيٍّ وشعبَة[3].

قولُهُ: (فيهِمَا) أي: ﴿خُضرٍ﴾ بالجرِّ حملاً على: ﴿سُندُس﴾ بالمعنى؛ فإنَّهُ اسمُ جِنسٍ، و﴿استَبرَق﴾ بالرَّفعِ عَطفاً على: ﴿ثِيَاب﴾.

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٥٣١٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٧١٢) بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٠١): فيه ثوير بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه.

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

(٣) انظر المصدر السابقة.

وفي أُخرى برفعهما، وأُخرى بجرّهما، ﴿وحُلُّوا أساوِرَ مِن فِضّةٍ﴾ ـ وفي مواضع أُخرَى: «مِن ذَهَبٍ»، للإيذان أنهم يُحلَّون من النوعين معًا ومُفرّقًا ـ ﴿وسَقاهُم رَبُّهم شَرابًا طَهُورًا﴾ مُبالغةٌ في طهارته ونظافته، بخِلاف خمر الدنيا: ٢٢ ـ ﴿إنَّ هذا﴾ النعيمَ ﴿كانَ لَكُم جَزاءً، وكانَ سَعيُكُم مَشكُورًا﴾.

٢٣ ـ ﴿إنّا نَحنُ﴾ ـ تأكيد لاسم «إنْ» أو فصلٌ ـ ﴿نَزَّلنا علَيكَ القُرآنَ تَنزِيلاً﴾: خبرُ «إنْ» أي: فصّلناه، ولم نُنزِله جُملة واحدة. ٢٤ ـ ﴿فاصبِرْ لِحُكمِ رَبِّكَ﴾ عليك بتبليغ رسالته، ﴿ولا تُطِعْ مِنهُم﴾ أي: الكُفّارِ ﴿آثِمًا أو كَفُورًا﴾ أي: عُتبةَ بنَ ربيعة والوليدَ بنَ المُغيرة ـ قالا للنبي: ارجِعْ عن هذا الأمر. ويجوز أن يُراد كُلُّ آثم وكافر، أي: لا تطع أحدَهما أيًّا كان، فيما دعاك إليه من إثم أو كفر ـ ٢٥ ـ ﴿واذكُرِ اسمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكرةً وأصِيلاً﴾ يعني الفجرَ والظهر والعصر،.............

قولُهُ: (وفِي أُخرَى) لنافِعٍ وحفصٍ[1].

قولُهُ: (وأُخرَى) لحمزَةَ والكسائِيِّ[2].

قولُهُ: (مُبَالَغَةٌ) يريدُ به نوعاً آخرَ من الخَمرِ لا الماءَ، كما قيلَ، يفوقُ على النَّوعَينِ المتَقدِّمينِ، ولذلك أسنَدَ سقيَهُ إلى الله تعالى ووصفَهُ بالطُّهوريَّةِ، فإنَّه يُطهِّرُ شاربَهُ عن الميلِ إلى اللَّذّاتِ الحسِّيَّةِ والرُّكونِ إلى ما سِوى الحقِّ فيتجَرَّدُ لمُطالعَةِ جمالِهِ مُلتَذًّا بلقائِهِ باقياً ببقائِهِ، وهي مُنتَهى دَرجاتِ الصِّدِّيقينَ، ولذلك ختمَ به ثوابَ الأبرارِ.

قولُهُ: (النَّعِيم) على إضمارِ القَولِ.

قولُهُ تَعالَى: (﴿مَشكُوراً﴾) أي: مُجازىً عليه غيرَ مَضيعٍ.

قولُهُ: (جُملَةً) لحكمَةٍ اقتضَتهُ.

قولُهُ: (بِتَبلِيغِ) أو بتأخِيرِ نصرِكَ.

قولُهُ: (والوَلِيد) اختيرَ ﴿أو﴾ على الواو لقَصدِ المبالَغَة في النَّفعِ مع دَفعِ التَّوهُّمِ من أوَّلِ الأمرِ.

قولُهُ: (أحَدَهُمَا) المقَرَّرُ في كُتُبِ الأصولِ أنَّ ﴿أو﴾ إذا وقَعَت في سياقِ النَّفيِ يكونُ لنفيِ أحدِ الأمرين لا على التَّعيينِ فيفيدُ العمومَ؛ لأنَّ نفيهُ كنفي النَّكرَةِ.

قولُهُ: (في الصَّلاةِ) أي: دُم عليها.

قولُهُ: (والظُّهرَ والعَصرَ) فإنَّ الأصيلَ يتناوَلُ وقتَيهما، وقيل: المعنى: داوِمْ على ذكرِهِ تعالى.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر المصدر السابق.

٢٦ ـ ﴿وَمِنَ اللَّيلِ فاسجُدْ لَهُ﴾ يعني المغربَ والعِشاء، ﴿وسَبِّحْهُ لَيلاً طَوِيلاً﴾: صلِّ التطوّعَ فيه كما تقدّم من ثُلثيه أو نِصفِه أو ثُلثِه.

٢٧ ـ ﴿إنَّ هؤُلاءِ يُحِبُّونَ العاجِلَةَ﴾ الدنيا، ﴿ويَذَرُونَ وَراءَهُم يَومًا ثَقِيلاً﴾: شديدًا، أي: يومَ القيامة لا يعملون له. ٢٨ ـ ﴿نَحنُ خَلَقْناهُم، وشَدَدْنا﴾: قوّينا ﴿أسْرَهُم﴾ أعضاءهم ومفاصلهم، ﴿وإذا شِئْنا بَدَّلْنا﴾: جعلنا ﴿أمثالَهُم﴾ في الخِلقة بدلاً منهم بأن نُهلكهم ﴿تَبدِيلاً﴾: تأكيد. ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إنْ يَشَأْ يُذهِبْكُم» لأنه ـ تعالى ـ لم يشأ ذلك، وإذا: لِما يقعُ.

٢٩ ـ ﴿إنَّ هذِهِ﴾ السورةَ ﴿تَذكِرَةٌ﴾: عِظة للخلق. ﴿فَمَن شاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾: طريقًا بالطاعة. ٣٠ ـ ﴿وما يَشاؤُونَ﴾، بالياء والتاء، اتخاذَ السبيل بالطاعة ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ﴾ ذلك. ﴿إنَّ اللهَ كانَ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في فِعله، ٣١ ـ ﴿يُدخِلُ مَن يَشاءُ في رَحْمتِهِ﴾: جنّته ـ وهم المُؤمنون ـ ﴿والظّالِمِينَ﴾ ناصبُه فِعل مُقدّر، أي: أوعدَ، يفسّره: ﴿أعَدَّ لَهُم عَذابًا ألِيمًا﴾: مُؤلمًا. وهم الكافرون.

قولُهُ: (صَلِّ) أي: وتهجَّدْ له طائفةً طويلَةً من اللَّيلِ.

قولهُ: (مِن ثُلُثَيه) أو غيرَ مُقيَّدٍ بمقدارٍ مُعيَّنٍ كما تقدَّمَ.

قولُهُ: (شَدِيداً) و﴿وَرَاءَهُم﴾ أمامَهُم، أو خَلفَ ظُهورِهِم.

قولُهُ: (قَوَّينَا) وأحكَمنا.

قولُهُ: (ومَفَاصِلَهُم) أي: ربَطَ مفاصِلَهُم بالأعصابِ.

قولُهُ: (و﴿إِذَا﴾ لِمَا يَقَعُ) أو ﴿إذا﴾ لتحقُّقِ القُدرةِ وقُوَّةِ الدَّاعِيةِ، أو إذا على أصلِها، والمعنى: إذا شِئنا أهلكناهُم وبدَّلنا أمثالَهُم في الخلقَةِ وشدِّ الأسرِ؛ يعني: النَّشأةَ الثَّانيَةَ.

قولُهُ: (السُّورَةَ) أو الآياتِ القريبَةِ.

قولُهُ: (طَرِيقاً) تُقرِّبُ إليه.

قولُهُ: (باليَاءِ) الغيبةُ، مكِّيٌّ وبصريٌّ وشاميٌّ[1].

قولُهُ: (ذَلِكَ) أي: ما تشاؤُونَ ذلك إلا وقتَ أن يَشاءَ الله مشيئَتَكُم.

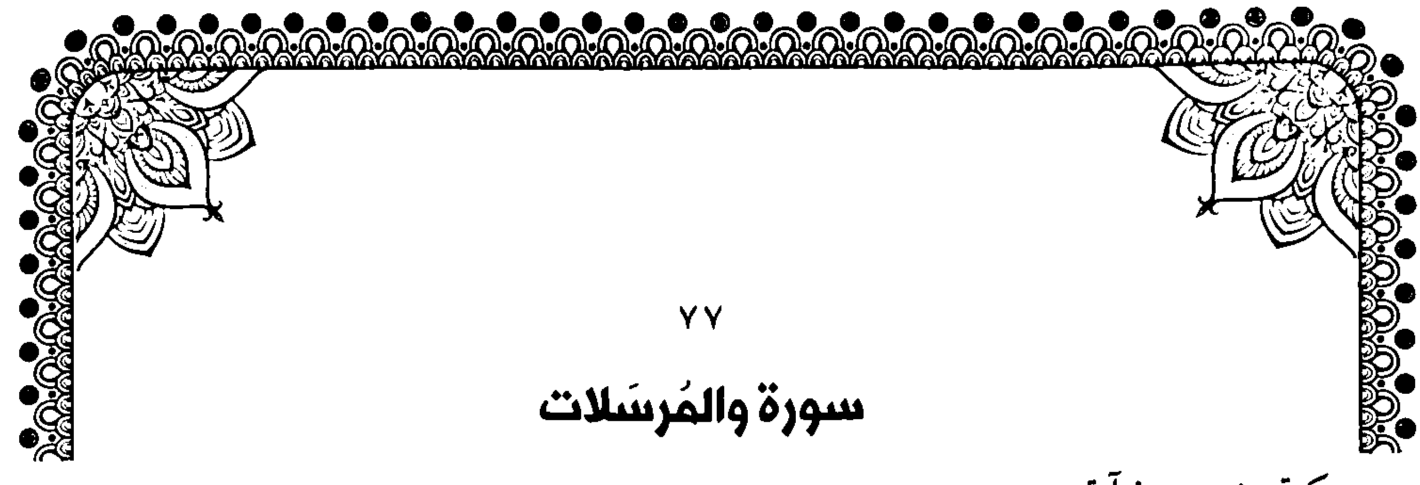
قولُهُ: (جَنَّتِهِ) بالهدايَةِ والتَّوفيقِ للطَّاعَةِ.

قولُهُ: (نَاصِبُهُ) وقُرِئَ بالرَّفعِ على الابتِداءِ[2]، والله تعالى أعلَمُ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠١).

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن الزبير وأبان بن عثمان وإبراهيم، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٩٧).



٧٧

سورة والمُرسَلات

مكية، خمسون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والمُرسَلاتِ عُرْفًا﴾ أي: الرياحِ مُتتابعةً كعُرف الفرس يتلو بعضه بعضًا ـ ونصبُه على الحال ـ ٢ ـ ﴿فالعاصِفاتِ عَصْفًا﴾: الرياحِ الشديدة، ٣ ـ ﴿والنّاشِراتِ نَشْرًا﴾: الرياحِ تنشر المطر، ٤ ـ ﴿فالفارِقاتِ فَرْقًا﴾ أي: آياتِ القُرآن، تفرق بين الحقّ والباطل والحلال والحرام،..............

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

قولُهُ: (أي: الرِّيَاحِ) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ عن أبي هُريرَةَ قال: المرسَلات: الملائكَةُ، وعن أبي صالحٍ أنَّه قال في البقيَّةِ: الملائكَةُ، كذا في «المبهمات»[١]، قالَ القاضي[٢]: أقسَمَ بطوائِفَ من الملائكَةِ أرسلَهُنَّ اللهُ بأوامرِهِ مُتَتابعَةً، فعَصَفت عَصفَ الرِّياحِ في امتثالِ الأوامرِ، ونشَرنَ الشَّرائعَ في الأرضِ بما أوحَينَ منَ العِلمِ ففرَقْنَ بين الحقِّ والباطِلِ، فألقَينَ إلى الأنبياءِ ذِكراً.

قولُهُ: (مُتَتَابِعَةً) بكسرِ الباء.

قولُهُ: (عُرْفِ الفَرَسِ) بالنَّصبِ؛ أي: «كعُرفِ الفَرَسِ»، كما في نُسخَةٍ صَحِيحَة، وهو بالضَّم شَعرُ عُنقِ الفَرَس[٣].

قولُهُ: (يَتلُو) أي: يتبَعُ.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٤).

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٧) عن أبي صالح.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٧٤).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٨٣٦).

٥ ـ ﴿فالمُلقِياتِ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكةِ تَنزل بالوحي إلى الأنبياء، أو الرسلِ يُلقون الوحي إلى الأُمم، ٦ ـ ﴿عُذْرًا أو نُذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله تعالى ـ وفي قراءة بضمّ ذال «نُذُرًا»، وقُرئ بضمّ ذال «عُذُرًا» ـ ٧ ـ ﴿إنَّ ما تُوعَدُونَ﴾ أي: كُفّارَ مكّة من البعث والعذاب ﴿لَواقِعٌ﴾: كائن لا محالة.

٨ ـ ﴿فإذا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: مُحِيَ نورُها، ٩ ـ ﴿وإذا السَّماءُ فُرِجَتْ﴾: شُقّت، ١٠ ـ ﴿وإذا الجِبالُ نُسِفَتْ﴾: فُتّتت وسُيّرت، ١١ ـ ﴿وإذا الرُّسُلُ وُقِّتَتْ﴾، بالواو وبالهمزة بدلاً منها، أي: جُمعت لوقت ـ ١٢ ـ ﴿لِأيِّ يَومٍ﴾: لِيوم عظيم ﴿أُجِّلَتْ﴾ للشهادة على أُممهم بالتبليغ! ١٣ ـ ﴿لِيَومِ الفَصلِ﴾ بين الخلق؟ ويُؤخذ منه جواب «إذا» أي: وقع الفصل بين الخلائق.

قولُهُ: (أو الرُّسُلِ) عطفٌ على: «الملائِكَة».

قولُـهُ: (أي: للإعـذَارِ) أي: قَطـعِ المعذِرَة، أو محوِ الإسـاءَةِ، فنصَبَهمـا بالعليَّةِ؛ أي: عُـذراً للمُحقِّينَ ونَذراً للمُطيعينَ.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) للحرميَّينِ وشاميٌّ وشُعبَةَ[1].

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) ليعقوبَ بروايَةِ رَوْحٍ من العشرَةِ[2].

قولُهُ: (أي: يَا كُفَّارَ مَكَّةَ) أي: ندائيَّةٌ، فيُنصَبُ ما بعدَهُ، أو تفسيريَّةٌ فيُرفَع.

قولُهُ: (من البَعثِ) و﴿مَا﴾ موصولَةٌ، والرَّاجِعُ مَحذوفٌ، وهو جوابُ القَسَم.

قولُهُ: (مُحِيَ) أو مُحِقَت.

قولُهُ: (فُتِّتَت) أو كالحَبِّ يُنسَفُ بالمِنسَفِ.

قولُهُ: (بالوَاوِ) بَصريٌّ[3].

قولُهُ: (أي: جُمِعَت) يعني: عُيِّنَ لها وَقتُها الذي يحضُرونَ فيه للشَّهادَةِ على الأمَمِ بحصُولِهِ، فإنَّه لا يتعيَّنُ لهم قبلَهُ.

قولُهُ: (لِيَومٍ عَظِيمٍ) أي: يقالُ: لأيِّ يومٍ أُخِّرَت، وضُرِبَ الأجَلُ للجَمعِ، وهو تعظيمٌ لليومِ وتعجيبٌ من هولِهِ.

قولُهُ: (بَينَ الخَلقِ) بيانٌ ليومِ التَّأجيلِ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

(٢) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٢١٧).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

١٤ ـ ﴿وما أدراكَ: ما يَومُ الفَصلِ﴾؟ تهويلٌ لشأنه ـ ١٥ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيدٌ لهم.

١٦ ـ ﴿أَلَم نُهلِكِ الأَوَّلِينَ﴾ بتكذيبهم؟ أي: أهلكناهم، ١٧ ـ ﴿ثُمَّ نُتبِعُهُمُ الآخِرِينَ﴾ ممّن كذّبوا ككُفّار مكّة، فنُهلكُهم. ١٨ ـ ﴿كَذلِكَ﴾: مِثلَ ما فعلنا بالمُكذّبين ﴿نَفعَلُ بِالمُجرِمِينَ﴾: بِكُلِّ مَن أجرم، فيما يُستقبل فنُهلكهم. ١٩ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾: تأكيد.

٢٠ ـ ﴿أَلَم نَخلُقكُّم مِن ماءٍ مَهِينٍ﴾: ضعيف وهو المنيّ، ٢١ ـ ﴿فجَعَلْناهُ في قَرارٍ مَكِينٍ﴾: حَرِيز وهو الرَّحِم، ٢٢ ـ ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعلُومٍ﴾ وهو وقت الوِلادة، ٢٣ ـ ﴿فقَدَرْنا﴾ على ذلك؟ ﴿فنِعمَ القادِرُونَ﴾ نحن! ٢٤ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

٢٥ ـ ﴿أَلَم نَجعَلِ الأرضَ كِفاتًا﴾: مصدرُ: كفتَ بمعنى: ضمَّ، أي: ضامّةً، ٢٦ ـ ﴿أحياءً﴾ على ظهرها ﴿وأمواتًا﴾ في بطنها، ٢٧ ـ ﴿وجَعَلْنا فِيها رَواسِيَ شامِخاتٍ﴾: جبالاً مُرتفعاتٍ، ....

قولُهُ: (تَهوِيلٌ) أي: ومن أينَ تعلَمُ كُنهَهُ ولم ترَ مثله.

وقولُهُ تَعالَى: (﴿لِلمُكَذِّبين﴾) أي: بذلك اليَومِ.

قولُهُ: (هَذَا وَعِيدٌ) و﴿وَيلٌ﴾ مَصدَرٌ في الأصلِ منصوبٌ بإضمارِ فعلِهِ، عُدِلَ به إلى الرَّفعِ؛ للدَّلالةِ على ثباتِ الهلاكِ للمَدعوِّ عليه، و﴿يَومَئِذٍ﴾ ظَرفُهُ أو صفَتُهُ.

قولُهُ: (بتَكذِيبِهِم) كقومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) أو بآياتِ الله وأنبيائِهِ، فليسَ تكريراً؛ مع أنَّ التَّكريرَ للتَّوكيدِ حسَنٌ شائعٌ في كَلامِ العَرَبِ.

قولُهُ: (ضَعِيفٍ) أي: نُطفَةٍ قذرَةٍ مُنتنَةٍ ذليلَةٍ.

قولُهُ: (عَلَى ذَلِكَ) أو على رَدِّ ذلك، كقولِهِ تعالَى: ﴿إِنَّهُ على رَجعِهِ لَقَادِرٌ﴾ [الطارق: ٨]، ويؤيِّدُهُ: ﴿فَنِعمَ القَادِرُون﴾، أي: فقدرنَاهُ أطواراً، ويُؤيِّدُه قراءَةُ نافعٍ والكسائيِّ بالتَّشديدِ[1].

قولُهُ تَعالَى: (﴿لِلمُكَذِّبِينَ﴾) بقُدرَتِنا على ذلك من الخَلقِ والجَعلِ، أو على الإعادَةِ.

قولُهُ: (مَصدَرُ كَفَت) كـ(كِتَاباً) نُعتَ به.

قولُهُ: (أي: ضَامَّةً) و﴿أَحيَاءً وَأَموَاتاً﴾ مُنتَصبانِ على المفعوليَّةِ.

قولُهُ: (جِبَالاً) موصوفٌ مُقدَّرٌ، و﴿رَوَاسِي﴾؛ أي: ثوابِتَ.

---

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

﴿وأسقَيناكُم ماءً فُراتًا﴾: عذبًا؟ ٢٨ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ﴾.

ويقال للمُكذّبين يومَ القيامة: ٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿انطَلِقُوا إلَى ما كُنتُم بِهِ﴾ من العذاب ﴿تُكَذِّبُونَ، انطَلِقُوا إلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾ هو دُخان جهنّم، إذا ارتفع افترق ثلاثَ فِرَق لعظَمته، ٣١ ـ ﴿لا ظَلِيلٍ﴾: كَنينٍ يُظلّهم من حرِّ ذلك اليوم ﴿ولا يُغني﴾: يردّ عنهم شيئًا ﴿مِنَ اللَّهَبِ﴾ للنار. ٣٢ ـ ﴿إنَّها﴾ أي: النارَ ﴿تَرمِي بِشَرَرٍ﴾ هو ما تطاير منها ﴿كالقَصْرِ﴾ من البناء في عِظمه وارتفاعه، ٣٣ ـ ﴿كأنَّهُ جِمالاتٌ﴾: جمع جِمالةٍ جمعِ جَمَلٍ ـ وفي قراءة: «جِمالةٌ» ـ ﴿صُفرٌ﴾ في هيئتها ولونها. وفي الحديث «شَرارُ النّارِ أسوَدُ كالقِيرِ». والعرب تُسمّي سُودَ الإبل صُفرًا لشَوب سوادها بصُفرة. فقيل: صُفرٌ في الآية بمعنى سُود، لِما ذُكر. وقيل: لا. والشَّرر: جمع شررةٍ. والشرارُ: جمع شَرارةٍ. والقِير: القار. ٣٤ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبينَ﴾.

قولُهُ: (عَذباً) بخَلقِ الأنهارِ والمنابعِ فيها.

قولُهُ تعالَى: (﴿لِلمُكَذِّبين﴾) بأمثالِ هذه النِّعَمِ، أو برسولِ هذا المنعِمِ، وكتابِهِ المكرَّمِ.

قولُهُ تعالَى: (﴿انطَلِقُوا﴾) الثّاني؛ أي: خصوصاً، وعن يعقوبَ: (انطَلَقُوا) على الإخبارِ[1] من امتثالِهِم للأمرِ اضطِراراً.

قولُهُ: (هُوَ دُخَانُ جَهَنَّم) كقولِهِ: ﴿وظِلٍّ من يَحمُوم﴾ [الواقعة: ٤٣].

قولُهُ: (ثَلاثَ فِرَقٍ) قيلَ: شُعبةٌ تقفُ فوقَ الكافِرِ، وشُعبةٌ عن يمينِهِ، وشعبةٌ عن يسارِه.

قولُهُ: (كَنِينٍ) تهكُّمٌ بهم، وردَ لما أوهَمَ لفظُ الظِّلِّ، وتعريضٌ بأنَّ ظلَّهُم غيرُ ظلِّ المؤمنينَ.

قولُهُ: (يَرُدُّ) أي: غيرَ مُغنٍ من حرِّ اللَّهيبِ.

قولُهُ: (هُوَ مَا تَطَايَرَ مِنهَا) أي: كُلُّ شرارَةٍ كالقَصرِ، ويؤيِّدُه أنّه قُرِئَ: (بِشَرَار)[2].

قولُهُ: (جَمعُ: جَمَلٍ) أو جمعُ: جِمالٍ.

قولُهُ: (ولَونِهَا) وكثرَتِها وتتابُعِها واختِلاطِها وسُرعَةِ حَركتِها، وقرأ حمزةُ والكسائيُّ وحَفصٌ: ﴿جِمَالَتٌ﴾[3].

---

(١) أي: بفتح اللام، وهي من رواية رويس عن يعقوب، انظر: «المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٤٥٧)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٩٧).

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعيسى بن عمر، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٤٩٨).

(٣) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢١٨).

٣٥ ـ ﴿هذا﴾، أي: يومُ القيامة ﴿يَومُ لا يَنطِقُونَ﴾ فيه بشيء، ٣٦ ـ ﴿ولا يُؤذَنُ لَهُم﴾ في العُذر ﴿فيَعتَذِرُونَ﴾: عطفٌ على «يُؤذن» من غير تسبّب عنه، فهو داخل في حيز النفي، أي: لا إذنَ فلا اعتذار. ٣٧ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

٣٨ ـ ﴿هـذا يَومُ الفَصلِ. جَمَعْناكُـم﴾ ـ أيها المُكذّبون من هذه الأُمّة ـ ﴿والأوَّلِينَ﴾ من المُكذّبين قبلكـم، فتُحاسَـبون وتُعذّبـون جميعًـا. ٣٩ ـ ﴿فـإن كانَ لَكُـم كَيـدٌ﴾: حِيلـة فـي دفـع العـذاب عنكم ﴿فكِيدُونِ﴾: فافعلوها. ٤٠ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

٤١ ـ ﴿إنَّ المُتَّقِينَ في ظِلالٍ﴾ أي: تكاثُفِ أشجارٍ، إذ لا شمسَ يُظَلُّ من حرّها، ﴿وعُيُونٍ﴾ نابعة من الماء، ٤٢ ـ ﴿وفَواكِهَ مِمّا يَشتَهُونَ﴾ ـ فيه إعلام بأن المأكل والمشرب في الجنّة بحسَب شهواتهم بخِلاف الدنيا فبحسَب ما يجد الناس في الأغلب ـ ويقال لهم: ٤٣ ـ ﴿كُلُوا واشرَبُوا هَنِيئًا﴾: حالٌ، أي: مُتهنّئين ـ ﴿بِما كُنتُم تعمَلُونَ﴾ من الطاعات. ٤٤ ـ ٤٥ ـ ﴿إنّا كَذلِكَ﴾: كما جزَينا المُتّقين ﴿نَجزِي المُحسِنِينَ. وَيلٌ يَومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ﴾.

قولُهُ: (بشَيءٍ) من فَرطِ الدَّهشَةِ والحيرَةِ، وهذا في بعضِ المواقِفِ، أو بما ينفَعُ فإنَّ النُّطقَ بما لا ينفَعُ كَلا نُطقٍ، قيل: أسكتَهُم رؤيَةُ الهيبَةِ وحَياءُ المعصيَةِ.

قولُهُ: (فَلا اعتِذَارَ) يوضِّحُهُ ما في البيضاوِيِّ[1]: عطفَ ﴿فَيَعتَذِرُون﴾ على ﴿يُؤذَنَ﴾؛ ليدُلَّ على نفيِ الإذنِ والاعتِذارِ عقيبَهُ مُطلَقاً، ولو جعلَهُ جواباً لدَلَّ على أنَّ عدمَ اعتذارِهِم لعَدَمِ الإذنِ، وأوهَمَ ذلك أنَّ لهم عُذراً، لكن لم يؤذَنْ لهم فيه، وعن الجُنَيدِ[2]: أنَّى لهم أوانُ العُذرِ فيعتَذِرونَ، وأيُّ عُذرٍ لمن أعرَضَ عن مُنعمِهِ وكفرَ وجحدَ نعَمَهُ.

قولُهُ تَعالَى: (﴿هَذا يَومُ الفَصلِ﴾) أي: بينَ المُحِقِّ والمبطِلِ.

قولُهُ: (فافعَلُوهَا) تقريعٌ لهم على كيدِهِم للمؤمنِينَ في الدُّنيا، وإظهارٌ لعَجزِهِم في العُقبى.

قولُهُ تَعالَى: (﴿إنَّ المتَّقِين﴾) يعني: من الشِّركِ؛ لأنَّهُم في مُقابلَةِ المكَذِّبينَ مُستقِرُّونَ في أنواعِ النِّعمَة.

قولُهُ: (في الأَغلَبِ) لا حاجَةَ إلى ذِكرِ الأغلَبِ؛ لأنَّ السَّلاطِينَ مَثلاً لم تحصُلْ لهم جميعُ الفَواكِهِ، بل بَعضُها دائِماً.

قولُهُ: (كَمَا جَزَينَا المُتَّقِينَ) فيه أنّه لا مُغايرَةَ بين المتَّقينَ والمحسِنِينَ، وعلى تقديرِ أنَّ أحدَهُما أخصُّ فلا

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٧٧).

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٦٧).

٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ﴿كُلُوا وتَمَتَّعُوا﴾ ـ خِطابٌ للكُفّار في الدنيا ـ ﴿قَلِيلاً﴾ من الزمان وغايتِه إلى الموت. وفي هذا تهديد لهم. ﴿إِنَّكُم مُجرِمُونَ ـ وَيلٌ يومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ ـ وإذا قِيلَ لَهُمُ: اركَعُوا﴾: صلُّوا ﴿لا يَركَعُونَ﴾: لا يُصلّون. ٤٩ ـ ٥٠ ـ ﴿وَيلٌ يومَئذٍ لِلمُكَذِّبِينَ. فبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعدَهُ﴾ أي: القُرآنِ ﴿يُؤمِنُونَ﴾؟ أي: لا يُمكن إيمانُهم بغيره من كُتب الله بعد تكذيبهم به لاشتماله على الإعجاز الذي لم يَشتمل عليه غيرُه.

يُلائمُهُ التَّشبيهُ مع أنَّ جَزَينا بصيغَةِ الماضي غيرُ ظاهرٍ، فالصَّوابُ: أي: مِثلَ ذلك الجزاءِ نجزِي المحسِنِين؛ أي: في العقيدَةِ، والتَّكرارُ باعتبارِ الوصفَينِ، وإشعارٌ بأنَّ الإحسانَ في مُقابلَةِ الإحسانِ.

قولُهُ: (خِطَابٌ) أو حالٌ من المكذِّبينَ؛ أي: الوَيلُ ثابتٌ لهم في حالِ ما يقالُ لهم تذكيراً لهم بحالِهم في الدُّنيا، وبما جَنوا على أنفُسِهم من إيثارِ المتاعِ القليلِ على النَّعيمِ المقيمِ، قالَ سَهلٌ[1]: من كانَت همَّتُهُ بَطنَهُ وفرجَهُ فقد أظهَرَ خسارَتَه.

قولُهُ: (صَلُّوا) أو اركَعوا في الصَّلاةِ، أو أطيعُوا واخضَعوا، وقيل: هو يومُ القيامَةِ حين يُدعَونَ إلى السُّجودِ فلا يستَطيعونَ.

قولُهُ: (لا يُصَلُّونَ) أو لا يمتثِلونَ، واستَدلَّ به على أنَّ الأمرَ للوجوبِ.

قولُهُ: (أي: القُرآنِ) إذا لم يؤمِنوا به، وهو مُعجِزٌ في ذاتِهِ مُشتمِلٌ على الحُجَجِ الواضِحَةِ والمعاني الشَّريفَةِ، ويُستحَبُّ أن يُقالَ في آخرِ هذه السُّورَةِ: آمَنتُ باللهِ[2]، والله أعلمُ.

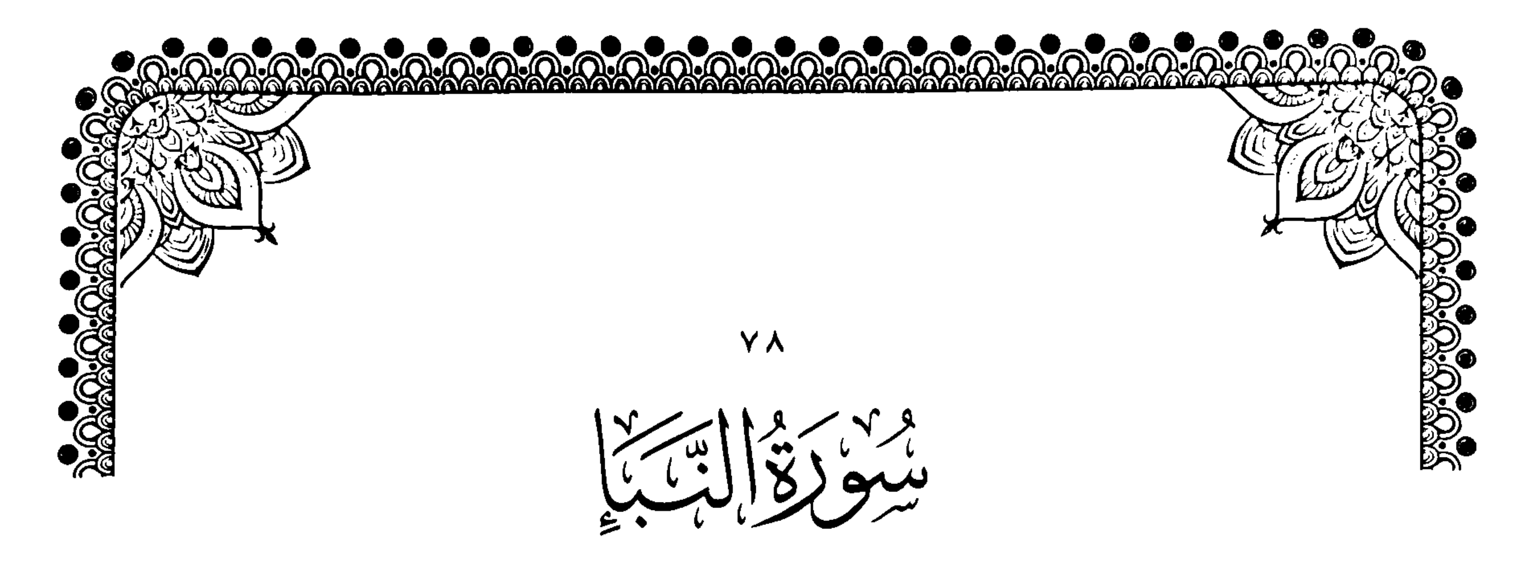
* * *

---

(١) انظر: «تفسير التستري» (ص: ١٨٤).

(٢) روى أبو داود (٨٨٧)، وأحمد في «مسنده» (٧٣٩١)، والحميدي في «مسنده» (١٠٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٢٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ومن قرأ: والمرسلات، فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ [المرسلات: ٥٠]، فليقل: آمنا بالله».

قال البوصيري في «إتحاف الخيرة» (٦/ ٢٩٦): هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة التابعي.



٧٨

سُورَةُ النَّبَإِ

مكية، إحدى وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ﴿عَمَّ﴾: عن أيّ شيء ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾: يسأل بعضُ قُريشٍ بعضًا؟ ٢ - ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾: بيانٌ لذلك الشيء - والاستفهام لتفخيمه. وهو ما جاء به النبيّ ﷺ من القُرآن المُشتمل على البعث وغيره - ٣ - ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾، فالمُؤمنون يُثبتونه، والكافرون يُنكِرونه؟ ٤ - ﴿كَلَّا﴾: ردعٌ، ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ ما يحُلّ بهم على إنكارهم له، ٥ - ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ تأكيدٌ، ....

سُورَةُ النَّبَإِ

قولُهُ: (عَنْ أيِّ شَيءٍ) أصلُهُ: عن ما؛ دخلَ حرفُ الجرِّ على: ﴿مَا﴾ الاستفهاميَّةِ، وحُذِفَ الألِفُ في كَثرةِ الاستِعمالِ.

قولُهُ: (لتَفخِيمِهِ) أي: لتَعظيمِ شأنِ ما يَتَساءلونَ عنه؛ كأنَّهُ لفَخامَتِهِ خفيَ جنسُهُ فيسأَلُ عنه، والضَّميرُ لأهلِ مكَّةَ أو النَّاسِ.

قولُهُ: (المُشتَمِل) جمَعَ بينَ قولينِ، فإنَّ الجمهورَ على أنَّ ﴿النَّبَأَ﴾: القيامَةُ[1]، وعن مُجاهِدٍ[2]: القُرآن.

قولُهُ: (رَدْعٌ) عن التَّساؤُلِ والاختِلافِ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) للمُبالغَةِ، وقيل: الأوَّلُ عندَ الفزَعِ، والثَّاني عندَ القيامَةِ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٠) عن قتادة وابن زيد.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٩). وذكره البخاري (٩/ ١٥١) عنه تعليقاً.

وجيء فيه بـ «ثمّ» للإيذان بأنّ الوعيد الثاني أشدُّ من الأوّل.

ثمّ أومأ ـ تعالى ـ إلى القُدرة على البعث فقال: ٦ ـ ﴿أَلَم نَجعَلِ الأرضَ مِهادًا﴾: فِراشًا كالمهد، ٧ ـ ﴿والجِبالَ أوتادًا﴾ تُثبِّتُ بها الأرض كما يُثبَّت الخباء بالأوتاد ـ والاستفهام للتقرير ـ ٨ ـ ﴿وخَلَقْناكُم أزواجًا﴾: ذُكورًا وإناثًا، ٩ ـ ﴿وجَعَلْنا نومَكُم سُباتًا﴾: راحة لأبدانكم، ١٠ ـ ﴿وجَعَلْنا اللّيلَ لِباسًا﴾: ساترًا بسواده، ١١ ـ ﴿وجَعَلْنا النَّهارَ مَعاشًا﴾: وقتًا للمَعايش، ١٢ ـ ﴿وبَنَينا فوقَكُم سَبعًا﴾ سبع سماوات ﴿شِدادًا﴾: جمع شديدة، أي: قويّة مُحكمة لا يُؤثّر فيها مُرور الزمان، ١٣ ـ ﴿وجَعَلْنا سِراجًا﴾ مُنيرًا ﴿وَهّاجًا﴾ وقّادًا ـ يعني الشمس ـ ١٤ ـ ﴿وأنزَلْنا مِنَ المُعصِراتِ﴾: السحابات التي حان لها أن تُمطر، كالمُعصِر: الجارية التي دنت من الحيض، ﴿ماءً ثَجّاجًا﴾: صبّابًا،........................

قولُهُ: (مِنَ الأَوَّلِ) على طريقِ بالله ثمَّ بالله، ونَقْلُ القاضِي[1] عن ابنِ عامرٍ بالخِطابِ، شاذٌّ[2].

قولُهُ: (فِرَاشاً) وبِساطاً.

قولُهُ: (كالمَهدِ) وقُرِئَ: (مَهداً)[3].

قولُهُ: (ذُكُوراً) أو أصنافاً، أو أنواعاً في اللَّونِ والصُّورَةِ واللِّسانِ.

قولُهُ: (رَاحَةً) أي: قَطعاً عن الإحساسِ والحركَةِ استِراحَةً للقوَى الحيوانيَّةِ وإزاحَةً لكَلالِها.

قولُهُ: (سَاتِراً) أي: غِطاءً يستُرُكُم عن العُيونِ.

قولُهُ: (وَقتاً) أي: وَقتَ مَعاشٍ يتقَلَّبونَ فيه لتحصيلِ ما تعيشونَ به.

قولُهُ: (أي: قَوِيَّةٌ مُحكَمَةٌ) الأظهَرُ: أقوياءَ مُحكَمات.

قولُهُ: (يَعني: الشَّمسَ) وهو مفعولٌ أوَّلُ، والأظهرُ أنَّ ﴿وهَّاجاً﴾ صفَةٌ لـ﴿سِراجاً﴾، و﴿جَعَلَ﴾ بمعنى خلَقَ؛ لأنَّ الأولى أن لا يكونَ المفعُولُ الأوَّلُ لـ﴿جعَلَ﴾ نكرَةً محضَةً.

قولُهُ: (أَن تُمطِرَ) أي: السَّحابُ إذا أعصِرَت؛ أي: شارَفَت أن تَعصِرَها الرِّياحُ فتُمطِرَ؛ كقولِكَ: احصُدِ الزَّرعَ؛ أي: حانَ له أن يُحصَدَ.

قولُهُ: (دَنَت) عَصرَتها الطَّبيعَةُ.

قولُهُ: (صَبَّاباً) أي: مُنصبًّا بكَثرَة، يقالُ: ثجَّهُ وثَجَّ بنفسِهِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٧٨).

(٢) انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٠٠).

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لعيسى الهمداني ومجاهد، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٠٠).

١٥ ـ ﴿لِنُخرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ كالحِنطة ﴿ونَباتًا﴾ كالتِّبن، ١٦ ـ ﴿وجَنّاتٍ﴾: بساتينَ ﴿ألفافًا﴾ أي: مُلتفّة، جمع لَفِيف كشَرِيف وأشراف؟

١٧ ـ ﴿إنَّ يَومَ الفَصلِ﴾ بينَ الخلائق ﴿كانَ مِيقاتًا﴾: وقتًا للثواب والعقاب، ١٨ ـ ﴿يَومَ يُنفَخُ في الصُّورِ﴾: القَرنِ، بدلٌ من «يومَ الفصل» أو بيانٌ له، والنافخ إسرافيل، ﴿فتأتُونَ﴾ من قُبوركم إلى الموقف ﴿أفواجًا﴾: جماعاتٍ مُختلفةً، ١٩ ـ ﴿وفُتِّحَتِ السَّماءُ﴾: بالتشديد والتخفيف: شُقّقت لنزول الملائكة، ﴿فكانَتْ أبوابًا﴾: ذات أبواب، ٢٠ ـ ﴿وسُيِّرَتِ الجِبالُ﴾: ذُهب بها عن أماكنها، ﴿فكانَتْ سَرابًا﴾: هباء، أي: مِثلَه في خِفّة سيرها.

٢١ ـ ﴿إنَّ جَهَنَّمَ كانَتْ مِرصادًا﴾: راصدة أو مُرصَدة ٢٢ ـ ﴿لِلطّاغِينَ﴾: الكافرين..............

قولُهُ: (بَينَ الخَلائِقِ) أو بينَ الحقِّ والباطِلِ.

قولُهُ: (وَقتاً) الميقاتُ أخَصُّ من الوقتِ، وهو الوَقتُ المحدَّدُ، كالميعادِ والميلادِ لتوقيتِ زمانَي الوَعدِ والوِلادَة وتحديدِهِما؛ أي: كانَ في عِلمِ الله، أو في حُكمِهِ حَدًّا تُوَقَّت به الدُّنيا وتنتَهي عندَهُ، أو حدًّا للخلائقِ ينتَهونَ إليه.

قولُهُ: (والتَّخفِيف) كوفيٌّ[1].

قولُهُ: (شُقِّقَت) عَطفٌ على: ﴿فتَأتُونَ﴾ وإيثارُ الماضي لتحَقُّقِ الوقوعِ، أو حالٌ؛ أي: فتَأتونَ، والحالُ أنَّها قد فُتِحَت.

قولُهُ: (ذَاتَ أَبوَابٍ) أو فصارَتْ من كثرَةِ الشُّقُوقِ كأنَّ الكُلَّ أبوابٌ.

قولُهُ: (عَن أَمَاكِنِهَا)كالهَباءِ في الهَواءِ.

قولُهُ: (هَبَاءً) هذا حاصِلُ المعنى؛ أي: مِثلَ سَرابٍ؛ إذ تُرى على صورَةِ الجبالِ ولم تَبقَ على حقيقَتِها لتفَتُّتِ أجزائِها وانبِثاثِها.

قولُهُ: (رَاصِدَةً) يعني: أنَّها مُبالِغَةٌ راصِدَةٌ؛ أي: مُجِدَّةٌ في ترصُّدِ الكفَرَةِ كيلا يَشِذَّ منها واحِدٌ كالمطعانِ أيْ مُجِدٌّ في الطَّعنِ.

قولُهُ: (أو مَرصَدَة) أي: موضِعاً يرصُدُ فيه خزنَةُ النَّارِ للكُفَّارِ، أو طريقاً وممرًّا إلى الجنَّةِ، وهو كلامُ الحسنِ وقتادَةَ[2].

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٩) بمعناه عنهما.

فلا يتجاوزونها، ﴿مآبًا﴾: مَرجِعًا لهم فيدخلونها، ٢٣ ـ ﴿لابِثِينَ﴾: حالٌ مُقدّرة، أي: مُقدَّرًا لَبثُهم ﴿فِيها أحقابًا﴾: دُهورًا لا نهاية لها، جمع حُقْب بضمّ أوّله، ٢٤ ـ ﴿لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْدًا﴾: نومًا ﴿ولا شَرابًا﴾: ما يُشرب تلذّذًا، ٢٥ ـ ﴿إلاّ﴾ لكنْ ﴿حَمِيمًا﴾ ماءً حارًّا غايةَ الحرارة ﴿وغَسّاقًا﴾ بالتخفيف والتشديد: ما يسيل من صديد أهل النار، فإنّهم يذوقونه، جُوزوا بذلك ٢٦ ـ ﴿جَزاءً وِفاقًا﴾: مُوافقًا لعملهم. فلا ذنب أعظمُ من الكُفر ولا عذاب أعظمُ من النار.

٢٧ ـ ﴿إنَّهُم كانُوا لا يَرجُونَ﴾: لا يخافون ﴿حِسابًا﴾ لإنكارهم البعثَ، ٢٨ ـ ﴿وكَذَّبُوا بِآياتِنا﴾: القُرآنِ ﴿كِذّابًا﴾: تكذيبًا، ٢٩ ـ ﴿وكُلَّ شَيءٍ﴾ من الأعمال ﴿أحصَيناهُ﴾: ضبطناه ﴿كِتابًا﴾:.........

قولُهُ: (فَلا يَتَجَاوَزُونَهَا) كانَ حقُّهُ بعدَ قولِهِ: ﴿فَيَدخُلُونَهَا﴾.

قولُهُ: (مَرجِعاً) ومأوى.

قولُهُ: (حَالٌ) وقرَأ حمزةُ بالقَصرِ[1]، وهو أبلغُ.

قولُهُ: (دُهُوراً) منصوبٌ على الظَّرفِ.

قولُهُ: (لا نِهَايَةَ لَهَا) كذا قالَهُ الحسَنُ وقتادَةُ[2] وغيرُهما.

قولُهُ: (بِضَمِّ أوَّلِهِ) وبضمَّتَينِ[3].

قولُهُ: (نَوماً) أو ما يروِّحُهُم ويُنفِّسُ عنهم حرَّ النَّارِ، لا بَرْدٌ العَذابِ.

قولُهُ: (تَلَذُّذاً) أو تَسكيناً للعطشِ، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (لَكِن) يذوقونَ.

قولُهُ: (والتَّشدِيدِ) كوفيٌّ غيرَ شُعبةَ[4].

قولُهُ: (مُوَافِقاً) أو ذا وِفاقٍ.

قولُهُ: (كَتْبًا) يعني: ﴿كِتَاباً﴾ مفعولٌ مطلقٌ من: ﴿أحصَينَا﴾؛ لأنَّ أحصى بمعنى: كتَبَ، أو بالعَكسِ؛ يعني: ﴿كِتَاباً﴾ بمعنى: أحصى، أو ﴿كِتَاباً﴾ مصدَرٌ لِفعلِهِ، أو حَالٌ بمعنى: مكتوباً في اللَّوحِ، أو صُحُفِ الحفَظَةِ، والجملَةُ اعتراضٌ.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٦٢) بمعناه عنهما.

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٦).

(٤) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٢).

كتَبناه في اللوح المحفوظ لنُجازيَ عليه. ومن ذلك تكذيبُهم بالقرآن. ٣٠ـ ﴿فذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة عِند وُقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم. ﴿فلَن نَزيدَكُم إلاّ عَذابًا﴾ فوق عذابكم.

٣١ ـ ﴿إنَّ لِلمُتَّقِينَ مَفازًا﴾: مكانَ فوز في الجنّة، ٣٢ ـ ﴿حَدائقَ﴾: بساتينَ، بدلٌ من «مفازًا» أو بيانٌ له، ﴿وأعنابًا﴾: عطفٌ على «مفازًا»، ٣٣ ـ ﴿وكَواعِبَ﴾: جواريَ تكعّبتْ ثُدِيُّهنّ، جمع كاعب، ﴿أترابًا﴾: على سِنٍّ واحدٍ، جمع تِرب بكسر التاء وسكون الراء، ٣٤ ـ ﴿وكأسًا دِهاقًا﴾: خمرًا مالئة مَحالَّها ـ وفي القتال: «وأنهارٌ مِن خَمرٍ» ـ ٣٥ ـ ﴿لا يَسمَعُونَ فِيها﴾ أي: الجنّةِ، عِند شُرب الخمر وغيره من الأحوال، ﴿لَغوًا﴾: باطلاً من القول ﴿ولا كِذابًا﴾ بالتخفيف ....

قولُهُ: (فَوقَ عَذَابِكُم) عن بعضِ السَّلَفِ: «لَم يَنزِل علَى أهلِ النَّارِ آيَةٌ أشَدُّ من هَذِه»[1].

قولُهُ: (فِي الجَنَّةِ) أو هو الجنَّةُ، أو فَوزاً وظَفراً بالغنيمَةِ.

قولُهُ: (بَساتِينَ) فيها أنواعُ الأشجارِ المثمِرَةِ سِيما العِنَب.

قولُهُ: (بَدَلٌ) بدَلُ اشتِمالٍ، أو بعضٍ؛ أي: فَوزَ حَدائِق.

قولُهُ: (علَى ﴿مَفَازًا﴾) هذا بَعيدٌ جدًّا.

قولُهُ: (جَوَارِي) أي: نِساءً.

قولُهُ: (تَكَعَّبَت) أي: استَدارَت.

قولُهُ: (ثُدِيُّهِنَّ) جمعُ: ثَدي على: فُعول.

قولُهُ: (جَمعُ: كَاعِبَ) الظَّاهِرُ: كاعِب.

قولُهُ: (خَمراً) أو كَأساً مَلآنَ.

قولُهُ: (وأنهَارٌ) فيملأُ منها، أو هذا شَرابٌ خالِصٌ خاصٌّ للخُصوصِ.

قولُهُ: (بَاطِلاً) أو كَلاماً خالياً عن الفائدَةِ، وهو الظَّاهِر.

قولُهُ: (بالتَّخفِيفِ) كسائيٌّ[2].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٦٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

ورواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (١٨٦)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ٣٠)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٥٧٩) عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

ورواه ابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣١١)، وأبو الشيخ في «طبقات المحدثين» (١/ ٤١١)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٣٣٣) (٣٣٣٧)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (١/ ٣٠٢) من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه مرفوعاً.

(٢) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٢).

أي: كَذِبًا، وبالتشديد أي: تكذيبًا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عِند شُرب الخمر، ٣٦ ـ ﴿جَزاءً مِن رَبِّكَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطاءً﴾: بدلٌ من «جزاء»، ﴿حِسابًا﴾ أي: كثيرًا. من قولهم: أعطاني فأحسَبَني، أي: أكثرَ عليّ حتّى قلتُ: حَسْبِي.

٣٧ ـ ﴿رَبِّ السَّماواتِ والأرضِ﴾، بالجرّ والرفعِ، ﴿وما بَينَهُما الرَّحمنِ﴾. كذلك، وبرفعه مع جرّ «رَبِّ». ﴿لا يَملِكُونَ﴾ أي: الخلقُ ﴿مِنهُ﴾ ـ تعالى ـ ﴿خِطابًا﴾، أي: لا يقدر أحد أن يُخاطبه خوفًا منه،

قولُهُ: (عِندَ شُربِ الخَمرِ) وغيره.

قولهُ: (بذَلِكَ) أي: بما ذكَرَ للمتَّقينَ بمُقتَضى وعدِهِ.

قولهُ: (بَدَل) لا أنَّه مفعولٌ به لـ﴿جَزَاء﴾؛ لأنَّ المصدَرَ المؤكِّدَ لا يعمَلُ بلا خِلافٍ من النُّحاةِ، كذا في «البَحرِ»[١]، ومعنى: ﴿عَطَاءً﴾ تفَضُّلاً منه؛ إذ لا يجِبُ عليه شيءٌ.

قولهُ: (أي: كَثِيراً) أو كافياً، أو على حسَبِ أعمالِهِم.

قولهُ: (والرَّفعِ) حرميٌّ وبصريٌّ[٢].

قولهُ: (كذَلكَ) أي: بالجرِّ والرَّفعِ، والأوَّلُ لشاميٍّ وعاصِمٍ[٣].

قولهُ: (وبرَفعِهِ... إلخ) حمزةُ والكسائِيُّ[٤]، والحاصِلُ أنَّ نافِعاً وابنَ كثيرٍ وأبا عَمرٍو برفعِهِما، وابنَ عامِرٍ وعاصِماً بجرِّهِما، وحمزَةَ والكسائيَّ برفعِ الأوَّلِ وجرِّ الثَّاني فافهَم، فإنَّ نُسخَ البَيضاويِّ[٥] في هذا المحَلِّ كلَّها سقيمَةٌ غيرُ مُستقيمَةٍ.

ثمَّ اعلم أنَّ رفعَ الأوَّلِ على الابتِداءِ، أو على أنَّه خبَرٌ محذوفٌ، و﴿الرَّحمَنُ﴾ صفَةٌ له أو خبَرٌ، وخُفِضَ الأوَّلُ على أنَّه بدَلٌ من: ﴿رَبِّكَ﴾، و﴿الرَّحمنُ﴾ صفَةٌ له.

قولهُ: (أي: الخَلقُ) أي: أهلُ السَّماواتِ والأرضِ لا يَملِكونَ خطابَهُ، والاعتِراضَ عليهِ في ثَوابٍ أو عِقابٍ؛ لأنَّهم مملوكونَ له على الإطلاقِ، وذلك لا يُنافي الشَّفاعَةَ بإذنِهِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٣٨٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٦٩).

(٣) انظر المصدر السابق.

(٤) أي: بجر الأول ورفع الثاني، وهو الصحيح، والعجيب أنه أخطأ في التفصيل فيما بعد في قوله: «وحمزة والكسائي برفع الأول وجر الثاني»، انظر: في «السبعة في القراءات» (ص: ٦٦٩)، و«العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٢).

(٥) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٨١).

٣٨ ـ ﴿يَومَ﴾: ظرف لـ «لا يملكون» ﴿يَقُومُ الرُّوحُ﴾ جِبريلُ أو جُند الله، ﴿والمَلائكةُ صَفًّا﴾: حالٌ، أي: مُصطفّينَ، ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلقُ ﴿إلاّ مَن أذِنَ لَهُ الرَّحمنُ﴾ في الكلام، ﴿وقالَ﴾ قولاً ﴿صَوابًا﴾ من المُؤمنين والملائكة، كأن يشفعوا لمن ارتضَى.

٣٩ ـ ﴿ذلِكَ اليَومُ الحَقُّ﴾: الثابتُ وقوعُه، وهو يوم القيامة. ﴿فمَن شاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّهِ مآبًا﴾: مَرجِعًا، أي: رَجَع إلى الله بطاعته ليسلمَ من العذاب فيه. ٤٠ ـ ﴿إنّا أنذَرْناكُم﴾، أي كُفّارَ مكّة، ﴿عَذابًا قَريبًا﴾ أي: عذاب يوم القيامة الآتي ـ وكُلُّ آتٍ قريبٌ ـ ﴿يَومَ﴾: ظرف لـ «عذابًا» بصفته ﴿يَنظُرُ المَرءُ﴾: كُلُّ امرئ ﴿ما قَدَّمَتْ يَداهُ﴾ من خير وشرّ، ﴿ويَقُولُ الكافِرُ: يا﴾: حرف تنبيه ﴿لَيتَني كُنتُ تُرابًا﴾ يعني: فلا أُعذَّبُ. يقول ذلك عِندما يقول الله ـ تعالى ـ للبهائم بعد الاقتصاص من بعضها لبعض: كوني تُرابًا.

قولُهُ: (ظَرفُ ﴿لا يَملِكُون﴾) أو ﴿لا يَتَكَلَّمُونَ﴾، والأظهَرُ أنّه ظرفُ (اذكُر) مُقدَّراً.

قولُهُ: (أو جُندُ اللهِ) فيه أنَّ الخلقَ كُلَّهم جُنودٌ للّهِ، أو ملكٌ موكَّلٌ على الأرواحِ أو جنسِها، أو خَلقٌ أعظَمُ قَدراً من الملائكةِ على صورَةِ البشَرِ، أو مَلَكٌ بقَدرِ جميعِ المخلوقاتِ هو صَفٌّ وسائرُ الخلائقِ صَفٌّ.

قولُهُ: (أي: الخَلقُ) الظَّاهِرُ: الرُّوحُ والملائِكَة.

قولُهُ: (وكُلُّ آتٍ قَريبٌ) ولأنَّ مبدَأهُ الموتُ، والموتُ أدنى من شِراكِ نَعلِه[1].

قولُهُ: (ظَرفٌ لِعَذَاباً)أو لـ(اذكُر) مُقَدَّراً.

قولُهُ: (كُلُّ امرِئٍ) أي: المرءُ عامٌّ، وقيل: هو الكافِرُ؛ والمرادُ: ممَّا قدَّمَت يداهُ الشَّرَّ.

قولُهُ: (بَعدَ الاقتِصَاصِ) للشَّاةِ الجمَّاءِ من القَرناءِ[2].

قولُهُ: (كُوني تُرَاباً) فـ﴿كُنتُ﴾ بمَعنى: صِرت، أو يتمنَّى أن يكونَ في الدُّنيا تُراباً فلم يُخلقْ ولم يُكلَّفْ، أو في هذا اليَومِ فلم يُبعَث، والمرادُ بـ﴿الكَافِرِ﴾: الجنسُ، وقيل: المرادُ من ﴿الكَافِرِ﴾: إبليسُ، والله أعلَم.

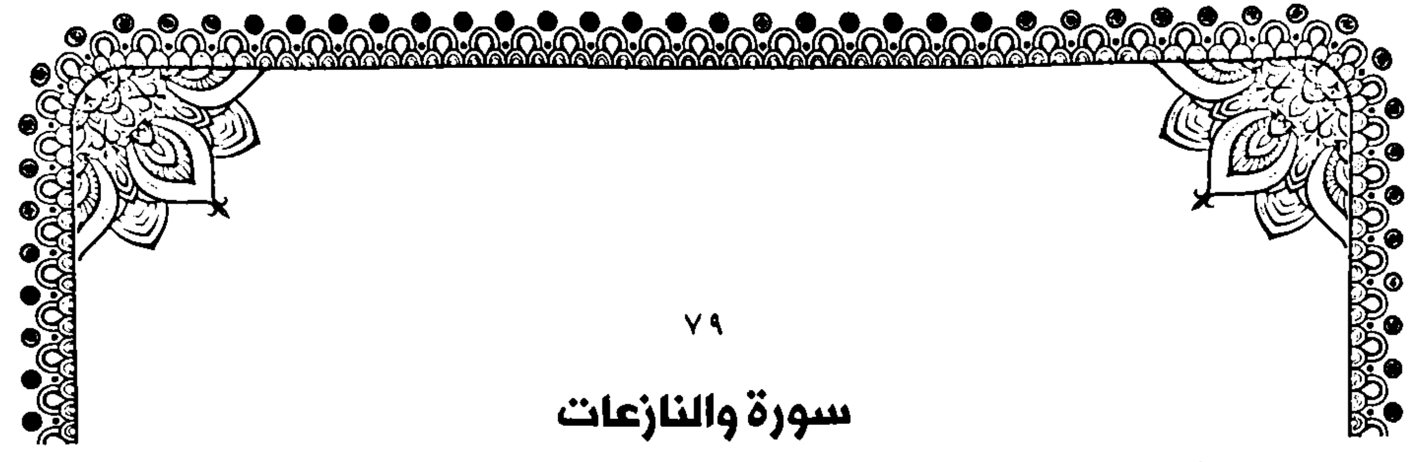
---

(١) هذا عجز البيت، وصدره: كلُّ امرئٍ مُصَبَّحٌ في أَهْلِهِ.

جاء في «شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية» (٢/ ٣٠٣): رجز للحكيم بن الحارث بن نهيك النهشلي، شاعر جاهلي، وتمثل بالرجز أبو بكر رضي الله عنه عند ما أصيب بحمى المدينة أول الهجرة.

(٢) روى مسلم (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠)، وأحمد في «مسنده» (٧٢٠٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٦٣) عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء».

وروى عبد الرزاق في «تفسيره» (٧٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٣٢٢٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣٢٣١) عن أبي هريرة رضي الله عنه: يبلغ من عدل الله يوم القيامة أن الله يأخذ للجماء من القرناء قال: ثم يقول: كوني تراباً، قال: فلذلك يقول الكافر: ﴿يا ليتني كنت ترابا﴾ [النبأ: ٤٠]. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.



٧٩

سورة والنازعات

مكية، ستٌّ وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والنّازِعاتِ﴾: الملائكةِ تنزِع أرواحَ الكُفّار ﴿غَرْقًا﴾: نزعًا بشِدّة، ٢ ـ ﴿والنّاشِطاتِ نَشطًا﴾: الملائكةِ تَنشِط أرواح المُؤمنين، أي: تَسُلّها برُفق، ٣ ـ ﴿والسّابِحاتِ سَبحًا﴾: الملائكةِ تسبح من السماء بأمره ـ تعالى ـ أي: تنزل، ٤ ـ ﴿فالسّابِقاتِ سَبقًا﴾: الملائكةِ تسبق بأرواح المُؤمنين إلى الجنّة، ٥ ـ ﴿فالمُدَبِّراتِ أمرًا﴾: الملائكةِ تُدبّر أمر الدنيا، أي: تنزل بتدبيره. وجواب هذه الأقسام محذوف، أي: لَتُبعَثُنَّ، يا كُفّارَ مكّة. وهو عامل في: ٦ ـ ﴿يَومَ تَرجُفُ الرّاجِفةُ﴾: النفخة الأُولى، بها يرجف كُلّ شيء، أي: يتزلزل، فوُصِفتْ بما يحدث منها، ٧ ـ ﴿تَتبَعُها الرّادِفةُ﴾: النفخة الثانية ـ وبينهما أربعون سنةً. والجملة: حال من الراجفة. فاليوم واسع للنفختين وغيرهما، فصحّ ظرفيّته للبعث الواقع عقبَ الثانية ـ ٨ ـ ﴿قُلُوبٌ يومَئِذٍ واجِفةٌ﴾: خائفةٌ قلقة، ٩ ـ ﴿أبصارُها خاشِعةٌ﴾: ذليلة لهَول ما تَرى.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

قولُهُ: (تَسُلُّهَا) أي: تخرِجُها.

قولُهُ: (أي: تَنزِلُ) بسُرعَةٍ.

قولُهُ: (بأَروَاحِ المُؤمِنِينَ) أو إلى ما أُمِرَت به.

قولُهُ: (أي: لَتُبعَثُنَّ) أو لتقومَنَّ السَّاعةُ، وهو الأظهَرُ.

قولُهُ: (بِهَا يَرجُفُ) أو الواقعَة التي ترجُفُ الأجرامُ عندها.

قولُهُ: (قَلِقَةٌ) شديدَةُ الاضطرابِ، وهي صفةٌ لـ﴿قُلُوب﴾، والخبَرُ: ﴿أَبصَارُهَا﴾؛ أي: أبصارُ أصحابِها.

١٠ ـ ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أربابُ القُلوب والأبصار استهزاءً وإنكارًا للبعث: ﴿أَإِنَّا﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين وتسهيلِ الثانية، وإدخالِ ألف بينهما على الوجهين، في الموضعينِ ـ ﴿لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ﴾ أي: أَنُردُّ بعد الموت إلى الحياة؟ والحافرة: اسم لأوّل الأمر ـ ومنه: رجَع فُلان في حافرته، إذا رجَع من حيثُ جاء ـ ١١ ـ ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾، وفي قراءة: «ناخِرةً»: بالية مُتفتّتة نَحيا؟ ١٢ ـ ﴿قَالُوا: تِلْكَ﴾ أي: رجعتُنا إلى الحياة ﴿إِذًا﴾ إن صحّت ﴿كَرَّةٌ﴾: رجعةٌ ﴿خَاسِرَةٌ﴾: ذات خُسران. ١٣ ـ قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ﴾ أي: الرادفة التي يَعقِبها البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾: نفخة ﴿وَاحِدَةٌ﴾، فإذا نُفِخَت ١٤ ـ ﴿فَإِذَا هُم﴾ أي: كُلّ الخلائق ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾: بوجه الأرض أحياءً بعدما كانوا ببطنها أمواتًا.

١٥ ـ ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ ـ يا مُحمّد ـ ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾ ١٦ ـ عاملٌ في: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾: اسم الوادي بالتنوين وتركِه؟..

قولُهُ: (بِتَحقِيقِ) تحقَّقَ مراراً[1]، غير أنَّ نافِعاً وشاميًّا وكسائيًّا يقرَؤونَ بالإخبارِ في الثَّاني هُنا[2].

قولُهُ: (وإِدخَالِ أَلِف) لقالونَ والبصريِّ وهشامٍ.

قولُهُ: (إلى الحَيَاةِ) فـ﴿فِي﴾ بمعنَى: إلى، و﴿الحَافِرَة﴾ الحالَة الأولى.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لكوفيٍّ غيرِ حفصٍ[3].

قولُهُ: (إن صَحَّت) الظَّاهِرُ أنَّ المعنى: أنَّها إن صَحَّت فنحنُ إذاً خاسرونَ لتكذيبِنا بها، وهو استِهزاءٌ منهُم.

قولُهُ: (ذَاتُ خُسرَانٍ) أو خاسِرٌ أصحابُها.

قولُهُ: (أي: الرَّادِفَةُ) وهو مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ؛ أي: لا يستصعِبُوها فما هي إلا صيحَةٌ.

قولُهُ: (بوَجهِ الأَرضِ) السَّاهِرَة: الأرضُ البَيضاءُ المستويَةُ[4]؛ لأنَّ سالِكَها يسهَرُ خوفاً، وقيلَ: وجهُ الأرضِ، وإنَّما قيلَ لها السَّاهِرَةُ؛ لأنَّهم لا ينامُونَ عليها حينئذٍ، وقيل: هي الفَلاةُ، وقيل: أرضٌ يُجدِّدُها الله يومَ القيامةِ، وقيل: اسمُ جهنَّمَ[5].

قولُهُ: (وتَركِهِ) حرميٌّ وبصريٌّ[6].

---

(١) انظر الآية رقم: (٥) من سورة الرعد.

(٢) هذا وما بعده انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٠)، «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦١٦).

(٣) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦١٧).

(٤) انظر: «الكليات» (ص: ٥٢٠).

(٥) قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣١٤): وهذه أقوال كلها غريبة، والصحيح: أنها الأرض وجهها الأعلى.

(٦) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧١).

١٧ ـ فقال: ﴿اذهَبْ إِلَى فِرعَونَ ـ إِنَّهُ طَغَى﴾: تجاوز الحدّ في الكُفر ـ ١٨ ـ ﴿فقُلْ: هَل لَكَ﴾: أدعوك ﴿إِلَى أن تَزَكَّى﴾، وفي قراءة بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تتطهّرَ من الشِّرك، بأن تشهد أنْ لا إلـٰـهَ إلاّ اللهُ، ١٩ ـ ﴿وأهدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ﴾: أدلَّك على معرفته بالبُرهان ﴿فتَخشَى﴾ فتخافَه؟

٢٠ ـ ﴿فأراهُ الآيَةَ الكُبرَى﴾ من آياته التسع ـ وهي اليد أو العصا ـ ٢١ ـ ﴿فكَذَّبَ﴾ فِرعَونُ مُوسَى، ﴿وعَصَى﴾ اللهَ ـ تعالى ـ ٢٢ ـ ﴿ثُمَّ أدبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسعَى﴾ في الأرض بالفساد، ٢٣ ـ ٢٤ ـ ﴿فحَشَرَ﴾: جَمَعَ السَّحرة وجُنده ﴿فنادَى، فقالَ: أنا رَبُّكُمُ الأعلَى﴾: لا ربَّ فوقي. ٢٥ ـ ﴿فأخَذَهُ اللهُ﴾: أهلَكه بالغرَق ﴿نكالَ﴾: عُقوبةَ ﴿الآخِرةِ﴾ أي: هذه الكلمةِ ﴿والأُولَى﴾ أي: قولِه قبلها: «ما عَلِمتُ لَكُم مِن إلـٰـهٍ غَيرِي». وكان بينهما أربعون سنة. ٢٦ ـ ﴿إِنَّ في ذٰلِكَ﴾ المذكورِ ﴿لَعِبْرَةً لِمَن يَخشَى﴾ اللهَ تعالى.

٢٧ ـ ﴿أأنتُم﴾ ـ بتحقيقِ الهمزتين، وإبدالِ الثانية ألفًا وتسهيلِها، وإدخالِ ألف بين المسهَّلة والأُخرى وتركِه ـ أي: منكرو البعث ﴿أشَدُّ خَلقًا أمِ السَّماءُ﴾..........................

قولُهُ: (أَدعُوكَ) أو هل لك مَيلٌ.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للحرميِّ[1].

قولُهُ: (فَتَخَافَهُ) بأداءِ الواجباتِ وتركِ المحرَّماتِ؛ إذ الخشيةُ إنَّما تكونُ بعد المعرفةِ، قيل: الخشيةُ ميزانُ صحّةِ الهدايَةِ، وهذا كالتَّفصيلِ لقولِه: ﴿فَقُولا لَهُ قَولاً لَيِّناً﴾ [طه: ٤٤].

قولُهُ: (والعَصَا) وهو الأظهرُ، فإنَّها المقدَّمُ والأصلُ.

قولُهُ: (عَنِ الإِيمَانِ) أو الطَّاعَةِ.

قولُهُ: (فِي الأَرضِ) أو ساعياً في إبطالِ أمرِهِ.

قولُهُ: (لا رَبَّ فَوقِي) أي: أعلى كُلِّ من يَلي أمرَكُم.

قولُهُ: (أي: هَذِهِ الكَلِمَةِ) والإضافَةُ بمَعنى اللَّام.

قولُهُ: (بِتَحقِيقِ) مِثل: ﴿أَنذَرتَهُم﴾ [١١].

قولُهُ: (أي: مُنكِرُو البَعثِ) وفي نُسخةٍ: بترك (أي)، والتَّقديرُ: هُم؛ أي: المخاطَبونَ بأنتم هم مُنكِرُو البَعثِ، والأظهَرُ: أي مُنكري البعثِ، على النِّداءِ فغيَّرهُ النَّاسخُ مع أنَّه يمكنُ حملُ كلامِهِ عليه أيضاً في بعض اللُّغاتِ بأن يُعربَ جمع المذكَّرِ السَّالمِ بالحركاتِ المقدَّرَةِ على الواو، وقالَ بعضُ الفضلاءِ: لا يحتاجُ إلى

---

(١) انظر المصدر السابق.

أشدُّ خلقًا؟ ﴿بَناها﴾: بيانٌ لكيفيّة خلقها، ٢٨ ـ ﴿رَفَعَ سَمْكَها﴾: تفسيرٌ لكيفية البناء، أي: جعل سمْتها في جِهة العلوّ رفيعًا ـ وقيل: سمكها: سقفها ـ ﴿فسَوّاها﴾: جعلها مستوية بلا عيب، ٢٩ ـ ﴿وأغطَش ليلَها﴾: أظلمه ﴿وأخرَجَ ضُحاها﴾: أبرزَ نُور شمسها ـ وأضيف إليها الليلُ لأنه ظِلّها، والشمسُ لأنها سراجها ـ ٣٠ ـ ﴿والأرضَ بَعدَ ذلِكَ دَحاها﴾: بسَطَها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دَحْو، ٣١ ـ ﴿أخرَجَ﴾: حالٌ بإضمار «قد»، أي: مُخرِجًا ﴿مِنها ماءَها﴾ بتفجير عُيونها ﴿ومَرعاها﴾: ما ترعاه النَّعم من الشجر والعُشب وما يأكله الناس من الأقوات والثمار ـ وإطلاق المرعى عليه استعارة ـ ٣٢ ـ ﴿والجِبالَ أرساها﴾: أثبَتها على وجه الأرض لتَسكن، ٣٣ ـ ﴿مَتاعًا﴾: مفعولٌ له لمُقدّر، أي: فعلَ ذلك مُتعةً، أو مصدرٌ أي: تمتيعًا ﴿لَكُم ولِأنعامِكُم﴾: جمعُ نَعَمٍ. وهي الإبل والبقر والغنم.

٣٤ ـ ﴿فإذا جاءَتِ الطّامّةُ الكُبرَى﴾: النفخةُ الثانية، ....

تقديرِ بل قولُهُ: (أي: مُنكِرو البَعثِ) تفسيرٌ للضَّميرِ المنفصِلِ، فالتَّفسيرُ في حُكمِ المبتدأ؛ لأنَّ المفسَّرَ مُبتدأٌ والخبرُ أشدُّ، لكن فيه أنَّ المفسَّرَ كلامُ غيرِ المفسِّرِ.

قولُهُ: (أَشَدُّ خَلقًا) أشارَ إلى أنَّ: ﴿السَّمَاءَ﴾ مُبتدأٌ خبرُه محذوفٌ.

قولُهُ: (نُورَ شَمسِهَا) الأظهَرُ: ضَوءَ شمسِها، كقولِهِ: ﴿والشَّمسِ وضُحَاهَا﴾ يريدُ: النَّهارَ.

قولُهُ: (لأَنَّه ظِلُّهَا) أي: كالظِّلِّ لها، والأظهَرُ: لأنَّه يحدُثُ بحركتِها؛ أي: بحركَةِ السَّماءِ أو شمسِها.

قولُهُ: (بَسَطَهَا) ومهَّدَها للسُّكنى.

قولُهُ: (حَالٌ) الأظهَرُ أنّه استئنافٌ بَياناً للدَّحوِ.

قولُهُ: (مَا تَرعَاهُ النَّعَمُ) أي: رِعيَها ـ بكسرِ الراءِ ـ، وهو في الأصلِ لموضِعِ الرَّعي[1].

قولُهُ: (وإطلاقُ المَرعَى عَلَيهِ) أي: على ما يأكلُهُ الإنسَانُ.

قولُهُ: (استِعَارَةٌ) حيثُ شبَّهَ أكلَ النَّاسِ برعي الدَّوابِ، أو ما يأكلُهُ الإنسانُ بما يرعاهُ الحيوانُ، وفيه جمعٌ بين الحقيقةِ والمجازِ، وهو جائزٌ عند الشَّافعيَّةِ[2]، وأمَّا إطلاقُ المحلِّ وإرادةُ الحالِّ؛ فهو مجازٌ مرسَلٌ لا استعارَةٌ.

قولُهُ: (النَّفخَةُ الثَّانِيَةُ) أو القيامَةُ، أو السَّاعةُ التي يساقُ فيها أهلُ الجنَّةِ إلى الجنَّةِ وأهلُ النَّارِ إلى النَّارِ؛ يعني: الدَّاهيَةَ التي تطُمُّ؛ أي: تَعلو على سائرِ الدَّواهي، و﴿الكُبرَى﴾: أي: التي هي أكبرُ الطَّامَّاتِ.

---

(١) والرعي: الكلأ. «القاموس المحيط» (ص: ١٢٨٩).

(٢) انظر: «البرهان في أصول الفقه» (١/ ١٢١)، و«إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول» (١/ ٧٩).

٣٥ ـ ﴿يَومَ يَتَذَكَّرُ الإنسانُ﴾: بدلٌ من «إذا»، ﴿ما سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشرّ، ٣٦ ـ ﴿وبُرِّزَتِ﴾: أُظهرَتِ ﴿الجَحِيمُ﴾: النار المُحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾: لكُلِّ راءٍ، وجواب إذا: ٣٧ ـ ﴿فأمّا مَن طَغَى﴾: كفرَ ٣٨ ـ ﴿وآثَرَ الحَياةَ الدُّنيا﴾ باتّباع الشهوات ٣٩ ـ ﴿فإنَّ الجَحِيمَ هِيَ المأوَى﴾: مأواه، ٤٠ ـ ﴿وأمّا مَن خافَ مَقامَ رَبِّهِ﴾: قِيامَه بين يديه، ﴿ونَهَى النَّفسَ﴾ الأمّارة ﴿عَنِ الهَوَى﴾ المُردِي باتّباع الشهوات، ٤١ ـ ﴿فإنَّ الجَنّةَ هِيَ المأوَى﴾. وحاصلُ الجواب: فالعاصي في النار، والمُطيع في الجنّة.

٤٢ ـ ﴿يَسألُونَكَ﴾ أي: كُفّارُ مكّةَ ﴿عَنِ السّاعةِ: أيّانَ مُرساها﴾: متى وقوعُها وقيامها؟ ٤٣ ـ ﴿فِيمَ﴾: في أيّ شيء ﴿أنتَ مِن ذِكراها﴾؟ أي: ليس عِندكَ عِلمها حتّى تذكرَها. ٤٤ ـ ﴿إلَى رَبِّكَ مُنتَهاها﴾: مُنتهى عِلمها لا يعلمه غيره. ٤٥ ـ ﴿إنّما أنتَ مُنذِرُ﴾: إنّما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخشاها﴾: يخافها، ٤٦ ـ ﴿كأنَّهُم يَومَ يَرَونَها لَم يَلبَثُوا﴾ في قُبورهم ﴿إلاّ عَشِيّةً أو ضُحاها﴾ أي: عشيّةَ يوم أو بُكرتَه. وصحّ إضافة الضحى إلى العشيّة لِما بينهما من المُلابسة إذ هما طرفا النهار، وحسّنَ الإضافةَ وقوعُ الكلمة فاصلةً.

قولُهُ: (فِي الدُّنيَا) قالَ القاضِي[1]: بأن يراهُ مُدوَّناً في صحيفَتِهِ، وكان قد نسيَها من فرطِ الغفلَةِ أو طُولِ المدَّةِ، أقول: ويمكنُ أن يتذكَّرَ من غيرِ رُؤيَةِ الصَّحيفَةِ لارتفاعِ الغفلةِ.

قولُهُ: (وجَوَابُ إِذَا) حَقُّه ﴿فإذا﴾ دلَّ عليه ما بعدهُ من التَّفصيلِ؛ أي: انقسَمَ النَّاسُ.

قولُهُ: (كَفَر) أي: حتَّى كفَرَ، قيل: الطُّغيانُ: الإعراضُ عن الآجلَةِ، والإقبالُ على العاجِلَةِ[2].

قولُهُ: (باتِّبَاعِ الشَّهوَاتِ) فانهمَكَ فيها ولم يستَعِدَّ للآخرَةِ بالعبادَةِ وتهذِيبِ النَّفسِ.

قولُهُ: (مَأوَاهُ) واللامُ فيه سادٌّ مسَدَّ الإضافَةِ؛ للعلمِ بأنَّ صاحبَ المأوَى هو الطَّاغي، و﴿هيَ﴾ فَصلٌ، أو مُبتَدأ.

قولُهُ: (بَينَ يَدَيهِ) أي: مقامَهُ بين يَدَي ربِّهِ؛ لعلمِهِ بالمبدَأ والمعادِ.

قولُهُ: (المُرْدِي) أي: المهلِكِ.

قولُهُ: (مَتَى وُقُوعُهَا) أو إرساؤُها؛ أي: إقامَتُها وإثباتُها.

قولُهُ: (عِلمُهَا) أي: عِلمُ وَقتِها.

قولُهُ: (يَخَافُهَا) أي: هَولَها، وهو لا يُناسِبُ تعيينَ الوَقتِ.

قولُهُ: (في قُبُورِهِم) أو دُنياهُم.

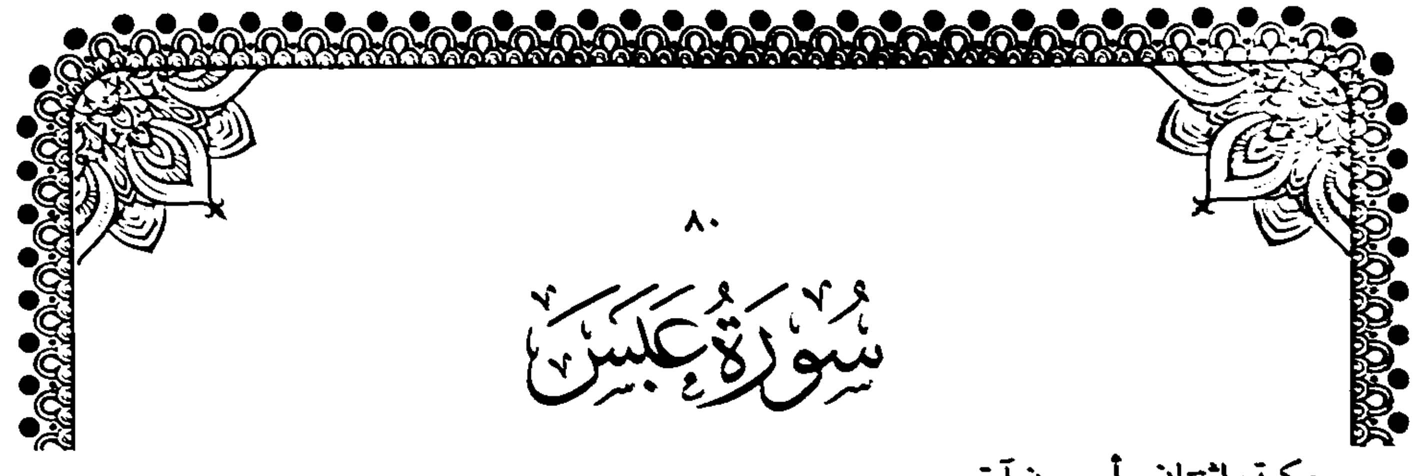
قولُهُ: (أو بُكرَتَه) كقَولِه: ﴿إلا سَاعَةً من نَهَار﴾ [الأحقاف: ٣٥].

قولُهُ: (فَاصِلَة) منَ الفَواصِلِ؛ أي: رُؤُوسَ الآيِ، والله أعلمُ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٨٤).

(٢) نسبه السلمي في «حقائق التفسير» (٢/ ٣٧١) لأبي عثمان.



مكية، اثنتان وأربعون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿عَبَسَ﴾ النبيُّ: كلَحَ وجهُه ﴿وتَوَلَّى﴾: أعرضَ لأجل ٢ ـ ﴿أن جاءَهُ الأعمَى﴾ عبدُ الله بن أُمِّ مكتوم، فقطعه عما هو مشغول به ممّن يرجو إسلامَه من أشراف قريش الذي هو حَريص على إسلامهم. ولم يدرِ الأعمى أنه مشغول بذلك، فناداه: عَلِّمْني ممّا علّمَك الله. فانصرف النبيّ إلى بيته، فعوتب في ذلك بما نزل في هذه السورة، فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: «مَرحَبًا بمَن عاتَبَني فِيهِ رَبِّي»، ويَبسُط له رداءه.

سورة عبس

قولُهُ: (لأَجلِ) علّةٌ لـ﴿تَوَلَّى﴾ أو ﴿عَبَسَ﴾، على اختِلافِ المذهَبَينِ في التَّنازُعِ[1].

قولُهُ: (عَلِّمْني) وكرَّرَ ذلك فكَرِهَ رسولُ الله ﷺ قطعَهُ لكلامِهِ، وعبَسَ وأعرَضَ عنه.

قولُهُ: (رِدَاءَهُ) واستخلَفَهُ على المدينَةِ مرَّتَينِ[2]، وفي «الكشاف»[3]: رويَ أنَّه ما عبَسَ بعدها في وجهِ فَقيرٍ قطُّ، ولا تصَدَّى لغنيٍّ، وذكَرَ الأعمَى للإشعارِ بعُذرِهِ في الإقدامِ على قَطعِ الكَلامِ، والدَّلالَةِ على أنَّه أحقُّ بالرِّفقِ والرَّأفةِ من سائرِ الأنامِ، وللإشارَةِ بالتَّخلُّقِ بأخلاقِ الله حيثُ قالَ في الحديث القُدسيِّ: «مَن تقرَّبَ إليَّ شِبراً تَقَرَّبتُ إليهِ باعاً[4]»[5]، ولقولِهِ تعالى لداودَ: «إِذَا رَأَيتَ لِي طالِباً، فَكُن لَهُ خادِماً»[6].

---

(١) الكوفي والبصري؛ فالكوفيون يرجحون إعمال الأول، والبصريون الثاني.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٢١٩).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٠١).

(٤) كذا في كل الأصول، والصواب: «ذراعاً».

(٥) روى البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة».

(٦) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٤٨٢) عن عبد العزيز بن عمر.

٣ ـ ﴿وما يُدرِيكَ﴾: يُعلِمُك: ﴿لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ ـ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي ـ أي: يتطهّرُ من الذنوب بما يسمع منك ٤ ـ ﴿أو يَذَّكَّرُ﴾، فيه إدغام التاء في الأصل في الذال، أي: يتّعظ ﴿فتَنفَعُهُ الذِّكرَى﴾: العِظةُ المسموعة منك؟ وفي قراءة بنصب «تَنفَعَهُ» جوابَ الترجّي.

٥ ـ ﴿أمّا مَنِ استَغنَى﴾ بالمال ٦ ـ ﴿فأنتَ لَهُ تَصَدَّى﴾، وفي قراءة بتشديد الصاد بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها: تُقبِلُ وتتعرّضُ، ٧ ـ ﴿وما عَلَيكَ ألاّ يَزَّكَّى﴾: يُؤمنَ، ٨ ـ ﴿وأمّا مَن جاءَكَ يَسعَى﴾: حالٌ من فاعل «جاء»، ٩ ـ ﴿وهُوَ يَخشَى﴾ اللهَ: حالٌ من فاعل «يسعى» وهو الأعمى، ١٠ ـ ﴿فأنتَ عَنهُ تَلَهَّى﴾ ـ فيه حذف التاء الأُخرى في الأصل ـ أي: تتشاغلُ. ١١ ـ ﴿كَلاّ﴾ لا تفعلْ مثلَ ذلك ﴿إنَّها﴾ أي: السُّورةَ ....

قولُهُ: (يُعلِمُك) أي: وأيُّ شيءٍ يجعلُكَ دارياً بحالِهِ.

قولُه: (يَتَطَهَّرُ) وفيه إيماءٌ بأنَّ إعراضَهُ كان لتزكيَةِ غيرِهِ.

قولُهُ: (العِظَةُ) أي: موعِظَتُكَ (وَفِي قِرَاءَةٍ) لعاصِم[1].

قولُهُ: (بالمَالِ) هو أميَّةُ بن خَلَف، أو عتبَةُ بن ربيعَةَ، أو هو وأبو جهلٍ والعبَّاسُ بن عبدِ المطَّلِب، كذا في «المبهمات»[2]، والظَّاهرُ أنَّ المرادَ بـ﴿مَن﴾ معناهُ الجَمع.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) للحرميِّ[3].

قولُهُ: (تُقبِل) عليه (وتَتَعَرَّضُ) له.

قولُهُ: (يُؤمِنَ) أي: ليس عليكَ بأسٌ في أن لا يتزَكَّى بالإسلامِ حتَّى يبعثَكَ الحِرصُ على إسلامِهِ إلى الإعراضِ عمَّن أسلمَ، إنْ عليكَ إلَّا البلاغُ.

قولُهُ: (حَالٌ) أي: يسرِعُ طالباً للخَيرِ.

قولُهُ: (الله) أو أذيَّةَ الكفَّارِ في إتيانِكَ، أو كبوَةَ الطَّريقِ؛ لأنَّه أعمى لا قائدَ له.

قولُهُ: (الأُخرَى) أو الأولى، وقرأ البزِّيُّ بإشباعِ الضَّميرِ وتشديدِ التَّاءِ[4].

قولُهُ: (لا تَفعَلْ) أي: رَدعٌ عن معاودَةِ مثله.

---

(١) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٣).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٥). الأول والثاني عزاه لابن أبي حاتم عن مجاهد، والثالث عن ابن عباس من طريق العوفي.

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٣).

(٤) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦١٨).

أو الآياتِ ﴿تَذْكِرَةٌ﴾: عظة للخلق ـ ١٢ ـ ﴿فَمَن شاءَ ذَكَرَهُ﴾: حَفِظَ ذلك فاتعظَ به ـ ١٣ ـ ﴿في صُحُفٍ﴾: خبرٌ ثانٍ لـ «إنّها»، وما قبله اعتراض، ﴿مُكَرَّمةٍ﴾ عِند الله، ١٤ ـ ﴿مَرفُوعةٍ﴾ في السماء ﴿مُطَهَّرةٍ﴾: مُنزّهة عن مسّ الشياطين، ١٥ ـ ﴿بِأيدِي سَفَرةٍ﴾: كَتَبةٍ ينسخونها من اللوح المحفوظ، ١٦ ـ ﴿كِرامٍ بَرَرةٍ﴾: مُطيعينَ للهِ ـ تعالى ـ وهم الملائكة.

١٧ ـ ﴿قُتِلَ الإنسانُ﴾: لُعِنَ الكافر. ﴿ما أكفَرَهُ﴾؟ استفهام توبيخ، أي: ما حَمَلَهُ على الكُفر؟ ١٨ ـ ﴿مِن أيِّ شَيءٍ خَلَقَهُ﴾؟ استفهام تقرير، ثمّ بيّنه فقال: ١٩ ـ ﴿مِن نُطْفةٍ خَلَقَهُ فقَدَّرَهُ﴾ علقةً ثمّ مُضغة إلى آخر خلقِه، ٢٠ ـ ٢١ ـ ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ أي: طريقَ خُروجه من بطن أُمّه ﴿يَسَّرَهُ، ثُمَّ أماتَهُ فأقبَرَهُ﴾: جعلَه في قبر يَستره، ٢٢ ـ ﴿ثُمَّ إذا شاءَ أنشَرَهُ﴾ للبعث.

قولُهُ: (أو الآيَاتِ) أو المعاتبَة.

قولُهُ: (عِظَةٌ) أي: موعظَةٌ بليغَةٌ مباركَةٌ.

قولُهُ: (حَفِظَ ذَلِكَ) أي: العتابَ المذكورَ، أو القُرآنَ؛ أي: فمن شاءَ الله التَّوفيقَ له قبلَهُ.

قولُهُ: (خَبَرٌ ثَانٍ) أو خبرُ محذوفٍ، أو صفَةٌ لـ﴿تَذكِرَة﴾؛ أي: مُثبتَةٌ فيها.

قولُهُ: (فِي السَّمَاءِ) أو مرفوعَةِ القَدرِ.

قولُهُ: (مِن اللَّوحِ) أو الوحيِ.

قولُهُ: (المَلائِكَةُ) أو الأنبياءُ.

قولُهُ: (لُعِنَ الكَافِرُ) دعاءٌ عليه بأشنَعِ الدَّعَواتِ.

قولُهُ: (تَوبِيخٍ) وتعجيبٍ من إفراطِهِ في الكفرانِ.

قولُهُ: (تَقرِيرٍ) أو تحقيرٍ، وهو الأظهَرُ، وهو بيانٌ لما أنعَمَ عليه خصوصاً من مبدَأ حدوثِهِ.

قولُهُ: (عَلَقَةً) أي: فقدَّرهُ أطواراً من نُطفَةٍ إلى أن تمَّ خلقُهُ.

قولُهُ: (طَرِيقَ خُرُوجِهِ) بأن فتَحَ فُوَّهَةَ الرَّحمِ، وألهمَهُ أن ينكُسَ، أو ذلّلَ له سبيلَ الخيرِ والشَّرِّ، وفيه إشعارٌ بأنَّ الدُّنيا طريقٌ، والمقصدُ غيرها.

قولُهُ: (فِي قَبرٍ) أي: جعَلهُ ذا قَبرٍ.

قولُهُ: (للبَعثِ) وعَدُّ الإماتَةِ والإقبارِ في النِّعَمِ؛ لأنَّ الإماتَةَ وُصلَةٌ في الجُملةِ إلى الحياةِ الأبديَّةِ واللَّذَّاتِ الخالصَةِ السَّرمديَّةِ، والأمرُ بالقبرِ تكرمَةٌ، وفي ﴿إِذَا شَاءَ﴾: إشعارٌ بأنَّ وقتَ النُّشورِ غير متعيِّنٍ في نفسِهِ، وإنَّما هو موكولٌ إلى مشيئتِهِ.

٢٣ ـ ﴿كَلَّا﴾: حقًّا ﴿لَمَّا يَقضِ﴾: لم يفعلْ ﴿ما أمَرَهُ﴾ به ربّه.

٢٤ ـ ﴿فلْيَنظُرِ الإنسانُ﴾ نظرَ اعتبار ﴿إلَى طَعامِهِ﴾ كيف قُدّر ودُبّر له؟ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ﴿إنّا صَبَبْنا الماءَ﴾ من السحاب ﴿صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنا الأرضَ﴾ بالنبات ﴿شَقًّا، فأنبَتْنا فِيها حَبًّا﴾ كالحِنطة والشعير، ٢٨ ـ ﴿وعِنَبًا وقَضْبًا﴾ هو: القَتّ الرَّطب، ٢٩ ـ ٣٠ ـ ﴿وزَيتُونًا ونَخلاً، وحَدائقَ غُلبًا﴾: بساتين كثيرة الأشجار، ٣١ ـ ﴿وفاكِهةً وأبًّا﴾: ما ترعاه البهائم، وقيل: التِّبنُ، ٣٢ ـ ﴿مَتاعًا﴾: مُتعة أو تمتيعًا كما تقدّم في السورة قبلها ﴿لَكُم ولِأنعامِكُم﴾.

٣٣ ـ ﴿فإذا جاءَتِ الصّاخّةُ﴾: النفخة الثانية ٣٤ ـ ٣٥ ـ ٣٦ ـ ﴿يَومَ يَفِرُّ المَرءُ مِن أخِيهِ، وأُمِّهِ وأبِيهِ، وصاحِبَتِهِ﴾:..

قولُهُ: (حَقًّا) أو رَدعٌ للإنسانِ عمَّا هو عليه.

قولُهُ: (لَم يَفعَلْ) أي: لم يقضِ بعدُ من لدُنْ آدمَ عليهِ السَّلام إلى هذه الغايَةِ ما أمَرَ الله تعالى بأسرِهِ؛ إذ لا يخلو أحَدٌ من تقصيرٍ ما.

قولُهُ: (كَيفَ قُدِّرَ) إتباعٌ للنِّعمِ الذَّاتيَّةِ بالنِّعمِ الخارجيَّةِ.

قولُهُ: (مِنَ السَّحَابِ) استئنافٌ مُبيِّنٌ لكيفيَّةِ إحداثِ الطَّعامِ، وقرأ الكوفيُّونَ بالفتحِ[1] على البدلِ منه بدلَ اشتِمالٍ.

قولُهُ: (هُوَ القَتُّ الرَّطْبُ) يعني: الرَّطبَة، ويقالُ لها الآن في استعمالِ أهلِ مكَّةَ البَرسِيمُ، وبالفارِسيَّة: (سبيست)[2]، سُمِّيت بمصدَرِ قَضبَه: إذا قطَعَهُ؛ لأنَّها تُقضَبُ مرَّةً بعدَ أخرى[3].

قولُهُ: (بَسَاتِينَ و﴿غُلباً﴾) جمعُ: غلباء؛ أي: عظاماً، وصَفَ به الحَدائِقَ لتكاثُفِها وكثرَةِ أشجارِها.

قولُهُ: (وقيلَ: التِّبنُ) وقيل: فاكِهةٌ يابسَةٌ تؤَبُّ وتهيَّأ للشِّتاءِ.

قولُهُ: (النَّفخَةُ) وُصفَت بها مَجازاً؛ لأنَّ النَّاسَ يصيخُونَ لها؛ أي: يُصغونَ إليها، وقيل: الصَّاخَّةُ: صيحَةٌ تَصُمُّ لشدَّتِها.

---

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦١٨).

(٢) جاء في «تفسير القرطبي» (١٩/ ٢٢١): وهي الإسْفِسْتُ؛ بالفارسيَّة. وانظر «المغرب» (ص: ٣٧٢).

وجاء في «التكملة والذيل والصلة» للصغاني (٥/ ٥٧٧): الشَّبْذَرَ.

(٣) انظر: «تفسير الزمخشري» (٤/ ٧٠٤).

زوجته ﴿وبَنِيهِ﴾ يومَ: بدلٌ من «إذا»، وجوابُها دلّ عليه: ٣٧ ـ ﴿لِكُلِّ امرِئٍ مِنهُم يَومَئِذٍ شأنٌ يُغنِيهِ﴾: حالٌ يَشغله عن شأن غيره، أي: اشتغلَ كل واحد بنفسه، ٣٨ ـ ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ مُسفِرةٌ﴾: مضيئة، ٣٩ ـ ﴿ضاحِكَةٌ مُستَبشِرةٌ﴾: فرحة ـ وهم المؤمنون ـ ٤٠ ـ ﴿ووُجُوهٌ يَومَئِذٍ علَيها غَبَرةٌ﴾: غُبار، ٤١ ـ ﴿ترهَقُها﴾: تغشاها ﴿قَترةٌ﴾: ظُلمة وسواد. ٤٢ ـ ﴿أُولئِكَ﴾: أهل هذه الحالة ﴿هُمُ الكَفَرةُ الفَجَرةُ﴾ أي: الجامعون بين الكُفر والفُجور.

قولُهُ: (زَوجَتِهِ) لاشتِغالِهِ بشأنِهِ وعلمِهِ بأنَّهم لا ينفَعونَهُ، قال الحسنُ[1]: أوَّلُ من يفرُّ يومَ القيامَةِ من أبيهِ: إبراهيمُ، ومن ابنهِ: نوحٌ، ومن امرأتِهِ: لوطٌ، كذا في «التَّذكِرَة» للقرطُبيِّ[2]، ولعلَّ أوَّلَ من يفِرُّ من أخيهِ هابيلُ، ومن أمِّهِ بناتُ لوطٍ.

قولُهُ: (يَشغَلُهُ) أي: يكفيهِ في الاهتِمامِ به، وقرئَ: (يَعنيه)[3] أي: يُهِمُّه.

قولُهُ: (مُضِيئَةٌ) من إسفارِ الصُّبحِ.

قولُهُ: (فَرِحَةٌ) لما ترى من النِّعَمِ.

قولُهُ: (غُبَارٌ) وكُدورَةٌ.

قولُهُ: (ظُلمَةٌ وسَوَادٌ) الأحسَنُ: سوادٌ وظلمَةٌ.

قولُهُ: (بَينَ الكُفرِ والفُجُورِ) فلذلك يجمَعُ إلى سَوادِ وجوهِهِم الغبَرَةَ، والله أعلمُ.

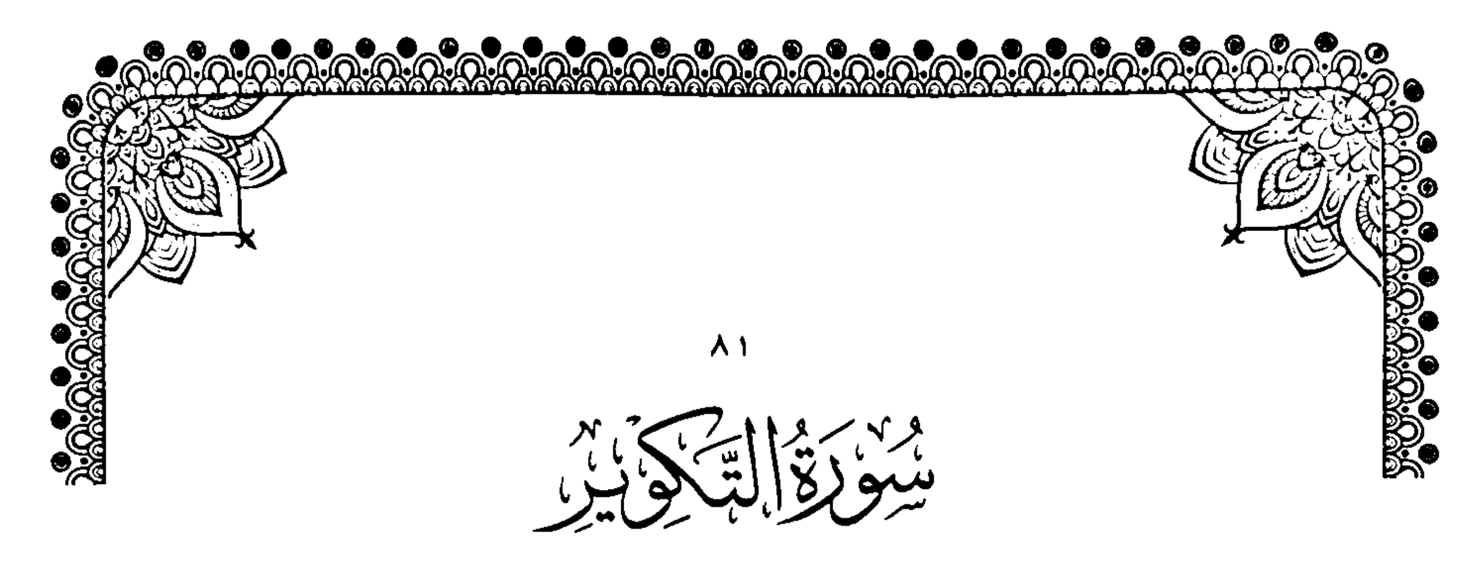
* * *

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٤/ ٨).

(٢) انظر: «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص: ٥٧٨).

(٣) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن محيصن وابن أبي عبلة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٠٣).



٨١

سورة التكوير

مكية، تسع وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا الشَّمسُ كُوِّرَتْ﴾: لُفِّفتْ وذُهِبَ بنُورِها، ٢ ـ ﴿وإذا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾: انقَضَّتْ وتساقطت على الأرض، ٣ ـ ﴿وإذا الجِبالُ سُيِّرَتْ﴾: ذُهِبَ بها عن وجه الأرض فصارت هباء مُنبثًّا، ٤ ـ ﴿وإذا العِشارُ﴾: النُّوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُركتْ بلا راع أو بلا حلْب لِما دهاهم من الأمر ـ ولم يكن مالٌ أعجبَ إليهم منها ـ ٥ ـ ﴿وإذا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: جُمعتْ بعد البعث ليُقتصَّ لبعضٍ من بعض، ثمّ تصير تُرابًا، ٦ ـ ﴿وإذا البِحارُ سُجِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: أُوقدتْ فصارت نارًا، ٧ ـ ﴿وإذا النُّفوسُ زُوِّجَتْ﴾:..

سورة التكوير

قولُهُ: (لُفِّفَت) الأظهَرُ: لفَّتْ، من كوَّرتَ العِمامَةَ: إذا لفَفتَها، بمعنى: رُفِعَت؛ لأنَّ الثَّوبَ إذا أُريدَ رفعُهُ لُفَّ، أو لُفَّ ضَوءُها فذهبَ انبِساطُهُ في الآفاقِ وزالَ أثرُهُ، وفي نُسخَةٍ: «كُسِفَت».

قولُهُ: (انقَضَّتْ) أو أظلَمَت.

قولُهُ: (الحَوَامِلُ) التي أتى على حملِهِنَّ عشرَةُ أشهُرٍ، جمعُ: عُشَراءَ، كالنُّفاسِ والنُّفَساء.

قولُهُ: (جُمِعَت) من كُلِّ جانِبٍ، أو أميتَتْ[1].

قولُهُ: (بالتَّخفِيفِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[2].

---

(١) في الأصول هنا زيادة: «وقرأ البصري والكسائي بالتشديد» ولعلها خطأ أو سبق قلم، فلا يوجد هنا وجه لقراءة ما.

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٣).

قُرِنتْ بأجسادها، ٨ـ ﴿وإذا المَوءُودةُ﴾: الجارية تُدفن حيّة خوفَ العارِ أو المسألةِ والحاجة ﴿سُئِلَتْ﴾ تبكيتًا لقاتلها: ٩ ـ ﴿بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾؟ ـ وقُرئ بكسر التاء، حكاية لِما تُخاطَب به. وجوابُها أن تقول: قُتلتُ بلا ذنب ـ ١٠ ـ ﴿وإذا الصُّحُفُ﴾: صُحف الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾، بالتخفيف والتشديد: فُتحتْ وبُسطت، ١١ ـ ﴿وإذا السَّماءُ كُشِطَتْ﴾: نُزِعتْ عن أماكنها كما يُنزع الجِلد عن الشاة، ١٢ ـ ﴿وإذا الجَحِيمُ﴾: النار ﴿سُعِرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد: ....

قولُهُ: (بِأَجسَادِهَا) أو بأشكالِها من أهلِ الخَيرِ والشَّرِّ، أو نُفوسُ المؤمِنينَ بالحورِ ونُفوسُ الكافِرينَ بالشَّياطينِ.

قولُهُ: (تَبكِيتاً) كتبكيتِ النَّصارى بقولِهِ تعالى لعيسى: ﴿أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ١١٦].

قولُهُ: (حِكَايَةً لِمَا تُخَاطَبُ) والأوَّلُ حكايَةُ المعنى.

قولُهُ: (بالتَّخفِيفِ) نافِعٌ وشاميٌّ وعاصمٌ[١]؛ يعني: صُحُفَ الأعمالِ، فإنَّها تُطوى عندَ الموتِ وتُنشَرُ وقتَ الحسابِ، وقيل: ﴿نُشِرَت﴾ فُرِّقت بين أصحابِها، وذكَرَ في «الكشاف»[٢] عن النَّبيِّ ﷺ أنَّهُ قال: «يُحشَرُ النَّاسُ عُرَاةً حُفَاةً» فقالَت أمُّ سلمةَ: كيفَ بالنِّساءِ؟ فقال: «شُغِلَ النَّاسُ يا أُمَّ سَلَمَة»، قالَت: وما شغلُهُم؟ قال: «نَشرُ الصُّحُفِ فيها مثاقيلُ الذَّرِّ ومَثاقِيلُ الخَردَلِ»[٣].

قولُهُ: (نُزِعَت) وقُلِعَت وأُزيلَت، وقرئَ: (قُشِطَت)[٤].

قولُهُ: (عَن جِلدِهَا) هذا مَقلوبٌ، بل كما يُكشَطُ الإهابُ عن الذَّبيحَةِ.

قولُهُ: (بالتَّخفِيفِ) نافِعٌ وابنُ ذكوانَ وحفص[٥]، وحقُّهُ أن يقولَ: وبالتَّشديدِ[٦]؛ ليُفهَمَ الباقونَ، ولئلَّا يُتوهَّمَ الاتِّفاقُ على التَّخفيفِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٣).

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٠٩).

(٣) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٢٨/ ٤٨٧) (٣٣٧٢).

وأصل الحديث رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩) من حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «تحشرون حفاة عراة غرلاً» قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «الأمر أشد من أن يهمهم ذاك».

(٤) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن مسعود وابن أبي عبلة، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٠٤).

(٥) هذا سهو منه رحمه الله والصواب أن قراءة الثلاثة بالتشديد، انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٤)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٩٢).

(٦) كذا قال القاري رحمه الله، وهو موجود في المطبوع، فالله أعلم.

أُجّجتْ، ١٣ ـ ﴿وإذا الجَنَّةُ أُزلِفَتْ﴾: قُرِّبتْ لأهلها ليدخلوها، وجواب «إذا» أوّلَ السورة وما عُطف عليها: ١٤ ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كُلُّ نفس وقتَ هذه المذكورات ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿ما أحضَرَتْ﴾ من خير وشرّ.

١٥ـ١٦ ـ ﴿فلا أُقسِمُ﴾ لا: زائدةٌ ﴿بِالخُنَّسِ، الجَوارِ الكُنَّسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زُحلُ والمُشتري والمِرِّيخ والزُّهَرة وعُطاردٌ ـ تَخنُسُ بضمّ النون أي: ترجِع في مجراها وراءها، بينما ترى النجم في آخر البُرج إذ كرَّ راجعًا إلى أوّله. وتكنِس بكسر النون: تدخل في كِناسها، أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها ـ ١٧ ـ ﴿واللَّيلِ إذا عَسعَسَ﴾: أقبلَ بظلامه أو أدبر، ١٨ ـ ﴿والصُّبحِ إذا تَنَفَّسَ﴾: امتدّ حتّى يصير نهارًا بيّنًا. ١٩ ـ ﴿إنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله ـ تعالى ـ وهو جِبريل............

قولُهُ: (أُجِّجَت) بالجيمَينِ؛ أي: أوقدَتْ إيقاداً شديداً.

قولُهُ: (أي: كُلُّ نَفسٍ) يعني: ﴿نَفس﴾ في معنى نُفوس، كقولِهِم: تمرَةٌ خَيرٌ من جرادَة[1].

قولُهُ: (وَقتَ هَذِهِ المَذكُورَاتِ) وإنَّما صحَّ، وهي اثنتا عشرَةَ خصلَةَ ستٌّ منها في مبادِئِ قيامِ السَّاعةِ قبلَ فناءِ الدُّنيا، وستٌّ بعدَهُ؛ لأنَّ المرادَ زمانٌ متَّسِعٌ شامِلٌ لها ولمُجازاةِ النُّفُوسِ على أعمالِها.

قولُهُ: (الخَمسَةُ) ليس في الكواكِبِ شيءٌ يقطَعُ المجرَّةَ غيرها، كذا رويَ عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنه[2].

قولُهُ: (بِظَلامِهِ) أو ظَلامُهُ.

قولُهُ: (أو أَدبَرَ) وهو من الأضدادِ، وفي «الصحاح»[3]: قالَ الفرَّاءُ[4]: أجمَعَ المفسِّرونَ على أنَّ معنى ﴿عَسعَسَ﴾: أدبَرَ، وقالَ بعضُ أصحابنا: إنَّه دَنا من أوَّلِهِ وأظلَم.

قولُهُ: (امتَدَّ) أو أضاءَ، عبَّرَ به عن إقبالِ رَوحٍ ونسِيمٍ.

قولُهُ: (وهوَ جِبرِيلُ) قالَهُ الضَّحَّاك والرَّبيع والسُّدِّيُّ وغيرهُم. أخرجَهُ ابن أبي حاتِمٍ، وقالَ آخرونَ: هو محمَّدٌ ﷺ، كذا في «المبهمات»[5].

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٣/ ١٩٠).

(٢) رواه ابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٣١) من طريق الأصبغ بن نباتة عنه به.

(٣) انظر: «الصحاح» (٣/ ٩٤٩).

(٤) انظر: «معاني القرآن» (٣/ ٢٤٢).

(٥) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٦) وعزا الأول لابن أبي حاتم.
وروى عبد الرزاق في «التفسير» (٣٥١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٨) عن قتادة أنه جبريل.

أضيف إليه لنزوله به، ٢٠ ـ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديدِ القُوى ﴿عِندَ ذِي العَرْشِ﴾ أي: الله ـ تعالى ـ ﴿مَكِينٍ﴾: ذي مكانة ـ مُتعلّق به «عند» ـ ٢١ ـ ﴿مُطاعٍ ثَمَّ﴾ أي: تُطيعُه الملائكة في السماوات ﴿أمِينٍ﴾ على الوحي، ٢٢ ـ ﴿وما صاحِبُكُم﴾ مُحمّد ﷺ: عطفٌ على «إنه» إلى آخر المُقسَم عليه ﴿بِمَجنُونٍ﴾ كما زعمتم، ٢٣ ـ ﴿ولَقَد رَآهُ﴾ رأى مُحمّدٌ جِبريلَ ـ عليهما الصلاة والسلام ـ على صُورته التي خُلق عليها ﴿بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾: البيِّن، وهو الأعلى بناحية المشرق.

٢٤ ـ ﴿وما هُوَ﴾ أي: مُحمّدٌ ـ عليه الصلاة والسلام ـ ﴿عَلَى الغَيبِ﴾ أي: ما غاب من الوحي وخبر السماء ﴿بِظَنِينٍ﴾: بمُتّهم ـ وفي قراءة بالضاد، أي: ببخيلٍ فينَقُصَ شيئًا منه ـ ٢٥ ـ ﴿وما هُوَ﴾ أي: القرآنُ ﴿بِقَولِ شَيطانٍ﴾ مُسترقِ السمعِ ﴿رَجِيمٍ﴾: مرجوم.

٢٦ ـ ﴿فأينَ تَذهَبُونَ﴾: فأيَّ طريق تسلكون في إنكاركم القُرآنَ وإعراضكم عنه؟ ٢٧ ـ ﴿إنْ﴾: ما ﴿هُوَ إلاّ ذِكرٌ﴾: عِظة ﴿لِلعالَمِينَ﴾: الإنس والجنّ، ٢٨ ـ ﴿لِمَن شاءَ مِنكُم﴾: بدلٌ من «العالمين» بإعادة الجارّ ﴿أن يَستَقِيمَ﴾ باتّباع الحقّ. ٢٩ ـ ﴿وما تَشاؤُونَ﴾ الاستقامةَ على الحقّ ﴿إلاّ أن يَشاءَ اللهُ رَبُّ العالَمِينَ﴾: الخلائقِ استقامتَكم عليه.

قولُهُ: (لنُزُولِهِ) أو لأنّه قالَهُ عن الله تعالى.

قولُهُ: (ذي مَكَانَةٍ) الأظهَرُ: ذي مكانَةٍ.

قولُهُ: (في السَّمَاوَاتِ) أشارَ إلى أنَّ ﴿ثمَّ﴾ مُتَّصِلٌ بما قبلَهُ، ويحتَمِلُ اتِّصالَهُ بما بعدَهُ.

قولُهُ: (كَمَا زَعَمتُم) أو كما زَعَموا.

قولُهُ: (بمُتَّهَمٍ) من الظِّنَّةِ، وهي التُّهمَةُ.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لنافعٍ وشاميٍّ وعاصِمٍ وحمزَةَ[1]، مُوافقَةً للمَرسومِ.

قولُهُ: (فَيَنْقُصَ) تبليغاً وتعليماً.

قولُهُ: (فأيَّ طَرِيقٍ) استِضلالٌ لهم فيما يسلُكونَهُ، كقولِكَ لتارِكِ الجادَّةِ: أين تذهَبُ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) لأنّهُم المنتَفِعونَ بالتَّذكيرِ.

قولُهُ: (الاستِقَامَةَ) يا من يَشاؤُها.

قولُهُ: (استِقَامَتَكُم) أي: إلا وَقتَ أن يشاءَ مَشيئَتَكُم فله الفَضلُ عليكم باستِقامَتِكُم، والله أعلم.

***

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٣).



مكية، تسعَ عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا السَّماءُ انفطَرَتْ﴾: انشقّت، ٢ ـ ﴿وإذا الكَواكِبُ انتَثَرَتْ﴾: انقضّت وتساقطت، ٣ ـ ﴿وإذا البِحارُ فُجِّرَتْ﴾: فُتح بعضها في بعض فصارت بحرًا واحدًا فاختلط العذب بالمِلح، ٤ ـ ﴿وإذا القُبُورُ بُعثِرَتْ﴾: قُلِب تُرابها وبُعث موتاها، وجواب «إذا» وما عُطف عليها: ٥ ـ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ أي: كُلُّ نفس وقتَ هذه المذكورات ـ وهو يوم القيامة ـ ﴿ما قَدَّمَتْ﴾ من الأعمال ﴿و﴾ ما ﴿أَخَّرَتْ﴾ منها فلم تعمله.

٦ ـ ﴿يا أيُّها الإنسانُ﴾ الكافر، ﴿ما غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ﴾ حتّى عصَيتَه، ....

سورة الانفطار

قولُهُ: (تَسَاقَطَت) مُتفرِّقةً.

قولُهُ: (مِنَ الأَعمَالِ) والصَّدَقَة.

قولُهُ: (مِنهَا) من سنَّةٍ أو تَركةٍ، ويجوزُ أن يرادَ بالتَّأخيرِ: التَّضييعُ، وقيل: ما قدَّمَتْ من خيرٍ وأخَّرتْ من شرٍّ.

قولُهُ: (حتَّى عَصَيتَهُ) أي: أيُّ شيءٍ خدعكَ وجرَّأكَ على عصيانِهِ، قال جعفرٌ: ما الذي أقعدَكَ عن خدمةِ مولاكَ، وقالَ عمرُ[1]: لو قيلَ لي: ما غرَّكَ بي؟ لقلتُ: جهلي بكَ غرَّني لا غَير.

---

(١) ذكر القولين السلمي في «حقائق التفسير» (٢/ ٣٧٧) وقول عمر ذكره من قول يحيى بن معاذ، وأما قول عمر فهو: لقلت: يا رب كرمك. وروى ابن أبي حاتم كما في «تفسيره ابن كثير» (٨/ ٣٤٢): أن عمر سمع رجلاً يقرأ: ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم﴾ فقال عمر: الجهل.

٧ ـ ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوَّاكَ﴾: جعلك مُستويَ الخِلقة سالم الأعضاء ﴿فعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد والتخفيف: جعلك مُعتدل الخَلق متناسب الأعضاء، ليست يد أو رجل أطولَ من الأُخرى، ٨ ـ ٩ ـ ﴿في أيِّ صُورةٍ ما﴾: زائدةٌ ﴿شاءَ رَكَّبَكَ؟ كَلاّ﴾: ردعٌ عن الاغترار بكرم الله تعالى، ﴿بَل تُكَذِّبُونَ﴾ ـ أيْ كُفّارَ مكّةَ ـ ﴿بِالدِّينِ﴾: الجزاء على الأعمال، ١٠ ـ ﴿وإنَّ علَيكُم لَحافِظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم ١١ ـ ﴿كِرامًا﴾ على الله ﴿كاتِبِينَ﴾ لها، ١٢ ـ ﴿يَعلَمُونَ ما تَفعَلُونَ﴾ جميعَه.

١٣ ـ ﴿إنَّ الأبرارَ﴾: المُؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾: جنّة، ١٤ ـ ﴿وإنَّ الفُجّارَ﴾: الكُفّار ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾: نارٍ مُحرقة، ١٥ ـ ﴿يَصلَونَها﴾: يدخلونها ويُقاسون حرَّها ﴿يَومَ الدِّينِ﴾ الجزاء، ١٦ ـ ﴿وما هُم عَنها بِغائبِينَ﴾: بمُخرَجينَ. ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَكَ: ﴿ما يَومُ الدِّينِ؟ ثُمَّ ما أدراكَ: ما يَومُ الدِّينِ﴾؟ تعظيمٌ لشأنه.

وتوضيحُهُ ما قالَ القاضِي[١]: وذِكرُ ﴿الكَرِيم﴾ للمُبالغَةِ في المنعِ عن الاغتِرارِ، فإنَّ محضَ الكرَمِ لا يقتَضِي إهمالَ الظَّالِمِ وتسويَةَ الموالي والمعادِي والمطيعِ والعاصِي، فكيفَ إذا انضَمَّ إليه صفَةُ القَهرِ والانتِقامِ والإشعارِ بما به يغرُّهُ الشَّيطانُ، فإنَّه يقولُ له: افعَلْ ما شئتَ، فربُّكَ كرِيمٌ لا يعذِّبُ أحَداً ولا يعاجِلُ بالعُقوبَةِ، والدَّلالَةِ على أنَّ كثرَةَ كرمِهِ تستدعي الجِدَّ في طاعتِهِ لا الانهماكَ في عصيانِهِ اغتِراراً بكرَمِه.

قولُهُ: (بالتَّخفِيفِ) كوفيٌّ[٢].

قولُهُ: (أي: كُفَّارَ مَكَّةَ) أي: ندائيَّةٌ أو تفسيريَّةٌ؛ أي: المخاطبونَ كفَّارُ مكَّةَ، وقرأَ أبو جعفَرٍ من العشرَةِ بالغَيبةِ[٣].

قولُهُ: (الجَزَاء) أو الإسلامِ.

قولُهُ: (نَارٍ مُحرِقَةٍ) قال جعفَرٌ[٤]: النَّعيمُ: المعرفَةُ والمشاهدَةُ، والجحيمُ: هي النَّفسُ، وأنَّ لها نيراناً متَّقدَةً من الشَّهَواتِ والغَفَلاتِ، وقيل: النَّعيمُ: القناعَةُ، والجحيمُ: الطَّمعُ.

قولُهُ: (بمُخْرَجِينَ) وقيل معناهُ: وما يغيبونَ عنها قبلَ ذلك؛ إذ كانوا يباشِرونَ أسبابَها.

قولُهُ: (تَعظِيمٌ) وتعجيبٌ؛ أي: كُنهُ أمرِهِ بحيثُ لا تدرِكهُ درايَةُ دارٍ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٩٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٤).

(٣) انظر: «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٣٩٩).

(٤) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٧٨).

١٩ - ﴿يَوْمُ﴾ - بالرفع - أي: هو يومُ ﴿لا تَملِكُ نَفسٌ لِنَفسٍ شَيئًا﴾ من المنفعة، ﴿والأمرُ يَومَئذٍ لِلهِ﴾ لا أمر لغيره فيه، أي: لم يمكِّن أحدًا من التوسط فيه بخِلاف الدنيا.

قولُهُ: (بالرَّفعِ) مكِّيٌّ وبصريٌّ[١]، وحقُّهُ أن يقولَ: وبالنَّصبِ؛ لقراءَةِ الجمهورِ[٢]، ومثلُ هذا اختصارٌ مخلٌّ كما في ذِكرِ الهمزاتِ وتكرارِها تطويلٌ مُملٌّ.

قولُهُ: (أي: هُو) يعني: أنَّه خبرٌ لمحذُوفٍ، وقيل: إنَّه بدلٌ من: ﴿يَومِ الدِّين﴾.

قولُهُ: (مِنَ المَنْفَعَةِ) تقريرٌ لشدَّةِ هولِهِ إجمالاً.

قولُهُ: (بخِلافِ الدُّنيَا) أي: في نظرِ العوامِّ، فإنَّهم إذا شاهَدوا الغيبَ تيقَّنوا أنَّ الأمرَ كلَّهُ لله، فأمَّا أهلُ المعرفةِ فمشاهدَتَهُم للأمرِ اليومَ كمشاهدَتِهم يومئذٍ لا يزيدُهُم مشاهَدَةُ الغَيبِ عياناً على مشاهدَتِهم له تصديقاً كعامِرِ بن عبدِ قيسٍ حيثُ قالَ: لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازدَدْتُ يقيناً، وكحارِثَة أخبَرَ بحضرَةِ النَّبيِّ ﷺ يقول: كأنِّي أنظُرُ[٣]، كذا في تفسيرِ السُّلميِّ[٤]، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٤).

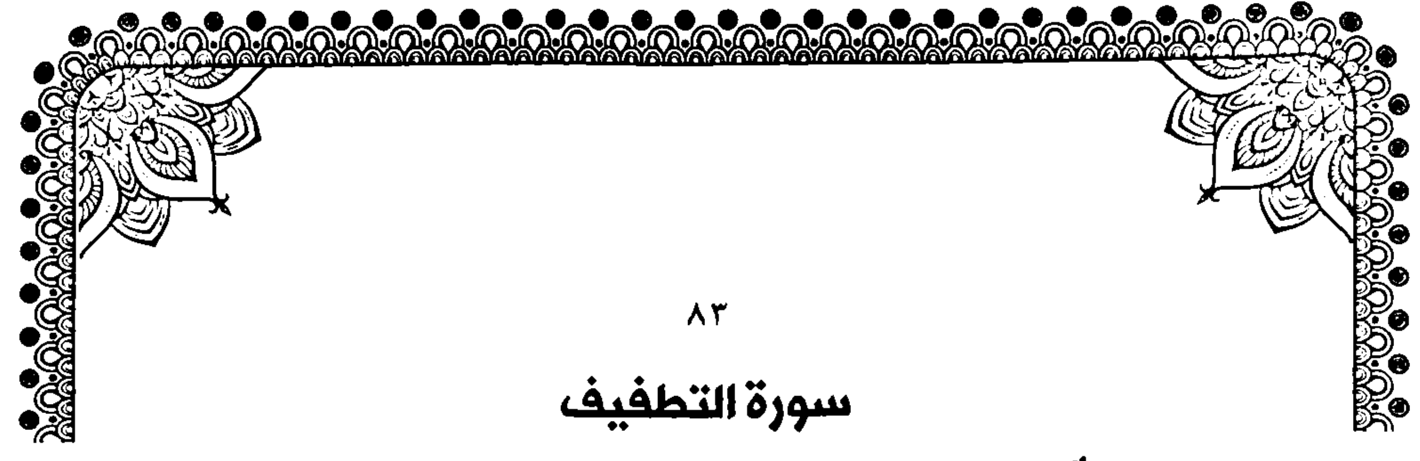
(٢) أي: مدني وشامي وكوفي، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٤).

(٣) رواه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٦٢) من حديث أنس رضي الله عنه. وفيه يوسف بن عطية متروك. «ميزان الاعتدال» (٤/ ٤٦٨)

ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٤٢٥) عن زبيد مرسلاً.

ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٣٦٧) من حديث الحارث بن مالك رضي الله عنه.

(٤) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٧٩).



٨٣

سورة التطفيف

مكية أو مدنية، ستٌّ وثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿وَيلٌ﴾: كلمةُ عذاب أو وادٍ في جهنّم ﴿لِلمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إذا اكتالُوا علَى﴾ أي: مِنَ ﴿النّاسِ يَستَوفُونَ﴾ الكيلَ، ٣ ـ ﴿وإذا كالُوهُم﴾ أي: كالوا لهم ﴿أو وَزَنُوهُم﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخسِرُونَ﴾: يُنقِصون الكيل أو الوزن. ٤ ـ ٥ ـ ﴿ألا﴾ ـ استفهامُ توبيخ ـ ﴿يَظُنُّ﴾: يتيقّن ﴿أُولئِكَ أَنَّهم مَبعُوثُونَ لِيَومٍ عَظِيمٍ﴾ أي: فيه ـ وهو يوم القيامة ـ ٦ ـ ﴿يَومَ﴾: بدلٌ من محلّ «ليوم» فناصبُه «مبعوثون» ﴿يَقُومُ النّاسُ﴾..

سورةُ التَّطفِيفِ

قولُهُ: (كَلِمَةُ عَذَابٍ) أي: كلمَةٌ يُعبَّرُ بها عن العَذابِ والهَلاكِ.

قولُهُ تعالَى: (﴿للمطَفِّفِين﴾) التَّطفِيفُ: البَخسُ في الكيلِ والوَزنِ؛ لأنَّ ما يُبخَسُ طفيفٌ؛ أي: حقيرٌ.

قولُهُ: (الكَيلَ) أي: يأخُذونَ حُقوقَهُم وافيَةً.

قولُهُ: (وَزَنُوا لَهُم) فحذَفَ الجارَّ وأوصَلَ الفِعلَ، وقيل لمن يبصِرُ عيوبَ أخيهِ ويعمى عن عُيوبِهِ: إنَّه مُطفِّفٌ.

قولُهُ: (تَوبِيخٍ) وتَعجُّبٍ.

قولُهُ: (يَستَيقِنُ) أو فإنَّ من ظنَّ ذلك لم يتجاسَرْ على أمثالِ هذه القَبائحِ، فكيفَ بمن يتيقَّنُه.

قولُهُ: (أي: فِيهِ) عظَّمَهُ لعِظَمِ ما يكون فيه.

قولُهُ: (بَدَلٌ) ويُؤيِّدُه القراءَةُ الشَّاذَّةُ بالجرِّ[1]، أو نصبَ بـ﴿مَبعُوثون﴾.

قولُهُ: (فَنَاصِبُهُ) أي: بالواسِطَةِ.

---

(١) أي: (يوم يقوم الناس) ونسبت لأبي معاذ، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٧٠).

من قُبورهم ﴿لِرَبِّ العالَمِينَ﴾: الخلائقِ لأجل أمره وحِسابه وجزائه؟

٧ ـ ﴿كَلاَّ﴾: حقًّا ﴿إِنَّ كِتابَ الفُجّارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمال الكُفّار ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾. قيل: هو كِتابٌ جامع لأعمال الشياطين والكَفَرة. وقيل: هو مكانٌ أسفلَ الأرض السابعة، وهو محلّ إبليسَ وجُنودِه. ٨ ـ ﴿وما أدراكَ: ما سِجِّينٌ﴾: ما كتابُ سجّين؟ ٩ ـ ﴿كِتابٌ مَرقُومٌ﴾: مختوم.

١٠ ـ ١١ ـ ﴿وَيلٌ يَومَئِذٍ لِلمُكَذِّبِينَ، الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَومِ الدِّينِ﴾: الجزاءِ، بدلٌ أو بيان للمكذّبين، ١٢ ـ ﴿وما يُكَذِّبُ بِهِ إلاّ كُلُّ مُعتَدٍ﴾: مُتجاوزِ الحدِّ ﴿أَثِيمٍ﴾: صيغةُ مُبالغة، ١٣ ـ ﴿إذا تُتلَى علَيهِ آياتُنا﴾: القُرآنُ ﴿قالَ: أساطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾: الحكاياتُ التي سُطرت قديمًا، جمع أُسطورة بالضمّ أو إسطارة بالكسر. ١٤ ـ ﴿كَلاَّ﴾: ردعٌ وزجر لقولهم ذلك ﴿بَل رانَ﴾: غلب..........

قولُهُ: (من قُبُورِهِم) أو في المبعَثِ، وفي هذا التَّوبيخِ والتَّعجيبِ، وذكرِ الظَّنِّ[١] ووصفِ اليومِ بالعِظَم[٢]، وقيامِ النَّاسِ فيه لله تعالى[٣]، والتَّعبيرِ عنه بـ﴿ربِّ العالمينَ﴾؛ مُبالغاتٌ في المنعِ عن التَّطفِيفِ، وتَعظيمِ إثمِهِ، فكيفَ أخذُ الدَّنانيرِ بالقناطيرِ.

قولُهُ: (حَقًّا) أو رَدعٌ عن التَّطفِيفِ والغفلَةِ عن البَعثِ والحِسابِ.

قولُهُ: (كِتَابُ سِجِّينٍ) أو محَلُّ كتابٍ مرقومٍ، فحذَفَ المضافَ، والتَّقديرُ إنَّما هو على القَولِ الأخيرِ.

قولُهُ: (مَختُومٌ) قالَ البَغويُّ[٤]: قيلَ: مختومٌ بلُغةِ حميَر، أو مَسطورٌ بيِّنُ الكتابَةِ.

قولُهُ: (بَدَلٌ) والأظهَرُ أنَّه صفَةٌ مُخصِّصةٌ أو مُوضِّحَةٌ أو ذامَّةٌ.

قولُهُ: (مُتَجَاوِزِ الحَدِّ) عن النَّظَرِ، غال في التَّقليدِ؛ حتَّى استقصَرَ قُدرَةَ الله تعالى فاستَحالَ منه الإعادَةَ.

قولُهُ: (صيغة مُبَالَغَةٍ) أي: مُنهمِكٌ في الشَّهَواتِ بحيثُ شغلَتهُ عمَّا وراءَها، وحمَلَتهُ على الإنكارِ لما عَداها.

قولُهُ: (الحِكَايَاتُ) أي: لا تنفعُهُ شواهِدُ النَّقلِ؛ كما لا تنفَعهُ دلائِلُ العَقلِ.

قولُهُ: (رَدٌّ) الصَّواب: رَدْعٌ، كما في نُسخَةٍ.

قولُهُ: (غَلَبَ) ردٌّ لما قالوهُ، وبيانٌ لما أدَّى بهم إلى هذا القَولِ بأن غلَبَ عليهم حُبُّ المعاصي.

---

(١) أي: في قوله تعالى: ﴿ألا يظن أولئك... ﴾.

(٢) في قوله تعالى: ﴿ليوم عظيم﴾.

(٣) في قوله تعالى: ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾.

(٤) انظر: «معالم التنزيل» (٥/ ٢٢٤).

﴿عَلَى قُلُوبِهِم﴾ فغشّاها ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي فهو كالصدأ.

١٥ ـ ﴿كَلَّآ﴾: حقًّا ﴿إِنَّهُم عَن رَّبِّهِم يَوْمَئِذٍ﴾: يومَ القيامة ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فلا يرونه، ١٦ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّهُم لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾: لداخلو النار المُحرِقة، ١٧ ـ ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَٰذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

١٨ ـ ﴿كَلَّآ﴾: حقًّا ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ أي: كُتُبَ أعمال المُؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كِتاب جامعٌ لأعمال الخير من الملائكة ومُؤمني الثقلينِ. وقيل: هو مكانٌ في السماء السابعة تحت العرش. ١٩ ـ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: أعلَمَكَ: ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾: ما كتابُ علّيينَ؟ ٢٠ ـ هو ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾: مختوم، ٢١ ـ ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة.

٢٢ ـ ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: جنّة، ٢٣ ـ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: السُّررِ في الحِجال ﴿يَنظُرُونَ﴾ ما أُعطُوا من النعيم، ٢٤ ـ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾: بهجةَ التنعّمِ وحُسنَه، ٢٥ ـ ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ﴾: خمرٍ خالصة من الدنس ﴿مَّخْتُومٍ﴾ على إنائها لا يَفكّ ختمَها إلاّ هم،.........

قولُهُ: (فَهوَ) أي: الانهماكُ في المعاصِي.

قولُهُ: (كالصَّدَأِ) ولذا عميَ عليهم معرفَةُ الحقِّ والباطلِ، والدِّينِ والصَّداءِ، وفي الحديث: «إنَّ العَبدَ كُلَّما أَذنَبَ ذَنباً حَصَلَ في قَلبِهِ نُكتَةٌ سَوداءُ حتَّى يَسوَدَّ قلبُهُ» رواهُ التِّرمِذي وصحَّحَهُ[1]، قالَ القاضي[2]: وقرأَ حفص: ﴿بَل رَانَ﴾ بإظهارِ اللَّامِ؛ يعني: مع السَّكتَةِ، وهي وقفَةٌ لطيفَةٌ من غيرِ تنفُّسٍ[3].

قولُهُ: (حَقًّا) أو رَدعٌ عن الكسبِ الرَّائِنِ.

قولُهُ: (حَقًّا) أو رَدعٌ عن التَّكذيبِ.

قولُهُ: (منَ المَلائِكَةِ) أي: يحضُرونَهُ فيحفَظونَهُ، أو يشهَدونَ على ما فيه يومَ القيامَةِ.

قولُهُ: (مَا أُعطُوا) أو إلى ما يَسرُّهُم من النِّعَمِ والمتفرَّجاتِ، قيل: على أرائكِ المعرفَةِ ينظُرونَ إلى المعروفِ.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٧٩)، وابن ماجه (٤٢٤٤)، وأحمد في «مسنده» (٧٩٥٢) بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٢٩٥).

(٣) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٥).

٢٦ ـ ﴿خِتامُهُ مِسكٌ﴾ أي: آخرُ شُربه يفوح منه رائحة المِسك ـ ﴿وفي ذٰلِكَ فلْيَتَنافَسِ المُتَنافِسُونَ﴾: فلْيرْغبوا بالمُبادرة إلى طاعة الله تعالى ـ ٢٧ ـ ﴿ومِزاجُهُ﴾ أي: ما يُمزج به ﴿مِن تَسنِيمٍ﴾. فُسّر بقوله: ٢٨ ـ ﴿عَينًا﴾ فنصبُه بـ «أمدحُ» مُقدّرًا، ﴿يَشرَبُ بِها المُقَرَّبُونَ﴾ أي: منها، أو ضُمِّنَ «يشرب» معنى: يلتذّ.

٢٩ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ أجرَمُوا﴾ كأبي جهل ونحوه ﴿كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كعمّارٍ وبلال ونحوهما ﴿يَضحَكُونَ﴾ استهزاءً بهم، ٣٠ ـ ﴿وإذا مَرُّوا﴾ أي: المُؤمنون ﴿بِهِم يَتَغامَزُونَ﴾ أي: يشير المُجرمون إلى المُؤمنين بالجفن والحاجب استهزاءً، ٣١ ـ ﴿وإذا انقَلَبُوا﴾: رَجعوا ﴿إلَى أهلِهِم انقَلَبُوا فاكِهِينَ﴾، وفي قراءة: «فَكِهِينَ»: مُعجَبِينَ بذِكرهم المُؤمنين، ٣٢ ـ ﴿وإذا رأَوهُم﴾: رأَوُا المُؤمنين ﴿قالُوا: إنَّ هؤُلاءِ لَضالُّونَ﴾ لإيمانهم بمُحمّد ﷺ. ٣٣ ـ قال تعالى: ﴿وما أُرسِلُوا﴾ أي: الكفارُ ﴿علَيهِم﴾: على المُؤمنين ﴿حافِظِينَ﴾ لهم ولأعمالهم حتّى يردّوهم إلى مصالحهم.

٣٤ ـ ٣٥ ـ ﴿فاليَومَ﴾ أي: يومَ القيامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفّارِ يَضحَكُونَ، علَى الأرائِكِ﴾ في الجنّة ﴿يَنظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكُفّار، وهم يُعذّبون، فيضحكون منهم كما ضحك الكُفّار منهم في الدنيا: ٣٦ ـ ﴿هَل ثُوِّبَ﴾: جُوزِيَ ﴿الكُفّارُ ما كانُوا يَفعَلُونَ﴾؟ نعم.

قولُهُ: (أي: آخِرُ شُربِهِ) أي: الذي له خِتامٌ؛ أي: يقطَعُ هو رائحَةَ المسكِ، أو مَختومٌ أَوَانِيهِ بالمِسكِ مكانَ الطِّينِ، وقرأ الكسائيُّ: (خَاتَمُه) بفتحِ التَّاء[1]؛ أي: ما يُختَمُ به ويقطَعُ.

قولُهُ تعالَى: (﴿وفي ذَلِكَ﴾) أي: الرَّحيقِ، أو النَّعيمِ.

قولُهُ: (فُسِّرَ) عَلَمٌ لعَينٍ بعَينِها، سمِّيَت تَسنيماً؛ لارتِفاعِ مكانِها، أو رفعَةِ شَرابِها.

قولُهُ: (بِأَمدَحُ) والأظهَرُ أنّه منصوبٌ على المدحِ، أو الحالِ من: ﴿تَسنِيم﴾.

قولُهُ: (أي: مِنهَا) فإنَّهم يشرَبونَها صِرْفاً؛ لأنَّهم لم يشتَغِلوا بغَيرِ الله، ويُمزَجُ لسائرِ أهلِ الجنَّةِ.

قولُهُ: (ونَحوُهُ) مُستدرَكٌ كنحوِهِما.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَة) لعاصِم بروايَةِ حَفصٍ[2].

قولُهُ: (مُعجَبِينَ) مُلتَذِّينَ بالسُّخريَةِ منهم.

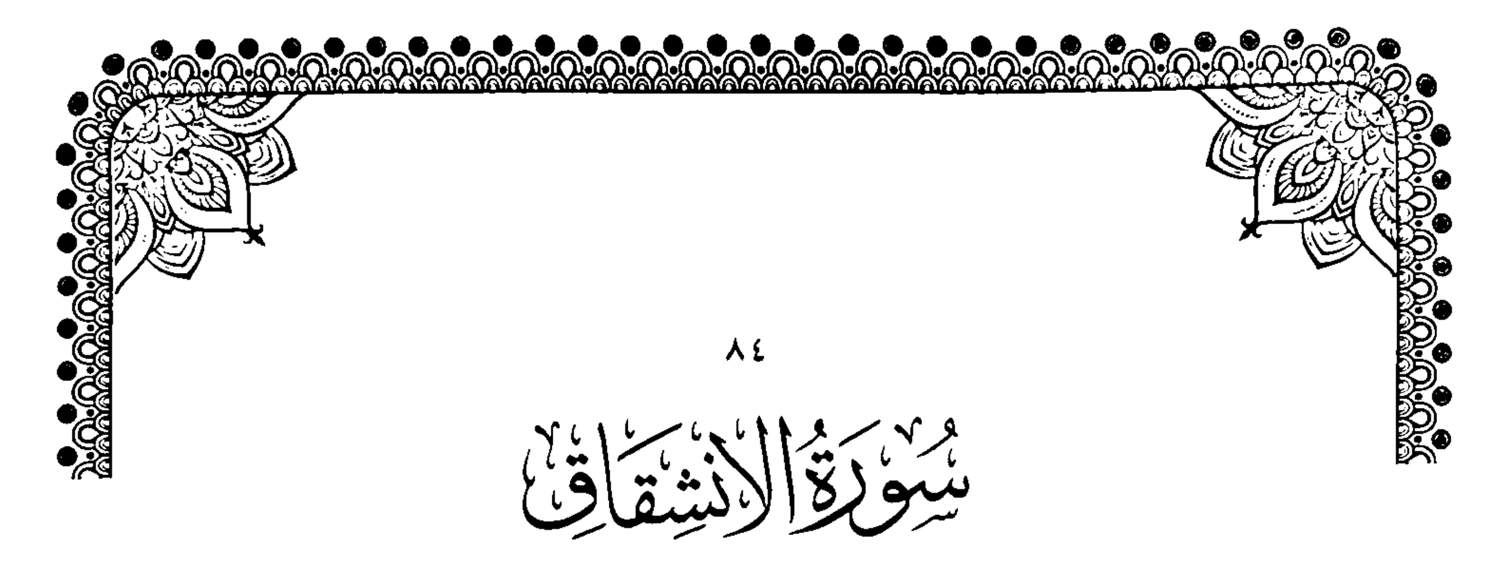
قولُهُ: (أو لأَعمَالِهِم) هذا هو الصَّحيحُ.

قولُهُ: (حَتَّى يَرُدُّوهُم) ويَشهَدوا برُشدِهِم وضَلالِهِم، واللهُ سُبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٦).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٦).



٨٤

سورة الانشقاق

مكية، ثلاثٌ أو خمس وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿إذا السَّماءُ انشَقَّتْ، وأذِنَتْ﴾: سمعتْ وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّها وحُقَّتْ﴾ أي: حُقّ لها أن تسمع وتطيع، ٣ ـ ﴿وإذا الأرضُ مُدَّتْ﴾: زِيدَ في سَعتها كما يُمدّ الأديم ولم يبق عليها بناء ولا جبل، ٤ ـ ﴿وألقَتْ ما فِيها﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وتَخَلَّتْ﴾ عنه، ٥ ـ ﴿وأذِنَتْ﴾: سمعتْ وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّها وحُقَّتْ﴾ ـ وذلك كُلّه يكون يوم القيامة ـ وجواب «إذا» وما عُطف عليها محذوف، دلّ عليه ما بعده، تقديره: لقِيَ الإنسانُ عملَه.

سورة الانشقاق

قولُهُ: (سَمِعَت) أي: استَمَعت.

قولُهُ: (وأَطَاعَت) عَطفُ تَفسيرٍ؛ أي: انقادَتْ لتَأثيرِ قُدرتِهِ تعالى.

قولُهُ: (أي: حُقَّ لَهَا) أي: جُعِلت حقيقَةً بالاستماعِ والانقيادِ، يُقال: حُقَّ بكذا فهو محقوقٌ وحَقيقٌ.

قولُهُ: (زِيدَ) وبُسِطَت، بأن تُزالَ جبالُها وآكامُها.

قولُهُ: (مِنَ المَوتَى) قيلَ: والكُنوزِ.

قولُهُ: (عَنْه) أي: وتكلَّفَت في الخُلوِّ أقصى جُهدِها حتَّى لم يبقَ شيءٌ في باطِنِها.

قولُهُ: (فِي ذَٰلِكَ) من الإلقاءِ والتَّخليَة.

قولُهُ: (عَمَلَه) الأظهَرُ: كدحَه، وقيلَ: جوابُهُ محذوفٌ للتَّهويلِ بالإيهامِ.

٦ ـ ﴿يا أيُّها الإنسانُ، إنَّكَ كادِحٌ﴾: جاهدٌ في عملك ﴿إلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ ـ وهو الموتُ ـ ﴿كَدحًا فمُلاقِيهِ﴾ أي: مُلاقٍ عملَكَ المذكورَ من خير أو شرّ يوم القيامة.

٧ ـ ﴿فأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ﴾: كِتابَ عمله ﴿بِيَمِينِهِ﴾ ـ هو المُؤمن ـ ٨ ـ ﴿فسَوفَ يُحاسَبُ حِسابًا يَسِيرًا﴾ هو عرضُ عمله عليه كما فُسّر في حديث الصحيحين ـ وفيه: «مَن نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ» ـ وبعدَ العرض يُتجاوز عنه، ٩ ـ ﴿ويَنقَلِبُ إلَى أهلِهِ﴾ في الجنّة ﴿مَسرُورًا﴾ بذلك، ١٠ ـ ﴿وأمّا مَن أُوتِيَ كِتابَهُ وَراءَ ظَهرِهِ﴾ ـ هو الكافر، تُغَلّ يُمناه إلى عُنقه وتُجعل يُسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه ـ ١١ ـ ﴿فسَوفَ يَدعُو﴾ عِند رُؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا﴾: يُنادي هلاكَه بقوله: يا ثُبوراهْ، ١٢ ـ ﴿ويَصلَى سَعِيرًا﴾: يَدخل النارَ الشديدة. وفي قراءة بضمِّ الياء وفتحِ الصاد واللامِ المُشدّدة. ١٣ ـ ﴿إنَّهُ كانَ في أهلِهِ﴾: عشيرته في الدنيا ﴿مَسرُورًا﴾: بطِرًا باتّباعه لِهواه. ١٤ ـ ﴿إنَّهُ ظَنَّ أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿لَن يَحُورَ﴾: يرجِعَ إلى ربّه. ١٥ ـ ﴿بَلَى﴾ يرجِعُ إليه. ﴿إنَّ رَبَّهُ كانَ بِهِ بَصِيرًا﴾: عالمًا برُجوعه إليه.

١٦ ـ ﴿فلا أُقسِمُ﴾ ـ لا: زائدةٌ ـ ﴿بِالشَّفَقِ﴾..

قولُهُ: (أي: مُلاقٍ عَمَلَك) الأظهرُ: فأنتَ ملاقي ربِّكَ، وهو مجازي عملِكَ.

قولُهُ: (هُوَ عَرضُ عَمَلِهِ) أي: سَهلاً لا يناقَشُ فيه.

قولُهُ: (وفِيهِ) تِكرارٌ.

قولُهُ: (الحِسَابَ[1]) أي: «في الحِسابِ»، كما في رِوايَةٍ[2].

قولُهُ: (وبَعدَ العَرضِ) ليسَ من الحديثِ.

قولُهُ: (يُنادِي) ويتمَنَّى.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لحرمِيٍّ وشامِيٍّ وكسائِيٍّ[3].

قولُهُ: (لِهَوَاه) قيل: لنفسِهِ مُتابِعاً في هواهُ مُسارِعاً، (بَطَراً) بالمالِ والجاهِ فارِغاً عن مُحاسَبةِ مَولاهُ.

قولُهُ: (برُجُوعِهِ) أو عالِماً بأعمالِهِ، فلا يُهمِلهُ بل يرجعُهُ ويجازيهِ.

---

(١) رواه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٢٢٨) (٢٣٢١).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٧).

هو الحُمرة في الأُفق بعد غُروب الشمس، ١٧ ـ ﴿والليلِ وما وَسَقَ﴾: جمعَ ما دخل عليه من الدوابّ وغيرها، ١٨ ـ ﴿والقَمَرِ إذا اتَّسَقَ﴾: اجتمع وتمّ نُوره وذلك في الليالي البيض، ١٩ ـ ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ ـ أيها الناسُ. أصله «تَركبُونَنَّ» حُذفت نونُ الرفع لتوالي الأمثال، والواوُ لالتقاء الساكنين ـ ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حالاً بعد حال. وهو الموت ثمّ الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

٢٠ ـ ﴿فما لَهُم﴾ أي: الكُفّارِ ﴿لا يُؤمِنُونَ﴾ أي: أيُّ مانع لهم من الإيمان؟ أو أيُّ حُجّة لهم في تركه مع وُجود براهينه؟ ٢١ ـ ﴿و﴾ مالهم ﴿إذا قُرِئَ عليهِم القُرآنُ لا يَسجُدُونَ﴾: يخضعون بأن يُؤمنوا به لإعجازه؟ ٢٢ ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث وغيره، ٢٣ ـ ﴿واللهُ أعلَمُ بِما يُوعُونَ﴾: يَجمعون في صُحفهم من الكُفر والتكذيب وأعمال السوء. ٢٤ ـ ﴿فبَشِّرْهُم﴾: أخبرْهم ﴿بِعَذابٍ أليمٍ﴾: مُؤلم. ٢٥ ـ ﴿إلاّ﴾ لكن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ﴾: غير مقطوع ولا منقوص ولا يُمَنُّ به عليهم.

قولُهُ: (هُوَ الحُمْرَةُ) وعندَ أبي حنيفَةَ[1]: أنّه البَياضُ الذي يَليها.

قولُهُ: (فِي الأُفُقِ) أي: أفُقِ المغرِبِ.

قولُهُ: (أيُّها النَّاسُ) وقرأَ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ بالفتحِ على خِطابِ[2] الإنسانِ باعتِبارِ اللَّفظِ.

قولُهُ: (بَعدَ حَالٍ) مطابقَةٍ لأختِها في الشِّدَّةِ.

قولُهُ: (يَخضَعُونَ) أو لا يسجُدونَ للتِّلاوَةِ، لما رويَ أنّه ﷺ قرأ: ﴿واسجُد واقترِب﴾ فسجَدَ بمن معهُ من المؤمِنينَ وقُرَيشٌ تُصفِّقُ فوقَ رُؤوسِهِم فنزَلَت[3]، واحتجَّ به أبو حنيفَةَ[4] على وجوبِ السُّجودِ، فإنَّه ذمٌّ لمن سمِعَهُ ولم يسجُدْ.

قولُهُ: (بالبَعثِ) أو بالقُرآنِ.

قولُهُ: (يَجمَعُونَ) أو يُضمِرونَ في صُدورِهِم.

قولُهُ: (أَخبِرهُم) أو تهَكُّمٌ واستِهزاءٌ بهم.

قولُهُ: (لكِن) فالاستثناءُ مُنقطِعٌ أو مُتَّصِلٌ، والمرادُ: مَن تابَ وآمنَ منهم.

قولُهُ: (ولا) لعلَّ الواوَ بمعنى: أو، والله سبحانَه وتعالى أعلَمُ.

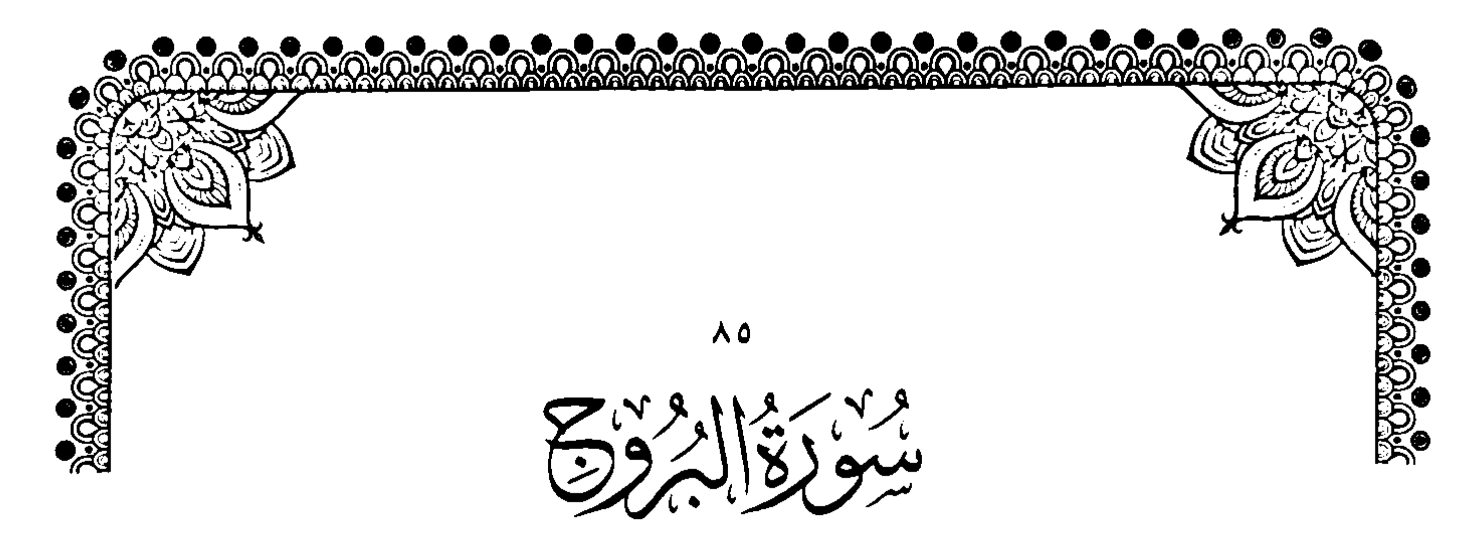
---

(١) انظر: «الجوهرة النيرة» (١/ ٤٢).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٧).

(٣) قال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ١٠٨٨): قال الولي العراقي: لم أقف عليه، والحافظ ابن حجر: لم أقف عليه.

(٤) انظر: «التجريد» (٢/ ٦٤٤).



٨٥

سورة البروج

مكية، ثنتانِ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والسَّماءِ ذاتِ البُرُوجِ﴾ ـ للكواكبِ اثنا عشَرَ بُرجًا تقدَّمت في «الفُرقان» ـ ٢ ـ ﴿واليَومِ المَوعُودِ﴾: يومِ القيامة، ٣ ـ ﴿وشاهِدٍ﴾: يومِ الجُمعة ﴿ومَشهُودٍ﴾: يومِ عرَفة ـ كذا فُسِّرت الثلاثة في الحديث. فالأوّل موعود به، والثاني شاهد بالعمل فيه، والثالث تشهده الناس والملائكة ـ وجوابُ القسم محذوف صدرُه، أي: لقد ٤ ـ ﴿قُتِلَ﴾: لُعِن ﴿أصحابُ الأُخدُودِ﴾: الشقِّ في الأرض،........

سورة البروج

قولُهُ: (فِي الحَدِيثِ) أخرجَهُ ابنُ جَريرٍ عن أبي هُريرةَ مرفُوعاً، كذا في «المبهمات»[1]، وقيل: الشَّاهدُ والمشهودُ يومُ النَّحرِ أو عرفَة والحجيج، فإنَّه يُشهَدُ له، أو كلُّ يومٍ وأهلُهُ، في «الكشاف»[2] عن الحسنِ: ما من يومٍ إلا ويُنادِي إنِّي يومٌ جديدٌ، وإنِّي على ما تعملُ فيَّ شهيدٌ، فاغتَنِمني فلو غابت شَمسي لم تُدرِكني إلى يومِ القيامَةِ.

قولُهُ: (الشَّقِّ) أخرجَ ابنُ أبي حاتمٍ من طريقِ قتادةَ قال: كنَّا نُحدَّثُ أنَّ عليًّا قال: هم ناسٌ كانوا بمذارعِ اليمنِ، وأخرَجَ من طريقِ الحسَنِ عنه قال: هُم الحبَشَة، كذا في «المبهمات»[3]، ورويَ مَرفوعاً: «أنَّ مَلِكاً كانَ

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٦).

والحديث رواه الترمذي (٣٣٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٢، ٣٣٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٠٨٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥٥٦٤). قال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث موسى بن عبيدة، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث؛ ضعفه يحيى بن سعيد وغيره من قبل حفظه، وقد تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان وغيره من قبل حفظه.

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٢٩).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٦).

٥ ـ ﴿النَّارِ﴾: بدلُ اشتمال منه ﴿ذاتِ الوَقُودِ﴾: ما تُوقد به، ٦ ـ ٧ ـ ﴿إذ هُم علَيها﴾ أي: حولها على جانب الأُخدود على الكراسيّ ﴿قُعُودٌ، وهُم علَى ما يَفعَلُونَ بِالمُؤمِنِينَ﴾ بالله من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم، ﴿شُهُودٌ﴾: حُضور ـ رُوي أنّ الله أنجى المُؤمنين المُلقَين في النار بقبض أرواحهم قبل وُقوعهم فيها، وخرجَتِ النار إلى مَن ثَمَّ فأحرقتْهم ـ ٨ ـ ﴿وما نَقَمُوا مِنهُم إلاّ أن يُؤمِنُوا بِاللهِ العَزِيزِ﴾ في مُلكه ﴿الحَمِيدِ﴾ المحمود، ٩ ـ ﴿الَّذِي لَهُ مُلكُ السَّماواتِ والأرضِ، واللهُ علَى كُلِّ شَيءٍ شَهِيدٌ﴾. أي: ما أنكرَ الكُفّار على المُؤمنين إلاّ إيمانهم.

١٠ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤمِنِينَ والمُؤمِناتِ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَم يَتُوبُوا فلَهُم عَذابُ جَهَنَّمَ﴾ بكُفرهم ﴿ولَهُم عَذابُ الحَرِيقِ﴾ أي: عذاب إحراقهم المُؤمنين في الآخرة،.........

له ساحِرٌ، فلَمَّا كَبِرَ ضمَّ إليه غُلاماً ليُعلِّمَهُ وكان في طريقِهِ راهِبٌ، فمالَ قلبُهُ إليه فرأى في طريقِهِ ذاتَ يومٍ حيَّةً قَد حبسَتِ النَّاسَ فأخذَ حَجَراً وقال: اللهُمَّ إن كانَ الرَّاهِبُ أحبَّ إليك من السَّاحرِ فاقتُلها فقتَلَها، فكان الغُلامُ بعدُ يُبرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ، ويشفِي من الأدواءِ، وعَمِيَ جلِيسٌ للملِكِ، فأبرَأَهُ فسألَهُ الملِكُ عمَّن أبرأَهُ فقالَ: رَبِّي فغضِبَ فعذَّبَهُ، فدلَّ على الغُلامِ فعذَّبَهُ، فدلَّ على الرَّاهِبِ فقَدَّهُ[1] بالمنشَارِ، وأرسَلَ الغُلامَ إلى جبلٍ ليُطرَحَ مِن ذروتِهِ فدعا فرجَفَ فهَلكُوا ونَجا، وأجلسَهُ في سفينَةٍ ليَغرَقَ فَدعا فانكَفَأَتِ السَّفينَةُ بمَن معهُ فغرِقُوا ونجا، فقالَ للملِكَ: لستَ بقاتِلِي حتَّى تجمَعَ النَّاسَ وتصلُبَنِي وتأخُذَ سهماً مِن كنانَتِي وتقولَ: باسم الله ربِّ هذا الغُلامِ، ثمَّ ترمِينِي به، فرَماهُ فوقَعَ في صدغِهِ ومات فآمنَ النَّاسُ فأمَرَ بأَخادِيدَ أُوقِدَ فيها النِّيرانُ، فمَن لم يرجِعْ منهُم طرحَهُ فيها، حتَّى جاءَت امرأَةٌ معَها صبيٌّ فتَقاعَسَتْ ـ أي: تأخَّرَت ـ فقال الصَّبيُّ: يا أُمَّاهُ اصبِرِي فإنَّكِ على الحَقِّ، فاقتحَمَت ـ أي: دَخلَت ـ» رواهُ مُسلِمٌ بمعناه[2].

قولُهُ: (في مُلكِهِ) غالِبٌ يُخشَى عقابُهُ.

قولُه: (المَحمُودِ) مُنعِمٌ يرجى ثوابُهُ.

قولُهُ: (إلَّا إيمَانَهُم) وهو ممَّا لا يُنكَرُ، فيكونُ من بابِ تأكيدِ المدحِ بما يُشبِهُ الذَّمَّ، كقولِهِ[3]:

وَلا عَيبَ فِيهِم غَيرَ أنَّ سُيُوفَهُم ... بِهِنَّ فُلُولٌ مِن قِراعِ الكَتائِبِ

قولُهُ: (بالإحرَاقِ) أي: بَلوهُم به.

قولُهُ: (عَذَابُ إحرَاقِهِم) أو العَذابُ الزَّائدُ في الإحراقِ لفتنَتِهِم.

---

(١) القد: الشق طولا. «الصحاح» (٢/ ٥٢٢).

(٢) رواه مسلم (٣٠٠٥) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

(٣) قائله: النابغة الذبياني، انظر: «ديوانه» (ص: ٣٢).

وقيل: في الدنيا بأن خرجت النار فأحرقتهم كما تقدّم. ١١ ـ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَهُم جَنّاتٌ، تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ. ذلِكَ الفَوزُ الكَبِيرُ﴾.

١٢ ـ ﴿إِنَّ بَطشَ رَبِّكَ﴾ بالكُفّار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسَب إرادته. ١٣ ـ ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبدِئُ﴾ الخلق ﴿ويُعِيدُ﴾ فلا يُعجِزه ما يُريد، ١٤ ـ ﴿وهُوَ الغَفُورُ﴾ للمُذنبين المُؤمنين ﴿الوَدُودُ﴾: المُتودّد إلى أوليائه بالكرامة، ١٥ ـ ﴿ذُو العَرشِ﴾: خالقُه ومالكه ﴿المَجِيدُ﴾، بالرفع: المستحقُّ لكمال صفات العُلوّ، ١٦ ـ ﴿فَعّالٌ لِما يُرِيدُ﴾: لا يُعجزه شيء.

١٧ ـ ١٨ ـ ﴿هَل أتاكَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿حَدِيثُ الجُنُودِ، فِرعَونَ وثَمُودَ﴾؟ بدلٌ من الجنود. واستُغني بذكر فرعون عن أتباعه. وحديثُهم أنهم أُهلكوا بكُفرهم. وهذا تنبيه لمن كفر بالنبيّ والقُرآن ليتّعظوا. ١٩ ـ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا في تَكذِيبٍ﴾ بما ذُكِر، ٢٠ ـ ﴿واللهُ مِن وَرائِهِم مُحِيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه.

قولُهُ: (بالكُفَّارِ) والبَطشُ: أَخذٌ بعُنفٍ.

قولُهُ: (الخَلقَ) قالَ جعفرٌ[1]: يُبدِئ فيُغني عمَّا سواهُ، ثمَّ يُعيدُ فيَبقى ببَقائِهِ.

قولُهُ: (المُؤمِنِينَ) ولمن تابَ من الكافِرينَ.

قولُهُ: (المُتَوَدِّد) أو المودُودُ لمن أطاعَ.

قولُهُ: (خَالِقُهُ) قالَ الواسِطيُّ[2]: هو أعلى من أن يكونَ له فيه وإليه حاجَةٌ، بل أظهَرَ العَرشَ إظهاراً لقُدرتِهِ لا مكاناً لذاتِهِ.

قولُهُ: (بالرَّفعِ) غيرُ حمزَةَ والكسائيِّ[3]، فحقُّهُ أن يقولَ: وبالجرِّ؛ ليكونَ لهما على أنَّه صفَةٌ للعرشِ، ومجدُهُ: عُلوُّهُ وعُظمُه، وأمَّا على الرَّفعِ فإنَّه تعالى عَظيمٌ في ذاتِهِ وصفاتِهِ، فإنَّه واجبُ الوجودِ تامُّ القُدرَةِ والحِكمَة.

قولُهُ: (عَن أَتبَاعِه) كما اكتَفَى بأتباعِهِ عنه في مَواضِع.

قولُهُ: (تَنبِيه) وتسلِيةٌ له ﷺ وللمؤمِنينَ.

قولُهُ: (بِمَا ذُكِرَ) لا يدعونَ عنهُ.

قولُهُ: (لا عَاصِمَ) أو لا يفوتونَهُ، كما لا يَفوتُ المحاطُ المحيطَ.

---

(١) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٨٦).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٨٧).

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٨).

٢١ ـ ﴿بَل هُوَ قُرآنٌ مَجِيدٌ﴾: عظيم، ٢٢ ـ ﴿في لَوحٍ﴾ هو في الهواء فوق السماء السابعة ﴿مَحفُوظٍ﴾ ـ بالجرّ ـ من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طولُه ما بين السماء والأرض، وعرضُه ما بين المشرق والمغرب، وهو من دُرّة بيضاء. قاله ابن عباس رضي الله عنهما.

قولهُ: (**هُو في الهَواءِ**) وقُرئَ بالضمِّ[1]، وهو الهواءُ.

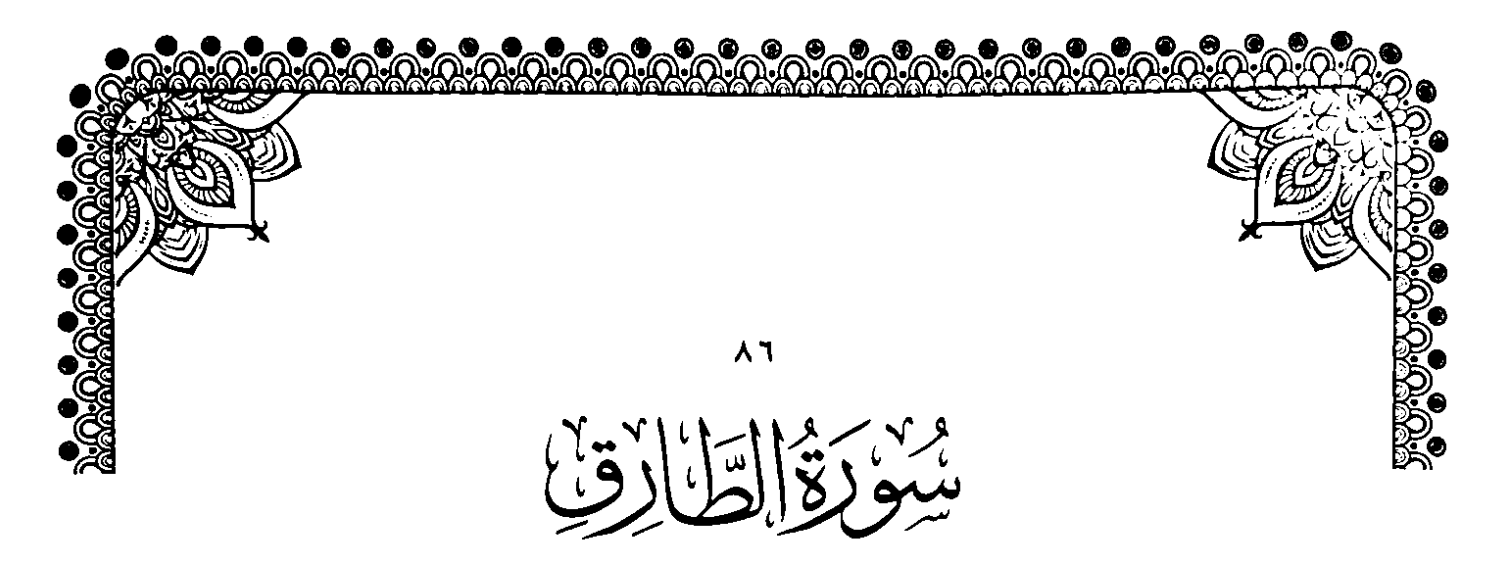
قولُهُ: (**بالجَرِّ**) للجُمهورِ، وبالرَّفعِ لنافعٍ[2] صفَةً للقُرآنِ؛ لقولِهِ تعالى: ﴿وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون﴾ [الحجر: ٩]، والله تعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) أي: (في لوح) وهي قراءة شاذة، ونسبت لليماني، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٠٩).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٨).



٨٦

سُورَةُ الطَّارِقِ

مكية، سبعَ عشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والسَّماءِ والطّارِقِ﴾، أصلُه كُلُّ آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطُلوعها ليلاً ـ ٢ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَك: ﴿ما الطّارِقُ﴾؟ مُبتدأ وخبر، في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى». وما بعدَ «ما» الأُولى: خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المُفسَّر بما بعده. ٣ ـ هو ﴿النَّجمُ﴾ أي: الثُّريّا أو كُلّ نجم ﴿الثّاقِبُ﴾: المضيء لثَقبه الظلامَ بضوئه ـ وجوابُ القسم: ٤ ـ ﴿إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَا علَيها حافِظٌ﴾، بتخفيف «ما» فهي مزيدة، وإنْ: مُخفّفة من الثقيلة واسمها محذوف، أي: إنّه، واللام: فارقة، وبتشديدها فإنْ: نافية، ولمّا: بمعنى إلّا.

سُورَةُ الطَّارِقِ

قولُهُ: (أَصلُهُ) أو هو في الأصلِ لسالِكِ الطَّريقِ، واختصَّ عُرفاً بالآتي ليلاً، ثمَّ استُعمِلَ في البادي فيه.

قولُهُ: (فِيهِ تَعظِيمٌ) حيثُ عبَّرَ عنه أوَّلاً بوصفٍ عامٍّ، ثمَّ فسَّرهُ بما يخصُّهُ.

قولُهُ: (أي: الثُّرَيَّا) أو زُحَلُ.

قولهُ: (لثَقْبِهِ) أي: كأنَّهُ يثقُبُهُ فينفُذُ فيه.

قولُهُ: (أي: إنَّهُ) أي: إنَّ الشَّأنَ.

قولُهُ: (وبتَشدِيدِهَا) شاميٌّ وعاصِمٌ وحمزَةُ[١].

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٧٨).

والحافظ: من الملائكة يحفظ عملها من خير وشرّ.

٥ ـ ﴿فَلْيَنظُرِ الإنسانُ﴾ نظرَ اعتبار: ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾: من أيّ شيء؟ جوابه: ٦ ـ ﴿خُلِقَ مِن ماءٍ دافِقٍ﴾: ذي اندفاق من الرجل والمرأة في رحمها، ٧ ـ ﴿يَخرُجُ مِن بَينِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿والتَّرائبِ﴾للمرأة، وهي عِظام الصدر. ٨ ـ ﴿إنَّهُ﴾ تعالى ﴿علَى رَجعِهِ﴾: بعثِ الإنسان بعد موته ﴿لَقادِرٌ﴾ ـ فإذا اعتَبر أصلَه عَلمَ أنّ القادر على ذلك قادر على بعثه ـ ٩ ـ ﴿يَومَ تُبلَى﴾: تُختبرُ وتُكشف ﴿السَّرائرُ﴾: ضمائر القُلوب في العقائد والنيّات، ١٠ ـ ﴿فما لَهُ﴾: لِمُنكرِ البعث ﴿مِن قُوّةٍ﴾ يمتنع بها عن العذاب ﴿ولا ناصِرٍ﴾ يدفعه عنه.

١١ ـ ﴿والسَّماءِ ذاتِ الرَّجْعِ﴾: المطرِ لعوده كُلَّ حين، ١٢ ـ ﴿والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ﴾: الشقّ عن النبات،...

قولُهُ: (منَ المَلائِكَةِ) وذكَرَ في «الكشاف»[1]: عن النَّبيِّ ﷺ: «وُكِّلَ بالمؤمنِ مائةٌ وستُّونَ مَلَكاً يذُبُّونَ عنهَ كما يُذَبُّ عن قصعَةِ العسَلِ الذُّبابُ، ولو وُكِلَ العبدُ إلى نفسِهِ طرفَةَ عَينٍ لاختطَفَتهُ الشَّياطِينُ»[2]، وقيل: الحافظُ هو الرَّقيبُ عليها، وهو الله تعالى.

قولُهُ: (نَظَرَ اعتِبَارٍ) إلى مبدئِهِ لئلَّا ينسى نفسَهُ ويقيسَ عليهِ صحَّةَ إعادتِهِ، ويُملي على حافِظِهِ ما يسُرُّهُ في عاقبتِهِ.

قولُهُ: (ذِي اندِفَاقٍ) والدَّفقُ: صبٌّ فيه دَفعٌ.

قولُهُ: (منَ الرَّجُلِ) يعني: المرادُ: الممتَزِجُ من الماءَينِ في الرَّحِم.

قولُهُ: (في رَحمِهِا) مُتعلِّقٌ باندِفاق.

قولُهُ: (وتُكْشَف) ويُمَيَّزُ بين ما طابَ من الضَّمائرِ وما خفيَ من الأعمالِ وما خَبُثَ منها.

قولُهُ: (لمُنكِرِ البَعثِ) أو للإنسانِ.

قولُهُ: (يَمتَنِعُ) أي: من مَنعَةٍ في نفسِهِ.

قولُهُ: (يَدفَعُهُ) ويمنَعُهُ.

قولُهُ: (كُلَّ حِينٍ) أي: وَقتاً فوقتًا.

قولُهُ: (عَنِ النَّبَاتِ) أو عن العُيونِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٣٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٦٧) (٧٧٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٩): فيه عفير بن معدان، وهو ضعيف.

١٣ ـ ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القُرآنَ ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يَفصِل بين الحقّ والباطل، ١٤ ـ ﴿وما هُوَ بِالْهَزْلِ﴾: باللعب والباطل.

١٥ ـ ﴿إِنَّهُم﴾ أي: الكُفّارَ ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يَعملون المَكايدَ للنبيّ ﷺ ١٦ ـ ﴿وأَكِيدُ كَيْدًا﴾: أستدرجُهم من حيثُ لا يعلمون. ١٧ ـ ﴿فمَهِّلِ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿الكافِرِينَ أمهِلْهُم﴾: تأكيدٌ، حسَّنَه مُخالفة اللفظ أي: أنظِرْهم ﴿رُوَيدًا﴾: قليلاً. وهو مصدرٌ مُؤكِّد لمعنى العامل، مُصغَّر رُودٍ، أو إروادٍ على الترخيم. وقد أخذهم الله ـ تعالى ـ ببدر. ونُسخ الإمهال بآية السيف بالأمر بالجهاد والقتال.

قولُهُ: (يَفصِلُ) أي: فاصِل، أو مُبالغَةٌ؛ كرجُلٍ عَدلٍ.

قولُهُ: (باللَّعِبِ والبَاطِلِ) فإنَّهُ جِدٌّ وحَقٌّ كلُّه.

قولُهُ: (للنَّبيِّ) أي: في إبطالِهِ وإطفاءِ نورِهِ.

قولُهُ: (يَا مُحَمَّدُ) أي: لا تستَعجِل بإهلاكِهِم أيُّها النبيُّ.

قولُهُ: (حَسَّنَهُ) أي: رَقَّاهُ من مرتبَةِ الجَوازِ إلى مرتبَةِ الحُسنِ، أو زادَ في حسنِهِ؛ إذ لا قُبحَ في التَّأكيدِ باللَّفظِ الموافقِ، كما سَيأتي في: ﴿لِإِيلافِ﴾.

قولُهُ: (قَلِيلاً) أي: إمهالاً يَسيراً، والتَّكريرُ وتغييرُ البُنيَةِ لزيادَةِ التَّسكينِ.

قولُهُ: (عَلى التَّرخِيمِ) مُتعلِّقٌ بالأخيرِ؛ أي: على حَذفِ الزَّوائدِ.

قولُهُ: (ونُسِخَ الإِمهَالُ) فيه أنَّ الإمهالَ المقيَّدَ بالقَليلِ ليسَ فيه نسخٌ، واللهُ أعلمُ.

* * *



٨٧

سورة الأعلى

مكية، تسعَ عشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ﴾ أي: نَزِّهْ ربَّك عمّا لا يليق به ـ واسم: زائدٌ ـ ﴿الأعلَى﴾: صفةٌ لـ «ربّك»، ٢ ـ ﴿الَّذِي خَلَقَ فسَوَّى﴾ مخلوقه جعله مُتناسب الأجزاء غير مُتفاوت، ٣ ـ ﴿والَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فهَدَى﴾ إلى ما قدّره من خير وشرّ، ٤ ـ ﴿والَّذِي أخرَجَ المَرعَى﴾: ....

سورة الأعلى

قولُهُ: (و﴿اسْمَ﴾ زَائِدٌ) أو نَزِّه اسمَهُ عن الإطلاقِ على غيرِهِ، أو إطلاقِ اسمِ غيرِهِ عليه، أو عن الإلحادِ فيه بالتَّأويلاتِ الزَّائغةِ، أو عن ذكرِهِ لا على وجهِ التَّعظيمِ.

قولُهُ: (صِفَة لِـ﴿رَبِّكَ﴾) أو للاسمِ، فلله الأسماءُ الحُسنى والصِّفاتُ العُلى.

قولُهُ: (فَجعَلَه) وجعلَ له ما به يتأتَّى كمالُهُ ويتمُّ معاشُهُ، وقيل: خلَقَ الخَلقَ فسوَّى بينَهُم في الخلقَةِ، وميَّزَ بينهم في اختصاصِ الهدايَةِ.

قولُهُ: (مَا شَاءَ) أي: أجناسَ الأشياءِ وأنواعَها وأشخاصَها ومقاديرَها وصفاتِها وأفعالَها وآجالَها، وقرأ الكسائيُّ: بالتَّخفيفِ[1].

قولُهُ: (إِلَى مَا قَدَّرَهُ) أي: فوجَّهَهُ إلى أفعالِهِ طَبعاً واختياراً بخلقِ الميولِ والإلهاماتِ ونصبِ الدَّلائلِ وإنزالِ الآياتِ، وقالَ الواسطيُّ[2]: قدَّرَ السَّعادَةَ والشَّقاوَةَ عليهم، ثمَّ يسَّرَ لكُلٍّ من الطَّائفتينِ ما قدِّرَ له.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٠).

(٢) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٣٨٩).

أنبتَ العُشب ٥ ـ ﴿فجَعَلَهُ﴾ بعد الخُضرة ﴿غُثاءً﴾: جافًا هشيمًا ﴿أحوَى﴾: أسودَ يابسًا.

٦ ـ ﴿سَنُقرِئُكَ﴾ القُرآنَ ﴿فلا تَنسَى﴾ ما تقرؤه، ٧ ـ ﴿إلاّ ما شاءَ اللهُ﴾ أن تنساه بنسخ تلاوته وحُكمه ـ وكان ﷺ يَجهر بالقِراءة مع قِراءة جِبريل خوفَ النسيان. فكأنه قيل له: لا تعجلْ بها. إنك ما تنسى. فلا تُتعِب نفسك بالجهر بها. ﴿إنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعلَمُ الجَهرَ﴾ من القول والفِعل ﴿وما يَخفَى﴾ منهما ـ ٨ ـ ﴿ونُيَسِّرُكَ لِليُسرَى﴾ للشريعة السهلة وهي الإسلام.

٩ ـ ﴿فذَكِّرْ﴾: عِظْ بالقُرآن ﴿إن نَفَعَتِ الذِّكرَى﴾ مَن تُذَكِّرُهُ، المذكورَ في: ١٠ ـ ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ بها ﴿مَن يَخشَى﴾: يخافُ الله ـ تعالى ـ كآية «فذَكِّرْ بِالقُرآنِ مَن يَخافُ وَعِيدِ»، ١١ ـ ﴿ويَتَجَنَّبُها﴾ أي: الذكرى، أي: يَتركها جانبًا لا يلتفت إليها ﴿الأشقَى﴾ بمعنى الشقيّ أي: الكافر ١٢ ـ ﴿الَّذِي يَصلَى النّارَ الكُبرَى﴾ ـ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا ـ ....

قولُهُ: (العُشْبَ) أي: ما يرعاهُ الدَّوابُّ.

قولُهُ: (القُرآنَ) على لسانِ جبريلَ.

قولُهُ: (مَا تَقرَؤُهُ) أصلاً مع أنَّك أُمِّيٌّ؛ ليكونَ ذاك آيةً أخرى لك، وقيل: نهيٌ، وإثباتُ حُروفِ العلَّةِ في المجزومِ لُغةً، أو الألفُ[1] للفاصلةِ كقولِهِ: ﴿السَّبِيلا﴾، قالَ الجنيدُ: لا تنسَى العمَلَ به، ويُمكِنُ أن يكونَ نَفياً معناهُ النَّهيُ، وهو أبلغُ.

قولُهُ: (فلا تُتعِبْ نَفسَكَ) هذا توطئةٌ لما بعدَه.

قولُهُ: (للشَّرِيعَةِ) أي: نعدُّكَ ونُوفِّقُكَ عَطفُ تفسيرٍ على: ﴿سَنُقرئكَ﴾، و﴿إنَّهُ يَعلَمُ﴾ اعتِراضٌ.

قولُهُ: (مَنْ تُذَكِّرُهُ) مفعولُ: ﴿نَفَعَت﴾ والمذكورُ صفَةُ من، والشَّرطيَّةُ للإشعارِ بأنَّ التَّذكيرَ إنَّما يجبُ إذا أمكَنَ نفعُهُ، ولذلك أمرَ بالإعراضِ عن من تولَّى.

قولُهُ: (بِهَا) أي: سيتَّعِظُ وينتَفعُ بالذِّكرى والموعِظَةِ.

قولُهُ: (يَخَافُ) فإنَّه يتفكَّرُ فيها فيعلَمُ حقيقَتَها، وهو يتناوَلُ العارِفَ والمترَدِّدَ.

قولُهُ: (بِمَعنَى الشَّقِيِّ) أو فإنَّهُ أشقَى من الفاسِقِ، أو الأشقى مِنَ الكفرَةِ لتوغُّلِهِ في الكُفرِ.

قولُهُ: (نَارُ الآخِرَة) فإنَّه ﷺ قال: «نارُكُم هذهِ جُزءٌ من سبعِينَ جُزءاً من نارِ جهنَّمَ»[2]، أو ما في الدَّركِ الأسفَلِ منها.

---

(١) في الأصول: «أو إثبات.... والألف»، ولعل الصواب ما أثبته وانظر: «حاشيه الشهاب» (٨/ ٣٤٩).

(٢) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

١٣ ـ ﴿ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيها﴾ فيستريحَ ﴿ولا يَحيا﴾ حياة هنيئة.

١٤ ـ ﴿قَد أفلَحَ﴾: فاز ﴿مَن تَزَكَّى﴾: تطهَّرَ بالإيمان، ١٥ ـ ﴿وذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ﴾ مُكبرًا ﴿فصَلَّى﴾ الصلواتِ الخمسَ. وذلك من أُمور الآخرة، وكُفّارُ مكّة مُعرضون عنها. ١٦ ـ ﴿بَل يُؤثِرُونَ﴾ ـ بالتحتانيّة والفَوقانيّة ـ ﴿الحَياةَ الدُّنيا﴾ على الآخرة، ١٧ ـ ١٨ ـ ﴿والآخِرةُ﴾ المُشتملة على الجنّة ﴿خَيرٌ وأبقَى. إنَّ هذا﴾ أي: إفلاحَ من تزكّى وكونَ الآخرة خيرًا ﴿لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾ أي: المُنزَلة قبل القُرآن، ١٩ ـ ﴿صُحُفِ إبراهِيمَ ومُوسَى﴾. وهي عشْرُ صُحف لإبراهيم والتوراةُ لموسى.

قولُهُ: (فيَستَرِيحَ) بالنَّصبِ جوابُ النَّفيِ.

قولُهُ: (بالإيمَانِ) أو للصَّلاةِ، أو أدَّى الزَّكاةَ.

قولُهُ: (مُكَبِّرًا) قالَ أبو حنيفَةَ[1]: لا يُشتَرطُ التَّكبيرُ بل كُلُّ ذكرٍ يدُلُّ على تعظيمِهِ تعالى[2] غيرَ مَشُوبٍ بالدُّعاءِ ولو بالفارسيَّةِ جائزٌ للإطلاقِ، وقالَ: إنَّه شَرطٌ لا ركنٌ؛ للعَطفِ بالفاءِ، وقيل المعنَى: وذكرَ اسمَ ربِّهِ بقلبِهِ ولسانِهِ، وقيل: ﴿تَزَكَّى﴾ تصدَّقَ للفِطرِ، و﴿ذَكَرَ اسمَ رَبِّهِ﴾ كبَّرَ يومَ العيدِ فصَلَّى صلاتَهُ.

قولُهُ: (بالتَّحتَانِيَّةِ) بَصريٌّ[3].

قولُهُ: (والفَوقَانِيَّةِ) قيل: الخِطابُ إلى الأشْقَينَ على الالتِفاتِ، أو إضمارِ: قُل، أو إلى الكُلِّ، فإنَّ السَّعيَ للدُّنيا أكثَرُ في الجُملةِ.

قولُهُ: (على الآخِرَةِ) فلا تفعَلونَ ما يُسعِدُكُم فيها.

قولُهُ: (أي: إِفلاحَ) يَعني: الإشارَةُ إلى ما سبَقَ من ﴿قَد أَفلَحَ﴾؛ فإنَّه جامِعُ أمرِ الدِّيانَةِ وخُلاصَةُ الكُتُبِ المنزَلةِ.

قولُهُ: (وهيَ عَشرُ صُحُفٍ) بدَلٌ من: ﴿الصُّحُفِ الأُولَى﴾ قالَه القاضِي[4]، والظَّاهرُ أنَّه بدلُ بعضٍ، والله سبحانهُ وتعالى أعلمُ.

***

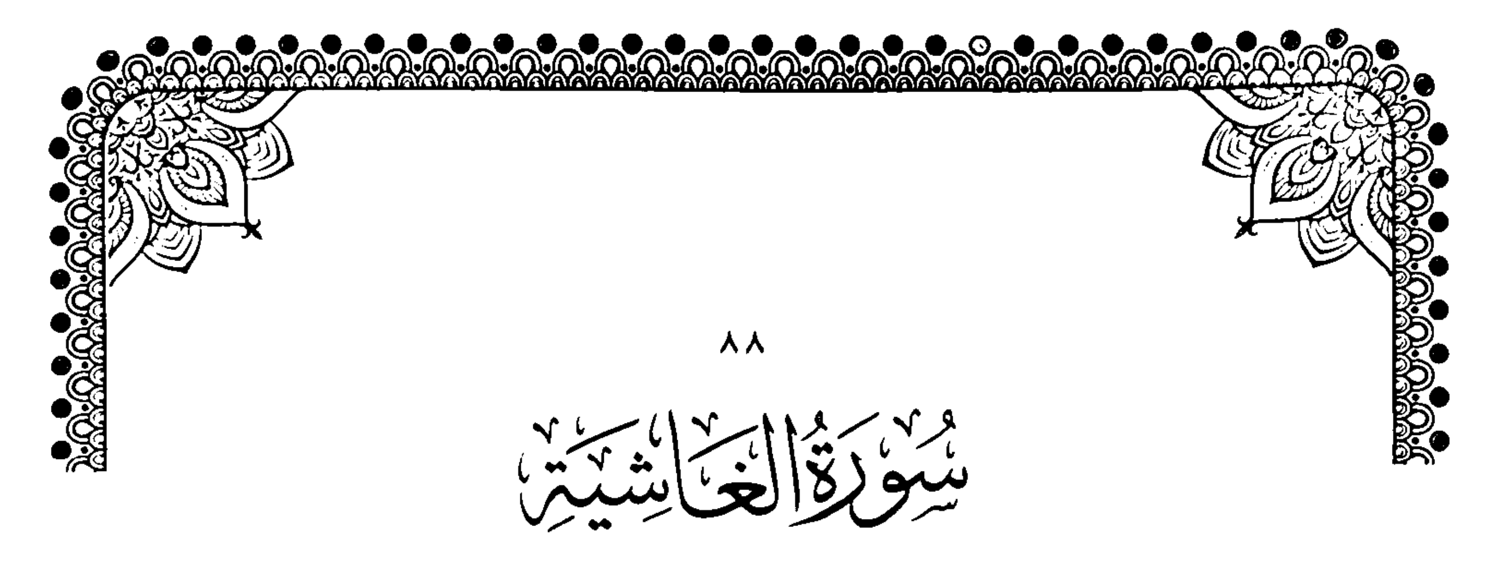
---

(١) انظر: «التجريد» (١/ ٤٦٣).

(٢) في بعض الأصول: «يقال».

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٠).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٠٦).



٨٨

سورة الغاشية

مكية، ستٌّ وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿هَل﴾: قد ﴿أتاكَ حَدِيثُ الغاشِيةِ﴾: القِيامة لأنها تغشى الخلائقَ بأهوالها؟ ٢ ـ ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ﴾ ـ عُبّر بها عن الذوات في الموضعين ـ ﴿خاشِعةٌ﴾: ذليلة، ٣ ـ ﴿عامِلةٌ ناصِبةٌ﴾: ذات نَصَب وتعب بالسلاسل والأغلال، ٤ ـ ٥ ـ ﴿تُصلَى﴾ ـ بضم التاء وفتحها ـ ﴿نارًا حامِيةً، تُسقَى مِن عَينٍ آنِيةٍ﴾: شديدة الحرارة، ٦ ـ ﴿لَيسَ لَهُم طَعامٌ إلاّ مِن ضَرِيعٍ﴾ ـ هو نوع من الشوك لا ترعاه دابّةٌ لخُبثه ـ ٧ ـ ﴿لا يُسمِنُ ولا يُغني مِن جُوعٍ﴾.

٨ ـ ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناعِمةٌ﴾: حسنة، ٩ ـ ﴿لِسَعيِها﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿راضِيةٌ﴾ في الآخرة لمّا رأت ثوابه، ١٠ ـ ﴿في جَنّةٍ عالِيةٍ﴾ حِسًّا ومعنًى،..............................

سورة الغاشية

قولُهُ: (ذَاتُ نَصَبٍ) أي: تعمَلُ ما تتعبُ فيه، كجرِّ السَّلاسلِ والصُّعودِ والهبوطِ، أو عمِلَتْ ونَصِبتْ في أعمالٍ لا تنفَعُها يومئذٍ.

قولُهُ: (بضَمِّ التَّاءِ) بصريٌّ وشعبةُ[1]، من أصلاهُ الله تعالى.

قولُهُ: (حَسَنَةٌ) أو ذاتُ بهجةٍ، أو متنعِّمةٌ.

قولُهُ: (حِسًّا ومَعنًى) أي: محلًّا وقَدْراً.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨١)، و«الحجة في القراءات السبع» (ص: ٣٦٩).

١١ ـ ﴿لا يُسمَعُ﴾ ـ بالياء والتاء ـ ﴿فِيها لاغِيَةٌ﴾ أي: نفسٌ ذات لغوٍ: هَذَيانٍ من الكلام، ١٢ ـ ﴿فِيها عَينٌ جارِيَةٌ﴾ بالماء بمعنى عُيون، ١٣ ـ ﴿فِيها سُرُرٌ مَرفُوعةٌ﴾ ذاتًا وقدْرًا ومَحلًا، ١٤ ـ ﴿وأكْوابٌ﴾: أقداح لا عُرَى لها ﴿مَوضُوعةٌ﴾ على حافات العُيون مُعدّة لشُربهم، ١٥ ـ ﴿ونَمارِقُ﴾: وسائد ﴿مَصفُوفةٌ﴾: بعضُها بجنب بعض يُستند إليها، ١٦ ـ ﴿وزَرابِيُّ﴾: بُسطٌ طَنافسُ لها خَمْل ﴿مَبثُوثةٌ﴾: مبسوطة.

١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿أفلا يَنظُرُونَ﴾ أي: كفّارُ مكة نظرَ اعتبار ﴿إلَى الإبِلِ كَيفَ خُلِقَتْ؟ وإلَى السَّماءِ كَيفَ رُفِعَتْ؟ وإلَى الجِبالِ كَيفَ نُصِبَتْ؟ وإلَى الأرضِ كَيفَ سُطِحَتْ﴾، أي: بُسطتْ؟ فيستدلّون بها على قُدرة الله ـ تعالى ـ ووحدانيّته؟ وصُدِّرت بالإبل لأنهم أشدّ مُلابسة لها من غيرها. وقوله «سُطِحَتْ» ظاهر في أنّ الأرض سطحٌ لا كُرةٌ كما قاله أهل الهيئة، وإن لم ينقض رُكنًا من أركان الشرع.

قولُهُ: (باليَاءِ) أي: المضمومةِ، مكّيٌّ وبصريٌّ[١].

قولُهُ: (والتَّاء) أي: المضمومةِ نافعٌ، والباقونَ بالفوقيَّةِ المفتوحَةِ؛ أي: يا مخاطباً، أو الوجوهُ.

قولُهُ: (أي: نَفْسٌ) الرَّفعُ حرميٌّ وبصريٌّ، أو لَغوٌ، أو كلمَةٌ ذاتُ لغوٍ، فإنَّ كلامَ أهلِ الجنَّةِ الذِّكرُ والحِكَمُ، قيل: لاستغراقِهِم في سماعِ الحقِّ، وقيل: تلكَ آذانٌ مصونةٌ عن سماعِ الأغيارِ بعدَ سماعِهِم من الحقِّ.

قولُهُ: (بالمَاءِ) أي: يجرِي ماؤُها ولا ينقطعُ أبداً.

قولُهُ: (بمَعنَى عُيُون) أو لكلِّ أحدٍ عينٌ، والتَّنكيرُ للتَّعظيمِ.

قولُهُ: (أَقدَاحٌ) جمعُ: كُوب، وهو إناءٌ لا عُروةَ له.

قولُهُ: (عَلى حَافَاتِ العُيُونِ) الأظهرُ: بين أيديهِم.

قولُهُ: (وَسَائِدُ) أو مسانِدُ، جمعُ: نَمرِقَة؛ بفَتحِ النُّونِ وتثليثِ الرَّاء[٢].

قولُهُ: (بُسُطٌ) فاخِرَةٌ، جمعُ: زِربيَّة؛ بالكَسرِ وقد تُضمُّ[٣].

قولُهُ: (طَنَافِس) البُسطُ والثِّيابُ، جمعُ: طِنِفسَة مُثلَّثَةَ الطَّاءِ والفاء، كذا في «القامُوس»[٤].

قولُهُ: (خَمْلٌ) أي: هَدبٌ.

قولُهُ: (بِهَا) أي: بهذه الأشياءِ.

---

(١) هذا وما بعده انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨١)، و«المبسوط في القراءات العشر» (ص: ٤٦٩).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٢٦).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٩٣).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٥٥٥).

٢١ ـ ٢٢ ـ ﴿فذَكِّرْ﴾هُم نِعَمَ الله ودلائلَ توحيده. ﴿إنَّما أنتَ مُذَكِّرٌ. لَستَ علَيهِم بِمُسَيطِرٍ﴾ ـ وفي قراءة بالصاد بدل السين ـ أي بمُسلَّط. وهذا قبل الأمر بالجِهاد. ٢٣ ـ ﴿إلاّ﴾: لكن ﴿مَن تَوَلَّى﴾: أعرض عن الإيمان ﴿وكَفَرَ﴾ بالقُرآن ٢٤ ـ ﴿فيُعَذِّبُهُ اللهُ العَذابَ الأكبَرَ﴾: عذابَ الآخرة. والأصغرُ عذابُ الدنيا بالقتل والأسر. ٢٥ ـ ﴿إنَّ إلَينا إيابَهُم﴾: رُجوعَهم بعد الموت، ٢٦ ـ ﴿ثُمَّ إنَّ علَينا حِسابَهُم﴾: جزاءهم لا نتركه أبدًا.

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَة) هي للجمهورِ، وإنَّما قرأ بالسِّينِ هشام فكانَ حقُّهُ أن يجعلَ الصَّادَ أصلاً، وقرأ حمزةُ بخلْفٍ عن خَلَف بإشمامِ الصَّادِ زاياً[1].

قولُهُ: (لَكِن) أي: الاستثناءُ مُنقطِعٌ، ويؤيِّدهُ أنَّه قُرِئَ: (ألا)[2] على التَّنبيهِ.

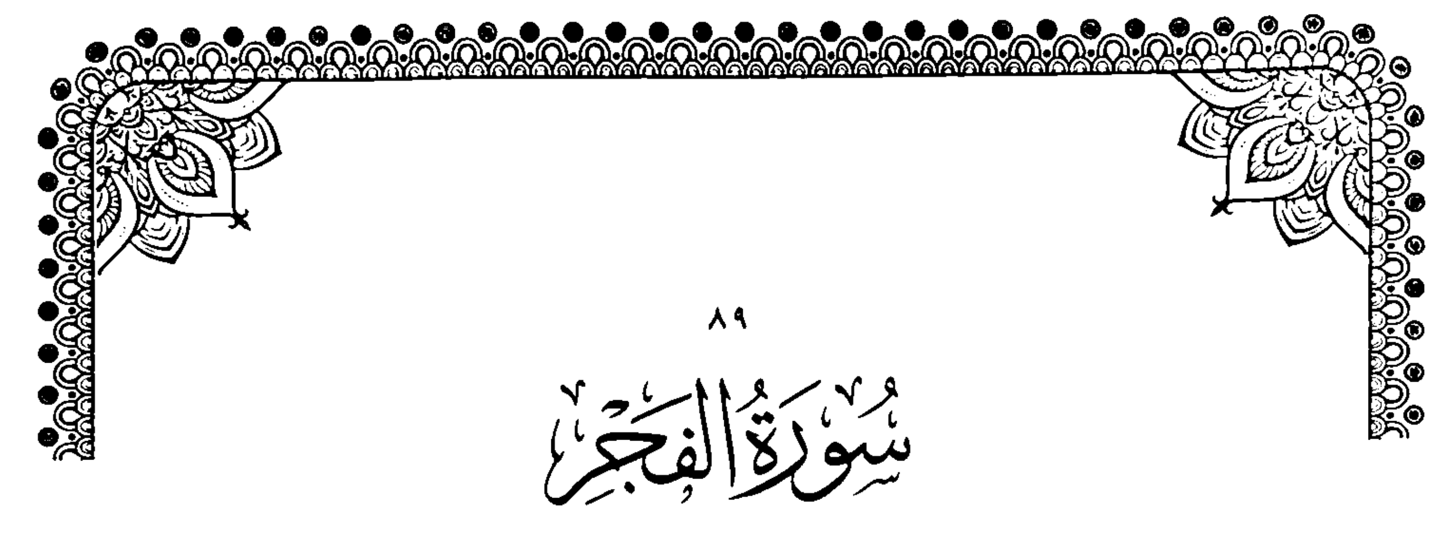
قولُهُ: (جَزَاءَهُم) وتقديمُ الخبرِ للتَّخصيصِ، والمبالغةِ في الوعيدِ، والله تعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) كذا هنا والصواب: وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد. انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٢٣).

(٢) وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن عباس وزيد بن أسلم وقتادة وزيد بن علي، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥١١).



٨٩

سورة الفجر

مكية أو مدنية، ثلاثون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والفَجرِ﴾ أي: فجرِ كُلّ يوم، ٢ ـ ﴿ولَيالٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذِي الحِجّة، ٣ ـ ﴿والشَّفعِ﴾: الزوجِ ﴿والوَتْرِ﴾، بفتح الواو وكسرها ....

سورة الفجر

قولُهُ: (أي: فَجرِ كُلِّ يَومٍ) أو فجرِ عرفةَ، أو النَّحرِ، وعن ابن عبَّاسٍ[1] قال: الفجرُ: (المحرَّمُ)[2] هو فَجرُ السَّنَةِ.

قولُهُ: (عَشرِ ذِي الحِجَّةِ) كما أخرجَهُ أحمدُ والنَّسائيُّ عن جابرٍ مرفوعاً[3]، وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّه العَشرُ الأواخرُ من رمضانَ[4].

قولُهُ: (الزَّوجِ) وصحَّ عنه ﷺ: «أنَّ الشَّفعَ يومُ الأضحَى، والوترَ يومُ عرَفَةَ»[5].

قولُهُ: (وكَسرِهَا) حمزةُ والكسائيُّ[6].

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٩٤)، وابن عساكر «تاريخ دمشق» (١/ ٥٢).

(٢) أي: شهر المحرم.

(٣) روى النسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٠٨)، وأحمد في «مسنده» (١٤٥١١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٥١٧) عن جابر، قال رسول الله ﷺ: ﴿والفجر وليال عشر﴾، قال: «عشر الأضحى، والوتر يوم عرفة، والشفع يوم النحر».

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

(٤) رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٢).

(٥) جاء ذلك في حديث جابر المتقدم.

(٦) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٩).

لغتانِ: الفردِ، ٤ ـ ﴿والليلِ إذا يَسْرِ﴾ مُقبلاً ومُدبرًا ـ ٥ ـ ﴿هَل في ذلِكَ﴾ القسمِ ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجرٍ﴾: عقل؟ وجوابُ القسم محذوف أي: لتُعذَّبُنَّ، يا كُفّارَ مكّة.

٦ ـ ٧ ـ ﴿ألَم تَرَ﴾: تعلمْ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ، إرَمَ﴾ ـ هي عادٌ الأُولى. فإرمَ: عطف بيان أو بدل، ومُنعَ الصرفَ للعلميّة والتأنيث ـ ﴿ذاتِ العِمادِ﴾، أي: الطولِ، كان طول الطويل منهم أربعَمِائَةِ ذراع، ٨ ـ ﴿الَّتي لَم يُخلَقْ مِثلُها في البِلادِ﴾ في بطشهم وقُوّتهم، ٩ ـ ﴿وثَمُودَ الَّذِينَ جابُوا﴾: قطعوا ﴿الصَّخرَ﴾: جمع صخرة واتّخذوها بُيوتًا ﴿بِالوادِ﴾: وادي القُرى، ١٠ ـ ﴿وفِرعَونَ ذِي الأوتادِ﴾ ـ كان يَتِدُ أربعة أوتاد، يشدّ إليها يدَي ورجلَي مَن يُعذّبه ـ ١١ ـ ١٢ ـ ﴿الَّذِينَ طَغَوا﴾: تجبّروا ﴿في البِلادِ، فأكثَرُوا فِيها الفَسادَ﴾: القتل وغيره، ١٣ ـ ١٤ ـ ﴿فصَبَّ عَلَيهِم رَبُّكَ سَوطَ﴾: نوعَ

قولُهُ: (الفَردِ) يعني: الأشياءَ كلَّها شفعَها ووترَها، أو شَفْعَ الصَّلاةِ ووترَها.

قولُهُ: (مُقبِلاً ومُدبِراً) والتَّقييدُ بذلك لما في التَّعاقُبِ من قوَّةِ الدَّلالةِ على كمالِ القُدرةِ ووفورِ النِّعمَةِ، وحذفُ الياءِ للاكتفاءِ بالكسرةِ تخفيفاً، وقد خصَّهُ نافعٌ وأبو عَمرو بالوقفِ لمراعاةِ الفواصلِ، ولم يحذِفها ابنُ كثيرٍ أصلاً[1].

قولُهُ: (القَسَمِ) أي: إقسامِ الله، أو المقسَمِ به.

وقولُهُ تعالَى: (﴿قَسَم﴾) أي: حَلِفٌ، أو محلوفٌ به.

قولُهُ: (عَقْلٍ) يعتبرُهُ ويؤكِّدُ به ما يريدُ تحقيقَهُ، وسمِّيَ العقلُ به؛ لأنَّهُ يحجرُ عمَّا لا ينبغِي، كما سمِّي عقلاً ونُهيَةً.

قولُهُ: (مَحذُوفٌ) أو: ﴿إنَّ رَبَّكَ لَبالمِرصَاد﴾.

قولُهُ: (عَادٌ الأُولَى) يعني: أولادَ عادِ بن عوص بن إرَمَ بن سامِ بن نُوحٍ، قومِ هودٍ عليهِ السَّلام سمُّوا باسمِ أبيهِم.

قولُهُ: (عَطفُ بَيَانٍ) على تقديرِ مُضافٍ؛ أي: سِبطَ إرَمَ.

قولُهُ: (أي: الطولِ) أي: القُدودِ الطِّوالِ.

قولُهُ: (وغيرِهِ) من الكُفرِ والظُّلمِ.

قولُهُ: (نَوع) قيل: شُبِّهَ بالسَّوطِ ما أُحلَّ بهم في الدُّنيا؛ إشعاراً بأنَّه بالقياسِ إلى ما أعدَّ لهم في الآخرَةِ من العذابِ، كالسَّوطِ إذا قيسَ إلى السَّيفِ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٣).

﴿عَذابٍ ـ إنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرصادِ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء ليُجازيَهم عليها.

١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ﴿فأمّا الإنسانُ﴾ الكافر، ﴿إذا ما ابتَلاهُ﴾: اختبره ﴿رَبُّهُ فأكرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿ونَعَّمَهُ، فيَقُولُ: رَبِّيَ أكرَمَنِ. وأمّا إذا ما ابتَلاهُ فقَدَرَ﴾: ضيّق ﴿علَيهِ رِزقَهُ، فيَقُولُ: رَبِّيَ أهانَنِ. كَلاّ﴾: ردعٌ، أي: ليس الإكرامُ بالغنى والإهانةُ بالفقر، وإنما هما بالطاعة والمعصية. وكُفّار مكّة لا يتنبهون لذلك. ﴿بَل لا يُكرِمُونَ اليَتِيمَ﴾ لا يُحسنون إليه مع غِناهم، أو لا يُعطونه حقّه من الميراث، ١٨ ـ ١٩ ـ ﴿ولا يَحُضُّونَ﴾ أنفُسَهم ولا غيرهم ﴿علَى طَعامِ﴾ أي: إطعام ﴿المِسكِينِ، ويأكُلُونَ التُّراثَ﴾: المِيراثَ ﴿أكلاً لَمًّا﴾ أي: شديدًا، للَمِّهِم نصيبَ النِّساء والصِّبيان من المِيراث مع نصيبهم منه، أو مع مالِهِم، ٢٠ ـ ﴿ويُحِبُّونَ المالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي: كثيرًا، فلا يُنفقون. وفي قراءة بالفَوقانيّة، في الأفعال الأربعة.

قولُهُ: (يَرصُدُ) أي: بالمكانِ الذي يترتَّبُ فيه الرَّصدُ، وفي «القامُوسِ»[١]: المِرصاد: الطَّريقُ، والمكانُ يُرصَدُ فيه العدُوُّ؛ أي: يُرْقَب، وهو تمثيلٌ لإرصادِهِ العُصاةَ بالعِقابِ، ولذا فسَّرَهُ ابنُ عبَّاسٍ[٢] بقولِهِ: أي: يسمَعُ ويَرى.

قولُهُ: (الكَافِرُ) قالَ ابنُ جريجٍ: نزلَتْ في أُميَّةَ بن خلفٍ، أخرجَهُ ابنُ أبي حاتِمٍ، كذا في «المبهمات»[٣].

قولُهُ: (اختبَرَهُ) بالغِنى واليُسرِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِ)كالجاهِ والصِّحَّةِ.

قولُهُ: (ضَيَّقَ) وقرأ الشَّاميُّ بالتَّشديدِ[٤].

قولُهُ: (لَيسَ الإِكرَامُ) أي: المعتبَرُ الإلهيُّ.

قولُهُ: (المِيرَاثِ) وأصلُهُ: وراثٌ.

قولُهُ: (أي: شَدِيداً) أو إذا جمعَ بين الحَلالِ والحرامِ.

قولُهُ: (أو مَعَ مَالِهِم) أو يأكلونَ ما جمعهُ المورِّثُ من حلالٍ وحرامٍ عالمينَ بذلك.

قولُهُ: (وَفِي قِرَاءَةٍ) لغيرِ البصريِّ[٥].

قولُهُ: (فِي الأَفعَالِ الأَربَعَةِ) إلا أنَّ الكوفيَّ: ﴿تَحَاضُّونَ﴾ بحذفِ إحدى التَّاءينِ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٢٨٢).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٩١٢).

(٣) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٧).

(٤) انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٩)، و«تحبير التيسير في القراءات العشر» (ص: ٦١٢).

(٥) هذا وما بعده، انظر: «العنوان في القراءات السبع» (ص: ٢٠٩).

٢١ ـ ﴿كَلَّآ﴾: ردعٌ لهم عن ذلك، ﴿إذا دُكَّتِ الأرضُ دَكًّا دَكًّا﴾: زُلزِلَتْ حتّى ينهدمَ كُلّ بناء عليها وينعدم، ٢٢ ـ ﴿وجاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمرُه ﴿والمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾: حالٌ أي: مُصطفّين أو ذوي صُفوف كثيرة، ٢٣ ـ ﴿وجِيءَ يَومَئذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تُقاد بسبعينَ ألفَ زِمامٍ، كُلُّ زِمام بأيدي سبعينَ ألفَ ملَك، لها زفير وتغيّظ، ﴿يَومَئذٍ﴾: بدلٌ من «إذا»، وجوابُها: ﴿يَتَذَكَّرُ الإنسانُ﴾ أي: الكافر ما فرّط فيه ـ ﴿وأنّى لَهُ الذِّكرَى﴾؟ استفهامٌ بمعنى النفي، أي: لا ينفعه تذكُّره ذلك ـ ٢٤ ـ ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكّره: ﴿يا﴾: للتنبيه ﴿لَيتَنِي قَدَّمتُ﴾..........................

قولُهُ: (رَدعٌ) وما بعدَهُ وعيدٌ عليه.

قولُهُ: (كُلُّ بِناءٍ) بل كُلِّ جبلٍ، والمعنى: دكًّا بعد دكٍّ.

قولُهُ: (أي: أَمْرُهُ) أو ظهرَتْ آياتُ قُدرتهِ وآثارُ قهرِهِ وعظمَتِهِ، مثَّل ذلك بما يظهَرُ عندَ حُضورِ السُّلطانِ من آثارِ هيبتِهِ وسياستِهِ، ويمكنُ أن يكونَ كنايةً عن تجلِّي الرَّبِّ بوصفِ القهاريَّةِ والجلاليَّةِ.

قولُهُ: (أي: المَلائِكَةُ) يعني: المرادُ بـ﴿المَلَكُ﴾: الجنسُ.

قولُهُ: (ذَوِي صُفُوفٍ) بحسَبِ منازلِهِم.

قولُهُ: (تُقَادُ) رَوى مسلِمٌ بمعناه(١).

قولُهُ: (أي: الكَافِرُ) الظَّاهرُ أنَّه أعمُّ؛ يعني: يتذكَّرُ معاصيَهُ، أو يتَّعظُ؛ لأنَّه يعلمُ قُبحها فيندَمُ عليها.

قولُهُ: (أي: لا يَنفَعُهُ) فالتَّقديرُ: أنَّى له منفعةُ الذِّكرى؛ لئلا يُناقضَ ما قبله، قالَ القاضِي(٢): واستُدلَّ به على عدمِ وجوبِ قبولِ التَّوبةِ، فإنَّ هذا التَّذكُّرَ توبةٌ غير مقبولَةٍ، قلتُ: من شرائطِ صحَّةِ التَّوبةِ وجودُ الغَيبِ وعدمُ العيانِ، فإنَّ توبَةَ اليأسِ غيرُ مقبولةٍ بالإجماعِ، وقالَ ﷺ: «إنَّ اللهَ يقبَلُ توبَةَ العَبدِ ما لَم يُغرغِر»(٣)، وقالَ تعالَى: ﴿ولَيسَتِ التَّوبَةُ لِلَّذِينَ يَعمَلُونَ السَّيِّئاتِ﴾الآية [النساء: ١٨]، وأمَّا وجوبُ القَبولِ فليسَ مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ، نعم إذا وُجدت وتحقَّقَت شرائطُ صحَّةِ التَّوبةِ يمتنعُ عدمُ القبُولِ للزُومِ التَّخلُّفِ في خبرِهِ تعالى بقولِهِ: ﴿وهوَ الذي يَقبَلُ التَّوبَةَ عن عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥]، والله تعالى أعلمُ.

---

(١) روى مسلم (٢٨٤٢) عن عبد الله، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها».

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣١١).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٦١٦٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٦٠٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٥٩) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

الخيرَ والإيمان ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيّبة في الآخرةِ، أو وقتِ حياتي في الدنيا.

٢٥ - ﴿فيَومَئِذٍ لا يُعَذِّبُ﴾، بكسر الذال، ﴿عَذابَهُ﴾ أي: اللهِ ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يَكِلُه إلى غيره، ٢٦ - ﴿وَ﴾ كذا ﴿لا يُوثِقُ﴾، بكسر الثاء، ﴿وَثاقَهُ أَحَدٌ﴾. وفي قراءة بفتح الذال والثاء، فضمير «عذابَه» «ووثاقَه» للكافر، والمعنى: لا يُعذَّب أحدٌ مِثلَ تعذيبه، ولا يُوثَق مثلَ إيثاقه.

٢٧ - ﴿يا أَيَّتُها النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ﴾: الآمنةُ - وهي المُؤمنة - ٢٨ - ﴿ارجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ - يقال لها ذلك عند الموت - أي: ارجعي إلى أمره وإرادته، ﴿راضِيةً﴾ بالثواب ﴿مَرضِيَّةً﴾ عِند الله بعملك، أي: جامعةً بين الوصفين - وهما حالان - ويقال لها في القِيامة: ٢٩ - ﴿فادخُلِي في﴾ جُملة ﴿عِبادِي﴾ الصالحين ٣٠ - ﴿وادخُلِي جَنّتِي﴾ معهم.

قولُهُ: (الخَيرَ والإِيمَانَ) الأولى: تقديمُ الإيمانِ.

قولُهُ: (الطَّيِّبَةِ)؛ أي: لحياتي هذه، قالَ القاضِي[1]: وليسَ في هذا التَّمنِّي دَلالَةٌ على استقلالِ العَبدِ بفعله، فإنَّ المحجورَ عن الشَّيءِ قد يتمنَّى أن كان مُمكَّناً فيه، قلت: قالَ تعالَى: ﴿ومَن كانَ في هَٰذِهِ أَعمَى فَهوَ في الآخِرَةِ أَعمَى﴾ [الإسراء: ٧٢].

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَةٍ) للكِسائيِّ[2].

قولُهُ: (الآمِنَة) التي لا يستفِزُّها خَوفٌ ولا حُزنٌ، وقد قرئَ بهما[3]، و﴿المطمَئِنَّة﴾ التي اطمأنَّتْ بذكرِ اللهِ، أو إلى الحقِّ، وقيل: هي العارفَةُ بالله تعالى التي لا تصبِرُ عنه طَرفَةَ عينٍ، وقيل: ﴿يا أَيَّتُهَا النَّفسُ المطمَئِنَّة﴾ بالدُّنيا ﴿ارجِعِي إلى رَبِّكِ﴾ بتركِها.

قولُهُ: (إلى أَمرِهِ) أو موعِدِهِ بالموتِ، أو بالبعثِ.

قولُهُ: (جُملَة) أو أجسادِ عبادِي التي فارَقْتِ عنها، والله أعلمُ.

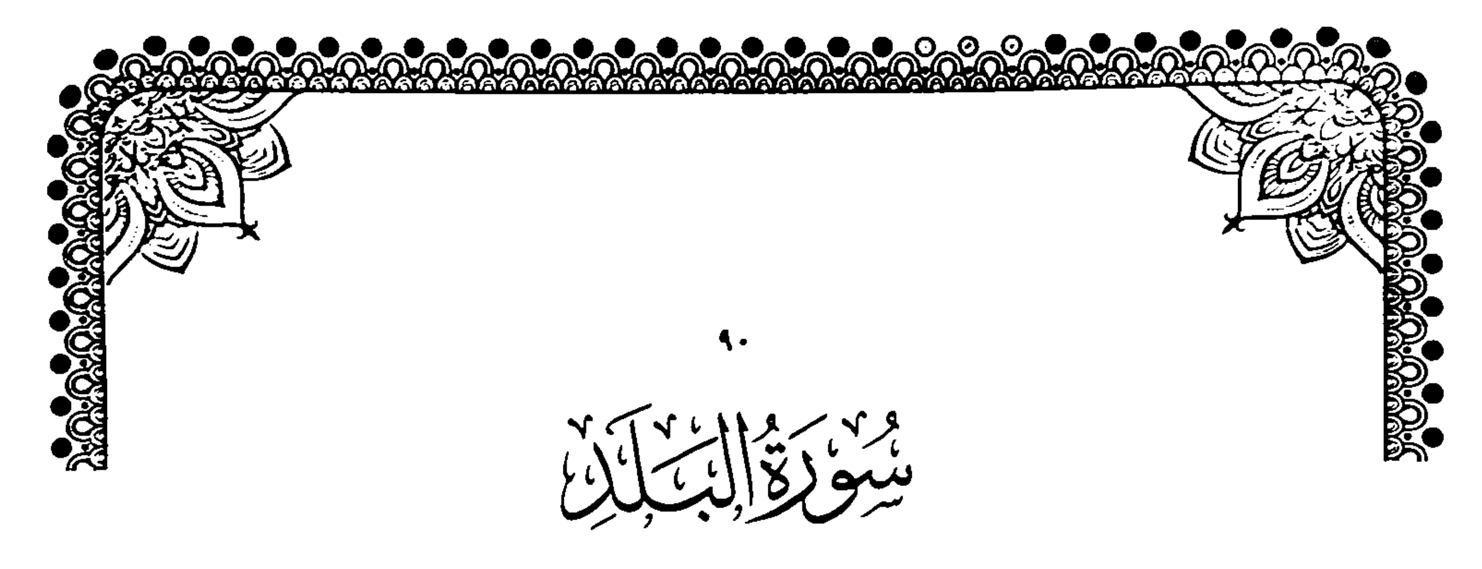
* * *

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣١١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٥).

(٣) أي: (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة)، وهي قراءة شاذة، ونسبت لأبي بن كعب رضي الله عنه، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٧٤).



٩٠

سُورَةُ البَلَدِ

مكية، عشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿لا﴾: زائدةٌ ﴿أُقسِمُ بِهذا البَلَدِ﴾ مكّةَ ـ ٢ ـ ﴿وأنتَ﴾ يا مُحمّدُ ﴿حِلٌّ﴾: حلالٌ ﴿بِهذا البَلَدِ﴾ بأن يَحِلَّ لك فتُقاتِلَ فيه. وقد أنجز الله له هذا الوعدَ يوم الفتح. فالجملة اعتراض بين المُقسَم به وما عطف عليه ـ ٣ ـ ﴿ووالِدٍ﴾ أي: آدمَ ﴿وما وَلَدَ﴾ أي: ذُرِّيَّتِه. وما: بمعنى: مَن. ٤ ـ ﴿لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ أي: الجِنسَ ﴿في كَبَدٍ﴾: نصَبٍ وشِدّة يُكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

٥ ـ ﴿أيَحسِبُ﴾، أي: أيظنّ الإنسانُ قويُّ قُريشٍ ـ...

سُورَةُ البَلَدِ

قولُهُ: (اعتِرَاضٌ) أو أقسمَ سبحانَهُ بالبلدِ الحرامِ، وقيَّدهُ بحلولِ الرَّسولِ فيه عليهِ السَّلام، إظهاراً لمزيدِ فضلِ البلدِ، وإشعاراً بأنَّ شرفَ المكانِ بشرفِ المكينِ.

قولُهُ: (أي: آدَمَ) أو إبراهيمَ.

قولُهُ: (أي: ذُرِّيتِهِ) أو محمَّدٍ، والتَّنكيرُ للتَّعظيمِ، وإيثارُ ﴿مَا﴾ على من لمعنى التَّعجُّبِ؛ أي: مولوداً عجيبَ الشَّأنِ.

قولُهُ: (نَصَبٍ) أي: تعَبٍ ومشقَّةٍ.

قولُهُ: (مَصَائِبَ الدُّنيَا) مبدأُها ظلمَةُ الرَّحمِ ومضيقُهُ، ومُنتَهاها الموتُ وما بعدَه.

قولُهُ: (الإنسَانُ) أي: البَعضُ الذي كانَ يغترُّ بقوَّتِهِ.

وهو أبو الأشُدِّينِ كَلَدةُ ـ بقوّته ﴿أنْ﴾: مُخفّفةٌ من الثقيلة واسمها محذوف، أي: أنّه ﴿لَن يَقدِرَ عليهِ أَحَدٌ﴾ واللهُ قادر عليه، ٦ ـ ﴿يَقُولُ: أهلَكتُ﴾ على عداوة مُحمّد ﴿مالاً لُبَدًا﴾: كثيرًا بعضَه على بعض؟ ٧ ـ ﴿أيحسِبُ أنْ﴾ أي: أنّه ﴿لَم يَرَهُ أحَدٌ﴾ فيما أنفقه فيعلمَ قدرَه؟ واللهُ عالم بقدره وأنه ليس ممّا يُتكثّر به، ومُجازيه على فِعله السيّئ. ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ﴿ألَم نَجعَلْ﴾ ـ استفهامُ تقرير ـ أي: جعلنا ﴿لَهُ عَينَينِ، ولِسانًا وشَفَتَينِ، وهَدَيناهُ النَّجدَينِ﴾: بيّنّا له طريقَي الخير والشرّ؟

١١ ـ ﴿فلا﴾: فهلاّ ﴿اقتَحَمَ العَقبَةَ﴾: جازَها ـ ١٢ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمَك: ﴿ما العَقَبةُ﴾ التي يقتحمها؟ تعظيمٌ لشأنها، والجملة: اعتراض ـ وبَيَّنَ سبب جوازها بقوله: ١٣ ـ ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ من الرّقّ بأن أعتقها، ١٤ ـ ﴿أو أطعَمَ في يَومٍ ذِي مَسغَبةٍ﴾: مجاعةٍ ١٥ ـ ﴿يَتِيمًا ذا مَقرَبةٍ﴾: قرابة، ١٦ ـ ﴿أو مِسكِينًا ذا مَترَبةٍ﴾ أي: لُصوقٍ بالتراب لفقره ـ وفي قِراءةٍ بدلَ الفعلين مصدرانِ مرفوعان مُضافٌ الأوّلُ لرقبة، ومُنوّنٌ الثاني..

قولُهُ: (وهوَ أبُو الأشُدِّينِ[1]) بفتحِ الهمزَةِ وضمِّ المعجمةِ وتشديدِ المهملةِ المفتوحَةِ، كان يُبسط تحتَ قدميهِ أديمٌ، ويجذبهُ عشرَة فيُقطَعُ ولا تزلُّ قَدَماهُ[2]؛ أو المرادُ بالإنسانِ: الجنسُ.

قولُهُ: (بقُوَّتِهِ) الباءُ للسَّببيَّة مُتعلِّقٌ بـ﴿يظن﴾.

قولُهُ: (على عَدَاوَةِ مُحَمَّد) أو سمعةً ومفاخرةً.

قولُهُ: (طَرِيقتي الخَيرِ) أو الثَّديينِ.

قولُهُ: (فَهلَّا) لا يُعرفُ لا بمعنَى: (هَلا)، فالصَّوابُ: أنَّ لا نافيَةٌ، والمعنى: فلم يشكُرْ تلك النِّعمَ باقتحامِ العقبَةِ وهو الدُّخولُ في أمرٍ شديدٍ، والعقبَةُ: الطَّريقُ في الجبلِ، استعارَها لمَّا فسَّرَها به من الفكِّ والإطعامِ.

قولُهُ: (تَعظِيمٌ لشَأنِهَا) أي: أنَّك لم تَدرِ كُنْهَ صعوبَتِها وثوابِها.

قولُهُ: (وبَيَّنَ سَبَبَ جَوازِهَا) يعني: ﴿فَكُّ﴾ بدلٌ، أو عطفُ بيانٍ لقولِهِ: ﴿اقتَحَمَ﴾.

قولُهُ: (لفَقرِهِ) يؤيِّدُ القولَ بأنَّ المسكينَ أسوأ حالاً من الفقيرِ، وهو مذهَبُنا[3].

قولُهُ: (وفِي قِرَاءَة) لنافعٍ وشاميٍّ وعاصمٍ وحمزةَ[4].

---

(١) هو: كلدة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح أبو الأشدين، مات كافراً. «الإكمال في رفع الارتياب» لابن ماكولا (١/ ٦٦).

(٢) انظر: «الكشف والبيان» (٢٩/ ٣٨٧)، و«معالم التنزيل» (٥/ ٢٥٥).

(٣) انظر: «المبسوط» (٣/ ٨).

(٤) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٦).

فيُقدَّر قبل «العقبةُ»: «اقتحامُ». والقِراءة المذكورة بيانُه ـ ١٧ ـ ﴿ثُمَّ كانَ﴾: عطفٌ على «اقتحم» وثمّ: للترتيب الذِّكريّ، والمعنى: كان وقتَ الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وتَواصَوا﴾ أي: وصّى بعضُهم بعضًا ﴿بِالصَّبرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية ﴿وتَواصَوا بِالمَرحَمةِ﴾: بالرحمة على الخلق. ١٨ ـ ﴿أُولئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أصحابُ المَيمَنةِ﴾: اليمين، ١٩ ـ ﴿والَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِنا هُم أصحابُ المَشْأَمةِ﴾: الشِّمال، ٢٠ ـ ﴿علَيهِم نارٌ مُؤصَدةٌ﴾، بالهمز وبالواو بدلَه: مُطْبَقة.

قولُهُ: (قَبلَ «العَقَبَةُ») أي: الثَّانيةِ.

قولُهُ: (اقتِحَامٌ) وهذا التَّقديرُ غيرُ ضروريٍّ.

قولُهُ: (للتَّرتِيبِ الذِّكرِيِّ) بل لتباعُدِ الإيمانِ عن العِتقِ والإطعامِ في الرُّتبةِ لاستقلالِهِ واشتراطِ سائرِ الطَّاعاتِ به.

قولُهُ: (وعَنِ المَعصِيَة) وفي المصيبَةِ.

قولُهُ: (الرَّحمَةِ) فكانوا جامِعينَ بين التَّعظيمِ لأمرِ الله، والشَّفقَةِ على خَلقِ الله، والصَّالِحون القائِمون بحقوقِ الله وحقوقِ العبادِ.

قولُهُ: (اليَمِينِ) أو اليُمنِ.

قولُهُ: (الشِّمَالِ) أو الشُّؤمِ، قالَ القاضِي[1]: ولتكريرِ ذكرِ المؤمنينَ باسمِ الإشارَةِ، والكفَّار بالضَّميرِ شأنٌ لا يخفَى، وهو أنَّ الإشارةَ تدلُّ على حضُورِهم وقُربِهم عند الله، وأنَّ الضَّميرَ يدلُّ على غيبتِهم وبعدِهم عن اللهِ تعالى، والله أعلم.

قولُهُ: (بالهَمزِ) أبو عَمرو وحَفصٌ، وكذا حمزةُ وقفاً[2].

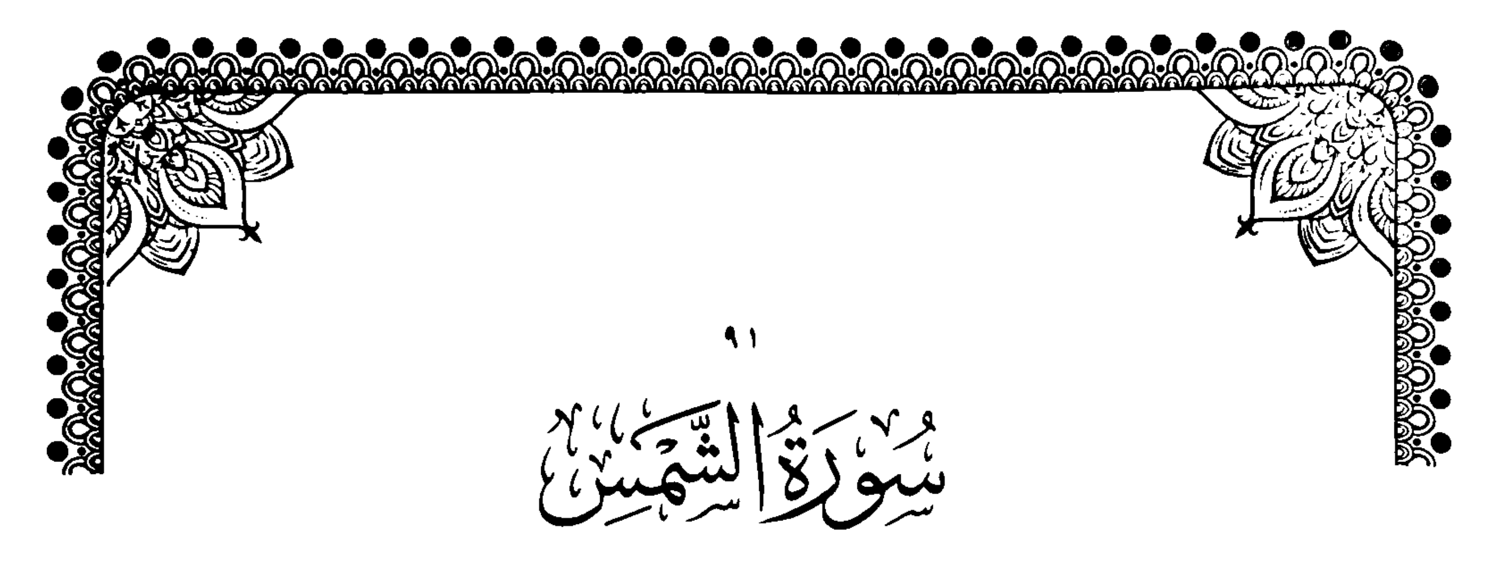
قولُهُ: (بَدَلَهُ) بأنَّهما لغتانِ، أو الثَّاني بالإبدالِ، والله سبحانَهُ وتعالى أعلم.

***

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣١٤).

(٢) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٢٦).



٩١

سُورَةُ الشَّمْسِ

مكية، خمسَ عشْرةَ آيةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والشَّمسِ وضُحاها﴾: ضوئها، ٢ ـ ﴿والقَمَرِ إذا تَلاها﴾: تبعها طالعًا عند غُروبها، ٣ ـ ﴿والنَّهارِ إذا جَلاّها﴾ بارتفاعه، ٤ ـ ﴿واللَّيلِ إذا يَغشاها﴾: يُغطّيها بظُلمته ـ «وإذا» في الثلاثة لمُجرّد الظرفيّة، والعامل فيها فِعل القسم ـ ٥ ـ ٦ ـ ﴿والسَّماءِ وما بَناها، والأرضِ وما طَحاها﴾: بسَطَها، ٧ ـ ﴿ونَفْسٍ﴾ بمعنَى: نُفوس ﴿وما سَوّاها﴾ في الخِلقة ـ «وما» في الثلاثة: مصدريّة.................

سُورَةُ الشَّمْسِ

قولُهُ: (ضَوئِهَا) إذا أشرَقَت.

قولُهُ: (تَبِعَهَا) أي: تَلا طلوعُهُ غروبَها ليلَةَ البَدرِ، أو طلوعَها أوَّلَ الشَّهرِ، أو تلاهَا في الاستدارَةِ وكمالِ النُّورِ.

قولُهُ: (بارتِفَاعِهِ) يعني: جلَّى الشَّمسَ، فإنَّها تتجَلَّى إذا انبسَطَ النَّهارُ فيكونُ الإسنادُ مَجازيًّا، أو الظُّلمةَ أو الدُّنيا، أو الأرضَ وإن لم يجرِ ذكرُها للعِلمِ بها.

قولُهُ: (يُغَطِّيهَا) أي: يُغَطِّي ضوءَها، أو الآفاقَ، أو الأرضَ، ولعلَّ العدُولَ عن الماضِي مراعاةٌ للفَاصِلةِ.

قولُهُ: (بمَعنَى: نُفُوسٍ) يعني: التَّنكيرُ للتَّكثيرِ كما في قولِهِ: ﴿عَلِمَت نَفسٌ﴾ [التكوير: ١٤]، أو للتَّعظيمِ، والمرادُ: نفسُ آدَمَ.

قولُهُ: (مَصدَرِيَّةٌ) فيه أنَّها تجرِّدُ الفعلَ عن الفاعلِ، وتُخلُّ بنَظمِ قولِهِ: ﴿فَأَلهَمَهَا﴾ بقولِهِ: ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾، إلا أن يُضمرَ فيه اسمُ الله تعالى للعلمِ به.

أو بمعنى: مَن - ٨ - ﴿فألهَمَها فُجُورَها وتَقْواها﴾: بيَّنَ لها طريقَي الخير والشرّ - وأُخّر التقوى رِعايةً لرؤوس الآي - وجوابُ القسم: ٩ - ﴿قَد أفلَحَ﴾، حُذفتْ منه اللام لطُول الكلام، ﴿مَن زَكّاها﴾: طهّرها من الذنوب، ١٠ - ﴿وقَد خابَ﴾: خسر ﴿مَن دَسّاها﴾: أخفاها بالمَعصية. وأصله «دَسَّسَها» أُبدلت السين الثانية ألفًا تخفيفًا.

١١ - ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رسولَها صالحًا ﴿بِطَغواها﴾ بسبب طُغيانها، ١٢ - ﴿إذِ انبَعَثَ﴾: أسرع ﴿أشقاها﴾، واسمُه قُدارٌ إلى عَقر الناقة برِضاهم، ١٣ - ﴿فقالَ لَهُم رَسُولُ اللهِ﴾ صالحٌ: ﴿ناقةَ اللهِ﴾، أي: ذَرُوها ﴿وسُقياها﴾: وشِربَها في يومها. وكان لها يوم ولهم يوم.

١٤ - ﴿فكَذَّبُوهُ﴾ في قولِه ذلك عن الله المُرتّبِ عليه نُزولُ العذاب بهم، إن خالفوه، ﴿فعَقَرُوها﴾: قتلوها ليسلم لهم ماء شِربها، ﴿فدَمدَمَ﴾: أطبقَ ﴿علَيهِم رَبُّهُم﴾ العذابَ ﴿بِذَنبِهِم فسَوّاها﴾ أي: الدمدمةَ عليهم، أي: عَمَّهم بها فلم يُفلِتْ منهم أحد، ١٥ - ﴿ولا﴾ - بالواو والفاء - ﴿يَخافُ﴾ تعالى ﴿عُقباها﴾: تَبِعَتَها.

قولُهُ: (أو بِمَعنَى مَنْ) وإنَّما أوثِرَت ﴿ما﴾؛ لإرادةِ مَعنى الوصفيّةِ المنبئَةِ عن التَّعظيمِ، كأنَّه قيل: والشَّيءِ القادِرِ الذي بناها ودلَّ على وجودِهِ وكمالِ قدرَتِهِ بناؤُها.

قولُهُ: (رِعَايَةً) أو لأنَّ الغالبَ تأخُّرُ التَّقوى، أو للإشعارِ بأنَّ المدارَ على العاقبَةِ.

قولُهُ: (طَهَّرَهَا) أو أنماها بالعلمِ والعمَلِ.

قولُهُ: (بالمَعصِيَة) أو بالجهالَةِ والفسوقِ.

قولُهُ: (بِسَبَبِ طُغيَانِهَا) وأصلُهُ: طَغياً، وإنَّما قلبَت ياؤُهُ واواً؛ تفرقَةً بين الاسمِ والصِّفةِ.

قولُهُ تَعَالَى: (﴿إذِ انبَعَثَ﴾) أي: حينَ قامَ، ظَرف لـ﴿كَذَّبَت﴾.

قولُهُ: (بِرِضَاهُم) وفضلِ شَقاوَتِهِ لتولِّيهِ العقرَ.

قولُهُ: (ذَرُوهَا) واحذَروا عقرَها.

قولُهُ: (وشِربَهَا) ولا تمنعُوها عنها.

قولُهُ: (أي: الدَّمدَمَةَ) أو ثمودَ بالإهلاكِ.

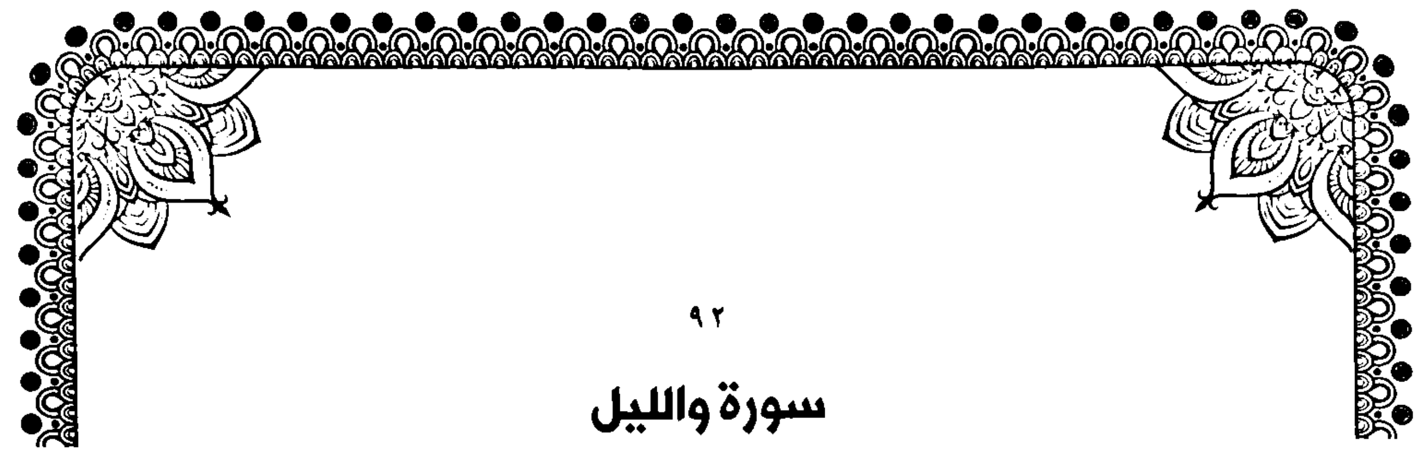
قولُهُ: (بالواوِ) للحالِ.

قولُهُ: (والفَاءِ) للعطفِ، نافعٌ وشاميٌّ[1].

قولُه: (تَبِعَتَهَا) أي: عاقبَةَ الدَّمدمَةِ، أو عاقبَةَ هَلاكِ ثَمودَ، فيُبقيَ بعضَ الإبقاءِ، والله سبحانَهُ وتعالى أعلَمُ.

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٨٩).



٩٢

سورة والليل

مكية، وهي إحدى وعشرون آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿**واللَّيلِ إذا يَغشَى**﴾ بظُلمته كُلّ ما بين السماء والأرض، ٢ ـ ﴿**والنَّهارِ إذا تَجَلَّى**﴾: تكشّفَ وظهر ـ «وإذا» في الموضعين لمُجرّد الظرفيّة، والعاملُ فيها فعل القسم ـ ٣ ـ ﴿**وما**﴾ بمعنى: مَن أو مصدريّة ﴿**خَلَقَ الذَّكَرَ والأُنثَى**﴾ آدمَ وحواءَ أو كُلَّ ذكر وكُلَّ أُنثى ـ والخُنثى المُشكِلُ عِندنا: ذكرٌ أو أُنثى عِند الله تعالى. فيحنَثُ بتكليمه من حلف لا يُكلّم ذكرًا ولا أُنثى ـ ٤ ـ ﴿**إنَّ سَعيَكُم**﴾: عملكم ﴿**لَشَتَّى**﴾: مُختلِفٌ، فعامِلٌ للجنةّ بالطاعة وعاملٌ للنار بالمعصية.

٥ ـ ﴿**فأمّا مَن أعطَى**﴾ حقَّ الله ـ تعالى ـ ﴿**واتَّقَى**﴾ الله،.........................

سُورَةُ اللَّيلِ

قولُهُ: (**كُلَّ ما**) أي: كلَّ ما يواريهِ، أو الشَّمسَ أو النَّهارَ.

قولُهُ: (**وظَهَرَ**) بزوالِ ظلمَةِ اللَّيلِ، أو تبيَّنَ بطلوعِ الشَّمسِ.

قولُهُ: (**بمَعنَى مَنْ**) أي: والقادِرِ الذي خلقَ صنفَي الذَّكرِ والأنثى من كلِّ نوعٍ له توالُدٌ.

قولُهُ: (**أو مَصدَرِيَّةٌ**) أي: وخلقِ اللهِ الذَّكرَ والأنثى.

قولُهُ: (**عَمَلَكُم**) أي: مساعيكُم.

قولُهُ: (**مُختَلِفٌ**) أي: لَأَشتاتٌ مُختلفَةٌ، جمعُ: شتيتٍ.

قولُهُ: (**حَقَّ اللهِ**) أو الطَّاعةَ.

قولُهُ: (**اللهَ**) أو المعصيةَ.

٦ ـ ﴿وصَدَّقَ بِالحُسنَى﴾ أي: بـ«لا إلـٰـهَ إلاّ اللهُ» في الموضعين، ٧ ـ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ﴾: نهيّئه ﴿لِليُسرَى﴾: للجنّة، ٨ ـ ﴿وأمّا مَن بَخِلَ﴾ بحقّ الله ﴿واستَغنَى﴾ عن ثوابه، ٩ ـ ١٠ ـ ﴿وكَذَّبَ بِالحُسنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ﴾: نُهيّئه ﴿لِلعُسرَى﴾: للنار، ١١ ـ ﴿وما﴾: نافية ﴿يُغنِي عَنهُ مالُهُ إذا تَرَدَّى﴾ في النار.

١٢ ـ ﴿إنَّ عَلَينا لَلهُدَى﴾: لَتَبيينَ طريقِ الهُدى من طريق الضلال، ليُمتثل أمرُنا بسُلوك الأوّل ونهيُنا عن ارتكاب الثاني، ١٣ ـ ﴿وإنَّ لَنا لَلآخِرةَ والأُولَى﴾ أي: الدنيا. فمَن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

١٤ ـ ﴿فأنذَرتُكُم﴾: خوّفتكم، يا أهلَ مكّةَ، ﴿نارًا تَلَظَّى﴾ ـ بحذف إحدى التاءين من الأصل، وقُرئ بثبوتها ـ أي: تتوقّدُ، ١٥ ـ ﴿لا يَصلاها﴾: يدخلُها ﴿إلاّ الأشقَى﴾ بمعنى: الشقيّ، ١٦ ـ ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ النبيَّ ﴿وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. وهذا الحصر مُؤوّل لقوله تعالى: «ويَغفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَن يَشاءُ». فيكون المراد الصُّلِيَّ المُؤبّد.

قولُهُ: (أي: بِلا إلَهَ إلا اللهُ) يعني: بالكلمَةِ الحسنى، ولعلَّ التَّرتيبَ الذكريَّ للتَّرقِّي.

قولُهُ: (للجَنَّةِ) أي: فسنهيِّئُهُ للخَلَّةِ التي تؤدِّي إلى يُسرٍ وراحَةٍ كدخولِ الجنَّةِ.

قولُهُ: (بحَقِّ اللهِ) أو بما أمرَ به.

قولُهُ: (عن ثَوَابِهِ) أي: بشهواتِ الدُّنيا عن نعيمِ العُقبى، أو استَغنى بمالِهِ عن التَّقوى.

قولُهُ: (نَافِيَةٌ) أو استفهاميَّةٌ إنكاريَّةٌ.

قولُهُ: (في النَّارِ) أي: سَقطَ فيها، أو في القَبرِ، أو هلكَ، تفعُّلٌ من الرَّدى؛ أي: الهلاكِ.

قولُهُ: (أي: الدُّنيَا) فنُعطِي في الدَّارينِ ما نشاءُ لمن نشاءُ.

قولُهُ: (فَقَد أَخطَأ) أي: الطَّريقَ حيثُ طلبها من غيرِ مالكِها.

قولُهُ: (بثُبُوتِهَا) وقرأ البزِّي بتشديدِها وَصلاً[1].

قولُهُ: (أي: تَتَوَقَّدُ) وتتلهَّبُ.

قولُهُ: (بمَعنَى: الشَّقِي) أو أميَّةُ بنُ خَلَفٍ، أخرجَهُ ابنُ أبي حاتِمٍ عن ابن مَسعودٍ[2]، وقيل: أبو جهلٍ، أو المعنى: لا يلزَمُها مقاسياً شدَّتَها إلا الكافِرُ، فإنَّ الفاسِقَ وإن دخلها لا يلزَمُها.

قولُهُ: (النَّبيَّ) أو الحَقَّ.

قولُهُ: (عَنِ الإِيمَانِ) أو أعرَضَ عن الطَّاعَة.

---

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٢٦).

(٢) ذكره السيوطي في «مفحمات الأقران» (ص: ١١٨).

١٧ ـ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا﴾: يُبعَدُ عنها ﴿الأتقى﴾ بمعنَى: التقيّ ١٨ ـ ﴿الَّذِي يُؤتِي مالَهُ يَتَزَكَّى﴾: مُتزكّيًا به عِند الله تعالى، بأن يُخرجه لله تعالى لا رِياءً ولا سُمعةً، فيكون زاكيًا عند الله تعالى ـ وهذا نزلَ في الصِّدِّيق ط لمّا اشترى بِلالاً المُعذَّب على إيمانه وأعتقَه، فقال الكُفّار: إنما فعل ذلك ليدٍ كانت له عنده. فنزل ـ: ١٩ ـ ٢٠ ـ ﴿وما لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِعْمةٍ تُجزَى. إلاّ﴾: لكن فعلَ ذلك ﴿ابتِغاءَ وَجهِ رَبِّهِ الأعلَى﴾ أي: طلبَ ثوابِ الله. ٢١ ـ ﴿ولَسَوفَ يَرضَى﴾ بما يُعطَى من الثواب في الجنّة. والآية تشمل مَن فعل مِثل فِعله فيُبعَدُ عن النار ويُثاب.

قولُهُ: (بمَعنَى: التَّقِيِّ) أو الذي اتَّقى الشِّركَ والمعاصِي، فإنَّه لا يدخُلُها، فَضْلاً عن أن يدخلها ويَصلاها.

قولُهُ: (مُتَزَكِّياً) إشارَةٌ إلى أنَّ قوله: ﴿يَتَزَكَّى﴾ حالٌ من فاعِل: ﴿يُؤتِي﴾، وقيل: بدلٌ من: ﴿يُؤتِي﴾ قيلَ: الزُّهَّاد هم المتَّقونَ، والأتقى: من تَركها جملَةً وأعرَضَ عنها؛ كالصِّدِّيقِ أعطى الفانيَ وأبقَى لنفسِهِ الباقيَ.

قولُهُ: (بِلالاً) في جماعَةٍ يؤذِيهم[1] المشرِكونَ فأعتَقهُم.

قولُهُ: (لِيَد) أي: لمُكافأةِ نعمَةٍ، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) في (م): «يعذبهم».



٩٣
سورة والضُّحى

مكية، إحدى عشْرةَ آيةً.

ولمّا نزلتْ كبَّر ﷺ آخِرَها، فسُنَّ التكبيرُ آخِرَها.......................................

سُورَةُ الضُّحَى

قولُهُ: (ولَمَّا نَزَلَت كَبَّرَ ﷺ في آخِرِهَا) قالَ الجعبَرِيُّ[1]: وسببُ التَّكبيرِ ما روَينا عن أبي الحسنِ البزِّي بإسنادِهِ أنَّ النَّبي ﷺ أهدِيَ له قطفُ عنبٍ قبلَ أوانِهِ فجاءَهُ سائلٌ فقالَ: أطعمُوني من فضلِ ما رَزقَكُم الله، فأعطاهُ العُنقُودَ، ثمَّ اشتراهُ آخَرُ وأهداهُ له عليهِ السَّلام، ثمَّ عادَ السَّائلُ فأعطاه، ثمَّ اشتراهُ آخَرُ وأهداهُ له، ثمَّ عادَ السَّائلُ فانتهَرَهُ وقال: «مُلِحٌّ» فانقطعَ الوحيُ أربعِينَ صَباحاً، فقالَ المنافِقُون: قَلَى مُحمَّداً ربُّهُ؛ أي: أبغَضَهُ وهجَرَهُ، فجاءَ جبريلُ عليهِ السَّلامُ إلى النَّبي ﷺ وألقى عليهِ: ﴿وَالضُّحَى﴾ إلى آخرِها، فقال النَّبي ﷺ: «الله أكبَرُ»[2] تصديقاً لما كانَ ينتظِرُ الوحيَ وتكذيباً للكُفَّارِ، فكان تكبيرُهُ آخرَ قراءةِ جبريلَ وأوَّلَ قراءتِهِ عليهما السَّلام، ومن هاهُنا انشعَبَ الخِلافُ لاحتِمالِ أن يكونَ لاحِقاً أو سابِقاً أو مُستَقبلاً.

قولُهُ: (فَسُنَّ التَّكبِير) أي: من طريقِ المكيِّينَ، وعملَ به الشَّافعيَّةُ على عمومِ قراءَةِ القرَّاءِ خارجَ الصَّلاةِ وداخِلها، ومذهَبُنا ومذهَبُ القرَّاءِ أنَّه من مُختصَّاتِ قراءَةِ ابن كثيرٍ[3]، وأنَّ الظَّاهِرَ تقييدُهُ بخارِجِ الصَّلاةِ على

---

(١) هو: إبراهيم بن عمر بن إبراهيم بن خليل الجعبري، أبو محمد، ولد بقلعة جعبر على نهر الفرات سنة (٦٤٠هـ)، محقق حاذق ثقة كبيرة، عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية، تلقى العلم ببغداد، ورحل لمدينة الخليل وبقي فيها إلى أن مات، له التصانيف في القراءات والحديث والأصول والعربية والتاريخ. من كتبه: «كنز المعاني شرح حرز الأماني». شرح للشاطبية. ت: (٧٣٢هـ). ينظر: «غاية النهاية في طبقات القراء» (١/ ٢١)، و«بغية الوعاة» (١/ ٤٢٠).
وانظر: «إبراز المعاني من حرز الأماني» (ص: ٧٣٦).

(٢) ذكره ابن الجزري في «النشر في القراءات العشر» (٢/ ٤٠٦) فقال: وروى أحمد بن فرح قال: حدثني ابن أبي بزة بإسناد أن النبي ﷺ، ثم ساقه، ثم قال: وهذا سياق غريب جداً، وهو مما انفرد به ابن أبي بزة أيضاً، وهو معضل.

(٣) قال أبو عمرو الداني في «جامع البيان في القراءات السبع» (٤/ ١٧٤١): قال موسى بن هارون: وقال أحمد بن محمد بن أبي =

ورُوي الأمرُ به خاتمتَها وخاتمةَ كُلِّ سورة بعدها. وهو «الله أكبر»، أو «لا إلٰـهَ إلاّ اللهُ واللهُ أكبرُ».

بسم الله الرحمن الرحيم

منوالِ ما وَرَد[1].

قولُهُ: (ورُوِيَ الأَمرُ بِهِ) فقد أخرَجَ الحاكِمُ وصحَّحَهُ وابنُ مردَويهَ والبيهَقيُّ في «شُعبِ الإيمانِ» مِن طريقِ أبي الحَسنِ البزِّي المقرئ قالَ: سمعتُ عكرمَةَ بن سُليمانَ يقول: قرأتُ على إسماعيلَ بنَ قسطَنطين فلمَّا بلَغتُ: ﴿والضُّحى﴾ قال: كبِّر عند خاتمَةِ كلِّ سورَةٍ حتَّى تختِمَ، فإنِّي قرأتُ على عبدِ الله بن كثيرٍ فلمَّا بلغتُ ﴿والضُّحَى﴾ قالَ: كَبِّر حتَّى تختمَ، وأخبرَهُ عبدُ الله بنُ كثيرٍ أنَّه قرأهُ على مُجاهِدٍ فأمرَهُ بذلك، وأخبرَهُ مُجاهِدٌ أنَّ ابنَ عبَّاسٍ أخبرَهُ بذلك، وأخبرَهُ ابنُ عبَّاسٍ أنَّ أُبيَّ بن كعبٍ أمرَهُ بذلك، وأخبرَهُ أُبيٌّ أنَّ النبيَّ ﷺ أمرَهُ بذلك[2]، أوردهُ المصنِّفُ[3] في «الدُّرِّ المنثُور»[4].

قولُهُ: (خَاتِمَتَهَا) وهو المعتمَدُ، وقال بعضُهُم: من سابِقَتها، وهي خاتمَةُ اللَّيلِ[5].

قولُهُ: (وهُوَ الله أَكبَرُ) وهذا هو المشهورُ عندَ القُرَّاءِ عن البزِّي[6]، ونُقلَ عنهُ أنَّه زادَ قَبلَها: لا إله إلا الله، فقولُ المصنِّفِ: (ولا إله إلا اللهُ، والله أكبَرُ)، ينبغي أن يُحملَ على أنَّ الواوَ بمعنَى: (أو)، أو هو سهوُ قلمٍ من نسخِ الكتابِ، والله أعلمُ بالصَّواب.

= بزة، قال لي أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي: إن تركت التكبير تركت سنة من سنن نبيك ﷺ. ثم قال أبو عمرو: وهذا أتم حديث روي في التكبير وأصح خبر جاء فيه.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٢٣) بعد أن ذكر روايات في التكبير في هذه السورة، قال: فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزي، من ولد القاسم بن أبي بزة، وكان إماماً في القراءات، فأما في الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازي، وقال: لا أحدث عنه، وكذلك أبو جعفر العقيلي قال: هو منكر الحديث. لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة في «شرح الشاطبية» عن الشافعي أنه سمع رجلاً يكبر هذا التكبير في الصلاة، فقال له: أحسنت وأصبت السنة. وهذا يقتضي صحة هذا الحديث.

(١) سيأتي في الحديث التالي.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٥٣٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٩١٣)، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. واعترض عليه الذهبي فقال: البزي قد تكلم فيه.

(٣) المصنف السيوطي من حيث العموم، وإلا فهذا القسم من تأليف المحلي كما هو معروف.

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٨/ ٥٣٩).

(٥) انظر: «إبراز المعاني من حرز الأماني» (ص: ٧٣٨).

(٦) انظر: «الكنز في القراءات العشر» (٢/ ٣٩٦).

١ ـ ﴿والضُّحَى﴾ أي: أوّلِ النهار أو كُلِّه، ٢ ـ ﴿والليلِ إذا سَجا﴾: غطّى بظلامه أو سكنَ، ٣ ـ ﴿ما وَدَّعَكَ﴾: تركك ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿رَبُّكَ وما قَلَى﴾: أبغَضَك ـ نزل هذا لمّا قال الكُفّار عِند تأخر الوحي عنه خمسةَ عشرَ يومًا: إنّ ربّه ودَّعه وقَلاه ـ ٤ ـ ﴿ولَلآخِرةُ خَيرٌ لَكَ﴾ لِما فيها من الكرامات لك ﴿مِنَ الأُولَى﴾ الدنيا، ٥ ـ ﴿ولَسَوفَ يُعطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من الخيرات عطاءً جزيلاً، ﴿فتَرضَى﴾ به. فقال ﷺ: «إذن لا أرضَى وواحِدٌ مِن أُمّتِي في النّارِ». إلى هنا تمّ جواب القسم بمُثبتَين بعد منفِيَّين.

٦ ـ ﴿أَلَم يَجِدْكَ﴾ ـ استفهامُ تقرير ـ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل وِلادتك أو بعدها.......

قولُهُ: (أي: أوَّلِ النَّهارِ) أو وقتِ ارتفاعِ الشَّمسِ، وتخصيصُهُ؛ لأنَّ النَّهارَ يَقوى فيه.

قولُهُ: (غَطَّى) سَجَى ـ بالتَّخفيفِ ـ لازِمٌ، وإنَّما التَّسجيَةُ بمعنى: التَّغطيَةِ.

قولُهُ: (أو سَكَنَ) أي: أهلُهُ، قيل: الضُّحى مقامُ العينِ، واللَّيل مقامُ الغَين.

قولُهُ: (تَرَكَك) أي: تَرْكَ القاطِعِ.

قولُهُ: (لمَا فِيهَا) فإنَّها باقيةٌ خالصَةٌ عن الشَّوائبِ، وهذه فانيَةٌ مشوبَةٌ بالمصائبِ، أو ولَنِهايَةُ أمرِكَ خيرٌ من بدايتِهِ، قال يحيى بن مُعاذٍ: الدُّنيا لا تُنالُ إلَّا بالمشقَّة، والآخرةُ لا تُنالُ إلَّا بالمشقَّة، فاطلُب لنفسِكَ أبقاهُما، وقال الجُنَيد: تركُ الدُّنيا شديدٌ، وفوتُ الآخرةِ أشدُّ[1].

ويمكنُ أن يكونَ المعنى: والحالُ الآخرَةُ خيرٌ لك من الأولى؛ يعني: أنتَ دائماً في التَّرقِّي.

قولُهُ: (فِي الآخِرَةِ) أو أعَمَّ.

قولُهُ: (مِن أُمَّتِي) أي: أمَّةَ الإجابَةِ، وجمعِ اللَّامِ مع سوفَ للدَّلالَةِ على أنَّ العطاءَ كائنٌ لا محالَةَ وإن تأخَّرَ لحكمَةٍ، ولعلَّ المرادَ بالرِّضا: كمالُهُ الذي لا مَزيدَ عليه، فإنَّهُ راضٍ عن الله تعالى دائماً.

قولُهُ: (بفَقدِ أَبِيكَ) إضافَةٌ إلى المفعولِ.

قولُهُ: (قَبلَ وِلادَتِكَ) وذلك أنَّ أباهُ ماتَ وهو جنينٌ قد أتَت عليه ستَّةُ أشهُرٍ، وماتت أمُّه وهو ابنُ ثمانِ سنينَ[2]،...

---

(١) انظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٤٠٠).

(٢) وفي حاشية «الانتصاف على تفسير الزمخشري» لابن المنير الإسكندري (٤/ ٧٦٧): قال السهيلي في «الروض»: أكثر العلماء على أنه عليه الصلاة والسلام توفى أبوه وهو في المهد، كما ذكره الدولابي وغيره، وقال ابن سعد: لا يثبت أنه مات أبوه وهو حمل، ورواه الحاكم من طريق ابن إسحاق: حدثني مطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده أنه ذكر ولادة رسول الله ﷺ، فقال: توفى أبوه وأمه حبلى به، وبذلك جزم ابن إسحاق، وأما سنه عند ما ماتت أمه فجزم ابن إسحاق أنها ماتت =

﴿فآوَى﴾ بأن ضمّك إلى عمّك أبي طالب، ٧ ـ ﴿ووَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عمّا أنت عليه الآن من الشريعة ﴿فهَدَى﴾ أي: هداك إليها، ٨ ـ ﴿ووَجَدَكَ عائلاً﴾: فقيرًا ﴿فأغنَى﴾: أغناك بما قنّعك به من الغنيمة وغيرها؟ وفي الحديث: «لَيسَ الغِنَى عَن كَثرةِ العَرَضِ، ولكِنَّ الغِنَى غِنَى النَّفْسِ».

٩ ـ ﴿فأمّا اليَتِيمَ فلا تَقهَرْ﴾ بأخذ ماله أو غير ذلك، ١٠ ـ ﴿وأمّا السّائلَ فلا تَنهَرْ﴾: تزجُرْه لفقره، ١١ ـ ﴿وأمّا بِنِعْمةِ رَبِّكَ﴾ عليك بالنبوّة وغيرها ﴿فحَدِّثْ﴾: أخبِرْ. وحُذف ضميره ﷺ في بعض الأفعال رِعايةً للفواصل.

كذا في «الكَشَّاف»[1].

قولُهُ: (فَقِيراً) ذا عيالٍ.

قولُهُ: (لفَقرِهِ) ولعَلَّ الأولى أن يكونَ السَّائلُ أعَمَّ من أن يسألَ العلمَ أو المالَ، فيكونَ التَّفصيلُ مطابِقاً للتَّعديدِ.

قولُهُ: (أَخبِر) فإنَّ التَّحدُّثَ بها شكرُها.

قولُهُ: (وحُذِفَ ضَمِيرُهُ) أي: الضَّميرُ المنصوبُ الرَّاجعُ إليه ﷺ.

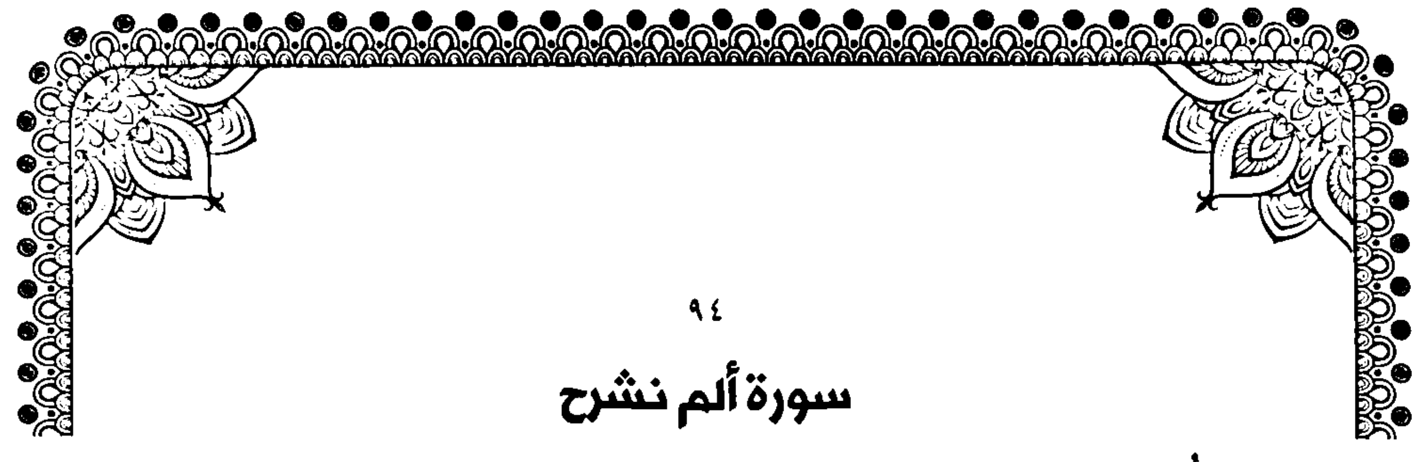
قولُهُ: (فِي بَعضِ الأَفعَالِ) وهي: قَلى وآوى وهَدى وأغنى.

قولُهُ: (رِعَايَةً) أو استِغناءً بذكرِهِ من قَبلُ، والله أعلمُ.

* * *

= وهو ابن ست سنين. وقال ابن حبيب: وهو ابن ثمان سنين.

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٦٧).



٩٤

سورة ألم نشرح

مكية، ثمانُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿أَلَم نَشرَحْ﴾ ـ استفهامُ تقرير ـ أي: شَرَحنا ﴿لَكَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿صَدرَكَ﴾ بالنبوّة وغيرها، ٢ ـ ٣ ـ ﴿ووَضَعْنا﴾: حَطَطنا ﴿عنكَ وِزرَكَ، الَّذِي أنقَضَ﴾: أثقل ﴿ظَهرَكَ﴾ ـ وهذا كقوله تعالى: «لِيَغفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ» ـ ٤ ـ ﴿ورَفَعْنا لَكَ ذِكرَكَ﴾ بأن تُذكَر مع ذكري في الأذان والإقامة والتشهّد والخُطبة وغيرها؟

٥ ـ ﴿فإنَّ مَعَ العُسْرِ﴾: الشِّدَةِ ﴿يُسْرًا﴾:...

سورَةُ الانشرَاحِ

قولُهُ: (استِفهَامُ تَقرِيرٍ) تحقيقُهُ: أنَّ الاستفهامَ لإنكارِ نفيِ الانشِراحِ مُبالغَةٌ في إثباتِه.

قولُهُ: (أي: شَرَحْنَا) يعني: فَسَحْنا حتى وسعَ مُناجاةَ الحقِّ ومُناداةَ الخَلقِ، فكانَ غائباً حاضِراً[١]، وبائناً كائناً، وعَرشيًّا فَرشيًّا.

قولُهُ: (أَثقَلَ) قال القاضِي: هـو ما ثَقُلَ عليهِ من فَرطاتِهِ قبلَ البعثةِ، أو ما كان يَرى من ضلالِ قومِهِ مع العجزِ عن إرشادِهِم.

قولُهُ: (وغَيرِهَا) وأيُّ رَفعٍ مثلُ أن قُرِنَ اسمُهُ باسمِه في كلمَتي الشَّهادةِ، وجعلَ طاعتَهُ طاعَتَه، قالَ القاضِي[٢]: وإنَّما زادَ ﴿لكَ﴾ ليكونَ إبهاماً قَبلَ إيضاحٍ؛ فيفيدَ مُبالغَةً، قلت: والأظهَرُ أنَّ اللَّامَ للاختِصاصِ.

قولُهُ: (الشِّدَّة) كضيقِ الصَّدرِ، والوِزرُ: المنقِضُ للظَّهرِ.

---

(١) جاء في «حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي» (٨/ ٣٧٢): فلجمعه ﷺ بين كمال الأمرين كان حاضراً مع الناس بجسده الشريف غائباً عنهم بروحه، وحاضراً عن الحق في مقام مناجاته غائباً عنه بحسب الظاهر لمن يدعوه.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٢١).

سُهولةً، ٦ ـ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾. والنبيّ ﷺ قاسَى من الكُفّار شِدّة ثمّ حصل له اليُسر بنصره عليهم. ٧ ـ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ من الصلاة ﴿فَانْصَبْ﴾: اتعبْ في الدُّعاء، ٨ ـ ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾: تضرّعْ.

قولُهُ: (سُهُولَةً)كالشَّرحِ والوَضعِ، والتَّنكيرُ للتَّعظيمِ.

قولُهُ: (ثمَّ حَصَلَ) فالتَّكريرُ للتَّأكيدِ، أو استئنافٌ، وعدَهُ بأنَّ العُسرَ مشفوعٌ بيُسرٍ آخرَ كثوابِ الآخرَةِ، وعليهِ قولُهُ ﷺ: «لَن يَغلِبَ عُسرٌ يُسرَينِ»[1]، فإنَّ المعرفَةَ إذا أعيدَت تكونُ عينَ الأولى بخلافِ النَّكرَةِ.

قولُهُ: (منَ الصَّلاةِ) أو التَّبليغِ.

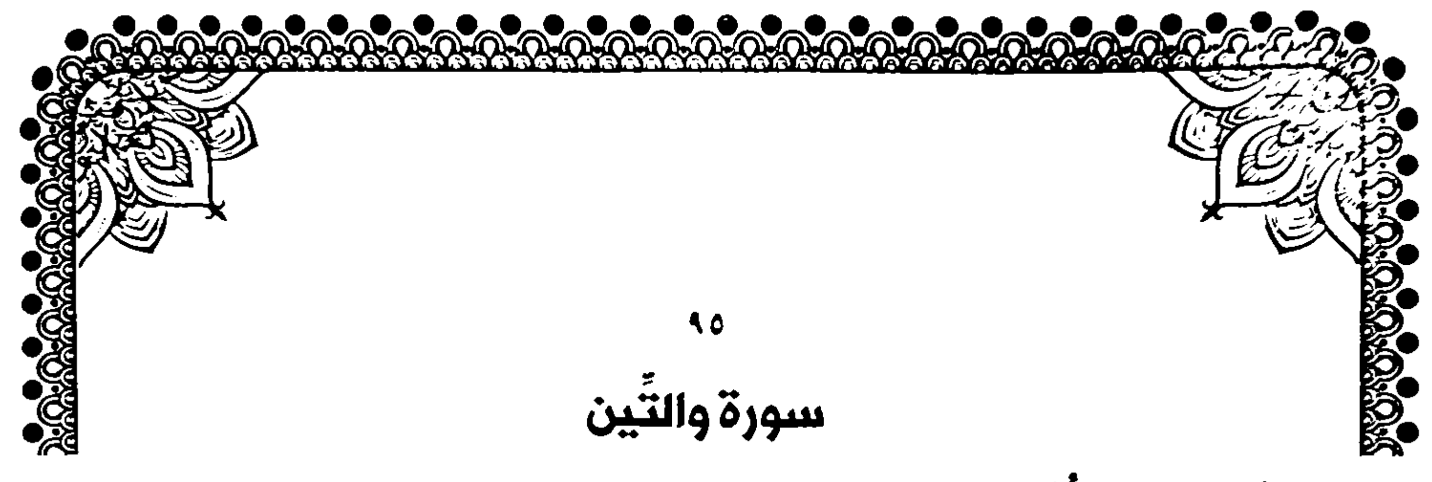
قولُهُ: (في الدُّعَاءِ) أو في العِبادَةِ.

قولُهُ: (تَضَرَّع) بالسُّؤالِ، ولا تَسأل غيرَهُ، فإنَّهُ القادِرُ وحدَهُ على إسعافِهِ، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٦٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٥٠)، والواحدي في «الوسيط» (١٣٨٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥٤١) عن الحسن مرسلاً.



٩٥

سورة والتِّين

مكية أو مدنية، ثمانُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والتِّينِ والزَّيتُونِ﴾ أي: المأكولَين، أو جبلَينِ بالشام يُنبِتان المأكولَين، ٢ ـ ﴿وطُورِ سِينِينَ﴾: الجبلِ الذي كلّم الله ـ تعالى ـ موسى عليه، ومعنى سينين: المباركُ أو الحَسَن بالأشجار المُثمرة، ٣ ـ ﴿وهذا البَلَدِ الأمِينِ﴾: مكّةَ لِأمنِ الناس فيها جاهليّة وإسلامًا، ٤ ـ ﴿لَقَد خَلَقْنا الإنسانَ﴾ الجِنسَ ﴿في أحسَنِ تَقوِيمٍ﴾: تعديل لصورته، ٥ ـ ﴿ثُمَّ رَدَدْناهُ﴾ في بعض أفراده ﴿أسفَلَ سافِلِينَ﴾: كنايةٌ عن الهرَم والضعف، فينقص عمل المُؤمن عن زمن الشباب، ويكون له أجره، لقوله تعالى: ٦ ـ ﴿إلاّ﴾ أي: لكنّ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ فلَهُم أجرٌ غَيرُ مَمنُونٍ﴾: مقطوعٍ. وفي الحديث: «إذا بَلَغَ المُؤمِنُ مِنَ الكِبَرِ ما يَعجِزُ عَنِ العَمَلِ كُتِبَ لَهُ ما كانَ يَعمَلُ».

٧ ـ ﴿فما يُكَذِّبُكَ﴾ ـ أيها الكافر ـ ﴿بَعدُ﴾: ....

سورَةُ والتِّينِ

قولُهُ: (أي: المَأكُولَين) خصَّهُما مِن الثِّمارِ بالقَسَمِ؛ لكَثرةِ فوائِدِهما.

قولُهُ: (يُنبِتَان) فيكونُ من بابِ ذكرِ الحالِّ وإرادةِ المحَلِّ، أو أطلَقَا عليهما مبالَغةً، وقيل: مَسجِدا دمَشقَ وبيتِ المقدِسِ، أو البَلدانِ.

قولُهُ: (مَكّةَ) أي: المأمونِ فيه.

قولُهُ: (وإسلاماً) أي: في الدُّنيا، وسببُ الأمنِ من عَذابِ العُقبى لمن جاوَرَها وماتَ فيها بالتَّقوى.

قولُهُ: (كِنَايَةٌ) أي: صَيَّرناهُ أعجَزَ العاجِزينَ.

قولُهُ: (مِن الكِبَرِ) وكذا المرَضُ والسَّفَرُ.

قولُهُ: (أي: الكَافِرُ) الأظهَرُ: أيُّها الكافِرُ، وقيل: الخطابُ للإنسانِ.

بعدَ ما ذُكر من خلقِ الإنسان في أحسن صُورة، ثمّ ردِّه إلى أرذل العُمر الدالِّ على القُدرة على البعث، ﴿بِالدِّينِ﴾: بالجزاء المسبوق بالبعث والحِساب؟ أي: ما يَجعلك مُكذِّبًا بذلك ولا جاعل له؟

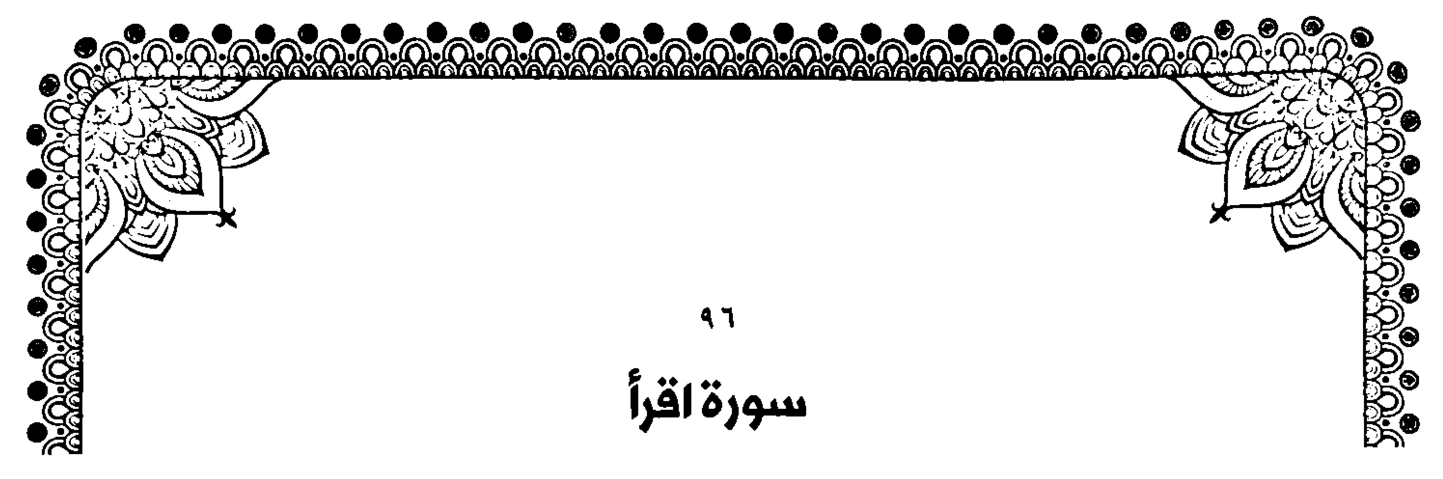
٨ ـ ﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحاكِمِينَ﴾؟ أي: هو أقضى القاضين، وحُكمه بالجزاء من ذلك. وفي الحديث: «مَن قَرأَ والتِّينِ إلى آخِرِها فلْيَقُلْ: بَلَى، وأنا علَى ذلِكَ مِنَ الشّاهِدِينَ».

قولُهُ: (أي: مَا يَجعَلُكَ) أي: أيُّ شَيءٍ.

قولُهُ: (مِن ذَلِكَ) كان حقُّهُ أن يقولَ: وقد حكَمَ بالجزاءِ فلا يكونُ لكَ إلا ذلكَ.

قولُهُ: (إلى آخِرِهَا) المرادُ: من قرأَ آخرَ التِّينِ، واللهُ أعلمُ.

* * *



٩٦

سورة اقرأ

مكيـة، تسـعَ عشْـرةَ آيـةً. صدرُهـا إلى «مـا لَم يعلـمْ» أوّلُ مـا نزل مـن القـرآن وذلك بغـارِ حِراءٍ. رواه البخاري.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿اقرَأْ﴾: أَوجِدِ القِراءة مُبتدئًا ﴿بِاسمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ الخلائقَ، ٢ ـ ﴿خَلَقَ الإنسانَ﴾ الجِنس ﴿مِن عَلَقٍ﴾: جمع عَلَقة، وهي القِطعة اليسيرة من الدم الغليظ، ٣ ـ ﴿اقرَأْ﴾: تأكيدٌ للأوّل، ﴿وربُّكَ الأكرَمُ﴾ الذي لا يُوازيه كريم، حالٌ من الضمير في «اقرأ»، ٤ ـ ﴿الَّذِي عَلَّمَ﴾ الخطّ ﴿بِالقَلَمِ﴾ ـ......

سورَة اقرَأ

وفي نُسخَة: العَلَق

قولُهُ: (أَوجِدْ القِرَاءَة) فيه أنَّ الإيجادَ فعلُ الله تعالى حقيقَةً، فيحمَلُ قولُهُ على المجازِ؛ أي: اقرَأ القُرآنَ، كما قالَهُ القاضِي[1]، فالمفعولُ مقدَّرٌ.

قولُهُ: (مُبتَدِئاً) ومُفتَتِحاً، ومُستَعيناً.

قولُهُ: (الجِنسَ) فخرُوجُ بعضِ الأفرادِ كآدمَ وحوَّاءَ لا يضُرُّ، وهو تخصيصٌ بعد تعميمٍ؛ دلالَةً على عجيبِ فطرَتِهِ.

قولُهُ: (جَمعُ: عَلقَة) جمعَهُ؛ لأنَّ الإنسانَ في معنى الجمعِ.

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) يعني: أنَّه تكريرٌ للمُبالغَةِ، أو الأوَّلُ مطلَقٌ، والثَّاني للتَّبليغِ، أو في الصَّلاة.

قولُهُ: (كَرِيمٌ) بل هو الكَريمُ وحدهُ على الحقيقَةِ.

قولُهُ: (الخَطَّ) وقد قرِئَ به[2]؛ ليُفيدَ به العلومَ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٢٥).

(٢) أي: (علم الخطَّ بالقلم)، وهي قراءة شاذة، ونسبت لابن الزبير، انظر: «مختصر في شواذ القرآن» (ص: ١٧٦).

وأوّلُ من خطّ به إدريسُ عليه السلام ـ ٥ ـ ﴿عَلَّمَ الإنسانَ﴾ الجِنسَ ﴿ما لَم يَعلَمْ﴾ قبلَ تعليمه من الهُدى والكِتابة والصِّناعة وغيرها.

٦ ـ ٧ ـ ﴿كَلاّ﴾: حقًّا، ﴿إنَّ الإنسانَ لَيَطغَى، أن رَآه﴾ أي: نفسَه ﴿استَغنَى﴾ بالمال. نزلَ في أبي جهل. ورأى: عِلميّةٌ. واستغنى: مفعول ثان. وأن رآه: مفعول له. ٨ ـ ﴿إنَّ إلَى رَبِّكَ﴾ ـ يا إنسانُ ـ ﴿الرُّجعَى﴾: الرجوعَ ـ تخويفٌ له ـ فيُجازي الطاغيَ بما يستحقّه.

٩ ـ ﴿أرَأيتَ﴾ ـ في مواضعها الثلاثة للتعجّب ـ ﴿الَّذِي يَنهَى﴾ هو أبو جهل ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ﴿عَبدًا﴾ هو النبيّ ﷺ ﴿إذا صَلَّى؟ أرَأيتَ إن كانَ﴾ المنهيُّ ﴿عَلَى الهُدَى أو﴾: للتقسيم ﴿أمَرَ بِالتَّقوَى؟ أرَأيتَ إن كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبيَّ ﴿وتَوَلَّى﴾ عن الإيمان؟ ١٤ ـ ﴿ألَم يَعلَمْ بِأنَّ اللهَ يَرَى﴾ ما صدر منه؟ أي: يعلمُه فيُجازيه عليه. أي: اعجبْ منه ـ يا مُخاطبُ ـ من حيثُ نهيُه عن الصلاة ومن حيثُ إنّ المنهيَّ على الهُدى آمرٌ بالتقوى ومن حيثُ إنّ الناهيَ مُكذِّب مُتولٍّ عن الإيمان.

قولُهُ: (والصِّيَاغَةِ) وفي نُسخةٍ بالنُّونِ والعينِ المهملةِ، وهو الصَّحيحُ.

قولُهُ: (حَقًّا) أو ردعٌ لمن كفرَ بنعمَةِ الله تعالى لطُغيانِهِ، وإن لم يُذكَر لدلالةِ الكلامِ عليه.

قولُهُ: (عِلمِيَّةٌ) ولذلك جازَ أن يكونَ فاعلهُ ومفعولُهُ ضميرَينِ لواحدٍ.

قولُهُ: (يا إِنسَانُ) خاطَبَ الإنسانَ على الالتفاتِ تهديداً وتحذيراً من عاقبَةِ الطُّغيانِ.

قولُهُ: (أي: الرُّجُوعَ) يعني: ﴿الرُّجعَى﴾ مصدرُهُ كالبُشرى.

قولُهُ: (هُو أَبُو جَهلٍ) قال: لو رأيتُ محمَّداً ساجِداً لوطِئتُ عُنقَه فجاءَهُ، ثمَّ نكصَ على عقبَيهِ فقيلَ له: ما لك؟ إنَّ بيني وبينَهُ لخندَقاً من نارٍ، وهَولاً وأجنحَةً، فنزلَتْ[1].

قولُهُ: (هُوَ النَّبِيُّ) ولفظُ العَبدِ وتنكيرُهُ للمُبالغَةِ في تقبيحِ النَّهي، والدَّلالَةِ على كَمالِ عبوديَّةِ المنتَهي.

قولُهُ: (للتَّقسِيمِ) أي: لتَقسيمِ الأوقاتِ.

قولُهُ: (النَّبيَّ) مَفعولُ: ﴿كَذَّب﴾.

قولُهُ: (عَنِ الإِيمَانِ) أو الطَّاعَةِ.

قولُهُ: (يَا مُخَاطَبُ) الأظهَر: أَيُّها المخاطَبُ.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٩٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

١٥ - ﴿كَلَّا﴾: ردعٌ له ﴿لَئِن﴾ - لامُ قسم - ﴿لَّمْ يَنتَهِ﴾ عمّا هو عليه من الكُفر ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: لنَجُرَّنْ بناصيته إلى النار، ١٦ - ﴿نَاصِيَةٍ﴾: بدلُ نكرة من معرفة، ﴿كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾. وصفُها بذلك مَجاز، والمُراد صاحبُها. ١٧ - ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أي: أهلَ ناديه. وهو المَجلس يُنتدَى: يَتحدّث فيه القوم. وكان قال للنبيّ ﷺ لمّا انتهره حيثُ نهاه عن الصلاة: لقد علمتَ: ما بها رجل أكثرُ ناديًا منّي. لأملأنَّ عليك هذا الوادي، إن شئتُ، خيلاً جُردًا ورِجالاً مُردًا.

١٨ - ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: الملائكةَ الغِلاظ الشّداد لإهلاكه. في الحديث: «لَو دَعا نادِيَهُ لأَخَذَتْهُ الزَّبانِيةُ عِيانًا». ١٩ - ﴿كَلَّا﴾: ردعٌ له ﴿لَا تُطِعْهُ﴾ - يا مُحمّدُ - في ترك الصلاة ﴿وَاسْجُدْ﴾: صلِّ لله ﴿وَاقْتَرِب﴾ منه بطاعته.

قولُهُ: (رَدعٌ لَهُ) أي: للنَّاهي.

قولُهُ: (منَ الكُفرِ) أو منَ النَّهيِ.

قولُهُ: (لنَجُرَّنْ) بالنُّونِ الخفيفة، وكِتَبَتُهُ في المصحَفِ بالألِفِ على حُكمِ الوَقفِ.

قولُهُ: (بنَاصِيَتِهِ) الاكتِفاءُ باللَّام عن الإضافَةِ للعِلمِ بأنَّ المرادَ ناصيةُ المذكُورِ.

قولُهُ: (بَدَلُ نَكِرَة) وإنَّما جازَ لوصفِها.

قولُهُ: (بذَلكَ) أي: بالكذبِ والخَطأ، وهما لصاحِبِها على الإسنادِ المجازيِّ للمُبالَغَة.

قولُهُ: (وهوَ) أي: النَّادي.

قولُهُ: (يَنتَدِي) أي: يُنادي بعضُهُم بَعضاً.

قولُهُ: (يَتَحَدَّثُ) بَدلٌ، أو تفسيرٌ.

قولُهُ: (لَمَّا انتَهَرَهُ) وأغلَظَ له رَسولُ اللهِ ﷺ.

قولُهُ: (لإهلَاكِهِ) أو جرِّهِ إلى النَّار.

قولُهُ: (في تَركِ الصَّلاةِ) واثبُت على طاعَتِك.

قولُهُ: (صَلِّ لِلَّه) هذا تكرارٌ، فالأولى: دُم على سُجودِكَ.

قولُهُ: (مِنهُ) أي: وتقرَّب إلى ربِّكَ، وفي الحديثِ: «أقرَبُ ما يَكُونُ العَبدُ لِرَبِّهِ وهو ساجِدٌ» رواهُ مُسلِم[1]، والله سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

---

(١) رواه مسلم (٤٨٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. بلفظ (من ربِّه).



٩٧

سُورَةُ القَدْرِ

مكية أو مدنية، خمسُ أو ستُّ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إِنّا أنزَلْناهُ﴾ أي: القُرآنَ جُملة واحِدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿في لَيلةِ القَدْرِ﴾ أي: الشرف والعِظَم، ٢ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلمَكَ يا مُحمّدُ: ﴿ما لَيلَةُ القَدْرِ﴾؟ تعظيمٌ لشأنها وتعجيب منه. ٣ ـ ﴿لَيلةُ القَدْرِ خَيرٌ مِن ألفِ شَهرٍ﴾ ليس فيها ليلةُ القدر. فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها.

سُورَةُ القَدْرِ

قولُهُ: (أي: القُرآنَ) فخَّمَهُ بإضمارِهِ من غيرِ ذِكْرٍ شهادَةً له بالنَّباهَة المغنيَةِ عن التَّصريحِ، كما عظَّمَهُ بأن أسنَدَ إنزالَهُ إليه مع صيغَةِ التَّعظيمِ، وعظَّمَ الوَقتَ الذي أُنزلَ فيه.

قولُهُ: (جُملَةً وَاحِدَةً) أو ابتدأَ إنزالَهُ فيها.

قولُهُ: (إلى سَمَاءِ الدُّنيَا) على السَّفرَةِ، ثمَّ كان جبريلُ يُنزِّلُه مُنجَّماً في ثلاثٍ وعشرينَ سنةً.

قولُهُ: (الشَّرَفِ والعِظَمِ) أي: تسميتُها بذلك لشَرَفِها كقولِهِ تعالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدرِه﴾ [الأنعام: ٩١]، أو لتقديرِ الأمورِ لقولِهِ: ﴿فِيهَا يُفرَقُ كُلُّ أَمرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، وتُسلَّمُ للحفظَةِ ليلَةَ النِّصفِ، أو بالعَكسِ.

قولُهُ: (في أَلفِ شَهرٍ) قيل: ذِكرُ الألفِ للتَّكثيرِ، وقيل: للتَّحديدِ؛ لما رويَ أنَّه عليهِ السَّلام ذكرَ إسرائيليًّا لبِسَ سِلاحاً في سَبيلِ الله ألفَ شَهرٍ فعجِبَ المؤمنونَ وتقاصَرَت إليهم أعمالُهُم فأعطُوا ليلَةً هي خيرٌ من مُدَّةِ ذلك الغازِي[1].

---

(١) رواه الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣٠/ ١٠٥) (٣٥٨٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨٥٢٢)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦١) عن مجاهد مرسلاً.

٤ ـ ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾ ـ بحذف إحدى التاءين من الأصل ـ ﴿وَالرُّوحُ﴾ أي: جبريلُ ﴿فِيهَا﴾: في الليلة ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾: بأمره ﴿مِن كُلِّ أَمْرٍ﴾ قضاه الله فيها لتلك السنة إلى قابلٍ. ومِن: سببيّة بمعنى الباء. ٥ ـ ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾: خبرٌ مُقدّم ومُبتدأ ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرها: إلى وقت طُلوعه. جُعلت سلامًا لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تمرّ بمُؤمن ولا مُؤمنة إلاّ سلّمتْ عليه.

وفيها أقوالٌ كثيرَةٌ تزيدُ على الأربَعينَ، وحاصِلُها أقوالٌ عشرَةٌ: ليالي العَشرِ الأخيرِ، وليلَةُ أوَّلِ الشَّهرِ، ونصفُهُ، والسَّابعَةَ عَشَر، وثلاثٌ يَليهَا، ونصفُ شَعبانَ، وقيلَ: بالإبهامِ، والتَّنَقُّلِ في كلِّ عامٍ في كُلِّ رمضانَ، أو في كُلِّ السَّنَةِ، فهذِهِ عشرُونَ قَولاً[1]، كذا ذُكِرَ في «المبهمات»[2]، والرَّاجِحُ أوتارَ العشرِ الأخيرِ من رَمضانَ، والجمهورُ على أنَّها السَّابعَةُ والعُشرونَ[3].

قولُهُ: (في اللَّيلَةِ) وتنزلُهُم إلى الأرضِ، أو إلى سماءِ الدُّنيا، أو تَقَرُّبُهُم إلى المؤمنينَ.

قولُهُ: (بِمَعنَى البَاءِ) أو التَّقديرُ: من أجلِ كلِّ أمرٍ قدّرَ.

قولُهُ: (خَبَرٌ مُقَدَّمٌ) ولذا قالَ القاضِي[4]: ما هيَ إلا سلامَةٌ.

قولُهُ: (وكَسرِهَا) كسائيٌّ[5].

قولُهُ: (لكَثرَةِ السَّلامِ) أو لأنَّ الله تعالى لا يقدِّرُ فيها إلا السَّلامَةَ، ويقضِي في غيرِها السَّلامَةَ والبَلاءَ، والله أعلمُ.

* * *

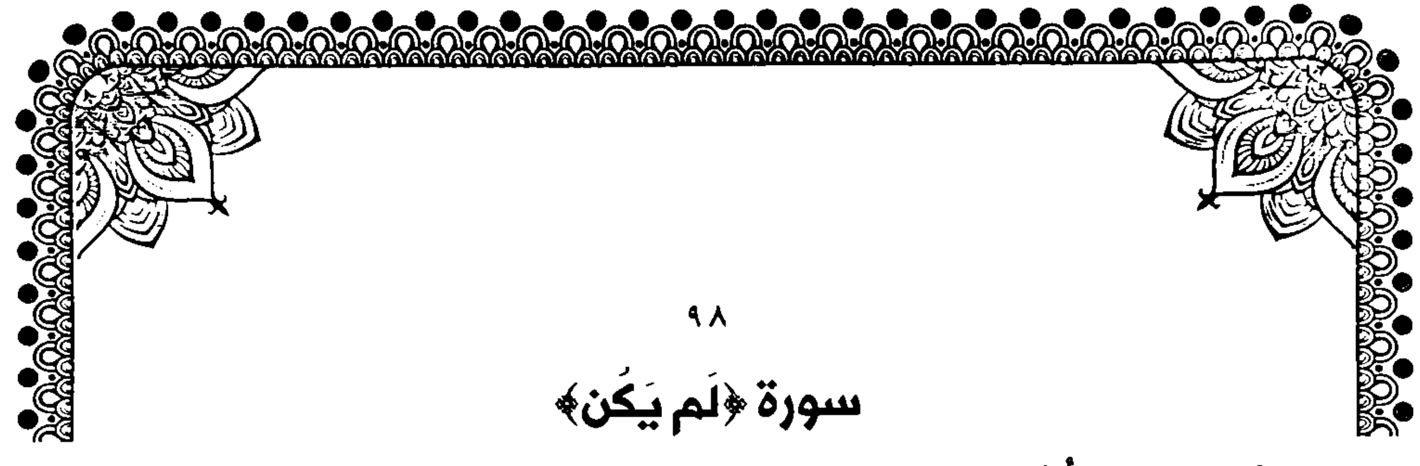
(١) كذا في الأصول، وتقدم أنها عشرة أقوال.

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١١٩).

(٣) انظر تفصيلها والراجح: «فتح الباري» لابن حجر (٤/ ٢٦٤).

(٤) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٢٧).

(٥) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٩٣)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٢٤).



٩٨

سورة ﴿لَم يَكُن﴾

مكية أو مدنية، ثمانُ أو تسعُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿لَم يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن﴾ ـ للبيان ـ ﴿أهلِ الكِتابِ والمُشرِكِينَ﴾ أي: عَبَدةِ الأصنام، عطفٌ على «أهل»، ﴿مُنفَكِّينَ﴾: خبرُ «يكن» أي: زائلين عمّا هم عليه ﴿حَتَّى تأتِيَهُمُ﴾ أي: أتتهم ﴿البيِّنَةُ﴾ أي: الحُجّة الواضحة، ٢ ـ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ﴾: بدلٌ من: البيّنة ـ وهو النبيّ محمدٌ ـ ﴿يَتلُو صُحُفًا مُطَهَّرةً﴾ من الباطل، ٣ ـ ﴿فِيها كُتُبٌ﴾: أحكام مكتوبة ﴿قَيِّمةٌ﴾: مستقيمة، أي: يتلو مضمونَ ذلك ـ وهو القُرآن ـ فمنهم من آمن به ومنهم من كفر.

٤ ـ ﴿وما تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾ في الإيمان به ﷺ ﴿إلاّ مِن بَعدِ ما جاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ﴾.........

سورَة ﴿لَم يَكُن﴾

وفي نُسخة: سُورَةُ البَيِّنَة

قولُهُ: (عَمَّا هُم عَلَيهِ) من دينِهم، أو من الوَعدِ باتِّباعِ الحقِّ إذا جاءَهُم الرَّسولُ.

قولُهُ: (الوَاضِحَةُ) أو المبيِّنَةُ للحقِّ.

قولُهُ: (وهوَ النَّبِيُّ) أو القُرآنُ.

قولُهُ: (مِنَ البَاطِلِ) أو لأنَّها لا يمسُّهما إلا المطهَّرونَ.

قولُهُ: (مُستَقِيمَةٌ) ناطقَةٌ بالحقِّ.

قولُهُ: (فَمِنهُم) أي: من أهلِ الكِتابِ والمشرِكينَ، أو من المتلوِّ عليهِم.

قولُهُ: (مِنَ الإِيمَانِ) وفي نُسخةٍ: «في»، وهو الظَّاهرُ، والمعنى: ما تفرَّقوا عمَّا كانوا عليهِ بأن آمَنَ بعضُهُم، أو عن وعدِهِم بالإصرارِ على الكُفرِ.

أي: هو ﷺ أو القرآنُ الجائي به مُعجزةً له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مُجتمعين على الإيمان به إذا جاء، فحسَده مَن كفر به منهم، ٥ ـ ﴿وما أُمِرُوا﴾ في كتابَيهم التوراةِ والإنجيل ﴿إلاّ لِيَعبُدُوا اللهَ﴾ أي: أن يعبدوه ـ فحُذفت «أن» وزيدت اللام ـ ﴿مُخلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿حُنَفَاءَ﴾: مستقيمين على دين إبراهيمَ، ودين محمدٍ إذا جاء، فكيف كفروا به؟ ﴿ويُقِيمُوا الصَّلاةَ ويُؤتُوا الزَّكاةَ. وذَلِكَ دِينُ﴾ المِلَّةِ ﴿القَيِّمةِ﴾: المستقيمة.

٦ ـ ٧ ـ ﴿إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أهلِ الكِتابِ والمُشرِكِينَ في نارِ جَهَنَّمَ خالِدِينَ فِيها﴾: حالٌ مُقدَّرة، أي: مُقدَّرًا خلودُهم فيها من الله ـ تعالى ـ ﴿أُولئِكَ هُم شَرُّ البَرِيَّةِ. إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ أُولئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ﴾: الخليقة، ٨ ـ ﴿جَزاؤُهُم عِندَ رَبِّهِم جَنّاتُ عَدنٍ﴾: إقامة، ﴿تَجرِي مِن تَحتِها الأنهارُ خالِدِينَ فِيها أبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنهُم﴾ بطاعته ﴿ورَضُوا عَنهُ﴾ بثوابه. ﴿ذلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ﴾: خاف عِقابه فانتهى عن معصيته.

قولُهُ: (فحَسَدَه) فيكونُ كقولِهِ: ﴿وكَانُوا من قَبلُ يَستَفتِحُونَ على الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جاءَهُم ما عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩]، وإفرادُ أهلِ الكِتابِ بعدَ الجمعِ بينهم وبينَ المشركينَ؛ للدَّلالَةِ على شناعَةِ حالِهِم، وأنَّهم لمَّا تفرَّقوا مع علمِهِم كان غيرُهُم بذلك أولى.

قولُهُ: (أَن يَعبُدُوهُ) أي: بعبادَتِه.

قولُهُ: (مُستَقِيمِينَ) مائلينَ عن الأديانِ الزَّائغَةِ.

قولُهُ: (المِلَّةِ) وإنَّما احتيجَ إلى تقديرِها رعايَةً لمذهبِ البصريِّينَ[1].

قولُهُ: (الخَلِيقَةِ) الأولى تفسيرُ الموضِعِ الأوَّل، وقرأ نافعٌ وابنُ ذكوانَ بالهَمزِ على الأصلِ في الموضِعَين[2].

قولُهُ: (بطَاعَتِهِ) أو بفَضلِهِ.

قولُهُ: (بثَوَابِهِ) أو بقضائِهِ.

قولُهُ: (خَافَ عِقَابَهُ) الخَشيَة: خَوفٌ مع التَّعظِيم.

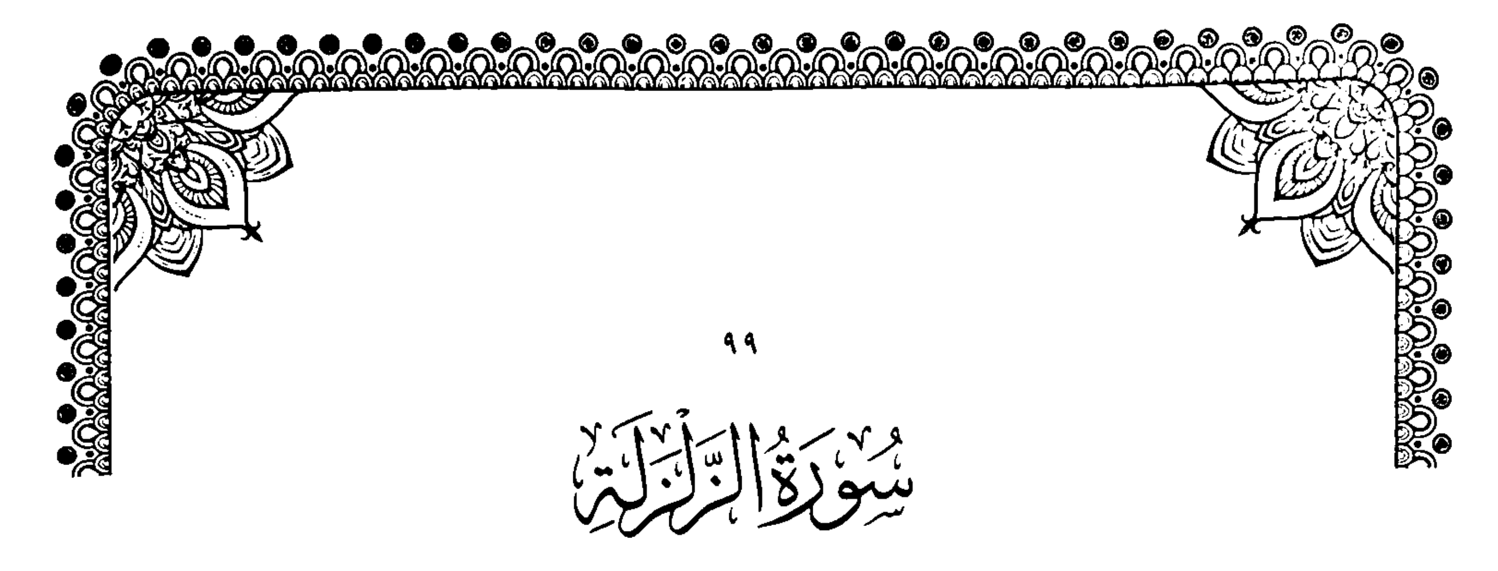
قولُهُ: (فانتَهَى عَن مَعصِيَتِه) وامتثلَ طاعَتَهُ، أو الثَّاني مُندرِجٌ في الأوَّلِ، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ الخشيَةَ التي لا تُورِثُ الانتِهاءَ عن المعصيَةِ غيرُ مُعتبَرةٍ، بل هي أُمنيَّةٌ وغرَّةٌ، والله تعالى أعلمُ.

***

---

(١) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٥/ ١٦٩).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٢٤).



٩٩

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مكية أو مدنية، تسعُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا زُلزِلَتِ الأرضُ﴾: حُرِّكتْ لقيام الساعة ﴿زِلزالَها﴾: تحريكَها الشديد المُناسب لعِظَمها، ٢ ـ ﴿وأخرَجَتِ الأرضُ أثقالَها﴾: كُنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها، ٣ ـ ﴿وقالَ الإنسانُ﴾ أي: الكافر بالبعث: ﴿ما لَها﴾؟ إنكارًا لتلك الحالة، ٤ ـ ﴿يَومَئِذٍ﴾: بدلٌ من «إذا» وجوابها: ﴿تُحَدِّثُ أخبارَها﴾: تُخبِرُ بما عُمل عليها من خير وشرّ ٥ ـ ﴿بِأنَّ﴾: بسبب أنّ ﴿رَبَّكَ أوحَى لَها﴾ أي: أمرَها بذلك. في الحديث «تَشهَدَ على كُلِّ عَبدٍ أو أمةٍ بكُلِّ ما عَمِلَ على ظَهرِها».

٦ ـ ﴿يَومَئِذٍ يَصدُرُ النّاسُ﴾: ينصرفون من موقف الحِساب ﴿أشتاتًا﴾: مُتفرِّقين، فآخذٌ ذاتَ اليمين إلى الجنّة وآخذٌ ذاتَ الشِّمال إلى النار، ﴿لِيُروا أعمالَهُم﴾ أي: جزاءها من الجنّة أو النار. ٧ ـ ﴿فمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرَّةٍ﴾: زِنةَ نملةٍ صغيرة ﴿خَيرًا يَرَهُ﴾:..........................

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

قولُهُ: (لِعَظَمِهَا) أي: السَّاعَة؛ أي: اللَّائِقَ بها في الحِكمَةِ، أو المقدَّرَ لها عندَ النَّفخةِ الثَّانيَةِ.

قولُهُ: (الكَافِرُ) فإنَّ المؤمِنَ يعلَمُ ما لها، أو الجِنس؛ لما يبهَرُهُم من الأمرِ الفظيعِ.

قولُهُ: (وجَوابُهَا) وناصِبُها: ﴿تُحَدِّث﴾.

قولُهُ: (أي: أَمرَهَا) واللَّامُ بمَعنى: إلى.

قولُهُ: (مُتَفَرِّقِينَ) بحسَبِ مراتِبِهِم.

يرَ ثوابه، ٨ ـ ﴿وَمَن يَعمَلْ مِثقالَ ذَرّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾: يرَ جزاءه.

قولُهُ: (يَرَ ثَوَابَه) أي: في الجنَّةِ، وقالَ الإمامُ جعفرٌ[١]: ﴿فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّة خَيراً يَرَه﴾ في الدُّنيا إذا كانَ مُشرِكاً ﴿ومَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه﴾ في الدُّنيا إن كانَ مُسلِماً.

قالَ الواسطِيُّ[٢]: إذا كانَ من أصلِ الإسلامِ أنَّ الأعراض لا تُرى ولا تَبقى وَقتَينِ، فكيفَ يجوزُ أن يُرى؟ قيل: القُرآنُ صفَةُ الله، وإنَّ الصِّفةَ لا تَبِينُ من الموصُوف، وهو يُرى في الأرضِ مَكتوباً؛ فكذا الأعمالُ ذكرَهُ في «نَفائسِ العَرائِس»، والله تعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) وانظر: «عرائس البيان» (٣/ ٥٢٢).

(٢) وانظر: «حقائق التفسير» (٢/ ٤١٤)، و«عرائس البيان» (٣/ ٥٢٢).



١٠٠

سورة والعاديات

مكية أو مدنية، إحدى عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿**والعادِياتِ**﴾: الخيلِ تعدو في الغزو وتَضبحُ ﴿**ضَبْحًا**﴾ هو صوت أجوافها إذا عَدَت، ٢ ـ ﴿**فالمُورِياتِ**﴾: الخيلِ تُوري النار ﴿**قَدْحًا**﴾ بحوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحِجارة بالليل، ٣ ـ ﴿**فالمُغِيراتِ صُبْحًا**﴾: الخيلِ تُغير على العدوّ وقت الصبح بإغارة أصحابها، ٤ ـ ﴿**فأثَرْنَ**﴾: هيّجْنَ ﴿**بِهِ**﴾: بمكان عدوِهن، أو بذلك الوقت، ﴿**نَقْعًا**﴾ أي: غبارًا بشِدّة حركتهنّ، ٥ ـ ﴿**فوَسَطْنَ بِهِ**﴾: بالنقع ﴿**جَمْعًا**﴾ من العدوّ، ....

سُورَةُ العَادِيَاتِ

قولُهُ: (الخَيلِ) قالهُ ابنُ عبَّاسٍ، أو إبلِ الحاجِّ، قالهُ عليٌّ[1]، والأوَّلُ أظهَرُ.

قولُهُ: (تَضبَحُ) أي: نصبَهُ بفعلِهِ، أو ﴿ضَبحًا﴾ حالٌ بمعنى: ضابِحَة.

قولُهُ: (أَجوَافِهَا) أو أنفاسِها.

قولُهُ: (النَّارَ) والإيراءُ: إخراجُ النَّار.

قولُهُ: (وَقتَ الصُّبحِ) أي: نصبُهُ على الظَّرفيَّةِ.

قولُهُ: (بالنَّقعِ) أي: فتوَسَّطنَ مُلتَبساتٍ به.

قولُهُ: (منَ العَدُوِّ) أي: من جُموعِ الأعداءِ، رويَ أنَّه ﷺ بعثَ خَيلاً فمضَتْ شَهراً لم يأتِهِ منهم خبرٌ، فنزلَتْ، رواهُ الدَّارقُطنيُّ وغيره[2].

---

(١) جاء القولان فيما رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٠٧)، والثعلبي في «الكشف والبيان» (٣٠/ ١٧٤) (٣٦٠٧) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. واعترض عليه الذهبي فقال: بل هو خبر منكر.

(٢) رواه البزار في «كشف الأستار» (٢٢٩١) والدارقطني في «الثاني من الأفراد» (٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما. =

أي: صِرْنَ وسْطَه ـ وعُطف الفعل على الاسم لأنه في تأويل الفعل، أي: واللاّتي عدَونَ فأورَينَ فأغرْنَ ـ ٦ ـ ﴿إنَّ الإنسانَ﴾ الكافرَ ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾: لكَفورٌ يجحد نعمَه ـ تعالى ـ ٧ ـ ﴿وإِنَّهُ علَى ذلِكَ﴾ أي: كُنودِهِ ﴿لَشَهِيدٌ﴾: يشهد على نفسه بصُنعه، ٨ ـ ﴿وإِنَّهُ لِحُبِّ الخَيرِ﴾ أي: المال ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: لشديدُ الحبّ له، فيبخل به.

٩ ـ ﴿أفلا يَعلَمُ، إذا بُعثِرَ﴾: أُثيرَ وأُخرج ﴿ما في القُبُورِ﴾ من الموتى أي: بُعثوا ١٠ ـ ﴿وحُصِّلَ﴾: بُيِّنَ وأُفرِزَ ﴿ما في الصُّدُورِ﴾: القُلوب من الكُفر والإيمان، ١١ ـ ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِم يَومَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾: لَعالِمٌ، فيُجازيهم على كُفرهم؟ أُعيد الضمير جمعًا نظرًا لِمعنى الإنسان. وهذه الجُملة دلّت على مفعول «يعلمُ» أي: أنّا نجازيه وقت ما ذُكر. وتعلّقَ خبير بـ «يومئذ»، وهو ـ تعالى ـ خبير دائمًا، لأنه يوم المُجازاة.

قولُهُ: (لَكَفُورٌ) وهو جوابُ القَسَمِ.

قولُهُ: (بصُنعِهِ) لظهورِ أثرِهِ عليه.

قولُه: (أي: المَالِ) من قولِهِ: ﴿إِن تَرَكَ خَيراً﴾ [البقرة: ١٨٠].

قولُهُ: (أُفْرِزَ) أي: مُيِّز.

قولُهُ: (القُلُوبِ) وتخصيصُهُ؛ لأنَّه الأصلُ.

قولُهُ: (لمَعنَى الإِنسَانِ) قالَ القاضِي[١]: وإنَّما قال: ﴿مَا في القُبُورِ﴾، ثمَّ قالَ: ﴿بِهِم﴾ لاختِلافِ شأنِهِم في الحالَينِ.

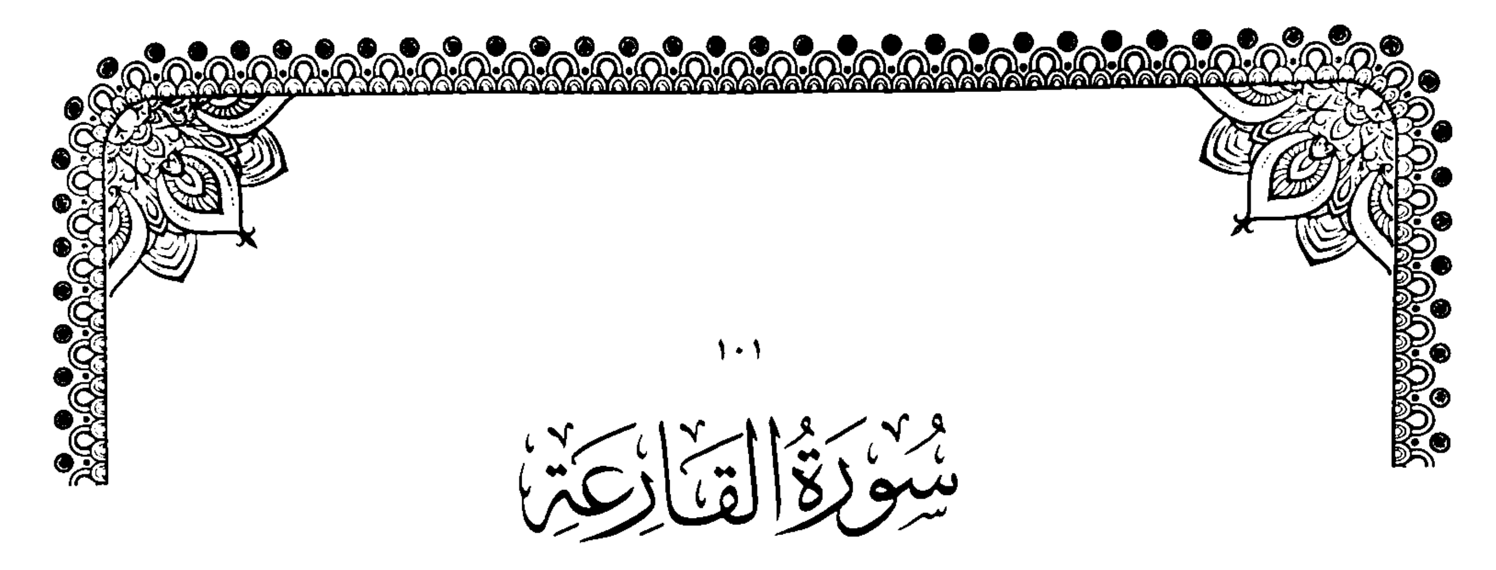
قولُهُ: (دَلَّت) بل هي المفعولُ، وإنَّما كسرَتْ ﴿إِنَّ﴾ لوجودِ اللَّامِ في خبَرِها، وقرئَ: (أَن) و(خَبِير) بلا لامٍ[٢]، والله تعالى أعلمُ.

* * *

= قال الهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» (٧/ ١٤٢): فيه حفص بن جميع، وهو ضعيف.

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٣١).

(٢) وهي قراءات شاذة، ونسبت للضحاك والحجاج بن يوسف، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٢١).



١٠١

سورة القارعة

مكية، إحدى عشْرةَ آية.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ **﴿القارِعةُ﴾** أي: القِيامةُ التي تقرع القُلوب بأهوالها، ٢ ـ **﴿ما القارِعةُ﴾**؟ تهويلٌ لشأنها. وهما مُبتدأ وخبرٌ: خبرُ القارعة. ٣ ـ **﴿وما أدراكَ﴾**: أعلمَكَ: **﴿ما القارِعةُ﴾**؟ زيادةُ تهويل لها. و«ما» الأُولى: مبتدأ وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها: في محلّ المفعول الثاني لـ «أدرى».

٤ ـ **﴿يَومَ﴾**: ناصبُه دلّ عليه «القارعةُ» أي: تَقرعُ، **﴿يَكُونُ النّاسُ كالفَراشِ المَبْثُوثِ﴾**: كغَوغاء الجراد المُنتشر يموج بعضهم في بعض للحَيرة إلى أن يُدعَوا للحِساب، ٥ ـ **﴿وتَكُونُ الجِبالُ كالعِهنِ المَنفُوشِ﴾**: كالصوف المندوف في خِفّة سيرها حتّى تستوي مع الأرض:.........................

سورة القارعة

قولُهُ: (و﴿مَا﴾ الأُولَى) سبقَ بيانُهُ في الحاقَّةِ[1].

قولُهُ: (كَغَوغَاءِ الجَرَادِ) الغَوغاءُ: الجَرادُ بعد أن ينبُتَ شعرُهُ[2]، يعني: في كثرَتِهِم وذِلَّتِهِم وانتشارِهِم واضطِرابِهِم.

قولُهُ: (كالصُّوفِ) ذي الألوانِ.

قولُهُ: (المَندُوفِ) لتفرُّقِ أجزائِها، وتطايُرِها في الجوِّ.

---

(١) عند قوله تعالى: ﴿وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ٣].

(٢) الصواب: ينبت جناحه، انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٧٨٦)، و«تاج العروس» (٢٢/ ٥٤١).

٦ ـ ﴿فأمّا مَن ثَقُلَتْ موازِينُهُ﴾ بأن رَجَحتْ حسناته على سيّئاته ٧ ـ ﴿فهُوَ في عِيشةٍ راضِيةٍ﴾ في الجنّة، أي: ذاتِ رِضًا بأن يرضاها أو مَرْضيّةٍ له، ٨ ـ ﴿وأمّا مَن خَفَّتْ مَوازِينُهُ﴾ بأن رَجَحت سيّئاته على حسناته ٩ ـ ١٠ ـ ﴿فأُمُّهُ﴾: فمَسكنُه ﴿هاوِيةٌ. وما أدراكَ: ماهِيَهْ﴾ أي: ما هاوية؟ ١١ ـ هي ﴿نارٌ حامِيةٌ﴾: شديدة الحرارة. وهاء «هِيه» للسكت تثبتُ وصلاً ووقفًا، وفي قِراءةٍ تُحذف وصلاً.

قولُهُ: (حَسنَاتُهُ) أي: مقاديرُ أنواعِ حسناتِهِ.

قولُهُ: (أي: ذَاتِ رِضَىً) فاعِلَةٍ للنِّسبَة.

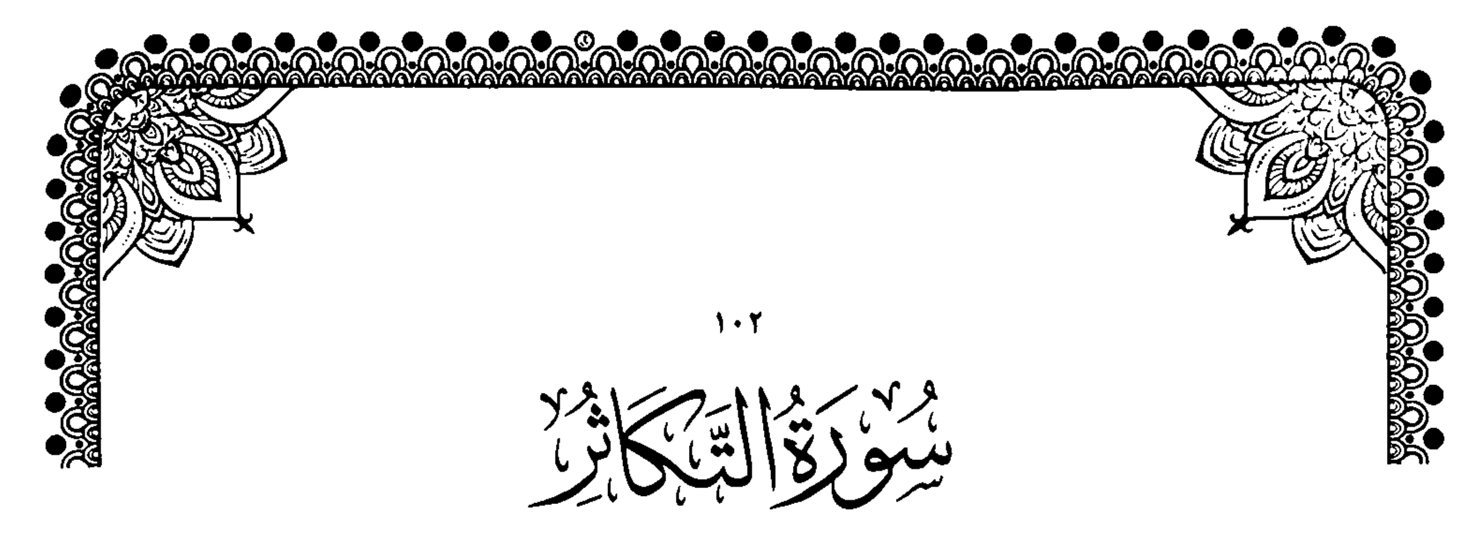
قولُهُ: (أي: مَرضِيَّةٍ) الظَّاهِرُ: أو، فاعِلةٍ بمعنى: مفعولةٍ.

قولُهُ: (بأَن رَجَحَت) أو لم يكُنْ له حسَنةٌ يُعبأ بها.

قولُهُ: (وفي قِرَاءَةٍ) لحمزَةَ[1]، والله تعالى أعلمُ.

* * *

(١) انظر: «غيث النفع في القراءات السبع» (ص: ٦٤٥).



١٠٢

سورة التكاثر

مكية، ثمانُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿أَلهاكُمُ﴾: شَغلَكم عن طاعة الله ﴿التَّكاثُرُ﴾: التفاخُر بالأموال والأولاد والرجال ٢ ـ ﴿حَتَّى زُرتُمُ المَقابِرَ﴾ بأن مُتّم فدُفنتم فيها، أو عددتمُ الموتى تكاثُرًا. ٣ ـ ٤ ـ ﴿كَلاّ﴾: ردعٌ ﴿سَوفَ تَعلَمُونَ، ثُمَّ كَلاّ سَوفَ تَعلَمُونَ﴾ سُوءَ عاقبةِ تفاخُركم عِند النزع ثمّ في القبر. ....

سورة التكاثر (١)

قولُهُ: (شَغلَكُم) وأصلُهُ: الصَّرفُ إلى اللَّهوِ، منقُولٌ مِن: لَها؛ إذا غَفِل.

قولُهُ: (التَّفاخُرُ) أي: التَّباهي بالكَثرَةِ.

قولُهُ: (والرِّجَالِ) أي: بالأنسابِ، أو الخَدَمِ والحَشَم.

قولُهُ: (بأَن مُتُّم) فيكونُ زيارَةُ القبورِ عبارَةً عن الموتِ، أو وصَلتُم إلى أهلِ المقابِرِ.

قولُهُ: (أو عَدَدتُم المَوتَى) فعبَّرَ عن انتقالِهِم إلى ذكرِ الموتى بزيارَةِ المقابِرِ، وإنَّما حَذفَ المَلهيَّ عنه، وهو ما يعنيهِم من أمرِ الدِّينِ؛ للتَّعظيمِ والمبالَغَةِ.

قولُهُ: (رَدْعٌ) وتنبيهٌ على أنَّ العاقِلَ ينبَغي له أن لا يكونَ جميعُ همِّهِ، ومُعظمُ سعيِهِ للدُّنيا؛ فإنَّ عاقبَةَ ذلك وَبالٌ وحسرَةٌ.

قولُهُ: (عِندَ النَّزعِ) أو في القَبرِ.

قولُهُ: (ثمَّ في القَبرِ) أو عندَ النُّشورِ.

---

(١) في (م): «سورة ألهاكم».

٥ ـ ﴿كَلَّا﴾: حقًّا ﴿لَو تَعلَمُونَ عِلمَ اليَقِينِ﴾: عِلمًا يقينًا عاقبةَ التفاخُر ما اشتغلتم به.

٦ ـ ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾: النارَ، جوابُ قسم محذوف ـ وحُذف منه لام الفعل وعينه وأُلقيَ حركتُها على الراء ـ ٧ ـ ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّها﴾: تأكيدٌ ﴿عَينَ اليَقِينِ﴾: مصدرٌ لأن: رأى وعايَنَ، بمعنًى واحد، ٨ ـ ﴿ثُمَّ لَتُسأَلُنَّ﴾ ـ حُذف منه نونُ الرفع لتوالي النونات وواوُ الضمير لالتقاء الساكنين ـ ﴿يَومَئِذٍ﴾: يومَ تَروْنَها ﴿عَنِ النَّعِيمِ﴾: ما التُذَّ به في الدنيا من الصِّحّة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب وغير ذلك.

قولُهُ: (عَاقِبَةَ التَّفَاخُرِ) أو ما بينَ أيديكُم لَشغَلَكُم ذلك عن غيرِه.

قولُهُ: (مَا اشتَغَلتُم) جوابُ: ﴿لَو﴾.

قولُهُ: (مَحذُوفٍ) أكَّد به الوعيدَ، ولا يجوزُ أن يكونَ قولُهُ: ﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾ جَواباً؛ لأنَّه مُحقَّقُ الوقوعِ فلا يعلَّقُ.

قولُهُ: (لامُ الفِعلِ) وهي الياءُ.

قولُهُ: (وعَينُهُ) وهي الهمزَةُ.

قولُهُ: (حَرَكتُهَا) أي: العَين، وبقيَّةُ إعلالِه يُذكَرُ في: ﴿لَتُسأَلُنَّ﴾، وقرأَ الكسائيُّ بضمِّ التَّاءِ في الأولى[1].

قولُهُ: (تَأكِيدٌ) والأُولَى: ﴿إِذَا رَأَتهُم مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [الفرقان: ١٢]، والثَّانيةُ إذا ورَدُوها.

قولُهُ: (وغَيرِ ذَلكَ) منَ النَّعيمِ الذي ألهاكُم، والخِطابُ مخصوصٌ بكلِّ من ألهاهُ دينُهُ عن دُنياه، والنَّعيمُ مخصوصٌ بما يشغلُهُ للقرينَةِ والنُّصوصِ الكثيرَةِ كقولِهِ تعالَى: ﴿مَن حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ﴾ [الأعرف: ٣٢] ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقيل: يَعُمَّانِ؛ إذ كلٌّ يسأَلُ عن شُكرِهِ، والله سُبحانَه وتعالى أعلم.

* * *

---

(١) ومثله قراءة ابن عامر، انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٩٥)، و«التيسير في القراءات السبع» (ص: ٢٢٥).



١٠٣

سورة والعصر

مكية أو مدنية، ثلاثُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿والعَصْرِ﴾: الدهرِ، أو ما بعد الزوال إلى الغروب أو صلاةِ العصر، ٢ ـ ﴿إنَّ الإنسانَ﴾ الجِنسَ ﴿لَفِي خُسرٍ﴾ في تِجارته، ٣ ـ ﴿إلاّ الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ فليسوا في خُسرانٍ، ﴿وتَواصَوا﴾: أوصى بعضهم بعضًا ﴿بِالحَقِّ﴾ أي: الإيمان، ﴿وتَواصَوا بِالصَّبرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

سُورَةُ العَصرِ

قولُهُ: (الدَّهرِ) لاشتِمالِهِ على الأعاجيبِ، أو عصرِ النُّبوَّةِ لفضلِهِ.

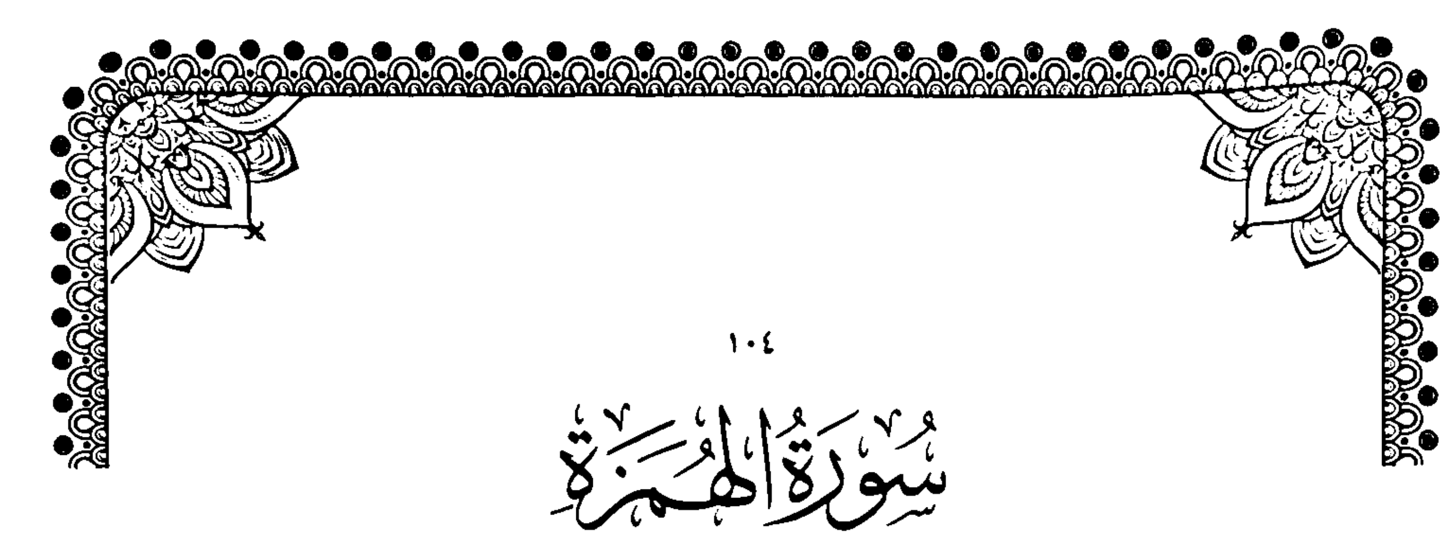
قولُهُ: (في تِجَارَتِه) أي: في مَساعيهِم وصَرفِ أعمارِهِم في مَطالِبِهِم.

قولُهُ: (فَلَيسُوا) فإنَّهم اشتَروا الآخِرَةَ بالدُّنيا، ففازوا بالحياةِ الأبديَّةِ والسَّعادةِ السَّرمَديَّةِ.

قولُهُ: (أي: بالإيمَانِ) أو بالثَّابتِ الذي لا يصِحُّ إنكارُهُ من اعتِقادٍ أو عمَلٍ، وقيلَ: باللهِ.

قولُهُ: (وعَنِ المَعصِيَةِ) أو على الحقِّ، أو على المصيبَةِ، وهذا تَخصيصٌ بعد تَعميمٍ للمُبالَغَة، والله تعالى أعلمُ.

***



مكية أو مدنية، تسعُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿وَيلٌ﴾: كلمةُ عذابٍ أو وادٍ في جهنّم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾ أي: كثيرِ الهَمْزِ واللَّمْزِ، أي: الغِيبةِ ـ نزلتْ فيمن كان يغتاب النبيَّ والمؤمنين، كأُميّة بن خلف والوليد ابن المُغيرة وغيرهما ـ ٢ ـ ﴿الَّذي جَمَعَ﴾، بالتخفيف والتشديد، ﴿مالاً وعَدَّدَهُ﴾: أحصاه وجعله عُدّة لحوادث الدهر، ٣ ـ ﴿يَحسِبُ﴾ لجهله ﴿أنَّ مالَهُ أخلَدَهُ﴾: جعلَه خالدًا لا يموت.

سورة الهمزة

قولُهُ: (أي: كَثِيرِ الهَمزِ) أي: الطَّعنِ؛ لأنَّ بناءَ فُعَلَةٍ يدُلُّ على الاعتيادِ.

قولُهُ: (وغَيرِهِمَا) كأخنَسَ بن شريقٍ[١]، وجَميلِ بن فُلان[٢].

قولُهُ: (والتَّشدِيدِ) للتَّكثيرِ، شاميٌّ وحمزَةُ والكسائيُّ[٣].

قولُهُ: (أَحصَاهُ) أي: عدَّهُ مرَّةً بعد أخرى، ويؤيِّدُهُ أنَّه قرئَ في الشَّواذِّ: (وَعَدَدَهُ)[٤] بالفكِّ.

قولُهُ: (لا يَمُوتُ) فأحبَّهُ كما يحبُّ الخُلودَ، وقالَ بعضُهم: يظنُّ أنَّ مالَهُ يوصِلهُ إلى مقامِ الخُلدِ، أو يعملُ من تشييدِ البُنيانِ الموثَّقِ بالصَّخرِ والآجُرِّ، وغَرسِ الأشجارِ، وعمارَةِ الأرضِ؛ عمَلَ من يظنُّ أنَّ مالَهُ أبقاهُ حيًّا.

---

(١) جاء في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٨) فيه ستة أقوال.

(٢) في «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٩٧): هو جميل بن عامر الجُمَحِي.

(٣) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٩٧).

(٤) ونسبت للحسن والكلبي، انظر: «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٥٤١)، و«الدر المصون» (١١/ ١٠٦).

٤ ـ ﴿كَلَّا﴾: ردعٌ ﴿لَيُنبَذَنَّ﴾: جوابُ قسم محذوف، أي: ليُطرَحَنَّ ﴿فِي الحُطَمَةِ﴾ التي تَحطِم كُلّ ما أُلقي فيها. ٥ ـ ٦ ـ ﴿وما أدراكَ﴾: أعلَمكَ: ﴿ما الحُطَمَةُ؟ نارُ اللهِ المُوقَدةُ﴾: المُسعَّرة ٧ ـ ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾: تُشرِف ﴿عَلَى الأفئِدةِ﴾: القُلوبِ فتُحرقها، وألَمُها أشدّ من ألم غيرها للُطفها.

٨ ـ ﴿إنَّها علَيهِم﴾ ـ جُمِعَ الضميرُ رِعايةً لمعنى «كُلّ» ـ ﴿مُؤصَدةٌ﴾، بالهمز وبالواو بدلَه: مُطبَقةٌ، ٩ ـ ﴿في عُمُدٍ﴾، بضمّ الحرفين وبفتحهما، ﴿مُمَدَّدةٍ﴾: صفةٌ لما قبله. فتكون النار داخلَ العُمُد.

قولُهُ: (رَدْعٌ) له عن حِسبانِه.

قولُهُ: (المُسَعَّرَةُ) أي: التي أوقَدَها اللهُ تعالى، وما أوقَدَهُ لا يَقدِرُ أن يُطفِئَهُ غيره.

قولُهُ: (تُشرِفُ) وتَعلو.

قولُهُ: (القُلُوبِ) أو وساطِها، وتخصيصُها بالذِّكرِ؛ لأنَّ الفؤادَ ألطَفُ ما في البدَنِ وأشَدُّ تألُّماً، أو لأنَّه محَلُّ العقائدِ الزَّائغةِ، ومنشأ الأفعالِ القبيحَةِ.

قولُهُ: (رِعَايَةً) ويمكِنُ أن يرجِعَ إلى أصحابِ الأفئدَةِ.

قولُهُ: (بالهَمزِ) تقدَّم[1].

قولُهُ: (مُطبَقَةٌ) مُغلَقَةٌ.

قولُهُ: (بضَمِّ الحَرفَينِ) حمزَةُ والكِسائيُّ وشُعبةُ[2].

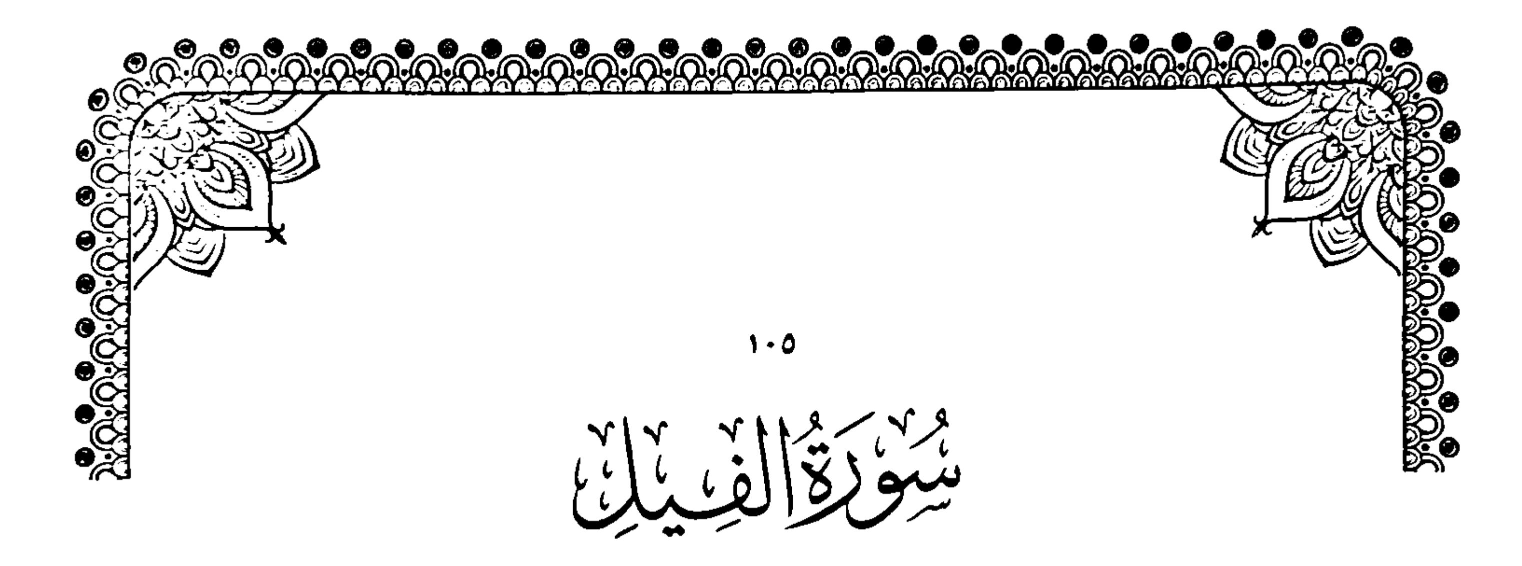
قولُهُ: (صِفَةٌ لِمَا قَبلَهَا) أي: مُوثَّقينَ في أعمدَةٍ ممدودَةٍ مثلَ المقاطِرِ التي تُقْطَرُ فيها اللُّصوصُ، والله أعلمُ.

* * *

---

(١) في قوله تعالى: ﴿عليهم نار مؤصدة﴾ [البلد: ٢٠].

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٦٩٧)، و«الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٩٥).



١٠٥

سُورَةُ الفِيلِ

مكية، خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿أَلَم تَرَ﴾: استفهامُ تعجيب، أي: اعجَبْ: ﴿كَيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصحابِ الفِيلِ﴾؟ هو محمودٌ. وأصحابه أبرهةُ ملك اليمن وجيشُه، بنى بصنعاءَ كنيسة ليصرف إليها الحاجَّ عن مكّة، فأحدثَ رجل من كِنانة فيها، ولطّخ قِبلتها بالعَذِرة احتقارًا بها، فحلف أبرهةُ، ليَهدِمَنَّ الكعبة، فجاء مكّةَ بجيشه على أفيال مُقدَّمُها محمودٌ.

فحين توجّهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قَصَّه في قوله:..............................

سُورَةُ الفِيلِ

قولُهُ: (اعْجَب) والخطابُ للرَّسولِ ﷺ، وهو وإن لم يشهَدْ تلك الواقعَةَ، لكن شاهَدَ آثارَها، وسمعَ بالتَّواتُرِ أخبارَها فكأنَّه رآها.

قولُهُ: (مَلِكُ اليَمَنِ) أي: من قِبَلِ أصحمةَ النَّجاشيِّ، فلا يُنافي ما أخرجَهُ ابنُ جريرٍ عن قتادَةَ: أنَّ قائدَ الجيشِ اسمُهُ: أبرهَةُ الأشرَمِ من الحبشَةِ[1]، قيلَ: إنَّ هذا النَّجاشيَّ جدُّ النَّجاشيِّ الذي كانَ في زمنِهِ ﷺ بعدَ المبعَثِ.

قولُهُ: (فَأَحْدَثَ) أي: لَيلاً.

قولُهُ: (فَحِينَ تَوَجَّهُوا) كلَّما وجَّهوهُ إلى الحرَمِ برَكَ ولم يبرَح، وإذا وجَّهوهُ إلى اليمنِ، أو إلى جهَةٍ أخرى أسرَعَ.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٥).

٢ ـ ﴿أَلَمْ يَجعَلْ﴾ أي: جَعَلَ ﴿كَيدَهُم﴾ في هدم الكعبة ﴿في تَضلِيلِ﴾: خَسار وهلاك، ٣ ـ ﴿وأرسَلَ علَيهِم طَيرًا أبابِيلَ﴾: جماعاتٍ جماعات ـ قيل: لا واحد له كأساطيرَ. وقيل: واحده: إبّول أو إبّال أو إبِّيل كعِجَّول ومِفتاح وسِكِّين ـ ٤ ـ ﴿تَرمِيهِم بِحِجارةٍ مِن سِجِّيلٍ﴾: طينٍ مطبوخ، ٥ ـ ﴿فجَعَلَهُم كَعَصفٍ مأكُولٍ﴾: كورَقِ زرع أكلته الدوابّ وداسته وأفنته؟ أي: أهلكهم الله ـ تعالى ـ كُلَّ واحد بحجره المكتوبِ عليه اسمُه، وهو أكبر من العدسة وأصغر من الحِمّصة، يخرق البيضة والرَّجُل والفيل ويصل إلى الأرض. وكان هذا عامَ مولدِ النبيّ ﷺ.

قولُهُ: (خَسَارَةٍ) وتضييعٍ وإبطالٍ بأن دمَّرهُم وعظَّمَ شأنَها.

قولُهُ: (قِيلَ: لا وَاحِدَ لَهُ) فيكونُ اسمَ جمعٍ.

قولُهُ: (كعَجُوزٍ) وفي نُسخَةٍ: كِعجَّول، وهو الأصحُّ، إذ جمعُهُ: عجاجيلُ[1].

قولُهُ: (ومِفتَاحٍ) يعني: في الحرَكاتِ والسَّكَناتِ، وإلَّا فإبَّالٍ فعَّال، ومِفتاح مِفعال، وأخرجَ ابنُ أبي حاتِم عن مُجاهِدٍ وعكرِمَة وغيرِهِما: أنَّها العَنقاءُ، كذا في «المبهمات»[2].

قولُهُ: (مَطبُوخٍ) مُتحجِّرٍ مُعرَّب: سَنْكَ كِل.

قولُهُ: (أَكَلَتهُ الدَّوَابُّ) وراثَتْه، أو أكلَهُ الدُّودُ، وهو الأظهَرُ.

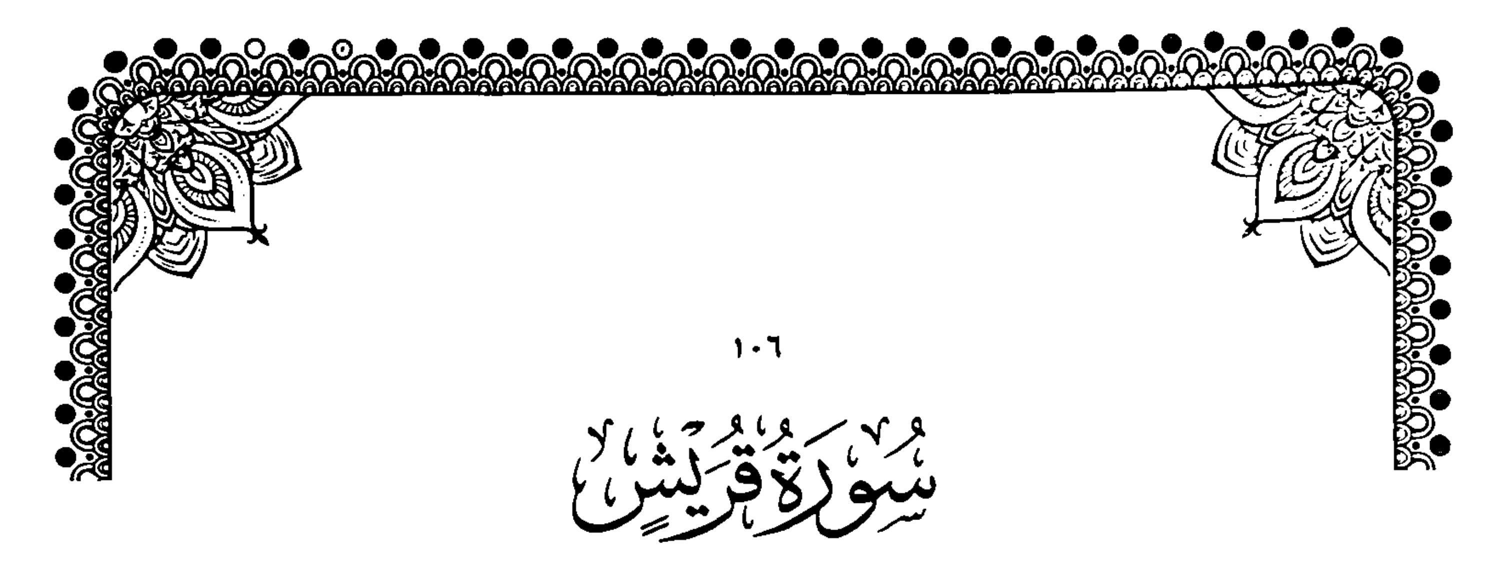
قولُهُ: (وكَانَ هَذَا) فهذا أوَّلُ خَيرٍ بَدا، ولذا عُدَّ من الإرهاصاتِ، والله تعالى أعلمُ.

***

---

(١) انظر: «الصحاح» (٥/ ١٧٥٩).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٢٠).



مكية أو مدنية، أربع آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿لِإِيلافِ قُرَيشٍ إِيلافِهِم﴾: تأكيدٌ ـ وهو مصدرُ: آلَفَ، بالمدّ ـ ﴿رِحلةَ الشِّتاءِ﴾ إلى اليمن ﴿و﴾ رِحلة ﴿الصَّيفِ﴾ إلى الشام في كُلّ عام، يستعينون بالرِّحلتَين للتجارة على الإقامة بمكّة لخِدمة البيت الذي هو فخرُهم ـ وهم ولد النَّضر بن كِنانة ـ ٣ ـ ٤ ـ ﴿فلْيَعبُدُوا﴾ تعلّق به «لإيلاف»، والفاء: زائدة، ﴿رَبَّ هذا البَيتِ الَّذِي أطعَمَهُم مِن جُوعٍ﴾ أي: من أجله، ﴿وآمَنَهُم مِن خَوفٍ﴾ أي: من أجله. وكان يُصيبهم الجوع لعدم الزرع بمكّة وخافوا جيش الفيل.

سورة قريش

قولُهُ: (بالمَدِّ) أي: آلَفَهُم الله، أو آلَفوا أنفسَهُم، وقرأ ابنُ عامرٍ: (لِئِلافِ) بغيرِ ياءٍ بعدَ الهمزَةِ[1]، وهو مَصدَرُ آلفَ فاعل، أو ألِفَ.

قولُهُ: (للتِّجارَةِ) والميرَةِ.

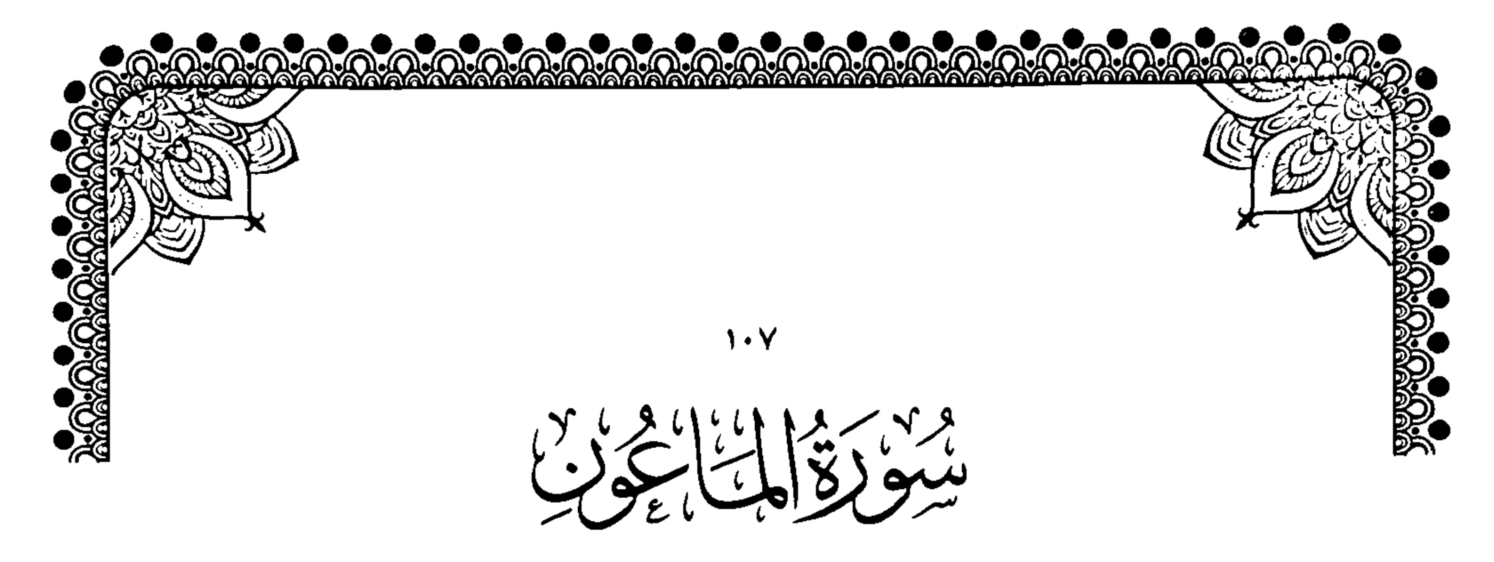
قولُهُ: (والفَاءُ زَائِدَةٌ) أو لما في الكَلامِ من مَعنى الشَّرطِ؛ إذ المعنَى: أنَّ نعَمَ الله تعالى عليهم لا تُحصى، فإن لم يَعبُدوهُ لسائرِ النِّعَمِ، فليَعبُدوا لهذا.

قولُهُ: (جَيشَ الفِيلِ) أو التَّخطُّفَ في بلدِهم ومَسائِرِهم، أو الجُذامَ فلا يصيبُهُم ببَلَدِهم، والله تعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ٣٩٥).



١٠٧

سورة الماعون

مكية أو مدنية، أو نصفها ونصفها، ستٌّ أو سبعُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿أَرَأَيتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾: الجزاءِ والحِساب؟ أي: هل عرفتَه؟ إن لم تعرفه ٢ ـ ﴿فذلِكَ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعُنف عن حقّه، ٣ ـ ﴿ولا يَحُضُّ﴾ نفسَه ولا غيره ﴿علَى طَعامِ المِسكِينِ﴾ أي: إطعامه...

سورة الماعون

قولُهُ: (الجَزَاءِ) و﴿الذي﴾ يحتمِلُ الجِنسَ والعَهدَ، والثَّاني: أظهَرُ.

قولُهُ: (هَل عَرَفْتَهُ) استِفهامٌ معناهُ التَّعَجُّب، وقالَ القاضِي[1]: وقُرِئَ: (أَرَيتَ) بلا همزَة إلحاقاً بالمضارِعِ، والحالُ أنَّه قرأ الكَسائيُّ به في جَميعِ القُرآنِ[2].

قولُهُ: (إِن لَم تَعرِفْهُ) فتكونُ الفاءُ فصيحَةً في جوابِ شرطٍ مُقدَّرٍ.

قولُهُ: (بتَقدِيرِ هُو) إنَّما قدَّرهُ ليكونَ نصًّا في كونِ الجزاءِ جملةً فهو بمنزلةِ الفصلِ، ولذا قدَّرهُ بعضُهُم بعد ذلك، ولئلا يُتوهَّمَ عطفُهُ على الذي قبلَهُ.

قولُهُ: (ولا غَيرَهُ) أي: أهلَهُ وغيرهُم.

قولُهُ: (أي: إِطعَامِهِ) أو بَذْلِهُ فضلاً أن يبذُلَ من مالِهِ؛ لعدمِ اعتقادِهِ بالجزاءِ، أو لكَمالِ بُخلِهِ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٤١).

(٢) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٢٥٧).

نزلتْ في العاص بن وائل أو الوليد بن المُغيرة.

٤ ـ ٥ ـ ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُم عَن صَلاتِهِم ساهُونَ﴾: غافلون يُؤخّرونها عن وقتها، ٦ ـ ﴿الَّذِينَ هُم يُراؤُونَ﴾ في الصلاة وغيرها ٧ ـ ﴿ويَمنَعُونَ الماعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقِدر والقَصعة.

قولُهُ: (أو الوَلِيدِ) أو أبي جَهلٍ، كان وصيًّا ليتيمٍ فجاءَهُ عُرياناً يَسألهُ من مالِ نفسِهِ فدفعَهُ[1]، أو أبي سُفيانَ نَحَرَ جَزوراً فسألَهُ يتيمٌ لحماً فقرعَهُ بعَصاهُ[2].

قولُهُ: (غَافِلُونَ) لا يُبالي صلَّى أم لا، وقيل: يُصلِّي رياءً ويترُكُ خَلاءً، وقيل: يلتفِتُ فيها تهاوُناً، وقيلَ: لا يذكُرُ الله ولا يَقرَأُ فيها، وقيل: يترُكُها، وفي الخبَرِ: «يُؤَخِّرُونَها عن وَقتِها بِلا عُذرٍ»[3] كذا في «عَينِ المعانِي»[4]، ويمكنُ أن يقالَ: عن قدرِ صلاتِهِم غافِلونَ، إذ لو عَرَفوا مقدارَها لما أخَّروها وما راءَوا بها، ولِذا قالَ بعضُهُم: الحَمدُ للَّهِ حيثُ قالَ: ﴿عَن صَلاتِهِم﴾، ولم يقُل: في صلاتِهِم.

قولُهُ: (والقَصْعَةِ) وغَيرِها ممَّا يُستَعارُ في العادَةِ، عن ابنِ مَسعودٍ[5]: كالقِدرِ والدَّلوِ والمقدحَةِ وغَيرِها، وعن عائشةَ[6]: الماءُ والنَّارُ والملحُ، وقد يكونُ منعُ هذه الأشياءِ مَحظوراً: إذا استُعيرَت عن اضطِرارٍ، وقَبيحاً في المروءَةِ في غيرِ حالَةِ الضَّرورَةِ، كذا في «الكَشَّاف»[7]، والله أعلمُ.

---

(١) ذكره البيضاوي في «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٤١).

(٢) ذكره الثعلبي في «الكشف والبيان» (٣٠/ ٣٣١)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٤٦٥) عن ابن جريج.

(٣) رواه البزار في «مسنده» (١١٤٥) والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٢٧٦)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٤٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٨٢٢) من حديث مصعب بن سعد، عن أبيه رضي الله عنه.

قال البزار: وهذا الحديث قد رواه الثقات الحفاظ، عن عبد الملك بن عمير، عن مصعب بن سعد، عن أبيه موقوفاً، ولا نعلم أسنده إلا عكرمة بن إبراهيم، عن عبد الملك بن عمير، وعكرمة لين الحديث.

(٤) هو كتاب «عين المعاني في تفسير السبع المثاني» لمحمد بن طيفور السجاوندي الغزنوي، انظر: «كشف الظنون» (٢/ ١١٨٢). وقال القفطي في «إنباه الرواة على أنباه النحاة» (٣/ ١٥٣): ذكر فيه النحو وعلل القراءات والأبيات ومعانيها واللغة إلى غير ذلك من معانى التفسير فى مجلدات، أعدادها قليلة وفوائدها كثيرة جليلة، واختصر ولده هذا التفسير، وسماه: «إنسان العين».

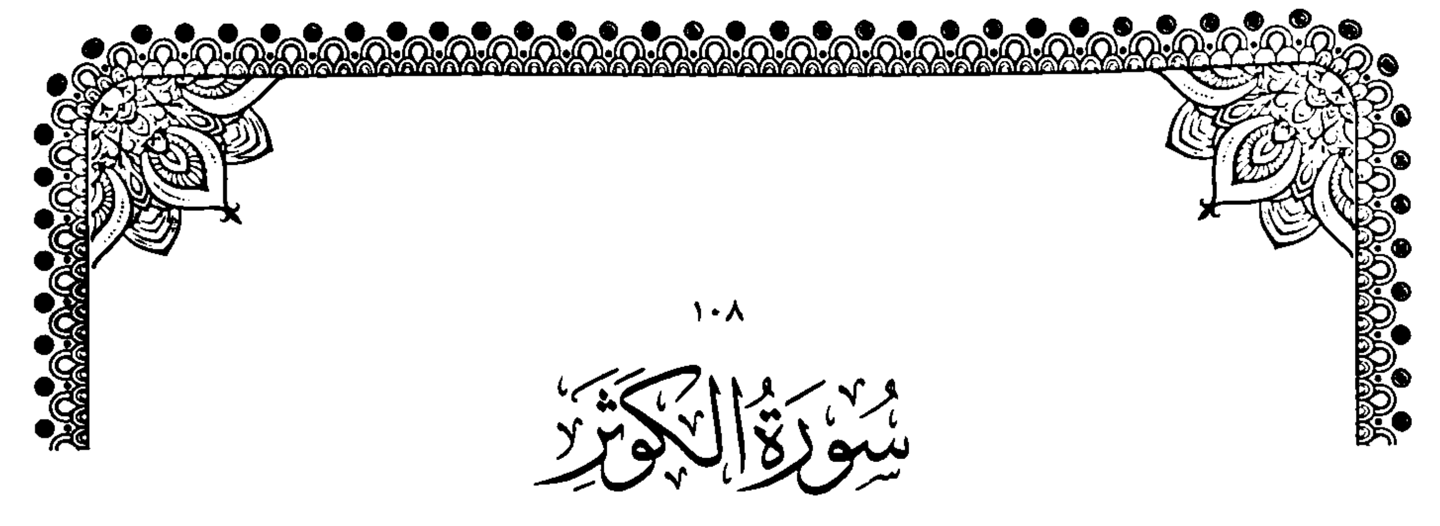
(٥) رواه أبو داود (١٦٥٧)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٣٧١١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠٦١٧)، والبزار في «مسنده» (١٧١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٤٠)، والطبراني في «الأوسط» (٤٥٨٩) بألفاظ متقاربة.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٣): رجال الطبراني رجال الصحيح.

(٦) رواه ابن ماجه (٢٤٧٤)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٣٣): فيه زهير بن مرزوق قال البخاري: مجهول منكر الحديث.

(٧) انظر: «الكشاف» (٤/ ٨٠٦).



١٠٨

سُورَةُ الكَوثَرِ

مكية أو مدنية، ثلاثُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إنَّا أعطَيناكَ﴾ ـ يا مُحمّدُ ـ ﴿الكَوثَرَ﴾ هو نهر في الجنّة،......................

سُورَةُ الكَوثَرِ

قولُهُ: (يَا مُحَمَّدُ) وقرئَ: (أَنطَينَاكَ)[1].

قولُهُ: (هُوَ نَهرٌ) في «المبهمات»[2]: فُسِّر الكوثَرُ في الأحاديثِ الصَّحيحَةِ المتواترةِ بأنَّه نهرٌ في الجنَّةِ، انتهى، وفي حديثٍ رواهُ مسلمٌ: «إنَّه نَهرٌ في الجنَّةِ وعَدَنِيهِ رَبِّي فيه خيرٌ كثيرٌ، أحلَى منَ العسَلِ وأبيَضُ من اللَّبنِ، وأبرَدُ من الثَّلجِ، وألْيَنُ من الزُّبدِ، حافَتَاهُ الزَّبَرجَد، وأوانِيهِ مِن فضَّةٍ، لا يظمَأُ مَن شَرِبَ منهُ»[3].

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت لأبي والحسن وابن مسعود، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٢٥).

(٢) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٢١).

(٣) لم أقف عليه بهذا اللفظ عند مسلم، وإنما رواه (٤٠٠) من حديث أنس، بلفظ: ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم».

وروى مسلم (٢٣٠٠) عن أبي ذر، قال: قلت: يا رسول الله ما آنية الحوض قال: «والذي نفس محمد بيده، لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل».

وروى الحاكم في «المستدرك» (٢٥٥) من حديث أبي برزة، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «حوضي من أيلة إلى صنعاء عرضه كطوله، فيه ميزابان يصبان من الجنة، أحدهما ورق، والآخر ذهب أحلى من العسل، وأبرد من الثلج وأشد بياضاً من اللبن، وألين من الزبد، فيه أباريق عدد نجوم السماء من شرب منه لم يظمأ حتى يدخل الجنة». وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.

هو حوضه تَرِدُ عليه أُمّته، أوِ الكوثر: الخير الكثير من النبوّة والقُرآن والشفاعة ونحوها. ٢ ـ ﴿فصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاةَ عِيد النحر ﴿وانحَرْ﴾ نُسكَكَ. ٣ ـ ﴿إنَّ شانِئَكَ﴾: أي: مُبغِضَك ﴿هُوَ الأبتَرُ﴾: المُنقطع عن كُلّ خير، أو المُنقطعُ العقبِ. نزلت في العاص بن وائل، سمَّى النبيَّ ﷺ أبترَ عند موت ابنه القاسم.

قولُهُ: (هوَ) أي: منه.

قولُهُ: (حَوضُهُ) أي: في القيامَةِ بعد الصِّراطِ، أو قبلَهُ.

قولُهُ: (تَرِدُ عَلَيهِ أُمَّتُهُ) في «الكشاف»[1]: رويَ: أنَّ أوَّلَ من يردُهُ فقراءُ المهاجِرينَ، الدُّنُسُ الثِّيابِ، الشُّعثُ الرُّؤُوسِ، الذين لا يُزوَّجونَ المنعَّماتِ، ولا يُفتحُ لهم أبوابُ السُّدَدِ، يموتُ أحدُهُم، وحاجَتُهُ تتلجلَجُ في صَدرِهِ، لو أقسَمَ على الله لأبرَّهُ[2].

قولُهُ: (أو الكَوثَرُ) إنَّما وضَعَ الظَّاهِرَ موضِعَ الضَّميرِ؛ لئلَّا يُتوهَّمَ عطفُ ما بعدَهُ على حوضِهِ.

قولُهُ: (الخَيرُ الكَثِيرُ) فَوْعَلٌ من الكثرَةِ، وهو: المفرِطُ للكثرَةِ من العِلمِ والعملِ وشرفِ الدَّارَينِ.

قولُهُ: (ونَحوِهَا) من الأولادِ والأتباعِ، أو عُلماءِ أمَّتِهِ، وقالَ جعفرٌ[3]: نوراً في قلبكَ، دلَّكَ عَليَّ، وقطعَكَ عمَّا سوايَ.

قولُهُ: (صَلاةَ عِيدِ النَّحرِ) أو فدُم على الصَّلاةِ خالِصاً لوَجهِ الله؛ شُكراً لإنعامِهِ، فإنَّ الصَّلاةَ جامعَةٌ لأقسامِ الشُّكرِ من القَلبيِّ والأركانيِّ واللِّسانيِّ.

قولُهُ: (نُسُكَكَ) أي: أُضحِيَّتَك، أو البُدن: التي هي خَيارُ أموالِ العَرَب.

قولُهُ: (أو المُنقَطِعُ العَقِبِ) إذ لا يَبقى منه نَسلٌ ولا حُسنُ ذِكرٍ، وأمَّا أنتَ فتبقى ذرِّيَّتُكَ وحُسنُ صيتِكَ، وآثارُ فضلِكَ إلى يومِ القيامَةِ، ولك في الآخِرَةِ ما لا يدخُلُ تحتَ الوَصفِ.

قولُهُ: (في العَاصِ) أو أبي جَهلٍ، أو غيرِهما، والله سُبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

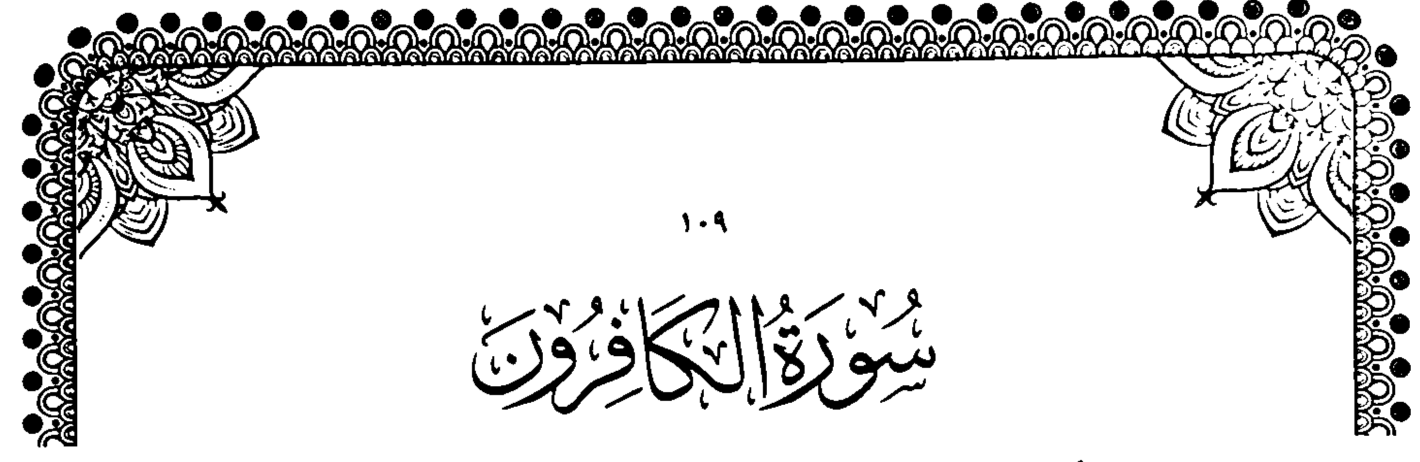
* * *

---

(١) انظر: «الكشاف» (٤/ ٨٠٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٤٤)، وابن ماجه (٤٣٠٣)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٣٦٧) بنحوه من حديث ثوبان رضي الله عنه.
قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه.

(٣) وانظر: «عرائس البيان» (٣/ ٥٢٩).



مكية أو مدنية، ستُّ آيات.

نزلتْ لمّا قال رهطٌ من المُشركين للنبيِّ ﷺ: تعبدُ آلهتنا سنةً ونعبد إلهك سنةً.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ٢ ـ ﴿قُلْ: يا أيُّها الكافِرُونَ، لا أعبُدُ﴾ في الحال ﴿ما تَعبُدُونَ﴾ من الأصنام، ٣ ـ ﴿ولا أنتُم عابِدُونَ﴾ في الحال ﴿ما أعبُدُ﴾ ـ وهو الله تعالى وحده ـ ٤ ـ ٥ ـ ﴿ولا أنا عابِدٌ﴾ في الاستقبال ......

سورة الكافرون

قولُهُ تعالى: (﴿قُل يا أيُّهَا الكَافِرُون﴾) يعني: كفَرَةً مخصوصِينَ، قد علِمَ الله منهم أنَّهم لا يؤمنونَ، في «المبهمات»[1]: أنَّها نزلَتْ في الوَليدِ بن المغيرَةِ، والعاصِ بن وائلٍ، والأسوَدِ بن المطَّلبِ، وأميَّةَ بنِ خَلفٍ.

قولُهُ: (في الحَالِ) الصَّحيحُ في الاستقبالِ؛ فإنَّ ﴿لا﴾ لا تدخُلُ إلا على مُضارعٍ بمَعنى الاستقبالِ، كما أنَّ ﴿ما﴾ لا تدخُلُ إلا على مُضارعٍ بمَعنى الحالِ، كذا قالَهُ القاضي[2]، وفي «المغني»[3]: ويتخلَّصُ المضارعُ بـ﴿لا﴾ النَّافيَةِ للاستِقبالِ عند الأكثَرينَ، وخالَفَهُم ابنُ مالكٍ.

قولُهُ: (فِي الحَالِ) أو فيما يُستَقبَل؛ لأنَّه في قِرانِ: ﴿لا أعبُدُ﴾.

قولُهُ: (فِي الاستِقبَالِ) أو في الحالِ، أو فيما سَلفَ على مذهَبِ الكسائيِّ[4] أنَّ اسمَ الفاعِلِ بمعنى الماضي يَعمَل.

---

(١) انظر: «مفحمات الأقران» (ص: ١٢١). ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٢) عن سعيد بن مينا مولى البختري.

(٢) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٤٣).

(٣) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٣٢٢).

(٤) انظر: «شرح ألفية ابن مالك» للشاطبي (٤/ ٢٦٣).

﴿ما عَبَدتُم، ولا أنتُم عابِدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿ما أعبُدُ﴾. علمَ اللهُ منهم أنهم لا يُؤمنون، وإطلاقُ «ما» على الله على جهة المُقابلة. ٦ ـ ﴿لَكُم دِينُكُم﴾ الشِّرك ﴿ولِي دِينِ﴾ الإسلامُ. وهذا قبل أن يُؤمر بالحرب. وحَذفَ ياءَ الإضافةِ السبعةُ وقفًا ووصلاً، وأثبتَها يعقوب في الحالينِ.

قولُهُ: (في الاستِقبَالِ) أو وما عبَدتُم في وَقتٍ ما أنا عابِدُه.

قولُهُ: (على جِهَةِ المُقَابَلَةِ) وقيل: إنَّها مصدَريَّةٌ.

قولُهُ: (الشِّركُ) أي: الذي أنتُم عليه لا تترُكونَهُ.

قولُهُ: (الإسلامُ) أي: الذي أنا عليه لا أرفُضُه.

قولُهُ: (قَبلَ أنْ يُؤمَرَ) فيه أنَّه ليسَ فيه إذنٌ في الكُفرِ، ولا مَنْعَ عن الجهادِ ليكونَ منسوخاً، وفُسِّرَ الدِّينُ بالحسابِ والجزاءِ والدُّعاءِ والعبادَةِ.

قولُهُ: (يَعقُوبُ) من العَشَرَة، وفتَحَ ياء ﴿لي﴾ نافِعٌ وهِشامٌ وحَفصٌ والبَزِّيُ بخلافٍ عنه[1]، والله سُبحانَه وتعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «الكنز في القراءات العشر» (٢/ ٧٢٥)، و«النشر في القراءات العشر» (٢/ ٤٠٤).



مدنية، ثلاثُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿إذا جاءَ نَصرُ اللهِ﴾ نَبيَّه ﷺ على أعدائه ﴿والفَتحُ﴾: فتحُ مكّة، ٢ ـ ﴿ورأيتَ النّاسَ يَدخُلُونَ في دِينِ اللهِ﴾ أي: الإسلامِ ﴿أفواجًا﴾: جماعات بعدما كان يدخل فيه واحد بعد واحد ـ وذلك بعد فتح مكّة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين ـ ٣ ـ ﴿فسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ﴾ أي: مُلتبسًا بحمده ﴿واستَغفِرْهُ. إنَّهُ كانَ تَوّابًا﴾..

سورة النصر

قولُهُ: (نَبيَّهُ) الظَّاهرُ أن يقالَ: إذا جاءَكَ؛ ليلائِمَ عطفَ: ﴿ورَأَيتَ﴾ ولعلَّهُ حُذفَ؛ لأنَّ مجيءَ النَّصرِ عامٌّ له ولأصحابِهِ، والرُّؤيةُ خاصَّةٌ، ثمَّ رأيتُ أنَّه قُرِئَ: (إذَا جَاءَكَ منَ الله الفَتحُ والنَّصر)[1].

قولُهُ: (فَتحُ مَكَّةَ).

قولُهُ: (جَمَاعَاتٍ) كثيرَةً كأهلِ مكَّةَ والطَّائِفِ واليمَنِ وهوازنَ وسائرِ قبائلِ العرَبِ.

قولُهُ: (أي: مُلتَبِساً) أي: نزِّههُ عمَّا لا يليقُ به، وأَثبِتْ له ما يليقُ به، أو فتعجَّبْ لتيسيرِ الله تعالى لكَ ما لا يخطُرُ ببالِ أحَدٍ حامِداً له عليه.

قولُهُ تعالى: (﴿واستَغفِرُوهُ﴾) هَضماً لنَفسِكَ، واستِقصاراً لعمَلِكَ، واستِدراكاً لما فرَطَ منكَ بالالتِفاتِ إلى غيره، وقيلَ: استغفِره لأمَّتِكَ.

---

(١) وهي قراءة شاذة، ونسبت ليزيد بن قطيب، انظر: «شواذ القراءات» (ص: ٥٢٥).

كان ﷺ بعد نُزول هذه السورة يُكثر من قول: «سُبحانَ اللهِ وبِحَمدِهِ، أستَغفِرُ اللهَ، وأتُوبُ إلَيهِ»، وعَلِمَ بها أنه قد اقترب أجلُه. وكان فتح مكّةَ في رمضانَ سنةَ ثمانٍ، وتوفِّي ﷺ في ربيعِ الأولِ سنةَ عشرٍ.

قولُهُ: (وعَلِمَ بِهَا) قالَ القاضِي[1]: الأكثرُ على أنَّ السُّورَةَ نزلَتْ قبلَ فتحِ مكَّةَ وأنَّه نعيٌ لرسولِ الله ﷺ قيلَ: ولعلَّ ذلك لدلالتِها على تمامِ الدَّعوَةِ، وكمالِ أمرِ الدِّينِ، فهي كقولِهِ تعالَى: ﴿اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم﴾ [المائدة: ٣].

أقولُ: ولعلَّ الفرقَ بينَ الآيتينِ أنَّ الأولى لتَمامِ الدَّعوَةِ وظُهورِ النُّصرَةِ، والثَّانيَةَ لكمالِ أمورِ الشَّريعَةِ.

قولُهُ: (في رَمَضَانَ) لعَشرٍ مضينَ منه، ومع رسولِ الله ﷺ عشرَةُ آلافٍ من المهاجِرينَ والأنصارِ وطوائفِ العرَبِ[2]، والله سُبحانهُ وتعالى أعلمُ.

***

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٤٤).

(٢) قال ابن أبي خيثمة في «تاريخه» (٢/ ٢١): والصواب: ما قال ابن إدريس وإبراهيم بن سعد، في حديثهما أنه خرج لعشر؛ لأن إبراهيم حكى عن ابن إسحاق: أن الفتح كان لعشر ليال بقين من شهر رمضان.

وروى البخاري (٤٢٧٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف.



١١١

سورة تبّت

مكية، خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

لمّا دعا ﷺ قومَه، وقال: «إنِّي نَذِيرٌ لَكُم بَينَ يَدَي عَذابٍ شَديدٍ»، فقال عمّه أبو لهَبٍ: «تبًّا لكَ. ألهذا دعوتَنا»؟ نزلَ: ١ ـ ﴿تَبَّتْ﴾: خَسِرَتْ ﴿يَدا أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جُملتُه. وعُبّر عنها باليدين مجازًا لأنّ أكثر الأفعال تُزاوَلُ بهما، وهذه الجملة دُعاءٌ. ﴿وتَبَّ﴾: خَسِرَ هو. وهذه الجملة خبرٌ، كقولهم: أهلكه الله، وقد هَلَكَ.

ولمّا خوَّفه النبيُّ بالعذاب، فقال: «إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا فإنّي أفتدي منه بمالي وولدي»، نزلَ: ٢ ـ ﴿ما أَغنَى عَنهُ مالُهُ وما كَسَبَ﴾: وكَسْبُه، أي: ولدُه. «وأغنى» بمعنى: يُغني.

سورَةُ تَبَّت

قولُهُ: (قَومَهُ) أي: أقاربَهُ بعد قولِهِ تعالَى: ﴿وأَنذِر عَشِيرَتَكَ الأَقرَبِين﴾ [الشعراء: ٢١٤].

قولُهُ: (أي: جُملتُهُ) يعني: نفسَه، وقيل: المرادُ بهما: دنياهُ وأخراهُ، وإنَّما كنَّاهُ والتَّكنيَةُ تكرمَةٌ للاشتِهارِ بكُنيتِهِ، أو لأنَّ اسمَهُ عبدُ العُزَّى فاستُكرِهَ ذكرُهُ، كذا قال القاضِي[1].

قلتُ: أو مخافَةَ كونِهِ تَقريراً، أو لأنَّه لمَّا كانَ من أهلِ النَّارِ كانت الكنيَةُ أوفَقَ بحالِهِ، وليُجانِسَ قوله: ﴿ذَاتَ لَهَب﴾.

قولُهُ: (وهذِهِ خَبَر) أو أخبارٌ بعدَ إخبارٍ، والتَّعبيرُ بالمضيِّ لتحقُّقِ وقوعِهِ، أو الأَوَّلُ إخبارٌ عمَّا كسَبَت يَداهُ، والثَّاني عن نفسِهِ.

قولُهُ: (كَسْبُه أي ولده) أو مَكسوبُهُ، أو عمَلُهُ.

قولُهُ: (بمَعنَى: يُغنِي) و﴿مَا﴾ نافيَةٌ.

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٤٥).

٣ ـ ﴿سَيَصلَى نارًا ذاتَ لَهَبٍ﴾ أي: تلهّبٍ وتوقّد ـ فهي مآل تكنيته لتلهّب وجهه إشراقًا وحُمرة ـ ٤ ـ ﴿وامرأتُهُ﴾: عطفٌ على ضمير «يصلى»، سوّغهَ الفصل بالمفعول وصفتِه، وهي أُمّ جميلٍ ﴿حَمّالةُ﴾ ـ بالرفع ـ ﴿الحَطَبِ﴾: الشوكِ والسَّعدانِ تُلقيه في طريق النبيِّ ﷺ، ٥ ـ ﴿في جِيدِها﴾: عُنقها ﴿حَبلٌ مِن مَسَدٍ﴾ أي: ليفٍ. وهذه الجملة حال من «حمّالة الحطب» الذي هو نعتٌ لـ «امرأته» أو خبرُ مُبتدأ مُقدّر.

قولُهُ: (تَلَهُّبٍ) أي: اشتِعال.

قولُهُ: (عَطفٌ) أو مُبتَدأ.

قولُهُ: (أُمُّ جَمِيلٍ) العَوراءُ، أختُ أبي سُفيانَ بن حَربٍ.

قولُهُ: (بالرَّفعِ) للجُمهورِ، وبالنَّصبِ لعاصمٍ[1]، على الشَّتمِ.

قولُهُ: (والسَّعْدَانُ) بالضَّمِّ؛ أي: الحَسَك.

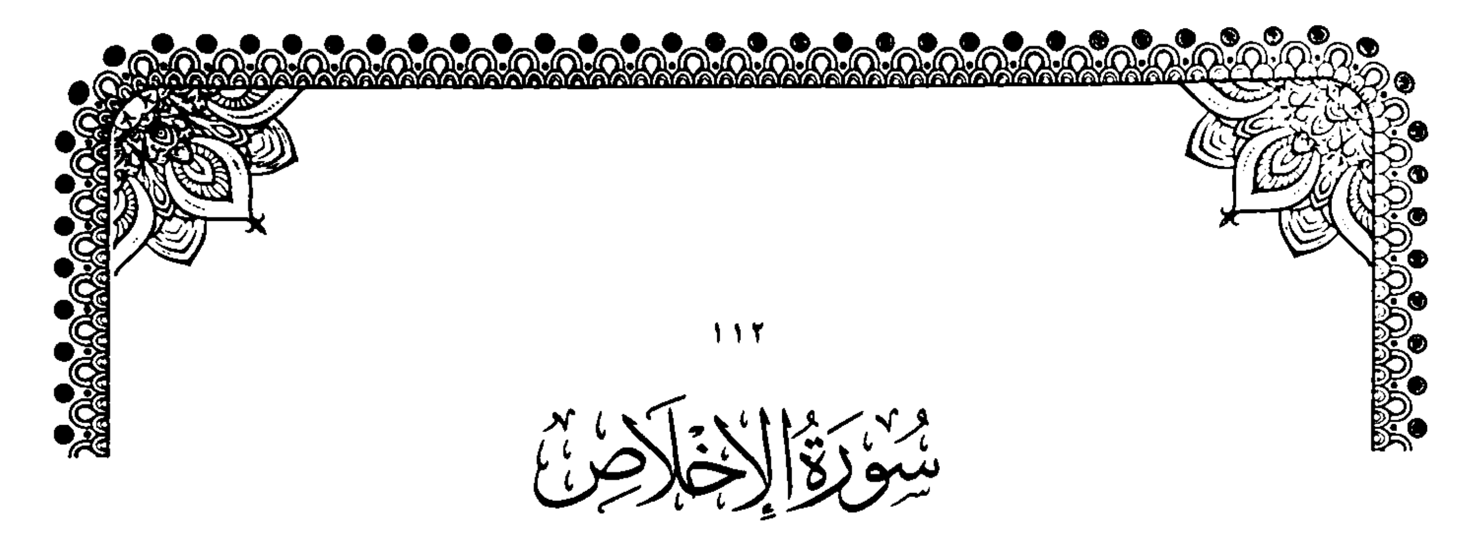
قولُهُ: (تُلقِيهِ) باللَّيلِ.

قولُهُ: (أي: لِيفٍ) أي: ممَّا مُسِدَ؛ أي: فُتِلَ مُحكماً، والله سبحانَهُ وتعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) انظر: «السبعة في القراءات» (ص: ٧٠٠).



١١٢

سُورَةُ الإخلاص

مكية أو مدنية، أربعُ أو خمسُ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُئل النبيّ ﷺ عن ربّه، فنزل: ١ ـ ﴿قُلْ: هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾. فاللهُ: خبرُ «هو»، وأحدٌ: بدلٌ منه، أو خبرٌ ثانٍ.

سُورَةُ الإخلاص

قولُهُ: (عَن رَبِّه) رويَ أنَّ قريشاً قالوا: يا محمَّدُ صِف لنا ربَّكَ الذي تَدعونا إليه[1].

قولُهُ: (خَبَرُ هُو) والضَّميرُ لما سُئلَ عنه؛ أي: الذي سُئلَ عنه هو اللهُ تعالى.

قولُهُ: (وَأحَد) قيلَ: إنَّه بمعنى واحِد؛ أي: غيرُ مُتعَدِّدٍ، وعندَ المحقِّقينَ: أنَّ الأحَديَّةَ لتفرُّدِ الذَّاتِ، والواحِديَّةَ لنفيِ المشارَكَةِ في الصِّفات.

قولُهُ: (بَدَلٌ مِنهُ) بدل النَّكرَةِ من المعرِفَةِ من غيرِ تخصيصِهِ بصفَةٍ مُختَلَفٌ فيه، واختارَ الرَّضيُّ[2] و«الكشاف»[3] جوازَهُ إذا استُفيدَ من البَدَلِ ما ليسَ في المبدَلِ منه.

قولُهُ: (أو خَبَرٌ ثَانٍ) ونُكِّر مع أنَّ مُقارنَهُ معرفَةٌ؛ لأنَّ حقَّ الخَبرِ أن يكونَ نكرَةً، كما أنَّ حقَّ المبتَدَأ أن يكونَ معرفَةً.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٦٤)، وأحمد في «مسنده» (٢١٢١٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٦٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٣٩٨٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٠٧).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: «شرح الرضي لكافية ابن الحاجب» (١/ ١٠٨٢)، و«فتوح الغيب» (١٦/ ٦٣٣).

(٣) انظر: «الكشاف» (٤/ ٨١٧).

٢ ـ ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾: مُبتدأٌ وخبرٌ، أي: المقصود في الحوائج على الدوام، ٣ ـ ﴿لَم يَلِدْ﴾ لِانتفاء مُجانسته ﴿ولَم يُولَدْ﴾ لِانتفاء الحُدوث عنه، ٤ ـ ﴿ولَم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أحَدٌ﴾ أي: مُكافئًا ومُماثلاً. فله: مُتعلِّق بـ «كفؤًا»، وقُدِّم عليه لأنه مَحطُّ القصد بالنفي، وأُخِّر «أحد» ـ وهو اسم «يكن» ـ عن خبرها رِعاية للفاصلة.

قولُهُ: (أي: المَقصُودُ) أي: إليه، وهو الموصوفُ بِهِ على الإطلاقِ، فإنَّه يستَغني عن غيره مطلَقاً، وكلُّ ما عَداهُ مُحتاجٌ إليه في جميعِ وُجوهِه.

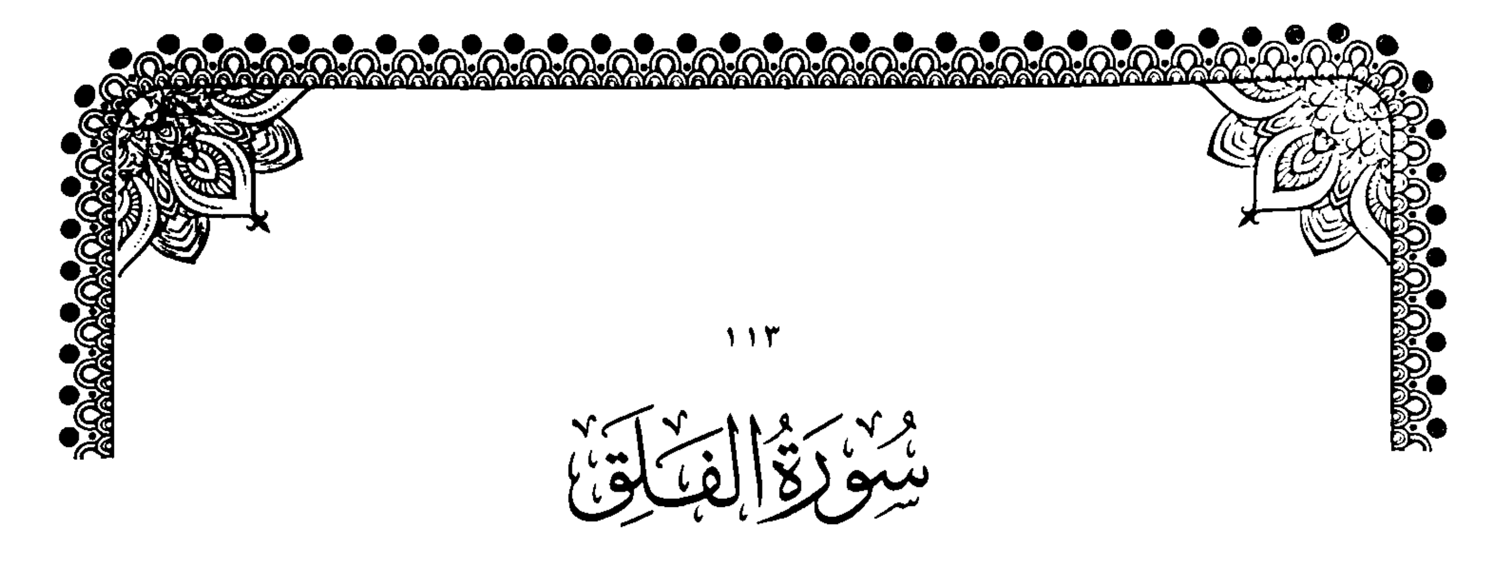
قولُهُ: (لانتِفَاءِ مُجَانسِهِ) وعَدمِ افتقارِهِ إلى ما يعينُهُ، أو يخلُفُ عنه لامتِناعِ الحاجَةِ والفَناءِ عليه.

قولُهُ: (لانتِفَاءِ الحُدُوثِ) عنه وعدَمِ افتقارِهِ إلى شيءٍ.

قولُهُ: (ومُمَاثِلاً) عَطفُ تَفسيرٍ.

قولُهُ: (عَن خَبَرِهَا) أي: ﴿يَكُن﴾، وهو مُتعلِّقٌ بأُخِّرَ، والله أعلمُ.

* * *



١١٣

سُورَةُ الفَلَقِ

مكية أو مدنية، خمسُ آيات.

نزلت هذه السورة والتي بعدها لمّا سَحَرَ لبيدٌ اليهوديُّ النبيَّ ﷺ في وَتَرٍ به إحدى عشْرةَ عُقدةً، فأعلمَه الله بذلك وبمحلّه، فأُحضِر بين يديه ﷺ، وأُمر بالتعوّذ بالسورتين، فكان كُلّما قرأ آية منها انحلّتْ عُقدة ووجدَ خِفّةً حتّى انحلّتِ العُقد كُلّها، وقام كأنما نُشِطَ من عِقال.

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الفَلَقِ

قولُهُ: (لَبِيد) كقَتِيل.

قولُهُ: (وَتَر) بفتحتَينِ، شِرعَةِ القَوسِ[1]، دسَّهُ في بئرٍ فمرِضَ النَّبيُّ ﷺ.

قولُهُ: (وبمَحَلِّهِ) أي: بموضِعِ السِّحرِ بواسطَةِ جِبريلَ.

قولُهُ: (فَأُحْضِرَ) أي: أحضَرَهُ عليٌّ رضي الله عَنهُ بإرسالِهِ ﷺ[2].

قولُهُ: (مِن عِقَالٍ) بالكَسرِ؛ أي: قَيدٍ.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ٤٩٠).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (١٩٢٦٧)، وابن أبي شيبة في «مسنده» (٥١٣)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٢٧١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ١٨٠) (٥٠١٦) عن زيد بن أرقم رضي الله عنه.

وروى البخاري (٥٧٦٣) خلافه: من حديث عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله: أفلا استخرجته؟ قال: «قد عافاني الله، فكرهت أن أثور على الناس فيه شرًّا».

١ ـ ﴿قُلْ: أعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾: الصبح، ٢ ـ ﴿مِن شَرِّ ما خَلَقَ﴾ من حيوانٍ مُكلّف وغير مُكلّف وجمادٍ كالسمّ وغير ذلك، ٣ ـ ﴿ومِن شَرِّ غاسِقٍ إذا وَقَبَ﴾ أي: الليلِ إذا أظلم أو القمرِ إذا غاب، ٤ ـ ﴿ومِن شَرِّ النَّفّاثاتِ﴾: السَّواحرِ تنفثُ ﴿في العُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقوله من غير رِيق ـ وقال الزمخشري: معه ـ كبناتِ لبيدِ المذكور، ٥ ـ ﴿ومِن شَرِّ حاسِدٍ إذا حَسَدَ﴾: أظهرَ حسده وعمِلَ بمقتضاه كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذِكرُ الثلاثةِ الشاملِ لها «ما خَلَقَ» بعده لشِدّة شرّها.

قولُهُ: (الصُّبحِ) تخصيصُهُ لما فيه من تغيُّرِ الحالِ، وتبدُّلِ وحشَةِ اللَّيلِ بسُرورِ النَّهارِ، وللإشعارِ بأنَّ من قدَرَ أن يزيلَ به ظُلمَةَ اللَّيلِ عن هذا العالَمِ قدَرَ أن يُزيلَ عن العائِذِ ما يخافُهُ.

قولُهُ: (وغَيرِ ذَلِكَ) والشَّرُّ إمَّا اختياريٌّ، وهو لازِمٌ ومُتعدٍّ، كالكُفرِ والظُّلمِ، أو طبيعِيٌّ: كإحراقِ النَّارِ، وإغراقِ الماءِ، وإهلاكِ السُّمومِ.

قولُهُ: (إذَا أَظلَمَ) أي: مَلأ الدُّنيا ظُلمَةً.

قولُهُ: (إذَا غَابَ) وفُسِّرَ في حديثٍ مرفوعٌ بالقمَرِ إذا طلعَ، أخرجَهُ التِّرمذيُّ من حديثِ عائشَةَ[1]، وقيل: وقُوبُهُ: دُخولُهُ في الكُسوفِ.

قولُهُ: (السَّوَاحِرِ) أي: النُّفوسِ، أو النِّساءِ السَّواحِرِ.

قولُهُ: (تَعقِدُهَا) أي: العَقد، (وقَالَ الزَّمَخشَرِيُّ[2]) وتبعَهُ القاضي[3].

قولُهُ: (مَعهُ) أي: مع الرِّيقِ، وفي «الاقتِطافِ»[4]: يُقالُ: بزَقَ ثمَّ تفَلَ، ثمَّ نفثَ، ثمَّ نفَخَ، وفي «القامُوسِ»[5]: النَّفثُ كالنَّفخِ، أقلُّ من التَّفلِ.

قولُهُ: (أَظهَرَ حَسَدَهُ) هذا حَلُّ المعنى؛ إذ لم يَظهَر معنى التَّعديَةِ فالأولى: ظَهَرَ حسدُهُ، فإنَّهُ لا يَعودُ ضررٌ منه قبلَ ذلك إلى المحسودِ، بل يُخَصُّ بالحاسِدِ لاغتمامِهِ بسُرورِهِ، والله تعالى أعلمُ.

* * *

---

(١) روى الترمذي (٣٣٦٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٦٤)، وأحمد في «مسنده» (٢٤٣٢٣) عن عائشة: أن النبي ﷺ نظر إلى القمر، فقال: «يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب».

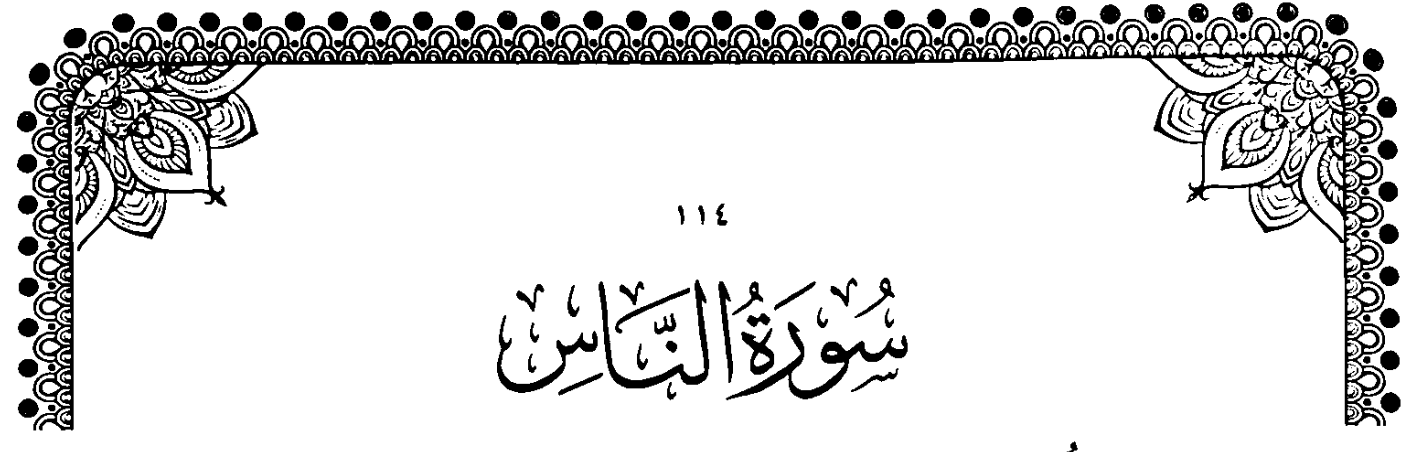
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «الكشاف» (٤/ ٨٢١).

(٣) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٤٨).

(٤) انظر: «اقتطاف الأزاهر والتقاط الجواهر» (ص: ٩٥).

(٥) انظر: «القاموس المحيط» (ص: ١٧٧).



١١٤

سُورَةُ النَّاسِ

مكية أو مدنية، ستُّ آيات.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ ـ ﴿قُل: أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾: خالقِهم ومالكهم ـ خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم ومناسبةً للاستعاذة من شرّ المُوَسوِس في صُدورهم ـ ٢ ـ ٣ ـ ﴿مَلِكِ النَّاسِ، إِلَـٰهِ النَّاسِ﴾: بدلان أو صفتان أو عطفا بيان، وأُظهِر المضافُ إليه فيهما زيادةً للبيان، ٤ ـ ﴿مِن شَرِّ الوَسْوَاسِ﴾ أي: الشيطان سُمِّي بالحدَث لكثرة مُلابسته له ﴿الخَنَّاسِ﴾ لأنه يخنِس: يتأخّر عن القلب كُلّما ذُكر اللهُ، ٥ ـ ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾: قُلوبهم إذا غفَلوا عن ذِكر الله، ٦ ـ ﴿مِنَ الجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾: بيانٌ للشيطان المُوَسوِس أنه جنّيٌّ وإنسيّ كقوله تعالى:

قولُهُ: (خَالِقِهِم) قالَ البيضاويُّ[١]: قُرِئَ في السُّورَتينِ بحذفِ الهمزَةِ ونقلِ حركَتِها إلى اللَّامِ، والحالُ أنَّه قراءَةٌ مُتواتِرَةٌ لورش، وقاعدَةٌ مُطَّرِدَةٌ له وَقفاً ووَصلاً، ولحمزَةَ وَقفاً[٢].

قولُهُ: (فِي صُدُورِهِم) وكأنَّهُ قيل: أعوذُ من شرِّ الموسوِسِ إلى النَّاسِ بربِّهِم الذي يملكُ أمورَهُم ويستحِقُّ عِبادَتَهم.

قولُهُ: (أو عَطفاً بَيَانٍ) الظَّاهرُ: عَطفَا بَيانٍ.

قولُهُ: (زِيَادَةً للبيَانِ) وإشعاراً بشرَفِ الإنسانِ، وقيل: المرادُ بالأوَّلِ: الأطفالُ ويلائمُهُ معنى التَّربيَةِ، والثَّاني: الشَّبابُ ويُطابقُهُ معنى السَّلطنَةِ والسِّياسَةِ، والثَّالث: الشُّيوخُ ويناسبُهُ معنى العبوديَّةِ للألوهيَّةِ.

قولُهُ: (سُمِّيَ) أو أريدَ.

قولُهُ: (بالحَدَثِ) أي: بفعلِهِ مُبالغَةً، أو معناهُ: الموَسوِسُ.

قولُهُ: (بَيَانٌ للشَّيطَانِ) أو الذي هذا، وقالَ الجاربرديُّ في حاشيتِهِ على «الكشاف»[٣]: واختِتامُهُ بالاستعاذَةِ

---

(١) انظر: «أنوار التنزيل» (٥/ ٣٥٠). (٢) انظر: «الإقناع في القراءات السبع» (ص: ١٨٥، ٢٣٧).

(٣) هذه الحاشية لم تطبع بعد، ومصنفها: أحمد بن الحسن، فخر الدين، أبو المكارم الجاربردي، إمام فاضل وقور، صاحب =

«شَياطِينَ الإنسِ والجِنِّ»، أو «من الجنة»: بيان له «والناسِ»: عطف على الوسواس.

وعلى كُلٍّ شَمَلَ شرَّ لبيدٍ وبناته المذكورين. واعتُرض الأوّل بأنّ الناس لا يُوسوسون في صدور الناس، إنما يُوسوس في صدورهم الجِنُّ. وأُجيب بأنّ الناس يُوسوسون أيضًا بمعنًى يليق بهم في الظاهر، ثمّ تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه بالطريق المُؤدّي إلى ذلك. والله ـ تعالى ـ أعلم.

أيضاً نعمَةٌ، إمَّا لأنَّ مثلَ هذا القُرآنَ لمَّا نزلَ على العبادِ وقرؤُوهُ وعَمِلوا به كانَ مظنَّةَ أن يزلَّهُم الشَّيطانُ بإيقاعِ العُجْبِ والكِبْرِ، فاختتَمَ بالمعوِّذتَينِ؛ لدفعِ ذلك، وإمَّا لأنَّ الكُفَّارَ كانوا يُصيبونَ بالعَينِ ويقصدونَ ذلك، قالَ تعالَى: ﴿وإِن يَكَادُ الذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية [القلم: ٥١].

وقالَ السَّيِّدُ السَّندُ[١]: فيه إشارةٌ لطيفَةٌ، قالَ كمال باشا[٢]: وجهُ الإشارَةِ أنَّ الاستعاذَةَ من شرائطِ بَدْءِ القراءَةِ بحُكمِ ﴿فَإِذَا قَرأتَ القُرآنَ﴾ [النحل: ٩٨]، وفي الختمِ بالاستعاذَةِ نوعُ تذكيرٍ لذلك الشَّرطِ فينتَقِلُ الذِّهنُ منه إلى المشروطِ، ويكون ذلك كالباعثِ لابتداءِ القراءَةِ مرَّةً أخرى، وقد حثَّ النبيُّ ﷺ على ذلكَ بقولِهِ: «رَحِمَ الله الرَّاحِلَ والمرتَحِلَ»[٣].

قلتُ: ومن الاتِّفاقيَّاتِ البديعيَّةِ والتَّوفيقاتِ الإلهيَّةِ ما وقَعَ في هذا التَّفسيرِ من انضِمامِ الفاتِحَةِ إلى الخاتِمَةِ.

وقالَ الكافيجيُّ: وأشارَ إليه بقولِهِ تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأتَ القُرآنَ فَاستَعِذ بالله﴾ [النحل: ٩٨] على أحَدِ الوجهينِ؛ يعني: على القَولِ بأنَّ الاستعاذَةَ عندَ خَتمِ القراءَةِ، قلتُ: فإذا ختمَ وبَدأ يكونُ عامِلاً بالوَجهينِ، ويحصلُ له أجرُهُ مرَّتينِ، والله سبحانَهُ وتعالى أعلم.

* * *

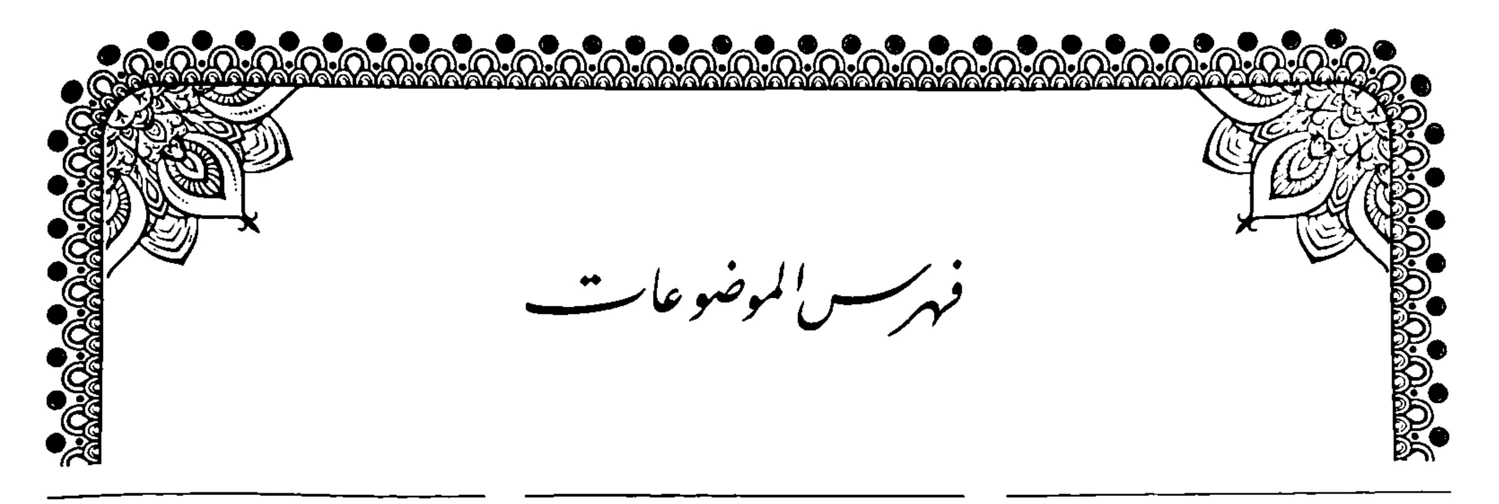
= المصنفات البديعة، والمؤلفات المفيدة، أخذ العلم عن القاضي البيضاوي، (ت: ٧٤٦هـ). انظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٤٢)، و«طبقات المفسرين» للأدنه وي (ص: ٢٨١).

(١) جاء في «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» (ص: ١٢٥): علي بن محمد بن علي المعروف بالسيد الشريف، والسيد المسند، الجرجاني، الحنفي، عالم نحرير، قد حاز قصبات السبق في التحرير، فصيح العبارة، دقيق الإشارة، نظار فارس في البحث والجدل، ولد في جرجان، وت (٧١٦هـ)، وله حاشية على تفسير البيضاوي.

(٢) وهو: أحمد بن سليمان ابن كمال باشا، ت: (٩٤٠هـ)، الفقيه الحنفي المشهور صاحب التصانيف الكثيرة، ومنها «حاشية على الكشاف». انظر: «الفوائد البهية» (ص: ٢١).

(٣) روى الترمذي (٢٩٤٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٦٨) (١٢٧٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٨٨) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أي الأعمال أفضل؟ قال: «الحال المرتحل» قال: يا رسول الله، وما الحال المرتحل؟ قال: «يضرب من أول القرآن، إلى آخره، ومن آخره إلى أوله».

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه وإسناده ليس بالقوي.



فهرس الموضوعات

* * *